سلسلة نصوص تراثية للحشيان

(١٥٥٣)

الرقيب والمراقبة

تفسير وتزكية

من مصنفات التفسير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٦هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"الثانية– في قوله تعالى:" اسكن" تنبيه على الخروج، لأن السكنى لا تكون ملكا، ولهذا قال بعض العارفين: السكنى تكون إلى مدة ثم تنقطع، فدخولهما في الجنة كان دخول سكنى لا دخول إقامة «١». قلت: وإذا كان هذا فيكون فيه دلالة على ما يقوله الجمهور من العلماء: إن من أسكن رجلا مسكنا له إنه لا يملكه بالسكنى، وأن له أن يخرجه إذا انقضت مدة الإسكان. وكان الشعبي يقول: إذا قال الرجل داري لك سكنى حتى تموت فهي له حياته وموته، وإذا قال: داري هذه اسكنها حتى تموت فإنها ترجع إلى صاحبها إذا مات. ونحو من السكنى العمرى، إلا أن الخلاف في العمرى أقوى منه في السكنى. وسيأتي الكلام في العمرى في" هود «٢» " إن شاء الله تعالى. قال الحربي: سمعت ابن الإعرابي يقول: لم يختلف العرب في أن هذه الأشياء على ملك أربابها ومنافعها لمن جعلت له العمرى والرقبى والإفقار والإخبال والمنحة والعرية والسكنى والإطراق. وهذا حجة مالك وأصحابه في أنه لا يملك شي من العطايا إلا المنافع دون الرقاب، وهو قول الليث بن سعد والقاسم بن محمد، ويزيد بن قسيط. والعمرى: هو إسكانك الرجل في دار لك مدة عمرك أو عمره. ومثله الرقبى: وهو أن يقول: إن مت قبلي رجعت إلي وإن مت قبلك فهي لك، وهي من **المراقبة**. **والمراقبة**: أن يرقب كل واحد منهما موت صاحبه، ولذلك اختلفوا في إجازتها ومنعها، فأجازها أبو يوسف والشافعي، وكأنها وصية عندهم. ومنعها مالك والكوفيون، لأن كل واحد منهم يقصد إلى عوض لا يدري هل يحصل له، ويتمنى كل واحد منهما موت صاحبه. وفي الباب حديثان أيضا بالإجازة والمنع ذكرهما ابن ماجه في سننه، الأول رواه جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (العمرى جائزة لمن أعمرها والرقبى جائزة لمن أرقبها) ففي هذا الحديث التسوية بين العمرى والرقبى في الحكم. الثاني رواه ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا رقبى فمن أرقب شيئا فهو له حياته ومماته). قال: والرقبى أن

---

(١). في بعض الأصول:" لا دخول ثواب".

(٢). راجع ج ٩ ص ٥٧." (١)

"في الفاتحة «١» قال الجوهري: الشكر: الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف يقال: شكرته وشكرت له وباللام أفصح. والشكران: خلاف الكفران. وتشكرت له مثل شكرت له. وروى الترمذي وأبو

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١/٢٩٩

داود عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) قال الخطابي هذا الكلام يتأول على معنيين أحدهما أن من كان من طبعه كفران نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعمة الله عز وجل وترك الشكر له. والوجه الآخر أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذ كان العبد لا يشكر إحسان الناس إليه ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر. الرابعة- في عبارات العلماء في معنى الشكر فقال سهل بن عبد الله: الشكر: الاجتهاد في بذل الطاعة مع الاجتناب للمعصية في السر والعلانية وقالت فرقة أخرى: الشكر هو الاعتراف في تقصير الشكر للمنعم ولذلك قال تعالى" اعملوا آل داود شكرا" «٢» [سبأ: ١٣] فقال داود: كيف أشكرك يا رب والشكر نعمة منك! قال: الآن قد عرفتني وشكرتني إذ قد عرفت أن الشكر مني نعمة قال يا رب فأرني أخفى نعمك علي قال يا داود تنفس فتنفس داود فقال الله تعالى من يحصي هذه النعمة الليل والنهار. وقال موسى عليه السلام: كيف أشكرك وأصغر نعمة وضعتها بيدي من نعمك لا يجازي بها عملي كله! فأوحى الله إليه يا موسى الآن شكرتني وقال الجنيد حقيقة الشكر العجز عن الشكر وعنه قال كنت بين يدي السري السقطي ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر؟ فقلت ألا يعصى الله بنعمه فقال لي: أخشى أن يكون حظك من الله لسانك. قال الجنيد فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السري لي. وقال الشبلي الشكر التواضع والمحافظة على الحسنات ومخالفة الشهوات وبذل الطاعات ومراقبة جبار الأرض والسموات وقال ذو النون المصري أبو الفيض الشكر لمن فوقك بالطاعة ولنظيرك بالمكافأة ولمن دونك بالإحسان والإفضال

(١). راجع ص ١٣٣ من هذا الجزء.
(٢). راجع ج ١٤ ص ٢٧٦." (١)

"بالمعنى الأول لا بالثاني، فإن المعنى الأول راجع إلى إتقان العبادة ومراعاتها بأدائها المصححة والمكملة، ومراقبة الحق فيها واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار. وهو المراد بقوله" أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". وأرباب القلوب في هذه المراقبة على حالين: أحدهما غالب عليه مشاهدة الحق فكأنه يراه. ولعل النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى هذه الحالة بقوله:" وجعلت

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١/٣٩٨

قرة عيني في الصلاة". وثانيهما- لا تنتهي إلى هذا، لكن يغلب عليه أن الحق سبحانه مطلع عليه ومشاهد له، وإليه الإشارة بقوله تعالى:" الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين «١» وقوله:" إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه «٢» " الثالثة- قوله تعالى: وإيتاء ذي القربى أي القرابة، يقول: يعطيهم المال كما قال:" وآت ذا القربى حقه «٣» " يعني صلته. وهذا من باب عطف المندوب على الواجب، وبه استدل الشافعي في إيجاب إيتاء المكاتب، على ما يأتي بيانه. وإنما خص ذا القربى لأن حقوقهم أوكد وصلتهم أوجب، لتأكيد حق الرحم التي اشتق الله اسمها من اسمه، وجعل صلتها من صلته، فقال في الصحيح:" أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك «٤» ". ولا سيما إذا كانوا فقراء. الرابعة- قوله تعالى: (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) الفحشاء: الفحش، وهو كل قبيح من قول أو فعل. ابن عباس: هو الزنى. والمنكر: ما أنكره الشرع بالنهي عنه، وهو يعم جميع المعاصي والرذائل والدناءات على اختلاف أنواعها. وقيل هو الشرك. والبغي: هو الكبر والظلم والحقد والتعدي، وحقيقته تجاوز الحد، وهو داخل تحت المنكر، لكنه تعالى خصه بالذكر اهتماما به لشدة ضرره. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم:" لا ذنب أسرع عقوبة من بغي". وقال عليه السلام:" الباغي مصروع". وقد وعد الله من بغي عليه بالنصر. وفى بعض الكتب المنزلة: لو بغى جبل على جبل لجعل الباغي منهما دكا.

---

(١). راجع ج ١٣ ص ...
(٢). راجع ج ٨ ص ٣٥٥. [.....]
(٣). راجع ص ٢٤٧ من هذا الجزء
(٤). راجع صحيح البخاري في كتاب التفسير في سورة محمد وكتاب الأدب والتوحيد. وصحيح مسلم في كتاب الأدب.." [1]

"قلت: وعلى الجملة فالمعنى المقصود بالحديث:" لم تزده من الله إلا بعدا ولم يزدد بها من الله إلا مقتا" إشارة إلى أن مرتكب الفحشاء والمنكر لا قدر لصلاته، لغلبة المعاصي على صاحبها. وقيل: هو خبر بمعنى الأمر. أي لينته المصلي عن الفحشاء والمنكر. والصلاة بنفسها لا تنهى، ولكنها سبب الانتهاء. وهو كقوله تعالى:" هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق" وقوله:" أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٦٧/١٠

يشركون". الرابعة- قوله تعالى: (ولذكر الله أكبر) أي ذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم أكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم. قال معناه ابن مسعود وابن عباس وأبو الدرداء وأبو قرة وسلمان والحسن، وهو اختيار الطبري. وروي مرفوعا من حديث موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قول الله عز وجل:" ولذكر الله أكبر" قال:" ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه". وقيل: ذكركم الله في صلاتكم وفي قراءة القرآن أفضل من كل شي. وقيل: المعنى، إن ذكر الله أكبر مع المداومة من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر. وقال الضحاك: ولذكر الله عند ما يحرم فيترك أجل الذكر. وقيل: المعنى ولذكر الله للنهي عن الفحشاء والمنكر أكبر أي كبير، وأكبر يكون بمعنى كبير. وقال ابن زيد وقتادة: ولذكر الله أكبر من كل شي أي أفضل من العبادات كلها بغير ذكر. وقيل: ذكر الله يمنع من المعصية فإن من كان ذاكرا له لا يخالفه. قال ابن عطية: وعندي أن المعنى ولذكر الله أكبر على الإطلاق، أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر، فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك، وكذلك يفعل في غير الصلاة، لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر الله مراقب له. وثواب

ذلك أن يذكره الله تعالى، كما في الحديث" من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم" والحركات التي في الصلاة لا تأثير لها في نهي، والذكر النافع هو مع العلم وإقبال القلب وتفرغه إلا من الله. وأما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة أخرى. وذكر الله تعالى للعبد هو إفاضة الهدى ونور العلم عليه، وذلك ثمرة لذكر العبد ربه. قال الله عز وجل:" فاذكروني أذكركم". وباقي الآية ضرب من الوعيد والحث على **المراقبة**.." (١)

"[سورة الأحزاب (٣٣): آية ٥٢]

لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء **رقيبا** (٥٢)

فيه سبع مسائل: الأولى- اختلف العلماء في تأويل قوله:" لا يحل لك النساء من بعد" على أقوال سبعة: الاولى- أنها منسوخة بالسنة، والناسخ لها حديث عائشة، قالت: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء. وقد تقدم «١». الثاني- أنها منسوخة بآية أخرى، روى الطحاوي عن أم سلمة قالت: لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء من شاء، إلا ذات محرم،

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٤٩/١٣

وذلك قوله عز وجل:" ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء". قال النحاس: وهذا والله أعلم أولى ما قيل في الآية، وهو وقول عائشة واحد في النسخ. وقد يجوز أن تكون عائشة أرادت أحل له ذلك بالقرآن. وهو مع هذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس وعلي بن الحسين والضحاك. وقد عارض بعض فقهاء الكوفيين فقال: محال أن تنسخ هذه الآية يعني" ترجي من تشاء منهن"" لا يحل لك النساء من بعد" وهي قبلها في المصحف الذي أجمع عليه المسلمون. ورجح قول من قال نسخت بالسنة. قال النحاس: وهذه المعاوضة لا تلزم وقائلها غالط، لأن القرآن بمنزلة سورة واحدة، كما صح عن ابن عباس: أنزل الله القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في شهر رمضان. ومبين لك أن اعتراض هذا [المعترض] لا يلزم [أن] قوله عز وجل:" والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج" «٢» [البقرة: ٢٤٠] منسوخة على قول أهل التأويل- لا نعلم بينهم

---

(١). ص ٢٠٧ من هذا الجزء.

(٢). راجع ج ٣ ص ٢٢٦.." (١)

"ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ ليلة فقال: (سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن وماذا فتح من الخزائن من يوقظ صواحب الحجر رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة (. وروي أن دحية الكلبي لما رجع من عند هرقل فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم قبطية، فقال: (اجعل صديعا لك قميصا وأعط صاحبتك صديعا تختمر به). والصديع النصف. ثم قال له: (مرها تجعل تحتها شيئا لئلا يصف). وذكر أبو هريرة رقة الثياب للنساء فقال: الكاسيات العاريات الناعمات «١» الشقيات. ودخل نسوة من بني تميم على عائشة رضي الله عنها عليهن ثياب رقاق، فقالت عائشة: إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات، وإن كنتن غير مؤمنات فتمتعينه «٢». وأدخلت امرأة عروس على عائشة رضي الله عنها وعليها خمار قبطي معصفر، فلما رأتها قالت: لم تؤمن بسورة" النور" امرأة تلبس هذا. وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن مثل أسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها (. وقال عمر رضي الله عنه: ما يمنع المرأة المسلمة إذا كانت لها حاجة أن تخرج في أطمارها «٣» أو أطمار جارتها مستخفية، لا يعلم بها أحد حتى ترجع إلى بيتها. السادسة- قوله تعالى: (ذلك أدنى أن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢١٩/١٤

يعرفن) أي الحرائر، حتى لا يختلطن بالإماء، فإذا عرفن لم يقابلن بأدنى من المعارضة **مراقبة** لرتبة الحرية، فتنقطع الأطماع عنهن. وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى تعلم من هي. وكان عمر رضي الله عنه إذا رأى أمة قد تقنعت ضربها بالدرة، محافظة على زي الحرائر. وقد قيل: إنه يجب الستر والتقنع الآن في حق الجميع من الحرائر والإماء. وهذا كما أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا النساء المساجد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله) حتى قالت عائشة رضي الله عنها: لو عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا لمنعهن من الخروج إلى المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل. (وكان الله غفورا رحيما) تأنيس للنساء في ترك الجلابيب قبل هذا الامر المشروع.

---

(١). في ح: (المتنعمات).

(٢). وردت هذه الكلمة محرفة في نسخ الأصل ولعلها (فتمتعن به).

(٣). الأطمار: جمع الطمر (بكسر الطاء وسكون الميم) وهو الثوب الخلق.." (١)

"فساد، أو اختلف إلى أحد ممن يدعي العلم بالسحر، أو تعلم الأقاصيص وقرأ الكتب، أو عرفتموه بالطمع في أموالكم، أو تقدرون على معارضته في سورة واحدة، فإذا عرفتم بهذا الفكر صدقه فما بال هذه المعاندة. (إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية" وأنذر عشيرتك الأقربين". [الشعراء: ٢١٤] ورهطك منهم المخلصين" «١»، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف: يا صباحاه؟ «٢» فقالوا: من هذا الذي يهتف!؟ قالوا محمد، فاجتمعوا إليه فقال: (يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب- فاجتمعوا إليه فقال- أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي (؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا. قال:) فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد (. قال فقال أبو لهب: تبا لك! أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قال فنزلت هذه السورة:" تبت يدا أبي لهب «٣» وقد تب" [المسد: ١] كذا قرأ الأعمش إلى آخر السورة.

[سورة سبإ (٣٤): آية ٤٧]

قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد (٤٧)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٤٤/١٤

قوله تعالى: (قل ما سألتكم من أجر) أي جعل على تبليغ الرسالة (فهو لكم) أي ذلك الجعل لكم إن كنت سألتكموه (إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد) أي رقيب وعالم وحاضر لأعمالي وأعمالكم، لا يخفى عليه شي فهو يجازي الجميع.

[سورة سبإ (٣٤): آية ٤٨]

قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب (٤٨)

قوله تعالى: (قل إن ربي يقذف بالحق) أي يبين الحجة ويظهرها. قال قتادة: بالحق بالوحي. وعنه: الحق القرآن. وقال ابن عباس: أي يقذف الباطل بالحق علام الغيوب.

---

(١). قال القسطلاني في قوله (ورهطك منهم المخلصين): هو من عطف الخاص على العام وكان قرآنا فنسخت تلاوته.

(٢). قوله: (يا صباحاه) بسكون الهاء وهي كلمة يقولها المستغيث واصله، إذا صاحوا للغارة لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح ويسمون الغارة يوم الصباح.

(٣). راجع ج ٢٠ ص ٢٣٤.." [١]

"يقولونه لتقليد «١» آبائهم من غير علم فهم في شك. وإن توهموا أنهم مؤمنون فهم يلعبون في دينهم بما يعن لهم من غير حجة. وقيل:" يلعبون" يضيفون إلى النبي صلى الله عليه وسلم الافتراء استهزاء. ويقال لمن أعرض عن المواعظ: لاعب، وهو كالصبي الذي يلعب فيفعل ما لا يدري عاقبته.

[سورة الدخان (٤٤): الآيات ١٠ الى ١١]

فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين (١٠) يغشى الناس هذا عذاب أليم (١١)

قوله تعالى:" فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين" ارتقب معناه انتظر يا محمد بهؤلاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان مبين، قاله قتادة. وقيل: معناه احفظ قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تأتي السماء بدخان مبين، ولذلك سمي الحافظ رقيبا. وفي الدخان أقوال ثلاثة: الأول أنه من أشراط الساعة لم يجئ بعد، وأنه يمكث

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/٣١٢

في الأرض أربعين يوما يملأ ما بين السماء والأرض، فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام، وأما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم، ويضيق أنفاسهم، وهو من آثار جهنم يوم القيامة. وممن قال إن الدخان لم يأت بعد: علي وابن عباس وابن عمرو وأبو هريرة وزيد بن علي والحسن وابن أبي مليكة وغيرهم. وروى أبو سعيد الخدري مرفوعا أنه دخان يهيج بالناس يوم القيامة، يأخذ المؤمن منه كالزكمة. وينفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع منه، ذكره الماوردي. وفي صحيح مسلم عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال: (ما تذكرون)؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات- فذكر- الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم (. في رواية عن حذيفة (إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال

(١). في أز ك ل هـ: لتقليد الآباء لهم. وفي ن: تقليدا لآبائهم.." (١)

"[سورة ق (٥٠): الآيات ١٢ الى ١٥]

كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود (١٢) وعاد وفرعون وإخوان لوط (١٣) وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد (١٤) أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد (١٥)

قوله تعالى: (كذبت قبلهم قوم نوح) أي كما كذب هؤلاء فكذلك كذب أولئك فحل بهم العقاب، ذكرهم نبأ من كان قبلهم من المكذبين وخوفهم ما أخذهم. وقد ذكرنا قصصهم في غير موضع عند ذكرهم. (كل كذب الرسل) من هذه الأمم المكذبة. (فحق وعيد) أي فحق عليهم وعيدي وعقابي. قوله تعالى: (أفعيينا بالخلق الأول) أي أفعيينا به فنعيا بالبعث. وهذا توبيخ لمنكري البعث وجواب قولهم: (ذلك رجع بعيد). يقال: عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه. (بل هم في لبس من خلق جديد) أي في حيرة من البعث منهم مصدق ومنهم مكذب، يقال: لبس عليه الامر يلبسه لبسا.

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣٠/١٦

[سورة ق (٥٠): الآيات ١٦ الى ١٩]

ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦) إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨) وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩)

قوله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان) يعني الناس، وقيل آدم. (ونعلم ما توسوس به نفسه) أي ما يختلج في سره وقلبه وضميره، وفي هذا زجر عن المعاصي التي يستخفي بها. ومن قال: إن المراد بالإنسان آدم، فالذي وسوست به نفسه هو الأكل من الشجرة، ثم هو عام لولده. والوسوسة حديث النفس بمنزلة الكلام الخفي. قال الأعشى:." (١)

"والمراد بالقعيد ها هنا الملازم الثابت لا ضد القائم. قوله تعالى: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) أي ما يتكلم بشيء إلا كتب عليه، مأخوذ من لفظ الطعام وهو إخراجه من الفم. وفي الرقيب ثلاثة أوجه: أحدها أنه المتبع للأمور. الثاني أنه الحافظ، قاله السدي. الثالث أنه الشاهد، قاله الضحاك. وفي العتيد وجهان: أحدهما أنه الحاضر الذي لا يغيب. الثاني أنه الحافظ المعد إما للحفظ وإما للشهادة. قال الجوهري: العتيد الشيء الحاضر المهيأ، وقد عتده تعتيدا وأعتده إعتادا أي أعده ليوم، ومنه قوله تعالى: (وأعتدت لهن متكأ) «١» وفرس عتد وعتد بفتح التاء وكسرها المعد للجري. قلت وكله يرجع إلى معنى الحضور، ومنه قول الشاعر:

لئن كنت مني في العيان مغيبا ... فذكرك عندي في الفؤاد عتيد

قال أبو الجوزاء ومجاهد: يكتب على الإنسان كل شي حتى الأنين في مرضه. وقال عكرمة: لا يكتب إلا ما يو جربه أو يؤزر عليه. وقيل: يكتب عليه كل ما يتكلم به، فإذا كان آخر النهار محي عنه ما كان مباحا، نحو انطلق اقعد كل مما لا يتعلق به أجر ولا وزر، والله أعلم. وروي عن أبي هريرة وأنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من حافظين يرفعان إلى الله ما حفظا فيرى الله في أول الصحيفة خيرا وفي آخرها خيرا إلا قال الله تعالى لملائكته اشهدوا أني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة (. وقال علي رضي الله عنه:) إن لله ملائكة معهم صحف بيض فأملوا في أولها وفي آخرها خيرا يغفر لكم ما بين ذلك (وأخرج أبو نعيم الحافظ قال حدثنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة قال حدثنا جدي

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٧/٨

محمد بن إسحاق قال حدثنا محمد بن موسى الحرشي قال حدثنا سهيل ابن عبد الله قال: سمعت الأعمش يحدث عن زيد بن وهب عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الحافظين إذا نزلا على العبد أو الامة منهما كتاب مختوم فيكتبان ما يلفظ به العبد أو الأمة فإذا أرادا أن ينهضا قال أحدهما للآخر فك الكتاب المختوم الذي معك فيفكه له فإذا فيه ما كتب سواء فذلك قوله تعالى (ما يلفظ من قول

(١). راجع ج ٩ ص ١٧٨." (١)

"إلا لديه رقيب عتيد غريب من حديث الأعمش عن زيد، لم يروه عنه إلا سهيل. وروي من حديث أنس أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله وكل بعبده ملكين يكتبان عمله فإذا مات قالا ربنا قد مات فلان فأذن لنا أن نصعد إلى السماء فيقول الله تعالى إن سمواتي مملوءة من ملائكتي يسبحونني فيقولان ربنا نقيم في الأرض فيقول الله تعالى إن أرضي مملوءة من خلقي يسبحونني فيقولان يا رب فأين نكون فيقول الله تعالى كونا على قبر عبدي فكبراني وهللاني وسبحاني «١» واكتبا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة (. قوله تعالى:) وجاءت سكرة الموت بالحق) أي غمرته وشدته، فالإنسان ما دام حيا تكتب عليه أقواله وأفعاله ليحاسب عليها، ثم يجيئه الموت وهو ما يراه عند المعاينة من ظهور الحق فيما كان الله تعالى وعده وأوعده. وقيل: الحق هو الموت سمي حقا إما لاستحقاقه وإما لانتقاله إلى دار الحق، فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره وجاءت سكرة الحق بالموت، وكذلك في قراءة أبي بكر وابن مسعود رضي الله عنهما، لأن السكرة هي الحق فأضيفت إلى نفسها لاختلاف اللفظين. وقيل: يجوز أن يكون الحق على هذه القراءة هو الله تعالى، أي جاءت سكرة أمر الله تعالى بالموت. وقيل: الحق هو الموت والمعنى وجاءت سكرة الموت بالموت، ذكره المهدوي. وقد زعم من طعن على القرآن فقال: أخالف المصحف كما خالف أبو بكر الصديق فقرأ: وجاءت سكرة الحق بالموت. فاحتج عليه بأن أبا بكر رويت عنه روايتان: إحداهما موافقة للمصحف فعليها العمل، والأخرى مرفوضة تجري مجرى النسيان منه إن كان قالها، أو الغلط من بعض من نقل الحديث. قال أبو بكر الأنباري: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي حدثنا علي بن عبد الله حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن مسروق قال: لما احتضر أبو بكر أرسل

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١/١٧

إلى عائشة فلما دخلت عليه قالت: هذا كما قال الشاعر:

إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر «٢»

---

(١). في ا، ح، ن، هـ: (وإذ كرانى). [.....]

(٢). صدر البيت:

لعمرك ما يغنى الثراء ولا الغنى." (١)

"الأولى- روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند حدى حالتين: الخراءة»

أو الجماع، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم [حائط «٢»] أو بغيره، أو ليستره أخوه). وروي عن علي رضي الله عنه قال: (لا يزال الملك موليا عن العبد ما دام بادي العورة) وروي (إن العبد إذا دخل الحمام بغير مئزر لعنه ملكاه). الثانية- واختلف الناس في الكفار هل عليهم حفظة أم لا؟ فقال بعضهم: لا، لأن أمرهم ظاهر، وعملهم واحد، قال الله تعالى: يعرف المجرمون بسيماهم [الرحمن: ٤١]. وقيل: بل عليهم حفظة، لقوله تعالى: كلا بل تكذبون بالدين. وإن عليكم لحافظين. كراما كاتبين. يعلمون ما تفعلون [الانفطار: ١٢ - ٩]. وقال: وأما من أوتي كتابه بشماله [الحاقة: ٢٥] وقال: وأما من أوتي كتابه وراء ظهره [الانشقاق: ١٠]، فأخبر أن الكفار يكون لهم كتاب، ويكون عليهم حفظة. فإن قيل: الذي على يمينه أي شي يكتب ولا حسنة له؟ قيل له: الذي يكتب عن شماله يكون بإذن صاحبه، ويكون شاهدا على ذلك وإن لم يكتب. والله أعلم. الثالثة- سئل سفيان: كيف تعلم الملائكة أن العبد قد هم بحسنة أو سيئة؟ قال: إذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك، وإذا هم بسيئة وجدوا منه ريح النتن. وقد مضى في" ق" «٣» عند قوله: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [ق: ١٨] زيادة بيان لمعنى هذه الآية. وقد كره العلماء الكلام عند الغائط والجماع، لمفارقة الملك العبد عند ذلك. وقد مضى في آخر" آل عمران" «٤» القول في هذا. وعن الحسن: يعلمون لا يخفى عليهم شي من أعمالكم. وقيل: يعلمون ما ظهر منكم دون ما حدثتم به أنفسكم. والله أعلم.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٢/١٧

(١). في ا، ب ح، ط، ل: الخزاية ورواية روح المعاني (ح ٩ ص ٣١٧): لا يفارقونكم إلا عند إحدى الغائط والجنابة والغسل.

(٢). الزيادة من الدر المنثور وفية. سبب ورود الحديث أنه عليه السلام رأى رجلا يغتسل بفلاة من الأرض ...... إلخ.

(٣). راجع ج ١٧ ص (١١)

(٤). راجع ٤ ص ٣١٠ فما بعدها.." (١)

"لفظه، كقولك: عشرون وثلاثون، والعرب إذا جمعت جمعا ولم يكن له بناء من واحده ولا تثنية، قالوا في المذكر والمؤنث بالنون. وهي معنى قول الطبري. وقال الزجاج: إعراب هذا الاسم كإعراب الجمع، كما تقول: هذه قنسرون، ورأيت قنسرين. وقال يونس النحوي واحدها: علي وعلية. وقال أبو الفتح: عليين: جمع علي، وهو فعيل من العلو. وكان سبيله أن يقول علية كما قالوا للغرفة علية، لأنها من العلو، فلما حذف التاء من علية عوضوا منها الجمع بالواو والنون، كما قالوا في أرضين. وقيل: إن عليين صفة للملائكة، فإنهم الملأ الأعلى، كما يقال: فلان في بني فلان، أي هو في جملتهم وعندهم. والذي في الخبر من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أهل عليين لينظرون إلى الجنة من كذا، فإذا أشرف رجل من أهل عليين أشرقت الجنة لضياء وجهه، فيقولون: ما هذا النور؟ فيقال أشرف رجل من أهل عليين الأبرار أهل الطاعة والصدق (. وفي خبر آخر:) إن أهل الجنة ليرون أهل عليين كما يرى الكوكب الدري في أفق السماء) يدل على أن عليين اسم الموضع المرتفع. وروى ناس عن ابن عباس في قوله عليين قال: أخبر أن أعمالهم وأرواحهم في السماء الرابعة. ثم قال: (وما أدراك ما عليون) أي ما الذي أعلمك يا محمد أي شي عليون؟ على جهة التفخيم والتعظيم له في المنزلة الرفيعة. ثم فسره له فقال: كتاب مرقوم يشهده المقربون. وقيل: إن (كتاب مرقوم) ليس تفسيرا لعليين، بل تم الكلام عند قوله عليون ثم ابتدأ وقال: كتاب مرقوم أي كتاب الأبرار كتاب مرقوم ولهذا عكس الرقم في كتاب الفجار، قاله القشيري. وروي: أن الملائكة تصعد بعمل العبد، فيستقبلونه «١» فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم: إنكم الحفظة على عبدي، وأنا **الرقيب** على ما في قلبه، وإنه أخلص لي عمله، فاجعلوه في عليين، فقد غفرت له، وإنها لتصعد بعمل العبد، فيتركونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله أوحى إليهم: أنتم الحفظة على عبدي

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٤٨/١٩

وأنا الرقيب على ما في قلبه، وإنه لم يخلص لي عمله، فاجعلوه في سجين.

---

(١). فيستقبلونه: كذا في ا، ب، ح، ط، ل. [.....]." (١)

"صلى الله عليه وسلم بدفن دمه حيث احتجم كي لا تبحث عنه الكلاب. حدثنا بذلك أبي رحمه الله تعالى قال: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا الهنيد بن القاسم بن عبد الرحمن بن ماعز قال: سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير يقول إن أباه حدثه أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم، فلما فرغ قال: (يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد). فلما برز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمد إلى الدم فشربه، فلما رجع قال: (يا عبد الله ما صنعت به؟). قال: جعلته في أخفى مكان ظننت أنه خافيا عن الناس. قال: (لعلك شربته؟) قال نعم. قال: (لم شربت الدم، [ويل للناس منك «١» و] ويل لك من الناس). حدثني أبي قال: حدثنا مالك بن سليمان الهروي قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بدفن سبعة أشياء من الإنسان: الشعر، والظفر، والدم، والحيضة، والسن، والقلفة، والبشيمة. وأما قوله: (نقوا براجمكم) فالبراجم تلك الغضون من المفاصل، وهي مجتمع الدرن (واحدها برجمة) وهو ظهر عقدة كل مفصل، فظهر العقدة يسمى برجمة، وما بين العقدتين تسمى راجبة، وجمعها رواجب، وذلك مما يلي ظهرها، وهي قصبة الأصبع، فلكل أصبع برجمتان وثلاث رواجب إلا الإبهام فإن لها برجمة وراجبتين، فأمر بتنقيته لئلا يدرن فتبقى فيه الجنابة، ويحول الدرن بين الماء والبشرة. وأما قوله: (نظفوا لثاتكم) فاللثة واحدة، واللثات جماعة، وهي اللحمة فوق الأسنان ودون الأسنان، وهي منابتها. والعمور: اللحمة القليلة بين السنين، واحدها عمر. فأمر بتنظيفها لئلا يبقى فيها وضر الطعام فتتغير عليه النكهة وتتنكر الرائحة، ويتأذى الملكان، لأنه طريق القرآن، ومقعد الملكين عند نابيه. وروي في الخبر في قوله تعالى:" ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد «٢» " قال: عند نابيه. حدثنا بذلك محمد بن علي الشقيقي قال: سمعت أبي يذكر ذلك عن سفيان بن عيينة، وجاد ما قال، وذلك أن اللفظ هو عمل الشفتين يلفظ

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٦٣/١٩

(١). زيادة عن كتاب" نوادر الأصول".

(٢). راجع ج ١٧ ص ١١.." [١]

"الكلام عن لسانه إلى البراز. وقوله:" لديه" أي عنده، والدى والعند في لغتهم السائرة بمعنى واحد، وكذلك قولهم" لدن" فالنون زائدة. فكأن الآية تنبئ أن **الرقيب** عتيد عند مغلظ الكلام وهو الناب. وأما قوله: (تسننوا) وهو السواك مأخوذ من السن، أي نظفوا السن. وقوله: (لا تدخلوا علي قخرا بخرا) فالمحفوظ عندي (فحلا وقلحا). وسمعت الجارود يذكر عن النضر قال: الأقلح الذي قد اصفرت أسنانه حتى بخرت من باطنها، ولا أعرف القخر. والبخر: الذي تجد له رائحة منكرة لبشرته، يقال: رجل أبخر، ورجال بخر. حدثنا الجارود قال: حدثنا جرير عن منصور عن أبي علي عن أبي جعفر بن تمام بن العباس عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (استاكوا، ما لكم تدخلون علي قلحا). الحادية عشرة- في قص الشارب. وهو الأخذ منه حتى يبدو طرف الشفة وهو الإطار، ولا يجزه فيمثل نفسه، قاله مالك. وذكر ابن عبد الحكم عنه قال: وأرى أن يؤدب من حلق شاربه. وذكر أشهب عنه أنه قال في حلق الشارب: هذه بدع، وأرى أن يوجع ضربا من فعله. وقال ابن خويز منداد قال مالك: أرى أن يوجع من حلقه ضربا. كأنه يراه ممثلا بنفسه، وكذلك بنتفه الشعر، وتقصيره عنده أولى من حلقه. وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان ذا لمة، وكان أصحابه من بين وافر الشعر أو مقصر، وإنما حلق وحلقوا في النسك. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقص أظافره وشاربه قبل أن يخرج إلى الجمعة. وقال الطحاوي: لم نجد عن الشافعي في هذا شيئا منصوصا، وأصحابه الذين رأيناهم: المزني والربيع كانا يحفيان شواربهما، ويدل ذلك أنهما أخذا ذلك عن الشافعي رحمه الله تعالى. قال: وأما أبو حنيفة وزفر وأبو يوسف ومحمد فكان مذهبهم في شعر الرأس والشارب أن الإحفاء أفضل من التقصير. وذكر ابن خويز منداد عن الشافعي أن مذهبه في حلق الشارب كمذهب أبي حنيفة سواء. وقال أبو بكر الأثرم: رأيت أحمد بن حنبل يحفي شاربه شديدا، وسمعته سئل عن السنة في إحفاء الشارب فقال: يحفى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أحفوا الشوارب). قال أبو عمر: إنما في هذا الباب أصلان:." [٢]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٠٣/٢

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٠٤/٢

"وسهام الميسر أحد عشر سهما، منها سبعة لها حظوظ وفيها فروض على عدد الحظوظ، وهي:" الفذ" وفيه علامة واحدة له نصيب وعليه نصيب إن خاب. الثاني-" التوأم" وفيه علامتان وله وعليه نصيبان. الثالث-" **الرقيب**" وفيه ثلاث علامات على ما ذكرنا. الرابع-" الحلس" وله أربع. الخامس-" النافز" والنافس أيضا وله خمس. السادس-" المسبل" وله ست. السابع-" المعلى" وله سبع. فذلك ثمانية وعشرون فرضا، وأنصباء الجزور كذلك في قول الأصمعي. وبقي من السهام أربعة، وهي الأغفال لا فروض لها ولا أنصباء، وهي:" المصدر" و" المضعف" و" المنيح" و" السفيح". وقيل: الباقية الأغفال الثلاثة:" السفيح" و" المنيح" و" الوغد" تزاد هذه الثلاثة لتكثر السهام على الذي يجيلها «١» فلا يجد إلى الميل مع أحد سبيلا. ويسمى المجيل المفيض «٢» والضارب والضريب والجمع الضرباء. وقيل: يجعل خلفه **رقيب** لئلا يحابي أحدا، ثم يجثو الضريب على ركبتيه، ويلتحف بثوب ويخرج رأسه ويدخل يده في الربابة «٣» فيخرج. وكانت عادة العرب أن تضرب الجزور بهذه السهام في الشتوة وضيق الوقت وكلب البرد على الفقراء، يشترى الجزور ويضمن الأيسار ثمنها ويرضى صاحبها من حقه، وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لم يفعل ذلك منهم، ويسمونه" البرم" قال متمم بن نويرة:

ولا برما تهدي النساء لعرسه ... إذا القشع من برد الشتاء تقعقعا»

ثم تنحر وتقسم على عشرة أقسام. قال ابن عطية: وأخطأ الأصمعي في قسمة الجزور، فذكر أنها على قدر حظوظ السهام ثمانية وعشرون قسما، وليس كذلك، ثم يضرب على العشرة فمن فاز سهمه بأن يخرج من الربابة متقدما أخذ أنصباءه وأعطاها الفقراء. والربابة (بكسر الراء): شبيهة بالكنانة تجمع فيها سهام الميسر، وربما سموا جميع السهام ربابة، قال أبو ذؤيب يصف الحمار وأتنه:

---

(١). يجيلها: هو من أجال يجيل إجالة إذا حركها، أي يضع يده في الخريطة ويحركها مرتين أو ثلاثا.

(٢). الإفاضة بالقداح: الضرب بها وإجالتها عند القمار.

(٣). سيذكر المؤلف رحمه الله تعالى معنى الربابة. [.....]

(٤). البرم (بفتحتين): الذي يدخل مع القوم في الميسر. والقشع: بيت من جلد.." [1]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥٨/٣

"أحيانه. أخرجه مسلم. فدخل في ذلك كونه على الخلاء وغير ذلك. وقد اختلف العلماء في هذا، فأجاز ذلك عبد الله بن عمرو وابن سيرين والنخعي، وكره ذلك ابن عباس وعطاء والشعبي. والأول أصح لعموم الآية والحديث. قال النخعي: لا بأس بذكر. الله في الخلاء فإنه يصعد. المعنى: تصعد به الملائكة مكتوبا في صحفهم، فحذف المضاف. دليله قول تعالى:" ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" [ق: ١٨] «١». وقال:" وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين" [الانفطار: ١١ - ١٠] «٢». ولان الله عز وجل أمر عباده بالذكر على كل حال ولم يستثن فقال:" اذكروا الله ذكرا كثيرا" [الأحزاب: ٤١] «٣» وقال:" فاذكروني أذكركم" [البقرة: ١٥٢] «٤» وقال:" إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا" [الكهف: ٣] «٥» فعم. فذاكر الله تعالى على كل حالاته مثاب مأجور إن شاء الله تعالى. وذكر أبو نعيم قال: حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال حدثنا وكيع قال حدثنا سفيان عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب الأحبار قال قال موسى عليه السلام: (يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك قال: يا موسى أنا جليس من ذكرني قال: يا رب فإنا نكون من الحال على حال نجلك ونعظمك أن نذكرك قال: وما هي؟ قال: الجنابة والغائط قال: يا موسى اذكرني على كل حال (. وكراهية من كره ذلك إما لتنزيه ذكر الله تعالى في المواضع المرغوب عن ذكره فيها ككراهية قراءة القرآن في الحمام، وإما إبقاء على الكرام الكاتبين على أن يحلهم موضع الأقذار والأنجاس لكتابة ما يلفظ به. والله أعلم. و (قياما وقعودا) نصب على الحال. (وعلى جنوبهم) في موضع الحال، أي ومضطجعين ومثله قول تعالى:" دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما" [يونس: ١٢] «٦» على العكس، أي دعانا مضطجعا على جنبه. وذهب، جماعة من المفسرين منهم الحسن وغير إلى أن قوله" يذكرون الله" إلى آخره، إنما هو عبارة عن الصلاة، أي لا يضيعونها، ففي حال العذر يصلونها قعودا أو على جنوبهم. وهي مثل قول تعالى:" فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم" [النساء: ١٠٣] «٧» في قول ابن مسعود على، ما يأتي بيانه. وإذا كانت الآية في الصلاة ففقهها أن الإنسان يصلي قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنبه، كما ثبت عن عمران

---

(١). راجع ج ١٧ ص ٨.

(٢). راجع ج ١٩ ص ٢٤٥.

(٣). راجع ج ١٤ ص ١٩٧.

(٤). راجع ج ٢ ص ١٧١.

(٥). راجع ج ١٠ ص ٣٩٥.

(٦). راجع ج ٨ ص ٣١٧.

(٧). راجع ج ٥ ص ٣٧٣.." (١)

"الجزء الخامس

[تفسير سورة النساء]

بسم الله الرحمن الرحيم سورة النساء وهي مدنية إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح في عثمان بن طلحة الحجبي وهي قوله: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها «١» على ما يأتي بيانه. قال النقاش: وقيل: نزلت عند هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة. وقد قال بعض الناس: إن قوله تعالى: (يا أيها الناس) حيث وقع إنما هو مكي، وقاله «٢» علقمة وغيره، فيشبه أن يكون صدر السورة مكيا، وما نزل بعد الهجرة فإنما هو مدني. وقال النحاس: هذه السورة مكية. قلت: والصحيح الأول، فإن في صحيح البخاري عن عائشة أنها قالت: ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، تعني قد بنى بها. ولا خلاف بين العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما بنى بعائشة بالمدينة. ومن تبين أحكامها علم أنها مدنية لا شك فيها. وأما من قال: إن قوله: (يا أيها الناس) مكي حيث وقع فليس بصحيح، فإن البقرة مدنية وفيها قوله: (يا أيها الناس) في موضعين «٣»، وقد تقدم. والله أعلم

[سورة النساء (٤): آية ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١)

فيه ست «٤» مسائل: الأولى- قوله تعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم) قد مضى في (البقرة) اشتقاق (الناس) ومعنى التقوى والرب والخلق والزوج والبث، فلا معنى للإعادة «٥»

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣١١/٤

(١). راجع ص ٢٥٥ من هذا الجزء. [.....]

(٢). في هـ: قال، وسائر الأصول: قاله.

(٣). راجع ج ١ ص ٢٣٥ وج ٢ ص ٢٠٧.

(٤). في دوط وى وب: سبع، والمسائل ست، ويبدو ان الثالثة في قوله: وقرا ابراهيم النخعي إلخ فتكون سبعا

(٥). راجع ج ١ ص ١٣٦ و١٦١ و٢٢٦ و٣١٠ وج ٢ ص ١٩٦." (١)

"الرابعة- واختلفوا من هذا الباب في ذوي المحارم من الرضاعة. فقال أكثر أهل العلم لا يدخلون في مقتضى الحديث. وقال «١» شريك القاضي بعتقهم. وذهب أهل الظاهر وبعض المتكلمين إلى أن الأب لا يعتق على الابن إذا ملكه، واحتجوا بقوله عليه السلام: (لا يحزي ولد والدا إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه). قالوا: فإذا صح الشراء فقد ثبت الملك، ولصاحب الملك التصرف. وهذا جهل منهم بمقاصد الشرع، فإن الله تعالى يقول: (وبالوالدين إحسانا «٢») فقد قرن بين عبادته وبين الإحسان للوالدين في الوجوب، وليس من الإحسان أن يبقى والده في ملكه وتحت سلطانه، فإذا يجب عليه عتقه إما لأجل الملك عملا بالحديث (فيشتريه فيعتقه)، أو لأجل الإحسان عملا بالآية. ومعنى الحديث عند الجمهور أن الولد لما تسبب إلى عتق أبيه باشترائه نسب الشرع العتق إليه نسبة الإيقاع منه. وأما اختلاف العلماء فيمن يعتق بالملك، فوجه القول الأول ما ذكرناه من معنى الكتاب والسنة، ووجه الثاني إلحاق القرابة القريبة المحرمة بالأب المذكور في الحديث، ولا أقرب للرجل من ابنه فيحمل على الأب، والأخ يقاربه في ذلك لأنه يدلي بالأبوة، فإنه يقول: أنا ابن أبيه. وأما القول الثالث فمتعلقه حديث ضمرة وقد ذكرناه. والله أعلم. الخامسة- قوله تعالى: (والأرحام) الرحم اسم لكافة الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره. وأبو حنيفة يعتبر الرحم المحرم في «٣» منع الرجوع في الهبة، ويجوز الرجوع في حق بني الأعمام مع أن القطيعة موجودة والقرابة حاصلة، ولذلك تعلق بها الإرث والولاية وغيرهما من الأحكام. فاعتبار المحرم زيادة على نص الكتاب من غير مستند. وهم يرون ذلك نسخا، سيما وفيه إشارة إلى التعليل بالقطيعة، وقد جوزوها في حق بني الأعمام وبني «٤» الأخوال والخالات. والله أعلم. السادسة- قوله تعالى: (إن الله كان عليكم

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١/٥

رقيبا) أي حفيظا، عن ابن عباس ومجاهد. ابن زيد: عليما. وقيل: (رقيبا) حافظا، قيل: بمعنى فاعل. فالرقيب من صفات الله تعالى، والرقيب: الحافظ والمنتظر، تقول: رقبت أرقب رقبة ورقبانا إذا انتظرت.

---

(١). في ج وز وط: وكان شريك القاضي يعتقهم.

(٢). راجع ج ١٠ ص ٢٣٦.

(٣). في ب: من.

(٤). في ب وج ود وط وى.." [١]

"والمرقب: المكان العالي المشرف، يقف عليه الرقيب. والرقيب: السهم الثالث من السبعة التي لها أنصباء «١» .. ويقال: إن الرقيب ضرب من الحيات، فهو لفظ مشترك. والله أعلم.

[سورة النساء (٤): آية ٢]

وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (٢)

فيه خمس مسائل: الأولى قوله تعالى: (وآتوا اليتامى أموالهم) وأراد باليتامى الذين كانوا أيتاما، كقوله: (وألقي السحرة ساجدين «٢») ولا سحر مع السجود، فكذلك لا يتم مع البلوغ «٣». وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم: (يتيم أبي طالب) استصحابا لما كان. (وآتوا) أي أعطوا. والإيتاء الإعطاء. ولفلان أتو، أي عطاء. أبو زيد: أتوت الرجل آتوه إتاوة، وهي الرشوة. واليتيم من لم يبلغ الحلم، وقد تقدم في (البقرة) مستوفى «٤». وهذه الآية خطاب للأولياء والأوصياء. نزلت- في قول مقاتل والكلبي- في رجل من غطفان [كان معه «٥» [مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه، فنزلت، فقال العم: نعوذ بالله من الحوب «٦» الكبير! ورد المال. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من يوق شح نفسه ورجع به هكذا فإنه يحل داره) يعني جنته. فلما قبض الفتى المال أنفقه في سبيل الله، فقال عليه السلام: (ثبت الأجر وبقي الوزر). فقيل: كيف يا رسول الله؟ فقال: (ثبت الأجر للغلام وبقي الوزر على والده) لأنه كان مشركا. الثانية- وإيتاء اليتامى أموالهم يكون بوجهين: أحدهما- إجراء الطعام والكسوة ما دامت الولاية، إذ لا يمكن إلا ذلك لمن لا يستحق الأخذ الكلي والاستبداد كالصغير والسفيه الكبير. الثاني- الإيتاء بالتمكن وإسلام

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٧

المال إليه، وذلك عند الابتلاء والإرشاد،

---

(١). وهي: الفذ، التوأم، **الرقيب**، الحلس، النافز، المسبل، المعلى. راجع ج ٢ ص ٥٨.

(٢). راجع ج ٧ ص ٢٦٠.

(٣). الحديث (لا يتم بعد احتلام).

(٤). راجع ج ٢ ص ١٤.

(٥). في ب وج وط وى.

(٦). الحوب: الإثم. [.....]." (١)

"[سورة النساء (٤): آية ٨٠]

من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا (٨٠)

قوله تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله) أعلم الله تعالى أن طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعة له. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني) في رواية. (ومن أطاع أميري، ومن عصى أميري). قوله تعالى: (ومن تولى) أي أعرض. (فما أرسلناك عليهم حفيظا) أي حافظا **ورقيبا** لأعمالهم، إنما عليك البلاغ. وقال القتبي: محاسبا، فنسخ الله هذا بآية السيف وأمره بقتال من خالف الله ورسوله.

[سورة النساء (٤): الآيات ٨١ الى ٨٢]

ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٨١) أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (٨٢)

قوله تعالى: (ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون) أي أمرنا طاعة، ويجوز (طاعة) بالنصب، أي نطيع طاعة، وهي قراءة نصر بن عاصم والحسن والجحدري. وهذا

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٨

في المنافقين في قول أكثر المفسرين، أي يقولون إذا كانوا عندك: أمرنا طاعة، أو نطيع طاعة، وقولهم هذا ليس بنافع، لأن من لم يعتقد الطاعة ليس بمطيع حقيقة، لأن الله تعالى لم يحقق طاعتهم بما أظهروه، فلو كانت الطاعة بلا اعتقاد حقيقة لحكم بها لهم، فثبت أن الطاعة بالاعتقاد مع وجودها. (فإذا برزوا) أي خرجوا (من عندك بيت طائفة منهم) فذكر الطائفة لأنها في معنى." (١)

"قال الضحاك: لما سرق الدرع اتخذ حفرة في بيته وجعل الدرع تحت التراب، فنزلت (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله)

يقول: لا يخفى مكان الدرع على الله (وهو معهم)

أي رقيب حفيظ عليهم. وقيل: (يستخفون من الناس)

أي يستترون، كما قال تعالى: (ومن هو مستخف بالليل «١») أي مستتر. وقيل: يستحيون من الناس، وهذا لأن الاستحياء سبب الاستتار. ومعنى (وهو معهم)

أي بالعلم والرؤية والسمع، هذا قول أهل السنة. وقالت الجهمية والقدرية والمعتزلة: هو بكل مكان، تمسكا بهذه الآية وما كان مثلها، قالوا: لما قال (وهو معهم)

ثبت أنه بكل مكان، لأنه قد أثبت كونه معهم تعالى الله عن قولهم، فإن هذه صفة الأجسام والله تعالى متعال عن ذلك ألا ترى مناظرة بشر في قول الله عز وجل: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم «٢») حين قال: هو بذاته في كل مكان فقال له خصمه: هو في قلنسوتك وفي حشوك «٣» وفي جوف حمارك. تعالى الله عما يقولون! حكى ذلك وكيع رضي الله عنه. ومعنى (يبيتون)

يقولون. قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. (ما لا يرضى)

أي ما لا يرضاه الله لأهل طاعته. (من القول)

أي من الرأي والاعتقاد، كقولك: مذهب مالك الشافعي. وقيل: (القول)

بمعنى المقول، لأن نفس القول لا يبيت. قوله تعالى: (ها أنتم هؤلاء)

يريد قوم بشير السارق لما هربوا به وجادلوا عنه. قال الزجاج: (هؤلاء)

بمعنى الذين. (جادلتم)

حاججتم. (في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٢٨٨

استفهام معناه الإنكار والتوبيخ. (أم من يكون عليهم وكيلا)
الوكيل: القائم بتدبير الأمور، فالله تعالى قائم بتدبير خلقه. والمعنى: لا أحد لهم يقوم بأمرهم إذا أخذهم الله بعذابه وأدخلهم النار.

[سورة النساء (٤): آية ١١٠]
ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما (١١٠)

---

(١). راجع ٩ ص ٢٩٠.
(٢). راجع ج ١٧ ص ٩٨٢.
(٣). في ط وز وى: حشك. وفى ج، جيبك.." [(١)]
"مربوب ولست برب وعابد ولست بمعبود. ثم قال:" إن كنت قلته فقد علمته" فرد ذلك إلى علمه وقد كان الله عالما به أنه لم يقله ولكنه سأله عنه تقريعا لمن اتخذ عيسى إلها. ثم قال: (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) أي تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك. وقيل: المعنى تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم وقيل: تعلم ما أخفيه ولا أعلم ما تخفيه. وقيل: تعلم ما أريد ولا أعلم ما تريد وقيل: تعلم سري ولا أعلم سرك لأن السر موضعه النفس. وقيل: تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منك في دار الآخرة قلت: والمعنى في هذه الأقوال متقارب أي تعلم سري وما انطوى عليه ضميري الذي خلقته ولا أعلم شيئا مما استأثرت به من غيبك وعلمك. (إنك أنت علام الغيوب) ما كان وما يكون وما لم يكن وما هو كائن.

[سورة المائدة (٥): آية ١١٧]
ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧)
قوله تعالى: (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) يعني في الدنيا بالتوحيد. (أن اعبدوا الله) " أن" لا موضع لها

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٣٧٩

من الإعراب وهي مفسرة مثل" وانطلق الملأ منهم أن امشوا" «١»] ص: ٦]. ويجوز أن تكون في موضع نصب أي ما ذكرت لهم إلا عبادة الله. ويجوز أن تكون في موضع خفض أي بأن اعبدوا الله وضم النون أولى لأنهم يستثقلون كسرة بعدها ضمة والكسر جائز على أصل التقاء الساكنين قوله تعالى: (وكنت عليهم شهيدا) أي حفيظا بما أمرتهم. (ما دمت فيهم) " ما" في موضع نصب أي وقت دوامي فيهم. (فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم) قيل: هذا يدل على أن الله عز وجل توفاه أن يرفعه وليس بشيء لأن الأخبار تظاهرت برفعه وأنه في السماء حي وأنه ينزل ويقتل الدجال على ما يأتي بيانه وإنما المعنى

---

(١). راجع ج ١٥ ص ١٥١.." (١)

"فلما رفعتني إلى السماء. قال الحسن: الوفاة في كتاب الله عز وجل على ثلاثة أوجه: وفاة الموت وذلك قوله تعالى:" الله يتوفى الأنفس حين موتها" «١»] الزمر: ٤٢] يعني وقت انقضاء أجلها. ووفاة النوم قال الله تعالى:" وهو الذي يتوفاكم بالليل" «٢»] الانعام: ٦٠] يعني الذي ينيمكم. ووفاة الرفع قال الله تعالى:" يا عيسى إني متوفيك" «٣»] آل عمران: ٥٥].] وقوله [«٤» " كنت أنت"] " أنت هنا" [«٥» توكيد" **الرقيب**" خبر" كنت" ومعناه الحافظ عليهم والعالم بهم والشاهد على أفعالهم، وأصله **المراقبة** أي المراعاة ومنه المرقبة «٦» لأنها في موضع **الرقيب** من علو المكان. (وأنت على كل شي شهيد) أي من مقالتي ومقالتهم وقيل: على من عصى وأطاع، خرج مسلم عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بموعظة فقال: (يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله [حفاة] «٧» عراة غرلا «٨» " كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين"] الأنبياء: ١٠٤] ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح:" وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد. إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم" قال: فيقال لي إنهم لم يزالوا] مدبرين [«٩» مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم).

[سورة المائدة (٥): آية ١١٨]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦/٣٧٦

إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨)

قوله تعالى:" إن تعذبهم فإنهم عبادك" شرط وجوابه" وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم" مثله. روى النسائي عن أبي ذر قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية ليلة حتى أصبح «١٠»، والآية:" إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم".

---

(١). راجع ج ١٥ ص ٢٦٠.

(٢). راجع ج ٧ ص ٥.

(٣). راجع ج ٤ ص ٩٩.

(٤). من ك. [.....]

(٥). من ك.

(٦). في الأصول: الرقبة. والمثبت هو اللغة.

(٧). الزيادة عن صحيح مسلم.

(٨). غرل (جمع أغرل) أي غير مختونين والمراد- والله أعلم- إنهم يحشرون كما خلقوا لا شي معهم ولا ينقص منهم شي بل يتم لهم كل ما نقص منهم. (هامش مسلم).

(٩). من ك وهـ وب وع.

(١٠). أي يقرأ بآية يرددها في صلاته حتى أصبح.." (١)

"عماه. (وما أنا عليكم بحفيظ) أي لم أومر بحفظكم على أن تهلكوا أنفسكم. وقيل: أي لا أحفظكم من عذاب الله. وقيل:" بحفظ" برقيب، أحصي عليكم أعمالكم، إنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربي، وهو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شي من أفعالكم. قال الزجاج: نزل هذا قبل فرض القتال، ثم أمر أن يمنعهم بالسيف من عبادة الأوثان.

[سورة الأنعام (٦): آية ١٠٥]

وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون (١٠٥)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦/٣٧٧

قوله تعالى:" وكذلك نصرف الآيات" الكاف (في «١» كذلك) في موضع نصب، أي نصرف الآيات مثل ما تلونا عليك. أي كما صرفنا الآيات في الوعد والوعيد والوعظ والتنبيه في هذه السورة نصرف في غيرها." وليقولوا درست" والواو للعطف على مضمر، أي نصرف الآيات لتقوم الحجة وليقولوا درست. وقيل: أي" وليقولوا درست" صرفناها، فهي لام الصيرورة. وقال الزجاج: هذا كما تقول كتب فلان هذا الكتاب لحتفه، أي آل أمره إلى ذلك. وكذا لما صرفت الآيات آل أمرهم إلى أن قالوا: درست وتعلمت من جبر ويسار، وكانا غلامين نصرانيين بمكة، فقال أهل مكة: إنما يتعلم منهما. قال النحاس: وفي المعنى قول آخر حسن، وهو أن يكون معنى" نصرف الآيات" نأتي بها آية بعد آية ليقولوا درست علينا، فيذكرون «٢» الأول بالآخر. فهذا حقيقة، والذي قاله أبو إسحاق مجاز. وفي" درست" سبع قراءات. قرأ أبو عمرو وابن كثير" دارست" بالألف بين الدال والراء، كفاعلت. وهي قراءة علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وأهل مكة. قال ابن عباس: معنى" دارست" تاليت. وقرأ ابن عامر" درست" بفتح السين وإسكان التاء غير ألف، كخرجت. وهي قراءة الحسن. وقرأ الباقون" درست" كخرجت. فعلى الأولى: دارست أهل الكتاب ودارسوك، أي ذاكرتهم وذاكروك، قال سعيد بن جبير. ودل على هذا المعنى قوله تعالى إخبارا عنهم:" وأعانه عليه قوم آخرون «٣» " أي أعان اليهود النبي

---

(١). من ك.

(٢). في ك: فيلحقون.

(٣). راجع ج ١٣ ص ٣.." (١)

"قوله تعالى: (لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة) " يرقبوا" يحافظوا. **والرقيب** الحافظ. وقد تقدم «١». (إلا) عهدا، عن مجاهد وابن زيد. وعن مجاهد أيضا: هو اسم من أسماء الله عز وجل. ابن عباس والضحاك: قرابة. الحسن: جوارا. قتادة: حلفا، و" ذمة" عهدا. أبو عبيدة: يمينا. وعنه أيضا: إلا العهد، والذمة التذمم. الأزهري: اسم الله بالعبرانية، وأصله من الأليل وهو البريق، يقال أل لونه يول ألا، أي صفا ولمع. وقيل: أصله من الحدة، ومنه الألة للحربة، ومنه أذن مؤللة أي محددة. ومنه قول طرفة بن العبد يصف أذني ناقته بالحدة والانتصاب:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥٨/٧

مؤللتان تعرف العتق فيهما ... كسامعتي شاة بحومل مفرد «٢»

فإذا قيل للعهد والجوار والقرابة" إل" فمعناه أن الأذن تصرف إلى تلك الجهة، أي تحدد لها. والعهد يسمى" إلا" لصفائه وظهوره. ويجمع في القلة آلال. وفي الكثرة إلال. وقال الجوهري وغيره: الإل بالكسر هو الله عز وجل، والإل أيضا العهد والقرابة. قال حسان:

لعمرك إن إلك من قريش ... كإل السقب من رأل النعام «٣»

قوله تعالى: (ولا ذمة) أي عهدا. وهي كل حرمة يلزمك إذا ضيعتها ذنب. قال ابن عباس والضحاك وابن زيد: الذمة العهد. ومن جعل الإل العهد فالتكرير لاختلاف اللفظين. وقال أبو عبيدة معمر: الذمة التذمم. وقال أبو عبيد: الذمة الأمان في قوله عليه السلام: (ويسعى بذمتهم أدناهم). وجمع ذمة ذمم. وبئر ذمة (بفتح الذال) قليلة الماء، وجمعها ذمام. قال ذو الرمة:

---

(١). راجع ج ٥ ص ٨.

(٢). السامعتان: الأذنان. والمراد بالشاة هنا: الثور الوحشي وحومل: اسم رملة. شبة أذنيها بأذني ثور وحشي لتحد يدهما وصدق سمعهما، وأذن الوحشي أصدق من عينيه وجعله (مفردا) لأنه أشد لسمعه وارتياعه. (عن شرح الديوان).

(٣). السقب: ولد الناقة. والرأل: ولد النعام.." [١]

"عن ابن القاسم أنه قال: يعطى من الزكاة الغازي وإن كان معه في غزاته ما يكفيه من ماله وهو غني في بلده. وهذا هو الصحيح، لظاهر الحديث: (لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة). وروى ابن وهب عن مالك أنه يعطى منها الغزاة ومواضع الرباط فقراء كانوا أو أغنياء. الثالثة والعشرون- قوله تعالى: (وابن السبيل) السبيل الطريق، ونسب المسافر إليها لملازمته إياها ومروره عليها، كما قال الشاعر:

إن تسألوني عن الهوى فأنا الهوى ... وابن الهوى وأخو الهوى وأبوه

والمراد الذي انقطعت به الأسباب في سفره عن بلده ومستقره وماله، فإنه يعطى منها وإن كان غنيا في بلده، ولا يلزمه أن يشغل ذمته بالسلف. وقال مالك في كتاب ابن سحنون: إذا وجد من يسلفه فلا يعطى. والأول أصح، فإنه لا يلزمه أن يدخل تحت منة أحد وقد وجد منة الله تعالى. فإن كان له ما يغنيه ففي

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٧٩/٨

جواز الأخذ له لكونه ابن السبيل روايتان: المشهور أنه لا يعطى، فإن أخذ فلا يلزمه رده إذا صار إلى بلده ولا إخراجه. الرابعة والعشرون- فإن جاء وادعى وصفا من الأوصاف، هل يقبل قوله أم لا ويقال له أثبت ما تقول. فأما الدين فلا بد أن يثبته، وأما سائر الصفات فظاهر الحال يشهد له ويكتفى به فيها. والدليل على ذلك حديثان صحيحان أخرجهما أهل الصحيح، وهو ظاهر القرآن. روى مسلم عن جرير [عن أبيه «١»] قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار «٢» أو العباء متقلدي السيوف، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر، فتمعر «٣» وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى، ثم خطب فقال:" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم"- الآية إلى قوله-" **رقيبا**" «٤» [النساء: ١] والآية التي في الحشر" ولتنظر نفس ما قدمت لغد" «٥» [الحشر: ١٨] تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره- حتى قال- ولو بشق تمرة. قال: فجاء رجل

---

(١). زيادة عن صحيح مسلم.

(٢). اجتاب القميص: لبسه. والنمار (بكسر النون): كل شملة مخططة من مآزر الاعراب، كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض.

(٣). تمعر: تغير.

(٤). راجع ج ٥ ص ١ فما بعد.

(٥). راجع ج ١٨ ص ٤٢ فما بعد. [.....]." [1]

"وما أنت علينا بعزيز (٩١) قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط (٩٢) ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم **رقيب** (٩٣)

ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٩٤) كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود (٩٥)

قوله تعالى: (وإلى مدين أخاهم شعيبا) أي وأرسلنا إلى مدين، ومدين هم قوم شعيب. وفي تسميتهم بذلك

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٨٧/٨

قولان: أحدهما- أنهم بنو مدين بن إبراهيم، فقيل: مدين والمراد بنو مدين. كما يقال مضر والمراد بنو مضر. الثاني- أنه اسم مدينتهم، فنسبوا إليها. قال النحاس: لا ينصرف مدين لأنه اسم مدينة، وقد تقدم في" الأعراف" «١» هذا المعنى وزيادة. (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) تقدم. (ولا تنقصوا المكيال والميزان) كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف، كانوا إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد، واستوفوا بغاية ما يقدرون [عليه «٢»] وظلموا، وإن جاءهم مشتر للطعام باعوه بكيل ناقص، وشححوا له بغاية ما يقدرون، فأمروا بالإيمان إقلاعا عن الشرك، وبالوفاء نهيا عن التطفيف. (إني أراكم بخير) أي في سعة من الرزق، وكثرة من النعم. وقال الحسن: كان سعرهم رخيصا. (وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) وصف اليوم بالإحاطة، وأراد وصف ذلك اليوم بالإحاطة بهم، فإن يوم العذاب إذا أحاط بهم فقد أحاط العذاب بهم، وهو كقولك: يوم شديد، أي شديد حره. واختلف في ذلك العذاب، فقيل: هو عذاب النار في الآخرة.

---

(١). راجع ج ٧ ص ٢٥٧.
(٢). من ع. [.....]." (١)

"وقيل: عذاب الاستئصال في الدنيا. وقيل: غلاء السعر، روي معناه عن ابن عباس. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم:" ما أظهر قوم البخس في المكيال والميزان إلا ابتلاهم الله بالقحط والغلاء". وقد تقدم. قوله تعالى: (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط) أمر بالإيفاء بعد أن نهى عن التطفيف تأكيدا. والإيفاء الإتمام." بالقسط" أي بالعدل والحق، والمقصود أن يصل كل ذي كل نصيب إلى نصيبه، وليس يريد إيفاء المكيال والموزون لأنه لم يقل: أوفوا بالمكيال وبالميزان، بل أراد ألا تنقصوا حجم المكيال عن المعهود، وكذا الصنجات. (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أي لا تنقصوهم مما استحقوه شيئا. (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) بين أن الخيانة في المكيال والميزان مبالغة في الفساد في الأرض، وقد مضى في" الأعراف" «١» زيادة لهذا، والحمد لله. قوله تعالى: (بقيت الله خير لكم) أي ما يبقيه الله لكم بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثر بركة، وأحمد عاقبة مما تبقونه أنتم لأنفسكم من فضل التطفيف بالتجبر والظلم، قال معناه الطبري، وغيره. وقال مجاهد:" بقية الله خير لكم" يريد طاعته. وقال الربيع: وصية الله. وقال الفراء:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٨٥/٩

مراقبة الله. ابن زيد: رحمة الله. قتادة والحسن: حظكم من ربكم خير لكم. وقال ابن عباس: رزق الله خير لكم. (إن كنتم مؤمنين) شرط هذا لأنهم إنما يعرفون صحة هذا إن كانوا مؤمنين. وقيل: يحتمل أنهم كانوا يعترفون بأن الله خالقهم فخاطبهم بهذا. (وما أنا عليكم بحفيظ) أي رقيب أرقبكم عند كيلكم ووزنكم، أي لا يمكنني شهود كل معاملة تصدر منكم حتى أؤاخذكم بإيفاء الحق. وقيل: أي لا يتهيأ لي أن أحفظكم من إزالة نعم الله عليكم بمعاصيكم. (قوله تعالى:) قالوا يا شعيب أصلاتك) وقرى" أصلاتك" من غير جمع. (تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا) " أن" في موضع نصب، قال الكسائي: موضعها خفض على إضمار الباء.

---

(١). راجع ج ٧ ص ٢٤٨.." (١)

"يقال: جعلت أمره بظهر إذا قصرت فيه، وقد مضى في" البقرة" «١»، (إن ربي بما تعملون) أي من الكفر والمعصية. (محيط) أي عليم وقيل حفيظ. قوله تعالى: (ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون) تهديد ووعيد، وقد تقدم في" الأنعام" «٢». (من يأتيه عذاب يخزيه) أي يهلكه. و" من" في موضع نصب، مثل" يعلم المفسد من المصلح" «٣» [البقرة: ٢٢٠]. (ومن هو كاذب) عطف عليها. وقيل: أي وسوف تعلمون من هو كاذب منا. وقيل: في محل رفع، تقديره: ويخزي من هو كاذب. وقيل: تقديره ومن هو كاذب فسيعلم كذبه، ويذوق وبال أمره. وزعم الفراء أنهم إنما جاءوا ب" هو" في" ومن هو كاذب" لأنهم لا يقولون من قائم، إنما يقولون: من قام، ومن يقوم، ومن القائم، فزادوا" هو" ليكون جملة تقوم مقام فعل يفعل. قال النحاس: ويدل على خلاف هذا قوله «٤»:

من رسولي إلى الثريا بأني ... ضقت ذرعا بهجرها والكتاب

(وارتقبوا إني معكم رقيب) أي انتظروا العذاب والسخطة، فإني منتظر النصر والرحمة. قوله تعالى: (ولما جاء أمرنا) قيل: صاح بهم جبريل صيحة فخرجت أرواحهم من أجسادهم (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) أي صيحة جبريل. وأنث الفعل على لفظ الصيحة، وقال في قصة صالح:" وأخذ الذين ظلموا الصيحة" فذكر على معنى الصياح. قال ابن عباس: ما أهلك الله أمتين بعذاب واحد إلا قوم صالح وقوم شعيب، أهلكهم الله بالصيحة، غير أن قوم صالح أخذتهم الصيحة من تحتهم، وقوم شعيب أخذتهم الصيحة من فوقهم. (فأصبحوا في ديارهم جاثمين. كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩/٨٦

كما بعدت ثمود) تقدم معناه. وحكى الكسائي أن أبا عبد الرحمن السلمي قرأ" كما بعدت ثمود" بضم العين. قال النحاس: المعروف في اللغة إنما يقال بعد

---

(١). راجع ج ٢ ص ٤٠.

(٢). راجع ج ٧ ص ٨٩.

(٣). راجع ج ٣ ص ٦٢.

(٤). هو عمرو بن أبى ربيعة.." (١)

"ونسي ابنه بنيامين فلم يذكره، عن ابن عباس. وقال سعيد بن جبير: لم يكن عند يعقوب ما في كتابنا من الاسترجاع، ولو كان عنده لما قال:" يا أسفى على يوسف". قال قتادة والحسن: والمعنى يا حزناه «١»! وقال مجاهد والضحاك: يا جزعاه!، قال كثير:

فيا أسفا للقلب كيف انصرافه ... وللنفس لما سليت فتسلت

والأسف شدة الحزن على ما فات. والنداء على معنى: تعال يا أسف فإنه من أوقاتك. وقال الزجاج: الأصل يا أسفي، فأبدل من الياء ألف لخفة الفتحة. (وابيضت عيناه من الحزن) قيل: لم يبصر بهما ست سنين، وأنه عمي، قال مقاتل. وقيل: قد تبيض العين ويبقى شي من الرؤية، والله أعلم بحال يعقوب، وإنما ابيضت عيناه من البكاء، ولكن سبب البكاء الحزن، فلهذا قال:" من الحزن". وقيل: إن يعقوب كان يصلي، ويوسف نائما معترضا بين يديه، فغط في نومه، فالتفت يعقوب إليه، ثم غط ثانية فالتفت إليه، ثم غط ثالثة فالتفت إليه سرورا به وبغطيطه، فأوحى الله تعالى إلى ملائكته:" انظروا إلى صفيي وابن خليلي قائما في مناجاتي يلتفت إلى غيري، وعزتي وجلالي! لأنزعن الحدقتين اللتين التفت بهما، ولأفرقن بينه وبين من التفت إليه ثمانين سنة، ليعلم العاملون أن من قام بين يدي يجب عليه مراقبة نظري". هذا يدل على أن الالتفات في الصلاة- وإن لم يبطل- يدل على العقوبة عليها، والنقص فيها، وقد روى البخاري عن عائشة قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال:" هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد". وسيأتي ما للعلماء في هذا في أول سورة" المؤمنون" موعبا إن شاء الله تعالى. الثالثة- قال النحاس: فإن سأل قوم عن معنى شدة حزن يعقوب- صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا- فللعلماء في هذا ثلاثة أجوبة:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩/٩٢

منها- أن يعقوب صلى الله عليه وسلم لما علم أن يوسف صلى الله عليه وسلم حي خاف على دينه، فاشتد حزنه لذلك. وقيل: إنما حزن لأنه سلمه إليهم صغيرا، فندم على ذلك. والجواب الثالث- وهو أبينها- هو أن

---

(١). في وو ى: وا حزناه.." (١)

"فبئس القرين هو ما أقل مراقبته لله عز وجل وأقل استحياءه منا يقول الله تعالى" ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" «١» [ق: ١٨] وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله تعالى" له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله" [وملك قابض على ناصيتك فإذا تواضعت لله رفعك وإذا تجبرت على الله قصمك «٢»] وملكان على شفتيك وليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد وآله وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي يتداولون ملائكة الليل على ملائكة النهار لأن ملائكة الليل ليسوا بملائكة لنهار فهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي وإبليس مع ابن آدم بالنهار وولده بالليل". ذكره الثعلبي. قال الحسن: المعقبات أربعة أملاك يجتمعون عند صلاة الفجر. واختيار الطبري: أن المعقبات المواكب بين أيدي الأمراء وخلفهم، والهاء في" له" لهن، على ما تقدم. وقال العلماء رضوان الله عليهم: إن الله سبحانه جعل أوامره على وجهين: أحدهما- قضى حلوله ووقوعه بصاحبه، فذلك لا يدفعه أحد ولا يغيره. والآخر- قضى مجيئه ولم يقض حلوله ووقوعه، بل قضى صرفه بالتوبة والدعاء والصدقة والحفظ. قوله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لا يغير ما بقوم حتى يقع منهم تغيير، إما منهم أو من الناظر لهم، أو ممن هو منهم بسبب، كما غير الله بالمنهزمين يوم أحد بسبب تغيير الرماة بأنفسهم، إلى غير هذا من أمثلة الشريعة، فليس معنى الآية أنه ليس ينزل بأحد عقوبة إلا بأن يتقدم منه ذنب، بل قد تنزل المصائب بذنوب الغير، كما قال صلى الله عليه وسلم- وقد سئل أنهلك وفينا الصالحون؟ قال- نعم إذا كثر الخبث" «٣». والله أعلم. قوله تعالى: (وإذا أراد الله بقوم سوءا) أي هلاكا وعذابا، (فلا مرد له) وقيل: إذا أراد بهم بلاء من أمراض وأسقام فلا مرد لبلائه. وقيل: إذا أراد الله بقوم سوءا أعمى

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩/٢٤٨

(١). راجع ج ١٧ ص ١١.

(٢). الزيادة من تفسير الطبري وغيره.

(٣). المراد بالخبث الفسق والفجور.." (١)

"قال ابن عرفة: يريد أنه كان يصلي لبيت المقدس ثم نسخ بالصلاة للكعبة، ثم نسخ فصلى لبيت المقدس ثم نسخ فصلى للكعبة وقيل: كان يصلي لمكة ثم صلى لبيت المقدس ثم صلى لمكة فيجيء التحويل ثلاث مرات والنسخ مرتين.

قوله تعالى: {قل لله المشرق والمغرب ... }

أى ليس استقبالهما لذاتهما فيسأل عن سبب التخلف عنه وإنما ذلك حكم شرعي لا اختيار له فيه بوجه، وفيه دليل على أن لحكم الشرعي إذا لم تظهر لنا علته فالأصل فيه التعبد.

قوله تعالى: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا ... }

أي ومثل هدايتنا من (نشاء) إلى صراط مستقيم (هديناكم) إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم .

قال ابن عطية: عن بعضهم؛ خير الأمور أوسطها أي خيارها.

قيل لابن عرفة: لا فائدة في هذا الخير وكأنه قيل: خير الأمور خيارها؟

فقال: فائدته الحصر (ولو قال): الخير في الوسط، لم يفد الحصر.

قال ابن عرفة: إنما قال: {عليكم شهيدا} ولم يقل: لكم شهيدا، لأن شاهد الإنسان مستعمل عليه إذ لا يتم له غرض إلا بشهادته.

قال الزمخشري: لأن الشهيد كالرقيب المهيمن على المشهود (له).

قيل لابن عرفة: ذكر الأصوليون خلافا في إجماع غير هذه الأمة هل يعتبر أو لا؟

وذكر ابن التلمساني وابن الحاجب منه مسائل وهذه الآية تدل على عدم اعتباره؟

فقال: ذلك الخلاف لا يصح، (والإجماع) (على) انتساخ الملل كلها بالملة المحمدية.

قيل لابن عرفة: قد تقرر الخلاف في شرع من قبلنا هل هو شرع لنا أم لا؟

قوله تعالى: {لتكونوا ... }.

قوله تعالى: {إلا لنعلم ... }.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٩٤/٩

قيل: أي ليعلم رسولنا من يتبعه، قال الله تعالى: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله} وقيل: إلا ليظهر متعلق علمنا حقيقة للمجازات عليه وإنما لم يقل: إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن لا يتبعه، زيادة في نفي الشدة عليهم والخسران.

قوله تعالى: {وما كان الله ليضيع إيمانكم ... }

أي ليضيع أعمالكم. وقيل: إنها حجة على المعتزلة في أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، إلا أن يجيبوا بأن إيمانه يذهب بالموازنة.

قوله تعالى: {إن الله بالناس لرءوف رحيم}.

دليل على أن الكافر منعم عليه لعموم الناس، وفيه خلاف، وأجيب بأنه منعم عليه في الدنيا فقط.

قال ابن الخطيب في شرح الأسماء الحسنى: إنما قدم الرؤوف على الرحيم لأن الرحمة في الشاهد إنما (تحصل) لمعنى وفي / المرحوم من حاجة (و) ضعف،." (١)

"عرفة: كيف ينفي هذا القسم باللام وقد، مع أن الماضي بعيد عن زمن الحال؟ فقال: تنزيلا له منزلة القريب ليحصل كمال التخويف.

قوله تعالى: (فأمليت).

قال الإمهال مجرد تأخير العذاب والإملاء تأخر العذاب وتيسير أسباب الوقوع في موجبات عذاب آخر ولهذا كان بعضهم يقول الإملاء أشد من الإمهال يعني لأنه يتضاعف به العذاب قال تعالى: (إنما نملي لهم ليزدادوا إثما) المعنى ثابتا في بعض الأمر فهو تقرير وإن لم يكن ثابتا فهو إنكار وهو هنا تقرير لقول ابن عطية: المراد أفمن هو قائم هي كل نفس بما كسبت حق بالعبادة أم الجمادات التي لا تنفع ولا تضر وهو معطوف على مقدر فمنهم من كان مقدره أهم جاهلون فمن هو قائم زمنهم من قدره منهم غافلون فمن هو قائم، والصواب: قال وهل هذا من العمومات المخصوصة أم لا؟ قال: إن قلنا أن ذات البارئ تعالى لا يطلق عليها نفس فيكون باقيا على عمومه، وإن جوزنا الإطلاق لقوله: (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) فيكون هذا مخصوصا بالبارئ تعالى إذ لا يقال إنه حفيظهم على نفسه، قيل له: قول (بما كسبت ... (٣٣) .. يدل على التخصيص بل هو متعلق بقائم وليس بصفة للنفس والكسب، الصواب تفسيره بما

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ١٧٩/١

قاله أهل السنة لأن الأمثل عدم النقل ومعنى قائم حفيظ ورقيب وعالم.

قوله تعالى: (وجعلوا لله شركاء قل سموهم).

ابن عرفة: تارة تبطل الدعوى ببيان بطلان دليلها في نفسه، وتارة يبطل، بيان بطلان مدلول دليلها وأبطل عليها هنا دليلهم السمعي والعقلي، أما العقلي فبطل لبطلان مدلوله وهو قوله (قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض) فهو غير معلوم لله وكل ما ليس بمعلوم لله فليس موجود ولا معدوم الممكن معدوم، إن قلنا: إن المعدوم الممكن معلوم فدل على أنه محال وأما السمعي فهو قوله (أم بظاهر من القول) وهو قولهم (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقولهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فقيل لهم: هل بلغكم ذلك من الله على ألسنة الرسل أم لا؟ وقوله (شركاء) خالفها الزمخشري هنا بكلامه على عادته في خلط لفظة المعتزلي بخلافه، وقوله (قل سموهم) قيل لابن عرفة: كيف هذا وهم سموهم فقالوا (اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى)، فقال: ليس المراد مجرد التسمية بل يعنيهم والمعنى أنه إنما يستحق اسم إله من اتصف بالاستغناء والكمال ونكره عن العجز والاحتياج فعينوا لنا شركاء متصفين بذلك." (١)

"خمسة أقسام واجب وحرام ومستحب ومكروه ومباح فيجيب إذا حلف على فعل ما لا يجوز له في فعله ويحرم إذا حلف أن يفعل ما يجب عليه شرعا.

قوله تعالى: (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها).

يقال أكدوا، وكذا قال الزجاج: الهمزة بدل من الواو، ورده ابن عطية: بأنه ليس في وجوه تصريفه ما يدل على ذلك، قلت: لقول ابن عصفور في معربه الهمزة لا تبدل من الواو المفتوحة قياسا وشذ قولهم [...].

قوله تعالى: {ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ... (٩٢)}

ابن عرفة: أكثر ما يتأتى هذا في الصوف واختلفوا هل كان هذا ووجد فقيل وجد في امرأة صماء واسمها ريطة بنت سعد، وقيل: في امرأة اسمها عطية، وقيل: هو ضرب مثل لا عن امرأة معينة وقصد تشبيها بوجود بالمعدوم المقدر الموجود ونص ابن مالك: على أن هذا إنما يصح فيما هو مشهور وإن كان معدوما كقول امرئ القيس:

ومسنونة زرق كأنياب أغوال

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٤٣٣/٢

لأن القول مشهور عند العرب وإن لم يوجد بخلاف قولك هذا كبحر من زئبق، ويحكى عن بعض المجانين أنه كان يصنع أشياء عجيبة فإذا أكملها يفسدها [فأمره بعض الملوك بصنع*] ذلك لكونه أحسن أهل زمانه، وأمر رجلا يرصده فإذا رآه قارب إكمال صناعته حال بينه وبينها.

قوله تعالى: {ولكن يضل من يشاء ... (٩٣)}
هذه صريحة في الرد على المعتزلة في خلق الأفعال في آدم، وقال الزمخشري: في قوله تعالى: (ولتسألن عما كنتم تعملون) إنها رد على الجبرية القائلين: إن الخلق مجبورون على الأفعال وأنهم كحركة المرتعش.
ابن عرفة: واختلف الناس في المباح هل تكتبه الحفظة ويتعلق فيه السؤال أو لا؟ وعموم الآية تدل على أنه يسأل عنه ويكتب لأن ما إن كانت موصولة بمعنى الذي فهي عامة لأن الذي معرف بالألف واللام وهذه بمعناه وإن كانت مضافة فيعم بالإضافة كما أعم بها قوله تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم) وهذا مذكور في قوله تعالى: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد).

قوله تعالى: {فتزل قدم بعد ثبوتها ... (٩٤)}." [1]
"أعلمه حين يلقى الحفظة له كان دليلا على أنه غني عنهم، فإن قلت: ما أفاد: (يتلقى المتلقيان) وهو كقولك: تضارب في المتضاربان؟ قلت: تفيد إما بتقييده باليمين والشمال، وإما بأن ذلك إنما يكون غير [مقيد*] إن لو كان المراد أن كل واحد يلقى صاحبه، وليس المراد الإخبار بلقاء كل واحد منهما صاحبه؛ بل بلقائهما معا المكلف.

قوله تعالى: {ما يلفظ من قول ... (١٨)}
ذكر القول دون الفعل؛ لأنه أكثر، فإذا [أحصى*] القول فأحرى الفعل، فإن قلت: هذا [لا يتناول*] حديث النفس، ولو قيل: ما يصدر من قول لتناوله، والعبد إذا هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، وإن هم بسيئة فلم يعملها ولم يوطن نفسه عليها لم تكتب، فإن وطن نفسه عليها كتبت عليه سيئة، قلت: هذا راجع إلى العمل لا إلى القول.

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٤٥/٣

قوله تعالى: (رقيب عتيد).

يحتمل أن يكون صفتين لموصفين، فيكون ملك الشمال رقيبا أي مراقبا عليه؛ لأنه يكتب السيئات، وملك اليمين عتيدا أي حافظا يحفظ له ما يصدر عنه من الحسنات فيكتبها ولا يضيعها، ويحتمل أن يكونا صفتين لموصوف واحد.

قوله تعالى: {وجاءت سكرة الموت بالحق ... (١٩)}

حكى الفخر في [المحصول*]: الخلاف في الموت هل هو أمر وجودي أو أمر عدمي؟ واحتج لمن قال: إنه وجودي، بقوله تعالى: (الذي خلق الموت والحياة)، وأجيب: بأن يكون خلق بمعنى قدر، والتحاكم في هذا إلى اللغة هل ورد خلق بمعنى قدر؟ وفي الآية رد على الفلاسفة [والطبائعيين*] القائلين بأن هذه الأجسام بطبعها فانية لا تقبل البقاء لما فيها من العفونات، إذ لو كانت كذلك لما احتيج إلى نفي نفع [المحيد*] من ذلك، ولما احتيج إلى زيادة (بالحق)، وجعل الموت سكرة تشبيها له بالسكر من الخمر؛ لأنه يغيب العقل والحواس.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: ولا يذوق من شدة مرارة الموت إلا لمن سوى الأنبياء والأولياء، قال: وأما الأنبياء والأولياء فتألمهم بمفارقة النفوس لأبدانهم كما يتألم المحب بمفارقة محبوبه؛ لأن نفوسهم كانت [زكية*] شريفة وخالطت [...] شرف بها، فعند انفصالها يتألم من الانفصال والمفارقة لا بسبب الوجع الذي يجده من الانفصال والمفارقة، انتهى. ويرد هذا ما ورد في حديث مسلم: أن رجلا رأى النبي صلى الله." (١)

"سورة القيامة

قوله تعالى: {بل يريد الإنسان ... (٥)}

الزمخشري: (بل يريد) عطف على (أيحسب) فهو إما مثله استفهام، وإما أن [يكون إيجابا*] على أن يضرب عن مستفهم عنه إلى آخر، أو يضرب عن مستفهم عنه إلى موجب، انتهى.

[قيل*]: المعنى بل أيريد أو بل يريد، ويتعقب بأنه جعلها عاطفة مع مماثلة ما بعدها لما قبلها في الاستفهام، وقد نصوا على أن بل من الحروف [المشتركة*] في [اللفظ*]. لا في المعنى، فإن قلت: هو استفهام في

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٥٩/٤

معنى النفي فيرجع إلى مسألة سيبويه والمبرد وهي: ما قام زيد بل عمرو، معناه عند سيبويه: بل قام عمرو، وعند المبرد: بل قام عمرو، قلت: ما معنى التشريك إلا أن الحكم المسند للأول أبطل عنه، وحكم به للثاني من نفي أو إثبات، وهذه الآية ليس المراد فيها إبطال الأول؛ مثل الجمع بين الاستفهام عن الأول والثاني في الاستفهام.

قوله تعالى: {بل الإنسان على نفسه بصيرة (١٤)}

أي شاهد عليه، وهو من باب التجريد، أو يراد بالإنسان العقل، يعني أن العقل يشهد على النفس، ويصح كون (بصيرة) مبتدأ، و (على نفسه) خبر إلا أن (بصيرة) خبر الإنسان كما جعله الزمخشري، لكن يرد على ما قلناه أن يكون مدلول هذه الجملة كمدلول التي قبلها؛ لأن يعني كون على نفس الإنسان بصيرة **رقيب**، فلابد أن [ينبأ*] بما عمل، وعلى قول الزمخشري يكون تأسيسا، وهو أولى.

قوله تعالى: {لا تحرك به لسانك ... (١٦)}

فيه دليل على أن القول بأن النهي عن الشيء أمر [بضده*]، وأن السكون أمر عدمي مما لا يجتمعان، فإنهم اختلفوا [هل*] السكون عدمي أو وجودي، وهل متعلق النهي الترك أو فعل الصلاة، فإن قلت: هلا قيل: لا تحرك به شفتيك كما في أول البخاري، عن ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه، فالجواب أن [اللسان*] أكثر [ترادفا*] من الشفتين، قال تعالى (واختلاف ألسنتكم).

قوله تعالى: (لتعجل به).." (١)

"(وكذلك) أي كما أن الكعبة وسط الأرض كذلك (جعلناكم أمة وسطا) أي عدولا خيارا، والوسط الخيار والعدل، والآية محتملة للأمرين، وقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - تفسير الوسط هنا بالعدل، رواه أحمد والترمذي وصححه والنسائي وغيرهم عن أبي سعيد مرفوعا فوجب الرجوع إلى ذلك، ولما كان الوسط مجانبا للغلو والتقصير كان محمودا أي هذه الأمة لم تغل غلو النصارى في عيسى، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم، ويقال فلان أوسط قومه وواسطتهم ووسطهم أي خيارهم، والآية دلت على

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٣٢٣/٤

أن الإجماع حجة إذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم أي اختلت قاله الكرخي، وفيه دلالة على تفضيل هذه الأمة على سائر الأمم.

(لتكونوا) اللام لام كي فتفيد العلية أو هي لام الصيرورة (شهداء على الناس) يعني يوم القيامة أي تشهدون للأنبياء على أممهم أنهم قد بلغوهم ما أمرهم الله بتبليغه إليهم، وقالت طائفة معنى الآية يشهد بعضكم على بعض بعد الموت، وقيل المراد لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أى على أمته بأنهم قد فعلوا ما أمر بتبليغه إليهم، ومثله قوله تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) وقيل عليكم بمعنى لكم أي يشهد لكم بالإيمان، وقيل معناه يشهد عليكم بالتبلغ لكم، قال في الكشاف: لما كان الشهيد **كالرقيب** والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى (والله على كل." (١)

"شيء شهيد) (وكنت أنت **الرقيب** عليهم) (وأنت على كل شيء شهيد)، انتهى.

وإنما أخر لفظ (على) في شهادة الأمم على الناس وقدمها في شهادة الرسول عليهم لأن الغرض كما قال صاحب الكشاف في الأول إثبات شهادتهم على الأمم، وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم، وقيل أن شهيدا أشبه بالفواصل والمقاطع من عليكم فكان قوله (شهيدا) تمام الجملة ومقطعها دون عليكم، وهذا الوجه يرد على الزمخشري مذهبه من أن تقديم المفعول يشعر بالاختصاص.

وأخرج أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وغيرهم (١) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد، فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته، فذلك قوله يعني هذه الآية فتشهدون له بالبلاغ وأشهد عليكم " وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال " أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا ود أنه منا وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه " وأخرج البخاري ومسلم (٢) وغيرهما عن أنس قال مروا بجنازة فأثنى عليها خيرا فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - " وجبت " ثلاثا، ومروا

بجنازة فأثنى عليها شرا فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - " وجبت " ثلاثا فسأله عمر فقال من أثنيتم

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١/٣٠٠

عليه خيرا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض " ثلاثا. زاد الحكيم الترمذي ثم تلا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هذه الآية. وفي الباب أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة عند أهل الصحاح

---

(١) أحمد ٣/ ٣٢.

(٢) مسلم/٩٤٩. البخاري/٧٢٣.." (١)

"الإتصاف به إذا سمعوا ذلك، أو للإيذان بأن إعراضهم عن الدنيا للإتقاء عنها لكونها شاغلة عن جانب القدس.

عن حارثة بن وهب أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: " ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ جعظري مستكبر (١) " أخرجه الشيخان.

وعن أسامة بن زيد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء "، أخرجه البخاري ومسلم.

(والله يرزق من يشاء بغير حساب) يحتمل أن يكون فيه إشارة إلى أن الله سبحانه سيرزق المستضعفين من المؤمنين ويوسع عليهم، ويجعل ما يعطيهم من الرزق بغير حساب أي بغير تقدير، لأن ما يدخل عليه الحساب فهو قليل، ويحتمل أن المعنى أن الله يوسع على بعض عباده في الرزق كما وسع على أولئك الرؤساء من الكفار استدراجا لهم، وليس في التوسعة دليل على أن من وسع عليه فقد رضي عنه، ويحتمل أن يراد بغير حساب من المرزوقين كما قال تعالى (ويرزقه من حيث لا يحتسب).

وقال ابن عباس في تفسيرها: ليس على الله رقيب ولا من يحاسبه، وقال سعيد بن جبير: لا يحاسب الرب، وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة، وقيل يرزقه بغير استحقاق، وقيل لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج إلى حساب. وقيل لا يعطي كل واحد على قدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج إليه، وقيل غير ذلك.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٠١/١

(١) مسلم ٢٨٥٣ – البخاري ٢٠٦٥.." (١)

"يتخاطر الناس عليه وكل ما قومر به فهو ميسر كالطاب والمنقلة والطاولة وغيرها، وسيأتي البحث مطولا في هذا في سورة المائدة عند قوله (إنما الخمر والميسر) إن شاء الله تعالى.

(قل فيهما إثم كبير) يعني في الخمر والميسر، فإثم الخمر أي إثم تعاطيها ينشأ من فساد عقل مستعملها فيصدر عنه ما يصدر عن فاسد العقل من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور، وتعطيل الصلوات وسائر ما يجب عليه، وأما إثم الميسر أي إثم تعاطيه فما ينشأ عن ذلك من الفقر وذهاب المال في غير طائل والعداوة وإيحاش الصدور.

(ومنافع للناس) أما منافع الخمر فربح للتجارة فيها، وقيل ما يصدر عنها من الطرب واللذة والنشاط والفرح وقوة القلب وثبات الجنان وإصلاح المعدة وقوة الباه (١) وتصفية اللون، وحمل البخيل على الكرم، وزوال الهم وهضم الطعام، وتشجيع الجبان، وقد أشار شعراء العرب إلى شيء من ذلك في أشعارهم.

ومنافع الميسر مصير الشيء إلى الإنسان بغير تعب ولا كد، وما يحصل من السرور والأريحية عند أن يصير له منها سهم صالح، وسهام الميسر أحد عشر، منها سبعة لها فروض على عدد ما فيها من الخطوط وهي الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافر والمسبل والمعلى والسفح والوغد والضعف والجزور، ولا نطول بذكر علاماتها وأحوالها.

(وإثمهما أكبر من نفعهما) أخبر سبحانه بأن الخمر والميسر وإن كان فيهما نفع فالإثم الذي يلحق متعاطيهما أكثر من هذا النفع، لأنه لا خير يساوي فساد العقل الحاصل بالخمر، فإنه ينشأ عنه من الشرور ما لا يأتي عليه الحصر، وكذلك لا خير في الميسر يساوي ما فيها من المخاطرة بالمال والتعرض للفقر

---

(١) باه له بيها: فطن. [قال معد الكتاب للشاملة: كذا في هامش المطبوع، وأظن المراد هنا بـ (الباه): الجماع، والله أعلم]." (٢)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١/٤٢٦

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١/٤٤١

"(إنما ذلكم) المثبط لكم والمخوف أيها المؤمنون (الشيطان) والظاهر أن المراد هنا الشيطان نفسه باعتبار ما يصدر منه من الوسوسة المقتضية للتثبيط، وقيل المراد به نعيم بن مسعود لما قال لهم تلك المقالة، وقيل أبو سفيان لما صدر منه الوعيد لهم، والمعنى أن الشيطان (يخوف) المؤمنين (أولياءه) وهم الكافرون وقال ابن عباس: الشيطان يخوف بأوليائه، وقال أبو مالك: يعظم أولياءه في أعينكم. وقال الحسن: إنما كان ذلك تخويف الشيطان، ولا يخاف الشيطان إلا ولي الشيطان.

(فلا تخافوهم) أي أولياءه الذين يخوفكم بهم الشيطان أو فلا تخافوا الناس المذكورين في قوله (إن الناس قد جمعوا لكم) نهاهم الله سبحانه أن يخافوهم فيجبنوا عن اللقاء ويفشلوا عن الخروج، وأمرهم بأن يخافوا الله سبحانه فقال (وخافون) هذه الياء التي بعد النون اختلف السبعة في إثباتها لفظا واتفقوا على حذفها في الرسم لأنها من آيات الزوائد كلها لا ترسم، وجملتها اثنتان وستون، والمعنى فافعلوا ما آمركم به واتركوا ما أنهاكم عنه، لأني الحقيق بالخوف مني، **والمراقبة** لأمري ونهي لكون الخير والشر بيدي وقيده بقوله (إن كنتم مؤمنين) لأن الإيمان يقتضي ذلك ويستدعي الأمن من شر الشيطان وأوليائه.." (١)

"الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النساءمن أول آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم **رقيبا** (١)

إلى الآية ٨٩ من سورة المائدة." (٢)

"بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم **رقيبا** (١)." (٣)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٨١/٢

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٥/٣

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٩/٣

"وقيل التقدير: واتقوا قطع مودة الأرحام فإن قطع الرحم من أكبر الكبائر، وصلة الأرحام باب لكل خير فتزيد في العمر وتبارك في الرزق، وقطعها سبب لكل شر، ولذلك وصل تقوى الرحم بتقوى الله.
وصلة الرحم تختلف باختلاف الناس فتارة يكون عادته مع رحمه الصلة بالإحسان، وتارة بالخدمة وقضاء الحاجة، وتارة بالمكاتبة، وتارة بحسن العبارة وغير ذلك.
وقرىء بالرفع على الإبتداء والخبر مقدر أي والأرحام صلوها أو والأرحام أهل أن توصل، أو والأرحام كذلك أي مما يتقى أو يتساءل به، وقيل إن الرفع على الإغراء عند من يرفع به، وجوز الواحدى نصبه على الإغراء.
والأرحام اسم لجميع الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره، لا خلاف في هذا بين أهل الشرع واللغة، وقد خصص الإمام أبو حنيفة الرحم بالحرم في منع الرجوع في الهبة مع موافقته على أن معناها أعم، ولا وجه لهذا التخصيص.
قال القرطبي: اتفقت الملة على أن صلة الرحم واجبة وأن قطيعتها محرمة انتهى، وقد وردت بذلك الأحاديث الكثيرة الصحيحة، روى الشيخان عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله " (١) وإنما استعير اسم الرحم للقرابة لأن الأقارب يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض.
(إن الله كان عليكم **رقيبا**) حافظا يعلم السر وأخفى، **والرقيب** المراقب، وهي صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا إذا أحد النظر لأمر يريد تحقيقه.

---

(١) صحيح مسلم ٢٥٥٥ - البخاري ٢٠٤٥.." [(١)]

"اختصاص الحكم بهم أعم من أن يكون لهم أو عليهم كأنه قيل لأجل الذين هادوا، وإما للإيذان بنفعه للمحكوم عليه أيضا بإسقاط التبعة عنه وإما للإشعار بكمال رضاهم به وانقيادهم له كأنه أمر نافع للفريقين، ففيه تعريض بالمحرفين وقيل للذين هادوا عليهم.
(والربانيون) العلماء الحكماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود، وقال الحسن الفقهاء، وقال مجاهد هم فوق الأحبار، وقال الحسن الربانيون العباد والزهاد، وعن ابن عباس قال الربانيون هم المؤمنون، والأحبار هم القراء، وقد سبق تفسيره في آل عمران.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١١/٣

(والأحبار) العلماء مأخوذ من التحبير وهو التحسين فهم يحبرون العلم أي يحسنونه، قال الجوهري: الحبر واحد أحبار اليهود بالفتح والكسر، والكسر أفصح، وقال الفراء إنما هو بالكسر وقال أبو عبيدة هو بالفتح.
(بما استحفظوا من كتاب الله) الباء للسببية ومن للبيان والمعنى أمروا بالحفظ أي أمرهم الأنبياء بحفظ التوراة عن التغيير والتبديل وإليه نحا الزمخشري أي يحكمون بها بسبب هذا الاستحفاظ فهم خلفاء ونواب في ذلك.
(وكانوا عليه) أي على كتاب الله وأنه حق (شهداء) أي رقباء يحمونه عن التغيير والتبديل بهذه **المراقبة**.
(فلا تخشوا الناس) يا رؤساء اليهود فتكتموا ما أنزلت من نعت محمد صلى الله عليه وآله وسلم والرجم وغيرهما (واخشون) في كتمان ذلك.
(ولا تشتروا) أي لا تستبدلوا (بآياتي ثمنا قليلا) من الدنيا على أن تكتموا ما أنزلت، وقال ابن زيد لا تأكلوا السحت على كتابي يعني الرشوة وقد تقدم تحقيقه.
(ومن لم يحكم بما أنزل الله) لفظ " من " من صيغ العموم فيفيد أن هذا غير مختص بطائفة معينة بل لكل من ولي الحكم وهو الأولى وبه قال السدي،." (١)

"وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (٤٨)
(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب) خطاب لمحمد - صلى الله عليه وسلم -، والكتاب القرآن والتعريف للعهد والتعريف في الكتاب الثاني للجنس أي أنزلنا إليك يا محمد القرآن حال كونه متلبسا بالحق، وحال كونه مصدقا لما بين يديه من كتب الله المنزلة لكونه مشتملا على الدعوة إلى الله والأمر بالخير والنهي عن الشر، كما اشتملت عليه.
وأما ما يتراءى من مخالفته في بعض جزئيات الأحكام المتغيرة بسبب تغير الأعصار، فليس بمخالفة في الحقيقة، بل هي موافقة لها من حيث أن كلا من تلك الأحكام حق بالإضافة إلى عصره، متضمن للحكمة التي يدور عليها أمر الشريعة، وليس في المتقدم دلالة على أبدية أحكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتأخر، وإنما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما أن

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣/٤٢٧

النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها.

(ومهيمنا علي) الضمير عائد إلى الكتاب الذي صدقه القرآن وهيمن عليه، والمهيمن **الرقيب**، وقيل الغالب المرتفع، وقيل الشاهد، وقيل الحافظ، وقيل المؤتمن.

قال المبرد: أصله مؤيمن أبدل من الهمزة هاء كما قيل في أرقت الماء هرقت وبه قال الزجاج وأبو علي الفارسي،، قال الجوهري: هو من آمن غيره." (١)

"من الخوف. وأصله أأمن فهو مأأمن، يقال هيمن على الشيء يهيمن إذا كان له حافظا فهو له مهيمن، كذا عن أبي عبيد.

وقرأ مجاهد وابن محيصن مهيمنا بفتح الميم أي هيمن عليه الله سبحانه، والمعنى على قراءة الجمهور أن القرآن صار شاهدا بصحة الكتب المنزلة ومقررا لا فيها مما لم ينسخ، وناسخا لا خالفه منها، **ورقيبا** عليها وحافظا لا فيها من أصول الشرائع، وغالبا لها لكونه المرجع في الحكم منها والمنسوخ، ومؤتمنا عليها لكونه مشتملا على ما هو معمول به منها وما هو متروك.

(فاحكم بينهم) أي بين أهل الكتاب عند تحاكمهم إليك، وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم (بما أنزل الله) أي بما أنزله إليك في القرآن لاشتماله على جميع ما شرعه الله لعباده في جميع الكتب السابقة عليه، والالتفات بإظهار الاسم الجليل لتربية الهابة والإشعار بعلة الحكم.

(ولا تتبع أهواءهم) أي أهواء أهل الملل السابقة، وقال ابن عباس: لا تأخذ بأهوائهم في جلد المحصن (عما جاءك من الحق) أي لا تعدل أو لا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا لأهوائهم أو لا تتبع أهواءهم عادلا أو منحرفا عن الحق.

وفيه النهي له صلى الله عليه وآله وسلم عن أن يتبع أهوية أهل الكتاب ويعدل عن الحق الذي أنزله الله عليه، فإن كل ملة من الملل تهوى أن يكون الأمر على ما هم عليه وما أدركوا عليه سلفهم وإن كان باطلا منسوخا أو محرفا عن الحكم الذي أنزله الله على الأنبياء كما وقع في الرجم وغيره مما حرفوه من كتب الله، والخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يتبع أهواءهم.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٤٣/٣

(لكل جعلنا منكم) الخطاب للأمم الثلاثة أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد صلى الله عليهم أجمعين، أو للناس كافة لكن للموجودين خاصة بل للماضين أيضا بطريق التغليب على وجه التلوين والالتفات.." (١)

"ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧)

(ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) هذه الجملة مقررة لمضمون ما تقدم أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني والاستثناء مفرغ (أن اعبدوا الله ربي وربكم) هذا تفسير لمعنى ما قلت لهم أي ما أمرتهم إلا أن وحدوا الله ولا تشركوا به شيئا (وكنت عليهم شهيدا) أي حفيظا **ورقيبا** أرعى أحوالهم وأمنعهم عن مخالفة أمرك (ما دمت) أي مدة دوامي (فيهم).

(فلما توفيتني) قيل هذا يدل على أن الله سبحانه توفاه قبل أن يرفعه، وليس بشيء لأن الأخبار قد تضافرت بأنه لم يمت، وأنه باق في السماء على الحياة التي كان عليها في الدنيا حتى ينزل إلى الأرض آخر الزمان، وإنما المعنى فلما رفعتني إلى السماء وأخذتني وافيا بالرفع.

قيل الوفاة في كتاب الله سبحانه قد جاءت على ثلاثة أوجه بمعنى الموت ومنه قوله تعالى: (الله يتوفى الأنفس حين موتها) وبمعنى النوم ومنه قوله تعالى: (وهو الذي يتوفاكم بالليل) أي ينيمكم، وبمعنى الرفع ومنه (فلما توفيتني) وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك والتوفي يستعمل في أخذ الشيء وافيا أي كاملا.

(كنت أنت **الرقيب**) أصل **المراقبة** المراعاة أي كنت الحافظ لهم والعالم بهم والشاهد (عليهم وأنت على كل شيء شهيد) أي شاهد لما كان وما يكون أو أنت العالم بكل شيء فلا يعزب عن عملك شيء ومنه قولي لهم وقولهم بعدي.." (٢)

"(ذلكم) أي المتصف بالأوصاف السابقة (الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء) أي مما سيكون كما خلق في الماضي فلا تكرار، يعني من كانت هذه صفاته فهو الحقيق بالعبادة (فاعبدوه) ولا تعبدوا غيره ممن ليس له من هذه الصفات العظيمة شيء (وهو على كل شيء وكيل) أي **رقيب** حفيظ.." (٣)

"(ولو شاء الله) عدم إشراكهم (ما أشركوا) أي لجعلهم مؤمنين وفيه أن الشرك بمشيئة الله سبحانه خلافا للمعتزلة، والكلام في تقرير هذا على الوجه الذي يتعرف به أهل علم الكلام والميزان معروف فلا

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣/٤٤٤

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤/٩٢

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤/٢١١

نطيل بإيراده، قال ابن عباس: يقول الله لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين (وما جعلناك عليهم حفيظا) أي رقيبا تمنعهم منا ومراعيا لأعمالهم مأخوذا بإجرامهم (وما أنت عليهم بوكيل) أي قيم بما فيه نفعهم فتجلبه إليهم ليس عليك إلا إبلاغ الرسالة، قال قتادة: الوكيل الحفيظ.." (١)

"ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣)

(ويا قوم اعملوا على مكانتكم) لما رأى إصرارهم على الكفر وتصميمهم على دين آبائهم وعدم تأثير الموعظة فيهم توعدهم بأن يعملوا على غاية تمكنهم ونهاية استطاعتهم يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ تمكن.

(إني عامل) على حسب ما يمكنني ويقدره الله لي ثم بالغ في التهديد والوعيد بقوله (سوف تعلمون) أينا الجاني على نفسه المخطئ في فعله وتعلمون عاقبة ما أنتم عليه من عبادة غير الله والإضرار بعباده، وقد تقدم مثله في الأنعام.

قال الزمخشري: وصل سوف تارة بالفاء وتارة بالاستئناف كما هو عادة البلغاء من العرب، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف لأنه أكمل في باب الفصاحة والتهويل اهـ. يعني حذف الفاء هنا لأنه جواب سائل هو المسمى في علم البيان بالاستئناف البياني كأن كان قائلا قال: فماذا يكون بعد ذلك فهو أبلغ في التهويل.

(من يأتيه عذاب يخزيه) أي سوف تعلمون من هو الذي يأتيه العذاب المخزي الذي يتأثر عنه الذل والفضيحة والعار (ومن هو كاذب) في زعمكم ومن هو المعذب، وفيه تعريض بكذبهم في قولهم لولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز.

وقيل التقدير من هو كاذب فسيعلم كذبه ويذوق وبال أمره (وارتقبوا إني معكم رقيب) أي انتظروا إني معكم منتظر لما يقضي به الله بيننا.." (٢)

"(قال لن أرسله معكم حتى تؤتون) أي تعطوني (موثقا) ما أثق به وأركن إليه (من) جهة (الله) سبحانه وهو الحلف به والموثق العهد المؤكد باليمين، وقيل هو المؤكد بإشهاد الله عليه، واللام في (لتأتنني به) جواب القسم أي تحلفو بالله لتردن بنيامين أي لتأتنني به، والاستثناء بقوله (إلا أن يحاط بكم) مفرغ من أعم الأحوال لأن لتأتنني به وإن كان كلاما مثبتا فهو في معنى النفي فكأنه قال: لا تمنعون من إتياني به

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤/٢١٧

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٦/٢٣٧

على حال إلا حال الإحاطة بكم أو من أعم العلل أي لعلة من العلل إلا لعلة الإحاطة بكم، والإحاطة مأخوذة من أحاطه العدو ومن أحاط به العدو فقد غلب أو هلك.

تقول العرب: أحيط بفلان إذا هلك أو قارب هلاكه، فأخذ يعقوب عليهم العهد بأن يأتوه ببنيامين إلا أن يغلبوا عليه أو يهلكوا دونه جميعا فيكون ذلك عذرا لهم عنده.

(فلما آتوه موثقهم) أي أعطوه ما طلبه منهم من اليمين والعهد (قال: الله على ما نقول وكيل) أي قال يعقوب: الله على ما قلناه من طلبي الموثق منكم وإعطائكم لي ما طلبته منكم مطلع **رقيب** لا يخفى عليه منه خافية فهو المعاقب لمن خاس في عهده وفجر في الحلف به، أو موكول إليه القيام بما شهد عليه منا.." (١)

"المستغيث، يقال استصرخني فأصرخته والصريخ صوت المستصرخ والصريخ أيضا الصارخ وهو المغيث والمستغيث وهو من أسماء الأضداد كما في الصحاح.

قال ابن الأعرابي: الصارخ المستغيث والمصرخ المغيث، ومعنى الآية ما أنا بمغيثكم ومنقذكم مما أنتم فيه من العذاب، وما أنتم بمغيثي ولا منقذي مما أنا فيه وفيه إرشاد لهم إلى أن الشيطان في تلك الحالة مبتلى بما ابتلوا به من العذاب، محتاج إلى من يغيثه ويخلصه مما هو فيه فكيف يطمعون في إغاثة من هو محتاج إلى من يغيثه.

قال ابن عباس: المعنى ما أنا بنافعكم وما أنتم بنافعي، وقال الشعبي في هذه الآية: خطيبان يقومان يوم القيامة إبليس وعيسى؛ فأما إبليس فيقوم في حزبه فيقول القول المذكور في الآية، وأما عيسى فيقول (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد) وقال قتادة: المعنى ما أنا بمعينكم. (إني كفرت بما أشركتمون من قبل) قد ذهب جمهور المفسرين إلى أن ما مصدرية أي بإشراككم أياي مع الله في الطاعة لأنهم كانوا يطيعونه في أعمال الشر، كما يطاع الله في أعمال الخير، فالإشراك استعارة بتشبيه الطاعة به وتنزيلها منزلته، أو لأنهم لما أشركوا الأصنام ونحوها بإيقاعه لهم في ذلك فكأنهم أشركوه وقيل موصولة على معنى إني كفرت بالذي أشركتمونيه وهو الله عز وجل، ويكون هذا حكاية لكفره بالله عند أن أمره بالسجود لآدم.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٦٧/٦

ولما كشف لهم القناع بأنه لا يغنى عنه من عذاب الله شيئا ولا ينصرهم بنوع من أنواع النصر، صرح لهم بأنه كافر بإشراكهم له مع الله في الربوبية من قبل هذا الوقت الذي قال لهم الشيطان فيه هذه المقالة، وهو ما كان منهم في الدنيا من جعله شريكا.." (١)

"(الله غافلا عما يعمل الظالمون) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو تعريض لأمته فكأنه قال ولا تحسب أمتك يا محمد، ويجوز أن يكون خطابا لكل من يصلح له من المكلفين وإن كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم من غير تعريض لأمته، فمعناه التثبيت على ما كان عليه من عدم الحسبان كقوله (ولا تكونن من المشركين) ونحوه، وقيل المراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون، ولكن معاملة الرقيب عليهم؛ أو يكون المراد بالنهي عن الحسبان الإيذان بأنه عالم بذلك لا تخفى عليه منه خافية.
قال ميمون بن مهران في الآية: هي تعزية للمظلوم ووعيد للظالم، وعن سفيان بن عيينة نحوه، والغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور، وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ؛ وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإعلام للمشركين بأن تأخير العذاب عنهم ليس للرضا بأفعالهم بل سنة الله سبحانه في إمهال العصاة.
(إنما يؤخرهم) أي يؤخر جزاءهم وعذابهم ولا يؤاخذهم بظلمهم، وهذه الجملة استئناف وقع تعليلا للنهي السابق (ليوم) أي لأجل يوم فاللام للعلة وقيل بمعنى إلى التي للغاية (تشخص فيه الأبصار) أي أبصارهم فلا تقر في أماكنها، قال الفراء: المعنى ترفع فيه أبصار أهل الموقف ولا تغمض من هول ما تراه في ذلك اليوم.
شخوص البصر حدة النظر وعدم استقراره في مكانه، يقال شخص سمعه وبصره وأشخصهما صاحبهما وشخص بصره أي لم يطرف جفنه، ويقال شخص من بلده أي بعد، والشخص سواد الإنسان المرئي من بعيد، والمراد أن الأبصار بقيت مفتوحة لا تتحرك من شدة الحيرة والدهشة. قال قتادة: شخصت فيه والله أبصارهم فلا ترتد إليهم، قيل أل للعهد وقيل لو حمل على العموم كان أبلغ في التهويل وأسلم من التكرير.." (٢)

"الإثم فوق الإثم الذي في نقض ما لم يؤكد منها، يقال وكد وأكد توكيدا وتأكيدا وهما لغتان.
وقال الزجاج: الأصل الواو والهمزة بدل منها، وقيل ليست الهمزة بدلا من الواو كما زعمه أبو إسحاق لأن

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٠٦/٧
(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٣٠/٧

الاستعمالين في المادتين متساويان فليس ادعاء كون أحدهما أصلا أولى من الآخر وتبع مكي الزجاج في ذلك ثم قال ولا يحسن أن يقال الواو بدل من الهمزة ولذلك تبعه الزمخشري أيضا.

وهذا العموم مخصوص بما ثبت في الأحاديث الصحيحة من قوله صلى الله عليه وسلم " من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه " (١) حتى بالغ في ذلك صلى الله عليه وسلم فقال " والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني " (٢) وهذه الألفاظ ثابتة في الصحيحين وغيرهما ويخص أيضا من هذا العموم يمين اللغو لقوله سبحانه (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) ويمكن أن يكون التقييد بالتوكيد هنا لإخراج أيمان اللغو وقد تقدم بسط الكلام على الإيمان في البقرة.

(وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أي شهيدا إما على التشبيه فهو استعارة أو باستعماله في لازم معناه فهو مجاز مرسل، وقيل حافظا، وقيل ضامنا وقيل رقيبا لأن الكفيل يراعي حال المكفول له (إن الله يعلم ما تفعلون) من وفاء العهد ونقضه فيجازيكم بحسب ذلك إن خيرا فخير وإن شرا فشر وفيه ترغيب وترهيب.

ثم أكد وجوب الوفاء تحريم النقض فقال

---

(١) مسلم ١٦٥٠.

(٢) مسلم ١٦٤٩ - البخاري ١٤٧٦.." [1]

"الصوف جالسناك وحادثناك وأخذنا عنك فأنزل الله (واتل ما أوحي إليك) إلى قوله (إنا اعتدنا للظالمين نارا) أخرجه البيهقي وغيره.

وزاد أبو الشيخ عن سلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى فقال " الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا والممات ".

وعن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال: نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بعض أبياته واصبر نفسك الآية فخرج يلتمسهم فوجد قوما يذكرون الله منهم ثائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الخلق فلما رآهم جلس معهم وقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم ".

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٠٦/٧

وعن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجل يقرأ سورة الحجر أو سورة الكهف فسكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم ". وفي الباب روايات. وعن ابن عمر قال: إنهم الذين يشهدون الصلوات الخمس وعن ابن عباس مثله وقيل نزلت في صلاة الصبح وصلاة العصر.

ثم أمره سبحانه **بالمراقبة** لأحوالهم فقال (ولا تعد عيناك عنهم) أي لا تتجاوز إلى غيرهم، قال الفراء: معناه لا تصرف عينيك عنهم؛ وقال الزجاج: لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو، من عدوته عن الأمر أي صرفته عنه، وقال: معناه لا تحتقرهم عيناك عبر بهما عن صاحبها.

(تريد زينة الحياة الدنيا) أي مجالسة أهل الترف والشرف والغنى وصحبة أهل الدنيا والمعنى حال كونك مريدا لذلك، هذا إذا كان فاعل تريد." (١)

"الاكتراث لها قال عكرمة: إن المراد هو قولهم في الأفواه: مطرنا بنوء كذا، قال النحاس: ولا نعلم بين أهل التفسير اختلافا أن الكفر هنا قولهم مطرنا بنوء كذا، والنوء كما في المختار سقوط نجم من المنازل في المغرب، وطلوع **رقيبة** من المشرق في ساعته في كل ثلاثة عشر يوما، ما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوما وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منهما وقيل إلى الطالع لأنه في سلطانه والجمع أنواء.." (٢)

"ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما (٥١) لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء **رقيبا** (٥٢)." (٣)

"بعدهن مارية القبطية أهداها له المقوقس ملك القبط وهم أهل مصر والإسكندرية وولدت له إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان ومات في حياة أبيه، وله سبعون يوما وقيل: سنة وعشرة أشهر وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل عليه بنفسه بل أمرهم فصلوا قاله ابن حجر في شرح الهمزية، وقد اختلف العلماء

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤١/٨

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٢٢/٩

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١١٨/١١

في تحليل الأمة الكافرة على قولين:

الأول: أنها تحل للنبي صلى الله عليه وسلم لعموم هذه الآية وبه قال مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء والحسن.

والثاني: أنها لا تحل للنبي صلى الله عليه وسلم تنزيها لقدره عن مباشرة الكافرة، ويترجح القول الأول بعموم هذه الآية وتعليل المنع بالتنزه ضعيف فلا تنزه عما أحله الله فهو طيب لا خبيث باعتبار ما يتعلق بأمور النكاح لا باعتبار غير ذلك فالمشركون نجس بنص القرآن، وممكن ترجيح القول الثاني بقوله سبحانه: (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) فإنه نهي عام.

(وكان الله على كل شيء رقيبا) أي مراقبا حافظا وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء، ويدل عليه ما روي عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل]. أخرجه أبو داود وعن أبي هريرة أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: [انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئا].

قال الحميدي: يعني هو الصغر وعن المغيرة بن شعبة قال: خطبت امرأة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: هل نظرت إليها؟ قلت لا. قال: فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما، أخرجه الترمذي وقال حسن.." (١)

"(يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار، وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار، قال الجوهري: لجلباب الملحفة، وقال الشهاب إزار واسع يلتحف به، وقيل: القناع وقيل: هو كل ثوب يستر جميع بدن المرأة من كساء وغيره كما ثبت في الصحيح من حديث أم عطية أنها قالت يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب؟ فقال: (لتلبسها أختها من جلبابها) قال الواحدي قال المفسرون: يغطين وجوههن ورؤوسهن إلا عينا واحدة فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن بأذى، وبه قال ابن عباس، وقال الحسن: تغطي نصف وجهها، وقال قتادة: تلويه فوق الجبين وتشده، ثم تعطفه على الأنف وإن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه، وقال البرد: يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن، و (من) للتبعيض أي ترخي بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز عن الأمة.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٢٤/١١

(ذلك) أي إدناء الجلابيب وهو مبتدأ وخبره (أدنى) أقرب (أن يعرفن) فيتميزن عن الإماء ويظهر للناس أنهن حرائر (فلا يؤذين) من جهة أهل الريبة بالتعرض لهن مراقبة لهن ولأهلهن، وليس المراد بقوله ذلك إلخ أن تعرف الواحدة منهن من هي، بل المراد أن يعرفن أنهن حرائر لا إماء لأنهن لبسن لبسة تختص بالحرائر.
قال السبكي: في الطبقات الكبرى إن من أئمة الشافعية أحمد بن عيسى." (١)

"(فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا) أي حافظا تحفظ أعمالهم الصادرة عنهم حتى تحاسبهم عليها ولا موكلا بهم رقيبا عليهم، لتقهرهم على امتثال ما أرسلناك به.
(إن) أي ما (عليك إلا البلاغ) لما أمرت بإبلاغه وليس عليك غير ذلك، وهذا منسوخ بآية السيف، لأنه قبل الأمر بالجهاد (وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة) أي إذا أعطيناه رخاء وصحة وغنى (فرح بها) بطرا ونعم الدنيا وإن كانت عظيمة إلا أنها بالنسبة إلى سعادة الآخرة كالقطرة بالنسبة إلى البحر، فلهذا سمى الإنعام إذاقة، والمراد بالإنسان الجنس ولهذا قال:
(وإن تصبهم سيئة) أي بلاء وشدة ومرض وفقر (بما قدمت أيديهم) من الذنوب وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها (فإن الإنسان كفور) أي كثير الكفر بما أنعم به عليه من نعمه غير شكور له عليها، وهذا باعتبار غالب جنس الإنسان، ولم يقل: فإنه كفور، بل وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم، كما قال (إن." (٢)

"والنخل باسقات لها طلع نضيد (١٠) رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج (١١) كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود (١٢) وعاد وفرعون وإخوان لوط (١٣) وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد (١٤) أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد (١٥) ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦) إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨) وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩) ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد (٢٠) وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٢)." (٣)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٤٣/١١

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣١٨/١٢

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٦٤/١٣

"(ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) أي ما يتكلم من كلام فيلفظه ويرميه من فيه إلا لدى ذلك اللافظ ملك يرقب قوله ويكتب، والرقيب الحافظ المتتبع لأمور الإنسان الذي يكتب ما يقوله من خير وشر، فكاتب الخير هو ملك اليمين. وكاتب الشر ملك الشمال. والعتيد الحاضر المهيأ. قال الجوهري: العتيد المهيأ. يقال: عتده تعتيدا وأعتده إعتادا. أي أعده. ومنه: (وأعتدت لهن متكأ) والمراد ههنا أنه معد للكتابة مهيأ لها. والإفراد في رقيب عتيد مع إطلاعهما معا على ما صدر منه لما أن كل منهما رقيب لما فوض إليه لا لما فوض لصاحبه كما ينبيء عنه قوله: عتيد. وتخصيص القول بالذكر لإثبات الحكم في الفعل بدلالة النص. فعلم أن كلا منهما يقال له:." [1]

"(رقيب عتيد). ويعلم من هذه الآية أن الملكين معدان لذلك بخلاف الأولى فإنه لا يعلم منها ذلك، وأيضا يعلم من هذه صريحا أن الملك يضبط كل لفظ ولا يعلم ذلك من الأولى، قال أبو سعيد في الآية: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى إنه ليكتب قوله أكلت شربت ذهبت جئت رأيت حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان من خير أو شر وألقى سائره فذلك قوله: (يمحو الله ما يشاء ويثبت) وقال ابن عباس: إنما يكتب الخير والشر، لا يكتب يا غلام أسرج الفرس يا غلام أسقني الماء.

وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن الله غفر لهذه الأمة ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم " (١).

وعن عمرو بن ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله عند لسان كل قائل فليتق الله عبد ولينظر ما يقول " أخرجه أحمد وأبو نعيم والبيهقي في الشعب وابن أبي شيبة وأخرج الحكيم الترمذي عن ابن عباس مرفوعا مثله.

---

(١) مسلم.." [2]

"(وقال قرينه) أي قال الملك الموكل به وهو الرقيب السابق ذكره قد تقدم أنه كاتب الحسنات وكاتب السيئات، وأن للإنسان رقيبين وهما العتيدان فإفراده لتأويله كما مر في الرقيب وفي الشهاب وزاده أن المراد

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٣/١٦٩

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٣/١٧٠

بالقرين الجنس ولو جعلت الخطابات السابقة للكافر لكان وجه إفراد القرين ظاهرا.

(هذا ما لدي) أي عندي من كتاب عملك، وما موصولة أو نكرة موصوفة (عتيد) حاضر قد هيأته، كذا قال الحسن وقتادة والضحاك، وقال ابن عباس: قرينه شيطانه، وقال مجاهد: إن الملك يقول للرب سبحانه هذا الذي وكلتني به من بني آدم قد أحضرته، وأحضرت ديوان عمله. وروي عنه أنه قال: إن قرينه من الشيطان يقول ذلك أي: هذا ما قد هيأته لك بإغوائي وإضلالي وقال ابن زيد: إن المراد هنا قرينه من الإنس، وعتيد مرفوع على أنه صفة (ما) ما إن كانت موصوفة، وإن كانت موصولة فهو خبر.." (١)

"بفتحها، وكان سيبويه يقول: سبوح قدوس بفتح أولهما، وحكى أبو حاتم عن يعقوب أنه سمع عند الكسائي أعرابيا فصيحا يقرأ القدوس بفتح القاف قال ثعلب: كل اسم على فعول فهو مفتوح الأول إلا السبوح والقدوس، فإن الضم فيهما أكثر وقد يفتحان.

(السلام) قال ابن العربي: اتفق العلماء على أن معنى قولنا في الله السلام النسبة، تقديره: ذو السلامة، ثم اختلفوا في ترجمة النسبة على ثلاثة أقوال:

الأول: معناه الذي سلم من كل عيب وبرىء من كل نقص.

الثاني: معناه ذو السلام أي المسلم على عباده في الجنة، كما قال: (سلام قولا من رب رحيم).

الثالث: أن معناه الذي سلم الخلق من ظلمه، وهذا قول الخطابي، وبه قال الأكثر وعليه والذي قبله يكون صفة فعل وعلى أنه البريء من العيوب والنقائص يكون صفة ذات وقيل: السلام معناه السلم لعباده وهو مصدر وصف به للمبالغة.

(المؤمن) أي الذي وهب لعباده الأمن من عذابه وقيل: المصدق لرسوله بإظهار المعجزات وقيل: المصدق للمؤمنين بما وعدهم به من الثواب والمصدق للكافرين بما أوعدهم به من العذاب وقيل: المؤمن الذي يأمن أولياؤه من عذابه ويأمن عباده من ظلمه يقال آمنه من الأمان الذي هو ضد الخوف كما قال تعالى: (وآمنهم من خوف) فهو مؤمن وقال مجاهد: المؤمن الذي وجد نفسه بقوله: (شهد الله أنه لا إله إلا هو) قرأ الجمهور المؤمن بكسر الميم اسم فاعل من آمن بمعنى أمن، وقرىء بفتحها بمعنى المؤمن به على الحذف

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٧٣/١٣

كقوله: (واختار موسى قومه)، وقال أبو حاتم: لا تجوز هذه القراءة لأن معناه أنه كان خائفا فأمنه غيره. (المهيمن) من هيمن يهيمن إذا كان رقيبا على الشيء، أي الشهيد." (١)

"على عباده بأعمالهم **الرقيب** عليهم، كذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل، قال الواحدي: وذهب كثير من المفسرين إلى أن أصله مؤيمن من آمن يؤمن فيكون بمعنى المؤمن، والأول أولى، وقيل: القائم على خلقه برزقه، وقيل: هو **الرقيب** الحافظ، وقيل: هو المصدق، وقيل: هو القاضي، وقيل: هو الأمين والمؤيمن، وقيل: هو العلي، وقيل: اسم من أسماء الله وهو أعلم بتأويله، وقد قدمنا الكلام على المهيمن في سورة المائدة.

(العزيز) الذي لا يوجد له نظير، وقيل: القاهر. وقيل: الغالب غير الغلوب، وقيل: القوي.

(الجبار) جبروت الله عظمته، فعلى هذا هو صفة ذات، والعرب تسمي الملك الجبار، ويجوز أن يكون من جبر إذا أغنى الفقير، وأصلح الكسير، وعلى هذا هو صفة فعل أو من جبره على كذا إذا أكرهه على ما أراد، فهو الذي جبر خلقه على ما أراد منهم، وبه قال السدي ومقاتل واختاره الزجاج والفراء قال: هو من أجبره على الأمر أي قهره، قال: ولم أسمع فعالا من أفعل إلا في جبار من أجبر، ودراك من أدرك، قلت: وإنه يستعمل ثلاثيا أيضا، وقيل: الجبار الذي لا تطاق سطوته، وقيل: هو القهار الذي إذا أراد أمرا فعله لا يحجزه عنه حاجز، وقيل: الجبار هو الذي لا ينال ولا يدانى، والجبر في صفة الله مدح، وفي صفة الناس ذم.

(المتكبر) أي الذي تكبر عن كل نقص، وتعظم عما لا يليق به وأصل التكبر الامتناع وعدم الانقياد والكبر في صفات الله مدح لأن له جميع صفات العلو والعظمة والعز والكبرياء فإن أظهر ذلك كان ذلك ضم كمال إلى كمال وفي صفات العلو والعظمة والعز والكبرياء فإن أظهر ذلك كان ذلك ضم كمال إلى كمال وصفات المخلوقين ذم لأن المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص في حقه لأنه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فإذا أظهر الكذب كان كاذبا في فعله فكان مذموما في حق الناس قال قتادة: هو الذي تكبر عن كل سوء قال ابن الأنباري: المتكبر ذو الكبرياء وهو الملك.." (٢)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٤/٦٧

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٤/٦٨

"(وأنا لمسنا السماء) هذا من قول الجن أيضا أي طلبنا خبرها كما جرت به عادتنا، واللمس المس فاستعير للطلب لأن الماس طالب متعرف (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) أي جمعا أقوياء من الملائكة يحرسونها عن استراق السمع، والحرس جمع حارس وهو **الرقيب**، والمصدر الحراسة، وقيل إسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام، ولذا وصف بشديد، ولو نظر إلى معناه لقيل شدادا، وشهبا جمع شهاب وهو الشعلة المقتبسة من نار الكوكب. كما تقدم بيانه في تفسير قوله: (وجعلناها رجوما للشياطين).." (١)

"يعلمون ما تفعلون) فدل على أنهم يكونون عالمين بها حتى أنهم يكتبونها فإذا كتبوها يكونون عالمين عند أداء الشهادة.

قال الرازي المعنى التعجيب من حالهم كأنه قال إنكم تكذبون بيوم الدين وملائكة الله موكلون يكتبون أعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيامة ونظيره قوله تعالى (عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه **رقيب** عتيد).

وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الأمور فيه إنذار وتهويل للمجرمين، ولطف للمتقين، وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال ما أشدها من آية على الغافلين.

ثم بين سبحانه حال الفريقين فقال." (٢)

"بعلمه واطلاعه على أحوالهم وقيل هو العقل يرشدهم إلى المصالح ويكفهم عن المفاسد، والأول أولى لقوله (وإن عليكم لحافظين) وقوله (ويرسل عليكم حفظة) وقوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه) والحافظ في الحقيقة هو الله عز وجل كما في قوله (فالله خير حافظا) وقوله (وكان الله على كل شيء **رقيبا**) فإن الممكنات كما تحتاج إلى الواجب لذاته في وجودها تحتاج إليه في بقائها، وحفظ الملائكة من حفظه لأنهم يحفظونه بأمره.." (٣)

" ٨ الأنبياء عليهم السلام أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه وأما نحن فاقتصرنا في هذا الكتاب من القصص ما يتوقف التفسير عليه وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح وأما التصوف فله تعلق بالقرآن لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية ورياضة النفوس وتنوير القلوب وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٥٦/١٤

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١١٨/١٥

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٧٧/١٥

واجتناب الأخلاق الذميمة وقد تكلمت المتصوفة في تفسير القرآن فمنهم من أحسن وأجاد ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني ووقف على حقيقة المراد ومنهم من توغل في الباطنية وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغه العربية وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي كلامهم في التفسير في كتاب سماه الحقائق وقال بعض العلماء بل في البواطل وإذا انتصفنا قلنا فيه حقائق وبواطل وقد ذكرنا هذا في كتاب ما يستحسن من الإشارات الصوفية دون ما يعترض أو يقدح فيه وتكلمنا أيضا على اثني عشر مقاما من مقام التصوف في مواضعها من القرآن فتكلمنا على الشكر في أم القرآن لما بين الحمد والشكر من الاشتراك في المعنى وتكلمنا على التقوى في قوله تعالى في البقرة هدى للمتقين وعلى الذكر في قوله فيها فاذكروني أذكركم وعلى الصبر في قوله تعالى وبشر الصابرين وعلى التوحيد في قوله فيها وإلهكم إله واحد وعلى محبة الله في قوله فيها والذين آمنوا أشد حبا لله وعلى التوكل في قوله في آل عمران فإذا عزمت فتوكل على الله وعلى **المراقبة** في قوله في النساء إن الله كان عليكم **رقيبا** وعلى الخوف والرجاء في قوله في الأعراف وادعوه خوفا وطمعا وعلى التوبة في قوله في النور وتوبوا إلى الله جميعا وعلى الإخلاص في قوله في لم يكن وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وأما أصول الدين فيتعلق بالقرآن من طرفين أحدهما ما ورد في القرآن من إثبات العقائد وإقامة البراهين عليها والرد على أصناف الكفار والآخر أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن وكل طائفة منهم." (١)

"١٩ مهرب حجر له أربعة معان الحرام والعقل ومنازل ثمود وحجر الكعبة حمل بكسر الحاء ما على ظهر الدابة وغيرها ويستعار للذنوب وبالفتح ما في بطن المرأة وجمعه أحمال إحسان له ثلاث معان فعل الحسنات والإنعام على الناس **ومراقبة** الله تعالى المشار إليها في قوله صلى الله عليه وسلم الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه حق له أربعة معان الصدق والعدل في الحكم والشيء الثابت والأمر الواجب والحق اسم الله تعالى أي الواجب الوجود حاصب أي ريح شديدة سميت بذلك لأنها ترمى بالحصباء أي الحصا والحاصب أيضا الحجارة حلية حلي حرج ضيق أو مشقة حول له معنيان العام والحيلة وحولا بكسر الحاء انتقالا حرث الأرض مصدر ثم استعمل بمعنى الأرض والزرع والجنات حس بغير ألف قتل ومنه إذ تحسونهم وأحس من الحس حرم بضمتين محرمون بالحج حقب بضمتين وأحقاب جمع حقب وهو مدة من الدهر يقال إنه ثمانون سنة حف الشيء بالشيء أطاف به من جوانبه ومنه حففناهما بنخل والملائكة حافين حل

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١٣/١

بالمكان يحل بالضم والكسر وحل من إحرامه يحل بالكسر لا غير حطام فتات والحطام ما تحطم من عيون الزرع اليابس

حرف الخاء خلق له معنيان من الخلقة ومنه الخالق اسم الله وكذا الخلاق وخلق الرجل كذب ومنه تخلقون إفكا واختلاق أي كذب خلاق نصيب خير ضد الشر وله أربعة معان العمل الصالح والمال والخيرة والتفضيل بين شيئين خلا له معنيان من الخلوة وبمعنى ذهب ومنه أمة قد خلت خطيئة ذنب وجمعه خطايا وخطيات والفعل منه خطىء فهو خاطىء وأما الخطأ بغير عمد فالفعل منه أخطأ خاسئين مطرودين من قولك خسئت الكلب ومنه اخسؤا فيها خلف بفتح الخاء وإسكان اللام وله معنيان وراء ومن خلف خلفه بشر فإذا خلفه بخير قيل بفتح اللام خلاف له معنيان من المخالفة وبمعنى بعد أو دون ومنه بمقعدهم خلاف رسول الله خول أعطى خلة بضم الخاء." (١)

"فهديناهم والإرشاد قد يكون إلى الطريق إلى الدين وبمعنى التوفيق والإلهام هدى بفتح الهاء وإسكان الدال ما يهدى إلى الكعبة من الهائم هاد يهود أي تاب ومنه هدنا إليك والذين هادوا أي تهودوا أي صاروا يهودا وأصله من قولهم هدنا إليك هود له معنيان اسم نبي عاد عليه السلام وبمعنى اليهود ومنه كونوا هودا هوى النفس مقصور وهو ما تحبه وتميل إليه والفعل منه بكسر الواو في الماضي وفتحها في المضارع والهواء بالمد والهمز ما بين السماء والأرض وأفئدتهم هواء أي متحرقة لا تعي شيئا وهوى يهوي بالفتح في الماضي والكسر في المضارع وقع من علو ويقال أيضا بمعنى الميل ومنه أفئدة من الناس تهوي إليهم هاجر خرج من بلاده ومنه سمي المهاجرون هجر من الهجران ومنه الهجر أيضا وهو فحش الكلام وقد يقال في هذا اهجر بالألف أهل لغير الله به أي صيح والإهلال الصياح وفي النية أي أريد به غير الله مهيمن عليه شاهد وقيل مؤتمن والمهيمن اسم الله القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم وقيل الشهيد وقيل **الرقيب** (هوان هون) أي ذل مهين بضم الميم أي مفعل مشتق من الهوان أي مذل وأما مهين بفتح الميم فمعناه ضعيف أو ذليل

حرف الواو وقود النار بفتح الواو ما توقد به من الحطب وشبهه والوقود بالضم المصدر وجه له معنيان

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١/٣٥

الجارحة والجهة وأما وجه الله ففي قوله ابتغاء وجه الله أي طلب رضاه وفي قوله كل شيء هالك إلا وجهه ويبقى وجه ربك قيل الوجه الذات وقيل صفة كاليدين وهو من المتشابه وعد يعد ... ٢٩." (١)

"٣٦ يجعل له مخرجا) الآية وتيسير الأمور لقوله ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا وغفران الذنوب وإعظام الأجور لقوله ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا وتقبل الأعمال لقوله إنما يتقبل الله من المتقين والفلاح لقوله واتقوا الله لعلكم تفلحون والبشرى لقوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ودخول الجنة لقوله إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم والنجاة من النار لقوله ثم ننجي الذين اتقوا

الفصل الثاني البواعث على التقوى عشرة خوف العقاب الأخروي وخوف الدنيوي ورجاء الثواب الدنيوي ورجاء الثواب الأخروي وخوف الحساب والحياء من نظر الله وهو مقام **المراقبة** والشكر على نعمه بطاعته والعلم لقوله إنما يخشى الله من عباده العلماء وتعظيم جلال الله وهو مقام الهيبة وصدق المحبة لقول القائل (تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع) (لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع) ولله در القائل (قالت وقد سألت عن حال عاشقها لله صفه ولا تنقص ولا تزد) (فقلت لو كان يظن الموت من ظمإ وقلت قف عن ورود الماء لم يرد)

الفصل الثالث درجات التقوى خمس أن يتقي العبد الكفر وذلك مقام الإسلام وأن يتقي المعاصي والحرمات وهو مقام التوبة وأن يتقي الشبهات وهو مقام الورع وأن يتقي المباحات وهو مقام الزهد وأن يتقي حضور غير الله على قلبه وهو مقام المشاهدة الذين يؤمنون بالغيب فيه قولان يؤمنون بالأمور المغيبات كالآخرة وغيرها فالغيب على هذا بمعنى الغائب إما تسميه بالمصدر كعدل وإما تخفيفا في فعيل كميت والآخر يؤمنون في حال غيبهم أي باطنا وظاهرا وبالغيب على القول الأول يتعلق بيؤمنون وعلى الثاني في موضع الحال ويجوز في الذين أن يكون خفضا على النعت أو نصبا على إضمار فعل أو رفعا على أنه خبر مبتدأ ويقيمون الصلاة إقامتها علمها من قولك قامت السوق وشبه ذلك." (٢)

"التعظيم والإجلال لذي الجلال وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك فثمرتها ثلاث مقامات وهي الشكر وقوة الرجاء والمحبة فإن المحسن محبوب لا محالة وأما الحوقلة والحسبلة فثمرتهما التوكل على الله والتفويض إلى الله والثقة بالله وأما الأسماء التي

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٥٤/١

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٦٩/١

معناها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك فثمرتها **المراقبة** وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فثمرتها شدة المحبة فيه والمحافظة على اتباع سنته وأما الاستغفار فثمرته الاستقامة على التقوى والمحافظةعلى شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة ثم إن ثمرة الذكر التي تجمع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرد وهو قولنا الله الله فهذا هو الغاية وإليه المنتهى استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين أي بمعونته ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل اللہ أموات قيل إنها نزلت في الشهداء المقتولين في غزوة بدر وكانوا أربعة عشر رجلا لما قتلوا حزن عليهم أقاربهم فنزلت الآية مبينه لمنزلة الشهداء عند الله وتسلية لأقاربهم ولا يخصها نزولها ... ٦٥." (١)

"أو على المصدرية للأبرار جمع بار وبر ومعناه العاملون بالبر وهي غاية التقوى والعمل الصالح قال بعضهم الأبرار هم الذين لا يؤذون أحدا وإن من أهل الكتاب الآية قيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة فإنه كان نصرانيا فأسلم وقيل في عبد الله بن سلام ... ١٢٨

١٢٨ وغيره ممن أسلم من اليهود لا يشترون مدح لهم وفيه تعريض لذم غيرهم ممن اشترى بآيات الله ثمنا قليلا وصابروا أي صابروا عدوكم في القتال ورابطوا أقيموا في الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد وقيل هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله أي معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية والأول أظهر قال صلى الله عليه وسلم رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه وأما قوله في انتظار الصلاة فذلكم الرباط فهو تشبيه بالرباط في سبيل الله لعظم أجره والمرابط عند الفقهاء هو الذي يسكن الثغور فيرابط فيها وهي غير موطنه فأما سكانها دائما بأهلهم ومعايشهم فليسوا مرابطين ولكنهم حماة حكاه ابن عطية

سورة النساء

يا أيها الناس اتقوا ربكم خطاب على العموم وقد تكلمنا على التقوى في أول البقرة من نفس واحدة هو آدم عليه السلام زوجها هي حواء خلقت من ضلع آدم وبث نشر تساءلون به أي يقول بعضكم لبعض أسألك بالله أن تفعل كذا والأرحام بالنصب عطفا على اسم الله أي اتقوا الأرحام فلا تقطعوها أو على موضع الجار والمجرور وهو به لأن موضعه نصب وقريء بالخفض عطف على الضمير في به وهو ضعيف عند البصريين لأن الضمير المخفوض لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض إن الله كان عليكم **رقيبا** إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام **المراقبة** وهو مقام شريف أصله علم وحال ثم يثمر حالين أما العلم فهو معرفة

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١١٨/١

العبد لأن الله مطلع عليه ناظر إليه يرى جميع أعماله ويسمع جميع أقواله ويعلم كل ما يخطر على باله وأما الحال فهي ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه ولا يغفل." (١)

" ١٢٩ أول مرة بالمقام الأعلى رأى أن كثيرا من الناس قد يعجزون عنه فنزل عنه إلى المقام الآخر واعلم أن **المراقبة** لا تستقيم حتى تتقدم قبلها المشارطة والمرابطة وتتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة فأما المشارطة فهي اشتراط العبد على نفسه بالتزام الطاعة وترك المعاصي وأما المرابطة فهي معاهدة العبد لربه على ذلك ثم بعد المشارطة والمرابطة أول الأمر تكون **المراقبة** إلى آخره وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه فإن وجد نفسه قد أوفى بما عهد عليه الله حمد الله وإن وجد نفسه قد حل عقد المشارطة ونقص عهد المرابطة عاقب النفس عقابا بزجرها عن العودة إلى مثل ذلك ثم عاد إلى المشارطة والمرابطة وحافظ على **المراقبة** ثم اختبر بالمحاسبة فهكذا يكون حتى يلقى الله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم خطاب للأوصياء وقيل للعرب الذين لا يورثون الصغير مع الكبير أمروا أن يورثوهم وعلى القول بأن الخطاب للأوصياء فالمراد أن يأتوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون في حال صغرهم فيكون اليتيم على هذا حقيقة وقيل المراد دفع أموالهم إليهم إذا بلغوا فيكون اليتيم على هذا مجاز لأن اليتيم قد كبر ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب كان بعضهم يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله والدرهم الطيب بالزائف فنهوا عن ذلك وقيل المعنى لا تأكلوا أموالهم وهو الخبيث وتدعوا مالكم وهو الطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم المعنى نهى أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعة إلى أموالهم وقيل نهى عن خلط أموالهم بأموال اليتامى ثم أباح ذلك بقوله وإن تخالطوهم فإخوانكم وإنما تعدى الفعل بإلى لأنه تضمن معنى الجمع والضم وقيل بمعنى مع حوبا أي ذنبا فإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا الآية قالت عائشة نزلت في أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال أوليائهم فيريدون أن يتزوجوهن ويبخسوهن في الصداق مكان ولايتهم عليهم فقيل لهم أقسطوا في مهورهن فمن." (٢)

" ١٨٧ المذكورة إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر تقبيح للخمر والميسر وذكر لبعض عيوبها وتعليل لتحريمها وقد وقعت في زمان الصحابة عداوة بين أقوام بسبب شربهم لها قبل تحريمها ويقال إن ذلك كان سبب نزول الآية فهل أنتم منتهون توقيف يتضمن الزجر

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١/٢٢٩

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١/٢٣١

والوعيد ولذلك قال عمر لما نزلت انتهينا انتهينا ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا فيها تأويلان أحدهما أنه لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة كيف بمن مات منا وهو يشربها فنزلت الاية معلمة أنه لا جناح على من شربها قبل التحريم لأنه لم يعص الله بشربها حينئذ والآخر أن المعنى رفع الجناح عن المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرام منها وعلى هذا أخذها عمر رضي الله عنه حين قال لقدامة إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم عليك وكان قدامة قد شربها واحتج بهذه الآية على رفع الجناح عنه فقال عمر أخطأت التأويل إذا ما اتقوا وآمنوا الآية قيل كرر التقوى مبالغة وقيل الرتبة الأولى اتقاء الشرك والثانية اتقاء المعاصي والثالثة اتقاء ما لا بأس به حذرا مما به البأس وقيل الأولى للزمان الماضي والثانية للحال والثالثة للمستقبل وأحسنوا يحتمل أن يريد الإحسان إلى الناس أو الإحسان في طاعة الله وهو **المراقبة** وهذا ارجح لأنه درجة فوق التقوى ولذلك ذكره في المرة الثالثة وهي الغاية ولذلك قالت الصوفية المقامات ثلاثة مقام الإسلام ثم مقام الإيمان ثم مقام الإحسان ليبلوكم الله بشيء من الصيد أي يختبر طاعتكم من معصيتكم بما يظهر لكم من الصيد مع الإحرام وفي الحرم وكان الصيد من معاش العرب ومستعملا عندهم فاختبروا بتركه كما اختبر بنو إسرائيل بالحوت في السبت وإنما قلله في قوله بشيء من الصيد إشعارا بأنه ليس من الفتن العظيمة وإنما هو من الأمور التي يمكن الصبر عنها تناله أيديكم ورماحكم قال مجاهد الذي تناله." (١)

"ضمير المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم والأول أظهر حتى يأتي وعد الله هو فتح مكة وقيل قيام الساعة ولقد استهزئ الآية مقصدها تأنيس وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا حيث وقع فأمليت أي أمهلتهم أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت هو الله تعالى أي حفيظ **رقيب** على عمل كل أحد والخبر محذوف تقديره أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق أن يعبد أم غيره ويدل على ذلك قوله أم جعلوا لله شركاء قل سموهم أي اذكروا أسماءهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض المعنى أن الله لا يعلم ... ٣٣١." (٢)

"والبغي يعني الظلم ولا تنقضوا الأيمان هذا في الأيمان التي في الوفاء بها خير وأما ما كان تركه أولى فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير منه كما جاء في الحديث أو تكون الأيمان هنا ما يحلفه

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٣٢٨/١

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٤٦/٢

الإنسان في حق غيره أو معاهدة لغيره وقد جعلتم الله عليكم كفيلا أي **رقيبا** ومتكفلا بوفائكم بالعهد وقيل إن هذه الآية نزلت ... ٣٥٦

١٦١ في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل فيما كان بين العرب من حلف في الجاهلية ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها شبه الله من يحلف ولم يف بيمينه بالمرأة التي تغزل غزلا قويا ثم تنقضه وروى أنه كان بمكة امرأة حمقاء تسمى ربطة بنت سعد كانت تفعل ذلك وبها وقع التشبيه وقيل إنما شبه بامرأة غير معينة أنكاثا جمع نكث وهو ما ينكث أي ينقض وانتصابه على الحال تتخذون أيمانكم دخلا بينكم الدخل الدغل وهو قصد الخديعة أن تكون أمة هي أربى من أمة أن في موضع المفعول من أجله أي بسبب أن تكون أمة ومعنى أربى أكثر عددا أو أقوى ونزلت الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم تحالف الأخرى فإذا جاءها قبيلة أقوى منها غدرت بالأولى وحالفت الثانية وقيل الإشارة بالأربى هنا إلى كفار قريش إذ كانوا حينئذ أكثر من المسلمين إنما يبلوكم الله به الضمير للأمر بالوفاء أو لكون أمة هي أربى من أمة فإن بذلك يظهر من يحافظ على الوفاء أولا فتزل قدم بعد ثبوتها استعارة في الرجوع عن الخير إلى الشر وإنما أفرد القدم ونكرها لاستعظام الزلل في قدم واحدة فكيف في أقدام كثيرة وتذوقوا السوء يعني في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله يدل على أن الآية فيمن بايع النبي صلى الله عليه وسلم ولكم عذاب عظيم يعني في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الثمن القليل عرض الدنيا وهذا نهي لمن بايع النبي صلى الله عليه وسلم أن ينكث لأجل ضعف الإسلام حينئذ وقوة الكفار ورجاء الانتفاع في الدنيا إن رجع عن البيعة ." (١)

"٤٨ قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ومعنى من قبل على هذا من قبل وجودكم وهنا يتم الكلام على هذا القول ويكون قوله وفي هذا مستأنفا أي وفي هذا البلاغ والقول الأول أرجح وأقل تكلفا ويدل عليه قراءة أبي بن كعب الله سماكم المسلمين شهيدا عليكم تقدم معنى هذه الشهادة في البقرة فأقيموا الصلاة الظاهر أنها المكتوبة به لاقترانها مع الزكاة هو مولاكم معناه هنا وليكم وناصركم بدلالة ما بعد ذلك

سورة المؤمنون

الذين هم في صلاتهم خاشعون الخشوع حالة في القلب من الخوف **والمراقبة** والتذلل لعظمة المولى جل جلاله ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات والبكاء والتضرع وقد

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٨٣/٢

عد بعض الفقهاء الخشوع في فرائض الصلاة لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها وقد جاء في الحديث لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها والصواب أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب فقد يحضر القلب ولا يخشع عن اللغو معرضون اللغو هنا الساقط من الكلام كالسب واللهو والكلام بما لا يعني وعدد أنواع المنهي عنه من الكلام عشرون نوعا ومعنى الإعراض عنه عدم الاستماع إليه والدخول فيه ويحتمل أن يريد أنهم لا يتكلمون به ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضي ذلك من باب أولى وأحرى للزكاة فاعلون أي مؤدون فإن قيل لم قال فاعلون ولم يقل مؤدون فالجواب أن الزكاة لها معنيان أحدهما الفعل الذي يفعله المزكي أي أداء ما يجب على المال والآخر المقدار المخرج من المال كقولك هذه زكاة مالى والمراد هنا الفعل لقوله فاعلون ويصح المعنى الآخر على حذف تقديره هم لأداء الزكاة فاعلون على أزواجهم هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله غير ملومين أي لا يلامون على أزواجهم ويمكن أن يتعلق بقوله حافظون على أن يكون على بمعنى عن أو ما ملكت أيمانهم يعني النساء المملوكات قال الزمخشري إنما قال ما ملكت ولم يقل من لأن الإناث يجرين مجرى غير العقلاء." (١)

" ٦٦ من الحساب ومحبة الحبيب ومراقبة الرقيب القريب وتعظيم بالمقام وشكر الإنعام وأنكحوا الأيامى منكم الأيامى جمع أيم ومعناه الذين لا أزواج لهم رجالا كانوا أو نساء أبكارا أو ثيبات والخطاب هنا للأولياء والحكام أمرهم الله بتزويج الأيامى فاقتضى ذلك النهي عن عضلهن من التزويج وفي الآية دليل على عدم استقلال النساء بالإنكاح واشتراط الولاية فيه وهو مذهب مالك والشافعي خلافا لأبي حنيفة والصالحين من عبادكم وإمائكم يعني الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناثهم وقال الزمخشري الصالحين بمعنى الصلاح في الدين قال وإنما خصهم الله بالذكر ليحفظ عليهم صلاحهم والمخاطبون هنا ساداتهم ومذهب الشافعي أن السيد يجبر على تزويج عبيده على هذه الآية خلافا لمالك ومذهب مالك أن السيد يجبر عبده وأمته على النكاح خلافا للشافعي إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وعد الله بالغنى للفقراء الذين يتزوجون لطلب رضا الله ولذلك قال ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله أمر بالاستعفاف وهو الاجتهاد في طلب العفة من الحرام لمن لا يقدر على التزوج فقوله لا يجدون نكاحا معناه لا يجدون استطاعة على التزوج بأي وجه تعذر التزوج وقيل معناه لا يجدون صداقا للنكاح والمعنى الأول أعم والثاني أليق بقوله حتى يغنيهم الله من

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٢/٢٣٠

فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم الكتاب هنا مصدر بمعنى الكتابة وهي مقاطعة العبد على مال منجم فإذا أداه خرج حرا وإن عجز بقي رقيقا وقيل إن الآية نزلت بسبب حويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه وحكمها مع ذلك عام فأمر الله سادات العبيد أن يكاتبوهم إذا طلبوا الكتابة وهذا الأمر على الندب عند مالك والجمهور وقال الظاهرية وغيرهم هو على الوجوب وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنس بن مالك حين سأله مملوكه سيرين الكتابة فتلكأ." (١)

"٦٤ وقيل يعني خلق آدم وقيل خلق السموات والأرض والأول أظهر ومقصود الآية الاستدلال بالخلقة الأولى على البعث والهمزة للإنكار

بل هم في لبس من خلق جديد أي هم في شك من البعث وإنما نكر الخلق الجديد لأنه كان غير معروف عند الكفار المخاطبين وعرف الخلق الأول لأنه معروف معهود ولقد خلقنا الإنسان يعني جنس الإنسان ومعنى توسوس به نفسه تحدثه نفسه في فكرتها وذلك أخفى الأشياء وقيل يعني آدم ووسوسته عند أكله من الشجرة والأول أظهر وأشهر ونحن أقرب إليه من حبل الوريد هو عرق كبير في العنق وهما وريدان عن يمين وشمال وهذا مثل في فرط القرب والمراد به قرب علم الله واطلاعه على عبده وإضافة الحبل إلى الوريد كقولك مسجد الجامع أو يراد بالحبل العاتق إذ يتلقى المتلقيان يعني الملكين الحافظين الكاتبين للأعمال والتلقي هو تلقى الكلام بحفظه وكتابته والعامل في إذ نحن أقرب وقيل مضمر تقديره اذكر واختاره ابن عطية عن اليمين وعن الشمال قعيد أي قاعد وقيل مقاعد بمعنى مجالس ورده ابن عطية بأن المقاعد إنما يكون مع قعود الإنسان والقاعد يكون على جميع هيئة الإنسان وإنما أفرده وهما أثنان لأن التقدير عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه وقال الفراء لفظ قعيد يدل على الاثنين والجماعة فلا يحتاج إلى حذف ما يلفظ من قول إلا لديه **رقيب** عتيد العتيد الحاضر وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن مقعد الملكين على الشفتين قلمهما اللسان ومدادهما الريق وعموم الآية يقتضي أن الملكين يكتبان جميع أعمال العبد ولذلك قال الحسن وقتادة يكتبان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك وقال عكرمة إنما تكتب الحسنات

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٢/٢٦٠

والسيئات لاغير وجاءت سكرة الموت بالحق أي بلقاء الله أو فراق الدنيا وفي مصحف عبدالله ابن مسعود وجاءت سكرة الحق بالموت وكذلك قرأها أبو بكر الصديق." (١)

"٨٦ هل الجنتان لكل خائف على انفراده أو للصنف الخائف وذلك مبني على قوله لمن خاف مقام ربه هل يراد به واحد أو جماعة وقال الزمخشري إنما قال جنتان لأنه خاطب الثقلين فكأنه قال جنة للإنس وجنة للجن ذواتا أفنان ثنى ذات هنا على الأصل لأن أصله ذوات قاله ابن عطية والأفنان جمع فنن وهو الغصن أو جمع فن وهو الصنف من الفواكه وغيرها من كل فاكهة زوجان أي نوعان وجنا الجنتين دان الجنا هو ما يجتنى من الثمار ودان قريب وروى أن الإنسان يجتني الفاكهة في الجنة على أي حال كان من قيام أو قعود أو اضطجاع لأنها تتدلى له إذا أرادها وفي قوله جنا الجنتين ضرب من ضروب التجنيس قاصرات الطرف ذكر في الصافات

لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان المعنى أنهن أبكار ولم يطمثهن معناه لم يفتضهن وقبل الطمث الجماع سواء كان لبكر أو غيرها ونفى أن يطمثهن إنس أو جان مبالغة وقصدا للعموم فكأنه قال لم يطمثهن شئ وقيل أراد لم يطمث نساء الإنس إنس ولم يطمث نساء الجن جن وهذا القول بأن الجن يدخلون الجنة ويتلذذون فيها بما يتلذذ البشر كأنهن الياقوت والمرجان شبه النساء بالياقوت والمرجان في الحمرة والجمال وقد ذكرنا المرجان في أول السورة هل جزاء الإحسان إلا الإحسان المعنى أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن الله إليه بالجنة ويحتمل أن يكون الإحسان هنا هو الذي سأل عنه جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وذلك هو مقام **المراقبة** والمشاهدة فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين ويقوى هذا أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العلى وجعل جنتين دونها لمن كان دون ذلك فالجنتان االمذكورتان أولا للسابقين والجنتان المذكورتين ثانيا بعد ذلك لأصحاب اليمين حسبما ورد في الواقعة وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما فقال هنا عينان تجريان وقال." (٢)

" ١١١ الوقوع عليها فحملت فخاف الفضيحة فزين له الشيطان قتلها فلما وجدت مقتولة تبين ما فعل فتعرض له الشيطان قال له اسجد لي أنجيك فسجد له فتركه الشيطان وقال له إني برئ منك وهذا

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٧٦/٣

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١١٥/٣

ضعيف في النقل والأول أرجح فكان عاقبتهما أنهما في النار الضميران يعودان على الشيطان والإنسان وفي ذلك تمثيل للمنافقين واليهود ولتنظر نفس ما قدمت لغد هذا أمر بأن تنظر كل نفس ما قدمت من أعمالها ليوم القيامة ومعنى ذلك محاسبة النفس لتكف عن السيئات وتزيد من الحسنات وإنما عبر عن يوم القيامة بغد تقريبا له لأن كل ما هو آت قريب فإن قيل لم كرر الأمر بالتقوى فالجواب من وجهين أحدهما أنه تأكيد والآخر وهو الأحسن أنه أمرا ولا بالتقوى استعدادا ليوم القيامة ثم أمر به ثانيا لأن الله خبير بما يعملون فلما اختلف الموجبات كرره مع كل واحد منهما ولا تكونوا كالذين نسوا الله يعني الكفار والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الغفلة أي نسوا حق الله فأنساهم حقوق أنفسهم والنظر لها لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية توبيخ لابن آدم على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدع لو سمع القرآن فما ظنك بابن آدم عالم الغيب والشهادة أي يعلم ما غاب عن المخلوقين وما شاهدوه وقيل الغيب الآخرة والشهادة الدنيا والعموم أحسن القدوس مشتق من التقديس وهو التنزه عن صفات المخلوقين وعن كل نقص وعيب وصيغة فعول للمبالغة كالسبوح السلام في معناه قولان أحدهما الذي سلم عباده من الجور والآخر السليم من النقائص وأصله مصدر بمعنى السلامة وصف به مبالغة أو على حذف مضاف تقديره ذو السلام المؤمن فيه قولان أحدهما أنه من الأمن أي الذي أمن عباده والآخر أنه من الإيمان أي المصدق لعباده في إيمانهم أو في شهادتهم على الناس يوم القيامة أو المصدق نفسه في أقواله المهيمن في معناه ثلاثة أقوال **الرقيب** والشاهد والأمين." (١)

"١٥٨ قياس فاتخذه وكيلا الوكيل هو القائم بالأمور والذي توكل إليه الأشياء فهو أمر بالتوكل على الله واصبر على ما يقولون أي على ما يقول الكفار والآية منسوخة بالسيف وقيل إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله اهجرهم هجرا جميلا وأما الصبر فمأمور به في كل وقت وذرني والمكذبين هذا تهديد لهم وانتصب االمكذبين على أنه مفعول معه أو معطوف أولى النعمة أي التنعم في الدنيا وروى أن الآية نزلت في بني المغيرة وهم قوم من قريش كانوا متنعمين في الدنيا أنكالا جمع نكل وهو القيد من الحديد وروى أنها قيود سود من نار وطعاما ذا غصة شجرة الزقوم ومعنى ذاغصة أي يغص به آكلوه وقيل هو شوك يعترض في حلوقهم لا ينزل ولا يخرج وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق يوم ترجف الأرض أي تهتز وتتزلزل والعامل في يوم معنى الكلام المتقدم وهو إن لدينا أنكالا وكانت الجبال

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٣/١٦١

كثيبا مهيلا الكثيب كدس الرمل والمهيل اللين الرخو الذي تهيله الريح أي تنشره وزنه مفعول والمعنى أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكثيب إنا أرسلنا إليكم رسولا خطاب لجميع الناس لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة وقال الزمخشري هو خطاب لأهل مكة وشهيدا عليكم أي يشهد على أعمالكم من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية وإنما يشهد على من أدركه لقوله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخي عيسى وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا يعني موسى عليه السلام وهو المراد بقوله فعصى فرعون الرسول فاللام للعهد أخذا وبيلا أي عظيما شديدا يوما مفعول به وناصبه تتقون أي كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم وقيل هو مفعول به على أن يكون كفرتم بمعنى جحدتم وقيل هو ظرف أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره." (١)

"ويجوز أن يكون منصوبا على الذم أو خبر ابتداء مضمر

فصب عليهم ربك سوط عذاب استعارة السوط للعذاب لأنه يقتضي من التكرار مالا يقتضيه السيف وغيره قاله ابن عطية وقال الزمخشري ذكر السوط إشارة إلى عذاب الدنيا إذ هو أهون من عذاب الآخرة كما أن السوط أهون من القتل إن ربك لبالمرصاد عبارة عن أنه تعالى حاضر بعلمه في كل مكان وكل زمان **ورقيب** على كل إنسان وأنه لا يفوته أحد من الجبابرة والكفار وفي ذلك تهديد لكفار قريش وغيرهم والمرصاد المكان الذي يترقب فيه االرصد فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه الابتلاء هو الاختبار واختبار الله لعبده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه وقد كان الله عالما بذلك قبل كونه والإنسان هنا جنس وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة وهي مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة وذكر الله في هذه الآية ابتلاءه للإنسان بالخير ثم ذكر بعده ابتلاءه بالشر كما قال في ونبلوكم بالشر والخير وأنكر عليه قوله حين الخير ربي أكرمن وقوله حين الشر ... ٧٩١." (٢)

"وأما قوله : من قال : لفظي عين كلام الله، فقد انسلخ عن ربقة العقل، وغرق في بحر العماية والجهل . فيقال : قول القائل : لفظي عين كلام الله، كلام مجمل؛ فإن [اللفظ] في الأصل مصدر لفظ يلفظ لفظا، كما أن [التلاوة، والقراءة] في الأصل مصدر تلا يتلو، وقرأ يقرأ، ويعبر باللفظ والتلاوة، والقراءة

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٣/٢٤٦

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٣/٣٢٠

عن نفس الكلام الملفوظ به، المتلو المقروء .

فإن الناس إذا قالوا : اللفظ يدل على المعنى، لم يريدوا باللفظ المصدر، بل يريدون به الملفوظ به، وإذا قالوا لمن سمعوه يتكلم : هذه ألفاظ حسنة، أرادوا به ما يلفظه، كما قال تعالى : { ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد } [ق : ١٨] يراد باللفظ نفس الفعل، وقد يراد به نفس القول الذي لفظه اللافظ .

وهذا ك [القرآن] قد يراد به المصدر، وقد يراد به الكلام المقروء، وقال تعالى : { إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه } [القيامة : ١٧، ١٨] والقرآن هنا مصدر، كما في الآية عن ابن عباس، قال : علينا أن نجمعه في صدرك، ثم أن تقرأه بلسانك، فإذا قرأه جبريل فاستمع لقراءته، ثم إن علينا أن نبينه .

وقد يراد ب [القرآن] نفس الكلام المقروء، كما قال : { وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون } [الأعراف : ٢٠٤] ، وقوله : { إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم } [الإسراء : ٩] ، وقال تعالى : { لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله } [الحشر : ٢١] ، وقال تعالى : { قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله } [الإسراء : ٨٨] ونظائره كثيرة .

". (١)

"ثم هؤلاء منهم من ينكر تكلم الله بالصوت . ومنهم من يقر بذلك، بل منهم من يقول : إن الصوت المسموع هو الصوت القديم، وينكرون مع ذلك على من يقول : لفظي بالقرآن غير مخلوق، لظنهم أن الكراهة / في ذلك لما فيه من الطرح والرمي، وليس الأمر على ما ظنوه؛ فإن الإمام أحمد وغيره من الأئمة لم ينكروا قول القائل : لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق لكون اللفظ الطرح؛ فإنه لو كان كذلك لما أنكروا إلا مجرد ما يتصرف من حروف لفظ يلفظ، وليس كذلك، بل أنكروا على من قال : التلاوة والقراءة مخلوقة، وعلى من قال : تلاوتي وقراءتي غير مخلوقة، مع جواز قول المسلمين : قرأت القرآن وتلوته .

وأيضا، فإنه يجوز أن يقال : لفظت الكلام وتلفظت به، كما قال تعالى : { ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد } [ق : ١٨] ، ولكن الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة قالوا : من قال : لفظي بالقرآن وتلاوتي أو قراءتي مخلوقة فهو جهمي . ومن قال : إنه غير مخلوق فهو مبتدع؛ لأن [اللفظ] و [التلاوة] و [القراءة] يراد به مصدر لفظ يلفظ لفظا، ومصدر قرأ يقرأ قراءة، وتلا يتلو تلاوة، ومسمى المصدر هو

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ١٦٨/١

فعل العبد وحركاته، ليس هو بقديم باتفاق سلف الأمة وأئمتها، حتى القدرية القائلون بأن أفعال العباد غير مخلوقة . يقولون : إن ذلك ليس بقديم . ويقولون : إنه مخلوق لله .

والسلف والأئمة ـ كحماد بن زيد، والمعتمر بن سليمان، ويحيى بن سعيد القطان، وأحمد بن حنبل وغيرهم ـ أنكروا على من قال : إن / أقوال العباد وأفعالهم غير مخلوقة، وقال يحيى بن سعيد : ما زلت أسمع أصحابنا يقولون : إن أفعال العباد مخلوقة، وقال بعض هؤلاء : من قال : إن هذا غير مخلوق، فهو بمنزلة من قال : إن سماء الله وأرضه غير مخلوقة .

". (١)

"ولهذا اختلف الناس في هذه المسألة، فطائفة من المتكلمين من أصحابنا وغيرهم ـ كالقاضي وابن عقيل [هو أبو الوفاء على بن عقيل البغدادى، عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد فى وقته، اشتغل بمذهب المعتزلة فى حداثته، وقال عنه ابن حجر : نعم كان معتزليا، ثم أشهد على نفسه أنه تاب عن ذلك وصحت توبته، له تصانيف كثيرة، منها ـ كتاب الفنون ـ الذى يزيد على أربعمائة مجلد، توفى سنة ٣١٥هـ] وابن الزاغونى [هو أبو الحسن على بن عبيد الله بن نصر بن الزاغونى، مؤرخ فقيه، من أعيان الحنابلة، له تصانيف كثيرة فى الفقه والأصول والحديث، منها : الإقناع والواضح وغيرهما . ولد سنة ٤٥٥ هـ، وتوفى سنة ٥٢٧ هـ] يقولون بقياس الغائب على الشاهد، ويريدون بالغائب الله، ويقولون : قياس الغائب على الشاهد ثابت بالحد والعلة والدليل والشرط . كما يقولون فى مسائل الصفات في إثبات العلم والخبرة والإرادة وغير ذلك . وأنكر ذلك عليهم طائفة منهم الشيخ أبو محمد فى رسالته إلى أهل رأس العين، وقال : لا يسمى الله غائبا،واستدل بما ذكر .

وفصل الخطاب بين الطائفتين : أن اسم (الغيب والغائب) من الأمور الإضافية يراد به ما غاب عنا فلم ندركه،ويراد به ما غاب عنا فلم يدركنا؛وذلك لأن الواحد منا إذا غاب عن الآخر مغيبا مطلقا لم يدرك هذا هذا ولا هذا هذا، والله ـ سبحانه ـ شهيد على العباد، رقيب عليهم، مهيمن عليهم، لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء، فليس هو غائبا، وإنما لما لم يره العباد كان غيبا؛ولهذا يدخل فى الغيب الذى يؤمن به وليس هو بغائب؛ فإن (الغائب) اسم فاعل من قولك : غاب يغيب فهو غائب والله شاهد غير غائب، وأما (الغيب) فهو مصدر غاب يغيب غيبا، وكثيرا ما يوضع المصدر موضع الفاعل كالعدل والصوم

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ١/١٧٧

والزور، وموضع المفعول كالخلق والرزق ودرهم ضرب الأمير .
". (١)

"/ سورة الرعد

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله :

فصل

في قوله تعالى : { وجعلوا لله شركاء قل سموهم } [الرعد : ٣٣] ، قيل : المراد سموهم بأسماء حقيقة لها معان تستحق بها الشرك له والعبادة، فإن لم تقدروا بطل ما تدعونه .

وقيل : إذا سميتموها آلهة فسموها باسم الإله، كالخالق والرازق، فإذا كانت هذه كاذبة عليها فكذلك اسم الآلهة، وقد حام حول معناها كثير من المفسرين، فما شفوا عليلا ولا أرووا غليلا، وإن كان ما قالوه صحيحا .

فتأمل ما قبل الآية وما بعدها يطلعك على حقيقة المعني، فإنه ـ سبحانه ـ يقول : { أفمن هو قآئم على كل نفس بما كسبت } [الرعد : ٣٣] ،وهذا استفهام / تقرير يتضمن إقامة الحجة عليهم،ونفي كل معبود مع الله،الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت بعلمه، وقدرته، وجزائه في الدنيا والآخرة . فهو رقيب عليها، حافظ لأعمالها،مجاز لها بما كسبت من خير وشر .

فإذا جعلتم أولئك شركاء فسموهم إذا بالأسماء التي يسمي بها القائم على كل نفس بما كسبت، فإنه ـ سبحانه ـ يسمي بالحي القيوم، المحيي المميت، السميع البصير، الغني عما سواه، وكل شيء فقير إليه، ووجود كل شيء به . فهل تستحق آلهتكم اسما من تلك الأسماء ؟ فإن كانت آلهة حقا فسموها باسم من هذه الأسماء، وذلك بهت بين؛ فإذا انتفي عنها ذلك علم بطلانها كما علم بطلان مسماها .

وأما إن سموها بأسمائها الصادقة عليها كالحجارة، وغيرها من مسمي الجمادات، وأسماء الحيوان التي عبدوها من دون الله، كالبقر وغيرها، وبأسماء الشياطين الذين أشركوهم مع الله ـ جل وعلا ـ وبأسماء الكواكب المسخرات تحت أوامر الرب، والأسماء الشاملة لجميعها أسماء المخلوقات المحتاجات، المدبرات، المقهورات .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢/٣٩٥

وكذلك بنو آدم عبادة بعضهم بعضا، فهذه أسماؤها الحق، وهي تبطل إلهيتها؛ لأن الأسماء من لوازم الإلهية مستحيلة عليها، فظهر أن تسميتها آلهة من أكبر الأدلة على بطلان إلهيتها، وامتناع كونها شركاء لله ـ عز وجل ..'' (١)

''قال شيخ الإسلام : وأما النور والعلم والحكمة،فقد دل عليه قوله ـ تعالى ـ في قصة يوسف : { ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين } [يوسف : ٢٢] ، فهى لكل محسن . وفى هذه السورة ذكر آية النور بعد غض البصر وحفظ الفرج، وأمره بالتوبة مما لا بد منه أن يدرك ابن آدم من ذلك . وقال أبو عبد الرحمن السلمى [هو أبو عبد الرحمن بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدى السلمى النيسابورى، من علماء المتصوفة . إمام حافظ محدث شيخ خراسان، بلغت تصانيفه مائة أو أكثر، منها : [حقائق التفسير] و [طبقات الصوفية] وغيرها، ولد سنة ٣٢٥هـ، ومات فى شهر شعبان سنة ٤١٢ هـ، وكانت جنازته مشهودة] سمعت أبا الحسين الوراق يقول : من غض بصره عن محرم أورثه الله بذلك حكمة على لسانه يهتدى بها، ويهدى بها إلى طريق مرضاته؛ وهذا لأن الجزاء من جنس العمل؛ فإذا كان النظر إلى محبوب فتركه لله عوضه الله م هو أحب إليه منه، وإذا كان النظر بنور العين مكروها أو إلى مكروه فتركه لله، أعطاه الله نورا فى قلبه وبصرا يبصر به الحق . قال شاه الكرمانى : من غض بصره عن المحارم، وعمر باطنه بدوام **المراقبة**، وظاهره باتباع السنة، وعود نفسه أكل الحلال، وكف نفسه عن الشهوات، لم تخطئ له فراسة . وإذا صلح علم الرجل فعرف الحق وعمله واتبع الحق، صار زكيا تقيا مستوجبا للجنة .

''. (٢)

''وقد قال تعالى : { ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون } [آل عمران : ٨٠] ، فإذا كان من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا مع اعترافهم بأنهم مخلوقون لله كفارا، فكيف بمن اتخذ بعض المخلوقات أربابا ؟ مع أن الله فيها، أو متحد بها، فوجوده وجودها، ونحو ذلك من المقالات .

/ وأما الفائدة الثانية فى غض البصر : فهو نور القلب والفراسة، قال تعالى عن قوم لوط : { لعمرك إنهم

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٧٧/٣

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤٨/٤

لفي سكرتهم يعمهون } [الحجر : ٧٢] ، فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل، وعمى البصيرة، وسكر القلب ، بل جنونه، كما قيل :

سكران سكر هوى وسكر مدامة

فمتى يفيق من به سكران

وقيل - أيضا- :

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم

العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه

وإنما يصرع المجنون فى الحين

وذكر الله ـ سبحانه ـ آية النور عقيب آيات غض البصر، فقال : { الله نور السماوات والأرض } [النور : ٣٥] ، وكان شجاع بن شاه الكرمانى لا تخطئ له فراسة، وكان يقول : من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام / **المراقبة**، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، وذكر خصلة سادسة أظنه هو أكل الحلال : لم تخطئ له فراسة . والله ـ تعالى ـ يجزى العبد على عمله بما هو من جنس عمله، فيطلق نور بصيرته، ويفتح عليه باب العلم والمعرفة والكشوف، ونحو ذلك مما ينال ببصيرة القلب .

". (١)

"فالسلف كلهم متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة . ومن أسماء الله [المهيمن] ، ويسمى الحاكم على الناس القائم بأمورهم [المهيمن] . قال المبرد والجوهري وغيرهما : المهيمن في اللغة : المؤتمن . وقال الخليل : **الرقيب** الحافظ . وقال الخطابي المهيمن : /الشهيد . قال : وقال بعض أهل اللغة : الهيمنة : القيام على الشيء والرعاية له، وأنشد :

ألا إن خير الناس بعد نبيهم ** مهيمنه التإليه في العرف والنكر

يريد القائم على الناس بالرعاية لهم . وفي مهيمن قولان : قيل : أصله مؤيمن والهاء مبدلة من الهمزة، وقيل : بل الهاء أصلية .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٧٣/٤

وهكذا القرآن، فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بيانا وتفصيلا، وبين الأدلة والبراهين على ذلك، وقرر نبوة الأنبياء كلهم، ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين، وبين عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبين ما حرف منها وبدل، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضا ما كتموه مما أمر الله ببيانه، وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب ما حرف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله، ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات حاكم في الأمريات . (١) ".

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ١ ، ص : ٩١

و في الحديث «١» : «أمسك رجل آخر حتى قتل ، فقال عليه السلام :

اقتلوا القاتل واصبروا الصابر» «٢».

٤٥ وإنها لكبيرة : أي : الاستعانة «٣» ، أو كل واحد منهما «٤».

إلا على الخاشعين : لأنهم تعودوها وعرفوا فضلها.

٤٦ يظنون أنهم ملاقوا ربهم : أي ملاقوه بذنوبهم وتقصيرهم «٥» ، أو ملاقوه في كل حين/ مراقبة للموت ، أو ملاقوا ثوابه ، وينبغي أن يكون على [٦/ ب] الظن [و الطمع] «٦» كقول إبراهيم عليه السلام : والذي أطمع أن يغفر لي «٧».

---

(١) الحديث في غريب أبي عبيد : ١/ ٢٥٤ يرويه أبو عبيد عن ابن المبارك عن معمر عن إسماعيل بن أمية مرفوعا ، رجال إسناده ثقات إلا أنه مرسل لأن إسماعيل تابعي رفعه ، وأخرجه البيهقي في السنن : ٨/ ٥١ ، كتاب الجنايات ، باب «الرجل يحبس الرجل للآخر فيقتله» عن إسماعيل بن أمية مرفوعا.

وهو في الاشتقاق لابن دريد : ١٢٦ ، والفائق : ٢/ ٢٧٦ ، وغريب الحديث لابن الجوزي : ١/ ٥٧٨ ، والنهاية : ٣/ ٨.

(٢) قال أبو عبيد في غريب الحديث : ١/ ٢٥٥ : «قوله : اصبروا الصابر يعني احبسوا الذي حبسه للموت

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٥/٥٩

حتى يموت ومنه قيل للرجل الذي يقدم فيضرب عنقه : قتل صبرا ، يعني أنه أمسك على الموت ، وكذلك لو حبس رجل نفسه على شيء يريده قال : صبرت نفسي ...». [.....]

(٣) عن الحسين بن الفضل في تفسير البغوي : ١/ ٦٩ ، وعن محمد بن القاسم النحوي في زاد المسير : ١/ ٧٦ وجاء بعده في نسخة «ك» : «... المدلول عليها باستعينوا بالصبر وإنها لكبيرة ، وبالصلاة وإنها لكبيرة فحذف اختصارا. وقيل : رد الكناية إلى الصلاة لأنها أعم.

وقيل : رد الكناية إلى القصة لأنها أعم. وقيل : رد الكناية إلى الصلاة لأن الصبر داخل في (الصلاة) كما قال الله تعالى : والله ورسوله أحق أن يرضوه ولم يقل (يرضوهما) لأن رضا الرسول داخل في رضى الله تعالى ، وقوله : وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها لأن التجارة أعم لكونها من ضرورات البقاء».

ينظر معنى هذا النص في تفسير البغوي : (١/ ٦٨ ، ٦٩).

(٤) تفسير الماوردي : ١/ ١٠٣.

(٥) تفسير الماوردي : ١/ ١٠٣.

(٦) في الأصل : «و الطبع» ، والمثبت في النص من «ك».

(٧) سورة الشعراء : آية : ٨٢.." (١)

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ١ ، ص : ٢٢٢

ومن سورة النساء

١ تسائلون به : تطلبون حقوقكم به «١».

والأرحام : أي : واتقوا الأرحام أن تقطعوها «٢» ، أو هو عطف على موضع به من «التساؤل» فما زالوا يقولون : أسألك بالله وبالرحم «٣».

وكسر الأرحام ضعيف «٤» إذ لا يعطف على الضمير المجرور لضعفه ، ولهذا ليس للمجرور ضمير منفصل.

رقيبا : حفيظا «٥» ، وقيل «٦» : عليما.

والحفيظ بإحصاء الأعمال ، والعالم بها كلاهما رقيب عليها.

٢ ولا تتبدلوا الخبيث : مال اليتيم بالطيب من مالكم.

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ١/٩١

٣ وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب : أي : أدرك

---

(١) نص هذا القول في معاني القرآن للزجاج : ٢/ ٦.

(٢) معاني القرآن للفراء : ١/ ٢٥٢ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ١١٨ ، وأخرج الطبري هذا القول في تفسيره : (٧/ ٥٢٠ - ٥٢٢) عن ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، والسدي ، والربيع بن أنس ، وابن زيد.

ونقله النحاس في معاني القرآن : ٢/ ٨ عن عكرمة. [.....]

(٣) تفسير الطبري : ٧/ ٥١٨ ، ومعاني القرآن للنحاس : ٢/ ٨.

(٤) كسر «الأرحام» لحمزة ، وهو من القراء السبعة ، ولا يضعف أي من القراءات السبع لأنها جميعا متواترة ثابتة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١/ ١١٣. وأخرج الطبري هذا القول في تفسيره : ٧/ ٥٢٣ عن مجاهد.

ونقله ابن الجوزي في زاد المسير : ٢/ ٣ عن ابن عباس ، ومجاهد.

(٦) نقله الماوردي في تفسيره : ١/ ٣٥٩ عن ابن زيد.

وأخرج الطبري في تفسيره : ٧/ ٥٢٣ عن ابن زيد في قوله : إن الله كان عليكم رقيبا على أعمالكم ، يعلمها ويعرفها.." (١)

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٧٥٨

١٠ باسقات : طوال «١».

نضيد : منضود متراكب «٢».

١١ كذلك الخروج : أي : من القبور «٣» ، أو من بطون الأمهات «٤».

١٥ أفعيينا : عجزنا عن إهلاك الخلق الأول ، ألف تقرير»

، لأنهم اعترفوا بأنه الخالق وأنكروا البعث.

عيي بالأمر : لم يعرف وجهه ، وأعيى : تعب «٦».

١٦ حبل الوريد : حبل العاتق «٧» ، وهو الوتين ينشأ من القلب فينبث في البدن.

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ١/٢٢٢

١٧ المتلقيان : ملكان يتلقيان عمل العبد وهما الكاتبان.

قعيد : رصد «٨».

١٨ رقيب : خبر واحد عن اثنين كأنه عن اليمين قعيد ، وعن الشمال

---

(١) معاني القرآن للفراء : ٣/ ٧٦ ، وتفسير الطبري : ٢٦/ ١٥٢ ، والمفردات : ٤٦. [.....]

(٢) ينظر معاني الفراء : ٣/ ٧٦ ، ومجاز القرآن : ٢/ ٢٢٣ ، وتفسير غريب القرآن : ٤١٨.

(٣) هذا قول جمهور العلماء كما في تفسير الطبري : ٢٦/ ١٥٤ ، وتفسير البغوي : ٤/ ٢٢١ ، وزاد المسير : ٨/ ٨ ، وتفسير الفخر الرازي : ٢٨/ ١٦٠ ، وتفسير القرطبي : ١٧/ ٧.

(٤) لم أقف على هذا القول.

(٥) ذكره النحاس في إعراب القرآن : ٤/ ٢٢٣ وقال : «و هكذا الاستفهام الذي فيه معنى التقرير والتوبيخ يدخله معنى النفي ، أي : لم يعي بالخلق الأول».

وانظر معاني القرآن للزجاج : ٥/ ٤٣ ، والمفردات للراغب : ٣٥٦ ، وتفسير البغوي : ٤/ ٢٢٢.

(٦) معاني القرآن للزجاج : ٥/ ٤٣ ، واللسان : ١٥/ ١١٣ (عيا).

(٧) قال الطبري في تفسيره : ٢٦/ ١٥٧ : «و الحبل هو الوريد ، فأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظ اسمه».

وقال القرطبي في تفسيره : ١٧/ ٩ : «و هذا تمثيل للقرب ، أي : نحن أقرب إليه من حبل وريده الذي هو منه وليس على وجه قرب المسافة».

(٨) ينظر تفسير الطبري : ٢٦/ ١٥٨ ، وتفسير الماوردي : ٤/ ٨٥ ، والمفردات : ٤٠٩.." [(١)]

"محيص لهم عن الرجوع إلى الخوف في أحوال كثيرة والطمع في أحوال أكثر. وأعظم دليل على ما قلنا أن الله تعالى مدح في كتابه المتقين في مواضع جمة ودعا إلى التقوى، وهل التقوى إلا كاسمهما بمعنى الخوف والاتقاء من غضب الله قال تعالى {ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا} [الاسراء: ٥٧] والمرتبة الثالثة هي التي أشار لها قوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له كيف تجهد نفسك

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٧٥٨/٢

في العبادة وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا لأن من الظاهر أن الشكر هنا على نعمة قد حصلت فليس فيه حظ للنفس بالطمع في المزيد لأن الغفران العام قد حصل له فصار الشكر لأجل المشكور لا غير وتمحض أنه لا لخوف ولا طمع١.

واعلم أن من أهم المباحث البحث عن سر العبادة وتأثيرها وسر مشروعيتها لنا وذلك أن الله تعالى خلق هذا العالم ليكون مظهرا لكمال صفاته تعالى: الوجود، والعلم، والقدرة. وجعل قبول الإنسان للكمالات التي بمقياسها يعلم نسبة مبلغ علمه وقدرته من علم الله تعالى وقدرته، وأودع فيه الروح والعقل اللذين بهما يزداد التدرج في الكمال ليكون غير قانع بما بلغه من المراتب في أوج الكمال والمعرفة، وأرشده وهداه إلى ما يستعين به على مرامه ليحصل له بالارتقاء العاجل رقي آجل لا يضمحل، وجعل استعداده لقبول الخيرات كلها عاجلها وآجلها متوقفا على التلقين من السفرة الموحى إليهم بأصول الفضائل. ولما توقف ذلك على **مراقبة** النفس في نفراتها وشرداتها وكانت تلك **المراقبة** تحتاج إلى تذكر المجازي بالخير وضده، شرعت العبادة لتذكر ذلك المجازي لأن عدم حضور ذاته واحتجابه بسبحات الجلال يسرب نسيانه إلى النفوس، كما أنه جعل نظامه في هذا العالم متصل الارتباط بين أفراده فأمرهم بلزوم آداب المعاشرة والمعاملة لئلا يفسد النظام، **ولمراقبة** الدوام على ذلك أيضا شرعت العبادة لتذكر به، على أن في ذلك التذكر دوام الفكر في الخالق وشؤونه وفي ذلك تخلق بالكمالات تدريجا فظهر أن العبادة هي

ـ

١ كأنهم اصطلحوا على أن العبودية أبلغ من العبادة لما فيها من النسب لأن الأوصاف التي تلحقها ياء النسب يقصد منها المبالغة في الوصفية وذلك للجمع بين طريقي توصيف فإن صيغة الوصف تفيد التوصيف وصيغة النسب كذلك ولهذا كان قولهم أسحمي أبلغ من أسحم، ولحياني أبلغ من لحيان فالعبودية مصدر من هذا النوع. واعلم أن كون الشكر يشتمل على حظ للمشكور قد تقرر في بحث {الحمد} إذ بينا أن الحمد والشكر تزين للعرض المحمود والمشكور لقول النابغة:

شكرت لك النعمى

البيت.." (١)

(١) التحرير والتنوير، ١٧٩/١

"ذلك خطاب لهم باللفظ المعروف عندهم في كتبهم فإن التوراة المنزلة على موسى عليه السلام تلقب عندهم بالعهد لأنها وصايات الله تعالى لهم ولذا عبر عنه في مواضع من القرآن بالميثاق وهذا من طرق الإعجاز العلمي الذي لا يعرفه إلا علماؤهم وهم أشح به منهم في كل شيء بحيث لا يعرف ذلك إلا خاصة أهل الدين فمجيئه على لسان النبي العربي الأمي دليل على أنه وحي من العلام بالغيوب. والعهد قد أخذ على أسلافهم بواسطة رسلهم وأنبيائهم قال تعالى: {وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه} [آل عمران: ٨١] الآية وإذ قد كان المخاطبون بالآية قد تلقوا الشريعة من أسلافهم بما فيها من عهد فقد كان العهد لازما لهم وكان الوفاء متعينا عليهم لأنهم الذين جاء فيهم الرسول الموعود به.

وقوله: {وإياي فارهبون} عطفت الواو جملة {وإياي} على الجمل المتقدمة من قوله: {وأوفوا بعهدي} إلى آخرها على طريقة الانتقال من معنى إلى المعنى المتولد عنه وهي أصل طريقة المنشئين أن يراعوا الترتيب الخارجي في الخبر والإنشاء لأنه الأصل ما لم يطرأ مقتض لتغيير الترتيب الطبيعي ومنه في القرآن قوله: {ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون إليه} [هود: ٧٨] إلخ، فإنه لما افتتح خطابهم بالتذكير بالنعمة الباعث على شكر المنعم ومراقبة حقه والمطهر لهم من الحسد فإنه صارف عن الاعتراف بالنعمة كما قدمنا. ثم عطف عليه قوله: {وأوفوا بعهدي} وهو مبدأ المقصود من الأمر بتصديق الرسول الموعود به على ألسنة أنبيائهم. ثم عقب ذلك بقوله: {وإياي فارهبون} فهو تتميم لذلك الأمر السابق بالنهي عما يحول بينهم وبين الإيفاء بالعهد على وجهه وذلك هو صد كبرائهم وأحبارهم إياهم عن الانتقال عما هم عليه من التمسك بالتوراة فإنهم هم القوم الذين كانوا يقولون لملك بلادهم فرعون مصر يوم بعثة موسى: {لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا} [طه: ٧٢] فكانوا أحرياء بأن يخاطبوا ساداتهم وأحبارهم بمثل ذلك الخطاب عند البعثة المحمدية.

فتقديم المفعول هنا متعين للاختصاص ليحصل من الجملة إثبات ونفي واختير من طرق القصر طريق التقديم دون ما وإلا ليكون الحاصل بالمنطوق هو الأمر برهبة الله تعالى ويكون النهي عن رهبة غيره حاصلا بالمفهوم فإنهم إذا رهبوا الله تعالى حرصوا على الإيفاء بالعهد ولما كانت رهبتهم أحبارهم تمنعهم من الإيفاء بالعبد أدمج النهي عن رهبة غير الله مع الأمر برهبة الله تعالى في صيغة واحدة.." (١)

---

(١) التحرير والتنوير، ٤٣٩/١

"في برية سينا. وقد وصفته التوراة١ بأنه، دقيق مثل القشور يسقط ندى كالجليد على الأرض وهو مثل بزر الكزبرة أبيض وطعمه كرقاق بعسل وسمته بنو إسرائيل منا، وقد أمروا أن لا يبقوا منه للصباح لأنه يتولد فيه دود وأن يلتقطوه قبل أن تحمي الشمس لأنها تذيبه فكانوا إذا التقطوه طحنوه بالرحا أو دقوه بالهاون وطبخوه في القدور وعملوه ملات وكان طعمه كطعم قطائف بزيت٢ وأنهم أكلوه أربعين سنة حتى جاءوا إلى طرف أرض كنعان يريد إلى حبرون.

وأما السلوى فهي اسم جنس جمعي واحدته سلواة وقيل لا واحد له وقيل واحده وجمعه سواء وهو طائر بري لذيذ اللحم سهل الصيد كانت تسوقه لهم ريح الجنوب كل مساء فيمسكونه قبضا ويسمى هذا الطائر أيضا السماني بضم السين وفتح الميم مخففة بعدها ألف فنون مقصور كحباري. وهو أيضا اسم يقع للواحد والجمع، وقيل هو الجمع وأما المفرد فهو سماناة.

وقوله: {كلوا من طيبات ما رزقناكم} مقول قول محذوف لأن المخاطبين حين نزول القرآن لم يؤمروا بذلك فدل على أنه من بقية الخبر عن أسلافهم.

وقوله: {وما ظلمونا} قدره صاحب الكشاف معطوفا على مقدر أي فظلموا وقرره شارحوه بأن ما ظلمونا نفي لظلم متعلق بمفعول معين وهو ضمير الجلالة وهذا النفي يفيد في المقام الخطابي أن هنالك ظلما متعلقا بغير هذا المنصوب إذ لو لم يكن الظلم واقعا لنفي مطلقا بأن يقال وما ظلموا. وليس المعنى عليه وأنه إنما قدر في الكشاف الفعل المحذوف مقترنا بالفاء لأن الفاء في عطف الجمل تفيد مع الترتيب والتعقيب معنى السببية غالبا، فتكون الجملة المعطوفة متسببة عن الجملة المعطوف عليها فشبه وقوع ظلمهم حين كفروا النعمة عقب الإحسان بترتب المسبب على السبب في الحصول بلا ريث وبدون مراقبة ذلك الإحسان حتى كأنهم يأتون بالظلم جزاء للنعمة، ورمز إلى لفظ المشبه به برديفه وهو فاء السببية وقرينة ذلك ما يعلمه السامع من أن الظلم لا يصلح لأن يكون مسببا عن الإنعام على حد قولك أحسنت إلى فلان فأساء إلى وقوله تعالى: {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون} [الواقعة:٨٢]

أي تجعلون شكر رزقكم أنكم تكذبون فالفاء

_

١ سفر الخروج الإصحاح ١٦.
٢ سفر العدد الإصحاح ١١.." (١)

"على اعتقاد تأثير الألفاظ في المسحور بحسب نية الساحر وتوجيهه النفسي إلى المسحور، وقد تأصل هذا عند اليهود واقتنعوا به في مقاومة أعدائهم. ولما كان أذى الشخص بقول أو فعل لا يعلم مغزاهما كخطابه بلفظ يفيد معنى ومقصود المتكلم منه أذى، أو كإهانة صورته أو الوطء على ظله كل ذلك راجعا إلى الاكتفاء بالنية والتوجه في حصول الأذى كان هذا شبيها ببعض ضروب السحر ولذلك كان من شعار من استهواهم السحر واشتروه ناسب ذكر هاته الحالة من أحوالهم عقب الكلام على افتتانهم بالسحر وحبه دون بقية ما تقدم من أحوالهم وهاته المناسبة هي موجب التعقيب في الذكر.

وإنما فصلت هذه الآية عما قبلها لاختلاف الغرضين لأن هذه في تأديب المؤمنين ثم يحصل منه التعريض باليهود في نفاقهم وأذاهم والإشعار لهم بأن كيدهم قد أطلع الله عليه نبيه وقد كانوا يعدون تفطن المسحور للسحر يبطل أثره فأشبهه التفطن للنوايا الخبيثة ,وصريح الآيات قبلها في أحوالهم الدينية المنافية لأصول دينهم ولأن الكلام المفتتح بالنداء والتنبيه ونحوه نحو {يا أيها الناس } ويا زيد وألا ونحوها لا يناسب عطفه على ما قبله وينبغي أن يعتبر افتتاح كلام بحيث لا يعطف إلا بالفاء إذا كان مترتبا عما قبله لأن العطف بالفاء بعيد عن العطف بالواو وأوسع من جهة التناسب.

و {راعنا} أمر من راعاه يراعيه وهو مبالغة في رعاه يرعاه إذا حرسه بنظره من الهلاك والتلف وراعي مثل رعي قال طرفة:

خذول تراعي ربربا بخميلة

وأطلق مجازا على حفظ مصلحة الشخص والرفق به ومراقبة نفعه وشاع هذا المجاز حتى صار حقيقة عرفية ومنه رعاك الله ورعي ذمامه، فقول المسلمين للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا هو فعل طلب من الرعي بالمعنى المجازي أي الرفق والمراقبة أي لا تتحرج من طلبنا وارفق بنا.

وقوله: {وقولوا انظرنا} أبد لهم بقولهم: {راعنا} كلمة تساويها في الحقيقة والمجاز وعدد الحروف والمقصود من غير أن يتذرع بها الكفار لأذى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا من أبدع البلاغة فإن نظر في الحقيقة بمعنى حرس وصار مجازا على تدبير المصالح، ومنه قول الفقهاء هذا من النظر، والمقصود منه

(١) التحرير والتنوير، ١/٤٩٣

الرفق والمراقبة في التيسير فيتعين أن قوله: {انظرنا} بضم همزة الوصل وضم الظاء وأنه من النظر لا من الانتظار.." (١)

"الشهادة لنا وانتفاء الشهادة علينا، فأما الدنيوية فشهادة الرسول علينا فيها هي شهادته بذاته على معاصريه وشهادة شرعه على الذين أتوا بعده إما بوفائهم ما أوجبه عليهم شرعه وإما بعكس ذلك، وأما الأخروية فهي ما روي في الحديث المتقدم من شهادة الرسول بصدق الأمة فيما شهدت به، وما روي في الحديث الآخر في "الموطأ" و "الصحاح ": "فليذادن أقوام عن حوضي فأقول يا رب أمتي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم بدلوا وغيروا فأقول سحقا سحقا لمن بدل بعدي". وتعدية شهادة الرسول على الأمة بحرف على مشاكلة لقوله قبله: {لتكونوا شهداء على الناس} وإلا فإنها شهادة للأمة وقيل بل لتضمين {شهيدا} معنى رقيبا ومهيمنا في الموضعين كما في "الكشاف".

وقد دلت هذه الآية على التنويه بالشهادة وتشريفها حتى أظهر العليم بكل شيء أنه لا يقضى إلا بعد حصولها ويؤخذ من الآية أن الشاهد شهيد بما حصل له من العلم وإن لم يشهده المشهود عليه وأنه يشهد على العلم بالسماع، والأدلة القاطعة وإن لم ير بعينيه أو يسمع بأذنيه، وأن التزكية أصل عظيم في الشهادة، وأن المزكي يجب أن يكون أفضل وأعدل من المزكى، وأن المزكى لا يحتاج التزكية، وأن الأمة لا تشهد على النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا كان يقول في حجة الوداع ألا هل بلغت فيقولون نعم فيقول اللهم اشهد فجعل الله هو الشاهد على تبليغه وهذا من أدق النكت.

وتقديم الجار والمجرور على عامله لا أراه إلا لمجرد الاهتمام بتشريف أمر هذه الأمة حتى أنها تشهد على الأمم والرسل وهي لا يشهد عليها إلا رسولها، وقد يكون تقديمه لتكون الكلمة التي تختم بها الآية في محل الوقف كلمة ذات حرف مد قبل الحرف الأخير لأن المد أمكن للوقوف وهذا من بدائع فصاحة القرآن، وقيل تقديم المجرور مفيد لقصر الفاعل على المفعول وهو تكلف ومثله غير معهود في كلامهم.

{وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله}

الواو عاطفة على جملة {سيقول السفهاء من الناس} [البقرة:١٤٢] وما اتصل بها من الجواب بقوله: {قل

---

(١) التحرير والتنوير، ٦٣٣/١

لله المشرق والمغرب} قصد به بيان الحكمة من شرع استقبال بيت المقدس ثم تحويل ذلك إلى شرع استقبال الكعبة وما بين الجملتين من قوله: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا} إلى آخرها اعتراض.." (١)

""الكشاف": هو مصدر كالموعد، وفيه أنه لو كان مصدرا لكان مفتوح السين؛ إذ المصدر الذي على وزن المفعل لا يكون إلا مفتوح العين ما عدا ما شذ، ولم يذكروا الميسر في الشاذ، إلا أن يجاب بأن العرب وضعوا هذا الاسم على وزن المصدر الشاذ ليعلم أنه الآن ليس بمصدر.

والميسر: قمار كان للعرب في الجاهلية، وهو من القمار القديم المتوغل في القدم كان لعاد من قبل، وأول من ورد ذكر لعب الميسر عنه في كلام العرب هو لقمان بن عاد ويقال لقمان العادي، والظاهر أنه ولد عاد بن عوص بن ارم بن سام، وهو غير لقمان الحكيم، والعرب تزعم أن لقمان كان أكثر الناس لعبا بالميسر حتى قالوا في المثل أيسر من لقمان وزعموا أنه كان له ثانية أيسار لا يفارقونه١ هم من سادة عاد وأشرافهم، ولذلك يشبهون أهل الميسر إذا كانوا من أشراف القوم بأيسار لقمان قال طرفة بن العبد:

وهم أيسار لقمان إذا ... أغلت الشتوة أبداء الجزر

أراد التشبيه البليغ .

وصفة الميسر أنهم كانوا يجعلون عشرة قداح جمع قدح بكسر القاف وهو السهم الذي هو أصغر من النبل ومن السهم فهو سهم صغير مثل السهام التي تلعب بها الصبيان وليس في رأسه سنان وكانوا يسمونها الحظاء جمع حضوة وهي السهم الصغير وكلها من قصب النبع، وهذه القداح هي: الفذ، والتوأم، **والرقيب**، والحلس، والنافس، والمسبل، والمعلى، والسفيح، والمنيح، والوغد، وقيل النافس، وهو الرابع والحلس خامس، فالسبعة الأول لها حظوظ من واحد إلى سبعة على ترتيبها، والثلاثة الأخيرة لا حظوظ لها وتسمى أغفالا جمع غفل بضم الغين وسكون الفاء وهو الذي أغفل في العلامة، وهذه العلامات خطوط واحد إلى سبعة "كأرقام الحساب الروماني إلى الأربعة"، وقد خطوا العلامات على القداح ذات العلامات بالشلط في القصبة أو بالحرق بالنار فتسمى العلامة حينئذ قرمة، وهذه العلامات توضع في أسافل القداح.

فإذا أرادوا التقامر اشتروا جزورا بضمن مؤجل إلى ما بعد التقامر وقسموه أبداء أي أجزاء إلى ثمانية وعشرين جزءا أو إلى عشرة أجزاء على اختلاف بين الأصمعي وأبي عبيدة، والظاهر أن للعرب في ذلك طريقتين فلذلك اختلف الأصمعي وأبو عبيدة، ثم يضعون تلك القداح في خريطة من جلد تسمى

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٢/٢

١ هم: بيض، وحممة، وطفيل، وذفافة، ومالك، وفرعة، وثميل، وعمار.." (١)

"الربابة بكسر الراء هي مثل كنانة النبال وهي واسعة لها مخرج ضيق يضيق عن أن يخرج منه قدحان أو ثلاثة، ووكلوا بهذه الربابة رجلا يدعى عندهم الحرضه والضريب والمجيل، وكانوا يغشوون عينيه بمغمضة، ويجعلون على يديه خرقة بيضاء يسمونها المجول يعصبونها على يديه أو جلدة رقيقة يسمونها السلفة بضم السين وسكون اللام، ويلتحف هذا الحرضة بثوب يخرج رأسه منه ثم يجثوا على ركبتيه ويضع الربابة بين يديه، ويقوم وراءه رجل يسمى **الرقيب** أو الوكيل هو الأمين على الحرضة وعلى الأيسار كي لا يحتال أحد على أحد وهو الذي يأمر الحرضة بابتداء الميسر، يجلسون والأيسار حول الحرضة جثيا على ركبهم، قال دريد بن الصمة:

دفعت إلى المجيل وقد تجاثوا ... على الركبات مطلع كل شمس

ثم يقول **الرقيب** للحرضة جلجل القداح أي حركها فيخضخضها في الربابة كي تختلط ثم يفيضها أي يدفعها إلى جهة مخرج القداح من الربابة دفعة واحدة على اسم واحد من الأيسار فيخرج قدح فيتقدم الوكيل فيأخذه وينظره فإن كان من ذوات الأنصباء دفعة إلى صاحبه وقال له قم فاعتزل فيقوم ويعتزل إلى جهة ثم تعاد الجلجلة، وقد اغتفروا إذا خرج أول القداح غفلا ألا يحسب في غرم ولا في غنم بل يرد إلى الربابة وتعاد الإحالة وهكذا ومن خرجت لهم القداح الأغفال يدفعون ثمن الجزور.

فأما على الوصف الذي وصف الأصمعي أن الجزور يقسم إلى ثمانية وعشرين جزءا فظاهر أن لجميع أهل القدح القامرة شيئا من أبداء الجزور لأن مجموع ما على القداح الرابحة من العلامات ثمانية وعشرون، وعلى أهل القداح غرم ثمنه.وأما على الوصف الذي وصف أبو عبيدة أن الجزور يقسم إلى عشرة أبداء فذلك يقتضي أن ليس كل المتقامرين برابح، لأن الربح يكون بمقدار عشرة سهام مما رقمت به القداح وحينئذ إذا نفدت الأجزاء انقطعت الإفاضة وغرم أهل السهام الأغفال ثمن الجزور ولم يكن لمن خرجت له سهام ذات حظوظ بعد الذين استوفوا أبداء الجزور شيء إذ ليس في الميسر أكثر من جزور واحد قال لبيد:

وجزور أيسار دعوت لحتفها

---

(١) التحرير والتنوير، ٢/٣٢٩

البيت

وإذ لا غنم في الميسر إلا من اللحم لا من الدراهم أو غيرها، ولعل كلا من وصفي." (١)

"الأصمعي وأبي عبيدة كان طريقة للعرب في الميسر بحسب ما يصطلح عليه أهل الميسر، وإذا لم يجمع العدد الكافي من المتياسرين أخذ بعض من حضر سهمين أو ثلاثة فكثر بذلك ربحه أو غرمه وإنما يفعل هذا أهل الكرم واليسار لأنه معرض لخسارة عظيمة، إذ لم يفز قدحه، ويقال في هذا الذي يأخذ أكثر من سهم متمم الأيسار قال النابغة:

إني أتمم أيساري وأمنحهم ... مثني الأيادي وأكسو الجفنة الأدما

ويسمون هذا الإتمام بمثنى الأيادي كما قال النابغة، لأنه يقصد منه تكرير المعروف عند الربح فالأيادي بمعنى النعم، وكانوا يعطون أجر الرقيب والحرضة والجزار من لحم الجزور فأما أجر الرقيب فيعطاه من أول القسمة وأفضل اللحم ويسمونه بدءا، وأما الحرضة فيعطى لحما دون ذلك وأما الجزار فيعطى مما يبقى بعد القسم من عظم أو نصف عظم ويسمونه الريم.

ومن يحضر الميسر من غير المتياسرين يسمون الأعران جمع عرن بوزن كتف وهم يحضرون طعما في اللحم، والذي لا يحب الميسر ولا يحضره لفقره سمي البرم بالتحريك.

وأصل المقصد من الميسر هو المقصد من القمار كله وهو الربح واللهو يدل لذلك تمدحهم وتفاخرهم بإعطاء ربح الميسر للفقراء، لأنه لو كان هذا الإعطاء مطردا لكل من يلعب الميسر لما كان تمدح به قال الأعشى:

المطعمو الضيف إذا ما شتوا ... والجاعلو القوت على الياسر

ثم إن كرامهم أرادوا أن يظهروا الترفع عن الطمع في مال القمار فصاروا يجعلون الربح للفقراء واليتامى ومن يلم بساحتهم من أضيافهم وجيرتهم، قال لبيد:

أدعو بهن لعاقر أو مطفل ... بذلت لجيران الجميع لحامها

فالضيف والجار الجنيب كأنما ... هبطا تبالة مخضبا أهضامها

فصار الميسر عندهم من شعار أهل الجود كما تقدم في أبيات لبيد، وقال عنترة كما تقدم:

---

(١) التحرير والتنوير، ٢/٣٣٠

ربذ يداه بالقداح إذا شتا ... هتاك غايات التجار ملوح

أي خفيف اليد في الميسر لكثرة ما لعب الميسر في الشتاء لنفع الفقراء، وقال عمير ابن الجعد:." (١)

"وقرأ ابن كثير {آتيتم} بترك همزة التعدية. فالمعنى عليه: إذا سلمتم ما جئتم، أي ما قصدتم، فالإتيان حينئذ مجاز عن القصد، كقوله تعالى: {إذ جاء ربه بقلب سليم} [الصافات:٨٤] وقال زهير:

وما كان من خير أتوه فإنما

توارثه آباء آبائهم قبل

وقوله: {واتقوا الله} تذييل للتخويف، والحث على مراقبة ما شرع الله، من غير محاولة ولا مكايدة، وقوله: { واعلموا أن الله} تذكير لهم بذلك، وإلا فقد علموه. وقد تقدم نظيره آنفا.

[٢٣٤] {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير}

انتقال إلى بيان عدة الوفاة، بعد الكلام عن عدة الطلاق، وما اتصل بذلك من أحكام الإرضاع، عقب الطلاق، تقصيا لما به إصلاح أحوال العائلات، فهو عطف قصة على قصة،

ويتوفون مبني للمجهول، وهو من الأفعال التي التزمت العرب فيها البناء للمجهول: مثل عني واضطر، وذلك في كل فعل قد عرف فاعله ما هو، أو لم يعرفوا له فاعلا معينا. وهو من توفاه الله، أو توفاه الموت، فاستعمال التوفي منه مجاز، تنزيلا لعمر الحي منزلة حق الموت، أو الخالق الموت، فقالوا: توفي فلان كما يقال: توفى الحق ونظيره قبض فلان، وقبض الحق فصار المراد من توفى: مات، كما صار المراد من قبض وشاع هذا المجاز حتى صار حقيقة عرفية وجاء الإسلام فقال الله تعالى: {الله يتوفى الأنفس} [الزمر:٤٢] وقال: {حتى يتوفاهن الموت} [النساء:١٥] وقال: {قل يتوفاكم ملك الموت} [السجدة:١١] فظهر الفاعل، المجهول عندهم، في مقام التعليم أو الموعظة، وأبقي استعمال الفعل مبينا للمجهول فيما عدا ذلك: إيجاز وتبعا للاستعمال.

وقوله: {يتربصن بأنفسهن} خبر الذين وقد حصل الربط بين المبتدأ والخبر بضمير {يتربصن} العائد إلى الأزواج، الذي هو مفعول الفعل المعطوف على الصلة، فهن أزواج المتوفين؛ لأن الضمير قائم مقام الظاهر،

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٣١/٢

وهذا الظاهر قائم مقام المضاف إلى ضمير المبتدأ، بناء على مذهب الأخفش والكسائي: من الاكتفاء في الربط بعود الضمير." (١)

"الأفهام. وأصرح من هذه الآية آية المائدة فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم لأنه دل على أنه قد توفى الوفاة المعروفة التي تحول بين المرء وبين علم ما يقع في الأرض، وحملها على النوم بالنسبة لعيسى لا معنى له؛ لأنه إذا أراد رفعه لم يلزم أن ينام؛ ولأن النوم حينئذ وسيلة للرفع فلا ينبغي الاهتمام بذكره وترك ذكر المقصد، فالقول بأنها بمعنى الرفع عن هذا العالم إيجاد معنى جديد للوفاة في اللغة بدون حجة، ولذلك قال ابن عباس، ووهب بن منبه: إنها وفاة موت وهو ظاهر قول مالك في جامع العتبية قال مالك: مات عيسى وهو ابن إحدى وثلاثين سنة قال ابن رشد في البيان والتحصيل يحتمل أن قوله: مات وهو ابن ثلاث وثلاثين على الحقيقة لا على المجاز.

وقال الربيع: هي وفاة نوم رفعه الله في منامه، وقال الحسن وجماعة: معناه إني قابضك من الأرض، ومخلصك في السماء، وقيل: متوفيك متقبل عملك. والذي دعاهم إلى تأويل معنى الوفاة ما ورد في الأحاديث الصحيحة: أن عيسى ينزل في آخر مدة الدنيا، فأفهم أن له حياة خاصة أخص من حياة أرواح بقية الأنبياء، التي هي حياة أخص من حياة بقية الأرواح؛ فإن حياة الأرواح متفاوتة كما دل عليه حديث "أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر". ورووا أن تأويل المعنى في هذه الآية أولى من تأويل الحديث في معنى حياته وفي نزوله، فمنهم من تأول معنى الوفاة فجعله حيا بحياته الأولى، ومنهم من أبقى الوفاة على ظاهرها، وجعل حياته بحياة ثانية، فقال وهب بن منبه: توفاه الله ثلاث ساعات ورفعه فيها، ثم أحياه عنده في السماء، وقال بعضهم: توفي سبع ساعات. وسكت ابن عباس ومالك عن تعيين كيفية ذلك، ولقد وفقا وسددا. ويجوز أن تكون حياته كحياة سائر الأنبياء، وأن يكون نزوله إن حمل على ظاهره بعثا له قبل إبان البعث على وجه الخصوصية، وقد جاء التعبير عن نزوله بلفظ "يبعث الله عيسى فيقتل الدجال" رواه مسلم عن عبد الله ابن عمر، ولا يموت بعد ذلك بل يخلص من هنالك إلى الآخرة.

وقد قيل في تأويله: إن عطف {ورافعك إلي} على التقديم والتأخير؛ إذ الواو لا تفيد ترتيب الزمان أي إني رافعك إلي ثم متوفيك بعد ذلك، وليس في الكلام دلالة على أنه يموت في آخر الدهر سوى أن في حديث أبي هريرة في كتاب أبي داود "ويمكث" أي "عيسى أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون" والوجه

(١) التحرير والتنوير، ٤٢٠/٢

أن يحمل قوله تعالى: {إني متوفيك} على حقيقته، وهو الظاهر، وأن تؤول الأخبار التي يفيد ظاهرها أنه حي على معنى حياة كرامة عند الله، كحياة الشهداء وأقوى، وأنه إذا حمل نزوله على ظاهره." (١)

"يكن معمولا به، لم يكن في ذلك تطييب لنفوسهم ولا رفع لأقدارهم، بل فيه إيحاشهم فالمشاورة لم تفقد شيئا فهذا تأويل ساقط. وقال النووي، في صدر كتاب الصلاة م شرح مسلم: الصحيح عندهم وجوبها وهو المختار. وقال الفخر: ظاهر الأمر أنه للوجوب. ولم ينسب العلماء للحنفية قولا في هذا الأمر إلا أن الجصاص قال في كتابه أحكام القرآن عند قوله تعالى: {وأمرهم شورى بينهم} : هذا يدل على جلالة موقع المشورة لذكرها مع الإيمان وإقامة الصلاة ويدل على أننا مأمورون بها. ومجموع كلامي الجصاص يدل أن مذهب أبي حنيفة وجوبها.

ومن السلف من ذهب إلى اختصاص الوجوب بالنبي صلى الله عليه وسلم قاله الحسن وسفيان، وإنما أمر بها ليقتدي به غيره وتشيع في أمته وذلك فيما لا وحي فيه. وقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في الخروج لبدر، وفي الخروج إلى أحد، وفي شأن الأسرى يوم بدرا، واستشار عموم الجيش في رد سبي هوازن.

والظاهر أنها لا تكون في الأحكام الشرعية لأن الأحكام إن كانت بوحي فظاهر، وإن كانت اجتهادية، بناء على جواز الاجتهاد للنبي صلى الله عليه وسلم في الأمور الشرعية، فالاجتهاد إنما يستند للأدلة لا للآراء وإذا كان المجتهد من أمته لا يستشير في اجتهاده، فكيف تجب الاستشارة على النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه لو اجتهد وقلنا بجواز الخطإ عليه فإنه لا يقر على خطإ باتفاق العلماء. ولم يزل من سنة خلفاء العدل استشارة أهل الرأي في مصالح المسلمين، قال البخاري في كتاب الاعتصام من صحيحه وكانت الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمناء من أهل العلم، وكان القراء أصحاب مشورة عمر: كهولا أو شبانا، وكان وقافا عند كتاب الله. وأخرج الخطيب عن علي قال: قلت: يا رسول الله الأمر ينزل بعدك لم ينزل فيه القرآن ولم يسمع منك فيه شيء قال: "اجمعوا له العابد من أمتي واجعلوه بينكم شورى ولا تقضوه برأي واحد". واستشار أبو بكر في قتال أهل الردة، وتشاور الصحابة في أمر الخليفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وجعل عمر رضي الله عنه الأمر شورى بعده في ستة عينهم، وجعل مراقبة الشورى لخمسين من الأنصار، وكان عمر يكتب لعماله يأمرهم بالتشاور، ويتمثل لهم في كتبه بقول الشاعر

(١) التحرير والتنوير، ١٠٨/٣

لم أقف على أسمه:

خليلي ليس الرأي في صدر واحد ... أشيرا علي بالذي تريان

هذا والشورى مما جبل الله عليه الإنسان في فطرته السليمة أي فطرة على محبة الصلاح وتطلب النجاح في المساعي، ولذلك قرن الله تعالى خلق أصل البشر بالتشاور في." (١)

"المناسبة. بالمدح محذوف لتقدم دليله.

و {الوكيل} فعيل بمعنى مفعول أي موكول إليه. يقال: وكل حاجته إلى فلان إذا اعتمد عليه في قضائها وفوض إليه تحصيلها، ويقال للذي لا يستطيع القيام بشؤونه بنفسه: رجل وكل بفتحتين أي كثير الاعتماد على غيره، فالوكيل هو القائم بشأن من وكله، وهذا القيام بشأن الموكل يختلف باختلاف الأحوال الموكل فيها، وبذلك الاختلاف يختلف معنى الوكيل، فإن كان القيام في دفع العداء والجور فالوكيل الناصر والمدافع {قل لست عليكم بوكيل} [الأنعام: ٦٦]، ومنه {فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا}. ومنه الوكيل في الخصومة، وإن كان في شؤون الحياة فالوكيل الكافل والكافي ومنه: {ألا تتخذوا من دوني وكيلا} [الإسراء: ٢] كما قال: {وقد جعلتم الله عليكم كفيلا} [النحل: ٩١] ولذلك كان من أسمائه تعالى: الوكيل، وقوله: {وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل} ومنه الوكيل على المال، ولذلك أطلق على هذا المعنى أيضا اسم الكفيل في قوله تعالى: {وقد جعلتم الله عليكم كفيلا}. وقد حمل الزمخشري الوكيل على ما يشمل هذا عند قوله تعالى: {وهو على كل شيء وكيل} في سورة الأنعام [١٠٢]، فقال: وهو مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال رقيب على الأعمال. وذلك يدل على أن الوكيل اسم جامع للرقيب والحافظ في الأمور التي يعنى الناس بحفظها ورقابتها وادخارها، ولذلك يتقيد ويتعمم بحسب المقامات.

وقوله: {فانقلبوا بنعمة من الله} تعقيب للإخبار عن ثبات إيمانهم وقولهم: حسبنا الله ونعم الوكيل، وهو تعقيب لمحذوف يدل عليه فعل {فانقلبوا} ، لأن الانقلاب يقتضي أنهم خرجوا للقاء العدو الذي بلغ عنهم أنهم جمعوا لهم ولم يعبأوا بتخويف الشيطان، والتقدير: فخرجوا فانقلبوا بنعمة من الله.

والباء للملابسة أي ملابسين لنعمة وفضل من الله. فالنعمة هي ما أخذوه من الأموال، والفضل فضل الجهاد. ومعنى لم يمسسهم سوء لم يلاقوا حربا مع المشركين.

وجملة {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه} إما استئناف بياني إن جعلت قوله: {الذين قال لهم الناس}

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٦٩/٣

بدلا أو صفة كما تقدم، وإما خبر عن {الذين قال لهم الناس} إن جعلت قوله: {الذين قال لهم الناس} مبتدأ، والتقدير: الذين قال لهم الناس إلى آخره إنما مقالهم يخوف الشيطان به. ورابط هذه الجملة بالمبتدأ، وهو الذين قال لهم الناس على هذا التقدير، عن اسم الإشارة، واسم مبتدأ.." (١)

"وقد تخلل ذلك مواعظ وترغيب، ونهي عن الحسد، وعن تمني ما للغير من المزايا التي حرم منها من حرم بحكم الشرع، أو بحكم الفطرة. والترغيب في التوسط في الخير والإصلاح. وبث المحبة بين المسلمين.

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا} [١].

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء} جاء الخطاب بيا أيها الناس: ليشمل جميع أمة الدعوة الذين يسمعون القرآن يومئذ وفيما يأتي من الزمان. فضمير الخطاب في قوله {خلقكم} عائد إلى الناس المخاطبين بالقرآن، أي لئلا يختص بالمؤمنين إذ غير المؤمنين حينئذ هم كفار العرب وهم الذين تلقوا دعوة الإسلام قبل جميع البشر لأن الخطاب جاء بلغتهم، وهم المأمورون بالتبليغ لبقية الأمم، وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتبه للروم وفارس ومصر بالعربية لتترجم لهم بلغاتهم. فلما كان ما بعد هذا النداء جامعا لما يؤمر به الناس بين مؤمن وكافر، نودي جميع الناس، فدعاهم الله إلى التذكر بأن أصلهم واحد، إذ قال {اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة} دعوة تظهر فيها المناسبة بين وحدة النوع ووحدة الاعتقاد، فالمقصود من التقوى في {اتقوا ربكم} اتقاء غضبه، ومراعاة حقوقه، وذلك حق توحيده والاعتراف له بصفات الكمال، وتنزيه عن الشركاء في الوجود والأفعال والصفات.

وفي هذه الصلة براعة استهلال مناسبة لما اشتملت عليه السورة من الأغراض الأصلية، فكانت بمنزلة الديباجة.

وعبر بربكم، دون الاسم العالم، لأن في معنى الرب ما يبعث العباد على الحرص في الإيمان بوحدانيته، إذ الرب هو المالك الذي يرب مملوكه أي، يدبر شؤونه، وليتأتى بذكر لفظ الرب طريق الإضافة الدالة على أنهم محقوقون بتقواه حق التقوى، والدالة على أن بين الرب والمخاطبين صلة تعد إضاعة حماقة وضلالا.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٨٧/٣

وأما التقوى في قوله {واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام} فالمقصد الأهم منها: تقوى المؤمن بالحذر من التساهل في حقوق الأرحام واليتامى من النساء والرجال. ثم جاء باسم الموصول {الذي خلقكم} الإيمان إلى وجه بناء الخير لأن الذي خلق الإنسان حقيق بأن يتقى.." (١)

"في بيت، فكل واحد منهما زوج للآخر بهذا الاعتبار، وإن كان أصل لفظ الزوج أن يطلق على مجموع الفردين، فإطلاق الزوج على كل واحد من الرجل والمرأة المتعاقدين تسامح صار حقيقة، عرفية، ولذلك استوى الرجل والمرأة لأنه من الوصف بالجامد، فلا يقال للمرأة زوجة، ولم يسمع في فصيح الكلام، ولذلك عده بعض أهل اللغة لحنا. وكان الأصمعي ينكره أشد الإنكار. قيل له: فقد قال ذو الرمة:

أذو زوجة أم ذو خصومة

...

أراك لها بالبصرة العام ثاويا

فقال: إن الرمة أكل المالح والبقل في حوانيت البقالين، يريد أنه مولده.

وقال الفرزدق:

وإن الذي يسعى ليفسد زوجتي

...

كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

وشاع ذلك في كلام الفقهاء، قصدوا به التفرقة بين الرجل والمرأة عند ذكر الأحكام، وهي تفرقة حسنة. وتقدم عند قوله تعالى {وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة} في سورة البقرة [٣٥].

وقد شمل قوله {وخلق منها زوجها} العبرة بهذا الخلق العجيب الذي أصله واحد، ويخرج هو مختلف الشكل والخصائص، والمنة على الذكران بخلق النساء لهم، والمنة على النساء بخلق الرجال لهم، ثم من على النوع بنعمة النسل في قوله {وبث منهما رجالا كثيرا ونساء} مع ما في ذلك من الاعتبار بهذا التكوين العجيب.

والبث: النشر والتفريق للأشياء الكثيرة قال تعالى {يوم يكون الناس كالفراش المبثوث} [القارعة:٤].

ووصف الرجال، وهو جمع، بكثير، وهو مفرد، لأن كثير يستوي فيه المفرد والجمع، وقد تقدم في قوله

---

(١) التحرير والتنوير، ٨/٤

تعالى {وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير} في سورة آل عمران [١٤٦] البث من الكثرة.

{واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم **رقيبا**} [١].

شروع في التشريع المقصود من السورة، وأعيد فعل {اتقوا} : لأن هذه التقوى مأمور بها المسلمون خاصة، فإنهم قد بقيت فيهم بقية من عوائد الجاهلية لا يشعرون بها،." (١)

"الأمر فيها إلى **مراقبة** الله تعالى. والحسيب: المحاسب. والباء زائدة للتوكيد.

{للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا} [٧].

استئناف ابتدائي، وهو جار مجرى النتيجة لحكم إيتاء أموال اليتامى، ومجرى المقدمة لأحكام المواريث التي في قوله تعالى {يوصيكم الله في أولادكم} [النساء:١١].

ومناسبة تعقيب الآي السابقة بها: أنهم كانوا قد اعتادوا إيثار الأقوياء والأشداء بالأموال، وحرمان الضعفاء، وإبقاءهم عالة على أشدائهم حتى يكونوا في مقاتهم، فكان الأولياء يمنعون عن محاجيرهم أموالهم، وكان أكبر العائلة يحرم إخوته من الميراث معه فكان لضعفهم يصبرون على الحرمان، ويقنعون العائلة بالعيش في ظلال أقاربهم، لأنهم نازعوهم وطردوهم وحرموهم، فصاروا عالة على الناس.

وأخص الناس بذلك النساء فإنهن يجدن ضعفا من أنفسهن، ويخشين عار الضيعة، ويتقين انحراف الأزواج، فيتخذن رضا أولياءهن عدة لهن من حوادث الدهر، فلنا أمرهم الله أن يؤتوا اليتامى أموالهم، أمر عقبه بأمرهم بأن يجعلوا للرجال والنساء نصيبا مما ترك الوالدان والأقربون.

فإيتاء مال اليتيم تحقيق لإيصال نصيبه مما ترك له الوالدان والأقربون، وتوريث القرابة إثبات لنصيبهم مما ترك الوالدان والأقربون، وذكر النساء هناك تمهيدا لشرع الميراث، وقد تأيد ذلك بقوله {وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى} [النساء:٨] فإن ذلك إيناس الميراث، ولا يناسب إيتاء أموال اليتامى.

ولا جرم أن أهم شرائع الإسلام الميراث، فقد كانت العرب في الجاهلية يجعلون أموالهم بالوصية لعظماء القبائل ومن تلحقهم بالانتساب إليهم حسن الأحدوثة، وتجمعهم بهم صلات الحلف أو الاعتزاز والود، وكانوا إذا لم يوصوا أو تركوا بعض مالهم بلا وصية يصرف لأبناء الذكور، فإن لم يكن له ذكور فقد حكى

---

(١) التحرير والتنوير، 4/ ١٠

أنهم يصرفونه إلى عصبة من أخوات وأبناء عم، ولا تعطى بناته شيئا، أما الزوجات فكن موروثات لا وارثات. وكانوا في الجاهلية لا يورثون بالبنوة إلا إذا كان الأبناء ذكورا، فلا ميراث للنساء." (١)

"كالمقدمة لذلك فأشبه سبب نزول، ولذلك هو المتبادر وهو لا يمنع من عموم العام، ومن ذلك التنازع في طرق تنفيذ الأوامر العامة، كما يحصل بين أفراد الجيوش وبين بعض قوادهم. وقد قيل: إن الآية نزلت في نزاع حدث بين أمير سرية الأنصار عبد الله بن حذافة السهمي كما سيأتي، ومن ذلك الاختلاف بين أهل الحل والعقد في شؤون مصالح المسلمين، وما يرومون حمل الناس عليه.

ومن ذلك اختلاف أهل العلم في الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد والنظر في أدلة الشريعة.

فكل هذا الاختلاف والتنازع بأمور أصحابه برد أمره إلى الله والرسول. ورد كل نوع من ذلك يتعين أن يكون بحيث يرجى معه زوال الاختلاف، وذلك ببذل الجهد والوسع في الوصول إلى الحق الجلي في تلك الأحوال. فما روى عن مجاهد وميمون بن مهران في تفسير التنازع بتنازع أهل العلم إنما هو تنبيه على الفرد الأخفى من أفراد العموم، وليس تخصيصا للعموم.

وذكر الرد إلى الله في هذا مقصود منه مراقبة الله تعالى في طلب انجلاء الحق في مواقع النزاع، تعظيما لله تعالى، فإن الرد إلى الرسول يحصل به الرد إلى الله، إذ الرسول هو المنبئ عن مراد الله تعالى، فذكر اسم الله هنا هو بمنزلة ذكره في قوله {فأن لله خمسه وللرسول} [الأنفال:٤١] الآية.

ثم الرد إلى الرسول في حياة الرسول وحضوره ظاهر وهو المتبادر من الآية، وأما الرد إليه في غيبته أو بعد وفاته، فبالتحاكم إلى الحكام الذين أقامهم الرسول أو أمرهم فالتعيين، وإلى الحكام الذين نصبهم ولاة للحكم بين الناس بالشريعة ممن يظن به العلم بوجوه الشريعة وتصاريفها، فإن تعيين صفات الحكام وشروطهم وطرق توليتهم، فيما ورد عن الرسول من أدلة صفات الحكام، يقوم مقام تعيين أشخاصهم، وبالتأمل في تصرفاته وسنته ثم الصدر على ما يتبين من حال يظنها هي مراد الرسول لو سئل عنها في جميع أحوال النزاع في فهم الشريعة واستنباط أحكامها المسكوت عنها من الرسول، أو المجهول قوله فيها.

وقوله {إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر} تحريض وتحذير معا، لأن الإيمان بالله واليوم الآخر وازعان

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٧/٤

يزعان من مخالفة الشرع، والتعريض بمصالح الأمة للتلاشي، وعن الأخذ بالحظوظ العاجلة مع العلم بأنها لا ترضي الله وتضر الأمة، فلا جرم أن يكون دأب." (١)

"الآية، لإفادة أن الله يجازي على كل عمل بما يناسبه من حسن أو سوء.

و {المقيت} : الحافظ، **والرقيب**، والشاهد، والمقتدر. وأصله عند أبي عبيدة الحافظ. وهو اسم فاعل من أقات إذا أعطى القوت، فوزنه مفعل وعينه واو. واستعمل مجازا في معاني الحفظ والشهادة بعلاقة اللزوم، لأن من يقيت أحدا فقد حفظه من الخصاصة أو من الهلاك، وهو هنا مستعمل في معنى الاطلاع، أو مضمن معناه، كما ينبي عنه تعديته بحرف على. ومن أسماء الله تعالى المقيت، وفسره الغزالي بموصل الأقوات، فيؤول إلى معنى الرازق، إلا أنه أخص، وبمعنى المستولي على الشيء القادر عليه، وعليه يدل قوله تعالى {وكان الله على كل شيء مقيتا} فيكون راجعا إلى القدرة والعلم.

[٨٦] {وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا} .

عطف على جملة {من يشفع شفاعة حسنة} باعتبار ما قصد من الجملة المعطوفة عليها، وهو الترغيب في الشفاعة الحسنة والتحذير من الشفاعة السيئة، وذلك يتضمن الترغيب في قبول الشفاعة الحسنة ورد الشفاعة السيئة. وإذ قد كان من شأن الشفيع أن يدخل على المستشفع إليه بالسلام استئناسا له لقبول الشفاعة، فالمناسبة في هذا العطف هي أن الشفاعة تقتضي حضور الشفيع عند المشفوع إليه، وأن صفة تلقي المشفوع إليه للشفيع تؤذن بمقدار استعداده لقبول الشفاعة، وأن أول بوادر اللقاء هو السلام ورده، فعلم الله المسلمين أدب القبول واللقاء في الشفاعة وغيرها وقد كان للشفاعات عندهم شأن عظيم. وفي الحديث: مر رجل فقال رسول الله: "ماذا تقولون فيه" قالوا: هذا جدير إن شفع أن يشفع.. الحديث حتى إذا قبل المستشفع إليه الشفاعة كان قد طيب خاطر الشفيع، وإذا لم يقبل كان في حسن التحية مرضاة له على الجملة. وهذا دأب القرآن في انتهاز فرص الإرشاد والتأديب.

وبهذا البيان تنجلي عنك الحيرة التي عرضت في توجيه انتظام هذه الآية مع سابقتها، وتستغني عن الالتجاء إلى المناسبات الضعيفة التي صاروا إليها.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦٨/٤

وقد دل قوله {فحيوا بأحسن منها} على الأمر برد السلام، ووجوب الرد لأن أصل صيغة الأمر أن يكون للوجوب على مقتضى مذهب الجمهور في محمل صيغة الأمر." (١)

"شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون}.

جالت الآيات المتقدمة جولة في ذكر إنزال التوراة والإنجيل وآبت منها إلى المقصود وهو إنزال القرآن؛ فكان كرد العجز على الصدر لقوله: {يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر} [المائدة:٤١]ليبين أن القرآن جاء ناسخا لما قبله، وأن مؤاخذة اليهود على ترك العمل بالتوراة والإنجيل مؤاخذة لهم بعملهم قبل مجيء الإسلام، وليعلمهم أنهم لا يطمعون من محمد صلى الله عليه وسلم بأن يحكم بينهم بغير ما شرعه الله في الإسلام، فوقع قوله: {وأنزلنا إليك الكتاب بالحق} لترتيب نزول الكتب السماوية، وتمهيدا لقوله:{فاحكم بينهم بما أنزل الله} ووقع قوله: {فاحكم بينهم بما أنزل الله} موقع التخلص المقصود، فجاءت الآيات كلها منتظمة متناسقة على أبدع وجه.

والكتاب الأول القرآن، فتعريفه للعهد.والكتاب الثاني جنس يشمل الكتب المتقدمة، فتعريفه للجنس.والمصدق تقدم بيانه.

والمهيمن الأظهر أن هاءه أصلية وأن فعله بوزن فيعل كسيطر، ولكن لم يسمع له فعل مجرد فلم يسمع همن.

قال أهل اللغة: "لا نظير لهذا الفعل إلا هينم إذا دعا أو قرأ، وبيقر إذا خرج من الحجاز إلى الشام، وسيطر إذا قهر.وليس له نظير في وزن مفيعل إلا اسم فاعل هذه الأفعال، وزادوا مبيطر اسم طبيب الدواب"، ولم يسمع بيطر ولكن بطر، ومجيمر اسم جبل، ذكره امرؤ القيس في قوله:

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة ... من السيل والغثاء فلكة مغزل

وفسر المهيمن بالعالي والرقيب، ومن أسمائه تعالى المهيمن.

وقيل:المهيمن مشتق من أمن، وأصله اسم فاعل من آمنه عليه بمعنى استحفظه به، فهو مجاز في لازم المعنى وهو الرقابة، فأصله مؤأمن، فكأنهم راموا أن يفرقوا بينه وبين اسم الفاعل من آمن بمعنى اعتقد وبمعنى آمنه، لأن هذا المعنى المجازي صار حقيقة مستقلة فقلبوا الهمزة الثانية ياء وقلبوا الهمزة الأولى هاء، كما

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٠٦/٤

قالوا في أراق هراق، فقالوا:هيمن.

وقد أشارت الآية إلى حالتي القرآن بالنسبة لما قبله من الكتب، فهو مؤيد لبعض ما." (١)

"للظرفية، وهي في موضع الحال من الضمير المرفوع في {يخافه}.

والغيب ضد الحضور وضد المشاهدة، وقد تقدم في قوله تعالى: {الذين يؤمنون بالغيب} [البقرة:٣] على أحد وجهين هنالك، فتعلق المجرور هنا بقوله:{يخافه} الأظهر أنه تعلق لمجرد الكشف دون إرادة تقييد أو احتراز، كقوله تعالى :{ويقتلون النبيئين بغير حق} [البقرة:٦١].أي من يخاف الله وهو غائب عن الله، أي غير مشاهد له.وجميع مخافة الناس من الله في الدنيا هي مخافة بالغيب.قال تعالى: {إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير} [الملك:١٢]

وفائدة ذكره أنه ثناء على الذين يخافون الله أثنى عليهم بصدق الإيمان وتنور البصيرة، فإنهم خافوه ولم يروا عظمته وجلاله ونعيمه وثوابه ولكنهم أيقنوا بذلك عن صدق استدلال.وقد أشار إلى هذا ما في الحديث القدسي: "إنهم آمنوا بي ولم يروني فكيف لو رأوني". ومن المفسرين من فسر الغيب بالدنيا.وقال ابن عطية:"الظاهر أن المعنى بالغيب عن الناس، أي في الخلوة.فمن خاف الله انتهى عن الصيد من ذات نفسه، يعني أن المجرور للتقييد، أي من يخاف الله وهو غائب عن أعين الناس الذين يتقى إنكارهم عليه أو صدهم إياه وأخذهم على يده أو التسميع به، وهذا ينظر إلى ما بنوا عليه أن الآية نزلت في صيد غشيهم في سفرهم عام الحديبية يغشاهم في رحالهم وخيامهم، أي كانوا متمكنين من أخذه بدون رقيب، أو يكون الصيد المحذر من صيده مماثلا لذلك الصيد.

وقوله: {فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم} تصريح بالتحذير الذي أومأ اليه بقوله :{ليبلونكم}، إذ قد أشعر قوله :{ليبلونكم}، أن في هذا الخبر تحذيرا من عمل قد تسبق النفس إليه.والإشارة بذلك إلى التحذير المستفاد من :{ليبلونكم}، أي بعد ما قدمناه إليكم وأعذرنا لكم فيه، فلذلك جاءت بعده فاء التفريع.والمراد بالاعتداء الاعتداء بالصيد، وسماه اعتداء لأنه إقدام على محرم وانتهاك لحرمة الإحرام أو الحرم.

وقوله: {فله عذاب أليم} ، أي عقاب شديد في الآخرة بما اجترأ على الحرم أو على الإحرام أو كليهما، وبما خالف إنذار الله تعالى، وهذه إذا اعتدى ولم يتدارك اعتداءه بالتوبة أو الكفارة، فالتوبة معلومة من أصول الاسلام، والكفارة هي جزاء الصيد، لأن الظاهر أن الجزاء تكفير عن هذا الاعتداء كما سيأتي.روى

---

(١) التحرير والتنوير، ١٢٣/٥

ابن أبي حاتم عن ابن عباس: "العذاب الأليم أنه يوسع بطنه وظهره جلدا ويسلب ثيابه وكان الأمر كذلك به في الجاهلية".فالعذاب هو الأذى الدنيوي، وهو يقتضي أن هذه الآية قررت ما كان يفعله." (١)

"إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم}.

{وإذ قال الله} عطف على قوله: {إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك} [المائدة:١١٠] فهو ما يقوله الله يوم يجمع الرسل وليس مما قاله في الدنيا، لأن عبادة عيسى حدثت بعد رفعه، ولقوله: {هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم}. فقد أجمع المفسرون على أن المراد به يوم القيامة.وأن قوله: {وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس} قول يقوله يوم القيامة.وهذا مبدأ تقريع النصارى بعد أن فرغ من تقريع اليهود من قوله: {إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك} [المائدة:١١٠] إلى هنا.وتقريع النصارى هو المقصود من هذه الآيات كما تقدم عند قوله تعالى: {يوم يجمع الله الرسل} الآية، فالاستفهام هنا كالاستفهام في قوله تعالى للرسل: {ماذا أجبتم} [المائدة:١٠٩] والله يعلم أن عيسى لم يقل ذلك ولكن أريد إعلان كذب من كفر من النصارى.

وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله: {أأنت قلت للناس} يدل على أن الاستفهام متوجه إلى تخصيصه بالخبر دون غيره مع أن الخبر حاصل لا محالة.فقول قائلين:اتخذوا عيسى وأمه إلهين، واقع.وإنما ألقي الاستفهام لعيسى أهو الذي قال لهم ذلك تعريضا بالإرهاب والوعيد بتوجه عقوبة إلى من قال هذا القول إن تنصل منه عيسى فيعلم أحبارهم الذين اخترعوا هذا القول أنهم المراد بذلك.

والمعنى أنه إن لم يكن هو قائل ذلك فلا عذر لمن قاله لأنهم زعموا أنهم يتبعون أقوال عيسى وتعاليمه، فلو كان هو القائل لقال:اتخذوني وأمي، ولذلك جاء التعبير بهذين اللفظين في الآية.والمراد بالناس أهل دينه. وقوله: {من دون الله} متعلق بـ {اتخذوني} ، وحرف {من} صلة وتوكيد.وكلمة {دون} اسم للمكان المجاوز، ويكثر أن يكون مكانا مجازيا مرادا به المغايرة، فتكون بمعنى"سوى".وانظر ما تقدم آنفا عند قوله

---

(١) التحرير والتنوير، ٥/٢١٠

تعالى: {قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا} [المائدة:٧٦].والمعنى اتخذوني وأمي إلهين سوى الله.." (١)

"بـ"إن"المفيدة التعليل.وقد جمع فيه أربع مؤكدات وطريقة حصر، فضمير الفصل أفاد الحصر، وإن، وصيغة الحصر، وجمع الغيوب، وأداة الاستغراب.

وبعد أن تبرأ من أن يكون أمر أمته بما اختلقوه انتقل فبين أنه أمرهم بعكس ذلك حسبما أمره الله تعالى فقال: {ما قلت لهم إلا ما أمرتني به} ، فقوله: {ما قلت لهم} ارتقاء في الجواب، فهو استئناف بمنزلة الجواب الأول وهو {ما يكون لي أن أقول} الخ...صرح هنا بما قاله لأن الاستفهام عن مقاله.والمعنى:ما تجاوزت فيما قلت حد التبليغ لما أمرتني به، فالموصول وصلته هو مقول: {ما قلت لهم} وهو مفرد دال على جمل، فلذلك صح وقوعه منصوبا بفعل القول.

و {أن} مفسرة {أمرتني} لأن الأمر فيه معنى القول دون حروفه وجملة {اعبدوا الله ربي وربكم} تفسيرية لـ {أمرتني}. واختير {أمرتني} على"قلت لي"مبالغة في الأدب.ولما كان {أمرتني} متضمنا معنى القول كانت جملة {اعبدوا الله ربي وربكم} هي المأمور بأن يبلغه لهم فالله قال له: قل لهم اعبدوا الله ربي وربكم.فعلى هذا يكون {ربي وربكم} من مقول الله تعالى لأنه أمره بأن يقول هذه العبارة ولكن لما عبر عن ذلك بفعل {أمرتني به} صح تفسيره بحرف {أن} التفسيرية فالذي قاله عيسى هو عين اللفظ الذي أمره الله بأن يقوله.فلا حاجة إلى ما تكلف به في الكشاف على أن صاحب الانتصاف جوز وجها آخر وهو أن يكون التفسير جرى على حكاية القول المأمور به بالمعنى، فيكون الله تعالى قال له:"قل لهم أن يعبدوا ربك وربهم.فلما حكاه عيسى قال:اعبدوا الله ربي وربكم"اهـ.وهذا التوجيه هو الشائع بين أهل العلم حتى جعلوا الآية مثالا لحكاية القول بالمعنى.وأقول:هو استعمال فصيح.فال ابن عطية في تفسير قوله تعالى: {مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم} في سورة الأنعام[٦]:"إذا أخبرت أنك قلت لغائب أو قيل له أو أمرت أن يقال له:فلك في فصيح كلام العرب أن تحكي الألفاظ المقولة بعينها، فتجيء بلفظ المخاطبة، ولك أن تأتي بالمعنى في الألفاظ بذكر غائب دون مخاطبة"اهـ.وعندي أنه ضعيف في هذه الآية.

ثم تبرأ من تبعتهم فقال: {وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم} أي كنت مشاهدا لهم ورقيبا يمنعهم من أن

---

(١) التحرير والتنوير، ٥/٢٧٠

يقولوا مثل هذه المقالة الشنعاء.

و {ما دمت} "ما"فيه ظرفية مصدرية، و"دام"تامة لا تطلب منصوبا، و {فيهم}." [1]

"متعلق بـ {دمت}، أي بينهم، وليس خبرا لـ"دام"على الأظهر، لأن"دام"التي تطلب خبرا هي التي يراد منها الاستمرار على فعل معين هو مضمون خبرها، أما هي هنا فهي بمعنى البقاء، أي ما بقيت فيهم، أي ما بقيت في الدنيا.

ولذلك فرع عنه قوله: {فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم} ، أي فلما قضيت بوفاتي، لأن مباشر الوفاة هو ملك الموت.والوفاة الموت، وتوفاه الله أماته، أي قضى به وتوفاه ملك الموت قبض روحه وأماته.

وقد تقدم ذلك عند قوله تعالى: {إني متوفيك} في سورة آل عمران[٥٥]والمعنى:أنك لما توفيتني قد صارت الوفاة حائلا بيني وبينهم فلم يكن لي أن أنكر عليهم ضلالهم، ولذلك قال: {كنت أنت الرقيب} ، فجاء بضمير الفصل الدال على القصر، أي كنت أنت الرقيب لا أنا إذ لم يبق بيني وبين الدنيا اتصال.والمعنى أنك تعلم أمرهم وترسل إليهم من يهديهم متى شئت.وقد أرسل إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم وهداهم بكل وجوه الاهتداء.وأقصى وجوه الاهتداء إبلاغهم ما سيكون في شأنهم يوم القيامة.

وقوله: {وأنت على كل شيء شهيد} تذييل، والواو اعتراضية إذ ليس معطوفا على ما تقدم لئلا يكون في حكم جواب {لما}.

وقوله: {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم} فوض أمرهم إلى الله فهو أعلم بما يجازيهم به لأن المقام مقام إمساك عن إبداء رغبة لشدة هول ذلك اليوم، وغاية ما عرض به عيسى أنه جوز المغفرة لهم رحمة منه بهم.

وقوله: {فإنك أنت العزيز الحكيم} ذكر العزيز كناية عن كونه يغفر عن مقدرة، وذكر الحكيم لمناسبته للتفويض، أي المحكم للأمور العالم بما يليق بهم.

[١١٩] {قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم}.

جواب عن قول عيسى، فلذلك فصلت الجملة على طريقة الحوار.والإشارة إلى يوم القيامة وهو حاضر حين تجري هذه المقاولة.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٧٣/٥

وجملة {ينفع الصادقين صدقهم} مضاف إليها {يوم}، أي هذا يوم نفع الصدق.وقد قرأ غير نافع من العشرة {يوم} مضموما ضمة رفع لأنه خبر {هذا}. وقرأه نافع." (١)

"وأساطيرهم مثلما كان عليه اليونان القدماء، ويحتمل أنهم عبدوا الكواكب وعبدوا صورا أخرى على أنها دون الكواكب كما كان اليونان يقسمون المعبودات إلى آلهة وأنصاف آلهة.على أن الصابئة يعتقدون أن الكواكب روحانيات تخدمها.

وأفل النجم أفولا: غاب، والأفول خاص بغياب النيرات السماوية، يقال: أفل النجم وأفلت الشمس، وهو المغيب الذي يكون بغروب الكوكب وراء الأفق بسبب الدورة اليومية للكرة الأرضية، فلا يقال: أفلت الشمس أو أفل النجم إذا احتجب بسحاب.

وقوله: {لا أحب} الحب فيه بمعنى الرضى والإرادة، أي لا أرضى بالآفل إلها، أولا أريد الآفل إلها.وقد علم أن متعلق المحبة هو إرادته إلها له بقوله: {هذا ربي} .وإطلاق المحبة على الإرادة شائع في الكلام، كقوله تعالى: {فيه رجال يحبون أن يتطهروا} [التوبة: ١٠٨].وقدره في الكشاف بحذف مضاف، أي لا أحب عبادة الآفلين.

وجاء بـ {الآفلين} بصيغة جمع الذكور العقلاء المختص بالعقلاء بناء على اعتقاد قومه أن الكواكب عاقلة متصرفة في الأكوان، ولا يكون الموجود معبودا إلا وهو عالم.

ووجه الاستدلال بالأفول على عدم استحقاق الإلهية أن الأفول مغيب وابتعاد عن الناس، وشأن الإله أن يكون دائم **المراقبة** لتدبير عباده فلما أفل النجم كان في حالة أفوله محجوبا عن الاطلاع على الناس، وقد بنى هذا الاستدلال على ما هو شائع عند القوم من كون أفول النجم مغيبا عن هذا العالم، يعني أن ما يغيب لا يستحق أن يتخذ إلها لأنه لا يغني عن عباده فيما يحتاجونه حين مغيبه.وليس الاستدلال منظورا فيه إلى التغير لأن قومه لم يكونوا يعلمون الملازمة بين التغير وانتفاء صفة الإلهية، ولأن الأفول ليس بتغير في ذات الكوكب بل هو عرض للأبصار المشاهدة له، أما الكوكب فهو باق في فلكه ونظامه يغيب ويعود إلى الظهور وقوم إبراهيم يعلمون ذلك فلا يكون ذلك مقنعا لهم.

ولأجل هذا احتج بـحالة الأفول دون حالة البزوغ فإن البزوغ وإن كان طرأ بعد أفول لكن الأفول السابق غير مشاهد لهم فكان الأفول أخصر في الاحتجاج من أن يقول إن هذا البازغ كان من قبل آفلا.

---

(١) التحرير والتنوير، ٥/٢٧٤

وقوله: {فلما رأى القمر بازغا} الخ عطف على جملة محذوفة دل عليها الكلام.والتقدير: فطلع القمر فلما رآه بازغا، فحذفت الجملة للإيجاز وهو يقتضي أن القمر طلع بعد أفول الكوكب، ولعله اختار لمحاجة قومه الوقت الذي يغرب فيه الكوكب ويطلع القمر." (١)

"لرسالته فمن آمن فلنفسه ومن كفر فعليها.

والحفيظ: القيم الرقيب، أي لم نجعلك رقيبا على تحصيل إيمانهم فلا يهمنك إعراضهم عنك وعدم تحصيل ما دعوتهم إليه إذ لا تبعة عليك في ذلك، فالخبر مسوق مساق التذكير والتسلية، لا مساق الإفادة لان الرسول عليه الصلاة والسلام يعلم أن الله ما جعله حفيظا على تحصيل إسلامهم إذ لا يجهل الرسول ما كلف به.

وكذلك قوله: {وما أنت عليهم بوكيل} تهوين على نفس الرسول عليه الصلاة والسلام بطريقة التذكير لينتفي عنه الغم الحاصل له من عدم إيمانهم.

فإن أريد ما أنت بوكيل منا عليهم كان تتميما لقوله: {وما جعلناك١ عليهم حفيظا} ؛ وإن أريد ما أنت بوكيل منهم على تحصيل نفعهم كان استيعابا لنفي أسباب التبعة عنه في عدم إيمانهم، يقول: ما أنت بوكيل عليهم وكلوك لتحصيل منافعهم كإيفاء الوكيل بما وكله عليه موكله، أي فلا تبعة عليك منهم ولا تقصير لانتفاء سببي التقصير إذ ليس مقامك مقام حفيظ ولا وكيل.فالخبر أيضا مستعمل في التذكير بلازمه لا في حقيقته من إفادة المخبر به، وعلى كلا المعنيين لا بد من تقدير مضاف في قوله: {عليهم} ، أي على نفعهم.

والجمع بين الحفيظ والوكيل هنا في خبرين يؤيد ما قلناه آنفا في قوله تعالى: {وما أنا عليكم بحفيظ} [الأنعام: ١٠٤].من الفرق بين الوكيل والحفيظ فاذكره.

[١٠٨] {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون}

عطف على قوله: {وأعرض عن المشركين} [الأنعام: ١٠٦]يزيد معنى الإعراض المأمور به بيانا، ويحقق ما قلناه أن ليس المقصود من الإعراض ترك الدعوة بل المقصود الإغضاء عن سبابهم وبذيء أقوالهم مع الدوام على متابعة الدعوة بالقرآن، فإن النهي عن سب أصنامهم يؤذن بالاسترسال على دعوتهم وإبطال معتقداتهم مع تجنب المسلمين سب ما يدعونهم من دون الله.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٧٨/٦

والسب: كلام يدل على تحقير أحد أو نسبته إلى نقيصة أو معرة، بالباطل أو بالحق، وهو مرادف الشتم.وليس من السب النسبة إلى خطإ في الرأي أو العمل، ولا

_

١ في المطبوعة: "أرسلناك".." (١)

"والتفصيل: التبيين، وقد تقدم عند قوله تعالى: {وكذلك نفصل الآيات} في هذه السورة [٥٥].

و {كل شيء} مراد به أعظم الأشياء، أي المهمات المحتاج إلى بيان أحكامها في أحوال الدين. فتكون "كل" مستعملة في معنى الكثرة كما تقدم في قوله تعالى: {ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك} في سورة البقرة [١٤٥]. أو في معنى العظيم من الأشياء كأنه جمع الأشياء كلها.

أو يراد بالشيء: الشيء المهم، فيكون من حذف الصفة، كقوله: {يأخذ كل سفينة غصبا} [الكهف: ٧٩]، أي كل سفينة صالحة، ومثله قوله تعالى: {ما فرطنا في الكتاب من شيء} [الأنعام: ٣٨].

وقوله: {لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون} رجاء أن يؤمنوا بلقاء ربهم، والضمير عائد إلى معلوم من المقام وهم بنوا إسرائيل، إذ قد علم من إيتاء موسى عليه السلام الكتاب أن المنتفعين به هم قومه بنو إسرائيل، ومعنى ذلك: لعلهم إن تحروا في أعمالهم، على ما يناسب الأيمان بلقاء ربهم، فإن بني إسرائيل كانوا مؤمنين بلقاء الله من قبل نزول التوراة، ولكنهم طرأ عليهم من أزمنة طويلة: من أطوار مجاورة القبط، وما لحقهم من المذلة والتغرب والخصاصة والاستعباد، ما رفع منهم العلم، وأذوى الأخلاق الفاضلة، فنسوا مراقبة الله تعالى، وأفسدوا، حتى كان حالهم كحال من لا يؤمن بأنه يلقى الله، فأراد الله إصلاحهم ببعثه موسى عليه السلام، ليرجعوا إلى ما كان عليه سلفهم الصالح من مراقبة الله تعالى وخشية لقائه، والرغبة في أن يلقوه وهو راض عنهم. وهذا تعريض بأهل مكة ومن إليهم من العرب، فكذلك كان سلفهم على هدى وصلاح، فدخل فيهم من أضلهم ولقنهم الشرك وإنكار البعث، فأرسل الله إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم ليردهم إلى الهدى ويؤمنوا بلقاء ربهم.

وتقديم المجرور على عامله للاهتمام بأمر البعث والجزاء.

[١٥٥ – ١٥٧] {وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد

---

(١) التحرير والتنوير، ٦/٢٦١

جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون}.." (١)

"والنهي عن الفساد في الأرض التي أصلحها الله لفائدة الإنسان.

والتذكير ببديع ما أوجده الله صلاحها وإحيائها.

والتذكير بما أودع الله في فطرة الإنسان من وقت تكوين أصله أن يقبلوا دعوة رسل الله إلى التقوى والإصلاح.

وأفاض في أحوال الرسل مع أقوامهم المشركين، ومما لاقوه من عنادهم وأذاهم، وأنذر بعدم الاغترار بإمهال الله الله الناس قبل أن ينزل بهم العذاب، وإعذارا لهم ان يقلعوا عن كفرهم وعنادهم، فإن العذاب يأتيهم بغتة بعد ذلك الإمهال.

وأطال القول في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وفي تصرفات بني إسرائيل مع موسى عليه السلام.

وتخلل قصته بشارة الله ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وصفة أمته وفضل دينه.

ثم تخلص إلى موعظة المشركين كيف بدلوا الحنيفية وتقلدوا الشرك، وضرب لهم مثلا بمن آتاه الله الآيات فوسوس له الشيطان فانسلخ عن الهدى.

ووصف حال أهل الضلالة ووصف تكذيبهم بما جاء به الرسول ووصف آلهتهم بما ينافي الإلهية وأن لله الصفات الحسنى صفات الكمال.

ثم أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام والمسلمين بسعة الصدر والمداومة على الدعوة وحذرهم من مداخل الشيطان بمراقبة الله بذكره سرا وجهرا والإقبال على عبادته.

[١] {ألمص}.

هذه الحروف الأربعة المقطعة التي افتتحت بها هاته السورة، ينطق بأسمائها "ألف، لام، ميم، صاد"، كما ينطق بالحروف ملقن المتعلمين للهجاء في المكتب، لأن المقصود بها أسماء الحروف لا مسمياتها وأشكالها، كما أنك إذا أخبرت عن أحد بخبر تذكر اسم المخبر عنه دون أن تعرض صورته أو ذاته، فتقول مثلا: لقيت زيدا، ولا تقول: لقيت هذه الصورة، ولا لقيت هذه الذات.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٣٢/٧

فالنطق بأسماء الحروف هو مقتضى وقوعها في أوائل السور التي افتتحت بها، لقصد التعريض لتعجيز الذين أنكروا نزول القرآن من عند الله تعالى، أي تعجيز بلغائهم عن." (١)

"و {ما كان يصنع فرعون} : ما شاده من المصانع، وإسناد الصنع إليه مجاز عقلي لانه الآمر بالصنع، وأما إسناده إلى قوم فرعون فهو على الحقيقة العقلية بالنسبة إلى القوم لا بالنسبة إلى كل فرد على وجه التغليب.

و {يعرشون} ينشئون من الجنات ذات العرايش. والعريش: ما يرفع من دوالي الكروم، ويطلق أيضا على ا لنخلات العديدة تربى في أصل واحد ولعل جنات القبط كانت كذلك كما تشهد به بعض الصور المرسومة على هياكلهم نقشا ودهنا، وقد تقدم في قوله تعالى: {وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات} في سورة الأنعام [١٤١]، وفعله عرش - من بابي ضرب ونصر - وبالأول قرأ الجمهور، وقرأ بالثاني ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وذلك أن الله خرب ديار فرعون وقومه المذكورين، ودمر جناتهم بما ظلموا بالاهمال، أو بالزلزال، أو على أيدي جيوش أعدائهم الذين ملكوا مصر بعدهم، ويجوز أن يكون {يعرشون} بمعنى يرفعون أي يشيدون من البناء مثل مباني الاهرام والهياكل وهو المناسب لفعل {ودمرنا}، شبه البناء المرفوع بالعرش. ويجوز ان يكون يعرشون استعارة لقوة الملك والدولة ويكون دمرنا ترشيحا للاستعارة.

وفعل {كان} في الصلتين دال على أن ذلك دأبه وهجيراه، أي ما عني به من الصنائع والجنات. وصيغة المضارع في الخبرين عن "كان" للدلالة على التجدد والتكرر.

[١٣٨,١٤٠] {وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون * قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين}.

لما تمت العبرة بقصة بعث موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه، وكيف نصره الله على عدوه، ونصر قومه بني إسرائيل، وأهلك عدوهم كشأن سنة الله في نصر الحق على الباطل، استرسل الكلام إلى وصف تكوين أمة بني إسرائيل وما يحق أن يعتبر به من الأحوال العارضة لهم في خلال ذلك مما فيه طمأنينة نفوس المؤمنين الصالحين في صالح أعمالهم، وتحذيرهم مما يرمي بهم إلى غضب الله فيما يحقرون من

---

(١) التحرير والتنوير، ٨/٨

المخالفات، لما في ذلك كله من التشابه في تدبير الله تعالى أمور عبيده، وسنته في تأييد رسله وأتباعهم، وإيقاظ نفوس الأمة إلى **مراقبة** خواطرهم ومحاسبة نفوسهم في شكر النعمة ودحض." (١)

"فقاتلوا أئمة الكفر} [التوبة:١٢]. والمقصود هنا: أن حرمة العهد قد زالت.

وفي هذه الآية شرع الجهاد والإذن فيه والإشارة إلى أنهم لا يقبل منهم غير الإسلام. وهذه الآية نسخت آيات الموادعة والمعاهدة. وقد عمت الآية جميع المشركين وعمت البقاع إلا ما خصصته الأدلة من الكتاب والسنة.

والأخذ: الأسر.

والحصر: المنع من دخول أرض الإسلام إلا بإذن من المسلمين.

والقعود مجاز في الثبات في المكان، والملازمة له، لأن القعود ثبوت شديد وطويل فمعنى القعود في الآية المرابطة في مظان تطرق العدو المشركين إلى بلاد الإسلام، وفي مظان وجود جيش العدو وعدته.

والمرصد مكان الرصد. والرصد: **المراقبة** وتتبع النظر.

{كل} مستعملة في تعميم المراصد المظنون مرورهم بها، تحذيرا للمسلمين من إضاعتهم الحراسة في المراصد فيأتيهم العدو منها، أو من التفريط في بعض ممار العدو فينطلق الأعداء آمنين فيستخفوا بالمسلمين ويتسامع جماعات المشركين أن المسلمين ليسوا بذوي بأس ولا يقظة، فيؤول معنى {كل} هنا إلى معنى الكثرة للتنبيه على الاجتهاد في استقصاء المراصد كقول النابغة:

بها كل ذيال وخنساء ترعوي ... إلى كل رجاف من الرمل فارد

وانتصب {كل مرصد} إما على المفعول به بتضمين {واقعدوا} معنى (الزموا) كقوله تعالى: {لأقعدن لهم صراطك المستقيم} [الأعراف:١٦]، وإما على التشبيه بالظرف لأنه من حق فعل القعود أن يتعدى إليه بـ (في) الظرفية فشبه بالظرف وحذفت (في) للتوسع.

وتقدم ذكر {كل} عند قوله تعالى {إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها} في سورةالأنعام [٢٥].

{فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم} .

---

(١) التحرير والتنوير، ٨/٢٦٣

تفريع على الأفعال المتقدمة في قوله: {فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم} .." (١)

"{كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة} .

و {كيف} هذه مؤكدة ل {كيف} [التوبة:٧] التي في الآية قبلها، فهي معترضة بين الجملتين وجملة: {وإن يظهروا عليكم} الخ يجوز أن تكون جملة حالية، والواو للحال ويجوز أن يكون معطوفة على جملة {كيف يكون للمشركين عهد} [التوبة:٧] إخبارا عن دخائلهم.

وفي إعادة الاستفهام إشعار بأن جملة الحال لها مزيد تعلق بتوجه الإنكار على دوام العهد للمشركين، حتى كأنها مستقلة بالإنكار. لا مجرد قيد للأمر الذي توجه إليه الإنكار ابتداء، فيؤول المعنى الحاصل من هذا النظم إلى إنكار دوام العهد مع المشركين في ذاته، ابتداء، لأنهم ليسوا أهلا لذلك، وإلى إنكار دوامه بالخصوص في هذه الحالة. وهي حالة ما يبطنونه من نية الغدر إن ظهروا على المسلمين، مما قامت عليه القرائن والأمارات، كما فعلت هوازن عقب فتح مكة. فجملة: {وإن يظهروا عليكم} معطوفة على جملة {كيف يكون للمشركين عهد} [التوبة:٧].

وضمير {يظهروا} عائد إلى المشركين في قوله : {كيف يكون للمشركين عهد عند الله} [التوبة:٧] ومعنى {وإن يظهروا عليكم} إن ينتصروا. وتقدم بيان هذا الفعل آنفا عند قوله تعالى: {ولم يظاهروا عليكم أحدا} [التوبة:و٤].والمعنى: لو انتصر المشركون، بعد ضعفهم، وبعد أن جربوا من العهد أنه كان سببا في قوتكم، لنقضوا العهد. وضمير {عليكم} خطاب للمؤمنين.

ومعنى {لا يرقبوا} لا يوفوا ولا يراعوا، يقال: رقب الشيء، إذا نظر إليه نظر تعهد ومراعاة، ومنه سمي **الرقيب**، وسمي المرقب مكان الحراسة، وقد أطلق هنا على المراعاة والوفاء بالعهد، لأن من أبطل العمل بشيء فكأنه لم يره وصرف نظره عنه.

والإل: الحلف والعهد؛ ويطلق الإل على النسب والقرابة. وقد كانت بين المشركين وبين المسلمين أنساب وقرابات، فيصح أن يراد هنا كلا معنييه.

والذمة ما يمت به من الأواصر من صحبة وخلة وجوار مما يجب في المروءة أن يحفظ ويحمى يقال: في

(١) التحرير والتنوير، ٢٣/١٠

ذمتي كذا، أي ألتزم به وأحفظه.

{يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون} .." (١)

"الجامعة بينهم هي ولاية الإسلام، فهم فيها على السواء ليس واحد منهم مقلدا للآخر ولا تابعا له على غير بصيرة لما في معنى الولاية من الإشعار بالإخلاص والتناصر بخلاف المنافقين فكأن بعضهم ناشئ من بعض في مذامهم.

وزيد في وصف المؤمنين هنا {ويقيمون الصلاة} تنويها بأن الصلاة هي أعظم المعروف.

وقوله: {ويؤتون الزكاة} مقابل قوله في المنافقين {ويقبضون أيديهم} التوبة:٦٧].

وقوله: {ويطيعون الله ورسوله} مقابل قوله في المنافقين {نسوا الله} [التوبة:٦٧] لأن الطاعة تقتضي مراقبة المطاع فهي ضد النسيان.

وقوله: {أولئك سيرحمهم الله} مقابل قوله في المنافقين {فنسيهم} [التوبة:٦٧].

والسين لتأكيد حصول الرحمة في المستقبل، فحرف الاستقبال يفيد مع المضارع ما تفيد (قد) مع الماضي كقوله: {ولسوف يعطيك ربك فترضى} [الضحى:٥].

والإشارة للدلالة على أن ما سيرد بعد اسم الإشارة صاروا أحرياء به من أجل الأوصاف المذكورة قبل اسم الإشارة.

وجملة {إن الله عزيز حكيم} تعليل لجملة {سيرحمهم الله} أي: أنه تعالى لعزته ينفع أولياءه وأنه لحكمته يضع الجزاء لمستحقه.

[٧٢] {وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم} [التوبة:٧٢].

موقع هذه الجملة بعد قوله: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء} [التوبة:٧١]، كموقع جملة {وعد الله المنافقين والمنافقات} [التوبة:٦٨] بعد قوله: {المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض} [التوبة:٦٧] الآية. وهي أيضا كالاستئناف البياني الناشئ عن قوله: {أولئك سيرحمهم الله} [التوبة:٧١] مثل قوله في الآية السابقة {يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم} [التوبة:٢١] الآية.

وفعل المضي في قوله: {وعد الله} إما لأنه إخبار عن وعد تقدم في آي القرآن قصد من الإخبار به التذكير

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٠/١٠

بـه لتحقيقه، وإما أن يكون قد صيغ هذا الوعد بلفظ المضي على طريقة صيغ العقود مثل بعت وتصدقت لكون، تلك الصيغة معهودة في الالتزام الذي لا." (١)

"ولذلك عقب بتسليته بجملة {فلا تبتئس بما كانوا يفعلون} فالفاء لتفريع التسلية على الخبر المحزن.

والابتئاس افتعال من البؤس وهو الهم والحزن، أي لا تحزن.

ومعنى الافتعال هنا التأثر بالبؤس الذي أحدثه الخبر المذكور. {وما كانوا يفعلون} هو إصرارهم على الكفر واعتراضهم عن النظر في الدعوة إلى وقت أن أوحي إليه هذا. قال الله تعالى حكاية عنه: {فلم يزدهم دعائي إلا فرارا وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا} [نوح: ٦، ٧].

وتأكيد الفعل ب {قد} في قوله: {من قد آمن} للتنصيص على أن المراد من حصل منهم الإيمان يقينا دون الذين ترددوا.

[٣٧] {واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون} .

لما كان نهيه عن الابتئاس بفعلهم مع شدة جرمهم مؤذنا بأن الله ينتصر له أعقبه بالأمر بصنع الفلك لتهيئة نجاته ونجاة من قد أمن بـه من العذاب الذي قدره الله لقومه. كما حكى الله عنه: {فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر} [القمر: ١٠، ١١] الآية. فجملة {واصنع الفلك} عطف على جملة {فلا تبتئس} [هود: ٣٦] وهي بذلك داخلة في الموحى به فتدل على أن الله أوحى إليه كيفية صنع الفلك كما دل عليه قوله: {ووحينا} ، ولذلك فنوح – عليه السلام – أول من صنع الفلك ولم يكن ذلك معروفا للبشر، وكان ذلك منذ قرون لا يحصيها إلا الله تعالى، ولا يعتد بما يوجد في الإسرائيليات من إحصاء قرونها.

والفلك اسم يستوي فيه المفرد والجمع. وقد تقدم عند قوله تعالى: {والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس} في سورة البقرة [١٦٤].

والباء في {بأعيننا} للملابسة وهي في موضع الحال من ضمير "اصنع".

والأعين استعارة للمراقبة والملاحظة. وصيغة الجمع في {أعيننا} بمعنى المثنى، أي بعينينا، كما في قوله:

---

(١) التحرير والتنوير، ١٠/١٥٢

{واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا} [الطور: ٤٨]. والمراد الكناية بالمعنى المجازي عن لازمه وهو الحفظ من الخلل والخطأ في الصنع.." (١)

"وجملة {واتخذتموه وراءكم ظهريا} في موضع الحال من اسم الجلالة، أي الله أعز في حال أنكم نسيتم ذلك. والاتخاذ: الجعل، وتقدم في قوله: {أتتخذ أصناما آلهة} في سورة الأنعام [٧٤].

والظهري -- بكسر الظاء - نسبة إلى الظهر على غير قياس، والتغييرات في الكلم لأجل النسبة كثيرة. والمراد بالظهري الكناية عن النسيان، أو الاستعارة لأن الشيء الموضوع بالوراء ينسى لقلة مشاهدته، فهو يشبه الشيء المجعول خلف الظهر في ذلك، فوقع {ظهريا} حالا مؤكدة للظرف في قوله: {وراءكم} إغراقا في معنى النسيان لأنهم اشتغلوا بالأصنام عن معرفة الله أو عن ملاحظة صفاته.

وجملة {إن ربي بما تعملون محيط} استئناف، أو تعليل لمفهوم جملة: {أرهطي أعز عليكم من الله} الذي هو توكله عليه واستنصاره به.

والمحيط: الموصوف بأنه فاعل الإحاطة. وأصل الإحاطة: حصار شيء شيئا من جميع جهاته مثل إحاطة الظرف بالمظروف والسور بالبلدة والأسوار بالمعصم. وفي "المقامات الحريرية":

"وقد أحاطت به أخلاط الزمر، إحاطة الهالة بالقمر، والأكمام بالثمر . ويطلق مجازا في قولهم: أحاط علمه بكذا، وأحاط بكل شيء علما، بمعنى علم كل ما يتضمن أن يعلم في ذلك، ثم شاع ذلك فحذف التمييز وأسندت الإحاطة إلى العالم بمعنى إحاطة علمه، أي شمول علمه لجميع ما يعلم في غرض ما، قال تعالى: {وأحاط بما لديهم} [الجن: ٢٨] أي علمه. ومنه قوله هنا: {إن ربي بما تعملون محيط} والمراد إحاطة علمه. وهذا تعريض بالتهديد، وأن الله يوشك أن يعاقبهم على ما علمه من أعمالهم.

[٩٣] {ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب} .

عطف نداء على نداء زيادة في التنبيه، والمقصود عطف ما بعد النداء الثاني على ما بعد النداء الأول.

وجملة {اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون} تقدم تفسير نظيرها في سورة الأنعام.." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٥٥/١١

(٢) التحرير والتنوير، ٣٢١/١١

"والأمر للتهديد. والمعنى: اعملوا متمكنين من مكانتكم، أي حالكم التي أنتم عليها، أي اعملوا ما تحبون أن تعملوه بي.

وجملة {إني عامل} مستأنفة. ولم يقرن حرف {سوف} في هذه الآية بالفاء وقرن في آية سورة الأنعام بالفاء؛ فجملة {سوف تعلمون} هنا جعلت مستأنفة استئنافا بيانيا إذ لما فاتحهم بالتهديد كان ذلك ينشئ سؤالا في نفوسهم عما ينشأ على هذا التهديد فيجاب بالتهديد ب {سوف تعلمون} . ولكونه كذلك كان مساويا للتفريع بالفاء الواقع في آية الأنعام في المآل، ولكنه أبلغ في الدلالة على نشأة مضمون الجملة المستأنفة عن مضمون التي قبلها؛ ففي خطاب شعيب عليه السلام قومه من الشدة ما ليس في الخطاب المأمور به النبيء صلى الله عليه وسلم في سورة الأنعام جريا على ما أرسل الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من اللين لهم {فبما رحمة من الله لنت لهم} [آل عمران: ١٥٩]. وكذلك التفاوت بين معمولي {تعلمون} فهو هنا غليظ شديد { من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب} وهو هنالك لين {من تكون له عاقبة الدار} [الأنعام: ١٣٥].

و {من} استفهام معلق لفعل العلم عن العمل، أي تعلمون جواب هذا السؤال. والعذاب: خزي لأنه إهانة.

والارتقاب: الترقب، وهو افتعال من رقبه إذا انتظره.

والرقيب هنا فعيل بمعنى فاعل، أي أني معكم راقب، أي كل يرتقب ما يجازيه الله به إن كان كاذبا أو مكذبا.

[٩٤، ٩٥] {ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود} .

عطف {لما جاء أمرنا} هنا وفي قوله في قصة عاد {ولما جاء أمرنا نجينا هودا} [هود: ٥٩] بالواو فيهما وعطف نظيراهما في قصة ثمود {فلما جاء أمرنا نجينا صالحا} [هود: ٦٦] وفي قصة قوم لوط {فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها} [هود: ٨٢] لأن قصتي ثمود وقوم لوط كان فيهما تعيين أجل العذاب الذي توعد به النبيءان قومهما؛ ففي قصة ثمود {فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب} [هود: ٦٥]، وفي قصة قوم لوط {إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب} [هود: ٨١]؛ فكان المقام مقتضيا ترقب السامع." (١)

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٢٢/١١

"لما حل بهم عند ذلك الموعد فكان الموقع للفاء لتفريع ما حل بهم على الوعيد به. وليس في قصة عاد وقصة مدين تعيين لموعد العذاب ولكن الوعيد فيهما مجمل من قوله: {ويستخلف ربي قوما غيركم} [هود: ٥٧]، وقوله: {وارتقبوا إني معكم **رقيب}** [هود: ٩٣].

وتقدم القول في معنى {جاء أمرنا} إلى قوله: {ألا بعدا لمدين} في قصة ثمود. وتقدم الكلام على {بعدا} في قصة نوح في قوله: {وقيل بعدا للقوم الظالمين} [هود: ٤٤].

أما قوله: {كما بعدت ثمود} فهو تشبيه البعد الذي هو انقراض مدين بانقراض ثمود. ووجه الشبه التماثل في سبب عقابهم بالاستئصال، وهو عذاب الصيحة، ويجوز أن يكون المقصود من التشبيه الاستطراد بذم ثمود لأنهم كانوا أشد جرأة في مناواة رسل الله، فلما تهيأ المقام لاختتام الكلام في قصص الأمم البائدة ناسب أن يعاد ذكر أشدها كفرا وعنادا فشبه هلك مدين بهلكهم.

والاستطراد فن من البديع. ومنه قول حسان في الاستطراد بالهجاء بالحارث أخي أبي جهل:

إن كنت كاذبة الذي حدثتني ... فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرة ولجام

[٩٦، ٩٧] {ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملأه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد} .

عطف قصة على قصة. وعقبت قصة مدين بذكر بعثة موسى – عليه السلام – لقرب ما بين زمنيهما، ولشدة الصلة بين النبيءين فإن موسى بعث في حياة شعيب – عليهما السلام – وقد تزوج ابنة شعيب.

وتأكيد الخبر ب"قد" مثل تأكيد خبر نوح عليه السلام في قوله تعالى: {ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه} [هود: ٢٥].

والباء في: {بآياتنا} للمصاحبة فإن ظهور الآيات كان مصاحبا لزمن الإرسال إلى فرعون وهو مدة دعوة موسى – عليه السلام – فرعون وملأه.

والسلطان: البرهان المبين، أي المظهر صدق الجائي به وهو الحجة العقلية أو." (١)

"وفيها من عبر تاريخ الأمم والحضارة القديمة وقوانينها ونظام حكوماتها وعقوباتها وتجارتها. واسترقاق الصبي اللقيط. واسترقاق السارق، وأحوال المساجين. **ومراقبة** المكاييل.

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٢٣/١١

وإن في هذه السورة أسلوبا خاصا من أساليب إعجاز القرآن وهو الإعجاز في أسلوب القصص الذي كان خاصة أهل مكة يعجبون مما يتلقونه منه من بين أقاصيص العجم والروم، فقد كان النضر بن الحارث وغيره يفتنون قريشا بأن ما يقوله القرآن في شأن الأمم هو أساطير الأولين اكتتبها محمد صلى الله عليه وسلم.

وكان النضر يتردد على الحيرة فتعلم أحاديث "رستم" و"اسفنديار" من أبطال فارس، فكان يحدث قريشا بذلك ويقول لهم: أنا والله أحسن حديثا من محمد فهلم أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم بأخبار الفرس، فكان ما بعضها من التطويل على عادة أهل الأخبار من الفرس يموه به عليهم بأنه أشبع للسامع، فجاءت هذه السورة على أسلوب استيعاب القصة تحديا لهم بالمعارضة.

على أنها مع ذلك قد طوت كثيرا من القصة من كل ما ليس له كبير أثر في العبرة. ولذلك ترى في خلال السورة {وكذلك مكنا ليوسف في الأرض} [سورة يوسف:٥٦] مرتين {كذلك كدنا ليوسف} [سورة يوسف:٧٦] فتلك عبر من أجزاء القصة.

وما تخلل ذلك من الحكمة في أقوال الصالحين كقوله: {عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون} [سورة يوسف:٦٧]، وقوله: {إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين} [سورة يوسف:٩٠].

[١] {ألر تلك آيات الكتاب المبين}.

{ألر}.

تقدم الكلام على نظاير {ألر} ونحوها في أول سورة البقرة.

{تلك آيات الكتاب المبين}.

الكلام على {تلك آيات الكتاب} مضى في سورة يونس. ووصف الكتاب هنا ب{المبين} ووصف به في طالعة سورة يونس ب {الحكيم} لأن ذكر وصف إبانته هنا أنسب، إذ كانت القصة التي تضمنتها هذه السورة مفصلة مبينة لأهم ما جرى في مدة." (١)

"الله أو نحو ذلك، وبهذا يضاف الميثاق والعهد إلى اسم الجلالة كأن الحالف استودع الله ما به التوثق للمحلوف له.

وجملة {لتأتنني به} جواب لقسم محذوف دل عليه {موثقا}. وهو حكاية لقول يقوله أبناؤه المطلوب منهم إيقاعه حكاية بالمعنى على طريقة حكاية الأقوال لأنهم لو نطقوا بالقسم لقالوا: لنأتينك به، فلما حكاه

---

(١) التحرير والتنوير، ٧/١٢

هو ركب الحكاية بالجملة التي هي كلامهم وبالضمائر المناسبة لكلامه بخطابه إياهم.
ومن هذا النوع قوله تعالى حكاية عن عيسى – عليه السلام – {ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم} [سورة المائدة: ١١٧]. وإن ما أمره الله: قل لهم أن يعبدوا ربك وربهم.
ومعنى {يحاط بكم} يحيط بكم محيط. والإحاطة: الأخذ بأسر أو هلاك مما هو خارج عن قدرتهم، وأصله إحاطة الجيش في الحرب، فاستعمل مجازا في الحالة التي لا يستطاع التغلب عليها، وقد تقدم عند قوله تعالى: {وظنوا أنهم أحيط بهم} [سورة يونس: ٢٢].
والاستثناء في {إلا أن يحاط بكم} استثناء من عموم أحوال، فالمصدر المنسبك من {أن} مع الفعل في موضع الحال، وهو كالإخبار بالمصدر فتأويله: إلا محاطا بكم.
وقوله: {والله على ما نقول وكيل} تذكير لهم بأن الله رقيب على ما وقع بينهم. وهذا توكيد للحلف.
والوكيل: فعيل بمعنى مفعول، أي موكول إليه، وتقدم في {وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل} في سورة آل عمران [١٧٣].
[٦٧] {وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون}.
{وقال يا بني} عطف على جملة {قال الله على ما نقول وكيل} [سورة يوسف: ٦٦].
وإعادة فعل {قال} للإشارة إلى اختلاف زمن القولين وإن كانا معا مسببين على إيتاء موثقهم، لأنه اطمأن لرعايتهم ابنه وظهرت له المصلحة في سفرهم للإمتار، فقوله: {يا بني لا تدخلوا من باب واحد} صادر في وقت إزماعهم الرحيل. والمقصود من حكاية." (١)
"خلفه} جاءت مفردة لأن كلا منها عائد إلى أحد أصحاب تلك الصلاة حيث إن ذكرهم ذكر أقسام من الذين جعلوا سواء في علم الله تعالى، أي لكل من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار معقبات يحفظونه من غوائل تلك الأوقات.
ويجوز أن تتصل الجملة ب {من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار} [الرعد: ١٠]، وإفراد الضمير لمراعاة عطف صلة على صلة دون إعادة الموصول. والمعنى كالوجه الأول.
و"المعقبات" جمع معقبة بفتح العين وتشديد القاف مكسورة اسم فاعل عقبه إذا تبعه. وصيغة التفعيل فيه

---

(١) التحرير والتنوير، ١٢/٩٠

للمبالغة في العقب. يقال: عقبه إذا اتبعه واشتقاقه من العقب بفتح فكسر وهو اسم لمؤخر الرجل فهو فعل مشتق من الاسم الجامد لأن الذي يتبع غيره كأنه يطأ على عقبه، والمراد: ملائكة معقبات. والواحد معقب. وإنما جمع مؤنث بتأويل الجماعات.

والحفظ: **المراقبة**، ومنه سمي **الرقيب** حفيظا، والمعنى: يراقبون كل أحد في أحواله من إسرار وإعلان، وسكون وحركة، أي في أحوال ذلك، قال تعالى: {وإن عليكم لحافظين} [الانفطار: ١٠].

و {من بين يديه ومن خلفه} مستعمل في معنى الإحاطة من الجهات كلها. وقوله: {من أمر الله} صفة {معقبات} ، أي جماعات من جند الله وأمره، كقوله تعالى: {قل الروح من أمر ربي} [الإسراء: ٨٥] وقوله: {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا} [الشورى: ٥٢] يعني القرآن.

ويجوز أن يكون الحفظ على الوجه المراد به الوقاية والصيانة، أي يحفظون من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، أي يقونه أضرار الليل من اللصوص وذوات السموم، وأضرار النهار نحو الزحام والقتال، فيكون {من أمر الله} جارا ومجرورا لغوا متعلقا ب {يحفظونه} ، أي يقونه من مخلوقات الله. وهذا منة العبادة بلطف الله بهم وإلا لكان أدنى شيء يضر بهم. قال تعالى: {الله لطيف بعباده} [سورة الشورى: ١٩].

{إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال}.

جملة معترضة بين الجمل المتقدمة المسوقة للاستدلال على عظيم قدرة الله تعالى وعلمه بمصنوعاته وبين التذكير بقوة قدرته وبين جملة {هو هو الذي يريكم البرق خوفا." (١)

"فالتفريع في المعنى على مجموع الأمرين: كفرهم وإيمان النبي صلى الله عليه وسلم بالله.

ويجوز أن تكون تفريعا على جملة {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال} [الرعد: ٣١]، فيكون ترقيا في إنكار سؤالهم إتيان معجزة غير القرآن، أي إن تعجب من إنكارهم آيات القرآن فإن أعجب منه جعلهم القائم على كل نفس بما كسبت مماثلا لمن جعلوه لله شركاء.

واعترض أثر ذلك برد سؤالهم أن تسير الجبال أو تقطع الأرض أو تكلم الموتى، وتذكيرهم بما حل بالمكذبين من قبلهم مع إدماج تسلية الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم فرع على ذلك الاستفهام الإنكاري.

وللمفسرين في تصوير الآية محامل مختلفة وكثير منها متقاربة، ومرجع المتجه منها إلى أن في النظم حذفا

---

(١) التحرير والتنوير، ١٥٣/١٢

يدل عليه ما هو مذكور فيه، أو يدل عليه السياق. والوجه في بيان النظم أن التفريع على مجموع قوله: {وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه} أي أن كفرهم بالرحمن وإيمانك بأنه ربك المقصورة عليه الربوبية يتفرع على مجموع ذلك استفهامهم استفهام إنكار عليهم تسويتهم من هو قائم على كل نفس بمن ليس مثله من جعلوه له شركاء، أي كيف يشركونهم وهم ليسوا مع الله.

وما صدق {من هو قائم على كل نفس} هو الله الإله الق الخالق المدبر.

وخبر {من هو قائم} محذوف دلت عليه جملة {وجعلوا لله شركاء} والتقدير: أمن هو قائم على كل نفس ومن جعلوهم به شركاء سواء في استحقاق العبادة. دل على تقديره ما تقتضيه الشركة في العبادة من التسوية في الإلهية واستحقاق العبادة. والاستفهام إنكار لتلك التسوية من لفظ {شركاء}، وبهذا المحذوف استغنى عن تقدير معادل للهمزة كما نبه عليه صاحب "مغنى اللبيب"، لأن المقدر المدلول عليه بدليل خاص أقوى فائدة من تقدير المعادل الذي حاصله أن يقدر: أم من ليس كذلك. وسيأتي قريبا بيان موقع {وجعلوا لله شركاء}.

والعدول عن اسم الجلالة إلى الموصول في قوله: {أفمن هو قائم} لأن في الصلة دليلا على انتفاء المساواة، وتخطئة لأهل الشرك في تشريك آلهتهم لله تعالى في الإلهية، ونداء على غباوتهم إذ هم معترفون بأن الله هو الخالق. والمقدر باعتقادهم ذلك هو أصل إقامة الدليل عليهم بإقرارهم ولما في هذه الصلة من التعريض لما سيأتي قريبا.

والقائم على الشيء: الرقيب، فيشمل الحفظ والإبقاء والإمداد، ولتضمنه معنى." (١)

"الرقيب عدي بحرف {على} المفيد للاستعلاء المجازي. وأصله من القيام وهو الملازمة كقوله: {إلا ما دمت عليه قائما} [سورة آل عمران: ٧٥]. ويجيء من معنى القائم أنه العليم بحال كل شيء لأن تمام القيومية يتوقف على إحاطة العلم.

فمعنى {قائم على كل نفس} متوليها ومدبرها في جميع شؤونها في الخلق والأجل والرزق، والعالم بأحوالها وأعمالها، فكان إطلاق وصف {قائم} هنا من إطلاق المشترك على معنييه. والمشركون لا ينازعون في انفراد الله بهذا القيام ولكنهم لا يراعون ذلك في عبادتهم غيره، فمن أجل ذلك لزمتهم الحجة ولمراعاة هذا المعنى تعلق قائم بقوله: {على كل نفس} ليعم القيام سائر شؤونها.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٩١/١٢

والباء في قوله: {بما كسبت} للملابسة. وهي في موقع الحال من {نفس} أو من {قائم} باعتبار ما يقتضيه القيام من العلم، أي قياما ملابسا لما عملته كل نفس، أي قياما وفاقا لأعمالها من عمل خير يقتضي القيام عليها باللطف والرضى فتظهر آثار ذلك في الدنيا والآخرة لقوله: {من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون} [سورة النحل: ٩٧]، وقال: {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا} [سورة النور: ٥٥]، أو من عمل شر يقتضي قيامه على النفس بالغضب والبلايا. ففي هذه الصلة بعمومها تبشير وتهديد لمن تأمل من الفريقين. فهذا تعريض بالأمرين أفادته صلة الموصول.

وجملة {وجعلوا لله شركاء} في موضع الحال، أي والحال جعلوا له شركاء.

وإظهار اسم الجلالة إظهار في مقام الإتيان بضمير {من هو قائم}. وفائدة هذا الإظهار التعبير عن المسمى باسمه العلم الذي هو الأصل إذ كان قد وقع الإيفاء بحق العدول عنه إلى الموصول في الجملة السابقة فتهيأ المقام للاسم العلم، وليكون تصريحا بأنه المراد من الموصول السابق زيادة في التصريح بالحجة.

وجملة {قل سموهم} استئناف أعيد الأمر بالقول لاسترعاء الأفهام لوعي ما سيذكر. وهذه كلمة جامعة، أعني جملة {سموهم} ، وقد تضمنت ردا عليهم. فالمعنى: سموهم شركاء فليس لهم حظ 'لا التسمية، أي دون مسمى الشريك، فالأمر مستعمل في معنى الإباحة كناية عن قلة المبالاة بدعائهم أنهم شركاء، مثل {قل كونوا حجارة} [سورة." (١)

"جعلتم الله عليكم كفيلا}.

والمعنى: ولا تنقضوا الأيمان بعد حلفها. وليس في الآية إشعار بان من اليمين ما لا حرج في نقضه، وهو ما سموه يمين اللغو، وذلك انزلاق عن مهيع النظم القرآني.

ويؤيد ما فسرناه قوله: {وقد جعلتم الله عليكم كفيلا} الواقع موقع الحال من ضمير {لا تنقضوا} ، أي لا تنقضوا الأيمان في حال جعلكم الله كفيلا على أنفسكم إذا أقسمتم باسمه، فإن مدلول القسم أنه إشهاد الله بصدق ما يقوله المقسم: فيأتي باسم الله كالإتيان بذات الشاهد. ولذلك سمي الحلف شهادة في مواضع كثيرة، كقوله: {فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين} [النور:٦]. والمعنى: أن

---

(١) التحرير والتنوير، ١٩٢/١٢

هذه الحالة أظهر في استحقاق النهي عنها.

والكفيل: الشاهد والضامن والرقيب على الشيء المراعى لتحقيق الغرض منه.

والمعنى: أن القسم باسم الله إشهاد لله وكفالة به. وقد كانوا عند العهد يحلفون ويشهدون الكفلاء بالتنفيذ، قال الحارث بن حلزة:

واذكروا حلف ذي المجاز وماقدم فيه العهود والكفلاء

و {عليكم} متعلق بـ {جعلتم} لا بـ {كفيلا} أي أقمتموه على أنفسكم مقام الكفيل، أي فهو الكفيل والمكفول له من باب قولهم: أنت الخصم والحكم، وقوله تعالى: {وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه} [التوبة:١١٨]

وجملة {إن الله يعلم ما تفعلون} معترضة. وهي خبر مراد منه التحذير من التساهل في التمسك بالإيمان والإسلام لتذكيرهم أن الله يطلع على ما يفعلونه، فالتوكيد بـ {إن} للاهتمام بالخبر.

وكذلك التأكيد ببناء الجملة بالمسند الفعلي دون أن يقال: إن الله عليم. ولا: قد يعلم الله.

واختير الفعل المضارع في {يعلم} وفي {تفعلون} لدلالته على التجدد، أي كلما فعلوا فعلا فالله يعلمه.

والمقصود من هذه الجمل كلها من قوله: {وأوفوا بعهد الله} إلى هنا تأكيد الوصاية بحفظ عهد الأيمان، وعدم الارتداد إلى الكفر، وسد مداخل فتنة المشركين إلى نفوس." (١)

"وذكر أنه معجز.

ورد مطاعن المشركين فيه وفيمن جاء به، وأنهم لم يفقهوه فلذلك أعرضوا عنه .

وإبطال إحالتهم أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أسري به إلى المسجد الأقصى. فافتتحت بمعجزة الإسراء توطئة للتنظير بين شريعة الإسلام وشريعة موسى عليه السلام على عادة القرآن في ذكر المثل والنظائر الدينية، ورمزا إلهيا إلى أن الله أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم من الفضائل أفضل مما أعطى من قبله. وأنه أكمل له الفضائل فلم يفته منها فائت. فمن أجل ذلك أحله بالمكان المقدس الذي تداولته الرسل من قبل، فلم يستأثرهم بالحلول بذلك المكان هو مهبط الشريعة الموسوية، ورمز أطوار تاريخ بني إسرائيل وأسلافهم، والذي هو نظير المسجد الحرام في أن أصل تأسيسه في عهد إبراهيم كما سننبه عليه عند تفسير قوله تعالى :{ إلى المسجد الأقصى} [الإسراء:١]، فأحل الله به محمدا عليه الصلاة والسلام بعد أن

(١) التحرير والتنوير، ٢١١/١٣

هجر وخرب إيماء إلى أن أمته تجدد مجده.

وأن الله مكنه من حرمي النبوة والشريعة، فالمسجد الأقصى لم يكن معمورا حين نزول هذه السورة وإنما عمرت كنائس حوله، وأن بني إسرائيل لم يحفظوا حرمة المسجد الأقصى، فكان إفسادهم سببا في تسلط أعدائهم عليهم وخراب المسجد الأقصى. وفي ذلك رمز إلى أن إعادة المسجد الأقصى ستكون على يد أمة هذا الرسول الذي أنكروا رسالته.

ثم إثبات دلائل تفرد الله بالإلهية، والاستدلال بآية الليل والنهار وما فيهما من المنن على إثبات الوحدانية.

والتذكير بالنعم التي سخرها الله للناس، وما فيها من الدلائل على تفرده بتدبير الخلق، وما تقتضيه من شكر المنعم وترك شكر غيره، وتنزيهه عن اتخاذ بنات له.

وإظهار فضائل من شريعة الإسلام وحكمته، وما علمه الله المسلمين من آداب المعاملة نحو ربهم سبحانه، ومعاملة بعضهم مع بعض، والحكمة في سيرتهم وأقوالهم، **ومراقبة** الله في ظاهرهم وباطنهم.

وعن ابن عباس أنه قال:"التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني إسرائيل". وفي رواية عنه:"ثمان عشرة آية منها كانت في ألواح موسى" أي من قوله تعالى: {لا." (١)

"على ذلك الخلوص كاملا لا تكلف فيه ولا تكاسل، فلذلك ذيله بأنه المطلع على النفوس والنوايا، فوعد الولد بالمغفرة له إن هو أدى ما أمره الله به لوالديه وافيا كاملا. وهو مما يشمله الصلاح في قوله: {إن تكونوا صالحين} أي ممتثلين لما أمرتم به. وغير أسلوب الضمير فعاد إلى ضمير جمع المخاطبين لأن هذا يشترك فيه الناس كلهم فضمير الجمع أنسب به.

ولما شمل الصلاح الصلاح الكامل والصلاح المشوب بالتقصير ذيله بوصف الأوابين المفيد بعمومه معنى الرجوع إلى الله، أي الرجوع إلى أمره وما يرضيه، ففهم من الكلام معنى احتباك بطريق المقابلة. والتقدير: إن تكونوا صالحين أوابين إلى الله فإنه كان للصالحين محسنا وللأوابين غفورا. وهذا يعم المخاطبين وغيرهم، وبهذا العموم كان تذييلا.

وهذا الأوب يكون مطردا، ويكون معرضا للتقصير والتفريط، فيقتضي طلب الإقلاع عما يخرمه بالجوع إلى الحالة المرضية، وكل ذلك أوب وصاحبه آيب، فصيغ له مثال المبالغة (أواب) لصلوحه الميالغة لقوة كيفية الوصف وقوة كميته. فالملازم للأمثال في سائر الأحوال المراقب لنفسه أواب لشدة محافظته على الأوبة

---

(١) التحرير والتنوير، ١٤/٧

إلى الله، والمغلوب بالتفريط يؤوب كلما راجع نفسه وذكر ربه، فهو أواب لكثرة رجوعه إلى أمر ربه، وكل من الصالحين.

وفي قوله: {ربكم أعلم بما في نفوسكم} ما يشمل جميع أحوال النفوس وخاصة حالة التفريط وبوادر المخالفة. وهذا من رحمة الله تعالى بخلقه.

وقد جمعت هذه الآية مع إيجازها تيسيرا بعد تعسير مشوبا بتضييق وتحذير ليكون المسلم على نفسه **رقيبا**.

[٢٦.٢٧] {وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا}

{وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل}

القرابة كلها متشعبة عن الأبوة فلا جرم انتقل من الكلام على حقوق الأبوين إلى الكلام على حقوق القرابة.." (١)

"تلوين الأغراض وتقيب بعضها ببعض أضدادها استقصاء لأصناف الهدى ومختلف أساليبه ونفع مختلف الناس.

ولما كان ما سبق من حكاية أقوال المشركين تنبئ عن ضلال اعتقاد نقل الكلام إلى أمر المؤمنين بأن يقولوا أقوالا تعرب عن حسن النية وعن نفوس زكية. وأوتوا في ذلك كلمة جامعة وهي {يقولوا التي هي أحسن}
.

و {التي هي أحسن} صفة لمحذوف يدل عليه فعل {يقولوا} . تقديره: بالتي هي أحسن. وليس المراد مقالة واحدة.

واسم التفضيل مستعمل في قوة الحسن. ونظيره قوله: {وجادلهم بالتي هي أحسن} [النحل:١٢٥]، أي بالمجادلات التي هي بالغة الغاية في الحسن، فإن المجادلة لا تكون بكلمة واحدة.

فهذه الآية شديدة الاتصال بالتي قبلها وليست بحاجة إلى تطلب سبب لنزولها. وهذا تأديب عظيم في **مراقبة** اللسان وما يصدر منه. وفي الحديث الصحيح عن معاذ بن جبل: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بأعمال تدخله الجنة ثم قال له:"ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: كف عليك هذا. قال: قلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال: ثكلتك أمك وهل يكب

---

(١) التحرير والتنوير، ٦١/١٤

الناس في النار على وجوههم، أو قال على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم".
والمقصد الأهم من هذا التأديب تأديب الأمة في معاملة بعضهم بعضا بحسن المعاملة وإلانة القول. لأن القول ينم عن المقاصد،بقرينة قوله: {إن الشيطان ينزغ بينهم} . ثم تأديبهم في مجادلة المشركين اجتنابا لما تثيره المشادة والغلظة من ازدياد مكابرة المشركين وتصلبهم فذلك من نزغ الشيطان بينهم وبين عدوهم. قال تعالى: {ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم} [فصلت:٣٤]. والمسلمون في مكة يومئذ طائفة قليلة وقد صرف الله عنهم ضر أعدائهم بتصاريف من لطفه ليكونوا آمنين. فأمرهم أن لا يكونوا سببا في إفساد تلك الحالة.
والمراد بقوله: {لعبادي} المؤمنون كما هو المعروف من اصطلاح القرآن في هذا العنوان. وروي أن قول التي هي أحسن أن يقولوا للمشركين: يهديكم الله. يرحمكم الله. أي بالإيمان. وعن الكلبي: كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقول والفعل،." (١)
"الأمران إتماما لمنة واحدة لأن إنجاءه من القتل لا يظهر أثره إلا إذا أنجاه من الموت بالذبول لترك الرضاعة، ومن الإهمال المفضي إلى الهلاك أو الوهن إذا ولي تربيته من لا يشفق عليه الشفقة الجبلية. والتقدير: وإذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله لأجل أن تصنع على عيني.
والصنع: مستعار للتربية والتنمية، تشبيها لذلك بصنع شيء مصنوع، ومنه يقال لمن أنعم عليه أحد نعمة عظيمة: هو صنيعة فلان.
وأخت موسى: مريم ابنة عمران. وفي التوراة: أنها كانت نبية كما في الإصحاح الخامس عشر من سفر الخروج. وتوفيت مريم سنة ثلاث من خروج بني إسرائيل من مصر في برية صين كما في الإصحاح التاسع عشر من سفر العدد. وذلك سنة ١٤١٧ قبل المسيح.
وقرأه الجمهور بكسر اللام على أنها لام كي وبنصب فعل {تصنع} ، وقرأه أبو جعفر بسكون اللام على أنها لام الأمر ويجزم الفعل على أنه أمر تكويني، أي وقلنا: لتصنع.
وقوله: {على عيني} "على" منه للاستيلاء المجازي، أي المصاحبة المتمكنة، ف(على)هنا بمعنى باء المصاحبة قال تعالى: {فإنك بأعيننا} [الطور:٤٨].
والعين: مجاز في المراعاة **والمراقبة** كقوله تعالى: {واصنع الفلك بأعيننا} ، وقول النابغة:

---

(١) التحرير والتنوير، ١٤/١٠٥

عهدتك ترعاني بعين بصيرة ... وتبعث حراسا علي وناظرا
ووقع اختصار في حكاية قصة مشي أخته، وفصلت في سورة القصص.
والاستفهام في {هل أدلكم} للعرض. وأرادت ب {من يكفله} أمه. فلذلك قال: {فرجعناك إلى أمك} .
وهذه منة عليه لإكمال نمائه، وعلى أمه بنجاته فلم تفارق ابنها إلا ساعات قلائل، أكرمها الله بسبب ابنها.
وعطف نفي الحزن على قرة العين لتوزيع المنة، لأن قرة عينها برجوعه إليها، وانتفاء حزنها بتحقيق سلامته من الهلاك ومن الغرق وبوصوله إلى أحسن مأوى. وتقديم." (١)

"والذكر أصله: خطور شيء بالبال بعد غفلة عنه. ويطلق على الكتاب الذي فيه ذكر الله. فقوله تعالى: {للمتقين} يجوز أن يكون الكلام فيه للتقوية فيكون المجرور باللام في معنى المفعول، أي الذين اتصفوا بتقوى الله، أي امتثال أوامره واجتناب ما نهى عنه، لأنه يذكرهم بما يجهلون وبما يذهلون عنه مما علموه ويجدد في نفوسهم مراقبة ربهم. ويجوز أن يكون اللام للعلة، أي ذكر لأجل المتقين، أي كتاب ينتفع بما فيه المتقون دون غيرهم من الضالين.
ووصفهم بما يزيد معنى المتقين بيانا بقوله تعالى: {الذين يخشون ربهم بالغيب} وهو على نحو قوله تعالى: {هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب} في سورة البقرة.
والباء في قوله تعالى: {بالغيب} بمعنى "في". والغيب: ما غاب عن عيون الناس، أي يخشون ربهم في خاصتهم لا يريدون بذلك رياء ولا لأجل خوف الزواجر الدنيوية والمذمة من الناس.
والإشفاق: رجاء حادث مخوف. ومعنى الإشفاق من الساعة: الإشفاق من أهوالها، فهم يعدون لها عدتها بالتقوى بقدر الاستطاعة.
وفيه تعريض بالذين لم يهتدوا بكتاب الله تعالى بدلالة مفهوم المخالفة لقوله تعالى: {الذين يخشون ربهم بالغيب}. فمن لم يهتد بكتاب الله فليس هو من الذين يخشون ربهم بالغيب، وهؤلاء هم فرعون وقومه.
وقد عقب هذا التعريض بذكر المقصود من سوق الكلام الناشئ هو عنه، وهو المقابلة بقوله تعالى: {وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون}.
واسم الإشارة يشير إلى القرآن لأن حضوره في الأذهان وفي التلاوة بمنزلة حضور ذاته. ووصفه القرآن بأنه ذكر لأن لفظ الذكر جامع لجميع الأوصاف المتقدمة كما تقدم عند قوله تعالى: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين

---

(١) التحرير والتنوير، ١١٩/١٦

للناس ما نزل إليهم} في سورة النحل.

ووصف القرآن بالمبارك يعم نواحي الخير كلها لأن البركة زيادة الخير؛ فالقرآن كله خير من جهة بلاغة ألفاظه وحسنها وسرعة حفظه وسهولة تلاوته، وهو أيضا خير لما اشتمل عليه من أفنان الكلام والحكمة والشريعة واللطائف البلاغية، وهو في ذلك كله آية على صدق الذي جاء به لأن البشر عجزوا عن الإتيان بمثله وتحداهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فما استطاعوا. وبذلك اهتدت به أمم كثيرة في جميع الأزمان، وانتفع به من آمنوا به وفريق." (١)

"هذه صفة أخرى من جلائل صفات المؤمنين تنحل إلى فضيلتين هما فضيلة أداء الأمانة التي يؤتمنون عليها وفضيلة الوفاء بالعهد.

فالأمانة تكون غالبا من النفائس التي يخشى صاحبها عليها التلف فيجعلها عند من يظن فيه حفظها، وفي الغالب يكون ذلك على انفراد بين المؤتمن والأمين، فهي لنفاستها قد تغري الأمين عليها بأن لا يردها وبأن يجحدها ربها، ولكون دفعها في الغالب عريا عن الإشهاد تبعث محبتها الأمين على التمسك بها وعدم ردها، فلذلك جعل الله ردها من شعب الإيمان.

وقد جاء في الحديث عن حذيفة بن اليمان قال: "حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة" ، وحدثنا عن رفعها قال: "ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة" ، فيقال: إن في بني فلان رجلا أمينا، ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان" اه.

الوكت: سواد يكون في قشر التمر. والمجل: انتفاخ في الجلد الرقيق يكون شبه قشر العنبة ينشأ من مس النار الجلد ومن كثرة العمل باليد، وقوله: مثقال حبة من خردل من إيمان هو مصدر آمنه، أي وما في قرارة نفسه من إيمان الناس إياه فلا يأتمنه إلا مغرور.

وقد تقدم الكلام على الأمانة في قوله تعالى: {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها} في سورة النساء. وجمع {الأمانات} باعتبار تعدد أنواعها وتعدد القائمين بالحفظ تنصيصا على العموم.

---

(١) التحرير والتنوير، ٦٦/١٧

وقرأ الجمهور: {لأماناتهم} بصيغة الجمع، وقرأه ابن كثير {لأمانتهم} بالإفراد باعتبار المصدر مثل {الذين هم في صلاتهم خاشعون} .

والعهد: التزام بين اثنين أو أكثر على شيء يعامل كل واحد من الجانبين الآخر به. وسمي عهدا لأنهم يتحالفان بعهد الله، أي بأن يكون الله رقيبا عليهما في ذلك لايفيتهم المؤاخذة على تخلفه، وتقدم عند قوله تعالى: {الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه}." (١)

"في سورة البقرة.

والوفاء بالعهد من أعظم خلق الكريم لدلالته على شرف النفس وقوة العزيمة، فإن المرائين قد يلتزم كل منهما للآخر عملا عظيما فيصادف أن يتوجه الوفاء بذلك الالتزام على أحدهما فيصعب عليه أن يتجشم عملا لنفع غيره بدون مقابل ينتفع به هو فتسول له نفسه الختر بالعهد شحا أو خورا في العزيمة، فلذلك كان الوفاء بالعهد علامة على عظم النفس قال تعالى {وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا} .

والرعي: مراقبة شيء بحفظه من التلاشي وبإصلاح ما يفسد منه، فمنه رعي الماشية، ومنه رعي الناس، ومنه أطلقت المراعاة على ما يستحقه ذو الأخلاق الحميدة من حسن المعاملة. والقائم بالرعي راع.

فرعي الأمانة: حفظها. ولما كان الحفظ مقصودا لأجل صاحبها كان ردها إليه أولى من حفظها.

ورعي العهد مجاز، أي ملاحظته عند كل مناسبة.

والقول في تقديم {لأماناتهم وعهدهم} على {راعون} كالقول في نظائره السابقة، وكذلك إعادة اسم الموصول.

والجمع بين رعي الأمانات ورعي العهد لأن العهد كالأمانة لأن الذي عاهدك قد ائتمنك على الوفاء بما يقتضيه ذلك العهد.

وذكرهما عقب أداء الزكاة لأن الزكاة أمانة الله عند الذين أنعم عليهم بالمال، ولذلك سميت: حق الله، حق المال، وحق المسكين.

[٩] {والذين هم على صلواتهم يحافظون} .

ثناء على المؤمنين بالمحافظة على الصلوات، أي بعدم إضاعتها أو إضاعة بعضها. والمحافظة مستعملة في المبالغة في الحفظ إذ ليست المفاعلة هنا حقيقية كقوله تعالى: {حافظوا على الصلوات} وتقدم معنى

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨/١٤

الحفظ قريبا.

وجيء بالصلوات بصيغة الجمع للإشارة إلى المحافظة على أعدادها كلها تنصيصا على العموم.

وإنما ذكر هذا مع ما تقدم من قوله: {الذين هم في صلاتهم خاشعون}." (١)

"والسوء بفتح السين: الضر والعذاب، وأما بضم السين فهو ما يسوء. والفتح هو الأصل في مصدر ساءه؛ وأما السوء بالضم فهو اسم مصدر، فغلب استعمال المصدر في الذي يسوء بضر، واستعمال اسم المصدر في ضد الإحسان.

وتفرع على تحقيق إتيانهم على القرية مع عدم انتفاعهم به استفهام صوري عن انتفاء رؤيتهم إياها حينما يأتون عليها، لأنهم لما لم يتعظوا بها كانوا بحال من يسأل عنهم: هل رأوها، فكان الاستفهام لإيقاظ العقول للبحث عن حالهم. وهو استفهام إما مستعمل في الإنكار والتهديد، وإما مستعمل في الإيقاظ سبب عدم اتعاظهم.

وقوله {بل كانوا لا يرجون نشورا} يجوز أن يكون {بل} للإضراب الانتقالي انتقالا من وصف تكذيبهم بالنبي صلى الله عله وسلم وعدم اتعاظهم بما حل بالمكذبين من الأمم إلى ذكر تكذيبهم بالبعث، فيكون انتهاء الكلام عند قوله {أفلم يكونوا يرونها} وهو الذي يجري على الوجه الأول في الاستفهام. وعبر عن إنكارهم البعث بعدم رجائه لأن منكر البعث لا يرجو منه نفعا ولا يخشى منه ضرا، فعبر عن إنكار البعث بأحد شقي الإنكار تعريضا بأنهم ليسوا مثل المؤمنين يرجون رحمة الله .

والنشور: مصدر نشر الميت أحياه، فنشر، أي حيي. وهو من الألفاظ التي جرت في كلام العرب على معنى التخيل لأنهم لا يعتقدونه، ويروي للمهلهل في قتاله لبني بكر بن وائل الذي قتلوا أخاه كليبا قوله:

يا لبكر انشروا لي كليبا

...

يا لبكر أين أين الفرار

فإذا صحت نسبة البيت إليه كان مراده من ذلك تعجيزهم ليتوسل إلى قتالهم.

والمعنى: أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث فلم يكن لهم استعداد للاعتبار، لأن الاعتبار ينشأ عن **المراقبة** ومحاسبة النفس لطلب النجاة، وهؤلاء المشركون لما نشأوا على إهمال الاستعداد لما بعد الموت قصرت

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨/١٥

أفهامهم على هذا العالم العاجل فلم يعنوا إلا بأسباب وسائل العاجلة، فهم مع زكانتهم في تفرس الذوات والشيات ومراقبة سير النجوم وأنواء المطر والريح ورائحة أتربة منازل الأحياء، هم مع ذلك كله معرضون بأنظارهم عن توسم الالهيات وحياة الأنفس ونحو ذلك. وأصل ذلك الضلال كله انجر لهم من إنكار البعث فلذلك جعل هنا علة لانتفاء اعتبارهم بمصير أمة كذبت رسولها وعصت ربها. وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى {إن في ذلك لآيات للمتوسمين} أي دون من لا." (١)

"يفصح المفسرون عن معنى هذه الجملة إفصاحا شافيا.

والالتفات من الغيبة إلى التكلم في قوله {ثم جعلنا} لأن ضمير المتكلم أدخل في الامتنان من ضمير الغائب فهو مشعر بأن هذا الجعل نعمة وهي نعمة النور الذي به تمييز أحوال المرئيات وعليه فقوله {ثم جعلنا الشمس عليه دليلا} ارتقاء في المنة.

والدليل: المرشد إلى الطريق والهادي إليه، فجعل امتداد الظل لاختلاف مقاديره كامتداد الطريق وعلامات مقادير مثل صوى الطريق، وجعلت الشمس من حيث كانت سببا في ظهور مقادير الظل كالهادي إلى مراحل، بطريقة التشبيه البليغ، فكما أن الهادي يخبر السائر أين ينزل من الطريق، كذلك الشمس بتسببها في مقادير امتداد الظل تعرف المستدل بالظل بأوقات أعماله ليشرع فيها.

وتعدية {دليلا} بحرف "على" تفيد أن دلالة الشمس على الظل هنا دلالة تنبيه على شيء قد يخفى كقول الشاعر:

إلا علي دليل١.

وشمل هذا حالتي المد والقبض.

وجملة {ثم قبضناه إلينا} الخ عطف على جملة {مد الظل} ، أو على جملة {جعلنا الشمس عليه دليلا} لأن قبض الظل من آثار جعل الشمس دليلا على الظل.

و {ثم} الثانية مثل الأولى مفيدة التراخي الرتبي، لأن مضمون جملة {ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا} أهم في الاعتبار بمضمونها من مضمون {جعلنا الشمس عليه دليلا} ، إذ في قبض دلالة من دلالة الشمس هي عكس دلالتها على امتداده فكانت أعجب إذ هي عمل ضد للعمل الأول، وصدور الضدين من السبب الواحد أعجب من صدور أحدهما السابق في الذكر.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٩/٥٥

والقبض: ضد المد فهو مستعمل في معنى النقص، أي نقصنا امتداده، والقبض هنا استعارة للنقص. وتعديته بقوله {إلينا} تخييل، شبه الظل بحبل أو ثوب طواه صاحبه بعد أن بسطه على طريقة المكنية، وحرف "إلى" ومجروره تخييل.

—

١ أوله:

إلى الله أشكو أنني لست ماشيا

...

ولا جائيا إلى على دليل

أي: رقيب يدل علي.." (١)

"تنهى عن الفحشاء والمنكر، أي إنما كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر لأنها ذكر الله وذكر الله أمر كبير، فاسم التفضيل مسلوب المفاضلة مقصود به قوة الوصف كما في قولنا: الله أكبر، لا تريد أنه أكبر من كبير آخر.

ويجوز أن يكون عطفا على جملة {اتل ما أوحي إليك من الكتاب} . والمعنى: واذكر الله فإن ذكر الله أمر عظيم، فيصح أن يكون المراد من الذكر تذكر عظمة الله تعالى. ويجوز أن يكون المراد ذكر الله باللسان ليعم ذكر الله في الصلاة وغيرها. واسم التفضيل أيضا مسلوب المفاضلة ويكون في معنى قول معاذ بن جبل "ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله" .

ويجوز أن يكون المراد بالذكر تذكر ما أمر الله به ونهى عنه، أي مراقبة الله تعالى وحذر غضبه، فالتفضيل على بابه، أي ولذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة في ذلك النهي، وذلك لإمكان تكرار هذا الذكر أكثر من تكرر الصلاة فيكون قريبا من قول عمر رضي الله عنه: أفضل من شكر الله باللسان ذكر الله عند أمره ونهيه.

ولك أن تقول: ذكر الله هو الإيمان بوجوده وبأنه واحد. فلما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم وأراد أمر المؤمنين بعملين عظيمين من البر أردفه بأن الإيمان بالله هو أعظم من ذلك إذ هو الأصل كقوله تعالى {فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا} [البلد:

(١) التحرير والتنوير، ٦٥/١٩

١٣-١٧]. وذلك من رد العجز على الصدر عاد به إلى تعظيم أمر التوحيد وتفظيع الشرك من قوله {إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء} [العنكبوت: ٤٢] إلى هنا.

وقوله {والله يعلم ما تصنعون} تذييل لما قبله، وهو وعد ووعيد باعتبار ما اشتمل عليه قوله {اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة} وقوله {تنهى عن الفحشاء والمنكر} .

والصنع: العمل.

[٤٦] {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون}

عطف على جملة {اتل ما أوحي إليك من الكتاب} [العنكبوت: ٤٥] الآية، باعتبار ما." (١)

"بالقرينة. واسم الإشارة لزيادة تمييز هذا الدين مع تعظيمه.

و {القيم} : وصف بوزن فيعل مثل هين ولين يفيد قوة الاتصاف بمصدره، أي البالغ قوة القيام مثل استقام الذي هو مبالغة في قام كاستجاب.

والقيام: حقيقته الانتصاب ضد القعود والاضطجاع، ويطلق مجازا على انتفاء الاعوجاج يقال: عود مستقيم وقيم، فإطلاق القيم على الدين تشبيه انتفاء الخطإ عنه باستقامة العود وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس، كما في قوله تعالى: {ولم يجعل له عوجا قيما} [الكهف: ١، ٢] وقال تعالى {ذلك الدين القيم} في سورة براءة [٣٦].

ويطلق أيضا على الرعاية **والمراقبة** والكفالة بالشيء لأنها تستلزم القيام والتعهد قال تعالى {أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت} [الرعد: ٣٣]، ومنه قلنا لراعي التلامذة ومراقب أحوالهم: قيم. ويطلق القيم على المهيمن والحافظ. والمعاني كلها صالحة للحمل عليها هنا، فإن هذا الكتاب معصوم عن الخطأ ومتكفل بمصالح الناس وشاهدا على الكتب السالفة تصحيحا ونسخا قال تعالى: {وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه} وتقدم في طالع سورة المائدة [٤٨]. فهذا الدين به قوام أمر الأمة. قال عمر بن الخطاب لمعاذ بن جبل: يا معاذ ما قوام هذه الأمة قال: الإخلاص وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والصلاة وهي الدين، والطاعة وهي العصمة، فقال عمر: صدقت. يريد معاذ بالإخلاص التوحيد كقوله تعالى: {مخلصين له الدين حنفاء} [البينة: ٥].

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨٠/٢٠

والاستدراك في قوله: {ولكن أكثر الناس لا يعلمون} لدفع توهم واهم يقول إذا كان هو دين الفطرة وهو القيم فكيف أعرض كثير من الناس عنه بعد تبليغه، فاستدرك ذلك بأنهم جهال لا علم عندهم فإن كان قد بلغهم فإنهم جهلوا معانيه لإعراضهم عن التأمل ولا يعلمون منه إلا ما لا يفيدهم مهمهم لأنهم لم يسعوا في أن يبلغهم على الوجه الصحيح؛ ففعل {لا يعلمون} غير متطلب مفعولا بل هو منزل منزلة اللازم لأن المعنى لا علم عندهم على نحو ما قرر في نظيره في أول هذه السورة.

والمراد بـ {أكثر الناس} المشركون إذ أعرضوا عن دعوة الإسلام، وأهل الكتاب إذ أبوا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ومفارقة أديانهم بعد إبطالها لانتهاء صلاحية تفاريعها بانقضاء الأحوال التي شرعت لها انقضاء لا مطمع بعده لأن تعود.." (١)

"وابتدئ ذكر لقمان بالتنويه بأن آتاه الله الحكمة وأمره بشكر النعمة. وأطيل الكلام في وصايا لقمان وما اشتملت عليه: من التحذير من الإشراك، ومن الأمر ببر الوالدين، ومن مراقبة الله لأنه عليم بخفيات الأمور، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر، والتحذير من الكبر والعجب، والأمر بالاتسام بسمات المتواضعين في المشي والكلام.

وسلكت السورة أفانين ذات مناسبات لما تضمنته وصية لقان لابنه، وأدمج في ذلك تذكير المشركين بدلائل وحدانية الله تعالى وبنعمه عليهم وكيف أعرضوا عن هديه وتمسكوا بما ألفوا عليه آباءهم.

وذكرت مزية دين الإسلام. وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم بتمسك المسلمين بالعروة الوثقى، وأنه لا يحزنه كفر من كفروا.

وانتظم في هذه السورة الرد على المعارضين للقرآن في قوله: {ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام} {لقمان: ٢٧] وما بعدها. وختمت بالتحذير من دعوة الشيطان والتنبيه إلى بطلان ادعاء علم الغيب.

[١] {الم} .

تقدم الكلام على نظائرها في أول سورة البقرة.

[٢,٥] {تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون} .

إذا كانت هذه السورة نزلت بسبب سؤال قريش عن لقمان وابنه فهذه الآيات إلى قوله: {ولقد آتينا لقمان

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١/٥١

الحكمة} [لقمان: ١٢] بمنزلة مقدمة لبيان أن مرمى القرآن من قص القصة ما فيها من علم وحكمة وهدى وأنها مسوقة للمؤمنين لا للذين سألوا عنها فكان سؤالهم نفعا للمؤمنين.

والإشارة بـ {تلك} إلى ما سيذكر في هذه السورة، فالمشار إليه مقدر في الذهن مترقب الذكر على ما تقدم في قوله: {ذلك الكتاب} في أول البقرة [٢] وفي أول سورة الشعراء [٢] والنمل [١] والقصص [٢].

و {آيات الكتاب} خبر عن اسم الإشارة. وفي الإشارة تنبيه على تعظيم قدر تلك الآيات بما دل عليه اسم الإشارة من البعد المستعمل في رفعة القدر، وبما دلت عليه." (١)

"الله المؤمنين يومئذ بالتحية كرامة لهم.

وجملة {وأعد لهم أجرا كريما} حال من ضمير الجلالة، أي يحييهم يوم يلقونه وقد أعد لهم أجرا كريما.

والمعنى: ومن رحمته بهم أن بدأهم بما فيه بشارة بالسلامة وقد أعد لهم أجرا كريما إتماما لرحمته بهم.

والأجر: الثواب. والكريم: النفيس في نوعه، وقد تقدم عند قوله تعالى {إني ألقي إلي كتاب كريم} في سورة النمل [٢٩]. والأجر الكريم: نعيم الجنة.

[٤٥، ٤٦] {يا أيها النبيء إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا} .

هذا النداء الثالث للنبيء صلى الله عليه وسلم فإن الله لما أبلغه بالنداء الأول ما هو متعلق بأزواجه وما تخلل ذلك من التكليف والتذكير، ناداه بأوصاف أودعها سبحانه فيه للتنويه بشأنه وزيادة رفعة مقداره وبين له أركان رسالته، فهذا الغرض هو وصف تعلقات رسالته بأحوال أمته وأحوال الأمم السالفة.

وذكر له هنا خمسة أوصاف هي: شاهد. ومبشر. ونذير. وداع إلى الله. وسراج منير. فهذه الأوصاف ينطوي إليها وتنطوي على مجامع الرسالة المحمدية فلذلك اقتصر عليها من بين أوصافه الكثيرة.

والشاهد: المخبر عن حجة المدعي ودفع دعوى المبطل، فالرسول صلى الله عليه وسلم شاهد بصحة ما هو صحيح من الشرائع وبقاء ما هو صالح للبقاء منها ويشهد ببطلان ما ألصق بها وبنسخ ما لا ينبغي بقاؤه من أحكامها بما أخبر عنهم في القرآن والسنة، قال تعالى: {مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه} [المائدة: ٤٨]. وفي حديث الحشر: "يسأل كل رسول هو بلغ فيقول: نعم. فيقول الله: من يشهد لك فيقول: محمد وأمته"... الحديث.

ومحمد صلى الله عليه وسلم شاهد أيضا على أمته بمراقبة جريهم على الشريعة في حياته وشاهد عليهم في

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١/٨٨

عرصات القيامة، قال تعالى: {وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} [النساء: ٤١] فهو شاهد على المستجيبين لدعوته وعلى المعرضين عنها، وعلى من استجاب للدعوة ثم بدل. وفي حديث الحوض: "ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى إذا رأيتهم وعرفتهم." (١)

"تعالى وقد أجرى الله عليه صفات من صفاته مثل رؤوف رحيم ومثل شاهد. وقالت عائشة رضي الله عنها: ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا أختار أيسرهما ما لم يكن إثما. ولهذا لم يأخذ رسول الله بهذا التخير في النساء اللاتي كن في معاشرته وأخذ به في الواهبات أنفسهن مع الإحسان إليهن بالقول والبذل فأن الله كتب الإحسان على كل شيء. وأخذ به في ترك التزوج من بنات عمه وعماته وخاله وخالاته لأن ذلك لا حرج فيه عليهن.

[٥٢] {لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا} .

موقع هذه الآية في المصحف عقب التي قبلها يدل على أنها كذلك نزلت وأن الكلام متصل بعضه ببعض ومنتظم هذا النظم البديع، على أن حذف ما أضيفت إليه {بعد} ينادي على أنه حذف معلوم دل عليه الكلام السابق فتأخرها في النزول عن الآيات التي قبلها وكونها متصلة بها وتتمة لها مما لا ينبغي أن يتردد فيه، فتقدير المضاف إليه المحذوف لا يخلو: إما أن يؤخذ من ذكر الأصناف قبلة، أي من بعد الأصناف المذكورة بقوله: {إنا أحللنا لك أزواجك} [الأحزاب: ٥٠] الخ. وإما أن يكون مما يقتضيه الكلام من الزمان، أي من بعد هذا الوقت، والأول الراجح.

و {بعد} يجوز أن يكون بمعنى "غير" كقوله تعالى: {فمن يهديه من بعد الله} [الجاثية: ٢٣] وهو استعمال كثير في اللغة، وعليه فلا ناسخ لهذه الآية من القرآن ولا هي ناسخة لغيرها، ومما يؤيد هذا المعنى التعبير بلفظ الأزواج في قوله: {ولا أن تبدل بهن من أزواج} أي غيرهن وعلى هذا المحمل حمل الآية ابن عباس فقد روى الترمذي عنه قال: "نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات" فقال: {لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك} فأحل الله المملوكات المؤمنات {وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيء} [الأحزاب: ٥٠]. ومثل هذا مروي عن أبي بن كعب وعكرمة والضحاك. ويجوز أن يكون {بعد} مراد به الشيء

(١) التحرير والتنوير، ٢٧٩/٢١

المتأخر عن غيره وذلك حقيقة معنى البعدية فيتعين تقدير لفظ يدل على شيء سابق.
وبناء {بعد} على الضم يقتضي تقدير كضاف إليه محذوف يدل عليه الكلام السابق." (١)

"وفي هذا إيذان بأن الله لما أباح لرسوله الأصناف الثلاثة أراد اللطف له وأن لا يناكد رغبته إذا أعجبته امرأة لكنه حدد له أصنافا معينة وفيهن غناء.

وقد عبرة عن هذا المعنى عائشة رضي الله عنها بعبارة شيقة إذ قالت للنبيء صلى الله عليه وسلم: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك.وأكدت هذه المبالغة بالتذييل من قوله: {وكان الله على كل شيء رقيبا} أي علما بجري كل شيء على نحو ما حدده أو على خلافه، فهو يجازي على حسب ذلك. وهذا وعد النبيء صلى الله عليه وسلم بثواب عظيم على ما حدد له من هذا الحكم.

والاستثناء في قوله: {إلا ما ملكت يمينك} منقطع. والمعنى: لكن ما ملكت يمينك حلال في كل حال.
والمقصود من هذا الاستدراك دفع توهم أن يكون المراد من لفظ {النساء} في قوله: {لا يحل لك النساء} ما يرادف لفظ الإناث دون استعماله العرفي بمعنى الأزواج كما تقدم.

[٥٣] {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبيء إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبيء فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما}.

{يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبيء إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبيء فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق}.

لما بين الله في الآيات السابقة آداب النبيء صلى الله عليه وسلم مع أزواجه فقاه في هذه الآية بآداب الأمة معهن، و صدر بالإشارة إلى قصة هي سبب نزول هذه الآية.وهي ما في "صحيح البخاري" و غيره عن أنس بن مالك قال: لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ابنة جحش صنع طعاما بخبز ولحم ودعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام قام من

(١) التحرير والتنوير، ٣٠٢/٢١

قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبيء ليدخل فإذا القوم جلوس، فجعل النبيء صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يرجع فانطلق إلى حجرة عائشة... فتقرى حجر." (١)

"الظاهر من كونه تفصيلا أن لا يعطف فيقال: الشمس تجري لمستقر لها، فخولف مقتضى الظاهر لأن في هذا التفصيل آية خاصة وهي آية سير الشمس والقمر.

وقدم التنبيه على آية الليل والنهار لما ذكرناه هنالك، فكانت آية الشمس المذكورة هنا مرادا بها دليل آخر على عظيم صنع الله تعالى وهو نظام الفصول.

وجملة: {تجري لمستقر لها} يتحمل الوجوه التي ذكرناها في جملة {أحييناها} [يس: ٣٣] من كونها حالا أو بيانا لجملة {وءآية لهم} [يس: ٣٣] أو بدل اشتمال من {وءآية}.

والجري حقيقته: السير السريع لذوات الأرجل، وأطلق مجازا على تنقل الجسم من مكان إلى مكان تنقلا سريعا بالنسبة لتنقل أمثال ذلك الجسم، وغلب هذا الإطلاق فساوى الحقيقة وأريد به السير في مسافات متباعدة جد التباعد فتقطعها في مدة قصيرة بالنسبة لتباعد الأرض حول الشمس. وهذا استدلال بآثار ذلك السير المعروفة للناس معرفة إجمالية بما يحسبون من الوقت وامتداد الليل والنهار وهي المعرفة لأهل المعرفة بمراقبة أحوالها من خاصة الناس وهم الذين يرقبون منازل تنقلها المسماة بالبروج الاثني عشر، والمعروفة لأهل العلم بالهيئة تفصيلا واستدلالا وكل هؤلاء مخاطبون بالاعتبار بما بلغه علمهم.

والمستقر: مكان الاستقرار، أي القرار أو زمانه، فالسين والتاء فيه للتأكيد مثل: استجاب بمعنى أجاب. واللام في {لمستقر} يجوز أن تكون لام التعليل على ظاهرها، أي تجري لأجل أن تستقر، أي لأجل أن ينتهي جريها كما ينتهي سير المسافر إذا بلغ إلى مكانه فاستقر فيه، وهو متعلق بـ {تجري} على أنه نهاية له لأن سير الشمس لما كانت نهايته انقطاعه نزل الانقطاع عنه منزلة العلة كما يقال "لدوا للموت وابنوا للخراب".

وتنزيل النهاية منزلة العلة مستعمل في الكلام، ومنه قوله تعالى: {فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا} [القصص: ٨]. والمعنى: أنها تسير سيرا دائبا مشاهدا إلى أن تبلغ الاحتجاب عن الأنظار.

ويجوز أن تكون اللام بمعنى "إلى" ، أي تجري إلى مكان استقرارها وهو مكان الغروب، شبه غروبها عن الأبصار بالمستقر والمأوى الذي يأوي إليه المرء في آخر النهار بعد الأعمال. وقد ورد تقريب ذلك في

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٠٥/٢١

حديث أبي ذر الهروي في صحيحي "البخاري" و"مسلم" و"جامع الترمذي" بروايات مختلفة حاصل ترتيبها أنه قال: "كنت مع رسول الله." (١)

"[الكهف:٥٧]،أي لم يفكر في عاقبة ما يقدمه من الأعمال.وفي جعل الضلال عن سبيل الله ونسيان يوم الحساب سببين لاستحقاق العذاب الشديد تنبيه على تلازمهما فإن الضلال عن سبيل الله يفضي إلى الإعراض عن مراقبة الجزاء.وترجمة داود تقدمت عند قوله تعالى: {ومن ذريته داود} في الأنعام[٨٤]وقوله: {وآتينا داود زبورا} في النساء[١٦٣].

[٢٧] {وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار}

لما جرى في خطاب داود ذكر نسيان يوم الحساب وكان أقصى آيات ذلك النسيان جحود وقعه لأنه يفضي إلى عدم مراعاته ومراقبته أبدا أعترض بين القصتين بثلاث آيات لبيان حكمة الله تعالى في جعل الجزاء ويومه احتجاجا على منكريه من المشركين.

والباطل:ضد الحق،فكل ما كان غير حق فهو الباطل، ولذلك قال تعالى في الآية الأخرى: {ما خلقناهما إلا بالحق} [الدخان:٣٩].

والمراد بالحق المأخوذ من نفي الباطل هنا، هو أن تلك المخلوقات خلقة على حالة لا تخرج عن الحق؛ إما حالا كخلق الملائكة والرسل والصالحين،وإما في المآل كخلق الشياطين والمفسدين لأن إقامة الجزاء عليهم من بعد استدراك لمقتضى الحق.

وقد بنية هذه الحجة على الاستدلال بأحوال المشاهدات وهي أحوال السماوات والأرض وما بينهما،والمشركون يعلمون أن الله هو خالق السماوات والأرض وما بينهما،فأقيم الدليل على أساس مقدمة لا نزاع فيها،وهي أن الله خلق ذلك وأنهم إلى تأملوا أدنى تأمل وجدوا من نظام هذه العوالم دلالة تحصل بأدنى نظر على أنه نظام على غاية الإحكام أحكام مطردا،وهو ما نبههم الله إليه بقوله: {وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا} .

ومصب النفي الحال وهو قوله: {باطلا} فهو عام لوقوعه في سياق النفي،وبعد النظر يعلم الناظر أن خالقها حكيم عادل وأن تصرفات الفاعل يستدل بالظاهر منها على الخفي،فكان حق على الذين اعتادوا بتحكيم المشاهدات وعدم تجاوزها أن ينظروا بقياس ما خفي عنهم على ما هو مشاهد لهم، فلما استقر أن نظام

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٣٠/٢٢

السماء والأرض وما بينهما كان جاريا على مقتضى الحكمة وكامل النظام، فعليهم أن يتدبروا فيما خفي عنهم من." (١)

"و {الكتاب} تعريفه تعريف الجنس،أي وضعت الكتب وهي صحائف أعمال العباد أحضرت للحساب بما فيها ن صالح وسيئ.والوضع:الحط،والمراد به هنا الإحضار.

ومجيء النبيين للشهادة على أممهم،كما تقدم في قوله تعالى: {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} في سورة النساء[٤١].

ويجوز أن يكون المراد بالكتاب كتب الشرائع التي شرعها الله للعباد على ألسنة الرسل ويكون إحضارها شاهدة على الأمم بتفاصيل ما بلغه الرسل إليهم لئلا يزعموا انهم لم تبلغهم الأحكام.وقد صورت الآية صورة المحكمة الكاملة التي أشرقت بنور العدل،وصدر الحكم على ما يستحقه المحكوم فيهم من كرامة ونذالة،ولذلك قال: {وقضي بينهم بالحق} أي صدر القضاء فيهم بما يستحقون وهو مسمى الحق،فمن القضاء ما هو فصل بين الناس في معاملات بعضهم مع بعض من كل ظالم ومظلوم ومعتد ومعتدى عليه في اختلاف المعتقدات واختلاف المعاملات قال تعالى: {وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون} [النحل:١٢٤].

ومن القضاء القضاء على كل نفس بما هي به حقيقة من مرتبة الثواب أو العقاب وهو قوله: {ووفيت كل نفس ما عملت} .فقضاء الله هو القضاء العام الذي لا يقتصر على إنصاف المتداعين كقضاء القاضي،ولا على سلوك الداعرين كقضاء والي الشرطة،ولا على مراقبة المغيرين كقضاء والي الحسبة، ولكنه قضاء على كل نفس بما اختلت به من عمل وبما أضمرته من ضمائر إن خيرا فخير وإن شرا فشر.وإلى ذلك تشير المراتب الثلاث في الآية:مرتبة {وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون} ،ومرتبة {ووفيت كل نفس ما عملت} ،ومرتبة {وهو أعلم بما يفعلون} .

والتوفية:إعطاء الشيء وافيا لا نقص فيه عن الحق في إعطائه ولا عن عطاء أمثاله.وفي قوله: {ما عملت} مضاف محذوف،أي جزاء ما عملت لظهور أن ما عمله المرء لا يوفاه بعد أن عمله وإنما يوفى جزاءه.." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ١٤٤/٢٣

(٢) التحرير والتنوير، ١٣٤/٢٤

"[٦] {والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل}

جملة معطوفة على جملة {له ما في السماوات وما في الأرض} [الشورى: ٤] بعد أن أفيد ما هو كالحجة على أن لله ما في السماوات وما في الأرض من قوله {وهو العلي العظيم تكاد السماوات} [الشورى: ٥] الآيتين. فالمعنى: قد نهضت حجة انفراده تعالى بالعزة والحكمة والعلو والعظمة وعلمها المؤمنون فاستغفرت لهم الملائكة. وأما الذين لم يبصروا تلك الحجة وعميت عليهم الأدلة فلا تهتم بشأنهم فإن الله حسبهم وما أنت عليهم بوكيل. فهذا تسكين لحزن الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل عدم إيمانهم بوحدانية الله تعالى.

وهذه مقدمة لما سيؤمر به الرسول صلى الله عليه وسلم من الدعوة ابتداء من قوله {وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى} [الشورى: ٧] الآية، ثم قوله {شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا} [الشورى: ١٣] الآيات، ثم قوله {فلذلك فادع واستقم} [الشورى: ١٥] وقوله {قل لا أسألكم عليه أجرا} [الشورى: ٢٣] الآية.

وقوله {والذين اتخذوا من دونه أولياء} مبتدأ وجملة {الله حفيظ عليهم} خبر عن {والذين اتخذوا من دونه أولياء} .

والحفيظ: فعيل بمعنى فاعل، أي حافظ، وتختلف معانيه ومرجعها إلى رعاية الشيء والعناية به: ويكثر أن يستعمل كناية عن مراقبة أحوال المرقوب وأعماله، وباختلاف معانيه تختلف تعديته بنفسه أو بحرف جر يناسب المعنى، وقد عدي هنا بحرف "على" كما يعدى الوكيل لأنه بمعناه.

والوكيل فعيل بمعنى مفعول وهو الموكول إليه عمل في شيء أو اقتضاء حق. يقال: وكله على كذا، ومنه الوكالة في التصرفات المالية والمخاصمة، ويكثر أن يستعمل كناية عن مراقبة أحوال الموكل عليه وأعماله.

وقد استعمل {حفيظ} و"وكيل" هنا في استعمالهما الكنائي عن متقارب المعنى فلذلك قد يفسر أهل اللغة أحد هذين اللفظين بما يقرب من تفسير اللفظ الآخر كتفسير المرادف بمرادفه وذلك تسامح. فعلى من يريد التفرقة بين اللفظين أن يرجع بهما إلى أصل مادتي "حفظ" و"وكل"، فمادة "حفظ" تقتضي قيام الحدث بفاعل وتعديته إلى مفعول، ومادة "وكل" تقتضي قيام الحدث بفاعل وتعديته إلى مفعول وتجاوزه من ذلك

المفعول إلى شيء آخر وهو متعلق به، وبذلك كان فعل "حفظ" مفيدا بمجرد ذكر فاعله ومفعوله دون احتياج إلى متعلق آخر، بخلاف فعل "وكل"." (١)

"فإفادته متوقفة على ذكر أو على تقدير ما يدل على شيء آخر زائد على المفعول ومن علائقه، فلذلك أوثر وصف "حفيظ" هنا بالإسناد إلى اسم الجلالة لأن الله جل عن أن يكلفه غيره حفظ شيء فهو فاعل الحفظ، وأوثر وصف "وكيل" بالإسناد إلى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم لأن المقصود أن الله لم يكلفه بأكثر من التبليغ، والمعنى: الله رقيب عليهم لا أنت وما أنت بموكل من الله على جبرهم على الإيمان. وفي معناه قوله في آخر هذه السورة {فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ} [الشورى: ٤٨]

وأيضا هي كالبيان لما في جملة {تكاد السماوات يتفطرن} [الشورى: ٥] لأن من أسباب مقاربة تفطرهن كثرة ما فيهن من الملائكة.

ولولا أنها أريد منها زيادة تقرير معنى جملة {وهو العلي العظيم} [الشورى:٤] لكانت جديرة بأن تفصل ولكن رجح العطف لأجل الاهتمام بتقرير العلو والعظمة لله تعالى. وأما التبيين فيحصل بمجرد تعقيب جملة {تكاد السماوات يتفطرن} بها كما علمته آنفا.

فقوله {الملائكة} [الشورى:٥] مبتدأ وجملة {يسبحون} [الشورى:٥] خبر والمقصود الإعلام بجلال الله.

وتسبيح الملائكة بحمد الله: خضوع لعظمته وعلوه، والتسبيح التنزيه عن النقائص.

فتسبيح الملائكة قد يكون عبارة عن إدراكهم عظمة الله تعالى فهو: انفعال روحاني كقوله تعالى {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة} [الأعراف: ٢٠٥]، وقد يكون دلالة على التنزيه بما يناسب الملائكة من ظواهر الانفعال بالطاعة أو من كلام مناسب للحالة الملكية وكذلك حمدهم ربهم واستغفارهم لمن في الأرض.

ومفعول {يسبحون} محذوف دل عليه مصاحبته {بحمد ربهم} [الشورى:٥] تقديره: يسبحون ربهم، والباء للمصاحبة، أي يسبحون تسبيحا مصاحبا لحمدهم ربهم، أي الثناء عليه بصفاته الكمالية، ومن الثناء ما هو شكر على نعمه عليهم وعلى غيرهم، فالمعنى: يسبحون الله ويحمدونه.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٠٣/٢٥

وهذا تعريض بالمشركين إذ أعرضوا عن تسبيح ربهم وحمده وشغلوا بتحميد الأصنام التي لا نعمة لها عليهم ولا تنفعهم ولا تضرهم.
وتقديم التسبيح على الحمد إشارة إلى أن تنزيه الله عما لا يليق به أهم من إثبات صفة الكمال له لأن التنزيه تمهيد لإدراك كمالاته تعالى. ولذلك كانت الصفات المعبر عنها بصفات السلوب مقدمة في ترتيب علم الكلام على صفات المعاني –عندنا-." (١)

"فالذين كفروا هم المكيدون} [الطور:٤٢]

وعن مقاتل نزلت هذه الآية في تدبير قريش بالمكر بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة حين استقر أمرهم على ما أشار به أبو جهل عليهم أن يبرز من كل قبيلة رجل ليشتركوا في قتل النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يستطيع بنو هاشم المطالبة بدمه، وقتل الله جميعهم في بدر.
والإبرام حقيقته: القتل المحكم، وهو هنا مستعار لإحكام التدبير والعزم على ما دبروه.
والمخالفة بين {أبرموا} و {مبرمون} لأن إبرامهم واقع، وأما إبرام الله جزاء لهم فهو توعد بأن الله قدر نقض ما أبرموه فإن اسم الفاعل حقيقة في زمن الحال، أي نحن نقدر لهم الآن أمرا عظيما، وذلك إيجاد أسباب وقعة بدر التي استؤصلوا فيها.
والأمر: العمل العظيم الخطير، وحذف مفعول {مبرمون} لدلالة ما قبله عليه.
[٨٠] {أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون} {أم} والاستفهام المقدر بعدها في قوله {أم يحسبون} هما مثل ما تقدم في قوله {أم أبرموا أمرا} [الزخرف: ٧٩].
وحرف {بلى} جواب للنفي من قوله {أنا لا نسمع} أي بلى نحن نسمع سرهم ونجواهم.
والسمع هو: العلم بالأصوات.
والمراد بالسر: ما يسرونه في أنفسهم من وسائل المكر للنبي صلى الله عليه وسلم، وبالنجوى ما يتناجون به بينهم في ذلك بحديث خفي.
وعطف {ورسلنا لديهم يكتبون} ليعلموا أن علم الله بما يسرون علم يترتب عليه أثر فيهم وهو مؤاخذتهم بما يسرون لأن كتابة الأعمال تؤذن بأنها ستحسب لهم يوم الجزاء.
والكتابة يجوز أن تكون حقيقة، وأن تكون مجازا، أو كناية عن الإحصاء والاحتفاظ.

---
(١) التحرير والتنوير، ١٠٤/٢٥

والرسل: هم الحفظة من الملائكة لأنهم مرسلون لتقصي أعمال الناس ولذلك قال {لديهم يكتبون} كقوله {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق:١٨]، أي رقيب يرقب قوله.." (١)

"معد يكرب:

ودع عنك عمرا إن عمرا مسالم ... وهل بطن عمرو غير شبر المطعم

والبحر هو بحر القلزم المسمى اليوم البحر الأحمر.

والرهو: الفجوة الواسعة. وأصله مصدر رها، إذا فتح بين رجليه، فسميت الفجوة رهوا تسمية بالمصدر، وانتصب {رهوا} على الحال من البحر على التشبيه البليغ، أي مثل رهو.

وجملة {إنهم جند مغرقون} استئناف بياني جوابا عن سؤال ناشئ عن الأمر بترك البحر مفتوحا، وضمير {إنهم} عائد إلى اسم الإشارة في قوله {أن هؤلاء قوم مجرمون} [الدخان: ٢٢] والجند: القوم والأمة وعسكر الملك.

وإقحام لفظ {جند} دون الاقتصار على {مغرقون} لإفادة أن إغراقهم قد لزمهم حتى صار كأنه من مقومات عنديتهم كما قدمناه عند قوله تعالى {لآيات لقوم يعقلون} في سورة البقرة. [١٦٤]

[٢٥-٢٨] {كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين}

{كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك}

استئناف ابتدائي مسوق للعبرة بعواقب الظالمين المغرورين بما هم فيه من النعمة والقوة، غرورا أنساهم مراقبة الله فيما يرضيه، فموقع هذا الاستئناف موقع النتيجة من الدليل أو البيان من الإجمال لما في قوله {ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون} [الدخان: ١٧] من التنظير الإجمالي.

وضمير {تركوا} عائد إلى ما عاد إليه ضمير {إنهم جند مغرقون} [الدخان: ٢٤].

والترك حقيقته: إلقاء شيء في مكان متنقل عنه إبقاء اختياريا، ويطلق مجازا على مفارقة المكان والشيء الذي في مكان غلبة دون اختيار وهو مجاز مشهور يقال: ترك الميت مالا، ومنه سمي مخلف الميت تركة

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٥/٢٩٥

وهو هنا من هذا القبيل.

وفعل {تركوا} مؤذن بأنهم أغرقوا وأعدموا، وذلك مقتضى أن ما أمر الله به موسى." (١)

"و {بشرى} عطف على {مصدق} ، والتقدير: وهو بشرى للمحسنين، أي الكتاب، وهذا النظم يجعل الجملة بمنزلة الاحتراس والتتميم.

وقرأ نافع وابن عامر والبزي عن ابن كثير ويعقوب {لتنذر} بالمثناة الفوقية خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم فيحصل وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه منذر ووصف كتابه بأنه {بشرى} وفيه احتباك. وقرأه الجمهور بالمثناة التحتية على أنه خبر عن الكتاب فإسناد الإنذار إلى كتاب مجاز عقلي.

{إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون} [الاحقاف:١٤]

استئناف بياني أوثر بصريحه جانب المؤمنين من المستمعين للقرآن لأنهم لما سمعوا البشرى تطلعوا إلى صفة البشرى وتعيين المحسنين ليضعوا أنفسهم في حق مواضعها، فأجيبوا بأن البشرى هي نفي الخوف والحزن عنهم، وأنهم أصحاب الجنة وأن المحسنين هم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا في أعمالهم. وأشير بمفهومه إلى التعريض بالذين ظلموا فإن فيه مفهوم القصر من قوله {أولئك أصحاب الجنة}

وتعريفهم بطريق الموصولية لما تؤذن به الصلة من تعليل كرامتهم عند الله لأنهم جمعوا حسن معاملتهم لربهم بتوحيده وخوفه وعبادته، وهو ما دل عليه {قالوا ربنا الله} إلى حسن معاملتهم أنفسهم وهو معنى {ثم استقاموا}

وجيء في صلة الموصول بفعل {قالوا} لإيجاز المقول وغنيته عن أن يقال: اعترفوا بالله وحده وأطاعوه. والمراد: أنهم قالوا ذلك واعتقدوا معناه إذ الشأن في الكلام الصدق وعملوا به لأن الشأن مطابقة العمل للاعتقاد.

{ثم} للتراخي الرتبي: وهو الارتقاء والتدرج، فإن مراعاة الاستقامة أشق من حصول الإيمان لاحتياجها إلى تكرر مراقبة النفس، فأما الإيمان فالنظر يقتضيه واعتقاده يحصل دفعة لا يحتاج إلى تجديد ملاحظة. فهذا وجه التراخي الرتبي من جهة، وإن كان الإيمان أرقى درجة من العمل من حيث إنه شرط في الاعتداد بالعمل ولذلك عطف ب {ثم} التي للتراخي في قوله تعالى {وما أدراك ما العقبة فك رقبة} إلى قوله {ثم كان من

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٢٧/٢٥

الذين آمنوا} [البلد: ١٢,١٧]، فالاعتباران مختلفان باختلاف المقام المسوق فيه الكلام كما يظهر بالتأمل هنا وهناك، وتقدم نظيره في سورة فصلت.." (١)

"والعزم المحمود في الدين: العزم على ما فيه تزكية النفس وصلاح الأمة، وقوامه الصبر على المكروه وباعث التقوى، وقوته شدة **المراقبة** بأن لا يتهاون المؤمن عن محاسبته نفسه قال تعالى {وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور} [آل عمران: من الآية١٨٦] وقال {ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما} [طه:١١٥] وهذا قبل هبوط آدم إلى عالم التكليف، وعلى هذا تكون {من} في قوله {من الرسل} تبعيضية. وعن ابن عباس أنه قال: كل الرسل أولو عزم، وعليه تكون {من} بيانية.

وهذه الآية اقتضت أن محمدا صلى الله عليه وسلم من أولي العزم لأن تشبيه الصبر الذي أمر به بصبر أولي العزم من الرسل يقتضي أنه مثلهم لأنه ممتثل أمر ربه، فصبره مثيل لصبرهم، ومن صبر صبرهم كان منهم لا محالة.

وأعقب أمره بالصبر بنهيه عن الاستعجال للمشركين، أي الاستعجال لهم بالعذاب، أي لا تطلب منا تعجيله لهم وذلك لأن الاستعجال ينافي العزم ولأن في تأخير العذاب تطويلا لمدة صبر الرسول صلى الله عليه وسلم بكسب عزمه قوة.

ومفعول {تستعجل} محذوف دل عليه المقام، تقديره: العذاب أو الهلاك.

واللام في {لهم} لام تعدية فعل الاستعجال إلى المفعول لأجله، أي لا تستعجل لأجلهم، والكلام على حذف مضاف إذ التقدير: لا تستعجل لهلاكهم. وجملة {كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار} تعليل للنهي عن الاستعجال لهم بالعذاب بأن العذاب واقع بهم فلا يؤثر في وقوعه تطويل أجله ولا تعجيله، قال مرة بن عداء الفقعسي، ولعله أخذ قوله من هذه الآية:

كأنك لم تسبق من الدهر ليلة

إذا أنت أدركت الذي كنت تطلب

وهم عند حلوله منذ طول المدة يشبه حالهم حال عدم المهلة إلا ساعة قليلة.

و {من نهار} وصف الساعة، وتخصيصها بهذا الوصف لأن ساعة النهار تبدو للناس قصيرة لما للناس في النهار من الشواغل بخلاف ساعة الليل تطول إذ لا يجد الساهر شيئا يشغله. فالتنكير للتقليل كما في

(١) التحرير والتنوير، ٢٣/٢٦

حديث الجمعة قوله صلى الله عليه وسلم "وفيه ساعة يستجاب فيها الدعاء" ، وأشار بيده يقللها، والساعة جزء من الزمن.

{بلاغ}

فذلكة لما تقدم بأنه بلاغ للناس مؤمنهم وكافرهم ليعلم كل حظه من ذلك، فقوله." (١)

"وذكر الجلال الدواني في شرح العقيدة العضدية أن أبي بن خلف لما سمع ما في القرآن من الإعادة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبيده عظم قد رم ففتته بيده وقال: يا محمد أترى يحييني بعد أن أصير كهذا العظم فقل له النبي صلى الله عليه وسلم: "نعم ويبعثك ويدخلك النار". وفيه نزل قوله تعالى {وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم} [يس:٧٨].

وعبر ب {تنقص الأرض} دون التعبير بالإعدام لأن للأجساد درجات من الاضمحلال تدخل تحت حقيقة النقص فقد يفنى بعض أجزاء الجسد ويبقى بعضه، وقد يأتي الفناء على جميع أجزائه، على أنه إذا صح أن عجب الذنب لا يفني كان فناء الأجساد نقصا لا انعداما.

وعطف على قوله {قد علمنا ما تنقص الأرض منهم} قوله {وعندنا كتاب حفيظ} عطف الأعم على الأخص، وهو بمعنى تذييل لجملة {قد علمنا ما تنقص الأرض منهم} أي وعندنا علم بكل شيء علما ثابتا فتنكير {كتاب} للتعظيم، وهو تعظيم التعميم، أي عندنا كتاب كل شيء.

و {حفيظ} فعيل: إما بمعنى فاعل، أي حافظ لما جعل لإحصائه من أسماء الذوات ومصائرها. وتعيين جميع الأرواح لذواتها التي كانت مودعة فيها بحيث لا يفوت واحد منها عن الملائكة الموكلين بالبعث وإعادة الأجساد وبث الأرواح فيها. وإما بمعنى مفعول، أي محفوظ ما فيه مما قد يعتري الكتب المألوفة من المحو والتغيير والزيادة والتشطيب ونحو ذلك.

والكتاب: المكتوب، ويطلق على مجموع الصحائف. ثم يجوز أن يكون الكتاب حقيقة بأن جعل الله كتبا وأودعها الى ملائكة يسجلون فيها الناس حين وفياتهم ومواضع أجسادهم ومقار أرواحهم وانتساب كل روح إلى جسدها المعين الذي كانت حالة فيه حال الحياة الدنيا صادقا بكتب عديدة لكل إنسان كتابه، وتكون مثل صحائف الأعمال الذي جاء فيه قوله تعالى: {إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٧,١٨] وقوله {ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ

(١) التحرير والتنوير، ٥٧/٢٦

كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا} [الإسراء: ١٣،١٤]
ويجوز أن يكون مجموع قوله {وعندنا كتاب} تمثيلا لعلم الله تعالى بحال علم من عنده كتاب حفيظ يعلم به جميع أعمال الناس.." (١)

"ويسارا مع الودجين، وكل هذه الأقسام يسمى الوريد. وفي الجسد وريدان وهما عرقان يكتنفان صفحتي العنق في مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه.
وقد تختلف أسماء أجزائه باختلاف مواقعها من الجسد فهو في العنق يسمى الوريد، وفي القلب يسمى الوتين، وفي الظهر يسمى الأبهر، وفي الذراع والفخذ يسمونه الأكحل والنسا، وفي الخنصر يدعى الأسلم.
وإضافة {حبل} إلى {الوريد} بيانية، أي الحبل الذي هو الوريد، فإن إضافة الأعم إلى الأخص إذا وقعت في الكلام كانت إضافة بيانية كقولهم: شجر الأراك.
والقرب هنا كناية عن إحاطة العلم بالحال لأن القرب يستلزم الاطلاع، وليس هو قربا بالمكان بقرينة المشاهدة فآل الكلام إلى التشبيه البليغ تشبيه معقول بمحسوس، وهذا من بناء التشبيه على الكناية بمنزلة بناء المجاز على المجاز.
ومن لطائف هذا التمثيل أن حبل الوريد مع قربه لا يشعر الإنسان بقربه لخفائه، وكذلك قرب الله من الإنسان بعلمه قرب لا يشعر به الإنسان فلذلك اختير تمثيل هذا القرب بقرب حبل الوريد. وبذلك فاق هذا التشبيه لحالة القرب كل تشبيه من نوعه ورد في كلام البلغاء. مثل قولهم: هو منه مقعد القابلة ومعقد الإزار، وقول زهير:
فهن ووادي الرس كاليد للفم
وقول حنظلة بن سيار وهو حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي مخضرم :
كل امرئ مصبح في إهله ... والموت أدنى من شراك نعله
{إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد}
يتعلق {إذ} بقوله {أقرب} [ق: ١٦] لأن اسم التفضيل يعمل في الظرف وإن كان لا يعمل في الفاعل ولا في المفعول به واللغة تتوسع في الظروف والمجرورات ما لا تتوسع في غيرها، وهذه قاعدة مشهورة ثابتة والكلام تخلص للموعظة والتهديد بالجزاء يوم البعث والجزاء من إحصاء الأعمال خيرها وشرها المعلومة

(١) التحرير والتنوير، ٢٣٥/٢٦

من آيات كثيرة في القرآن. وهذا التخلص بكلمة {إذ} الدالة على الزمان من ألطف التخلص.
وتعريف {المتلقيان} تعريف العهد إذا كانت الآية نزلت بعد آيات ذكر فيها الحفظة،." (١)
"أو تعريف الجنس، والتثنية فيها للإشارة إلى أن هذا الجنس مقسم اثنين اثنين.
والتلقي: أخذ الشيء من يد معطيه. استعير لتسجيل الأقوال والأعمال حين صدورها من الناس.
وحذف مفعول {يتلقى} لدلالة قوله {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} إذ تحصى أقوالهم وأعمالهم. فيؤخذ من الآية أن لكل إنسان ملكين يحصيان أعماله وأن أحدهما يكون من جهة يمينه والآخر من جهة شماله. وورد في السنة بأسانيد مقبولة: أن الذي يكون على اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات وورد أنهما يلازمان الإنسان من وقت تكليفه إلى أن يموت.
وقوله {عن اليمين وعن الشمال قعيد} يجوز أن يكون {قعيد} بدلا من {الملتقيان} بدل بعض، و {عن اليمين} متعلق ب {قعيد} ، وقدم على متعلقه للاهتمام بما دل عليه من الإحاطة بجانبيه وللرعاية على الفاصلة. ويجوز أن يكون {عن اليمين} خبرا مقدما، و {قعيد} مبتدأ وتكون الجملة بيانا لجملة {يتلقى المتلقيان}
وعطف قوله {وعن الشمال} على جملة {يتلقى} وليس عطفا على قوله {عن اليمين} لأنه ليس المعنى على أن القعيد قعيد في الجهتين بل كل من الجهتين قعيد مستقل بها. والتقدير: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد آخر. والتعريف في {اليمين} و {الشمال} تعريف العهد أو اللام عوض عن المضاف إليه، أي عن يمين الإنسان وعن شماله.
والقعيد: المقاعد مثل الجليس للمجالس، والأكيل للمؤاكل، والشريب للمشارب، والخليط للمخالط. والغالب في فعيل أن يكون إما بمعنى فاعل، وإما بمعنى مفعول، فلما كان في المفاعلة معنى الفاعل والمفعول معا، جاز مجيء فعيل منه بأحد الاعتبارين تعويلا على القرينة، ولذلك قالوا لامرأة الرجل قعيدته. والقعيد مستعار للملازم الذي لا ينفك عنه كما أطلقوا القعيد على الحافظ لأنه يلازم الشيء الموكل بحفظه.
وجملة {ما يلفظ من قول} الخ مبنية لجملة {يتلقى المتلقيان} فلذلك فصلت. و {ما} نافية وضمير {يلفظ} عائد للإنسان.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٥٠/٢٦

واللفظ: النطق بكلمة دالة على معنى، ولو جزء معنى، بخلاف القول فهو الكلام المفيد معنى.
و {من} زائدة في مفعول الفعل المنفي للتنصيص على الاستغراق. والاستثناء في." (١)
"قوله {إلا لديه رقيب عتيد} استثناء من أحوال عامة، أي ما يقول قولا في حالة إلا في حالة وجود رقيب عتيد لديه.
والأظهر أن هذا العموم مراد به الخصوص بقرينة قوله {إلا لديه رقيب عتيد} لأن المراقبة هنا تتعلق بما في الأقوال من خير أو شر ليكون عليه الجزاء فلا يكتب الحفظة إلا ما يتعلق به صلاح الإنسان أو فساده إذ لا حكمة في كتابة ذلك وإنما يكتب ما يترتب عليه الجزاء وكذلك قال ابن عباس وعكرمة. وقال الحسن: يكتبان كل ما صدر من العبد، قال مجاهد وأبو الجوزاء: حتى أنينه في مرضه. وروي مثله عن مالك بن أنس. وإنما خص القول بالذكر لأن المقصود ابتداء من هذا التحذير المشركون وأنما كانوا يؤاخذون بأقوالهم الدالة على الشرك أو على تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم أو أذاه ولا يؤاخذون على أعمالهم إذ ليسوا مكلفين بالأعمال في حال إشراكهم.
وأما الأعمال التي هي من أثر الشرك كالتطواف بالصنم، أو من أثر أذى النبي عليه الصلاة والسلام كإلقاء سلا الجذور عليه في صلاته، ونحو ذلك، فهم مؤاخذون به في ضمن أقوالهم على أن تلك الأفعال لا تخلو من مصاحبة أقوال مؤاخذ عليها بمقدار ما صاحبها.
ولأن من الأقوال السيئة ما له أثر شديد في الإضلال كالدعاء إلى عبادة الأصنام، ونهي الناس عن اتباع الحق، وترويج الباطل بإلقاء الشبه، وتغرير الأغرار، ونحو ذلك، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ، على أنه من المعلوم بدلالة الاقتضاء أن المؤاخذة على الأعمال أولى من المؤاخذة على الأقوال وتلك الدلالة كافية في تذكير المؤمنين.
وجملة {إلا لديه رقيب عتيد} في موضع الحال، وضمير {لديه} عائد إلى {الإنسان} [ق: ١٦] والمعنى: لدى لفظه بقوله.
و {عتيد} فعيل من عتد بمعنى هيأ، والتاء مبدلة من الدال الأول إذ أصله عديد، أي معد كما في قوله تعالى {وأعتدت لهن متكأ} [يوسف: من الآية٣١]. وعندي أن {عتيد} هنا صفة مشبهة من قولهم "عتد"

---
(١) التحرير والتنوير، ٢٦/٢٥١

بضم التاء إذا جسم وضخم كناية عن كونه شديدا وبهذا يحصل اختلاف بينه وبين قوله الآتي {هذا ما لدي عتيد} [ق: ٢٣] ويحصل محسن الجناس التام بين الكلمتين.." (١)

"وقد تواطأ المفسرون على تفسير التلقي في قوله {المتلقيان} بأنه تلقي الأعمال لأجل كتبها في الصحائف لإحضارها للحساب وكان تفسيرا حائما حول جعل المفعول المحذوف لفعل {يتلقى} ما دل عليه قوله بعده {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} بدلالته الظاهرة أو بدلالة الاقتضاء. فالتقدير عندهم: إذ يتلقى المتلقيان عمل الإنسان وقوله، فتكون هذه الجملة على تقديرهم منفصلة عن جملة {وجاءت سكرة الموت بالحق} [ق: من الآية١٩] كما سنبينه.

ولفخر الدين معنى دقيق فبعد أن أجمل تفسير الآية بما يساير تفسير الجمهور قال ويحتمل أن يقال التلقي الاستقبال، يقال: فلان تلقى الركب، وعلى هذا الوجه يكون معناه: وقت ما يتلقاه المتلقيان يكون عن يمينه وعن شماله قعيد، فالمتلقيان على هذا الوجه هما الملكان اللذان يأخذان روحه من ملك الموت أحدهما يأخذ أرواح الصالحين وينقلها إلى السرور. والآخر يأخذ أرواح الطالحين وينقلها إلى الويل والثبور إلى يوم النشور، أي وقت تلقيهما وسؤالهما أنه من أي القبيلين يكون عند الرجل قعيد عن اليمين وقعيد عن الشمال ملكان ينزلان، وعنده ملكان آخران كاتبان لأعماله، ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى {سائق وشهيد} [ق: من الآية٢١]. فالشهيد هو القعيد والسائق هو المتلقي يتلقى روحه من ملك الموت فيسوقه إلى منزله وقت الإعادة، وهذا أعرف الوجهين وأقربهما إلى الفهم اه.

وكأنه ينحو به منحى قوله تعالى {فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم} [الواقعة: ٨٥-٨٣] ولا نوقف في سداد هذا التفسير إلا على ثبوت وجود ملكين يتسلمان روح الميت من يد ملك الموت عند قبضها ويجعلانها في المقر المناسب لحالها. والمظنون بفخر الدين أنه أطلع على ذلك، وقد يؤيده ما ذكره القرطبي في التذكرة عن مسند الطيالسي عن البراء. وعن كتاب النسائي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إذا حضر الميت المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء يقولون: اخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان، فإذا قبضه الملك لم يدعوها في يده طرفة فتخرج كأطيب ريح المسك فتعرج بها الملائكة حتى يأتوا به باب السماء". وساق الحديث

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٥٢/٢٦

إلا إن في الحديث ملائكة جمعا وفي الآية {المتلقيان} تثنية.

وعلى هذا الوجه يكون مفعول {يتلقى} ما دل عليه قوله بعده {وجاءت سكرة." (١)

"{قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول يقول أإنك لمن المصدقين} الآية في سورة الصافات. [٥٢,٥١] وقول القرين {هذا ما لدي عتيد} مستعمل في التلهف والتحسر والإشقاق، لأنه لما رأى ما به العذاب علم أنه قد هيئ له، أولما رأى ما قدم إليه قرينه علم أنه لاحق على أثره كقصة الثورين الأبيض والأحمر اللذين استعان الأسد بالأحمر منهما على أكل الثور الأبيض ثم جاء الأسد بعد يوم ليأكل الثور الأحمر فعلا الأحمر ربوة وصاح ألا إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض.

وتقدم معنى {عتيد} عند قوله تعالى {إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٨]، وهو هنا متعين للمعنى الذي فسر عليه المفسرون، أي معد ومهيأ.

[٢٥,٢٤] {ألقيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب}

انتقال من خطاب النفس إلى خطاب الملكين الموكلين السائق والشهيد. والكلام مقول قول محذوف. والجملة استئناف ابتدائي انتقال من خطاب فريق إلى خطاب فريق آخر، وصيغة المثنى في قوله {ألقيا} تجوز أن تكون مستعملة في أصلها فيكون الخطاب للسائق والشهيد. ويجوز أن تكون مستعملة في خطاب الواحد وهو الملك الموكل بجهنم وخوطب بصيغة المثنى جريا على طريقة مستعملة في الخطاب جرت على ألسنتهم لأنهم يكثر فيهم أن يرافق السائر رفيقان، وهي طريقة مشهورة، كما قال امرؤ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وقولهم: يا خليلي، ويا صاحبي. والمبرد يرى أن تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كأنه قيل: ألق ألق للتأكيد. وهذا أمر بأن يعم الإلقاء في جهنم كل كفار عنيد، فيعلم منه كل حاضر في الحشر من هؤلاء أنه مدفوع به إلى جهنم.

والكفار: القوي الكفر، أي الشرك.

والعنيد: القوي العناد، أي المكابرة والمدافعة للحق وهو يعلم أنه مبطل.

والمناع: الكثير المنع، أي صد الناس عن الخير، والخير هو الإيمان، كانوا يمنعون أبناءهم وذويهم من اتباع الإيمان ومن هؤلاء الوليد بن المغيرة كان يقول لبني أخيه من دخل منكم في الإسلام لا أنفعه بشيء ما

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٥٣/٢٦

عشت. ويحتمل أن يراد به أيضا منع الفقراء من المال لأن الخير يطلق على المال وكان أهل الجاهلية يمنعون الفقراء ويعطون المال." (١)

"وفي صحيح البخاري عن ابن عمر وابن عباس أنهما أفتيا امرأة جعلت أمها على نفسها صلاة بمسجد قباء ولم تف بنذرها أن تصلي عنها بمسجد قباء.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم سعد ابن عبادة أن يقضي نذرا نذرته أمه، قيل كان عتقا، وقيل صدقة، وقيل نذرا مطلقا.

وقد كانت هذه الآية وما ثبت من الأخبار مجالا لأنظار الفقهاء في الجمع بينهما والأخذ بظاهر الآية وفي الاقتصار على نوع ما ورد فيه الإذن من النبي صلى الله عليه وسلم أو القياس عليه.

ومما يجب تقديمه أن تعلم أن التكاليف الواجبة على العين فرضا أو سنة مرتبة المقصد من مطالبة المكلف بها ما يحصل بسببها من تزكية نفسه ليكون جزءا صالحا فإذا قام بها غيره عنه فات المقصود من مخاطبة أعيان المسلمين بها، وكذا اجتناب المنهيات لا تتصور فيها النيابة لأن الكف لا يقبل التكرر فهذا النوع ليس للإنسان فيه إلا ما سعى ولا تجزىء فيه نيابة غيره عنه في أدائها فأما الإيمان فأمره بين لأن ماهية الإيمان لا يتصور فيها التعدد بحيث يؤمن أحد عن نفسه ولا يؤمن من غيره لأنه إذا اعتقد اعتقادا جازما فقد صار ذلك إيمانه. قال ابن الفرس في أحكام القرآن: أجمعوا على أنه لا يؤمن أحد عن أحد.

وأما ما عدا الإيمان من شرائع الإسلام الواجبة فأما ما هو منها من عمل الأبدان فليس للإنسان إلا ما سعى منه ولا يجزئ عنه سعي غيره لأن المقصود من الأمور العينية المطالب بها المرء بنفسه هو ما فيها من تزكية النفس وارتياضها على الخير كما تقدم آنفا.

ومثل ذلك الرواتب من النوافل والقربات حتى يصلح الإنسان ويرتاض على مراقبة ربه بقلبه وعمله والخضوع له تعالى ليصلح بصلاح الأفراد صلاح مجموع الأمة والنيابة تفيت هذا المعنى.

فما كان من أفعال الخير غير معين بالطلب كالقرب النافلة فإن فيه مقصدين مقصد ملحق بالمقصد الذي في الأعمال المعينة بالطلب، ومقصد تكثير الخير في جماعة المسلمين بالأعمال والأقوال الصالحة وهذا الاعتبار الثاني لا تفيته النيابة.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٥٩/٢٦

والتفرقة بين ما كان من عمل الإنسان ببدنه وما كان من عمله بماله لا أراه فرقا مؤثرا في هذا الباب، فالوجه اطراد القول في كلا النوعين بقبول النيابة أو بعدم قبولها:." (١)

"وقرأ نافع وحده {ليحزن} بضم الياء وكسر الزاي فيكون {الذين آمنوا} مفعولا. وقرأه الباقون بفتح الياء وضم الزاي مضارع حزن فيكون {الذين آمنوا} فاعلا وهما لغتان.

وجملة {وليس بضارهم} الخ معترضة.

وضمير الرفع المستتر في قوله: {بضارهم} عائد إلى {الشيطان}.

والمعنى: أن الشيطان لا يضر المؤمنين بالنجوى أكثر من أن يحزنهم. فهذا كقوله تعالى: {لن يضروكم إلا أذى} [آل عمران:١١١] أو عائد إلى النجوى بتاويله بالتناجي، أي ليس التناجي بضار المؤمنين لأن أكثره ناشئ عن إيهام حصول ما يتقونه في الغزوات.

وعلى كلا التقديرين فالاستثناء بقوله: {إلا بإذن الله} استثناء من أحوال. والباء للسببية، أي إلا في حال أن يكون الله قدر شيئا من المضرة من هزيمة أو قتل. والمراد بالإذن أمر التكوين.

وانتصب {شيئا} على المفعول المطلق، أي شيئا من الضر.

ووقوع {شيئا} وهو ذكره في سياق النفي يفيد عموم نفي كل ضر من الشيطان، أي انتفى كل شيء من ضر الشيطان عن المؤمنين، فيشمل ضر النجوى وضر غيرها، والاستثناء في قوله تعالى: {إلا بإذن الله} من عموم {شيئا} الواقع في سياق النفي، أي لا ضرا ملابسا لإذن الله في أن يسلط عليهم الشيطان ضره فيه، أي ضر وسوسته.

وأستعير الإذن لما جعله الله في أصل الخلقة من تأثر النفوس بما يسول إليها. وهو معنى قوله تعالى: {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين} [الحجر:٤٢] فإذا خلى الله بين الوسوسة وبين العبد يكون اقتراب العبد م المعاصي الظاهرة والباطنة في كل حالة يبتعد فيها المؤمن عن مراقبة الأمر والنهي الشرعيين. وهذا الضر هو المعبر عنه بالسلطان في قوله تعالى: في شأن الشيطان {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين} أي فلك عليه سلطان. وهذه التصاريف الإلهية جارية على وفق حكمة الله تعالى وما يعلمه من أقوال عباده وسرائرهم وهو يعلم السر وأخفى.

ولهذا ذيل بقوله: {وعلى الله فليتوكل المؤمنون} لأنهم إذا توكلوا على الله توكلا حقا بأن استفرغوا وسعهم

---

(١) التحرير والتنوير، ١٣٦/٢٧

في التحرز من كيد الشيطان واستعانوا بالله على تيسير ذلك لهم فإن الله يحفظهم من كيد الشيطان قال تعالى: {ومن يتوكل على الله فهو حسبه} [الطلاق: ٣].." (١)

"عقب بـ {السلام} للدلالة على العدل في معاملته الخلق، وهذا احتراس أيضا.

و {المؤمن} اسم فاعل نن آمن الذي همزته للتعدية، أي جعل غيره آمنا.

فالله هو الذي جعل الأمان في غالب أحوال الموجودات، إذ خلق نظام المخلوقات بعيدا عن الأخطار والمصاءب، وإنما تعرض للمخلوقات للمصائب بعوارض تتركب من تقارن مصالح، فيرجع أقواها ويدحض أدناها، وقد تأتي من جراء أفعال الناس.

وذكر وصف {المؤمن} عقب الأوصاف التي قبله إتمام للاحتراس من توهم وصفه تعالى بـ {الملك} أنه كالملوك المعروفين بالنقائص. فأفيد أولا نزاهة ذاته بوصف {القدوس} ، ونزاهة تصرفاته المغية عن الغدر والكيد بوصف {المؤمن} ، ونزاهة تصرفاته الظاهرة عن الجور والظلم بوصف {السلام} .

و {المهيمن} : الرقيب بلغة قريش، والحافظ في لغة بقية العرب.

واختلف في اشتقاقه فقيل مشتق من أمن الداخل عليه همزة التعدية فصار ءامن وأن وزن الوصف مؤيمن قلبت همزته هاء، ولعل موجب القلب إرادة نقله من الوصف إلى الاسمية بقطع النظر عن معنى الأمن، بحيث صار كالاسم الجامد. وصار معناه: رقب: ألا ترى أنه لم يبق فيه معنى إلا من الذي في المؤمن لما صار اسما للرقيب والشاهد، وهو قلب نادر مثل قلب همزته: أراق إلى الهاء فقالوا: هراق، وقد وضعه الجوهري في فصل الهمزة من باب النون ووزنه مفعلل اسم فاعل من آمن مثل مدحرج، فتصريفه مؤآمن بهمزتين بعد الميم الأولى المزيدة، فأبدلت الهمزة الأولى هاء كما أبدلت همزة آراق فقالوا: هراق.

وقيل: أصله هيمن بمعنى: رقب، كذا في لسان العرب وعليه فالهاء أصلية ووزنه مفيعل. وذكره صاحب القاموس في فصل الهاء من باب النون ولم يذكره في فصل الهمزة منه. وذكره الجوهري في فصل الهمزة وفصل الهاء من باب النون مصرحا بأن هاءه أصلها همزة. وعدل الراغب وصاحب الأساس عن ذكره. وذلك يشعر بأنهما يريان هاءه مبدلة من الهمزة وأنه مندرج في معاني الأمن.

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٢/٢٨

وفي "المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى" للغزالي {المهيمن} في حق الله: القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم، وإنما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه." (١)

"وحفظه. والإشراف، أي الذي هو الاطلاع يرجع إلى العلم، والاستيلاء يرجع إلى كمال القدرة، والحفظ يرجع إلى الفعل. والجامع بين هذه المعاني اسمه {المهيمن} ولن يجتمع على ذلك الكمال والإطلاق إلا الله تتعالى، ولذلك قيل: أنه من أسماء الله تعالى في الكتب القديمة اهـ. وفي هذا التعريف بهذا التفصيل نظر ولعله جرى من حجة الإسلام مجرى الاعتبار بالصفة لا تفسير مدلولها.

وتعقيب {المؤمن} ب {المهيمن} لدفع توهم أن تأمينه عن ضعف أو عن مخافة غيره، فأعلموا أن تأمينه لحكمته مع أنه **رقيب** مطلع على أحوال خلقه فتأمينه إياهم رحمة بهم.

و {العزيز} الذي لا يغلب ولا يذله أحد، ولذلك فسر بالغالب.

و {الجبار} : القاهر المكره غيره على الانفعال بفعله، فالله جبار كل مخلوق على الافعال لما كونه عليه لا تستطيع مخلوق اجتيازه ما حده له في خلقته فلا يستطيع الإنسان الطيران ولا يستطيع ذوات الأربع المشي على رجلين فقط، وكذلك هو جبار للموجودات على قبول ما أراده بها وما تعلقت به قدرته عليها. وإذا وصف الإنسان بالجبار كان وصف ذم لأنه يشعر بأنه يحمل غيره على هواه ولذلك قال تعالى: {إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين} [القصص:١٩]. فالجبار من أمثلة المبالغة لأنه مشتق من أجبره، وأمثله المبالغة تشتق من المزيد بقلة مثل الحكيم بمعنى المحكم. قال الفراء: لم اسمع فعالا في أفعل إلا جبارا ودراكا. وكان القياس يقال: المجبر والمدرك، وقيل: الجبار معناه المصلح من جبر الكسر، إذ أصلحه، فاشتقاقه لا نذرة فيه.

و {المتكبر} : الشديد الكبرياء، أي العظمة والجلالة. وأصل صيغة التفعل أن تدل على التكلف لكنها استعملت هنا في لازم التكلف وهو القوة لأن الفعل الصادر عن تأنق وتكلف يكون أتقن.

ويقال: فلان يتظلم على الناس، أي يكثر ظلمهم.

ووجه ذكر هذه الصفات الثلاث عقب صفة {المهيمن} أن جميع ما ذكره آنفا من الصفات لا يؤذن إلا

---

(١) التحرير والتنوير، ١٠٨/٢٨

باطمئنان العباد لعناية ربهم بهم وإصلاح أمورهم وأن صفة {المهيمن} تؤذن بأمر مشترك فعقبت بصفة {العزيز} ليعلم الناس أن الله غالب لا يعجزه." (١)

"فعله في الحالين فخالف ما كلف به ومما علمه النبي صلى الله عليه وسلم من الدعاء "فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت" .

[١٤-١٥] {بل الأنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره} .

إضراب انتقالي، وهو للترقي من مضمون {ينبأ الأنسان يومئذ بما قدم وأخر} إلى الإخبار بأن الكافر يعلم ما فعله لأنهم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، إذ هو قرأ كتاب أعماله فقال: {يا ليتني لم أوت كتابيه، ولم أدر ما حسابيه} [الحاقة:٢٥-٢٦]، {ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا} [الكهف: ٤٩]. وقال تعالى: {اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا} [الاسراء:١٤].

ونظم قوله: {بل الأنسان على نفسه بصيرة} صالح لإفادة معنيين:

أولهما أن يكون {بصيرة} بمعنى مبصر شديد **المراقبة** فيكون {بصيرة} خبرا عن {الإنسان} . و {على نفسه} متعلق ب {بصيرة} ، أي الإنسان بصير بنفسه. وعدي بحرف {على} لتضمينه معنى **المراقبة** وهو معنى قوله في الآية الأخرى {كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا} . وهاء {بصيرة} تكون للمبالغة مثل هاء علامة ونسابة، أي الإنسان عليم بصير قوي العلم بنفسه يومئذ.

والمعنى الثاني: أن يكون {بصيرة} مبتدأ ثانيا، والمراد به قرين الإنسان من الحفظة وعلى نفسه خبر المبتدأ الثاني مقدما عليه، ومجموع الجملة خبرا عن {الإنسان} ، و {بصيرة} حينئذ يحتمل أن يكون معنى بصير، أي مبصر والهاء للمبالغة كما تقدم في المعنى الأول، وتكون تعدية {بصيرة} ب {على} لتضمينه معنى **الرقيب** كما في المعنى الأول.

ويحتمل أن تكون {بصيرة} صفة لموصوف محذوف، تقديره: حجة بصيرة، وتكون {بصيرة} مجازا في كونها بينة كقوله تعالى: {قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر} [الاسراء: من

(١) التحرير والتنوير، ١٠٩/٢٨

الآية١٠٢]. ومنه قوله تعالى: {وآتينا ثمود الناقة مبصرة} [الاسراء: ٥٩] والتأنيث لتأنيث الموصوف.
وقد جرت هذه مجرى المثل لإيجازها ووفرة معانيها.." (١)

"وإضافة {نكال} إلى {الآخرة والأولى} على معنى "في".

فالنكال في الأولى هو الغرق، والنكال في الآخرة هو عذاب جهنم.

وقد استعمل النكال في حقيقته ومجازه لأن ما حصل لفرعون في الدنيا هو نكال حقيقي وما يصيبه في الآخرة أطلق عليه النكال لأنه يشبه النكال في شدة التعذيب ولا يحصل به نكال يوم القيامة.

وورود فعل {أخذه} بصيغة المضي مع أن عذاب الآخرة مستقبل ليوم الجزاء مراعا فيه أنه لما مات ابتدأ يذوق العذاب حين يرى منزلته التي سيؤول إليها يوم الجزاء كما ورد في الحديث.

وتقديم {الآخرة} على {الأولى} في الذكر لأن أمر الآخرة أعظم.

وجاء في آخر القصة بحوصلة وفذلكة لما تقدم فقال: {إن في ذلك لعبرة لمن يخشى} فهم من معنى البيان لمضمون جملة {هل أتاك حديث موسى} [النازعات:١٥] الآيات.

والإشارة بقوله: {في ذلك} إلى {حديث موسى} [النازعات:١٥].

والعبرة: الحالة التي ينتقل الذهن من معرفتها إلى معرفة عاقبتها أو عاقبة أمثالها. وهي مشتقة من العبر، وهو الانتقال من ضفة واد أو نهر إلى ضفته الأخرى.

والمراد بالعبرة هنا الموعظة.

وتنوين "عبرة" للتعظيم لأن في هذه القصة مواعظ كثيرة من جهات هي مثلات للأعمال وعواقبها، **ومراقبة** الله وخشيته، وما يترتب على ذلك وعلى ضده من خير وشر في الدنيا والآخرة.

وجعل ذلك عبرة لمن يخشى، أي من تخالط نفسه خشية الله لأن الذين يخشون الله هم أهل المعرفة الذين يفهمون دلالة الأشياء على لوازمها وخفاياها، قال تعالى: {إنما يخشى الله من عباده العلماء} [فاطر:٢٨] وقال {وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون} [العنكبوت:٤٣]. والخشية تقدمت قريبا في قوله: {وأهديك إلى ربك فتخشى} [النازعات:١٩].

وفي هذا تعريض بالمشركين بأنهم ليسوا بأهل للانتفاع بمثل هذا كما لم ينتفع بمثله فرعون وقومه.." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٢٢/٢٩

(٢) التحرير والتنوير، ٧٣/٣٠

"يقلعون عنه، وهو سبب استمرار كفرهم.

وفي المضارع أيضا استحضار حالة هذا التكذيب استحضارا يقتضي التعجيب من تكذيبهم لأن معهم من الدلائل ما لحقه أن يقلع تكذيبهم بالجزاء.

والدين: الجزاء.

[١٠-١٢] {وإن عليكم لحافظين، كراما كاتبين، يعلمون ما تفعلون} .

عطف على جملة {تكذبون بالدين} [الإنفطار:٩] تأكيدا لثبوت الجزاء على الأعمال.

وأكد الكلام بحرف {إن} ولام الابتداء لأنهم ينكرون ذلك إنكارا قويا.

و {لحافظين} صفة لمحذوف تقديره: لملائكة حافظين، أي محصين غير مضيعين لشيء من أعمالكم. وجميع الملائكة باعتبار التوزيع على الناس: وإنما لكل أحد ملكان قال تعالى: {إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٧-١٨]، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم "أن لكل أحد ملكين يحفظان أعماله" وهذا بصريح معناه يفيد أيضا كفاية عن وقوع الجزاء إذ لولا الجزاء على الأعمال لكان الاعتناء بإحصائها عبثا.

وأجري على الملائكة الموكلين بإحصاء أعمالهم أربعة أوصاف هي: الحفظ، والكرم، والكتابة، والعلم بما يعلمه الناس.

وابتدئ منها بوصف الحفظ لأنه الغرض الذي سبق لأجله الكلام الذي هو إثبات الجزاء على جميع الأعمال، ثم ذكرت بعده صفات ثلاث بها كمال الحفظ والإحصاء وفيها تنويه بشأن الملائكة الحافظين.

فأما الحفظ: فهو هنا بمعنى الرعاية والمراقبة، وهو بهذا المعنى يتعدى إلى المعمول بحرف الجر، وهو"على" لتضمنه معنى المراقبة. والحفيظ: الرقيب، قال تعالى: {الله حفيظ عليهم} [الشورى:٦].

وهذا الاستعمال هو غير استعمال الحفظ المعدى إلى المفعول بنفسه فإنه بمعنى الحراسة نحو قوله :{يحفظونه من أمر الله} [الرعد:١١]. فالحفظ بها الإطلاق يجمع." (١)

"بالأخدود الحفير بما فيه.

والوقود: بفتح الواو اسم ما توقد به النار من حطب ونفط ونحوه.

ومعنى {ذات الوقود} : أنها لا يخمد لهبها لأن لها وقودا يلقى فيها كلما خبت.

(١) التحرير والتنوير، ١٥٩/٣٠

ويتعلق {إذ هم عليها قعود} بفعل قتل، أي لعنوا وغضب الله عليهم حين قعدوا على الأخدود.
وضمير {هم} عائد إلى أصحاب الأخدود فإن الملك يحضر تنفيذ أمره ومعه ملأه، أو أريد بها المأمورون من الملك. فعلى احتمال أنهم أعوان الملك فالقعود الجلوس كني به عن الملازمة للأخدود لئلا يتهاون الذين يحشون النار بتسعيرها، و"على" للاستعلاء المجازي لأنهم لا يقعدون فوق النار ولكن حولها. وإنما عبر عن القرب **والمراقبة** بالاستعلاء كقول الأعشى:
وبات على النار الندى والمحلق
ومثله قوله تعالى: {وجد عليه أمة من الناس يسقون} [القصص:٢٣]، أي عنده.
وعلى احتمال أن يكون المراد ب {أصحاب الأخدود} المؤمنين المعذبين فيه، فالقعود حقيقة و"على" للاستعلاء الحقيقي، أي قاعدون على النار بأن كانوا يحرقونهم مربوطين بهيئة القعود لأن ذلك أشد تعذيبا وتمثيلا، أي بعد أن يقعدوهم في الأخاديد يوقدون النار فيها وذلك أروع وأطول تعذيبا.
وأعيد ضمير {هم} في قوله: {وهم على ما يفعلون} ليتعين أن يكون عائدا إلى بعض أصحاب الأخدود.
وضمير {يفعلون} يجوز أن يعود إلى {أصحاب الأخدود} ، فمعنى كونهم شهودا على ما يفعلونه: أن بعضهم يشهد لبعض عند الملك بأن أحدا لم يفرط فيما وكل به من تحريق المؤمنين، فضمائر الجميع وصيغته موزعة.
ويجوز أن يعود الضمير إلى ما تقتضيه دلالة الاقتضاء من تقسيم أصحاب الأخدود إلى أمراء ومأمورين شأن الأعمال العظيمة فلما أخبر عن أصحاب الأخدود بأنهم قعود على النار علم أنهم الموكلون **بمراقبة** العمال. فعلم أن لهم أتباعا من سعارين ووزع فهم معاد ضمير يفعلون.." (١)
"النبي صلى الله عليه وسلم.
وإن أريد ب {العاديات} وما عطف عليها خيل الغزاة، فالقسم بها لأجل التهويل والترويع لإشعار المشركين بأن غارة تترقبهم وهي غزوة بدر، مع تسكين نفس النبي صلى الله عليه وسلم من التردد في مصير السرية التي بعث بها مع المنذر بن عمرو إذا صح خبرها فيكون القسم بخصوص هذه الخيل إدماجا للاطمئنان.
وجملة {إن الإنسان لربه لكنود} جواب القسم.
والكنود: وصف من أمثلة المبالغة من كند ولغات العرب مختلفة في معناه فهو في لغة مضر وربيعة: الكفور

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١٧/٣٠

بالنعمة، وبلغة كنانة: البخيل، وفي لغة كندة وحضرموت: العاصي، والمعنى: الشديد الكفران لله.

والتعريف في {الإنسان} تعريف الجنس وهو يفيد الاستغراق غالبا، أي أن في طبع الإنسان الكنود لربه، أي كفران نعمته، وهذا عارض يعرض لكل إنسان على تفاوت فيه ولا يسلم منه إلا الأنبياء وكمل أهل الصلاح لأنه عارض ينشأ عن إيثار المرء نفسه وهو أمر ي الجبلة لا تدفعه إلا **المراقبة** لنفسية وتذكر حق غيره. وبذلك قد يذهل أو ينسى حق الله، والإنسان يحس بذلك من نفسه في خطراته، ويتوانى أو يغفل عن مقاومته لأنه يشتغل بإرضاء داعية نفسه والأنفس متفاوتة في تمكن هذا الخلق منها، والعزائم متفاوتة في استطاعة مغالبته.

وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: {وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد} فلذلك كان الاستغراق عرفيا أو عاما مخصوصا، فالإنسان لا يخلو من أحوال مآلها إلى كفران النعمة، بالقول والقصد، أو بالفعل والغفلة، فالإشراك كنود، والعصيان كنود، وقلة ملاحظة صرف النعمة فيما أعطيت لأجله كنود، وهو متفاوت، فهذا خلق متأصل في الإنسان فلذلك أيقظ الله له الناس ليريضوا أنفسهم على أمانة هذا الخلق من نفوسهم كما في قوله تعالى: {إن الإنسان خلق هلوعا} [المعارج:١٩] الآية وقوله: {خلق الإنسان من عجل} [الأنبياء:٣٧] وقوله: {إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى} [العلق: ٦-٧] وقد تقدمت قريبا.

وعن ابن عباس: تخصيص الإنسان هنا بالكافر فهو من العموم العرفي.

وروي عن أبي أمامة الباهلي بسند ضعيف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الكنود هو الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده" وهو تفسير لأدنى معاني الكنود فإن أكله." (١)

"ولا **رقيب** دونك آكل فيها رغدا واسكن حيث أحببت فأهبطتني إلى هذا الجبل المقدس فكنت أسمع أصوات الملائكة وأراهم كيف يحفون بعرشك وأجد ريح الجنة وطيبها ، ثم أهبطتني إلى الأرض وحططتني إلى ستين ذراعا فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهب عني ريح الجنة فأجابه الله تبارك وتعالى : لمعصيتك يا آدم فعلت ذلك بك ، فلما رأى الله عري آدم وحواء أمره أن يذبح كبشا من الضأن من الثمانية الأزواج التي أنزل الله من الجنة فأخذ آدم كبشا وذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجته هو فنسج آدم جبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا فلبساه وقد كانا اجتمعا بجمع فسميت (جمعا وتعارفا بعرفة فسميت عرفة وبكيا عاى ما فاتهما مائة سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ثم أكلا وشربا وهما يومئذ

---

(١) التحرير والتنوير، ٤٤٣/٣٠

على نود الجبل الذي أهبط عليه آدم ولم يقرب حواء مائة سنة.

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس ، أن آدم كان لغته في الجنة العربية فلما عصى سلبه الله العربية فتكلم بالسريانية فلما تاب رد عليه العربية." (١)

"أخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن جريج في قوله {زين للذين كفروا الحياة الدنيا} قال : الكفار يبتغون الدنيا ويطلبونها {ويسخرون من الذين آمنوا} في طلبهم الآخرة ، قال : ابن جرير لا أحسبه إلا عن عكرمة قال : قالوا : لو كان محمدا نبيا لأتبعه ساداتنا وأشرافنا والله ما اتبعه إلا أهل الحاجة مثل ابن مسعود وأصحابه.

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة {زين للذين كفروا الحياة الدنيا} قال : هي همهم وسدمهم وطلبهم ونيتهم {ويسخرون من الذين آمنوا} ويقولون : ما هم على شيء استهزاء وسخرية {والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة} هناكم التفاضل.

وأخرج عبد الرزاق عن قتادة {والذين اتقوا فوقهم} قال : فوقهم في الجنة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء قال : سألت ابن عباس عن هذه الآية {والله يرزق من يشاء بغير حساب} فقال : تفسيرها ليس على الله رقيب ولا من يحاسبه." (٢)

"يلاعبني طورا وطورا كأنما * بدا قمرا في ظلمة الليل حاجبه يسر به من كان يلهو بقربه * يعاتبني في حبه وأعاتبه ولكنني أخشى رقيبا موكلا * بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه ثم تنفست الصعداء وقالت : أشكو عمر بن الخطاب وحشتي في بيتي وغيبة زوجي علي وقلة نفقتي ، فلان لها عمر يرحمه الله فلما أصبح بعث إليها بنفقة وكسوة وكتب إلى عامله يسرح إليها زوجها.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن الحسن قال : سأل عمر ابنته حفصة كم تصبر المرأة عن الرجل فقلت : ستة أشهر فقال : لا جرم لا أحبس رجلا أكثر من ستة أشهر.

وأخرج الزبير بن بكار في الموفقيات عن محمد بن معن قال : أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب فقالت : يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وأنا أكره أن أشكوه إليك وهو يقوم بطاعة الله ، فقال لها : جزاك الله خيرا من مثنية على زوجها ، فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب وكان كعب

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣٠٨/١

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٤٩٥/٢

بن سوار الأسدي حاضرا فقال له : اقض يا أمير المؤمنين بينها وبين زوجها ، فقال : وهل فيما ذكرت قضاء فقال : إنها تشكو مباعدة زوجها لها عن." (١)

"رقيبا} قال : حفيظا.

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال : رقيبا على أعمالكم يعلمها ويعرفها.

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي ، وابن ماجة عن ابن مسعود قال : علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الصلاة وخطبة الحاجة ، فأما خطبة الصلاة فالتشهد.

وأما خطبة الحاجة فإن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ثم يقرأ ثلاث آيات من كتاب الله (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (آل عمران الآية ١٠٢) {واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا} {اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم} الأحزاب الآية ٧٠ ثم تعمد حاجتك.

الآية ٢.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال : إن رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب ماله فمنعه عنه فخاصمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت {وآتوا اليتامى أموالهم} يعني الأوصياء يقول :." (٢)

"وأخرج الطبراني عن يحيى بن عبد الرحمن بن لبيبة عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رب هذا شهدت على من أنا بين ظهريه فكيف بمن لم أره.

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر عن ابن جريج في قوله {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد} قال : رسولها يشهد عليها أن قد أبلغهم ما أرسله الله به إليهم {وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى عليها فاضت عيناه.

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد} قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٤٣/٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٢١٤/٤

وسلم : شهيدا عليهم ما دمت فيهم فإذا توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم والله تعالى أعلم.

الآية ٤٢.

أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله {لو تسوى بهم الأرض} يعني أن تستوي الأرض." (١)

"منكر أو أن تنطق في معيشتك التي لا بد لك منها أتذكرون أن عليكم حافظين (كراما كاتبين (الإنفطار الآية ١١) (عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (ق الآية ١٨) أما يستحي أحدكم لو نشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره وليس فيها شيء من أمر آخرته.

وأخرج ابن سعد عن أنس بن مالك قال : لا يتقي الله عبد حتى يخزن من لسانه.

وأخرج أحمد عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة حتى يأمن جاره بوائقه.

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أبي الدرداء قال : ما في المؤمن بضعة أحب إلى الله من لسانه به يدخله الجنة وما في الكافر بضعة أبغض إلى الله من لسانه به يدخله النار.

وأخرج أحمد في الزهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لا تنطق فيما لا يعنيك واخزن لسانك كما تخزن درهمك." (٢)

"يا رب أصحابي أصحابي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح {وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم} فيقال : أما هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم.

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله {كنت أنت الرقيب عليهم} قال : الحفيظ.

وأخرج عبد الرزاق ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله {كنت أنت الرقيب} قال : الحفيظ.

- الآية (١١٨).

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف وأحمد والنسائي ، وابن مردويه والبيهقي في "سننه" عن أبي ذر قال :

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٤/٤٤٥

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٥/١٣

صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها {إن تعذبهم فإنهم عبادك} الآية ، فلما أصبح قلت : يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت قال : إني سألت ربي الشفاعة لأمتي فأعطانيها وهي ائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئا." (١)

"الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم **الرقيب** المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدىء المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن البر التواب المنتقم العفو الرؤوف المالك الملك ذو الجلال والإكرام الوالي المتعال المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور.

وأخرج ابن أبي الدنيا في الدعاء والطبراني كلاهما وأبو الشيخ والحاكم ، وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة اسأل الله الرحمن الرحيم الإله الرب الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الحليم العليم السميع البصير الحي القيوم الواسع اللطيف الخبير الحنان المنان البديع الغفور الودود

الشكور المجيد المبدىء المعيد النور البادىء وفي لفظ : القائم الأول الآخر الظاهر الباطن العفو الغفار الوهاب الفرد وفي لفظ : القادر الأحد الصمد الوكيل الكافي الباقي المغيث الدائم." (٢)

"المتعالي ذا الجلال والإكرام المولى النصير الحق المبين الوارث المنير الباعث القدير وفي لفظ : المجيب المحيي المميت الحميد وفي لفظ : الجميل الصادق الحفيظ المحيط الكبير القريب **الرقيب** الفتاح التواب القديم الوتر الفاطر الرزاق العلام العلي العظيم الغني المليك المقتدر الأكرم الرؤوف المدبر المالك القاهر الهادي الشاكر الكريم الرفيع الشهيد الواحد ذا الطول ذا المعارج ذا الفضل الكفيل الجليل.

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس ، وابن عمر قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة وهي في القرآن.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٠٤/٥

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٨٥/٦

وأخرج أبو نعيم عن محمد بن جعفر قال : سألت أبي جعفر بن محمد الصادق عن الأسماء التسعة والتسعين التي من أحصاها دخل الجنة فقال : هي في القرآن ففي الفاتحة خمسة أسماء ، يا أُلله يا رب يا رحمن يا رحيم يا مالك ، وفي البقرة ثلاثة وثلاثون اسما : يا محيط يا قدير يا عليم يا حكيم يا علي يا عظيم يا تواب يا بصير يا ولي يا واسع يا كافي يا رؤوف يا بديع يا شاكر يا واحد يا سميع يا قابض يا باسط يا حي يا قيوم يا غني يا حميد يا غفور يا حليم يا إله يا قريب يا مجيب يا عزيز يا نصير يا قوي يا شديد يا سريع يا خبير ، وفي آل عمران :." (١)

"يا وهاب يا قائم يا صادق يا باعث يا منعم يا متفضل ، وفي النساء : يا رقيب يا حسيب يا شهيد يا مقيت يا وكيل يا علي يا كبير ، وفي الأنعام : يا فاطر يا قاهر يا لطيف يا برهان ، وفي الأعراف : يا محيي يا مميت ، وفي الأنفال : يا نعم المولى يا نعم النصير ، وفي هود : يا حفيظ يا مجيد يا ودود يا فعال لما يريد ، وفي الرعد : يا كبير يا متعال ، وفي إبراهيم : يا منان يا وارث ، وفي الحجر : يا خلاق ، وفي مريم : يا فرد ، وفي طه : يا غفار ، وفي قد أفلح : يا كريم ، وفي النور : يا حق يا مبين ، وفي الفرقان : يا هادي ، وفي سبأ : يا فتاح ، وفي الزمر :

يا عالم ، وفي غافر : يا غافر يا قابل التوبة يا ذا الطول يا رفيع ، وفي الذاريات : يا رزاق يا ذا القوة يا متين ، وفي الطور : يا بر ، وفي اقتربت : يا مليك يا مقتدر ، وفي الرحمن : ياذا الجلال والإكرام يا رب المشرقين يا رب المغربين يا باقي يا مهيمن ، وفي الحديد : يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن ، وفي الحشر : يا ملك يا قدوس يا سلام يا مؤمن يا مهيمن يا عزيز يا جبار يا متكبر يا خالق يا بارىء يا مصور ، وفي البروج : يا مبدئ يا معيد ، وفي الفجر : يا وتر ، وفي الإخلاص : يا أحد يا صمد.

وأخرج البيهقي في كتاب الأسماء والصفات عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابه هم أو حزن فليقل : اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ناصيتي في يدك ماض في حكمك عدل في." (٢)

"لم يكتب عليه إذا غشي من ذلك شيء دفعاه عنه ، ألم تره يمر بالحائط فإذا جاز سقط فإذا جاء الكتاب خلوا بينه وبين ما كتب له ، وهم {من أمر الله} أمرهم أن يحفظوه.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦/٦٨٦

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦/٦٨٧

وأخرج ابن جرير عن قتادة – رضي الله عنه – قال : في قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه [له معقبات من بين يديه ورقيب من خلفه يحفظونه من أمر الله].

وأخرج سعيد بن منصور ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه كان يقرأ [له معقبات من بين يديه ورقباء من خلفه من أمر الله يحفظونه].

وأخرج سعيد بن منصور ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم عن الجارود بن أبي

سبرة – رضي الله عنه – قال : سمعني ابن عباس – رضي الله عنهما – أقرأ {له معقبات من بين يديه ومن خلفه} فقال : ليست هناك ولكن [له معقبات من بين يديه ورقيب من خلفه].

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن علي – رضي الله عنه – {له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله} قال : ليس من عبد إلا ومعه ملائكة يحفظونه من أن يقع عليه حائط أو يتردى في بئر أو يأكله سبع أو غرق أو حرق فإذا جاء القدر خلوا بينه وبين القدر." (١)

"عملت حسنة كتبت عشرا فإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين : أكتب قال : لا لعله يستغفر الله ويتوب فإذا قال ثلاثا قال : نعم اكتبه أراحنا الله منه فبئس القرين ما أقل مراقبته لله وأقل استحياؤه منه يقول الله (وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (سورة ق آية ١٨) وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله {له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله} وملك قابض على ناصيتك فإذا تواضعت لله رفعك وإذا تجبرت على الله قصمك وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل بني آدم ينزل ملائكة الليل على ملائكة النهار لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي وإبليس بالنهار وولده بالليل.

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس – رضي الله عنهما – {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} لا يغير ما بهم من النعمة حتى يعملوا بالمعاصي فيرفع الله عنهم النعم." (٢)

"قضي الأمر} الآية ، قال إبليس يخطبهم فقال : {إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم} إلى قوله : {ما أنا بمصرخكم}

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣٨٨/٨

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣٩٠/٨

يقول : بمغن عنهم شيئا {وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل} قال : فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم فنودوا (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) (سورة غافر ١٠) الآية.

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن الحسن – رضي الله عنه – قال إذا كان يوم القيامة قام إبليس خطيبا على منبر من نار فقال : {إن الله وعدكم وعد الحق} إلى قوله : {وما أنتم بمصرخي} قال : بناصري {إني كفرت بما أشركتمون من قبل} قال : بطاعتكم إياي في الدنيا.

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر عن الشعبي – رضي الله عنه – في هذه الآية قال : خطيبان يقومان يوم القيامة إبليس وعيسى بن مريم فأما إبليس فيقوم في حزبه فيقول هذا القول.

وأما عيسى عليه السلام فيقول : (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد) ، (سورة المائدة آية ١١٧).

وأخرج ابن أبي شيبة ، وابن المنذر عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : إن من الناس من يذلله الشيطان كما يذلل أحدكم قعوده من الأبل.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس – رضي اله عنه – في قوله : {ما أنا بمصرخكم وما أنتم." (١) "تقولين

قالت : كنت أقول له : ان كان ذاك الي فاني لا أريد ان أوثر عليك أحدا.

– قوله تعالى : لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء **رقيبا**.

أخرج الفريابي والدارمي ، وابن سعد وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه والضياء في المختارة عن زياد رضي الله عنه قال : قلت لأبي رضي الله عنه : أرأيت لو أن ازواج النبي صلى الله عليه وسلم متن أما يحل له أن يتزوج قال : وما يمنعه من ذلك قلت : قوله {لا يحل لك النساء من بعد} فقال : انما أحل له ضربا من النساء ووصف له صفة فقال {يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك} الأحزاب الآية ٥٠ إلى قوله {وامرأة مؤمنة} ثم قال {لا يحل لك النساء من بعد} هذه الصفة.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٥٠٨/٨

وأخرج عبد بن حميد والترمذي وحسنه ، وابن أبي حاتم والطبراني ، وابن مردوءة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات قال {لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل." (١)

"على نسائه التسع اللاتي مات عنهن قال علي : فاخبرت علي بن الحسين رضي الله عنه فقال : لو شاء تزوج غيرهن ولفظ عبد بن حميد فقال : بل كان له أيضا ان يتزوج غيرهن.

وأخرج عبد بن حميد عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم نزلت هذه الآية {ولا أن تبدل بهن من أزواج} قال : كان يومئذ يتزوج ما شاء.

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة رضي الله عنه {وكان الله على كل شيء رقيبا} أي حفيظا.

- قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما * إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله بكل شيء عليما.

أخرج البخاري ، وابن جرير ، وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فانزل الله آية الحجاب.

وأخرج أحمد ، وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والنسائي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه والبيهقي في "سننه" من طرق عن أنس رضي الله عنه قال : لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش رضي الله عنها دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون واذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقت فجئت فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد انطلقوا." (٢)

"هي أحسن} قال : أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم {كأنه ولي حميم}.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٠٠/١٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٠٦/٢١

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله {ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن} قال : القه بالسلام {فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم}.

وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد رضي الله عنه في قوله {ادفع بالتي هي أحسن} قال : السلام أن تسلم عليه إذا لقيته.

وأخرج عبد بن حميد عن عطاء رضي الله عنه {ادفع بالتي هي أحسن} قال : السلام.

وأخرج عبد الرزاق ، وعبد بن حميد عن قتادة رضي الله عنه في قوله {كأنه ولي حميم} قال : ولي رقيب ، وفي قوله {إلا ذو حظ عظيم} قال : الجنة.

(١) ".

"وأخرج أبو نعيم في الحلية عن مجاهد قال : إسم صاحب السيئات قعيد.

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر عن مجاهد في الآية قال : عن اليمين كاتب الحسنات وعن الشمال كاتب السيئات.

وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله {ما يلفظ من قول} الآية قال : يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى إنه ليكتب قوله أكلت شربت ذهبت جئت رأيت حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقى سائره فذلك قوله (يمحو الله ما يشاء ويثبت) (الرعد آية ٣٩).

وأخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه والحاكم وصححه من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} قال : إنما يكتب الخير والشر لا يكتب يا غلام أسرج الفرس ويا غلام اسقني الماء.

(٢) ".

"وأخرج الفريابي ، وابن جرير عن مجاهد في قوله {رقيب عتيد} قال : رصيد.

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن حجاج بن دينار قال : قلت لأبي معشر : الرجل يذكر الله في نفسه

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١١٤/١٣

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٠٧/١٣

كيف تكتبه الملائكة قال : يجدون الريح.

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن أبي عمران الجوني قال : بلغنا أن الملائكة تصف بكتبها في السماء الدنيا كل عشية بعد العصر فينادي الملك ألق تلك الصحيفة وينادي الملك الآخر ألق تلك الصحيفة فيقولون ربنا قالوا خيرا وحفظنا عليهم فيقول إنهم لم يريدوا به وجهي وإني لا أقبل إلا ما أريد به وجهي وينادي الملك الآخر أكتب لفلان بن فلان كذا وكذا فيقول : يا رب إنه لم يعمله فيقول إنه نواه.

وأخرج ابن المبارك ، وابن أبي الدنيا في الإخلاص وأبو الشيخ في العظمة عن ضمرة بن حبيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الملائكة يصعدون بعمل العبد من عباد الله فيكثرونه ويزكونه حتى ينتهوا به حيث شاء الله من سلطانه فيوحي الله إليهم إنكم حفظة على عمل عبدي وأنا." (١)

"رقيب على ما في نفسه إن عبدي هذا لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين قال : ويصعدون بعمل العبد من عباد الله فيستقلونه ويحقرونه حتى ينتهوا حيث شاء الله من سلطانه فيوحي الله إليهم إنكم حفظة على عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه فضاعفوه له واجعلوه في عليين.

وأخرج الطبراني ، وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال فإذا عمل العبد حسنة كتبت له بعشر أمثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال صاحب اليمين أمسك فيمسك ست ساعات أو سبع ساعات فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيئا وإن لم يستغفر الله كتب عليه سيئة واحدة.

وأخرج أبو الشيخ في التفسير عن حسان بن عطية قال : تذاكروا مجلسا فيه مكحول ، وابن أبي زكريا أن العبد إذا عمل خطيئة لم تكتب عليه ثلاث ساعات فإن استغفر الله وإلا تكتب عليه.

وأخرج ابن أبي شيبة عن عطاء بن أبي رباح أنه قال : إن من كان قبلكم." (٢)

"كان يكره فضول الكلام ما عدا كتاب الله أن يقرأه أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر وأن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها ، أتنكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين وأن عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد أما يستحي أحدكم لو نشر صحيفته التي ملأ صدر نهاره وأكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦١٠/١٣

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦١١/١٣

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي في شعب الإيمان من طريق الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : بينما رجل راكب على حمار إذ عثر به فقال : تعست فقال صاحب اليمين : ما هي بحسنة فأكتبها وقال صاحب الشمال ما هي بسيئة فأكتبها فنودي صاحب الشمال أن ما ترك صاحب اليمين فأكتبه.
وأخرج ابن أبي شيبة عن بكر بن ماعز قال : جاءت بنت الربيع بن خيثم وعنده أصحاب له فقالت : يا أبتاه أذهب ألعب ، قال : لا ، قال له أصحابه : يا
أبا يزيد إتركها ، قال : لا يوجد في صحيفتي أني قلت لها : إذهبي ـالعبي لكن إذهبي فقولي خيرا وافعلي خيرا.
وأخرج البيهقي في الشعب عن حذيفة بن اليمان أن الكلام بسبعة أغلاق إذ أخرج منها كتب وإذا لم يخرج لم يكتب القلب واللهاة واللسان والحنكين والشفتين.
وأخرج الخطيب في رواة مالك ، وابن عساكر عن مالك أنه بلغه أن كل شيء يكتب حتى أنين المريض.
وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال : يكتب على ابن آدم كل شيء يتكلم به حتى أنينه في مرضه.
." (١)

"وأخرج عبد بن حميد عن عطاء بن يسار قال : لقيت رجلا من حمير كأنه علامة يقرأ الكتب فقلت له : الأرض التي نحن عليها ما سكانها قال : هي على صخرة خضراء تلك الصخرة على كف ملك ذلك الملك قائم على ظهر حوت منطو بالسموات والأرض من تحت العرش ، قلت : الأرض الثانية من سكانها قال : سكانها الريح العقيم لما أراد الله أن يهلك عادا أوحى إلى خزنتها أن افتحوا عليهم منها بابا ، قالوا : يا ربنا مثل منخر الثور قال : اذن تكفأ الأرض ومن عليها ، فضيق ذلك حتى جعل مثل حلقة الخاتم فبلغت ما حدث الله ، قلت : الأرض الثالة من ساكنها قال : فيها حجارة جهنم ، قلت : الأرض الرابعة من ساكنها قال : فيها كبريت جهنم ، قلت : الأرض الخامسة من ساكنها قال : فيها عقارب جهنم ، قلت : الأرض السادسة من ساكنها قال : فيها حيات جهنم ، قلت : الأرض السابعة من ساكنها قال : تلك سجين فيها إبليس موثق يد أمامه ويد خلفه ورجل خلفه ورجل أمامه ، كان يؤذي الملائكة فاستعدت عليه فسجن هناك وله زمان يرسل فيه فإذا أرسل لم تكن فتنة الناس بأعي عليهم من شيء.
وأخرج ابن المبارك عن ضمرة بن حبيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الملائكة يرفعون

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦١٢/١٣

أعمال العبد من عباد الله يستكثرونه ويزكونه حتى يبلغوا به حيث يشاء الله من سلطانه فيوحي الله إليهم أنكم حفظة على عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه ، إن عبدي هذا لم يخلص لي عمله." (١)

"فاجعلوه في سجين ، ويصعدون بعمل العبد يستقلونه ويحتقرونه حتى يبلغوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه فيوحي الله إليهم أنكم حفظة على عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه ، إن عبدي هذا أخلص لي عمله فاجعلوه في عليين.

وأخرج ابن الضريس عن أم الدرداء قالت : إن درج الجنة على عدد آي القرآن وإنه يقال لصاحب القرآن اقرأ وأرقه فإن كان قد قرأ ثلث القرآن كان على الثلث من درج الجنة وإن كان قد قرأ نصف القرآن كان على النصف من درج الجنة وإن كان قد قرأ القرآن كان في أعلى عليين ولم يكن فوقه أحد من الصديقين والشهداء.

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو قال : إن لأهل عليين كوى." (٢)

" صفحة رقم ٣٦٢

والذي أقوله فيما أضمره وحدث به نفسه ولم يفعله إنه مؤاخذ بمأثم الإعتقاد دون الفعل ، إلا أن يكون كفه عن الفعل ندما ، فالندم توبة تمحص عنه مأثم الإعتقاد .

قوله عز وجل :) ءامن الرسول (إلى قوله :) وملآئكته وكتبه (أما إيمان الرسول فيكون بأمرين : تحمل الرسالة ، وإبلاغ الأمة ، وأما إيمان المؤمنين فيكون بالتصديق والعمل .

)كل ءامن بالله وملائكته وكتبه ورسله (. والإيمان بالله يكون بأمرين : بتوحيده ، وقبول ما أنزل على رسوله .

وفي الإيمان بالملائكة وجهان :

أحدهما : الإيمان بأنهم رسل الله إلى أنبيائه .

والثاني : الإيمان بأن كل نفس منهم رقيب وشهيد .

) وكتبه (قراءة الجمهور وقرأ حمزة :) وكتابه (فمن قرأ) وكتبه (فالمراد به جميع ما أنزل الله منها على أنبيائه . ومن قرأ :) وكتابه (ففيه وجهان :

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٥/٣٠٤

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٥/٣٠٥

أحدهما : أنه عنى القرآن خاصة .

والثاني : أنه أراد الجنس ، فيكون معناه بمعنى الأول وأنه أراد جميع الكتب والإيمان بها والاعتراف بنزولها من الله على أنبيائه .

وفي لزوم العمل بما فيها ما لم يرد نسخ قولان :

ثم فيما تقدم ذكره من إيمان الرسول والمؤمنين - وإن خرج مخرج الخبر - قولان :

أحدهما : أن المراد به مدحهم بما أخبر من إيمانهم .

والثاني : أن المراد به أنه يقتدي بهم من سواهم .

ثم قال تعالى :) لا نفرق بين أحد من رسله (يعني في أن يؤمن ببعضهم." (١)

"صفحة رقم ٤٤٦

سورة النساء

(النساء : (١) يا أيها الناس . . . . .

" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا " (قوله تعالى :) يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة (يعني آدم ، وفي ذلك نعمة عليكم لأنه أقرب إلى التعاطف بينكم .

) وخلق منها زوجها (يعني حواء ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن خلقت من ضلع آدم ، وقيل الأيسر ، ولذلك قيل للمرأة : ضلع أعوج .

) وبث منهما رجالا كثيرا ونساء (روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال عند نزولها عليه : (خلقت المرأة من الرجل فهمها في الرجل من التراب فهمه في التراب) .." (٢)

" صفحة رقم ٤٤٧

) واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام (ومعنى قوله تساءلون به ، هو قولهم أسألك بالله وبالرحم ، وهذا قول مجاهد وإبراهيم ، وقرأ حمزة والأرحام بالكسر على هذا المعنى .

وفي الأرحام قول آخر : أنه أراد صلوها ولا تقطعوها ، وهو قول قتادة ، والسدي ، لأن الله تعالى قصد

---

(١) النكت والعيون ، ٣٦٢/١

(٢) النكت والعيون ، ٤٤٦/١

بأول السورة حين أخبرهم أنهم من نفس واحدة أن يتواصلوا ويعلموا أنهم إخوة وإن بعدوا .

) إن الله كان عليكم رقيبا (فيه تأويلان :

أحدهما : حفيظا ، وهو قول مجاهد .

والثاني : عليما ، وهو قول ابن زيد .

(النساء : (٢ – ٤) وآتوا اليتامى أموالهم . . . . .

" وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ,وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا " (قوله تعالى :) وءاتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب (فيه أربعة تأويلات :

أحدها : الحرام بالحلال ، وهو قول مجاهد .

والثاني : هو أن يجعل الزائف بدل الجيد ، والمهزول بدل السمين ويقول درهم بدرهم ، وشاة بشاة ، وهو ابن المسيب والزهري والضحاك والسدي .

والثالث : هو استعجال أكل الحرام قبل إتيان الحلال ، وهو معنى قول مجاهد .

والرابع : أن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار والنساء ويأخذه الرجل." (١)

" صفحة رقم ٨٦

والثاني : من سائر العالمين كلهم .

وفيهم قولان : أحدهما : هو أن يمسخهم قردة ، قاله قتادة .

والثاني : أنه جنس من العذاب لا يعذب به غيرهم لأنهم كفروا بعد أن رأوا من الآيات ما لم يره غيرهم ، فكانوا أعظم كفرا فصاروا أعظم عذابا .

وهل هذا العذاب في الدنيا أو في الآخرة ؟ قولان :

وفي الحواريين قولان :

أحدهما : أنهم خواص الأنبياء .

---

(١) النكت والعيون . ، ٤٤٧/١

والثاني : أنهم المندوبون لحفظ شرائعهم إما بجهاد أو علم .

وفي تسميتهم بذلك ثلاثة أقاويل :

أحدها : لبياض ثيابهم ، وهذا قول ابن عباس ، تشبيها بما هم عليه من نقاء سرائرهم ، قاله الضحاك ، وهو بلغة القبط حواري .

والثاني : لنظافة ثيابهم وطهارتها بطهارة قلوبهم .

والثالث : بجهادهم عن أنبيائهم ، قال الشاعر :

ونحن أناس نملأ البيد مأمنا

ونحن حواريون حين نزاحف

(المائدة : (١١٦ – ١١٨) وإذ قال الله . . . . .

" وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد." [١]

" صفحة رقم ٨٩

قوله عز وجل :) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به (لم يذكر عيسى ذلك على وجه الإخبار به لأن الله عالم به ، ويحتمل وجهين :

أحدهما : تكذيبا لمن اتخذ إلها معبودا . والثاني : الشهادة بذلك على أمته فيما أمرهم به من عبادة ربه .

قوله تعالى :) أن اعبدوا الله ربي وربكم (يحتمل وجهين :

أحدهما : إعلامهم أن الله ربه وربهم واحد .

والثاني : أن عليه وعليهم أن يعبدوا ربا واحدا حتى لا يخالفوا فيما عبدوه .

) وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم (يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني شاهدا .

والثاني : شاهدا عليهم .

---

(١) النكت والعيون ، ٢/٨٦

) فلما توفيتني (فيه وجهان :

أحدهما : أنه الموت .

والثاني : أنه رفعه إلى السماء .

) . . . الرقيب عليهم (فيه وجهان :

أحدهما : الحافظ عليهم .

والثاني : العالم بهم .

) وأنت على كل شيء شهيد (يحتمل وجهين :

أحدهما : شاهدا لما حضر وغاب .

والثاني : شاهدا على من عصى ، وأطاع .

قوله عز وجل :) إن تعذبهم فإنهم عبادك (يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه قاله على وجه الاستعطاف لهم والرأفة بهم كما يستعطف العبد سيده .

والثاني : أنه قاله على وجه التسليم لأمر ربه والاستجارة من عذابه .." (١)

" صفحة رقم ٥٠١

أحدها : حفيظ .

الثاني : خبير .

الثالث : مجاز .

(هود : (٩٣ - ٩٥) ويا قوم اعملوا . . . . .

" ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود " (قوله عز وجل :) ويا قوم اعملوا على مكانتكم (فيه وجهان :

أحدهما : على ناحيتكم ، قاله ابن عباس .

الثاني : على تمكنكم ، قاله ابن عيسى .

---

(١) النكت والعيون ، ٨٩/٢

وقوله) اعملوا (يريد ما وعدوه من إهلاكه ، قال ذلك ثقة بربة .

ثم قال جوابا لهم فيه تهديد ووعيد) إني عامل سوف تعلمون (فيه وجهان : أحدهما : تعلمون الإجابة .

الثاني : عامل في أمر من يأتي بهلاككم ليطهر الأرض منكم ، وسترون حلول العذاب بكم .

) من يأتيه عذاب يخزيه (قال عكرمة : الغرق .

وفي) يخزيه (وجهان :

أحدهما : يذله .

الثاني : يفضحه .

) ومن هو كاذب (فيه مضمر محذوف تقديره : ومن هو كاذب يخزى بعذاب الله ، فحذفه اكتفاء بفحوى الكلام .

) وارتقبوا (أي انتظروا العذاب .

) إني معكم رقيب (يحتمل وجهين :

أحدهما : إني معكم شاهد .." (١)

" صفحة رقم ٢٤٩

) فإن أتممت عشرا فمن عندك (قال ابن عباس كانت على نبي الله موسى ثماني حجج واجبة وكانت سنتان عدة منه فقضى الله عنه عدته فأتمها عشرا .

) ومآ أريد أن أشق عليك ستجدني إن شآء الله من الصالحين (فيه قولان

: أحدهما : من الصالحين في حسن الصحبة . قاله ابن إسحاق .

الثاني : فيما وعده به .

حكى يحيى بن سلام أنه جعل لموسى كل سخلة توضع على خلاف شبه أمها فأوحى الله إلموسى أن ألق عصاك في الماء فولدت كلهن خلاف شبههن . وقال غير يحيى : بل جعل له كل بلقاء فولدن كلهن بلقا .

قوله تعالى :) فلا عدوان علي (قال السدي : لا سبيل علي .

) والله على ما نقول وكيل (فيه ثلاثة أوجه

---

(١) النكت والعيون . ، ٢/٥٠١

: أحدها : قول السدي : شهيد .

الثاني : حفيظ ، قاله قتادة .

الثالث : رقيب ، قاله ابن شجرة .

فروي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (إن موسى أجر نفسه بعفة فرجه وطعمة بطنه ، فقيل له : أي الأجليں قضى ؟ فقال أبرهما وأوفاهما) . (القصص : (٢٩ - ٣٢) فلما قضى موسى . . . . .

" فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من." (١)

" صفحة رقم ٤١٦

تعزلها ، قاله مجاهد . ويدل على أن القسم في هذا التأويل كان ساقطا عنه .

الرابع : تؤخر من تشاء من أزواجك ، وتضم إليك من تشاء منهن ، قاله قتادة . وروى منصور عن ابن رزين قال : بلغ بعض نسوة النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه يريد أن يخلي سبيلهن ، فأتينه فقلن : لا تخل سبيلنا وأنت في حل فيما بيننا وبينك ، فأرجأ منهن نسوة وآوى نسوة فكان ممن أرجأ جويرية وميمونة وأم حبيبة وصفية وسودة . وكان يقسم بينهن من نفسه وماله ما تشاء ، وكان ممن آوى عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان قسمه في ماله ونفسه فيهن سواء .

) ومن ابتغيت ممن عزلت (أي من ابتغيت فأويته إليك ممن عزلت أن تؤديه إليك .

) فلا جناح عليك (فيهن وجهان

: أحدهما : فلا جناح عليك في من ابتغيت ، وفي من عزلت . قاله يحيى بن سلام .

الثاني : فلا جناح في من عزلت أن تؤويه إليك ، قاله مجاهد .

) ذلك أدنى أن تقر أعينهں ولا يحزن ويرضين بمآ ءاتيتهن كلهن (فيه أربعة أوجه :

أحدها : إذا علمن أنه لا يطلقهن قرت أعينهن ولم يحزن .

الثاني : إذا علمن أنه لا يتزوج عليهن قرت أعينهن ولم يحزن . قاله قتادة .

الثالث : إذا علمن أن هذا من حكم الله تعالى فيهن قرت أعينهن ولم يحزن . قاله قتادة .

الرابع : أنهن علمن أن له ردهن إلى فراشه إذا اعتزلهن قرت أعينهن ولم يحزن ، قاله مجاهد .

---

(١) النكت والعيون . ، ٢٤٩/٤

(الأحزاب : (٥٢) لا يحل لك . . . . .

" لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا " (قوله عز وجل :) لا يحل لك النسآء من بعد (فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : لا يحل لك نساء من بعد نسائك اللاتي خيرتهن فاخترن الله ورسوله." (١)

" صفحة رقم ٢٤٧

الثاني : معناه فاحفظ يا محمد قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تأتي السماء بدخان مبين ، ولذلك سمي الحافظ رقيبا ، قال الأعشى :

علي رقيب له حافظ

فقل في امرىء غلق مرتهن

وفي قوله تعالى) يوم تأتي السمآء بدخان مبين (ثلاثة أقاويل

: أحدها : ما أصاب أهل مكة من شدة الجوع حتى صار بينهم وبين السماء كهيئة الدخان لما دعا عليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في إبطائهم عن الإيمان وقصدهم له بالأذى ، فقال : (اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف) قاله ابن مسعود . قال أبو عبيدة والدخان الجدب . وقال ابن قتيبة : سمي دخانا ليبس الأرض منه حتى يرتفع منها الدخان .

الثاني : أنه يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغيوم ، قاله عبد الرحمن بن الأعرج .

الثالث : أنه دخان يهيج بالناس يوم القيامة يأخذ المؤمن منه كالزكمة ، وينفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع منه ، رواه أبو سعيد الخدري مرفوعا .

قوله عز وجل :) ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون (فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الدخان ، قاله قتادة .

الثاني : الجوع : قاله النقاش .

الثالث : أنه الثلج وهذا لا وجه له لأن هذا إما أن يكون في الآخرة أو في أهل مكة ، ولم تكن مكة من بلاد الثلج غير أنه مقول فحكيناه .

قوله عز وجل :) إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عآئدون (فيه قولان :

---

(١) النكت والعيون . ، ٤/٤١٦

أحدهما : أي عائدون إلى نار جهنم .

الثاني : إلى الشرك ، قاله ابن مسعود . فلما كشف ذلك عنهم باستسقاء النبي (صلى الله عليه وسلم) لهم عادوا إلى تكذيبه .." (١)

" صفحة رقم ٣٤٦

الثاني : معناه أننا لم نعجز عن إنشاء الخلق الأول ، فكيف تشكون في إنشاء خلق جديد ، يعني بالبعث بعد الموت ، فيكون هذا خارجا مخرج البرهان والدليل .

(ق : (١٦ - ٢٢) ولقد خلقنا الإنسان . . . . .

" ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه **رقيب** عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد " (قوله عز وجل :) ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه (الوسوسة كثرة حديث النفس بما لا يتحصل في حفاء وإسرار ، ومنه قول رؤبة : وسوس يدعو مخلصا رب الفلق

. . . .

) ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه حبل معلق به القلب ، قاله الحسن . والأصم وهو الوتين .

الثاني : أنه عرق في الحلق ، قاله أبو عبيدة .

الثالث : ما قاله ابن عباس ، عرق العنق ويسمى حبل العاتق ، وهما وريدان عن يمين وشمال ، وسمي وريدا ، لأنه العرق الذي ينصب إليه ما يرد من الرأس .

وفي قوله) ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (تأويلان :

أحدهما : ونحن أقرب إليه من حبل وريده الذي هو منه .." (٢)

---

(١) النكت والعيون . ، ٥/٢٤٧

(٢) النكت والعيون . ، ٥/٣٤٦

" صفحة رقم ٣٤٧

الثاني : ونحن أملك به من حبل وريده ، مع استيلائه عليه .

ويحتمل ثالثا : ونحن أعلم بما توسوس به نفسه من حبل وريده ، الذي هو من نفسه ، لأنه عرق يخالط القلب ، فعلم الرب أقرب إليه من علم القلب .

قوله عز وجل :) إذ يتلقى المتلقيان . . (الآية . قال الحسن ومجاهد وقتادة : المتلقيان ملكان يتلقيان عملك ، أحدهما عن يمينك ، يكتب حسناتك ، والآخر عن شمالك يكتب سيئاتك .

قال الحسن : حتى إذا مت طويت صحيفة عملك وقيل لك يوم القيامة :) اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك .

وفي) قعيد (وجهان :

أحدهما : أنه القاعدة ، قاله المفضل .

الثاني : المرصد الحافظ ، قاله مجاهد . وهو مأخوذ من القعود .

قال الحسن : الحفظة أربعة : ملكان بالنهار وملكان بالليل .

قوله عز وجل :) ما يلفظ من قول (أي ما يتكلم بشيء ، مأخوذ من لفظ الطعام ، وهو إخراجه من الفم .

) إلا لديه رقيب (فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه المتتبع للأمور .

الثاني : أنه الحافظ ، قاله السدي .

الثالث : أنه الشاهد ، قاله الضحاك .

وفي) عتيد (وجهان :

أحدهما : أنه الحاضر الذي لا يغيب .

الثاني : أنه الحافظ المعد إما للحفظ وإما للشهادة .

قوله عز وجل :) وجآءت سكرة الموت بالحق (يحتمل وجهين :

أحدهما : ما يراه عند المعاينة من ظهور الحق فيما كان الله قد أوعده .." (١)

---

(١) النكت والعيون ، ٥/٣٤٧

"والسلام : " إذا علمت مثل الشمس فاشهد " والشيء الذي أخبر الله تعالى عنه فهو معلوم مثل الشمس ، فوجب جواز الشهادة عليه.

والثاني : قالوا معنى الآية : لتشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا الحق فيها ، قال ابن زيد رحمه الله تعالى : الأشهاد الأربعة : الملائكة الموكلون بإثبات أعمال العباد ، قال تعالى : {وجآءت كل نفس معها سآئق وشهيد} [ق : ٢١].

وقال : {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق : ١٨] وقال : {وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون} [الانفطار : ١٠ - ١٢].

وثانيها : شهادة الأنبياء ، وهو المراد بقوله حاكيا عن عيسى عليه الصلاة والسلام : {وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت علىا كل شيء شهيد} [المائدة : ١١٧].

وقال تعالى في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأمته في هذه الآية : {لتكونوا شهدآء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا}.

وقال في حق - محمد صلى الله عليه وسلم : {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} [النساء : ٤١].

وثالثها : شهادة أمة محمد - عليه الصلاة والسلام - قال تعالى : {وجيء بالنبيين والشهدآء} [الزمر : ٦٩].

وقال تعالى : {ويوم يقوم الأشهاد} [غافر : ٥١].

ورابعها : شهادة الجوارح ، وهي بمنزلة الإقرار ، بل أعجب منه.

قال تعالى : {يوم تشهد عليهم ألسنتهم} [النور : ٢٤].

الآية ، وقال : {اليوم نختم على أفواههم} [يس : ٦٥] الآية.

القول الثاني : أن أداء هذه الشهادة إنما يكون في الدنيا ، وتقديره أن الشهاة والمشاهدة والشهود هو الرؤية يقال : شاهدت كذا إذا رأيته وأبصرته.

ولما كان بين الإبصار بالعين وبين المعرفة بالقلب مناسبة شديدة ، لا جرم قد تسمى المعرفة التي في القلب : مشاهدة وشهودا ، والعارف بالشيء : شاهدا ومشاهدا ، ثم سميت الدلائل على الشيء : شاهدا على الشيء ، لأنها هي التي بها صار الشاهد شاهدا ، ولما كان المخبر عن الشيء والمبين لحاله جاريا مجرى الدليل على ذلك سمي ذلك المخبر أيضا شاهدا ، ثم اختص هذا اللفظ في عرف الشرع بمن يخبر

عن حقوق الناس بألفاظ مخصوصة على جهات مخصوصة.
إذا ثبت هذا فنقول : إن كل من عرف حال شيء وكشف عنه كان شاهدا عليه ، والله سحبانه وتعالى وصف هذه الأمة بالشهادة ، فهذه الشهادة : إما أن تكون في الآخرة ، أو الدنيا ، ولا جائز أن تكون في الآخرة ؛ لأن الله
١٨." (١)

"أحدهما – وهو الظاهر – أنه مفعول بـ " آتى " وهل هو الأول ، و " المال " هو الثاني ؛ كما هو قول الجمهور ، وقدم للاهتمام ، أو هو الثاني : فلا تقديم ، ولا تأخير ؛ كما هو قول السهيلي ؟ والثاني : أنه منصوب بـ " حبه " ؛ على أن الضمير يعود على " من آمن " ؛ كما تقدم.
فصل في المراد بـ " ذوي القربى " من الناس من حمل ذوي القربى على المذكور في آية النفل والغنيمة ، وأكثر المفسرين على ذوي القربى للمعطين ، وهو الصحيح ؛ لأنهم به أخص ، وهم الذين يقربون منه بولادة الأوبين ، أو بولادة الجدين ، أو أبي الجدين ، ولا يقتصر على ذوي الرحم المحرم كما حكي عن قوم ؛ لأن امحرمية حكم شرعي ، والقرابة لفظة لغوية موضوعة للقرابة في النسب ، وأن تفاوتوا في القرب والبعد.
قوله " واليتامى " : ظاهره أنه مصوب ، عطفا على ذوي.
وقال بعضهم : هو عطف على " القربى " أي : " آتى ذوي اليتامى " ، أي : أولياءهم ؛ لأن الإيتاء إلى اليتامى لا يصح ؛ فإن دفع المال إلى اليتيم الذي لا يميز ، ولا يعرف وجوه المنفعة يكون مخطئا ، ولا حاجة إلى هذا ، فإن الإيتاء يصدق ، وإن لم لم يباشر من يؤتيه بالإيتاء ، يقال : " آتيت السلطان الخراج " ، وإنما أعطيت أعوانه.
وأيضا : إذا كان اليتيم مراهقا عارفا بمواقع حظه ، وتكون الصدقة من باب ما يؤكل ، ويلبس ، ولا يخفى على اليتيم وجه الانتفاع به ، جاز دفعها إليه ، هذا على قول من قال : إن اليتيم هو الذي لا أب له مع الصغر.
وقال بعضهم : أن هذا الاسم قد يقع على الصغير ، وعلى البالغ ؛ لقوله تعالى : {وآتوا اليتامى أموالهم} [النساء : ٢] وهم لا يؤتون إلا إذا بلغوا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى يتيم أبي طالب بعد بلوغه ؛ فعلى هذا : إن كان اليتيم بالغا ، دفع إليه ، وإلا دفع إلى وليه ، والمساكين أهل الحاجة ، وهم

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٢٢

ضربان : من يكف عن السؤال ، وهو المراد هاهنا ، ومنهم من يسأل وينبسط ، وهم السائلون ، وإنما فرق بينهما ؛ من حيث يظهر على السماكين المسكنة مما يظهر من حاله ، وليس كذلك السائل لأنه يظهر حاله.

وابن السبيل اسم جنس أو واحد أريد به الجمع ، وسمي " ابن السبيل " ، أي : الطريق ، لملازمته إياه في السفر ، أو لأن الطريق تبرزه ، فكأنها ولدته.

٢٠٨

فصل.

من جعل الآية الكريمة في غير الزكاة ، أدخل في هذه الآية المسلم والكافر ، روى الحسن بن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - أنه - عليه الصلاة والسلام - قال : " للسائل حق ، ولو جاء على فرس " ، وقال تعالى : {وفى أموالهم حق للسآئل والمحروم} [الذاريات : ١٩].

الأمر الثالث في تحقيق مسمى البرن قوله : {وأقام الصلاة وآتى الزكاة} وقد تقدم : قوله {وفي الرقاب} متعلق بـ " آتى " وفيه وجهان : أحدهما : أن يكون ضمن " آتى " معنى فعل يتعدى لواحد ؛ كأنه قال : وضع المال في الرقاب.

والثاني : أن يكون مفعول " آتى " الثاني محذوفا ، أي : آتى المال أصحاب الرقاب في فكها ، أو تخليصها ؛ فإن المراد بهم المكاتبون ، أو الأسارى ، أو الأرقاء يشترون ، فيعتقون ، وكل قد قيل به.

والرقاب : جمع " رقبة " ، وهي من مؤخر أصل العنق ، واشتقاقها من " المراقبة " ؛ وذلك أن مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم ؛ وبهذا المعنى : يقال : " أعتق الله رقبته " ، ولا يقال : " أعتق الله عنقه " ؛ لأنها لما سميت رقبة ؛ كأنها تراقب العذاب ، ومن هذا يقال للتي لا يعيش ولدها " رقوب " ؛ لأجل مراقبة موت ولدها.

قوله : {وأقام الصلاة} عطف على صلة " من " ، وهي : " آمن ، وآتى " وإنما قدم الإيمان ، لأنه رأس الأعمال الدينية ، وثنى بإيتاء المال ؛ لأنه أجل شيء عند العرب ، وبه يمتدحون ، ويفتخرون بفك العاني : وقرى الضيفان ، ينطق بذلك نظمهم ونثرهم.

قوله {والموفون بعهدهم...

} في رفعة ثلاثة أوجه : أحدها : ذكره الزمخشري : أنه عطف على " من آمن " أي : ولكن البر المؤمنون والموفون.

والثاني : أن يرتفع على خبر مبتدأ محذوف ، أي : هم الموفون ، وعلى هذين الوجهين : فنصب الصابرين على المدح ؛ بإضمار فعل ، وهو في المعنى عطف على " من آمن " ، ولكن لما تكررت الصفات ، خولف بين وجوه الإعراب.

قال الفارسي : وهو أبلغ ؛ لأن الكلام يصير مشتملا على جمل متعددة ، بخلاف اتفاق الإعراب ؛ فإنه يكون جملة واحدة ، وليس فيها من المبالغة ما الجمل المتعددة.

وقال أبو عبيدة : ومن شأن العرب ، إذا طال الكلام : أن يغيروا الإعراب والنسق ؛ كقوله تعالى في سورة النساء : {والمقيمين الصلاة} [النساء : ١٦٢] وفي المائدة : {والصابئون} [المائدة : ٦٩] وقال الفراء : إنما رفع " الموفون " ، ونصب " الصابرين " ؛

٢٠٩." (١)

"هداكم ولعلكم تشكرون} [البقرة : ١٨٥] فأمر العبد بالتكبير الذي هو الذكر وبالشكر ، أعلم العبد أنه سبحانه بلطفه ورحمته قريب من العبد مطلع على ذكره وشكره ، فيسمع نداءه ويجيب دعاءه.

الثاني : أنه أمره بالتكبير أولا ، ثم رغبه في الدعاء ثانيا تنبيها على أن الدعاء لا بد وأن يكون مسبوقا بالثناء الجميل ؛ ألا ترى أن الخليل – عليه السلام – لما أراد الدعاء قدم أولا الثناء ؛ فقال : {الذي خلقني فهو يهدين} [الشعراء : ٧٨] إلى قوله : {والذى أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين} [الشعراء : ٨٢] فلما فرغ من هذا الثناء ، شرع في الدعاء ، فقال : {رب هب لي حكما} [الشعراء : ٨٣] فكذا هاهنا.

الثالث : أنه لما فرض عليهم الصيام ، كما فرض على الذين من قبلهم ؛ وكانوا إذا ناموا ، حرم عليهم ما حرم على الصائم ، فشق ذلك على بعضهم ؛ حتى عصوا في ذلك التكليف ، ثم ندموا وسألوا النبي – صلى الله عليه وسلم – عن توبتهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة مخبرا لهم بقبول توبتهم ، وبنسخ ذلك التشديد ؛ بسبب دعائهم وتضرعهم.

فصل في بيان سبب النزول ذكر في سبب نزول هذه الآية الكريمة وجوه : أحدها : ما قدمناه.

الثاني : قال ابن عباس : إن يهود المدينة قالوا : يا محمد ، كيف يسمع ربك دعاءنا ، وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام ، وأن غلظ كل سماء مثل ذلك ؟ فنزلت الآية الكريمة الثالث : قال الضحاك : إن أعربيا سأل النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : أرقيب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٥١٩

فأنزل الله تعالى الآية.
الرابع : أنه – عليه الصلاة والسلام – كان في غزاة خيبر ، وقد رفع أصحابه أصواتهم بالتكبير والتهليل والدعاء ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم اربعون على أنفسكم فإنما لا تدعون أصم ولا غائبا ، إنما تدعون سمعيا قريبا وهو معكم.
٢٩٣
الخامس : قال قتادة وغيره : إن الصحابة قالوا : كيف ندعو ربنا ، يا رسول الله ، فنزلت الآية.
السادس : قال عطاء وغيره : إن الصحابة سألوا في أي ساعة ندعوا ربنا فأنزل الله الآية.
السابع : قال الحسن : سأل أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالوا : أين ربنا ؟ فأنزل الله الآية.
فصل واعلم أن المراد من الآية الكريمة ليس هو القرب بالجهة ؛ لأنه تبارك وتعالى ، لو كان في مكان ، لما كان قريبا من الكل ، بل كان يكون قريبا من حملة العرش ، وبعيدا غيرهم ، ولكان إذا كان قريبا من زيد الذي بالشرق ، كان بعيدا من عمرو الذي بالمغرب ، فلما دلت الآية الكريمة على كونه تعالى قريبا من الكل ، علمنا أن الqرب المذكور في الآية الكريمة ليس قربا بجهة ، فثبت أن المراد منه أنهقريب بمعنى أنه يسمع دعاءهم.
والمراد من هذا القرب العلم والحفظ ؛ على ما قال : {وهو معكم أين ما كنتم} [الحديد : ٤] وقال {ونحن أقرب إليه من حبل الوريد} [ق : ١٦] وقال تعالى : {ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم} [المجادلة : ٧] ونظيره : وهو بينكم وبين أعناق رواحلكم.
قال ابن الخطيب : وإذا عرف هذا فنقول : لا يبعد أن يقال : إنه كان في بعض أولئك الحاضرين من كان قائلا بالتشبيه ، فقد كان من مشركي العرب ، وفي اليهود وغيرهم من هذه طريقته ، فإذا سألوه – عليه الصلاة والسلام – أين ربنا ؟ صح أن يكون الجواب : فإني قريب ، فإن القريب من المتكلم يسمع كلامه ، وإن سألوه كيف يدعون ؛ برفع الصوت أو بإخفائه ؟ صح أن يجيب بقوله : " فإني قريب " ، وإن سألوه أنه هل يعطينا مطلوبنا بالدعاء ؟ صح هذا الجواب ، وإن سألوه : إنا إذا أذنبنا ثم تبنا ، فهل يقبل الله توبتنا ؟ صح أن يجيب بقوله " فإني قريب " أي : فأنا القريب بالنظر إليهم ، والتجاوز عنهم ، وقبول التوبة منهم ؛ فثبت أن هذا الجواب مطابق للسؤال على كل تقدير.
قوله تعالى : " أجيب " فيها وجهان : أحدهما : أنها جملة في محل رفع صفة لـ " قريب ".
والثاني : أنها خبر ثان لـ " إني " ؛ لأن " قريب " خبر أول.

ولا بد من إضمار قول بعد فاء الجزاء ، تقديره : فقل لهم إن قريب ، وإنما احتجنا إلى هذا التقدير ؛ لأن المرتب على الشرط الإخبار بالقرب ، وجاء قوله " أجيب " ؛ مراعاة للضمير السابق على الخبر ، ولم يراع الخبر ، فيقال : " يجيب " بالغيبة ؛ مراعاة لقوله : " قريب " ؛ لأن الأشهر من طريقتي العرب هو الأول ؛كقوله تعالى : {بل أنتم قوم تجهلون} [النمل : ٥٥] وفي أخرى {بل أنتم قوم تفتنون} [النمل : ٤٧] ، وقول الشاعر : [الطويل] ٩٤٨ – وإنا لقوم ما نرى القتل سبة

إذا ما رأته عامر وسلول." (١)

"وقال آخر : [الطويل] ١٠٦٩ – أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني

ألم تيئسوا أني ابن فارس زهدم

وفي اشتقاقه أربعة أقوال : أحدها : من اليسر وهو السهولة ؛ لأن أخذه سهل من غير كدر ولا تعب قاله مقاتل.

والثاني : من اليسار ، وهو الغنى ؛ لأنه يسلبه يساره.

قال ابن عباس : كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ؛ ذهب بأهله ، وماله ، فنزلت الآية.

الثالث : قال الواحدي : إنه من قولهم : يسر لي هذا الشيء ييسر يسرا وميسرا ، إذا وجب ، والياسر الواجب بسبب القداح.

وحكاه الطبري عن مجاهدس ، ورد ابن عطية عليه.

الرابع : من يسر إذا جزر ، والياسر الجازر ، وهو الذي يجزئ الجزور أجزاء.

قال ابن عطية : وسميت الجزور التي يستهم عليها ميسرا ؛ لأنها موضع اليسر ، ثم سميت السهام ميسرا للمجاورة " واليسر : الذي يدخل في الضرب بالقداح ، ويجمع على أيسار ، وقيل : بل " يسر " مع ياسر كحارس وحرس وأحراس.

وللميسر كيفية ، وتسمى سهامه القداح والأزلام والأقلام.

وقيل : هي عشرة أقداح ، وقيل : أحد عشر ، لسبعة منها حظوظ ، وعلى كل منها خطوط ، فالخط يقدر

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥٦٤

الحظ ، وتلك القداح هي : الفذ وله سهم واحد ، والتوءم وله اثنان ، **والرقيب** وله ثلاثة ، والحلس
٣٤
وله أربعة ، والنافس وله خمسة ، والمسبل وله ستة ، والمعلى وله سبعة ، وثلاثة أغفال لا خطوط عليها ، وهي المنيح ، والسفيح ، والوغد.
وأنشد فيها بعضهم : [الرمل] ١٠٧٠ - لي في الدنيا سهام
ليس فيهن ربيح
وأساميهن وغد
وسفيح ومنيح
ومن زاد رابعا سماه المضعف ، وإنما كثروا بهذه الأغفال ليختلط على الحرضة ، وهو الضارب ، فلا يميل مع أحد ، وهو رجل عدل عندهم ، فيجثو ، ويلتحف بثوب ، ويخرج رأسه ، فيجعل تلك القداح في خريطة وتسمى الربابة بكسر الراء مشبهة بالكتابة فيها سهام الميسر ، وربما يسمون جميع السهام ربابة ، ثم يخلخلها ويدخل يده فيها ، ويخرج باسم رجل رجل قدحا فمن خرج على اسمه قدح : فإن كان من ذوات السهام ؛ فاز بذلك النصيب ، وأخذه ، وإن كان من الأغفال غرم من الجزور ؛ ولا يأخذ شيئا.
وقال بعضهم : لا يأخذ شيئا ، ولا يغرم ، ويكون ذلك القدح لغزا.
وكانوا يفعلون هذا في الشتوة ، وضيق العيش ، ويقسمونه على الفقراء ولا يأكلون منه شيئا ، ويفتخرون بذلك ، ويسمون من لم يدخل معهم فيه : البرم ويذمونه ، والجزور تقسم عند الجمهور على عدد القداح ، فتقسم على عشرة أجزاء ، وعند الأصمعي على عدد خطوط القداح ، فتقسم على ثمانية وعشرين جزءا.
وخطأ ابن عطية الأصمعي في ذلك ، وهذا عجيب منه ؛ لأنه يحتمل أن العرب كانت تقسمها مرة على عشرة ، ومرة على ثمانية وعشرين.
فهذا أصل القمار التي كانت تفعله العرب.
واختلفوا في الميسر ؛ هل هو اسم لذلك القمار المعين أو اسم الجميع أنواع القمار ، فقال بعض العلماء : المراد من الآية جميع أنواع القمار قال عليه الصلاة والسلام : " إياكم وهاتين الكعبتين الموسومتين فإنها من ميسر العجم ".
وعن ابن سيرين : ومجاهد ، وعطاء ، وطاوس ، كل شيء فيه قمار فهو الميسر ، حتى لعب الصبيان بالجوز ، والكعاب.

٣٥
." (١)

"الثاني : قال أبو مسلم : إن زكريا لما طلب من الله آية تدل على علوق الولد ، قال تعالى : آيتك أن تصير مأمورا بأن لا تكلم الناس ثلاثة أيام بلياليها مع الخلق ، وأن تكون مشتغلا بالذكر ، والتسبيح ، والتهليل ، معرضا عن الخلق والدنيا ؛ شكرا لله - تعالى - على إعطاء مثل هذه الموهبة ، فإن كانت لك حاجة دل عليها بالرمز ، فإذا أمرت بهذه الطاعة فقد حصل المطلوب.

الثالث : قال قتادة : أمسك لسانه عن الكلام ؛ عقوبة لسؤاله الآية - بعد مشافهة الملائكة له بالبشارة - فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام.

وقوله : {ألا تكلم} " أن " وما في حيزها في محل رفع ؛ خبرا لقوله : {آيتك} أي آيتك عدم كلامك الناس.

والجمهور على نصب " تكلم " بأن المصدرية.

وقرأ ابن أبي عبلة برفعه ، وفيه وجهان : أحدهما : أن تكون " أن " مخففة من الثقيلة ، واسمها - حينئذ - ضمير الشأن محذوف ،والجملة المنفية بعدها في محل رفع ، خبرا لـ " أن " ومثله : {أفلا يرون ألا يرجع} [طه : ٨٩] وقوله : {وحسبوا اا ألا تكون فتنة} [المائدة : ٧١] ووقع الفاصل بين " أن " والفعل الواقع خبرها حرف نفي ، ولكن يضعف كونها مخففة عدم وقوعها بعد فعل يقين.

والثاني : أن تكون " أن " الناصبة حملت على " ما " أختها ، ومثله : {لمن أراد أن يتم الرضاعة} [البقرة : ٢٣٣] و " أن " وما في حيزها - أيضا - في محل رفع ، خبرا لـ " آيتك ".

قوله : {ثلاثة أيام} الصحيح أن هذا النحو - وهو ما كان من الأزمنة يستغرق جميع الحدث الواقع فيه - منصوب على الظرف ، خلافا للكوفيين ، فإنهم ينصبونه نصب المفعول به.

وقيل : وثم معطوف محذوف تقديره ثلاثة أيام ولياليها ، فحذف ، كقوله تعالى : {تقيكم الحر} [النحل : ٨١] ونظائره ؛ يدل على ذلك قوله - في سورة مريم - {ثلاث ليال سويا} [مريم : ١٠] وقد يقال : إنه يؤخذ المجموع من الآيتين ، فلا حاجة إلى ادعاء حذف ؛ فإنه على هذا التقدير الذي ذكرتموه - يحتاج إلى تقدير معطوف في الآية الأخربك ثلاث ليال وأيامها.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٧٠٢

قوله : {إلا رمزا} فيه وجهان : أحدهما : أنه استثناء منقطع ؛ لأن الرمز ليس من جنس الكلام ، إذ الرمز الإشارة بعين ، أو حاجب أو نحوهما ، ولم يذكر أبو البقاء غيره.

وبه بدأ ابن عطية مختارا له ، فإنه قال : " والمراد بالكلام – في الآية – إنما هو النطق

٢٠٩

باللسان لا الإعلام بما في النفس ، فحقيقة هذا الاستثناء ، منقطع ، ثم قال : وذهب الفقهاء إلى أن الإشارة ونحوها في حكم الكلام في الأيمان ونحوها ؛ فعلى هذا يجيء الاستثناء متصلا ".

والوجه الثاني : أنه متصل ؛ لأن الكلام لغة يطلق بإزاء معان : الرمز والإشارة من جملتها.

أنشدوا : [الطويل] ١٤٤٧ – إذا كلمتني بالعيون الفواتر

رددت عليها بالدموع البوادر

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٨٧

وقال آخر : [الطويل] ١٤٤٨ – أرادت كلاما فاتقت من رقيبها

فلم يك إلا ومؤها بالحواجب

وهو مستعمل ، قال حبيب : [البسيط] ١٤٤٩ – كلمته بجفون غير ناطقة

فكان من رده ما قال حاجبه

وبهذا الوجه بدأ الزمخشري مختارا له ، قال : " لما أدى مؤدى الكلام ، وفهم منه ما يفهم سمي كلاما ، ويجوز أن يكون استثناء منقطعا ".

والرمز : الإشارة والإيماء بعين ، أو حاجب أو يد – ذكر بعض المفسرين أن إشارته كانت بالمسبحة ومنه قيل للفاجرة : الرمازة ، والرمازة ، وفي الحديث : " نهى عن كسب الرمازة " ، يقال منه : رمزت ترمز وترمز – بضم العين وكسرها في المضارع.

وأصل الرمز : التحرك ، يقال : رمز وارتمز أي : تحرك ، ومنه قيل للبحر : الراموز ، لتحركه واضطرابه.

وقال الراغب : " الرمز : الإشارة بالشفة والصوت الخفي ، والغمز بالحاجب.

وما ارماز : أي ما تكلم رمزا ، وكتيبه رمازة : أي : لم يسمع منها إلا رمزا ؛ لكثرتها ".

ويؤيد كونه الصوت الخفي – على ما قاله الراغب – أنه كان ممنوعا من رفع الصوت.

قال الفراء : " قد يكون الرمز باللسان من غي أن يتبين ، وهو الصوت الخفي ، شبه الهمس ".

٢١٠
". (١)

"سورة النساء

قال بعض المفسرين : " ابتدأ الله سبحانه وتعالى هذه السورة بالعطف على النساء والأيتام ، ذكر فيها أحكاما كثيرة ، وبذلك ختمها ، ولما كانت هذه التكاليف شاقة على النفوس والطباع ، افتتحها بالأمر بالتقوى المشتملة على كل خير ".

فصل روى الواحدي عن ابن عباس في قوله : { يا أيها الناس} أن هذا الخطاب لأهل مكة.

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونسآء واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام إن الله كان عليكم **رقيبا** وأما الأصوليون من المفسرين فاتفقوا على أن الخطاب عام لجميع المكلفين ، وهذا هو الأصح ؛ لأن لفظ الناس جمع دخله الألف واللام فيفيد الاستغراق ، ولأنه علل الأمر بالاتقاء لكونه تعالى خالق لهم من نفس واحدة ، وهذه العلة موجودة في جميع المكلفين. وأيضا فالتكليف بالتقوى غير مختص بأهل مكة ، بل هو عام ، وإذا كان لفظ الناس عاما ، والمر بالتقوى عاما ، وعلة هذا التكليف عامة ، فلا وجه للتخصيص ، وحجة ابن عباس أن قوله : {واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام} [النساء : ١] مختص بالعرب ؛ لأن المناشدة بالله وبالرحم عادة مختصة بهم ، فيقولون : " أسألك بالله وبالرحم ، أنشدك الله والرحم " ، وإذا كان كذلك ، كان قوله : {واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام} [النساء : ١] ، مختصا بالعرب ، فيكون قوله : { يا أيها الناس} مختصا بهم ، لأن الخطابين متوجهان إلى مخاطب واحد.

ويمكن الجواب عنه بأن خصوص آخر الآية لا يمنع من عموم الآية.

فصل اعلم أنه تعالى جعل الافتتاح لسورتين في القرآن : أحدهما : هذه وهي السورة الرابعة من النصف الأول من القرآن ، وعلل الأمر بالتقوى فيهما بما يدل على معرفة المبدأ بأنه خلق الخلق من نفس واحدة ، وهذا يدل على كمال قدرة الخالق وكمال علمه وحكمته.

١٣٩

والثانية : سورة الحج وهي الرابعة أيضا من النصف الثاني من القرآن وعلل الأمر بالتقوى فيها بما يدل على

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٠٦٣

معرفة المعاد.

فجعل صدر هاتين السورتين دليلا على معرفة المبدأ والمعاد ، وقدم السورة الدالة على المبدأ على السورة الدالة على المعاد ، وهذا سر عظيم.

{من نفس} متعلق بـ " خلقكم " فهو في محل نصب ، و " من " لابتداء الغاية ، وكذلك " منها زوجها وبث منهما " والجمهور على واحدة بتاء التأنيث ، وأجمع المسلمون على أن المراد بالنفس الواحدة [هاهنا] آدم عليه السلام ، إلا أنه أنث الوصف على لفظ النفس لقوله تعالى : {أقتلت نفسا زكية بغير نفس} [الكهف : ٧٤].

وابن أبي عبلة واحد من غير [تاء] تأنيث ولهـ وجهان : أحدهما : مراعاة المعنى ؛ لأنه المراد بالنفس آدم عليه السلام.

والثاني : أن النفس تذكر وتؤنث.

وعليه قوله : [الوافر] ١٧٢٦ - ثلاثة أنفس وثلاث ذود

لقد جار الزمان على عيالي

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٣٩

قوله : {وخلق} فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه عطف على معنى " واحدة " لما فيه من معنى الفعل ، كأنه قيل : " من نفس وحدت " أي : انفردت ، يقال : " رجل وحد يحد وحدا وحدة " انفرد.

الثاني : انه عطف على محذوف.

قال الزمخشري : "كأنه قيل : من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها ، وإنما حذف لدلالة المعنى عليه ، والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها " بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقكم منها ، وإنما حمل الزمخشري رحمه الله تعالى والقائل الذي قبله على ذلك مراعاة الترتيب الوجودي ؛ لأن خلق حواء - وهي المعبر عنها بالزوج - قبل خلقنا ولا حاجة إلى ذلك ، لأن الواو لا تقتضي ترتيبا على الصحيح.

الثالث : أنه عطف على " خلقكم " ، فهو داخل في حيز الصلة والواو ولا يبالى بها ، ١٤٠." (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٣٥٤

"فإن قيل : لم خص لرجال بوصف الكثرة دون النساء ؟ ففيه جوابان : أحدهما : أنه حذف صفتهن لدلالة ما قبلها عليها تقديره : ونساء كثيرة.

والثاني : أن الرجال لشهرتهم [وبروزهم] يناسبهم ذلك بخلاف النساء ، فإن الأليق بهن الخمول والإخفاء.

قوله : {تسآءلون} قرأ الكوفيون " تساءلون " بتخفيف السين على حذف إحدى التاءين تخفيفا ، والأصل : " تتساءلون " به ، وقد تقدم الخلاف : هل المحذوف الأولى أو الثانية وقرأ الباقون بالتشديد على إدغام تاء التفاعل في السين ؛ لأن مقاربتها في الهمس ، ولهذا تبدل من السين ، قالوا : " ست " والأصل " سدس " وقرأ عبد الله : " تسالون " من سأل الثلاثي ، وقرئ " تسلون " بنقل حركة الهمزة على السين ، و " تساءلون " على التفاعل فيه وجهان : أحدهما : المشاركة في السؤال.

والثاني : أنه بمعنى فعل ، ويدل عليه قراءة عبد الله.

قال أبو البقاء : " ودخل حرف الجر في المفعول ؛ لأن المعنى : " تتخالفون : يعني أن الأصل تعدية " تسألون " إلى الضمير بنفسه ، فلما ضمن " تتخلفون " عدي تعديته ".

قوله : {والأرحام} الجمهور نصبوا الميم ، وفيه وجهان : أحدهما : أنه عطف على لفظ الجلالة ، أي : واتقوا الأرحام أي : لا تقطعوها ، وقدر بعضهم مضاف أي : قطع الأرحام.

ويقال : إن هذا في الحقيقة من عطف الخاص علا العام ، وذلك أن معنى اتقوا

١٤٣

الله ؛ اتقوا مخالفته ، وقطع لأرحام مندرج فيه ، وهذا قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والفراء والزجاج.

قال الواحدي : ويجوز أن يكون منصوبا بالإغراء ، أي : والأرحام احفظوها وصلوها كقولك : الأسد الأسد ، وهذا يدل على تحريم قطعية الرحم ووجوب صلته.

والثاني : أنه معطوف على محل المجرور في " به " ، نحو : مررت بزيد وعمرا ، ولم لم يشركه في الإتباع على اللفظ تبعه على الموضع ، وه يؤيده قراءة عبد الله " وبالأرحام ".

وقال أبو البقاء : تعظمونه والأرحام ، لأن الحلف به تعظيم له " ، وقرأ حمزة " والأرحام " بالجر ، قال القفال : وقد رويت هذه القراءة عن مجاهد وغيره ، وفيها قولان.

أحدهما : أنه عطف على الضمير المجرور في " به " من غير إعادة الجار ، وهذا لا يجيزه البصريون ، وقد تقدم تحقيق ذلك ، وأن فيها ثلاثة مذاهب ، واحتجاج كل فريق

١٤٤

في قوله تعالى : {وكفر به والمسجد الحرام} [البقرة : ٢١٧] وقد طعن جماعة في هذه القراءة ، كالزجاج وغيره ، حتى يحكى عن الفراء الذي مذهبه جواز ذلك أنه قال : حدثني شريك بن عبد الله عن الأعمش عن إبراهيم ، قال : {والأرحام} بخفض [الأرحام] هو كقولهم : " أسألك بالله والرحِم " قال : " وهذا قبيح ؛ لأن العرب لا ترد مخفوضا على مخفوض قد كني به ، وضعفه بعضهم بأنه عطف للمظهر على الضمير ، وهو لا يجوز.

قال ابن عيس : إنهم لم يستحسنوا عطف المظهر على الضمير المرفوع ، فلا يجوز أن يقال : " اذهب وزيد " و " ذهبت وزيدا " ، بل يقولون : اذهب أنت وزيد وذهبت أنا وزيد ، قال تعالى : {فاذهب أنت وربك} [المائدة : ٢٤] مع أن الضمير المرفوع قد ينفصل ، فإذا لم يجز عطف المظهر على الضمير المرفوع مع أنه أقوى من الضمير المجرور ، بسبب أنه قد ينفصل ؛ فلأن لا يجوز عطف المظهر على الضمير المجرور ، مع أنه [لا] ينفصل ألبتة أولى.

والثاني : أنه ليس معطوفا على الضمير المجرور ، بل الواو للقسم وهو خفض بحرف القسم مقسم به ، وجواب القسم {إن الله كان عليكم رقيبا} وضعف هذا بوجهين : أحدهما : أن قراءتي النصب وإظهار حرف الجر في بـ " الأرحام " يمنعان من ذلك ، والأصل توافق القراءات.

والثاني : أنه نهي أن يحلف بغير الله تعالى ، والأحاديث مصرحة بذلك.

١٤٥

". (١)

"وقدر بعضهم مضافا فرارا من ذلك فقال : " ورب الأرحام ".

قال أبو البقاء : وهذا قد أغنى عنه ما قبله " يعني : الحلف بالله تعالى.

ويمكن الجواب عن هذا بأن لله تعالى أن يقسم بما يشاء من مخلوقاته [كما أقسم] بالشمس والنجم والليل ، وإن كنا نحن منهيين عن ذلك ، إلا أن المقصود من حيث المعنى ، ليس على القسم ، فالأولى حمل هذه القراءات على العطف على الضمير ، ولا التفات إلى طعن من طعن فيها.

وأجاب آخرون بأن هذا حكاية عن فعل كانوا يفعلونه في الجاهلية ؛ لأنهم كانوا يقولون : أسألك بالله وبالرحم ، فمجيء هذا الفعل عنهم في الماضي لا ينافي ورود النهي عنه في المستقبل ؛ وأيضا فالنهي ورد

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٣٥٦

عن الحلف بالآباء فقط ، وهاهنا ليس كذلك ، بل هو حلف بالله أولا ، ثم قرن به بعد ذكر لرحم ، وهذا لا ينافي مدلول الحديث.

أيضا فحمزة أحد القراءة السبعة ، الظاهر أنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه ، بل رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوجب القطع بصحة اللغة ، ولا التفات إلى أقيسة النحاة عند وجود السماع ، وأيضا فلهذه القراءة وجهان : أحدهما : ما تقدم من تقدير تكرير الجر ، وإن لم يجزه البصريون فقد أجازه غيرهم.

والثاني : فقد ورد في الشعر وأنشد سيبويه : [البسيط] ١٧٢٧ - فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا
فاذهب فما بك والأيام من عجب

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٣٩

وقال الآخر [الطويل] ١٧٢٨ - تعلق في مثل السواري سيوفنا
وما بينها والكعب غوط نفانف

وقال آخر [الوافر] ١٧٢٩ - أكر على الكتيبة لا أبالي
أفيها كان حتفي أم سواها

١٤٦

وحمزة بالرتبة السنية المانعة له من نقل قراءة ضعيفة.

قال بن الخطيب : " والعجب من هؤلاء [النحاة] أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين ، ولا يستحسنوها بقراءة حمزة ومجاهد ، مع أنهما كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن ".

وقرأ عبد الله أيضا " والأرحام " رفعا على الابتداء ، والخبر محذوف فقدره ابن عطية : أهل أن توصل ، وقدره الزمخشري : " والأرحام مما يتقي " أو " مما يتساءل به ".

وهذا أحسن للدلالة اللفظية ، والمعنوية ، بخلاف الأول فإنه للدلالة المعنوية فقط ، وقدره أبو البقاء : والأرحام محترمة ، أي : واجب حرمتها.

فإن قيل : ما فائدة هذا التكرير في قوله أولا : " اتقوا الله الذي خلقكم ".

ثم قال بعده : " واتقوا الله ".

فالجواب فائدته من وجوه : الأول : فائدته تأكيد الأمر والحث عليه.

والثاني : أن الأمر الأول عام في التقوى بناء على الترتيب.

والأمر الثاني خاص فيما يلتمس البعض من البعض ، ويقع التساؤل به.

الثالث : قوله أولا : {اتقوا ربكم} ولفظ " الرب " يدل على التربية والإحسان ، وقوله ثانيا {واتقوا الله} ولفظ " الإله " يدل على الغلبة والقهر ، فالأمر الأول بالتقوى بناء على الترغيب ، والأمر الثاني يدل على الترهيب ، فكأنه قيل : اتق الله إنه رباك ، وأحسن إليك ، واتق مخالفته ؛ لأنه شديد العقاب عظيم السطوة.

وقوله تعالى : {إن الله كان عليكم رقيبا}.

جار مجرى التعليل والرقيب : فعيل للمبالغة من رقب يرقب رقبا ، ورقوبا ، ورقبانا

١٤٧

إذا أحد النظر [لأمر يريد تحقيقه] ، والرقيب هو المراقب الذي يحفظ جميع أفعالك ، واستعماله في صفات الله تعالى بمعنى الحفيظ قال : [مجزوء الكامل] ١٧٣٠ - كمقاعد الرقباء للض

ضرباء أيديهم نواهد

وقال : [الكامل] ١٧٣١ - ومع الحبيب بها لقد نلت المنى

لي عقله الحساد والرقباء

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٣٩

". (١)

"والمرقب : المكان العالي المشرف يقف عليه الرقيب ، والرقيب أيضا [ضرب] من الحيات ، والرقيب السهم الثالث من سهام الميسر ، وقد تقدمت من البقرة ، والارتقاب : الانتظار.

فصل دلت الآية على تعظيم حق الرحم وتأكيد النهي عن قطعه.

قال تعالى : {فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا اا أرحامكم} [محمد : ٢٢].

وقال تعالى : {لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة} [التوبة : ١٠] قيل : إن الإل القرابة ، قال : {وقضى ربك ألا تعبدوا اا إلا إياه وبالوالدين إحسانا} [الإسراء : ٢٣] وقال عليه السلام : قال الله تعالى : " أنا الرحمن وهي الرحم اشتققت لها اسما من اسمي ، من وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته ".

فصل قال القرطبي : الرحم : اسم لكافة الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره.

وأبو حنيفة يعتبر الرحم المحرم في منع الرجوع في الهبة ، ويجوز الرجوع في حق بني الأعمام ، مع أن

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/١٣٥٧

القطيعة موجودة ، والقرابة حاصلة ولذلك تعلق بها الإرث ، والولاية ، وغيرهما من الأحكام ، فاعتبار المحرم زيادة على نص القرآن من غير دليل ، وهم يرون ذلك [نسخا] ، سيما وفيه إشارة بالتعليل إلى القطيعة قد جوزها في حق بني الأعمام ، وبني الأخوال والخالات.
فصل أجمعت الأمة على أن صلة الرحم واجبة ، وأن قطيعتها محرمة ، وقد صح أن
١٤٨
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسماء وقد سألته : أأصل أمي ؟ " صلي أمك " فأمرها بصلتها وهي كافرة فلتأكيدها دخل الفضل في صلة الكافرة حتى انتهى لحل بأبي حنيفة وأصحابه ومن وافقهم إلى توارث ذوي الأرحام ، إذا لم يكن عصبة ، ولا ذو فرض ويعتقون على من اشتراهم من ذوي رحمهم لحرمة الرحم ، ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام " من ملك ذا رحم محرم فهو حر " وهذا قول أكثر أهل العلم ، وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ولا يعرف لهما من الصحابة مخالف.
فصل واختلفوا في ذوي المحارم من الرضاعة ، فقال أكثر أهل العلم : لا يدخلون في مقتضى الحديث.
وقال شريك القاضي : يعتقون.
وذهب أهل الظاهر وبعض المتكلمين إلى أن الأب [لا] يعتق على الابن إذا ملكه.
١٤٩
جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٣٩
لما وصى في الآية السابقة بالأرحام وصى في هذه الآية بالأيتام ؛ لأنهم قد صاروا بحيث لا كافل لهم ولا مشفق فيهم - أسوأ حلا ممن له رحم ، فإنه عطفه عليه ، وهذا خطاب الأولياء والأوصياء.
قالوا : إن اليتيم من لا أب له ولا جد ، والإيتاء : الإعطاء قال أبو زيد : أتوت الرجل آتوه إتاوة ، وهي الرشوة.
وقال الزمخشري : الأيتام الذين مات آباؤهم ، واليتم : الانفراد ، ومنه الرملة اليتيمة ، والدرة اليتيمة.
وقيل : [اليتيم] في الأناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الأمهات.
قال : وحق هذا الاسم أن يقع على الضعفاء والكبار لمن يبقى معنى الانفراد عن الآباء ، إلا أن في العرف اختص هذا الاسم بمن لم يبلغ ، فإذا صار مستعين بنفسه في تحصيل مصالحه عن كافله ، زال عنه هذا الاسم ؛ وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يتيم أبي طالب ، إما على القياس ، وإما حكاية للحال التي كان عليها حين صغره ناشئا في حجر عمه توضيعا له.

وأما على قوله عليه السلام : " لا يتم بعد بلوغ " فهو تعليم للشريعة لا تعليم للغة.
وروى أبو بكر الرازي في أحكام القرآن أن جده كتب إلى ابن عباس يسأله عن اليتيم متى ينقطع يتمه ؟ فكتب إليه : إذا أونس منه الرشد انقطع يتمه.

١٥٠

وفي بعض الروايات : إن الرجل ليقبض على لحيته ولم ينقطع عنه يتمه بعد [فأخبر ابن عباس] أن اسم اليتيم يلزمه بعد البلوغ ، إذا لم يؤنس منه الرشد ، ثم قال أبو بكر : " واسم اليتم قد يقع على المرأة المفردة عن زوجها ".
قال عليه السلام : " تستأمر اليتيمة في نفسها " وهي لا تستمر إلا وهي بالغة.
قال الشاعر : [الرجز] ١٧٣٢ - إن القبور تنكح الأيامى
النسوة ولأرمل اليتامى
." (١)

"أي بإرسال ، بمعنى رسالة.
و " للناس " يتعلق بـ " أرسلناك " ، واللام للعلة.
وأجاز أبو البقاء أن يكون حالا من " رسولا "كأنه جعله في الأصل صفة للنكرة فقدم عليها ، وفيه نظر.
فصل وهذا يدل على أن المراد من هذه الآيات إسناد جميع الأمور إلى الله - تعالى - ؛

٥١٥

لأن المعنى : ليس لك إلا الرسالة والتبليغ ، وقد فعلت وما قصرت ، " وكفى بالله شهيدا " على جدك وعدم تقصيرك في أداء الرسالة وتبليغ الوحي ، فأما حصول الهداية فليس إليك ، بل إلى الله ؛ ونظيره قوله - تعالى - : {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران : ١٢٨] ، وقوله : {إنك لا تهدي من أحببت} [القصص : ٥٦].
وقيل المعنى : وكفى بالله شهيدا على إرسالك وصدقك ، وقيل : وكفى بالله شهيدا على أن الحسنة والسيئة كلها من الله.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٥١٠

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٣٥٨

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : " من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أحبني فقد أحب الله " فقال بعض المنافقين : ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه ربا ؛ كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم ربا ؛ فأنزل الله – عز وجل – : " من يطع الرسول " فيما أمره [الله] " فقد أطاع الله " ، " ومن تولى " : عن طاعته " فما أرسلناك " يا محمد " عليهم حفيظا " أي : حافظا ورقيبا ، بل كل أمورهم إلى الله – تعالى – ، ولا تغتم بسبب توليهم ولا تحزن ، والمراد : تسلية الرسول – عليه الصلاة والسلام – .

قيل : نسخ الله – عز وجل – هذه الآية بآية السيف ، وأمره بقتال من خالف الله ورسوله.

قوله : " حفيظا " : حال من كاف " أرسلناك " و " عليهم " متعلق بـ " حفيظا " ، وأجاز فيه أبو البقاء ما تقدم في " للناس ".

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٥١٥

في رفع " طاعة " : وجهان : أحدهما : أنه خبر مبتدأ مضمر ، تقديره : " أمر طاعة " ولا يجوز إظهار هذا المبتدأ ؛ لأن الخبر مصدر بدل من اللفظ بفعله.

والثاني : أنه مبتدأ والخبر محذوف ، أي : منا طاعة ، أو : عندنا طاعة ، قال مكي : " ويجوز في الككم النصب على المصدر ".

قوله : " فإذا برزوا " [وأخرجوا] ، من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول.

٥١٦

أدغم أبو عمرو وحمزة : تاء " بيت " في طاء " طائفة " لتقاربهما ، ولم يلحق الفعل علامة تأنيث ؛ لكونه مجازيا ، و " منهم " : صفة لـ " طائفة " ، والضمير في " تقول " يحتمل أن يكون ضمير خطاب للرسول – عليه السلام – ، أي " غير الذي تقوله وترسم به يا محمد ، ويؤيده قراءة عبد الله : " بيت مبيت منهم " ، وأن يكون غيبة للطائفة ، أي : تقول هي.

وقرأ يحيى بن يعمر : " يقول " بياء الغيبة ، فيحتمل أن يعود الضمير على الرسول بالمعنى المتقدم ، وأن يعود على الطائفة ، ولم يرنث الضمير ؛ لأن الطائفة في معنى الفريق والقوم.

قال الزمخشري : " بيت طائفة " أي : زورت وسوت " غير الذي تقول " : خلاف ما قلت وما أمرت به ، أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة ؛ لأنهم أضمروا الرد لا القبول.

قال الزجاج : كل أمر تفكر فيه وتؤول في مصالحه ومفاسده كثيرا ، قيل : هذا أمر مبيت ؛ قال – تعالى – : {إذ يبيتون ما لا يرضى من القول} [النساء : ١٠٨] ، وقال قتادة والكلبي : بيت ، أي : غير وبدل

الذي عهد إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون التبييت بمعنى : التبديل.
وقال أبو عبيدة : والتبييت معناه : قالوا وقدروا ليلا ما أعطوك نهارا ، وكل ما قدر بليل فهو مبيت.
وقال أبو الحسن الأخفش : تقول العرب للشيء إذا قدر : بيت ، يشبهونه بتقدير بيوت الشعر ، وفي اشتقاقه وجهان : أحدهما : أم أصلح الأوقات للفكر أن يجلس الإنسان في بيته بالليل ، فهناك تكون الخواطر أجلى والشواغل أقل ، فلما كان الغالب أن الإنسان وقت الليل يكون في البيت ،
٥١٧
". (١)
"الغراب}.
فإن قيل : لفظ الندم وضع للزوم ، ومنه سمي النديم نديما لأنه يلازم المجلس.
فالجواب أنه - عليه الصلاة والسلام - قال : {الندم توبة} وأجابوا عنه بوجوه : أحدها : أنه لما تعلم الدفن من الغراب صار من [النادمين على كونه حمله على ظهره سنة.
وثانيها : أنه صار من النادمين] ؛ لأنه لم ينتفع بقتله ، وسخط عليه بسببه أبواه وإخوته ، وكان ندمه لهذه الأسباب لا لكونه معصية.
وثالثها : أن ندمه كان لأجل تركه بالعراء استخفافا به بعد قتله ، لأن الغراب لما قتل الغراب ودفنه ، ندم على قساوة قلبه ، وقال : هذا أخي وشقيقي ومن لحمه مختلط بدمي ، فإذا ظهرت الشفقة من الغراب ولم تظهر مني على أخي ، كنت دون الغراب في الرحمة والشفقة والأخلاق الحميدة ، فكان ندمه لهذه الأسباب ، لا للخوف من الله - تعالى - ، فلذلك لم ينفعه الندم.
قال المطلب بن عبد الله بن حنطب : لما قتل ابن آدم أخاه ، وجفت الأرض سبعة أيام بما عليها ، ثم شربت الأرض دمه كما تشرب الماء ، فناداه [آدم] : أين أخوك هابيل ؟ قال : ما أدري ما كنت عليه رقيبا.
فقال آدم : إن دم أخيك ليناديني من الأرض.
فلم قتلت أخاك ؟ قال : فأين دمه إن كنت قتلته ؟ فحرم الله - عز وجل - على الأرض أن تشرب بعده [دما] أبدا ، وقيل لقابيل : اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه ، فأخذ بيد أخته " إقليما " وهرب بها إلى اليمن ، فأتاه إبليس فقال له : إنما أكلت النار قربان أخيك هابيل ؛ لأنه كان يعبد النار

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٥٤٢

فانصب أنت أيضا نارا ، وهو أول من عبد النار قال مجاهد : فعلقت إحدى رجلي قابيل إلى فخذها وساقها ، وعلقت من يومئذ إلى يوم القيامة ، ووجهه إلى الشمس حيث ما دارت عليه ، في الصيف حظيرة من نار ، وفي الشتاء حظيرة من ثلج ، واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو ، وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش ، حتى غرقهم الله بالطوفان أيام نوح - عليه السلام - وبقي نسل شيث.

٢٩٧

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٩٣

قوله : [{من أجل ذالك}] فيه وجهان : أظهرهما : أنه متعلق بـ "كتبنا " وذلك إشارة إلى القتل ، و " الأجل " في الأصل هو : الجناية ، يقال : " أجل الأمر يأجل [إجلا] وأجلا وإجلاء ، وأجلاء " بفتح الهمزة وكسرها إذا جناه وحده ، مثل : أخذ يأخذ أخذا.

ومنه قول زهير : [الطويل] ١٩٥٤ - وأهل خباء صالح ذات بينهم

قد احتربوا في عاجل أنا آجله

أي : جانيه.

ومعنى قول الناس " فعلته من أجلك ولأجلك " أي : بسببك ، يعني : من أن جنيت فعله وأوجبته ، وكذلك قولهم : " فعلته من جرائك " ، أصله من أن جررته ، ثم صار يستعمل بمعنى السبب.

ومنه الحديث " من جراي " أي : من أجلي.

و " من " لابتداء الغاية ، أي : نشأ الكتب ، وابتدى من جناية القتل.

ويجوز حذف " من " واللام وانتصاب " أجل " على المفعول له إذا استكمل الشروط له.

قال : [الرمل] ١٩٥٥ - أجل أن الله قد فضلكم

....

والثاني : أجاز بعض الناس أن يكون متعلقا بقوله : " من النادمين " أي : ندم من أجل ذلك ، أي : قتله أخاه قال أبو البقاء : ولا تتعلق بـ " النادمين " ؛ لأنه لا يحسن الابتداء بـ

٢٩٨

". (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ، ص/١٧٤٩

"وجوز أبو حيان : أن تكون للعهد ؛ إذ المراد نوع معلوم من الكتاب ، لا كل ما يقع عليه هذا الاسم ، والفرق بين الوجهين أن الأول يحتاج إلى حذف [صفة] أي : من الكتاب الإلهي ، وفي الثاني لا يحتاج إلى ذلك ؛ لأن العهد في الاسم يتضمنه بجميع صفاته.

قوله تعالى : " ومهيمنا " الجمهور على كسر الميم الثانية ، اسم فاعل ، وهو حال من " الكتاب " الأول لعطفه على الحال منه وهو " مصدقا " ، ويجوز في " مصدقا " و " مهيمنا " أن يكونا حالين من كاف " إليك " ، وسيأتي تحقيق ذلك عند قراءة مجاهد رحمه الله.

" وعليه " متعلق بـ " مهيمن ".

و " المهيمن " : **الرقيب** قال حسان : [الكامل] ١٩٧١ - إن الكتاب مهيمن لنبينا

والحق يعرفه ذوو الألباب

والحافظ أيضا قال : [الطويل] ١٩٧٢ - مليك على عرش السماء مهيمن

لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - " شاهدا " وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والكسائي ، وقال عكرمة : دالا ، وقال سعيد بن جبير ، وأبو عبيدة : مؤتمنا عليه.

وقاله الكسائي والحسن.

واختلفوا : هل هو أصل بنفسه ، أي : أنه ليس مبدلا من شيء ، يقال : " هيمن يهيمن فهو مهيمن " كـ " بيطر يبيطر فهو مبيطر ".

وقال أبو عبيدة : لم تجئ في كلام العرب على هذا البناء إلا أربعة ألفاظ : " مبيطر ، ومسيطر ، ومهيمن ، ومحيمر ".

٣٦٥

وزاد أبو القاسم الزجاجي في شرحه لخطبة " أدب الكاتب " لفظا خامسا ، وهو مبيقر ، اسم فاعل من : بيقر يبيقر أي : خرج من أفق إلى أفق ، أو لعب البقيرى وهي لعبة معروفة للصبيان.

وقيل : إن هاءه مبدلة من همزة ، وأنه اسم فاعل من آمن غيره من الخوف ، والأصل " مأأمن " بهمزتين أبدلت الثانية ياء كراهية اجتماع همزتين ، ثم أبدلت الأولى هاء كـ " هراق وهراح ، وهبرت الثوب " في : " أراق وأراح وأبرت الثوب " و " أيهات وهيهات " ونحوها ، وهذا ضعيف فيه تكلف لا حاجة إليه ، مع أن له أبنية يمكن إلحاقه بها كـ " مبيطر " وإخوانه ، وأيضا فإن همزة " مأأمن " اسم فاعل من " آمن " قاعدتها

الحذف فلا يدعى فيها أنها أثبتت ، ثم أبدلت هاء ، هذا ما لا نظير له.
وقد سقط ابن قتيبة سقطة فاحشة حيث زعم أن " مهيمنا " مصغر ، وأن أصله " مؤيمن " تصغير " مؤمن " اسم فاعل ، ثم قلبت همزته هاء ك " هراق " ، ويعزى ذلك لأبي العباس المبرد أيضا ، إلا أن الزجاج قال : " وهذا حسن على طريق العربية [وهو موافق لما جاء في التفسير من أن معنى " مهيمن " : مؤمن ".
وهذا الذي قاله الزجاج واستحسنه] أنكره الناس عليه ، وعلى المبرد ، وعلى من تبعهما.
ولما بلغ أبا العباس ثعلبا هذا القول أنكره أشد إنكار ، وأنحى على ابن قتيبة ، وكتب إليه : أن اتق الله فإن هذا كفر أو ما أشبهه ، لأن أسماء الله – تعالى – لا تصغر ، وكذلك كل اسم معظم شرعا.
وقال ابن عطية : " إن النقاش حكى أن ذلك لما بلغ ثعلبا فقال : إن ما قال ابن قتيبة رديء باطل ، والوثوب على القرآن شديد ، وهو ما سمع الحديث من قوي ولا ضعيف ، وإنما جمع الكتب من هوس غلبه ".
وقرأ ابن محيصن ومجاهد : " ومهيمنا " بفتح الميم الثانية على أنه اسم مفعول.
وقال أبو البقاء : وأصل " مهيمن " : مؤيمن ؛ لأنه مشتق من " الأمانة " ؛ لأن المهيمن الشاهد ، وليس في الكلام " هيمن " حتى تكون " الهاء " أصلا ، وهذا الذي قاله ليس بشيء لما تقدم من حكاية أهل اللغة " هيمن " ، وغاية ما في الباب أنهم لم يستعملوه إلا مزيدا فيه الياء ك " بيطر " وبابه ، بمعنى أنه حوفظ عليه من التبديل والتغيير ، والفاعل هو الله تعالى : {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} [الحجر : ٩] أو الحافظ له في كل
٣٦٦
." (١)

"يصح ، لأنها جاءت بعد " إلا " ، وكل ما كان بعد " إلا " المستثنى بها فلا بد أن يكون له موضع من الإعراب ، و " أن " التفسيرية لا موضع لها من الإعراب ".
انتهى.
قال شهاب الدين : أما قوله : " إن ربي وربكم من كلام عيسى " ففي غاية ما يكون من البعد عن الأفهام

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٧٨٨

، وكيف يفهم ذلك الزمخشري والسياق والمعنى يقودان إلى أن " ربي " تابع للجلالة ؟ لا يتبادر للذهن – بل لا يقبل – إلا ذلك ، وهذا أشد من قولهم " يؤدي إلى تهيئتة العامل للعمل وقطعه عنه " فآل قول الشيخ إلى أن " اعبدوا الله " من كلام الله تعالى و " ربي وربكم " من كلام عيسى ، وكلاهما مفسر لـ " أمرت " المسند للباري تعالى.

وأما قوله " يصح ذلك على حذف مضاف " ففيه بعض جودة ، وأما قوله : " إن حلول البدل محل المبدل منه غير لازم " واستشهاده بما ذكر فغير مسلم ، لأن هذا معارض بنصهم ، على أنه لا يجوز " جاء الذي مررت به أبي عبد الله " بجر " عبد الله " بدلا من الهاء ، وعللوه بأنه يلزم بقاء الموصول بلا عائد ، مع أن لنا أيضا في الربط بالظاهر في الصلة خلافا قدمت التنبيه عليه ، ويكفينا كثرة قولهم في مسائل : " لا يجوز هذا لأن البدل يحل محل المبدل منه " فيجعلون ذلك علة مانعة ، يعرف ذلك من اطلع على كلامهم ، قال شهاب الدين رحمه الله : فلولا خوف الإطالة لأوردت منه مسائل شتى.

وأما قوله : " وكل ما كان بعد " إلا " المستثنى به إلى آخره " فكلام صحيح لأنها إيجاب بعد نفي فيستدعي تسلط ما قبلها على ما بعدها.

ويجوز في " أن " الكسر على أصل التقاء الساكنين والضم على الإتباع ، وقد تقدم تحقيقه ونسبته إلى من قرأ به في قوله : " فمن اضطر " في البقرة [الآية ١٧٣].

و " ربي " نعت أو بدل أو بيان مقطوع عن الإتباع رفعا أو نصبا ، فهذه خمسة [أوجه] تقدم إيضاحها.

قوله : " شهيدا " خبر "كان " ، و " عليهم " متعلق به ، و " ما " مصدرية ظرفية أي : تتقدر بمصدر مضاف إليه زمان ، و " دام " صلتها ، ويجوز فيها التمام والنقصان ، فإن كانت تامة كان معناها الإقامة ، ويكون " فيهم " متعلقا بها ، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال ، والمعنى : وكنت عليهم شهيدا مدة إقامتي فيهم ، فلم يحتج هنا إلى منصوب ، وتكون حينئذ متصرفة ، وإن كانت الناقصة لزمت لفظ المضي ولم تكتف بمرفوع ، فيكون " فيهم " في محل نصب خبرا لها ، والتقدير : مدة دوامي مستقرا فيهم ، وقد تقدم أنه يقال : " دمت تدام "كخفت تخاف.

قوله : {كنت أنت الرقيب عليهم} يجوز في " أنت " أن تكون فصلا وأن تكون تأكيدا.

وقرئ " الرقيب " بالرفع على أنه خبر لـ " أنت " والجملة خبر لـ "كان " ، كقول القائل : [الطويل]

٦٢٣

٢١٠٠ – ....

وكنت عليها بالملا أنت أقدر

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٦١٧

وقد تقدم اشتقاق " الرقيب ".

و " عليهم " معلق به.

و " على كل شيء " متعلق بـ " شهيد " قدم للفاصلة.

فصل معنى الكلام {وكنت عليهم شهيدا} أي : كنت أشهد على ما يفعلون ، ما دمت مقيما فيهم ، " فلما توفيتني " والمراد منه : الوفاة بالرفع إلى السماء من قوله : {إني متوفيك ورافعك إلي} [آل عمران : ٥٥].

و {كنت أنت الرقيب عليهم} ، قال الزجاج : الحافظ عليهم بعد مفارقتي عنهم.

فالشهيد : المشاهد ، ويجوز حمله على الرؤية ، ويجوز حمله على العلم ، ويجوز حمله على الكلام بمعنى الشهادة ، فالشهيد من أسماء الصفات الحقيقية على جميع التقديرات.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٦١٧

". (١)

"ورش ، والنحاة يستضعفون إبدال هذه الهمزة ألفا ، بل المشهور عندهم تسهيلها بين بين ، وهي الرواية المشهورة عن نافع ، لكنه قد نقل الإبدال المحض قطرب وغيره من اللغويين قال بعضهم " هذا غلط غلط عليه " ، أي : على نافع ، وسبب ذلك أنه يؤدي إلى الجمع بين ساكنين ، فإن " الياء " بعدها ساكنة.

ونقل أبو عبيد القاسم بن سلام عن أبي جعفر ونافع ، وغيرهما من أهل " المدينة " أنهم يسقطون الهمزة ، ويدعون أن الألف خلف منها.

قال شهاب الدين : وهذه العبارة تشعر بأن هذه الألف ليست بدلا من الهمزة ، بل جيء بها عوضا عن الهمزة الساقطة.

وقال مكي بن أبي طالب : " وقد روي عن ورش إبدال الهمزة ألفا ؛ لأن الرواية عنه أنه يمد الثانية ، والمد لا يتمكن إلا مع البدل ، وحسن جواز البدل في الهمزة وبعدها ساكن أن الأول حرف مد ولين ، فإن هذا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/١٩٧٣

الذي يحدث مع السكون يقوم مقام حركة يتوصل بها إلى النطق بالساكن ".

وقد تقدم شيء من هذا عند قوله : {أأنذرتهم} [البقرة : ٦].

ومنها : أن تنحذف الهمزة التي هي عين الكلمة ، وبها قرأ الكسائي ، وهي فاشية نظما ونثرا فمن النظم

قوله : [الرجز] ٢١٥٨ - أريت ما جاءت به أملودا

مرجلا ويلبس البرودا

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٣٣

أقائلن أحضروا الشهودا

وقال الآخر : [الطويل] ٢١٥٩ - أريتك إذ هنا عليك ألم تخف

ِ رقيبا وحولي من عدوك حضر

وأنشد الكسائي لأبي الأسود : [المتقارب] ٢١٦٠ - أريت امرأ كنت لم أبله

أتاني فقال : اتخذني خليلا

١٣٤

وزعم الفراء أن هذه اللغة لغة أكثر العرب.

قال : " في أرأيت لغتان ومعنيان : أحدهما : أن يسأل الرجل : أرأيت زيدا ، أي : أعلمت ، فهذه مهموزة.

وثانيهما : أن تقول : أرأيت بمعنى " أخبرني " ، فهاهنا تترك الهمزة إن شئت ، وهو أكثر كلام العرب

يؤمئ إلى ترك الهمزة للفرق بين المعنيين ".

انتهى.

وفي كيفية حذف هذه الهمزة ثلاثة أوجه : أحدها : - وهو الظاهر - أنه استثقل الجمع بين همزتين في فعل اتصل به ضمير ، فخففه بإسقاط إحدى الهمزتين ، وكانت الثانية أولى ، لأنها حصل بها الثقل ؛ ولأن حذفها ثابت في مضارع هذا الفعل ، نحو : أرى ، ويرى ، ونرى ، وترى ، ولأن حذف الأولى يخل بالتفاهم ، إذ هي للاستفهام.

والثاني : أنه أبدل الهمزة ألفا ، كما فعل نافع في رواية ورش ، فالتقى ساكنان ، فحذف أولهما وهو الألف.

والثالث : أنه أبدلها ياء ، ثم سكنها ، ثم حذفها لالتقاء الساكنين ، قاله أبو البقاء ، وفيه بعد ، ثم قال : " وقرب ذلك فيها حذفها في مستقبل هذا الفعل " يعني في يرى وبابه ، ورجح بعضهم مذهب الكسائي بأن الهمزة قد اجترىء عليها بالحذف ، وأنشد : [الرجز]

٢١٦١ - إن لم أقاتل فالبسوني يرقعا

وأنشد لأبي الأسود : [الكامل] ٢١٦٢ - يا با المغيرة رب أمر معضل

فرجته بالمكر مني والدها

[وقولهم : " ويلمه "].

وقوله : [البسيط] ٢١٦٣ - ويلمها خلة قد سيط من دمها

فجع وولع وإخلاف وتبديل

وأنشد أيضا : [الوافر] ٢١٦٤ - ومن را مثل معدان بن سعد

إذا ما النسع طال على المطيه

أي : ومن رأى.

١٣٥

ومنها : أنه لا يدخلها تعليق ، ولا إلغاء ؛ لأنها [بمعنى] " أخبرني " لا يعلق عند الجمهور.

قال سيبويه : " وتقول : أرأيتك زيدا أبو من هو ؟ لا يحسن فيه إلا النصب في " زيد " ، الا ترى لو قلت : " أرأيت أبو من أنت ؟ " لم يحسن ؛ لأن فيه معنى أخبرني عن زيد ، وصار الاستفهام في موضع المفعول الثاني " وقد خالف سيبويه غيره من النحويين ، وقالوا : كثيرا ما تعلق " أرأيت " وفي القرآن من ذلك كثير ، واتدلوا بهذه الآية التي نحن فيها ، وبقوله : {أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن} [العلق : ١٣ ، ١٤] ، وبقوله :

٢١٦٥ - أريت ما جاءت به أملودا

." (١)

"والثالث : أنه متعلق بمحذوف على أنه حال من " حفظة " ، إذ لو تأخر لجاز أن يكون صفة لها.

قال أبو البقاء : " عليكم " فيه وجهان : أحدهما : هو متعلق ب " يرسل ".

والثاني : أن يكون في نية التأخير ، وفيه وجهان : أحدهما أن يتعلق بنفس " حفظة " ن والمفعول محذوف ، أي : يرسل عليكم من يحفظ أعمالكم.

والثاني : أن يكون صفة ل " حفظة " قدمت فصارت حالا.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٠٤٣

قوله : والمفعول محذوف يعني : مفعول " حفظة " ، إلا أنه يوهم أن تقدير المفعول خاص بالوجه الذي ذكره ، وليس كذلك ، بل لا بد من تقديره على كل وجه ، و " حفظة " إنما عمل في ذلك المقدر لكونه صفة لمحذوف تقديره : ويرسل عليكم ملائكة حفظة ؛ لأنه لا يعمل إلا بشروط هذا منها ، أعني كونه معتمدا على موصوف ، و " حفظة " جمع " حافظ " ، وهو منقاس في كل وصف على فاعِلٍ صحيح " اللام " لعقل مذكر ، ك " بار " و " بررة " ، و " فاجر " و " فجرة " ، و "كامل " و "كمله " ، ونيقل في غير العاقل ، كقوله : " غراب ناعق " و " غربان نعقة ".

فصل في معنى الحفظة هؤلاء الحفظة هم المذكورون في قوله تعالى : {له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله} [الرعد : ١١].

وقوله : {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق : ١٨] وقوله : {وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين} [الانفطار : ١٠ ، ١١].

والمقصود بهؤلاء الحفظة ضبط الأعمال ثم اختلفوا فقيل : إنهم يكتبون الطاعات والمعاصي والمباحات بأسرها لقوله تعالى : {ما لهاذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها} [الكهف : ٤٩].

وعن ابن عباس أن مع كل إنٍسان ملكين ؛ أحدهما : عن يمينه ، والآخر عن يساره ، فإذا تكلم الإنسان بحسنة كتبها [من] على اليمين ، وإذا تكلم بسيئة قال من على اليمين للذي على اليسار : انتظره لعله يتوب منها ، فإن لم يتب كتبت عليه.

والأول أقوى ؛ لأن قوله : " يرسل عليكم حفظة " يفيد حفظة الكل من غير تخصيص.

والثاني : أن ظاهر هذه الآية يدل على اضلاع هؤلاء الحفظة على الاقوال والأفعال

١٩٥

أما على صفات القلوب ، وهو العلم والجهل ، فليس في هذه الآيات ما يدل على اطلاعهم عليها.

أما في الأقوال ، فلقوله تعالى : {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق : ١٨].

وأما في الأفعال ، فلقوله تعالى : {وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون} [الانفطار : ١٠ - ١٢].

وأما الإيمان والكفر ، والإخلاص والإشراك فلم يدل دليل على اطلاع الملائكة عليها.

فصل في فائدة توكيل الملائكة علينا وفي فائدة جعل الملائكة موكلين على بين آدم وجوه : أحدها : أن المكلف إذا علم أن الملائكة موكلين به يحصون عليه عمله ، ويكتبونه في صحيفة تعرض على رؤوس

الاشهاد في مواقف القيامة كان ذلك أزجر له عن القبائح.

والثاني : يحتمل ا ، تكون الكتابة لفائدة وزن تلك الصحائف يوم القيامة ؛ لأن وزن الأعمال غير ممكن ، أما وزن الصحائف ممكن.

وثالثها : يفعل الله ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ويجب علينا الإيمان بكل ما ورد به الشرع ، سواء عقلناه أم لم نعقله.

قوله : {حتى إذا جآء أحدكم الموت} تقدم مثله.

وقوله : " توفته " قرأ الجمهور " توفته " ، ماضيا بتاء التأنيث لتأنيث الجمع.

وقرأ حمزة : " توفاه " من غير تاء تأنيث ، وهي تحتمل وجهين.

أظهرهما : أنه ماض ، وإنما حذف تاء التأنيث لوجهين : أحدهما : كونه تأنيثا مجازيا.

والثاني : الفصل بين الفعل وفاعله بالمفعول.

والثاني : أنه مضارع ، وأصله : تتوفاه بتاءين ، فحذفت إحداهما على خلاف في أيتهما ك " تنزل " وبابه ، وحمزة على بابه في إمالة مثل هذه الألف.

وقرأ الأعمش : " يتوفاه " مضارعا بياء اليغيبة اعتبارا بكونه مؤنثا مجازيا ، أو للفصل ، فهو كقراءة حمزة في الوجه الأول من حيث تذكير الفعل وكقراءته فغي الوجه الثاني من حيث إنه أتى به مضارعا.

١٩٦

." (١)

"لما بين البينات الباهرة ، والدلائل القاهرة المطالب الإلهية عاد إلى تقرير الدعوة والتبليغ والرسالة ، وإنما ذكر الفعل لشيئين :

٣٥٢

أحدهما : الفصل بالمفعول.

والثاني : كون التأنيث مجازيا.

والبصائر : جمع " بصيرة " وهي الدلالة التي توجب إبصار النفوس للشيء ومنه قيل للدم الدال على القتيل " مبصرة " والبصيرة مختصة بالقلب [كالبصر للعين ، هذا قول بعضهم.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٠٧٦

وقال الراغب : " ويقال لقوة القلب المدركة : " بصيرة وبصر "] قال تبارك وتعالى : {بل الإنسان على نفسه بصيرة} [القيامة : ١٤] وقال تعالى : {ما زاغ البصر وما طغى } [النجم : ١٧] وتقدم تحقيق هذا في أوائل سوة " البقرة ".

وأراد بالبصائر الآيات المتقدمة ، وهي في نفسها ليست بصائر إلا أنها لقوتها وجلائها توجب البصائر لمن عرفها ، ووقف على حقائقها ، فلما كانت سببا لحصول البصائر سميت بالبصائر.

قوله : " من ربكم " يجوز أن يتعلق بالفعل قبله ، وأن يتعق بمحذوف على أنه صفة لما قبله ، أي : بصائر كائنة من ربكم و " من " في الوجهين لابتداء الغاية مجازا.

قوله : " فمن أبصر " يجوز أن تكون شرطية ، وأن تكون موصولة فالفاء جواب الشرط على الأول ، ومزيدة في الخبر لشبه المصول باسم الشرط على الثاني ، ولا بد قبل لام الجر من محذوف يصح به الكلام ، والتقدير : فالإبصار لنفسه ، ومن عمي فالعمى عليها ، فإلإبصار والعمى مبتدآن ، والجار بعدهما هو الخبر بعدهما هو الخبر ، والفاء داخلة على هذه الجملة الواقعة جوابا أو خبرا ، وإنما حذف مبتدؤها للعلم به ، وقدر الزجاج قريبا من هذا فقال : " فلنفسه نفع ذلك ومن عمي فعليها ضرر ذلك ".

وقال الزمخشري : " فمن أبصر الحق وآمن فلنفسه أبصر وإياها نفع ، ومن عمي فعليها ، أي : فعلى نفسه عمي ، وإياها ضر ".

قال أبو حيان : وما قدرناه من المصدر أولى ، وهو فالإبصار والعمى لوجهين : أحدهما : أن المحذوف يكون مفردا لا جملة ، والجار يكون عمدة لا فضلة ، وفي تقديره هو المحذوف جملة ، والجار والمرجور فضلة.

والثاني : وهو أقوى ، وذلك أنه لو كان التقدير فعلا لم تدخل الفاء سواء كانت شرطية أم موصولة مشبهة بالشرط ؛ لأن الفعل الماضي إذا لم يكن دعاء ولا جامدا ، ووقع جواب الشرط أو خبر مبتدأ مشبه بالشرط لم تدخل الفاء في جواب الشرط ، ولا في خبر

٣٥٣

المبتدأ لو قلت : " من جاءني فأكرمته " لم يجز بخلاف تقديرنا ، فإنه لا بد فيه من الفاء ، ولا يجوز حذفها إلا في الشعر.

قال شهاب الدين : وهذا التقدير الذي قدره الزمخشري سبقه إليه الكلبيين فإنه قال : فمن أبصر صدق وآمن بمحمد عليه الصلاة والسلام فنلفسه عمل ومن عمي فلم يصدق فعلى نفسه جنى العذاب " وقوله :

إن الفاء لا تدخل فيما ذكر قد ينازع فيه ، وإذا كانوا فيما يصلح أن يكون جوابا صريحا ، ويظهر فيه أثر الجازم كالمضارع يجوز فيه دخول الفاء نحو : {ومن عاد فينتقم الله منه} [المائدة : ٩٥] فالماضي بدخولها أولى وأحرى.

فصل في بيان عود المنافع للبشر قال القاضي : إنه – تعالى – بين لنا أن المنافع تعودإليها لا لمنافع تعود إلى الله تبارك وتعالى – وأيضا إن المرء بعدوله عن النظر يضر بنفسه ، ولم يؤت إلا من قبله لا من قبل ربه ، وأيضا إنه متمكن من الأمرين ، فلذلك قال : " فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها " قال : وهذا يبطل قول المجبرة [في أنه – تعالى – يكلف بلا قدرة] وجوابه المعارضة بسؤال الداعي.

قوله : {ومآ أنا عليكم بحفيظ} أي : برقيب أحي عليكم أعمالكم ، إنما أنا رسوله أبلغكم رسالات ربي ، وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

فصل في معنى الآية قال المفسرون : هذا كان قبل الأمر بالقتال ، فلما أمر بالقتال صار حفيظا عليهم ، ومنهم من يقول : آية القتال ناسخة لهذه الآية الكريمة ، وهو بعيد ؛ لأن الأصل عدم النسخ.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٥٢

لما شرع في إثبات النبوات بدأ بحكاية شبهات المنكرين لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

الشبهة الأولى : قولهم : يا محمد إن هذا القرآن الذي جئتنا به كلام تستفيده من مدارسة العلماء ، وتنظمه من عند نفسك ، ثمر تقرؤه علينا ، وتزعم أنه وحي نزل عليك من عند الله تعالى.

و " الكاف " في محل نصب نعت لمصدر محذوف ، فقدره الزجاج : ونصرف الآيات مثل ما صرفناها فيما تلي عليكم ، وقدره غيره : نصرف الآيات في غير هذه السورة

٣٥٤

". (١)

"ذلك يبطل التكليف ، ويخرج الإنسان عن استحقاق الثواب.

والجواب من وجوه : أحدها : أنه – تبارك وتعالى – ما شاء منهم أن يحملهم على الإيمان على سبيل القهر وهو الذي أقدر الكافر على الكفر فقدرة الكفر إن لم تصلح للإيمان ، فخالق تلك القدرة لا شك أنه كان مريدا للكفر ، فإن كان صالحة للإيمان ، لم يترجح جانب الكفرعلى جانب الإيمان ، إلا عند

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٢١٦٣

حصول داع يدعو إلى الإيمان ، وإلا لزم رجحان أحد طرفي الممكن على الآخرر [لا] لمرجح.
وهو محال ، ومجموع القدرة مع الداعي إلى الكفر ، يوجب الكفرن فإذا كان خالق القدرة والداعي هو الله - تعالى - ، وثبت أن مجموعهما يوجب الكفر ، ثبت أن الله - تعالى - أراد الكفر من الكافر.
وثانيها : أن الله - تبارك وتعالى - كان عالما بعدم الإيمان من الكافر ، ووجود الإيمان مع العلم بعدم الإيمان متضادان ، ومع وجود أحد الضدين كان حصول الضد الثاني محالا ، مع العلم بكونه محالا غير مراد ، فامتنع أن يقال : إنه - تعالى - يريد الإيمان من الكافر.
وثالثها : هب أن إيمان الاختياري أفضل وأنفع من الإيمان الحاصل بالجبر والقهر ، إلا أنه - تعالى لما علم أن ذلك النفع لا يحصل ألبتة ، فقد كان يجب في رحمته وحكمته ، أن يخلق فيهم الإيمان على سبيل الإلجاء ؛ لأن هذا الإيمان وإن كان لا يوجب الثواب العظيم ، فأقل ما فيه أن يخلصة من العقاب العظيم ، وترك إيجاد هذا الإيمان فيه على سبيل الإلجاء ، يوجب وقوعه في أشد العذاب ، وذلك لا يليق بالرحمة والإحسان ، كما إن الوالد إذا كان له ولد عزيز ، وكان الأب في غاية الشفقة ، وكان الولد واقفا على طرف البحرن فيقول له الوالد : غص في قعر هذا البحر ؛ لتستخرج اللآلئ العظيمة الرفيعة الغالية ، وعلم الوالد قطعا أنه إذا غاص في البحر ، ويقول له : أترك طلب اللآلئ ، فإنك لا تجدها وتهلك ، والأولى لك أن تكتفي بالرزق القليل مع السلامة ، فأما أن يأمره في قعر البحر مع تيقن الهلاك ، فهذا يدل على عدم الرحمة ؛ وكذا ههنا.
قوله : " وما جعلناك " " جعل " بمعنى : صير فالكاف مفعول " حفيظ " محذوف ، أيك " حفيظا عليهم أعمالهم ".
قال أبو البقاء : " هذا يؤيد قول سيبويه في إعمال فعيل " يعني : أنه مثال مبالغة ، وللناس في إعماله وإعماله وإعمال فعل خلاف أثبته سيبويه ، ونفاه غيره.
٣٦١
[قال شهاب الدين] : يؤيده وليس شيء في اللفظ يشهد له ؟ قوله : " وما أنت " يجوز أن تكون " ما " الحجازيةح فيكون " أنت " : اسمها ، و " بوكيل " : خبرها في محل نصب ، ويجوز أن تكون التميمية ؛ فيكون " أنت " : مبتدأ و " بوكيل " : خبره في محل رفع ، والباء زايدة على كلا التقديرين ، و " عليهم " : متعلق بوكيل قدم لما فيما قبله ، وهذه الجملة هي في معنى الجملة قبلها ؛ لأن معنى ما أنت وكيل عليهم ، وهو بمعنى : ما جعلناك حفيظا عليهم ، أي : رقيبا.

واعلم أنه – تبارك وتعالى – لما بين أن لا قدرة لأحد على إزالة الكفر عنهم ، ختم الكلام بما يكمل معه تبصير الرسوال ؛ لأنه لما بين له قدر ما جعل إليه ، فذكر أنه ما جعله عليهم حفيظا ولا وكيلا ، وإنما فوض إليه البلاغ بالأمر ، والنهي ، البيان بذكر الدلائل ، فإن انقادوا للقبول ، فنفعه عائد إليهم ، وإلا فضرره عائد إليهم.

قال عطاء : وما جعلناك علهيم حفيظا : تمنعهم مني ، أي : لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب ، إنما بعثت مبلغا ، وما أنت عليهم بوكيل على سبيل المنع لهم.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٥٩

" (١).

"جزء : ١٠ رقم الصفحة : ١٦

قوله تعالى : {كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة} الآية.

المستفهم عند محذوف ، لدلالة المعنى عليه ، فقدره أبو البقاء "كيف تطمئنون ، أو كيف يكون لهم عهد " ؟ وقدره غيره : كيف لا تقاتلونهم ؟ .

والتقدير الثاني من تقديري أبي البقاء أحسن ؛ لأنه من جنس ما تقدم ، فالدلالة عليه أقوى.

وقد جاء الحذف في هذا التركيب كثيرا ، وتقدم منه قوله تعالى : {فكيف إذا جمعناهم} [آل عمران : ٢٥] ، {فكيف إذا جئنا} [النساء : ٤١] ؛ وقال الشاعر : [الطويل] ٢٧٥٢ – وخبرتماني أنما الموت في القرى

فكيف وهاتا هضبة وكثيب

أي : كيف مات ؟ وقال الحطيئة : [الطويل] ٢٧٥٣ – فكيف ولم أعلمهم خذلوكم

على معظم ولا أديمكم قدوا

أي : كيف تلومونني في مدحهم ؟ قال أبو حيان : " وقدر أبو البقاء الفعل بعد "كيف " بقوله : "كيف تطمئنون " ، وقدره غيره بـ "كيف لا تقاتلونهم " ؟ .

قال شهاب الدين : " ولم يقدره أبو البقاء بهذا وحده ، بل به ، وبالوجه المختار كما تقدم منه ".

قوله "كيف وإن يظهروا " "كيف " تكرار ، لاستبعاد ثبات المشركين على العهد ، وحذف الفعل ، لكونه

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢١٦٧

معلوما ، أي : كيف يكون لهم عهد وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم

٢٤

بعد ما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق ، لم ينظروا في حلف ولا عهد ولا يبقوا عليكم.

والجملة الشرطية من قوله : " إن يظهروا " في محل نصب على الحال ، أي : كيف يكون لهم عهد ، وهم على حالة تنافي ذلك ؟ وقد تقدم تحقيق هذا عند قوله : {وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه} [الأعراف : ١٦٩] ، و " لا يرقبوا " جواب الشرط ، وقرأ زيد بن علي : " وإن يظهروا " ببنائه للمفعول ، من أظهره عليه ، أي : جعله غالبا له ، يقال : ظهرت على فلان : إذا علوته ، وظهرت على السطح : إذا صرت فوقه.

قال الليث : " الظهور : الظفر بالشيء ، وأظهر الله المسلمين على المشركين ، أي : أعلاهم عليهم ".

قال تعالى : {فأصبحوا ظاهرين} [الصف : ١٤] وقوله : {ليظهره على الدين كله} [التوبة : ٣٣] أي : ليعليه.

قوله : " لا يرقبوا " قال الليث " رقب الإنسان يرقب رقبة ورقبانا ، هو أن ينتظره ".

والمعنى : لا ينتظروا ، قاله الضحاك ، ورقيب القوم : حارسهم ، وقوله : {ولم ترقب قولي} [طه : ٩٤] أي : لم تحفظه.

وقال قطرب : " لا يراعوا فيكم إلا ".

قوله : " إلا " مفعول به بـ " يرقبوا ".

وفي " الإل " أقوال ".

أحدها : أن المراد به العهد ، قاله أبو عبيدة ، وابن زيد ، والسدي وكذلك الذمة ، إلا أنه كرر ، لاختلاف اللفظين ؛ ومنه قول الشاعر : [البسيط] ٢٧٥٤ - لولا بنو مالك ، والإل مرقبة

ومالك فيهم الآلاء والشرف

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٢٤

أي : الحلف ؛ وقال آخر : [المتقارب] ٢٧٥٥ - وجدناهم كاذبا إلهم

وذو الإل والعهد لا يكذب

وقال آخر : [الرمل] ٢٧٥٦ - أفسد الناس خلوف خلفوا

قطعوا الإل وأعراق الرحم

وفي حديث أم زرع بنت أبي زرع : " وفي الإل ، كريم الخل ، برود الظل " أي ؛ وفي العهد.

الثاني : أنه القرابة ، قاله ابن عباس والضحاك ، وبه قال الفراء وأنشدوا لحسان : [الوافر] ٢٧٥٧ - لعمرك إن إلك من قريش
كإل السقب من رأل النعام
وأنشد أبو عبيدة على ذلك قوله : [الرمل] ٢٧٥٨ - ....
قطعوا الإل وأعراق الرحم
والظاهر أن المراد به العهد - كما تقدم - لئلا يلزم التكرار.
الثالث : أن المراد به الله - تعالى - أي : هو اسم من أسمائه ، واستدلوا على ذلك بحديث أبي بكر لما عرض عليه كلام مسيلمة - لعنه الله - " إن هذا الكلام لم يخرج من إل " ، أي : الله - عز وجل - قاله أبو مجلز ، ومجاهد وقال عبيد بن عمير : يقرأ جبرئل بالتشديد ، يعني عبد الله ولم يرتض هذا الزجاج ، قال : " لأن أسماءه - تعالى - معروفة في الكتاب والسنة - ولم يسمع أحد يقول : يا إل ، افعل لي كذا ".
الرابع : أن : " الإل " الجؤار ، وهو رفع الصوت عند التحالف ، وذلك أنهم كانوا إذا تماسحوا ، وتحالفوا ، جأروا بذلك جؤارا.
ومنه قول أبي جهل : [الطويل] ٢٧٥٩ - لإل علينا واجب لا نضيعه
متين قواه غير منتكث الحبل
". (١)

"وقيل : المراد من العرش : الملك ، يقال : فلان على عرشه أي : ملكه.
وقال أبو مسلم الأصفهاني.
" المراد بالعرش : أنه تعالى لما خلق السموات والأرض سطحها ورفع سمكها ، فإن كل بناء يسمى عرشا ، وبانيه يسمى عارشا ، قال تعالى {ومن الشجر ومما يعرشون} [النحل : ٦٨] أي : يبنون ، وقال : {وهي خاوية على عروشها} [البقرة : ٢٥٩] ، والمراد : أن القرية خلت منهم مع سلامة بنائها وقيام سقفها ، وقال : {وكان عرشه على المآء} [هود : ٧] أي : بناؤه على الماء ، وإنما ذكر الله تعالى ذلك ، لأنه

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٢٥٨٣

أعجب في القدرة ، لأن الباني يتباعد عن الماء إلى الأرض الصلبة ، لئلا ينهدم بناؤه ، والله تعالى بنى السموات والأرض على الماء ، ليعرف العقلاء كمال قدرته ، فالمراد بالاستواء على العرش : هو الاستعلاء عليه بالقهر ، لقوله {وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه} [الزخرف : ١٢ ، ١٣] ، فوجب حمل اللفظ على ذلك ، ولا يجوز حمله على العرش الذي في السماء ، لأن الاستدلال على وجود الصانع ، يجب أن يكون بشيء معلوم ومشاهد ، والعرش الذي في السماء ليس كذلك ، وأما أجرام السموات والأرض فهي مشاهدة محسوسة ، فكان الاستدلال بأحوالها على وجود الصانع صوابا حسنا ".

وبهذا الوجه تصير هذه الآية موافقة لقوله : {أأنتم أشد خلقا أم السمآء بناها} [النازعات : ٢٧] الآية.

قوله : {يدبر الأمر} فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه في محل رفع خبرا ثانيا لـ " إن ".

الثاني : أنه حال.

الثالث : أنه مستأنف لا محل له من الإعراب.

ومعنى " يدبر الأمر " : يقضيه وحده على حسب مقتضى الحكمة ، أي : يدبر أحوال الخلق ، وأحوال ملكوت السموات والأرض.

قوله {ما من شفيع إلا من بعد إذنه} أي : يدبر الأشياء ، لا بشفاعة شفيع ، ولا تدبير مدبر ، فمعناه : أن الشفعاء لا يشفعون إلا من بعد إذنه.

فإن قيل : كيف يليق ذكر الشفيع مع ذكر مبدأ الخلق ، وإنما يليق ذكره بأحوال القيامة ؟ فالجواب : قال الزجاج : إن الكفار الذين كانوا مخاطبين بهذه الآية كانوا يقولون : إن الأصنام شفعاؤنا عند الله.

وهذا رد على النضر بن الحارث ، كان يقول : إذا كان يوم القيامة تشفعني اللات والعزى.

وقال أبو مسلم : " الشفيع هاهنا هو الثاني ، مأخوذ من الشفع الذي يخالف الوتر ، كما يقال : الزوج والفرد ".

فمعنى الآية : خلق الله السموات والأرض وحده لا شريك يعينه ، ثم خلق الملائكة والجن والبشر ، وهو المراد من قوله {إلا من بعد إذنه} أي : لم يحدث أحد ولم يدخل في الوجود ، إلا من بعد أن قال له : كن حتى كان.

ثم قال

٢٦٠

{ذالكم الله ربكم فاعبدوه} مبينا بذلك أن العبادة لا تصلح إلا له ، وأنه هو المستحق لجميع العبادات ، لأنه هو المنعم بجميع النعم التي ذكرها.

ثم قال : {أفلا تذكرون} دالا بذلك على وجوب التفكر في تلك الدلائل القاهرة الباهرة.

قوله تعالى : {إليه مرجعكم جميعا} الآية.

لما ذكر الدلائل الدالة على إثبات المبدأ ، أردفه بما يدل على صحة القول بالمعاد فقوله " إليه مرجعكم " الرجع بمعنى الرجوع و " جميعها " نصب على الحال أي ذلك الرجوع يحصل حال الاجتماع وهذا يدل على أن المراد بالرجوع القيامة لا الموت.

وقوله : " وعد الله " منصوب على المصدر المؤكد ؛ لأن معنى " إليه مرجعكم " : وعدكم بذلك.

وقوله : " حقا " مصدر آخر مؤكد لمعنى هذا الوعد ، وناصبه مضمر ، أي : أحق ذلك حقا.

وقيل : انتصب " حقا " بـ " وعد " على تقدير " في " ، أي : وعد الله في حق ، يعني على التشبيه بالظرف.

وقال الأخفش الصغير : التقدير : وقت حق ؛ وأنشد : [الطويل] ٢٨٧١ - أحقا عباد الله أن لست ذاهبا ولا والجا إلا علي رقيب

"

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٢٥٧

إنه يبدؤا " الجمهور على كسر الهمزة للاستئناف ، وقرأ عبد الله ، وابن القعقاع ، والأعمش ، وسهيل بن شعيب بفتحها ، وفيها تأويلات : أحدها : أن تكون فاعلا بما نصب " حقا " أي : حق بدء الخلق ، ثم إعادته ؛ كقوله : [الطويل] ٢٨٧٢ - أحقا عباد الله أن لست جائيا

....

البيت.

وهو مذهب الفراء ، فإنه قال " والتقدير : يحق أنه يبدأ الخلق ".

والثاني : أنه منصوب بالفعل الذي نصب " وعد الله " ، أي : وعد الله تعالى بدء الخلق ثم إعادته ، والمعنى : إعادة الخلق بعد بدئه.

(١) ".

"قال الزمشخري : فإن قلت : أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في " سوف تعلمون " ؟ .

قلت : إدخال الفاء وصل ظاهرة بحرف موضوع للوصل ، ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا : فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا ، وعملت أنت عما مكانتك ؟ فقيل سوف تعلمون ، فوصل تارة بالفاء ، وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة ، كما هو عادة البلغاء من العرب ، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف ".

ثم قال : {وارتقبوا اا إني معكم **رقيب}** أي : وانتظروا العذاب إني معكم منتظر.

والرقيب : بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم ، أو بمعنى المراقب ، أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمترفع.

قوله تعالى : {ولما جآء أمرنا} الآية.

قال الزمخشري : فإن قتل : ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو ، والساقتان الوسطيان بالفاء ؟ قلت : قد وقعت الوسيطان بعد ذكر الوعد ، وذلك قوله : {إن موعدهم الصبح} [هود : ٨١] {ذالك وعد غير مكذوب} [هود : ٦٥] فجاء بالفاء التي للتسبب كما تقول : " وعدته فلما جاء المعياد كان كيت وكيت " ، وأما الأخريان فلم تقعا بتلك المنزلة ، وإنما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفها بحرف الجمع على ما قبلهما ، كما تعطف قصة على قصة ".

قوله : {نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا}.

روى الكلبي عن ابن عباس قال : لم يعذب الله أمتين بعذاب واحد إلا قوم شعيب وقوم مصالح ، فأما قوم صالح ؛ فأخذتم الصحية من تحتهم ، وقوم شعيب أخذتهم من فوقهم.

وقوله : {ولما جآء أمرنا} يحتمل أن يكون المراد منه ، ولما جاء وقت أمرنا ملكا من الملائكة بتلك الصيحة ، ويحتمل أن يكون المراد من الأمر العذاب ، وعلى التدقرين فأخبر الله أنه نجى شعيبا ومن معه من المؤمنين.

وفي وله : {برحمة منا} وجهان : الأول : أنه تعالى إنما خلصه من ذلك العذاب لمحض رحمته ، تنبيها

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٧١٦

على أن كل ما يصل إلى العبد ليس إلا بفضل الله ورحمته.

والثاني : أن المراد من الرحمة الإيمان والطاعة وهي أيضا وهي أيضا ما حصلت إلا بتوفيق الله.

ثم قال : {وأخذت الذين ظلموا الصيحة} وعرف " الصيحة " بالألف واللام إشارة إلى المعهود السابق وهي صيحة جبريل {فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيهآ} تقدم

٥٥٥

الكلام على ذلك [هود : ٦٧ ، ٦٨] وإنما ذكر هذه اللفظة ، وقاس حالهم على ثمود ؛ لأنه تعالى عذبهم بمثل عذاب ثمود.

قوله : {كَما بعدت ثمود} العامة : على كسر العين من " بعد يبعد " بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع بمعنى هلك ؛ قال : [الطويل] ٣٠١٠ - يقولون لا تبعدوهم يدفنونه

ولا بعد إلا ما تواري الصفائح

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٥٤٣

أرادت العرب أن تفرق بين المعنيين بتغيير فقالوا : " بعد " بالضم ضد القرب ، و " بعد " بالكسر ضد السلامة ، والمصدر البعد بالفتح في العين.

وقرأ السلمي وأبو حيوة " بعدت " بالضم أخذه من ضد القرب ؛ لأنهم إذا هلكوا فقد بعدوا ، ومن هذا قول الشاعر : [الكامل] ٣٠١١ - من كان بينك في التراب وبينه

شبران فهو بغاية البعد

وقال النحاس : المعروف في اللغة : بعد يبعد بعدا وبعدا ، وإذا هلك ، وبعد يبعد في ضد القرب.

وقال ابن قتيبة : بعد يبعد إذا كان بعده هلكة ، وبعد يبءعد إذا نأى فهو موافق للنحاس.

وقال المهدوي : " بعد " يستعمل في الخير والشر ، و " بعد " في الشر خاصة.

وقال ابن الأنباري : من العرب من يسوي بين الهلاك والبعد والذي هو ضد القرب ، فيقول فيهماك بعد يبعُد ، وبعد يبعد ؛ وأنشدوا قول مالك : [الطويل] ٣٠١٢ - يقولون لا تبعد وهم يدفنونني

وأين مكان البعد إلا مكانيا

قيل : يروى " لا تبعد " بالوجهين.

وفي هذه الآية نوع من علم البيان يسمى الاستطراد ، وهو أن تمدح شيئا أوتذمه ، ثم تأتي آخر الكلام بشيء هو غرضك في أوله ، قالوا : ولم يأت في القرآن غيره ، وأنشدوا في ذلك قول حسان : [الكامل]

٣٠١٣ – إن كنت كاذبة الذي حدثتني

فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم

ونجا برأس طمرة ولجام

٥٥٦

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٥٤٣

". (١)

"والثاني : أنها مصدر بمعنى البقوى قال الزمخشري ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى ، أي : فهلا كان منهم ذوو إبقاء على أنفسهم ، وصيانة لها من سخط الله وعقابه.

والمعنى : فهلا كان منهم أولوا **مراقبة** وخشية من انتقام الله.

وقرأت فرقة " بقية " بتخفيف الياء ، وهي اسم فاعل من بقي ك : شجية من شجي ، والتقدير أولوا طائفة بقية أي : باقية وقرأ أبو جعفر وشيبة " بقية " بضم الفاء وسكون العين.

وقرئ " بقية " على المرة من المصدر.

و " في الأرض " متعلق بالفساد ، والمصدر المقترن ب " أل " يعمل المفاعيل الصريحة فكيف في الظروف ؟ ويجوز أن يتعلق بمحذوف عل أنه حال من " الفساد ".

فصل المعنى : فهلا "كان من القرون " التي أهلكناهم ، " من قبلكم " أولوا تمييز وقيل : أولوا طاعة وقيل : أولوا خير ، يقال : فلان على بقية من الخير إذا كان على خصلة محمودة.

و " ينهون عن الفساد في الأرض " أي : يقومون بالنهي عن الفساد ، ومعناه جحدا ، أي : لم يكن فيهم أولو بقية.

قوله : {إلا قليلا} فيه وجهان : أحدهما : أن يكون استثناء منقطعا ؛ وذلك أن يحمل التخضيض على حقيقته ، وإذا حمل على حقيقته تعين أن يكون الاستثناء منقطعا لئلا يفسد المعنى.

قال الزمخشري : معناه : ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد ، وسائرهم تاركون النهي ثم قال : فإن قلت : هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه ؟ قلت : إن جعلته متصلا على ما هو

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٢٨٩٣

عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا ؛ لأنه يكون تحضيضا لأولي البقية على النهي عن الفساد إلا للقليل من الناجين منهم ، كما تقول : هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم ، تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن.

فيئول الكلام إلى أن الناجين لم يحضوا على النهي عن الفاسد ، وهو معنى فاسد.

والثاني : أن يكون متصلا ، وذلك بأن يؤول التحضيض على قراءة القرآن بمعنى النفي ، فيصح ذلك ؛ إلا أنه يؤدي إلى النصب غير الموجب ، وإن كان غير النصب أولى.

٥٩٧

قال الزمخشري : فإن قلت : في تحضيضهم على النهي عن الفاسد معنى نفيه عنهم ، فكأنه قيل : ما كان من القرون أولوا بقية إلا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا ، وكان انتصابه على أصل الاستثناء ، وإن كان الأفصح أن يرفع على البدل.

ويؤيد أن التحضيض هنا في معنى النفي قراءة زيد من علي " إلا قليل " بالرفع ، لاحظ معنى النفي فأبدل على الأفصح ، كقوله : {ما فعلوه إلا قليل منهم} [النساء : ٦٦].

وقال الفراء : المعنى : فلم يكن ؛ لأن في الاستفهام ضربا من الجحد سمى التحضيض استفهاما.

ونقل عن الأخفش أنه كان يرى تعين اتصال هذا الاستثناء كأنه لحظ النفي و " من " في : " ممن أنجينا " للتبعيض.

ومنع الزمخشري أن تكون للتعيضي بل للبيان فقال : حقها أن تكون للبيان لا للتبعيض ؛ لأن النجاة إنما هي للناهين وحدهم ، بدليل قوله : {أنجينا الذين ينهون عن السواء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس} [الأعراف : ١٦٥].

فعلى الأول يتعلق بمحذوف على أنها صفة لـ " : قليلا ".

وعلى الثاني : يتعلق بمحذوف على سبيل البيان ، أي : أعني.

قوله : {واتبع الذين ظلموا مآ أترفوا فيه} هذا السبب الثاني في نزول عذاب الاستئصال.

قرأ العامة : " اتبع " بهمزة وصل وتاء مشددة ، وباء ، مفتوحتين ، فعلا ماضيا مبنيا للفاعل وفيه وجهان : أحدهما : أنه معطوف على مضمر.

والثاني : أن الواو للحال لا للعطف ، ويتضح ذلك بقول الزمخشري فإن قلت : علام عطف قوله : {واتبع الذين ظلموا} ؟ قلت : إن كان معناه : واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر ؛ لأن المعنى : إلا

قليلا ممن أنجينا منهم نها عن الفساد ، واتبع الذين ظلموا شهواتهم ، فهو عطف على " نهوا " وإن كان معناه : واتبعوا جزاء الإتراف ، فالواو للحال ، كأنه قيل : أنجينا القليل ، وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم.
فجوز في قوله : " ما أترفوا " وجهين : أحدهما : أنه مفعول من غير حذف مضاف ، و " ما " واقعة على الشوات وما بطروا بسببه من النعم.
والثاني : أنه على حذف مضاف ، أي : جزاء ما أترفوا ، ورتب على هذين الوجهين القول في " واتبع ".
٥٩٨
". " (١)

"والفائدة الثانية : قوله {وجآءك في هاذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين}.
قوله تعالى : {وكلا نقص} في نصبه أوجه : أحدها : أنه مفعول به ، والمضاف إليه محذوف ، عوض منه التنوين ، تقديره : وكل نبأ نقص عليك.
و " من أنباء " بيان له أو صفة إذا قدر المضاف إليه نكرة.
وقوله : {ما نثبت به} يجوز أن يكون بدلا من : "كلا " وأن يكون خبر مبتدأ مضمر : أي : هو ما نثبت ، أو منصوب بإضمار أعني.
الثاني : أنه منصوب على المصدر ، أي : كل اقتصاص نقص ، و " من أنباء " صفة : أو بيان ، و " ما نثبت " هو مفعول " نقص ".
الثالث : كما تقدم ، إلا أنه يجعل " ما " صلة ، والتقدير : وكلا نقص من أبناء الرسل نيبتبه فؤادك ، كذا أعربه أبو حيان وقلا : كهي في قوله : {قليلا ما تذكرون} [الأعراف : 3].
الرابع : أن يكون "كلا " منصوبا على الحال من " ما نثبت " وهي في معنى : " جميعا " وقيل : بل هي حال من الضمير في " به " وقيل : بل هي حال من " أنباء " وهذان الوجهان إنما يجوزان عند الأخفش ، فإنه يجيز تقديم حال المجرور بالحف عليه ؛ كقوله تعالى : {والسماوات مطويات بيمينه} [الزمر : ٦٧] في قراءة من نصب " مطويات " وقول الآخر : [الكامل] ٣٠٤٢ - رهط ابن كوز محقبي أدراعهم
فيهم ورهط ربيعة بن حذار
جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٥٩٦

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٢٩١٨

والمعنى : وكل الذي تحتاج إليه من أبناء الرسل ، أي : من أخبارهم ، وأخبار الأمم نقصها عليك ؛ لنثبت به فؤادك ؛ لنزيدك يقينا ، ونقوي قلبك ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمعها كان في ذلك تقوية لقلبه على الصبر لأذى قومه.

{وجآءك في هاذه الحق} قال الحسن وقتادة : في هذه الدنيا وقال الأكثرون : في هذه السورة خص هذه السورة تشريفا ، وإن كان قد جاءه الحق في جميع السور.

وقيل : في هذه الآية.

والمراد به " الحق " البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة ، " موعظة " أي : وجاءتك موعظة " وذكرى للمؤمنين " والمراد بـ " الذكرى " الأعمال الباقية الصالحة في الدار الآخرة.

٦٠٣

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٥٩٦

ثم قال تعالى : {وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم}.

وهذا تهديد ووعيد ؛ لأنه تعالى لما بالغ في الإعذار والإنذار والترغيب والترهيب ، أبتع ذلك بأن قال للرسول - صلوات الله وسلامه عليه - {وقل للذين لا يؤمنون} ولم تؤثر فيهم هذه البيانات البالغة : {اعملوا على مكانتكم إنا عاملون} وهذا عين ما حكاه عن شعيب - عليه السلام - أنه قال لقومه {وارتقبوا ا إني معكم رقيب} [هود : ٩٣].

والمعنى : افعلوا كل ما تقدرون عليه في حقي من الشر ، فنحن أيضا عاملون.

وقوله : " اعملوا " وإن كان صيغته صيغة أمر ، إلا أن المراد به التهديد ، كقوله : {واستفزز من استطعت منهم بصوتك} [الإسراء : ٤] وكقوله : {فمن شآء فليؤمن ومن شآء فليكفر} [الكهف : ٢٩] " وانتظروا " ما يعدكم الشيطان من الخذلان فـ " إنا منتظرون " ما وعدنا الرحمن من أنواع الغفران والإحسان ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " وانتظروا " اهلاك فـ " إنا منتظرون " لكم العذاب وقيل : " انتظروا " ما يحل بنا من رحمة الله " إنا منتضرون " ما يحل بكم من نقمته.

ثم إنه تعالى ذكر خاتمة شريفة عالية جامعة لكل المطالب الشريفة فقال : {ولله غيب السماوات والأرض} [هود : ١٢٣] أي : علم ما غاب من العباد ، أي : أن علمه نافذ في جمعي الكفليات والجزئيات ، والمعدومات ، والموجودات {وإليه يرجع الأمر كله} في المعاد.

قرأ نافع وحفص " يرجع " بضم الياء وفتح الجيم ، أي : يرد.

وقرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الجيم ، أي : يعود الأمر كله إليه حتى لا يكون للخلق أمر {فاعبده وتوكل عليه} وثق به {وما ربك بغافل عما تعملون} قرأ نافع وابن عامر وحفص " تعملون " بالخطاب ، لأن قبله " اعملوا " والباقون بالغيبة رجوعا على قوله : {للذين لا يؤمنون} وهذا الخلاف أيضا في آخر النمل.
٦٠٤

قال كعب الإحبار : خاتمة التوارة خاتمة سورة هود روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما – قال أبو بكر – رضي الله عنه – : يا رسول الله قد شبت ، فقال صلى الله عليه وسلم " شيبتني هود والواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت " ويروى : " شيبتني هود وأخواتها " ويروى : " شيبتني هود وأخواتها الحاقة ، والواقعة ، وعم يتساءلون ، وهل أتاك حديث الغاشية ".
قال الحكيم : الغزع يورث الشيب ، وذلك أن الفزع يذهل النفس فينشف رطوبة الجسد ، وتحت كل شعره منبع ، ومنه يعرق ، فإذا انتشف الفزغ رطوبته يبست المنابع ؛ فيبس الشعر وابيض ، كما ترى الزرع بسقائه ، فإذا ذهب سقاءه يبس فابيض ، وإنما يبيض شعر الشيخ لذهاب رطوبته ويبس جلده ، فالنفس تذهل بوعيد الله بالأهوال ؛ فتبل وينشف ماءها ذلك الوعيد والهول الذي جاء به ، ومنه تشيب ؛ قال تعالى : {يوما يجعل الولدان شيبا} [المزمل : ١٧] وقال الأصم : ما حل بهم من عاجل أمر الله ، فأهل اليقين إذا اتلوها تراءى على قلوبهم من ملكه وسلطانه البطش بأعدائه ، فلو ماتوا من الفزع لحق له ، ولكن الله – تبارك وتعالى – يلطف بهم في الأيان حتى يقرؤوا كلامه ، وكذلك لآخر آية في سورة هود ، فإن تلاوة هذه السورة ما يكشف لقلوب العارفين سلطانه وبطشه ما تذهل منه النفوس ، وتشيب منه الرءوس.
قال القرطبي : وقيل : إن الذي شيب النبي صلى الله عليه وسلم من سورة " هود " قوله تعالى : {فاستقم كمآ أمرت} [هود : ١١٢] وقال عمرو بن أبي عمرو العبادي : قال يزيد بن أبان رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقرأت عليه سورة هود ، فلما ختمتها قال لي " يا يزيد قرأت فأين البكاء " واسند أبو محمد الدارمي في مسنده عن كعب – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اقرؤوا سورة هود يوم الجمعة " والله أعلم.

٦٠٥

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٦٠٤." (١)

"فالجواب : أن " من " الثانية مغايرة للأولى في المعنى كما ستعرفه.

قوله : " يحفظونه " يجوز أن يكون صفة لـ " معقبات " ، ويجوز أن يكون حالا من الضمير المستكن في الجار الواقع [خبرا] ، و " من أمر الله " متعلق به ، و " من " إما للسبب أي : بسبب أمر الله.

ويدل له على قراءة علي بن أبي طالب ، وابن عباس ، وزيد بن علي ، وعكرمة . رضي الله عنهم . : بأمر الله.

وقيل : المعنى على هذا يحفظون عمله بإذن الله ، فحذف المضاف.

قال ابن الأنباري : كلمة " من " معناها الباء ، وتقديره : يحفظونه بأمر الله وإعانته ، والدليل عليه : أنه لا بد من المصير إليه ؛ لأنه لا قدرة للملائكة ، ولا لأحد من الخلق على أن يحفظوا أحدا من أمر الله ، مما قضاه الله عليه ؛ وإما أن تكون على بابها.

قال أبو البقاء : " من أمر الله " من الجن ، والإنس ، فتكون " من " على بابها.

" يعني : أن يراد بأمر الله : نفس ما يحفظ منه كمردة الإنس ، والجن ، فتكون " من " لابتداء الغاية ".

ويجوز أن تكون بمعنى " عن " ، وليس عليه معنى يليق بالآية الكريمة ، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة لـ : " معقبات " أيضا فيجيء الوصف بثلاثة أشياء في بعض الأوجه المتقدمة بكونها {من بين يديه ومن خلفه} وبكونها " يحفظه " ، وبكونها " من أمر الله " ولكن يتقدم الصوف بالجملة على الوصف بالجار ، وهو جائز فصيح ، وقد ذكر الفراء فيه وجهين : الأول : أنه على التقديم ، والتأخير ، والتقدير : له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه.

قال شهاب الدين . رحمه الله . : " والأصل عدم ذلك مع الاستغناء عنه ".

والثاني : أن فيه إضمارا ، أي : ذلك الحفظ من أمر الله ، أي : مما أمر الله به ، فحذف الاسم ، وأبقى خبره ، كما يكتب على الكيس : ألفان ، والمراد الذي فيه ألفان.

فصل ذكر المفسرون : أن لله ملائكة يتعاقبون بالليل ، والنهار ؛ فإذا صعدت ملائكمة الليل

٢٦٨

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٩٢١

جاء في عقبها ملائكة النهار ، وإذا صعدت ملائكة النهار ، جاء في عقبها ملائكة الليل.

لما روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار يجتمعون عند صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتواة فيكم ؛ فيسألهم وعو أعمل بهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم ، وهم يصلون ، وأتيناهم ، وهم يصلون ".

وقوله : {من بين يديه ومن خلفه} يعنى من قدام ، هذا استخفى بالليل والسارب بالنهار ، ومن وراء ظهره يحفظونه من أمر الله يعني بإذن الله ما لم يجىء القدر ، فإذا جاء القدر خلوا عنه.

وقيل : يحفظونه مما أمر الله به من الحفظ عنه.

قال مجاهد : ما من عبد إلا وله ملك وكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس ، والهوام.

وقيل : المراد بالآية الملكين القاعدين على اليمين ، وعلى الشمال يكتبان الحسنات والسيئات " يحفظونه " أي يحفظون عليه ، " من أمر الله " يعني الحسنات والسيئات قال الله تعالى : {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق.

١٨].

وقال عبدالرحمن بن زيد : نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة ، وكانت قصتهما على ماروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : " أقبل عامر بن الطفيل ، وأربد بن ربيعة ، وهما عامريان يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه ، فدخلا المسجد ، فاستشرف الناس لجمال عامر ، وكان أعور ، وكان من أجمل الناس ، فقال رجل : يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك فقال : دعه ؛ فإن يرد الله به خيرا يهده ، مفأقبل حتى قام عليه ، فقال : يا محمد ما لي إن أسلمت ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : لك ما للمسلمين ، وعليك ما على المسلمين ، قال : تجعلي لي الأمر بن بعدك ؛ قال : ليس ذلك إلي ، إنما ذلك إلى الله ـ عز وجل ـ يجعله حيث يشاء ، فقال : تجعلني على الوبر والمدر ، قال : لا ، قال : فما تجعلي لي ؟ قال أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها قال : أوليس ذلك لي اليوم ، قم معي أكلمك ، فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر أوصى إلى أربد بن ربيعة : إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه ، فاضربه بالسيف ، فجعل يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ، فدار أربد من خلف النبي ليضربه ، فاخترط من سيفه شبرا ، ثمذ حبسه الله ـ عز وجل ـ عنده ، فلم يقدر على سله ،

٩٦٢
". (١)

"فالجواب من وجوه : الأول : المراد به التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب إن كان غافلا ، كقوله تعالى : {ولا تكونن من المشركين} [الأنعام : ١٤] {ولا تدع مع الله إلاها آخر} [القصص : ٨٨].

والثاني : المقصود منه بيان أنه لو لم ينتقم لكان عدم الانتقام لأجل غفلته عن ذلك الظالم ، ولما كان امتناع هذه الغفلة معلوما للك أحد لا جرم كان عدم الانتقام محالا.

الثالث : أن المراد : ولا تحسبنه يعاملهم الله معاملة الغافل عما يعملون ، ولكن معالمة الرقيب عليهم المحاسب على النقير ، والقطمير.

الرابع : أن هذا الخطاب ، وإن كان خطابا للنب صلى الله عليه وسلم في الظاهر إلا أنه خطاب مع الأمة.

قال سفيان بن عيينة ـ رضي الله عنه ـ : هذا تسلية للمظلوم ، وتهديد للظالم.

قوله : {إنما يؤخرهم} أي : لأجل يوم ، فاللام للعلة.

وقيل : بمعنى " إلى " أي : للغاية.

وقرأ العامة " يؤخرهم " بالياء ، لتقدم اسم الله ـ تعالى ـ.

وقرأ الحسن والسلمي ، والأعرج ، [وخلائق] ـ رضي الله عنهم ـ : " نؤخرهم " بنون العظمة.

ويروى عن أبي عمرو " نؤخرهم " بنون العظمة.

و " تشخص " صفلة لـ " يوم ".

ومعنى شخوص البصر حدة النظر ، وعدم استقراره في مكانه ، ويقال : شخص سمعه ، وبصره ، وأشخصهما صاحبهما ، وشخص بصره ، أي : لم يطرف جفنه ، وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة ، ويقال : شخص من بلده أي : بعد والشخص : سواد الإنسان المرئي من بعيد.

قوله : {مهطعين مقنعي رءوسهم} حالان من المضاف المحذوف إذا التقدير : أصحاب الأبصار ، إذا يقال : شخس زيد بصره ، أو تكون الأبصار دلت على أربابها فجاءت ا لحال من المدلول عليه ، قالهما أبو البقاء.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ ، ص/٣٠٥٧

وقيل : " مهطعين " منصوب بفعل مقدر ، أي : تبصرهم مهطعين ، ويجوز في " مقنعي " أن يكون حالا من الضمير في : " مهطعين " فيكون حالا ، وإضافة : " مقنعي " غير حقيقة ؛ فلذلك وقع حالا.

والإهطاع : قيل : الإسراع في المشي ؛ قال : [البسيط]

٤٠٦

٣٢٣٥. إذا دعانا فأهطعنا لدعوته

داع سميع فلفونا وساقونا

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٤٠٥

وقال : [الكامل] ٣٢٣٦. وبمهطع سرح كأن عنانه

في رأس جذع.....................

وقال أبو عبيدة : قد يكون الإسراع [مع] إدامة النظر.

وقال الراغب : " هطع " الرجل ببصره إذا صوبه ، وبعير مهطع إذا صوب عنقه ".

وقال الأخفش : هو الإقبال على الإصغاء ، وأنشد : [الوافر] ٣٢٣٧. بدجلة دراهم ولقد أراهم

بدجلة مهطعين إلى السماع

والمعنى : مقبلين برءوسهم إلى سماع الداعي.

وقال ثعلب : " هطع الرجل إذا نظر بذل وخشوع لا يقلع ببصره إلى السماء ".

وهذا موافق لقول أبي عبيدة ؛ فقد سمع فيه : " أهطع وهطع " رباعيا وثلاثيا.

والإقناع : رفع الرأس ، وإدامة النظر من غير التفات إلى شغيره ، قاله القتبي ، وابن عرفة.

ومنه قوله . يصف إبلا ترعى أعالي الشجر ؛ فترفع رءوسها. : [الوافر] ٣٢٣٨. يباكرن العضاه بمقنعات

نواجذهن كالحدإ الوقيع

ويقال : أقنع رأسه ، أي : طأطأها ، ونكسها فهو من الأضداد ، والقناعة : الاجتزاء باليسير ، ومعنى قنع عن كذا : أي : رفع رأسه عن السؤال.

وفم مقنع : معطوف الأسنان إليه داخلة ، ورجل مقنع . بالتشديد . ، ويقال : قنع يقنع قناعة ، وقنعا ، إذا رضي ، وقنع قنوعا ، إذا سأل ، [فوقع] الفرق بالمصدر.

وقال الراغب : قال بعضهم : أصل هذه الكلمة من القناع ، وهو ما يغطي الرأس

٤٠٧

والقانع : من يلج في السؤال فيرضى بما يأتيه ، كقوله : [الوافر] ٣٢٣٩. لمال المرء يصلحه فيغني
مفاقره أعف من القنوع

ورجل مقنع : تقنع به ؛ قال : [الطويل] ٣٢٤٠.........................

شهودي على ليلى عدول مقانع

" (١).

"من أزواج} كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل : بادلني بامرأتك وأبادلك بأمرأتي ، تنزل لي عن امرأتك وانزل لك عن امرأتي ، فأنزل الله - عز وجل - {ولا أن تبدل بهن من أزواج} يعني تبادل بأزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته {إلا ما ملكت يمينك} لا بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت ، فأما الحرائر فلا ، روى عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : " دخل عيينة بن حصن على النبي - صلى الله عليه وسلم - بغير إذن وعنده عائشة فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - يا عيينة أين الاستئذان ؟ قال يا رسول الله : ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ، ثم قال : من هذه الحميراء التي جنبك ؟ فقال : هذه عائشة أم المؤمنين فقال عيينة : أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة : من هذا يا رسول الله ؟ قال : هذا أحمق مطاع وإنه على ما ترين لسيد قومه " قوله : " ولو أعجبك "كقوله : " أعطوا السائل ولو على فرس " أي في كل حال ولو على هذه الحال المنافية قال الزمخشري : قوله " حسنهن " في معنى الحال.

فصل معنى {ولو أعجبك حسنهن} أي ليس لك أن تطلق أحدا من نسائك وتنكح بدلها أخرى ولو أعجبك جمالها.

قال ابن عباس يعني أسماء ينت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب فلما استشهد جعفر أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يخطبها فنهي عن ذلك.

وقال بعض المفسرين ظاهر هذا ناسخ لما كان قد ثبت له عليه (الصلاة و) السلام من أنه إذا رأى واحدة فوقعت في قلبه موقعا كانت تحرم على الزوج ويجب عليه طلاقها.

وهذه مسألة حكمية وهي أن النبي عليه (الصلاة و) السلام وسائر الأنبياء في أول النبوة يشتد عليها برحاء

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣١٢٨

الوحي ثم يستأنسون به فينزل عليهم وهم متحدثون

٥٧٦

مع أصحابهم لا يمنعهم من ذلك مانع ، ففي أول الأمر أحل الله من وقع في قلبه تفريغا لقلبه ، وتوسعا لصدره لئلا يكون مشغول القلب بغير الله ، ثم لما استأنس بالوحي نسخ ذلك إما لقوله عليه (الصلاة و) السلام الجمع بين الأمرين ، وإما لأنه بدوام الإنزال لم يبق له مألوف من أمور الدنيا فلم يبق له التفات إلى غير الله فلم يبق له حاجة إلى إخلاء المتزوج بمن وقع بصره عليه.

قوله : {إلا ما ملكت} فيه أوجه : أحدها : أنه مستثنى من النساء فيجوز فيه وجهان : النصب على أصل الاستثناء والرفع على البدل وهو المختار ، والثالث : أنه مستثنى من " أزواج : قاله أبو البقاء ، فيجوز أن يكون في موضع نصب على أصل الاستثناء ، وأن يكون في موضع جر بدلا من " هن " (على) اللفظ ، وأن يكون في موضع نصب بدلا من " هن " على المحل ، وقال ابن عطية إن كانت (ما) مصدرية فهي في موضع نصب لأنه من غير الجنس وليس بجيد ؛ لأنه قال بعد ذلك والتقدير : إلا ملك اليمين ، و " ملك " بمعنى مملوك انتهى.

وإذا كان بمعنى مملوك صار من الجنس وإذا صار من الجنس لم يكن منقطعا على أنه على تقدير انقطاعه لا يتحتم نصبه ، بل يجوز عند تميم الرفع بدلا والنصب على الأل كالمتصل بشرط صحة توجه العامل إليه كما تقدم تحقيقه ، وهذا يمكن توجه العامل إليه ، ولكن اللغة المشهورة لغة الحجاز وهو لزوم النصب في المنقطع مطلقا ، كما ذكره أبو محمد آنفا.

فصل قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مارية ، و {وكان الله على كل شيء رقيبا} حافظا عالما بكل شيء قادرا عليه ، وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من

٥٧٧

النساء ، روي عن جابر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل "

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٥٦٣

قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي} الآية قال أكثر المفسرين : نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب حين بنى بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما روى ابن شهاب قال : أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين فقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

٥٧٨
." (١)

"وإطلاقا في الإقدام عليها وذلك لا يليق بحكمة الله تعالى.
وإذا ثبت هذا وجب أن يحمل على أن المراد منه التنبيه على أنه لا يجوز أن يظن (العاصي) أن لا مخلص له من العذاب البتة فإن اعتقد ذلك فهو قانط جميعا أي بالتوبة والإنابة.
فالجواب : (قوله) إن الآية تقتضي كون كل الذنوب مغفورة قطعا وأنتم لا تقولون به قلنا : بلى نحن نقول به لأن صيغة " يغفر " للمضارع وهي الاستقبال وعندنا أن الله يخرج من النار من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وعلى هذا التقدير فصاحب الكبير مغفورة له قطعا إما قبل دخول النار وإما بعد دخولها فثبت أن دلالة ظاهر الآية عين مذهبنا وأما قوله : لو صارت الذنوب بأسرها مغفورة لما أمر بالتوبة.
فالجواب : أن عندنا التوبة واجبة وخوف العقاب قائم فإذن لا يقطع بإزالة العقاب بالكلية بل نقول لعله يعفو مطلقا ولعله يعذب بالنار مدة ثم يعفو بعد ذلك وبهذا يخرج لاجواب عن بقية الأسئلة والله أعلم.
وروى مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال : كنا معشر أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نرى أن نقول ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة حتى نزلت : {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا اا أعمالكم} [محمد : ١٠] فلما نزلت هذه الآية قلنا : ما هذا الذي يبطل أعمالنا ؟ فقلنا : الكبائر والفواحش وكنا إذا رأينا من أصاب شيئا منها (قلنا : قد هلك فأنزل الله هذه الآية فكففنا عن القول في ذلك ، فكنما إذا رأينا أحدا أصاب) منها شيئا خفنا عليه وإن لم يصب منها شيئا رجونا له ، وأراد بالإسراف ارتكاب الكبائر (وروي) عن ابن مسعود أنه دخل المسجد فإذا قاص (يقص) وهو يذكر النار والأغلال فقام على رأسه فقال : يا مذكر لم تقنط النا ؟ ثم قرأ : " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطو من رحمة الله " وعن أسماء بنت يزيد قالت : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : " يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (إنا الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي) " وروى أبو هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : " قال رجل لم يعمل خيرا قط لأهله : إذا مات فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر
٥٢٩

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤١٤٣

فوالله لئن قدر الله عليه ليعدبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فلما مات فعلوا ما أمرهم فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ، ثم قال له : لم فعلت هذا قال : من خشيتك يا رب وأنت أعلم فغفر له ".

وعن ضمضم بن حوش(ب) قال : دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ فقال : يا يماني تعضال وما أعرفه فقال : لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك أبدا ولا يدخلك الجنة قلت : ومن أنت يرحمك الله ؟ قال : أبو هريرة قال فقلت إن هذه الكملة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو زوجه أو لخادمه قال : فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : " إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين أحدهما مجتهد في العبادة والآخرة كأنه يقول : مذنب فجعل يقول أقصر عما أنت فيه قال : فيقول خلني وربي قال : حتى وجده يوما على ذنب استعظمه فقال أقصر فقال : خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال : والله لا يغفر لك الله أبدا ولا يدخلك الجنة أبدا قال : فبعث الله إليهما ملكا فقبض أرواحها فاجتمعا عنده فقال للمذنب ادخل الجنة برحمتي وقال للآخر : أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي ؟ فقال : لا يا رب فقال : اذهبوا به إلى النار " قال أبو هريرة : والذي نفسي بيده لـ (قد) تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

قوله عز وجل : {إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم}.

قوله : {يا عبادي} قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم يا عبادي بفتح الياء ، والباقون وعاصم – في بعض الروايات – بغير فتح ، وكلهم يقفون عليها بإثبات الياء ؛ لأنها ثابتة في المصحف إلا في بعض رواية أبي بكر عن عاصم أنه يقف بغير ياء.

قوله : {لا تقنطوا} قرأ أبو عمرو والكسائي بكسرالنون ، والباقون بفتحها ، وهما لغتان ، قال الزمخشري : وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود " يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء ".

قوله : {وأنيبوا اا إلى ربكم} قال الزمخشري أي توبوا إليه " وأسلموا له " أي وأخلصوا

٥٣٠

". (١)

"الأول : أنه عام مخصوص بآية المؤمن كما تقدم.

الثاني : أن قوله {لمن في الأرض} لا يفيد العموم ؛ لأنه (لا) يصح أن يقال : إنهم استغفروا لكل من في

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ ، ص/٤٣٦٨

الأرض وأن يقال : إنهم استغفروا لبعض من في الأرض دون البعض ولو كان صريحا في العموم لما صح ذلك.
الثالث : يجوم أن يكون المراد من الاستغفار أنه لا يعاجلهم بالعقاب ، كما في قوله تعالى : {إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا} [فاطر : ٤١] إلى أن قال : {إنه كان حليما غفورا} [فاطر : ٤١].
الرابع : يجوز أن يقال : إنهم يستغفرون لكل من في الأرض ، أما في حق الكفار فبطلب الإيمان لهم وأما في حق المؤمنين فبا االتجاوز عن سيئاتهم فإنا نقول : اللهم أهدش الكفار ، وزين قلوبهم بنور الإيمان وأزل عن خواطرهم وحشة الكفر ، وهذا استغفار لهم في الحقيقة.
فصل قال ابن الخطيب : قوله : " ويستغفرون لمن في الأرض " يدل على أنهم لا يستغفرون لأنفسهم ولو وجد منهم معصية لا ستغفروا لأنفسهم قبل استغفارهم لمن في الأرض ، فحيث لم يذكر الله عز وجل استغفارهم لأنفسهم علمنا أنهم مبرأون عن كل الذنوب والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لهم ذنوب ، والذين لا ذنب لهم ألبتة أفضل ممن له ذنب ، وأيضا فقثوله : " ويستغفرون لمن في الأرض " يدعل على أنهم يستغفرون للأنبياء ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأنهم من جملة من في الأرض ، وإذال كانوا مستغفرين للأنبياء ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان الظاهر أنهم أفضل منهم.
ثم قال تعالى : {ألا إن الله هو الغفور الرحيم} وهذا تنبيه على أن الملائكة وإن كانوا يستغفرون للبشر ، إلا أن المغفرة المطلقة لله تعالى وهذا يدل على أنه تعالى يعطي المغفرة التي طلبوها ويضم إليها الرحمة.
قوله : {والذين اتخذوا من دونه أولياء} أي جعلوا له شركاء وأندادا الله حفيظ عليهم أي رقيب عليهم ويحفظ أعمالهم ، وأقوالهم ويحصيها ليجازيهم بها ، {ومآ أنت عليهم} يا محمد " بوكيل " أي لم يوكلك بهم ولا أمرهمه إليك إنما أنت منذر.
قوله تعالى : {وكذلك أوحينآ إليك قرآنا عربيا} في قرآنا وجهان : أظهرهما : أنه مفعول أوحينا ، والكاف للمصدر نعتا أو حالا.
١٦٧
الثاني : أنه حال من الكاف ، و الكاف هي المفعول " لأوحينا " أي أوحينا مثل ذلك الإيحاء ، وهو قرآن عربي وإليه عربي وإليه نحا الزمخشري.
وكون الكاف اسما في النثر مذهب الأخفش.
فصل قال ابن الخطيب : قوله وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا يقتضي تشبيه وحي الله بالقرآن بشيء سبق

ذكره ، وليس ههنا شيء سبق ذكره يمكن تشبيه وحي القرآن به إلا قوله : {والذين اتخذوا من دونه أوليآء الله حفيظ عليهم ومآ أنت عليهم بوكيل} يعني أوحينا إليك أنك لست حفيظا عليهم ولست وكيلا عليهم وكذلك أوحينا إلريك قرآنا عربيا ليكون نذيرا لهم.

قوله : {أم القرى } أي أهل أم القرى ؛ لأن البلد لا تعقل.

قوله : {ومن حولها} عطف على أهل المقدر من قبل أم القرى والمفعول الثاني محذوف أي العذاب.

وقرىء : لينذر . بالياء من تحت . أي القرآن ، أم القرى أصل القرى بمعنى مكة ، وسمي بهذا الاسم إجلالا ؛ لأن فيها البيت ومقام إبراهيم.

والعرب تسمي أص لكل شيء أمة ، حتى يقال : هذه القصيدة من أمهات قصائد فلان ومعنى " من حولها " أي قرى الأرض كلها من أهل البدو والحضر وأهل المدر والوبر.

والإنذار : التخويف.

قوله : {وتنذر يوم الجمع} أي تنذرهم بيوم الجمع ، وهو يوم القيامة ، جمع الله فيه الأولين والآخرين وأهل السموات والأرض.

وقيل : المراد تجمع الأرواح بالأجساد.

وقيل : يجمع كبين العامل وعمله وقيل : يجمع بين الظالم والمظلوم.

١٦٨

قوله : {لا ريب فيه} إخبار فهو مستأنف ، ويجوز أن يكون حالا من " يوم الجمع " وجعله الزمخشري اعتراضا وهو غير ظاهر صناعة إذ لم يقع بين متلازمين.

قوله : " فريق " العامة على رفعه بأحد وجهين : إما الابتداء ، وخبره الجار بعده ، وساغ هذا في النكرة ، لأنه مقام تفصيل كقوله : ٤٣٧١..........................

فثوب نسيت وثوب أجر

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ١٦١

". (١)

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٤٥٣

"جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٢٣

قال المفسرون : أراد بالقعيد اللازم الذي لا يبرح لا القائم الذي هو عند القائم.

وقال مجاهد : القعيد : الرصيد.

قوله : {ما يلفظ من قول} أي ما يتكلم من كلام فيلقيه أي يرميه من فيه {إلا لديه رقيب عتيد} حافظ حاضر.

وقرأ العامة " يلفظ " بكسر الفاء.

ومحمد بن (أبي) معدان بفتحها.

و " رقيب عتيد " قيل : هو بمعنى رقيبان عتيدان أينما كان.

قال الحسن (رضي الله عنه) إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالتين عند غائطه ، وعند جماعه.

وقال مجاهد : يكتبان عليه حتى أنينه في مرضه ، وقال عكرمة : لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه

٢٦

ويوزر فيه.

وقال الضحاك : مجلسهما تحت الشعر على الحنك ومثله عن الحسن يعجبه أن ينظف عنفقته.

وروى أبو أمامة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات ، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا ، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال : دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر ".

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٢٣

قوله : {وجاءت سكرة الموت} أي غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتجلب على عقله.

قوله : " بالحق " يجوز أن تكون الباء للحال أي ملتبسة بالحق والمعنى بحقيقة الموت ، ويجوز أن تكون للتعدية والمراد منه الموت فإنه حق كأن شدة الموت تحضر الموت ، يقال : جاء فلان بكذا أي أحضره ، وقيل : بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعيان.

وقيل : بما يؤول إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاوة.

وقرأ عبد الله : سكرات.

ويقال لمن جاءته سكرة الموت : ذلك ما كنت منه تحيد أي تميل ، من حاد عن الشيء يحيد حيودا

وحيودة وحيدا.
وقال الحسن : تهرب ، وقال ابن عباس - (رضي الله عنهما -) تكره وأصل الحيد : الميل ، يقال : حدت عن الشيء أحيد حيدا ومحيدا إذا ملت عنه ، و " ذلك " يحتمل أن يكون إشارة إلى الموت وأن يكون إشارة إلى الحق.
والخطاب قيل مع النبي - صلى الله عليه وسلم - .
قال ابن الخطيب : وهو منكر ، وقيل : مع الكافر.
وهو أقرب.
والأقوى أن يقال : هو خطاب عام مع السامع.
٢٧
قوله : {ونفخ في الصور} عطف على قوله : {وجاءت سكرة الموت} يعني نفخة البعث {ذلك يوم الوعيد} الذي وعد الكفار أن يعذبهم فيه.
قال الزمخشري : " ذلك " إشارة إلى المصدر الذي هو قوله : " ونفخ " أي وقت ذلك النفخ يوم الوعيد.
قال ابن الخطيب : وهذا ضعيف ؛ لأن " يوم " لو كان منصوبا لكان ما ذكره ظاهرا ، وأما رفع " يوم " فيفيد أن ذلك نفس اليوم ، والمصدر لا يكون نفس الزمان وإنما يكون في الزمان.
فالأولى أن يقال : " ذلك " إشارة إلى الزمان المفهوم من قوله : " ونفخ " لأن الفعل كما يدل على المصدر يدل على الزمان فكأنه قال تعالى : ذلك الزمان يوم الوعيد ، والوعيد هو الذي أوعد به من الحشر ، والمجازاة.
قوله : {وجآءت كل نفس معها سآئق وشهيد} قيل : السائق هو الذي يسوقه إلى الموقف ومنه إلى مقعده ، والشهيد هو الكاتب.
والسائق لازم للبر والفاجر ، أما البر فيساق إلى الجنة وأما الفاجر فإلى النار ، قال تعالى : {وسيق الذين كفروا اا إلى جهنم...
وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة} [الزمر : ٧١ - ٧٣] ، والشهيد يشهد عليها بما عملت.
قال الضحاك : السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الأيدي والأرجل ، وهي رواية العوفي عن ابن عباس.
وقيل : هما جميعا من الملائكة.

قوله : " معها سائق " جملة في موضع جر صفة " لنفس " أو في موضع رفع صفة " لكل " أو في موضع نصب حالا من "كل ".

والعامة على عدم الإدغام في " معها " وطلحة على الإدغام " محا " بحاء مشددة ، وذلك أنه أدغم العين في الهاء ، ولا يمكن ذلك فقلبت الهاء حاء ثم أدغم فيها العين فقلبها حاء.

وسمع : ذهب محم أي معهم.

وقال الزمخشري : ومحل " معها سائق " النصب على الحال من "كل " ؛ لتعرفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة.

وأنحى عليه أبو حيان وقال : لا يقول هذا مبتدئ في النحو ، لأنه لو نعت "كل نفس " ما نعت إلا بالنكرة.

قال شهاب الدين : وهذا منه غير مرض إذ يعلم أنه لم يرد حقيقة ما قاله.

٢٨

." (١)

"يعني إثما ، ورجل مرهق ، أي : يغشاه السائلون.

قال الواحدي : الرهق : غشيان الشيء ، ومنه قوله تعالى : {ترهقها قترة}.

وأضيفت الزيادة إلى الجن إذ كانوا سببا لها.

وقال مجاهد أيضا : " فزادوهم " أي : أن الإنس زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ ، حتى قالت الجن : " سدنا الإنس والجن ".

وقال قتادة أيضا ، وأبو العالية والربيع وابن زيد : ازداد الإنس بهذا فرقا وخوفا من الجن.

وقال سعيد بن جبير : كفرا.

ولا يخفى أن الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله شرك وكفر.

وقيل : لا يطلق لفظ الرجال على الجن ، فالمعنى : وأنه كان رجال من الإنس يعرفون من شر الجن برجال من الإنس وكان الرجل من الإنس يقول مثلا : أعوذ بحذيفة بن بدر من جن هذا الوادي.

قال القشيري : وفي هذا تحكم إذ لا يعد إطلاق الرجال على الجن.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٦٣٦

وقوله : " من الإنس " صفة لـ " رجال " وكذلك قوله " من الجن ".

٤١٧

قوله تعالى : {وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا}.

الكلام في " أن لن " كالكلام في الأول ، و " أن " وما في خبرها ، سادة مسد مفعولي الظن والمسألة من باب الإعمال ، لأن " ظنوا " يطلب مفعولين ، و " ظننتم " كذلك ، وهو من أعمال الثاني للحذف من الأول.

والضمير في " أنهم ظنوا " للإنس ، وفي " ظننتم " ، للجن ، ويجوز العكس فصل في الخطاب في الآية هذا من قول الله تعالى للإنس ، أي : وإن الجن ظنوا أن لن يبعث الله الخلق كما ظننتم.

قال الكلبي : ظنت الجن كما ظنت الإنس أن لن يبعث الله رسولا من خلقه يقيم به الحجة عليهم وكل هذا توكيد للحجة على قريش ، أي : إذا آمن هؤلاء الجن بمحمد صلى الله عليه وسلم فأنتم أحق بذلك.

قوله : {وأنا لمسنا السمآء}.

هذا من قول الجن ، أي : طلبنا خبرها كما جرت عادتنا {فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا} ، أي ملئت حفظا يعني : الملائكة.

فاللمس : المس ، فاستعير للطلب ، لأن الماس متقرب ، يقال : لمسه والتمسه ونحوه الجس يقال : جسوه بأعينهم وتجسسوه.

والمعنى : طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها.

قوله : {فوجدناها} ، فيها وجهان : أظهرهما : أنها متعدية لواحد ؛ لأن معناها : أصبنا وصادفنا ، وعلى هذا فالجملة من قوله " ملئت " في موضع نصب على الحال على إضمار " قد ".

و " حرسا " نصب على التمييز نحو " امتلأ الإناء ماء ".

والحرس : اسم جمع لـ " حرس " نحو " خدم " لـ " خادم " و " غيب " لغائب ، ويجمع تكسيرا على " أحراس " ؛ كقول امرىء القيس : [الطويل] ٤٨٩٦ - تجاوزت أحراسا وأهوال معشر

حراص علي لو يسرون مقتلي

جزء : ١٩ رقم الصفحة : ٤٤٠

٤١٨

والحارس : الحافظ الرقيب ، والمصدر الحراسة ، و " شديدا " صفة لـ " حرس " على اللفظ ؛ كقوله :

[الرجز]

٤٨٩٧ - أخشى رجيلا أو ركيبا عاديا

ولو جاء على المعنى لقيل : " شداد " بالجمع ، لأن المعنى : ملئت ملائكة شداد ، كقولك السلف الصالحن يعني : الصالحين.

قال القرطبي : " ويجوز أن يكون حرسا مصدرا على معنى : حرست حراسة شديدة ".

قوله : " وشهبا ".

جمع " شهاب " ك " كتاب وكتب ".

وقيل : المراد النجوم ، أو الحرس أنفسهم ، وهو تانقضاض الكواكب المحرقة لهم عن اشتراقة السمع ، وقد تقدم في سورة " الحجر ، والصافات ".

وإنما عطف بعض الصفات على بعض عند تغاير اللفظ ، كقوله : [الطويل] ٤٨٩٨ - ....

وهند أتى من دونها النأي والبعد

وقرأ الأعرج : " مليت " بياء صريحة دون همزة.

قوله : {وأنا كنا نقع ِد منها مقاعد للسمع} ، المقاعد : جمع " مقعد " اسم مكان ، والضمير في " منها " ، أي : من السماء ، والمقاعد مواضع يقعد في مثلها لاستماع الأخبار من السماء ، وذلك أن مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء فيلقوها إلى الكهنة فحرسها الله - تعالى - حين بعث رسوله بالشهب المحرقة ، فقالت الجن حينئذ : {فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا} يعني بالشهاب الكواكب المحرقة.

قوله " الآن ".

هو ظرف حالي ، واستعير هنا للاستقبال ، كقوله الشاعر : [الوافر] ٤٨٩٩ - ....

سأسعى الآن إذ بلغت إناها

فاقترن بحرف التنفيس ، وقد تقدم هذا في البقرة عند قوله : " فالآن باشروهن ".

٤١٩

و " رصدا " إما مفعول له ، وإما صفة له " شهابا " أي " ذا رصد " وجعل الزمخشري : " الرصد " اسم جمع ك " حرس " ، فقال : والرصد : اسم ج ِع للراصد ك " حرس " على معنى : ذوي شهاب راصدين

بالرجم وهم الملائكة ويجوز أن يكون صفة لـ " شهاب " بمعنى الراصد ، أو كقوله : [الوافر] ٤٩٠٠ –

....

....

ومعى جياعا

." (١)

"قوله تعالى : {كلا بل تكذبون بالدين}.

العامة : على " تكذبون " خطابا ، والحسن وأبو جعفر وشيبة : بياء الغيبة.

قال ابن الخطيب : لما بين بالدلائل العقلية صحة القول بالبعث ، والنشور على الجملة فرع عليها شرح تفاصيل الأحوال المتعلقة بذلك ، وهي أنواع : الأول : أنه – تعالى – زجرهم عن ذلك الاغترار بقوله "كلا " ، و " بل " : حرف وضع في اللغة لنفي شيء قد تقدم تحقيق غيره ، فلا جرم ذكروا في تفسير "كلا " وجوها : الأول : قال القاضي : معناه أنكم لا تستقيمون على توجيه نعمي عليكم ، وإرشادي لكم ، بل تكذبون بيوم الدين.

الثاني : "كلا " ردع ، أي : ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله تعالى ، كأنه قال : وإنهم لا يتعدون عن ذلك ، بل يكذبون بالدين.

الثالث : قال القفال : أي : ليس الأمر كما تقولون من أنه لا بعث ، ولا نشور ؛ لأن ذلك يوجب أن الله – تعالى – خلق الخلق عبثا وحاشاه من ذلك ، ثم كأنه قال : إنهم لا ينتفعون بهذا البيان ، بل يكذبون بالدين.

وقل الفراء : ليس كما غررت به ، والمراد بالدين : الجزاء على الدين والإسلام.

وقيل : المراد من الدين : الحساب ، أي : تكذبون بيوم الحساب.

النوع الثاني : قوله {وإن عليكم لحافظين} : يجوز أن تكون الجملة حالا من فاعل " تكذبون " ، والحالة هذه ، ويجوز أن تكون مستأنفة أخبرهم بذلك لينزجروا والمراد بالحافظين : الرقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم.

"كراما " على الله "كاتبين " يكتبون أقوالكم وأعمالكم.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥٠٦٣

قال ابن الخطيب : والمعنى : التعجب من حالهم ، كأنه – تعالى – قال : إنكم

٢٠٠

تكذبون بيوم الدين وهو يوم الحساب والجزاء ، وملائكة الله – تعالى٠ موكلون بكم ، يكتبون أعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيامة ، ونظيره : قوله تعالى : {عن اليمين وعن الشِّمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق : ١٧ ، ١٨] وقوله تعالى : {وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة} [الأنعام : ٦١].

فصل في الرد على من طعن في حضور الكرام الكاتبين قال ابن الخطيب : من الناس من طعن في حضور الكرام الكاتبين من وجوه : الأول : لو كان الحفظة ، وصحفهم وأقلامهم معنا ، ونحن لا نراهم لجاز أن يكون بحضرتنا جبال ، وأشخاص لا نراهم ، وذلك دخول في الجهالات.

والثاني : هذه الكتابة ، والضبط إن كان لا لفائدة فهو عبث ، وهو غير جائز على الله تعالى ، وإن كان لفائدة ، فلا بد وأن تكون للعبد ؛ لأن الله – سبحانه وتعالى – متعال عن النفع والضر ، وعن تطرق النسيان إليه ، وغاية ذلك أنه حجة على الناس وتشديد عليهم لإقامة الحجة ، ولكن هذا ضعيف ؛ لأن من علم أن الله تعالى لا يجور ، ولا يظلم , لا يحتاج في حقه إلى إثبات هذه الحجة ، والذي لا يعلم لا ينتفع بهذه الحجة ، لاحتمال أنه تعالى أمرهم بذلك ظلما.

الثالث : أن أفعال القلوب غير مرئية ، فهي من باب المغيبات ، والله – تعالى – مختص بعلم الغيب ، فلا تكتبوها ، والآية تقتضي ذلك.

والجواب عن الأول : أن البنية عندنا ليست شرطا في قبول الحياة ؛ ولأن عند سلامة الأعضاء ، وحصول جميع الشرائط لا يجب الإدراك ، فيجوز على الأول : أن يكونوا أجراما لطيفة ، تتمزق ، وتبقى حياتها ذلك ، وعلى الثاني : يجوز أن يكونوا أجراما كثيفة ، ونحن لا نراهم.

وعن الثاني : أن الله – تعالى – أجرى أموره على عباده على ما يتعارفونه في الدنيا فيما بينهم ؛ لأن ذلك أبلغ في تقرير المعنى عندهم في إخراج كتاب ، وشهود في إلزام الحجة ، كما يشهد العدول عند الحاكم على القضاة.

وعن الثالث : أن ذلك مخصوص بأفعال الجوارح ، فهو عام مخصوص ، وفي مدح الحفظة ، ووصفهم بهذه الصفات تعظيم لأمر الجزاء ، وأنه من جلائل الأمور.

فصل في عموم الخطاب هذا الخطاب وإن كان خطاب مشافهة إلا أن الأمة أجمعت على عموم هذا

الحكم في حق المكلفين.

وقوله تعالى : {لحافظين} : جمع يحتمل أن يكونوا حافظين لجميع بني آدم ، من غير أن

٢٠١

(١) ".

"" صفحة رقم ٢٢٥ "

أنهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) فيشهدون فتقول الأمم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد (صلى الله عليه وسلم) فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم)

وذلك قوله تعالى

) فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (النساء ٤١

فإن قلت فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد المجادلة كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد المائدة وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم فإن قلت لم أخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا قلت لأن الغرض في الأول اثبات شهادتهم على الأمم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم

) التي كنت عليها (

ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التى كنت عليها وهي الكعبة لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يصلي بمكة إلى الكعبة ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول إلى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التى يجب ان تستقبلها الجهة التى كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها." (٢)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٥٢٢٢

(٢) تفسير الكشاف ، ٢٢٥/١

"" صفحة رقم ٢٨٩ "

أقول لهم بالشعب اذ ييسرونني

أي يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالميسور

فإن قلت كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي الأزلام والأقلام والفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد

لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤنها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا لثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم

لي في الدنيا سهام

ليس فيهن ربيح

واساميهن وغد

وسفيح ومنيح

للفذ سهم وللتوام سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح

ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله

وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم

وفي حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي (صلى الله عليه وسلم)

١١٨ (إياكم وهاتين اللعبتين المشؤمتين فإنهما من ميسر العجم)

وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله تعالى

) قل فيهما إثم كبير (

) وإثمهما (

وعقاب الاثم في تعاطيهما

) أكبر من نفعهما (

وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما إلى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم." (١)

"" صفحة رقم ٦٢٥ "

كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الأدلة التى النظر فيها موصل إلى المعرفة والرسل في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة ولا عرف انهم رسل الله الا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفضيل أمور الدين وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع فكان إرسالهم إزاحة للعلة وتتميما لإلزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له

وقرا السلمي لكن الله يشهد بالتشديد

فإن قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو قوله

" لاكن الله يشهد "

قلت لما سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله

) إنا أوحينا إليك (

قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل

" لاكن الله يشهد "

ومعنى شهادة الله بما انزل اليه إثباته لصحته بإظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات

وشهادة الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق فإن قلت بم يجاوبون لو قالوا بم يعلم ان الملائكة يشهدون بذلك قلت يجابون بأنه يعلم بشهادة الله لأنه لما علم بإظهار المعجزات أنه شاهد بصحته علم ان الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لأن شهادتهم تبع لشهادته

فإن قلت ما معنى قوله

) أنزله بعلمه (

وما موقعه من الجملة التى قبله قلت معناه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لأنه بيان للشهادة

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٢٨٩/١

وأن شهادته بصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدرة

وقيل انزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله اليك وأنك مبلغه وقيل أنزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه

ويحتمل أنه أنزل وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن

ألا ترى إلى قوله تعالى

) وأحاط بما لديهم (الجن ٨ والإحاطة بمعنى العلم

) وكفى بالله شهيدا (

وإن لم يشهد غيره لأن التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا

" قل اي شيء اكبر شهادة قل الله " الأنعام ١٩." (١)

"" صفحة رقم ٦٧٣ "

على ان (أن) موصولة بالامر كقولك أمرته بأن قم كانه قيل وآتيناه الأنجيل وامرنا بأن يحكم أهل الإنجيل

وقيل إن عيسى عليه السلام كان متعبدا بما في التوراة من الأحكام لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة

وظاهر قوله

) وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه (

يرد ذلك وكذلك قوله

) لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (المائدة ٤٨ وإن ساغ لقائل ان يقول معناه وليحكموا بما أنزل الله فيه من ايجاب العمل بأحكام التوراة

المائدة ٤٨

المائدة : (٤٨) وأنزلنا إليك الكتاب . . . . .

فإن قلت اي فرق بين التعريفين في قوله

) وأنزلنا إليك الكتاب (وقوله

) لما بين يديه من الكتاب (

---

(١) تفسير الكشاف .، ١/٦٢٥

قلت الأول تعريف العهد لأنه عني به القرآن والثاني تعريف الجنس لأنه عنى به جنس الكتب المنزلة ويجوز ان يقال هو للعهد لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق وإنما أريد نوع معلوم منه وه, ما انزل من السماء سوى القرآن

) ومهيمنا (

ورقيبا على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات

وقرىء (مهيمنا عليه) بفتح الميم اي هومن عليه بان حفظ من التغيير والتبديل كما قال

) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (فصلت ٤٢ والذي هيمن الله عليه عز وجل أو الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد ولا شمأزوا رادين ومنكرين ضمن

) ولا تتبع (

معنى ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم

) لكل جعلنا منكم (

أيها الناس

) شرعة (

شريعة

وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين

) ومنهاجا (

وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه

وقيل هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا

) لجعلكم أمة واحدة (

جماعة متفقة على شريعة واحدة أو ذوي أمة واحدة أي دين واحد لا اختلاف فيه

) ولكن (

اراد

" ليبلوكم في ما ءاتكم "

من الشرائع المختلفة هل تعلمون بها مذعنين معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة أم تتبعون الشبه وتفرطون في العمل

) فاستبقوا الخيرات (

فابتدروها وتسابقوا نحوها

) إلى الله مرجعكم (

استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات

) فينبئكم (فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل." (١)

"" صفحة رقم ٧٢٨ "

رقيبا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتدينوا به

) فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم (

تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الأدلة وانزلت عليهم من البينات وأرسلت اليهم من الرسل

) إن تعذبهم فإنهم عبادك (

الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك

) وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز (

القوي القادر على الثواب والعقاب

) الحكيم (

الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب

فإن قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال (وإن تغفر لهم) قلت ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان غفرت فقال ان عذبتهم عدلت لأنهم أحقاء بالعذاب وإن غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان الجرم أعظم جرما كان العفو عنه احسن

المائدة ١١٩

المائدة : (١١٩) قال الله هذا . . . ." (٢)

---

(١) تفسير الكشاف ، ١/٦٧٣

(٢) تفسير الكشاف ، ١/٧٢٨

" " صفحة رقم ٣٢ "

أنه كان يكتب عن الأصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم ، حتى قال فيه : أنت شبيه الحفظة ، تكتب لغط اللفظة : فقال أبو حاتم : وهذا أيضا مما يكتب . فإن قلت : الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة ، فما فائدتها ؟ قلت : فيها لطف للعباد ، لأنهم إذا علموا أن الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الأشهاد في مواقف القيامة ، كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد عن السوء) توفته رسلنا (أي استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه . وعن مجاهد : جعلت الأرض له مثل الطست يتناول من يتناوله . وما من أهل بيت إلا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين . وقرىء : (توفاه) ، ويجوز أن يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه . و) يفرطون (بالتشديد والتخفيف ، فالتفريط التواني والتأخير عن الحد ، والإفراط مجاوزة الحد أي لا ينقصون مما أمروا به أو لا يزيدون فيه) ثم ردوا إلى الله (أي إلى حكمه وجزائه) مولاهم (مالكهم الذي يلي عليهم أمورهم) الحق (العدل الذي لا يحكم إلا بالحق) ألا له الحكم (يومئذ لا حكم فيه لغيره) وهو أسرع الحاسبين (لا يشغله حساب عن حساب . وقرىء : (الحق) بالنصب على المدح كقولك : الحمد لله الحق .

) قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هاذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون (٧)

الأنعام : (٦٣ - ٦٤) قل من ينجيكم . . . . .

) ظلمات البر والبحر (مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما . يقال لليوم الشديد : يوم مظلم ، ويوم ذو كواكب . أي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ؛ ويجوز أن يراد . ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم ، فإذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتها) لئن أنجيتنا (على إرادة القول) من هاذه (من هذه الظلمة الشديدة . وقرىء :) ينجيكم (بالتشديد والتخيف ، وأنجانا ، وخفية ، بالضم والكسر .

) قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الا يات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون (٧)

الأنعام : (٦٥ - ٦٧) قل هو القادر . . . . .

) هو القادر (هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة) عذابا من فوقكم (كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة ، وأرسل على قوم نوح الطوفان) أو من تحت أرجلكم (كما أغرق فرعون وخسف بقارون ، وقيل من فوقكم : من قبل أكابركم." (١)

"" صفحة رقم ٥١ "

من ثلاثة أوجه ، أحدها : أن مبتدع السماوات والأرض وهي أجسام عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة لأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا . والثاني : أن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس ، فلم يصح أن تكون له صاحبة ، فلم تصح الولادة . والثالث : أنه ما من شيء إلا وهو خالقه والعالم به ، ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء ، والولد إنما يطلبه المحتاج . وقرىء : (ولم يكن له صاحبة) بالياء وإنما جاز للفصل كقوله لقد ولد الأخيطل أم سوء .

) ذالكم الله ربكم لا إلاه إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل (٧)

الأنعام : (١٠٢) ذلكم الله ربكم . . . . .

) ذالكم (إشارة إلى الموصوف مما تقدم من الصفات ، وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهي) الله ربكم لا إلاه إلا هو خالق كل شيء (أي ذلكم الجامع لهذه الصفات) فاعبدوه (مسبب عن مضمون الجملة على معنى : أن من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه . ثم قال :) وهو على كل شيء وكيل (يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال ، رقيب على الأعمال .

) لا تدركه الا بصار وهو يدرك الا بصار وهو اللطيف الخبير (

الأنعام : (١٠٣) لا تدركه الأبصار . . . . .

البصر : هو الجهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر ، به تدرك المبصرات ،." (٢)

"" صفحة رقم ٣١٤ "

يخرج أمر من الأمور من قضائه وتقديره ، وكذلك قوله :) ما من شفيع إلا من بعد إذنه (دليل على العزة

---

(١) تفسير الكشاف ، ٣٢/٢

(٢) تفسير الكشاف ، ٥١/٢

والكبرياء ، كقوله :) يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمان ((النبأ : ٣٨) و) ذالكم (إشارة إلى المعلوم بتلك العظمة ، أي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم ، وهو الذي يستحق منكم العبادة) فاعبدوه (وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو إنسان ، فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع) أفلا تذكرون (فإن أدنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما أنتم عليه) إليه مرجعكم جميعا (أي لا ترجعون في العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه) وعد الله (مصدر مؤكد لقوله :) إليه مرجعكم (و) حقا (مصدر مؤكد لقوله :) وعد الله (.) أنه الله الخلق ثم يعيده (استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه ، وهو أن الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم . وقرىء : (أنه يبدؤ الخلق) بمعنى لأنه . أو هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله : أي وعد الله وعدا بدأ الخلق ثم إعادته . والمعنى : إعادة الخلق بعد بدئه . وقرىء : (وعد الله) ، على لفظ الفعل . ويبدىء ، من أبدأ . ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقا ، أي حق حقا بدأ الحلق ، كقوله :

أحقا عباد الله أن لست جائيا

ولا ذاهبا إلا علي رقيب

وقرىء : (حق أنه يبدؤ الخلق) كقولك : حق أن زيدا منطلق) بالقسط (بالعدل ، وهو متعلق بيجزى . والمعنى : ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم . أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحا ، لأن الشرك ظلم . قال الله تعالى :) إن الشرك لظلم عظيم ((لقمان : ١٣) والعصاة : ظلام أنفسهم ، وهذا أوجه ، لمقابلة قوله :) بما كانوا يكفرون (.

) هو الذى جعل الشمس ضيآء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنيِن والحساب ما خلق الله ذالك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون (

يونس : (٥) هو الذي جعل . . . . .

الياء في) ضياء (منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها . وقرىء : (ضئاء) بهمزتين بينهما ألف على القلب ، بتقديم اللام على العين ، كما قيل في عاق : عقا . والضياء أقوى من النور) وقدره (وقدر القمر . والمعنى وقدر مسيره) منازل (أو قدره ذا منازل ، كقوله تعالى :) والقمر قدرناه منازل ((يس : ٣٩) .

) والحساب (وحساب الأوقات من الشهور والأيام والليالي) ذالك (إشارة إلى المذكور أي ما خلقه إلا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا . وقرىء : (يفصل) ، بالياء .." (١)

"" صفحة رقم ٣٨٣ "

الحق والعدل في ملكه ، لا يفوته ظالم ، ولا يضيع عنده معتصم به) فإن تولوا (فإن تتولوا . فإن قلت : الإبلاغ كان قبل التولي ، فكيف وقع جزاء للشرط قلت : معناه فإن تتولوا لم أعاتب على تفريط في الإبلاغ ، وكنتم محجوجين بأن ما أرسلت به إليكم قد بلغكم فأبيتم إلا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول) ويستخلف (كلام مستأنف ، يريد : ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم) ولا تضرونه (بتوليكم) شيئا (من ضرر قط ، لأنه لا يجوز عليه المضار والمنافع ، وإنما تضرون أنفسكم . وفي قراءة عبد الله) ويستخلف (بالجزم وكذلك : ولا تضروه ، عطفا على محل) فقد أبلغتكم (والمعنى : إن تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا إلا أنفسكم) على كل شيء حفيظ (أي رقيب عليه مهيمن ، فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم . أو من كان رقيبا على الأشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة إلى حفظه من المضار ، لم يضر مثله مثلكم .

) ولما جآء أمرنا نجينا هودا والذين ءامنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ (

هود : (٥٨) ولما جاء أمرنا . . . . .

) والذين ءامنوا معه (قيل : كانوا أربعة آلاف . فإن قلت : ما معنى تكرير التنجية ؟ قلت : ذكر أولا أنه حين أهلك عدوهم نجاهم ثم قال :) ونجيناهم من عذاب غليظ (على معنى : وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ ، وذلك أن الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضوا عضوا . وقيل : أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ، ولا عذاب أغلظ منه وأشد . وقوله : برحمة منا ، يريد : بسبب الإيمان الذي أنعمنا عليهم بالتوفيق له .

) وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا فى هاذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود (

هود : (٥٩ - ٦٠) وتلك عاد جحدوا . . . . .

) وتلك عاد (إشارة إلى قبورهم وآثارهم ، كأنه قال : سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا ، ثم استأنف

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٢/٣١٤

وصف أحوالهم فقال :) جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله (لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله ،) لا نفرق بين أحد من رسله ((البقرة : ٢٨٥) قيل لم يرسل إليهم إلا هود وحده) كل جبار عنيد (يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل . ومعنى اتباع أمرهم : طاعتهم . ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله . و) ألا (وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم ، تهويل لأمرهم وتفظيع له ، وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم . فإن قلت :) بعدا (دعاء بالهلاك ، فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم ؟ قلت : معناه الدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له : ألا ترى إلى قوله :." (١)

"" صفحة رقم ٣٩٨ "

جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

ومنه قوله تعالى :) لا يجرمنكم منكم شقاقى أن يصيبكم (أي لا يكسبنكم شقاقي إصابة العذاب . وقرأ ابن كثير بضم الياء ، من أجرمته ذنبا ، إذا جعلته جارما له ، أي كاسبا ، وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد ، كما نقل : أكسبه المال ، من كسب المال . وكما لا فرق بين كسبته ما لا وأكسبته إياه ، فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه . والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما . إلا أن المشهورة أفصح لفظا ، كما إن كسبته ما لا أفصح من أكسبته . والمراد بالفصاحة : أنه على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور ، وهم له أكثر استعمالا . وقرأ أبو حيوة ، ورويت عن نافع :) مثل ما أصاب (، بالفتح لإضافته إلى غير متمكن ، كقوله :

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت

) وما قوم لوط منكم ببعيد (يعني أنهم أهلكوا في عهد قريب من عهدكم ، فهم أقرب الهالكين منكم . أو لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك . فإن قلت : ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه أو معناه قلت : إما أن يراد : وما إهلاكهم ببعيد ، أو ما هم بشيء بعيد أو بزمان أو مكان بعيد . ويجوز أن يسوي في قريب وبعيد ، وقليل وكثير ، بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما) رحيم ودود (عظيم الرحمة للتائبين ، فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده ، من الإحسان والإجمال .

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٣٨٣/٢

) قالوا ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك ومآ أنت علينا بعزيز قال ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه ورآءكم ظهريا إن ربى بما تعملون محيط وياقوم اعملوا على مكانتكم إنى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إنى معكم **رقيب** ولما جآء أمرنا نجينا شعيبا والذين ءامنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيهآ ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود (٧)

هود : (٩١) قالوا يا شعيب . . . ." (١)

"" صفحة رقم ٤٠٠ "

كأنه قيل : سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه ، وأينا هو كاذب ، وأن تكون موصولة قد عمل فيها ، كأنه قيل : سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب . فإن قلت : أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في) سوف تعلمون (؟ قلت : إدخال الفاء : وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ، ونزعها : وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر ، كأنهم قالوا : فماذا يكون إن عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال : سوف تعلمون ، فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف ، للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب ، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف ، وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه) وارتقبوا (وانتظروا العاقبة وما أقول لكم) إنى معكم **رقيب** (أي منتظر . **والرقيب** بمعنى الراقب ، من رقبه ، كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم . أو بمعنى المراقب ، كالعشير والنديم ، أو بمعنى المرتقب ، كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع . فإن قلت : قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ، ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم ، فكان القياس أن يقول : من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق . حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه إلى الجاحدين ، ومن هو صادق إلى النبي المبعوث إليهم ، قلت : القياس ما ذكرت ، ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال :) ومن هو كاذب (يعني في زعمكم ودعواكم ، تجهيلا لهم . فإن قلت : ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو ، والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد ، وذلك قوله :." (٢)

---

(١) تفسير الكشاف ، ٢/٣٩٨

(٢) تفسير الكشاف ، ٢/٤٠٠

"" صفحة رقم ٤١٢ "

الجودة والفضل . ويقال : فلان من بقية القوم ، أي من خيارهم . وبه فسر بيت الحماسة :

إن تذنبوا ثم يأتيني بقيتكم

ومنه قولهم : في الزوايا خبايا ، وفي الرجال بقايا . ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى ، كالتقية بمعنى التقوى ، أي : فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه ، وقرىء : (أولو بقية) ، بوزن لقية ، من بقاه يبقيه إذا راقبه وانتظره ومنه :

(٥٣٦) (بقينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)) والبقية المرة من مصدره . والمعنى : فلو كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله ، كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم لإشفاقهم) إلا قليلا (استثناء منقطع ، معناه : ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد ، وسائرهم تاركون للنهي . و) من (في) ممن أنجينا (حقها أن تكون للبيان لا للتبعيض ؛ لأن النجاة إنما هي للناهين وحدهم ، بدليل قوله تعالى :) أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا ((الأعراف : ١٦٥) . فإن قلت : هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه ؟ قلت : إن جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام ، كان المعنى فاسدا ؛ لأنه يكون تخصيصا لأولى البقية على النهي عن الفساد ، إلا للقليل من الناجين منهم كما تقول : هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم ، تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وإن قلت : في تحضيضهم على النهي على الفساد معنى نفيه عنهم ، فكأنه قيل : ماكان من القرون أولو بقية إلا قليلا ، كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا ، وكان انتصابه على أصل الاستثناء ، وإن كان الأفصح أن يرفع على البدل) واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه (أراد بالذين ظلموا : تاركي النهي عن المنكرات ، أي : لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين ، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعقدوا هممهم بالشهوات ، واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف ، من حب الرياسة والثروة ، وطلب أسباب العيش الهنيء . ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم . وقرأ أبو عمرو في رواية الجعفي ، (واتبع الذين ظلموا) ، يعني : واتبعوا جزاء ما أترفوا فيه . ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة : أنهم اتبعوا جزاء إترافهم . وهذا معنى قوي لتقدم الإنجاء ، كأنه قيل : إلا قليلا ممن أنجينا منهم وهلك." (١)

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٤١٢/٢

"" صفحة رقم ٤٥٩ "

أسعى ، وينبغي لي أن لا أقصر . ويجوز أن يراد : ما نبغي وما ننطق إلا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع أخينا ، ثم قالوا : هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا ونفعل ونصنع . بيانا لأنهم لا يبغون في رأيهم وأنهم مصيبون فيه ، وهو وجه حسن واضح) ذالك كيل يسير (أي ذلك مكيل قليل لا يكفينا ، يعنون : ما يكال لهم . فأرادوا أن يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم . أو يكون ذلك إشارة إلى كيل بعير ، أي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا إليه الملك ولا يضايقنا فيه ، أو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه . ويجوز أن يكون من كلام يعقوب ، وأن حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد ، كقوله) ذالك ليعلم ((يوسف : ٥٢) .

) قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به إلا أن يحاط بكم فلمآ ءاتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل (

يوسف : (٦٦) قال لن أرسله . . . . .

) لن أرسله معكم (مناف لحالي وقد رأيت منكم ما رأيت إرساله معكم) حتى تؤتون موثقا من الله (حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله ، أراد أن يحلفو له بالله : وإنما جعل الحلف بالله موثقا منه لأن الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد . وقد أذن الله في ذلك فهو إذن منه) لتأتننى به (جواب اليمين ؛ لأن المعنى : حتى تحلفوا لتأتنني به) إلا أن يحاط بكم (إلا أن تغلبوا فلم تطيقوا الإتيان به . أو إلا أن تهلكوا . فإن قلت : أخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه إشكال ؟ قلت :) أن يحاط بكم (مفعول له ، والكلام المثبت الذي هو قوله) لتأتننى به (في تأويل النفي . معناه : لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم ، أي : لا تمتنعون منه لعلة من العلل إلا لعلة واحدة : وهي أن يحاط بكم ، فهو استثناء من أعم العام في المفعول له ، والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا في النفي وحده ، فلا بد من تأويله بالنفي . ونظيره من الإثبات المتأول بمعنى النفي قولهم : أقسمت بالله لما فعلت وإلا فعلت ، تريد : ما أطلب منك إلا الفعل) على ما نقول (من طلب الموثق وإعطائه) وكيل (رقيب مطلع .." (١)

"" صفحة رقم ٥٠٠ "

) أفمن هو قآئم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركآء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم فى الا رض

---

(١) تفسير الكشاف ، ٢/٤٥٩

أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب فى الحيواة الدنيا ولعذاب الا خرة أشق وما لهم من الله من واق (
الرعد : (٣٣) أفمن هو قائم . . . . .
) أفمن هو قائم (احتجاج عليهم في إشراكهم بالله ، يعني أفا الله الذي هو قائم رقيب) على كل نفس (صالحة أو طالحة) بما كسبت (يعلم خيره وشره ، ويعد لكل جزاءه ، كمن ليس كذلك . ويجوز أن يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا ، وتمثيله : أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه) وجعلوا (له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده) شركاء قل سموهم (أي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه بأسمائهم ، ثم قال :) أم (على أم المنقطعة ، كقولك للرجل : قل لي من زيد أم هو أقل من أن يعرف ، ومعناه : بل أتنبؤونه بشركاء لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات والأرض ، فإذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم ، والمراد نفي أن يكون له شركاء . ونحو :) قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السماوات ولا فى الارض ((يونس : ١٨) ،) أم بظاهر من القول (بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقولك ،) ذالك قولهم بأفواههم ((التوبة : ٣٠) ،) ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها ((يوسف : ٤٠) وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق : أنه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه ، فتبارك الله أحسن الخالقين . وقرىء : (أتنبئونه) بالتخفيف) مكرهم (كيدهم للإسلام بشركهم) وصدوا (قرىء بالحركات الثلاث . وقرأ ابن أبي إسحاق : (وصد) بالتنوين) ومن يضلل الله (ومن يخذله لعلمه أنه لا يهتدي) فما له من هاد (فما له من أحد يقدر على هدايته) لهم عذاب فى الحيواة الدنيا (وهو ما ينالهم من القتل والأسر وسائر المحن ، ولا يلحقهم إلا عقوبة لهم على الكفر ، ولذلك سماه عذابا) وما لهم من الله من واق (وما لهم من حافظ من عذابه . أو ما لهم من جهته واق من رحمته .." (١)
"" صفحة رقم ٥٢٨ "
تكونن من المشركين ((الأنعام : ١٤) ،) ولا تدع مع الله إلاها ءاخر ((الشعراء : ٢١٣) ، كما جاء في الأمر) خبيرا يأيها الذين ءامنوا ءامنوا بالله ورسوله ((النساء : ١٣٦) والثاني : أن المراد بالنهي عن حسبانه غافلا ، الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون ، لا يخفى عليه منه شيء ، وأنه معاقبهم على قليله

---

(١) تفسير الكشاف ، ٢/٥٠٠

وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله :) والله بما تعملون عليم ((البقرة : ٢٨٣) يريد الوعيد . ويجوز أن يراد : ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ، ولكن معاملة الرقيب عليهم ، المحاسب على النقير والقطمير ، وإن كان خطابا لغيره ممن يجوز أن يحسبه غافلا ، لجهله بصفاته ، فلا سؤال فيه ، وعن ابن عيينة : تسلية للمظلوم وتهديد للظالم ، فقيل له من قال هذا ؟ فغضب وقال : إنما قاله من علمه وقرىء : (يؤخرهم) بالنون والياء) تشخص فيه الابصار (أي أبصارهم لا تقر في أماكنها من هول ما ترى) مهطعين (مسرعين إلى الداعي . وقيل : الإهطاع أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر إليه لا تطرف) مقنعي رؤوسهم (رافعيها) لا يرتد إليهم طرفهم (لا يرجع إليهم أن يطرفوا بعيونهم ، أي : لا يطرفون ، ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للأجفان . أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم . الهواء : الخلاء الذي لم تشغله الأجرام ، فوصف به فقيل : قلب فلان هواء إذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة . ويقال للأحمق أيضا : قلبه هواء . قال زهير : من الظلمان جؤجؤه هواء ؛

لأن النعام مثل في الجبن والحمق . وقال حسان :

فأنت مجوف نخب هواء ؛

وعن ابن جريج) أفئدتهم هواء (صفر من الخير خاوية منه ، وقال أبو عبيدة : جوف لا عقول لهم .

) وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنآ أخرنآ إلى أجل قريب نجب دعوتك." (١)

"" صفحة رقم ٥٨٨ "

النوافل . والفواحش : ما جاوز حدود الله) والمنكر (ما تنكره العقول) والبغى (طلب التطاول بالظلم ، وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعنين على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، أقيمت هذه الآية مقامها . ولعمري إنها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ، ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا ، إجابة لدعوة نبيه :

(٥٩٣) (وعاد من عاداه) وكانت سبب إسلام عثمان بن مظعون .

) وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الا يمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون (

---

(١) تفسير الكشاف ، ٢/٥٢٨

النحل : (٩١) وأوفوا بعهد الله . . . . .

عهد الله : هي البيعة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) على الإسلام) إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ((الفتح : ١٠) .) ولا تنقضوا (إيمان البيعة) بعد توكيدها (أي بعد توثيقها باسم الله . وأكد ووكد : لغتان فصيحتان ، والأصل الواو ، والهمزة بدل) كفيلا (شاهدا ورقيبا ؛ لأن الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه) ولا تكونوا (في نقض الأيمان كالمرأة التي أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته) أنكاثا (جمع نكث وهو ما ينكث." (١)

"" صفحة رقم ٤١ "

لاقيت مطلع الجبال وعورا ؛

ويقولون : مر مطلعا لذلك الأمر ، أي عاليا له مالكا له ، ولاختيار هذه الكلمة شأن ، يقول : أو قد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار . والمعنى : أن ما ادعى أن يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل إليه إلا بأحد هذين الطريقين : إما علم الغيب ، وإما عهد من عالم الغيب ، فبأيهما توصل إلى ذلك ؟ قرأ حمزة والكسائي : (ولدا) وهو جمع ولد ، كأسد في أسد . أو بمعنى الولد كالعرب في العرب . وعن يحيى بن يعمر : (ولدا) بالكسر وقيل في العهد : كلمة الشهادة . وعن قتادة : هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول ؟ وعن الكلبي : هل عهد الله إليه أنه يؤتيه ذلك ؟ عن الحسن رحمه الله : نزلت في الوليد بن المغيرة ، والمشهور أنها في العاصي بن وائل . قال خباب بن الأرت :

(٦٧٤) كان لي عليه دين فاقتضيته ، فقال : لا والله حتى تكفر بمحمد . قلت : لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث . قال : فإني إذا مت بعثت ؟ قلت : نعم . قال : إذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فأعطيك وقيل :

(٦٧٥) (صاغ له خباب حليا فاقتضاه الأجر ، فقال : إنكم تزعمون أنكم تبعثون ، وأن في الجنة ذهبا وفضة وحريرا ، فأنا أقضيك ثم فإني أوتى مالا وولدا حينئذ) كلا (ردع وتنبيه على الخطأ أي : هو مخطيء فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه . فإن قلت : كيف قيل :) سنكتب (بسين التسويف ، وهو كما قاله كتب من غير تأخير ، قال الله تعالى :) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (؟ قلت : فيه وجهان

---

(١) تفسير الكشاف ، ٢/٥٨٨

، أحدهما : سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله ، على طريقة قوله :
إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ؛." (١)
"" صفحة رقم ٥٦٢ "
أعينهن ، على البناء للمفعول) وكان الله عليما (بذات الصدور) حليما (لا يعاجل بالعقاب ، فهو حقيق بأن يتقي ويحذر ،) كلهن (تأكيد لنون يرضين ، وقرأ ابن مسعود : (ويرضين كلهن ، بما آتيتهن) ، على التقديم . وقرأ : (كلهن) ، تأكيد ل (هن) في) ءاتيتهن (.
) لا يحل لك النسآء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (
الأحزاب : (٥٢) لا يحل لك . . . . . .
) لا يحل (وقرىء التذكير ، لأن تأنيث الجمع غير حقيقي ، وإذا جاز بغير فصل في قوله تعالى :) وقال نسوة ((يوسف : ٣٠) كان مع الفضل أجوز) من بعد (من بعد التسع ، لأن التسع نصاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الأزواج ، كما أن الأربع نصاب أمته منهن ، فلا يحل له أن يتجاوز النصاب) ولا أن تبدل بهن (ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن ، أراد التسع لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين . فقصر النبي (صلى الله عليه وسلم) عليهن ، وهي التسع اللاتي مات عنهن : عائشة بنت أبي بكر ، حفصة بنت عمر ، أم حبيبة بنت أبي سفيان ، سودة بنت زمعة ، أم سلمة بنت أبي أمية ، صفية بنت حيي الخيبرية ، ميمونة بنت الحرث الهلالية ، زينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحرث المصطلقية ، رضي الله عنهن . من في) من أزواج (لتأكيد النفي ، وفائدته استغراق جنس الأزواج بالتحريم . وقيل معناه : لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص إحلالهن لك من الأجناس الأربعة من الأعرابيات والغرائب ، أو من الكتابيات ، أو من الإماء بالنكاح ، وقيل في تحريم التبدل : هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل : بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي ، فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه . ويحكى :
(٩٠١) أن عيينة بن حصن دخل على النبي (صلى الله عليه وسلم) وعنده عائشة من غير استئذان ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (يا عيينة ، أين الاستئذان) ؟ قال : يا رسول الله ، ما استأذنت

(١) تفسير الكشاف . ، ٤١/٣

على رجل قط ممن مضى مند أدركت ، ثم قال : من هذه الجميلة إلى جنبك ؟ فقال (صلى الله عليه وسلم) : (هذه." (١)

"" صفحة رقم ٥٦٣ "

عائشة أم المؤمنين) . قال عيينة : أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق ؟ فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إن الله قد حرم ذلك) ، فلما خرج قالت عائشة رضي الله عنها : من هذا يا رسول الله ؟ قال : (أحمق مطاع ، وإنه على ما ترين لسيد قومه) . وعن عائشة رضي الله عنها :

(٩٠٢) ما مات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى أحل له النساء ، يعني : أن الآية قد نسخت . ولا يخلو نسخها إما أن يكون بالسنة ، وإما بقوله تعالى :) إنا أحللنا لك أزواجك (وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف) ولو أعجبك (في موضع الحال من الفاعل ، وهو الضمير في) تبدل (لا من المفعول الذي هو) من أزواج (لأنه موغل في التنكير ، وتقديره : مفروضا إعجابك بهن . وقيل ؛ هي أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب ، والمراد أنها ممن أعجبه حسنهن ، واستثنى ممن حرم عليه : الإماء) رقيبا (حافظا مهيمنا ، وهو تحذير عن مجاوزة حدوده ونخطى حلاله إلى حرامه .

) يأأيها الذين ءامنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحى من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من ورآء حجاب ذالكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذالكم كان عند الله عظيما (

الأحزاب : (٥٣) يا أيها الذين . . . . .

) أن يؤذن لكم (في معنى الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم . و) غير ناظرين (حال من) لا تدخلوا (وقع الاستثناء على الوقت والحال معا . كأنه قيل : لا تدخلوا بيوت النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا وقت الإذن ، ولا تدخلوها إلا غير ناظرين ، وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ، فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه . ومعناه : لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام ، إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه ، وإلا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا ، لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا أن يؤذن له إذنا خاصا ، وهو الإذن إلى الطعام فحسب . وعن ابن أبي عبلة أنه قرأ : غير ناظرين ، مجرورا

---

(١) تفسير الكشاف ، ٥٦٢/٣

صفة لطعام ، وليس بالوجه ، لأنه جرى على غير ما هو له ، فمن حق ضمير ما هو له أن يبرز إلى اللفظ ، فيقال : غير ناظرين إناه أنتم ، كقولك : هند زيد ضاربته هي ، وإني الطعام : إدراكه .." (١)

"" صفحة رقم ٢٠١ "

الجوارح . وقيل : هي كناية عن الفروج ، أراد بكل شيء : كل شيء ، من الحيوان ، كما أراد به في قوله تعالى :) والله على كل شيء قدير ((البقرة : ٢٨٤) كل شيء من المقدورات ، والمعنى : أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان ، وعلى خلقكم وإنشائكم اول مرة ، وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه إنما قالوا لهم :) لم شهدتم علينا (لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم .

) وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولاكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين (

فصلت : (٢٢) وما كنتم تستترون . . . . .

والمعنى : أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش ، وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم ؛ لأنكم كنتم غير عاملين بشهادتها عليكم ، بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا ، ولكنكم إنما استترتم لظنكم) أن الله لا يعلم كثيرا مما (كنتم) تعملون (وهو الخفيات من أعمالكم ، وذلك الظن هو الذي أهلككم . وفي هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ، ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا ، حتى يكون في أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ ، ولا يتبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين . وقرىء : (ولكن زعمتم)) وذلكم (رفع بالابتداء ، و) ظنكم (و) أرداكم (خبران ، ويجوز أن يكون) ظنكم (بدلا من) وذلكم (و) أرادكم (الخبر .

) فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين وقيضنا لهم قرنآء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين (

فصلت : (٢٤) فإن يصبروا فالنار . . . . .

) فإن يصبروا (لم ينفعهم الصبر ، ولم ينفكوا به من الثواء في النار ،) وإن يستعتبوا (وإن يسألوا العتبى

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٥٦٣/٣

وهي الرجوع لهم إلى ما يحبون جزعا مما هم فيه : لم يعتبوا : لم يعطوا العتبى ولم يجابوا إليها ، ونحوه قوله عز وعلا :) أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ((إبراهيم : ٢١) وقرىء : (وإن يستعتبوا) فما هم من المعتبين) أي : إن." (١)

"" صفحة رقم ٢١٥ "

على نجاة الخلق ، وطمعا في توبة الكفار والفساق منهم .

) والذين اتخذوا من دونه أوليآء الله حفيظ عليهم ومآ أنت عليهم بوكيل (

الشورى : (٦) والذين اتخذوا من . . . . .

) والذين اتخذوا من دونه أولياء (جعلوا له شركاء وأندادا) الله حفيظ عليهم (رقيب عليهم إلا هو وحده) وما أنت (يا محمد بموكل بهم ولا مفوض إليك أمرهم ولا قسرهم على الإيمان . إنما أنت منذر فحسب .

) وكذلك أوحينآ إليك قرءانا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير (

الشورى : (٧) وكذلك أوحينا إليك . . . . .

ومثل ذلك) أوحينا إليك (وذلك إشارة إلى معنى الآية قبلها : من أن الله تعالى هو الرقيب عليهم ، وما أنت برقيب عليهم ، ولكن نذير لهم ؛ لأن هذا المعنى كره الله في كتابه في مواضع جمة ، والكاف مفعول به لأوحينا . و) قرءانا عربيا (حال مِن المفعول به ، أي أوحيناه إليك وهو قرآن عربي بين ، لا لبس فيه عليك ، لتفهم ما يقال لك ، ولا تتجاوز حد الإنذار . ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا ، أي : ومثل ذلك الإيحاء البين المفهم أوحينا إليك قرآنا عربيا بلسانك) لتنذر (يقال : أنذرته كذا وأنذرته بكذا . وقد عدى الأول ، أعني : لتنذر أم القرى ، إلى المفعول الأول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع إلى المفعول الثاني أم القرى (أهل أم القرى كقوله تعالى :) (أهل أم القرى كقوله تعالى :) واسئل القرية ((يوسف : ٨٢) .) ومن حولها (من العرب . وقرىء (لينذر) بالياء والفعل للقرآن) يوم الجمع (يوم القيامة ، لأن الخلائق تجمع فيه . قال الله تعالى :) يوم يجمعكم ليوم الجمع ((التغابن : ٩) وقيل : يجمع بين الأرواح والأجساد . وقيل : يجمع بين كل عامل وعمله . و) لا ريب فيه (اعتراض لا محل له

---

(١) تفسير الكشاف ، ٤/٢٠١

. قرىء (فريق) وفريق ؛ بالرفع والنصب ، فالرفع على : منهم فريق ، ومنهم فريق . والضمير للمجموعين ؛ لأن المعنى : يوم جمع الخلائق . والنصب على الحال منهم ، أي : متفرقين ، كقوله تعالى :) ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ((الروم : ١٤) . فإن قلت : كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة ؟ قلت : هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم ، كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين . وإن أريد بالجمع : جمعهم في الموقف ، فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق .." (١)

"" صفحة رقم ٣٥٣ "

(١٠٥٦) أن أناسا ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة فنزلت ، وأمرهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يعيدوا ذبحا آخر . وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله ، إلا أن تزول الشمس . وعند الشافعي : يجوز الذبح إذا مضى من الوقت مقدار الصلاة . وعن الحسن أيضا : لما استقر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة أتته الوفود من الآفاق فأكثروا عليه بالمسائل ، فنهوا أن يبتدؤه بالمسألة حتى يكون هو المبتديء وعن قتادة : ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون : لو أنزل فيه كذا لكان كذا ، فكره الله ذلك منهم وأنزلها . وقيل : هي عامة في كل قول وفعل ؛ ويدخل فيه أنه إذا جرت مسألة في مجلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يسبقوه بالجواب ، وأن لا يمشي بين يديه إلا لحاجة ، وأن يستأني في الافتتاح بالطعام) واتقوا (فإنكم إن اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهى عنها وعن جميع ما تقتضي مراقبة الله تجنبه ، فإن التقي حذر لا يشافه أمرا إلا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في أن لا تبعة عليه فيه ، وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل : لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار . فتنهاه أولا عن عين ما قارفه ، ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه أمرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها) إن الله سميع (لما تقولون) عليم (بما تعملون ، وحق مثله أن يتقى ويراقب .

) يأيها الذين ءامنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون (

الحجرات : (٢) يا أيها الذين . . . . .

إعادة النداء عليهم : استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد ، وتطرية الإنصات لكل حكم نازل ، وتحريك منهم لئلا يفترقوا ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله (صلى

---

(١) تفسير الكشاف ، ٤/٢١٥

الله عليه وسلم) من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم . وذلك لأن في إعظام صاحب الشرع إعظام ما ورد به ، ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه أن يألو عملا بما يحدوه عليه . وارتداعا عما يصده عنه ،." (١)

"" صفحة رقم ٣٨٧ "

؛

) ونحن أقرب إليه (مجاز ، والمراد : قرب علمه منه ، وأنه يتعلق بمعلومه منه ومن أحواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته ، فكأن ذاته قريبة منه ، كما يقال : الله في كل مكان ، وقد جل عن الأمكنة . وحبل الوريد : مثل في فرط القرب ، كقولهم : هو مني مقعد القابلة ومعقد الإزار . وقال ذو الرمة : والموت أدنى لي من الوريد ؛

والحبل : العرق ، شبه بواحد الحبال ، ألا ترى إلى قوله :

كأن وريديه رشاءا خلب ؛

والوريدان : عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمهما متصلان بالوتين ، يردان من الرأس إليه . وقيل : سمي وريدا لأن الروح ترده . فإن قلت : ما وجه إضافة الحبل إلى الوريد ، والشيء لا يضاف إلى نفسه ؟ قلت : فيه وجهان ، أحدهما : أن تكون الإضافة للبيان ، كقولهم : بعير سانية . والثاني : أن يراد حبل العاتق فيضاف إلى الوريد ، كما يضاف إلى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد) كما لو قيل : حبل العلياء مثلا .

) إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (

ق : (١٧) إذ يتلقى المتلقيان . . . . .

) إذ (منصوب بأقرب ، وساغ ذلك لأن المعاني تعمل في الظرف متقدمة ومتأخرة ، والمعنى : أنه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس وما لا شيء أخفى منه ، وهو أقرب من الإنسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ، إيذانا بأن استحفاظ الملكين أمر هو غني عنه ؛ وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على أخفى الخفيان ؟ وإنما ذلك لحكمة اقتضت ذلك : وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما ، وعرض

---

(١) تفسير الكشاف ، ٤/٣٥٣

صحائف العمل يوم يقوم الأشهاد . وعلم العبد بذلك مع علمه بإحاطة الله بعمله . من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات . وعن النبي (صلى الله عليه وسلم) ." (١)

"" صفحة رقم ٣٨٨ "

:

(١٠٨٤) (أن مقعد ملكيك على ثنيتيك ، ولسانك قلمهما ، وريقك مدادهما ، وأنت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله تعالى ولا منهما) ويجوز أن يكون تلقي الملكين بيانا للقرب ، يعني : ونحن قريبون منه مطلعون على أحواله مهيمنون عليه ، إذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به ، والتلقي : التلقن بالحفظ والكتبة . والقعيد : المقاعد ، كالجليس بمعنى المجالس ، وتقديره : عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين ، فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه ، كقوله : . . . كنت منه ووالدي

بريا . . . .

) رقيب (ملك يرقب عمله) عتيد (حاضر ، واختلف فيما يكتب الملكان ، فقيل : يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه . وقيل : لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر به . ويدل عليه قوله عليه السلام :

(١٠٨٥) (كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل ، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات ، فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا ، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال : دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر) وقيل : إن الملائكة يجتنبون الإنسان عند غائطه وعند جماعه . وقرىء : (ما يلفظ) على البناء للمفعول .

) وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد وجآءت كل نفس معها سآئق وشهيد لقد كنت فى غفلة من هاذا فكشفنا عنك غطآءك." (٢)

"" صفحة رقم ٥٠٩ "

الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الا سمآء الحسنى يسبح له ما فى السماوات والا رض وهو العزيز الحكيم (

الحشر : (٢٣ - ٢٤) هو الله الذي . . . . .

---

(١) تفسير الكشاف ـ ، ٣٨٧/٤

(٢) تفسير الكشاف ـ ، ٣٨٨/٤

) الغيب (المعدوم) والشهادة (الموجود المدرك كأنه يشاهده . وقيل : ما غاب عن العباد وما شاهدوه . وقيل : السر والعلانية . وقيل : الدنيا والآخرة) القدوس (بالضم والفتح وقد قرىء بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح . ونظيره : السبوح ، وفي تسبيح الملائكة : سبوح قدوس رب الملائكة والروح . و) السلام (بمعنى السلامة . ومنه) دار السلام ((يونس : ٢٥)) وسلام عليكم ((الأنعام : ٥٤) وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص . أو في إعطائه السلامة (والمؤمن) واهب الأمن . وقرىء بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار ، كما تقول في قوم موسى من قوله تعالى :) واختار موسى قومه ((الأعراف : ١٥٥) المختارون بلفظ صفة السبعين . و) المهيمن (الرقيب على كل شيء ، الحافظ له ، مفيعل من الأمن ؛ إلا أن همزته قلبت هاء . و) الجبار (القاهر الذي جبر خلقه على ما أراد ، أي أجبره ، و) المتكبر (البليغ الكبرياء والعظمة . وقيل : المتكبر عن ظلم عباده . و) الخالق (المقدر لما يوجده (والبارىء) المميز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة . و) المصور (الممثل . وعن حاطب بن أبي بلتعة أنه قرأ : (البارىء المصور) ، بفتح الواو ونصب الراء ، أي : الذي يبرأ المصور أي : يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات . وقرأ ابن مسعود : (وما في الأرض) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه :

(١١٥٧) (سألت حبيبي (صلى الله عليه وسلم) عن اسم الله الأعظم فقال : (عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته) فأعدت عليه فأعاد علي ، فأعدت عليه فأعاد علي . عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

(١١٥٨) (من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) .." (١)

"" صفحة رقم ٧٢٣ "

تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم ، لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم ، ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم . قال : إذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا

والناس من بين مرجوب ومحجوب

عن ابن عباس وقتادة وابن أبي مليكة : محجوبين عن رحمته . وعن ابن كيسان : عن كرامته .

) كلا إن كتاب الا برار لفى عليين ومآ أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون (

---

(١) تفسير الكشاف ، ٤/٥٠٩

المطففين : (١٨) كلا إن كتاب . . . . .

) كلا (ردع عن التكذيب . وكتاب الأبرار : ما كتب من أعمالهم . وعليون : علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين ، منقول من جمع (علي) فعيل من العلو كسجين من السجن ، سمى بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة ، وإما لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون ، تكريما له وتعظيما . روى

(١٢٧٧) (إن الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه ، فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانة أوحى إليهم إنكم الحفظة على عبدي وأنا **الرقيب** على ما في قلبه ، وأنه أخلص عمله فاجعلوه في عليين ، فقد غفرت له ؛ وإنها لتصعد بعمل العبد فيزكونه ، فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله أوحي إليهم : أنتم الحفظة على عبدي وأنا **الرقيب** على ما في قلبه ، وإنه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين .

) إن الا برار لفى نعيم على الا رآئك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون." (١)

"" صفحة رقم ٧٣٥ "

(سورة الطارق)

مكية ، وآياتها ١٧ (نزلت بعد البلد)

بسم الله الرحمن الرحيم

) والسمآء والطارق ومآ أدراك ما الطارق النجم الثاقب (

الطارق : (١ - ٣) والسماء والطارق

) النجم الثاقب (المضيء ، كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه ، كما قيل : دريء ، لأنه يدرؤه ، أي : يدفعه . ووصف بالطارق ؛ لأنه يبدو بالليل ، كما يقال للآتي ليلا : طارق : أو لأنه يطرق الجنى ، أي يصكه . والمراد : جنس النجوم ، أو جنس الشهب التي يرجم بها . فإن قلت : ما يشبه قوله :) ومآ أدراك ما الطارق النجم الثاقب (إلا ترجمة كلمة بأخرى ، فبين لي أي فائدة تحته ؟ قلت : أراد الله عز من قائل : أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له ، لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة ، وأن ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره ، وهو الطارق ، ثم قال :) وما أدراك ما الطارق (ثم فسره

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٧٢٣/٤

بقوله :) النجم الثاقب (كل هذا إظهار لفخامة شأنه ، كما قال) فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ((الواقعة : ٧٥ ٧٦) روي :

(١٢٨٨) أن أبا طالب كان عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فانحط نجم ، فامتلأ ما ثم نورا فجزع أبو طالب وقال : أي شيء هذا ؟ فقال عليه السلام : (هذا نجم رمى به ، وهو آية من آيات الله) فعجب أبو طالب ، فنزلت .

) إن كل نفس لما عليها حافظ (

الطارق : (٤) إن كل نفس . . . . .

فإن قلت : ما جواب القسم ؟ قلت) إن كل نفس لما عليها حافظ (لأن (إن) لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة ، بمعنى : إلا أن تكون نافية . وفيمن قرأها مخففة على أن (ما) صلة تكون مخففة من الثقيلة ، وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم ، حافظ مهيمن عليها رقيب ، وهو الله عز وجل) وكان الله على كل شيء رقيبا ((الأحزاب : ٥٢) ،) وكان الله على كل شيء مقيتا ((النساء : ٨٥) ، وقيل : ملك يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب." [١]

"" صفحة رقم ٧٥٨ "

الإذخر) . فإن قلت : أين نظير قوله :) وأنت حل (في معنى الاستقبال ؟ قلت : قوله عز وجل :) إنك ميت وإنهم ميتون ((الزمر : ٣٠) ومثله واسع في كلام العباد ، تقول لمن تعده الإكرام والحباء : أنت مكرم محبو ، وهو في كلام الله أوسع ؛ لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة . وكفاك دليلا قاطعا على أنه للاستقبال ، وأن تفسيره بالحال محال : أن السورة بالاتفاق مكية ، وأين الهجرة عن وقت نزولها ، فما بال الفتح ؟ فإن قلت : ما المراد بوالد وما ولد ؟ قلت : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ولده ، أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرم أبيه إبراهيم ومنشأ أبيه إسماعيل ، وبمن ولده وبه . فإن قلت : لم نكر ؟ قلت : للإبهام المستقل بالمدح والتعجب . فإن قلت : هلا قيل ومن ولد ؟ قلت : فيه ما في قوله :) والله أعلم بما وضعت ((آل عمران : ٣٦) أي : بأي شيء وضعت . يعني موضوعا عجيب الشأن . وقيل : هما آدم وولده . وقيل : كل والد وولد .

والكبد : أصله من قولك : كبد الرجل كبدا ، فهو أكبد : إذا وجعت كبده وانتفخت ، فاتسع فيه حتى

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٤/٧٣٥

استعمل في كل تعب ومشقة . ومنه اشتقت المكابدة ، كما قيل : كبته بمعى أهلكه . وأصله : كبده ، إذا أصاب كبده . قال لبيد : يا عين هلا بكيت أربد إذ

قمنا وقام الخصوم في كبد

أي : في شدة الأمر وصعوبة الخطب .

والضمير في) أيحسب (لبعض صناديد قريش الذي كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يكابد منهم ما يكابد . والمعنى : أيظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين : أن لن تقوم قيامة ، ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافأته بما هو عليه ، ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم ، وأنه يقول :) أهلكت مالا لبدا (يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ، ويدعونها معالي ومفاخر) أيحسب أن لم يره أحد (حين كان ينفق ما ينفق رئاء الناس وافتخارا بينهم ، يعني : أن الله كان يراه وكان عليه رقيبا . ويجوز أن يكون الضمير للإنسان ، على أن يكون المعنى : أقسم بهذا البلد الشريف ، ومن شرفه أنك حل به مما يقترفه أهله من المآثم متحرج بريء ، فهو حقيق بأن أعظمه بقسمي به) لقد خلقنا الإنسان فى كبد (أي : في مرض : وهو مرض القلب وفساد الباطن ، يريد : الذين علم الله منهم حين خلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات . وقيل : الذي يحسب أن لن." (١)

"٣٠٤

تقطعوها وأما من قرأ بالكسر معناه أسألك بالله وبالرحم أن تعطيني شيئا وقال الزجاج من قرأ بالخفض فخطأ في العربية وفي أمر الدين أما الخطأ في العربية لأن الاسم يعطف على الاسم المفصح به ولا يعطف على المكنى به إلا في اضطرار الشعر كقول القائل

(قد كنت من قبل تهجونا وتفضحنا % فما لنا بك والأيام من عجب)

وأما في غير الشعر فلا يستعمل وأما الخطأ الذي في الدين لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحلفوا بآبائكم فمن حلف فليحلف بالله أو ليذر فالسؤال بالأرحام أمر عظيم لأنه تحليف بها ولكن روي عن إبراهيم النخعي أنه كان يقرأ أيضا بالخفض أيضا

ثم قال " إن الله كان عليكم رقيبا " يعني حفيظا لأعمالكم يسألكم عنها فيما أمركم به وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من عمل حسنة أسرع ثوابا من صلة الرحم وما من عمل سيئة

---

(١) تفسير الكشاف ، ٤/٧٥٨

أسرع عقوبة من البغي واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله لما خلق الرحم قال له صل من وصلك واقطع من قطعك ويقال الرحم مشتق من الرحمة فمن قطعها فليس له من رحمة الله تعالى نصيب وقال صلى الله عليه وسلم الرحم معلق بالعرش فمن قطعها قطعني ومن وصلها وصلني

سورة النساء ٢

قوله تعالى " وآتوا اليتامى أموالهم " يقول للأولياء أعطوا اليتامى أموالهم التي عندكم إذا بلغوا النكاح يعني الحلم " ولا تتبدلوا الخبيث " يعني الحرام " بالطيب " يعني بالحلال من أموالكم يقول لا تذروا أموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من أموال اليتامى ويقال لا تخلطوا الخبيث بالطيب ويقال لا تخلطوا من مالكم الرديء وتأخذوا الجيد من مال اليتيم يعني أن يرسل شاة عجفاء في غنمه ويأخذ مكانها شاة سمينة وفي الحبوب كذلك ويقال لا تجعلوا أموالهم وقاية لأموالكم

ثم قال تعالى " ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم " يعني مع أموالكم " إنه كان حوبا كبيرا " يعني إثما عظيما قرأ الحسن " حوبا " بنصب الحاء قال مقاتل هو بلغة الحبش." (١)

"٣٤٦

مؤمنين) الشعراء ٣ ويقال فيه تقديم وتأخير ومعناه " فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا " النساء ٧٨ ويقولون " ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك " " قل كل من عند الله " النساء ٧٨

ثم قال تعالى " وأرسلناك للناس رسولا " يعني ليس عليك سوى تبليغ الرسالة " وكفى بالله شهيدا " على مقالتهم وفعلهم

ثم قال تعالى " ومن يطع الرسول فقد أطاع الله " يعني من يطع الرسول فيما أمره فقد أطاع الله لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم بأمر الله تعالى وفي طاعته طاعة الله تعالى ويقال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون إن هذا الرجل يريد أن نتخذه حنانا فأنزل الله تعالى تصديقا لقوله " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله " آل عمران ٣١ وقال " من يطع الرسول فقد أطاع الله "

---

(١) بحر العلوم.، ١/٣٠٤

ثم قال تعالى " ومن تولى " يعني أعرض عن طاعة الله وطاعة رسوله " فما أرسلناك عليهم حفيظا " أي رقيبا وكان ذلك قبل الأمر بالقتال

ثم أخبر عن أمر المنافقين فقال " ويقولون طاعة " يعني يقولون بحضرتك قولك طاعة وأمرك معروف فمرنا بما شئت فنحن لأمرك نتبع (فإذا برزوا) يقول خرجوا " من عندك بيت " يقول ألغت ويقال غيرت " طائفة منهم غير الذي تقول " وقال الزجاج يقال لكل أمر قضي بليل قد بيت قرأ أبو عمرو وحمزة " بيت طائفة " بالإدغام لقرب مخرج التاء من الطاء وقرأ الباقون بالإظهار لأنهما كلمتان

ثم قال تعالى " والله يكتب ما يبيتون " يعني يحفظ عليهم ما يغيرون وقال الزجاج " والله يكتب " له وجهان يجوز أن يكون ينزله إليك في كتابه وجائز أن يكون يحفظ ما جاؤوا به

ثم قال تعالى " فأعرض عنهم " يعني اتركهم " وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا " يعني شهيدا ويقال " وتوكل على الله " يعني ثق بالله " وكفى بالله وكيلا " يعني ثقة لك ثم نسخ بقوله تعالى " يأيها النبي جهد الكفار والمنافقين " التوبة ٧٣ والتحريم ٩

سورة النساء ٨٢." (١)

٣٩٣"

وكان نوع آخر أنهم كانوا يجعلون عشرة من القداح وكان لكل واحد منها سهم ولم يكن لثلاثة منها نصيب من اللحم وهو السفيح والمنيح والوعيد وكان للسبعة لكل سهم نصيب وهو القذ والتوأم والرقيب والمعلى والحلس والناقس والمسبل ويقال كان إذا أراد واحد منهم السفر أخرج سهمين من القداح في أحدهما مكتوب أمرني ربي وفي الآخر نهاني ربي فيخرج أحدهما فإن خرج باسمه أمرني ربي وجب عليه الخروج الخروج ولم يسعه التخلف وإن خرج الآخر لا يسعه الخروج فنهى الله تعالى عن ذلك كله وقال " ذلكم فسق " يعني هذه الأفعال معصية وضلالة و واستحلالها كفر

ثم قال تعالى " واليوم يئس الذين كفروا من دينكم " يعني كفار العرب أن تعودوا كفارا حين حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وليس معهم مشرك وقال الضحاك نزلت هذه الآية حين فتح مكة وذلك أن رسول صلى الله عليه وسلم فتح مكة لثمان بقين من رمضان سنة تسع ويقال سنة ثمان ودخلها ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا من قال لا إله إلا الله فهو آمن ومن وضع السلاح فهو آمن ومن

---

(١) بحر العلوم.، ١/٣٤٦

أغلق بابه فهو آمن فانقادت قريش لأمر الله تعالى ورفعوا أيديهم وأسلموا

قال الله تعالى " فلا تخشوهم " يقول فلا تخشوا صولة المشركين فأنا معكم وناصركم " واخشون " في ترك أمري

ثم قال " اليوم أكملت لكم دينكم " يعني أتممت لكن شرائع دينكم وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان بمكة لم يكن إلا فريضة الصلاة وحدها فلما قدم المدينة أنزل الله الحلال والحرام فنزلت هذه الآية " اليوم أكملت لكم دينكم " يعني دينكم حلالكم وحرامكم وروى حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار أن ابن عباس أنه قرأ " اليوم أكملت لكم دينكم " فقال له يهودي لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال ابن عباس فإنها نزلت في يوم عيدين في يوم الجمعة وكان يوم عرفة

قال الفقيه حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا ابن صاعد قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق ان اليهود قالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إنكم لتقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا " اليوم أكملت لكم دينكم " فقال عمر رضي الله عنه إني لأعلم حيث أنزلت وفي أي يوم أنزلت أنزلت بيوم عرفة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فإن قيل في ظاهر هذه الآية دليل أن الدين يزيد وينقص حيث قال " اليوم أكملت لكم دينكم " قيل له ليس فيها دليل لأنه أخبر أنه أكمل في ذلك اليوم وليس فيها دليل أنه لم يكمل قبل ذلك ألا ترى أنه قال في." (١)

"٤٠٨

تعالى لم يأمرك بهذا ولكنك تميل إلى هابيل فأمرهما بأن يقربا قربانا فأيكما تقبل قربانه كان أحق بها فعمد قابيل وكان صاحب زرع إلى شر زرعه ووضعه عند الجبل وعمد هابيل وكان صاحب المواشي إلى خير غنمه فوضعها عند الجبل وكان قابيل يضمر في قلبه أنه إن تقبل منه أو لم يتقبل أن لا يسلم إليه أخته فنزلت نار من السماء فأكلت قربان هابيل وكان ذلك علامة القبول وتركت قربان قابيل فذلك قوله " إذ قربا قربانا " يعني وضعا قربانا " فتقبل من أحدهما " يعني هابيل " ولم يتقبل من الآخر " يعني قابيل ف " قال " قابيل لهابيل " لأقتلنك قال " ولم قال لأن الله تعالى قد قبل قربانك ورد علي قرباني فقال له هابيل " إنما يتقبل الله من المتقين " ولم يكن الذنب مني وإنما لم يتقبل منك لخيانتك وسوء نيتك وقال بعض الحكماء

---

(١) بحر العلوم.، ٣٩٣/١

العاقل من يخاف على حسناته لأن الله تعالى قال " إنما يتقبل الله من المتقين " والخاسر من يأمن من عذاب الله لأن الله تعالى قال " فلا يأمن مكر الله القوم الخاسرون " الأعراف ٩٩

قوله تعالى " لئن بسطت إلي يدك " يعني إن هابيل قال لقابيل لئن مددت إلي يدك " لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين " ثم قال " إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك " يعني أني أريد أن ترجع " بإثمي " يعني بقتلك إياي وبإثمك الذي عملته قبل قتلي وهي الخيانة في القربان وغيره ويقال إني أريد أن ترجع بإثمي يعني أن لا أبسط يدي إليك لترجع أنت بإثمي وإثمك ولا يكون علي من الإثم شيء ويقال معناه إني أريد أن تؤخذ بإثمي وإثمك " فتكون من أصحاب النار " يعني لكي لا تكون من أصحاب النار " وذلك جزاء الظالمين "

قال الله تعالى " فطوعت له نفسه قتل أخيه " يعني تابعت له نفسه هواها على قتل أخيه ويقال انقادت له طاعة نفسه وقال قتادة زينت له نفسه تقتل أ " فقتله " قال بعضهم إنه كان لا يدري كيف يقتله حتى جاء إبليس فتمثل عنده برجلين فأخذ أحدهما حجرا ولم يزل بضرب الآخر حتى قتله فتعلم ذلك منه وقال بعضهم بل كان يعرف ذلك بطبعه لأن الإنسان وإن لم ير القتل فإنه يعلم بطبعه أن النفس فانية ويمكن إتلافها فأخذ حجرا وقتله بأرض الهند فلما رجع إلى آدم عليه السلام قال له ما فعلت بهابيل فقال له قابيل أجعلتني رقيبا على هابيل فذهب حيث شاء فبات آدم تلك الليلة محزونا فلما أصبح قابيل رجع إلى الموضع الذي فيه هابيل فرأى غرابا وقال بعضهم كان يحمله على عاتقه أياما لا يدري ما يصنع به حتى رأى غرابا ميتا فجاء غراب آخر فبحث التراب برجله ودفن الغراب الميت في التراب فذلك قوله تعالى " فقتله فأصبح من الخاسرين " يعني فصار من المغبونين في العقوبة

قوله تعالى " فبعث

الله غرابا يبحث في الأرض " وقابيل ينظر إليه وقال القتبي هذا من." (١)

٤٥٣"

ضميري ولا أعلم ما في حقيقتك وغيبك " إنك أنت علام الغيوب " ما كان وما يكون وقيل " تعلم ما في نفسي " التي نسبت إلي وأمرتني بالتسليم إليك " ولا أعلم ما في نفسك " التي سلمت إليك فأنت مالكها بجميع ما كان وما يكون منها و " أنت علام الغيوب " قبل كونها وكون فعلها قرأ حمزة " الغيوب " بكسر

---

(١) بحر العلوم.، ١/٨٥٤

الغين والباقون بضم الغين ومعناهما واحد وقرأ نافع وعاصم وابن عامر " إني منزلها " بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف وهما لغتان نزل وأنزل بمعنى واحد

ثم قال " ما قلت لهم إلا ما أمرتني به " يعني في الدنيا بالتوحيد " أن اعبدوا الله " يعني وحدوا الله واطيعوه " ربي وربكم " يعني خالقي وخالقكم " وكنت عليهم شهيدا " يعني على بني إسرائيل أني بلغتهم الرسالة ويقال " شهيدا " يعني حفيظا بما أمرتهم " ما دمت فيهم " يعني ما دمت مقيما في الدنيا بين أظهرهم " فلما توفيتني " يعني رفعتني إلى السماء "كنت الرقيب عليهم " يعني الحفيظ والشاهد عليهم " وأنت على كل شيء شهيد " من مقالتي ومقالتهم وما أدري ما أحدثوا بعدي " إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم " قرأ ابن مسعود " فإنك أنت الغفور الرحيم " وقرأ غيره " العزيز الحكيم " فإن قيل كيف سأل المغفرة للكفار قيل له لأن عيسى علم أن بعضهم قد تاب ورجع عن ذلك فقال " إن تعذبهم " يعني الذين ماتوا على الكفر فإنهم عبادك وأنت القادر عليهم " وإن تغفر لهم " يعني الذين أسلموا ورجعوا عن ذلك وقال بعضهم احتمل أنه لم يكن في كتابه " إن الله لا يغفر أن يشرك به " النساء١١٦ فلهذا المعنى دعا لهم ولكن التأويل الأول أحسن ويقال " إن تغفر لهم " يعني لكذبهم الذي قالوا به علي خاصة لا لشركهم وهذا التأويل ليس بسديد والأول أحسن وروي عن أبي ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ هذه الآية ذات ليلة فرددها حتى أصبح " إن تعذبهم فإنهم عبادك إن تغفر لهم " فإنهم عبادك وقال بعضهم في الآية تقديم وتأخير ومعناه " إن تعذبهم " " فإنك أنت العزيز الحكيم " " وإن تغفر لهم " " فإنهم عبادك "

سورة المائدة ١١٩ - ١٢٠

قوله تعالى " قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم " قرأ نافع " هذا يوم " بالنصب وقرأ الباقون بالرفع فمن قرأ بالنصب فعلى الظرف أي قال الله تعالى هذا لعيسى في يوم." (١)

٤٧٥"

" عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد " ق١٧ - ١٨ ويقال لكل إنسان خمسة من الملائكة اثنان بالليل واثنان بالنهار الخامس لا يفارقه بالليل ولا بالنهار

قوله تعالى " حتى إذا جاء أحدكم الموت " يعني حضر أحدكم الوفاة عند انقضاء أجله " توفته رسلنا "

(١) بحر العلوم.، ٤٥٣/١

يعني ملك الموت وأعوانه قرأ حمزة " توفاه " بلفظ التذكير بالإمالة وقرأ الباقون " توفته " بلفظ التأنيث لأن فعل الجماعة إذا تقدم على الاسم جاز أن يذكر ويؤنث " وهم لا يفرطون " يعني لا يؤخرون طرفة عين ويقال معه سبعون من ملائكة الرحمة وسبعون من ملائكة العذاب فإذا قبض نفسا مؤمنه دفعها إلى ملائكة الرحمة فيبشرونها بالعذاب ويفزعونها ثم يصعدون بها إلى السماء ثم ترد إلى سجين وروح المؤمن إلى عليين " ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق " يعني يرد أمورهم إلى الله تعالى " ألا له الحكم " " ألا " كلمة التنبيه ومعناه اعلموا أن الحكم لله يحكم في خلقه ما يشاء ويقضي بينهم يوم القيامة " وهو أسرع الحاسبين " يعني إذا حاسب فحسابه سريع ويقال وهو أحكم الحاكمين وأعدل القاضين

سورة الأنعام ٦٣ - ٦٥

قوله تعالى " قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر " يعني من أهوالهما وشدائدهما والظلمات كناية عن الأهوال والشدائد " تدعونه تضرعا وخفية " وقال الكلبي سرا وعلانية وقال مقاتل يعني في خفض وسكون قرأ عاصم في رواية أبي بكر " خفية " بكسر الخاء والباقون بالضم وهما لغتان وكلاهما واحد " لئن أنجانا من هذه " يعني من غم هذه الاهوال والشدائد " لنكونن من الشاكرين " يعني من الموحدين " قل الله ينجيكم منها " يعني من أهوال البر والبحر " ومن كل كرب " يعني ينجيكم من كل كرب يعني من كل غم وشدة " ثم أنتم تشركون " يعني ترجعون إلى الشرك وقرأ عاصم وحمزة والكسائي " لئن أنجانا " بالألف يعني أنجانا الله تعالى وقرأ الباقون " لئن أنجيتنا " على المخاطبة وقرأ عاصم وحمزة والكسائي " قل الله ينجيكم منها " بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف ومعناهما واحد ويقال أنجى ينجي ونجى ينجي

قوله تعالى " قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم " يعني الحصب." (١)

"

٥٨٢

الرحمن فقال أبو جهل أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو ربين اثنين فأنزل الله تعالى " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها " الرحمن الرحيم الملك القدوس ونحوه فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الرجل فقال ادع الله أو ادع الرحمن رغما لأنف المشركين ويقال " ولله الأسماء الحسنى " يعني الصفات العلى " فادعوه بها " وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله تسعة

---

(١) بحر العلوم.، ٤٧٥/١

وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة ومن أسمائه عز وجل الرحمن الرحيم وقد ذكرنا تفسيرها ومن أسمائه الأحد وأصله الوحد بمعنى الواحد وهو الذي ليس كمثله شيء ومنها الصمد وهو السيد الذي صمد إليه كل شيء أي قصده ومنها القيوم وهو البالغ في القيام بكل ما خلق ومنها الولي يعني المتولي أمور المؤمنين ومنها اللطيف وهو الذي يلطف بالخلق من حيث لا يعلمون ولا يقدرون ومنها الودود المحب الشديد المحبة ومنها الظاهر والباطن الذي يعلم ما ظهر وما بطن ومنها البديع الذي ابتدع الخلق على غير مثال ومنها القدوس أي ذو البركة ويقال الطاهر ومنها الشهيد الذي لا يغيب عنه شيء ومنها الحنان أي ذو الرحمة والعطف ومنها المنان الكثير المن على عباده ومنها الفتاح يعني الحاكم ومنها الديان يعني المجازي ومنها **الرقيب** يعني الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء ومنها المتين يعني الشديد القوة على أمر ومنها الوكيل الذي توكل بالقيام بجميع ما خلق ومنها السبوح الذي تنزه عن كل سوء ومنها السلام يعني الذي سلم الخلق من ظلمه ومنها المؤمن الذي أمن الخلق من ظلمه ومنها العزيز المنيع الذي لا يغلبه شيء ومنها المهيمن يعني الشهيد ومنها الجبار الذي جبر الخلق على ما أراد ومنها المتكبر الذي تكبر عن ظلم العباد ومنها الباري يعني الخالق وسائر الأسماء التي ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وقال الزجاج لا ينبغي لأحد أن يدعوه بما لم يصف به نفسه ولم يسم به نفسه فيقول يا جواد ولا ينبغي له أن يقول يا سخي لأنه لم يسم به نفسه وكذلك يقول يا قوي ولا يقول يا جلد

ثم قال تعالى " وذروا الذين يلحدون في أسمائه " قرأ حمزة " يلحدون " بنصب الحاء والياء وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء " يلحدون " فمن قرأ بالنصب فمعناه وذروا الذين يميلون في أسمائه يعني يحورون ويمارون في أسمائه ويعدلون فسموا اللات والعزى ومن قرأ بالضم فمعناه وذروا الذين يجادلون ويمارون في أسمائه ويقال إن الله تعالى قد احتج على الكفار بأربعة أشياء بالخلق وهو قوله تعالى " هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه " لقمان ١١ وقال " الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له." (١)

١٦٦"

والميزان تزول عنكم النعمة والسعة ويصيبكم القحط والشدة وعذاب الآخرة وقال مجاهد " إني أراكم بخير " يعني برخص السعر

(١) بحر العلوم ، ١/٥٨٤

" ويا قوم أوفوا المكيال والميزان " يعني أتموا الكيل والوزن " بالقسط " يقول بالعدل " ولا تبخسوا الناس أشياءهم " يعني لا تنقصوا الناس حقوقهم " ولا تعثوا في الأرض مفسدين " يعني لا تسعوا في الأرض بالفساد والمعاصي ونقصان الكيل والوزن وقال سعيد بن المسيب إذا أتيت أرضا يوفون المكيال والميزان فأطل المقام بها وإذا أتيت أرضا ينقصون المكيال والميزان فأقل المقام بها وقال عكرمة أشهد أن كل كيال ووزان في النار قيل له فمن وفى الكيل والوزن قال ليس رجل في المدينة يكيل كما يكتال ولا يزن كما يوزن والله تعالى يقول " ويل للمطففين " [المطففين : ١]

ثم قال " بقية الله خير لكم " قال إبن عباس ما أبقى الله لكم من الحلال خير لكم من الحرام " إن كنتم مؤمنين " يعني مصدقين فصدقوني فيما أقول لكم ويقال ثواب الله خير لكم في الآخرة وقال مجاهد " بقية الله خير لكم " يعني طاعة الله " إن كنتم مؤمنين " خير لكم ويقال ثواب الله خير لكم في الآخرة " وما أنا عليكم بحفيظ " يعني رقيبا ووكيلا وإنما علي البلاغ

سورة هود ٨٧ - ٨٩

قوله " قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك " يعني قال له قومه قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص " أصلاتك " بلفظ الوحدان يعني أقراءتك ويقال أدعاؤك يأمرك وقرأ الباقون " أصلواتك " بلفظ الجماعة يعني أكثرة صلواتك تأمرك " أن نترك ما يعبد آباؤنا " وكان شعيب كثير الصلاة " أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء " من نقصان الكيل والوزن " إنك لأنت الحليم الرشيد " يعني السفيه الضال إستهزاء منهم به

" قال " شعيب " يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي " يعني على دين وطاعة وبيان وأتاني رحمة من ربي " ورزقني منه رزقا حسنا " يعني بعثني بالرسالة فهداني لدينه ووسع علي من رزقه وقال الزجاج جواب الشرط ها هنا متروك والمعنى إن كنت على بينة من ربي أتبع الضلال فترك الجواب لعلم المخاطبين بالمعنى." (١)

١٦٨"

ثم قالوا " وما أنت علينا بعزيز " يعني بكريم ويقال بعظيم أي لا خطر لك عندنا لولا حرمة عشيرتك ويقال ما قتلك علينا بشديد

سورة هود ٩٢ - ٩٣

ثم " قال " لهم شعيب عليه السلام " يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله " يعني حرمة قرابتي أعظم عندكم

---

(١) بحر العلوم ،، ١٦٦/٢

من حرمة الله تعالى ويقال خوفكم من عقوبة قرابتي أكبر عندكم من خوف الله ويقال عشيرتي أعظم عليكم من كتاب الله تعالى ومن أمره " واتخذتموه وراءكم ظهريا " يقول تركتم أمر الله خلف ظهوركم وتعظمون أمر رهطي وتتركون تعظيم الله تعالى ولا تخافونه وهذا قول الفراء وقال الزجاج معناه إتخذتم أمر الله " وراءكم ظهريا " أي نبذتموه وراء ظهوركم والعرب تقول لكل من لا يعبأ بأمره قد جعل فلان هذا الأمر بظهره وقال الأخفش " وراءكم ظهريا " يقول لم تلتفتوا إليه " إن ربي بما تعملون محيط " يعني عالما بأعمالكم من نقصان الكيل والوزن وغيره والإحاطة إدراك الشيء بكماله

ثم قال تعالى " ويا قوم إعملوا على مكانتكم " يعني إعملوا في هلاكي وفي أمري " إني عامل " في أمركم ومكانتكم والمكانة والمكان بمعنى واحد

ثم قال " سوف تعلمون " وهذا وعيد لهم ستعلمون من هو كاذب ويقال " من يأتيه عذاب يخزيه " يعني يهلكه ويهينه " ومن هو كاذب " يعني ستعلمون من هو كاذب ويقال معناه من يأتيه عذاب يخزيه ويخزي أمره من هو كاذب على الله بأن معه شريكا " وارتقبوا " يعني إنتظروا بي العذاب " إني معكم رقيب " يعني منتظر بكم العذاب في الدنيا

سورة هود ٩٤ - ٩٥

قوله تعالى " ولما جاء أمرنا " يعني عذابنا وذلك أنه أصابهم حر شديد فخرجوا إلى غيضة لهم فدخلوا فيها فظهرت لهم سحابة كهيئة الظلة فأحدقت بالأشجار وأشعلت فيها النار وصاح فيهم جبريل صيحة فماتوا كلهم كما قال في آية أخرى " فأخذهم عذاب يوم الظلة " [الشعراء : ١٨٩] وذلك قوله " ولما جاء أمرنا " يعني عذابنا " نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة " يعني صيحة جبريل " فأصبحوا في ديارهم جاثمين " يعني صاروا في مواضعهم ميتين لا يتحركون." (١)

٦٥"

قوله عز وجل " ترجي من تشاء منهن " قرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم " ترجىء " بالهمزة وقرأ الباقون بغير الهمز كلاهما في اللغة واحد وأصله من التأخير

يقول تؤخر من تشاء منهن ولا تتزوجها " وتؤوي إليك من تشاء " يعني تضم فتتزوجها فخيره في تزويج القرابة ويقال تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء

---

(١) بحر العلوم.، ١٦٨/٢

وقال قتادة جعله في حل أن يدع من يشاء منهن ويضم إليه من يشاء يعني إن شاء جعل لهن قسما وإن شاء لم يجعل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم

وقال الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة فليس لأحد أن يخطبها حتى يتزوجها أو يدعها وفي ذلك نزل " ترجي من تشاء منهن "

ثم قال " ومن ابتغيت " يعني آثرت " ممن عزلت " يعني تركت " فلا جناح عليك " يعني لا إثم عليك " ذلك أدنى " يعني أحرى وأجدر إذا علمن أنك تفعل بأمر الله " أن تقر أعينهن " يعني تطمئن قلوبهن " ولا يحزن " مخافة الطلاق " ويرضين بما آتيتهن " يعني أعطيتهن " كلهن " من النفقة إذا علمن أنه من الله عز وجل

وقرئ في الشاذ " كلهن " بالنصب صار نصبا لوقوع الفعل عليه وهو الإعطاء وقراءة العامة " أتيتهن كلهن " بالضم ومعناه يرضين كلهن بما أعطيتهن

ثم قال " والله يعلم ما في قلوبكم " من الحب والبغض " وكان الله عليما " بما في قلوبكم " حليما " بالتجاوز

قوله عز وجل " لا يحل لك النساء من بعد " قال مجاهد أي لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات " من بعد " يعني من بعد المسلمات " ولا أن تبدل بهن من أزواج "

يقول لا تبديل اليهوديات ولا النصرانيات على المؤمنات

يقول لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية إلا ما ملكت يمينك من اليهوديات والنصرانيات يتسراهن

قال الحسن وابن سيرين خير رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه بين الدنيا والآخرة فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فشكر الله لهن على ذلك فحبسه عليهن

فقال " لا يحل لك النساء من بعد " " ولا أن تبدل بهن من أزواج " يعني لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرهن

قرأ أبو عمرو " لا تحل " بالتاء بلفظ التأنيث وقرأ الباقون بالياء يعني لا يحل لك من النساء شيء

ويقال معناه لا تحل لك جميع النساء

فمن قرأ بالتاء بالتأنيث يعني جماعة النساء

ثم قال " ولو أعجبك حسنهن " يعني أسماء بنت عميس أراد أن يتزوجها فنهاه الله تعالى عز وجل عن

ذلك فتركها وتزوجها أبو بكر رضي الله عنه بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم " إلا ما ملكت يمينك " من السريات " وكان الله على كل شيء رقيبا " من أمر التزويج " رقيبا " يعني." (١)

"٣١٨

كرب وكنيته أبو كرب

وقيل قصة إسلام تبع خلاف ذلك وهو مذكور في مصحف الأول في آخره

"كل كذب الرسل " يعني جميع هؤلاء كذبوا رسلهم " فحق وعيد " يعني وجب عليهم عذابي

معناه فاحذروا يا أهل مكة مثل عذاب الأمم الخالية فلا تكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم قال عز وجل " أفعيينا بالخلق الأول " قال مقاتل يعني أعجزنا عن الخلق الأول حين خلقناهم ولم يكونوا شيئا

فكذلك نخلقهم ونبعثهم أي ما عيينا عن ذلك فكيف نعيي عن بعثهم

ويقال معناه أعيينا خلقهم الأول ولم يكونوا شيئا لأن الذي قد كان فإعادته أيسر في رأي العين من الابتداء

يقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه

وقال الزجاج هذا تقديم لأنهم اعترفوا أن الله عز وجل خلقهم في الابتداء ولم يكونوا شيئا

ثم قال " بل هم في لبس من خلق جديد " يعني في شك " من خلق جديد " يعني من البعث بعد الموت

ويقال بل أقاموا على شكهم

سورة ق ١٦ - ٢٢

قوله عز وجل " ولقد خلقنا الإنسان " يعني جنس الإنسان وأراد به جميع الخلق " ونعلم ما توسوس به نفسه " يعني ما يحدث به قلبه ويتفكر في قلبه " ونحن أقرب إليه من حبل الوريد " يعني في القدرة عليه

وحبل الوريد عرق يخالط القلب

ويقال هو العرق الذي داخل العنق الذي هو عرق الروح فأعلمه الله تعالى أنه أقرب إليه من ذلك العرق

ويقال الوريدان عرقان بين الحلقوم والعلباوين

والحبل هو الوريد وأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظي اسميه

قوله عز وجل " إذ يتلقى المتلقيان " يعني يكتب الملكان عمله ومنطقه يعني يتلقيان منه ويكتبان

---

(١) بحر العلوم ., ٦٥/٣

وقال أهل اللغة تلقى وتلقف بمعنى واحد

" عن اليمين وعن الشمال قعيد " يعني عن يمين ابن آدم وعن شماله قاعدان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وصاحب اليمين موكل على صاحب الشمال اثنان بالليل واثنان بالنهار وكان في الأصل قعيدان ولكن اكتفى بذكر أحدهما فقال قعيد

ثم قال عز وجل " ما يلفظ من قول " يعني ما يتكلم ابن آدم بقول " إلا لديه **رقيب**." (١)

"٥٠٠

قوله عز وجل " بل الإنسان على نفسه بصيرة " يعني جوارح العبد شاهدة عليه

ومعناه على الإنسان من نفسه شاهد عليه يشهد كل عضو بما فعل

ويقال يعني جوارح العبد شاهدة عليه ومعناه **رقيب** بعضها على بعض

والبصيرة أدخلت فيها الهاء للمبالغة كما يقال رجل علامة

وقال الحسن في قوله " على نفسه بصيرة " يعني بصيرا بعيوب غيره جاهلا بعيوب نفسه " ولو ألقى معاذيره " يعني ولو تكلم بعذر لم يقبل منه

ويقال ولو أرخى ستوره يعني أنه شاهد على نفسه وإن أذنب في الستور

سورة القيامة ١٦ - ١٩

قوله تعالى " لا تحرك به لسانك " يعني لا تعجل بقراءة القرآن من قبل أن يفرغ جبريل عليه السلام من قراءته وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله إذا نزل عليه القرآن تعجل به للحفظ فنزل " لا تحرك به لسانك " " لتعجل به إن علينا جمعه " يعني حفظه في قلبك " وقرآنه " يعني يقرأ عليك جبريل حتى تحفظه " فإذا قرأناه فاتبع قرآنه " يعني إذا قرأ عليك جبريل فاقرأ أنت بعد قراءته وفراغه

وقال محمد بن كعب " فاتبع قراءته " يعني فاتبع حلاله وحرامه

وقال الأخفش " إن علينا جمعه وقراءته " يعني تأليفه " فإذا قرأناه فاتبع قرآنه " يعني تأليفه " ثم إن علينا بيانه " يعني بيان أحكامه وحدوده

ويقال " علينا بيانه " يعني شرحه

---

(١) بحر العلوم ، ٣/٣١٨

ويقال بيان فرائضه كما بين على لسان النبي صلى الله عليه وسلم

سورة القيامة ٢٠ - ٣٠

ثم قال عز وجل "كلا بل تحبون العاجلة " يعني تحبون العمل للدنيا " وتذرون الآخرة " يعني تتركون العمل للآخرة

قرأ ابن كثير وأبو عمرو " بل يحبون " بالياء على معنى الخبر عنهم

والباقون بالتاء على معنى المخاطبة

ثم بين حال ذلك اليوم فقال " وجوه يومئذ ناضرة " أي حسنة مشرقة مضيئة كما قال في آية أخرى " تعرف في وجوههم نضرة النعيم " [المطففين ٢٤] " وإلى ربها ناظرة " يعني ناظرين يومئذ إلى الله تبارك وتعالى

وقال مجاهد " إلى ربها ناظرة " يعني تنتظر الثواب من ربها

وهذا القول لا يصح لأنه مقيد بالوجه موصول بإلى ومثل هذا لا يستعمل في الانتظار وعلى أن الانتظار موت الأبرار." (١)

"٢٠١٥- أخبرنا علي بن المبارك، فيما كتب إلي، ثنا زيد، ثنا ابن ثور، عن ابن جريج: " " ويسخرون من الذين آمنوا " ، قال: من طلبهم الآخرة"، قال ابن جريج: وقال آخرون: قالت قريش : لو كان محمد نبيا، لاتبعه ساداتنا وأشرافنا. والله ما اتبعه إلا أهل الحاجة مثل ابن مسعود وأصحابه

قوله: " والذين اتقوا فوقهم "

٢٠١٦- حدثنا الحسن بن أبي الربيع، أنبأ عبد الرزاق، أنبأ معمر، عن قتادة: " " والذين اتقوا فوقهم " ، قال: فوقهم في الجنة".

قوله تعالى: " يوم القيامة "

٢٠١٧- حدثنا محمد بن يحيى، أنبأ الحسن بن عمرو بياع السابري، أنبأ يزيد بن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة،"قوله: " والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة " هناكم التفاضل".

قوله تعالى: " والله يرزق من يشاء بغير حساب "

٢٠١٨- ذكر عن أبي صالح، كاتب الليث، عن الهقل، عن الأوزاعي، عن عطاء، قال: سألت ابن عباس عن هذه الآية: " " والله يرزق من يشاء بغير حساب " ، قال: تفسيرها: ليس على الله رقيب، ولا من

---

(١) بحر العلوم، ، ٥٠٠/٣

يحاسبه".

٢٠١٩- حدثنا أبي، ثنا إبراهيم بن موسى، وعبد الله بن عمران بن علي الأسدي، قالا: ثنا يحيى بن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبير: " " بغير حساب " ، قال: لا يحاسب الرب"الوجه الثاني:." (١)

"تفسير القرآن العظيم

مسندا عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -

والصحابة والتابعين

لابن أبي حاتم الرازي

الإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي

المتوفى سنة ٣٢٧ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد الثاني

سورة النساء

{ - -

قال تعالى:

" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا * وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا * وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا * وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا * ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا }

قوله تعالى: " يا أيها الناس "

٤٧٥٩- حدثنا محمد بن يحيى، ثنا أبو غسان، ثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، قال: فيما

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٧٢/٢

حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: " " يا أيها الناس " أي: للفريقين جميعا من الكفار والمنافقين"..." (١)

"٤٧٧٤- حدثنا أبي، ثنا أبو حذيفة، ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: " " إن الله كان عليكم رقيبا " قال: حفيظا ". وروي عن قتادة، ومقاتل بن حيان، والثوري نحو ذلك.

قوله تعالى: " وآتوا اليتامى أموالهم "

٤٧٧٥- حدثنا أبو زرعة، ثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، حدثنا عبد الله بن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير قوله: " وآتوا اليتامى أموالهم " وذلك أن رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم، طلب ماله، فمنعه عمه، فخاصمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت: " " وآتوا اليتامى أموالهم " يعني: الأوصياء، يقول: أعطوا اليتامى أموالهم". وروي عن مقاتل بن حيان قال: الأولياء والأوصياء

٤٧٧٦- حدثنا الحسن بن أحمد، ثنا موسى بن محكم، ثنا أبو بكر الحنفي، ثنا عباد بن منصور، عن الحسن قوله: " " وآتوا اليتامى أموالهم " قال: أمروا أن يوفروا أموال اليتامى".

قوله تعالى: " ولا تتبدلوا "

٤٧٧٧- حدثنا أبو زرعة، ثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، حدثني عبد الله بن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير في قول الله تعالى: " " ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب " يقول: لا تبذروا أموالكم". والوجه الثاني:." (٢)

"{وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد * إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم * قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم * لله ملك السماوات والأرض

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٤/١

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٤/٥

وما فيهن وهو على كل شيء قدير }

قوله تعالى: " وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس "

٧٠٨٨- حدثنا أبي، ثنا يحيى بن المغيرة، ثنا جرير بن عبد الحميد، عن عطاء بن السائب، عن ميسرة، قال: لما قال الله تعالى: " يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله " ، قال:"فأرعدت مفاصله، وخشي أن يكون قد قالها، قال: سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق".." (١)

"قوله تعالى: " وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم "

٧٠٩٦- حدثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، قال: انطلقت أنا وسفيان الثوري إلى المغيرة بن النعمان، فأملاه على سفيان وأنا معه، فلما قام... من سفيان فحدثنا، قال: سمعت سعيد بن جبير يحدث، عن ابن عباس، قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال:"يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول الخلق نعيده، وإن أول الخلائق يحشر يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: " وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم " الآية إلى ليفرقا، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم".

قوله تعالى: " فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد "

٧٠٩٧- حدثنا الحسن بن أبي الربيع، أنبأ عبد الرزاق، أنبأ معمر، عن قتادة، في قوله: "كنت أنت الرقيب عليهم " ، قال:"الحفيظ".

قوله تعالى: " إن تعذبهم فإنهم عبادك " ." (٢)

"{قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز * قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط * ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب * ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٧١/٥

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١٧٤/٥

ديارهم جاثمين *كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود }

قوله تعالى: " قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول "

١٢٠١٤- حدثنا علي بن الحسين، ثنا محمد بن أبي حماد، ثنا مهران، عن سفيان: " ما نفقه كثيرا مما تقول " "ما نعرف".

قوله تعالى: " وإنا لنراك فينا ضعيفا "

١٢٠١٥- حدثنا علي بن الحسين، ثنا يزيد بن عبد العزيز، ثنا عباد، عن شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: " وإنا لنراك فينا ضعيفا " قال:"كان ضرير البصر".

١٢٠١٦- حدثنا أبي، ثنا محمد بن عطاء النخعي، ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير، قوله: " وإنا لنراك فينا ضعيفا " قال:"كان أعمى".." (١)

"١٣٠٣٨- حدثنا أبي، ثنا أبو هريرة محمد بن فراس الصراف، ثنا أبو قتيبة، ثنا شعبة، عن شريك، عن عكرمة، في قوله:" " له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله " ، قال: الجلاوذة".

١٣٠٣٩- حدثنا أبي، ثنا عبيد الله بن معاذ، ثنا أبي، ثنا شعبة، عن شريك، عن عكرمة،" " له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله " ، قال: هذا للأمراء".

قوله تعالى: " من بين يديه ومن خلفه "

١٣٠٤٠- حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، ثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس، أنه كان يقرأ:" " له معقبات من بين يديه " ، ورقباء من خلفه".

١٣٠٤١- حدثنا أبي، ثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي، ثنا عبد الله بن الجارود، قال: سمعت الجارود بن أبي سبرة، قال: دخلت أنا وأبي على ابن عباس، بالشام وقد خرج من مستحم له وقد اغتسل، قال: وإنه مستلق، يقول: " له معقبات من بين يديه ومن خلفه " ، قال: يا أبا سبرة، ليس هناك المعقبات، ولكن له المعقبات من بين يديه ورقيب من خلفه".." (٢)

"وكان الله على كل شيء رقيبا}

١٨٣٠٤ - حدثنا أبي، حدثنا عبد الرحمن بن صالح، حدثني عبد الله بن محمد بن عبيد الله العزرمي،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٢٤٩/٨

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٨/٩

عن شيبان النحوي، أخبرني قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال:"لما نزلت: " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا " ، وقد كان أمر عليا، ومعاذا أن يسيرا إلى اليمن، فقال: انطلقا فبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، إنه قد أنزل علي: " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا " ".

قوله تعالى: " ودع أذاهم "

عن مجاهد رضي الله عنه، في قوله:" " ودع أذاهم " ، قال: أعرض عنهم".

قوله تعالى: " إذا نكحتم المؤمنات "

عن ابن عباس، في قوله:" " إذا نكحتم المؤمنات " الآية، قال: هذا في الرجل، يتزوج المرأة ثم يطلقها من قبل أن يمسها، فإذا طلقها طلقة واحدة بانت منه لا عدة عليها، تتزوج من شاءت، ثم قال: " فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا " ، يقول: إن كان سمى لها صداقا فليس لها إلا النصف، وإن لم يكن سمى لها صداقا متعها على قدر عسره ويسره وهو السراح الجميل"." (١)

"عن ابن عباس، في قوله:" " أفعيينا بالخلق الأول " ، يقول: لم يعينا الخلق الأول، وفي قوله: " بل هم في لبس من خلق جديد " ، يقول: في شك من البعث".

قوله تعالى: " من حبل الوريد "

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في قوله:" " من حبل الوريد " ، قال: عرق العنق".

قوله تعالى: " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد "

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في قوله:" " ما يلفظ من قول " الآية، قال: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر، حتى إنه ليكتب قوله أكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر، وألقى سائره، فذلك قوله: " يمحو الله ما يشاء ويثبت " "

من طريق عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في قوله:" " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد " ، قال: إنما يكتب الخير والشر، لا يكتب يا غلام، أسرج الفرس، ويا غلام، اسقني الماء".

قوله تعالى: " وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد "

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٤٧٧/١١

عن عثمان بن عفان، رضي الله عنه، أنه قرأ:" " وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد " ، قال: سائق يسوقها إلى أمر الله، وشهيد يشهد عليها بما عملت"." (١)

"{ ١٨٣ - ١٨٥ } { يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون * شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون } .

يخبر تعالى بما من به على عباده، بأنه فرض عليهم الصيام، كما فرضه على الأمم السابقة، لأنه من الشرائع والأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان.

وفيه تنشيط لهذه الأمة، بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال، والمسارعة إلى صالح الخصال، وأنه ليس من الأمور الثقيلة، التي اختصيتم بها.

ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال: { لعلكم تتقون } فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه.

فمما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقربا بذلك إلى الله، راجيا بتركها، ثوابه، فهذا من التقوى.

ومنها: أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه، ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام، يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي، ومنها: أن الصائم في الغالب، تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى، ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع، أوجب له ذلك، مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى.

ولما ذكر أنه فرض عليهم الصيام، أخبر أنه أيام معدودات، أي: قليلة في غاية السهولة.

ثم سهل تسهيلا آخر. فقال: { فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر } وذلك للمشقة، في الغالب، رخص الله لهما، في الفطر.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٢/٢٤٥

ولما كان لا بد من حصول مصلحة الصيام لكل مؤمن، أمرهما أن يقضياه في أيام أخر إذا زال المرض، وانقضى السفر، وحصلت الراحة.

وفي قوله: { فعدة من أيام } فيه دليل على أنه يقضي عدد أيام رمضان، كاملا كان، أو ناقصا، وعلى أنه يجوز أن يقضي أياما قصيرة باردة، عن أيام طويلة حارة كالعكس.

وقوله: { وعلى الذين يطيقونه } أي: يطيقون الصيام { فدية } عن كل يوم يفطرونه { طعام مسكين } وهذا في ابتداء فرض الصيام، لما كانوا غير معتادين للصيام، وكان فرضه حتما، فيه مشقة عليهم، درجهم الرب الحكيم، بأسهل طريق، وخير المطيق للصوم بين أن يصوم، وهو أفضل، أو يطعم، ولهذا قال: { وأن تصوموا خير لكم } .

ثم بعد ذلك، جعل الصيام حتما على المطيق وغير المطيق، يفطر ويقضيه في أيام أخر [وقيل: { وعلى الذين يطيقونه } أي: يتكلفونه، ويشق عليهم مشقة غير محتملة، كالشيخ الكبير، فدية عن كل يوم مسكين (١) وهذا هو الصحيح] (٢) .

{ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن } أي: الصوم المفروض عليكم، هو شهر رمضان، الشهر العظيم، الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم، المشتمل على الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية، وتبيين الحق بأوضح بيان، والفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأهل السعادة وأهل الشقاوة.

فحقيق بشهر، هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه، أن يكون موسما للعباد مفروضا فيه الصيام.

فلما قرره، وبين فضيلته، وحكمة الله تعالى في تخصيصه قال: { فمن شهد منكم الشهر فليصمه } هذا فيه تعيين الصيام على القادر الصحيح الحاضر.

ولما كان النسخ للتخيير، بين الصيام والفداء خاصة، أعاد الرخصة للمريض والمسافر، لئلا يتوهم أن الرخصة أيضا منسوخة [فقال] { يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر } أي: يريد الله تعالى أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير، ويسهلها أشد (٣) تسهيل، ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية [ص ٨٧] السهولة في أصله.

وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله، سهله تسهيلا آخر، إما بإسقاطه، أو تخفيفه بأنواع التخفيفات. وهذه جملة لا يمكن تفصيلها، لأن تفاصيلها، جميع الشرعيات، ويدخل فيها جميع الرخص والتخفيفات.

{ ولتكملوا العدة } وهذا - والله أعلم - لئلا يتوهم متوهم، أن صيام رمضان، يحصل المقصود منه ببعضه،

دفع هذا الوهم بالأمر بتكميل عدته، ويشكر الله [تعالى] عند إتمامه على توفيقه وتسهيله وتبيينه لعباده، وبالتكبير عند انقضائه، ويدخل في ذلك التكبير عند رؤية هلال شوال إلى فراغ خطبة العيد.

---

(١) ظاهر أن المراد عن كل يوم طعام مسكين.

(٢) زيادة من هامش ب.

(٣) في ب: أبلغ تسهيل.." (١)

"{ ١٨٦ } { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون } .

هذا جواب سؤال، سأل النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فقالوا: يا رسول الله، أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزل: { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب } لأنه تعالى، **الرقيب** الشهيد، المطلع على السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو قريب أيضا من داعيه، بالإجابة، ولهذا قال: { أجيب دعوة الداع إذا دعان } والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق.

فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، وخصوصا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به، الموجب للاستجابة، فلهذا قال: { فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون } أي: يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة. ولأن الإيمان بالله والاستجابة لأمره، سبب لحصول العلم كما قال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا } .." (٢)

"{ ١ } { بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم **رقيبا** }

.

---

(١) تفسير السعدي، ص/٨٦

(٢) تفسير السعدي، ص/٨٧

افتتح تعالى هذه السورة بالأمر بتقواه، والحث على عبادته، والأمر بصلة الأرحام، والحث على ذلك.
وبين السبب الداعي الموجب لكل من ذلك، وأن الموجب لتقواه أن { ربكم الذي خلقكم } ورزقكم، ورباكم بنعمه العظيمة، التي من جملتها خلقكم { من نفس واحدة وخلق منها زوجها } ليناسبها، فيسكن إليها، وتتم بذلك النعمة، ويحصل به السرور، وكذلك من الموجب الداعي لتقواه تساؤلكم به وتعظيمكم، حتى إنكم إذا أردتم قضاء حاجاتكم ومآربكم، توسلتم بها بالسؤال بالله. فيقول من يريد ذلك لغيره: أسألك بالله أن تفعل الأمر الفلاني؛ لعلمه بما قام في قلبه من تعظيم الله الداعي أن لا يرد من سأله بالله، فكما عظمتموه بذلك فلتعظموه بعبادته وتقواه.
وكذلك الإخبار بأنه **رقيب**، أي: مطلع على العباد في حال حركاتهم وسكونهم، وسرهم وعلنهم، وجميع أحوالهم، مراقبا لهم فيها مما يوجب مراقبته، وشدة الحياء منه، بلزوم تقواه.
وفي الإخبار بأنه خلقهم من نفس واحدة، وأنه بثهم في أقطار الأرض، مع رجوعهم إلى أصل واحد - ليعطف بعضهم على بعض، ويرقق بعضهم على بعض. وقرن الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام والنهي عن قطيعتها، ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصا الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق الله الذي أمر به.
وتأمل كيف افتتح هذه السورة بالأمر بالتقوى، وصلة الأرحام والأزواج عموما، ثم بعد ذلك فصل هذه الأمور أتم تفصيل، من أول السورة إلى آخرها. فكأنها مبنية على هذه الأمور المذكورة، مفصلة لما أجمل منها، موضحة لما أبهم.
وفي قوله: { وخلق منها زوجها } تنبيه على مراعاة حق الأزواج والزوجات والقيام به، لكون الزوجات مخلوقات من الأزواج، فبينهم وبينهن أقرب نسب وأشد اتصال، وأقرب (١) علاقة.

---

(١) في ب: وأوثق.." (١)

"فلما سمع عيسى عليه الصلاة والسلام ذلك، وعلم مقصودهم، أجابهم إلى طلبهم في ذلك، فقال: { اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك } أي: يكون وقت نزولها عيدا وموسما، يتذكر به هذه الآية العظيمة، فتحفظ ولا تنسى على مرور الأوقات وتكرر السنين.

---

(١) تفسير السعدي، ص/١٦٣

كما جعل الله تعالى أعياد المسلمين ومناسكهم مذكرا لآياته، ومنبها على سنن المرسلين وطرقهم القويمة، وفضله وإحسانه عليهم. { وارزقنا وأنت خير الرازقين } أي: اجعلها لنا رزقا، فسأل عيسى عليه السلام نزولها وأن تكون لهاتين المصلحتين، مصلحة الدين بأن تكون آية باقية، ومصلحة الدنيا، وهي أن تكون رزقا.

{ قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين } لأنه شاهد الآية الباهرة وكفر عنادا وظلما، فاستحق العذاب الأليم والعقاب الشديد. واعلم أن الله تعالى وعد أنه سينزلها، وتوعدهم -إن كفروا- بهذا الوعيد، ولم يذكر أنه أنزلها، فيحتمل أنه لم ينزلها بسبب أنهم لم يختاروا ذلك، ويدل على ذلك، أنه لم يذكر في الإنجيل الذي بأيدي النصارى، ولا له وجود. ويحتمل أنها نزلت كما وعد الله، والله لا يخلف الميعاد، ويكون عدم ذكرها في الأناجيل التي بأيديهم من الحظ الذي ذكروا به فنسوه.

أو أنه لم يذكر في الإنجيل أصلا وإنما ذلك كان متوارثا بينهم، ينقله الخلف عن السلف، فاكتفى الله بذلك عن ذكره في الإنجيل، ويدل على هذا المعنى قوله: { ونكون عليها من الشاهدين } والله أعلم بحقيقة الحال.

{ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله } وهذا توبيخ للنصارى الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، فيقول الله هذا الكلام لعيسى. فيتبرأ عيسى ويقول: { سبحانك } عن هذا الكلام القبيح، وعما لا يليق بك.

{ ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق } أي: ما ينبغي لي، ولا يليق أن أقول شيئا ليس من أوصافي ولا من حقوقي، فإنه ليس أحد من المخلوقين، لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا غيرهم له حق ولا استحقاق لمقام الإلهية وإنما الجميع عباد، مدبرون، وخلق مسخرون، وفقراء عاجزون { إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك } فأنت أعلم بما صدر مني و { إنك أنت علام الغيوب } وهذا من كمال أدب المسيح عليه الصلاة والسلام في خطابه لربه، فلم يقل عليه السلام: "لم أقل شيئا من ذلك" وإنما أخبر بكلام ينفي عن نفسه أن يقول كل مقالة تنافي منصبه الشريف، وأن هذا من الأمور المحالة، ونزه ربه عن ذلك أتم تنزيه، ورد العلم إلى عالم الغيب والشهادة.

ثم صرح بذكر ما أمر به بني إسرائيل، فقال: { ما قلت لهم إلا ما أمرتني به } فأنا عبد متبع لأمرك، لا متجرئ على عظمتك، { أن اعبدوا الله ربي وربكم } أي: ما أمرتهم إلا بعبادة الله وحده وإخلاص الدين

له، المتضمن للنهي عن اتخاذي وأمي إلهين من دون الله، وبيان أني عبد مربوب، فكما أنه ربكم فهو ربي. { وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم } أشهد على من قام بهذا الأمر، ممن لم يقم به. { فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم } أي: المطلع على سرائرهم وضمائرهم. { وأنت على كل شيء شهيد } علما وسمعا وبصرا، فعلمك قد أحاط بالمعلومات، وسمعك بالمسموعات، وبصرك بالمبصرات، فأنت الذي تجازي عبادك بما تعلمه فيهم من خير وشر.

[ص ٢٥٠]

{ إن تعذبهم فإنهم عبادك } وأنت أرحم بهم من أنفسهم وأعلم بأحوالهم، فلولا أنهم عباد متمردون لم تعذبهم. { وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم } أي: فمغفرتك صادرة عن تمام عزة وقدرة، لا كمن يغفر ويعفو عن عجز وعدم قدرة.

الحكيم حيث كان من مقتضى حكمتك أن تغفر لمن أتى بأسباب المغفرة.

{ قال الله } مبينا لحال عباده يوم القيامة، ومن الفائز منهم ومن الهالك، ومن الشقي ومن السعيد، { هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم } والصادقون هم الذين استقامت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم على الصراط المستقيم والهدي القويم، فيوم القيامة يجدون ثمرة ذلك الصدق، إذا أحلهم الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ولهذا قال: { لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم } والكاذبون بضدهم، سيجدون ضرر كذبهم وافترائهم، وثمرة أعمالهم الفاسدة.

{ لله ملك السماوات والأرض } لأنه الخالق لهما والمدبر لذلك بحكمه القدري، وحكمه الشرعي، وحكمه الجزائي، ولهذا قال: { وهو على كل شيء قدير } فلا يعجزه شيء، بل جميع الأشياء منقادة لمشيئته، ومسخرة بأمره.

تم تفسير سورة المائدة بفضل من الله وإحسان، والحمد لله رب العالمين.." (١)

"{ ٦٠ - ٦٢ } { وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون * وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين } .

---

(١) تفسير السعدي، ص/٢٤٩

هذا كله، تقرير لألوهيته، واحتجاج على المشركين به، وبيان أنه تعالى المستحق للحب والتعظيم، والإجلال والإكرام، فأخبر أنه وحده، المتفرد بتدبير عباده، في يقظتهم ومنامهم، وأنه يتوفاهم بالليل، وفاة النوم، فتهدأ حركاتهم، وتستريح أبدانهم، ويبعثهم في اليقظة من نومهم، ليتصرفوا في مصالحهم الدينية والدنيوية وهو - تعالى- يعلم ما جرحوا وما كسبوا من تلك الأعمال. ثم لا يزال تعالى هكذا، يتصرف فيهم، حتى يستوفوا آجالهم. فيقضى بهذا التدبير، أجل مسمى، وهو: أجل الحياة، وأجل آخر فيما بعد ذلك، وهو البعث بعد الموت، ولهذا قال: { ثم إليه مرجعكم } لا إلى غيره { ثم ينبئكم بما كنتم تعملون } من خير وشر.

{ وهو } تعالى { القاهر فوق عباده } ينفذ فيهم إرادته الشاملة، ومشيئته العامة، فليسوا يملكون من الأمر شيئا، ولا يتحركون ولا يسكنون إلا بإذنه، ومع ذلك، فقد وكل بالعباد حفظة من الملائكة، يحفظون العبد ويحفظون عليه ما عمل، كما قال تعالى: { وإن عليكم لحافظين *كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون } { عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد } فهذا حفظه لهم في حال الحياة { حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا } أي الملائكة الموكلون بقبض الأرواح { وهم لا يفرطون } في ذلك فلا يزيدون ساعة مما قدره الله وقضاه ولا ينقصون ولا ينفذون من ذلك إلا بحسب المراسيم الإلهية والتقادير الربانية

{ ثم } بعد الموت والحياة البرزخية وما فيها من الخير والشر { ردوا إلى الله مولاهم الحق } أي الذي تولاهم بحكمه القدري فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير ثم تولاهم بأمره ونهيه وأرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب ثم ردوا إليه ليتولى الحكم فيهم بالجزاء ويثيبهم على ما عملوا من الخيرات ويعاقبهم على الشرور والسيئات ولهذا قال { ألا له الحكم } وحده لا شريك له { وهو أسرع الحاسبين } لكمال علمه وحفظه لأعمالهم بما أثبتته في اللوح المحفوظ ثم أثبته ملائكته في الكتاب الذي بأيديهم فإذا كان تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير وهو القاهر فوق عباده وقد اعتنى بهم كل الاعتناء في جميع أحوالهم وهو الذي له الحكم القدري والحكم الشرعي والحكم الجزائي فأين للمشركين العدول عن من هذا وصفه ونعته إلى عبادة من ليس له من الأمر شيء ولا عنده مثقال ذرة من النفع ولا له قدرة وإرادة؟

أما والله لو علموا حلم الله عليهم وعفوه ورحمته بهم وهم يبارزونه بالشرك والكفران ويتجرءون على عظمته بالإفك والبهتان وهو يعافيهم [ص ٢٦٠] ويرزقهم لانجذبت دواعيهم إلى معرفته وذهلت عقولهم في حبه

ولمقتوا أنفسهم أشد المقت حيث انقادوا لداعي الشيطان الموجب للخزي والخسران ولكنهم قوم لا يعقلون.." (١)

"{ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون } .

ولما دعا إلى دار السلام، كأن النفوس تشوقت إلى الأعمال الموجبة لها الموصلة إليها، فأخبر عنها بقوله: { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة } أي: للذين أحسنوا في عبادة الخالق، بأن عبدوه على وجه **المراقبة** والنصيحة في عبوديته، وقاموا بما قدروا عليه منها، وأحسنوا إلى عباد الله بما يقدرون عليه من الإحسان القولي والفعلي، من بذل الإحسان المالي، والإحسان البدني، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهلين، ونصيحة المعرضين، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان.

فهؤلاء الذين أحسنوا، لهم "الحسنى" وهي الجنة الكاملة في حسنها و "زيادة" وهي النظر إلى وجه الله الكريم، وسماع كلامه، والفوز برضاه والبهجة بقربه، فبهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه المتمنون، ويسأله السائلون.

ثم ذكر اندفاع المحذور عنهم فقال: { ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة } أي: لا ينالهم مكروه، بوجه من الوجوه، لأن المكروه، إذا وقع بالإنسان، تبين ذلك في وجهه، وتغير وتكدر.

وأما هؤلاء - فهم كما (١) قال الله عنهم - { تعرف في وجوههم نضرة النعيم } { أولئك أصحاب الجنة } الملازمون لها { هم فيها خالدون } لا يحولون ولا يزولون، ولا يتغيرون.

---

(١) في ب: فكما.." (٢)

"{ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي } أي: لا تحملنكم مخالفتي ومشاقتي { أن يصيبكم } من العقوبات { مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد } لا في الدار ولا في الزمان. { واستغفروا ربكم } عما اقترفتم من الذنوب { ثم توبوا إليه } فيما يستقبل من أعماركم، بالتوبة النصوح، والإنابة إليه بطاعته، وترك مخالفته.

---

(١) تفسير السعدي، ص/٢٥٩

(٢) تفسير السعدي، ص/٣٦٢

{ إن ربي رحيم ودود } لمن تاب وأناب، يرحمه فيغفر له، ويتقبل توبته ويحبه، ومعنى الودود، من أسمائه تعالى، أنه يحب عباده المؤمنين ويحبونه، فهو "فعول" بمعنى "فاعل" وبمعنى "مفعول"

{ قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول } أي: تضجروا من نصائحه ومواعظه لهم، فقالوا: { ما نفقه كثيرا مما تقول } وذلك لبغضهم لما يقول، ونفرتهم عنه.

{ وإنا لنراك فينا ضعيفا } أي: في نفسك، لست من الكبار والرؤساء بل من المستضعفين.

{ ولولا رهطك } أي: جماعتك وقبيلتك { لرجمناك وما أنت علينا بعزيز } أي: ليس لك قدر في صدورنا، ولا احترام في أنفسنا، وإنما احترمنا قبيلتك، بتركنا إياك.

ف { قال } لهم مترققا لهم: { يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله } أي: كيف تراعوني لأجل رهطي، ولا تراعوني لله، فصار رهطي أعز عليكم من الله.

{ واتخذتموه وراءكم ظهريا } أي: نبذتم أمر الله، وراء ظهوركم، ولم تبالوا به، ولا خفتم منه.

{ إن ربي بما تعملون محيط } لا يخفى عليه من أعمالكم مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فسيجازيكم على ما عملتم أتم الجزاء.

{ و } لما أعيوه وعجز عنهم قال: { يا قوم اعملوا على مكانتكم } أي: على حالتكم ودينكم.

{ إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه } ويحل عليه عذاب مقيم أنا أم أنتم، وقد علموا ذلك حين وقع عليهم العذاب.

{ وارتقبوا } ما يحل بي { إني معكم رقيب } ما يحل بكم.

{ ولما جاء أمرنا } بإهلاك قوم شعيب { نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين } لا تسمع لهم صوتا، ولا ترى منهم حركة.

{ كأن لم يغنوا فيها } أي: كأنهم ما أقاموا في ديارهم، ولا تنعموا فيها حين أتاهم العذاب.

{ ألا بعدا لمدين } إذ أهلكها الله وأخزاها { كما بعدت ثمود } أي: قد اشتركت هاتان القبيلتان في السحق والبعد والهلاك.

وشعيب عليه السلام كان يسمى خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته لقومه، وفي قصته من الفوائد والعبر، شيء كثير.

منها: أن الكفار، كما يعاقبون، ويخاطبون، بأصل الإسلام، فكذلك بشرائعه وفروعه، لأن شعيبا دعا قومه إلى التوحيد، وإلى إيفاء المكيال والميزان، وجعل الوعيد، مرتبا على مجموع ذلك.

ومنها: أن نقص المكاييل والموازين، من كبائر الذنوب، وتخشى العقوبة العاجلة، على من تعاطى ذلك، وأن ذلك من سرقة أموال الناس، وإذا كان سرقتهم في المكاييل والموازين، موجبة للوعيد، فسرقتهم – على وجه القهر والغلبة – من باب أولى وأحرى.

ومنها: أن الجزاء من جنس العمل، فمن بخس أموال الناس، يريد زيادة ماله، عوقب بنقيض ذلك، وكان سببا لزوال الخير الذي عنده من الرزق لقوله: { إني أراكم بخير } أي: فلا تسببوا إلى زواله بفعلكم.

ومنها: أن على العبد أن يقنع بما آتاه الله، ويقنع بالحلال عن الحرام وبالمكاسب المباحة عن المكاسب المحرمة، وأن ذلك خير له لقوله: { بقية الله خير لكم } ففي ذلك، من البركة، وزيادة الرزق ما ليس في التكالب على الأسباب المحرمة من المحق، وضد البركة.

ومنها: أن ذلك، من لوازم الإيمان وآثاره، فإنه رتب العمل به، على وجود الإيمان، فدل على أنه إذا لم يوجد العمل، فالإيمان ناقص أو معدوم.

ومنها: أن الصلاة، لم تزل مشروعة للأنبياء المتقدمين، وأنها من أفضل الأعمال، حتى إنه متقرر عند الكفار فضلها، وتقديمها على سائر الأعمال، وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي ميزان للإيمان وشرائعه، فبإقامتها تكمل أحوال العبد، وبعدم إقامتها، تختل أحواله الدينية.

ومنها: أن المال الذي يرزقه الله الإنسان – وإن كان الله قد خوله إياه – فليس له أن يصنع فيه ما يشاء، فإنه أمانة عنده، عليه أن يقيم حق الله فيه بأداء ما فيه من الحقوق، والامتناع من المكاسب التي حرمها الله ورسوله، لا كما يزعمه الكفار، ومن أشبههم، أن أموالهم لهم أن يصنعوا فيها ما يشاءون ويختارون، سواء وافق حكم الله، أو خالفه.

ومنها: أن من تكملة دعوة الداعي وتمامها أن يكون أول مبادر لما يأمر غيره به، وأول منته عما ينهى غيره عنه، كما قال شعيب عليه السلام: { وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه } ولقوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون *كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون }

[ص ٣٨٩]

ومنها أن وظيفة الرسل وسنتهم وملتهم إرادة الإصلاح بحسب القدرة والإمكان فيأتون بتحصيل المصالح وتكميلها أو بتحصيل ما يقدر عليه منها وبدفع المفاسد وتقليلها ويراعون المصالح العامة على المصالح الخاصة

وحقيقة المصلحة هي التي تصلح بها أحوال العباد وتستقيم بها أمورهم الدينية والدنيوية

ومنها أن من قام بما يقدر عليه من الإصلاح لم يكن ملوما ولا مذموما في عدم فعله ما لا يقدر عليه فعلى العبد أن يقيم من الإصلاح في نفسه وفي غيره ما يقدر عليه

ومنها أن العبد ينبغي له أن لا يتكل على نفسه طرفة عين بل لا يزال مستعينا بربه متوكلا عليه سائلا له التوفيق وإذا حصل له شيء من التوفيق فلينسبه لموليه ومسديه ولا يعجب بنفسه لقوله { وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب }

ومنها الترهيب بأخذات الأمم وما جرى عليهم وأنه ينبغي أن تذكر القصص التي فيها إيقاع العقوبات بالمجرمين في سياق الوعظ والزجر

كما أنه ينبغي ذكر ما أكرم الله به أهل التقوى عند الترغيب والحث على التقوى

ومنها أن التائب من الذنب كما يسمح له عن ذنبه ويعفى عنه فإن الله تعالى يحبه ويوده ولا عبرة بقول من يقول "إن التائب إذا تاب فحسبه أن يغفر له ويعود عليه العفو وأما عود الود والحب فإنه لا يعود" فإن الله قال { واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود }

ومنها أن الله يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة قد يعلمون بعضها وقد لا يعلمون شيئا منها وربما دفع عنهم بسبب قبيلتهم أو أهل وطنهم الكفار كما دفع الله عن شعيب رجم قومه بسبب رهطه وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين لا بأس بالسعي فيها بل ربما تعين ذلك لأن الإصلاح مطلوب على حسب القدرة والإمكان

فعلى هذا لو ساعد المسلمون الذين تحت ولاية الكفار وعملوا على جعل الولاية جمهورية يتمكن فيها الأفراد والشعوب من حقوقهم الدينية والدنيوية لكان أولى من استسلامهم لدولة تقضي على حقوقهم الدينية والدنيوية وتحرص على إبادتها وجعلهم عملة وخدما لهم

نعم إن أمكن أن تكون الدولة للمسلمين وهم الحكام فهو المتعين ولكن لعدم إمكان هذه المرتبة فالمرتبة التي فيها دفع ووقاية للدين والدنيا مقدمة والله أعلم." (١)

"{ ١٣ - ١٧ } { وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين * ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد * واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد * من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد * يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من

---

(١) تفسير السعدي، ص/٣٨٨

كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ } .

لما ذكر دعوة الرسل لقومهم ودوامهم على ذلك وعدم مللهم، ذكر منتهى ما وصلت بهم الحال مع قومهم فقال: { وقال الذين كفروا لرسلهم } متوعدين لهم { لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا } وهذا أبلغ ما يكون من الرد، وليس بعد هذا فيهم مطمع، لأنه ما كفاهم أن أعرضوا عن الهدى بل توعدوهم بالإخراج من ديارهم ونسبوها إلى أنفسهم وزعموا أن الرسل لا حق لهم فيها، وهذا من أعظم الظلم، فإن الله أخرج عباده إلى الأرض، وأمرهم بعبادته، وسخر لهم الأرض وما عليها يستعينون بها على عبادته.

فمن استعان بذلك على عبادة الله حل له ذلك وخرج من التبعة، ومن استعان بذلك على الكفر وأنواع المعاصي، لم يكن ذلك خالصا له، ولم يحل له، فعلم أن أعداء الرسل في الحقيقة ليس لهم شيء من الأرض التي توعدوا الرسل بإخراجهم منها. وإن رجعنا إلى مجرد العادة فإن الرسل من جملة أهل بلادهم، وأفراد منهم، فلأي شيء يمنعونهم حقا لهم صريحا واضحا؟! هل هذا إلا من عدم الدين والمروءة بالكلية؟ ولهذا لما انتهى مكرهم بالرسل إلى هذه الحال ما بقي حينئذ إلا أن يمضي الله أمره، وينصر أولياءه، { فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين } بأنواع العقوبات.

{ ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك } أي: العاقبة الحسنة التي جعلها الله للرسل ومن تبعهم جزاء { لمن خاف مقامي } عليه في الدنيا وراقب الله مراقبة من يعلم أنه يراه، { وخاف وعيد } أي: ما توعدت به من عصاني فأوجب له ذلك الانكفاف عما يكرهه الله والمبادرة إلى ما يحبه الله.

{ واستفتحوا } أي: الكفار أي: هم الذين طلبوا واستعجلوا فتح الله وفرقانه بين أوليائه وأعدائه فجاءهم ما استفتحوا به وإلا فالله حليم [ص ٤٢٤] لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، { وخاب كل جبار عنيد } أي: خسر في الدنيا والآخرة من تجبر على الله وعلى الحق وعلى عباد الله واستكبر في الأرض وعاند الرسل وشاقهم.

{ من ورائه جهنم } أي: جهنم لهذا الجبار العنيد بالمرصاد، فلا بد له من ورودها فيذاق حينئذ العذاب الشديد، { ويسقى من ماء صديد } في لونه وطعمه ورائحته الخبيثة، وهو في غاية الحرارة.

{ يتجرعه } من العطش الشديد { ولا يكاد يسيغه } فإنه إذا قرب إلى وجهه شواه وإذا وصل إلى بطنه قطع ما أتى عليه من الأمعاء، { ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت } أي: يأتيه العذاب الشديد من كل نوع من أنواع العذاب، وكل نوع منه من شدته يبلغ إلى الموت ولكن الله قضى أن لا يموتوا كما قال تعالى: { لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون

فيها }
{ ومن ورائه } أي: الجبار العنيد { عذاب غليظ } أي: قوي شديد لا يعلم وصفه وشدته إلا الله تعالى.." (١)

"{ ١٢ - ١٩ } { ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد * وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم } إلى آخر القصة.

يخبر تعالى عن امتنانه على عبده الفاضل لقمان، بالحكمة، وهي العلم [بالحق] (١) على وجهه وحكمته، فهي العلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام، فقد يكون الإنسان عالما، ولا يكون حكيما.

وأما الحكمة، فهي مستلزمة للعلم، بل وللعمل، ولهذا فسرت الحكمة بالعلم النافع، والعمل الصالح.

ولما أعطاه الله هذه المنة العظيمة، أمره أن يشكره على ما أعطاه، ليبارك له فيه، وليزيده من فضله، وأخبره أن شكر الشاكرين، يعود نفعه عليهم، وأن من كفر فلم يشكر الله، عاد وبال ذلك عليه. والله غني [عنه] (٢) حميد فيما يقدره ويقضيه، على من خالف أمره، فغناه تعالى، من لوازم ذاته، وكونه حميدا في صفات كماله، حميدا في جميل صنعه، من لوازم ذاته، وكل واحد من الوصفين، صفة كمال، واجتماع أحدهما إلى الآخر، زيادة كمال إلى كمال.

واختلف المفسرون، هل كان لقمان نبيا، أو عبدا صالحا؟ والله تعالى لم يذكر عنه إلا أنه آتاه الحكمة، وذكر بعض ما يدل على حكمته في وعظه لابنه، فذكر أصول الحكمة وقواعدها الكبار فقال: { وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه }

أو قال له قولا به يعظه بالأمر، والنهي، المقرون بالترغيب والترهيب، فأمره بالإخلاص، ونهاه عن الشرك، وبين له السبب في ذلك فقال: { إن الشرك لظلم عظيم } ووجه كونه عظيما، أنه لا أفظع وأبشع ممن سوى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئا، بمن له الأمر كله، وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لم ينعم بمثقال ذرة [من النعم] (٣) بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، ودنياهم وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟؟!

وهل أعظم ظلما ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، [فجعلها في أخس المراتب] (٤)

---

(١) تفسير السعدي، ص/٤٢٣

جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئا، فظلم نفسه ظلما كبيرا.
ولما أمر بالقيام بحقه، بترك الشرك الذي من لوازمه القيام بالتوحيد، أمر بالقيام بحق الوالدين فقال: { ووصينا الإنسان } أي: عهدنا إليه، وجعلناه وصية عنده، سنسأله عن القيام بها، وهل حفظها أم لا؟ فوصيناه { بوالديه } وقلنا له: { اشكر لي } بالقيام بعبوديتي، وأداء حقوقي، وأن لا تستعين بنعمي على معصيتي. { ولوالديك } بالإحسان إليهما بالقول اللين، والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما، [وإكرامهما] (٥) وإجلالهما، والقيام بمئونتهما واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه، بالقول والفعل.
فوصيناه بهذه الوصية، وأخبرناه أن { إلي المصير } أي: سترجع أيها الإنسان إلى من وصاك، وكلفك بهذه الحقوق، فيسألك: هل قمت بها، فيثيبك الثواب الجزيل؟ أم ضيعتها، فيعاقبك العقاب الوبيل؟.
ثم ذكر السبب الموجب لبر الوالدين في الأم، فقال: { حملته أمه وهنا على وهن } أي: مشقة على مشقة، فلا تزال تلاقي المشاق، من حين يكون نطفة، من الوحم، والمرض، والضعف، والثقل، وتغير الحال، ثم وجع الولادة، ذلك الوجع الشديد.
ثم { فصاله في عامين } وهو ملازم لحضانة أمه وكفالتها ورضاعها، أفما يحسن بمن تحمل على ولده هذه الشدائد، مع شدة الحب، أن يؤكد على ولده، ويوصي إليه بتمام الإحسان إليه؟
{ وإن جاهداك } أي: اجتهد والداك { على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما } ولا تظن أن هذا داخل في الإحسان إليهما، لأن حق الله، مقدم على حق كل أحد، و "لا طاعة لمخلوق، في معصية الخالق"
ولم يقل: "وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فعقهما" بل قال: { فلا تطعهما } أي: بالشرك، وأما برهما، فاستمر عليه، ولهذا قال: { وصاحبهما في الدنيا معروفا } أي: صحبة إحسان إليهما بالمعروف، وأما اتباعهما وهما بحالة الكفر والمعاصي، فلا تتبعهما.
{ واتبع سبيل من أناب إلي } وهم المؤمنون بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، المستسلمون لربهم، المنيبون إليه.
واتباع سبيلهم، أن يسلك مسلكهم في الإنابة إلى الله، التي هي انجذاب دواعي القلب وإراداته إلى الله، ثم يتبعها سعي البدن، فيما يرضي الله، ويقرب منه.
{ ثم إلي مرجعكم } الطائع والعاصي، والمنيب، وغيره { فأنبئكم بما كنتم تعملون } فلا يخفى على الله من أعمالهم خافية.

{ يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل } التي هي أصغر الأشياء وأحقرها، { فتكن في صخرة } أي في وسطها { أو في السماوات أو في الأرض } في أي جهة من جهاتهما { يأت بها الله } لسعة علمه، وتمام خبرته وكمال قدرته، ولهذا قال: { إن الله لطيف خبير } أي: لطف في علمه وخبرته، حتى اطلع على البواطن والأسرار، وخفايا القفار والبحار.

والمقصود من هذا، الحث على مراقبة الله، والعمل بطاعته، مهما أمكن، والترهيب من عمل القبيح، قل أو كثر.

{ يا بني أقم الصلاة } حثه عليها، وخصها لأنها أكبر العبادات البدنية، { وأمر بالمعروف وانه عن المنكر } وذلك يستلزم العلم بالمعروف ليأمر به، والعلم بالمنكر لينهى عنه.

والأمر بما لا يتم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إلا به، من الرفق، والصبر، وقد صرح به في قوله: { واصبر على ما أصابك } ومن كونه فاعلا لما يأمر به، كافا لما ينهى عنه، فتضمن هذا، تكميل نفسه بفعل الخير وترك الشر، وتكميل غيره بذلك، بأمره ونهيه.

ولما علم أنه لا بد أن يبتلى إذا أمر ونهى وأن في الأمر والنهي مشقة على النفوس، أمره بالصبر على ذلك فقال: { واصبر على ما أصابك إن ذلك } الذي وعظ به لقمان ابنه { من عزم الأمور } أي: من الأمور التي يعزم عليها، ويهتم بها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم.

{ ولا تصعر خدك للناس } أي: لا تمله وتعبس بوجهك الناس، تكبرا عليهم، وتعاظما.

{ ولا تمش في الأرض مرحا } أي: بطرا، فخرا بالنعم، ناسيا المنعم، معجبا بنفسك. { إن الله لا يحب كل مختال } (٦) في نفسه وهيئته وتعاظمه { فخور } بقوله.

{ واقصد في مشيك } أي: امش متواضعا مستكينا، لا مشي البطر والتكبر، ولا مشي التماوت.

{ واغضض من صوتك } أدبا مع الناس ومع الله، { إن أنكر الأصوات } أي أفظعها وأبشعها { لصوت الحمير } فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة، لما اختص بذلك الحمار، الذي قد علمت خسته وبلادته.

وهذه الوصايا، التي وصى بها لقمان لابنه، تجمع أمهات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية يقرن بها ما يدعو إلى فعلها، إن كانت أمرا، وإلى تركها إن كانت نهيا.

وهذا يدل على ما ذكرنا في تفسير الحكمة، أنها العلم بالأحكام، وحكمها ومناسباتها، فأمره بأصل الدين،

وهو التوحيد، ونهاه عن الشرك، وبين له الموجب لتركه، وأمره ببر الوالدين، وبين له السبب الموجب لبرهما، وأمره بشكره وشكرهما، ثم احترز بأن محل برهما وامتثال أوامرهما، م لم يأمرا بمعصية، ومع ذلك فلا يعقهما، بل يحسن إليهما، وإن كان لا يطيعهما إذا جاهداه على الشرك. وأمره **بمراقبة** الله، وخوفه القدوم عليه، وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر، إلا أتى بها.

ونهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر، والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك.

وأمره بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وبالصبر اللذين يسهل بهما كل أمر، كما قال تعالى فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا، أن يكون مخصوصا بالحكمة، مشهورا بها. ولهذا من منة الله عليه وعلى سائر عباده، أن قص عليهم من حكمته، ما يكون لهم به أسوة حسنة.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) زيادة من ب.

(٤) زيادة من ب.

(٥) زيادة من ب.

(٦) كذا في ب، وزاد في أ قوله تعالى: فخور.." (١)

"{ ٥٢ } { لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء **رقيبا** } .

وهذا شكر من الله، الذي لم يزل شكورا، لزوجات رسوله، رضي الله عنهن، حيث اخترن الله ورسوله، والدار الآخرة، أن رحمهن، وقصر رسوله عليهن فقال: { لا يحل لك النساء من بعد } زوجاتك الموجودات { ولا أن تبدل بهن من أزواج } أي: ولا تطلق بعضهن، فتأخذ بدلها.

فحصل بهذا، أمنهن من الضرائر، ومن الطلاق، لأن الله قضى أنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، لا يكون بينه وبينهن فرقة.

---

(١) تفسير السعدي، ص/٦٤٨

{ ولو أعجبك حسنهن } أي: حسن غيرهن، فلا يحللن لك { إلا ما ملكت يمينك } أي: السراري، فذلك جائز لك، لأن المملوكات، في كراهة الزوجات، لسن بمنزلة الزوجات، في الإضرار للزوجات. { وكان الله على كل شيء رقيبا } أي: مراقبا للأمور، وعالما بما إليه تؤول، وقائما بتدبيرها على أكمل نظام، وأحسن إحكام.." (١)

"{ ٤٥ - ٤٧ } { واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار * إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار * وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار } .

يقول تعالى: { واذكر عبادنا } الذين أخلصوا لنا العبادة ذكرا حسنا، { إبراهيم } الخليل { و } ابنه { إسحاق و } ابن ابنه { يعقوب أولي الأيدي } أي: القوة على عبادة الله تعالى { والأبصار } أي: [ص ٧١٥] البصيرة في دين الله. فوصفهم بالعلم النافع، والعمل الصالح الكثير.

{ إنا أخلصناهم بخالصة } عظيمة، وخصيصة جسيمة، وهي: { ذكرى الدار } جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، والعمل لها صفوة وقتهم، والإخلاص والمراقبة لله وصفهم الدائم، وجعلناهم ذكرى الدار يتذكر بأحوالهم المتذكر، ويعتبر بهم المعتبر، ويذكرون بأحسن الذكر.

{ وإنهم عندنا لمن المصطفين } الذين اصطفاهم الله من صفوة خلقه، { الأخيار } الذين لهم كل خلق كريم، وعمل مستقيم.." (٢)

"{ ١٦-١٨ } { ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد * إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد } .

يخبر تعالى، أنه المتفرد بخلق (١) جنس الإنسان، ذكورهم وإناثهم، وأنه يعلم أحواله، وما يسره، ويوسوس في صدره (٢) وأنه أقرب إليه من حبل الوريد، الذي هو أقرب شيء إلى الإنسان، وهو العرق (٣) المكتنف لثغرة النحر، وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه، المطلع على ضميره وباطنه، القريب منه (٤) في جميع أحواله، فيستحي منه أن يراه، حيث نهاه، أو يفقده، حيث أمره، وكذلك ينبغي له أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه على بال، فيجلهم ويوقرهم، ويحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه، مما لا يرضي رب العالمين، ولهذا قال: { إذ يتلقى المتلقيان } أي: يتلقيان عن العبد أعماله كلها، واحد { عن اليمين }

---

(١) تفسير السعدي، ص/٦٧٠

(٢) تفسير السعدي، ص/٧١٤

يكتب الحسنات { و } الآخر { عن الشمال } يكتب السيئات، وكل منهما { قعيد } بذلك متهيئ لعمله الذي أعد له، ملازم له (٥) .

{ ما يلفظ من قول } خير أو شر { إلا لديه رقيب عتيد } أي: مراقب له، حاضر لحاله، كما قال تعالى: { وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون }

---

(١) كذا في ب، وفي أ: أنه الذي خلق.

(٢) في ب: وتوسوس به نفسه.

(٣) في ب: العظم.

(٤) في ب: إليه.

(٥) في ب: لذلك.." (١)

""الخالق، البارئ، المصور" الذي خلق جميع الموجودات وبرأها وسواها بحكمته، وصورها بحمده وحكمته، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم.

"المؤمن" الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال والجمال، الذي أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيات والبراهين، وصدق رسله بكل آية وبرهان، يدل على صدقهم وصحة ما جاؤوا به.

"المهيمن": المطلع على خفايا الأمور وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علما.

"القدير" كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئا قال له "كن فيكون"، وبقدرته يقلب القلوب، ويصرفها على ما يشاء ويريد.

"اللطيف" الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه، من طرق لا يشعرون بها، فهو بمعنى "الخبير" وبمعنى "الرؤوف".

"الحسيب" هو العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر، بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها.

---

(١) تفسير السعدي، ص/٨٠٥

"**الرقيب**" المطلع على ما أكنته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير.

"الحفيظ" الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب والهلكات، ولطف بهم في الحركات والسكنات، وأحصى على العباد أعمالهم وجزاءها.

"المحيط" بكل شيء علما، وقدرة، ورحمة، وقهرا.

"القهار" لكل شيء، الذي خضعت له المخلوقات، وذلت لعزته وقوته وكمال اقتداره.

"المقيت" الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات، وأوصل إليها أرزاقها وصرفها كيف يشاء بحكمته وحمده.

"الوكيل" المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، الذي تولى أولياءه، فيسرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور. فمن اتخذه وكيلا كفاه { الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور }

"ذو الجلال والإكرام" أي: ذو العظمة والكبرياء، وذو الرحمة والجود، والإحسان العام والخاص، المكرم لأوليائه وأصفيائه، الذين يجلونه ويعظمونه ويحبونه.

"الودود" الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم، ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء، قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه ودا وإخلاصا وإنابة من جميع الوجوه.

"الفتاح" الذي يحكم بين عباده بأحكامه الشرعية، وأحكامه القدرية، وأحكام الجزاء، الذي فتح بلطفه بصائر الصادقين، وفتح قلوبهم لمعرفته ومحبته والإنابة إليه، وفتح لعباده أبواب الرحمة والأرزاق المتنوعة، وسبب لهم الأسباب التي ينالون بها خير الدنيا والآخرة { ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده }

"الرزاق" لجميع عباده، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها. ورزقه لعباده نوعان:

رزق عام، شمل البر والفاجر، والأولين والآخرين، وهو رزق الأبدان.

ورزق خاص وهو رزق القلوب، وتغذيتها بالعلم والإيمان.." (١)

---

(١) تفسير السعدي، ص/٩٤٧

" صفحة رقم ١٢

بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها هلأن أسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه ، وذلك هو الذي أنبأ به آدم عليه الصلاة والسلام عند العرض على المالئكة عليهم الصلاة والسلام ، ومقضود كل سورة هاد إلى تناسبها ، مقثصود السورة ، ولا أخرج عن معاني كلماتها ، فالفاتحة أسمها " أم الكتاب " " والأساسا " " والمثاني " " والكنز " و " الشافية " و " الكافية " و " الوزافية " و " الواقية " و " الرقية " و " الحمد " و " الشكر " و " الدعاء " و " الصلاة " فمدار هذه الأسماء كما ترى على أمر خفي كاف لكل مراد وهو **المراقبة** التي سأقول إنها مقصودها فكل شيء لا يفتتح بها لا اعتداد به ، وهي كنز لكل شيء شافية لكل داء ، كافية لكل هم ، وافية بكل مرام ، واقية من كل سوء رقية لكل ملم ، وهي إثبات للحمد الذي هو الإحاطة بصفات الكمال ، وللشكر الذي هوز تعظيم المنعم ، وهي عين الدعاء فإنه التوجه إلى المدعو ، وأعظم مجامعها الصلاة .

إذا تقررت ذلك فالغرض الذي سبقت له الفاتحة وه إثبات استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفا الكمال ، واختصاصه بملك الدنيا والآخرة ، وباستحقاق العبادة والاستعانة ، بالسؤال في المن بإلزام صراط الفائزين والإنقاذ من طريق الهالكين مختصا بذلك كله ، ومدار ذلك كله **مراقبة** العباد لربهم ، لإفراده بالعبادة ، نفهو مقصود الفاتحة بالذات وغيره وسائل إليه ، فإنه لا بد في ذلك من إثبات إحاطته تعالى بكل شيء ولن يثبت حتى يعلم أنه المختص بأنه الخالق اللملك المالك ، لأن المقصود منت إرسال الرسل وإنزال الكتب نصب الشرائع ، والمقصود من نصب الشرائع جمع الخلق على الحق والمقصود من جمعهم تعريفهم الملك وبما يرضيه ، وهو مقصود القرآن الذي انتظمته الفاتحة بالقصد الأول ، ولن يكون ذلك إلا بما ذكر علما وعملا ، ولما كان المقصود من جمعهم على الله تعالى معرفته لأجل عباداته وكان اتزام اسمه تعالى في كل حركة وسكون قائدا إلى مراقبته وداعيا إلى مخافته واعتقاد أن مصادر الأمور ومواردها منه وإليه شرعت التسمية أول كل شيء فصدرت بها الفاتحة. وقد التعود الذي هو من درء المفاسد تعظيما للقرآن بالإشارة إلى أن يتعين لتاليه أن يجتهد في تصفية سره وجمع متفرق أمره ، لينال سؤله ومراده مما أودعه من خزائن السعادة بإعراضه عن العدو الحسود وإقباله على الولي الودود ، ومن هنا تعرف مناسبة المعوذتين

بالفاتحة. ولما افتتح التعوذ بالهمزة أشارة إلى ابتداء الخلق وختم بالميم إيماء إلى المعاد جعلت البسملة كلها للمعاد لأبتدائها بحرف شفوي ، وختام أول كلماتها ومآخرها بآخر إشارة إلى أن." (١)

" صفحة رقم ١٩

قال الحرالي : (المغضوب عليهم (الذين ظهر منهم المراغمة وتعمد الخالفة فيوجب ذلك الغضب من الأعلى والبغض من الأدنى .

) الضالين (الذين وجهوا وجهة هدى فزاغوا عنها من غير تعمد لذلك .

(أمين كلمة عزم من الأمن ، مدلولها أن المدعو مأمون منه أن يرد من دعاه لأنه لايعجز شيء ولا ينعمه وهي لا تصلح إلا لله لأن ما دونه لاينفك عن عجز أو منع انتهى وهو صوت سمي به الفعل الذي هو استجب وقد انعطف المنتهى على **المبتدأبمراقبة** القسم الأول اسم الله فحازوا ثمرة الرحمة وخالف هذان القسمان فكانوا من حزب الشيطان فأخذتهم النقمة ، وعلم أن نظم القرآن على ما هو عليه معجز ، ومن ثم اشتراط في الفاتحة في الصلاة لكونها واجبة في الترتيب ، فلو قدم فيها أو أخر لم تصح الصلاة وكذا لو أدرج فيها ما ليس منها للاخلال بالنظم .

قال الأصبهاني : فإن القرآن معجز والركن الأبين الإعجاز يتعلق بالنظم والترتيب. انتهى. والحاصل أنه لما رفعت نلك الصفات العلية لمخاطبها الحجب وكشفت له بسمو مجهدها وعلو جدها وشرف حمدها جلائل الستر وأشرقت به رياض الكرم ونشرت له لطائف عواطفها بسط البر والنعم ثم اخترقت به مهامه العظمة والكبرياء وطوت في تيسيرها له مفاوز الجبروت والعز وأومضت له بوارق النقم من ذلك الجناب الشم وصل إلى مقام الفناء عنالفني وتمكن في رتبة شهود البقاء للباقي فبادر الخضوع له عن السوى حاكماعلى الأغيار بما لها منة ذواتها من العدم والتوى فقال : (إياك نعبد (وفي تلك الحال تحقق العجز عن توفية ذلك المقام ما له من الحق فقال : (وإياك نستعين (فكشف له الشهود في حضرات العبود عن طرق عديدة ومنازل سامية بعيدة ورأى أحولا جمة وأودية مدلهمة وبحارامغرقة وأنوالراهادية وأخرى محرقة ، ورأى لكل أهلاقد أسلكوا فجاء تارة وأخرى سهلاوعلم أن إلا بهدايته ولا عصمة بغير عنايته ولا سعادة إلا

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٢/١

برحمته ولا سلامة لغيرأهل نعمته ؛ فلما أشرف وستنار وعرف مواقع الأسرار بالأقدار كأنه قيل له : ماذا تطلب وفي أي مذهب تذهب ؟ فقال : (اهدنا الصراط المستقيم (." (١)

" صفحة رقم ٣٤

أو في وقت (الريب) التردد بين موقعي تهمة بيحث يمنع من الطمأنينة على كل واحد منها. اتهى. وأصله قلق النفس واضرابه ، ومنه ريب الزمان لنوائبه المقلقة ، ولما كان ذلك يستلزم الهدى قال : (هدى (وخص المنتفعين لن الألد لادواء له والتعنت لايرده شيء فقال : (للمتقين) أي الذين جلبوا في أصل الخلقة على التقوى ؛ فافهم ذلك أن غيرهم لايهتدي بهبل يرتاب وإن كان ليس موضعاللريب أصلا قال الحرالي : جمع المتقى وهو المتوقف عن الإقدام على كل أمر لشعوره بتقصير عن الاستباد وعلمه بأنه غير مستغن بنفسه فهو متق لوصفه وحسن فطرته والمتقى كذا متوقف لأجل ذلك ، والتقوى أصل يتقد الهدى وكل عبادة ، لأنها فطرة توقف تستحق الهدى وكل خير وهي وصية الله لأهل الكتاب. انتهى .

ثم وصفهم بمجامع الأعمال تعريفا لهم فقال) الذين يؤمنون بالغيب) أي الأمر الغائب الذي لانافع في الإيمان غيره ، وعبر بالمصدر للمبالغة .

) ويقيمون الصلاة) أي التي هى حضرة **المراقبة** وأفضل أعمال البدن بالمحافظة عليها وبحفظها في ذاتها وجميع أحوالها. ولما ذكر وصلة الخلق بالخالق وكانت النفقة مع أنها من أعظم دعائم الدين صلة بين الخلائق أتبعها بها فقال مقدما للجار ناهيا عن الإسراف ومنبها بالتبغيض على طيب النفقة لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وآمرا بالورع وزاجرا عما فيه شبهة [لأن الرزق يشمل الحلال والحرام والمشتبه) مما رزقناهم) أي مكناهم من الانتفاع به على عظمة خزائننا وهو لنا دونهم) ينفقون) أي في مرضاتنا مما يلزمهم من الزكاة والحج والغزو وغيرها ومما يتطوعون به من الصدقات وغيرها ، والمراد بهذه الأفعال هنا إيجاد حقائقها على الدوام .

قال أبو حيان وغيره في قوله تعالى في سورة الحج

٧٧ ( ) إن الذين كفروا ويصدون ( ) ٧

[الحج : ٢٥] المضارع قد لا يلحظ فيه زمان معين من حال أو استقبال فيدل إذ ذاك على الاستمرا . انتهى .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٩/١

وهذا مما لا محيد عنه وإلا لم يشمل هذا في هذه السورة المدنية من تخلق به قبل الهجرة وقوله تعالى
٧٧ ( ) فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ( ) ٧
[البقرة : ٩١] قاطع في ذلك .
وقال الحرالي : (يؤمنون (، من الإيمان وهو مصدر آمنه يؤمنه إيمانا إذا آمن من." [١]
" صفحة رقم ٦٥
شيئا فمرنت عليه حتى صار لها خلقا يصعب عليها انفكاكها عنه ويعسر خلاصها منه عبر عن هذا الإخبار بالعجز مهددا في سياق ملجئ إلى الإنصاف بالاعتراف أو تفطر القلوب بالعجز عن المطلوب بقوله تعالى : (فإن لم تفعلوا (فأتى بأداة الشك تنفيسا لهم وتهكما في نفس الأمر بهم واستجهالا لهم ، ثم لم يتمم ذلك التنفيس حتى ضربهم ضربة فضمت ظهورهم وقطعت قلوبهم فقال لتكون الآية كافلة لصحة نسبة النظم والمعنى آيد وآكد لادعائهم المقدرة بقوله تعالى : (ولن تفعلوا (فألزمهم الخزي بما حكم عليهم به من العجز ، فلم يكن لهم فعل إلا المبادرة إلى تصديقه بالكف ، فكانوا كمن ألقم الحجر فلم يسعه إلا السكوت ، واستمر ذلك التصديق لهم ولأمثالهم على وجه الدهر في كل عصر ينادي مناديه فتخضع له الرقاب ويصدح مؤذنه فتنكسر الرؤوس ، والتعبير بالفعل الأعم من الإتيان أبلغ لأن نفيه نفي الأخص وزيادة .
والفعل قال الحرالي ما ظهر عن داعية من الموقع كان عن علم أو غير علم لتدين كان أو لغيره كما تقدم مرارا – انتهى .
فقد ثبت أن هذا الكتاب الذي بين أنه الهادي إلى الصراط المستقيم أعظم دليل على إفراده بالعبادة واختصاصه **بالمراقبة** التي أرشدنا إليها بقوله :
٧٧ ( ) إياك نعبد وإياك نستعين ( ) ٧
[الفاتحة : ٤] الآية بما ثبت فيه من أدلة التفرد بالإلهية بما ثبت من عجزهم عن معارضته وعجز جميع العرب الذين كانوا أفصح الخلق وكذا جميع من ولد في بلادهم وانطبع بلسانهم من اليهود والنصارى الذين لهم من الفصاحة والعلم ما هو مشهور فقد كان لليهود من بني إسرائيل الذين كانوا في المدينة الشريفة وخيبر واليمن وغيرها ، ومن دخل في دينهم من العرب من الفصاحة والبلاغة والعلم ما لا يحتاج من طالع السيرة فيه إلى توقف ، وكان النصارى من بني إسرائيل ومن دان دينهم من العرب وهم كثير كثرة قوم المنذرين ماء

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٤/١

السماء ، وما قارب الشيء من عبد القيس وتنوخ وعامله وغسان كلهم فصحاء بلغاء ، وزاد كثير منهم على ذلك العلم وكان منهم الشعراء المبرزون ؛ ومع ذلك فلم يقدر أحد منهم على طعن في هذا القرآن ولا عارضه منهم إنسن إلا ما قاله مسيلمة والأسود العنسي فيما افتضحوا به وأكذبهم الله تعالى فيه وسارت بفضائحهم الركبان فكانوا بها مثلا في سائر البلدان .

قال عمرو بن بحر الجاحظ (في كتاب الحجة في تثبيت خبر الواحد) إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا (صلى الله عليه وسلم) أكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا وأحكم ما كانت لغة وأشد ما." (١)

" صفحة رقم ٢١١

من هذه الأمة سورة الفلق والناس والمعوذتان حرزا وإبطالا وتلقفا لما يأفك سحر الساحرات عوضا دائما باقيا لهذه الأمة من عصا موسى ، فهما عصا هذه الأمة التي تلقف ما يأفك سحر الساحرات عوضا دائما بما فيهما من التعويذ الجامع للعوذة من شر الفلق الذي من لمحة منه كان السحر مفرقا ، فهما عوذتان من وراء ما وراء السحر ونحوه ، وذلك من مثوبة الدفع مع ما أوتوا من مثوبة النفع ، ويكاد أن لا يقف من جاءه هذه الآية لهذه الأمة عند غاية من منال الخيرات ووجوه الكرامات - انتهى .

ولما كان من الحق كما قال الحرالي إجراء الأمور على حكم ما أثبتها الحق لأنها بذلك حق هو مثال للحق المبين وصرفها غلى من لم يثبتها الحق في حيزه إفك وقلب عن وجهه فهو خيال باطل هو في باب الرأي بمنزلة السحر في الحس فهو خيال لما صحة النسبة فيه مثال اتبع الآيات الذامة للسحر الحقيقي التنبيه على السحر المجازي الذي حيلوا به الخير وقصدوا به الشر ليكون النهي عنه نهيا عن الأول بطريق الأولى فقال ملتفتا عن ذكرهم إلى خطاب المؤمنين الذي هو أخص من) يا بني إسرائيل (الأخص من

٧٧ ( ) يا أيها الناس اعبدوا ربكم ( ) ٧

[البقرة : ٢١]) يا أيها الذين آمنوا (، أي أقروا بالإيمان صدقوا إقراركم به بأن) لا تقولوا (للنبي (صلى الله عليه وسلم) : (راعنا (التي تقصدون بها الرعاية **والمراقبة** لمقصد الخير وخفض الجانب ، فاغتنمها اليهود لموافقة كلمة سيئة عندهم فصاروا يلوون بها ألسنتهم ويقصدون بها ارعونة وهي إفراط الجهالة فنهاهم عن موافقتهم في القول منعا للصحيح الموافق في الصورة لشبهه من القبيح وعوضهم منها ما لا يتطرق إليه فساد فقال : (وقولوا انظرنا (فأبقى المعنى وصرف اللفظ .

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٥/١

قال الحرالي : ففيه إلزام تصحيح الصور لتطابق تصحيح المقاصد وليقع الفرق بين الصورتين كما وقع الفرق بين المعنيين فهي آية فرقان خاصة بالعرب .

قال الأصفهاني : وهذا النهي اختص بهذا الوقت ، قال الواحدي لإجماع الأمة على جواز المخاطبة بهذا اللفظ الآن وقال : (واسمعوا) أي قولوا ما أمرتكم به وامتثلوا جميع أوامري ولا تكونوا كاليهود في حملهم السماع علىتحقيقته وقولهم) سمعنا وعصينا (وعطف) وللكافرين (على غير معطوف عليه مذكور مرشد إلى أن التقدير : فإن السماع أي القبول إيمان وللسامعين نعيم كريم والإعراض كفر وللكافرين من اليهود وغيرهم) عذاب أليم (.

ولما أرشد ختم الآية إلى العلة الحاملة على الامتثال علل بعلة أخرى فقال : (ما يود الذين كفروا (مطلقا) من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ولا (من المشركين بأي نوع كان من أنواع الشرك بغضا فيكم حسدا لكم) أن ينزل عليكم (وأكد الاستغراق بقوله : (من خير من ربكم) أي المحسن إليكم ، فكأنه قيل : للسماع علتان حاملتان." (١)

" صفحة رقم ٣٤٦

الجمعة ، ولما جرت عادة الشارع بالرفق بهذه الأمة ومنه تخفيف الثانية على الأولى وكانت الخمسة أقرب وترا إلى السبعة من دونها جعل تكبير الثانية خمسا لذلك ، ولأنه لما استحضرت عظمة الخالق بإشارة الأولى للعلم بأنه المتفرد بالعظمة والقهر والملك بجميع الأمر فأقبلت القلوب إليه وقصرت الهمم عليه أشير بتكبير الثانية إلى عبادته بالإسلام المبني على الدعائم الخمس وخصوصا بأعظم دعائمه الصلوات الخمس – والله سبحانه وتعالى الموفق .

ولما كانت الهداية تطلق تارة على مجرد البيان وتارة عليه مع الحمل على لزوم المبين وكان تخفيف المأمور به وتسهيله أعون على لزومه قال : (على) أي حامدين له على) ما هداكم) أي يسر لكم من شرائع هذا الدين فهيأكم للزومها ودوام التمسك بعراها ، ولعل هذا سر الاهتمام بالصيام من الخاص والعام حتى لا يكاد أحد من المسلمين يخل به إلا نادرا – والله سبحانه وتعالى الموفق .

وقال الحرالي : إن الهداية إشارة إلى تلك الموجدة التي يجدها الصائم وما يشهده الله من بركاته من رؤية ليلة القدر بكشف خاص لأهل الخلوة أو آيات بينة لأهل التبصرة أو بآية بادية لأهل المراقبة كلا على

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢١١/١

حكم وجده من استغراق تماسكه وخلوته واستغراق ذكره في ضومه ، فأعظم الهدى هدى المرء لأن يذبل جسمه ونفسه وتفنى ذاته في حق ربه ، كما يقول : (يدع طعامه وشرابه من أجلي) فكل عمل فعل وثبت إلا الصوم فإنه محو وفقد ، فناسب تحقيق ما هو الإسلام والتقوى من إلقاء منة الظاهر وقوة الباطن – انتهى .." (١)

" صفحة رقم ٣٤٧

ولما كان الشكر صرف ما أنعمه المنعم في طاعته وكان العمل إذا خف أقرب إلى لزوم الطاعة بلزومه ولول ثقل لأوشك أن يعصي بتركه قال : (ولعلكم تشكرون) أي ولتكونوا في حالة يرجى معها لزوم الطاعة واجتناب المعصية .

وقال الحرالي : فيه تصنيف في الشكر نهاية كما كان فيه تصنيف للتقوى بداية ، كما قال : (ولعلكم تتقون (فمن صح له التقوى ابتداء صح منه الشكر انتهاء ؛ وفي إشعاره إعلام بإظهار نعمة الله وشكر الإحسان الذي هو مضمون فرض زكاة الفطر عن كل صائم وعمن يطعمه الصائم ، فكان في الشكر إخراجه فطره بختم صومه واستقبال فطره بأمر ربه وإظهار شكره بما خوله من إطعام عيلته ، فلذلك جرت فيمن يصوم وفيمن يعوله الصائم – انتهى .

ولما كان دعاء الصائم مجانا وكان هذا الشهر بالخصوص مظنة الإجابة للصيام ولمكان ليلة القدر وكان ذكر كبريائه سبحانه وتعالى مهيئا لعباده للإحساس بالبعد فكان ربما أوقع في وهم أنه على عادة المتكبرين في بعد المسافة عن محال العبيد وأنه إن كان بحيث يسمع لم يكن لأحد منهم أن يسأله إلا بواسطة رفع هذا الوهم بقوله : (وإذا (دالا بالعطف على غير مذكور أن التقدير : فإذا سألك عبادي عني فإني مع علو شأني رقيب على من أطاعني ومن عصاني (وإذا) .

وقال الحرالي : لما أثبت الحق سبحانه وتعالى كتاب الصيام لعباده لما أرادهم له نم إعلائهم إلى خبء جزائه وأطلعهم على ما شاء في صومهم من ملكوته بحضور ليلة القدر فأنهاهم إلى التكبير على عظيم ما هداهم إليه واستخلفهم في فضله وشكر نعمته بما خولهم من عظيم فضله وأظهر عليهم من رواء بركاته ما يدعو الناظرين لهم إلى سؤالهم عما نالوه من ربهم فيليحون لمن دونهم ما به يليق بهم رتبة رتبة ؛ يؤثر عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال : (كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يكلم أبا بكر رضي الله تعالى

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٤٦/١

عنه فكأنما يتكلمان بلسان أعجم لا أفهم مما يقولان شيئا) إلى أن ينتهي الأمر إلى أدنى السائلين الذين هم في رتبة حضرة بعد فيبشرون بمطالعة القرب فقال : و) إذا (عطفا على أمور متجاوزة كأنه يقول : إذا خرجت من معتكفك فصليت وظهرت زينة الله التي باهى بها ملائكته ليست زينة الدنيا التي يتمقتها أهل حضرته من ملائكته فإذا سألك من حاله كذا فأنبئه بكذا وإذا سألك من حاله كذا فأنبئه بكذا وإذا) سألك عبادي عني) أي هل أنا على حال المتكبرين من ملوك الدنيا في البعد عمن دونهم فأخبرهم أني لست كذلك .." (١)

" صفحة رقم ٣٥٠

البقرة : (١٨٧ - ١٨٨) أحل لكم ليلة. .. . .

) أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسآئكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون (( )

ولما تصوروا لهذه الآية الشريفة قربه وحبه على عظمته وعلوه فتذكروا لذيذ مخاطبته فيما قبل فاشتاقوا إليها وكان قد يسر لهم أمر الصوم كما على جميعهم وكيفا على أهل الضرورة منهم كانوا كأنهم سألوه التيسير على أهل الرفاهية فيما حرم عليهم كما حرم على أهل الكتاب والوطء في شهر الصوم والأكل بعد النوم فقال تحقيقا للإجابة والقرب : (أحل لكم (فأشعر ذلك بأنه كان حراما) ليلة) أي في جميع ليلة) الصيام الرفث (وهو ما يواجه به النساء في أمر النكاح ، فإذا غير فلا رفث عند العلماء من أهل اللغة ، ويدل عليه وصله بحرف الانتهاء بيانا لتضمين الإفضاء أي مفضين) إلى نسائكم (بالجماع قولا وفعلا ، وخرج بالإضافة نساء الغير .

ولما كان الرفث والوقاع متلازمين غالبا قال مؤكدا لإرادة حقيقة الرفث وبيان السبب في إحلاله : (هن) أي نساؤكم) لباس لكم (تلبسونهن ، والمعنى : أبيح ذلك في حالة الملابسة أو صلاحيتها ، وهو يفهم أنه لا يباح نهارا - والله سبحانه وتعالى أعلم ؛ ويجوز أن يكون تعليلا لأن اللباس لا غنى عنه والصبر

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ١/٣٤٧

يضعف عنهن حال الملابسة والمخالطة .

ولما كان الصيام عاما للصنفين قال : (وأنتم لباس لهن (يلبسنكم ، ثم علل ذلك بقوله مظهرا لءظمة هذه الأمة عنده في إرادته الرفق بها) علم الله) أي المحيط علمه ورحمته وله الإحاطة الكاملة كما قدم من كونه قريبا اللازم منه كونه رقيبا) أنكم كنتم تختانون) أي تفعلون في الخيانة في ذلك من المبادرة إليه فعل الحامل نفسه عليه ، والخيانة التفريط في الأمانة ، والأمانة ما وضع ليحفظ ، روى البخاري في التفسير عن البراء رضي الله تعالى عنه قال : (لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله عز وجل) علم الله أنكم كنتم تختانون." (١)

" صفحة رقم ٤١٠

التجزئة ، وكل شيء جزأته فقد يسرته ، والياسر الجازر لأنه يجزئ لحم الجزور ، قال وهذا الأصل في الياسر ثم يقال للضاربين بالقداح والمتقامرين على الجزور : ياسرون ، لأنهم جازرون إذ كانوا سببا لذلك ، ويقال : يسر القوم – إذا قامروا ، ورجل يسر وياسر والجمع أيسار ؛ القزاز : فأنت ياسر وهو ميسور برجع والمفعول ميسور – يعني الجزور ، وأيساء جمع يسر ويسر جمع ياسر ، وقال القزاز : واليسر القوم الذين يتقامرون على الجزور ، واحدهم ياسر كما تقول : غائب وغيب ، ثم يجمع أيسر فيقال : أيسار ، فيكون الأيسار جمع الجمع ، ويقال للضارب بالقداح : يسر ، والجمع أيسار ، ويقال للنرد : ميسر ، لأنه يضرب عليها كما يضرب على الجزور ، ولا يقال ذلك في الشطرنج لمفارقتها ذلك المعنى ؛ وقال عبد الحق في الواعي : والميسر موضع التجزئة ؛ أبو عبد الله : كان أمر الميسر أنهم كانوا يشترون جزورا فيىحرونها ثم يجزئونها أجزاء ، قال أبو عمرو : على عشرة أجزاء ، وقال الأصمعي : على ثمانية وعشرين جزءا ، ثم يسهمون عليها بعشرة قداح ، لسبعة منها أنصباء وهي الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلي ، وثلاثة منها ليس لها أنصباء وهي المنيح والسفيح والوغد ، ثم يجعلونها على يد رجل عدل عندهم يجيلها لهم باسم رجل رجل ، ثم يقسمونها على قدر ما يخرج لهم السهام ، فمن خرج سهمه من هذه السبعة أخذ من الأجزاء بحصة ذلك ، ومن خرج له واحد من الثلاثة فقد اختلف الناس في هذا الموضع فقال بعضهم : من خرجت باسمه لم يأخذ شيئا ولم يغرم ولكن تعاد الثانية ولا يكون له نصيب ويكون لغوا ؛ وقال بعضهم : بل يصير ثمن الجزور كله على أصحاب هؤلاء الثلاثة فيكونون مقمورين ويأخذ أصحاب السبعة أنصباء

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١/٣٥٠

على ما خرج لهم فهؤلاء الياسرون .

قال أبو عبيد : ولم أجد علماءنا يستقصون علم معرفة هذا ولا يدعونه ، ورأيت أبا عبيدة أقلهم ادعاء له ، قال أبو عبيدة : وقد سألت عنه الأعراب فقالوا : لا علم لنا بهذا ، هذا شيء قد قطعه الإسلام منذ جاء فلسنا ندري كيف كانوا ييسرون .

قال أبو عبيد : وإنما كان هذا منهم في أهل الشرف والثروة والجدة – انتهى .

ولعل هذا سبب بتسميته ميسرا .

وقال صاحب الزينة : فالتي لها الغنم وعليها الغرم أي من السهام يقال لها : موسومة ، لأجل الفروض فإنها بمنزلة السمة ، ويكون عدد الأيسار سبعة أنفس يأخذ كل رجل قدحا ، وربما نقص عدد الرجال عن السبعة فيأخذ الرجل منهم قدحين ، فإذا فعل ذلك مدح به وسمي مثنى الأيادي ، قال النابغة :." (١)

" صفحة رقم ٤١١

إني أتمم إيثاري وأمنحهم مثنى الأيادي وأكسو الحفنة الأدما

وقال : ويقال للذي يضرب بالقداح : حرضة ، وإنما سمي بذلك لأنه رجل يجيل لا يدخل مع الأيسار ولا يأخذ نصيبا ولذلك يختارونه لأنه لا غنم له ولا غرم عليه ، والذي لا يضرب القداح ولا يدخل مع الأيسار في شيء من أمورهم يقال له : البرم ، وتجمع القداح في جلدة ، وقال بعضهم : في خرقة ، وتسمى تلك الجلدة الربابة ، أي بكسر الراء المهملة وموحدتين ، ثم تجمع أطرافها ويعدل بينها وتكسى يده أديما لكي لا يجد مس قدح له فيه رأي وتشد عيناه ، فيجمع أصابعه عليها ويضمها كهيئة الضغث ثم يضرب رؤوسها بحاق راحته فأيها طلع من الربابة كان فائزا ؛ قال : وقال غيره : تكون الربابة فلا يخرج ومنها ما لا يعترض فيطلع ، فذاك يكون فائزا ، ويقعد رجل أمين على الحرضة يقال له : **الرقيب** ، ويقال للذي يضرب بالقداح : مفيض ، والإفاضة الدفع وهو أن يدفعها دفعة واحدة إلى قدام ويجيلها ليخرج منها قدح ؛ وكذلك الإفاضة من عرفة هو الدفع منها إلى جمع – انتهى .

وقال في القاموس : كانوا إذا أرادوا أن ييسروا اشتروا جزورا نسيئة ونحروه قبل أن ييسروا وقسموه ثمانية وعشرين سهما أو عشرة أقسام ، فإذا خرج واحد واحد باسم رجل رجل ظهر فوز من خرج لهم ذوات الأنصباء وغرم من خرج له الغفل – انتهى .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤١٠/١

وقال عبد الغافر الفارسي في مجمع الغرائب : الياسر هو الضارب في القداح ، وهو من الميسر وهو القمار الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه ، وكانوا يتقامرون على الجزور أو غيره ويجزئونه أجزاء ويسهمون عليها مثلا بعشرة لسبعة منها أنصباء وهي الفذ – إلى آخره ، ثم يخرجون ذلك ، فمن خرج سهمه من السبعة أخذ بحصته ، ومن خرج له واحد من الثلاثة لم يأخذ شيئا ؛ ولهم في ذلك مذاهب ما عرفها أهل الإسلام ولم يكن أحد من أهل اللغة على ثبت في كيفية ذلك – انتهى .

هذا م قالوه في مادة يسر وقد نظمت أسماء القداح تسهيلا لحفظها في قولي :

الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس يا ضريب ومسبل مع المعلى عدوا ثم منيح وسفيح وغد

وأما ما قالوه في مادة كل اسم منها فقال في القاموس : الفذ أي بفتح الفاء وتشديد." (١)

" صفحة رقم ٤١٢

الذال المعجمة : أول سهام الميسر ، والتوأم أي بفتح الفوقانية المبدلة من الواو وإسكان الواو وفتح الهمزة – وزن كوكب : سهم من سهام الميسر أو ثانيها ، والرقيب أمين أصحاب الميسر أو الأمين على الضريب والثالث من قداح الميسر ، وقال في مادة ضرب : والضريب الموكل بالقداح أو الذي يضرب بها كالضارب والقدح الثالث ؛ وقال في الجمع بين العباب والمحكم : والرقيب الحافظ ورقيب القداح الأمين على الضريب ، وقيل : هو أمين أصحاب الميسر ، وقيل : هو الرجل الذي يقوم خلف الحرضة في الميسر ومعناه كله سواء ، وإنما قيل للعيوق : رقيب الثريا ، تشبيها برقيب الميسر ، والرقيب الثالث من قداح الميسر ، وفيه ثلاثة فروض ، وله غنم ثلاثة انصباء إن فاز ، وعليه غرم ثلاثة إن لم يفز ؛ وقال في مادة ضرب : وضرب بالقداح والضريب الموكل بالقداح ، وقيل : الذي يضرب بها ، قال سيبويه : فعيل بمعنى فاعل ، والضريب القدح الثالث من قداح الميسر ، قال اللحياني : وهو الذي يسمى الرقيب ، قال : وفيه ثلاثة فروض إلى آخر ما في الرقيب ؛ وقال في القاموس : والحرضة أي بضم المهملة وإسكان المهملة ثم معجمة أمين المقامرين ، والحلس بكسر المهملة وإسكان اللام ثم مهملة وككتف الرابع من سهام الميسر ، والنافس بنون وفاء مكسورة ومهملة اسم فاعل خامس سهام الميسر ، ومسبل أي بسين مهملة وموحدة قال : بوزن محسن ، السادس أو الخامس من قداح الميسر ؛ وقال في مجمع البحرين : وهو المصفح أيضا يعني بفتح الفاء ، والمعلى كمعظم سابع سهام الميسر ، والمنيح كأمير أي بنون وآخره مهملة قدح بلا

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤١١/١

نصيب ، والسفيح أي بوزنه وبمهملة ثم فاء وآخره مهملة قدح من الميسر لا نصيب له ، والوغد أي بفتح ثم سكون المعجمة ثم مهملة الأحمق ا لضعيف الرذل الدنيء وقدح لا نصيب له ؛ وقال صاحب الزينة : وكانوا يبتاعون الجزور ويتضمنون ثمنه ثم يضربون بالقداح عليه ثم ينحرونه ويقسمونه عشرة أجزاء على ما حكاه أكثر علماء اللغة ، ثم يجيلون عليها القداح فإن خرج **الرقيب** أخذ صاحبه ثلاثة أنصباء ونجا من الغرم ، ثم يجيلون عليها ثانيا فإن خرج **الرقيب** أخذ صاحبه ثلاثة أنصباء ونجا من الغرم ونفدت أجزاء الجزور ، وغرم الباقون على عدد أنصبائهم فغرم صاحب الفذ نصيبا واحدا وصاحب التوأم نصيبين فعلى ذلك يقسمون الغرم بينهم .

وذكر عن الأصمعي أنه قال : كانوا يقسمون الجزور على ثمانية وعشرين جزءا : للفظ جزء ، وللتوأم جزءان ، **وللرقيب** ثلاثة أجزاء – فعلى هذا حتى تبلغ ثمانية وعشرين جزءا ؛ وخالفه في ذلك أكثر العلماء." (١)

" صفحة رقم ٤١٣

وخطؤوه وقالوا : إذا كان ذلك كذلك وأخذ كل قدح نصيبه لم يبق هنالك غرم فلا يكون إذا قامر ولا مقمور ، ومن أجل ذلك قالوا لأجزاء الجزور : أعشار ، لأنها عشرة أجزاء ، قال امرؤ القيس .

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

جعل القلب بدلا لأعشار الجزور وجعل العينين مثلا للقدحين أي سبت قلبه ففازت به كما يفوز صاحب المعلى **والرقيب** ؛ وقال القزاز في التاء الفوقانية من ديوانه : والتوأم أحد أقداح الميسر وهو الثاني منها ، وإنما سمي توأما بما عليه من الحظوظ ، وعليه حظان وله من أنصباء الجزور نصيبان ، وإن قمرت أنصباء الجزور غرم من خرج له التوأم نصيبين ، وذلك أنها عشرة قداح أولها الفذ وعليه فرض وله نصيب ، والثاني التوأم وعليه فرضان وله نصيبان ، والثالث **الرقيب** وعليه ثلاثة فروض وله ثلاثة أنصباء ، والرابع الحلس وعليه أربعة فروض وله أربعة أنصباء ، والخامس النافس وعليه خمسة فروض وله خمسة أنصباء ، والسادس المسبل وعليه سنة فروض وله ستة أنصباء ، والسابع المعلى وعليه سبعة فروض وله سبعة أنصباء ، ومنها ثلاثة لا حظوظ لها وهي السفيح والمنيح والوغد ، وربما سموها بأسماء غير هذه لكن ذكرنا المستعمل منها ههنا ونذكرها بأسمائها في مواضعها من الكتاب إن شاء الله تعالى ؛ وهذه التي لا حظوظ لها ليس عليها فرض ، ولذلك تدعى أغفالا لأن الغفل من الدواب الذي لا سمة له .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤١٢/١

وهيئة ما يفعلون في القمار هو أن تنحر الناقة وتقسم عشرة أجزاء فتعجل إحدى الوركين جزءا ، والورك الأخرى جزء وعجزها جزء ، والكاهل جزء ، والزور وهو الصدر جزء ، والملحا أي ما بين الكاهل والعجز من الصلب جزء ، والكتفان وفيهما العضدان جزءان ، والفخذان جزءان ، وتقسم الرقبة والطفاطف بالسواء على تلك الأجزاء ، وما بقي من عظم أو بضعة فهو الريم وأصله من الزيادة على الحمل وهي التي تسمى علاوة فيأخذ الجازر ؛ وربما استثنى بائع الناقة منها شيئا لنفسه وأكثر ما يستثنى الأطراف والرأس ، فإذا صارت الجزور على هذه الهيئة أحضروا رجلا يضرب بها بينهم يقال له الحرضة فتشد عيناه ويجعل على يديه ثوب لئلا يحس القداح ثم يؤتى بخريطة فيها القداح واسعة الأسفل ضيقة الفم قدر ما يخرج منها سهم أو سهمان والقداح فيها كفصوص النرد الطوال غير أنها مستديرة فتجعل الخريطة على يدي الحرضة ، ويؤتى برجل يجعل أمينا عليه يقال له **الرقيب** فيقال له : جلجل القداح ، فيجلجلها في الخريطة مرتين أو ثلاثا ، فإذا فعل ذلك أفاض بها وهو أن يدفعها دفعة واحدة فتندر من مخرجها ذلك الضيق ، فإذا خرج قدح أخذه **الرقيب** ، فإن كان من الثلاثة التي لا فروض عليها رده إلى." (١)

" صفحة رقم ٤١٤

الخريطة وقال : أعد ، وإن كان من السبعة ذوات الحظوظ دفعه إلى صاحبه وقال له : اعتزل القوم ، وذاك أن الذين يتقامرون قد أخذ كل واحد منهم قدحا على ما يحب ، فإن كان الذي خرج الفذ أخذ صاحبه جزءا وسلم من الغرم وأعاد الحرضة الإفاضة ، وإن كانا لذي خرج التوأم أخذ صاحبه نصيبين واعتزل القوم وسلم من الغرم أيضا ، وكذا كل واحد منهم يأخذ ما خرج له ويعتزل القوم ويسلم من الغرم ، فإذا خرج في الثانية قدح أخذ صاحبه ما خرج له وكذا الثالث يأخذ ما خرج له ويعتزل القوم ما لم يستغرق الأول والثاني أنصباء الجزور ، مثل أن يخرج للأول **الرقيب** فيأخذ ثلاثة أنصباء ، ثم يخرج للثاني المعلى فيأخذ سبعة أنصباء ويغرم الباقون ثمن الجزور .

أو يخرج في الأول الفذ وفي الثاني التوأم وفي الثالث المعلى فيذهب أيضا سائر الأنصباء ويغرم باقي القوم ثمن الجزور ، وكذا ما كان مثل هذا ؛ فإن زادت سهام من خرج له قدح على ما بقي من الجزور غرم له من بقي ما زاد سهمه ؛ وذلك مثل أن يخرج للأول المعلى فيأخذ سبعة أنصباء ثم يخرج للثاني النافس وحظه خمسة وإنما بقي من الجزور ثلاثة فيأخذها ويغرم له الباقون خمسي الجمزور ، وكذا لو خرج للأول النافس

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١/٤١٣

وأخذ خمسة أنصباء ثم خرج للثاني الحلس فأخذ أربعة أنصباء وخرج للثالث المعلى أخذ النصيب الذي بقي وغرم له الباقون ثلاثة أخماس الجزور ، وعلى هذا سائر قمارهم ، إذا تدبرته علمت كيف يجري جميعه ويغرم القوم ما يلزمهم على قدر سهامهم الباقية يفرضون ما لزمهم على عدد ما في أنصبائهم من الفرض ، وقد ذكر أن الجزور تجزأ على عدد ما في القداح من الفروض وهي ثمانية وعشرون جزءا ، ولا معنى لهذا القول لأنه يلزم أن لا يكون في هذا قمار ولا فوز ولا خيبة إذ كل واحد يختار لنفسه ما أحب من السهام ثم يأخذ ما خرج له ثم لا تفرغ أجزاء الجزور إلا بفراغ القداح ، فلا معنى للتقامر عليها ، والأول أصح ويدل عليه شعر العرب ، وذلك لأن الرجل ربما أخذ في الميسر قدحين فيفوز بأجزاء الجزور ، مثل أن يأخذ المعلى **والرقيب** فإذا ضرب له الحرضة خرج له أحدهما ففاز بحظه ثم إذا ضرب الثانية خرج له الآخر فيفوز بسائر الجزور ، ولو كان السهام والأنصباء على ما ذكروا لم يفز صاحب سهمين بسائر الأنصباء إذ لا تذهب الأنصباء إلا بفراغ القداح ، ومما يدل على فوز صاحب السهمين بالكل قول امرئ القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل." (١)

" صفحة رقم ٤١٥

يقول : تضرب بسهميها المعلى **والرقيب** فتحوز القلب كله ، ومن هذا قول كثير ووصف ناقة هزلها السير حتى أذهب لحمها :

وتؤبن من نص الهواجر والسرى بقدحين فازا من قداح المقعقع

يقول : هذه الناقة هزلها السير حتى لم يبق من لحمها شيء فكأنه ضرب عليها بالقداح ففاز منها قدحان فاستوليا على أعشارها وهو **الرقيب** والمعلى – انتهى .

هكذا ذكر شرح قول كثير ورأيت على حاشية نسخة من كتابه ما لعله أليق ، وذلك لأنه قال أي يظن بها فضل على الإبل في سيرها بعد نص الهواجر والسرى لصبرها وكرمها وشدتها كفضل رجل فاز قدحه مرتين على قداح أصحابه ؛ والمقعقع هو الذي يجيل القداح – انتهى .

وهو أقرب مما قاله لأن قوله : تؤبن بقدحين فازا ، ظاهر في ان القدحين لها وأنها هي الفائزة ؛ والله سبحانه وتعالى الموفق – هذا .

وقوله : لا معنى للتقامر عليها ، على تقدير التجزئة بثمانية وعشرين ليس كذلك بل تظهر ثمرته في التفاوت

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١/٤١٤

في الأنصباء ، وذلك بأن تكون السهام وهي القداح عشرة ، فإنه لما قال : إن الأجزاء تكون ثمانية وعشرين ، لم يقل : إنها على عدد السهام ، حتى تكون السهام ثمانية وعشرين ، بل قال : إنها على عدد الفروض التي في السهام ، وقد علم أنها عشرة ؛ وقد صرح صاحب الزينة وغيره عن الأصمعي كما مضى وهو ممن قال بهذا القول ، فحينئذ من خرج له المعلى مثلا أخذ سبعة أنصباء من ثمانية وعشرين فيكون أكثر حظا ممن خرج له ما عليه ستة فروض فما دونها للضربات ؛ وقوله : إن الرجل ربما أخذ قدحين - إلى آخره ، يبين وجها آخر من التفاوت ، وهو أن الرجل ربما خرج له سهم واحد لاعتراض السهام وتحرفها عن سنن الاستقامة حال الخروج ، وربما خرج له سهمان أو ثلاثة في إفاضة واحدة لاستقامة السهام واعتدالها للخروج ففاز بمعظم الجزور ، وذلك بأن يكون الرجال أقل من السهام ، وربما خرج له أكثر من ذلك مع الوفاء للثمن بينهم على السواء ، وهذا الوجه يتأتى أيضا بتقدير أن تكون السهام والرجال على عدد الأجزاء ، لانحصار العد فيمن خرج له سهام سواء كان على عددهم أو أكثر وانحصار الغرم فيمن لم يخرج له سهم على تقدير أن يخرج لغيره عدد من السهام ؛ وبتقدير أن لا يخرج لكل واحد واحد يكون قمارا أيضا ، لأن كل واحد منهم غير واثق بالفوز ويكون فائدة ذلك حينئذ للفقراء ، ومن قال : إن من خرج له شيء من السهام الثلاثة الأغفال يغرم ، كان القمار عنده لازما في كل صورة بكل تقدير .

وقال في الكشاف : إنهم كانوا يعطون الأنصباء للفقراء ولا يأخذون منها شيئا ، وقد تقدم نقل ذلك عن صاحب الزينة والله سبحانه وتعالى أعلم .

ولما ذكر ما يذهب ضياء الروح وقوام البدن وذم النفقة فيهما اقتضى الحال السؤال." (١)

" صفحة رقم ٤٢٤

مؤخر حكمه إلى لقاء الله عز وجل حفيظة على ما بين الزوجين ليبقى سرا لا يظهر أمره إلا الله تعالى ، وفي إشعاره إبقاء للمروة في أن لا يحتكم الزوجان عند حاكم في الدنيا وأن يرجع كل واحد منهما إلى تقوى الله وعلمه بلقاء الله - انتهى .

ولما كان هذا لا يعقله حق عقله كل أحد أشار إلى ذلك بالالتفات إلى أكمل الخلق فقال عاطفا على ما تقديره : فأنذر المكذبين فعلا أو قولا ، قوله تعالى : (وبشر المؤمنين) أي الذين صار لهم الإيمان وصفا راسخا تهيؤوا به **للمراقبة** ، وهو إشارة إلى أن مثل هذا من باب الأمانات لا يحجز عنه إلا الإخلاص في

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ١/٤١٥

الإيمان والتمكن فيه .

ولما أذن في إتيان النساء في محل الحرث كيف ما اتفق ومنع مما سوى ذلك ومنع من محل الحرث في حال الحيض بين حكم ما إذا منع الإنسان نفسه من ذلك بالإيلاء أو بمطلق اليمين ولو على غير سبيل ا لإيلاء لأنه نقل عن كثير منهم شدة ا لميل إلى النكاح فكان يخشى المواقعة في حال المنع فتحمله شدة الورع على أن يمنع نفسه بمانع مظاهرة كما بين في سورة المجادلة أو غيرها من الأيمان فمنعهم من ذلك بقوله تعالى عادلا عن خطاب نبيه (صلى الله عليه وسلم) تعظيما لمقامه : (ولا تجعلوا الله) أي الذي لا شيء يداني جلاله وعظمته وكماله) عرضة) أي معرضا) لأيمانكم (فيكون في موضع ما يمتهن ويبتذل فإن ذلك إذا طال حمل على الاجتراء على الكذب فجر إلى أقبح الأشياء .

قال الحرالي : والعرضة ذكر الشيء وأخذه على غير قصد له ولا صمد نحوه بل له صمد غيره) أن) أي لأجل أن) تبروا (في أموال اليتامى وغيرها مما تقدم الأمر به أو النهي عنه) وتتقوا) أي تحملكم أيمانكم على البر وهو الاتساع في كل خلق جميل والتقوى وهي التوغل في خوف الله سبحانه وتعالى) وتصلحوا بين الناس (فتجعلوا الأيمان لكم ديدنا فتحلفون تارة أن تفعلوا وتارة أن ل تفعلوا لإلزام أنفسكم بتلك الأشياء فإن من لا ينقاد إلى الخير إلا بقائد من يمين أو غيرها ليس بصادق العزيمة ، وفي الأمثال : فرس لا تجري إلا بمهماز بئس الفرس .

ولما أرشد السياق والعطف على غير مذكور إلى أن التقدير : فالله جليل عظيم عطف عليه قوله : (والله) أي بما له من العز والعظمة) سميع (لجميع ما يكون من ذلك وغيره) عليم (بما أسر منه وما أعلن ، فاحذروه في جميع ما يأمركم به وينهاكم." (١)

" صفحة رقم ٤٩٥

الملك في ذلك اليوم ؟ فذكر آية الكرسي سيدة آي القرآن التي ما اشتمل كتاب على مثلها مفتتحا لها بالاسم العلم الفرد الجامع الذي لم يتسم به غيره ، وذلك لما تأهل السامع بعد التعرف بالكلام والتودد بالأفعال لمقام المعرفة فترقى إلى أوج **المراقبة** وحضرة المشاهدة فقال عائدا إلى مظهر الجلال الجامع لصفات الجلال والإكرام لأنه من أعظم مقاماته : (الله) أي هو الملك في ذلك اليوم ثم أثبت له صفات الكمال منزها عن شوائب النقص مفتتحا لها بالتفرد فقال : (لا إله إلا هو (مقررا لكمال التوحيد ، فإنه

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٢٤/١

المقصود الأعظم من جميع الشرائع ولكن الإنسان لما جبل عليه من النقصان لا بد له من ترغيب يشده وترهيب يرده ومواعظ ترفقه وأعمال تصدقه وأخلاق تحققه ، فخلل سبحانه وتعالى أي التوحيد بالأحكام والقصص ، والأحكام تفيد الأعمال الصالحة فترفع أستار الغفلة عن عيون القلوب وتكسب الأخلاق الفاضلة لتصقل الصدأ عن مرائي النفوس فتتجلى فيها حقائق التوحيد ، والقصص تلزم بمواعظها واعتباراتها بالأحكام وتقرر دلائل المعارف فيرسخ التوحيد ، وكان هذا التفصيل لأنه أنشط للنفس بالانتقال من نوع إلى آخر مع الهز بحسن النظم وبلاغة التناسب والإلهاب ببداعة الربط وبراعة التلاحم .

وقال الحرالي : لما أتى بالخطاب على بيان جوامع من معالم الدين وجهات الاعتبار وبيان أحكام الجهاد والإنفاق فيه فتم الدين بحظيرته معالم إسلام وشعائر إيمان ولمحة إحسان أعلى تعالى الخطاب إلى بيان أمر الإحسان كما استوفى البيان في أمر الإيمان والإسلام فاستفتح هذا الخطاب العلي الذي يسود كل خطاب ليعلي به الذين آمنوا فيخرجهم به من ظلمة الإيمان بالغيب الذي نوره يذهب ظلمة الشك والكفر إلى صفاء ضياء الإيقان الذي يصير نور الإيمان بالإضافة إليه ظلمة كما يصير نور القمر عند ضياء الشمس ظلمة ، فكانت نسبة هذه الآية من آية الإلهية في قوله سبحانه وتعالى

٧٧ ( ) وإلهكم إله واحد ( ) ٧

[البقرة : ٢٥٥] وما بعدها من الاعتبار في خلق السماوات والأرض نسبة ما بين علو اسمه الله الذي لم يقع فيه شرك بحق ولا بباطل إلى اسمه الإله الذي وقع فيه الشرك بالباطل فينقل تعالى المؤمنين الذين استقر لهم إيمان الاعتبار بآية

٧٧ ( ) وإلهكم إله واحد ( ) ٧

[البقرة : ٢٥٥] وما بعدها من الاعتبار في خلق السماوات والأرض إلى يقين العيان باسمه) الله (وما يلتئم بمعناه من أوصافه العظيمة – انتهى .

ولما وحد سبحانه وتعالى نفسه الشريفة أثبت استحقاقه لذلك بحياته وبين أن المراد بالحياة الأبدية بوصف القيومية فقال : (الحي) أي الذي له الحياة وهي صفة توجب صحة العلم والقدرة أي الذي يصح أن يعلم ويقدر) القيوم) أي القائم بنفسه المقيم لغيره على الدوام على أعلى ما يكون من القيام والإقامة .

قال الحرالي : فيعول." (١)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١/٤٩٥

" صفحة رقم ١١

ولما علم بذلك أمر القيوم سبحانه وتعالى بالحق وهو الإيمان علم أن لمخالفي أمره من أضداد المؤمنين الموصوفين وهم الكفرة المدعو بخذلانهم المنزل الفرقان لمحو أديانهم الويل والثبور ، فاتصل بذلك بقوله : (إن الذين كفروا) أي غطوا ما دلتهم عليه الفطرة الأولى التي فطرهم الله سبحانه وتعالى عليها ، ثم ما بينت لهم الرسل عليهم الصلاة والسلام عنه سبحانه وتعالى من البيان الذي لا لبس معه) بآيت الله (المستجمع لصفات الكمال إقبالا منهم على ما ليس له أصلا صفة كمال ، وهذا الكفر كما قال الحرالي دون الكفر بأسماء الله الذي هو دون الكفر بالله ، قال : فكما بدأ خطاب التنزيل من أعلاه نظم به ابتداء الكفر من أدناه انتهى .

) لهم عذاب شديد (كما تقتضيه صفتا العزة والنقمة ، وفي وصفه بالشدة إيذان بأن من كفر دون هذا الكفر كان له مطلق العذاب .

قال الحرالي : ففي إشعاره أن لمن داخله كفر ما حظ بحسب خفاء ذلك الكفر ، فأفصح الخطاب بالأشد وألاح بالأضعف انتهى .

والآية على تقدير سؤال ممن كأنه قال : ماذا يفعل بمن أعرض عن الكتب الموصوفة ؟ أو يقال : إنه لما قال :

٧٧ ( ) وأنزل الفرقان ( ) ٧

[آل عمران : ٤] أي الفارق بين الحق والباطل من الآيات والأحكام عليك وعلى غيرك من الأنبياء لم يبق لأحد شبهة فقال : وأحسن من ذلك كله أنه سبحانه وتعالى ولما أنزل سورة البقرة على طولها في بيان أن الكتاب هدى للمتقين ، وبين أن أول هذه وحدانيته وحياته وقيوميته الدالة على تمام العلم وشمول القدرة ، فأنتج ذلك صدق ما أخبر به سبحانه وتعالى ، أيد ذلك بالإعلام بأن ذلك الكتاب مع أنه هاد اليه حق ، ودل على ذلك لمصادقته لما قبله من الكتب .

ولما ختم أوصافه بأنه فرقان لا يدع لبسا ولا شبهة أنتج ذلك قطعا أن الذين قدم أول تلك أنهم أصروا على الكفر به خاسرون ، فأخبر سبحانه وتعالى بما أعد لهم من العذاب فقال : (إن الذين (مؤكدا مظهرا لما كان من حقه الإضمار ، لولا إرادة تعليق الحكم بالوصف وهو الكفر أي الستر لما تفضل عليهم به من الآيات ؛ ثم قرر قدرته على ما هدد به وعبر به فقال : عاطفاعلى ما أرشد السياق مع العطف على غير مذكور إلى أنه : فالله سبحانه وتعالى عالم بما له من القيومية بجميع أحوالهم : (والله) أي الملك العظيم

مع كونه رقيبا) عزيز (لا يغلبه شيء وهو يغلب كل شيء) ذو انتقام) أي تسلط وبطش شديد بسطوة .
قال الحرالي : فأظهر وصف العزة موصولا بما أدام من انتقامه بما يعرب عنه كلمة ذو المفصحة بمعنى صحبة ودوام ، فكأن في إشعاره دواما لهذا الانتقام بدوام أمر الكتاب الجامع المقابل علوه لدنو هذا الكفر ، وكان في طي إشعار الانتقام أحد قسمي إقامة اليومية في طرفي النقمة والرحمة ، فتقابل هذان." (١)

" صفحة رقم ١٩

البيضاوي لقوله سبحانه وتعالى في البقرة

٧٧ ( ) إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ( ) ٧

[البقرة : ١١٧] زادك بصيرة فيما هنا ؛ والحاصل أنهم لم يصرفوا ذلك في حق عيسى عليه الصلاة والسلام عن ظاهره وحقيقته وتحكموا بأن المراد منه المجاز وهو هنا إطلاق اسم الملزوم على اللازم ، وكذا غيره من متشابه الإنجيل ، كما فعلنا نحن بمعونة الله سبحانه وتعالى في وصف الله سبحانه وتعالى بالرضى والغضب والرحمة والضحك وغير ذلك مما يستلزم حمله على الظاهر وصفات المحدثين ، وكذا ذكر اليد والكف والعين ونحو ذلك فحملنا ذلك كله على أن المراد منه لوازمه وغاياته مما يليق بجلاله سبحانه وتعالى مع تنزيهنا له سبحانه وتعالى عن كل نقص وإثباتنا له كل كمال ، فإن الله سبحانه وتعالى عزه وجده وجل قدره ومجده أنزل حرف المتشابه ابتلاء لعباده لتبين الثابت من الطائش والموقن من الشاك .

قال الحرالي في كتابه عروة المفتاح : وجه إنزال هذا الحرف تعرف الحق للخلق بمعتبر ما خلقهم عليه ليفتوا عنه وليفهموا خطابه ، وليتضح لهم نزول رتبهم عن علو ما تعرف به لهم ، وليختم بعجزهم عن إدراك هذا الحرف علمهم بالأربعة يعني الأمر و النهي والحلال والحرام ، وحبسهم بالخامس وتوقفهم عنه والاكتفاء بالإيمان منه ما تقدم من عملهم بالأربعة ، واتصافهم بالخامس ليتم لهم العبادة بالوجهين من العمل والوقوف والإدراك والعجز

٧٧ ( ) فارجع البصر هل ترى من فطور ( ) ٧

[الملك : ٣] علما وحسا

٧٧ ( ) ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ( ) ٧

[الملك : ٤] عجزا ، أعلمهم بحظ من علم أنفسهم وغيرهم بعد أن أخرجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ١١/٢

شيئا ثم أعجزهم عن علم أمره وأيامه الماضية والآتية وغائب الحاضرة ليسلموا له اختيار فيرزقهم اليقين بأمره وغائب أيامه ، كما أسلموا له في الصغر اضطرارا ، فرزقهم حظا من علم خلقه ، فمن لم يوقفه في حد الإيمان اشتباه خطابه سبحانه وتعالى عن نفسه وما بين خلقه وحاول تدركه بدليل أو فكر أو تأويل حرم اليقين بعلي الأمر والتحقيق في علم الخلق ، وأوخذ بما أضاع من محكم ذلك المتشابه حين اشتغل لما يعنيه من حال نفسه بما لا يعنيه من أمر ربه ، فكان كالمتشاغل بالنظر في ذي الملك ، وتنظره يرمي نفسه عن مراقبة ما يلزمه من تفهم حدوده وتذلله لحرمته ؛ وجوامع منزل هذا الحرف في رتبتين : مبهمة ومفصلة ، أما انبهامه فلوقوف العلم به على تعريف الله سبحانه وتعالى من غير واسطة من وسائط النفس من فكر ولا استدلال ، وليتدرب المخاطب بتوقفه على المبهم على توقفه عن مفصله ومبهمه ، وهو جامع الحروف المنزلة في أوائل السور التسع والعشرين من سوره وبه افتتح الترتيب في القرآن ، ليتلقى بادي الخلق أمر الله بالعجز والوقوف والاستسلام إلى أن يمن الله سبحانه وتعالى." (١)

" صفحة رقم ٣٨

ما لا حد بقوله : (ورضوان (قال الحرالي : بكسر الراء وضمها ، اسم مبالغة في معنى الرضى ، وهو على عبرة امتلاء بما تعرب عنه الألف والنون وتشعر ضمة رائه بظاهر إشباعه ، وكسرتها بباطن إحاطته - انتهى .

ولما جرى وعد الجنات على اسم الربوبية الناظر إلى الإحسان بالتربية فخم أمر هذا الجزاء وأعلاه على ذلك بنوطه بالاسم الأعظم فقال : (من الله) أي المحيط بصفات الكمال .

ولما كان شاملا لجميعهم وكان ربما ظن أنهم فيه مساوون أشار إلى التفاوت بقوله مظهرا في موضع الإضمار إشارة إلى الإطلاق عن التقييد بحيثية ما : (والله) أي الذي له الحكمة البالغة) بصير بالعباد) أي بنياتهم ومقادير ما يستحقونه بها على حسب إخلاصها ، وبغير ذلك من أعمالهم وأقوالهم وسائر أحوالهم .

آل عمران : (١٦ - ١٩) الذين يقولون ربنا. .. . . .

) الذين يقولون ربنآ إننآ آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قآئما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جآءهم العلم بغيا بينهم

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ١٩/٢

ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب (( )

ولما أخبر سبحانه وتعالى بأنه بصير بمن يستحق ما أعد من الفوز أتبعه ما استحقوا ذلك به من الأوصاف تفضلا منه عليهم بها وبإيجاب ذلك على نفسه حثا لهم على التخلق بتلك الأوصفاف فقال : – وقال الحرالي : لما وصف تعالى قلوبهم بالتقوى وبرهم من الاستغناء بشيء من دونه وصف أدبهم في المقال فقال ؛ انتهى –) الذين يقولون ربنا) أي يا من ربانا بإحسانه وعاد علينا بفضله ، وأسقط أداة النداء إشعارا بما لهم من القرب لأنهم في حضرة **المراقبة** ؛ ولما كانت أحوالهم في تقصيرها عن أن يقدر الله حق قدره كأنها أحوال من لم يؤمن اقتضى بالمقام التأكيد فقالوا : (إننا (فأثبتوا النون إبلاغا فيه) آمنا) أي بما دعوتنا إليه ، وأظهروا هذا المعنى بقولهم : (فاغفر لنا ذنوبنا) أي فإننا عاجزون عن دفعها ورفع الهمم عن مواقعتها وإن احتهدنا لما جبلنا عليه من الضعف والنقص ، تنبيها منه تعالىعلى أن مثل ذلك لا يقدح في التقوى إذا هدم بالتوبة لأنه ما أصر من استغفر ، والتوبة تجب ما قبلها .

قال الحرالي : وبين المغفرة على مجرد الإيمان إشارة إلى أنه لا تغيرها الأفعال ، من ترتب إيمانه على تقوى غفرت ذنوبه ، فكانت مغفرة الذنوب لأهل هذا الأدب في مقابلة الذين آخذهم الله بذنوبهم من الذين." (١)

" صفحة رقم ٤١

المزكي ، لأن المزكي يخرج ما وجب عليه فرضا ، والمنفق يجود بما في يده فضلا – انتهى .

ولما ذكر هذه الأعمال الزاكية الجامعة العالية أتبعها الإشارة إلى أن الاعتراف بالعجز عن الوفاء بالواجب هو العمدة في الخلاص : (والمستغفرين) أي من نقائصحهم مع هذه الأفعال والأحوال التي هي نهاية ما يصل إليه الخلق من الكمال) بالأسحار (التي هي أشق الأوقات استيقاظا عليهم ، وأحبها راحة لديهم ، وأولاها بصفات القلوب ، وأقربها إلى الإجابة المعبر عنها في الأحاديث بالنزول ما يأتي بيانه في آية التهجد في سورة الإسراء .

قال الحرالي : وهو جمع سحر ، وأصل معناه التعلل عن الشيء بما يقاربه ويدانيه ويكون منه بوجه ما ، فالوقت من الليل الذي يتعلل فيه بدنو الصباح هو السحر ، ومنه السحور ، تعلل عن العداء ؛ ثم قال : وفي إفهامه تهجدهم في الليل كما قال سبحانه وتعالى :

٧٧ ( )كانوا قليلا ءِن اليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون ( ) ٧

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٨/٢

[الذاريات : ١٧ ، ١٨] فهم يستغفرون من حسناتهم كما يستغفر أهل السيئات من سيئاتهم تبرؤا من دعوى الأفعال ورؤية الأعمال التئاما بصدق قولهم في الابتداء : (ربنا إننا آمنا (وكمال الإيمان بالقدر خيره وشره ، فباجتماع هذه الأوصاف السبعة من التقوى والإيمان والصبر والصدق والقنوت والإنفاق والاستغفار كانت الآخرة خيرا لهم من الدنيا وما فيها ، وقد بان بهذا محكم آيات الخلق من متشابهها بعد الإعلام بمحكم آيات الأمر ومتشابهها ، فبتم بذلك منزل الفرقان في آيات الوحي المسموع والكون المشهود – انتهى .

ولعله سبحانه وتعالى أشار بهذه الصفات الخمس المتعاطفة إلى دعائم الإسلام الخمس ، فأشار بالصبر إلى الإيمان ، وبالصدق إلى الزكاة المصدقة لدعواه ، وبالقنوت الذي مدار مادته على الإخلاص إلى الصلاة التي هي محل **المراقبة** ، وبالإنفاق إل الحج الذي أعظم مقوماته المال ، وبالاستغفار إلى الصيام الذي مبناه التخلي من أحوال البشر والتحلي بحلية الملك لا سيما في القيام ولا سيما في السحر ؛ وسر ترتبيها أنه لما ذكر ما بين العبد والخالق في التوحيد الذي هو العدول أتبعه ما بينه وبين الخلائق في الإحسان ، ولما ذكر عبادة القلب والمال ذكر عبادة البدن الدالة على الإخلاص في الإيمان ، ولما ذكر عبادة البدن مجردا بعد عبادة المال مجردا ذكر عبادة ظاهرة مركبة منهما ، شعارها تعرية الظاهر ، ثم أتبعه عبادة بدنية خفية ، عمادها تعرية الباطن ، فختم بمثل ما بدأ به ، وهو ما لا يطلع عليه حق الاطلاع إلا الله سبحانه وتعالى .

ولما أخبر سبحانه وتعال بوحدانيته في أول السورة واستدل عليها وأخبر عما أعد." (١)

" صفحة رقم ١١٨

صفات عيسى عليه الصلاة والسلام المقتضية لنفي الإلهية عنه ما لا يخفى على ذي لب شرع يبين أنهم كاذبون فيما يدعونه في عيسى عليه الصلاة والسلام ، فنفي أن يكون قال لهم ذلك أو شيئا منه على وجه شامل له ولكل من اتصف بصفته وبسياق هو بمجرده كاف في إبطال قولهم فقال : (ما كان) أي صح ولا تصور بوجه من الوجوه) لبشر) أي من البشر كائنا من كان من عيسى وعزير عليهما الصلاة والسلام وغيرهما) أن يؤتيه الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما) الكتاب والحكم) أي الحكمة المهيئة للحكم ، وهي العلم المؤيد بالعمل والعمل المتقن بالعلم ، لأن أصلها الإحكام ، وهو وضع الشيء في

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤١/٢

محله بحيث يمتنع فساده) والنبوة (وهي الخبر من الله سبحانه وتعالى المقتضي لأتم الرفعة ، يفعل الله به ذلك الأمر الجليل وينصبه للدعاء إلى اختصاصه الله بالعبادة وترك الأنداد) ثم (يكذب على الله سبحانه وتعالى بأن) يقول للناس كونوا عبادا لي (ولما كان ذلك قد يكون تجوزا عن قبول قوله والمبادرة لامتثال أمره عن الله سبحانه وتعالى احتراز عنه بقوله : (من دون الله) أي المختص بجميع صفات الكمال إذ لا يشك عاقل أن من أوتي نبوة وحكمة – وهو بشر – في غاية البعد عن ادعاء مثل ذلك ، لأن كل صفة من صفاته – لا سيما تغير بشرته الدالة على انفعالاته – مستقلة بالإبعاد عن هذه الدعوى ، فلم يبق لهم مستند ، لا من جهة عقل ولا من طريق نقل ، فصار قول مثل ذلك منافيا للحكمة التي هو متلبس بها ، فصح قطعا انتقاؤه عنه .

ولما ذكر ما لا يكون له أتبعه ما له فقال : (ولكن) أي يقول) كونوا ربانيين) أي تابعين طريق الرب منسوبين إليه بكمال العلم المزين بالعمل ، والألف والنون زيدتا للإيذان بمبالغتهم في المتابعة ورسوخهم في العلم اللدني ، فإن الرباني هو الشديد التمسك بدين الله سبحانه وتعالى وطاعته ، قال محمد بن الحنفية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها لما مات : مات رباني هذه الأمة : (بما كنتم تعلمون الكتاب) أي بسبب كونكم عالمين به معلمين له) وبما كنتم تدرسون (فإن فائدة الدرس العلم ، وفائدة العلم العمل ، ومنه الحث على الخير والمراقبة للخالق .

ولما نفي أن يكون الحكيم من البشر داعيا إلى نفسه وأثبت أنه يكون ولا بد داعيا إلى الله سبحانه وتعالى لتظهر حكمته أثبت أن ذلك لا بد وأن يكون على وجه الإخلاص ، لأن بعض الشياطين يحكم مكره بإبعاد التهمة عن نفسه بالدعاء إلى إلى غيره على وجه الشرك لا سيما إن كان ذلك الغير ربانيا كعيسى عليه الصلاة والسلام فقال : (ولا يأمركم) أي ذلك البشر) أن تتخذوا (أتى بصيغة الافتعال إيذانا بأن الفطر مجبولة على التوجه لله سبحانه وتعالى من غير كلفة) الملائكة والنبيين (فضلا عن غيرهم) أربابا (." (١)

" صفحة رقم ١٤٣

مذكورا ، مخاطبا لأعظم عباده فطنه وأقربهم إليه رتبة ، تهييجا لغيره إلى تدقيق النظر واتباع الدليل من غير أدنى وقوف مع المألوف فقال تعالى : (وإذ) أي اذكر ما يصدق ذلك من أحوالكم الماضية حين صبرتم واتقيتم فنصرتم ، وحين ساءهم نصركم في كل ذلك في سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة ، ثم في بدر ،

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١١٨/٢

ثم في غزوة بني قينقاع ونحو ذلك ، واذكر إذ لم يصبر أصحابك فأصيبوا ، وإذ سرتهم مصيبتكم في وقعة أحد إذ) غدوت) أي يا خاتم الأنبياء وأكرم المرسلين) من أهلك) أي بالمدينة الشريفة صبيحة يوم الجمعة إلى أصحابك في مسجدك لتستشيرهم في أمر المشركين .

وقد نزلوا بأحد في أواخر يوم الأربعاء ، أو في يوم الخميس لقتالكم .

وبنى من) غدوت (حالا إعلاما بأن الشروع في السبت شروع في مسببه فقال : (تبوىء) أي تنزل) المؤمنين (بالثبات في مركزه ، وأوعز إليه في أن لا يفعل شيئا إلا بأمره لا سيما الرماة ، ثم ذكر علة ذلك فقال : (للقتال (ولما كان التقدير : وتتقدم إليهم بأبلغ مقال في تشديد الأقوال والأفعال ، اشار تعالى إلى أنه وقع في غضون ذلك منه ومنهم كلام كثير خفي وجلي بقوله : (والله) أي والحال أن الملك الأعظم الذي أنتم في طاعته) سميع) أي لأقوالكم) عليم) أي بنياتكم في ذلك وغيره فاحذروه ، ولعله خص النبي (صلى الله عليه وسلم) بلذيذ الخطاب في التذكير تحريضا لهم مع ما تقدمت الإشارة إليه على المراقبة تعريضا لهم بأنهم خفوا مع الذين ذكرهم أمر بعاث حتى تواثبوا حين تغاضبوا إلى السلاح - كما ذكر في سبب نزول قوله تعالى :

٧٧ ( ) ياآيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب ( ) ٧

[آل عمران : ١٠٠] ، فوقفوا عن نافذ الفهم وصافي الفكر خفة إلى ما أراد بهم عدوهم فاقتضى هذا التحذير كله ، ويؤيد ذلك إقباله في الخطاب عليهم عند نسبة الفشل إليها - كما يأتي قريبا ، ولعله إنما خص هذه الغزوة بالذكر دون ما ذكرت أن واو عطفها دلت عليه مما أيديوا فيه بالنصر لأن الشماتة بالمصيبة أدل على البغضاء والعداوة من الحزن بما يسر ، ودل ذكرها على المحذوف لأن المدعي فيما قبلها شيئان : المساءة بالحسنة ، والفرح والمسرة بالمصيبة ، فإذا برهن المتكلم على الثاني عليم ولا بد أنه حذف برهان الأول ، وأنه إنما حذفه - وهو حكيم - لنكتة ، وهي هنا عدم الاحتياج إلى ذكره لوضوحه بدلالة السياق مع واو العطف عليه ، وما تقدم من كونه غير صريح الدلالة في أمر البغض على أنه تعالى قد ذكر بدرا - كما ترى - بعد محكمة ستذكر ، وأطلق سبحانه وتعالى - كما عن الطبري وغيره - التبوء على ابتداء القتال بالاستشارة فإن الكفار لما نزلوا يوم الأربعاء ثاني عشر." (١)

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ١٤٣/٢

" صفحة رقم ١٧٠
أجمع رأيكم على أن لا يخرج منكم أحد) لبرز الذين كتب عليهم القتل) أي في هذه الغزوة) إلى مضاجعكم) أي التي هي مضاجعهم بالحقيقة وهي التي قتلوا بها ، لأن ما قدرناه لا يمكن أحدا دفعه بوجه من الوجوه ، ثم عطف على ما علم تقديره ودل عليه السياق قوله : (ليبتلي) أي لبرز المذكورون لينفذ قضاؤه ويصدق قوله لكم في غزوة بدر : إن فاديتم الأسارة ولم تقتلوزهم قتل ممنكم في العام المقبل مثلهم) وليبتلي الله) أي المحيط بصفات الكمال بهذا الأمر التقديري) ما في صدوركم) أي من الإيمان والنفاق بأن يفعل في إظهاره من عالم الغيب إلى عالم الشهادة فعل المختبر كما فعل بما وجد في هذه الغزوة من الأمور التحقيقية) ولميحص ما في قلوبكم (اي يطهره ويصفيه من جميع الوساوس الصارفة عن المراقبة من محبة الدنيا من الغنائم التي كانت سبب الهزيمة وغيرها .

وختم بقوله : (والله) أي الذي له الإحاطة بكل شيء) عليم بذات الصدور (مرغبا ومرهبا ودافعا لما قد يتوهم من ذكر الابتلاء من عدم العلم بالخفايا .

ولما كانوا في هذه الغزوة قد حصل لهم ضرر عظيم ، لكنه كان بما وقع من بعضهم من الخلل الظاهر فأدبهم بذلك ، عفا عنهم سبحانه وتعالى بعد ذلك التأديب ورحمهم وطيب قلوبهم بهذه الآية بما فيها من التأمين صريحا ، وبما فيها من الإشارة بجمع جميع حروف المعجم فيها تلويحا إلى أن أمرهم لا بد أن يتم كما تمت الحروف في هذه الآية .

لكنه افتتحها بأداة التراخي إشارة إلى أنه لا يكون إلا بعد مدة مديدة حتى تصقل مرائي الصدور التي ختما بخا بخلاف ما في الآية الأخرى الجامعة للحروف في آخر سورة الفتح التي نزلت في الحديبية التي ساءهم رجوعهم منها دون وصولهم إلى قصدهم - كما يأتي إن شاء الله سبحانه وتعالى .

آل عمران : (١٥٥ - ١٥٧) إن الذين تولوا. .. . .

) إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون (( )

ولما كان فيه مع ذلك معنى التعليل والتنبيه على أنه غني عن الاختبار ، خبير بدقائق الأسرار أتبعه قوله

مستأنفا لبيان ما هو من ثمرات العلم : (إن الذين تولوا منكم) أي عن القتال ومقارعة الأبطال) يوم التقى الجمعان) أي من المؤمنين والكفار) إنما." (١)

" صفحة رقم ١٩٧

) لآيات) أي على جميع ما جاءت به الرسل عن الخالق ، وزاد الحث على التفكر والتهييج إليه والإلهاب من أجله بقوله : (لأولي الألباب (وذكر سبحانه وتعالى في أخت هذه الآية في سورة البقرة ثمانية أنواع من الأدلة واقتصر هنا على ثلاثة ، لأن السالك يفتقر في ابتداء السلوك إلى كثرة الأدلة .

فإذا استنار قلت حاجته إلى ذلك ، وكان الإكثار من الأدلة كالحجاب الشاغل له عن استغراق القلب في لجج المعرفة ، واقتصر هنا من آثار الخلق على السماوية لأناه أقهر وأبهر والعجائب فيها أكثر ، وانتقال القلب منها إلى عظمته سبحانه وتعالى وكبريائه أشد وأسرع ، وختم تلك بما هو لأول السلوك : العقل ، وختم هذه بلبه لأنها لمن تخلص من وساوس الشيطان وشوائب هواجس الوهم المانعة من الوصول إلى حق اليقين بل علم اليقين .

ولما كان كل مميز يدعي أنه في الذروة من الرشاد نعتخم بما بين من يعتد بقعله فقال : (الذين يذكرون الله) أي الذي ليس في خلقه لهما ولا لغيرهما شك ، وله جميع أوصاف الكمال .

ولما كان المقصود الدوام وكان قد يتجوز به عن الأكثر ، وله جميع التفصيل نفيا لاحتمال التجوز ودفعا لدعوى العذر فقال : (قياما وقعودا (ولما كان أكثر الاضطجاع على الجنب قال : (وعلى جنوبهم) أي في اشتغالهم بأشغالهم وفي وقت استراحتهم وعند منامهم ، فهم في غاية **المراقبة** .

ولما بدأ من أوصافهم بما يحلو أصداء القلوب ويسكنها وينفي عنها الوساوس حتى استعدت لتجليات الحق وقبول الفيض بالفكر لانتفاء قوة الشهوة وسورة الغضب وقهرها وضعف داعية الهوى ، فزالت نزغات الشيطان ووساوسه وخطرات النفس ومغالطات الوهم قال : (ويتفكرون) أي على الأحوال .

ولما كانت آيات المعرفة إما في الآفاق وإما في الأنفس ، وكانت آيات الآفاق أعظم

٧٧ ( ) لخلق السموات والأرض اكبر من خلق الناس ( ) ٧

[غافر : ٥٧] .

قال : (في خلق السموات والأرض (على كبرهما واتساعهما وقوة ما فيهما من النافع لحصر الخلائق

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢/ ١٧٠

فيعلمون – بما في ذلك من الأحكام مع جري ما فيهما من الحيوان الذي خلقا لأجله على غير انتظام – أن وراء هذه الدار دارا يثبت فيها الحق وينفى الباطل ويظهر العدل ويضمحل الجور ، فيقولون تضرعا إليه وإقبالا عليه : (ربنا) أي أيها المحسن إلينا) ما خلقت هذا) أي الخلق العظيم المحكم) باطلا) أي لأجل هذه الدار التي لا تفصل فيها على ما شرعت القضايا ، ولا تنصف فيها الرعاة الرعايا ، بل إنما خلقته لأجل دار أخرى ، يكون فيها محض العدل ، ويظهر فيها الفصل .

ولما كان الاقتصار على هذه الدار مع ما يشاهده من ظهور الأشرار نقصا ظاهرا." (١)

" صفحة رقم ٢٠٣

على غير ذلك لأنه لا يشغله شأن عن شأن بقوله : (إن الله) أي بما له من الجلال والعظمة والكمال) سريع الحساب (ولما كثر في هذه الآيات الأمر بمقاساة الشدائد وتجرع مرارات الأذى واقتحام الحروب واستهانة عظائم الكروب ، والحث على المعارف الإلهية والآداب الشرعية من الأصول والفروع انخلاعا من المألوفات إلى ما يأمر به سبحانه من الطاعات ، وختم بتجرع فرقة من أهل الكتاب لتلك المرارات كانت نتيجة ذلك لا محالة قوله تعالى منبها على عظمة ما يدعو إليه لأنه شامل لجميع الآداب : (يأيها الذين آمنوا) أي بكل ما ذكرنا في هذه السورة) اصبروا) أي أوقعوا الصبر تصديقا لإيمانكم على كل ما ينبغي الصبر عليه مما تكرهه النفوس مما دعتكم إليه الزهراوان) وصابروا) أي أوجدوا المصابرة للأعداء من الكفار والمنافقين وسائر العصاة ، فلا يكونن على باطلهم أصبر منكم على حقكم) ورابطوا) أي بأن تربطوا في الثغور خيلا بإزاء ما لهم من الخيول إرهابا لهم وحذرا منهم – هذا أصله ، ثم صار الرباط يطلق على المكث في الثغور لأجل الذب عن الدين ولو لم تكن خيول ، بل وتطلق على المحافظة على الطاعات ، ثم أمر بملاك ذلك كله فقال : (واتقوا الله) أي في جميع ذلك بأن تكونوا مراقبين له ، مستحضرين لجميع ما يمكنكم أن تعلموه من عظمته بنعمته ونقمته) لعلكم تفلحون) أي ليكون حالكم حال من يرجى فلاحه وظفره بما يريد من النصر على الأعداء والفوز بعيش الشهداء ، وهذه الآية – كما ترى – معلمة بشرط استجابة الدعاء بالنصرة على الكافرين ، المختتم به البقرة

٧٧ ( ) فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ( ) ٧ [البقرة : ١٨٦] داعية إلى تذكير أولي الألباب **بالمراقبة** للواحد الحي القيوم الذي لا يخفى عليه شيء

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٩٧/٢

في الأرض ولا في السماء في اتباع آياته ومعاداة أعدائه ، كما أن التي قبلها فيمن آمن بجميع الكتب : هذا القرآن المصدق لما بين يديه والتوراة والإنجيل ، كل ذلك للفوز بالفرقان بالنصر وتعذيب أهل الكفر بأيديهم تمكينا من الله – والله عزيز ذو انتقام – ردا للمقطع على المطلع على أحسن وجه – والله أعلم بالصواب وعنده حسن المآب .." (١)

"صفحة رقم ٢٠٤

سورة النساء

مقصودها الاجتماع على التوحيد الذي هدت إليه آل عمران ، والكتاب الذي حدت عليه البقرة لأجل الدين الذي جمعته الفاتحة تحذيرا مما أراده شأس بن قيس وأنظاره من الفرقة ، وذه السورة من أواخر ما نزل ، روى البخاري في فضائل القرآ ، " عن يوسف بن ماهك أن عراقيا سأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تريه مصحفها ، فقالت : لم ؟ قال لعلي : أؤلف القرآن عليه ، فإنه يقرأ غير مؤلف ، قالت : وما يضرك أيه قرأت قبل ، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل ، فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل احلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر ، لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل لا تزنوا لقالوا : لا تدع الزنى أبدا ، لقد نزل بمكة على محمد وإني لجارية ألعب) بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) [القمر : ٤٦] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلىا وأنا عنده ، قال : فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السورة انتهي. وقد عنت بهذا رضي الله عنعا أن القرآن حاز أعلى البلاغة في إنزاله مطابقا لما تقتضيه الأحوال بحسب الأزمان ، ثم رتب على أعلى وجوه البلاغة بحسب ما تقتضيه المفاهيم من المقال ، كما تشاهده من هذا الكتاب البديع البعيد المنال

النساء : (١ – ٢) يا أيها الناس. .. . .

) يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونسآء واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (( )

ولما كان مقصودها الاجتماع على ما دعت إليه السورتان قبلها من التوحيد ، وكان السبب الأعظم في

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٠٣/٢

الاجتماع والتواصل عادة الأرحام العاطفة التي مدارها النساء سميت (النساء) لذلك ، ولأن بالاتقاء فيهم تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد) بسم الله (." (١)

" صفحة رقم ٢٠٧

إلى أن لهم عليهن درجة ، فهم أقوى وأظهر وأطيب وأظهر في رأي العين لما لهم من الانتشار وللنساء من الاختفاء والاستتار .

ولما كان قد أمر سبحانه وتعالى أول الآية بتقواه مشيرا إلى أنه جدير بذلك منهم لكونه ربهم ، عطف على ذلك الأمر أمرا آخر مشيرا إلى أنه يستحق ذلك لذاته لكونه الحاوي لجميع الكمال المنزه عن كل شائبة نقص فقال : (واتقوا الله) أي عموما لما له من إحاطة الأوصاف كما اتقيتموه خصوصا لما له إليكم من الإحسان والتربية ، واحذروه وراقبوه في أن تقطعوا أرحامكم التي جعلها سببا لتربيتكم .

ولما كان المقصود من هذه السورة المواصلة وصف نفسه المقدسة بما يشير إلى ذلك فقال : (الذين تساءلون) أي يسأل بعضكم بعضا) به (فإنه لا يسأل باسمه الشريف المقدس إلا الرحمة والبر والعطف ، ثم زاد المقصود إيضاحا فقال : (والأرحام) أي واتقوا قطيعة الأرحام التي تساءلون بها ، فإنكم تقولون : ناشدتك بالله والرحم وعلل هذا الأمر بتخويفهم عواقب بطشه ، لأ ، ه مطلع على سرهم وعلنهم مع ما له من القدرة الشاملة .

فقال مؤكدا لأن أفعال الناس في ترك التقوى وقطيعة الأرحام أفعال من يشك ي أنه بعين الله سبحانه : (إن الله) أي المحيط علما وقدرة) كان عليكم (وفي أداة الاستعلاء ضرب من التهديد) رقيبا (وخفض حمزة (الأرحام) المقسم بها تعظيما لها وتأكيدا للتنبيه على أنهم قد نسوا الله في الوفاء بحقوقها – كما أقسم بالنجم والتين وغيرهما ، والقراءاتان مؤذنتان بأن صلة الأرحام من الله بمكان عظيم ، حيث قرناه باسمه سواء كان عطفا كما شرحته آية) وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) [الإسراء : ٢٣] ، وغيرها – أو كان قسما ، واتفق المسلمون على أن صلى الرحم واجبة ، وأحقهم بالصلة الولد ، وأول صلته أن يختار له الموضع الحلال .

ولما بان من هذا تعظيمه لصلة الرحم بجعلها في سياق ذكره سبحانه وتعالى المعبر عنه باسمه الأعظم – كما فعل نحو ذلك في غير آية ، وكان قد تقدم في السورة الماضية ذكر قصة أحد التي انكشفت عن أيتام

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٠٤/٢

، ثم ذكر في قوله تعالى :

٧٧ ( ) كل نفس ذائقة الموت ( ) ٧

[آل عمران : ١٨٥] ، أن الموت مشرع لا بد لكل نفس من وروده ؛ علم أنه له بد من وجود الأيتام في كل وقت ، فدعا إلى العفة والعدل فيهم لأنهم بعد الأرحام أولى من يتقى الله فيه ويخشى مراقبته بسببه فقال : (وآتوا اليتامى) أي الضعفاء الذين انفردوا عن آبائهم ، وأصل اليتيم الانفراد) أموالهم) أي هيئوها بحسن التصرف فيها لأن تؤتوهم إيلاها بعد البلوغ - كما يأتي ، أو يكون الإيتاء حقيقة والتيم باعتبار ما كان .

أو باعتبار الاسم اللغوي وهو مطلق الانفراد ، وما أبدع إيلاءها للآية الآمرة بعد عموم تقوى الله." (١)

" صفحة رقم ٢٠٨

بخصوصها ي صلة الرحم المختتمة بصفة **الرقيب** لما لا يخفى من أنه لا حامل على العدل في الأيتام إلا **المراقبة** ، لأنه لا ناصر لهم ، وقد يكونون ذوي رحم .

ولما أمر بالعفة في أموالهم أتبعه تقبيح الشره الحامل للغافل على لزوم المأمور به فقال : (ولا تتبدلوا) أي تكلفوا أنفسكم أن تأخذوا على وجه البدلية) الخبيث) أي من الخباثة التي لا أخبث منها ، لأنها تذهب بالمقصود من الإنسان ، فتهدم - جميع أمره) بالطيب) أي الذي هو كل أمر يحمل على معالي الأخلاق الصائنة للعرض ، المعلية لقدر الإنسان ؛ ثم بعد هذا النهي العام نوه بالنهي عن نوع منه خاص ، فقال معبرا بالأكل الذي كانت العرب تذم بالإكثار منه ولو أنه حلال طيب ، فكيف إذا كان حراما ومن مال ضعيف مع الغنى عنه : (ولا تأكلوا أموالهم) أي تنتفعوا بها أي انتفاع كان ، مجموعة) إلى أموالكم (شرها وحرصا وحبا في الزيادة من الدنيا التي علتمتم شؤمها وما أثرت من الخذلان يف آل عمران ، وعبر بإلى إشارة إلى تضمين الأكل معنى الضم تنبيها على أنها متى ضمت إلى مال اولي أكل منها فوقع في النهي ، فحض بذلك على تركها محفوظة على حيالها ؛ ثم علل ذلك بقوله : (إنه) أي الأول) كان حوبا) أي إثما وهلاكا) كبيرا (

النساء : (٣) وإن خفتم ألا. .. . . .

) وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النسآء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، 2/٢٠٧

فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا (( )
ولما كان تعالى قد أجرى سنة الإلهية في أنه لا بد في التناسل من توسط النكاح إلا ما كان من آدم وحواء وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، وكانوا قد أمروا بالعدل في أموال اليتامى ، وكانوا يلون أمور يتاماهم ، وكانوا ربما نكحوا من في حجورهم منهن ، فكان ربما أوقفهم هذا التحذير من أموالهم عن النكاح خوفا من التقصير في حق من حقوقهنم أتبعه تعالى عطفا على ما تقديره : فإن وثقتم من أنفسكم بالعدل فخالطوهم بالنكاح وغيره : (وإن خفتم (فعبر بأداة الشك حثا على الورع) ألا تقسطوا) أي تعدلوا) في التيامى (ووثقتم من أنفسكم بالعدل في غيرهن) فانكحوا (ولما كانت النساء ناقصات عقلا ودينا ، عبر عنهن بأداة ما لا يعقل إشارة إلى الرفق بهن والتجاوز عنهن فقال : (ما (ولما أفاد أنكحوا الإذن المتضمن للحل ، وحل الطيب على اللذيذ المنفك عن النهي السابق ليكون الكلام عاما مخصوصا بما يأتي من آية المحرمات من النساء – ولا يحمل الطيب على الحل لئلا يؤدي – مع كونه تكرارا – إلى أن يكون الكلام مجملا – لأن الحل لم يتقدم علمه ، والحمل على العام المخصوص أولى ، ." (١)
" صفحة رقم ٢٥٤
غاب عن غيره) خبيرا) أي لا يخفى عليه من ذلك خفي ، ولا يغيب عنه خبئ ، فصارت هذه الآيات كفيلة بغالب أحوال النكاح ، ولم يذكر سبحانه وتعالى الطلاق عندما ذكر الشقاق لتقدمه في البقرة ، ولأن مبني هذه السورة على التواصل واالتواد دون التفاصل والتراد كما قال ابن الزبير ، ولهذا أي لبناء السورة على التواصل والائتلاف دون التفاصل والاختلاف ، خصت حكم تشاجر الزوجين بالإعلام بصورة الإصلاح والعدالة إبقاء لذلك التواصل ، فلم يكن الطلاق ليناسب هذا ، فلم يقع له هنا ذكر ولا إيماء إلا قوله) وإن يتفرقا يغن الله كلا من فضله) [النساء : ١٣٠] انتهى .
النساء : (٣٦ – ٣٩) واعبدوا الله ولا. .. . .
) واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب مِن كان مختالا فخورا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون مآ آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون أموالهم رئآء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فسآء قرينا وماذا

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٠٨/٢

عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما (( )

ولما كثرت في هذه السورة الوصايا من أولها إلى هنا بنتيجة التقوى : العدل والفضل ، والترغيب في نواله ، والترهيب من نكاله – إلى أن ختم ذلك بإرشاد الزوجين إلى المعاملة بالحسنى ، وختم الآية بما هو في الذروة من حسن الختام من صفتي العلم والخبر ، وكان ذلك في معنى ما ختم به الآية الآمرة بالتقوى من الوصف **بالرقيب** ، اقتضى ذلك تكرير التذكير بالتقوى التي افتتحت السورة بالأمر بها ، فكان التقدير حتما : فاتقوه ؛ عطف عليه ، أو على نحو)) وسئلوا الله من فضله ( ) [النساء : ٣٢] أو على) اتقوا ربكم (الخلق المقصود من الخلق المبثوثين على تلك الصفة ، وهو العبادة الخالصة التي هي الإحسان في معاملة الخالق ، وأتبعها الإحسان في معاملة الخلائق فقال : (واعبدوا الله) أي أطيعوا – الذي له الكمال كله فلا يشبهه شيء – طاعة محضة من غير شائب خلاف مع الذل والانكسار ، لأن ملاك ذلك كله التعبد بامتثال الأوامر واجتناب الزواجر .

ولما كان سبحانه غنيا لم يقبل إلا الخالص ، فقال مؤكدا لما أفهمه ما قبله : (ولا تشركوا به شيئا (ولما أمر للواحد الحقيقي بما ينبغي له ، وكان لذلك درجتان : أولاهما الإيمان ، ." (١)

" صفحة رقم ٢٧١

تؤدوا الأمانات إلى أهلها) أي من غير خيانة ما ، كما فعل أهل الكتاب في كتمان ما عندهم والإخبار بغيره ، والأمانة : كل ما وجب لغيرك عليك .

ولما أمر بما يحق للإنسان في نفسه ، أمر بما يحق له في معاملة غيره ، وحقق لهم ما لم يكونوا يرومونه من أمر الملك بقوله بأداة القطع عاطفا شيئين على شيئين : (إذا حكمتم (وبين عموم ملكهم لسائر الأمم بقوله : (بين الناس (وبين المأمور به بقوله : (أن تحكموا بالعدل) أي السواء بأن تأمروا من وجب عليه حق بأدائه إلى من هو له ، فإن ذلك من أعظم الصالحات الموجبة لحسن المقيل في الظل الظليل ، أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل) الحديث .

ولما أخبرهم بأمره زادهم رغبة بقوله : (إن الله (معبرا أيضا بالاسم الأعظم) نعما) أي نعم شيئا عظيما) يعظم به (وحثهم على المبادرة إلى حسن الامتثال بقوله : (إن الله (مكررا لهذا الاسم الشريف ليجتهدوا

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢/٢٥٤

في الترقي في طهارة الأخلاق إلى حد لم يبلغه غيرهم .

ولما كان **الرقيب** في الأمانات لا بد له من أن يكون له من يد سمع وعلم قال : (كان) أي ولم يزل ولا يزال) سميعا) أي بالغ السمع لكل ما يقولونه جوابا لأمره وغيره ذلك) بصيرا) أي بالغ البصر والعلم بكل ما يفعلونه في ذلك وغيره من امتثال وغيره .

ولما أمر سبحانه بالعدل ورغب فيه ، ورهب من تركه ؛ أمر بطاعة المتنصبين لذلك وغيره ، وفي غير ذلك من الدماء والأموال والأقوال والأفعال ، وذكر خيانة أهل الكتاب وما أحل بهم لذلك من العقاب ، وذكر أنه آتى هذه الأمة الملك المقتضي للحكم ، وآتاهم الحكمة بعد جهلهم وضعفهم ؛ أقبل عليهم بلذيذ خطابه بعد ما وعدهم على امتثال أمره من كريم ثوابه بما ختمه بالظل الموعود على العدل في حديث (سبعة يظلمهم الله في ظله) فقال : (إن الله) أي الذي له صفات الكمال) يأمركم) أي الذي له صفات الكمال) يأمركم) أي أيتها الأمة) إن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) أي من غير خيانة ما ، كما فعل أهل الكتاب في كتمان ما عندهم والإخبار بغيره ، والأمانة : كل ما وجب لغيرك عليك .

ولما أمر بما يحق للإنسان في نفسه ، أمر بما يحق له في معاملة غيره ، وحقق لهم ما لم يكونوا يرومونه من أمر الملك بقوله بأداة القطع عاطفا شيئين على شيئين : (إذا حكمتم (وبين عموم ملكهم لسائر الأمم بقوله : (بين الناس (وبين المأمور به بقوله : (أن تحكموا بالعدل) أي السواء بأن تأمروا من وجب عليه حق بأدائه إلى من هو له ، فإن ذلك من أعظم الصالحات الموجبة لحسن المقيل في الظل الظليل ، أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل) الحديث .

ولما أخبرهم بأمره زادهم رغبة بقوله : (إن الله (معبرا أيضا بالاسم الأعظم) نعما) أي نعم شيئا عظيما) يعظكم به (وحثهم على المبادرة إلى حسن الامتثال بقوله : (إن الله (مكررا لهذا الاسم الشريف ليجتهدوا

في الترقي في طهارة الأخلاق إلى حد لم يبلغه غيرهم .

ولما كان **الرقيب** في الأمانات لا بد له من أن يكون له من يد سمع وعلم قال : (كان) أي ولم يزل ولا يزال) سميعا) أي بالغ السمع لكل ما يقولونه جوابا لأمره وغيره ذلك) بصيرا) أي بالغ البصر والعلم بكل ما يفعلونه في ذلك وغيره من امتثال وغيره .

ولما أمر سبحانه بالعدل ورغب فيه ، ورهب من تركه ؛ أمر بطاعة المنتصبين لذلك الحاملة لهم على الرفق بهم والشفقة عليهم فقال : (يأيها الذين آمنوا) أي أقروا بالإيمان ، وبدأ بما هو العمدة في الحمل على

ذلك فقال : (أطيعوا) أي بموافقة الأمر تصديقا لدعواكم الإيمان) الله) أي فيما أمركم به في كتابه مستحضرين ما له من الأسماء الحسنى ، وعظم رتبة نبيه (صلى الله عليه وسلم) بإعادة العامل فقال : (وأطيعوا الرسول (فيما حده لكم في سنته عن الله وبينه من كتابه لأن منصب الرسالة مقتض لذلك ، ولهذا عبر به دون النبي) وأولي الأمر منكم) أي الحكام ، فإن طاعتهم فيما لم يكن معصيته -كما أشير إلى ذلك بعدم إعادة العامل - من طاعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وطاعته من طاعة الله عز وجل ؛ والعلماء من أولي الأمر أيضا ، وهم العاملون فإنهم يأمرون بأمر الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ." (١)

" صفحة رقم ٣٨٣

الله ناصرا ؛ ولا يخفى عليه شيء من حاله ، وما أشد مناسبة ختامها بإحاطة العلم لما دل عليه أولها من تمام القدرة ، فكان آخرها دليلا على أولها لأن تمام العلم مستلزم لشمول القدرة ، قال الإمام : وهذان الوصفان هما اللذان بهما ثبتت الربوبية والإلهية والجلال والعزة ، وبهما يجب على العبد أن يكون مطيعا للأوامر والنواهي منقادا لكل التكاليف - انتهى .

ولختام أول آية فيها بقوله :

٧٧ ( ) إن الله كان عليكم رقيبا ( ) ٧

[النساء : ١] أي وهو بكل شيء من أحوالكم وغيرها عليم ، فلا تظنوا أنه يخفى عليه شيء وإن دق ، فليشتد حذركم منه ومراقبتكم له ، وذلك أشد شيء مناسبة لأول المائدة - والله الموفق بالضواب ، وإليه المرجع والمآب .

.. .. .." (٢)

" صفحة رقم ٤٤٥

شرح قصة ابني آدم من التوراة ، قال المترجم في أولها بعد قصة أكل آدم عليه السلام من الشجرة ما نصه : فدعا آدم اسم امرأته حواء من أجل أنها كانت أم كل حي ، وصنع الرب لآدم وامرأته سرابيل من الجلود وألبسهما ، فأرسله الله من جنة عدن ليحرث الأرض التي منها أخذ ، فأخرجه الله ربنا ، فجامع آدم امرأته حواء فحبلت وولدت قايين وقالت : لقد استفدت لله رجلا ، وعادت فولدت أخاه هابيل ، فكان هابيل

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٧١/٢

(٢) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٨٣/٢

راعي غنم ، وكان قايين يحرث الأرض ، فلما كان بعد أيام جاء قايين من ثمر أرضه بقربان لله ، وجاء هابيل أيضا من أبكار غنمه بقربان ، فسر الله بهابيل وقربانه ولم يسر بقايين وقربانه ، فساء ذلك قايين جدا وهم أن يسوءه وعبس وجهه ، فقال الرب لقايين : ما ساءك ؟ ولم كسف وجهك ؟ إن أحسنت تقبلت منك ، وإن لم تحسن فإن الخطيئة رابضة على الباب وأنت تقبل إليها وهي تتسلط عليك ، فقال قايين لهابيل أخيه : تتمشى بنا في البقعة ، فبينما هما يتمشيان في الحرث وثب قايين على أخيه هابيل فقتله ، فقال الله لقايين : أين هابيل أخوك ؟ لفقال : لا أدري ، أرقيب أنا على أخي ؟ قال الله : ماذا فعلت فإن دم أخيك ينادي لي من الأرض ، من الآن ملعون أنت نم الأرض التي فتحت فاها فقبلت دم أخيك من يدك ، فإذا أنت عملت في الأرض فإنها لا عود تعطيك حراثها ، وتكون فزعا تائها في الأرض ، فقال قايين للرب : عظمت خطيئتي من أن تغفرها ، وقد أخرجتني اليوم عن وجه الأرض ، وأتوارى من قدامك وأكون فزعا تائها في الأرض ، وكل من وجدني يقتلني ، فقال الله ربنا : كلا ولكن كذلك كل قاتل ، وأما قايين فإنه يجزى بدل الواحد سبعة ، فخرج قايين من قدام الله فجلس في الأرض نود شرقي عدن – انتهى. قال البغوي عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول : إن آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت فهيا بقابيل وتوأمته – فذكر قصته في النكاح وقتله لأخيه وشرب الأرض لدمه قولو قابيل لله – حين قال له : إنه قتله : إن كنت قتلته فأين دمه ؟ فحرم الله على الأرض يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا – انتهى .

ولما أخبر الله تعالى بأن أحدهما فعل معه من عدم القبول ما غاظه ، كان كأنه قيل : فما فعل حين غضب ؟ فقيل : (قال) أي لأخيه الذي قبل قربانه حسدا له) لأقتلنك (فكأنه قيل : بما أجابه ؟ فقيل : نبهه أولا على ما يصل به إلى رتبته ليزول حسده بأن) قال إنما يتقبل الله) أي يقبل عظيما المحيط لكل شيء قدرة وعلما الملك الذي له الكمال كله ، فليس هو محتاجا إلى شيء ، وكل شيء محتاج إليه) من المتقين) أي العريقين في وصف التقوى ، فلا معصية لهم يصرون عليها بشرك ولا غيره ، فعدم تقبل قربانك من نفسك لا مني ، فلم تقتلني ؟ فقتلك لي مبعد لك عما حسدتني عليه .." (١)

" صفحة رقم ٤٧٧

ما يفيد الجمع وزيادة دلالة على ذلك فقال : (من الكتاب) أي الذي جاء به الأنبياء من قبل) ومهيمنا

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٤٥/٢

) أي شاهدا حفيظا مصقا وأمينا رقيبا) عليه) أي على كل كتاب تقدمه – كما قاله البخاري في أول الفضائل من الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي هذه الصفة بشارة لحفظه سبحانه لكتابنا حتى لا يزال بصفة الشهادة ، فإن الله تعالى استحفظهم كتبهم فعجزوا عنها ، فحرفها محرفوهم وأسقطوا منها وأسقط مسرفوهم ، فتكفل هو سبحانه بحفظ كتابنا فكان قيما عليها ، فما كان فيها موافقا له فهو حق ، وما كان فيها مخالفا فهو إما منسوخ أو مبدل فلا يعبر ، بل يحكم بما في كتابنا لأنه ناسخ لجميع الكتب ، والآتي به مرسل إلى جميع العالمين ، فملته ناسخة لجميع الملل ، فأنتج هذا وجوب الحكم بما فيه على المؤالف والمخالف بشرطه ؛ فلذا قال مسببا عما قبله : (فاحكم بينهم) أي بين جميع أهل الكتب ، فغيرهم من باب الأولى) بما أنزل الله) أي الملك الذي له الأمر كله إليك في هذا الكتاب الناسخ لكتبهم المهيمن عليها في إثبات ما أسقطوه منها من أمرهم باتباعك ونحو ذلك من أوصافك) ولا تتبع أهواءهم (فيما خالفه منحرفين) عما جاءك (وبينه بقوله : (من الحق (ولما كان كل من كتابيهم من عند الله ، كان كأنه قيل : كيف يكون الحكم بكتابهم الذي يصدقه كتابنا انحرافا عن الحق ؟ علل ذلك دالا على النسخ بقوله : (لكل) أي لكل واحد) جعلنا) أي بعظمتنا التي نفعل بها ما نشاء من نسخ وغيره ، ثم خصص الإبهام بقوله : (منكم) أي يا أهل الكتب) شرعة) أي دينا موصلا إلى الحياة الأبدية ، كما أن الشرعة موصلة إلى الماء الذي به الحياة الدنيوية) ومنهاجا) أي طريقا واضحا مستنيرا ناسخا لما قبله ، وقد جعلنا شرعتك ناسخة لجميع الشرائع ، وهذا وأمثاله – مما يدل على أن كل متشرع مختص بشرع وغير متعبد بشرع من قبله – محمول على الفروع ، وما دل على الاجتماع كأنه شرع لكم من الدين محمول على الأصول) ولو شاء الله) أي الملك الأعظم المالك المطلق الذي له التصرف التام والأمر الشامل العام أن يجمعكم على شيء واحد) لجعلكم أمة) أي جماعة متفقة يؤم بعضها بعضا ، وحقق المراد بقوله : (واحدة) أي على دين واحد ، ولم يجعل شيئا من الكتب ناسخا لشيء من الشرائع ، لأن الكل بمشيئته ، ولا مشيئة لأحد سواه إلا بمشيئته) ولكن (لم يشأ ذلك ، بل شاء أن تكونوا على شرائع مختلفة) ليبلوكم) أي ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر) فيما آتاكم) أي أعطاكم وقسم بينكم من الشرائع المختلفة ليبرز إلى الوجود ما تعملون في ذلك من اتباع وإذعان اعتقادا أن ذلك مقتضى الحكمة الإلهية ؛ فترجعون عنه إذا قامت البراهين بالمعجزات على صدق ناسخه ، ونهضت الأدلة البينات على صحة." (١)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢/ ٤٧٧

" صفحة رقم ٥٣٩

ولما بدأ بالتقوى وهي خوف الله الحامل على البعد عن المحرمات ، ذكر أساسها الذي لا تقبل إلا به فقال : (وآمنوا (ولما ذكر الإقرار باللسان ، ذكر مصداقه فقال : (وعملوا) أي بما أداهم إليه اجتهادهم بالعلم لا اتفاقا) الصالحات ثم اتقوا) أي فاجتنبوا ما جدد عليهم تحريمه) وآمنوا) أي بأنه من عند الله ، وأن الله له أن يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ، وهكذا كلما تكرر تحريم شيء كانوا يلابسونه .

ولما كان قد نفى الجناح أصلا ورأسا ، شرط الإحسان فقال : (ثم اتقوا وأحسنوا) أي لازموا التقوى إلى أن أوصلتهم إلى مقام المراقبة ، وهي الغنى عن رؤية غير الله ، فأفهم ذلك أن من لم يبلغ رتبة الإحسان لا يمتنع أن يكون عليه جناح مع التقوى والإيمان ، يكفر عنه بالبلايا والمصائب حتى ينال ما قدر له مما لم يبلغه عمله من درجات الجنان ، ومما يدل على نفاسة التقوى وعزتها أنه سبحانه لما شرطها في هذا العموم ، حث عليها عند ذكر المأكل بالخصوص - كما مضى فقال (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) ، وهذا في غاية الحث على التورع في المأكل والمشرب وإشارة إلى أنه لا يوصل إلى مقام الإحسان إلا به - والله الموفق ؛ ولما كان التقدير : فإن الله يحب المتقين المؤمنين ، عطف عليه قوله : (والله) أي الذي له صفات الكمال) يحب المحسنين (.

ولما ذكر ما حرم من الطعام في كل حال ، وكان الصيد ممن حرم في بعض الأوقات ، وكان من أمثل مطعوماتهم ، وكان قد ذكر لهم بعض أحكامه عقب قوله : (أحلت لكم بهيمة الأنعام ( ) وأحل لكم الطيبات (أخذ هنا في ذكر شيء من أحكامه ، وابتدأها - لأنهم خافوا على من مات منهم على شرب الخمر قبل تحريمها بأنه يبتليهم لتمييز الورع منهم من غيره - بالصيد في الحال التي حرمه عليهم فيها كما ابتلى إسرائيل في السبت ، فكان ذلك سببا لجعلهم قردة ، ومن سبحانه عل الصحابة من هذه الأمة بالعصمة عند بلواهم بيانا لفضلهم على من سواهم ، فقال تعالى مناديا لهم بما يكفهم ذكره عن المخالفة : (يا أيها الذين آمنوا) أي أوقعوا الإيمان ولو على أدنى وجوهه ، فعم بذلك العالي والداني) ليبلونكم الله) أي يعاملكم معاملة المختبر في قبولكم تحريم الخمر وغيره المحيط بكل شيء قدرة وعلما ، وذكر الاسم الأعظم إشارة بالتذكير بما له من الجلال إلى أن له أن يفعل ما يشاء ، وأشار إلى تحقير البلوى تسكينا للنفوس بقوله : (بشيء من الصيد) أي الصيد في البر في الإحرام ، وهو ملتفت إلى قوله :

٧٧ ( ) هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ( ) ٧

[المائدة : ٦٠] وشارح لما ذكر أول السورة في قوله) غير محلي الصيد وأنتم حرم (، وما ذكر بعد

المحرمات من قوله :

٧٧ ( ) فكلوا مما أمسكن عليكم ( ) ٧

[المائدة : ٤] ، ووصف المبتلى به بوصف هو من أعلام النبوة فقال : (تنا‌ﻫ." [١]

" صفحة رقم ٥٧١

تكون به بالغة العجب عالية الرتب فقال : (تكون) أي هي أو يوم نزولها) لنا عيدا (وأصل العيد كل يوم فيه جمع ، ثم قيد بالسرور فالمعنى : نعود إليها مرة بعد مرة سرورا بها ، ولعل منها ما يأتي من البركات حين ترد له عليه السلام - كما في الأحاديث الصادقة ، ويؤيد ذلك قوله مبدلا من (لنا) : (لأولنا وآخرنا) .

ولما ذكر الأمر الدنيوي ، أتبعه الأمر الديني فقال : (وآية منك) أي علامة على صدقي) وارزقنا) أي رزقا مطلقا غير مقيد بها ؛ ولما كان التقدير : فأنت خير المسؤولين ، عطف عليه قوله : (وأنت خير الرازقين) أي فإنك تغني من تعطيه وتزيده عما يؤمله ويرتجيه بما لا ينقص شيئا مما عندك ، ولا تطلب منه شيئا غير أن ينفع نفسه بما قويته عليه من طاعتك بذلك الرزق) قال الله) أي الملك المحيط علما وقدرة .

المائدة : (١١٥ - ١١٧) قال الله إني. .. . .

) قال الله إني ﻣنزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وإذ قال الله يعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا مآ أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد (( )

ولما كان ظاهر سؤالهم من الاستفهام عن الاستطاعة للاضطراب وإن كان للإلهاب ، أكد الجواب فقال : (إني منزلها عليكم) أي الآن بقدرتي الخاصة بي) فمن يكفر بعد) أي بعد إنزالها) منكم (وهذا السياق معشر بأنه يحصل منهم كفر ، وقد وجد ذلك حتى في الحواريين على ما يقال في يهودا الإسخريوطي أحدهم الذي دل على عيسى عليه السلام ، فألقى شبهه عليه ، ولهذا خصه بهذا العذاب ﻓقال : (فإني

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٣٩/٢

أعذبه) أي على سبيل البت والقطع) عذابا لا أعذبه) أي مثله أبدا فيما يأتي من الزمان) أحدا من العالمين (وفي هذا أتم زاجر لهذه الأمة عن اقتراح الآيات ، وفي ذكر قصة المائدة في هذه السورة التي افتتحت بإحلال المآكل واختتمت بها أعظم تناسب ، وفي ذلك كله إشارة إلى تذكير هذه الأمة بما أنعم عليها بما أعطى نبيها من المعجزات ومن عليها به من حسن الاتباع ، وتحذير من كفران هذه النعم المعددة عليهم ، وقد اختلف المفسرون في حقيقة هذه المائدة وفي أحوالها ؛ قال أبو حيان : وأحسن ما يقال فيه ما خرجه الترمذي في أبواب التفسير عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : (قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما ، وأمروا أن لا يدخروا لغد ولا يخونوا ، ." (١)

" صفحة رقم ٥٧٥

فإذا انتفى انتفى اللساني ، قالك) ما في نفسي) أي وإن اجتهدت في إخفائه ، فإنه خلقك ، وما أنا له إلا آلة ووعاء ، فكيف به إن كنت أظهرته .

ولما أثبت له سبحانه ذلك ، نفاه عن نفسه توبيخا لمن ادعى له الإلهية فقال مشاكلة : (ولا أعلم ما في نفسك) أي ما أخفيته عني من الأشياء ؛ ثم علل الأمرين كليهما بقوله : (إنك أنت) أي وحدك لا شريك لك) علام الغيوب (.

ولما نفى عن نفسه ما يستحق النفي ودل عليه ، أثبت ما قاله لهم على وجه مصرح بنفي غيره ليكون ما نسب إليه من دعوى الإلهية منفيا مرتين : إشارة وعبارة ، فقال معبرا عن الأمر بالقول مطابقة للسؤال ، وفسر بالأمر بيانا لأن كل ما قاله من مباح أو غيره دائر على الأمر من حيث الإعتقاد بمعنى أن المخاطب بما قاله الرسول مأمور بأن يعتقد فيه أنه بتلك المنزلة ، لا يجوز أن يعتقد فيه أنه فوقها ولا دونها ، يعبد الله تعالى بذلك : (ما قلت لهم) أي ما أمرتهم بشيء من الأشياء) إلا ما أمرتني به (ثم فسره دالا بشأن المراد بالقول الأمر بالتعبير في تفسيره بحرف التفسير بقوله : (أن اعبدوا) أي ما أمرتهم إلا بعبادة) الله) أي الذي لم يستجمع نعوت الجلال والجمال أحد غيره ؛ ثم أشار غلى أنه كما يستحق العبادة لذاته يستحقها لنعمه فقال : (ربي وربكم) أي أنا وأنتم في عبوديته سواء ، وهذا الحصر يصح أن يكون للقلب على أن دون بمعنى غير ، وللإفراد على أنها بمعنى سفول المنزلة ، وهو من بدائع الأمثلة .

ولما فهم (صلى الله عليه وسلم) من هذا السؤال أن أتباعه غلوا في شأنه ، فنزه الله سبحانه وعز شأنه من

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٧١/٢

ذلك وأخبره بما أمر الناس به في حقه سبحانه من الحق ، اعتذر عن نفسه بما يؤكد ما مضى نفيا وإثباتا فقال : (وكنت عليهم) أي خاصة لا على غيرهم .

ولما كان سبحانه قد أرسله شاهدا ، زاد في الطاعة في ذلك إلى أن بلغ جهده كإخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فقال معبرا بصيغة المبالغة : (شهيدا) أي بالغ الشهادة ، لا أرى فيهم منكرا إلا اجتهدت في إزالته) ما دمت فيهم (وأشار إلى الثناء على الله بقوله : (فلما توفيتني) أي رفعتني إلى السماء كامل الذات والمعنى مع بذلهم جهدهم في قتلي)كنت أنت) أي وحدك) **الرقيب**) أي الحفيظ القدير) عليهم (لا يغيب عليك شيء من أحوالهم ، وقد منعتهم أنت أن يقولوا شيئا غير ما أمرتهم أنا به من عبادتك بما نصبت لهم من الأدلة وأنزلت عليهم على لساني من البينات) وأنت على كل شيء) أي منهم ومن غيرهم حيوان وجماد) شهيد) أي مطلع غاية الاطلاع ، لا يغيب عنك شيء منه سواء كان في عالم الغيب أو الشهادة ، فإن كانوا قالوا ذلك فأنت تعلمه دوني ، لأني لما بعدت عنهم في المسافة انقطع علمي عن أحوالهم .." (١)

" صفحة رقم ٦٥٦

واللعب ، بل على وجه التقوى **والمراقبة** ليدل ما ظهر منها على ما بطن من الإسلام للمحسن .

ولما كان التقدير : فهو الذي ابتدأ خلقكم من طين فإذا أنتم بشر مصورون ، وجعلكم أحياء فبقدرته على مدى الأيام تنتشرون ، عطف عليه قوله : (وهو الذي إليه) أي لا إلى غيره بعد بعثكم من الموت) تحشرون (فأتى بالبعث الذي هم له منكرون لكثرة ما أقام من الأدلة على تمام القدرة في سياق دال على أنه مما لا مجال للخلاف فيه ، وأن النظر إنما هو فيما وراء ذلك ، وهو أن عملهم للباطل سوغ تنزيلهم منزلة من يعتقد أنه يحشر إلى غيره سبحانه ممن لا قدرة له على جزائهم ، فأخبرهم أن الحشر إليه لا إلى غيره ، لأنه لا كلام هناك لسواه ، فلا علق بين المحشورين ولا تناصر كما في الدنيا ، والجملة مع ذلك كالتعليل للأمر بالتقوى ، وقد بان أن الآية من الاحتباك ، فإنه حذف الصلاة أولا لدلالة ذكرها ثانيا ، والإسلام ثانيا لدلالة ذكره أولا .

الأنعام : (٧٣ - ٧٦) وهو الذي خلق. ... . . .

) وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٧٥/٢

عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلمآ أفل قال لا أحب الآفلين (( )

ولما كانوا بعبادة غيره تعالى – مع إقرارهم بأنه هو خالق السماوات والأرض – في حال من يعتقد أن ذلك الذي يعبدونه من دونه هو الذي خلقهما ، أو شاركا فيهما .

فلا قدرة لغيره على حشر من في مملكته ، قال تعالى منبها لهم من غفلتهم وموقظا من رقدتهم معيدا الدليل الذي ذكره أول السورة على وجه آخر : (وهو) أي وحده) الذي خلق) أي أوجد واخترع وقدر) السماوات والأرض) أي على عظمهما وفوت ما فيهما من الحكم والمنافع الحصر) بالحق) أي بسبب إقامة الحق ، وأنتم ترون أنه غير قائم في هذه الدار ولا هو قريب من ا لقيام ، فوجب على كل من يعلم أن الله حكيم خبير أن يعتقد أنه لا بد من بعثة العباد بعد موتهم –كما وعد بذلك – ليظهر العدل بينهم ، فيبطل كل باطل ويحق كل حق ، ويظهر الحكم لجميع الخلق .

ولما قرر أن إقامة الحق هي المراد ، قرر قدرته عليها بقوله : (ويوم يقول) أي للخلق ولكل شيء يريده في هذه الدار وتلك الدار)كن فيكون) أي فهو يكون لا يتخلف أصلا .." (١)

" صفحة رقم ٦٨٧

ولأجل أن الاشتباه أبلغ من التشابه ، علق الأمر بالنظر الذي هو أثبت الحواس ، ودلالة على أن المراد إنما هو ظاهر ذلك ، لأنه كان في الدلالة على البعث والتوحيد الذي هذا سياقه فقال : (انظروا إلى ثمره (وهذا بخلاف الحرف الثاني ، فإنه في سياق الرد على العرب فيما يجعلون من خلقه لأصنامهم التي لا قدرة لها على شيء أصلا ، ولذلك ختم الآية بالإذن لهم في الأكل منه للانتهاء عما كانوا يحرمونه منه على أنفسهم ، وبالأمر بالتصدق على من أمر بالصدقة عليه ، وأما الباطن الذي هو الأكل فسيأتي ؛ ثم نبه على تعميم النظر في جميع حالاته بقوله : (إذا أثمر) أي حين يبدو من كمامه ضعيفا قليل النفع أو عديمه) وينعه) أي وانظروا إلى إدراكه إذ أدرك وحان قطافه ، ويعلم من ذلك النظر فيما بين ذلك ، لأنه يلزم من مراقبة الأول والآخر ، فيعلم استحالة ألوانه ومقاديره وطعومه وأشكاله وغير ذلك من شؤونه وأحواله ، ويلزم من ذلك أيضا النظر إلى أشجاره ليعلم تفاوت بعضها واشتباه البعض الآخر في الطول والقصر والصغر والكبر

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٥٦/٢

وغير ذلك من سائر الأحوال ، كما أن ذلك موجود في التمر ، فاستناد هذه التبدلات والتغيرات ليس إلا إلى الفاعل المختار ، لأن نسبته إلى الطبائع والفصول على حد سواء ، فلو استندت إليها لم تتغير .
ولما كان اتخاذ هذه المذكورات أولا والمخالفة بين أشكالها ومقاديرها وألوانها ثانيا دالا على كمال القدرة المستلزم للوحدانية ، دل على عظمته بقوله مستأنفا مشيرا بأداة البعد وميم الجمع : (إن في ذلكم) أي الأمر العظيم الشأن العالي الرتبة) لآيات) أي علامات على قدرة الصانع واختياره .
ولما كانت الآيات لا تغني عمن أريدت شقاوته قال : (لقوم يؤمنون) أي حكم بأنهم – بحذقهم ونشاطهم وقوتهم على ما يحاولونه – يجددون الإيمان كلما تأملوا في مصنوعات الله سبحانه وتعالى الدالة عليه المشيرة بكل لسان إليه .
ولما كان المشركون على أصناف : منهم عدة أصنام ، شركوا في العبودية لا في الخلق ، ومنهم آزر الذي حاجه إبراهيم عليه السلام ومنهم عبدة الكواكب وهم فريقان : منهم من قال : هي واجبة الوجود ، ومنهم من قال : ممكنة ، خلقها الله وفوض إليها تدبير هذا العالم الأسفل ، وهم الذين حاجهم الخليل عليه السلام بالأفول ، ومنهم من قال : لهذا العالم كله إلهان : فاعل خير ، وفاعل شر ، وقالوا : إن الله وإبليس أخوان ، فالله خالق الناس والدواب والأنعام ، وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب والشرور ، ويلقبون الزنادقة وهم المجوس ، لأن الكتاب الذي زعم زردشت أنه نزل من عند الله سمي بالزند ، فالمنسوب إليه زندي ، ثم عرب فقيل : زنديق ، وكان هذا كله في قوله." (١)

" صفحة رقم ١٨

الشيطان) أي الذي تكبر عن السجود حسدا لك يا ىدم ونفاسه عليك فاحترق بغضبي فطرد وابعد عن رحمتي) لكما) أي لك ولزوجك ولكل من تفرغ منكما ونسب إليكما) عدو مبين (ظاهر العدواة يأتيكم من كل موضع يمكنه الإتيان منه مجاهرة ومساترة ومماكرة فهو مع ظهور عدواته دقيق المكر بما أقرته عليه من غقامة الأسباب فإني أعطيته قوة على الكيد واعطيتهم قوة على الكيد قوة الخلاص وقلت لكم تغالبوا فإن غلبتموه فأنتم من حزبي وغن غلبكم فأنتم من حزبه مع ما له إليكم كم العداوة فالآتيه منبهة على أن من غوى فإنما هو تابع لأعدى أعدائه تارك لأولى أوليائه .
ولما كان هذا تشوف السامع إلى جوابهما فأجيب بقوله : (قالا) أي آدم وحواء – عليهما السلام وأزكى

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٨٧/٢

التحية والإكرام – قول الخزاص بإسراعهما في التوبة) ربنا (اي أيها المحسن إلينا والمنعم علينا) ظلمنا أنفسنا) أي ضررناها بأن أخرجناها من نور الطاعة إلى ظلام المعصية فإن لم ترجع بنا وتتب علينا لنستمر عاصيين) اوإن لم تغفر لنا) أي تمح ما عملناه عينا واثرا) وترحمن (فتعلى درجاتنا) لنكونن من الخاسرين (فأعربت الآية عن انهما فزعا إلى الا نتصاب بالاعتراف وسيما ذنبهما وغنة كان إنما هو خلاف الولى لأنه بطريق النسيان كما في طه ظلما كما هي عادة الأكابر في استعظام الصغيرة منهم ولم يجادلا كما فعل إبليس وفي ذلك إشارة إلى أن المبادرة إلى الإقرار بالذنب من فعال الأشراف لكونه من معالي الأخلاق وأنه لا مثيل له في اقتضاء العفو وإزالة الكدر وأن الجدال من فعال الأرذال ومن مساوي الأخلاق وموجبات الغضب المقتضى للطرد ولما تشوفت النفس إلى وجوب العلي الكبير سبحانه أجبيت بقوله) قال اهبطوا) أي إلى دار المجاهده والمقارعة والمناكدة حال كونكو) بعضكم لبعض عدو) أي أنتما ومن ولدتماه أعداء إبليس ومن ولد ، وبعض أولادكم أعداء لبعض ولا خلاص إلا باتباع ما منحتكم من هدى العقل وما أنزلت إليكم من تاييده بالنقل وفي ذلك تهديد صادع لمن له أدنى مسكة بالأشارة إلى قبح مغبة المخالفة ولو مع التوبة وحث على دوام **المراقبة** خوفا من سوء المعاقبة) ولكم في الأرض) أي جنسها) مستقر) أي موضع استقرار كالسهول وما شابهها) ومتاع إلى حين) أي انقضاء آجالكم ثم انقضاء اجل الدنيا الأعراف : (٢٥ – ٢٧) قال فيها تحيون. .. . .

) قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري." (١)

" صفحة رقم ١٧٨

ولما كان من لا ينتفع بالشيء يصح أن ينفي عن الشيء النافع النفع بالنسبة إليه ، قال : (لقوم يؤمنون) أي يوجدون هذه الحقيقة ويستمرون على تجديدها في كل وقت ، وأما غيرهم فقد يكون عليهم عذابا .

ولما عظم الله شأن القرآن ، فكان التقدير : فآمنوا به تفلحوا ، عطف عليه قوله : (وإذا قريء القرآن) أي وهو هذا الذي يوحي إلي ، فتأدبوا وتواضعوا لأنه صفة ربكم) فاستمعوا له) أي ألقوا إليه أسماعكم مجتهدين في عدم شاغل يشغلكم عن السمع ولما كان بعض الفهاء يسمع وهو يتكلم ، أشار إلى أن الكتاب أعلى قدرا من أن يناله من يشتغل عنه بأدنى شغل فقال : (وأنصتوا) أي للتأمل والتدبر لتنجلي قلوبكم فتعلموا حقيقة فتعلموا بما فيه ولا يكون في صدوركم حرج منه ؛ ولما كان ظاهر الآية وجوب

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٨/٣

الإنصات لكل قارئ على كل أحد ، رغب فيه تعظيما لشأنه فقال : (لعلكم ترحمون) أي لتكون على رجاء من أن يكرمكم ربكم ويفعل بكم كل ما يفعله الراحم مع المرحوم ولما تقدم الأمر بالذكر عند نزغ الشيطان ، ومر إلى أن أمر بالاستماع لأعظم الذكر ، وكان التالي ربما بالغ في الجهر ليكثر سامعه ، وربما أسر لئلا يوجب على غيره الإصغاء ، علمهم أدب القراءة ، وأطلق ذلك في كل حال لأنه ر بما فهم فاهم الاقتصار على ذكر في حالة النزغ ، ورقي الخطاب منهم إلى إمامهم ليكون أدعى لقبولهم مع الإشارة إلى أنه لا يكاد يقوم بهذا الأمر حق قيامه غيره (صلى الله عليه وسلم) فقال : (واذكر) أي بكل ذكر من القرآن وغيره -) ربك) أي الذي بلغ الغاية في الإحسان إليك) في نفسك) أي ذكرا يكون راسخا فيك مظروفا لك لفهمك لمعانية وتخلقك بما فيه ، وليكن سرا لأن ذلك أقرب إلى الإخلاص واعون على التفكير ، وكونه سرا دال على أشرف الأحوال ، وهو المراقبة مع تحقق القرب ، فإذا كان كذلك أثمر قوله : (تضرعا) أي حال كونك ذا والعلن وبهذا يكمل ذل العبودية لعز الربوبية .

ولما أمر بالسر ، قال مقابلا له : (ودون الجهر) أي لأنه أدخل في الإخلاص ، ومن المعلوم انه فوق السر ، وإلا لم تفد الدجملة شيئا ، ولما كان قد يكون في الأفعال ، أكده بقوله : (من القول) أي فأن ذلك يشعر بالتذلل والخضوع من غير صباح كما يناجي الملوك ويستجلب منهم الرغائب ، وكما قال (صلى الله عليه وسلم) للصحابة وقد جهروا بالدعاء." (١)

" صفحة رقم ١٧٩

فوق المقدار (إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا) فإن المقصود حصول الذكر اللساني ليعين الذكر القلبي ، والمقصود حاصل بإسماع النفس فإنه يتأثر الخيال فيتقوى الذكر القلبي ، ولا تزال الأنوار تتزايد فينعكس تراجع بعضها إلى بعض حتى يزداد الترقي من ظلمات عالم الأجسام إلى أنوار مدبر النور والظلام ولما أمر بالذكر مكيفا بكيفية اللائقة به ، أمره (صلى الله عليه وسلم) بالمداومة عليه ذاكرا أحسن الأوقات له وأحقها به ، لكونها لما فيها من الشغل - أدل على إيثارة لمزيد المحبة والتعظيم فقال : (بالغدو) أي أوقات البكر ، ولعله أفرده علىجعله مصدر غدا ، لأنه ما ثم إلا وقيل : الغدو وجمع غدوة ، فيراد حينئذ مع الصبح الضحى ، وآخر كل نهار متصل بأول ليلة اليوم الثاني فسمي آخر اليوم اصيلا لأنه يتصل بما هو أصل اليوم الثاني ، وخص هذين الوقتين وإن كان المراد الدوام بتسمية كل من اليوم والليل باسم جزئه ،

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ١٧٨/٣

ليذكر بالغدو الانتشار من الموت ، وبالأصل السكون بالموت والرجوع إلى حال العدم فيستحضر بذلك جلال الله عز وجل فيكون ذلك حاويا على تعظيمه حق تعظيمه .

ولما كان ربما أوهم هذا الخصوص بهذين الوقتين وإن ظاهرا في الدوام ، قال مصرحا : (ولا تكن من الغافلين) أي في غيرهما ، بل كن ذاكره في كل وقت على كل حال ؛ ثم علل الأمر **بالمراقبة** الدالة على أعظم الخضوع بأنها وظيفة المقربين فقال : (إن الذين (وزاد ترغيبا في ذلك بقوله : (عند ربك) أي المحسن إليك بتقريبك من جنابه وجعلك أكرم احبابه ، وهم الملائكة الكرام أولو العصمة ، والقرب دنو مكانة لا مكان) لا يستكبرون) أي لا يوجدون ولا يطلبون الكبر) عن عبادته) أي الخضوع له التلبس بانحاء التذلل مع مزيد قربهم وغاية طهارتهم وحبهم) ويسبحونه) أي ينزهونه عن كل مالا يليق خلوصهم عن دواعي الشهوات والخظوظ .

ولما كان هذا يرجع إلى المعارف ، وقدمه دلالة على أنه الأصل في العبادة أعمال القلوب ، أردفه بقوله : (وله) أي وحده) يسجدون) أي يخضعون بإثباتهم له كل كمال ، وبالمباشرة لمحاسن الأعمال ، وقد تضمنت الآية الإخبار عن الملائكة الأبرار بثلاثة أخبار : عدم الاستكبار الذي هو أجل أنواع العبادة إذ هو الحامل على الطاعة كما أن ضده حامل على المعصية ، والتسبيح الذي هو التنزيه عن كل مالا يليق ، وتخصيصه." (١)

" صفحة رقم ٢٠٧

في قوله : (وتخونوا آماناتكم (من الفرائض والحدود والنوافل وغيرها إشارة إلى أن الخيانتين مختلفان ، فخيانتهم لله حقيقة ، وخيانتهم للأمانه استعارة ، لأن حاملها لما أخل بها كان كأنه خانها ؛ وخفف عنهم بقوله : (وأنتم تعلمون (حال الغفلة ونحوها ، ويجوز أن يكون المفعول غير مراد فيكون المعنى : وأنتم علما ، ويكون ذلك مبالغة في النهي عنها بأنهم جديرون بأن لا يقبل منهم عذر بجهل ولا نسيان لأنهم علماء ، والعالم هو العارف بالله ، والعارف لا ينبغي أن ينفك عن **المراقبة** .

الأنفال : (٢٨ - ٣٠) واعلموا أنما أموالكم. .. . .

) واعلموا أنمآ أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ١٧٩/٣

أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (( )
ولما كان سبب الخيانة غالبا محبة المال أو الولد ، وكان سبب التقاول المسبب عنه إنزال هذه السورة – كما سلف بيانه أولها – الأموال من الأنفال ، وكان من أعظم الخيانة في الأنفال الغلول ، وكان الحامل على الغلول المحنة بحب جمع المال إما استلذاذا به أو لإنفاقه على محبوب ، وكان الولد أعز محبوب ؛ حسن كل الحسن إيلاء ذلك قوله : (واعملوا (وهي كلمة ينبه بها السامع علىأن ما بعدها مهم جدا) أنما أموالكم (قلت أو جلت هانت أو عزت) وأولادكم (كذلك) فتنة) أي سببها ، يفعل الله بها فعل المختبر لينكشف للعباد من يغتر بالعاجل الفاني ممن تسمو نفسه عن ذلك ، فلا يحملنكم ذلك على مخالفة أمر الله فتهلكوا) وأن الله) أي الميحط بكل كمال) عنده أجر عظيم (عاجلا وآجلا لمن وقف عند حدوده ، فيحفظ له ماله ويثمر أولاده ويبارك له فيهم مع ما يدخر له في دار السعادة ، وعنده عذاب ألىم لمن ضيعها ، فأقبوا بجميع هممكم إليه تسعدوا ، وزاد وضعها هنا حسنا سبب نزول التي قبلها من قصة أبي لبابة رضي الله عنه الحامل عليها ماله وولده ، وكانت قصته في قريظة سنة خمس وغزوة بدر في السنة الثانية ولما ذكرهم ما كانوا عليه قبل الهجرة من الضعف ، وامتن عليهم بما أعزهم به ، وختم هذه بالتحذير من الأموال والأولاد الموقعة في الردى ، ويتعظيم ما عنده الحامل على الرجاء ، تلاها بالأمر التقوى الناهية عن الهوى بالإشارة إلى الخوف من سطواته إشارة إلى أنه يجب الجمع بينهما ، وبين تعالى أنه يتسبب عنه الأمن من غيره في الأولى والنجاة من عذابه في الأخرى فقال تعالى : (يأيها الذين آمنوا (تكريرا لهذا الوصف." (١)

" صفحة رقم ٣٥٨

حتى قلبت مدائنهم بعد أن رفعت إلى عنان السماء ، واتبعت حجارة الكبريت تضطرم نارا ، ولعله خص قوم لوط بالذكر من بين من ليس له هذا اوصف لأن العرب كانوا يمرون على مواضع مدائنهم ويشاهدونها ، وعبر عنهم بالمؤتفكات لأن القصص للمنافقين الذين مبنى أمرهم على الكذب وصرف الأمور عن ظواهرها وتقليبها عن وجوهها ، فالمعنى أن أولئك لما قلبوا فعل النكاح عن وجهه عوقبوا بقلب مدائنهم فهؤلاء جديرون بمثل هذه العقوبة لقلب القول عن وجهه ، ومادة (إفك) بكل ترتيب تدور على القلب ، فإذا كافأت الرجل فكأنك قلبت فعله فرددته إليه وصرفته عنك ، وأكاف الدابة شبه بالإناء المقلوب ، والكذب

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٠٧/٣

صرف الكلام عن وجهه فهو إفك لذلك – والله أعلم .

ولما بين سبحانه أن المنافقين بعضهم من بعض وما تواعدهم به وما استتبعه من تهديدهم بإهلاك من شابهوه ، وختم بما سبب هلاكهم من إصرارهم وعدم اعتبارهم ، عطف ببيان حال المؤمنين ترغيبا في التوبة طعما في مثل حالهم فقال : (والمؤمنون ( ) والمؤمنات) أي بما جاءهم عن ربهم) بعضهم اولياء (ولم يقل : من ، كما قال في المنافقين : من) بعض (دلالة على ان أحدا منهم لم يقلد أحدا في أصل الإيمان ولا وافقة بحكم الهوى ، بل كلهم مصوبون بالذات وبالقصد الأول إلى اتباع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالدليل القطعي على حسب فهم كل أحد منهم ، فذلك دليل على صحة إيمانهم ورسوخهم في تسليمهم وإذعانهم ؛ ثم بين ولا يتهم بأنهم يد واحدة على من سواهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر فقال : (يأمرون) أي كلهم على وجه التعاضدد والتناصر) بالمعروف (وهو كل ما عرفه الشرع وأجازه) وينهون) أي كذلك) عن المنكر (لا يحابون أحدا .

ولما ذكر الدليل القطعي على صحة الإيمان ، أتبعه أفضل العبادات فقال : (ويقيمون الصلاة) أي يوجدونها على صفة تقتضي قيامها بجميع أركانها وشروطها وحدودها مراقبة لربهم واستعانة بذلك على جميع ما ينوبهم) ويؤتون الزكاة) أي مواساة منهم لفقرائهم صلة للخلائق بعد خدمة الخالق ، وذلك مواز لقوله في المنافقين) ويقبضون أيديهم (ولما خص أمهات الدين ، عم بيانا لأنهم لا ينسون الله طرفق عين بل يذكرونه في كل حال بقوله : (ويطيعون الله) أي الملك الأعظم الذي لا ملك سواه) ورسوله (إشارة إلى حسن سيرتهم وجميل عشرتهم .

ولما ذكر مكارم أفعالهم ، أتبعه حسن مآلهم فقال : (أولئك) أي العظماء الشأن) سيرحمهم الله) أي المستجمع لصفات الكمال بوعد لا خلف فيه ، وهذا مع الجملة." (١)

" صفحة رقم ٣٨٢

كما رواه البخاري في التفسير عن سمرة رضي الله عنه ثم أوجب تحقيق توبتهم الملزومة للاعتراف بقبولها بقوله : (عسى الله) أي بما له من الإحاطة بأوصاف الكمال) إن يتوب عليهم (فإن) عسى (منه سبحانه وتعالى واجبه لأن هذا دأب الملوك ولعل التعبير بها يفيد – مع الإيذان بأنه لا يجب عليه لأحد شيء وأن كل إحسان يفعله فإنما هو على سبيل الفضل إشارة إلى أنهم صاروا كغيرهم من خلص المؤمنين

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٥٨/٣

غير المعصومين في مواقعه التقصير وتوقع الرحمة من الله بالرجوع بهم إلى **المراقبة** ، فكما ان أولئك معدودون في حزب الله مع هذا التقصير المرجو له العفو فكذلك هؤلاء ؛ ثم علل فعله بهم مرجيا للمزيد بقولع : (إن الله) أي ذا الجلال والإكرام) غفور رحيم) أي لم يزل موصوفا بقبول المعرض إذا أقبل وإبدال سئية بحسن فضلا منه وإكراما ؛ روى البخاري في صحيحه في التفسير عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسو الله (صلى الله عليه وسلم) لنا : (أتاني الللية آتيان فاتبعثاني فانتهيا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء ، قالا لهم : اذهبوا فقعوا في ذلك النهر ، فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة ، قالا لي : هذه جنة عدن ، وهذاك منزلك ، قالا : أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عفا الله عنهم) ولما كان من شأن الرضوان قبول القربان ، أمره (صلى الله عليه وسلم) تطهيرا لهم وتطيبا لقلوبهم بقوله : (خذ (ورحمهم بالتبعيض فقال : (من أموالهم صدقة) أي تطيب أنفسهم بإخراجها) تطهرهم) أي هي من ذنوبهم وتجري بهم مجرى الكفارة) وتزكيهم) أي أنت تزيدهم وتنميهم) بها (بتكثير حسناتهم) وصل (اي اعطف) عليهم (وأظهر فتكون موصلة لهم إلى الله) سكن لهم) أي تطمئن بها قلوبهم بعد قلق الخوف من عاقبة الذنب لما يعلمون من أن القبول لا يكون إلا ممن حصل له الرضى عنهم ومن أن الله سمع قولك إجابة لك ويعلم صدقك في صلاحهم) والله) أي المحيط بكل شيء) سميع عليم (اي لكل ما يمكن ان يسمع وما يمكنأن يعلم منك ومنهم ومن غيركم ، فهو جدير بالإجابة والإثابة ، وذلك ان هذا الصنف لما اشتد ندمهم على التخلف اوثقوا أنفسهم بسواري المسجد فسأل عنهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين قدم فقيل :." (١)

" صفحة رقم ٣٩٨

خلفهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالهجران ونهى الناس عن كلامهم ، وأخر الحكم فيهم ليأتي أمر الله في بيان أمرهم واستمر تخليفهم) حتى إذا ضاقت (اشار إلى عظيم الأمر بأداة الاستعلاء فقال : (عليهم الأرض (اي كلها) بما رحبت (اي مع شدة اتساعها ، أي ضاق عليهم ووسعها .

ولما كان هذا قد يراد به الحقيقة ، وكان ضيق المحل قد لا يستلزم الصدر ، أتبعه الدلالة على أن المراد

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٨٢/٣

المجاز فقال : (وضاقت عليهم (بالهم المزعج والغم المقلق) أنفسهم) أي من شدة ما لاقوا من الهجران حتى بالكلام حتى برد السلام ؛ ولما كان ذلك لا يقتضي التوبة إلا **بالمراقبة** ، أتبعه ذلك للتخلف بها قوله : (وظنوا) أي أيقنوا ، ولعله عبر بالظن إيذان بأنهم لشدة الحيرة كانت قلوبهم لا تستقر على حال " فكان يقينهم لشدة الخواطر كأنه ظن ، أو يقال – وهو حسن – : إن التعبير به عن يقين المخلصين إشارة إلى أن أعلى اليقين في التوحيد لا يبلغ الحقيقة على ما هي عليه أن لا يقدر أحد ان يقدر لله حق قدره – كما قال صدق الخلق (صلى الله عليه وسلم) (لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك) وهذا من النفائس فاستعمله في أمثاله) إلا إليه (اي بما يرضيه ، وهو مثل لتحيرهم في أمرهم ، وجواب) إذا (محذوف دل عليه صدر الكلام تقديره : تداركهم بالتوبة فردهم إلى ما كانوا عليه قبل مواقعة الذنب .

ولما كان ما عملوه من التخلف عن أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) عظيما بمجرد المخالفة ثم يترك المواساة ثم بالرغبة عنه (صلى الله عليه وسلم) ثم بأمور عظيمة شديدة القبح وخيمة فكان يبعد معه الزيادة عن رتبة التوبة ، أعلم سبحانه أنه رقاهم في رتب الكمال بأن جعل ذلك سببا لتطهيرهم من جميع الأدناس وتنقيتهم من سائر الأردان المقتضي لمزيد القرب بالعروج في مصاعد المعارف – كما أشار إليه قوله) صلى الله عليه وسلم) لكعب رضي الله عنه (أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك) أتبع ذلك سبحانه الإعلام به بقوله – مشيرا إلى ما بعده لولا فضل الله – بأداة الاستبعاد : (ثم تاب عليهم) أي رجع بهم بعد التوبة إلى مقام من مقامات سلامة الفطرة الذي هو أحسن تقويم يعلو لعلوه بالنسبة إلى ما دونه ، توبة) ليتوبوا) أي ليرجعوا إلى ما تقتضيه الفطرة الأولى من الثبات على ما كانوا عليه من." (١)

" صفحة رقم ٥٧٠

أتبعوه قولهم : (وإنا لنراك) أي رؤية مجددة مستمرة) فينا ضعيفا (اي في البدن وغيره ، فلا تتعرض لسخطنا فإنك لا تقدر على الامتناع من مكروه نحله بك بقوة عقل ولا جسم ولا عشيرة ، وأشاروا غلى ضعف العشيرة بتعبيرهم بالرهط في قولهم : (ولولا رهطك لرجمناك) أي قتلناك شر قتلة – فإن الرهط من ثلاثة غلى عشرة وأكثر ما قيل : إن فخذه أربعون – فما أنت علينا بممتنع لضعفك وقلة قومك) وما أنت (اي خاصة ، لأن (ما) لنفي الحال اختصاص بالزمان ، والقياس أن يكون مدخولها فعلا أو شبهه ، وحيث أوليت الاسم لا سيما الضمير دل على أن التقديم للاهتمام والاختصاص) علينا بعزيز (بكريم مودود

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٩٨/٣

، تقول : أعززت فلانا – إذا كان له عندك ود ، بل قومك هم العزة عندنا لموافقتهم لنا ، ولو كان المراد : ما عززت علينا ، لكان الجواب : لم لا أعز وقد شرفني اله – أو نحو هذا ، ويصح أن يراد بالعزيز القوي الممتنع ، ويصير إفهامه لا متناع رهطه محمولا على أن المانع لهم موافقتهم لهم لا قوتهم ؛ والفقه : فهم الكلام على ما تضمن من المعنى ، وقد صار اسما لضرب من علوم الدين ، وأصل الرهط : الشدة ، من الترهيط لشدة الأكل ، ومنه الراهطاء : حجر اليربوع لشدته وتوثيقه ليخبأ فيه ولد .

هود : (٩٢ – ٩٥) قال يا قوم. .. . .

) قال يقوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه ورآءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط ويقوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب ولما جآء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيهآ ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ((

ولما كان تخصيصهم نفي العزة به يفهم أن رهطه عليهم أعزة ، أنكر عليهم ذلك في سياق مهدد لهم فقال تعالى حاكيا عنه استئنافا : (قال (اي عيب) يا قوم (ولم يخل الأمر من جذب واستعطاف بذكر الرحم العاطفة) أرهطي (اي أقاربي الأقربون منكم) أعز عليكم من الله) أي المحيط بكل يء علما وقدرة حتى نظرتم غليهم في لقرابتي منهم ولم تنظروا إلى الله في قربي منه بما ظهر علي من كرامته) واتخذتموه (اي بما كلفتم به أنفسكم مما هو خلاف الفطرة الولى) وراءكم) أي أعرضتم عنه إعارض من جعل الشيء وراءه ؛ وحقق معنى الوراء بقوله : (ظهريا) أي جعلتموه كالشيء الغائب عنكم المنسي عندكم الذي لا يعبأ به ، ولم تراقبوه في لنسبتي إليه بالرسالة والعبودية .

ولما كان معنى الكلام لأجل الإنكار : إنكم عكستم في الفعل فلم تعرفوا الحق لأهله إذ كان ينبغير لكم أن لا تنسوا الله بل تراقبوه في كل أموركم ، حسن تعليل هذا." (١)

" صفحة رقم ٥٧١

المفهوم بقوله : (إن ربي) أي المحسن إلي ؛ ولما كان المراد المبالغة في إحاطة عمله تعالى بأعمالهم قدم قوله : (بما تعملون محيط (من جليل وحقير ، فهو مقتدر في كل فعل من أفعالكم على إنفاذه وإبطاله ، فهو محيط بكم لا يرده عن نصرتي منكم والإيقاع بكم مراعاة أحد لعزة ولا قوة ، بل لكم عنده

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٧٠/٣

أجل هو مؤخركم إليه لأنه لا يخشى الفوت ؛ والاتخاذ : أخذ الشيء لأمر يستمر في المستأنف كاتخاذ البيت ؛ والمحيط : المدير على الشيء كالحائط يحصره بحيث لا يفوته منه شيء .

ولما ختم الآية بتهديدهم بما بين أن تهديدهم له عدم لا يبالي به ، أتبع ما يصدقه من أنه ليس بتارك شيئا من عمله مما جبلوا به ، وزاد في التهديد فقال : (ويا قوم اعملوا) أي أوقعوا العمل لكل ما تريدون قارين مستعلين) على مكانتكم) أي حالكم الذي تتمكنون به من العمل) إني عامل (على ما صار لي مكانة ، أي حالا أتمكن به من العمل لا أنفك عنه ما أنا عامل من تحذيري لمن كفر وتبشيري لمن آمن وقيامي بكل ما أوجب علي الملك غير هائب لكم ولا خائف منكم ولا طامع في مؤالفتكم ولا معتمد على سواه .

ولما كانت ملازمتهم لأعمالهم سببا لوقوع العذاب المتوعد به ووقوعه سببا للعلم بمن يخزي لمن يعلم أي هذين الأمرين يراد ، ذكره بعد هذا التهديد فحسن حذف الفاء من قوله : (سوف تعلمون) أي بوعد لا خلف فيه وإن تأخر زمانه ، وسوقه مساق الجواب لمن كأنه قال : ما المراد بهذا الأمر بالعمل المبالغ قبل في النهي عنه ؟ وقد تقدم في قصة نوح عليه السلام ما يوضحه .

وأحسن منه نهم لما قالوا) ما نفقه كثيرا مما تقول (كذبهم - في إخراج الكلام على تقدير سؤال من هو منصب الفكر كله إلى كلامه - قائل : ماذا يكون إذا عملنا وعملت ؟ فهذا وصل خفي مشير إلى تقدير السؤال ولو ذكر الفاء لكان وصلا ظاهرا ، وقد ظهر الفرق بين كلام العالم بالإسباب وما يتصل بها من المسبباب المأمور بها اشرف خلقه (صلى الله عليه وسلم) في سورة الأنعام والزمر والكلام المحكي عن نبيه شعيب عليه السلام في هذه السورة) من) أي أينا أو الذي) يأتيه عذاب يخزيه (ولما كان من مضمون قولهم) ما نفقه كثيرا مما تقول (النسبة إلى الكذب لأنه التكلم بما ليس له نسبة في الواقع تطابقه ، قال : (ومن هو كاذب) أي مني ومنكمن فالتقدير إن كانت (من) موصولة : ستعلمون المخزي بالعذاب والكذب أنا وأنتم ، وإن كانت استفهامية : أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب ، فالزموا مكانتكم لا تتقدموا عنها) وارتقبوا) أي انتظروا ما يكون من عواقبها .

ولما كانوا يكذبونه وينكرون قوله ، أكد فقال : (إني معكم رقيب (لمثل ذلك ، ." (١)

" صفحة رقم ٥٨٨

وهو من الصبر الذي هو المر المعروف لأنه تجرع مرارة الق بحبس النفس عن الخروج غلى المشتهى مع

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٧١/٣

الزاجر المعتبر من الشرع والعقل ، فهو أكره شيء إلى النفس ، والمعين عليه ما في استشعار لزوم الحق من العز والأجر بالطاعة والعم بما يعقب من الخير في كل وجه وعادة النفس له ، وقد غلب إطلاقه على اﻻلحق حتى لا يجوز إطلاقه إلا فيه – قاله الرماني .

ولما كان ما تقدم كله مشيرا إلى استبعاد إيمان المعاندين بشي من تدبير آدمي كما تكاد القصص تنطق به ، وكذا الإعلام بأن عبادتهم إنما هي للتقليد وباختلاف قوم موسى في كتابه الذي هو هدى ورحمة ، وكل ذلك فطما عن طلب ما قد يهجس في الخاطر من تمني إجابتهم إلى ما يقترحون أو الكف عن بعض ما يغيظ من الإنذار ، وكان من طبع البشر البعد عن الانتهاء عن الخواطر إلا بعد التجربة ، كان ذلك ربما أوجب أن الرشاد ، فتسبب عنه أن يقال دفعا له : (فلول كان (ويجوز أن يكون مناسبتها أنه لما ذكر إهلاك القورن الماضية والأمم السالفة بما مضى غلى أن ختم بالأمر بالصبر على الإحسان من الأمر بالمعروف والنهي عن النمكر ، كان من الجائز أن يقع في فكر الاعتراض بأن يقال : ما الموجب لذلك ؟ فبين أن سبب الهلاك الإعارض عن نهي منتهك الحرمات والمجترىء على هتك الأستار الجليلة والرتع في الحمى مع تمكنهم بما أودع فيهم سبحانه من القوى والقدرة على اختيار جانب الخير والإعراض عن جانب الشر فقال تعالى : (فلولا (بصيغة تحتمل التخصيص ، وفيها معنى التفجع والتاسف لاعتبار كل من كان على مثل حالهم) من القرون) أي المهلكين الأشداء الكائنين في زمان ما .

ولما كان المراد القرون التي تقدم ذكر إهلاكها ، وكانت أزمتهم بعض الزمان الماضي ، أتى بالجار فقال : (من قبلكم أولوا) أي أصحاب) بقية) أي حفظ وخير **ومراقبة** لما يصلحهم ، لأن مادة (بقي) تدور على الجمع ، ويلزمه القوة والثبات والحفظ ، من قولهم : ابقه بقوتك مالك – وزن ادعه – أي احفظه حفظك مالك ، ويلزمه النظر **والمراقبة** : بقيت الشيء – إذا نظرت إليه ورصدته ، ويلزمه الثبات : بقي بقاء – إذا دام ، والخير والجودة ؛ قال الزمخشري : لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وافضله ، ويقال : فلان من بقية قوم ، اي من خيارهم ، وسيأتي شرح ذلك مستوفى عند قوله تعالى) وجعلنا بينهم موبقا (إن شاء الله تعالى) ينهون) أي يجددون النهي في كل حين إشارة غلى كثرة المفسدين) عن الفساد (الكائن) في الأرض (و (لولا) هنا كالتي في يونس توبيخية أو استفامية كما جوزهما الرماني ، ويجوز ان تكون تخصيصية كما قال." (١)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٨٨/٣

" صفحة رقم ٣٠

أرجو إحسانه في هذا) أحسن مثواي (بأن جعل لي في قلب سيدك مكانة عظيمة حتى خولني في جميع ما يملك وائتمنني على كل ما لديه ، فإن خالفت أمر ربي فخنت من جعلني موضعا للأمانة كنت ظالما واضعا للشيء في غير موضعه ، وهذا التقدير - مع كونه أليق بالصالحين المراقبين - أحسن ، لأنه يستلزم نصح العزيز ، ولو أعدنا الضمير على العزيز لم يستلزم التقوى .

ولما كان من المعلوم أن لسان حالها يقول : وإذا كان ظلما كان ماذا ؟ قال ما تقديره : إني إذن لا أفلح ، وعلله بقوله : (أنه لا يفلح) أي لا يظفر بمراده أصلا) الظالمون) أي العريقون في الظلم - وهو وضع الشيء في غير موضعه - الذين صرت في عدادهم على تقدير الفعل ، فيا له من دليل على إحسانه وحكمه وعلمه ، فإنه لما رأى المقام الدحض بادر إلى الاعتصام بمن بيده ملكوت كل شيء ، ثم استحضر إحسانه إليه الموجب للشكر عليه المباعد عن الهفوات ثم مقام الظلم وما يوجب لصاحبه من الحزن بعدم الفلاح .

ولما كان هذا الفعل لا يتم حسنه إلا غذا كان عند غلبة الهوى وترامي الشهوة كما هو شأن الرجولية ، قال تعالى ردا على من يتوهم ضد ذلك : (ولقد همت به) أي أوقعت الهم ، وهو القصد الثابت والعزم الصادق المتعلق بمواقعته ، ولا مانع لها من دين ولا عقل ولا عجز فاشتد طلبها) وهم بها (كما هو شأن الفحول عند توفر الأسباب) لولا أن رءآ) أي بعين قلبه) برهان ربه (الذي آتاه إياه من الحكم والعلم ، أي لهم بها ، لكنه لما كان البرهان حاضرا لديه حضور من يراه بالعين ، لم يغطه وفور شهوة ولا غلبة هوى ، فلم يهم أصلا مع كونه في غاية الاستعداد لذلك لما آتاه الله من القوة مع كونه في سن الشباب ، فلولا **المراقبة** لهم بها التوفر الدواعي غير أن نور الشهود محاها أصلا ، وهذا التقدير هو اللائق بمثل مقامه مع أنه هو الذي تدل عليه أساليب هذه الآيات من جعله من المخلصين والمحسنين المصروف عنهم السوء ، وأن السجن أحب إليه من ذلك ، مع قيام القاطع على كذب ما تضمنه قولها

٧٧ ( ) ما جزاء من أراد بأهلك سوءا ( ) ٧

[يوسف : ٢٥] - الآية ، من مطلق الإرادة ، ومع ما تحتم تقدير ما ذكر بعد (لولا) في خصوص هذا التركيب من أساليب كلام العرب ، فإنه يجب أن يكون المقدر بعد كل شرط من معنى ما دل عليه ما قبله ، وهذا مثل قوله تعالى

٧٧ ( ) إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ( ) ٧

[القصص : ١٠] أي لأبدت به ، وأما ما ورد عن السلف مما يعارض ذلك فلم يصح منه شيء عن أحد منهم مع أن الأقوال التي رويت عنهم إذا جمعت تناقضت فتكاذبت ، ولا يساعد على شيء منها كلام العرب لأنهم قدروا جواب (لولا)." (١)

" صفحة رقم ٧٦

ولما أخبر تعالى عن دخولهم إلى البلد ، أخبرعن دخولهم لحاجتهم إلى يوسف عليه الصلاة والسلام فقاتل : (ولما دخلوا) أي بنوه عليه الصلاة والسلام) على يوسف (في هذه القدمة الثانية) آوى إليه أخاه (شقيقه بنيامين بعد أن قالوا له : هذا أخونا الذي أمرتنا به قد أحضرناه ، فقال : أصبتم ، وستجدون ذلك عندي ؛ والإيواء : ضم النفس بالتصيير إلى موضع الراحة ، وسبب إيوائه إليه أنه أمر كل اثنين منهم أن يأكلوا على حدة ، فبقي بنيامين بلا ثان ، فقال : هذا يأكل معي ، ثم قال ليا : وكل اثنين منكم في بيت من خمسة أبيات أفردها لهم ، وهذا الوحيد يكون معي في بيتي ، وهذا التفريق موافق لما أمرهم به أبوهم في تفريق الدخول ، فكأنه قيل : ماذا قال له ، هل أعلمه بنفسه أو كتم ذلك عنه كما فعل بسائر إخوته ؟ فقيل : بل) قال (معلما له ، لأنه لا سبب يقتضي الكتم عنه - كما سيأتي بيانه ، مؤكدا لما للأخ من إنكاره لطول غيبته وتغير أحواله وقطع الرجاء منه : (إني أنا أخوك (يوسف : ثم سبب عن ذلك قوله : (فلا تبتئس) أي تجتلب البؤس .

وهو الكراهة والحزن) بما كانوا) أي سائر الإخوة ، كونا هم راسخون فيه) يعلمون (مما يسوءنا وإن زعموا أنهم بنوا ذلك العمل على علم ، وقد جمعنا له خير ما يكون عليه الاجتماع ، ولا تعلمهم بشيء من ذلك ، ثم إنه ملأ لهم أوعيتهم كما أرادوا .

وكأنه في المرة الأولى أيضا في تجهيزهم ليتعرف أخبارهم في هذه المرة من حيث لا يشعرون ، ولذلك لم يعطف بالفاء ، وأسرع في تجهيزهم في هذه المرة قصدا إلى انفراده بأخيه من غير رقيب بالحيلة التي دبرها .

فلذلك أتت الفاء في قوله : (فلما جهزهم) أي أعجل جهاز وأحسنه) بجهازهم (ويؤيده ٧٧ ( ) فلما جاء أمرنا ( ) ٧

[هود : ٦٦ و ٨٢] في قصتي صالح ولوط عليهما الصلاة والسلام - كما مضى في سورة هود عليه

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٠/٤

الصلاة والسلام) جعل) أي بنفسه أو بمن أمره) السقاية (التي له .

وهي إناء يسقي به) في رحل أخيه (شقيقه ، ليحتال بذلك على إبقائه عنده مع علمه بأن البصير لا يقضي بسرقته بذلك ، مع احتمال أن يكون الصواع دس في رحله بغير علمه كما فعل ببضاعتهم في المرة الأولى ، وأما غير البصير فضرر ثبوت ذلك في ذهنه مفتقر لأنه يسير بالنسبة إلى ما يترتب عليه من النفع من ألف إخوته بيوسف عليه الصلاة والسلام وزوال وحشتهم منه بإقامته عنده – كما سيأتي مع مزيد بيان – هذا مع تحقق البراءة عن قرب ، فهو من باب ارتكاب أخف الضررين ، ثم أمهلهم حتى انطلقوا ، ثم أرسل إليهم فحبسوا) ثم) أي بعد انطلاقهم وإمعانهم في السير) أذن) أي أعلم فيهم بالنداء) مؤذن (قائلا برفيع صوته وإن كانوا في غاية القرب منه – بما يدل عليه إسقاط الأداة : (أيتها العير) أي أهلها ، وأكد لما لهم من." (١)

" صفحة رقم ١٩٨

بعبارته كنه ضميره ، والبلاغ – كسحاب : الكفاية ، لأنها توصل إلى القصد ، وبالغ مبالغة – إذا اجتهد ولم يقتصر ، وتبلغت به العلة : اشتدت .

والغلباء : الحديقة المتكاثفة ، ومن القبائل : العزيزة الممتنعة ، والأغلب : الأسد .

ولغب : أعيا – لاجتهاده في البلوغ ، واللغب : ما بين الثنايا من اللحم ، واللغب – ككتف : الكلام الفاسد – يرجع إلى الإعياء ، وكذا الضعيف الأحمق ، والسهم الذي لم يحسن بريه كاللغاب – بالضم ، والتغلب : طول الطرد .

والبغل من أشد الحيوان وأبلغها للقصد ، وبغل تبغيلا : بلد وأعيا ، والإبل : مشت بين الهملجة والعنق .

ولما كان متعلق البلاغ الذي قدرته بالوصول يتضمن البشارة ، عطف عليه النذارة بانيا للمفعول ، لأن النافع مطلق النذارة ، وكل أحد متأهل لأن يكون واعظا به مقبولا ، لأن من سمعه فكأنما سمعه من الله لتميزه بإعجازه عن كل كلام ، فقال : (ولينذروا) أي من أي منذر كان فيقوم عليهم الحجة) به (فيحذروا عقاب الله فيتخلوا عن الدنايا .

ولما أشار إلى جميع الفروع فعلا وتركا ، مع إشارته إلى أن أدلة الوحدانية الوصول ، صرح به على حدته لجلالته في قوله : (وليعلموا أنما هو) أي الإله) إله واحد (فيكون همهم واحدا .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٧٦/٤

ولما تمت الإشارة إلى الدين أصلا وفرعا ، نبه على المواعظ والأمثال بتذكر ما له من الآيات والمصنوعات ، والبطش بمن خالفه من الأمم ، وأشار إلى أن أدلة الوحدانية والحشر لا تحتاج إلى كبير تذكر ، لأنها في غاية الوضوح ولا سيما بعد تنبيه الرسل ، فأدغم تاء التفعل ، فقال : (وليذكر) أي منهم) أولوا الألباب) أي الصافية ، والعقول الوافيةن فيفتحوا عيون بصائرهم فيعلموا أنه لا وصول لهم مع الغفلة فيلزموا **المراقبة** فلا يزالوا في رياض المقاربة .

ويعلموا - بما ركز في طبائعهم وجرى من عوائدهم - أن أقل حكامهم لا يرضى بأن يدع رعيته يتهارجون لا ينصف بينهم ولا يجزى أحدا منهم بما كسب ، فيكون ذلك منه انسلاخا من رتبة الحكم التي هي خاصتهن فكيف يدعون ذلك في أحكم الحاكمين ، فقد تكلفت هذه الآية على وجازتها بجميع علم الشريعة أصولا وفروعا ، وعلم الحقيقة نهايات وشروعا ، على سبيل الإجمال وقد انطبق آخر السورة على أولها ، لأن هذا عين الخروج من الظلمات إلى النور بهذا الكتاب الحامل على كل صواب - والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب وحسن المآب .

.. . . ." (١)

" صفحة رقم ٣٠٦

بالكفارة فإنه ناقض للبعض لا للكل ، لأنه دائر مع الخير والأول دائر مع الهوى ؛ ثم حذرهم من النقض بأنه مطلع قادر ، فقال تعالى مقبحا حالهم إذ ذاك : (وقد جعلتم الله) أي الذي له العظمة كلها) عليكم كفيلا) أي شاهدا **ورقيبا** .

ولما كان من شأن **الرقيب** حفظ أحوال من يراقبه ، قال تعالى مرغبا مرهبا : (إن الله) أي الذي له الإحاطة الكاملة) يعلم ما تفعلون (فلم تفعلوا شيئا إلا بمشيئته وقدرته ، فكانت كفالته مجعولة بهذا الاعتبار وإن لم يصرح بالجعل ، فمتى نقضتم فعل بكم فعل الكفيل القادر بالمكفول المماطل من أحد الحق والعقوبة .

ولما أمر بالوفاء ونهى عن النقض ، شرع في تأكيد وجوب الوفاء وتحريم النقض وتقبيحه تنفيرا منه فقال تعالى : (ولاتكونوا) أي في نقضكم لهذا الأمر المعنوي) كالتي نقضت غزلها (ولما كان النقض لم يستغرق زمان البعد ، قال تعالى : (من بعد قوة (عظيمة حصلت له) أنكاثا) أي أنقاضا ، جمع نكث

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٤/١٩٨

وهو كل شيء نقض بعد الفتل سواء كان حبلا أو غزلا ، فهو مصدر مجموع من نقضت لأنه بمعنى نكثت ، قال في القاموس : النكث - بالكسر أن تنقض أخلاق الأكسية لتغزل ثانية .
فيكون مثل جلست قعودا ، أي فتكونوا بفعلكم ذلك كهذه المرأة التي ضربتم المثل بها في الخرق مع ادعائكم أنه يضرب بأدناكم المثل في العقل ، ثم وصل بذلك ما يعرف أنهم أسفه من تلك المرأة بسبب ضررها لا يتعداها ، وأما الضرر بفعلهم فإنه مفسد لذات البين فقال تعالى : (تتخذون) أي بتكليف الفطرة الأولى ضد ما تدعو إليه من الوفاء) أيمانكم دخلا) أي فيضمحل كونها أيمانا إلى كونها ذريعة إلى الفساد بالخداع والغرور) بينكم (من حيث إن المحلوف له يطمئن فيفجأه الضرر ، ولو كان على حذرلما نيل منه ولا جسر عليه ، وكل ما أدخل في الشيء على فساد فهو دخل) إن) أي تفعلون ذلك بسب أن) تكون أمة) أي وهي الخادعة أو المخدوعة لأجل سلامتها) هي) أي خاصة) أربى) أي أزيد وأعلى) من أمة (في القوة أو العدد ، فإذا لزيادتها غدرت .
ولما عظم عليهم النقض ، وبين أن من أسبابه الزيادة ، حذرهم غوائل البطر فقال تعالى : (إنما يبلوكم) أي يختبركم) الله) أي الذي له الأمر كله) به) أي يعاملكم معاملة المختبر بالأيمان والزيادة ليظهر للناس تمسككم بالوفاء أو انخلاعكم منه اعتمادا على كثرة أنصاركم وقلة أنصار من نقضتم عهده من المؤمنين (أو غيرهم) مع قدرته سبحانه على ما يريد ، فيوشك أن يعاقب بالمخالفة فيضعف القوي ويقلل الكثير) وليبينن لكم) أي إذا تجلى لفصل القضاء) يوم القيامة (مع هذا كله) ما كنتم (أي." (١)

" صفحة رقم ٣٢٥

ولما بين أمر الدعوة وأوضح طرقها وقدم أمر الهجرة والإكراه في الدين والفتن فيه المشير إلى ما سبب ذلك من المحن والبلاء من الكفار ظلما ، وختم ذلك بالأمر بالرفق بهم ، عم - عد ماخصه صلى الله عليه وعلى آله وسلم به من الأمر بالرفق ، بالأمر لأشياعه بالعدل والإحسان كما تقدم ولو مع أعدى الأعداء ، والنهي عن مجازاتهم إلا على وجه العدل - فقال تعالى : (وإن عاقبتم) أي كانت لكم عاقبة عليهم تتمكنون فيها من أذاهم) فعاقبوا بمثل ما (ولما كان الأمر عاما في كل فعل من المعاقبة من أي فاعل كان فلم يتعلق بتعيين الفاعل غرض ، بنى للمفعول قوله تعالى : (عوقبتم به (وفي ذلك إشارة - على ما جرت به عوائد الملوك في كلامهم - إلى إدالتهم عليهم وإسلامهم في يديهم ، وجعله بأداة الشك إقامة بين

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٠٦/٤

الخوف والرجاء .

ولما أباح لهم درجة العدل ، رقاهم إلى رتبة الإحسان بقوله تعالى : (ولئن صبرتم (بالعفو عنهم) لهو (أي الصبر) خير للصابرين (وأظهر في موضع الإضمار تعميما وتعليقا بالوصف .

ولما كان التقدير : فاصبروا ، عطف عليه إفرادا له صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالأمر ، إجلالا له وتسلية فيما كان سبب نزول الآية من التمثيل بعمه حمزه رضي الله عنه ، وتنويها بعظم مقام الصبر زيادة في حث الأمة ، لأن أمر الرئيس أدعى لامتثال أتباعه ، فقال تعالى : (واصبر (ثم اتبع ذلك بما يحث على دوام الالتجاء إليه المنتج للمراقبة والفناء عن الأغيار ثم الفناء عن الفناء ، لئلا يتوهم أن لأحد فعلا مستقلا فقال تعالى : (وما صبرك) أي أيها الرسول الأعظم) إلا بالله) أي الملك الأعظم الذي شرع لك هذا الشرع الأقوم وأنت قائم في نصره ، ولقد قابل هذا الأمر صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأعلى مقامات الصبر ، وذلك أنهم مثلوا بقتلى المسلمين في غزوة أحد إلا حنظلة الغسيل رضي الله عنه فإن أباه كان معهم فتركوه له ، فلما وقف النبي صلى الله عليه و على آله وسلم على عمه حمزة رضي الله عنه فوجدهم قد جدعوا أنفه وقطعوا أذنيه وجبوا مذاكيره وبقروا بطنه ، نظر إلى شيء لم ينظر قط إلى أوجع لقلبه منه فقال : (رحمة الله عليك ، فإنك كنت فعالا للخير وصولا للرحم ، ولولا أن تحزن صفيه لسرني أن أدعك حتى تحشر من أجواف شتى ، أما والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم ،) وقال الصحابة رضي الله عنهم : لنزيدن على صنيعهم ، فلما نزلت الآية بادر (صلى الله عليه وسلم) الامتثال ، وكان لا يخطب خطبة إلا نهى عن المثلة ، ." (١)

" صفحة رقم ٣٧٩

فحش القتلن وكراهة كل أحد له ، وبغض القاتل والنفرة منه ، والأخذ على يده ، وفي الآخرة بأخذ حقه منه من غير ظلم ولا غفلة ، فمن وثق بذلك ترك الإسرافن فإنه لخوف الفوت أو للتخويف من العود .

الإسراء : (٣٤ - ٣٦) ولا تقربوا مال. .. . . .

) ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا (( )

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٢٥/٤

ولما نهى عن الإغارة على الأرواح والأبضاع التي هي سببها ، أتبعه النهي عن نهب ما هو عديلها ، لأن به قوامهان وهو الأموال ، وبدأ بأحق ذلك بالنهي لشدة الطمع فيه لضعف مالكه فقال تعالى : (ولا تقربوا) أي فضلا عن أن تأكلوا) مال اليتيم (فعبر بالقربان الذي هو قبل الأخذ تعظيما للمقام) إلا بالتيء هي أحسن (من طرائق القربان ، وهو التصرف فيه بالغبطة تثميرا لليتيم) حتى يبلغ (اليتيم) أشده (وهو إيناس الرشد منه بعد بلوغه .

ولما كانت الوصية نوعا من أنواع العهد ، أمر بوفاء ما هو أعم منها فقال تعالى : (وأوفوا) أي أوقعوا هذا الجنس في الزمان والمكان ، وكل ما يتوقف عليه الأمر المعاهد عليه ويتعلق به) بالعهد) أي بسببه ليتحقق الوفاء به ولا يحصل فيه نقص ما ، وهو العقد الذي يقدم للتوثق .

ولما كان العلم بالنكث والوفاء متحققا ، كان العهد نفسه كأنه هو المسؤول عن ذلك ، فيكون رقيبا على الفاعل به ، فقال تعالى مرهبا من المخالفة : (إن العهد كان) أي كونا من يتأتى منه السؤال .

ولما كان التقدير بالكيل أو الوزن من جملة الأمانات الخفية كالتصرف لليتيم ، وكان الائتمان عليه كالمعهود فيه ، أتبعه قوله : (وأوفوا الكيل) أي نفسه فإنه أمر محسوس لا يقع فيه إلباس واشتباه ؛ ولم كان صالحا لمن أعطى ومن أخذ ، قال : (إذا كلتم) أي لغيركم ، فإن اكتلتم لأنفسكم فلا جناح عليكم غن تقصتم عن حقكم ولم توفوا الكيل) وزنوا) أي وزنا متلبسا) بالقسطاس) أي ميزان العدل الذي هو أقوم الموازين ، وزاد في تأكيد معناه فقال تعالى : (المستقيم (دون شيء من الحيف على ما مضى في الكيل سواء) ذلك) أي الأمر العالي الرتبة الذي أمرناكم به) خير (لكم في." (١)

" صفحة رقم ٣٩٤

ولما كان قد فهم من هذا السياق تفضيل بعض الأشياء على بعض حتى تصير قابلة الروح الحياة بدءا وإعادة ، بعد أن فهم من أول السورة وآخر التي قبلها اختصاص بعض الأنبياء بفضائل من روح العلم والحكمة لم يحزها غيره ، صرح بهذا هنا فقال تعالى عطفا على ما أرشد إليه سياق الإخبار بالأعلمية ، ملتفتا إلى مقام العظمة الداعي إليه الحال ، وهو الوصف بالأعلمية : (ولقد) أي فميزنا بينهم بالرذائل والفضائل تفضيلا لبعضهم على بعض على حسب إحاطة علمنا بهم وشمول قدرتنا لهم في تأهلهم للسعادة والشقاوة ففضلنا بعض الناس على بعض ، ففضلنا العلماء على غيرهم ، وفضلنا النبيين منهم على غيرهم ، ولقد) فضلنا)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٧٩/٤

أي بما لنا من العظمة) بعض النبين) أي سواء كانوا رسلا أو لا) على بعض (بعد أن جعلنا الكل فضلاء لتقوى كل منهم وإحسانه ، فلا ينكر أحد من العرب أو بني إسرائيل أو غيرهم تفضيلنا لهذا النبي الكريم الذي صدرنا السورة بتفضيله على جميع الخلائق ، فإنا نفعل ما نشاء ، بما لنا من القدرة اتامة والعلم الشامل ، والحاصل أن من أعظم ثمرات العمل التفضيل بإعطاء كل واحد بل كل شيء ما يستحقه ، وبذلك يستدل على تمام – حكمته في شمول علمه وكمال قدرته ، فلذلك ذكر التفضيل هنا بعد ذكر العلم المطلق ، وصرح بتفضيل أشرف الخلائق وطوى ذكر غيرهم ، كما ذكر التفضيل في الدنيا بعد إثبات العلم المقيد بالذنوب في قوله : (من كان يريد العاجلة – إلى قوله تعالى : انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض (.

ولما كان القصد إلى بني إسرائيل في هذه السورة سابقها ولا حقها ظاهرا ، والتعريض بهم في كثير منها بينا ، وكان داود عليه السلام هو المؤسس للمسجد الأقصى الذي وقع الإسراء إليه ، وكان قد خص بأن ألين له الحديد الذي أمر المشركون أن يكونوه ، لاستبعادهم الإعادة ، وكان – مع كونه ملكا – من أشد الناس تواضعا ، وأكثرهم بكاء ، وأبعدهم من المرح في الأرض ، قال تعالى : (وءاتينا) أي بما لنا من العظمة) داود) أي الذي هو من أتباع موسى الذي آتيناه الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا يتخذوا من دوني وكيلا) زبورا (لأنهم قاطعون بأن من بين موسى وعيسى من أنبياء بني إسرائيل دون موسى في الرتبة ، وكل منهم داع إلى شريعته ، عامل بحكم التوراة التي شرفه الله بها ، غير خارج عن شيء من سنتها ، فكان القياس قتضي أن يكونوا في الفضيلة سواء ، فلم يجر ذلك على مقتضى عقول الناس ، بل فاوت سبحانه بينهم على حسب علمه بأحوالهم حتى في الوحي ، فخص من بينهم داود عليه السلام بكتاب كله مواعظ ، والمواعظ أشد شيء منافاة للمشي في الأرض مرحا ، ونهيا عنه ، وأعظم شيء أمرا بالقول الذي هو أحسن من الإخلاص والمراقبة والإحسان ، هذا إلى ما ذكر فيه من." (١)

" صفحة رقم ٤١٥

ولما قرر أمر أصول الدين بالوحدانية والقدرة على المعاد ، قرر أمرهم أحسن تقرير ، واستعطفهم بنعمه ، وخوفهم من نقمه ، وقرر أنه سبحانه عصمه عليه الصلاة والسلام من فتنتهم بالسراء والضراء بما أنار به من بصيرنه ، وأحسن من علانيته وسريرته ، صار من المعلوم أنه قد تفرغ للعبادة ، وتهيأ للمراقبة ، فبدأ بأشرفها فوصل بذلك قوله تعالى : (أقم) أي حقيقة بالفعل ومجازا بالعزم عليه) الصلاة (بفعل جميع شرائطها

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٩٤/٤

وأركانها ومبادئها وغاياتها ، بحيث تصير كأنها قائمة بنفسها ، فإنها لب العبادة بما فيها من خالص المناجاة بالإعراض عن كل غير ، وفناء كل سوى ، بما أشرق من أنوار الحضرة التي اضمحل لها كل فان ، وفي ذلك إشارة عظيمة إلى أن الصلاة أعظم ناصر على الأعداء الذين يريدون بمكرهم استفزاو الأولياء ، وأدفع الأشياء للضراء ، وأجلبها لكل سراء ، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة كما تقدم تخريجه في آخر الحجر ؛ ثم عين له الأوقات بقوله تعالى : (لدلوك الشمس) أي زوالها واصفرارها وغروبها ، قال في القاموس : دلكت الشمس : غربت أو اصفرت أو مالت أو زالت عن كبد السماء .

فحينئذ في هذه اللفظة دلالة على الظهر والعصر والمغرب من استعمال المشترك في معانيه ، أما في الظهر والمغرب فواضح ، وأما في العصر فلأن أول وقتها أول أخذ الشمس في الاصفرار ، وأدل دليل على ذلك أنه غيا الإقامة بوقت العشاء فقال تعالى : (إلى (حثا على نية أن يصلي كلما جاء الوقت ليكون مصليا دائما ، لأن الإنسان في صلاة ما كان ينتظر الصلاة ، فهو بيان لأن وقت المغرب من الدلوك الذي هو الغروب إلى أن يذهب الشفق) غسق اليل (فالغسق : ظلمة أول الليل ، وهو وقت النوم ؛ وقال الرازي في اللوامع : وهو استحكام ظلمة الليل ، وقال الرماني : ظهور ظلامه ؛ ثم عطف عليه بتغيير السياق قوله تعالى : (وقرءان (فكأنه قال : ثم نم وأقم قرآن) الفجر (إشارة إلى الصبح ، وقيل : نصب على الإغراءن وكأنه عبر عنها بالقرآن لأنه مع كونه أعظم أركان الصلاة يطول فيها القراءة ما لا يطول في غيرها ، ويجهر به فيها دون أختها العصر وتشويقا بالتعبير به إليها لثقلها بالنوم .

ولما كان القيام من المنام صعبا ، علل مرغبا مظهرا غير مضمر لأن المقام مقام تعظيم فقال تعالى : (إن قراءن الفجر كان مشهودا (يشهده فريقا الملائكة ، وهو أهل لأن يشهده كل أحد ، لما له من اللذة في السمع ، والإطراب للقلب ، والإنعاش للروح ، فصارت الآية جامعة للصوات ؛ روى البخاري في التفسير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ، وتجتمع ملائكة." (١)

" صفحة رقم ٤١٧

بالسياق فقال تعالى : (عسى أن) أي لتكون بمنزلة الراجي لأن) يبعثك (ولما كان السياق قد انصرف

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤/٤١٥

للترجية ، عبر بصفة الإحسان فقال تعالى : (ربك) أي المحسن إليك بعد الموت الأكبر وقبله ، كما بعث نفسك من الموت الأصغر إلى خدمته) مقاما (نصب على الظرف) محمودا (وذلك لأن (عسى) للترجي في المحبوب والإشفاق في المكروه ، وقد يضعف ذلك فيلزم الشك في الأمر ، وقد يقوى فيأتي اليقين ، وهي هنا لليقين ، قالوا : إن عسى تفيد الإطماع ، ومن أطمع أحدا في شيء ثم حرمه كان عارا ، والله تعالى أكرم من أن يفعل ذلك ، وعبر بها دون ما يفيد القطع لأن ذلك أقعد في كلام الملوك لأنه أدل على العظمة ، وللبخاري في التفسير عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن الناس يصيرون يوم القيامة جثى ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون : يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود .

أي فيظهر ما له من الحظ من اسمه أحمد ومحمد في ذلك الحين بحمد كل ذي روح بإيصال الإحسان إلى كل منهم بالفعل ، وله في التفسير وغيره عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : (من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة) .

يعني - والله أعلم - الشفاعة الخاصة ، وأما العامة فللكل بغير شرط .

ولما كان هذا المقام صالحا للشفاعة ولكل مقام يقومه ، وكان كل مقام يحتاج إلى التوفيق في مباشرته والانفصال عنه ، تلاه حاثا على دوام **المراقبة** واستشعار الافتقار بقوله مقدما المدخل لأنه أهم : (وقل رب) أي أيها الموجد لي ، المدبر لأمري ، المحسن إلي) أدخلني (في كل مقام تريد إدخالي فيه حسي ومعنوي دنيا وأخرى) مدخل صدق (يستحق الداخل فيه أن يقال له : أنت صادق في قولك وفعلك ، فإن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها) وأخرجني (من كل ما تخرجني منه) مخرج صدق (.

ولما كان الصدق في الأمور قد لا يقارنه الظفر ، قال تعالى : (واجعل لي (أي." (١)

" صفحة رقم ٤٧٩

الثبات هو لازم الجمع ، وقوب من الغبار : اغبر - إما لأن من يحفر ذلك بغير ، وإما لأن الغبار كثر عليه حتى غطاه فصار له مثل تلك الحفرة .

ومن مهموزة : قأب الطعام - كمنع أكله ، والماء : شربه كقبئه - كفرح ، أو شرب كل ما في الإناء ،

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٤١٧/٤

وقئب من الشراب : تملأ ، وهو مقأب – كمنبر : كثير الشرب للماء ، وإناء قوأب : كثير الأخذ للماء – فهو كما ترى جمع مخصوص بالأكل والشرب ، أو أنه جمعه في وقبة بطنه .

ومن الواوي : بقاه بعينه : نظر إليه – فهو من الحفظ اللازم للجمع ، وابقه بقوتك مالك ، وبقاوتك مالك أي احفظه حفظك مالك ، وبقوته : انتظرته – وهو يرجع إلى الثبات والمراقبة التي ترجع إلى الحفظ ، ويلزم الحفظ الثبات .

ومن اليائي : بقي الشيء بقاء : ثبت ودوام ضد فني ، والاسم البقوي – كدعوى ، ويضم ، والبقيا – بالضم والبقية ، وقد توضع الباقية موضع المصدر .

ومن واويه : البوقة : الجمع والدفعة من المطر الشديد أو المنكرة تنباق – أنها نزلت من وقبة لشدتها ، والبوائق : العوائد – لأنها جامعة لمن اعتادها ، والبوائق : الشر – لأنه معلك ، فكأنه موقع في المهالك ، والبوق – بالضم : شبه منقاب ينفخ فيه الطحان ، أو الذي ينفخ فيه مطلقا ويرمز – لأنه لتجويفه يشبه الوقبة ، والوبق أيضا : الباطل والزور – لأن صوته أشبع شيء بذلك ، والمبوق – كمعظم : الكلام الباطل ، والبوق – بالفتح : من لا يكتم السر – لأن البوق متى نفخ فيه صوت ، والبوقة : شجرة دقيقة – لأنها لدقتها يسرع إليها الهلاك كمن وقع فيه وقبه ، والبائقة : الداهية – كأنها تدفع من أتته في الوقبة ، وانباقت عليه بائقة : انفتقت ، وباق : جاء بالشر والخصومات – من ذلك ، وكذا باق ، أي تعدى على إنسان ، وانباق به : ظلمه ، والبائقة القوم : أصابتهم ، كانباقت عليهم ، أي خرجت لشدتها من وقبة ، والباقة : الحزمة من بقل – لاجتماعها ، وباق بك : طلع عليك من غيبة – كأنه كان في حفرة فخرج ، ومنه باق فلان : هجم على قوم بغير إذنهم ، وباق القوم عليه : اجتمعوا فقتلوه ظلما ، وباق المال : فسد وبار – كحال من وقع في حفرة ، ومنه متاع بائق : لا ثمن له ، وتبوق في الماشية : وقع فيها الموت وفشا ، والحاق باق : صوت الفرج عند الجماع – لأنه من الجمع ، ولأن الفرج وقبة ، ومن مهموزة : بأقتهم الداهية بؤوقا : أصابتهم ، وانبأق عليهم الدهر : هجم عليهم بالداهية .

ومن الواوي ، والوقبة : كوة عظيمة فيها ظل ، والوقب والوقبة : نقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء ، وقيل : هي نحو البئر في الصفا تكون قامة أو قامتين يستنقع فيها ماء السماء ، وكل نقر في الجسد وقب كنقر العين والكتف ، والوقبان من الفرس : هزمتان." (١)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٧٩/٤

" صفحة رقم ٥٤٨

للمقصود بالذات ، وهو الراحة الدائمة بالوراثة لدار الخلد على وجه الإقامة المستمرة ، وصفة الملك الذي لا كدر فيه بوجه وال تخلف عن مراد ، أتبعه ما بعده إشارة إلى ما تنال به التقوى ، وهو الوقوف مع الأمر مراقبة للأمر على

٧٧ ( ) وبالحق أنزلناه ( ) ٧

[الإسراء : ١٠٥] لأنه لما كان العلم واقعا بأن جميع سورة الكهف شارحة لمسألتين من مسائل قريش ، وبعض سورة سبحان شارح للثالثة ، ولطول الفصل صدرت قصة ذي القرنين بقوله) ويسألونك (إعلاما بعطفها على مسألة الروح المصدرة بمثل ذلك ، وجاءت سورة مريم كاشفة - تبكيتا لأهل الكتاب الكاتمين للحق - عن أغرب من تلك القصص زأقدم زمانا وأعظم شأنا من أخبار الأنبياء المذكورين ومن أسرع التبديل بعدهم بإضاعة الصلاة واتباع الشهوات ، فثبت بذلك أن هذا كله مرتب لإجابة سؤالهم وأنه كلام الله قطعا ، إذ لو كان من عند النبي (صلى الله علىه وسلم) ما وعدهم الإجابة في الغد إلا وهو قادر عليها ، لما هو معلوم قطعا من رزانة عقله ، وغزارة فطنته ، ومتانة رأيه ، ولو قدر على ذلك ما تركهم يتكلمون في عرضه بما الموت أسهل منه ، لما علم منه من الشهامة والأنفة والبعد عما يقارب الشين ، وبان بذلك أن الله سبحانه وعز شأنه ما أجمل أمر الروح ولا أخر الإجابة خمس عشرة ليلة أو أقل أو أكثر من عجز ولا جهل ، وثبت بذلك كله وبما بين من صنعه لأهل الكهف ولذي القرنين وفي ولادة عيسى وإسحاق عليهم الصلاة والسلام تمام قدرته المستلزم لكمال علمه ، وكان الإخبار عن ذلك مطابقا للواقع الذي ثبت بعضه بالنقل الصحيح وبعضه بأدلة العقل القاطعة ، ثبت مضمون قوله تعالى) وبالحق أنزلناه وبالحق نزل (وأن هذا الكتاب قيم لا عوج فيه ، فعطف عليه الجواب عن قول النبي (صلى الله عليه وسلم) لجبرئيل عليه الصلاة والسلام (لقد أبطات علي يا جبرئيل حتى سؤت ظنا) ونحوه مما ذكر في أسباب النزول ، فقال على لسان جبرئيل عليه الصلاة والسلام : (وما نتنزل) أي أنا ولا أحد من الملائكة بإنزال الكتاب ولا غيره) إلا بأمر ربك (المحسن إليك في جميع الأمر في التقديم والتأخير لئلا يقع في بعض الأوهام أنه حق في نفسه ، ولكنه نزل بغير أمره سبحانه ، ووقع الخطاب مقترنا بالوصف المفهم لمزيد الإكرام تطييبا لقلبه (صلى الله عليه وسلم) وإشارة إلى أنه محسن إليه ، ولفظ التنزل مشير إلى الإكرام ، وهو التردد مرة بعد مرة ووقتا غب وقت ، ولا يكون إلا لذلك لأن النزول للعذاب يقتضي به الأمر في مثل لمح البصر ، وكان هذا عقب ذكر القيامة بذكر الجنة كما كان المعطوف عليه عقب

٧٧ ( ) فإذا جاء وعد الآخرة ( ) ٧

[الإسراء : ٧] وكما كان ختام مسائلهم بذكر الآخرة في قوله

٧٧ ( ) فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء ( ) ٧

[الكهف : ٩٨] - إلى." (١)

" صفحة رقم ٥٤٩

آخر السورة ليكون ذلك أشد تثبيتا للبعث وأعظم تأكيدا ، وإن استطلت هذا العطف مع بعد ما بين المعطوف والمعطوف عليه واستعظمته واستنكرته لذلك واستعبدته فقل : لما كشفت هذه السورة عن هذه القصص الغريبة ، وكان المتعنتون ربما قالوا : نريد أن يخبرنا هذا الذي ينزل عليك بجميع أنباء الأقدمين وأخبار الماضين ، قال جوابا عن ذلك أن قيل : ما أنزلنا عليك بأخبار هؤلاء إلا بأمر ربك ، وما نتنزل فيما يأتي أيضا إلا بأمر ربك ؛ ثم علل ذلك بقوله : (له ما بين أيدينا) أي من المكان والزمان وما فيهما) وما خلفنا (من ذلك) وما بين ذلك (وهو نحن والمكان والزمان اللذان نحن بهما وما فوقه وتحته ، ونحن نعلم ذلك ونعمل على حسب ما نعلم ، فلا نتصرف في ملكه إلا بأمره) وما كان (على تقدير من التقادير) ربك نسيا) أي ذا نسيان لشيء من الأشياء فيترك تفصيل أمر الروح ، ويؤخر الجواب عن الوقت الذي وعدتهم فيه لخفاء شيء من ذلك عليه ، ولا ينسى ما يصلحك فيحتاج إلى مذكر به ، ولا ينسى أحدا منا فينزل في وقت نسيانه له بل هو دائم الاطلاع على حركتنا وسكناتنا ، فنحن له في غاية **المراقبة** ، وهو سبحانه يصرفنا بحسب الحكمة في كل وقت تقتضيه حكمته ، لا يكون شيء من ذلك إلا في الوقت الذي حده له وأراده فيه ، ولا يخرج شيء من الأشياء وإن دق عن مراده .

ويجوز أن يقال في التعبير بصيغة فعيل أنه لا يتمكن العبد من الغيبة عن السيد بغير إذنه إلا أن كان بحيث يمكن أن يغفل وأن تطول غفلته وتعظم لكونه مجبولا عليها ، أو أنه لما استلبث الوحي في أمر الأسئلة التي سألوا عنها من الروح وما معها خمس عشرة ليلة أو أكثر أو أقل - على اختلاف الروايات ، فكان ذلك موهما للأغبياء أنه نسيان ، وكان مثل ذلك لا يفعله إلا كثير النسيان ، نفى هذا الوهم بما اقتضاه من الصيغة ونفى قليل ذلك وكثيرة في السورة التي بعدها ضما لدليل العقل بقوله

٧٧ ( ) ا يضل ربي ولا ينسى ( ) ٧

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٤٨/٤

[طه : ٥٢] لما اقتضاه السياقن فأتى في كل أسلوب بما يناسبه مع الوفاء بما يجب من حق الإعتقاد ، وهذه الآية مع) وبالحق أنزلناه (و

٧٧ ( ) قل لئن اجتمعت الإنس والجن ( ) ٧

[الإسراء : ٨٨] مثل

٧٧ ( ) قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ( ) ٧

[هود : ٣] - الآيتين في سورة هود عليه السلام ، على ما قدمت في بيانه غير أن ما جمع هناك فصل هنا في أول الجواب على أسئلتهم بآية) قل لئن اجتمعت (وأثنائه بآية) وبالحق أنزلناه (وآخره بهذه الآية ، لتكون الآيات رابطة على هذه الأجوبة وتوابعها وضابطة لها كالشهب والحرس الشديد بالنسبة إلى السماء ، فلا يبغيها متعنت من جهة من جهاتها كيدا إلا رد خاسئا ، ولا يرميها بقادح ألا كان رميه خاطئا .

ولما وصف سبحانه وتعالى بنفوذ الأمر واتساع العلم على وجه ثبت به ما أخبر به." (١)

" صفحة رقم ٥٥٠

عن الجنة ، فثبت أمر البعث ، أتبع ذلك ما يقرره على وجه أصرح منه وأعم فقال مبدلا من) ربك (: (رب السماوات والأرض (اللتين نحن من جملة ما فيهما من عبادة) وما بينهما (منا ومن غيرنا من الأحياء وغيرها) فاعبدوه (بالمراقبة الدائمة على ما ينبغي له من مثلك) واصطبر) أي اصبر صبرا عظيما بغاية جهدك على كل ما ينبغي الاصطبار عليه كذلك) لعبادته) أي لأجلها فإنها لا تكون إلا عن مجاهدة شديدة ؛ ثم علل ذلك بقوله : (هل تعلم له سميا) أي متصفا بوصف من أوصافه اتصافا حقيقيا ، أو مسمى باسمه ، العلم الواقع موقع لأنه لا مماثل له حتى ولا في مجرد الاسم ، وإيراده بصورة الاستفهام كالدعوى بدليلها .

مريم : (٦٦ - ٧١) ويقول الإنسان أئذا. .. . . .

) ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (( )

ن بذلك وبما ذكر في هاتين السورتين مما سألوا عنه ومن غيره شمول علمه وتمام قدرته لاسيما في إيجاد

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٤٩/٤

البشر تارة من الترابن وتارة من ذكر وأنثى في حكم العدم ، وتارة من أنثى بلا ذكرن وثبت ذلك كله ، فانكشفت الشبه ، وتضاءلت موجبات المراء ، وانقمعت مخيلات الفتن ، عجب منها في إنكارهم البعث وهم يشاهدون ما ذكر من قدرته وعلمه ، عاطفا على التعجب في قولهم) وقالوا ءاذا كنا (تعجيبا أشد من ذلك فقال : (ويقول (بلفظ المضارع المؤذن بالتجدد بعد هذا البيان المقتضي حتما لاعتقاده البعث فضلا عن إنكار مرة من المرات ، ليخبر عنها بصيغة الماضي ، فكيف بالمداومة على ذلك المشار إليها بصيغة المضارع ؛ وعبر بالمفرد وإن كان للجنس لأن الإنكار على الواحد يستلزم الإنكار على المتعدد فقال : (الإنسان) أي الذي خلقناه ولم يك شيئا ، مع ما فضلناه به من العقلن ونصبا له من الدلائلن فشغله الإنس بنفسه عن التأمل في كمال ربه منكرا مستبعدا : (ءذا ما مت (ثم دل على شدة استبعاده لذلك بقوله مخلصا للاستقبال : (لسوف أخرج) أي يخرجني مخرج) حيا) أي بعد طول الرقاد ، وتفتت الأجزاء والمواد ، وجاء بهذه التأكيدات لأن ما بعد الموت وقت كون الحياة منكرة على زعمه ، والعامل في) إذا (فعل من معنى) أخرج (لا هو ، لمنع لام الابتداء لعمله فيما قبله ؛ ثم قابل إنكاره الباطل بإنكار هو الحق فقال عطفا على يقول أو على ما تقديره : ألا يذكر ما لنا من تمام القدرة بخلق ما." (١)

" صفحة رقم ٥٥٧

على وقوعه بما يشاهد منهم من الأفعال المنافية لرزانة الحلم الناشئة عن وقار العلم ، فقال : (ألم تر أنا (لما لنا من العظمة) أرسلنا الشياطين (الذين خلقناهم من النار ، إرسالا مستعليا بالإبعاد والإحراق) على الكافرين) أي العريقين في الكفر) تؤزهم أزا) أي تحركهم تحريكا شديدا ، وتزعجهم في المعاصي والدنايا التي لا يشكون في قباحتها وعظيم شناعتها وهم الناس عيبا لفاعليها وذما لمرتكبيها إرعاجا عظيما بحيث يكونون في تقلبهم ذلك مثل الماء الذي يغلي في القدر ، ومثل الشرر المتطاير الذي هو أشد شيء عما اتصفوا به من خفة السفه وطيش الجهل فقال : (فلا تعجل عليهم (بشيء مما تريد به الراحة منهم .

ولما كانت مراقبة ناصر الإنسان لعدوه في الحركات والسكنات أكبر شاف للولي ومفرح ، وأعظم غائظ للعدو ومزعج ومخيف ومقلق ، علل ذلك بقوله دالا على أن زمنهم قصير جدا بذكر العد : (إنما نعد لهم (بإمهالنا لهم وإدرارنا النعم عليهم) عدا (لأنفاسهم فما فوقها لا نغفل عنهم بوجه ، فإذا جاء أجلهم الذي ضربناه لهم ، محونا آثارهم ، وأخلينا منهم ديارهم ، لا يمكنهم أن يفوتونا ، فاصبر فما أردنا بإملائنا لهم

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٥٠/٤

إلا إشقاءهم وإراءهم لا تنعيمهم وإعلاءهم ، فهو من قصر الموصوف على صفته إفرادا .

مريم : (٨٥ - ٩٣) يوم نحشر المتقين. .. . .

) يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا (( )

ولما بين مآل حال الكافرين في آلهتهم ودليله ، أتبعه بوقته فقال : (يوم) أي يكفرون بعبادتهم يوم) نحشر المتقين) أي العريقين في هذا الوصف ؛ ولما تقدمت سورة النعم العامة النحل ، وأتبعت سورة النعم الخاصة بالمؤمنين وبعض العامة ، مثل)) ولقد كرمنا بني آدم ( ) [الإسراء : ٧٠] ، ثم سورتي الخاصة بالصالحين الكهف وهذه ، قال : (إلى الرحمن (فيدخلهم دار الرضوان ، فذكر الاسم الدال على عموم الرحمة ، وكره في هذه تكريرا دل على ما فهمته ، وربما أيد ذلك افتتاح النحل بنعمة البيان على هذا الإنسان التي عبر عنها بالخصيم ، وختام هذه بالقوم اللد من حيث رد." (١)

" صفحة رقم ١٤

عليه قوله : (وأنا اخترتك) أي للنبوة) فاستمع (اي أنصت ملقيا سمعك معملا قلبك للسماع) لما) أي اخترتك للذي ، وقدم استمع اهتماما به) يوحى) أي يقال لك مني سرا مستورا عن غيرك سماعه وإن كان في غاية الجهر ، كما يفعل الحبيب مع حبيبه من صيانة حديثهما عن ثالث بما يجعل له من الخلوة إعلاما بعلو قدره وفخامة أمره ؛ ثم فسر الموحى بأول الواجبات وهو معرفة الله تعالى ؛ فقال مؤكدا لعظم الخبر وخروجه عن العادات : (إنني أنا الله (فذكر الاسم العلم لأن هذا مقامه إذ الأنسب للملطوف به - بعد التعرف إليه بالإكرام - الإقامة في مقام الجلال والجمال .

ولما كان هذا الاسم العلم جامعا لجميع معاني الأسماء الحسنى التي علت عن أن يتصف بها أو بشيء منها حق الاتصاف غيره تعالى ، حسن تعقيبه بقوله : (لا إله إلا أنا (ولما تسبب عن ذلك وجوب غفراده بالعبادة ، قال : (فاعبدني) أي وحدي : ثم خص من بين العبادات معدن الأنس والخلوة ، زآية الخضوع والمراقبة وروح الدين فقال : (وأقم الصلاة) أي التي أضاعها خلوف السوء ، إشارة إلى أنها المقصود

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٤/٥٥٧

بالذات من الدين ، لأنها أعلى شرائعه لأنها حاملة على **المراقبة** ، بما فيها من دوام الذكر والإعراض عن كل سوء ، وذلك معنى) لذكري (وذلك أنسب الأشياء لمقام الجلال ، بل هي الجامعة لمظهري الجمال والجلال ؛ ثم علل الأمر بالعبادة بأنه لم يخلق الخلق سدى ، بل لا بد من إماتتهم ، ثم بعثهم لإظهار العظمة ونصب موازين العدل ، فقال مؤكدا لإنكارهم معبرا بما يدل على سهولة ذلك عليه جدا : (إن الساعة ءاتية) أي لاريب في إتيانها ، فهي أعظم باعث على الطاعة .

ولما كان بيان حقيقة الشيء مع إخفاء شخصه ووقته وجميع أحواله موجبا في الغالب لنسيانه والإعراض عنه ، فكان غير بعيد من إخفائه أصلا ورأسا ، قال مشيرا إلى هذا المعنى : (أكاد أخفيها) أي أقرب من أن أجدد إخفاءها ، فلذا يكذب بها الكافر بلسانه والعاصي بعصيانه فالكافر لا يصدق بكونها والمؤمن لا يستعد غفلة عنها ، فراقبني فإن الأمر يكون بغتة ، ما من لحظة إلا وهي صالحة للترقب ؛ ثم بين سبب الإتيان بها بقوله : (لتجزى) أي بأيسر أمر وأنفذه) كل نفس (كائنة من كانت) بما تسعى) أي توجد من السعي في كل وقت كما يفعل من أمر ناسا بعمل من النظر في أعمالهم ومجازاة كل بما يستحق .

طه : (١٦ – ٣٢) فلا يصدنك عنها. .. . .

) فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يموسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى." (١)

" صفحة رقم ١٥

قال ألقها يموسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضآء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب إلى فرعون إنه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري) ٧٣

( ) ٧١

ولما كانت – لما تقدم – في حكم المنسي عند أغلب الناس قال : (فلا يصدنك عنها) أي إدامة ذكرها ليثمر التشمير في الاستعداد لها) من لا يؤمن بها (بإعراضه عنها وحمله غيره على ذلك بتزيينه بما أوتي من المتاع الموجب للمكاثرة المثمرة لامتلاء القلب بالمباهاة والمفاخرة ، فإن من انصد عن ذلك غير بعيد

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٤/٥

الحال ممن كذب بها ، والمقصود من العبارة نهي موسى عليه السلام عن التكذيب ، فعبر عنه بنهي من لا يؤمن عن الصد إجلالا لموسى عليه السلام ، ولأن صد الكافر عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب ، ولأن صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب ، فمأنه قيل : كن شديد الشكيمة صليب المعجم ، لءلا يطمع أحد في صدرك وإن كان الصاد هم الجم الغفير ، فإن كثرتهم تصل إلى الهوى لا إلى البرهان ، وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليلن وزجر بليغ عن التقليد ، وإنذار بأن الهلاك والردى مع التقليد وأهله نبه عليه الكشاف .

ثم بين العلة في التكذيب بها والكسل عن التشمير لها بقوله : (واتبع) أي بغاية جهده) هواه (فكان حاله حال البهائم التي لا عقل لها ، تنفيرا عن مثل حاله ؛ ثم أعظم التحذير بقوله مسببا : (فتردى (اي فتهلك ، إشارة إلى أن من ترك المراقبة لحظة حاد عن الدليل ، ومن حاد عن الدليل هلك .

ولما كان المقام مرشدا إلى أن يقال : ما جوابك يا موسى عما سمعت ؟ وكان تعالى عالما بأنه يبادر إلى الجواب بالطاعة في كا ما تقدم ، طوى هذا المقال مومئا إليه بأن عطف عليه قوله : (وما تلك (اي العالية المقدار) بيمينك ياموسى (مريدا – بعد تأنيسه بسؤاله عما هو أعلم به منه – إقامة البينة لديه بما يكون دليلا على الساعة من سرعة القدرة على إيجاد ما لم يكن ، بقلب العصا حية بعد تحقق أنها عصاه يقرب النظر إليها عند السؤال عنها ليزداد بذلك ثباتا ويثبت من يرسل إليهم) قال هي) أي ظاهرا وباطنا) عصاي (ثم وصل به مستأنسا بلذيذ المخاطبة قوله بيانا لمنافعها خوفا من الأمر بإلقائها كالنعل : (أتوكؤا) أي أعتمد وأرتفق وأتمكن) عليها) أي إذا أعييت أو أعرض لي ما يحوجني إلى ذلك من زلق أو هبوط أو صعود أو طفرة أو ظلام ونحو ذلك ؛ ثم." (١)

" صفحة رقم ٥٣

يلصقان) عليهما من ورق الجنة (ليسترا عوراتهما) وعصى ءادم (وإن كان إنما فعل المنهي نسيانا ، لأن عظم مقامه وعلو رتبته يقتضيان له مزيد الاعتناء ودوام المراقبة مع ربط الجأش ويقظة الفكر) ربه) أي المحسن إليه بما لم ينله أحدا من بنيه من تصويره له بيده وإسجاد ملائكته له ومعاداة من عاداه) فغوى (من الغواية وهي الضلال ، ولذلك قالوا : المعنى : فضل عن طريق السداد ، فأخطأ طريق التوصل إلى الخلد بمخالفة أمره ، وهو صفيه ، لم ينزله عن رتبة الاصطفاء ، لأن رحمته واسعة ، وحلمه عظيم ، وعفوه شامل

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/١٥

، فلا يهمنك أمر القوم اللد ، فإنا قادرون على أن نتقبل بقلوب من شءنا منهم فنجعلهم من أصفى الأصفياء ، ونخرج من أصلاب من شئنا منهم من نجعل قلبه معدن الحكمة والعلم .
ولما كان الرضى عنه – مع هذا الفعل الذي أسرع فيه اتباع العدو وعصيان الولي بشيء لا حاجة به إليه – مستبعدا جدا ، أثبت ذلك تعالى مشيرا إليه بأداة التراخي فقال : (ثم احتباه ربه (اي المحسن إليه) فتاب عليه) أي بسبب الاجتباء بالرجع إلى ما كان عليه من طريق السداد) وهدى (بالحفظ في ذلك كما هو الشأن في أهل الولاية والقرب .
طه : (١٢٣ – ١٢٧) قال اهبطا منها. .. . . .
) قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى (( )
ولما كانت دور الملوك لا تحتمل مثل ذلك ، وكان قد قدن سبحانه عنايته بآدم عليه السلام اهتماما به ، وكان الخبر عن زوجه وعن إبليس لم يذكر ، فكانت نفس السامع لم تسكن عن تشوفها إلى سماع بقية الخبر ، أجاب عن ذلك بأنه أهبط من دراه المقدسة الحامل على المخالفة والمحمول وإن كان قد هيأه بالاجتباء لها ، فقال على طريق الاستئناف : (قال) أي الرب الذي انتهكت حرمة داره : (اهبطا منها (أيها الفريقان : آدم وتبعه ، وإبليس) جميعا (.
ولما كان السياق لوقوع النسيان وانحلال العزم بعد أكيد العهد ، حرك العزم بعث." (١)
" صفحة رقم ٧٨
ولا يصح مجانسة النعمة للمنعم الحقيقي) بل (الذي جعلوهم له ولدا وهم الملائكة) عباد (من عباده ، أنعم الله عليهم بالإيجاد كما أنعم على غيرهم لا أولا د ، فإن العبودية تنافي الولدية) مكرمون (بالعصمة من الزلل ، ولذلك فسر الإكرام بقوله : (لا يسبقونه) أي لا يسبقون إذنه) بالقول) أي بقولهم ، لأنهم لا يقولون شيئا لم يأذن لهم فيه ويطلقه لهم .
ولما كان الوزاقف عما لم يؤذن له فيه قد لا يفعل ما أمر به قال : (وهم بأمره) أي خاصة إذا أمرهم)

---
(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٥٣

يعملون (لا بغيره لأنهم في غاية المراقبة له فجمعوا في الطاعة بين القول والفعل وذلك غاية الطاعة ؛ ثم علل إخباره بذلك بعلمه بما هذا المخبر به مندرج فيه فقال : (يعلم ما بين أيديهم) أي مما لم يعلموه) وما خلقهم (مما عملوه ، أو يكون الأول لما عملوه والثاني لما لم يعلموه ، لأنك تطلع على ما أقدامك ويخفى عليك ما خلفك ، أي أن علمه محيط بأحوالهم ماضيا وحالا ومآلا ، لا يخفى عليه خافية ؛ ثم صرح بلازم الجملة الأولى فقال : (ولا يشفعون) أي في الدنيا ولا في الآخرة) إلا لمن ارتضى (فلا تطمعوا في شفاعتهم لكم بغير رضاه ، وبلازم الجملة الثانية فقال : (وهم من خشيته) أي لا من غيرها) مشفقون) أي دائما .

الأنبياء : (٢٩ - ٣١) ومن يقل منهم. .. . .

) ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من المآء كل شيء حي أفلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون (( )

ولما نفى الشريك مطلقا ثم مقيدا بالولدية ، أتبعه التهديد على ادعائه بتعذيب المتبوع المجب لتعذيب التابع فقال : (ومن يقل منهم) أي من كل من قام الدليل على أنه لا يصلح للإلهية حتى العباد المكرمون الذين وصف كرامتهم وقرب منزلتهم عنده وأثنى عليهم كما رواه البيهقي في الخصائص من الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما : (إني إله (ولما كانت الرتب التي تحت رتبة الإلهية كثيرة ، بعض ليدل على من استغرق بطريق الأولى فقال : (من دونه) أي من دون الله) فذلك) أي اللعين الذي لا يصلح للتقريب أصلا ما دام على ذلك) نجزيه) أي بعظمتنا) جهنم (لظلمه ، فأفهم تعذيب مدعي الشرك تعذيب أتباعه من باب الأولى ، وهو على سبيل الفرض والتمثيل في الملائكة من إحاطة علمه بأنه لا يكون ، وما ذاك إلا لقصد تفظيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد ، وفي دلائل النبوة للبيهقي في باب التحدثبالنعمة والخصائص أن هذه." (١)

" صفحة رقم ٨٩

به ، لأن من شأن من كان في الضياء أن لا يضع شيئا إلا في موضعه) وذكرا) أي وعظا وشرفا .

ولما كان من لا ينتفع بالشيء لا يكون له منه شيء ، قال : (للمتقين) أي الذين صار هذا الوصف لهم

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٧٨/٥

شعارا حاملا لهم على التذكير لما يدعو إليه الكتاب من التوحيد الذي هو أصل **المراقبة** ؛ ثم بين التقوى بوصفهم بقوله : (الذين يخشون) أي يخافون خوفا عظيما) ربهم) أي المحسن إليهم بعد الإيجاد بالتربية وأنواع الإحسان) بالغيب) أي في أن يكشف لهم الحجاب) وهم من الساعة (التي نضع فيها الموازين وقد أعرض عنها الجاهلون مع كونها أعظم حامل على كل خير ، مبعد من كل ضير) مشفقون (أنهم لقيامها متحققون ، وبنصب الموازين فيها عالمون .

ولما ذكر فرقان موسى عليه السلام ، وكان العرب يشاهدون إظهار اليهود للتمسك به والمقاتلة على ذلك والاغتباط ، حثهم على كتابهم الذي هو أشرف منه فقال : (وهذا (فأشار إليه بأداة القرب إيماء إلى سهولة تناوله عليهم) ذكر) أي عظيم ، ودلهم على أنه أثبت الكتب وأكثرها فوائد بقوله : (مبارك (ودلهم على زيادة عظمته بما له من قرب الفهم والإعجاز وغيره بقوله : (أنزلناه (ثم أنكر عليهم رد وبخهم في سياق دال على أنهم أقل الكتاب من أن يجترءوا على ذلك ، منبه على أنهم أولى بالمجاهدة في هذا الكتاب برد ما أنزل من أهل الكتاب في كتابهم فقال : (أفأنتم له) أي لتكونوا دون أهل الكتاب برد ما أنزل لتشريفكم عليهم وعلى غيرهم مع أنكم لا تنكرون كتابهم) منكرون (اي أنه لو أنكره غيركم لكان ينبغي لكم مناصبته ، فكيف يكون الإنكار منكم ؟

الأنبياء : (٥١ - ٥٤) ولقد آتينا إبراهيم. .. . .

) ولقد آتينآ إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنآ آبآءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآبآؤكم في ضلال مبين (( )

ولما كان مقصود السورة الدلالة على القدرة على ما استبعده العرب من إعادة الحيوان بعد كونه ترابا ، وبدأ ذكر الأنبياء بمن صرفه في العناصر الأبعة كما تقدم قص ذلك من التوراة في سورتي البقرة والأعراف إشارة إلى من استبعد عليه ما جعله إلى بعض عبيده أعمى الناس ، تلاه من الأنبياء بمن سخر له واحدا من تلك العناصر ، مرتبا لهم على الأخف في ذلك فالأخف على سبيل الترقي ، فبدأهم بذكر من سخر له عنصر النار ، مع التنبيه للعرب على عماهم عن الرشد بإنكاره للشرك بعبادة الأوثان على أبيه." (١)

" صفحة رقم ١٥٨

وجعل بعضهم في نحور بعض ، عطف عليه أو على قوله) أذن (قوله : (ولينصرون الله) أي الملك

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٨٩

الأعظم ، وأظهر ولم يضمر تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال : (من ينصره (كائنا كم كان منهم ومن غيرهم ، بما يهييء له من الأسباب ، إجراء له على الأمر المعتاد ، وبغير أسباب خرقا للعادةن كما وقع في كثير من الفتوحاتن كخوض العلاء بن الحخضرمي رضي الله عنه البحر الملح إلى جواثاء بالبحرين ، واقتحام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الدجلة مع عظمها في ذلك العام وطموهان وزيادتها وعلوها ، وزلزلة أسوار حمص بالتكبير وتهدم كثيرا من بيوتهان عن إتقان بنيانها ، وإحكام قواعدها وأركانها ونحو ذلك ؛ ثم علل نصره وإن ضعف المنصور ، بقوله : (إن الله) أي الذي لا كفوء له) لقوي) أي على ما يريد) عزيز (لا يقدر أحد على مغالبته ، ومن كان ناصره فهو المنصور ، وعدوه المقهور ، ولقد صدق سبحانه فيما وعد به ، فأذل بأنصار دينه رضي الله عنهم - جبابرة أهل الأرض وملوكهم ، ومن أصدق من الله حديثا .

ولما وصف نفسه سبحاه بما يقتضي تمكين منصوره الذي ينصرهن وصفهم بما يبين أن قتالهم له ، لا لهم ، بعد أن وصفهم بأنهم أوذوا بالإخراج من الديار الذي يعادل القتل ، فقال : (الذين (ولما كانن وقت النصرة مبهما آخره يوم الفصل ، عبر بأجاة الشك ليكون ذلك أدل على إخلاص المخلص في القتال : (أن مكناهم (بما لنا من العظمة) في الأرض (بإعلائهم على أضدادهم) أقموا الصلاة (اي النيي هي عماد الدين ، الدالة على المراقبة والإعراض عن تحصيل الفاني) وآتوا الزكاة (المؤذنة بالزهذ في الحاصل منه ، لالمؤذن بعمل النفس للرحيل) وأمروا بالمعروف (وهو ما عرفه الشرع وأجاره) ونهوا عن المنكر (المعرف بأنه لا أنس لهم إلا به سبحانه ، ولا خوف لهم إلا منه ، ةولا رجاء فيه والآية دالة على صحة خلافة الأئمة الأربعة .

ولما كان هذا ابتداء الأمر بالجهاد ، وكان عقب ما آذى أعداؤه أولياءه ، فطال أذاهم لهم ، فكان التقدير كما أرشد إليه العطف على غير مذكور ، عطفا على) ولولا دفع (فاه بادئة الأمور ، عطف عليه قوله : (والله) أي الملك الأعلى المحيط بكل شيء) عاقبة الأمور (فتمكينهم كائن لا محالة ، لكن ذكره للعاقبة وطيه للبادئة منبه على أنه تعالى يجعل للشيطان - كما هو المشاهد في الأغلب - حظا في البادئة ، ليتبين الصادق من الكاذب ، والمزلزل من اثابت ، وأما العاقبة فهي متمحضة له إلى أن يكون آخرذلك القيامة التي لا يكون لأحد فيها أنمر ، حتى أنه لا ينطق أحد إلا بإذن خاص .

ولما كان في ترغيب هذه الآيات وترهيبها ما يعطف العاقل ، ويقصف الجاهل ، طوي حكم العاقل لفهمه ما سبق ، وهو : فإنه يؤمنوا بك مكناهم في الأرض ، ودل عليه بعطف حكم." (١)

" صفحة رقم ٢٠٧

عنها وجعلها شهية للطبع ، نافعة للبدن ، منعشة للروح ، وذلك ما كان حلا غير مستقذر لقوله تعالى)) يحل لكم الطيبات ويحرم عليكم الخبائث ( ) [الأعراف : ١٥٧] .

ودل سبحانه على أن الحلال عون على الطاعة بقوله : (واعملوا صالحا) أي سرا وجهرا غير خائفين من أحد ، فقد أهلكت عدوكم وأورثتكم أرضكم ، ولم يقيد عملكم بشكر ولا غيره ، إشارة إلى أنه لوجهه ليس غير ، فإنهم دائما في مقام الشهود ، في حضرة ا لمعبود ، والهنى عن كل سوى حتى عن الغنى ، ثم حثهم على دوام المراقبة بقوله : (إني بما) أي بكل شيء) تعملون عليم) أي بالغ العلم .

ولما كان هذا تعليلا لما سبقه من الأمر ، عطف على لفظه قوله : (وإن (بالكسر في قراءة الكوفيين ، وعلى معناه لما كان يستحقه لو أبرزت لام العلة من الفتح في قراءة غيرهم) هذه) أي دعوتكم أيها الأنبياء المذكورين إجمالا وتفصيلا وملتكم المجتمعة على التوحيد أو ا لجماهة التي أنجيتها معكم من المؤمنين) أمتكم) أي مقصدكم الذي ينبغي أن لا توجهوا هممكم إلى غيره أو جماعة أتباعكم حال كونها) أمة واحدة (لا شتات فيها أصلا ، فما دانت متوحدة فهي مرضية) وأنا ربكم) أي المحسن إليكم بالخلق والرزق وحدي ، فمن وحدني نجا ، ومن كثر الأرباب هلك .

ولما كان الخطاب في هذه السورة كلها للخلص من الأنبياء ومن تبعهم من المؤمنين ، قال : (فاتقون) أي اجعلوا بينكم وبين غضبي وقاية من جميع عبادي بالدعاء إلى وحدانيتي بلا فرقة أصلا ، بخلاف سورة الأنبياء المصدرة بالناس فإن مطلق العبارة أولى بدعوتها .

المؤمنون : (٥٣ - ٥٩) فتقطعوا أمرهم بينهم. .. . .

) فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون (( )

ولما كان من المعلوم قطعا أن التقدير : فاتقى النبياء الله الذي أرسلهم وتجشموا حمل ما أرسلهم به من

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/١٥٨

عظيم الثقل ، فدعوا العباد إليه وأرادوا جمعهم عليه ، عطف عليه بفاء السبب قوله معبرا بفعل التقطع لأنه يفيد التفرق : (فتقطعوا) أي الأمم ، وإنما أضمرهم لوضوح إرادتهم لأن الآية التي قبلها قد صرحت بأن الأنبياء ومن نجا معهم أمة واحدة لا اختلاف بينهما ، فعلم قطعا أن الضمير للأمم ومن نشأ بعدهم ، ولذلك كان النظر إلى الأمر الذي كان واحدا أهم ، فقدم قوله : (أمرهم) أي في الدين بعد أن كان." (١)

" صفحة رقم ٢٥٠

سمات النقص ، فيندمون عل ما فعلوا في الدنيا مما يقدح في **المراقبة** وتجري عليه الغفلة ؛ قال ابن كثير : وأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة لا سيما التي كانت سبب النزول ، وهي عائشة بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما ، وقد أجمع العلماء قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية ، فإنه كافر لأنه معاند للقرآن ، وفي بقية أمهات المؤمنين رضي الله عنهن قولان أصحهما أنهن كهي ، والله أعلم – انتهى .

وقد علم من هذه الآيات وما سبقها من أول السورة وما لحقها غلى آخرها أن الله تعالى ما غلظ في شيء من المعاصي ما غلظ في قصة الإفك ، ولا توعد في شيء ما توعد فيها ، وأكد وبشع ، ووبخ وقرع ، كل ذلك إظهارا لشرف رسوله (صلى الله عليه وسلم) وغضبا له وإعظاما لحرمته وصونا لحجابه .

النور : (٢٦ – ٢٨) الخبيثات للخبيثين والخبيثون. .. . .

) الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيهآ أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم (( )

ولما تضمن ما ذكر من وصفه تعالى علمه بالخفيات ، أتبعه ما هو كالعلة لآية) الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة (دليلاشهوديا على براءة عائشة رضي الله تعالى عنها فقال : (الخبيثات) أي من النساء وقدم هذا الوصف لأن كلامهم فيه ، فإذا انتفى ثبت الطيب) للخابثين) أي من الرجال .

ولما كان ذلك لا يفهم أن الخبيث مقصور على الخبيثة قال : (والخبيثون) أي من الرجال أيضا) للخابيثات) أي من النساء .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٢٠٧

ولما أنتج هذا براءتها رضي الله عنما لأنه، قرينة أطيب الخلق ، أكده بقوله : (والطيبات (اي منهن) للطيبين (اي منهم) والطيبون للطيبات (بذلك قضى العليم الخبير أن كل شكل ينضم إلى شكله ، ويفعل أفعال مثله ، وهو سبحانه قد اختار لهذا النبي الكريم لكونه أشرف خلقه خلص عباده من الأزواج والأولاد والأصحاب)) كنتم خير أمة أخرجت للناس ( ) [آل عمران : ١١٠] (خيركم قرني) وكلما ازداد الإنسان منهم من قبله (صلى الله عليه وسلم) قربا ازداد طهارة ، وكفى بهذا البرهان دليلا على براءة الصديقة رضي الله عنها ، فكيف وقد أنزل الله العظيم في براءتها صريح كلامه القديم ، وحاطه من أوله وآخره بهاتين الآيتين المشيرتين غلى الدليل العادي ، وقد تقدم عند بية) الزاني (ذكر لحديث (الأرواح جنود مجندة) وما لاءمه ، لكنه لم يستوعب تخريجه ، وقد خرجه." (١)

" صفحة رقم ٢٦٦

النور : (٣٦ - ٣٩) في بيوت أذن. .. . .

) في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتآء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشآء بغير حساب والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن مآء حتى إذا جآءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب (( )

ولما كان كأنه قيل : فأي شيء يكون هذه المشكاة ؟ قال شافيا على هذا السؤال : (في بيوت) أي في جدران بيوت ، فجمع دلالة على أن المراد بالمشكاة الجنس لا الواحد ، وفي وحدتها ووحدة آلات النور إشارة غلى عزته جدا) أذن الله) أي مكن بجلاله فأباح وندب وأوجب) أن ترفع (حسا في البناء ، ومعنى بإخلاصها للعمل الصالح ، من كل رافع أذن له سبحانه في ذلك ، فعلى المرء إذا دخلها أن يتحصن من العدو بما رواه أبو دواد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه كان إذا دخل المسجد قال : (أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم) قال عقبة بن مسلم : فإذا قال ذلك قال الشيطان : حفظ مني سائر يوم .

) ويذكر (من كل ذاكر أذن له سبحانه) فيها اسمه) أي ذكرا صافيا عن شوب ، وخالصا عن غش) يسبح) أي يصلي وينزه) له) أي خاصة) فيها بالغدو) أي الإبكار ، بصلاة الصبح) والآصال) أي

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٥٠/٥

العشيات ، ببقية الصلوات ، فيفتحون أعمالهم ويختمونها بذكره ليحفظوا فيما بين ذلك ويبارك لهم فيما يتقلبون فيه ، وجمع الأصيل لتحقق أن المراد الظهر والعصر والمغرب والعشاء ؛ قال البغوي : لأن اسم الأصيل يجمعها .

) رجال (أي رجال) لا تلهيهم تجارة) أي ببيع أو شر أو غيرهما ، يظهر لهم فيها ربح .

ولما كان الإنسان قد يضطر إلى الخروج بالبيع عن بعض ما يملك للاقتيات بثمنه أو التبلغ به إلى بعض المهمات التي لا وصول له إليها إلا به ، أو بتحصيل ما لا يملك كذلك مع أن البيع في التجارة أيضا هو الطلة الكلية لأنه موضع تحقق الربح الذي لا صبر عنه ، قال : (ولا بيع) أي وإن لم يكن على وجه التجارة ، والبيع يطلق بالاشتراك على التحصيل الذي هو الشرى وعلى الإزالة) عن ذكر الله) أي الذي له الجلال والإكرام مطلقا بصلاة وغيرها ، فهم كل وقت في شهود ومراقبة لمن تعرف إليهم بصفات الكمال) و (لا يليهم ذلك عن) إقام الصلاة (التي هي طهرة الأرواح ، ." [1]

" صفحة رقم ٣٦٥

أفعل مما فيه خلاصكم ، وتقدم في براءة سر تقديم المعيةو خصوصها والتعبير باسم الرب) فأوحينا (اي فتسبب عن كلامه الدال على المراقبة أنا أحينا ؛ ونوه باسمه الكريم جزاء له على ثقته به سبحانه فقال : (إلى موسى (وفسر الوحي الذي فيه معنى القول بقوله : (أن أضرب بعصاك البحر) أي الذي أمامكم ، وهو بحر القلزم الذي يتوصل أهل مصر منه إلى الطور وإلى مكة المشرفة وما والاها) فانفلق) أي فضربه فانشق بسبب ضربه لما ضربه امتثالا لأمر الله وصار اثني عشر فرقا على عدد أسباطهم) فكان كل فرق) أي جزء وقسم عظيم منه) كالطود) أي الجبل في إشراقه وطوله وصلابته بعدم السيلان) العظيم (المتطاول في السماء الثابت لا يتزلزل ، لأن الماء كان منبسطا في ارض البحر ، فلما انفرق وانكشف فيه الطرق انضم بعضه إلى بعض فاستطال وارتفع في السماء .

ولما كان التقديرك فأدخلنا كل شعب منهم في طريق من تلك الطرق ، عطف عليه : (وأزلفنا) أي قربنا بعظمتنا من قوم موسى عليه السلام ؛ قال البغوي .

قال أبو عبيدة : جمعنا ، ومنه ليلة المزدلفة ، أي ليلة الجمع .

ولما كان هذا الجمع في غاية العظمة وعلو الرتبة ، أشار إلى ذلك بأداة البعد فقال : (ثم (اي هنالك ،

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٦٦/٥

فإنها ظرف مكان للبعيد) الآخرين (اي فرعون وجنوده) وأنجينا موسى ومن معه (وهم الذين اتبعوه من قومه وغيرهم) أجمعين) أي لم نقدر على أحد منهم الهلاك .

ولما كان الإغراق بما به الإنجاء – مع كونه أمرا هائلا – عجيبا وبعيدا عبر بأداة البعد فقال : (ثم اغرقنا) أي إغراقا هو على حسب عظمتنا) الآخرين) أي فوعون وقومه اجمعين ، لم يفلت منهم أحد .

ولما قام عذر موسر عليه السلام فيما استدفعه أول القصة من كيد فرعون بما ثبت له من العظمة والمكنة في كثرة الجند وعظيم الطاعة منهم له في سرعة الاجتماع الدالة علة مكنتهم في أنفسهم ، وعظمته في قلوبهم ، رغبة ورهبة ، وظهر مجد الله في تحقيق ما وعد به سبحانه من الحراسة ، وزاد ما أقر به العيون ، وشرح به الصدرو ، وكان ذلك أمرا يهز القوى سماعه ، ويروع الأسماع تصوره وذكره ، قال منبها على ذلك : (إن في ذلك (أب الأمر العظيم العالي الرتبة من قصة موسى وفرعون وما فيها من العظات) لآية (اي علامة عظيمة على ما قال الرسول موجبة للإيمان به من أن الصانع واحد فاعل بالاختبار ، قادر على كل شيء ، وأنه رسوله حقا) وما كان أكثرهم) أي الذين شاهدوها والذي وعظوا بسماعها) مؤمنين لله) أي متصفين بالإيمان الثابت ، أما القبط." (١)

" صفحة رقم ٤٠٧

القرآن) وكتاب مبين هدى وبشر للمؤمنين (ثم وصفهم ليحصل للتابع قسطه من بركة التبع ، وليتقوى رجاؤه في النجاة مما اشار إليه) وسيعلم الذين ظلموا (من عظيم ذلك المطلع ؛ ثم اتبع ذلك بالتنبيه على صفة الاهلين لما تقدم من اتلقول والافتراء تنزيها لعباده المتقين ، وأوليائه المخلصين ، عن دنس الشكك والامتراء فقال : (إن الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون) أي يتحيرون فلا يفرقون بين النور والإظلام ، لارتباك الخواطر والأفهام ؛ ثم أتبع ذلك بتسليته عليه الصلاة والسلام بالقصص الواقعة بعد تنشيطا له وتعريفا بعلي منصبه ، وإطلاعا له على عظيم صنعه تعالى فيمن تقدم ، ثم ختمت السورة بذكر أهل القيامة وبعض ما بين يديها ، والإشارة إلى الجزاء ونجاة المؤمنين ، وتهديد من تنكب عن سبيله عليه الصلاة والسلام – انتهى .

ولما عظم سبحانه آيات الكتاب بما فيها من الجمع من النشر مع الإبانة ، ذكر حاله فقال : (هدى (ولما كان الشيء قد يهدي إلى مقصود يكدر حال قاصده .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٦٥/٥

قال نافيا لذلك ، وعطف عليه بالواو دلالة على الكمال في كل من الوصفين : (بشرى) أي عظيمة .

فلما تشوفت النفوس ، وارتاحت القلوب ، فطم من ليس بأهل عن عظيم هذه الثمرة فقال : (للمؤمنين (اي الذين صار ذلك لهم وصفا لازما بما كان لهم فيل دعاء الداعي من طهارة الأخلاق ، وطيب الأعراق ، وفي التصريح بهذا الحال تلويح بأنه فتنه وإنذار للكافرين

٧٧ ( ) يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فأما الذين في قلوبهم زيغ ( ) ٧

- الآية ،

٧٧ ( ) قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ( ) ٧

[فصلت : ٤٤] ،

٧٧ ( ) والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمي ( ) ٧

- إلى غير ذلك من الآيات .

ولما كان وصف الإيمان خفيا ، وصفهم بما يصدقه من الأمور الظاهرة فقال : (الذين يقيمون الصلاة) أي بجميع حدودها الظاهرة ,والباطنة من المواقيت والطهارات والشروط والأركان والخشوع والخضوع والمراقبة والإحسان إصلاحا لما بينهم وبين الخالق .

ولما كان المقصود الأعظم من الزكاة إنما هو التوسعة على الفقراء قال : (ويؤتون الزكاة) أي إحسانا فيما بينهم وبين الخلائق .

ولما كان الإيمان بالبعث هو الجامع لذلك واغيره من سائر الطاعات ، ذكره معظما لتأكيده ، فقال معلما بجعله حالا غلاأنه شرط لما قبله : (وهم (اي والحال أنهم .

ولما كان الإيمان بالبعث هو السبب العظم للسعادة وهو محط للحكمة ، عبر فيه." (١)

" صفحة رقم ٤٧٥

وإزالة للبس : (ياموسى (أكد إشارة إلى أن الأمر قد دهم فلا يسع الوقت الاستفصال فقال : (إن الملأ) أي أشراف القبط في أيديهم الحل والعقد ، لأن لهم القدرة على الأمر والنهي) يأتمرون بك) أي يتشاورن بسببك ، حتى وصل حالهم في تشاورهم إلى أن كلا منهم يأمر الآخر ويأنمر بأمره ، فكأنه قيل : لم يفعلون ذلك ؟ فقيل : (ليقتلوك (لأنهم سمعوا أنك قتلت صاحبهم) فاخرج) أي من هذه المدينة ؛ ثم علل

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٠٧/٥

ذلك بقوله على سبيل التأكيد ليزيل ما يطرق من احتمال عدم القتل لكونه عزيزا عند الملك : (إني لك) أي خاصة) من الناصحين) أي العريقين في نصحك) فخرج (اي موسى عليه الصلاة والسلام مبادرا) منها) أي المدية لما علم من صدق قوله مما حفه من القرائن ، حال كونه) خائفا (على نفسه من آل فرعون) يترقب (اي يكثر الالتفات بإدراة رقبته في الجهات ينظر هلى يتبعه أحد ؛ ثم وصل به على طريق الاستئناف قوله : (قال) أي موسى عليه الصلاة والسلام : (رب) أي ايها المحسن إلي بالإيجاد والتربية وغير ذلك من وجوه البر) نجني) أي خلصني ، مشتق من النجوة ، وهو المكان العالي الذي لا يصل إليه كل أحد) من القوم الظالمين (اي الذين يضعون الأمور في غير مواضعاها فيقتلون من لا يستحق القتل مع قوتهم ، فاستجاب الله له فوفقه لسلوك الطريق الأعظم نحو مدين ، فكان ذلك سبب نجاته ، وذلك أن الذين انتدبوا إليه قطعوا بأنه لا يسلك الطريق الأكبر ، جريا على عادة الخائفين الهاربين في المشي عسافا ، أو سلوك ثنيات الطريق فانثنوا فيما ظنوه يمينا وشمالا ففاتهم .

ولما دعا بهذا الدعء ، أعلم الله تعالى باستجابته منه مخبرا بجهة قصده زيادة في الإفادة فقال : (ولما) أي فاستجاب الله دعاءه فنجاه منهم ووجهه إلى مدين ولما) توجه (اي اقبل بوجهه قاصدا) تلقاء) أي الطريق الذي يلاقي سالكه ارض) مدين (مدينة نبي الله شعيب عليه الصلاة والسللام متوجها بقلبه إلى ربه) قال) أي لكونه لا يعرف الطريق : (عسى (اي خليق وجدير وحقيق .

ولما كانت عنايته بالله أتم لما له من عظيم **المراقبة** ، قال مقدما له : (ربي) أي المحسن إلي بعظيم التربية في الأمور المهلكة) أن يهديني سواء) أي عدل ووسط) السبيل (وهو الطريق الذي يطلعه عليها من غير اعوجاج .

ولما كان التقدير : فوصل إلى المدينة ، بنى عليه قوله : (ولما ورد (اي حضر موسى عليه الصلاة والسلام حضور من يشرب) ماء مدين (اي الذي يستقي منها الرعاء) وجد عليه) أي الماء) أمة) أي جماعة كثيرة هم أهل لأن يقصدوا ويقصدوا ، فلذلك هم عالون غالبون على الماء ؛ ثم بين نوعهم بقوله : (من الناس (وبين عملهم." (١)

" صفحة رقم ٤٧٩

) هاتين (اي الحاضرتين اللتين سقيت لهما ، ليتأملهما فينظر منيقع اختياره عليها منهما ليعقد لع عليها)

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٧٥/٥

على أن تأجرني) أي تجعل نفسك أجيرا عندي أو تجعل أجري على ذلك وثوابي) ثماني حجج (جمع حجة – بالكسر ، أي سنين ، أي العمل فيها بأن تكون أجيرا لي أستعملك فيما ينوبني من رعية الغنم وغيرها ، وآجره – بالمد والقصر ، نم الأجر والإيجار ، وكذلك أجر الأجير والمملكوك وآجره : أعطاهما أجرهما) فإن أتممت) أي الثماني ببلوغ العقد بأن تجعلها) عشرا) أي عشر سنين) فمن) أي فذلك فضل من) عندك (غي واجب عليك ، وكان التعيين الثماني لأنها – إذا أسقطت منها مدة احمل – أقل سن يميز فيه الولد غالبا ، والعشر أقل ما يمكن فيه البلوغ ، لينظر سبطه إن قدر فيتوسم فيه بما يرى من قوله وفعله ، والتعبير بما هو من الحج الذي هو القصد تفاؤلا بأنها تكون من طيبها بمتابعة أمر الله وسعة رزقه وإفاضة نعمه ودفع نقمه أهلا لأن تقصد أو يكون فيها الحج في كل واحدة منها إلى بيت الله الحرام .

ولما ذكر له هذا ، أراد أن يعلمه أن الأمر بعد الشرط بينهما على المسامحة فقال : (وما اريد أن أشق عليك) أي أدخل عليك مشقة في شيء من ذلك ولا غيره لازم أو غير لازم ؛ ثم أكد معنى المساهلة بتأكيد وعد الملاءمة فقال : (ستجدني (ثم استثنى على قاعدة أولياء الله وأنبيائه في **المراقبة** على سبيل التنزل فقال : (إن شاء الله (اي الذي له جميع المر) من الصالحين) أي في حسن الصحبة والوفاء بما قلت وكل ما تريد من خير) قال) أي موسى عليه السلام) ذلك) أي الذي ذكرت من الخيار وغيره) بيني وبينك) أي كائن بيننا على حكم النصفة والعدل والسواء على ما ألزمتني به لازما ، وما أشرت إلى التفضل به إحسانا ، وعليم ما ألزمت به نفسك فرضا وفضلا ؛ ثم بين وفسر ذلك بقوله : (إيما الأجلين) أي أي أجل منهما : الثماني أو العشر) قضيت (اي عمكلت العمل المشروط على فيه خرجت به من العهدة) فلا عدوان) أي اتداء بسبب ذلك لك ولا لأحد) علي) أي في طلب أكثر منه لأنه كما لا تجب على الزيادة على العشر لا تجب علي الزيادة على الثمان ، وكأنه أشار بنفي صيغة المبالغة إلى أنه لا يؤاخذ لسعة صدره وطهارة أخلاقه بمطلق العدو) والله) أي الملك الأعظم) على ما نقول (اي كله في هذا الوقت وغيره) وكيل (اي شاهد وحفيظ قاهر عليه وملزم به في الدنيا وآخرة ، فما الظن بما وقع بيننا من العهد من النكاح والأجر والأجل .

القصص : (٢٩ – ٣٢) فلما قضى موسى. .. . .

) فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي

آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلمآ أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من." (١)

" صفحة رقم ٥٦٤

تركها الذي هو كفر ، ومن انتهى عن ذلك انشرح صدره ، واتسع فكره ، فعلم من أسرار القرآن ما لا يعلمه غير

٧٧ ( ) واتقوا الله ويعلمكم الله ( ) ٧

[البقرة : ٢٨٢] .

ولما كان الناهي في الحقيقة إنما هو ذكر الله ، أتبع ذلك الحث على روح الصلاة والمقصد الأعظم منها ، وهو **المراقبة** لمن يصلي له حتى كأنه يراه ليكون بذلك في أعظم الذكر بقوله : (ولذكر الله) أي ولأن ذكر المستحق لكل صفة كمال) أكبر (اي من كل شيء ، فمن استحضر ذلك بقلبه هان عنده كل شيء سواه (إن عبدي كل عبدي للذي يذكرني عند لقاء قرنه) أو يكون المراد أن من واظب على الصلاة ذكر الله ، ومن ذكره أوشك أن يرق قلبه ، ومن رق قلبه استنار لبه ، فأوشك أن ينهاه هذا الذكر المثمر لهذه الثمرة عن المعصية ، فكان ذكر الذاكر له سبحانه أكبر نهيا له عن المنكر من نهي الصلاة له ، وكان ذكره له سبحانه كبيرا ، كما قال تعاىل) فاذكروني أذكركم (وإذا كان هذا شأن ذكر العبد لمولاه ، فما ظنك بذكر مولاه له كلما أقبل عليه بصلاة فإنه جدير بأن يرفعه غلى حد لا يوصف ، ويلبسه من أنواره ملابس لا تحصر .

ولما كان ذلك يحتاج إلى علاج لمعوج الطباع ومنحرف المزاج ، وتمرن على شاق الكلف ، ورياضة لجماح النفوس ، وكان (صلى الله عليه وسلم) قد نزه عن ذلك كله لما جبل عليه من أصل الفطرة ، ثم بما غسل به قلبه نم ماء الحكمة ، وغير ذلك من جليل النعمة ، عدل إلى خطاب الأتباع يحثهم على المجاهدة فقال : (والله) أي المحيط علما وقدرة) يعلم) أي في كل وقت) ما تصنعون (من الخير والشر ، معبرا بلفظ الصنعة الدال على ملازمة العمل تنبيها على أن إقامة ما ذكر تحتاج إلى تمرن عليه وتدرب ، حتى بصير طبعا صحيحا ، ومقصودا صريحا .

ولما انتهى الكلام إلى روح الدين وسر اليقين مما لا يعلمه حق علمه إلا العلماء بالكتب السماوية والأخبار

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٧٩/٥

الإلهية ، وكان العالم يقدر على إيراد الشكوك وترويج الشبه ، فربما اضل بالشبهة الواحدة النيام من الناس ، بما له عندهم من القبول ، وبما للنفوس من النزوع إلى الأباطيل ، وبما للشيطان في ذلك من التزيين ، وكان الجدال يورث الإجن ، ويفتح أبواب المحن ، فيحمل على الضلال ، قال تعالى عاطفا على) اتل (نخاطبا لمن ختم الآية بخاطابهم تنزيها لمقامه (صلى الله عليه وسلم) عن المواجهة بمثل ذلك تنبيها على أنه لا يصوب همته الشريفة إلى مثل ذلك ، لأنه ليس في طبعه المجادلة ، والمماراة والمغالبة : (ولا تجادلوا أهل الكتاب (اي اليهود والنصارى ظنا منكم أن الجدال ينفع الدين ، أو يزيد في اليقين ، أو يرد أحدا عن ضلال مبين) إلا بالتي) أي بالمجادلة التي) هي أحسن (اي بتلاوة الوحي الذي امرنا راس العابدين بإدامة تلاوته فقط ، وهذا كما تقدم عند قوله تعالى في سبحان

٧٧ ( ) وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ( ) ٧

[الإسراء : ٥٣] .." (١)

" صفحة رقم ٥٨١

والثواب والمغفرة في عقباهم ، بسبب جهادهم لأنه شكر يقتضي الزيادة ، ومن كان معه سبحانه فاز بكل مطلوب وإن رأى الجاهل خلاف ذلك ، فإنه يجعل عزهم من وراء ذل ويستر غناهم بساتر فقر ، حماية لهم مما يجر إليه دائم العز من الكبر ، ويحمل عليه عظيم الغنى من الطغيان ، وما أحسن ما تقل الأستاذ أبو القاسم القشيري في الرسالة عن الحارث المحاسبي أنه قال : من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهرة بالمجاهدة واتباع السنة ، والآية من الاحتباك : أثبت أولا الجهاد دليلا على حذفه ثانيا ، وثانيا أنه مع المحسنين دليلا على حذف المعية والإحسان أولا ، فقد عانق أول السورة هذا الآخر ، وكان إليه أعظم ناظر ، فنسال الله العافية من الفتن ، والمجاهدة إن كان لا بد من المحن ، وإليه المآب .

.. . .." (٢)

" صفحة رقم ٦٠٢

الحال يقتضي إنكار أن يغفل أحد عنها ، لما لها من واضح الدلائل أقربه أن اسنم ضدها يدل عليها ، لأنه لا تكون إلا في مقابلة قصيا ، ولا أولى إلا بالنسبة غلى أخرى ، فقال : (وهم (اي هؤلاء الموصوفون

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٥٦٤

(٢) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٥٨١

خاصة) عن الآخرة (التي هي المقصود بالذات وما خلقت الدنيا إلا للتوصل بها إليها ليظهر الحكم بالقسط وجميع صصفات العز والكبر والجلال والإكرام) هم غافلون) أي في غاية الاستغراق والإضراب عنها بحيث لا يخطر في خواطرهم ، فصاروا لاستيلاء الغفلة عليهم إذا ذكرت لهم كذبوا بها ، واستهزؤوا بالمخبر ، ولم يجوزوها نوع تجير مع أن دلائلها تفوت الحصر ، وتزيد على العد ، فصاروا كأنهم مخصوصون بالغفلة عنها من بين سائر الناس ومخصصون لها بالغفلة من بين سائر الممكنات ، فلذلك لا يصدقون الوعد بإدالة الروم لما رسخ في نفوسهم من أن الأمور تجري ين العباد غعلى غير قانون الحكمة ، لأنهم كثيرا ما يرون الظالم يموت ولم يقتص منه ، وهم في غفلة عن أنه أخر جزاؤه غلى يوم الدين ، يوم يكشف الجبار حجاب الغفلة ويظهر عدله وفضله ، ومن أريد القصاص منه عاجلا فعل ، وقضية الروم هذه منذلك ، وهذا السياق يدل على أنه لا حجاب عن العلم أعظم من التكذيب بالآخرة ، ولا شيء اعون عليه من التصصديق بها والاهتمام بشانها ، لأن ذلك حامل علطلب الخلاص في ذلك اليوم ، وهو لا يكيون على أتم الوجوه غلا لمن وصل غلى حالة **المراقبة** ، وذلك لا يكون إلا لمن علم إما بالكشف أو الكسب كل علم فلم يتحرك حركة غلا بدليل يبيحها له ويحمله عليها ، وبهذا التقرير يظهر أن هاتين الجملتين بكمالهما في حال غفلتهم عن الآخرة ، فانسد عليهم باب العلم – والله الموفق .

ولما كان التقدير : أفلم يتدبروا القرآن وما كشف لهم عنه من الحكم والأمور التي وعد الله بها على لسان نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) فيه أو في السنة ، فكانت على حسب ما وعد ، أو لم يتأملوا مصنوعات الله عموما فتدلهم عقولهم منها على أنه لا يصلح للإلهية إلا من كان حكيما ، ولا يكون حكيما غلا من صدق في وعده ، و أنه لا تتم الحكمة إلا بإيجاد الآخرة ، عطف عليه قوله منكرا عليهم موبخا لهم : (أو لم يتفكروا (اي يجتهدوا في إعمال الفكر ، ثم ذكر آلة الفكر زيادة في تصوير حال المتفكرين والتذكير بهيئة المعتبرين فقال : (في أنفسهم (ويجوز أن تكون هي المتفكر فيه فيكون المعنى : يتفكروا في أحوالها خصوصا فيعلموا أن من كان منهم قادرا كاملا لا يخلف وعده وهو إنسان ناقص ، فكيف بالإله الحق ويعلموا أن الذي ساوى بينهم في الإيجاد من العدم." (١)

" صفحة رقم ٦٢١

وأعرق في النفي فقال : (من ناصرين) أي من الأصنام ولا غيرها يخلصونهم مما هم فيه من الخذلان وأسر

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٦٠٢

الشيطان ، ومما يسببه والنيرانونفى الجميع دون الواحد لأن العقل ناصر لهم بما هو مهيأ له من الفهم واتباع دليل السمع لو استعملوه ، أو لأنه ورد جوابا لنحو

٧٧ ( ) واتخذوا من دون اله آلهة ليكونوا لهم عزا لعلهم ينصرون ( ) ٧

[مريم : ٨١] أو للإشارة إلى أن تتبع الهوى لا ينفع في تلافي أمره إلا أعوان كثيرون ودل على نفي الواحد

٧٧ ( ) ا تجزي نفس عن نفس ( ) ٧

[البقرة : ١٢٣] ، و

٧٧ ( ) أن الكافرين لا مولى لهم ( ) ٧

[محمد : ١١] و

٧٧ ( ) فما له من قوة ولا ناصر ( ) ٧

[الطارق : ١٠] في أمثالها .

ولما تحررت الأدلة ، وانتصبي الأعلام ، واتضحت الخفايا ، وصرحت الإشارات ، وأفصحت ألسن العبارات ، اقبل على خلاصة الخلق ، إيذانا بأنه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره ، فقال مسببا ءن ذلك ممثلا لإقباله واستقامته وثباته : (فاقم وجهك (اي قصدك كله) للدين) أي نصبا بحيث تغيب عما سواه ، فلا تلتفلت عنه أصلا فلا تنفك عن المراقبة ، فإن من اهتم بشيء سدد إليه نظره ، وقوم له وجهه .

ثم عرض بجلافة أهل الضلال وغشاوتهم ، وكثافتهم وغباوتهم ، وجمودهم وقساوتهم ، بقوله : (حنيفا) أي حال كونك ميالا مع الدليل هينا لينا نافذ الصبر نير البصيرة ساري الفكر سريع الانتقال طائر الخاطر ، ثم بين أن هذا الأمر في طبع كل أحد وإن كانوا فيه متفاوتين كما تراهم إذا كانوا صغارا أسهل شيء انقيادا ، ولكنه لما يكشف لهم الحال في كثير من الأشياء عن أن انقيادهم كان خطأ يصيرون يدربون أنفسهم على المخالفة دائما حتى تصير لبعضهم طبعا تجريبيا فيصير أقسى شيء وأجمده بعد أن كان أسهل شيء وأطوعه ، وأكثر ما يكون هذا قرناء السوء الذين يقولون ما لا يفعلون ، ولهذا نهى أن يوعد الطفل بما لا حقيقة له : روى أحمد وابن أبي الدنيا من طريق الزهري عن أبي هريرة رضي الله عنه – قال المنذري : ولم يسمع منه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (من قال لصبي : تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة) ، ولأبي داود والبيهقي وابن عامر – أن أمه رضي الله عنها قالت له : تعال أعطيك ، فقال لها رسول الله (

صلى الله عليه وسلم) : (ما اردت أن تعطيه ؟ قالت : تمرا ، فقال : أما إنك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة) ، فقال مبينا لهم صحة دينه بأمر هو في." (١)

" صفحة رقم ٥

شوائب النقص ، موصوفا بأوصاف الكمال ، معبودا بما شرعه على وجه الإخلاص ، والانقياد مع الدليل كيفما توجه ، والدوران معه كيفما دار ، وكان ذلك هو عين الحكمة ، قال تعالى : (هدى) أي حال كونها أو كونه بيانا متقنا) ورحمة) أي حاملا على القيام بكل وما دعا إليه ، والتقدير على قراءة حمزة بالرفع : هي أو هو ، وقال : (للمحسنين (إشارة إلى أن رمن حكمته أنه خاص في هذا الكمال وضعا للشيء في محله بهذا الصنف ، وهم الذين لزموا التقوى فأدتهم إلى الإحسان ، وهو عبادته تعالى على المكاشفة والمراقبة فهي له أو هو لها آخر ، ثم وصفهم في سياق الرحمة والحكمة والبيان بالعدل بيانا لهم بما دعت إليه السورة الروم من كمال الإحسان ، وهو عابدته تعالى على المكاشفة والمراقبة فهي له أو هو لها آخر ، ثم وصفهم في سياق الرحمة والحكمة والبيان بالعدل بيانا لهم بما دعت إليه سورة الروم من كمال الإحسان في معاملة الحق والخلق اعتقادا وعملا فقال : (الذين يقيمون الصلاة) أي يجعلونها كأنها قائمة بفعلها بسبب إتقان جميع ما آمر بعد فيها وندب إليه ، وتوقفت بوجه عليه ، على سبيل التجديد في الأوقات المناسبة لها والاستمرار ، ولم يدع غلى التعبير بالوصف كالمقيمين داع ليدل على الرسوخ لأن المحسن هو الراسخ في الدين رسوخا جعله كأنه يرى المعبود ودخل فيها الحج لأنه لا يعظم البيت في كل يوم خمس رات إلا معظم له بالحج فعلا أو قوة) ويؤتون الزكاة) أي كلها فدخل فيها الصوم لأنه لا يؤدي زكاة الفطر إلا من صامه قوة أو فعلا ولما كان الإيمان أساس هذه الأركان ، وكان الإيمان بالبعث جامعا لجميع انواعه ، وحاملا على سائر وجوه الإحسان ، وكان قد ختم الروم بالإعراض أصلا عمن ليس فيه أهلية الإيقان ، قال : (وهم) أي خاصة لكمالهم فيما دخلوا فيه من هذه المعاني) بالآخرة (التي تقدم أن المجرمين عنها غافلون) هم يوقنون) أي مؤمنون بها إيمان موقن فهم لا يفعل شيئا الإيمان بها ، ولا يغفل عنها طرفة عين ، فهو في الذروة العليا من ذلك ، فهو يعبد الله كأنه يراه ، فآية البقرة بداية .

وهذه نهاية .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٢١/٥

لقمان : (٥ – ١٠) أولئك على هدى. .. . .

) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دآبة وأنزلنا من السمآء مآء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم (( )

ولما كانت هذه الخلال أمهات الأفعال ، الموجبة للكمال ، وكانت مساوية من وجه لآية البقرة ختمها بختامها ، بعد أن زمها بزمامها ، فقال : (أولئك) أي العالوا الرتبة." (١)

" صفحة رقم ٩١

يدلهم على تناهي الغضب ، فقال مؤكدا محققا لأجل إنكارهم : (لقد كان لكم (أيها الناس كافة الذين المنافقون في غمارهم) في رسول الله (الذي جاء عنه لإنقاذكم من كل ما يسوءكم ، وجلاله من جلاله المحيط بكل جلال ، وكماله من كماله العالي على كل كمال ، وهو أشرف الخلائق ، فرضيتم مخالطة الأجلاف بدل الكون معه) أسوة) أي قدوة عظيمة – على قراءة عاصم بضم الهمزة ، وفي أدنى المراتب – على قراءة الباقين بالكسر ، تساوون أنفسكم به وهو أعلى الناس قدرا يجب على كل أحد أن يفدي ظفره الشريف ولو بعينه فضلا عن أن يسوي نفسه بنفسه ، فيكون معه في كل أمر يكون فيه ، لا يختلف عنه أصلا) حسنة (على قراءة الجماعة بمطلق الصبر في البأساء وأحسنية على قراءة عاصم بالصبر على الجراح في نفسه والإصابة في عمه وأعز أهله وجميع ما كان يفعل في مقاساة الشدائد ، ولقاء الأقران ، والنصيحة لله ولنفسه وللمؤمنين ، وعبر عنه بوصف الرسالة لأنه حظ الخلق منه ليقتدوا بأفعاله وأقواله ، ويتخلفوا بأخلاقه وأحواله ، ونبه على ان الذي يحمل على التآسي به (صلى الله عليه وسلم) إنما هو الصدق في الإيمان ولا سيما الإيمان بالقيامة ، وأن الموجب للرضا جبلة له) يرجوا الله) أي في جبلته أنه يجدد الرجاء مستمرا للذي لا عظيم في الحقيقة سواه فيأمل إسعاده ويخشى إبعاده) واليوم الآخر (الذي لا بد من إيجاده ومجازاة الخلائق فيه بإعمالهم ، فمن كان كذلك حمله رجاؤه على كل خير ، ومنعه من كل شر ، فإنه يوم التغابن ، لأن الحياة فيه دائمة ، والكسر فيه لا يجبر .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/٥

ولما عبر بالمضارع المقتضي لدوام التجدد اللازم منه دوام الاتصاف الناشئ عن المراقبة لأنه في جبلته ، أنتج ان يقال : فأسى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تصديقا لما في جبلته من الرجاء ، فعطف عليه ، أو على (كان) المقتضيه للرسوخ قوله : (وذكر الله (الذي له صفات الكمال ، وقيده بقوله : (كثيرا (تحقيقا لما ذكر من معنى الرجاء الذي به الفلاح ، وأن المراد منه الدائم في حالي السراء والضراء .

ولما أخبر عما حصل في هذه الوقعة من الشدائد الناشئة عن الرعب لعامة الناس ، وخص من بينهم المنافقين بما ختمه بالملامة في ترك التأسي بمن أعطاء الله قيادهم ، وأعلاه عليهم في الثبات والذكر ، وختم بما يثمر الرسوخ في الدين ، ذكر حال الراسخين في أوصاف الكمال المتأسين بالداعي ، المتفقين للهادي ، فقال عاطفا على) هنالك ابتلى المؤمون (: (ولما رأى المؤمنون) أي الكاملون في الإيمان) الأحزاب (الذين أدهشت رؤيتهم القلوب) قالوا) أي مع ما حصل لهم من الزلزال." [1]

" صفحة رقم ١٠٥

ولما حث سبحانه على المكارم والأخلاق الزاكية ، وختم بالتذكير بالآيات والحكمة ، أتبعه لمن تلبس من أهل البيت بما يدعو إليه ذلك من صفات الكمال ، وبكنه ذكره على وجه يعم غيرهم من ذكر وأنثى مشاكلة لعموم الدعوة وشمول الرسالة ، فقال جوابا لقول النساء : يا رسول الله ذكر الله الرجال ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به ، إنا نخاف أن لا يقبل منا طاعة ، بادئا الوصف الأول الأعم الأشهر من أوصاف أهل هذا الدين مؤكدا لأجل كثرة المنافقين المكذبين بمضمون هذا الخبر وغيرهم من المصارحين : (إن المسلمين (ولما كان اختلاف النوع موجبا للعطف ، قال معلما بالتشريك في الحكم : (والمسلمات) .

ولما كان الإسلام مع كونه أكمل الأوصاف وأعلاها يمكن أن يكون بالظاهر فقط ، أتبعه المحقق له وهو إسلام الباطن بالتصديق التام بغاية الإذعان ، فقال عاطفا له ولما بعده من الأوصاف التي يمكن اجتماعها بالواو للدلالة على تمكين الجامعين لهذه الأوصاف من كل وصف منها : (والمؤمنين والمؤمنات (ولما كان المؤمن المسلم قد لا يكون في أعماله مخلصا قال : (والقانتين) أي المخلصين في إيمانهم وإسلامهم) والقانتات (ولما كان القنوت كما يطلق على الإخلاص المقتضي للمداولة قد يطلق على مطلق الطاعة قال : (والصادقين (في ذلك كله) والصادقات) أي في إخلاصهم في الطاعة ، وذلك يقتضي الدوام .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/٩١

ولما كان الصدق – وهو إخلاص القول والعمل عن شوب يلحقه أو شيء يدنسه – قد لا يكون دائما ، قال مسيرا إلى أن ما لا يكون دائما لا يكون صدقا في الواقع : (والصابرين والصابرات (ولما كان الصبر قد يكون سجية ، دل على صرفه إلى الله بقوله : (والخاشعين والخاشعات (ولما كان الخشوع – وهو الخضوع والإخبات والسكون – لا يصح مع توفير المال فإنه سيكون إليه ، قال معلما أنه إذ ذاك لا يكون على حقيقته : (والمتصدقين) أي المنفقين أموالهم في رضى الله بغاية الجهد من نفوسهم بما أشار إليه إظهار التاء فرضا وتطوعا سرا وعلانية بما أرشد إليه الإظهار أيضا تصديقا لخشوعهم) والمتصدقات (.

ولما كان بذل المال قد لا يكون مع الإيثار ، أتبعه ما يعين عليه فقال : (والصائمين) أي تطوعا للإيثار بالقوت وغير ذلك) والصائمات (ولما كان الصوم يكسر شهوة الفرج وقد يثيرها ، قال : (والحافظين فروجهم) أي عما لا يحل لهم بالصوم وما أثاره الصوم) والحافظات (ولما كان حفظ الفروج وسائر الأعمال لا تكاد توجد إلا بالذكر .

وهو الذي فيه المراقبة الموصلة إلى المحاضرة المحققة للمشاهدة." [1]

" صفحة رقم ١٢٢

الستر فهو أن شاء يترك المؤاخذة فيما له أن يؤاخذ به ، ويجعل مكان المؤاخذة الإكرام العظيم متصفا بذلك أزلا وأبدا .

الأحزاب : (٥١ – ٥٢) ترجي من تشاء. .. . .

) ترجي من تشآء منهن وتؤوي إليك من تشآء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بمآ آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما لا يحل لك النسآء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (( )

ولما ذكر هاتين الصفتين ، أتبعهما ما خففه عنه عن أمرهن إكراما له (صلى الله عليه وسلم) مما كان من شأنه أن يتحمل فيه ويتخرج عن فعله ، فقال في موضع الاستئناف ، أو الحال من معنى التخفيف في الجمل السابقة : (ترجي (بالهمز على قراءة الجماعة أي تؤخر) من تشاء منهن) أي من الواهبات فلا تقبل هبتها أو من نسائك بالطلاق أو غيره مع ما يؤنسها من أن تؤويها ، وبغير همز عند حمزة والكسائي

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٠٥/٦

وحفص من الرجاء أي تؤخرها مع أفعال يكون بها راجية لعطفك) وتؤدي) أي تضم وتقرب بقبول الهبة أو بالإبقاء في العصمة بقسم وبغير قسم بجماع تخصيصا له بذلك عن سائر الرجال) إليك من تشاء (وسيب نزول هذه الآية أنه لما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقهن فقلن : يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت .

ودعنا على حالنا ، فنزلت .

ولما كانت ربما مال إلى من فارقها ، بين تعالى حكمها فقال : (ومن ابتغيت) أي مالت نفسك إلى طلبها) ممن عزلت) أي أوقعت عزلها بطلاق أو رد هبة) فلا جناح عليك) أي في إيوائها بعد ذلك بقبول هبتها أو بردها إلى ما كانت عليه من المنزلة عندك من قيد النكاح أو القسم .

ولما كانت المفارقة من حيث هي – ولا سيما إن كان فراقها لما فهم منها من كراهية يظن بها – أنها تكره الرجعة ، أخبر سبحانه أن نساءه (صلى الله عليه وسلم) على غير ذلك فقال : (ذلك) أي الإذن لك من الله والإيواء العظيم الرتبة ، لما لك من الشرف) أدنى) أي أقرب من الإرجاء ومن عدم التصريح بالإذن في القرآن المعجز ، إلى) أن تقر أعينهن) أي بما حصل لهن من عشرتك الكريمة ، وهو كناية عن السرور والطمأنينة ببلوغ المراد ، لأن من كان كذلك كانت عينه قارة ، ومن كان مهموما كانت عينه كثيرة التقلب لما يخشاه – هذا إن كان من القرار بمعنى السكون ، ويجوز أن يكون من القر الذي هو ضد." (١)

" صفحة رقم ١٢٤

بعد) أي من بعد من معك من هؤلاء التسع – كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية منه ، شكرا من الله لهن لكونهن لما نزلت آية التخيير اخترن الله ورسوله ، فتكون الآية منسوخة بمت تقدم عليها في النظام وتأخر عنها في الإنزال من آية) إنا أحللنا لك أزواجك (وفي رواية أخرى من بعد) اللاتي أحللنا لك (بالصفة المتقدمة من بنات العم وما معهن ، ويؤيدها ما تقدمت روايته عن أم هانئ رضي الله عنها .

ولما كان ربما فهم أن المراد الحصر في عدد التسع ، لا بقيد المعينات ، قال : (ولا أن تبدل بهن) أي هؤلاء التسع ، وأعرق في النفي بقوله : (من) أي شيئا من) أزواج) أي بأن تطلق بعض هؤلاء المعينات وتأخذ بدلها من غيرهن بعقد النكاح بحيث لا يزيد العدد على تسع ، فعلم بهذا الموضوع منه نكاح غيرهن مع طلاق واحدة منهن أولا ، وهو يؤيد الرواية الأولى عن ابن عباس رضي الله عنهما لأن المتبدل بها لا

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٢٢/٦

تكون إلا معلومة العين ، والجواب عن قول أم هانئ رضي الله عنها أنه فهم منها ، لا رواية عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وأما عند موت واحدة منهن فلا حرج في نكاح واحدة بدلها .
ولما علم من هذا المنع من كل زوجة بأي صفة كانت ، أكد معنى وحققه ، وصرح به في قوله حالا من فاعل (تبدل) : (ولو أعجبك حسنهن) أي النساء المغايرات لمن معك ، وفي هذا إباحة النظر إلى من يراد نكاحها لأن النظرة الأولى لا تكاد تثبت ما عليه المرئي من حاق الوصف ؛ ولما كان لفظ النساء شاملا للأزواج والإماء ، بين أن المراد الأزواج فقط بقوله : (إلا ما ملكت يمينك) أي فيحل لك منهن ما شئت ، وقد ملك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ريحانة رضي الله عنها من سبي بني قريظة ، واستمرت في ملكه مدة لا يقربها حتى أسلمت ، ثم ملك بعد عام الحديبية مارية رضي الله عنها أو ولده إبراهيم عليه السلام .
ولما تقدم سبحانه في هذه الآيات فأمر ونهى وحد حدودا ، حذر من التهاون بشيء منها ولو بنوع تأويل فقال : (وكان الله) أي الذي لا شيء أعظم منه ، وهو المحيط بجميع صفات الكمال) على كل شيء رقيبا) أي يفعل فعل المراعي لما يتوقع منه من خلل على أقرب قرب منه بحيث لا يفوت مع رعايته فائت فعل المراعي لما يتوقع منه خلل على أقرب منه بحيث لا يفوت مع رعايته فائت من أمر المرعى ، ولا يكون الرقيب إلا قريبا ، ولا أقرب من قرب الحق وسبحانه ، فلا أرعى من رقبته ، وهو من أشد الأسماء وعيدا .
الأحزاب : (٥٣) يا أيها الذين. .. . . .
) يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم." (١)
" صفحة رقم ٢٧٢
مقول هو ، والسلام يجمع جميع النعم ، ثم بين هذا السلام بما أظهر من عظمه بقوله : (قولا من رب) أي دائم الإحسان) رحيم) أي عظيم الإكرام بما ترضاه الألهية ، كما كانوا في الدنيا يفعلون كل ما فيه الرضا ، فيرحمهم في حال السلام وسماع الكلام بلذة الرؤية مع التقوية عن الدهش والصعق لعظيم الأمر وبالتأهيل لهذا المقام الأكرم مع قصورهم عنه ، وقد أوضح هذا السياق أنه من الله تعالى بلا واسطة ، فإنه أكده بالقول وحرف الابتداء ، وذكر صفات الإحسان كما قال الأستاذ أبو القاسم القشيري : ولا ارتياب

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/١٢٤

في أنه لا شيء يعدل هذا في النعيم وقرة العين والشرف وعلو القدر ، ولا شك أن هذا هو المقصود بالحقيقة ، فهو قلب النعيم في ذلك اليوم الذي هو قلب الوجود حقا خفاء وصلاحا وفسادا ، فصح أن هذه الآية قلب قلب هذه السورة كما كانت هذه السورة قلب القرآن ، وقد ورد حديث في تفسير البغوي وكتاب المائتين للأستاذ أبي عثمان الصابوني أنه من الله تعالى بلا واسطة عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم با أهل الحنة ، وذلك قوله تعالى) سلام قولا من رب رحيم (فينظر إليهم وينظرون إليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته في ديارهم) .

قال الاستاذ أبو عثمان : هذا حديث غريب الإسناد والمتن لا أعلم إني كتبته إلا من هذا الوجه .

ولما كان التقدير : فانظروا وازدادوا حسرة أيها المجرمون ، عطف عليه قوله : (وامتازوا) أي انفردوا انفرادا هو بغاية القصد ، وجرى على النمط الماضي من زيادة التهويل لذلك الموقف بإعادة قوله : (اليوم) أي عن عبادي الصالحين أو عمن بقي منهم معكم في الموقف ليظهروا من أوضارهم ، ويشفوا من مضارهم ، لأن غيبة **الرقيب** أتم النعيم ، وإبعاد العدو أعلى السرور ، وحذف أداة النداء لا لقرب الكرامة بل للدلالة على أنهم في القبضة لا مانع من غاية التصرف فيهم لكل ما يراد لأنه لا حائل دونهم) أيها المجرمون) أي العريقون في الإجرام ، فلا يقع في أوهامكم أنكم تخالطونهم اليوم أصلا ، وهذا ما كنتم تمتازون عنهم في الدنيا وتقاطعونهم ترفعا واستكبارا ، فهذا قوله للمجرمين وذلك قوله للمؤمنين ، فصح أنه قلب لأنه به صلاح بعض المكلفين وفساد الآخرين الذي هو تمام صلاح الأولين ، وقد تقدم في أوائل سورة الروم منام ينفع استحضاره هنا .

ولما أمرهم بالامتياز أمرا إدرايا حكيما ، فامتازوا في الحال ، وأسروا الندامة وسقط في أيديهم فعضوا الأنامل ، وصروا بالأسنان ، وشخصت منهم الأبصار ، وكلحت." (١)

" صفحة رقم ٣٢٣

الفكر في أمرهم لأنه يريد أمرا عظيما وهو كسرها ، ومادة) سقم (بتقاليبها الخمسة : سقم سمق قسم قمس مقس ، تدور على القسم ، فالسقام كسحاب وجبل وقفل : المرض ، أي لأنه يقسم القوة والفكر ،

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٧٢/6

وقال ابن القطاع : سقم : طاولة المرض .
وقسمه جزأه ، والدهر القوم : فرقهم ، والقسم – بالكسر : النصيب والقسم أي بالفتح : العطاء ، ولا يجمع ، والرأي والشك والعيب والماء والقدر والخلق والعادة ، ويكسر فيهما ، والتفريق ظاهر في ذلك كله ، أما العطاء فيفرق المال ويقسمه ، والرأي من سهولة القسم ، والقدر يفصل صاحبه من غيره ، وكذا الخلق والعادة ، والمقسم كمعظم : المهموم – لتوزع فكره ، والجميل – لأنه يقسم القول في وصفه ، والقسم محركة : اليمين بالله ، وقد أقسم ، أي أزال تقسيم الفكر ، والقسامة : الحسن – لأنه تزعج الفكر فتقسمه ، أو هو أول وقت الهاجرة أو وقت ذرور الشمس ، وهي حينئذ أحسن ما تكون مرآة – فينقسم الفكر فيها لحسنها إذ ذاك وما يطرأ عليها بعده .
والقمس : الغوص – لأن الغائص قسم الماء بغوصه ، والقمس أيضا اضطراب الولد في البطن لأنه يقسم الفكر ، ويكاد أن يقسم البطن باضطرابه ، والقاموس : معظم البحر – لأن البحر قسم الأرض ، ومعظمه أحق بهذا الاسم ، والقوامس : الدواهي – لتقسيمها الفكر ، وانقمس النجم : غرب ، أي أخذ قسمه من الغروب كما أخذه من الشروق ، أو أزال التقسيم بالسير ، ومقسه في الماء : غطه – فانقسم الماء بغمسه فيه ، والقربة : ملأها ، فصير فيها من الماء ما يسهل قسمه ، وأخذه الماء الذي وضعه فيها تقسيم للماء المأخوذ منه ، ومقس الشيء : كسره ، والماء : جرى – فانقسم وقسم الأرض ، وهو يمقس الشعر كيف شاء ، أي بقوله فيقسمه من باقي الكلام ، والتقميس في الماء : الإكثار من صبه ، فإن ذلك تقسيم له ، وسمق سموقا : علا وطال فصار بطوله يقبل من القسمة ما لا يقبله ما هو دونه .
ولما فهموا عنه ظاهر قوله ، وظنوا فيه ما يظهر من حاله ، ولكنهم لم يسعهم لعظمته فيهم إلا التسليم ، تركوه فقال تعالى مسببا عن قوله مشيرا إلى استبادهم مرضه بصيغة التفعل : (فتولوا) أي عالجوا أنفسهم وكلفوها أن انصرفوا) عنه (ألى محل اجتماعهم وإقامة عيدهم وأكد المعنى ونص عليه بقوله : (مدبرين) أي إلى معبدهم فخلا له الوقت من رقيب) فراغ) أي ذهب في خفية برشاقة وخفة ، ونشاط وهمة ، قال البيضاوي : وأصله الميل بحيلة) إلى آلهتهم) أي أصنامهم التي زعموها آلهة ، وقد وضعوا عندها طعاما ، فخاطبها مخاطبة من يعقل لجعلهم إياها بذلك في عداد من يعقل." (١)

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٢٣/٦

" صفحة رقم ٤١٥

ينبغي أن تفرده بالطاعة ، ولأنه إذا عبده أحد مخلصا كفاه كل شيء ، وأما غيره فلو أخلص له أحد لم يمكن أن يكفيه شيئا من الأشياء فضلا عن كل شيء والدين الذي هو أهل للإخلاص هو الإسلام الذي كان في كل ملة المنبني على القواعد الخمس المثبتة بالإخلاص المحض الناشئ من المراقبة في الأوامر والنواهي وجميع ما يرضي الشارع للدين أو يسخطه ، فتكون جملته لله من غير شهوة ظاهرة أو باطنة في شهرة ولا غيرها ، وإنما استحقه سبحانه دون غيره لأنه هو الذي شرعه ولا أمر لأحد معه فكيف يشركه من لا أمر له بوجه من الوجوه ، وأما ما كان فيه أدنى شرك فهو رد على عامله والله غني حميد ، وهذه كما ترى مناداة لعمري تخضع لها الأعناق فتنكس الرؤوس ولا يوجد لها جواب إلا بنعم وعزته وأي وكبريائه وعظمته ، قال القشيري : وما للعبد فيه نصيب فهو عن الإخلاص بعيد اللهم إلا أن يكون بأمره فإنه إذا أمر العبد أن يحتسب الأجر على طاعته فأطاعه لا يخرج عن الاحتساب باحتسابه أمره فيه ، ولولا هذا لما صح أن يكون في العالم مخلص ، قال ابن برجان : وذلك أي ترك الإخلاص كله مولد عن حب البقاء في الدنيا ونسيان لقاء الله تعالى ، ثم قال ما معناه : إن ذلك من الشرك ، وهو ثلاثة أنواع : شرك في الإلهية وهو أن يرى مع الله إلها آخر ، وهو شرك المجوس والمجسمة : والوثنية ، ويضاهيه غلط القدرية ، الثاني شرك في العبادة بالرياء وإضافة العمل إلى النفس ، والثالث الشرك الخفي وهو الشهوة الخفية ، وهو أن يخفي العمل ويخاف من إظهار ويحب لو اطلع عليه ومدح بأسراره ، ومن أحسن العون على الإخلاص الحياء من الله أن تتزين لغيره بعمل إلهمك إياه وقواك عليه وخلت فيه وزعمت تطلب التقرب إليه فأتاك عدوه إبليس الذي عاداه فيك فتطيعه فيما يضرك ولا ينفعك ، فاستعن على عبادتك بالستر فاستر حسناتك كما تستر سيئاتك ، فإن عمل السر يزيد على عمل العلانية سبعين ضعفا ، وذلك كالشجرة إذا ظهرت عروقها ضعف شربها ، وأضر بها حرارة الهواء وبرده ، وتعرضت للآفات من قطع ويبس وغير ذلك ولم تحسن فروعها وخف ورقها فقل نفعها ، وإذا غاصت عروقها غابت عن الآفات وأمنت القطع من أيدي الناس ، فكثر شربها فجرى ماؤها فيها ، فتزايدت لذلك فروعها واخضر ورقها وكثر خيرها وطاب ثمرها لجانيها ، فكذلك العمل إذا كانت له أصول في القلب مستورة زكا في نفسه وطهر من الأدناس وكثر خيره وطاب ثوابه لعامله ، وإذا بدا لم يؤمن عليه من أبصار الناظرين ، وإذا خفي لم يبق ما يخاف منه إلا العجب ومحبة أن يطلع عليه ، وهي

الشهوة الخفية ، ومن قولهم (من عرف الله بعد الضلالة وعرف الإخلاص بعد الرياء وأنزل الموت حق منزلته لم يغفل عن الموت والاستعداد له بما أمكنه) انتهى .." (١)

" صفحة رقم ٥٩٥

اتسق الابتداء فيها فيما كان من حرفين جمعهما مخرج بالأعلى ثم بالأدنى إشارة إلى أنه يكون لأهل هذا الدين بعد الظهور بطون كما كان في ألو الإسلام حيث حصر النبي (صلى الله عليه وسلم) وأقاربه في الشعب ، وذلك أيضا إشارة إلى أنه من تحلية الظاهر ينتقل إلى تصفية الباطن من زين ظاهره بجمع الأعمال الصالحة صحح الله باطنه **بالمراقبة** الخالصة الناصحة على أن في هذا التدلي بشرى بأن الحال الثاني يكون أعلى من الأول ، كما كان عند الظهور من الشعب بما حصل من نقض الصحيفة الظالمة الذي كان الضيق سببا له ، لأن الثاني من مراتب هذه الحروف أقوى صفة مما هو أعلى منه مخرجا ، فإن الحاء له من الصفات الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والميم له من الصفات والجهر والشدة والانفتاح والاستفال وبين الشدة والرخاوة ، والعين لها من الصفات ما للميم سواء ، والسين لها من الصفات ما للحاء ، وتزيد بالصفير ، والقاف له من الصفات الجهر والشدة والانفتاح والاستعلاء والقلقلة فالحرف الأول أكثر صفاته الضعف ، ويزيد بالإمالة التي قرأ بها كثر من القراء ، والثاني والثالث على السواء ، وهما إلى القوة أرجح قليلا ، وذلك كما تقدم من وسط الحال عند الخروج من الشعب ، والرابع فيه قوة وضعف وضعفه أكثر ، فإن فيه للضعف ثلاث صفات وللقوة صفتين ، وذلك كما كان حال النبي (صلى الله عليه وسلم) عند آخر أمره بمكة المشرفة حين مات الوزيران خديجة رضي الله عنها وأبو طالب لكن ربما كانت الصفتان القويتان عاليتين على الصفات الضعيفة بما فيهما بالانتشار بالصفير والجمع الذي مضت الإشارة إليه من الإشارة إلى ضخامة تكون باجتماع أنصار كما وقع من بيعة الأنصار ، والخامس وهو الأخير كله قوة كما وقع بعد الهجرة عند اجتماع الكلمة وظهور العظمة ، كما قال (صلى الله عليه وسلم) : (فلما هاجرنا انتصفنا من القوم وكانت سجال الحرب بيننا وبينهم) ثم تكاملت القوة عند تكامل الاجتماع بعد قتال أهل الردة بعد موته (صلى الله عليه وسلم) لا جرم انتشر أهل هذا الدين في الأرض يمينا وشمالا ، فما قام لهم مخالف ، ولا وافقهم أمه من الأمم على ضعف حالهم وقلتهم وقوة غيرهم وكثرتهم إلا دمروا عليهم فجعلوهم كأمس الدار ، وقد جمعت هذه الحروف كما مضى وصفي المجهورة والمهموسة كانت المجهورة

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤١٥/٦

أغلبها إشارة إلى ظهور هذا الدين على كل دين كما حققه شاهد الوجود ، وصنفي المنقطوطة والعاطلة ، وكانت كلها عاطلة إلا حرفا واحدا ، إشارة إلى أن أحسن أحوال المؤمن أن يكون أغلب أحواله لا يرى له صفة من الصفات بل يعد في زمرة الأموات وإلى أن المتحلي بالأعمال الصالحة الخالصة من أهل القلوب من أرباب هذا الدين قليل جدا ، وكان المنقوط آخرها إشارة إلى أن نهاية المراتب عند أهل الحق." [١]

" صفحة رقم ٦٠١

الشورى : (٦ - ٩) والذين اتخذوا من. .. . .

) والذين اتخذوا من دونه أوليآء الله حفيظ عليهم ومآ أنت عليهم بوكيل وكذلك أوحينآ إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ولو شآء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشآء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير أم اتخذوا من دونه أوليآء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير (( )

ولما كان التقدير : فالذين تولوه وماتوا في ولا يته فهو يغفر ذنوبهم بمعنى أنه يزيلها عينا وأثرا ، عطف عليه قوله : (والذين اتخذوا) أي عالجوا فطرهم الأولى وعقولهم حتى أخذوا) من دونه) أي من أدنى رتبة من رتبته) أولياء (يعبدونهم كالأصنام وكل من ابتع هواه في شيء من الأشياء ، فقد اتخذ الشيطان الآمر له بذلك وليا من دون الله بمخالفة أمره .

ولما كان ما فعلوه عظيم البشاعة ، اشتد التشوف إلى جزائهم عليه فأخبر عنه سبحانه بقوله معبرا بالاسم الأعظم إشارة إلى وضوح ضلالهم وعظم تهديدهم معريا له عن الفاء لئلا يتوهم أن الحفظ مسبب عن الاتخاذ المذكور عادلا إلى التعبير بالجلالة تعظيما لما في الشرك من الظلم وتغليظا لما يستحق فاعله من الزجر : (الله) أي المحيط بصفات الكمال) حفيظ عليهم) أي رقيب وراع وشهيد على اعمالهم ، لا يغيب عنه شيء من أحوالهم ، فهو إن شاء أبقاهم على كفرهم وجازاهم عليه بما أعده للكافرين ، وإن شاء تاب عليهم ومحا ذلك عينا وأثرا ، فلم يعاقبهم ولم يعاتبهم ، وإن شاء محاه عينا وأبقى الأثر حتى يعاتبهم) وما أنت عليهم بوكيل) أي حتى يلزمك أن تراعي جميع أحوالهم من أقوالهم وأفعالهم ، فتحفظها وتقسرهم على تركها ونحو ذلك مما يتولاه الوكيل مما يقوم فيه مقام الموكل سواء قالوا) لا تسمعوا لهذا القرآن (أو قالوا) قلوبنا في أكنة (أو غير ذلك .

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٩٥/٦

ولما كان الإيحاء السابق أول السورة للبشرى لأنها المقصود بالذات وكانت البشرى مقتضية تلويحا ورمزا بالأحرف المقطعة لاجتماع أهل الدين وغلبتهم على سائر الأديان وأن دينهم يعم سائر الأمم ويحيط بجميع الخلق ، ولا يريد أحد بأهله سوءا إلا كان له فيه رفعة كما مضى بيانه ، وكانت رمزا لأن المقام للانذار بما تشهد به السورة الماضية ، وكان المراد بها التكرار حتى لا تزال لذاذتها في أذن المبشر وحلاوتها في قلبه ، ذكرها بلفظ المضارع الدال على التجدد والتكرار والحدوث والاستمرار ، وكان المتعنت ربما حمله على الوعد بالإيحاء في المستقبل ، وكان العاقل يكفيه في النذرى." (١)

" صفحة رقم ٦٣٩

الكمال الاتحاد في الأفعال ، فقال معبرا بالاسمية حثا على أن جعلوا ذلك لهم خلقا ثابتا لا ينفك : (وأمرهم) أي كل ما ينوبهم مما يحوجهم إلى تدبير) شورى) أي يتشاورون فيه مشاورة عظيمة مبالغين مما لهم من قوة الباطن وصفائه في الإخلاص والنصح ، من الشور وهو العرض والإظهار) بينهم) أي بحيث إنهم لا فرق في حال المشاورة بين كبير منهم وصغير بل كل منهم وصغير بل كل منها يصغي إلى الآخر وينظر في حصته وسقمه بتنزيله على أصول الشرع وفروعه ، فلا يستبدل أحد منهم برأي لدوام اتهامه لرأيه لتحققه نقصه بما له من غزارة العلم وصفاء الفهم ولا يعجلون في شيء بل صار التأبي لهم خلقا ، وسوق المشورة هذا السياق دال على عظيم جدواها وجلالة نفعها قال الحسن رحمه الله : ما تساور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم – على أنه روى الطبراني في الصغير والأوسط لكن بسند ضعيف عن أنس رضي الله عنه أن االنبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد) وروى في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (من أراد أمرا فشاور فيه أمرأ مسلما وفقه الله لأرشد أمره) .

ولما كانت المواساة بالأموال بعد الاتحاد في الأقوال والافتاق في الأفعال أعظم جامع على محاسن الخلال ، واظهر دال على ما ادعى من الاتحاد في الحال والمال قال مسهلا عليهم أمرها بأنه لا مدخل لهم في الحقيقة في تحصيلها راضيا منهم باليسير منها : (ومما (ولفت القول إلى مظهر العظمة تذكيرا بما يتعارفونه بينهم من أنه لا مطمع في التقرب من العظماء إلا بالهدايا فقال : (رزقناهم) أي بعظمتنا من غير حول منهم ولا قوة) ينفقون) أي يديمون الإنفاق كرما منهم وإن قل ما بأيديهم اعتمادا على فضل الله سبحانه

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٠١/٦

وتعالى لا يقبضون أيديهم كالمنافقين ، وذلك الإنفاق على حسب ما حددناه لهم فواسوا بالمشورة في فضل عقولهم وبالإنفاق في فضل أموالهم تقوى منهم ومراقبة الله لا شهوة نفس .
ولما كان في العقوبة مصلحة ومفسدة فندب سبحانه غلى المغفرة تقديما لدرء المفسدة لأن الإنسان لعدم علمه بالقلوب لا يصح له بوجه أن يعاقب بمجرد الغضب." (١)

" صفحة رقم ١٢

وحده لخروج قوته من بين ما نعالجة ونعانيه عن طاقتنابكل اعتبار ولامكافئين في القوة غالبين ضابطين ، مطيقين من أقرن الأمر : أطاقه وقوي عليه فصار بحث يقرنه بما شاء .
الزخرف : (١٤ - ١٨) وإنا إلى ربنا. .. . .
) وإنآ إلى ربنا لمنقلبون وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين (( )
ولما كان كل راكب شيئا من هذين الصنفين مستحضرا كل حين أنه ينقل بطن شقة أسفاره إلى محل قراره ، ذكرهم سبحانه بذلك أن ظهر هذه الأرض لهم مثل ظهور السفن والدواب يسبحون بها في لجج أمواج الزمان وتصاريف الحدثان ، هم على ظهرها مسافرون ، ولكنهم لطول الإلف عنه غافلون ، وقليلا ما يذكرون ، وأنهم على خطر فيما صاروا إليه من ظهور هذه الأشياء يوشك أن يكون سبب موتهم ومثير هلكهم وقتهم ، فقال عاطفا على ما تقديره : فمن ربنا كان ابتداؤنا لا نعلم شيئا ولا نقدر على شيء ، والآن نحن متى شئنا ساكنون ، ومهما أردنا منتشرون) وإنا إلى ربنا (المحسن إلينا بالبداءة والإقرار على هذه التنقلات على هذه المراكيب لا إلى غيره) لمنقلبون) أي لصائرون ومتوجهون وسائرون بالموت وما بعده إلى الدار الآخرة انقلابا لا إياب معه إلى هذه الدار ، فالآية منبهة بالسير الدنيوي على السير الأخروي ، وأكد لأجل إنكارهم للبعث حتى لا يزالوا مراقبين للمنعم عليهم ، ويجوز أن يكون المعنى أنه لما أمرهم بالمراقبة على نعمة الركوب ، عبر بالانقلاب تذكيرا بنعمته عليهم في حال الدعة والسكون قبل الانقلاب وبعده ، أي وإنا بعد رجوعنا إلى نعمة ربنا لمنقلبون أي وإنا في نعمة في كل حال ، روى أحمد وأبو داود والترمذي - وقال : حسن صحيح - والنسائي عن علي رضي الله عنه أنه وضع رجله في الركاب وقال : بسم الله ، فملا

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٣٩/٦

استوى على الدابة قال : الحمد لله الذي سخر لنا هذا – الآية ، ثم حمد الله ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال : سبحانك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي ، ثم شحك ، وأخبر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) فعل مثله ، وقال : (يعجب الرب من عبده إذا قال : رب اغفر لي ويقول : علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري) روى أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أردفه على دابة ، فلما استوى عليها كبر ثلاثا وحمد الله ثلاثا وسبح ثلاثا وهلل الله واحدة." (١)

" صفحة رقم ٨٧

) لعلهم يتذكرون) أي ليكونوا عند من يراهم وهو عارف بلسانهم ممن شأنه كشأنهم على رجاء من أن يتذكروا أن هذا القرآن شاهد بإعجازه بصحة ما فيه من التوحيد والرسالة وغيرهما مما سبق إليك وجلى عليك وإلا لقدروا هم وهم أفصح الناس على معارضة شيء منه فيتذكروا ما غفلوا عنه من أنه عزيز بإهلاكه الجبابرة ، وأنه حكيم بنصبه الآيات لأنبيائه وتأييدهم بالمعجزات ، ومن أن الكبير منهم لا يرضى أن يطعن أحد في كبريائه ولا أن يترك من له عليه حكم وهو تحت قهره أن يبغي بعضهم على بعض ثم لا ينصر المظلوم منهم على ظالمه ويأخذ بيده حتى لا يستوي المحسن بالمسيء ، فإذا تذكروا ذلك مع ما يعرفون من قدرة الملك وكبريائه وحكمته علموا قطعا أنه لا بد من البعث للتمييز بين أهل الصلاح والفساد ، والفصل بين جميع العباد ، فتسبب عن ذلك قوله : (فارتقب) أي ما رجيتك به من تذكرهم الستلزم لهدايتهم . ولما كانوا يظهرون تجلدا ولددا أنهم لا يعبؤون بشيء من القرآن ولا غيره مما يأتي به ولا يعدون شيئا منه آية ، أخبر عما يبطنون من خوفهم وانتظارهم لجميع ما يهددهم به مؤكدا لأجل ظن من حمل تجلدهم على أنه جلد فقال : (إنهم (وزاد الأمر بالإخبار بالاسم الدال على الثبات والدوام فقال : (مرتقبون) أي تكليفهم أنفسهم المراقبة وإجهادهم أفكارهم في ذلك دائم لا يزايلهم بل قد قطع قلوبهم وملأ صدورهم ، فقد انطبق آخر السورة على أولها ، بل وعلى المراد من مجملها ومفصلها ، بذكر الكتاب والأرتقاب لأنواع العذاب – والله الهادي إلى الصواب ، إنه الكريم الوهاب .

.. .." (٢)

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٢/٧

(٢) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٨٧/٧

"صفحة رقم ٢٢٠

سورة الحجرات

مقصودها الإرشاد إلى مكارم الأخلاق بتوقير النبي (صلى الله عليه وسلم) بالأدب معه في نفسه وفي أمته ، وحفظ ذلك من إجلاله بالظاهر ليكون دليلا على الباطن فيسمى إيمانا ، كما أن الإيمان بالله يشترط فيه فعل الأعمال الظاهرة والإذعان لفعلها بشرائطها وأركانها وحدودها لتكون بينة على الباطن وحجة شاهدة له) الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) [العنكبوت : ٢] فحاصل مقصودها مراقبة النبي (صلى الله عليه وسلم) في الأدب مغعه لأتها أول المفصل الذي هو ملخص القرآن كما كان مقصود الفاتحة التي هي أول القرآن مراقبة الله ، وابتدئ ثاني المفصل بحرف منن الحروف المقطعة كما ابتدئ ثاني ما عداه بالحروف المقطعة ، واسمها الحجرات واضح الدلالة على ذلك بما دلت عليه آيته) بسم الله (الملك الجبار المتكبر الذي من أخل بتعظيم رسوله (صلى الله عليه وسلم) لم يرض عنه عملا) الرحمن (الذي من عموم رحمته إقامة الآداب للتوصل إلى حسن المآب) الرحيم (الذي خص أولي الألباب الإقبال على ما يوجب لهم جميل الثواب .

الحجرات : (١ - ٣) يا أيها الذين. .. . . .

) يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم (( )

ولما نوه سبحانه في القتال بذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) في ابتدائها باسمه الشريق وسمى السورة به ، وملأ سورة محمد بتعظيمه ، وختمها باسمه ، ومدح أتباعه لأجله ، افتتح هذه باشتراط الأدب معه في القول والفعل للعد من حزبه والفوز بقربه ، ومدار ذلك معالي الأخلاق ، وهي إما مع الله سبحانه وتعالى أو مع رسوله (صلى الله عليه وسلم) أو مع غيرهما وإن كان كل قسم لا يخلو عن لحظة الآخر ، وغيرهما إما أن يكون داخلا مع المؤمنين." (١)

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٢٠/٧

يخل باعتقادهم إياه فقال : (بل هم في لبس) أي خلط شديد وشبهة موجبة للتكلم بكلام مختلط لا يعقل له معنى بل السكوت عنه أجمل ، قال علي رضي الله عنه : يا جار ، إنه لملبوس عليك ، اعرف بالحق تعرف أهله .
ولبس الشيطان عليهم تسويله لهم أن البعث خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح والحكم بطريقة الأولى) من (أجل) خلق جديد) أي الإعادة .
ولما ذكر خلق الخافقين ، أتبعه خلق ما هو جامع لجميع ما هو فيها فقال : (ولقد) أي والحال أنا قد) خلقنا (بما لنا من العظمة) الانسان (وهو أعجب خلقا وأجمع من جميع ما مضى ذكره بما فيه من الأنس والطغيان ، والذكر والنسيان ، والجهل والعرفان ، والطاعة والعصيان ، وغير ذلك من عجيب الشأن ، ووكلنا به من جنودنا من يحفظه فيضبط حركاته وسكناته وجميع أحواله) ونعلم) أي والحال أننا نعلم بما لنا من الإحاطة) ما توسوس) أي تكلم عرى وجه الخفاء ،) به (الآن وفيما بعد ذلك مما لم ينقدح بعد من خزائن الغيب إلى سر النفس كما علمنا ما تكلم) نفسه (وهي الخواطر التي تعترض له حتى أنه هو ربما عجز عن ضبطها ، فنحن نعلم أن قلوبهم عالمة بقدرتنا على أكمل ما نريد وبصحة القرآن وإعجازه وصدق الرسول به (صلى الله عليه وسلم) وامتيازه ، وإنما حملهم الحسد والنفاسة والكبر والرئاسة على الإنكار باللسان حتى صار ذلك لهم خلقا وتمادوا يه حتى غطى على عقولهم ، فصاروا في لبس محيط بهم من جميع الجوانب .
ولما كان العالم بالشيء كلما كان قريبا منه كان علمه به أثبت وأمكن ، قال ممثلا لعلمه ومصورا له بما نعلم أنه موجبه : (ونحن (بما لنا من العظمة) أقرب إليه (قرب علم وشهود من غير مسافة) من حبل الوريد (لأن أبعاضه وأجزاءه تحجب بعضها بعضا ، ولا يحجب علم الله شيء ، والمراد به الجنس ، والوريدان عرقان كالحبلين مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلات من الرأس إلى الوتين وهو عرق القلب ، وهذا مثل في فرط القرب ، وإضافته مثل مسجد الجامع ، وقد مضى في تفسري سورة المائدة عند قوله)) والله يعصمك من الناس ( ) [المائدة : ٦٧] ما ينفع هنا ، قال القشيري : وفي هذه الآية هيبة وفزع وخوف لقوم ، وروح وأنس وسكون قلب لقوم .
ق : (١٧ - ١٩) إذ يتلقى المتلقيان. .. . .
) إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة

الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (( )

ولما كان سبحانه قد وكل بنا حفظة تحفظ أعمالنا وتضبط أقوالنا وأحوالنا ، فكان المعروف لنا أن سبب الاستحفاظ خوف الغفلة والنسيان ، قدم سبحانه الإخبار بكمال علمه فأمن ذلك المحذور ، علق بأقرب أو نعلم قوله تأكيدا لما علم من إحاطة علمه من." (١)

" صفحة رقم ٢٥٦

عدم حاجته ، وتخويفا بما هو أقرب إلى مألوفتنا) إذ) أي حين) يتلقى) أي بغاية الاجتهاد والمراقبة والمراعاة من كل إنسان خلقناه وأبرزناه إلى هذا الوجود) المتلقيان (وما أدراك ما هما ؟ ملكان عظيمان حال كونهما) عن اليمين (لكل إنسان قعيد منهما) وعن الشمال (كذلك) قعيد) أي رصد وحبس مقاعد لذلك الإنسان بأبلغ المقاعدة ونحن أقرب منهما وأعلم علما ، وإنما استحفظناهما لإقامة الحجة بهما على مجاري عاداتكم وغير ذلك من الحكم .

ولما كانت الأفعال اللسانية والقلبية والبدنية ناشئة عن كلام النفس ، فكان الكلام جامعا ، قال مبينا لإحاطة علمه بإحاطة من أقامه لحفظ هذا الخلق الجامع في جواب من كأنه قال : ما يفعل المتلقيان : (ما يلفظ) أي يرمي ويخرج المكلف من فيه ، وعم في النفي بقوله : (من قول) أي مما تقدم النهي عنه في الحجرات من الغيبة وما قبلها وغير ذلك قل أو جل) إلا لديه) أي الإنسان أو القول على هيئة من القدرة والعظمة هي من أغرب المستغرب) رقيب (من حفظتنا شديد المراعاة له في كل من أحواله) عتيد) أي حاضر مراقب غير غافل بوجه ، روى البغوي بسنده من طريق الثعلبي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (كاتب الحسنات على يمين الرجل ، وكاتب السيئات على يسار الرجل ، وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات ، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا ، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال : دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر) .

ولما كان مثل إرسال الخافقين ثم الموت ثم النفخ بإرسال الملك في الدنيا إلى الناس لعرضهم فيصير الإنسان منهم ساعيا في التزين للملك بما يعجبه في مقصود ذلك العرض في الأجل الذي ضربه لهم ، فإذا جاء ذلك الوقت الذي هو كالموت أخذته الرسل فباءوا به كما يفعل حال الموت بالميت ومن أحضروه منهم حبسوه على باب الملك لتكامل المعروضين ، فإذا كمل جمعهم وأمر بقيامهم للعرض زعق لهم المنادي

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٥٥/٧

بالبوق الذي يسمى النفير وهو كالصور ، فلهذا قال تعالى مبينا لإحاطة قدرته بجميع خلقه عاطفا على ما تقديره : فاضطرب ذلك الإنسان الموكل به في الوقت المأمور بالتردد فيه بما يرضي الله بالقول والفعل على حسبت إرادته سبحانه سواء كان موافقا للأمر أو مخالفا إلى أن أوان الرحيل معبرا بالماضي تنبيها على أن الموت مع أنه لا بد منه قريب جدا : (وجاءت) أي أتت وحضرت) سكرة الموت) أي حالته عند النزع." (١)

" صفحة رقم ٣٩٣

أي ولكل من ، ووحد الضمير مراعاة للفظ) من (إشارة إلى قلة الخائفين) خاف) أي من الثقلين .

ولما كان ذكر الخوف من الزمان المضروب للحساب والتدبير والمكان المعد لهما أبلغ من ذكر الخوف من الملك المحاسب المدبر ، والخوف مع ذكر وصف الإكرام أبلغ من ذكر الخوف عند ذكر أوصاف الجلال ، قال دالا بذلك على أن المذكور رأس الخائفين : (مقام ربه) أي مكان قيامه الذي يقيمه وغيره فيه المحسن إليه للحكم وزمانه الذي ضربه له وقيامه عليه وعلى غيره بالتدبير ، فهو رقيب عليه وعليهم ، فكيف إذا ذكر مقام المنتقم الجبار المتكبر فترك لهذا ما يغضبه وفعل ما يرضيه) جنتان (عن يمين وشمال ، واحدة للعلم والعقل وأخرى للعلم ، ويمكن أن يراد بالتثنية المبالغة إفهاما لأنهما جنان متكررة ومتكثرة مثل

٧٧ ( ) ألقيا في جهنم كل كفار عنيد ( ) ٧

[ق : ٢٤] ونحو ذلك .

ولما كانت هذه نعمة جامعة ، سبب عنها قوله : (فبأي آلاء ربكما) أي نعم المربي لكما والمحسن إليكم بإحسانه الكبار التي لا يقدر غيره على شيء منها) تكذبان (أبنعمة الشم من اليسار المنبعثة من القلب أو غيرها من تربة جنان الدنيا بنفس جهنم من حر الشمس وحرورها ، فجعل من ذلك جميع الفواكه والزروع إلى غير ذلك من المرافق التي طبخها بها

٧٧ ( ) وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ( ) ٧

[يوسف : ١٠٥] وغير ذلك من نعمه التي لا تحصى .

ولما كانت البساتين لا يكمل مدحها إلا بكثرة الأنواع والألوان والفروع المشتبكة والأغصان ، قال واصفا

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٥٦/٧

لهما : (ذواتا) أي صاحبتا برد عين الكلمة فإن أصلها (ذوو)) أفنان) أي جميع فن يتنوع فيه الثمار ، وفنن وهو الغصن المستقيم طولا الذي تكون به الزينة بالورق والثمر وكمال الانتفاع ، قال عطاء : في كل غصن فنون من الفاكهة ؛ ولهذا سبب عنه قوله : (فبأي آلاء ربكما) أي المربي لكما والمحسن إليكما) تكذبان (أبنعمة الشم من جهة الفوق أو غيرها مما ذكره لكم من وصف الجنة الذي جعل لكم من أمثاله ما تعتبرون به .

ولما كانت الجنان لا تقوم إلا بالأنهار قال : (فيهما عينان) أي في كل واحدة عين) تجريان) أي في كل مكان شاء صاحبهما وإن علا مكانه كما تصعد المياه في الأشجار في كل غصن منها ، وإن زاد علوها جرى على عيني دموعه الجاريتين من خشية الله وذلك على مثال جنان الدنيا ، والشمس صاعدة في البروج الشمالية من تكامل المياه وتفجرها عيونا في أيام الربيع والصيف لقرب العهد بالأمطار) فبأي آلاء ربكما (أي." (١)

" صفحة رقم ٤٢٤

ولما كان الكلام السابق في الماء الذي جعله سبحانه مجمعا للنعيم الدنيوية الظاهرة وقد رتب سبحانه لإنزاله الأنواء على منهاج دبره وقانون أحكمه ، وجعل إنزال القرآن نجوما مفرقة وبوارق متلالئة متألقة قال : (بمواقع النجوم) أي بمساقط الطوائف القرآنية المنيرة النافعة المحيية للقلوب ، وبهبوطها الذي ينبني عليه ما ينبني من الآثار الجليلة وأزمان ذلك وأماكنه وأحواله ، وبمساقط الكوكب وأنوائها وأماكن ذلك وأزمانه في تدبيره على ما ترون من الصنع المحكم والفعل المتقن المقوم ، الدال بغروب الكواكب على القدرة على الطي بعد النشر والإعدام بعد الإيجاد ، وبطلوعها الذي يشاهد أنها ملجأة إليه إلجاء الساقط من علو إلى سفل لا يملك لنفسه شيئا ، لقدرته على الإيجاد بعد الإعدام ، وبآثار الأنواء على مثل ذلك بأوضح منه – إلى غير ذلك من الدلالات التي يضيق عنها العبارات ، ويقصر دون علينا مديد الإشارات ، ولمثل هذه المعاني الجليلة والخطوب العظيمة جعل في الكلام اعتراضا بين القسم وجوابه ، وفي الاعتراض اعتراضا بين الموصوف وصفته تأكيدا للكلام ، وهزا لنافذ الأفهام تنبيها على أن الأمر عظيم والخطب فادح جسيم ، فقال موضحا له بالتأكيد رحمة للعبيد بالإشارة إلى أنهم جروا على غر ما يعلمون من عظمتنا فعدوا غير عالمين : (وإنه) أي هذا القسم على هذا المنج) لقسم لو تعلمون) أي لو تجدد لكم في وقت علم

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٩٣/٧

لعلمتم أنه) عظيم (وإقسامه لنا على ذلك ونحن أقل قدرا وأضعف أمرا إعلاما بما له من الرحمة التي من عظمها أنه لا يتركنا سدى – كل ذلك ليصلح أنفسنا باتباع أمره والوقوف عند زجره ، قال ابن برجان : ومن إتقانه جل جلاله في خليقته وحكمه في بريته أن جعل لكل واقع من النجوم الفلكية طالعا يسمى بالإضافة إلى الواقع الرقيب دون تأخر ، وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى :

٧٧ ( ) رب المشرقين ورب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان ( ) ٧

[الرحمن : ١٨] يجمع ذلك الشمس والقمر والنجوم وهي نجوم منازل القمر عددها ثمانية وعشرون منزلة سوى تحجبها الشمس فتمت والنجوم وهي نجوم منازل القمر عددها ثمانية وعشرون وربما استتر ليلتين ، فالقمر ينزل في هذه المنازل كل ليلة منزلة حتى يتمها لتمام الشهر ، وإما الشمس فإنها تقيم فيها أربعة عشر يوما ويسمى حلولها في هذه المحال ثم طلوع المنزلة التي تليها لوقوع هذا رقيب لها نوء – انتهى ، وهو يعني أن من تأمل هذه الحكم علم ما في هذا القسم من العظم ، وأشبع القول فيها أبو الحكم ، وبين ما فيها من بدائع النعم ، ثم قال : ويفضل الله بفتح رحمته كما يشاء فينزل من السماء ماء مباركا يكسر به من برد الزمهرير فيرطبه ويبرد من حر السعير فيعدله ، وقسم السنة على أربعة فصول أتم فيها أمره في الأرض بركاتها وتقدير أقواتها ، قال

٧٧ ( ) وبارك فيها وقدر بها أقواتها في أربعة." (١)

" صفحة رقم ٤٨٧

تكبروا واغتروا على أولياء الله وشرائعه ، يهينهم ذلك العذاب ويذهب عزهم وشماختهم ويتركون به محادتهم .

ولما ذكر عذابهم ، ذكر وقته على وجه مقرر لما مضى من شمول علمه وكمال قدرته فقال : (يوم يبعثهم الله) أي يكون ذلك في وقت إعادة الملك الأعظم للكافرين المصرح بهم والمؤمنين المشار إليه أحياء كما كانوا) جميعا (في حال كونهم مجتمعين في البعث .

ولمان كان لا أوجع من التبكيت بحرضة بعض الناس فكيف إذا كان وعقب قوله : (فينبئهم) أي يخبرهم إخبارا عظيما مستقصى) بما عملوا (إخزاء لهم وإقامة للحجة عليهم .

ولما كان ضبط لك أمرا عظيما ، استأنف قوله بيانا لهوانه عليه : (أحصاه الله) أي أحاط به عددا كما

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٧/٤٢٤

وكيفا وزمانا ومكانا بما له من صفات الجلال والجمال .

ولم ذكر إحصاءه له ، فكان ربما ظن أنه مما يمكن في العادة إحصاؤه ، نفى ذلك بقوله : (ونسوه) أي كلهم مجتمعين لخروجه عن الحد في الكثرة فكيف بكل واحد على انفراده ونسوا ما فيه المعاصي تهاونا بها ، وذلك عين التهاون بالله والاجتراء عليه ، قال القشيري : إذا حوسب أحد في القيامة على عمل عمله تصور له ما فعله ثم يذكر حتى كأنه في تلك الحالة قام من بساط الزلة فيقع عليه من الخجل والندم ما ينسى في جنبه كل عقوبة ، فسبيل المسلم أن لا يخالف أمر مولاه ولا يحوم حوله مخالفة أمره ، فإن جرى المقدور ووقع في هجنة التقصير فليكن من زلته على بال ، وليتضرع إلى الله بحسن الابتهال .

ولما كان التقدير بما أرشد إليه العطف على غير مذكور : فالله بكل شيء من ذلك وغيره عليم ، عطف عليه قوله : (والله) أي بما له من القدرة الشاملة والعلم المحيط) على كل شيء (على الإطلاق من غير مثنوية أصلا) شهيد) أي حفيظ حاضر لا يغيب ، ورقيب لا يفعل ، حفظه له ورقبه وحضوره إياه مستعل عليه قاهر له بإحاطة قهره بكل شيء ليمكن حفظه له على أتم وجه يريده .

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير : لما نزه سبحانه نفسه عن تقول الملحدين ، وأعلم أن العالم بأسره ينزهه عن ذلك بألسنة أحوالهم لشهادة العوالم على أنفسها بافتقارها لحكيم أوجدها ، لا يمكن أن يشبه شيئا منها بل يتنزه من أوصافها ويتقدس عن سماتها ، فقال

٧٧ ( ) سبح لله ما في السماوات والأرض ( ) ٧

[الحديد : ١] ومضت أي تعرف بعظيم سلطانه وعلي ملكه ، ثم انصرف الخطاب إلى عباده في قوله :

٧٧ ( ) آمنوا بالله ورسوله ( ) ٧." (١)

" صفحة رقم ٩

سواء كان صاحب الصدر قد علمها أو لا ، وعلمه لكل ذلك على حد سواء لا تفاوت فيه بين علم الخفي وعلم الجلي ، لأن نسبة المقتضي لعلمه وهو وجود ذاته على ما هي عليه من صفات الكمال إلى الكل على حد سواء ، فراقبوه في الإخراص وغيره مراقبة من يعلم أنه بعينه لا يغيب عنه واحذروا أن يخالف السر العلانية ، فإن حقه أن يتقي ويحذر ، وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وتقديم تقرير القدرة على تقريره لأن دلالة المخلوقات على قدرته أولا وبالذات ، وكمال قدرته يستلزم كمال علمه لأن من لا يكمل علمه

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٨٧/٧

لا تتم قدرته ، فلا يأتي مصنوعه محكما .
ولما تقرر الإيمان به من أنه الملك الذي له وحده الملك ، وأشار بما يشاهد من انقسام عبيده إلى مؤمن وكافر إلى أنه لا من الأخذ على يد الظالم منهما كما هي عادة الملوك ، لا يسوغ في الحكمة ولا في العادة غير ذلك ، وأخبر أن علمه محيط لنسبته إلى العلويات والسفليات والظواهر والبواطن على حد سواء ، أتبع ذلك وجوب الإيمان برسله لجمع الكلمة عليه سبحانه لنكمل الحياة بإصلاح ذات البين يقع الخلاف فتفسد الحياة ووجوب الاعتبار لمن مضى من أممهم ، فمن لم يعتبر عثر على مهواه من الأمل ، ودل عليه بإهلاكه من خالفهم إهلاكا منسقا في خرقه للعادة وخصوصه لهم على وجه مقرر ما مضى من انفراده بالملك معلم أن الكفرة هم المبطلون فقال : (ألم يأتكم) أي أيها الناس ولا سيما الكفار لتعلموا أنه شامل العلم محيط القدرة ينتقم من المسيء) نبؤوا الذين (وعبر بما يشمل شديد الكفر وضعيفه فقال : (كفروا) أي خبرهم العظيم .
ولما كان المهلكون على ذلك الوجه بعض الكفار وهم الذين أرسل إليهم الرسل ، فلم يستغرقوا ما مضى من الزمان قال : (من قبل (كالقرون المذكورين في الأعراف ، ثم سبب عن كفرهم وعقب قوله : (فذاقوا) أي باشروا مباشرة الذائق بالعدل الثاني كما كانوا فيه مما يستحق أن يشاور فيه ويؤمر وينهى وثقله ووخامة مرعاه في الدنيا ، وأصله الثقل كيفما قلب) ولهم) أي مع ما ذاقوه بسببه في الدني) عذاب أليم (في البرزخ ثم القيامة التي هي موضع الفصل الأعظم .
التغابن : (٦ - ٧) ذلك بأنه كانت. .. . .
) ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير (( )
ولما ذكر ما أحله بهم سبحانه وأشار إلى القطع بأنه من عنده باتساقه في خرقه العوائد بالاستئصال والخصوص لمن كذب الرسل والتنجية لمن صدقهم ، علله بقوله :." (١)
" صفحة رقم ١٥
الخلاص منه قلل من خوف داخله ، وكان التعبير بالصحبة مشعرا بالدوام المقطع للقلوب لأنه مؤيس من الخلاص ، أكده بقوله : (خالدين فيها (وزاد في الإرهاب منها بقوله مشيرا إلى مضار القلب بعد ذكر

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٩/٨

مضار القالب : (وبئس المصير) أي جمعت المذام كلها الصيرورة إليها وبقعتها التي للصيرورة إليها ، فكيف بكونها على وجه الإقامة زمنا طويلا فكيف إذا كان على وجه الخلود .

التغابن : (١١ - ١٤) ما أصاب من. .. . .

) مآ أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم (( )

ولما كان من تعرفه من المرغبي والمرهبين لا يفعل ذلك إلا فيما ليس قادرا على حفظه وضطبه حتى لا يحتاج العامل في عمل ذلك إلى رقيب يحفظه ووكيل يلزمه ذلك العمل ويضطبه ، وكان قول المنافقين المتقدم في الإنفاق والإخراج من المصائب ، وكانت المصائب تطيب إذا كانت من الحبيب ، قال جوابا لمن يتوهم عدم القدرة متمما ما مضى من خلال الأعمال بالإيمان بالقدر خيره وشره ، مرغبا في التسليم مرهبا من الجزع قاصرا الفعل ليعم كل مفعول : (ما أصاب) أي أحدا يمكن المصائب أن تتوجه إليه ، وذكر الفعل إشارة إلى القوة ، وأعرق في النفي بقوله : (من مصيبة (أي مصيبة كانت دينية أو دنيوية من كفر أو غيره) إلا بإذن الله) أي يوجد باعثا على أول ركني الإسلام وهو صلاح القوة العلمية : (ومن يؤمن بالله) أي يوجد الإيمان في وقت من الأوقات ويجدده بشهاد إن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله بسبب الملك الأعظم وتقديره وإذنه) يهد قلبه) أي يزده هداية بما يجدده له من التوفيق في كل وقت حتى يرسخ إيمانه فتنزاح عنه كل مصيبة ، فإنه يتذكر أنها من الله وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن لصيبه فيسلم بقضائه فيصبر له ويفعل ويقول بل يحصل له بسببها عدة أرباح وفوائد ، فتكون حيانه طيبة بالعافية الشاملة في الدينيات." (١)

" صفحة رقم ٤٢

وأعظمهم صوابا ، مع المنافع التي تفضل عن سكانها ، والمرافق التي تنزه الخالق بآثارها وأعيانها ، وتوقظ الغافل وتنبه الجاهل وتدمغ المعاند ببرهانها ، فإنه لا يسع أحدا المنازعة في خلقه لها ، ومن خلقها قدر على تدبيرهاعلى الوجه المذكور ، ومن كان كذلك كان منزها عن الشريك قطعا ، ومن كان كذلك قدر على كل شيء فلذا قال : (أن الله) أي الملك الأعلى الذي له الإحاطة كلها) على كل شيء) أي من غير

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ١٥/٨

هذا العالم ممكن أن يدخل تحت المشيئة فإنه بمعنى مفعول من عالم آخر مثل هذا العالم ، وأبدع منه وأبدع من ذلك الإبداع إلى ما لا نهاية له بالاستدلال بهذا العالم ، فإن من قدر على إيجاد ذرة من العدم قدر على إيجاد ما هو دونها ومثلها وفوقها إلى ما لا نهاية له لأنه لا فرق في ذلك بين قليل ولا كثير جليل أو حقير

٧٧ ( ) ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ( ) ٧

[الملك : ٣] وإياك ان تلتفت إلى من قال : إنه ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم ، فإنه مذهب فلسفي خبيث ، والآية نص على إبطاله وإن نسبه بعض الملحدين إلى الغزالي فإني لا أشك أنه مدسوس عليه فإنه مذهب فلسفي خبيث بشهادة الغزالي كما بينت ذلك في كتابي (تهديم الأركان على من قال ليس في الإمكان أبدع مما كان) وكتابي (دلالة البرهان على أن في الإمكان أبدع مما كان) وكتابي (إطباق الأغلال في أعناق الضلال) ومع كونه مذهب الفلاسفة أخذه أكفر المارقين ابن عربي وأودعه فصوصه وغير ذلك من كتبه واستند فيه في بعضها إلى الغزالي إتقانا لمكره – أعاذنا الله من شره ، والغزالي بريء منه بشهادة ما وجد من عقائده في الإحياء وغيره) قدير) أي بالغ القدرة .

ولما كانت إحاطة العلم دالة على تمام القدرة وإليهما يرجع جميع الأسماء والصفات قال : (قد أحاط (لتمام قدرته) بكل شيء (مطلقا ، ولما أسند الإحاطة إليه سبحانه تعظيما لها ، بين جهتها بتمييز محول عن الفاعل فقال : (علما (فله الخبرة التامة بما يأمر به نم الأحكام في العلم بمصالحه ومفاسده فعاملوه معاملة من يعلم إحاطة علمه فيعلم أنه رقيب عليه فإذا طلقتم فافعلوا ما أمركم به لتسلموا في الدين وتسعدوا في الآخرة والأولى ، ودبروا في جميع أموركم مثل ما دبر به أمركم في تربيتكم ومسكنكم أرضه وسقفه فإنه جعل فيه جميع ما تحتاجونه وبسطه نواله على من يرضيه ومن يسخطه ونشر حلمه وفضله وأخر بأسه وعدله فقد عائق أخرها أولها وبين مجملها ومفصلها والله يعلم بذات الصدور .

. . . ."(١)

" صفحة رقم ٧٥

الكبرياء وإزاره العظمة وتاجه الجلال وحلته الجمال ، ولا ينازعه فيما يدبره من الشرائع ، ويظهره من المعارف ، ويحكم به على عبيده من قضائه وقدره .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٢/٨

ولما كانت الخشية مشيرة إلى الذنوب ، فكان أهم ما إليهم الإراحة منها قال تعالى : (لهم مغفرة) أي سترة عظيمة تأتي على جميع ذنوبهم .

ولما كان السرور إنما يتم بالإعطاء قال : (وأجر) أي من فضل الله) كبير (يكون لهم به من الإكرام ما ينسيهم ما قاسوه في الدنيا من شدائد الآلام ، وتصغر في جنبه لذائذ الدنيا العظام .

ولما كانت الخشية من الأفعال الباطنة ، وكان كل أحد يدعي أنه يخشى الله ، قال مخوفا لهم بعلمه نادبا إلى مراقبته لئلا يغتروا بحمله ، عاطفا على ما تقديره لإيجاب **المراقبة** : فأبطنوا أفعالهم وأظهروها : (وأسروا) أي أيها الخلائق .

ولما كان إفراد الجنس دالا على قليله وكثيره قال : (قولكم) أي خيرا كان أو شرا (أو اجهروا به (فإنه يعلمه ويجازيكم به لأن علمه لا يحتاج إلى سبب ، وذلك أن المشركين كانوا يقولون : أسروا وإلا يسمع إله محمد : ثم علل ذلك مؤكدا لأجل ما للناس من استبعاد ذلك بقوله : (إنه) أي ربكم) عليم) أي بالغ العلم) بذات الصدور) أي بحقيقتها وكنهها وحالها وجبلتها وما يحدث عنها سواء كانت قد تخيلته ولم تعبر عنه ، أو كان مما لم تتخيله بعد بدليل ما يخبر به سبحانه وتعالى عنهم مما وقع وهم يخفونه ، أو لم يقع بعد ثم يقع كما أخبر به سبحانه ؛ ثم دل على ذلك بقوله معجبا ممن يتوقف فيه أدنى توقف ومنكرا عليهم بإثبات العلم ونفى ضده على أبلغ وجه : (ألا يعلم) أي وكل ما يمكن أن يعلم ، وحذف المفعول للتعميم ، ثم ذكر الفاعل واصفا له بما يقرب المخبر به للإفهام فقال : (من خلق) أي الذي أوجد الخلق من القلوب الحاوية للأسرار والأبدان وغير ذلك ، وطبع في كل شيء من ذلك ما طبع مما قدره بعلمه وأتقنه بحمته ، فإن كل صانع أدرى بما صنعه ، ويجوز – وهو أحسن – أن يكون (من) مفعولا والفاعل مستترا ، أي ألا يعلم الله مخلوقه على الإطلاق وله صفتا اللطف والخبر اللتان شأنهما إدراك البواطن إدراكا لا يكون مثله لأن الغرض إثبات العلم لما أخفوه لظنهم أنهم إذا أسروا يخفى ، لا إثبات مطلق العلم فإنهم لم ينكروه) وهو) أي والحال أنه هو) اللطيف) أي الذي يعلم ما بثه في القلوب لأنه يصل إلى الأشياء بأضدادها فكيف بغير ذلك) الخبير) أي بالغ العلم بالظواهر والبواطن فكيف يخفى عليه شيء من الأشياء ، وهو أعظم تهديد يكون ؛ فإن من علم أن من يعصيه عالما به وهو قادر عليه لا يعصيه أبدا .." (١)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٧٥/٨

" صفحة رقم ١٥٥

داء ، فقال مشيرا إلى حفظ أحوال الصلاة وأوصافها بعد ذكر الحفظ لذواتها وأعيانها تنبيها على شدة الاهتمام بها : (والذين هم (ولما وسط الضمير إشارة إلى الإقبال بجميع القلب قدم الصلة كما فعل بما قيل تأكيدا وإبلاغا في المراد إلى أقصى ما يمكن كما لا يخفى على ذي ضوق فقال : (على صلاتهم (من الفرض والنقل) يحافظون) أي يبالغون في حفظها ويجددونه حتى كأنهم يبادرونها الحفظ ويسابقونها فيه فيحفظونها لتحفظهم أو يسابقون غيرهم في حفظها لأوقاتها وشروطها وأركانها ومتمماتها في ظواهرها وبواطنها من الخضوع **والمراقبة** ، وغير ذلك من خلال الإحسان التي إذا فعلوها كانت ولا بد ناهية لفاعلها (أن الصلاة) الكاملة (تنهى عن الفحشاء والمنكر) فتحمل على جميع هذه الأوامر وتبعد عن أضدادها ، ولكون السياق هذا للتخلي عن الأوصاف الجارة إلى الكفر وحد الصلاة إشارة إلى أنه يكفي في ذلك الفرائض وإن كان الجاس يشمل ، وفي المؤمنون السياق لأهل الرسوخ في المحاسن ، فلذلك جمع بين النوعين : الإفراد في الأول لينصب بادئ بدئ إلى الفرائض ، والجمع في بعض القراءات ليفهم مع ذلك النوافل بأنواعها ، وفي فتح الأوصاف بالصلاة وختمها بها من بيان جلالتها وعظمتها أمر باهر .

ولما ذكر حلاهم أتبعه ما أعطاهم فقال مستأنفا ومستنتجا من غير فاء إشارة إلى أن رحمته هي التي أوصلتهم إلى ذلك من غير سبب منهم في الحقيقة : (أولئك) أي الذين هم في غاية العلو لمان لهم من هذه الأوصاف العالية ، وعبر بما يدل على أنه عجل جزاءهم سبحانه فقال : (في جنات) أي في الدنيا والآخرة ، أما في الآخرة فواضح ، وأما في الدنيا فلأنهم لما جاهدوا فيه بإتعاب أنفسهم في هذه الأوصاف حتى تخلقوا بها أعطاهم بمباشرتها لذاذات من أنس القرب وحلاوة المناجاة لا يساويها شيء أصلا ، والجنة محل اجتمع فيه جميع الراحات والمستلذات والسرور ، وانتفى عنه جميع المكروهات والشرور ، وضدها النار ، وزادهم على ذلك بقوله : (مكرمون (معبرا باسم المفعول إشارة إلى عموم الإكرام من الخالق والخلق الناطق وغيره لأنه سبحانه قضى بأن يعلو مقدارهم حتى يكونوا أعظم مشخص ؟ لهم في الغيب مبالغا في إكرامهم عند المواجهة ليكون لهم نصيب من خلق نبيهم (صلى الله عليه وسلم) ، (لقيه يوم بني قريظة علي رضي الله عنه وكان قد سبقه إليهم فقال : يا رسول الله ، ما عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخباث ؟

فقال : ولم ، لعلك سمعت بي منهم أذى ، لو قد دنوت منهم لم يقولوا من ذلك شيئا ، ثم دنا منهم فقال : هل أخزاكم الله يا إخوان القدرة والخنازير ، فقالوا : مه يا أبا القاسم ما." (١)

" صفحة رقم ٣٨٦

ولما أقسم بالسماء لما لها من الشرف والمجد تنبيهاص على ما فيها من بدائع الصنع الدالة على القدرة الباهرة .

أقسم بأعجب ما فيها وهو جنس النجوم ثم بأعربة وهو المعد للحراسة تنبيها على ما في ذلك من غرائب القدرة فقال : (والطارق) أي جنس الكواكب الذي يبدو ليلا ويخفى نهارا ، ويطرق مسترقي السمع فيبدد شملهم ويهلك من أراد الله منهم لأجل هداية الناس بالقرآن في الطرق المعنوية وظهوره وإشراقه في السماء لهدايتهم في الطرق الحسية وهو في الأصل لسالك الطريق ، واختص عرفا بالآتي ليلا لأنه يجد الأبواب مغلقة فيحتاج إلى طرقها ، ثم استحمل للبادي فيه كالنجم .

ولما كان الطارق يطلق على غير النجم أبهمه أولا ثم عظم المقسم به بقوله : (وما أدراك) أي عرفك يا أشرف خلقنا عليه الصلاة والسلام وإن حاولت معرفة ذلك وبالغت في الفحص عنه) ما الطارق (ثم زاده تهويلا بتفسيره بعد إبهامہ مرة أخرى بقوله تعالى : (النجم الثاقب) أي المتوهج العالي المضيء كأنه يثقب الظلام بنوره فينفذ فيه ، يقال : أثقب نارك للموقد ، أو يثقب بضوئه الأفلاك فتشف عنه ، أو يثقب الشيطان بناره إذا استرق السمع ، والمراد الجنس أو معهود بالثقب وهو زحل ، عبر عنه أولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه لعلو مكانه .

ولما ذكر الذي دل به على حفظ القرآن عن التلبيس وعلى حفظ الإنسان ، ذكر جوابه في حفظ النفوس التي جعل فيها قابلية لحفظ القرآن في الصدور ، ودل على حفظ ما خلق لأجلها من هذه الأشياء المقسم بها على حفظ الإنسان لأنها إذا كانت محفوظة عن أدنى زيغ وهي مخلوقة لتدبير مصالحه فما الظن به ؟ فقال مؤكدا غاية التأكيد لما للكفرة من إنكار ذلك والطعن فيه) إن (بالتخفيف من الثقيلة في قراءة الجمهور أي أن الشأن)كل نفس) أي من الأنفس مطلقا لا سيما نفوس الناس) لما عليها) أي بخصوصه، لا مشارك لها في ذاتها) حافظ) أي رقيب عتيد لا يفارقها ، والمراد به الجنس من الملائكة ، فبعضهم لحفظها من الآفات ، وبعضها من الوساوس ، وبعضهم لحفظ أعمالها وإحصائها بالكتابة ،

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٥٥/٨

وبعضهم لحفظ ما كتب لها من رزق وأجل وشاقوة أو سعادة ومشي ؟ ونكاح وسفر وإقامة ، فلا يتعدى شيئا من ذلك نحن قسمنا نحن قدرنا ، فإن قلت : إن الحافظ الملائكة ، صدقت ، وإن قلت : إنه الله ، صدقت ، لأنه الآمر لهم والمقدر على الحفظ ، والحافظ لهم من الوهن والزيغ ، فهو الحافظ الحقيقين واللام في هذه القراءة هي الفارقة بين المخففة والنافي (وما) مؤكداة بنفي صدر ما أثبتته الجملة ، (وحافظ) خبر (إن) ويجوز ان يكون الظرف الخبر ، و (حافظ) مرتفع به ، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد (لما) على أنها بمعنى و (إن) نافية بمعنى." (١)

" صفحة رقم ٣٨٨

[البروج : ٢٠] وكان في ذلك تعريف العباد بأنه سبحانه وتعالى لا يغيب عنه شيء ولا يفوته شيء ولا ينجو منه هارب ، أردف ذلك بتفصيل يزيد إيضاح ذلك التعريف الجملي من شهادته سبحانه وتالى على كل شيء وإحاطته به فقال تعالى) إن كل نفس لما عليها حافظ) [الطارق : ٤] فأعلم الله سبحانه وتعالى بخصوص كل نفس ممن يحفظ أنفسها (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) ليعلم العبد أنه ليس بمهمل ولا مضيع ، وهو سبحانه وتعالى الغني عن كتب الحفظة وإحصائهم وشهادة الشهود من الأعضاء وغيرهم ، وإنما كان ذلك لإظهار عدله سبحانه وتعالى) إن الله لا يظلم مثقال ذرة) [النساء : ٤٠] ولا أقل من المثقال ، ولكن هي سنته حتى لا يبقى لأحد حجة ولا تعلق ، وأقسم سبحانه وتعالى على ذلك تحقيقا وتأكيدا يناسب القصد المذكور - انتهى .

ولما كان التقدير : لأنه لا بد له من العرض على الخالق سبحانه وتعالى لأن التوكيل بالإنسان لا يكون إلا لعرضه على الملك الديان صاحب الأمر والبرهان ومحاسبته له على ما كان ، كان التقدير : يحفظ أعمالها ويكتبها ليحاسبها الملك على ذلك ، فتسبب عنه قوله تعالى : (فلينظر) أي بالصيرة) الإنسان) أي الآنس بنفسه الناظر في عطفه إن كان يسلك في ذلك) مم) أي من أي شيء ، وبنى للمفعول العامل في من أمر بالنظر وهو قوله : (خلق (إعلاما بأن الدال هو مطلق الخلق ، وتنبيها على تعظيم الفاعل بأن العلم به غير محتاج إلى ذكره باللفظ لأنه لا يقدر على صنعة من صنائعه غيره ، وأمر الإنسان بهذا النظر ليعلم بأمر مبدئه أمر معاده ، فإن نم قدر على الابتداء قدر على الإعادة قطعا ، فإذا صح عنده ذلك اجتهد في أن لا يملي على حافظيه إلا ما يرضي الله تعالى يوم عرضه على الملك الديان ليسره وقت حسابه .

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٨/٣٨٦

ولما نبه بالاستفهام على أن هذا أمر جدا ينبغي لكل أحد أن يترك جميع مهماته ويتفرغ للنظر فيه فإنه يكسبه السعادة الأبدية الدائمة ، وكان الإنسان – مع كونه ضعيفا عاجزا – لا ينفك عن شاغل ومفتر ، فلا يكاد يصح له نظر ، تولى سبحانه وتعالى شرح ذلك عنه فأجاب الاستفهام بقوله : (خلق) أي الإنسان على أيسر وجه وأسهله بعد خلق أبيه آدم عليه الصلاة والسلام من تراب ، وأمه حواء عليها السلام من ضلعه) من ماء دافق) أي هو – لقوة دفق الطبيعة له – كأنه يدفق بنفسه فهو إسناد مجازي ، والدفق لصاحبه ، أو هو مثل (لابن) أي ذي وفق ، والدفق صب فيه دفع ، ولم يقل : ماءين – إشارة إلى أنهما يجتمعان في الرحم ويمتزجان أشد امتزاج بحيث يصيران ماء واحدا .

ولما كان المراد به ماء الرجل وماء المرأة قال : (يخرج (وبعض بإثبات الجار." (١)

" صفحة رقم ٤١٨

وجنوده وكل من ذكر هنا من الكفرة من عاد وثمود وأتباعهم) طغوا) أي تجاوزوا الحدود) في البلاد) أي التي ملكوها بالفعل وغيرها بالقوة) فأكثروا (عقب طغيانهم وبسببه) فيها الفساد (بما فعلوا من الكفر والظلم مما صار سنة لمن سمع به .

ولما كان ذلك موجبا للعذاب ، سبب عنه قوله : (فصب) أي أنزل إنزالا هو في غاية القوة) عليهم) أي في الدنيا) ربك) أي المحسن إليك المدبر لأمرك الذي جعل ما مضى من أخبار الأمم وآثار الفرق موطئا لهم) سوط عذاب) أي جعل عذابهم من الإغراق والرجف وغيرهما في وقته وتمكنه وعلوه وإحاطته كالمصبوب في شدة ضربه ولصوقه بالمضروب وإسراعه إليه والتفافه به كالسوط وفي كونه منوعا إلى أنواع متشابكة ، وأصله الخلط ، وإنما سمي هذا الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض ، ولأنه يخلط اللحم والدم ، وقيل : شبه بالسوط ما أحل بهم في الدنيا إشعارا بالترديد والتكرير إلى أن يهلك المعذب به وإيذانا بأنه بالقياس إلى ما أعد لهم في الآخرة كالسوط إذا قيس إلى السيف ، هذا سوط الدنيا وسيف الآخرة أشد وأحد وأمضى ، ثم علل أخذه لكل ظالم وانتقامه من كل مفسد بأنه **رقيب** ، فقال ممثلا أن العصاة لا يفوتونه مؤكدا تنبيها على أن أعمال من ينكر ذلك أو لا يخطر بباله : (إن ربك) أي مولاك المدبر لأمر نبوتك) لبالمرصاد) أي لا يفوته شيء ، بل هو قادر ومطلع على كل شيء اطلاع من يريده بالإقامة في مكان الرصد وزمانه مع غاية الحفظ والرعي وهو قادر على ما يريد .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٨٨/٨

ولما ذكر سبحانه أن عادة هؤلاء الفرق كانت الطغيان ، وذكر أن عادة الرب سبحانه فيمن تولى وكفر أنه يعذبه كما هدد به آخر تلك ، ودل على ذلك بما شوهد في الأمم ، وعلل ذلك بأنه لا يغفل ، ذكر عادة الإنسان من حيث هو من غير تقييد بهؤلاء الفرق عن الابتلاء في حالي السراء والضراء ، فقال مشيرا إلى جواب ما كانت الكفار تقوله من أنهم آثر عند الله من المسلمين لا يساعد عليهم في الدنيا وتقلل الصحابة رضي الله عنهم من الدنيا مسببا عما مضى عطفا على ما تقديره : هذه كانت عادة هؤلاء الأمم وعادة الله فيهم : (فأما الانسان) أي الذي أودع الحجر ليعقل هذه الأقسام وما يراد منه من اعتقاد المقسم عليه بها وجبل على النسيان والأنس بنفسه والمحبة لها والرضى عنها .

ولما كان المقصود التعريف بحاله عند الابتداء ، قدم الظرف الدال على ذلك على الخبر فقال : (إذا (وأكد الأمر بالنافي فقال) ما ابتلاه) أي عامله معاملة المختبر بأن خالطه بما أراد مخالطة تميله وتحيله) ربه) أي الذي أبدعه وأحسن إليه بما يحفظ وجوده ليظهر شكره أو كفره) فأكرمه) أي بأن جعله عزيزا بين الناس وأعطاه ما." (١)

" صفحة رقم ٥٠٢

وهي للعارفين ، قال الملوي ما معناه : إن الإنسان إذا استشعر عقابا يأتيه أو خسرا ، لحقته حالة يقال لها الخوف وهي انخلاع القلب عن طمأنينة الأمن وقلقه واضطرابه لتوقع مكروه ، فإن اشتد سمي وجلا لجولانه في نفسه ، فإذا اشتد سمي رهبا لأدائه إلى الهرب ، وهي حالة المؤمنين الفارين إلى الله ومن غلب عليه الحب لاستغراق في شهود الجماليات لحقته حالة تسمى مهابة إذ لا ينفك عن خوف إبعاد أو صد لغفلة أو ذلة ، ومن غلب عليه التعظيم لاستغراق في شهود الجلاليات صار في الإجلال ، ووراء هذا الخشية
٧٧ ( ) إنما يخشى الله من عباده العلماء ( ) ٧

[فاطر : ٢٨] فمن خاف ربه هذا الخوف انفك من جميع ما عنده مما لا يليق بجنابه سبحانه ، ولم يقدح في البينة ولا توقف فيها وما فارق الخوف قلبا إلا خرب ، فكان جديرا بأن يقدح في كل ما أدى إلى العمارة ، وقد رجع آخر السورة على أولها بذلك ، وبتصنيف الناس صنفي ، ك صنف انفك عن هوى نفسه فأنجاها ، وصنف استمر في أسرها فأرداها ، وقد ذكرت في (مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور) سر تخصيص النبي (صلى الله عليه وسلم) لأبي رضي الله عنه بقراءة هذه السورة عليه بخصوصها

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٤١٨/٨

، وحاصله أن سبب تخصيصه بذلك أنه وجد اثنين من الصحابة رضي الله عنهم قد خالفاه في القراءة فرفعهما إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فأرمهما فعرضها عليه فحسن لهما ، قال : فسقط في نفسي من التكذيب أشد مما كان في الجاهلية ، فضرب (صلى الله عليه وسلم) في صدري ففضت عرقا ، وكأنهما أنظر إلى الله فرقا ، ثم قص لعي خبر التخفيف بالسبعة الأحرف ، وكانت السورة التي وقع فيها الخلاف النحل وفيها أن الله يبعث رسوله (صلى الله عليه وسلم) يوم البعث شهيدا ، وأنه نزل عليه الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة ، وأنه نزل عليه روح القدس بالحق ليثبت الذين آمنوا ، وأن اليهود اختلفوا في السبت ، وسورة) لم يكن (على قصرها حاوية إجمالا لكل ما في النحل على طولها بزيادة ، وفيها التحذير من الشك بعد البيان ، وتقبيح حال من فعل ذلك ، وأن حاله يكون كحال الكفرة من أهل الكتاب في العناد ، فيكون شر البرية ، فقرأها النبي (صلى الله عليه وسلم) عليه رضي الله عنه تذكيرا له بذلك كله على وجه أبلغ وأخصر ليكون أسرع له تصورا فيكون أرسخ في النفس وأثبت في القلب وأعشق للطبع ، فاختصه الله بالتثبيت وأراد له الثبات ، فكان من المريدين المرادين لما وصل إليه قلبه ببركة ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) بما يتذكر من الأمر الشريف يكون أصفى الصحابة رضي الله عنهم مراقبة لتلاوة النبي (صلى الله عليه وسلم) بما يتذكر من الأمر الشريف بتخصيصه بذلك ، فيصير كلما قرأها هذه السورة الجامعة غائبا عن تلاوة نفسه مصغيا بأذني قلبه إلى روح النبوة يتلو عليه ذلك فيدوم له حال الشهود الذي وصل إليه بسر تلك." (١)

" صفحة رقم ٥٤٨

يدخل تحت الوصف ، فأغنيناك عن أن تؤثر بذلك أو توفر مالك بجلي نفع أو دفع ضر ، ومنه النهر الذي في الجنة ويسقي المؤمنين من الحوض الممدود منه في المحشر الذي مثاله في الدنيا شريعته (صلى الله عليه وسلم) التي عراها وأسبابها عدد النجوم الذين هم علماء أمته المقتدى بهم ، فقد اجتمع لك الغبطتان : أشرف العطاء من أكرم المعطين وأعظمهم .

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير : لما نهى عباده عما يلتذ به من أراد الدنيا وزينتها من الإكثار والكبر والتعزز بالمال والجاه وطلب الدنيا ، أتبع ذلك بما منح نبيه مام هو خير مما يجمعون ، وهو الكوثر وهو الخير الكثير ، ومنه الحوض الذي ترده أمته في القيامة ، لا يظمأ من شراب منه ، ومنه مقامه المحمود الذي

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٠٢/٨

يحمده فيه الأولون والآخرون عند شفاعته العامة للخلق وإراحتهم من هول الموقف ، ومن هذا الخير ما قدم له في دنياه من تحليل الغنائم والنصر بالرعب والخلق العظيم إلى ما لا يحصى من خير الدنيا والآخرة مما بعض ذلك خير من الدنيا وما فيها إذ لا تعدل الدنيا وما فيها واحدة من هذه العطايا

٧٧ ( ) قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير ما يجمعون ( ) ٧

[يونس : ٥٨] ومن الكوثر والخير الذي أعطاه الله كتابه المبين ، الجامع لعقل الأولين والآخرين ، والشفاء لما في الصدور .

ولما كمل له سبحانه من النعم ما لا يأتي عليه حصر مما لا يناسب أدناه نعيم الدنيا بجملتها ، قال مبينا له منبها على عظيم ما أعطاه

٧٧ ( ) لا تمدن عينيك إلى ما متعنا ( ) ٧

[الحجر : ٨٨] إلى قوله) ورزق ربك خير وأبقى (فقد اضمحل في جانب نعمة الكوثر الذي أوتي كل ما ذكره الله تعالى في الكتاب من نعيم أهل الدنيا وتمكن من تمكن منهم ، وهذا أحد موجبات تأخثر هذه السورة ، فلم يقع بعدها ذكر شيء من نعيم الدنيا ولا ذكر أحد من المتنعمين بها لانقضاء هذا الغرض وتمامه ، وسورة الدين آخر ما تضمن الإشارة إلى شيء من ذلك كما تقدم من تمهيد إشاراتها ، وتبين بهذا وجه تعقيبها بها - والله تعالى أعلم - انتهى .

ولما أعطاه ما فرغه به للعبادة وأكسبه غنى لا حاجة معه ، سبب عنه قوله آمرا بما هو جامع لمجامع الشكر : (فصل) أي بقطع العلائق من الخلائق بالوقوف بين يدي الله في حضر **المراقبة** شكرا لإحسان المنعم خلافا للساهي عنها والمرائي فيها .

ولما أتى بمظهر العظمة لتكثير العطاء فتسبب عنه الأمر بما للملك من العلو ، وكان أمره (صلى الله عليه وسلم) تكوينا لا إباء معه ، وقع الالتفات إلى صفة الإحسان المقتضي للترغيب والإقبال لما يفيد من التحبيب ، مع التصريح بالتوحيد ، وإفادة أن العبادة لا تقع إلا شكر فقال تعالى : (لربك) أي المحسن إليك بذلك سرا وعلنا مراغما من شئت فلا سبيل." (١)

"صفحة رقم ٦١١

سورة الناس

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٤٨/٨

مقصودها الاعتصام بالإله الحق من شر الخلق الباطن ، واسمها دال على ذلك لأن الإنسان مطبوع على الشر ، وأكثر شره بالمكر والخداع ، وأحسن من هذا أنها للاستعاذة من الشر الباطن المأنوس به المستروح إليه ، فإن الوسسة لا تكون إلا بما يشتهي ، والناس مشتق من الأنس ، فإن أصله أناس ، وهو أيضا اضطراب الباطن المشير إليه الاشتقاق من النوس ، فطابق حينئذ الاسم المسمى ، ومقصود هذه السورة معلول لمقصود الفقاتحة الذي هو **المراقبة** ، وهي شاملة لجميع علوم القرآن التي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان ببراعة الختام وفذلكة النظام ، كما أن الفاتحة شاملة لذلك لأنها براعة الاستهلال ، ورعاية الجلال والجمال ، فقد اتصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول ، والدليل بالمدلول ، والمثل بالممثول ، والله المسؤول في تيسير السؤل ، ت وتحقيق المأمول ، فإنه الجواد ذو الطول ، وبه يستعان وعليه التكلان : (بسم الله (المحيط علما بكل باطن كإحاطته بكل ظاهر) الرحمن (الذي عمت نعمته كل باد وحاضر) الرحيم (الذي خص أولياءه بإتمام النعمة عليهم في جميع أمورهم الأول منها والأثناء والآخر .

الناس : (١ - ٦) قل أعوذ برب. .. . .

) قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس (( )

لما جاءت سورة الفلق للاستعاذة من شر ما خلق من جميع المضار البدنية وغيرها العامة للإنسان وغيره ، وذلك هو جملة الشر الموجود في جميع الأكوان والأزمان ، ثم وقع فيها التخصيص بشرور بأعيانها من الفاسق والساحر والحاسد ، فكانت الاستعاذة فيها عامة للمصائب الخارجة التي ترجع إلى ظلم الغير ، والمعايب الداخلة التي ترجع." (١)

" صفحة رقم ٦١٧

الاستشارة لمن يثق بدينه وعقله ، ثم الاستخارة لاحتمال أن تتوافق عليه العقول ، ويكون فيه خلل لتقصير وقع في النظر ، وقد جعل بعضهم قانون الخاطر الرحماني أن ينشرح له الصدر ويطمئن إليه النفس ، والشيطاني والنفسي ان ينقبض عنده الصدر وتقلق النسف بشهادة الحديث النبوي في البر والإثم ، ويعرف الشيطاني بالحمل على مطلق المخالفة ، فإن الشيطان لا غرض له في مخالفة بعينها ، فإن حصل اذكر زال ذلك ، والنفساني ملزوم شيء بعينه سواء كان نفعا أو ضرا ، ولا ينصرف عنه بالذكر ، وقد يكون

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٦١١/٨

الشيطان إنسيا من أزواج وأولاد ومعارف ، وربما كان أضر من شيطان الجن ، فدواؤه المقاطعة والمجانبة بحسب القدرة ، ومن أراد قانونا عظيما لمن يصاحب ومن يجانب فعليه بآية الكهف
٧٧ ( ) واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من إفـ:نا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ( ) ٧
[الكهف : ٢٨] وكما رجع مقطعها على مطلعها كذلك كان من المناسبات العظيمة مناسبة معناها للفاتحة ليرجع مقطع القرآن على مطلعه ، ويلتحم مبدؤه بمرجعه على أحسن وجه ، كما تقدم بيان ذلك من سورة قريش إلى هنا سورة سورة ، فنظر هذه السورة إلى الفاتحة والتحامها بها من جهة أن الفاتحة اشتملت على ثلاثة أسماء : الله والرب والملك ، وزادت بكونها أم القرآن بالرحمن الرحمي ، لاشتمالهما على جميع النعم الظاهرة والباطنة التي تضمنتها صفة الربوبية ، وسورة الناس على الرب والملك والإله الذي هو الأصل في اسم الجلالة ، واختصت الفاتحة بالاسم الذي لم يقع فيه شركة أصلا ، فلما تقرر في جميع القرآن أنه الإله الحق ، وأنه لا شركة لغيره في الإلهية يحق بوجه من الوجوه كما أنه لا شركة في الاسم الأعظم الذي افتتح به القرآن أصلا بحق ولا بباطل ، ختم القرآن الكريم به معبرا عنه بالغله لوضوح الأمر وانتفاء اللبس بالكلية ، وصار الاختتام مما كان به الافتتاح على الوجه الأجلى والترتيب الأولي ، وبقي الاسمان الآخران على نظمهما ، فيصير النظم إذا ألصقت آخر الناس بأول الفاتحة (إله ملك رب الله رب – رحمن رحيم ملك) إعلاما بأن مسمى الأسم الأعظم هو الإله الحق ، وهو الملك الأعظم لأنه له الإبداع وحسن التربية والرحمة والعامة والخاصة ، وحاصل سورة الناس الاستعاذة بهذا الرب الموصوف من وسوسة الصدر المثمرة للمقرابة كما أن حاصل سورة الفاتحة فراغ السر من الشواغل المتقضي لقصر الهمم عليه سبحانه وتعالى والبقاء في حضرته الشماء بقصر البقاء عليه والحكم بالفناء على ما سواه ، وذلك هو أعلى درجات المراقبة ، فإذا أراد الحق إعانة عبد حمله على الاستعانة بالاستعاذة فيسر عليه صدق التوكل ، فحينئذ يصير عابدا صادقا في العبودية فيكون إله." (١)

" صفحة رقم ٦١٩

مشاكلة للثلاث الأول في المقاصد ، وكثرة الفضائل والفوائد : الإخلاص بسورة التوحيد آل عمران ، وهو واحد ، والفلق للبقرة طباقا ووفاقا ، فإن الكتاب الذي هو مقصود سورة البقرة خير الأمر ، فهي للعون بخير

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦١٧/٨

الأمر ، والفلق للعوذ من شر الخلق المحصي لكل خير ، وفي البقرة

٧٧ ( ) أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ( ) ٧

[البقرة : ٦٧]

٧٧ ( ) يعلمون الناس السحر ( ) ٧

[البقرة : ١٠٢] - الآيات ،

٧٧ ( ) ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم ( ) ٧

[البقرة : ١٠٩] الآية ، والناس للفاتحة ، فإنه إذا فرغ الصدر الذي هو مسكن القلب الذي هو مركب الروح الذي هو معدن العقل كانت شر ظاهر ومن كل سوء باطن للتأهل لتلاوة سورة **المراقبة** بما دعا إليه الحال المرتحل وما بعدها من الكتاب ، على غاية من السداد والصواب ، وكأنه اكتفى أولا بالاستعاذة المعروفة كما يكتفي في أوائل الأمور بأيسر مأمور ، فلما ختم الختمة جوزي بتعوذ من كل اتحاد - إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب ، هذا ما يسره الله من مدلولات نظومها وجملها ، بالنسبة إلى مفهوماتها وعللها ، وبقي النظر إلى ما يشير إليه أعداد كلماتها ، بلطائف رموزها وإشارتها ، فهي عشرون كلمة توازيها إذا حسبت من أول النبوة سنة عمرة القضاء وهي السابعة من الهجرة ، بها تبين الأمن مام وسوس به الشيطان سنة عمرة الحديبية من أجل رؤيا النبي (صلى الله عليه وسلم) لدخول البيت والطواف به ، فإذا ضممت إليها الضمائر الثلاث كانت ثلاثا وعشرين فوازت السنة العاشرة من الهجرة وهي سنة حجة الوداع وهي القاطعة لتأثير وسواس الشيطان الذي كان يف أول السنة الحادية عشرة عند موت النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى العرب بأمر الردة ، فأعاذ الله من شره بهمة الصديق رضي الله تعالى عنه حتى رد الناس إلى الدين وأنزل بـه وسواس الشياطين المفسدين ، فانتظمت كلمة المسلمين تصديقا لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) في حجة الوداع (إن الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرة العرب بعد اليوم) فإذا ضممت إليها كلمات البسملة صارت سبعا وعشرين توازي سنة استحكام أمر عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه الذي ما سلك فجا إلا سلك الشيطان فجا غيره ، وذلك سنة أربع عشرة من الهجرة ، هذا بالنظر إلى كلماتها ، فإن نظرت إليها من جهة الحروف كانت لها أسرار كبرى من جهة أخرى ، منها أن كلماتها مع

كلمات الفاتحة انتظمت من ستة وعشرين حرفا وهي ما عدا الثاء المثلثة والزاء الظاء المعجة من حروف المعجم التسعة والعشرين كل واحدة منهما من اثنين وعشرين حرفا." (١)

"وما ذكره من قوله : ولقائل أن يقول إلخ. لا يدل عليه لفظ الآية ، وإنما هو تحميل للفظ ما لا يحتمله ، كعادته في كثير من تفسيره. وقرأ أبو عمرو ، وسلام : يعلم ما ، بالإدغام ؛ والجمهور : بالفك ؛ والجمهور : تدعون ، بتاء الخطاب ؛ وأبو عمرو ، وعاصم : بخلاف ، بياء الغيبة ؛ وجوزوا في ما أن يكون مفعولا بيدعون ، أي يعلم الذين يدعون من دونه من جميع الأشياء ، أي يعلم حالهم ، وأنهم لا قدرة لهم. وأن تكون نافية ، أي لستم تدعون من دونه شيئا له بال ولا قدر ، فيصلح أن يسمى شيئا ، وأن يكون استفهاما ، كأنه قدر على جهة التوبيخ على هذا المعبود من جميع الأشياء ، وهي في هذين الوجهين مقتطعة من يعلم ، واعتراض بين يعلم وبين قوله : {وهو العزيز الحكيم} . وجوز أبو علي أن يكون ما استفهاما منصوبا بيدعون ، ويعلم معلقة ؛ فالجملة في موضع نصب بها ، والمعنى : أن الله يعلم أوثانا تدعون من دونه ، أم غيرها لا يخفى عليه ذلك. والجملة تأكيد للمثل ، وإذا كانت ما نافية ، كان في الجملة زيادة على المثل ، حيث لم يجعل تعالى ما يدعونه شيئا. {وهو العزيز الحكيم} : فيه تجهيل لهم ، حيث عبدوا ما ليس بشيء ، لأنه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة أصلا ، وتركوا عبادة القادر القاهر الحكيم الذي لا يفعل شيئا إلا لحكمة. {وما يعقلهآ إلا العالمون} : أي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها.

وكان جهلة قريش يقولون : إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ، ويضحكون من ذلك ، وما علموا أن الأمثال والتشبيهات طرق إلى المعاني المحتجبة ، فتبرزها وتصورها للفهم ، كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد. والإشارة بقوله : {وتلك الامثال} إلى هذا المثل ، وما تقدم من الأمثال في السور. وعن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلا هذه الآية فقال : "العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه".

{خلق السماوات والارض} : فيه تنبيه على صغر قدر الأوثان التي عبدوها. ومعنى {بالحق} : بالواجب الثابت ، لا بالعبث واللعب ، إذ جعلها مساكن عباده ، وعبرة ودلائل على عظيم قدرته وباهر حكمته. والظاهر أن الصلاة هي المعهود ، والمعنى : من شأنها أنها إذا أديت على ما يجب من فروضها وسننها

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦١٩/٨

والخشوع فيها ، والتدبر لما يتلو فيها ، وتقدير المثول بين يدي الله تعالى ، أن {تنهى عن الفحشآء والمنكر} . وقال ابن عباس ، والكلبي ، وابن جريج ، وحماد بن أبي سليمان : تنهى ما دام المصلي فيها. وقال ابن عمر : الصلاة هنا القرآن. وقال ابن بحر : الصلاة : الدعاء ، أي أقم الدعاء إلى أمر الله ، وأما من تراه من المصلين يتعاطى المعاصي ، فإن صلاته تلك ليست بالوصف الذي تقدم.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣٨

وفي الحديث أن فتى من الأنصار كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يدع شيئا من الفواحش والسرقة إلا ارتكبه ، فقيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : "إن صلاتها تنهاه". فلم يلبث أن تاب وصلحت حاله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ألم أقل لكم ؟" ولا يدل اللفظ على أن كل صلاة تنهى ، بل المعنى ، أنه يوجد ذلك فيها ، ولا يكون على العموم. كما تقول : فلان يأمر بالمعروف ، أي من شأنه ذلك ، ولا يلزم منه أن كل معروف يأمر به. والظاهر أن {أكبر} أفعل تفضيل. فقال عبد الله ، وسلمان ، وأبو الدرداء ، وابن عباس ، وأبو قرة : معناه ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه. وقال قتادة ، وابن زيد : أكبر من كل شيء ؛ وقيل : ولذكر الله في الصلاة أكبر منه خارج الصلاة ، أي أكبر ثوابا ؛ وقيل : أكبر من سائر أركان الصلاة ؛ وقيل : ولذكر الله نهيه أكبر من نهي الصلاة ؛ وقيل : أكبر من كل العبادة.

.

وقال ابن عطية : وعندي أن المعنى : ولذكر الله أكبر على الإطلاق ، أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر ، والجزء الذي منه في الصلاة ينهى ، كما ينهى في غير الصلاة ، لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر الله مراقبه ، وثواب ذلك الذاكر أن يذكره الله في ملأ خير من ملئه ، والحركات التي في الصلاة لا تأثيرلها في النهي ، والذكر النافع هو مع العلم وإقبال القلب وتفرغه إلا من الله. وأما ما لا يجاوز اللسان ففي رتبة أخرى. وقال الزمخشري : يريد والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات ، وسماها بذكر الله ، كما قال : {فاسعوا إلى ذكر الله} ، وإنما قال : {ولذكر الله} ، لتستقل بالتعليل ، كأنه قال : والصلاة أكبر ، لأنها ذكر الله مما تصنعون من الخير والشر فيجازيكم ، وفيه وعيد وحث على **المراقبة.**

{ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا ءامنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم} .

١٥٤

". (١)

"وقرأ عبد الله : أي الأجلين ما قضيت ، بزيادة ما بين الأجلين وقضيت. قال الزمخشري فإن قلت : ما الفرق بين موقع ما المزيدة في القراءتين ؟ قلت : وقعت في المستفيضة مؤكدة الإبهام ، أي زائدة في شياعها وفي الشاذ ، تأكيدا للقضاء ، كأنه قال : أي الأجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له ؟ وقرأ أبو حيوة ، وابن قطيب : فلا عدوان ، بكسر العين. قال المبرد : قد علم أنه لا عدوان عليه في أتمهما ، ولكن جمعهما ، ليجعل الأول كالأتم في الوفاء. وقال الزمخشري : تصور العدوان إنما هو في

١١٥

أحد الأجلين الذي هو أقصر ، وهو المطالبة بتتمة العشر ، فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا ؟ قلت : معناه : كما أني إن طولبت بالزيادة على العشر ، كان عدوانا لا شك فيه ، فكذلك إن طولبت في الزيادة على الثماني. أراد بذلك تقرير الخيار ، وأنه ثابت مستقر ، وأن الأجلين على السواء ، إما هذا ، وإما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء. وأما التتمة فموكولة إلى رأيي ، إن شئت أتيت بها وإلا لم أجبر عليها. وقيل : معناه فلا أكون متعديا ، وهو في نفي العدوان عن نفسه ، كقولك : لا إثم علي ولا تبعة. انتهى ، وجوابه الأول فيه تكثير. {والله على ما نقول} : أي على ما تعاهدنا عليه وتواثقنا ، {وكيل} : أي شاهد. وقال قتادة : حفيظ. وقال ابن شجرة : رقيب ، والوكيل الذي وكل إليه الأمر ، فلما ضمن معنى شاهد ونحوه عدى بعلى.

{فلما قضى موسى الاجل} : جاء على النبي صلى الله عليه وسلم أنه وفي أطول الأجلين ، وهو العشر. وعن مجاهد : وفي عشر أو عشرا بعدها ، وهذا ضعيف. {وسار بأهله} : أي نحو مصر بلده وبلد قومه. والخلاف فيمن تزوج ، الكبرى أم الصغرى ، وكذلك في اسمها. وتقدم كيفية مسيره ، وإيناسه النار في سورة طه وغيرها. وقرأ الجمهور : جذوة ، بكسر الجيم ؛ والأعمش ، وطلحة ، وأبو حيوة ، وحمزة : بضها ؛ وعاص ، غير الجعفي : بفتحها. {لعلكم تصطلون} : أي تتسخنون بها ، إذ كانت ليلة باردة ، وقد أضلوا الطريق.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٢٧

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

{فلمآ أتاها نودى من شاطى الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إنى أنا الله رب العالمين * وأن ألق عصاكا فلما رءاها تهتز كأنها جآن ولى مدبرا ولم يعقبا ياموسى أقبل ولا تخفا إنك من الامنين} .

من ، في : من شاطىء ، لابتداء الغاية ، ومن الشجرة كذلك ، إذ هي بدل من الأولى ، أي من قبل الشجرة. والأيمن : يحتمل أن يكون صفة للشاطىء وللوادي ، على معنى اليمن والبركة ، أو الأيمن : يريد المعادل للعضو الأيسر ، فيكون ذلك بالنسبة إلى موسى ، لا للشاطىء ، ولا للوادي ، أي أيمن موسى في استقباله حتى يهبط الوادي ، أو بعكس ذلك ؛ وكل هذه الأقوال في الأيمن مقول. وقرأ الأشهب العقيلي ، ومسلمة : في البقعة ، بفتح الباء. قالأبو زيد : سمعت من العرب : هذه بقعة طيبة ، بفتح الباء ، ووصفت البقعة بالبركة ، لما خصت به من آيات الله وأنواره وتكليمه لموسى عليه السلام ، أو لما حوت من الأرزاق والثمار الطيبة. ويتعلق في البقعة بنودي ، أو تكون في موضع الحال من شاطىء. والشجرة عناب ، أو عليق ، أو سمرة ، أو عوسج ، أقوال. وأن : يحتمل أن تكون حرف تفسير ، وأن تكون مخففة من الثقيلة.
١١٦
وقرأت فرقة : {إنى أنا } ، بفتح الهمزة ، وفي إعرابه إشكال ، لأن إن ، إن كانت تفسيرية ، فينبغي كسر إني ، وإن كانت مصدرية ، تتقدر بالمفرد ، والمفرد لا يكون خبرا لضمير الشأن ، فتخريج هذه القراءة على أن تكون إن تفسيرية ، وإن معمول لمضمر تقديره : إني يا موسى أعلم إني أنا الله.
وجاء في طه : {نودى ياموسى * إنى أنا ربك} ، وفي النمل : {نودى أنا بورك من فى النار} ، وهنا : {نودى من شاطى } ، ولا منافاة ، إذ حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء. والجمهور : على أنه تعالى كلمه في هذا المقام من غير واسطة. وقال الحسن : ناداه نداء الوحي ، لا نداء الكلام. وتقدم الكلام على نظير قوله : {وأن ألق عصاكا فلما رءاها تهتز كأنها جآن ولى مدبرا ولم يعقب} ، ثم أمره فقال : {اسلك يدك فى جيبك} ، وهو فتح الجبة من حيث تخرج الرأس ، وكان كم الجبة في غاية الضيق. وتقدم الكلام على : {تخرج بيضآء من غير سواء} وفسر الجناح هنا باليد وبالعضد وبالعطاف ، وبما أسفل من العضد إلى الرسغ ، وبجيب مدرعته. والرهب : الخوف ، وتأتي القراءات فيه. وقيل : بفتح الراء والهاء : الكم ، بلغة بني حنيفة وحمير ، وسمع الأصمعي قائلا يقول : اعطني ما في رهبك ، أي في كمك ، والظاهر حمل : {واضمم إليك جناحك من الرهب} على الحقيقة.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٢٧
". (١)

"بنو هاشم الذين يحرمون الصدقة آل عباس ، وآل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، ويظهر أنهم زوجاته وأهله ، فلا تخرج الزوجات عن أهل البيت ، بل يظهر أنهن أحق بهذا الاسم لملازمتهن بيته ، عليه الصلاة والسلام. وقال ابن عطية : والذي يظهر أن زوجاته لا يخرجن عن ذلك ألبتة ، فأهل البيت : زوجاته وبنته وبنوها وزوجها. وقال الزمخشري : وفي هذا دليل على أن نساء النبي من أهل بيته. ثم ذكر لهن أن بيوتهن مهابط الوحي ، وأمرهن أن لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين : وهو آيات بينات تدل على صدق النبوة ، لأنه معجز بنظمه ، وهو حكمة وعلوم وشرائع. {إن الله كان لطيفا خبيرا} ، حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فأنزله عليكم ، أو علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لأن تكونوا أهل بيته ، أو حيث جعل الكلام جامعا بين الغرضين. انتهى. واتصال {واذكرن} بما قبله يدل على أنهن من البيت ، ومن لم يدخلهن قال : هي ابتداء مخاطبة. {واذكرن} ، إما بمعنى احفظن وتذكرنه ، وإما اذكرنه لغيركن واروينه حتى ينقل. و{من ءايات الله} : هو القرآن ، {والحكمة} : هي ما كان من حديثه وسنته ، عليه الصلاة والسلام ، غير القرآن ، ويحتمل أن يكون وصفا للآيات. وفي قوله : {لطيفا} ، تليين ، وفي {خبيرا} ، تحذير ما. وقرأ زيد بن علي : ما تتلى بتاء التأنيث ، والجمهور : بالياء.

وروي أن نساءه عليه الصلاة والسلام ، قلن : يا رسول الله ، ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكرنا ؛ وقيل : السائلة أم سلمة. وقيل : لما نزل في نسائه ما نزل ، قال نساء المسلمين : فما نزل فينا شيء ، فنزلت : {إن المسلمين} الآية ، وهذه الأوصاف العشرة تقدم شرحها ، فبدأ أولا بالانقياد الظاهر ، ثم بالتصديق ، ثم بالأوصاف التي بعدهما تندرج في الإسلام وهو الانقياد ، وفي الإيمان وهو التصديق ، ثم ختمها بخلة المراقبة وهي ذكر الله كثيرا. ولم يذكر لهذه الأوصاف متعلقا إلا في قوله : {والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا} ، نص على متعلق الحفظ لكونه منزلة العقلاء ومركب الشهوة الغالبة ، وعلى متعلق الذكر بالاسم الأعظم ، وهو لفظ الله ، إذ هو العلم المحتوي على جميع أوصافه ، ليتذكر المسلم من تذكره ، وهو الله تعالى ، وحذف من الحافظات والذاكرات المفعول لدلالة ما تقدم ، والتقدير : والحافظاتها والذاكراته. {أعد الله لهم} : غلب الذكور ، فجمع الإناث معهم وأدرجهم في الضمير ، ولم يأت التركيب

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

لهم ولهن.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٠٦

{وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسولها أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله} .

٢٣٢

قال الجمهور ، وابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد ، وغيرهم : خطب الرسول لزيد زينب بنت جحش ، فأبت وقالت : لست بناكحة ، فقال : "بلى فأنكحيه فقد رضيته لك" ، فأبت ، فنزلت. وذكر أنها وأخاها عبد الله كرها ذلك ، فلما نزلت الآية رضيا. وقال ابن زيد : وهبت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وهي أول امرأة وهبت للنبي صلى الله عليه وسلم نفسها ، فقال : "قد قبلتك وزوجتك زيد بن حارثة" ، فسخطت هي وأخوها ، قالا : إنما أردناه فزوجنا عبده ، فنزلت ، والسبب الأول أصح. ومناسبة هذه الآية أنه لما ذكر تلك الأوصاف السابقة من الإسلام فما بعده ، عقب ذلك بما صدر من بعض المسلمين ، إذ أشار الرسول بأمر وقع منهم الإباء له ، فأنكر عليهم ، إذ طاعته ، عليه السلام ، من طاعة الله ، وأمره من أمره.

و{الخيرة} : مصدر من تخير على غير قياس ، كالطيرة من تطير. وقرىء : بسكون الياء ، ذكره عيسى بن سليمان. وقرأ الحرميان ، والعربيان ، وأبو جعفر ، وشيبة ، والأعرج ، وعيسى : أن تكون ، بتاء التأنيث ؛

٢٣٣

والكوفيون ، والحسن ، والأعمش ، والسلمي : بالياء. ولما كان قوله : {لمؤمن ولا مؤمنة} ، يعم في سياق النفي ، جاء الضمير مجموعا على المعنى في قوله : {لهم} ، مغلبا فيه المذكر على المؤنث. وقال الزمخشري : كان من حق الضمير أن يوحد ، كما تقول : ما جاءني من رجل ولا امرأة إلا كان من شأنه كذا. انتهى. ليس كما ذكر ، لأن هذا عطف بالواو ، فلا يجوز إفراد الضمير إلا على تأويل الحذف ، أي : ما جاءني من رجل إلا كان من شأنه كذا ، وتقول : ما جاء زيد ولا عمرو إلا ضربا خالدا ، ولا يجوز إلا ضرب إلا على الحذف ، كما قلنا.

". (١)

"{لا يحل لك النسآء منا بعد} : الظاهر أنها محكمة ، وهو قول أبي بن كعب وجماعة ، منهم الحسن وابن سيرين ، واختاره الطبري. ومن بعد المحذوف منه مختلف فيه ، فقال أبي ، وعكرمة ،

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

والضحاك : ومن بعد اللواتي أحللنا لك في قوله : {إنآ أحللنا لك أزواجك} . فعلى هذا المعنى ، لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص عليهن أنهن يحللن لك من الأصناف الأربعة : لا أعرابية ، ولا عربية ، ولا كتابية ، ولا أمة بنكاح. وقال ابن عباس ، وقتادة : من بعد ، لأن التسع نصاب رسول الله من الأزواج ، كما أن الأربع نصاب أمته منهن. قال : لما خيرن فاخترن الله ورسوله ، جازاهن الله أن حظر عليه النساء غيرهن وتبديلهن ، ونسخ بذلك ما أباحه له قبل من التوسعة في جميع النساء. وقال مجاهد ، وابن جبير : وروي عن عكرمة : من بعد ، أي من بعد إباحة النساء على العموم ، ولا تحل لك النساء غير المسلمات من يهودية ولا نصرانية. وكذلك : {ولا أن تبدل بهن من أزواج} : أي بالمسلمات من أزواج يهوديات ونصرانيات. وقيل : في قوله {ولا أن تبدل} ، هو من البدل الذي كان في الجاهلية. كان يقول الرجل : بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي ، فينزل كل واحد منهما عن امرأته للآخر. قال معناه ابن زيد ، وأنه كان في الجاهلية ، وأنكر هذا القول الطبري وغيره في معنى الآية ، وما فعلت العرب قط هذا. وما روي من حديث عيينة بن حصن أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين دخل عليه بغير استئذان ، وعنده عائشة. من هذه الحميراء ؟ فقال : "عائشة" ، فقال عيينة : يا رسول الله ، إن شئت نزلت لك عن سيدة نساء العرب جمالا : ونسبا ، فليس بتبديل ، ولا أراد ذلك ، وإنما احتقر عائشة لأنها كانت صبية. ومن في {من أزواج} زائدة لتأكيد النفي ، وفائدته استغراق جنس الأزواج بالتحريم. وقيل : الآية منسوخة ، واختلف في الناسخ فقيل : بالسنة. قال عائشة : ما مات حتى حل له النساء. وروي ذلك عن أم سلمة ، وهو قول علي وابن عباس والضحاك ، وقيل بالقرآن ، وهو قوله : {ترجى من تشآء منهن} الآية. قال هبة الله الضرير : في الناسخ والمنسوخ له ، وقال : ليس في كتاب الله ناسخ تقدم المنسوخ سوى هذا. قال ابن عطية : وكلامه يضعف من جهات. انتهى. وقيل : قوله {إنآ أحللنا لك أزواجك} الآية ، فترتيب النزول ليس على ترتيب كتابة المصحف. وقد روي عن ابن عباس القولان : إنها محكمة ، وإنها منسوخة.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٠٦

{ولو أعجبك حسنهن} ، قيل : منهن أسماء بنت عميس الخثعمية ، امرأة جعفر بن أبي طالب. والجملة ، قال الزمخشري ، في موضع الحال من الفاعل ، وهو الضمير في {تبدل} ، لا من المفعول الذي هو {من أزواج} ، لأنه موغل في التنكير ، وتقديره : مفروضا إعجابك لهن ؛ وتقدم لنا في مثل هذا التركيب أنه معطوف على حال محذوفة ، أي {ولا أن تبدل بهن من أزواج} على كل حال ، ولو في هذه الحال التي تقتضي التبدل ، وهي حالة الإعجاب بالحسن. قال ابن عطية : وفي هذا اللفظ {أعجبك حسنهن}

، دليل على جواز أن ينظر الرجل إلى من يريد زواجها. انتهى. وقد جاء ذلك في السنة من

٢٤٤

حديث المغيرة بن شعبة ، وحديث محمد بن مسلمة.

{إلا ما ملكت يمينك} : أي فإنه يحل لك. وأما إن كانت موصولة واقعة على الجنس ، فهو استثناء من الجنس ، يختار فيه الرفع على البدل من النساء. ويجوز النصب على الاستثناء ، وإن كانت مصدرية ، ففي موضع نصب ، لأنه استثناء من غير جنس الأول ، قاله ابن عطية ، وليس بجيد ، لأنه قال : والتقدير : إلا ، ملك اليمين ، وملك بمعنى : مملوك ، فإذا كان بمعنى مملوك صار من حملة النساء لأنه لم يرد حقيقة المصدر ، فيكون الرفع هو أرجح ، ولأنه قال : وهو في موضع نصب ، ولا يتحتم أن يكون في موضع نصب. ولو فرضنا أنه من غير الجنس حقيقة ، بل الحجاز تنصب وتميم تبدل ، لأنه مستثنى ، يمكن توجه العامل عليه ، وإنما يكون النصب متحتما حيث كان المستثنى لا يمكن توجه العامل عليه نحو : ما زاد المال إلا النقص ، فلا يمكن توجه الزيادة على النقص ، ولأنه قال : استثناء من غير الجنس. وقال مالك : بمعنى مملوك فناقض. {وكان الله على كل شىء رقيبا} : أي راقبا ، أو مراقبا ، ومعناه : حافظ وشاهد ومطلع ، وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله وحرامه.

{يا أيها الذين ءامنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولـاكن إذا دعيتم فادخلوا } .

٢٤٥

". (١)

"هذه الأمة للأنبياء على أممهم الذين كذبوهم ، وقد روي ذلك نصا في الحديث في البخاري وغيره. وقال في المنتخب : وقد طعن القاضي في الحديث من وجوه ، وذكروا وجوها ضعيفة ، وأظنه عني بالقاضي هنا القاضي عبد الجبار المعتزلي ، لأن الطعن في الحديث الثابت الصحيح لا يناسب مذاهب أهل السنة. وقيل : الشهادة تكون في الدنيا. واختلف قائلوا ذلك ، فقيل : المعنى يشهد بعضكم على بعض إذا مات ، كما جاء في الحديث من أنه مر بجنازة فأثنى عليها خيرا ، وبأخرى فأثنى عليها شرا ، فقال الرسول : "وجبت" ، يعني الجنة والنار ، "أنتم شهداء الله في الأرض" ثبت ذلك في مسلم. وقيل : الشهادة الاحتجاج

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

، أي لتكونوا محتجين على الناس ، حكاه الزجاج. وقيل : معناه لتنقلوا إليهم ما علمتموه من الوحي والدين كما نقله رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتكون على بمعنى اللام ، كقوله : {وما ذبح على النصب} ، أي للنصب. وقيل : معناه ليكون إجماعكم حجة ، ويكون الرسول عليكم شهيدا ، أي محتجا بالتبليغ. وقيل : لتكونوا شهداء لمحمد صلى الله عليه وسلم على الأمم ، اليهود والنصارى والمجوس ، قاله مجاهد. وقيل : شهداء على الناس في الدنيا ، فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار. وأسباب هذه الشهادة ، أي شهادة هذه العدول أربعة : بمعاينة ، كالشهادة على الزنا ، وبخبر الصادق ، كالشهادة على الشهادة ؛ وبالاستفاضة ، كالشهادة على الأنساب ؛ وبالدلالة ، كالشهادة على الأملاك ، وكتعديل الشاهد وجرحه. وقال ابن دريد : الإشهاد أربعة : الملائكة بإثبات أعمال العباد ، والأنبياء ، وأمة محمد ، والجوارح. انتهى. ولما كان بين الرؤية بالبصر والإدراك بالبصيرة مناسبة شديدة ، سمي إدراك البصيرة : مشاهدة وشهودا ، وسمي العارف : شاهدا ومشاهدا ، ثم سميت الدلالة على الشيء : شهادة عليه ، لأنها هي التي بها صار الشاهد شاهدا. وقد اختص هذا اللفظ في عرف الشرع بمن يخبر عن حقوق الناس بألفاظ مخصوصة على جهات. قالوا : وفي هذه الآية دلالة على أن الأصل في المسلمين العدالة ، وهو مذهب أبي حنيفة ، واستدل بقوله : {أمة وسطا} ، أي عدولا خيارا. وقال بقية العلماء : العدالة وصف عارض لا يثبت إلابيينة ، وقد اختار المتأخرون من أصحاب أبي حنيفة ما عليه الجمهور ، لتغير أحوال الناس ، ولما غلب عليهم في هذا القوت ، وهذا الخلاف في غير الحدود والقصاص.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤١٧

{ويكون الرسول عليكم شهيدا } : لا خلاف أن الرسول هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي شهادته أقوال : أحدها : شهادته عليهم أنه قد بلغهم رسالة ربه. الثاني : شهادته عليهم بإيمانهم. الثالث : يكون حجة عليهم. الرابع : تزكيته لهم وتعديله إياهم ، قاله عطاء ، قال : هذه الأمة شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين ، والرسول شهيد معد مرك لهم. وروي في ذلك حديث. وقد تقدم أيضا ما روى البخاري في ذلك. واللام في قوله : لتكونوا هي ، لام كي ، أو لام الصيرورة عند من يرى ذلك ، فمجيء ما بعدها سببا لجعلهم خيارا ، أو عدولا ظاهرا. وأما كون شهادة الرسول عليهم سببا لجعلهم خيارا ، فظاهر أيضا ، لأنه إن كانت الشهادة بمعنى التزكية ، أو بأي معنى فسرت شهادته ، ففي ذلك الشرف التام لهم ، حيث كان أشرف المخلوقات هو الشاهد عليه. ولما كان الشهيد كالرقيب على المشهود له ، جيء بكلمة على ، وتأخر حرف الجر في قوله : على الناس ، عما يتعلق به. جاء ذلك على الأصل ، إذ العامل أصله أن

يتقدم على المعمول. وأما في قوله : {عليكم شهيدا } فتقدمه من باب الاتساع في الكلام للفصاحة ، ولأن شهيدا أشبه بالفواصل والمقاطع من قوله : عليكم ، فكان قوله : شهيدا ، تمام الجملة ، ومقطعها دون عليكم. وما ذهب إليه الزمخشري من أن تقديم على أولا ، لأن الغرض فيه إثبات شهادتهم على الأمم ؛ وتأخير على : لاختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم ، فهو مبني على مذهبه : أن تقديم المفعول والمجرور يدل على الاختصاص.

٤٢٢

." (١)

"ثم ذكر أن مثل الكفار وداعيهم إلى ما أنزل الله ، مثل الناعق بما لا يسمع إلا مجرد ألفاظ. ثم ذكر ما هم عليه من الصمم والبكم والعمي ، التي هي مانعة من وصول العلوم إلى الإنسان ، فلذلك ختم بقوله {فهم لا يعقلون} ، لأن طرق العقل والعلم مفسدة عليهم. ثم نادى المؤمنين نداء خاصا ، وأمرهم بالأكل من الطيب وبالشكر لله. ثم ذكر أشياء مما حرم ، وأباح الأكل منها حال الاضطرار ، وشرط في تناول ذلك أن لا يكون المضطر باغيا ولا عاديا. ولما أحل أكل الطيبات وحرم ما حرم هنا ، ذكر أحوال من كتم ما أنزل الله واشترى به النزر اليسير ، لتعتبر هذه الأمة بحال من كتم العلم وباعه بأخس ثمن ، إذ أخبر تعالى أنه لا يأكل في بطنه إلا النار ، أي ما يوجب أكله النار. وأن الله لا يكلمهم يوم القيامة ولا يزكيهم حين يكلم المؤمنين تكليم رحمة وإحسان. وذكر أنهم مع انتفاء التعليم الذي هو أعلى الرتب للمرؤوس من الرئيس ، حيث أهله لمناجاته ومحادثته ، وانتفاء الثناء عليهم لهم العذاب المؤلم. ثم بالغ في ذمهم بأن هؤلاء هم الذين آثروا الضلال على الهدى ، والعذاب على النعيم. ثم ذكر أنهم بصدد أن يتعجب من جلدهم على النار ، وأن ما حصل لهم من العذاب هو بسبب ما أنزل الله من الكتاب فخالفوه. ثم ذكر أن الذين اختلفوا فيما أنزل الله هم في معاداة لا تنقطع.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٧٧

٤٩٦

قبل : ظرف مكان ، تقول : زيد قبلك. وشرح المعنى : أنه في المكان الذي هو مقابلك فيه. وقد يتسع فيه فيكون بمعنى : العندية المعنوية. تقول لي : قبل زيد دين. الرقاب : جمع رقبة ، والرقبة : مؤخرالعنق ،

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١/٣٦٦

واشتقاقها من المراقبة ، وذلك أن مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم. ولهذا المعنى يقال : أعتق الله رقبته ، ولا يقال : أعتق الله عنقه ، لأنها لما سميت رقبة ، كانت كأنها تراقب العذاب. ومن هذا يقال للتي لا يعيش لها ولد : رقوب ، لأجل مراعاتها موت ولدها. قال في المنتخب : وفعال جمع يطرد لفعله ، سواء كانت اسما نحو : رقبة ورقاب ، أو صفة نحو : حسنة وحسان ، وقد يعبر بالرقبة عن الشخص بجملته. البأساء : اسم مشتق من البؤس ، إلا أنه مؤنث وليس بصفة ، وقيل : هو صفة أقيمت مقام الموصوف. والبؤس والبأساء : الفقر ، يقال منه : بئس الرجل ، إذا افتقر ، قال الشاعر :

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٩٦

٤٩٦

قبل : ظرف مكان ، تقول : زيد قبلك. وشرح المعنى : أنه في المكان الذي هو مقابلك فيه. وقد يتسع فيه فيكون بمعنى : العندية المعنوية. تقول لي : قبل زيد دين. الرقاب : جمع رقبة ، والرقبة : مؤخرالعنق ،
واشتقاقها من المراقبة ، وذلك أن مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم. ولهذا المعنى يقال : أعتق الله رقبته ، ولا يقال : أعتق الله عنقه ، لأنها لما سميت رقبة ، كانت كأنها تراقب العذاب. ومن هذا يقال للتي لا يعيش لها ولد : رقوب ، لأجل مراعاتها موت ولدها. قال في المنتخب : وفعال جمع يطرد لفعله ، سواء كانت اسما نحو : رقبة ورقاب ، أو صفة نحو : حسنة وحسان ، وقد يعبر بالرقبة عن الشخص بجملته. البأساء : اسم مشتق من البؤس ، إلا أنه مؤنث وليس بصفة ، وقيل : هو صفة أقيمت مقام الموصوف. والبؤس والبأساء : الفقر ، يقال منه : بئس الرجل ، إذا افتقر ، قال الشاعر :

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٩٦

ولم يك في بؤس إذا بات ليلةيناغي غزالا ساجي الطرف أكحلا

". (١)

"في القرآن مذكورا مفعوله ، كقوله : {ومن يغفر الذنوب إلا الله} وتارة محذوفا. كقوله تعالى : {يغفر لمن يشآء} وجاء : استغفر ، أيضا معدى باللام ، كما قال تعالى : {فاستغفروا لذنوبهم} {واستغفر لذنابك} وكأن هذه اللام ، والله أعلم ، لام العلة ، وأن ما دخلت عليه مفعول من أجله ، واستفعل هنا للطلب ، كاستوهب واستطعم واستعان ، وهو أحد المعاني التي جاء لها استفعل ، وقد ذكرنا ذلك في قوله

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١/٤٣٤

: {وإياك نستعين} .

{إن الله غفور رحيم} هذا كالسبب في الأمر بالاستغفار ، وهو أنه تعالى كثير الغفران ، كثير الرحمة ، وهاتان الصفتان للمبالغة ، وأكثر بناء : فعول ، من : فعل ، نحو : غفور ، وصفوح ، وصبور ، وشكور ، وضروب ، وقتول ، وتروك ، وهجوم ، وعلوك ، وأكثر بناء : فعيل ، من ففعل بكسر العين نحو : رحيم ، وعليم ، وحفيظ ، وسميع ، وقد يتعارضان. قالوا : رقب فهو رقيب ، وقدر فهو قدير ، وجهل فهو جهول ؛ وقد تقدم الكلام على نحو هذه الجمل ، أعني : أن يكون آخر الكلام ذكر اسم الله ، ثم يعاد بلفظه بعد : إن ، والأولى أن يطلق الغفران والرحمة ، وإن ذلك من شأنه تعالى.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٨٢

وقيل : إن المغفرة الموعودة في الآية هي عند الدفع من عرفات ، وقيل : إنها عند الدفع من جمع إلى منى ، والأولى ما قدمناه.

{فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم ءاباءكم أو أشد ذكرا } وسبب نزولها أنهم كانوا إذا اجتمعوا في الموسم تفاخروا بآبائهم ، فيقول أحدهم : كان يقرى الضيف ، ويضرب بالسيف ، ويطعم الطعام ، وينحر الجزور ، ويفك العانى ، ويجر النواصي ، ويفعل كذا وكذا. فنزلت.

وقال الحسن : كانوا إذا حدثوا أقسموا بالآباء ، فيقولون. وأبيك ، فنزلت.

وقال السدي : كانوا إذا قضوا المناسك وأقاموا بمنى يقوم الرجل ويسأل الله فيقول : اللهم إن أبي كان عظيم الجفنة ، كثير المال فأعطني بمثل ذلك ليس يذكر الله ، إنما يذكر أباه ويسأل الله أن يعطيه في دنياه ، وقال : معناه أبو وائل ، وابن زيد ، فنزلت : فإذا قضيتم ، أي أديتم وفرغتم. كقوله : {فإذا قضيت الصلواة} أي : أديت ، وقد يعبر بالقضاء عن ما يفعل من العبادات خارج الوقت المحدود ، والقضاء إذا علق على فعل النفس فالمراد منه الإتمام والفراغ ، كقوله : وما فاتكم فاقضوا وإذا علق على فعل غيره ، فالمراد منه الإلزام ، كقوله : قضى الحاكم بينهما ، والمراد من الآية الفراغ.

وقال بعض المفسرين : يحتمل أن يكون هذا الشرط والجزاء ، كقولك : إذا حججت فطف وقف بعرفة ، ١٠٢

فلا نعني بالقضاء الفراغ من الحج ، بل الدخول فيه ، ونعني بالذكر ما أمروا به من الدعاء بعرفات ، والمشعر الحرام ، والطواف والسعي ، فيكون المعنى : فاذا شرعتم في قضاء المناسك ، أي : في أدائها فاذكروا. وهذا خلاف الظاهر ، لأن الظاهر الفراغ. من المناسك لا الشروع فيها ، ويؤيد ذلك مجيء الفاء في : فإذا

، بعد الجمل السابقة.
والمناسك هي مواضع العبادة ، فيكون هذا على حذف مضاف ، أي : أعمال مناسككم ، أو العبادات نفسها المأمور بها في الحج ، قاله الحسن ، أو الذبائح وإراقة الدماء ، قاله مجاهد.
فاذكروا الله : هذا جواب : إذ ، والمعنى : إذا فرغتم من الوقوف بعرفة ، ونفرتم من منى ، فعظموا الله وأثنوا عليه إذ هداكم لهذه الطاعة ، وسهلها ويسرها عليكم ، حتى أديتم فرض ربكم وتخلصتم من عهدة هذا الأمر الشاق الصعب الذي لا يبلغ إلا بالتعب الكثير ، وانهماك النفس والمال ، وقيل : الذكر هنا هو ذكر الله على الذبيحة ، وقيل : هو التكبيرات بعد الصلاة في يوم النحر وأيام التشريق ، وقيل : بل المقصود تحويلهم عن ذكر آبائهم إلى ذكره تعالى كذكركم آباءكم تقدم. هذا هو ذكر مفاخرهم ، أو السؤال من الله أن يعطيهم مثل ما أعطى آباءهم ، أو القسم بآبائهم ، وقيل : ذكر آبائهم في حال الصغر ، ولهجه بأبيه يقول : أبه أبه ، أول ما يتكلم. وقيل : معنى الذكر هنا الغضب لله كما تغضب لوالديك إذا سبا ، قاله أبو الجوزاء ، عن ابن عباس. ونقل ابن عطية أن محمد بن كعب القرظي قرأ : كذكركم آباؤكم ، برفع الأباء ، ونقل غيره عن محمد بن كعب أنه قرأ : أباكم ، على الإفراد ، ووجه الرفع أنه فاعل بالمصدر ، والمصدر مضاف إلى المفعول ، التقدير : كما يذكركم آباؤكم. والمعنى : ابتهلوا بذكر الله والهجوا به كما يلهج المرء بذكر ابنه. ووجه الإفراد أنه استغنى به عن الجمع ، لأنه يفهم الجمع من الإضافة إلى الجمع ، لأنه معلوم أن المخاطبين ليس لهم أب واحد ، بل آباء.
جزء : ٢ رقم الصفحة : ٨٢
." (١)

"ثم ذكر تعالى أنه يعلم ما لا يعلمون حيث شرع القتال ، فهو تعالى عالم بما يترتب لكم من المصالح الدينية والدنيوية على مشروعية القتال.
ثم ذكر تعالى أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام ، لما كان وقع ذلك منهم ، لا على سبيل القصد ، بل على سبيل الظن أن الزمان الذي وقع فيه ليس هو من الشهر الحرام ، فأخبروا أن ذلك هو إثم كبير ، إذ كانت العادة أن الأشهر لحرم لا قتال فيها ، ثم ذكر أن أكبر من ذلك هو ما يرتكبه الكفار من صد المسلمين عن سبيل الله ، ومن الكفر بالله ، وبالمسجد الحرام ، ومن إخراج

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٦٣/٢

أهله منه.

ثم ذكر تعالى أن الفتنة أكبر من القتل وهو فتنة الرجل المسلم عن دينه ، أكبر من قتله وهو على دينه ، لأن تلك الفتنة تؤول به إلى النار ، وقتله هذا يؤول به إلى الجنة.

ثم أخبر تعالى عن دوام عداء عداوة الكفار ، وأن مقصدهم إنما هو فتنتكم عن دينكم ورجوعكم إلى ما هم عليه من الضلال ، وأنه متى أمكنهم ذلك وقدروا عليه قاتلوكم ، ثم أخبر تعالى أن من رجع عن دينه الحق إلى دينه الباطل ، ووافى على ذلك ، فجميع ما تقدم من أعماله الصالحات قد بطلت في الدنيا بإلحاقه بالكفار ، وإجراء أحكام المرتدين عليه ، وفي الآخرة فلا يبقى لها ثمرة يرتجي بها غفرانا لما اجترح ، بل مآله إلى النار خالدا فيها.

ثم لما ذكر حال المرتد عن دينه ، ذكر حال من آمن

١٥٣

بالله وثبت على إيمانه ، وهاجر من وطنه الذي هو محل الكفر إلى دار الإسلام ، ثم جاهد في سبيل الله من كفر بالله ، وأنه طامع في رحمة الله.

ثم ذكر تعالى أنه غفور لما وقع منه قبل ا لإيمان ولما يتخلل في حالة الإيمان من بعض المخالفة ، وأنه رحيم له ، فهو يحقق له ما طمع فيه من رحمته.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٣٣

الخمر : هي المعتصر من العنب إذا غلى واشتد وقذف بالزبد ، سمى بذلك من خمر إذا ستر ، ومنه خمار المرأة ، وتخمرت واختمرت ، وهي حسنة الخمرة ، والخمر ما واراك من الشجر وغيره ، ودخل في خمار الناس وغمارهم أي : في مكان خاف. وخمر فتاتكم ، وخامري أم عامر ، مثل الأحمق ، وخامري حضاجر أتاك ما تحاذر ، وحضاجر اسم للذكر والأنثى من السباع ، ومعناه : ادخلي الخمر واستتري.

فلما كانت تستر العقل سميت بذلك ، وقيل : لأنها تخمر : أي تغطي حتى تدرك وتشتد.

وقال ابن الأنباري : سميت بذلك لأنها تخامر العقل أي : تخالطه ، يقال : خامر الداء خالط ، وقيل : سميت بذلك لأنها تترك حين تدرك ، يقال : اختمر العجين بلغ إدراكه ، وخمر الرأي تركه حتى يبين فيه الوجه ، فعلى هذه الاشتقاقات تكون مصدرا في الأصل وأريد بها اسم الفاعل أو اسم المفعول.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٥٤

الميسر : القمار ، وهو مفعل من : يسر ، كالموعد من وعد ، يقال يسرت الميسر أي قامرته ، قال الشاعر

:

لو تيسرون بخيل قد يسرت بهاوكل ما يسر الأقوام مغروم

واشتقاقه من اليسر وهو السهولة ، أو من اليسار لأنه يسلب يساره ، أو من يسر الشيء إذا وجب ، أو من يسر إذا جزر والياسر الجازر ، وهو الذي يجزىء الجزور أجزاء ، قال الشاعر :

أقول لهم بالشعب إذ تيسرونيألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم ؟

وسميت الجزور التي يسهم عليها ميسرا لأنها موضع اليسر ، ثم قيل للسهام : ميسر للمجاورة ، واليسر ، الذي يدخل في الضرب بالقداح وجمعه ، أيسار ، وقيل : يسر جمع ياسر كحارس وحرس وأحراس.

وصفة الميسر أنه عشرة أقداح ، وقيل : أحد عشر على ما ذكر فيه ، وهي : الأزلام ، والأقلام ، والسهام. لسبعة منها حظوظ ، وفيها فروض على عدة الحظوظ : القد ، وله سهم واحد ؛ والتوأم ، وله سهمان ، **والرقيب** ، وله ثلاثة ؛ والجلس ، وله أربعة ؛ والنافس ، وله خمسة ؛ والمسبل وله ستة ؛ والمعلى وله سبعة ؛ وثلاثة أغفال لا حظوظ لها ، وهي : المنيح ، والسفيح ، والوغد ، وقيل : أربعة وهي : المصدر ، والمضعف ، والمنيح ، والسفيح. تزاد هذه الثلاثة أو الأربعة على الخلاف لتكثر السهام وتختلط على الحرضة وهو الضارب بالقداح ، فلا يجد إلى الميل مع أحد سبيلا ، ويسمى أيضا : المجيل ، والمغيض ، والضارب ، والضريب. ويجمع ضرباء ، وهو رجل عدل عندهم. وقيل يجعل **رقيب** لئلا يحابي أحدا ، ثم يجثو الضارب على ركبتيه ، ويلتحف بثوب ، ويخرج رأسه يجعل تلك القداح في الربابة ، وهي خريطة يوضع فيها ، ثم يجلجها ، ويدخل يده ويخرج باسم رجل رجل قدحا منها ، فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ، ومن خرج له قدح من تلك الثلاثة لم يأخذ شيئا ، وغرم الجزور كله.

وكانت عادة العرب أن تضرب بهذه القداح

١٥٤

في الشتوة وضيق العيش وكلب البرد على الفقراء ، فيشترون الجزور وتضمن الأيسار ثمنها ، ثم تنحر ويقسم على عشرة أقسام ، في قول أبي عمرو ، وثمانية وعشرين على قدر حظوظ السهام في قول الأصمعي.

". (١)

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢/١٠٦

"{قال رب اجعل لى ءاية قال ءايتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا } قال الربيع ، والسدي ، وغيرهما : هن زكريا قال : يا رب إن كان ذلك الكلام من قبلك ، والبشارة حق ، فاجعل لي آية ، علامة أعرف بها صحة ذلك فعوقب على هذا الشك في أمر الله بأن منع الكلام ثلاثة أيام مع الناس. وقالت فرقة من المفسرين : لم يشك قط زكريا ، وإنما سأل عن الجهة التي بها يكون الولد ، وتتم به البشارة ، فلما قيل له : .

{كذلك الله يفعل ما يشآء} سأل علامة على وقت الحمل ليعرف متى يكون العلوق بيحيى.

واختلفوا في منعه الكلام : هل كان لآفة نزلت به أم لغير آفة ؟ فقال جبير بن نفير : ربا لسانه في فيه حتى ملأه ، ثم أطلقه الله بعد ثلاث. وقال الربيع ، وغيره : أخذ الله عليه لسانه فجعل لا يقدر على الكلام معاقبة على سؤال آية بعد مشافهة الملائكة له بالبشارة. وقالت طائفة : لم تكن آفة ، ولكنه منع مجاورة الناس ، فلم يقدر عليها ، وكان يقدر على ذكر الله. قاله الطبري ، وذكر نحوه عن محمد بن كعب ، وكانت الآية حبس اللسان لتخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها ، وكأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له : آيتك أن يحبس لسانك إلا عن الشكر. وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مشتقا من السؤال ، ومنتزعا منه وكان الإعجاز في هذه الآية من جهة قدرته على ذكر الله ، وعجزه عن تكليم الناس ، مع سلامة البنية واعتدال المزاج ، ومنه جهة وقوع العلوق وحصوله على وفق الأخبار.

وقيل : أمر أن يصوم ثلاثة أيام ، وكانوا لا يتكلمون في صومهم. وقال أبو مسلم : يحتمل أن يكون معناه : آيتك أن تصير مأمورا بأن لا تكلم الخلق ، وأن تشتغل بالذكر شكرا على إعطاء هذه الموهبة ، وإذا أمرت بذلك فقد حصل المطلوب. قيل : فسأل الله أن يفرض عليه فرضا يجعله شكرا لذلك.

والذي يدل عليه ظاهر الآية أنه سأل آية تدل على أنه يولد له ، فأجابه بأن آيته انتفاء الكلام منه مع الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ، وأمر بالذكر والتسبيح وانتفاء الكلام قد يكون لمتكلف به ، أو بملزومه في شريعتهم ، وهو

٤٥١

الصوم ، وقد يكون لمنع قهري مدة معينة لآفة تعرض في الجارحة ، أو لغير آفة ، قالوا : مع قدرته على الكلام بذكر الله. قال الزمخشري : ولذلك قال : {واذكر ربك} إلى آخره يعني في أيام عجزك عن تكليم الناس ، وهي من الآيات الباهرة. إنتهى.

ولا يتعين ما قاله لما ذكرناه من احتمالات وجوه الإنتفاء ، ولأن الأمر بالذكحر والتسبيح ليس مقيدا بالزمان الذي لا يكلم الناس ، وعلى تقدير تقييد ذلك لا يتعين أن يكون الذكر والتسبيح بالنطق بالكلام ، وظاهر : جعل ، هنا أنها بمعنى صير ، فتتعدى لمفعولين : الأول آية ، والثاني المجرور ، قبله وهو : لي ، وهو يتعين تقديمه ، لأنه قبل دخول : اجعل ، هو مصحح لجواز الابتداء بالنكرة.

وقرأ ابن أبي عبلة : أن لا تكلم ، برفع الميم على أن : أن ، هي المخففة من الثقيلة ، أي أنه لا تكلم ، واسمها محذوف ضمير الشأن ، أو على إجراء : أن ، مجرى : ما المصدرية ، وانتصاب : ثلاثة أيام ، على الظرف خلافا للكوفيين ، إذ زعموا أنه كان اسم الزمان يستغرقه الفعل ، فليس بظرف ، وإنما ينتصب انتصاب المفعول به نحو : صمت يوما ، فانتصاب ثلاثة أيام عندهم على أنه مفعول به ، لأن انتفاء الكلام منه للناس كان واقعا في جميع الثلاثة ، لم يخل جزء منها من انتفاء فيه. والمراد : ثلاثة أيام بلياليها ، يدل على ذلك قوله في سورة مريم : {ءايتك ألا تكلم الناس ثلاثة} وهذا يضعف تأويل من قال : أمر بالصوم ثلاثة أيام ، وكانوا لا يتكلمون في صومهم ، والليالي تبعد مشروعية صومها ، ولم يعين ابتداء ثلاثة أيام ، بل أطلق فقال : ثلاثة أيام ، فإن كان ذلك بتكليف فيمكن أن يكون ذلك موكولا إلى اختياره ، يمتنع من تكليم الناس ثلاثة أيام متى شاء ، ويمكن أن يكون ذلك من حين الخطاب ، وإن كان بمنع قهري فيظهر أنه من حين الخطاب.

قيل : وفي ذلك دلالة على نسخ القرآن بالسنة ، وهذا على تقدير قدرة زكريا على الكلام في تلك الأيام الثلاثة ، وأن شرعه شرع لنا وإن نسخه قوله صلى الله عليه وسلم : لا صمت يوم إلى الليل.

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن معناه : لا صمت يوم ، أي عن ذكر الله ، وأما الصمت عما لا منفعة فيه ، فحسن.

واستثناء الرمز ، قيل : هو استثناء منقطع ، إذا الرمز لا يدخل تحت التكليم ، من أطلق الكلام في اللغة على الإشارة الدالة على ما في نفس المشير ، فلا يبعد أن يكون هذا استثناء متصلا على مذهبه. ولذلك أنشد النحويون :

أرادت كلاما فاتقت من رقيبهافلم يك إلا ومؤها بالحواجب

وقال :

إذا كلمتني بالعيون الفواترردت عليها بالدموع البوادر

واستعمل المولدون هذا المعنى. قال حبيب :

كلمته بجفون غير ناطقة

". (١)

"سورة النساء

مائة وخمس وسبعون آية وهي مدنية

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٤٩

الرقيب : فعيل للمبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا ، أحد النظر إلى أمر ليتحققه على ما هو عليه. ويقترن به الحفظ ومنه قيل للذي يرقب خروج السهم : **رقيب**.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٥٠

وقال أبو داود :

كمقاعد الرقباء للضضرباء أيديهم نواهد

والرقيب : السهم الثالث من السبعة التي لها أنصباء. **والرقيب** : ضرب من الحيات ، والمرقب : المكان العالي المشرف الذي يقف عليه **الرقيب**. والارتقاب : الانتظار.

الحوب : ازثم. يقال : حاب يحوب حوبا وحوبا وحابا وحؤوبا وحيابه. قال : المخبل السعدي.

فلا يدخلني الدهر قبرك حوبفإنك تلقاه عليك حسيب

وقال آخر :

وإن تهاجرين تكففاهغرايته لقد خطيا وحابا

وقيل : الحوب بفتح الحاء المصدر وبضمها الاسم ، وتحوب الرجل ألقى الحوب عن نفسه كتحنث وتأثم وتحرج. وفلان يتحوب من كذا يتوقع. وأصل الحوب : ازجر للإبل ، فسمى الإثم حوبا لأنه يزجر عنه ، وبه الحوبة الحاجة ، ومنه في الدعاء إليك أرفع حوبتي. ويقال : الحق الله به الحوبة أي المسكنة والحاجة. مثنى وثلاث ورباع : معدولة عن اثنين اثنين ، وثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة. ولا يراد بالمعدول عنه التوكيد ، إنما يراد بذلك تكرار العدد إلى غاية المعدود. كقوله : ونفروا بعيرا بعيرا ،

١٥٠

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٤٣/٢

وفصلت الحساب لك بابا بابا ، ويتحتم منع صرفها لهذا العدل. والوصف على مذهب سيبويه والخليل وأبي عمرو ، وأجاز الفراء أن تصرف ، ومنع الصرف عنده أولى. وعلة المنع عنده العدل والتعريف بنية الألف واللام ، وامتنع عنده إضافتها لأنها في نية الألف واللام. وامتنع ظهور الألف واللام لأنها في نية الإضافة ، وقد ذكرنا الرد عليه في كتاب التكميل من تأليفنا.." (١)

"وأما قول ابن عطية : ويرد عندي هذه القراءة من المعنى وجهان ، فجسارة قبيحة منه لا تليق بحاله ولا بطهارة لسانه. إذ عمد إلى قراءة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بها سلف الأمة ، واتصلت بأكابر قراء الصحابة الذين تلقوا القرآن من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير واسطة عثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت. وأقرأ الصحابة أبي بن كعب عمد إلى ردها بشيء خطر له في ذهنه ، وجسارته هذه لا تليق إلا بالمعتزلة كالزمخشري ، فإنه كثيرا ما يطعن في نقل القراء وقراءتهم ، وحمزة رضي الله عنه : أخذ القرآن عن سليمان بن مهران الأعمش ، وحمدان بن أعين ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وجعفر بن محمد الصادق ، ولم يقرأ حمزة حرفا من كتاب الله إلا بأثر. وكان حمزة صالحا ورعا ثقة في الحديث ، وهو من الطبقة الثالثة ، ولد سنة ثمانين وأحكم القراءة وله خمس عشرة سنة ، وأم الناس سنة مائة ، وعرض عليه القرآن من نظرائه جماعة منهم : سفيان الثوري ، والحسن بن صالح. ومن تلاميذه جماعة منهم إمام الكوفة في القراءة والعربية أبو الحسن الثوري ، والحسن بن صالح. ومن تلاميذه جماعة منهم إمام الكوفة في القراءة والعربية أبو الحسن الكسائي. وقال الثوري وأبو حنيفة ويحيى بن آدم : غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض. وإنما ذكرت هذا وأطلت فيه لئلا يطلع عمر على كلام الزمخشري وابن عطية في هذه القراءة فيسيء ظنا بها وبقارئها ، فيقارب أن يقع في الكفر بالطعن في ذلك. ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم ، فكم حكم ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون ، وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون ، وإنما يعرف ذلك من له استبحار في علم العربية ، لا صحاب الكنانيس المشتغلون بضروب من العلوم الآخذون عن الصحف دون الشيوخ.

{إن الله كان عليكم رقيبا} لا يراد بكان تقييد الخبر بالمخبر عنه في الزمان الماضي المنقطع في حق الله تعالى ، وإن كان موضوع كان ذلك ، بل المعنى على الديمومة فهو تعالى رقيب في الماضي وغيره علينا ، والرقيب تقدم شرحه في المفردات. وقال بعضهم : هنا هو العليم ، والمعنى : أنه مراع لكم لايخفى عليه

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٢١/٣

ن أمركم شيء فاتقوه {وءاتوا اليتامى أموالهم} قال مقاتل والكلبي : نزلت في رجل من غطفان كان عنده مال كثير لابن أخ له يتيم ، فلما بلغ طلب المال فمنعه. ومناسبتها لما قبلها أنه لما وصل الأرحام أتبع بالأيتام ، لأنهم صاروا بحيث لا كافل لهم ، ففارق حالهم حال من له رحم ماسه. وظاهره الأمر بإعطاء اليتامى أموالهم.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٥٠

واليتم في بني آدم : فقد الأب ، وهو جمع يشمل الذكور والإناث. وينقطع هذا الاسم شرعا بالبلوغ ، فلا بد من مجاز ، ما في اليتامى لإطلاقه على البالغين اعتبارا وتسمية بما كانوا عليه شرعا قبل البلوغ من اسم اليتم ، فيكون الأولياء قد أمروا بأن لا تؤخر الأموال عن حد البلوغ ، ولا يمطلوا إن أونس منهم الرشد. وأما أن يكون المجاز في أوتوا ، ويكون معنى إيتاؤهم الأموال : الإنفاق عليهم منها شيئا فشيئا ، وأن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء ، ويكفوا عنها أيديهم الخاطئة. وعلى كلا المعنيين الخطاب لمن له وضع اليد على مال اليتيم شرعا. وقال ابن زيد : الخطاب لمن كانت عادته من العرب أن لا يرث الصغير من الأولاد مع الكبير ، فقيل لهم : ورثوهم أموالهم ، ولا تتركوا أيها الكبار حظوظكم حلالا طيبا حراما خبيثا ، فيجيء فعلكم ذلك تبدلا. وقيل : كان الولي يربح على يتيمه فتستنفد تلك الأرباح مال اليتيم ، فنهوا عن ذلك. واحتج أبو بكر

١٥٩

." (١)

"ومنتهى ما آل إليه أمر عيسى عليه السلام أنه طلبته اليهود فاختفى هو والحواريون في بيت ، فدلوا عليه وحضروا ليلا وهم ثلاثة عشر ، أو ثمانية عشر ، ففرقهم تلك الليلة ووجههم إلى الآفاق ، وبقي هو ورجل معه ، فرفع عيسى ، وألقى شبهه على الرجل فصلب. وقيل : هو اليهودي الذي دل عليه. وقيل : قال لأصحابه : أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل ويخلص هؤلاء ، وهو رفيقي في الجنة ؟ فقال سرجس : أنا ، فألقي عليه شبه عيسى. وقيل : ألقي شبهه على الجميع ، فلما أخرجوا نقص واحد من العدة ، فأخذوا واحدا ممن عليه الشبه فصلب. وروي أن الملك والمتناولين لم يخف عليهم أمر عيسى لما رأوه من نقصان العدة واختلاط الأمر ، فصلب ذلك الشخص ، وأبعد الناس عن خشبته أياما حتى تغير ، ولم تثبت له صفة

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٢٧/٣

، وحينئذ دنا الناس منه ، ومضى الحواريون يتحدثون في الآفاق أن عيسى صلب. وقيل : لم يلق شبهه على أحد ، وإنما معنى : ولكن شبه لهم ، أي شبه عليهم الملك المخرق ليستديم بما نقص واحد من العدة ، وكان بادر بصلب واحد وأبعد الناس عنه ، وقال : هذا عيسى ، وهذا القول هو الذي ينبغي أن يعتقد في قوله : ولكن شبه لهم. أما أن يلقى شبهه على شخص ، فلم يصح ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعتمد عليه.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٧٦

وقد اختلف فيمن ألقي عليه الشبه اختلافا كثيرا. فقيل : اليهودي الذي دل عليه. وقيل : خليفة قيصر الذي كان محبوسا عنده. وقيل : واحد من اليهود. وقيل : دخل ليقتله. وقيل : رقيب وكلته به اليهود. وقيل : ألقى الشبه على كل الحواريين. وقيل : ألقى الشبه على الوجه دون البدن ، وهذا الوثوق مما يدفع الوثوق بشيء من ذلك. ولهذا قال بعضهم : إن جاز أن يقال : إن الله تعالى يلقي شبه إنسان على إنسان آخر ، فهذا يفتح باب السفسطة. وقيل : سبب اجتماع اليهود على قتله هو أن رهطا منهم سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم : "اللهم أنت ربي ، وبكلمتك خلقتني ، اللهم العن من سبني وسب والدتي" فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير ، فاجتمعت اليهود على قتله. وشبه مسند إلى الجار والمجرور كقوله : خيل إليه ، ولكن وقع لهم التشبيه. ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول الدال عليه : إنا قتلنا أي : ولكن شبه لهم من قتلوه. ولا يجوز أن يكون ضمير المسيح ، لأن المسيح مشبه به لا مشبه.

{وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم بها من علم إلا اتباع الظن} اختلف فيه اليهود فقال بعضهم : لم يقتل ولم يصلب ، الوجه وجه عيسى ، والجسد جسد غيره. وقيل : أدخلوا عليه واحدا ليقتله ، فألقى الشبه عليه فصلب ، ونقص من العدد واحد. وكانوا علموا عدد الحواريين فقالوا : إن كان المصلوب صاحبنا فأين عيسى ؟ وإن كان عيسى فأين صاحبنا ؟ وقيل : قال العوام : قتلنا عيسى ، وقال من عاين : رفعه إلى السماء ما قتل ولا صلب. قال ابن عطية : واليقين الذي صح فيه نقل الكافة عن حواسها هو أن شخصا صلب ، وهل هو عيسى أم لا ؟ فليس هو من علم الحواس ، فلذلك لم يقع في ذلك نقل كافة. والضمير في فيه عائد على القتل معناه : في قتله ، وهذا هو الظاهر الذي يدل عليه ما قبله وما بعده. وقيل : الضمير في اختلفوا عائد على اليهود أيضا ، واختلافهم فيه قول بعضهم : إنه آلة. وقول بعضهم : إنه ابن الله تعالى. وقيل : اختلافهم فيه أن النسطورية قالوا : وقع الصلب على ناسوته دون لاهوته. وقيل : وقع القتل والصلب عليهما. وقيل : عائد على اليهود والنصارى ، فإن اليهود قالوا : هو ابن زنا. وقالت النصارى : هو ابن الله.

وقيل : اختلافهم من جهة أن النصارى قالوا : إن اليهود قتلته وصلبته ، واليهود الذين عاينوا رفعه قالوا : رفع إلى السماء. والجمهور على أن إلا اتباع الظن استثناء منقطع ، لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم.
٣٩٠
أي : ولكن اتباع الظن لهم.
جزء : 3 رقم الصفحة : ٣٧٦
" (١).

"لإلزام الحجة لئلا يقولوا : لولا أرسلت إلينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له انتهى. وقوله : لئلا هو كالتعليل لحالتي : التبشير والإنذار. والتبشير هو بالجنة ، والإنذار هو بالنار. وليس الثواب والعقاب حاكما بوجوبهما العقل ، وإنما هو مجوز لهما ، وجاء السمع فصارا واجبا وقوعهما ، ولم يستفد وجوبهما إلا من البشارة والنذارة. فلو لم يبشر الرسل بالجنة لمن امتثل التكاليف الشرعية ، ولم ينذروا بالنار من لم يمتثل ، وكانت تقع المخالفة المترتب عليها العقاب بما لا شعور للمكلف بها من حيث أن الله لا يبعث إليه من يعلمه بأن تلك معصية ، لكانت له الحجة إذ عوقب على شيء لم يتقدم إليه في التحذير من فعله ، وأنه يترتب عليه العقاب. وأما ما نصبه الله تعالى من الأدلة العقلية فهي موصلة إلى المعرفة والإيمان بالله بعلى ما يجب ، والعلل في الآية هو غير المعرفة والإيمان بالله ، فلا يرد سؤال الزمخشري. وانتصب رسلا على البدل وهو الذي عبر عنه الزمخشري بانتصابه على التكرير. قال : والأوجه أن ينتصب على المدح. وجوز غيره أن يكون مفعولا بأرسلنا مقدرة ، وأن يكون حالا موطئة. ولئلا متعلقة بمنذرين على طريق الإعمال. وجوز أن يتعلق بمقدر أي : أرسلناهم بذلك أي : بالبشارة والنذارة لئلا يكون {وكان الله عزيزا حكيما} أي لا يغالبه شيء ، ولا حجة لأحد عليه ، صادرة أفعاله عن حكمة ، فلذلك قطع الحجة بإرسال الرسل. وقيل : عزيزا في عقاب الكفار ، حكيما في الأعذار بعد تقدم الإنذار.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٩٤
{لـاكن الله يشهد بمآ أنزل إليك} الاستدراك بلكن يقتضي تقدم جملة محذوفة ، لأن لكن لا يبتدأ بها ، فالتقدير ما روي في سبب النزول وهو : أنه لما نزل إنا أوحينا إليك قالوا : ما نشهد لك بهذا ، لكن الله يشهد ، وشهادته تعالى بما أنزله إليه إثباته بإظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات. وقرأ السلمي

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣١٦/٣

والجراح الحكمي : لكن الله بالتشديد ، ونصب الجلالة. وقرأ الحسن بما أنزل إليك مبنيا للمفعول.
{أنزله بعلمها} قرأ السلمي : نزله مشددا. قال الزجاج : أنزله وفيه علمه. وقال أبو سليمان الدمشقي : أنزله من علمه. وقال ابن جريج : أنزله إليك بعلم منه أنك خيرته من خلقه. وقيل : أنزله إليك بعلمه أنك أهل لإنزاله عليك لقيامك بحقه ، وعلمك بما فيه ، وحسن دعائك إليه ، وحثك عليه. وقيل : بما يحتاج إليه العباد. وقيل : بعلمه أنك تبلغه إلى عباده من غير تبديل ولا زيادة ولا نقصان. قال ابن عطية : هذه الآية من أقوى متعلقات أهل السنة في إثبات علم الله تعالى ، خلافا للمعتزلة في أنهم يقولون : عالم بلا علم. والمعنى عند أهل السنة : أنزله وهو يعلم إنزاله ونزوله. ومذهب المعتزلة في هذه الآية : أنه أنزله مقترنا بعلمه ، أي فيه علمه من غيوب وأوامر ونحو ذلك ، فالءلم عبارة عن المعلومات التي في القرآن كما هو في قول الخضر ، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما ينقص هذا العصفور من هذا البحر. وقال الزمخشري : أنزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره ، وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان ، وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة ، لأنه بيان للشهادة بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائت للقدر ، ويحتمل أنه أنزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة.
{والملئاكة يشهدون} أي بما أنزل الله إليك. وشهادة الملائكة تبع لشهادة الله ، وقد علم بشهادة الله له ، إذ أظهر على يديه المعجزات ، وهذا على سبيل التسلية له عن تكذيب اليهود ، إن كذبك اليهود وكذبوا ما جئت به من الوحي ، فلا تبال ، فإن الله يشهد لك وملائكته ، فلا تلتفت إلى تكذيبهم.
{وكفى بالله شهيدا} أي وإن لم يشهد غيره {قل أى شىء أكبر شهادةا قل الله} .
{إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلىا بعيدا} أي ضلالا لا يقرب رجوعهم عنه ، ولا تخلصهم منه ، لأنه يعتقد عن نفسه أنه محمق ثم يتوسل بذلك الضلال إلى

٣٩٩

اكتساب المال والجاه وإلقاء غيره فيه ، فهو ضلال في أقصى غاياته. وقرأ عكرمة وابن هرمز : وصدوا بضم الصاد ، قيل : وهي في اليهود.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٩٤
" (١).

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٢٣/٣

"ومصدر الثلاثي سحت بفتحتين ، وسحت بإسكان الحاء. وقال الفراء : أصل السحت كلب الجوع

٤٨٥

ويقال : فلان مسحوت المعدة إذا كان لا يلقى أبدا إلا خائفا ، وهو راجع لمعنى الهلاك.

الحبر : بفتح الحاء وكسرها العالم ، وجمعه الأحبار. وكان أبو عبيد ينكر ذلك ويقول : هو بفتح الحاء. وقال الفراء : هو بالكسر ، واختار أبو عبيد الفتح. وتسمى هذه السورة سورة الأحبار ، ويقال : كعب الأحبار. والحبر بالكسر الذي يكتب به ، وينسب إليه الحبري الحبار. ويقال : كتب الحبر لمكان الحبر الذي يكتب به ، وسمي حبرا لتحسينه الخط وتبيينه إياه. وقيل : سمي حبرا لتأثيره في الموضع الذي يكون به من الحبار وهو الأثر.

العين : حاسة الرؤية وهي مؤنثة ، وتجمع في القلة على أعين وأعيان ، وفي الكثرة على عيون. وقال الشاعر :

ولكنني أغدو علي مفاضةدلاص كأعيان الجراد المنظم

ويقال للجاسوس : ذو العينين ، والعين لفظ مشترك بي‍ن معان كثيرة ذكرها اللغويون. الأنف : معروف والجمع آناف وأنف وأنوف.

المهيمن : الشاهد **الرقيب** على الشيء الحافظ له ، وهو اسم فاعل من هيمن قالوا : ولم يجيء على هذا الوزن إلا خمسة ألفاظ : هيمن ، وسيطر ، وبيطر ، وحيمر ، وبيقر ، ذكر هذا الخامس الزجاجي في شرحه خطبة أدب الكاتب ، ومعناه : سار من الحجاز إلى اليمن ، ومن أفق إلى أفق. وهيمن بنا أصل. وذهب بعض اللغويين إلى أن مهيمنا اسم فاعل من أمن غيره من الخوف قال : فأصله مأمن قلبت الهمزة الثانية ياء كراهة اجتماع الهمزتين فصار مؤيمن ، ثم أبدلت الهمزة الأولى هاء كما قالوا : اهراق في اراق ، وهياك في إياك ، وهذا تكلف لا حاجة إليه ، وقد ثبت نظير هذا الوزن في ألفاظ فيكون هذا منها. وأيضا فالهمزة في مؤمن اسم فاعل من آمن قد سقطت كراهة اجتماع الهمزتين ، فلا يدعي أنها أقرت وأبدل منها. وأما ما ذهب إليه ابن قتيبة من أنه تصغير مؤمن ، وأبدلت همزته هاء ، فقد كتب إليه أبو العباس المبرد يحذره من هذا القول. واعلم أن أسماء الله تعالى لا تصغر. الشرعة : السنة والطريقة شرع يشرع شرعا أي سن ، والشارع الطريق الأعظم ، ومنزل شارع إذا كان بابه قد شرع إلى طريق نافذ. المنهاج والمنهج : الطريق الواضح ، ونهج الأمر استبان ، ونهجت الطريق أبنته وأوضحته ، ونهجت الطريق سلكته.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٨٥

{قدير * يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا ءامنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم} روي عن أبي هريرة وابن عباس وجماعة : أن سبب نزولها أن يهوديا زنى بيهودية ، قيل : بالمدينة. وقيل : بغيرها من أرض الحجاز ، فسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم وطمعوا أن يكون غير الرجم حدهما ، وكان في التوراة رجم ، فأنكروا ذلك أن يكون في التوراة وافتضحوا إذ أحضروها ، وحكم الرسول فيهما بالرجم وأنفذه. وقال قتادة : السبب أن بني النضير كانوا إذا غزوا بني قريظة ، فإن قتل قرظي نضيريا قتل به ، أو نضيري قرظيا أعطى الدية. وقيل : كانت دية القرظي على نصف دية النضيري ، فلما جاء الرسول المدينة طلبت قريظة الاستواء لأنهما ابنا عم ، وطلبت الحكومة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت بنو النضير : إن حكم بما نحن عليه فخذوه ، وإلا فاحذروا. وقال السدي : نزلت في رجل من الأنصار وهذا بعيد من مساق الآية. وذكروا أن هذا الرجل هو أبو لبابة بن عبد المنذر ، أشارت إليه قريظة يوم حصرهم علام ينزل من الحكم ، فأشار إلى حلقه بمعنى أنه الذبح. وقال الشعبي : نزلت في قوم من اليهود قتل واحد منهم آخر ، فكلفوا رجلا من المسلمين أن يسأل الرسول قالوا : فإن أفتى بالدية قبلنا ، وإن أفتى بالقتل لم نقبل. وهذا نحو من قول قتادة في النضير وقريظة.
ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما بين أحكام الحرابة والسرقة ، وكان في ذكر المحاربين أنهم يحاربون الله ورسوله ويسعون في

٤٨٦

." (١)

"{وأنزلنآ إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه} لما ذكر تعالى أنه أنزل التوراة فيها هدى ونور ، ولم يذكر من أنزلها عليه لاشتراك كلهم في أنها نزلت على موسى ، فترك ذكره للمعرفة بذلك ، ثم ذكر عيسى وأنه آتاه الإنجيل ، فذكره ليقروا أنه من جملة الأنبياء ، إذ اليهود تنكر نبوته ، وإذا أنكرته أنكرت كتابه ، فنص تعالى عليه وعلى كتابه. ثم ذكر إنزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر الكتاب ، ومن أنزله مقررا لنبوته وكتابه ، لأن الطائفتين ينكرون نبوته وكتابه. وجاء هنا ذكرالمنزل إليه بكاف الخطاب ، لأنه أنص على المقصود. وكثيرا ما جاء ذلك بلفظ الخطاب لأنه لا يلبس البتة وبالحق : ملتبسا بالحق ومصاحبا له لا يفارقه ، لما كان متضمنا حقائق الأمور ، فكأنه نزل بها.

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٨٨/٣

ويحتمل أن يتعلق بأنزلنا أي : أنزلناه بأن حق ذلك ، لا أنه وجب على الله ، لكنه حق في نفسه. والألف واللام في الكتاب للعهد وهو القرآن بلا خلاف. وانتصب مصدقا على الحال لما بين يديه ، أي : لما تقدمه من الكتاب. الألف واللام فيه للجنس ، لأنه عنى به جنس الكتب المنزلة ، ويحتمل أن تكون للعهد ، لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق ، وإنما أريد نوع معلوم منه ، وهو ما أنزل السماء سوى القرآن. والفرق بينهما أنه في الأول يحتاج إلى تقدير الصفة ، وأنها حذفت ، والتقدير : من الكتاب الإلهي. وفي الثاني لا يحتاج إلى هذا التقدير ، لأن العهد في الاسم يتضمن الاسم به جميع الصفات التي للاسم ، فلا يحتاج إلى تقدير حذف.

ومهيمنا عليه أي أمينا عليه ، قاله ابن عباس في رواية التيمي ، وابن جبير ، وعكرمة ، وعطاء ، والضحاك ، والحسن. وقال ابن جريج : القرآن أمين على ما قبله من الكتب ، فما أخبر أهل الكتاب عن كتابهم فإن كان في القرآن فصدقوا ، وإلا فكذبوا. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح : شاهدا. وبه قال الحسن أيضا وقتادة ، والسدي ، ومقاتل ، وقال ابن زيد : مصدقا على ما أخبر من الكتب ، وهذا قريب من القول الأول. وقال الخليل : المهيمن هو الرقيب الحافظ. ومنه قوله :

إن الكتاب مهيمن لنبيناوالحق يعرفه ذوو الألباب

وحكاه الزجاج ، وبه فسر الزمخشري قال : ومهيمنا رقيبا على سائر الكتب ، لأنه يشهد لها بالصحة والبيان انتهى. وقال الشاعر :

مليك على عرش السماء مهيمنلعزته تعنو الوجوه وتسجد

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٨٥

فسر بالحافظ ، وهذا في صفات الله. وأما في القرآن فمعناه أنه حافظ للدين والأحكام. وقال الضحاك أيضا : معناه قاضيا. وقال عكرمة أيضا : معناه دالا. وقال ابن عطية : وقد ذكر أقوالا أنه شاهد ، وأنه مؤتمن ، وأنه مصدق ، وأنه أمين ، وأنه رقيب ، قال : ولفظة المهيمن أخص من هذه الألفاظ ، لأن المهيمن على

٥٠١

الشيء هو المعنى بأمره الشاهد على حقائقه الحافظ لحامله ، فلا يدخل فيه ما ليس منه ، والقرآن جعله الله مهيمنا على الكتب يشهد بما فيها من الحقائق وعلى ما نسبه المحرفون إليها ، فيصحح الحقائق ويبطل التحريف. وقرأ مجاهد وابن محيصن : ومهيمنا بفتح الميم الثانية ، جعله اسم مفعول أي مؤمن عليه

، أي : حفظ من التبديل والتغيير. والفاعل المحذوف هو الله أو الحافظ في كل بلد ، لو حذف منه حرف أو حركة أو سكون لتنبه له وأنكر ذلك. ورد ففي قراءة اسم الفاعل الضمير في عليه عائد على الكتاب الثاني. وفي قراءة اسم المفعول عائد على الكتاب الأول ، وفي كلا الحالين هو حال من الكتاب الأول لأنه معطوف على مصدقا والمعطوف على الحال حال. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قراءته بالفتح وقال : معناه محمد مؤتمن على القرآن. قال الطبري : فعلى هذا يكون مهيمنا حالا من الكاف في إليك. وطعن في هذا القول لوجود الواو في ومهيمنا ، لأنها عطف على مصدقا ، ومصدقا حال من الكتاب لا حال من الكاف ، إذ لو كان حالا منها لكان التركيب لما بين يديك بكاف الخطاب ، وتأويله على أنه من الالتفات من الخطاب إلى الغيبة بعيد عن نظم القرآن ، وتقديره : وجعلناك يا محمد مهيمنا عليه أبعد. وأنكر ثعلب قول المبرد وابن قتيبة أن أصله مؤتمن.

{فاحكم بينهم بمآ أنزل الله} ظاهره أنه أمر أن يحكم بما أنزل الله ، وتقدم قول من قال : إنها ناسخة لقوله : {أو أعرض عنهم} وقول الجمهور : إن اخترت أن تحكم بينهم بما أنزل الله ، وهذا على قول من جعل الضمير في بينهم عائدا على اليهود ، ويكون على قول الجمهور أمر ندب ، وإن كان الضمير للمتحاكمين عموما ، فالخطاب للوجوب ولا نسخ.

{ولا تتبع أهوآءهم} أي لا توافقهم في أغراضهم الفاسدة من التفريق في القصاص بين الشريف والوضيع ، وغير ذلك من أهوائهم التي هي راجعة لغير الدين والشرع.

". (١)

"{أن اعبدوا الله ربى وربكم} ولكن ما قلت لهم إلا اعبدوا الله وأما فعل الأمر فمسند إلى ضمير الله تعالى فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لأن الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم ، وإن جعلتها موصولة بالفعل لم يخل من أن تكون بدلا من ما أمرتني به أو من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم ، لأن البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ، ولا يقال ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم إلا عبادته لأن العبادة لا تقال وكذلك إذا جعلته بدلا من الهاء لأنك لو أقمت {أن اعبدوا الله} لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع إليه من صلته.

)

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤٠٢/٣

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥٧
فإن قلت) : فكيف تصنع ؟ (قلت) : يحمل فعل القول على معناه لأن معنى {ما قلت لهم إلا مآ أمرتنى به} ما أمرتهم إلا بما أمرتني به حتى يستقيم تفسيره بـ{أن اعبدوا الله ربى وربكم} ويجوز أن تكون موصولة عطفا على بيان الهاء لا بدلا ؛ انتهى ، وفيه بعض تلخيص. أما قوله : وأما فعل الأمر إلى آخر المنع ، وقوله لأن الله تعالى لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم فإنما لم يستقم لأنه جعل الجملة وما بعدها مضمومة إلى فعل الأمر ، ويستقيم أن يكون فعل الأمر مفسرا بقوله {اعبدوا الله} ويكون ربي وربكم من كلام عيسى على إضمار أعني أي أعني ربكم وربكم لا على الصفة التي فهمها الزمخشري ، فلم يستقيم ذلك عنده. وأما قوله : لأن العبادة لا تقال فصحيح لكن ذلك يصح على حذف مضاف ، أي : ما قلت لهم إلا القول الذي أمرتني به قول عبادة الله ، أي القول المتضمن عبادة الله. وأما قوله لبقاء الموصول بغير راجع إليه من صلته فلا يلزم في كل بدل أن يحل محل المبدل منه ، ألا ترى إلى تجويز النحويين : زيد مررت به أبي عبد الله ، ولو قلت زيد مررت بأبي عبد الله لم يجز ذلك عندهم إلا على رأي الأخفش. وأما قوله عطفا على بيان الهاء ، فهذا فيه بعد لأن عطف البيان أكثره بالجوامد الأعلام ، وما اختاره الزمخشري وجوزه غيره من كون أن مفسرة لا يصح لأنها جاءت بعد إلا ، وكل ما كان بعد إلا المستثنى بها فلا بد أن يكون له موضع من الإعراب وأن التفسيرية لا موضع لها من الإعراب ، وانظر إلى ما تضمنت محاورة عيسى وجوابه مع الله تعالى لما قرع سمعه ما لا يمكن أن يكون نزه الله تعالى وبرأه من السوء ، ومن أن يكون معه شريك ثم أخبر عن نفسه أنه لا يمكن أن يقول ما ليس له بحق ، فأتى بنفي لفظ عام ، وهو لفظ ما المندرج تحته كل قول ليس بحق حتى هذا القول المعين ، ثم تبرأ تبرؤا ثالثا وهو إحالة ذلك على علمه تعالى وتفويض ذلك إليه ، وعيسى يعلم أنه ما قاله ، ثم لما أحال على العلم أثبت علم الله به ونفى علمه بما هو لله وفيه إشارة إلى أنه لا يمكن أن يهجس ذلك في خاطري فضلا عن أن أفوه به وأقوله ، فصار مجموع ذلك نفي هذا القول ، ونفي أن يهجس في النفس ، ثم علل ذلك بأنه تعالى مستأثر بعلم الغيب ، ثم لما نزه الله تعالى وانتفى عنه قول ذلك وأن يخطر ذلك في نفسه انتقل إلى ما قاله لهم فأتى به محصورا بإلا معذوقا بأنه هو الذي أمره الله به أن يبلغهم عنه.
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥٧
{وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم} أي رقيبا كالشاهد على المشهود عليه ، أمنعهم من قول ذلك وأن يتدينوا به ، وأتي بصيغة فعيل للمبالغة كثير الحفظ عليهم والملازمة لهم وما ظرفية ودام تامة أي ما بقيت

فيهم ، أي شهيدا في الدنيا.

{فلما توفيتنى} قيل : هذا يدل على أنه توفاه وفاة الموت قبل أن يرفعه ، وليس بشيء لأن الأخبار تظافرت برفعه حيا ، وأنه في السماء حي وأنه ينزل ويقتل الدجال ، ومعنى {توفيتنى} قبضتني إليك بالرفع. وقال الحسن : الوفاة وفاة الموت ووفاة النوم ووفاة الرفع.

وقال الزمخشري : {كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد} تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الأدلة ، وأنزلت عليهم من البينات وأرسلت إليهم الرسل ؛ انتهى وفيه دسيسة الاعتزال.

{إن تعذبهم فإنهم عبادكا وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم} قال الزمخشري : {فإنهم عبادك} والذين عذبتهم جاحدين لآياتك ،

٦١

مكذبين لأنبيائك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز القوي على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب.

)

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥٧

".(١)

"{وهو القاهر فوق عبادها ويرسل عليكم حفظة} تقدم الكلام في تفسير وهو القاهر فوق عباده. قال هنا ابن عطية : {القاهر} إن أخذ صفة فعل أي مظهر القهر بالصواعق والرياح والعذاب ، فيصح أن تجعل دفوق} ظرفية للجهة لأن هذه الأشياء إنما تعاهدها للعباد من فوقهم وإن أخذ ظرفية للجهة لأن هذه الأشياء إنما تعاهدها للعباد من فوقهم وإن أخذ {القاهر} صفة ذات بمعنى القدرة والاستيلاء ففوق لا يجوز أن يكون للجهة وإنما هو لعلو القدر والشأن ، كما تقول : الياقوت فوق الحديد ؛ انتهى. وظاهر {ويرسل} أن يكون معطوفا على {وهو القاهر} عطف جملة فعلية على جملة اسمية وهي من آثار القهر. وجوز أبو البقاء أن تكون معطوفة على قوله : {يتوفاكم} وما بعده من الأفعال وأن يكون معطوفا على {القاهر} التقدير وهو الذي يقهر ويرسل ، وأن يكون حالا على إضمار مبتدإ أي وهو يرسل وذو الحال إما الضمير في {القاهر} وإما الضمير في الظرف وهذا أضعف هذه الأعاريب ، {وعليكم} ظاهره أنه

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤/٤٩

متعلق بيرسل كقوله : {يرسل عليكما شواظ} ولفظة على مشعرة بالعلو والاستعلاء لتمكنهم منا جعلوا كان ذلك علينا ويحتمل أن يكون متعلقا بحفظة أي ويرسل حفظة عليكم أي يحفظون عليكم أعمالكم ، كما قال : وإن عليكم لحافظين كما تقول : حفظت عليك ما تعمل. وجوزوا أن يكون حالا لأنه لو يتأخر لكان صفة أي حفظه كائنة عليكم أي مستولين عليكم و{حفظة} جمع حافظ وهو جمع منقاس لفاعل وصفا مذكرا صحيح اللام عاقلا وقل فيما لا يعقل. قال الزمخشري : أي ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون ؛ انتهى. وقال ابن عطية : المراد بذلك الملائكة الموكلون بكتب الأعمال ؛ انتهى. وما قالاه هو قول ابن عباس وظاهر الجمع أنه مقابل الجمع ولم تتعرض الآية لعدد ما على كل واحد ولا لما يحفظون عليه. وعن ابن عباس : ملكان مع كل إنسان أحدهما عن يمينه

١٤٧

للحسنات ، والآخر عن شماله للسيئات وإذا عمل سيئة قال : من على اليمين انتظره لعله يتوب منها فإن لم يتب كتبت عليه. وقيل : ملكان بالليل وملكان بالنهار أحدهما يكتب الخير والآخر يكتب الشر ، فإذا مشى كان أحدهما بين يديه والآخر وراءه وإذا جلس فأحدهما عن يمينه والآخر عن شماله. وقيل : خمسة من الملائكة اثنان بالليل واثنان بالنهار ، وواحد لا يفارقه ليلا ولا نهارا والمكتوب الحسنة والسيئة. وقيل : الطاعات والمعاصي والمباحات. وقيل : لا يطلعون إلا على القول والفعل لقوله : {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} ولقوله : {يعلمون ما تفعلون} وأما أعمال القلوب فعلمه لله تعالى. وقيل : يطلعون عليها على الإجمال لا على التفصيل فإذا عقد سيئة خرجت من فيه ريح خبيثة أو حسنة خرجت ريح طيبة.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٤٣

وقال الزمخشري (فإن قلت) : الله غني بعلمه عن كتب الكتبة فما فائدتها ؟ (قلت) : فيها لطف للعباد لأنهم إذا علموا إن الله رقيب عليهم ، والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في مواقف القيامة ، كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد من السوء ؛ انتهى. وقوله : {تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين * وهو الذى يتوفاكم باليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون * وهو القاهر فوق عبادها ويرسل عليكم حفظة} إن ذلك الحفظ بالكتابة كما فسروا بل قد قيل : هم الملائكة الذي قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : "تتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار" قاله قتادة والسدي. وقيل : يحفظون الإنسان من كل شيء

حتى يأتي أجله.
" (١).

"{وخلق كل شيء} قيل : هذا عموم معناه الخصوص أي وخلق العالم فلا تدخل فيه صفاته ولا ذاته كقوله : {ورحمتي وسعت كل شيء } ولا تسع إبليس ولا من مات كافرا وتدمر كل شيء ولم تدمر السموات والأرض ، قال ابن عطية : ليس هو عموما مخصصا على ما ذهب إليه قوم لأن العموم المخصص هو أن يتناول العموم شيئا ثم يخرجه بالتخصيص ، وهذا لم يتناول قط هذا الذي ذكرناه وإنما هو بمنزلة قول الإنسان : قتلت كل فارس وأفحمت كل خصم فلم يدخل القاتل قط في هذا العموم الظاهر من لفظه ، قال الزمخشري : وفيه إبطال الولد من ثلاثة أوجه : أحدها : أن مبتدع السموات والأرض وهي أجسام عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة ، لأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا ، والثاني : إن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد ، وهو تعالى متعال عن مجانس فلم يصح أن تكون له صاحبة فلم تصح الولادة ، والثالث : أنه ما من شيء إلا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد إنما يطلبه المحتاج.
{وهو بكل شيء عليم} قال ابن عطية : هذا عموم على الإطلاق لأن الله تعالى يعلم كل شيء ، وقال التبريري : {بكل شيء} من الواجب والممكن والممتنع.
{ذالكم الله ربكم لا إله إلا هوا خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل} أي {ذالكم} الموصوف بتلك الأوصاف السابقة من كونه بديعا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا خالق الموجودات عالما بكل شيء هو الله بدأ بالاسم العلم ثم قال : {ربكم} أي مالككم والناظر في مصالحكم ، ثم حصر الألوهية فيه ثم كرر وصف خلقه {كل شيء } ثم أمر بعبادته لأن من استجمعت فيه هذه الصفات كان جديرا بالعبادة وأن يفرد بها فلا يتخذ معه شريك ، ثم أخبر أنه مع تلك الصفات السابقة التي منها خلق كل شيء وهو المالك لكل شيء من الأرزاق والآجال رقيب على الأعمال.
جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٨٣
{لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار} الإدراك قيل معناه الإحاطة بالشيء وبذلك فسره هنا ابن عباس وقتادة وعطية العوفي وابن المسيب والزجاج ، قال ابن المسيب لا تحيط به الأبصار ، وقال الزجاج : لا

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤/١١٨

تحيط بحقيقته والإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى أعماقه وحوزه من جميع جهاته أو كنى بالإبصار عن الأشخاص لأن بها تدرك الأشخاص الأشياء ، وكان المعنى لا تدركه الخلق وهو يدركهم أو يكون المعنى إبصار القلب أي لا تدركه علوم الخلق وهو يدرك علومهم وذواتهم ، لأنه غير محاط به وهو على هذا مستحيل على الله عند المسلمين ولا تنافي الرؤية انتفاء الإدراك ، وقيل : الإدراك هنا الرؤية وهي مختلف فيها بين المسلمين فالمعتزلة يحيلونها وأهل السنة يجوزونها عقلا ويقولون : هي واقعة سمعا وهذه مسألة يبحث عنها في علم أصول الدين وفيه ذكر دلائل الفريقين مستوفاة وقد رأيت فيها لأبي جعفر الطوسي وهو من عقلاء الإمامية سفرا كبيرا ينصر فيه مقالة أصحابه نفاة الرؤية وقد استدل نفاة الرؤية بهذه الآية لمذهبهم وأجيبوا بأن الإدراك غير الرؤية ، وعلى تسليم أن الإدراك هو الرؤية فالإبصار مخصوصة أي أبصار الكفار الذين سبق ذكرهم أو لا تدركه في الدنيا ، قال الماتريدي : والبصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله تعالى في حاسة النظر به تدرك المبصرات وفي قوله : {وهو يدرك الابصار} دلالة على أن الإدراك لا يراد به هنا مجرد

١٩٥

الرؤية إذ لو كان مجرد الرؤية لم يكن له تعالى بذلك اختصاص ولا تمدح ، لأنا نحن نرى الأبصار فدل على أن معنى الإدراك الإحاطة بحقيقة الشيء فهو تعالى لا تحيط بحقيقته الأبصار وهو محيط بحقيقتها ، وقال الزمخشري : والمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه ، لأنه متعال أن يكون مبصرا في ذاته لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلا أو تابعا كالأجسام والهيئات {وهو يدرك الابصار} وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك.

". (١)

"{وهو اللطيف الخبير} يلطف عن أن تدركه الأبصار الخبير بكل لطيف {وهو يدرك الابصار} لا تلطف عن إدراكه وهذا من باب اللف انتهى ، وهو على مذهبه الاعتزالي وتظافرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برؤية المؤمنين الله في الآخرة ، وقد اختلفوا هل رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا ببصره ليلة المعراج ؟ فذهب جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين إلى إنكار ذلك ، وقالت عائشة وابن مسعود وأبو هريرة على خلاف عنهما بذلك ، وذهب ابن عباس وكعب والحسن وعكرمة وأحمد

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٥٦/٤

بن حنبل وأبو الحسن الأشعري وجماعة من الصحابة إلى أنه رآه ببصره وعيني رأسه ، وروي هذا عن ابن مسعود وأبي هريرة والأول عن ابن مسعود أشهر ، وقيل : {وهو يدرك الابصار} معناه لا يخفى عليه شيء وخص الأبصار لتجنيس الكلام يعني المقابلة ، وقال الزجاج : في هذا دليل على أن الخلق لا يدركون الأبصار أي لا يعرفون كيفية حقيقة البصر الذي صار به الإنسان مبصرا من عينيه دون أن يبصر من غيرهما من سائر أعضائه : {وهو اللطيف الخبير} قال أبو العالية : لطيف باستخراج الأشياء خبير بأماكنها.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٨٣

{قد جآءكم بصآئر من ربكم} هذا وارد على لسان الرسول لقوله آخره {ومآ أنا عليكم بحفيظ} والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما أن البصر نور العين الذي به تبصرأي جاءكم من الوحي والتنبيه بما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر قاله الزمخشري ، وقال ابن عطية : البصيرة هي ما ينقب عن تحصيل العقل للأشياء المنظور فيها بالاعتبار فكأنه قال : قد جاءكم في القرآن والآيات طرائق إبصار الحق والمعينة عليه والبصيرة للقلب مستعارة من إبصار العين ، وقال الحوفي : البصيرة الحجة البينة الظاهرة كما قال تعالى : {أدعوا إلى الله على بصيرة} {بل الانسان على نفسها بصيرة} ، وقال الكلبي : البصائر آيات القرآن التي فيها الإيضاح والبينات والتنبيه على ما يجوز عليه وعلى ما يستحيل وإسناد المجيء إلى البصائر مجاز لتفخيم شأنها إذا كانت بمنزلة الغائب المتوقع حضوره كما يقال جاءت العافية.

{فمن أبصر فلنفسها} أي فالإبصار لنفسه أي نفعه وثمرته.

{ومن عمى فعليها } أي فالعمى عليها أي فجدوى العمى عائد على نفسه والإبصار والعمى كنايتان عن الهدى والضلال ، والمعنى أن ثمرة الهدى والضلال إنما هي للمهتدي والضال لأنه تعالى غني عن خلقه ، وهي من الكنايات الحسنة لما ذكر البصائر أعقبها تعالى بالإبصار والعمى وهذه مطابقة ، وقدره الزمخشري {فمن أبصر} الحق وآمن {فلنفسها} أبصر وإياها نفع {ومن عمى} عنه فعلى نفسه عمي والذي قدرناه من المصدر أولى وهو فالإبصار والعمى لوجهين : أحدهما : أن المحذوف يكون مفردا لا جملة ويكون الجار والمجرور عمدة لا فضلة ، وفي تقديره هو المحذوف جملة والجار والمجرور فضلة ، والثاني : وهو أقوى وذلك أنه لو كان التقدير فعلا لم تدخل الفاء سواء كانت من شرطا أم موصولة مشبهة

١٩٦

بالشرط لأن الفعل الماضي إذا لم يكن دعاء ولا جامدا ووقع جواب شرط أو خبر مبتدأ مشبه باسم الشرط لم تدخل الفاء في جواب الشرط ولا في خبر المبتدأ ، لو قلت : من جاءني فأكرمته لم يجز بخلاف

تقديرنا فإنه لا بد فيه من الفاء ولا يجوز حذفها إلا في الشعر وقال أبو عبد الله الرازي : البصيرة اسم الإدراك التام الحاصل في القلب والآيات المتقدمة ليست في أنفسها بصائر إلا أنها لقوتها وجلائها توجب البصائر لمن عرفها ، فلما كانت أسبابا لحصول البصائر سميت بصائر.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٨٣

{ومآ أنا عليكم بحفيظ} أي **برقيب** أحصر أعمالكم أو بوكيل آخذكم بالإيمان أو بحافظكم من عذاب الله أو برب أجازيكم أو بشاهد أقوال رابعها للحسن وخامسها للزجاج ، وقال الزمخشري : {بحفيظ} أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها إنما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم. انتهى ، وهو بسط قول الحسن ، وقال ابن عطية : كان قبل ظهور الإسلام ثم بعد ذلك كان حفيظا على العالم آخذا لهم بالإسلام والسيف.

{وكذالك نصرف الايات} أي ومثل ما بينا تلك الآيات التي هي بصائر وصرفناها نصرف الآيات ونرددها على وجوه كثيرة.

". (١)

"{ولنبينه لقوم يعلمون} أي نصرف الآيات وأعاد الضمير مفردا قالوا على معنى الآيات لأنها القرآن كأنه قال : وكذلك نصرف القرآن أو على القرآن ودل عليه الآيات أو درست أو على المصدر المفهوم من {ولنبينه} أي ولنبين التبيين كما تقول : ضربته زيدا إذا أردت ضربت الضرب زيدا أو على المصدر المفهوم من نصرف ، قال ابن عباس : {لقوم} يريد أولياء الذين هداهم إلى سبيل الرشاد.

{اتبع مآ أوحى إليك من ربكا لا إله إلا هوا وأعرض عن المشركين} أمره تعالى بأن يتبع ما أوحي إليه وبأن يعرض عن من أشرك والأمر بالإعراض عنهم كان قبل نسخه بالقتال والسوق إلى الدين طوعا أو كرها ، والجملة بين الأمرين اعتراض أكد به وجوب اتباع الموحى أو في موضع الحال المؤكدة.

{ولو شآء الله مآ أشركوا } أي إن إشراكهم ليس في الحقيقة بمشيئتهم وإنما هو بمشيئة الله تعالى ، وظاهر الآية يرد على المعتزلة ويتأولونها على مشيئة القسر والإلجاء.

{وما جعلناك عليهم حفيظا } أي **رقيبا** تحفظهم من الإشراك.

{ومآ أنت عليهم بوكيل} أي بمسلط عليهم والجملتان متقاربتان في المعنى إلا أن الأولى فيها نفي جعل الحفظ منه تعالى له عليهم. والثانية فيها نفي الوكالة عليهم والمعنى إنا لم نسلطك ولا أنت في ذاتك بمسلط

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٥٧/٤

فناسب أن تعرض عنهم إذ لست مأمورا منا بأن تكون حفيظا عليهم ولا أنت وكيل

١٩٨

عليهم من تلقائك.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٨٣

{ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم} قال ابن عباس : سببها أن كفار قريش قالوا لأبي طالب : إما أن ينتهي محمد وأصحابه عن سب آلهتنا والغض منها وإما أن نسب إلهه ونهجوه فنزلت ، وقيل : قالوا ذلك عند نزول قوله : {إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم} وقيل : كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى ، وحكم هذه الآية باق في هذه الأمة فإذا كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الإسلام أو الرسول أو الله فلا يحل لمسلم ذم دين الكافر ولا صنمه ولا صليبه ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك ، ولما أمر تعالى باتباع ما أوحي إليه وبموادعة المشركين عدل عن خطابه إلى خطاب المؤمنين ، فنهوا عن سب أصنام المشركين ولم يواجه هو صلى الله عليه وسلم بالخطاب وإن كان هو الذي سبت الأصنام على لسانه وأصحابه تابعون له في ذلك لما في مواجهته وحده بالنهي من خلاف ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الأخلاق الكريمة ، إذ لم يكن عليه السلام فحاشا ولا صخابا ولا سبابا فلذلك جاء الخطاب للمؤمنين فقيل : {ولا تسبوا } ولم يكن التركيب ولا تسب كما جاء {وأعرض} وإذا كانت الطاعة تؤدي إلى مفسدة خرجت عن أن تكون طاعة فيجب النهي عنها كما ينهى عن المعصية و{الذين يدعون} هم الأصنام أي يدعونهم المشركون وعبر عن الأصنام وهي لا تعقل بالذين كما يعبر عن العاقل على معاملة ما لا يعقل معاملة من يعقل ، إذ كانوا ينزلونهم منزلة من يعقل في عبادتهم واعتقادهم فيهم أنهم شفعاء لهم عند الله تعالى ، وقيل : يحتمل أن يراد بـ{الذين يدعون} الكفار وظاهر قوله : {فيسبوا الله} أنهم يقدمون على سب الله إذا سب آلهتهم وإن كانوا معترفين بالله تعالى ، لكن يحملهم على ذلك انتصارهم لآلهتهم وشدة غيظهم لأجلها فيخرجون عن الاعتدال إلى ما ينافي العقل كما يقع من بعض المسلمين إذا اشتد غضبه وانحرف فإنه قد يلفظ بما يؤدي إلى الكفر نعوذ بالله من ذلك ، وقال أبو عبد الله الرازي : ربما كان بعضهم قائلا بالدهر ونفى الصانع فكان يأتي بهذا النوع من الشناعة أو كان المسلمون يسبون الأصنام وهم كانوا يسبون الرسول فأجرى سب الرسول مجرى سب الله تعالى كما قال :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٨٣

{إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله} وكما قال : {إن الذين يؤذون الله ورسوله} أو كان بعض الكفرة يعتقد أن شيطانا يحمل الرسول على ادعاء النبوة والرسالة وكانوا بجهلهم يشتمون ذلك الشيطان بأنه إله محمد ، انتهى. وهذه احتمالات مخالفة للظاهر وإنما أوردها لأنه ذكر أن المعترفين بوجود الصانع لا يجسرون أن يقدموا على سبه تعالى ، وقد ذكرنا ما يحمل على حمل الكلام على ظاهره ، وقال بعض الصوفية : بمعنى خاطبوهم بلسان الحجة وإلزام الدليل ولا تكلموهم على نوازع النفس والعادة وفيسبوا منصوب على جواب النهي ، وقيل : هو مجزوم على العطف كقولك :

١٩٩

(١) ".

"{واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبها وأنها إليه تحشرون} المعنى : أنه تعالى هو المتصرف في جميع الأشياء والقادر على الحيلولة بين الإنسان وبين ما يشتهيه قلبه فهو الذي ينبغي أن يستجاب له إذا دعاه إذ بيده تعالى ملكوت كل شيء وزمامه وفي ذلك حض على المراقبة والخوف من الله تعالى والبدار إلى الاستجابة له ، وقال ابن عباس وابن جبير والضحاك : يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان ، وقال مجاهد : يحول بين المرء وعقله فلا يدري ما يعمل عقوبة على عناده ففي التنزيل إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي عقل ، وقال السدي : يحول بين كل واحد وقلبه فلا يقدر على إيمان ولا كفر إلا بإذنه ، وقال ابن الأنباري : بينه وبين ما يتمناه ، وقال ابن قتيبة : بينه وبين هواه وهذان راجعان إلى القول الأول ، وقال علي بن عيسى : هو أن يتوفاه ولأن الأجل يحول بينه وبين أمل قلبه وهذا حث على انتهاز الفرصة قبل الوفاة التي هو واجدها وهي التمكن من إخلاص القلب ومخالجة أدوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله

٤٨١

ورسوله انتهى ، وهو على طريقة المعتزلة وعلي بن عيسى هو الرماني وهو معتزلي ، وقال الزمخشري أيضا. وقيل معناه : أن الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف أمنا وبالأمن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى ، فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا والمجبرة على أنه يحول بين المرء والإيمان إذا كفر وبينه وبين

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٤/١٥٩

الكفر إذا آمن تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انتهى ، وجعل هذا المسكين صدر هذه الأمة ظالمين إذ قائل ذلك هو ابن عباس ترجمان القرآن ومن ذكر معه من سادات التابعين ، وقيل : يبدل الجبن جراءة وهو تحريض على القتال بعد الأمر به بقوله استجيبوا ويكشف حقيقته قوله صلى الله عليه وسلم : "قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وتأويله بين أثرين من آثار ربوبيته". وقيل : يحول بين المؤمن وبين المعاصي التي يهم بها قلبه بالعصمة ، وقيل : معناه أنه يطلع على كل ما يخطر المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكأنه بينه وبين قلبه واختار الطبري أن يكون المعنى أن الله أخبر أنه أملك لقلوب العباد منهم وأنه يحول بينهم وبينهما إذا شاء حتى لا يدرك الإنسان شيئا إلا بمشيئته تعالى ، وقرأ ابن أبي إسحاق : بين المرء بكسر الميم اتباعا لحركة الإعراب إذ في المرء لغتان : فتح الميم مطلقا واتباعها حركة الإعراب ، وقرأ الحسن والزهري : بين المر بتشديد الراء من غير همز ووجهه أنه نقل حركة الهمزة إلى الراء وحذف الهمزة ثم شددها كما تشدد في الوقف وأجرى الوصل مجرى الوقف وكثيرا ما تفعل العرب ذلك تجري الوصل مجرى الوقف ، وهذا توجيه شذوذ وأنه إليه تحشرون الظاهر أن الضمير في أنه عائد إلى الله ويحتمل أن يكون ضمير الشأن ولما أمرهم بأن يعلموا قدرة الله وحيلولته بين المرء ومقاصد قلبه أعلمهم بأنه تعالى إليه يحشرهم فيثيبهم على أعمالهم فكان في ذلك تذكار لما يؤول إليه أمرهم من البعث والجزاء بالثواب والعقاب.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٧٣

{واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خآصة} هذا الخطاب ظاهره العموم باتقاء الفتنة التي لا تختص بالظالم بل تعم الصالح والطالح وكذلك روي عن ابن عباس قال : أمر المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب ففي البخاري والترمذي أن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده ، وفي مسلم من حديث زينب بنت جحش سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال :

٤٨٢

نعم إذا كثر الخبث ، وقيل الخطاب للصحابة ، وقيل لأهل بدر ، وقيل لعلي وعمار وطلحة والزبير ، وقيل لرجلين من قريش قاله أبو صالح عن ابن عباس ولم يسمهما والفتنة هنا القتال في وقعة الجمل أو الضلالة أو عدم إنكار المنكر أو بالأموال والأولاد أو بظهور البدع أو العقوبة أقوال ، وقال الزبير بن العوام يوم الجمل : ما علمت أنا أردنا بهذه الآية إلا اليوم وما كنت أظنها إلا فيمن خوطب بها في ذلك الوقت والجملة من

قوله لا تصيبن خبرية صفة لقوله فتنة أي غير مصيبة الظالم خاصة إلا أن دخول نون التوكيد على المنفى بلا مختلف فيه ، فالجمهور لا يجيزونه ويحملون ما جاء منه على الضرورة أو الندور والذي نختاره الجواز وإليه ذهب بعض النحويين وإذا كان قد جاء لحاقها الفعل مبنيا بلا مع الفصل نحو قوله :

فلاذا نعيم يتركن لنعيمهوإن قال قرظني وخذ رشوة أبي ولا ذا بئيسن يتركن لبؤسه فينفعه شكوى إليه إن اشتكى

٤٨٣

". (١)

"{ذالكم الله ربكم فاعبدوه} : أي المتصف بالإيجاد والتدبير والكبرياء هو ربكم الناظر في مصالحكم ، فهو المستحق للعبادة ، إذ لا يصلح لأن يعبد إلا هو تعالى ، فلا تشركوا به بعض خلقه.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٢٠

{أفلا تذكرون} : حض على التدبير والتفكر في الدلائل الدالة على ربوبيته وإمحاض العبادة له.

{إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى الذين ءامنوا وعملوا الصالحات بالقسطا والذين كفروا } : ذكر ما يقتضي التذكير وهو كون مرجع الجميع إليه ، وأكد هذا الإخبار بأنه وعد الله الذي لا شك في صدقه ثم استأنف الإخبار وفيه معنى التعليل بابتداء الخلق وإعادته وأن مقتضى الحكمة بذلك هو جزاء المكلفين على أعمالهم. وانتصب وعد الله وحقا على أنهما مصدران مؤكدان لمضمون الجملة والتقدير : وعد الله وعدا ، فلما حذف الناصب أضاف المصدر إلى الفاعل وذلك كقوله : {صبغة الله} {ءبد الله} والتقدير : في حقا حق ذلك حقا. وقيل : انتصب حقا بوعد على تقدير في أي وعد الله في حق. وقال علي بن سليمان التقدير : وقت حق وأنشد :

أحقا عباد الله أن لست خارجاولا والجا إلا علي رقيب

وقرأ عبد الله ، وأبو جعفر ، والأعمش ، وسهل بن شعيب : أنه يبدأ بفتح الهمزة. قال الزمخشري : هو منصوب بالفعل ، أي : وعد الله تعالى بدء الخلق ثم إعادته ، والمعنى : إعادة الخلق بعد بدنة. وعد الله على لفظ الفعل ، ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقا أي : حق حقا بدء الخلق كقوله :

أحقا عباد الله أن لست جائياولا ذاهبا إلا علي رقيت

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٩٣/٤

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٢٠
انتهى. وقال ابن عطية : وموضعها النصب على تقدير أحق أنه. وقال الفراء : موضعها رفع على تقدير لحق أنه. قال ابن عطية : ويجوز عندي أن يكون أنه بدلا من قوله : وعد الله. قال أبو الفتح : إن شئت قدرت لأنه يبدأ ، فمن في قدرته هذا فهو غني عن إخلاف الوعد ، وإن شئت قدرت وعد الله حقا أنه يبدأ ولا يعمل فيه المصدر الذي هو وعد الله ، لأنه قد وصف ذلك بتمامه وقطع عمله. وقرأ ابن أبي عبلة : حق بالرفع ، فهذا ابتداء وخبره أنه انتهى. وكون حق خبر مبتدأ ، وأنه هو المبتدأ هو الوجه في الإعراب كما تقول : صحيح إنك تخرج ، لأن اسم أن معرفة ، والذي تقدمها في نحو هذا المثال نكرة. والظاهر أن بدء الخلق هو النشأة الأولى ، وإعادته هو البعث من القبور ، وليجزي متعلق بيعيده أي : ليقع الجزاء على الأعمال. وقيل : البدء من التراب ، ثم يعيده إلى التراب ، ثم يعيده إلى البعث. وقيل : البدء نشأته من الماء ، ثم يعيده من حال إلى حال. وقيل : يبدؤه من العدم ، ثم يعيده إليه ، ثم يوجده. وقيل : يبدؤه في زمرة الأشقياء ، ثم يعيده عند الموت إلى زمرة الأولياء ، وبعكس ذلك. وقرأ طلحة : يبدىء من أبدأ رباعيا ، وبدأ وأبدأ بمعنى ، وبالقسط معناه بالعدل ، وهو متعلق بقوله : ليجزي أي : ليثيب المؤمنين بالعدل والإنصاف في جزائهم ، فيوصل كلا إلى جزائه وثوابه على حسب تفاضلهم في الأعمال ، فينصف بينهم ويعدل ، إذ ليسوا كلهم مساوين في مقادير الثواب ، وعلى هذا يكون بالقسط منه تعالى. قال الزمخشري : أو يقسطهم بما أقسطوا أو عدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات ، لأن الشرك ظلم قال الله تعالى : {إن الشرك لظلم عظيم} والعصاة ظلام لأنفسهم ، وهذا أوجه لمقابلة قوله : بما كانوا يكفرون انتهى ، فجعل القسط من فعل الذين آمنوا وهو على طريقة الاعتزال ، والظاهر أن والذين كفروا مبتدأ ، ويحتمل أن يكون معطوفا على قوله : الذين آمنوا ، فيكون الجزاء بالعدل قد شمل الفريقين. ولما كان
١٢٤
الحديث مع الكفارة مفتتح السورة معهم ، ذكر شيئا من أنواع عذابهم فقال : {لهم شراب من حميم وعذاب أليما بما كانوا يكفرون} وتقدم شرح هذا في سورة الأنعام.
جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٢٠
"(١).

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٥/١٠٢

"وقرأ الجمهور : فإن تولوا أي تتولوا مضارع تولى. وقرأ الأعرج وعيسى الثقفي : تولوا بضم التاء ، واللام مضارع ولي ، وقيل : تولوا ماض ويحتاج في الجواب إلى إضمار قول ، أي : فقل لهم فقد أبلغتكم ، ولا حاجة تدعو إلى جعله ماضيا وإضمار القول. وقال ابن عطية : ويحتمل أن يكون تولوا فعلا ماضيا ، ويكون في الكلام رجوع من غيبة إلى خطاب أي : فقد أبلغتكم انتهى. فلا يحتاج إلى إضمار ، والظاهر أن الضمير في تولوا عائد على قوم هود ، وخطاب لهم من تمام الجمل المقولة قبل. وقال التبريزي : هو عائد على كفار قريش ، وهو من تلوين الخطاب ، انتقل من خطاب قوم هود إلى الإخبار عمن بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكأنه قيل : أخبرهم عن قصة قوم هود ، وادعهم إلى الإيمان بالله لئلا يصيبهم كما أصاب قوم هود ، فإن تولوا فقل لهم : قد أبلغتكم. وجواب الشرط هو قوله : فق أبلغتكم ، وصح أن يكون جوابا ، لأن في إبلاغه إليهم رسالته تضمن ما يحل بهم من العذاب المستأصل ، فكأنه قيل : فإن تتولوا استؤصلتم بالعذاب. ويدل على ذلك الجملة الخبرية وهي قوله : ويستخلف ربي قوما غيركم.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٢٣

وقال الزمخشري : (فإن قلت) : الإبلاغ كان قبل التولي ، فكيف وقع جزاء للشرط ؟ (قلت) : معناه فإن تولوا لم أعاقب على تفريط في الإبلاغ ، فإن ما أرسلت به إليكم قد بلغكم فأبتم إلا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول. وقال ابن عطية : المعنى أنه ما علي كبيرهم منكم إن توليتم فقد برئت ساحتي بالتبليغ ، وأنتم أصحاب الذنب في الإعراض عن الإيمان. وقرأ الجمهور : ويستخلف بضم الفاء على معنى الخبر المستأنف أي : يهلككم ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم. وقرأ حفص في رواية هبيرة : بجزمها عطفا على موضع الجزاء ، وقرأ عبد الله كذلك ، وبجزم ولا تضروه ، وقرأ الجمهور : ولا تضرونه أي شيئا من الضرر بتوليتكم ، لأنه تعالى لا تجوز عليه المضار والمنافع. قال ابن عطية : يحتمل من المعنى وجهين : أحدهما : ولا تضرونه بذهابكم وهلاككم شيئا أي : لا ينقص ملكه ، ولا يختل أمره ، وعلى هذا

٢٣٤

المعنى قرأ عبد الله بن مسعود ولا تنقصونه شيئا. والمعنى الآخر : ولا تضرونه أي : ولا تقدرون إذا أهلككم على إضراره بشيء ، ولا على انتصار منه ، ولا تقابلون فعله بشيء يضره انتهى. وهذا فعل منفي ومدلوله نكرة ، فينتفي جميع وجوه الضرر ، ولا يتعين واحد منها. ومعنى حفيظ رقيب محيط بالأشياء علما لا يخفى عليه أعمالكم ، ولا يغفل عن مؤاخذتكم ، وهو يحفظني مما تكيدونني به.

{ولما جآء أمرنا نجينا هودا والذين ءامنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ * وتلك عادا جحدوا

بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد * وأتبعوا فى هاذه الدنيا لعنة ويوم القيامةا ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود} : الأمر واحد الأمور ، فيكون كناية عن العذاب ، أو عن القضاء بهلاكهم. أو مصدر أمر أي أمرنا للريح أو لخزنتها. والذين آمنوا معه قيل : كانوا أربعة آلاف ، قيل : ثلاثة آلاف. والظاهر تعلق برحمة منا بقوله : نجينا أي ، نجيناهم بمجرد رحمة من الله لحقتهم ، لا بأعمالهم الصالحة. أو كنى بالرحمة عن أعمالهم الصالحة ، إذ توفيقهم لها إنما هو بسبب رحمته تعالى إياهم. ويحتمل أن يكون متعلقا بآمنوا أي : أن إيمانهم بالله وبتصديق رسوله إنما هو برحمة الله تعالى إياهم ، إذ وفقهم لذلك. وتكررت التنجية على سبيل التوكيد ، ولفلق من لو لاصقت منا فأعيدت التنجية وهي الأولى ، أو تكون هذه النتيجة هي من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه ، فأعيدت لأجل اختلاف متعلقيها.
جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٢٣
." (١)

"كان قوم شعيب عبدة أوثان ، فدعاهم إلى عبادة الله وحده. وبالكفر استوجبوا العذاب ، ولم يعذب الله أمة عذاب استئصال إلا بالكفر ، وإن انضافت إلى ذلك معصية كانت تابعة. قال ابن عباس : بخير أي : في رخص الأسعار وعذاب اليوم المحيط ، هو حلول الغلاء المهلك. وينظر هذا التأويل إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : "ما نقص قوم المكيال والميزان إلا ارتفع عنهم الرزق" ونبه بقوله بخير على العلة المقتضية للوفاء لا للنقص. وقال غيره : بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف ، أو بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون ، أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه. يوم محيط أي : مهلك من قوله : {وأحيط بثمره} وأصله من إحاطة العدو ، وهو العذاب الذي حل بهم في آخره. ووصف اليوم بالإحاطة أبلغ من وصف العذاب به ، لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث ، فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه ، كما إذا أحاط بنعيمه. ونهوا أولا : عن القبيح الذي كانوا يتعاطونه وهو نقص المكيال والميزان ، وفي التصريح بالنهي نعي على المنهى وتعيير له. وأمروا ثانيا : بإيفائهما مصرحا بلفظهما ترغيبا في الإيفاء ، وبعثا عليه. وجيء بالقسط ليكون الإيفاء على جهة العدل والتسوية وهو الواجب ، لأن ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب إليه. ونهوا ثالثا : عن نقص الناس أشياءهم ، وهو عام في الناس ، وفيما بأيديهم من الأشياء كانت مما تكال وتوزن أو غير ذلك. ونهوا رابعا : عن الفساد في الأرض وهو أعم من

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١٩٤/٥

أن يكون نقصا أو غيره ، فبدأهم أولا بالمعصية الشنيعة التي كانوا عليها بعد الأمر بعبادة الله ، ثم ارتقى إلى عام ، ثم إلى أعم منه وذلك مبالغة في النصح لهم ولطف في استدراجهم إلى طاعة الله. وتفسير معاني هذه الجمل سبق في الأعراف. بقية الله قال ابن عباس : ما أبقى الله لكم من الحلال بعد الإيفاء خير من البخس ، وعنه رزق الله. وقال مجاهد والزجاج : طاعة الله. وقال قتادة : حظكم من الله. وقال ابن زيد : رحمة الله. وقال قتادة : ذخيرة الله. وقال الربيع : وصية الله. وقال مقاتل : ثواب الله في الآخرة ، وذكر الفراء : مراقبة الله. وقال الحسن : فرائض الله. وقيل : ما أبقاه الله حلالا لكم ولم يحرمه عليكم. قال ابن عطية : وهذا كله لا يعطيه لفظ الآية ، وإنما المعنى عندي إبقاء الله عليكم إن أطعتم. وقوله : إن كنتم مؤمنين ، شرط في أن يكون البقية خيرا لهم ، وأما من الكفر فلا خير لهم في شيء من الأعمال. وجواب هذا الشرط متقدم. والحفيظ المراقب الذي يحفظ أحوال من يرقب ، والمعنى : إنما أنا مبلغ ، والحفيظ المحاسب هو الذي يجازيكم بالأعمال انتهى. وليس جواب الشرط متقدما كما ذكر ، وإنما الجواب محذوف لدلالة ما تقدم عليه على مذهب جمهور البصريين. وقال الزمخشري : وإنما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الأرض وهم كفرة بشرط الإيمان ، ويجوز أن يريد ما يبقى لهم عند الله من الطاعات كقوله :

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٥٠

{والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا} وإضافة البقية إلى الله من حيث أنها رزقه الذي يجوز أن يضاف إليه ، وأما الحرام فلا يجوز أن يضاف إلى الله ، ولا يسمى رزقا انتهى ، على طريق المعتزلة في الرزق ، وقرأ إسماعيل بن جعفر عن أهل المدينة : بقية بتخفيف الياء. قال ابن عطية : هي لغة انتهى. وذلك أن قياس فعل اللازم أن يكون على وزن فعل نحو : سجيت المرأة فهي سجية ، فإذا شددت الياء كان على وزن فعيل للمبالغة. وقرأ الحسن : تقية بالتاء ، وهي تقواه ومراقبته الصارفة عن المعاصي.
". (١)

"وما توفيقي أي لدعائكم إلى عبادة الله وحده ، وترك ما نهاكم عنه إلا بموعونة الله. أو وما توفيقي لأن تكون أفعالي مسددة موافقة لرضا الله لا بمعونته ، عليه توكلت لا على غيره ، وإليه أنيب أرجع في جميع أقوالي وأفعالي. وفي هذا طلب التأييد من الله تعالى ، وتهديد للكفار وحسم لأطماعهم أن ينالوه

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٥/٢٠٨

بشر. ومعنى لا يجرمنكم : لا يكسبنكم شقاقي ، أي خلافي وعداوتي. قال السدي : كأنه في شق وهم في شق. وقال الحسن : ضراري جعله من المشقة. وقيل : فراقي. وقرأ ابن وثاب والأعمش : بضم الياء من أجرم ، ونسبها الزمخشري إلى ابن كثير ، وجرم في التعدية مثل كسب يتعدى إلى واحد. جرم فلان الذنب ، وكسب زيد المال ، ويتعدى إلى اثنين جرمت زيدا الذنب ، وكسبت زيدا المال. وبالألف يتعدى إلى اثنين أيضا ، أجرم زيد عمرا الذنب ، وأكسبت زيدا المال ، وتقدم الكلام في جرم في العقود. وقرأ مجاهد ، والجحدري ، وابن أبي إسحاق ، ورويت عن نافع : مثل بفتح اللام ، وخرج على وجهين : أحدهما : أن تكون الفتحة فتحة بناء ، وهو فاعل كحاله حين كان مرفوعا ، ولما أضيف إلى غير متمكن جاز فيه البناء ، كقراءة من قرأ أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون. والثاني : أن تكون الفتحة فتحة إعراب ، وانتصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي : إصابة مثل إصابة قوم نوح. والفاعل مضمر يفسره سياق الكلام أي : إن يصيبكم هو أي العذاب. وما قوم لوط منكم ببعيد ، إما في الزمان لقرب عهد هلاكهم من عهدكم ، إذ هم أقرب الهالكين ، وإما في الكفر والمعاصي وما يستحق به الهلاك. وأجرى بعيدا على قوم إما باعتبار الزمان أو المكان ، أي : بزمان بعيد ، أو بمكان بعيد. أو باعتبار موصوف غيرهما أي : بشيء بعيد ، أو باعتبار مضاف إلى قوم أي : وما إهلاك قوم لوط. ويجوز أن يسوي في قريب وبعيد وكثير وقليل بين المفرد والجمع ، وبين المذكر والمؤنث ، كما قالوا : هو صديق ، وهم صديق ، وهي صديق ، وهن صديق. وودود بناء مبالغة من ود الشيء أحبه وآثره ، وهو على فعل. وسمع الكسائي : وددت بفتح العين ، والمصدر ودود بناء مبالغة ود الشيء أحبه وآثره ، وهو على فعل. وسمع الكسائي. وددت بفتح العين ، والمصدر ود وداد ووداده. وقال بعض أهل اللغة : يجوز أن يكون ودود فعول بمعنى مفعول. وقال المفسرون : ودود متحبب إلى عباده بالإحسان إليهم. وقيل : محبوب المؤمنين ورحمته لعباده ، ومحبته لخم سبب في استغفارهم وتوبتهم ، ولولا ذلك ما وفقهم إلى استغفاره والرجوع إليه ، فهو يفعل بهم فعل الواد بمن يوده من الإحسان إليه.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٥٠

{نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناكا ومآ أنت علينا بعزيز * قال ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه ورآءكم ظهريا إن ربى بما تعملون محيط * وياقوم اعملوا على مكانتكم إنى عاملا سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذبا وارتقبوا إنى معكم رقيب} :

٢٥٥
." (١)

"وأنتم متخذون الله سند ظهوركم وعماد آمالكم. فقول الجمهور : على أن كفر قوم شعيب كان جحدا بالله وجهلا به ، وهذا القول الثاني على أنهم كانوا يقرون بالخالق الرازق ويعتقدون الأصنام وسائط ووسائل ، ومن اللفظة الاستظهار بالبينة. وقال ابن زيد : الظهري الفضل ، مثل الحمل يخرج معه بابل ظهارية يعدها إن احتاج إليها ، وإلا فهي فضلة. محيط أحاط بأعمالكم فلا يخفى عليه شيء منها ، وفي ضمنه توعد وتهديد ، وتقدم تفسير نظير قوله : {لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم} وخلاف القراء في مكانتكم. وجوز الفراء ، والزمخشري : في من يأتيه أن تكون موصولة مفعولة بقوله : تعلمون أي : تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب ، واستفهامية في موضع رفع على الابتداء ، وتعلمون معلق كأنه قيل : أين يأتيه عذاب يخزيه ، وأينا هو كاذب. قال ابن عطية : والأول أحسن ، يعني كونها مفعولة قال : لأنها موصولة ، ولا يوصل في الاستفهام ، ويقضي بصلتها إن المعطوفة عليها موصولة لا محالة انتهى. وقوله : ويقضي بصلتها الخ لا يقضي بصلتها ، إذ لا يتعين أن تكون موصولة لا محالة كما قال ، بل تكون استفهامية إذا قدرتها معطوفة على من الاستفهامية ، كما قدرناه وأينا هو كاذب.
جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٥٠
قال الزمخشري : (فإن قلت) : أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون ؟ (قلت) : أدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ، ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا : فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا ، وعملت أنت ؟ فقال : سوف تعلمون ، يوصل تارة بالفاء ، وتارة بالاستئناف ، كما هو عادة البلغاء من العرب. وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف ، وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه. قال الزمخشري : (فإن قلت) : قد ذكر عملهم على مكانتهم ، وعمله على مكانته ، ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم ، فكان القياس أن يقول من يأتيه عذاب يجزيه ، ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه إلى الجاحدين ، ومن هو صادق إلى النبي المبعوث إليهم. (قلت) : القياس ما ذكرت ، ولكنهم لما كانوا يعدونه كاذبا قال : ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم انتهى. وفي ألفاظ هذا الرجل سوء أدب ، والذي قاله ليس بقياس ، لأن التهديد الذي

---
(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢١١/٥

وقع ليس بالنسبة إليه ، ولا هو داخل في التهديد المراد بقوله : سوف تعلمون ، إذ لم يأت التركيب اعملوا على مكانتكم ، وأعمل على مكانتي ، ولا سوف تعلمون. واعلم أن التهديد مختص بهم. واستسلف الزمخشري قوله : قد ذكر عملهم على مكانتهم ، وعمله على مكانته ، فبنى على ذلك سؤالا فاسدا ، لأن المترتب على ما ليس مذكورا لا يصح البتة ، وجميع الآية والتي قبلها إنما هي بالنسبة إليهم على سبيل التهديد ، ونظيره في سورة تنزيل : {فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم} ، فهذا جاء بالنبة للمخاطبين في قوله : قل يا قوم اعملوا على مكانتكم كما جاء هنا ، وارتقبوا : انتظروا العاقبة ، وما أقول لكم. **والرقيب** بمعنى الراقب فعيل للمبالغة ، أو بمعنى المراقب كالعشير والجليس ، أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع ، ويحسن هذا مقابلة فارتقبوا.

وقال الزمخشري : (فإن قلت) : ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء ؟ (قلت) : قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله : {إن موعدهم الصبح} {ذالك وعد غير مكذوب} فجيء بالفاء التي للتسبب كما تقول : وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت ، وأما الأخريان فلم يقعا بتلك المنزلة ، وإنما وقعتا مبتدأتين ، فكان حقهما أن يعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما ؟ كما تعطف قصة على قصة انتهى. وتقدم تفسير مثل ولما جاء أمرنا إلى قوله كان لم يغنوا فيها. وقرأ السلمي وأبو حيوة : كما بعدت بضم العين من البعد الذي هو ضد القرب ، والجمهور

٢٥٧

بكسرها ، أرادت العرب التفرقة بين البعد من جهة الهلاك ، وبين غيره ، فغيروا البناء وقراءة السلمي جاءت على الأصل اعتبار المعنى البعد من غير تخصيص كما يقال : ذهب فلان ، ومضى في معنى القرب. وقيل : معناه بعد الهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها. وقال ابن قتيبة : بعد يبعد إذا كان بعده هلكة ، وبعد يبعد إذ أتاني. وقال النحاس : المعروف في اللغة بعد يبعد بعدا وبعدا إذا هلك. وقال المهدوي : بعد يستعمل في الخير والشر ، وبعد في الشر خاصة. وقال ابن الأنباري : من العرب من يسوي بين الهلاك والبعد الذي هو ضد القرب ، فيقول فيهما بعد يبعد ، وبعد يبعد. وقال مالك بن الريب : في بعد بمعنى هلك ؛

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٥٠

يقولون لا تبعدوهم يدفنونيوأين مكان البعد إلا مكانيا
". (١)

"{فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع} : لولا هنا للتحضيض ، صحبها معنى التفجع والتأسف الذي ينبغي أن يقع من البشر على هذه الأمم التي لم تهتد ، وهذا نحو قوله : {خامدون * ياحسرة على العباد} والقرون : قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، ومن تقدم ذكره. والبقية هنا يراد بها الخير والنظر والجزم في الدين ، وسمي الفضل والجود بقية ، لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله ، فصار مثلا في الجودة والفضل. فلان من بقية القوم أي من خيارهم ، وبه فسر بيت الحماسة : إن تذنبوا ثم يأتيني بقيتكم. ومنه قولهم : في الزوايا خبايا ، وفي الرجال بقايا. وإنما قيل : بقية لأن الشرائع والدول ونحوها قوتها في أولها ، ثم لا تزال تضعف ، فمن ثبت في وقت الضعف فهو بقية الصدر الأول. وبقية فعيلة اسم فاعل للمبالغة. وقال الزمخشري : ويجوز أن تكون البقيِة بمعنى البقوي ، كالتقية بمعنى التقوى أي : فلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه. وقرأت فرقة : بقية بتخفيف الياء اسم فاعل من بقي ، نحو : شجيت فهي شجية. وقرأ أبو جعفر ، وشيبة : بقية بضم الباء وسكون القاف ، وزن فعله. وقرىء : بقية على وزن فعله للمرة من بقاه يبقيه إذا رقبه وانتظره ، والمعنى : فلولا كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله ، كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم لإشفاقهم. والفساد هنا الكفر وما اقترن به من المعاصي ، وفي ذلك تنبيه لهذه الأمة وحض لها على تغيير المنكر. إلا قليلا استثناء منقطع أي : لكن قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد وهم قليل بالإضافة إلى جماعاتهم ، ولا يصح أن يكون استثناء متصلا مع بقاء التحضيض على ظاهره لفساد المعنى ، وصيرورته إلى أن الناجين لم يحرضوا على النهي عن الفساد. والكلام عند سيبويه بالتحضيض واجب ، وغيره يراه منفيا من حيث معناه : أنه لم يكن فيهم أولو بقية ، ولهذا قال الزمخشري بعد أن منع أن يكون متصلا : (فإن قلت) : في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم ، فكأنه قيل : ما كان من
٢٧١
القرون أولوا بقية إلا قليلا ، كان استثناء متصلا ، ومعنى صحيحا ، وكان انتصابه على أصل الاستثناء وإن كان الأفصح أن يرجع على البدل انتهى. وقرأ زيد بن علي : إلا قليل بالرفع ، لحظ أن التحضيض تضمن

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢١٣/٥

النفي ، فأبدل كما يبدل في صريح النفي. وقال الفراء : المعنى فلم يكن ، لأن في الاستفهام ضربا من الجحد ، وأبي الأخفش كون الاستثناء منقطعا ، والظاهر أن الذين ظلموا هم تاركو النهي عن الفساد. وما أترفوا فيه أي : ما نعموا فيه من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهني ، ورفضوا ما فيه صلاح دينهم. واتبع استئناف أخبار عن حال هؤلاء الذين ظلموا ، وأخبار عنهم أنهم مع كونهم تاركي النهي عن الفساد كانوا مجرمين أي : ذوي جرائم غير ذلك. وقال الزمخشري : إن كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر ، لأن المعنى إلا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد في الأرض ، واتبع الذين ظلموا شهواتهم ، فهو عطف على نهوا ، وإن كان معناه : واتبعوا جزاء الإتراف. قالوا وللحال ، كأنه قيل : أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم. وقال : وكانوا مجرمين ، عطف على أترفوا ، أي اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين ، لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام انتهى. فجعل ما في قوله : ما أترفوا ، فيه مصدرية ، ولهذا قدره : اتبعوا الإتراف ، والظاهر أنها بمعنى الذي لعود الضمير في فيه عليها. وأجاز أيضا أن يكون معطوفا على اتبعوا أي : اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك. قال : ويجوز أن يكون اعتراضا وحكما عليهم بأنهم قوم مجرمون انتهى. ولا يسمى هذا اعتراضا في اصطلاح النحو ، لأنه آخر آية ، فليس بين شيئين يحتاج أحدهما إلى الآخر. وقرأ جعفر بن محمد ، والعلاء بن سيابة كذا في كتاب اللوامح ، وأبو عمر في رواية الجعفي : واتبعوا ساكنة التاء مبنية للمفعول على حذف مضاف ، لأنه مما يتعدى إلى مفعولين ، أي جزاء ما أترفوا فيه. وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة أنهم اتبعوا جزاء إترافهم ، وهذا معنى قوي لتقدم الإنجاء كأنه قيل : إلا قليلا ممن أنجينا منهم وهلك السائر.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٦٥

". (١)

"أموالنا ردت إلينا قاله قتادة. وكانوا قالوا لأبيهم : قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة ، لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته. وقال الزجاج : يحتمل أن تكون ما نافية أي : ما بقي لنا ما نطلب. ويحتمل أيضا أن تكون نافية من البغي أي : ما افترينا فكذبنا على هذا الملك ، ولا في وصف إجماله وإكرامه هذه البضاعة مردودة ، وهذا معنى قول الزمخشري ما نبغي في القول ما تتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك والكرامة. وقيل : معناه ما نريد منك بضاعة أخرى. وقرأ عبد الله وأبو حيوة : ما تبغي بالتاء

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٢٦/٥

على خطاب يعقوب ، وروتها عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل ما في هذه القراءة الاستفهام والنفي كقراءة النون. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي : ونميز بضم النون ، والجملة من قولهم هذه بضاعتنا ردت إلينا موضحة لقولهم : ما نبغي ، والجمل بعدها معطوفة عليها على تقدير : فنستظهر بها ونستغ‍ن بها ونمير أهلنا في رجوعنا إلى الملك ، ونحفظ أخانا فلا يصيبه شيء مما تخافه. وإذا كان ما نبغي ما نتزيد وما نكذب ، جاز أن يكون ونمير معطوفا على ما نبغي أي : لا نبغي فيما نقول ، ونمير أهلنا ونفعل كيت وكيت. وجاز أن يكون كلاما مبتدأ ، وكرروا حفظ الأخ مبالغة في الحض على إرساله ، ونزداد باستصحاب أخينا. وسق بعير على أوساق بعيرنا ، لأنه إنما كان حمل لهم عشرة أبعرة ، ولم يحمل الحادي عشر لغيبة صاحبه. والظاهر أن البعير هو من الإبل. وقال مجاهد : كيل حمار ، قال : وبعض العرب تقول للحمار : بعير ، وهذا شاذ. والظاهر أن قوله : ذلك كيل يسير ، من كلامهم لا من كلام يعقوب ، والإشارة بذلك الظاهر أنها إلى كيل بعير أي : يسير ، بمعنى قليل ، يحببنا إليه الملك ولا يضايقنا فيه ، أو يسير بمعنى سهل متيسر لا يتعاظمه. وقيل : يسير عليه أن يعطيه. وقال الحسن : وقد كان يوسف عليه السلام وعدهم أن يزيدهم حمل بعير بغير ثمن. قال الزمخشري : أي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعني : ما يكال لهم ، فازدادوا إليه ما يكال لأخيه. ويجوز أن يكون من كلام يعقوب أي : حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد ، كقوله : ذلك ليعلم انتهى. ويعني أن ظاهر الكلام أنه من كلامهم ، وهو من كلام يعقوب ، كما أن قوله : ذلك ليعلم ، ظاهره أنه من كلام امرأة العزيز ، وهو من كلام يوسف. وهذا كله تحميل للفظ القرآن ما يبعد تحميله ، وفيه مخالفة الظاهر لغير دليل. ولما كان يعقوب غير مختار لإرسال ابنه ، وألحوا عليه في ذلك ، علق إرساله بأخذ الموثق عليهم وهو الحلف بالله ، إذ به تؤكد العهود وتشدد ، ولتأتنني به جواب للحلف ، لأن معنى حتى تؤتون موثقا : حتى تحلفوا لي لتأتنني به. وقوله : إلا أن يحاط بكم ، لفظ عام لجميع وجوه الغلبة ، والمعنى : نعمكم الغلبة من جميع الجهات حتى لا يكون لكم حيلة ولا وجه تخلص. وقال مجاهد : إلا أن تهلكوا. وعنه أيضا : إلا أن تطيقوا ذلك. وهذا الاستثناء من المفعول من أجله مراعى في قوله : لتأتنني ، وإن كان

٣٢٤

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٢٣

مثبتا معنى النفي ، لأن المعنى : لا تمتنعون من الإتيان به لشيء من الأشياء إلا لأن يحاط بكم. ومثاله من المثبت في اللفظ ومعناه النفي قولهم : أنشدك الله إلا فعلت أي : ما أنشدك إلا الفعل. ولا يجوز أن

يكون مستثنى من الأحوال مقدرا بالمصدر الواقع حالا ، وإن كان صريح المصدر قد يقع حالا ، فيكون التقدير : لتأتنني به على كل حال إلا إحاط بكم أي : محاطا بكم ، لأنهم نصوا على أن الناصبة للفعل لا تقع حالا وإن كانت مقدرة بالمصدر الذي قد يقع بنفسه حالا. فإن جعلت أن والفعل واقعة موقع المصدر الواقع ظرف زمان ، ويكون التقدير : لتأتنني به في كل وقت إلا إحاطة بكم أي : إلا وقت إحاطة بكم. قلت : منع ذلك ابن الأنباري فقال : ما مءناه : يجوز خروجنا صياح الديك أي : وقت صياح الديك ، ولا يجوز خروجنا أن يصيح الديك ، ولا ما يصيح الديك. وإن كانت أن وما مصدريتين ، وإنما يقع ظرفا المصدر المصرح بلفظه. وأجاز ابن جني أن تقع أن ظرفا ، كما يقع صريح المصدر ، فأجاز في قول تأبط شرا :

وقالوا لها لا تنكحيه فإنهلأول فصل أن يلاقي مجمعا

وقول أبي ذؤيب الهذلي :

وتالله ما أن شهلة أم واحدبأوجد مني أن يهان صغيرها

أن يكون أن تلاقي تقديره : وقت لقائه الجمع ، وأن يكون أن يهان تقديره : وقت إهانة صغيرها. فعلى ما أجازه ابن جني يجوز أن تخرج الآية ويبقى لتأتنني به على ظاهره من الإثبات ، ولا يقدر فيه معنى النفي. وفي الكلام حذف تقديره : فأجابوه إلى ما طلبه ، فلما آتوه موثقهم قال يعقوب : الله على ما نقول من طلب الموثق وإعطائه وكيل رقيب مطلع.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٢٣

." (١)

"صناعة النحويين ، فبين أن معقبة من حيث أريد به الجمع كرجال من حيث وضع للجمع ، وأن معقبات من حيث استعمل جمعا لمعقبة المستعمل للجمع كرجالات الذي هو جمع رجال. وقرأ عبيد بن زياد على المنبر له المعاقب ، وهي قراءة أبي وإبراهيم. وقال الزمخشري : وقرىء له معاقيب. قال أبو الفتح : هو تكسير معقب بسكون العين وكسر القاف ، كمطعم ومطاعم ، ومقدم ومقاديم ، وكان معقبا جمع على معاقبة ، ثم جعلت الياء في معاقيب عوضا من الهاء المحذوفة في ممعاقبة. وقال الزمخشري : جمع معقب أو معقبة ، والياء عوض من حذف أحد القافين في التكسير. وقرىء له معتقبات من اعتقب. وقرأ

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٦٧/٥

أبي من بين يديه ، ورقيب من خلفه. وقرأ ابن عباس : ورقباء من خلفه ، وذكر عنه أبو حاتم أنه قرأ معقبات من خلفه ، ورقيب من بين يديه. وينبغي حمل هذه القرآت على التفسير ، لا أنها قرآن لمخالفتها سواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون. والظاهر أن قوله تعالى : من أمر الله متعلق بقوله : يحفظونه. قيل : من للسبب كقولك : كسرته من عرى ، ويكون معناها ومعنى الباء سواء ، كأنه قيل : يحفظونه بأمر الله وبإذنه ، فحفظهم إياه متسبب عن أمر الله لهم بذلك. قال ابن جريج : يحفظون عليه عمله ، فحذف المضاف. وقال قتادة : يكتبون أقواله وأفعاله. وقراءة علي ، وابن عباس ، وعكرمة ، وزيد بن علي ، وجعفر بن محمد : يحفظونه بأمر الله ، يؤيد تأويل السببية في من وفي هذا التأويل. قال الزمخشري : يحفظونه من أجل أمر الله تعالى أي : من أجل أن الله تعالى أمرهم بحفظه. وقال ابن عطية ، وقتادة : معنى من أمر الله ، بأمر الله أي : يحفظونه بما أمر الله ، وهذا تحكم في التأويل انتهى. وليس بتحكم وورود من للسبب ثابت من لسان العرب. وقيل : يحفظونه من بأس الله ونقمته كقولك : حرست زيدا من الأسد ، ومعنى ذلك : إذا أذن الله لهم في دعائهم أن يمهله رجاء أن يتوب عليه وينيب كقوله تعالى : {قل من يكلؤكم باليل والنهار من الرحمان} يصير معنى الكلام إلى التضمين أي : يدعون له بالحفظ من نقمات الله رجاء توبته. ومن جعل المعقبات الحرس ، وجعلها في رؤساء الكفار فيحفظونه معناه : في زعمه وتوهمه من هلاك الله ، ويدعون قضاءه في ظنه ، وذلك لجهالته بالله تعالى ، أو يكون ذلك على معنى التهلك به ، وحقيقة التهكم هو أن يخبر بشيء ظاهره مثلا الثبوت في ذلك الوصف ، وفي الحقيقة هو منتصف ، ولذلك حمل بعضهم يحفظونه على أنه مراد به : لا يحفظونه ، فحذف لا. وعلى هذا التأويل في من تكون متعلقة . كما ذكرنا . بيحفظونه ، وهي في موضع نصب. وقال الفراء وجماعة : في الكلام تقديم وتأخير أي : له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه. وروي هذا عن مجاهد ، والنخعي ، وابن جريج ، فيكون من أمر الله في موضع رفع لأنه صفة لمرفوع ، ويتعلق إذ ذاك بمحذوف أي : كائنة من أمر الله تعالى ، ولا يحتاج في هذا المعنى إلى تقدير تقديم وتأخير ، بل وصفت المعقبات بثلاث صفات في الظاهر : أحدها : من بين يديه ومن خلفه أي : كائنة من بين يديه. والثانية : يحفظونه أي : حافظات له. والثالثة : كونها من أمر الله ، وإن جعلنا من بين يديه ومن خلفه يتعلق بقوله : يحفظونه ، فيكون إذ ذاك معقبات وصفت بصفتين : إحداهما : يحفظونه من بين يديه ومن خلفه. والثانية : قوله : من أمر الله أي : كائنة من أمر الله. غاية ما في ذلك أنه بدىء بالوصف بالجملة قبل الوصف بالجار والمجرور ، وذلك شائع فصيح ، وكان الوصف بالجملة الدالة على الديمومة ، في الحفظ آكد ، فلذلك قدم الوصف بها.

وذكر أبو عبد الله الرازي في الملائكة الموكلين علينا ، وفي الكتبة منهم أقوالا عن المنجمين وأصحاب الطلمسات ، وناس سماهم حكماء الإسلام يوقف على ذلك من تفسيره. ولما ذكر تعالى إحاطة علمه بخفاي الأشياء وجلاياها ، وأن الملائكة تعقب على المكلفين لضبط ما يصدر منهم ، وإن كان الصادر منهم

٣٧٢

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٥٦

". (١)

"وقرأ ابن وثاب : فنعم بفتح النون وسكون العين ، وتخفيف فعل لغة تميمية ، والجمهور نعم بكسر النون وسكون العين ، وهي أكثر استعمالا. قال مجاهد وغيره : ومن صلح أي عمل صالحا وآمن انتهى. وهذا يدل على أن مجرد النسب من الصالح لا ينفع ، إنما تنفع الأعمال الصالحة. وقيل : يحتمل قوله : ومن صلح أي : لذلك بقدر الله تعالى وسابق علمه. قال ابن عباس : هذا الصلاح هو الإيمان بالله وبالرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه بشارة بنعمة اجتماعهم مع قراباتهم في الجنة. والظاهر أن ومن معطوف على الضمير في يدخلونها وقد فصل بينهما بالمفعول. وقيل : يجوز أن يكون مفعولا معه أي : يدخلونها مع من صلح. ويشتمل قوله : من آبائهم ، أبوي كل واحد والده ووالدته ، وغلب الذكور على الإناث ، فكأنه قيل : ومن صلح من آبائهم وأمهاتهم. والملائكة يدخلون عليهم من كل باب أي : بالتحف والهدايا من الله تعالى تكرمة لهم. قال أبو بكر الوراق : هذه ثمانية أعمال تشير إلى ثمانية أبواب الجنة ، من عملها دخلها من أي باب شاء. قال الأصم : نحو هذا قال : من كل باب باب الصلاة ، وباب الزكاة ، وباب الصبر. ولأبي عبد الله الرازي كلام عجيب في الملائكة ذكر : أن الملائكة طوائف منهم روحانيون ، ومنهم كروبيون ، فالعبد إذا راض نفسه بأنواع الرياضات كالصبر والشكر والمراقبة والمحاسبة ، فلكل مرتبة من هذه المراتب جوهر قدسي وروح علوي يحفظ لتلك الصفة مزيد اختصاص ، فعند الموت إذا أشرقت تلك الجواهر القدسية تجلت فيها من كل روح من الأرواح السمائية ما يناسبها من الصفة المخصوصة ، فيفيض عليها من ملائكة الصبر كمالات مخصوصة نفسانية لا تظهر إلا في مقام الصبر ، ومن ملائكة الشكر كمالات روحانية لا تتجلى إلا في مقام الشكر ، وهكذا القول في جميع المراتب انتهى. وهذا كلام

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٠٣/٥

فلسفي لا تفهمه العرب ، ولا جاءت به الأنبياء ، فهو كلام مطرح لا يلتفت إليه المسلمون. قال ابن عطية : وحكى الطبري رحمه الله في صفة دخول الملائكة أحاديث لم نطول بها لضعف أسانيدها انتهى.
وارتفع سلام على الابتداء ، وعليكم الخبر ، والجملة محكية بقول محذوف أي : يقولون سلام عليكم. والظاهر أن قوله تعالى : سلام عليكم تحية الملائكة لهم ، ويكون قوله تعالى : بما صبرتم ، خبر مبتدأ محذوف أي : هذا الثواب بسبب صبركم في الدنيا على المشاق ، أو تكون الباء بمعنى بدل أي : بدل صبركم أي : بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ، هذه الملاذ والنعم. وقيل : سلام جمع سلامة أي : إنما سلمكم الله تعالى من أهوال يوم القيامة بصبركم في الدنيا. وقال الزمخشري : ويجوز أن يتعلق بسلام أي : يسلم عليكم ويكرمكم بصبركم ، والمخصوص بالمدح محذوف أي : فنعم عقبى الدار الجنة من جهنم ، والدار : تحتمل الدنيا وتحتمل الآخرة. وقالت فرقة : المعنى أن عقبوا الجنة من جهنم. قال ابن عطية : وهذا التأويل مبني على حديث ورد وهو : أن كل رجل في الجنة قد كان له مقعد معروف في النار ، فصرفه الله تعالى عنه إلى النعيم فيعرض عليه ويقال له : "هذا مكان مقعدك ، فبدلك الله منه الجنة بإيمانك وطاعتك وصبرك" انتهى. ولما كان الصبر هو الذي نشأ عنه تلك الطاعات السابقة ، ذكرت الملائكة أن النعيم السرمدي إنما هو حاصل بسبب الصبر ، ولم يأت التركيب بالإيفاء بالعهد ، ولا بغير ذلك.
جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٨٣
{فنعم عقبى الدار * والذين ينقضون عهد الله منا بعد ميثاقها ويقطعون مآ أمر الله بها أن يوصل ويفسدون فى الارضا أوالئاك لهم} :
٣٨٧
." (١)

"{أفمن هو قآام على كل نفسا بما كسبت وجعلوا لله شركآء قل سموهم أم تنباونه بما لا يعلم فى الارض أم بظاهر من القولا بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيلا ومن يضلل} : من موصولة صلتها ما بعدها ، وهي مبتدأ والخبر محذوف تقديره : كمن ييئس ، كذلك من شركائهم التي لا تضر ولا تنفع ، كما حذف من قوله : {أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربها} تقديره : كالقاسي قلبه الذي هو في ظلمة. ودل عليه قوله تعالى : وجعلوا لله شركاء ، كما دل على القاسي {فويل للقاسية

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣١٥/٥

قلوبهم} ويحسن حذف هذا الخبر كون المبتدأ يكون مقابله الخبر المحذوف ، وقد جاء مثبتا كثيرا كقوله تعالى : {أفمن يخلق كمن لا يخلق} {أفمن يعلم} ثم قال : {كمن هو أعمى ا} . والظاهر أن قوله تعالى : وجعلوا لله شركاء ، استئناف إخبار عن سوء صنيعهم ، وكونهم أشركوا مع الله ما لا يصلح للألوهية. نعى عليهم هذا الفعل القبيح ، هذا والباري تعالى هو المحيط بأحوال النفوس جليها وخفيها. ونبه على بعض حالاتها وهو الكسب ، ليتفكر الإنسان فيما يكسب من خير وشر ، وما يترتب على الكسب في الجزاء ، وعبر بقائم عن الإحاطة والمراقبة التي لا يغفل عنها. وقال الزمخشري : ويجوز أن يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ، ويعطف عليه وجعلوا لله أي : وجعلوا ، وتمثيله : أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه ، وجعلوا له شركاء ، وهو الله الذي يستحق العبادة وحده انتهى. وفي هذا التوجيه إقامة الظاهر مقام المضمر في قوله : وجعلوا لله أي : وجعلوا له ، وفيه حذف الخبر عن المقابل ، وأكثر ما جاء هذا الخبر مقابلا. وفي تفسير أبي عبد الله الرازي قال : الشديد صاحب العقد ، الواو في قوله تعالى : وجعلوا واو الحال ، والتقدير : أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت موجود ، والحال أنهم جعلوا له شركاء ، ثم أقيم الظاهر وهو لله مقام المضمر تقديرا لألوهيته وتصريحا بها ، كما تقول : معطي الناس ومغنيهم موجود ، ويحرم مثلي انتهى. وقال ابن عطية : أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق بالعبادة أم الجمادات التي لا تضر ولا تنفع ؟ هذا تأويل. ويظهر أن القول مرتبط بقوله : وجعلوا لله شركاء ، كأن المعنى : أفمن له القدرة والوحدانية ويجعل له شريك ، هل ينتقم ويعاقب أم لا ؟ وأبعد من ذهب إلى أن قوله : أفمن هو قائم المراد به الملائكة الموكلون ببني آدم ، حكاه القرطبي عن الضحاك. والخبر أيضا محذوف تقديره : كغيره من المخلوقين. وأبعد أيضا من ذهب إلى أن قوله : وجعلوا معطوفا على استهزىء ، أي : استهزؤوا وجعلوا ، ثم أمره تعالى أن يقول لهم : سمرهم أي : اذكروهم بأسمائهم ، والمعنى : أنهم ليسوا ممن يذكر ويسمى ، إنما يذكر ويسمى من هو ينفع ويضر ، وهذا مثل من يذكر لك أن شخصا يوقر ويعظم وهو عندك لا يستحق ذلك فتقول لذاكره : سمه حتى أبين لك زيفه وأنه ليس كما تذكر. وقريب من هذا قول من قال في قوله : قل سموهم ، إنما يقال ذلك في الشيء السمتحقر الذي يبلغ في الحقارة إلى أن لا يذكر ولا يوضع له اسم ، فعند ذلك يقال له : سمه إن شئت أي : هو أخس من أن يذكر ويسمى. ولكن إن شئت أن تضع له اسما فافعل ، فكأنه قال : سموهم بالآلهة على جهة التهديد. والمعنى : سواء سميتموهم بهذا الاسم أم لم تسموهم به فإنها في الحقارة بحيث لا يستحق أن يلفت العاقل إليها. وقيل : سموهم إذا صنعوا وأماتوا وأحيوا لتصح الشركة. وقيل : طالبوهم بالحجة على أنها آلهة. وقيل : صفوهم وانظروا هل يستحقون

الإلهية ؟ وقال الزمخشري : جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ، وبينوهم بأسمائهم. وقيل : هذا تهديد كما تقول لمن تهدده على شرب الخمر : سم الخمر بعد هذا. وأم في قوله : أم تنبؤونه منقطعة ، وهو استفهام توبيخ. قال الزمخشري : بل أتنبؤونه بشركاء لا
٣٩٤
جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٨٣." (١)

"وكنى بسميع الدعاء عن الإجابة والتقبل ، وكان قد دعا الله أن يهبه ولدا بقوله : {رب هب لى من الصالحين} فحمد الله على ما وهبه من الولد وأكرمه به من إجابة دعائه. والظاهر إضافة سميع إلى المفعول وهو من إضافة المثال الذي على وزن فعيل إلى المفعول ، فيكون إضافة من نصب ، ويكون ذلك حجة على إعمال فعيل الذي للمبالغة في المفعول على ما ذهب إليه سيبويه ، وقد خالف في ذلك جمهور البصريين ، وخالف الكوفيون فيه. وفي إعمال باقي الخمسة الأمثلة فعول ، وفعال ، ومفعال ، وفعل ، وهذا مذكور في علم النحو. ويمكن أن يقال في هذا ليس ذلك إضافة من نصب فيلزم جواز إعماله ، بل هي إضافة كإضافة اسم الفاعل في نحو : هذا ضارب زيد أمس. وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون من إضافة فعيل إلى فاعله ، ويجعل دعاء الله سميعا على الإسناد المجازي ، والمراد : سماع الله انتهى. وهو بعيد لاستلزامه أن يكون من باب السفة المشبهة ، والصفة متعدية ، ولا يجوز ذلك إلا عند أبي علي الفارسي حيث لا يكون لبس. وأما هنا فاللبس حاصل ، إذ الظاهر أنه من إضافة المثال للمفعول ، لا من إضافته إلى الفاعل. وإنما أجاز ذلك الفارسي في مثل : زيد ظالم العبيد إذا علم أن له عبيدا ظالمين. ودعاؤه بأن يجعله مقيم الصلاة وهو مقيمها ، إنما يريد بذلك الديمومة. ومن ذريتي ، من للتبعيض ، لأنه أعلم أن من ذريته من يكون كافرا ، أو من يهمل إقامتها وإن كان مؤمنا. وقرأ طلحة ، والأعمش : دعاء ربنا بغير ياء. وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : بياء ساكنة في الوصل ، وأثبتها بعضهم في الوقف. وروي ورش عن نافع : إثباتها في الوصل. والظاهر أن إبراهيم سأل المغفرة لأبويه القريبين ، وكانت أمه مؤمنة ، وكان والده لم ييأس من إيمانه ولم تتبين له عداوة الله ، وهذا يتمشى إذا قلنا : إن هذه الأدعية كانت في أوقات مختلفة ، فجمع هنا أشياء مما كان دعا بها. وقيل : أراد أمه ، ونوحا عليه السلام. وقيل : آدم وحواء. والأظهر القول الأول. وقد جاء نصا دعاؤه لأبيه بالمغفرة في قوله : {واغفر لابى إنه كان من الضآلين} وقال الزمخشري

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٢١/٥

: (فإن قلت) : كيف جاز له أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين ؟ (قلت) : هو من تجويزات العقل ، لا يعلم امتناع جوازه إلا بالتوقيف انتهى. وهو في ذلك موافق لأهل السنة ، مخالف لمذهب الاعتزال. وقرأ الحسين بن علي ، ومحمد ، وزيد : ربنا على الخبر. وابن يعمر والزهري والنخعي : ولولدي بغير ألف وبفتح اللام يعني : إسماعيل وإسحاق ، وأنكر عاصم الجحدري هذه القراءة ، وقال : إن في مصحف أبي بن كعب : ولأبوي ، وعن يحيى بن يعمر : ولولدي بضم الواو وسكون اللام ، فاحتمل أن
٤٣٤
يكون جمع ولد كأسد في أسد ، ويكون قد دعا لذريته ، وأن يكون لغة في الولد. وقال الشاعر :
جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤٢٩
فليت زيادا كان في بطن أمهوليت زيادا كان ولد حمار
كما قالوا : العدم والعدم. وقرأ ابن جبير : ولوالدي بإسكان الياء على الإفراد كقوله : واغفر لأبي ، وقيام الحساب مجاز. عن وقوعه وثبوته كما يقال : قامت الحرب على ساق ، أو على حذف مضاف أي : أهل الحساب كما قال : {يقوم الناس لرب العالمين} .
{ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمونا إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار * مهطعين مقنعى رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفادتهم هوآء} : الخطاب بقوله : ولا تحسبن ، للسامع الذي يمكن منه حسبان مثل هذا لجهله بصفات الله ، لا للرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنه مستحيل ذلك في حقه. وفي هذه الآية وعيد عظيم للظالمين ، وتسلية للمظلومين. وقرأ طلحة : ولا تحسب بغير نون التوكيد ، وكذا فلا تحسب الله مخلف وعده. والمراد بالنهي عن حسبانه غافلا الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون ، لا يخفى عليه منه شيء ، وأنه معاقبهم على قليله وكثيره عڑى سبيل الوعيد والتهديد كقوله : {والله بما تعملون عليم} يريد الوعيد. ويجوز أن يراد : ولا تحسبنه ، يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ، ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير. وقرأ السلمي والحسن ، والأعرج ، والمفضل ، عن عاصم وعباس بن الفضل ، وهارون العتكي ، ويونس بن حبيب ، عن أبي عمر : ونؤخرهم بنون العظمة ، والجمهور بالياء أي : يؤخرهم الله. مهطعين مسرعين ، قاله : ابن جبير وقتادة. وذلك بذلة واستكانة كإسراع الأسير والخائف. وقال ابن عباس ، وأبو الضحى : شديدي النظر من غير أن يطرقوا. وقال ابن زيد : غير رافعي رؤوسهم. وقال مجاهد : مد يمين النظر. وقال الأخفش : مقبلين للإصغاء ، وأنشد :

بدجاة دارهم ولقد أراهم

". (١)

"وقرأ ابن كثير وأبو عمرو في رواية لأمانتهم بالإفراد وباقي السبعة بالجمع ، والظاهر عموم الأمانات فيدخل فيها ما ائتمن تعالى عليه العبد من قول وفعل واعتقاد ، فيدخل في ذلك جميع الواجبات من الأفعال والتروك وما ائتمنه الإنسان قبل ، ويحتمل الخصوص في أمانات الناس. والأمانة : هي الشيء المؤتمن عليه ومراعاتها القيام عليها لحفظها إلى أن تؤدى ، والأمانة أيضا المصدر وقال تعالى {إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها} والمؤدى هو العين المؤتمن عليه أو القول إن كان المؤتمن عليه لا المصدر. وقرأ الأخوان على صلاتهم بالتوحيد ، وباقي السبعة بالجمع. والخشوع والمحافظة متغايران بدأ أولا بالخشوع وهو الجامع للمراقبة القلبية والتذلل بالأفعال البدنية ، وثنى بالمحافظة وهي تأديتها في وقتها بشروطها من طهارة المصلي وملبوسه ومكانه وأداء أركانها على أحسن هيئاتها ويكون ذلك دأبه في كل وقت. قال الزمخشري : ووحدت أولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أي صلاة كانت ، وجمعت آخرا لتفاد المحافظة على إعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٩٢

{أولائك} أي الجامعون لهذه الأوصاف {هم الوارثون} الأحقاء أن يسموا وراثا دون من عداهم ، ثم ترجم الوارثين بقوله {الذين يرثون الفردوس} فجاء بفخامة وجزالة لإرثهم لا تخفى على الناظر ، ومعنى الإرث ما مر في سورة مريم انتهى. وتقدم الكلام في {الفردوس} في آخر الكهف.

{ولقد خلقنا الانسان} الآية لما ذكر تعالى أن المتصفين بتلك الأوصاف الجليلة هم يرثون الفردوس فتضمن ذلك المعاد الأخروي ، ذكر النشأة الأولى ليستدل بها على صحة النشأة الآخرة. وقال ابن عطية : هذا ابتداء كلام والواو في أوله عاطفة جملة كلام على جملة ، وإن تباينت في المعاني انتهى. وقد بينا المناسبة بينهما ولم تتباين في المعاني من جميع الجهات. {الانسان} هنا.

٣٩٧

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٥٤/٥

قال قتادة وغيره ورواه عن سلمان وابن عباس آدم لأنه انسل من الطين {ثم جعلنا} عائد على ابن آدم وإن كان لم يذكر لشهرة الأمر وأن المعنى لا يصلح إلا له ونظيره {حتى توارت بالحجاب} أو على حذف مضاف أي ثم جعلنا نسله. وعن ابن عباس أيضا أن {الانسان} ابن آدم و{سلالة من طين} صفوة الماء يعني المني وهو اسم جنس ، والطين يراد به آدم إذ كانت نشأة من الطين كما سمى عرق الثرى أو جعل من الطين لكونه سلالة من أبويه وهما متغذيان بما يكون من الطين. وقال الزمخشري : خلق جوهر الإنسان أولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة انتهى. فجعل الإنسان جنسا باعتبار حالتيه لا باعتبار كل مردود منه و{من} الأولى لابتداء الغاية و{من} الثانية قال الزمخشري للبيان كقوله {من الاوثان} انتهى. ولا تكون للبيان إلا على تقدير أن تكون السلالة هي الطين ، أما إذا قلنا أنه ما انسل من الطين فتكون لابتداء الغاية. والقرار مكان الاستقرار والمراد هنا الرحم. والمكين المتمكن وصف القرار به لتمكنه في نفسه بحيث لا يعرض له اختلال ، أو لتمكن من يحل فيه فوصف بذلك على سبيل المجاز كقوله طريق سائر لكونه يسار فيه ، وتقدم تفسير النطفة والعلقة والمضغة.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٩٢

وقرأ الجمهور عظاما و{العظام} الجمع فيهما. وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبان والفضل والحسن وقتادة أيضا والأعرج والأعمش ومجاهد وابن محيصن بإفراد الأول وجمع الثاني. وقرأ أبو رجاء وإبراهيم بن أبي بكر ومجاهد أيضا بجمع الأول وإفراد الثاني فالإفراد يراد به الجنس. وقال الزمخشري : وضع الواحد موضع الجمع لزوال اللبس لأن الإنسان ذو عظام كثيرة انتهى. وهذا لا يجوز عند سيبويه وأصحابنا إلا في الضرورة وأنشدوا :

كلوا في بعض بطنكم تعفوا

ومعلوم أن هذا لا يلبس لأنهم كلهم ليس لهم بطن واحد ومع هذا خصوا مجيئه بالضرورة {ثم خلقنا النطفة علقة} قال ابن عباس والشعبي وأبو العالية والضحاك وابن زيد ، هو نفخ الروح فيه. وقال ابن عباس أيضا : خروجه إلى الدنيا. وقالت فرقة : نبات شعره. وقال مجاهد : كمال شبابه. وقال ابن عباس أيضا تصرفه في أمور الدنيا. قال ابن عطية : وهذا التخصيص لا وجه له وإنما هو عام في هذا وغيره من وجود النطق والإدراك ، وأول رتبة من كونه آخرنفخ الروح وآخره تحصيله المعقولات إلى أن يموت انتهى. ملخصا وهو

قريب مما رواه العوفي عن ابن عباس ، ويدل عليه قوله بعد ذلك {ثم إنكم بعد ذالك لميتون} . ". (١)

"جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد ، فلا يزال يدخل علي رجل من أهلي فنزلت {رقيبا * يا أيها الذين ءامنوا لا تدخلوا } الآية. فقال أبو بكر بعد نزولها : يا رسول الله أرأيت الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكن فنزل {ليس عليكم جناح} الآية. ومناسبة هذه الآية لما قبلها هو أن أهل الإفك إنما وجدوا السبيل إلى بهتانهم من حيث اتفقت الخلوة ، فصارت كأنها طريق للتهمة ، فأوجب الله تعالى أن لا يدخل المرء بيت غيره إلا بعد الاستئذان والسلام ، لأن في الدخول لا على هذا الوجه وقوع التهمة وفي ذلك من المضرة ما لا خفاء به. والظاهر أنه يجوز للإنسان أن يدخل بيت نفسه من غير استئذان ولا سلام لقوله {غير بيوتكم} ويروى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أأستأذن على أمي ؟ قال : "نعم" قال : ليس رها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت ؟ قال : "أتحب أن تراها عريانة" قال الرجل : لا ، قال : وغيا النهي عن الدخول بالاستئناس والسلام على أهل تلك البيوت ، والظاهر أن الاستئناس هو خلاف الاستيحاش ، لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا ، فهو كالمستوحش من جفاء الحال إذا أذن له استأنس ، فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله : {لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم} وهذا من باب الكنايات والإرداف ، لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن فوضع موضع الإذن.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٤٤

وقد روي عن ابن عباس أنه قال {تستأنسوا } معناه تستأذنوا ، ومن روى عن ابن عباس أن قوله {تستأنسوا } خطأ أو وهم من الكاتب وأنه قرأ حتى تستأذنوا فهو طاعن في الإسلام ملحد في الدين ، وابن عباس بريء من هذا القول. و{تستأنسوا }

٤٤٥

متمكنة في المعنى بنية الوجه في كلام العرب. وقد قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم : أستأنس يا رسول الله وعمر وأقف على باب الغرفة الحديث المشهور. وذلك يقتضي أنه طلب الأنس به صلى الله عليه وسلم. وقيل : هو من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف ، استفعال من أنس الشيء إذا أبصره

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٦/٢٨٨

ظاهرا مكشوفا ، والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ، ومنه استأنس هل ترى أحدا واستأنست فلم أر أحدا ، أي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابعة :
كان رحلى وقد زال النهار بنايوم الجليل على مستأنس وحد ويجوز أن يكون من الإنس وهو أن يتعرف هل ثم إنسان. وعن أبي أيوب قال : قلنا : يا رسول الله ، ما الاستئناس ؟ قال : "يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة يتنحنح يؤذن أهل البيت والتسليم أن يقول السلام عليكم". وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم إذا دخل بيتا غير بيته : حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل ، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف. واحد فصد الله عن ذلك وعلم الأحسن الأكمل. وذهب الطبري في {تستأنسوا } إلى أنه بمعنى حتى تؤنسوا أهل البيت من أنفسكم بالتنحنح والاستئذان ونحوه وتؤنسوا أنفسكم بأن تعلموا أن قد شعر بكم. قال ابن عطية : وتصريف الفعل يأبى أن يكون من آنس انتهى. وقال عطاء : الاستئذان واجب على كل محتلم ، والظاهر مطلق الاستئذان فيكفي فيه المرة الواحدة. وفي الحديث : "الاستئذان ثلاث" يعني كماله. "فإن أذن له وإلا فليرجع ولا يزيد على ثلاث إلا أن يحقق أن من في البيت لم يسمع". والظاهر تقديم الاستئذان على السلام. وفي حديث أبي داود : قل السلام عليكم أأدخل ؟ والواو في {وتسلموا } لا تقتضي ترتيبا فشرع النداء بالسلام على الإذن لما في السلام من التفاؤل بالسلامة.
{ذالكم} إشارة إلى المصدر المفهوم من {تستأنسوا } وأي {الاخرا ذالكم} الاستئناس والتسليم {خير لكم} من تحية الجاهلية. {لعلكم تذكرون} أي شرعنا ذلك ونبهناكم على ما فيه مصلحتكم من الستر وعدم الاطلاع على ما تكرهون الإطلاع عليه {لعلكم تذكرون} اعتناء بمصالحكم.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٤٤
{فإن لم تجدوا فيهآ أحدا} أي يأذن لكم فلا تقدموا على الدخول في ملك غيركم {حتى يؤذن لكم} إذ قد يكون لرب البيت فيه ما لا يحب أن يطلع عليه. {وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا } وهذا عائد إلى من استأذن في دخول بيت غيره فلم يؤذن له سواء كان فيه من يأذن أم لم يكن ، أي لا تلحوا في طلب الإذن ولا في الوقوف على الباب منتظرين. {هو أزكى } أي الرجوع أطهر لكم وأنمى خيرا لما فيه من سلامة الصدر والبعد عن الريبة. ثم أخبر أنه تعالى {بما تعملون عليم} أي بما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به

فيجازيكم عليه ، وفي ذلك توعد لأهل التجسس على البيوت وطلب الدخول على غيره والنظر لما لا يحل. " (١).

"وهي حال مقدرة ، لأنها حالة الإنبات ، لم تكن طوالا. وباسقات جمع. {والنخل} اسم جنس ، فيجوز أن يذكر ، نحو قوله : {نخل منقعر} ، وأن يؤنث نحو قوله تعالى : {نخل خاوية} ، وأن يجمع باعتبار إفراده ، ومنه باسقات ، وقوله : {وينشىء السحاب الثقال} . والجمهور : باسقات بالسين. وروى قطبة بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قرأ : باصقات بالصاد ، وهي لغة لبني العنبر ، يبدلون من السين صادا إذا وليتها ، أو فصل بحرف أو حرفين ، خاء أو عين أو قاف أو طاء. {لها طلع} : تقدم شرحه عند {من طلعها قنوان دانية} .

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١١٨

{نضيد} : أي منضود بعضه فوق بعض ، بريد كثرة الطلع وتراكمه ، أي كثرة ما فيه من الثمر. وأول ظهور الثمر في الكفرى هو أبيض ينضد كحب الرمان ، فما دام ملتصقا بعضه ببعض فهو نضيد ، فإذا خرج من الكفرى تفرق فليس بنضيد. و{رزقا} نصب على المصدر ، لأن معنى : وأنبتنا رزقنا ، أو على أنه مفعول له. وقرأ الجمهور : {ميتا} بالتخفيف ؛ وأبو جعفر ، وخالد : بالتثقيل ، والإشارة في ذلك إلى الإحياء ، أي الخروج من الأرض أحياء بعد موتكم ، مثل ذلك الحياة للبلدة الميت ، وهذه كلها أمثلة وأدلة على البعث.

وذكر تعالى في السماء ثلاثة : البناء والتزين ونفي الفروج ، وفي الأرض ثلاثة : المد وإلقاء الرواسي والإنبات. قابل المد بالبناء ، لأن المد وضع والبناء رفع. وإلقاء الرواسي بالتزيين بالكواكب ، لارتكاز كل واحد منهما. والإنبات المترتب على الشق بانتفاء الفروج ، فلا شق فيها. ونبه فيما تعلق به الإنبات على ما يقطف كل سنة ويبقي أصله ، وما يزرع كل سنة أو سنتين ويقطف كل سنة ، وعلى ما اختلط من جنسين ، فبعض الثمار فاكهة لا قوت ، وأكثر الزرع قوت والثمر فاكهة وقوت.

ولما ذكر تعالى قوله : {بل كذبوا بالحق لما جآءهم} ، ذكر من كذب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وتقدم الكلام على مفردات هذه الآية هذه الآية وقصص من ذكر فيها. وقرأ أبو جعفر ، وشيبة ، وطلحة ، ونافع : الأيكة بلام التعريف ؛ والجمهور : ليكة. {كل كذب الرسل}

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٢٤/٦

: أي كلهم ، أي جميعهم كذب ؛ وحمل على لفظ كل ، فأفرد الضمير في كذب. وقال الزمخشري : يجوز أن يراد به كل واحد منهم. انتهى. والتنوين في كل تنوين عوض من المضاف إليه المحذوف. وأجاز محمد بن الوليد ، وهو من قدماء نحاة مصر ، أن يحذف التنوين من كل جعله غاية ، ويبنى على الضم ، كما يبنى قبل وبعد ، فأجاز كل منطلق بضم اللام دون تنوين ، ورد ذلك عليه الأخفش الصغير ، وهو علي بن سليمان. {فحق وعيد} : أي وجب تعذيب الأمم المكذبة وإهلاكهم ، وفي ذلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم ، وتهديد لقريش ومن كذب الرسول.

قوله عز وجل : {أفعيينا بالخلق الاولا بل هم فى لبس من خلق جديد * ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس بها نفسها ونحن أقرب إليه من حبل الوريد * إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد * وجآءت سكرة الموت بالحقا ذالك ما كنت منه تحيد * ونفخ فى الصورا ذالك يوم الوعيد * وجآءت كل نفس معها سآا ق وشهيد} .

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١١٨." (١)

"{أفعيينا بالخلق الاول} : وهو إنشاء الإنسان من نطفة على التدريج ، وتقدم تفسير عيي في قوله تعالى : {ولم يعى بخلقهن} . وقرأ الجمهور : أفعيينا ، بياء مكسورة بعدها ياء ساكنة ، ماضي عيي ، كرضي. وقرأ ابن أبي عبلة ، والوليد بن مسلم ، والقورصبي عن أبي جعفر ، والسمسار عن شيبة ، وأبو بحر عن نافع : بتشديد الياء من غير إشباع في الثانية ، هكذا قال أبو القاسم الهذلي في كتاب الكامل. وقال ابن خالويه في كتاب شواذ القرآت له : أفعينا بتشديد الياء. ابن أبي عبلة ، وفكرت في توجيه هذه القراءة ، إذ لم يذكر أحد توجيهها ، فخرجتها على لغة من أدغم الياء في الياء في الماضي ، فقال : عي في عيي ، وحي في حيي. فلما أدغم ، ألحقه ضمير المتكلم المعظم نفسه ، ولم يفك الإدغام فقال : عينا ، وهي لغة لبعض بكر بن وائل ، يقولون في رددت ورددنا : ردت وردنا ، فلا يفكون ، وعلى هذه اللغة تكون الياء المشددة مفتوحة. فلو كان نا ضمير نصب ، لاجتمعت العرب على الإدغام ، نحو : ردنا زيد. وقال الحسن : الخلق الأول آدم عليه السلام ، والمعنى : أعجزنا عن الخلق الأول ، فنعجز عن الخلق الثاني ، وهذا توقيف للكفار ، وتوبيخ وإقامة الحجة الواضحة عليهم. {بل هم فى لبس} : أي خلط وشبهة وحيرة ، ومنه قول علي : يا جار إنه لملبوس عليك ، اعرف الحق تعرف أهله. {من خلق جديد} : أي من البعث من

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ (دار الفكر)، ٨/٩٣

القبور.
{ولقد خلقنا الانسان} : هذه آيات فيها إقامة حجج على الكفار في إنكارهم البعث ، والإنسان إسم جنس. وقيل : آدم. {ونحن أقرب} : قرب علم به وبأحواله ، لا يخفى عليه شيء من خفياته ، فكأن ذاته قريبة منه ، كما يقال : الله في كل مكان ، أي بعلمه ، وهو منزه عن الأمكنة. و{حبل الوريد} : مثل في فرط القرب ، كقول العرب : هو مني مقعد القابلة ، ومقعد الإزار. قال ذو الرمة :
والموت أدنى لي من الوريد
والحبل : العرق الذي شبه بواحد الحبال ، وإضافته إلى الوريد للبيان ، كقولهم : بعير سانية. أو يراد حبل العاتق ، فيضاف إلى الوريد ، كما يضاف إلى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد ، والعامل في إذ أقرب. وقيل : اذكر ، قيل : ويحسن تقدير اذكر ، لأنه أخبر خبرا مجردا بالخلق والعلم بخطرات الأنفس ، والقرب بالقدرة والملك. فلما تم الإخبار ، أخبر بذكر الأحوال التي تصدق هذا الخبر ، وتعين وروده عند السامع. فمنها : {إذ يتلقى المتلقيان} ، ومنها مجيء سكرة الموت ، ومنها : النفخ في الصور ، ومنها : مجيء كل نفس معها سائق وشهيد. والمتلقيان : الملكان الموكلان بكل إنسان ؛ ملك اليمين يكتب الحسنات ، وملك الشمال يكتب السيئآت. وقال الحسن : الحفظة أربعة ، اثنان بالنهار واثنان بالليل. وقعيدة : مفرد ، فاحتمل أن يكون معناه : مقاعد ، كما تقول : جليس وخليط : أي مجالس ومخالط ، وأن يكون عدل من فاعل إلى فعيل للمبالغة ، كعليم. قال الكوفيون : مفرد أقيم مقام اثنين ، والاجود أن يكون حذف من الأول لدلالة الثاني عليه ، أي عن اليمين قعيد ، كما قال الشاعر :
جزء : ٨ رقم الصفحة : ١١٨
رماني بأمر كنت منه ووالديبريئا ومن أجل الطوى رماني
على أحسن الوجهين فيه ، أي كنت منه بريا ، ووالدي بريا. ومذهب المبرد أن التقدير عن اليمين قعيد ، وعن الشمال ، فأخر قعيد عن موضعه. ومذهب الفراء أن لفظ قعيد يدل على الاثنين والجمع ، فلا يحتاج إلى تقدير. وقرأ الجمهور : {ما يلفظ من قول} ، وظاهر ما يلفظ العموم. قال مجاهد ، وأبو الحوراء : يكتب عليه كل شيء حتى أنينه في مرضه. وقال الحسن ، وقتادة : يكتبان جميع الكلام ، فيثبت الله تعالى من ذلك الحسنات والسيئات ، ويمحو غير ذلك. وقيل : هو مخصوص ، أي من قول خير أو شر.
١٢٣
وقال : معناه عكرمة ، وما خرج عن هذا لا يكتب. واختلفوا في تعيين قعود الملكين ، ولا يصح فيه شيء.

{رقيب} : ملك يرقب. {عتيد} : حاضر ، وإذا كان على اللفظ رقيب عتيد ، فأحرى على العمل. وقال الحسن : فإذا مات ، طويت صحيفته. وقيل : له يوم القيامة اقرأ كتابك.
{وجآءت سكرة الموت} : هو معطوف على {إذ يتلقى} ، وسكرة الموت : ما يعتري الإنسان عند نزاعه ، والباء في {بالحق} للتعدية ، أي جاءت سكرة الموت الحق ، وهو الأمر الذي أنطق الله به كتبه وبعث به رسله ، من سعادة الميت أو شقاوته ، أو للحال ، أي ملتبسه بالحق. وقرأ ابن مسعود : سكران جمعا. {ذلك ما كنت منه تحيد} : أي تميل. تقول : أعيش كذا وأعيش كذا ، فمتى فكر في قرب الموت ، حاد بذهنه عنه وأمل إلى مسافة بعيدة من الزمن. ومن الحيد : الحذر من الموت ، وظاهر تحيد أنه خطاب للإنسان الذي جاءته سكرة الموت. وقال الزمخشري : الخطاب للفاجر. تحيد : تنفر وتهرب. {ذلك يوم الوعيد} ، هو على حذف : أي وقت ذلك يوم الوعيد. والإشارة إلى مصدر نفخ ، وأضاف اليوم إلى الوعيد ، وإن كان يوم الوعد والوعيد معا على سبيل التخويف.
". (١)

"هذه السورة مكية ، ولما ذكر فيما قبلها تكذيب الكفار للقرآن ، نبه هنا على حقارة الإنسان ، ثم استطرد منه إلى أن هذا القرآن قول فصل جد ، لا هزل فيه ولا باطل يأتيه. ثم أمر نبيه بإمهال هؤلاء الكفرة المكذبين ، وهي آية موادعة منسوخة بآية السيف. {والسمآء} : هي المعروفة ، قاله الجمهور. وقيل : السماء هنا المطر ، {والطارق} : هو الآتي ليلا ، أي يظهر بالليل. وقيل : لأنه يطرق الجني ، أي يصكه ، من طرقت الباب إذا ضربته ليفتح لك. أتى بالطارق مقسما به ، وهي صفة مشتركة بين النجم الثاقب وغيره. ثم فسره بقوله : {النجم الثاقب} ، إظهارا لفخامة ما أقسم به لما علم فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة ، وتنبيها على ذلك. كما قال تعالى : {فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم} . وقال ابن عطية : معنى الآية : والسماء وجميع ما يطرق فيه من الأمور والمخلوقات. ثم ذكر بعد ذلك ، على جهة التنبيه ، أجل الطارقات قدرا وهو النجم الثاقب ، وكأنه قال : وما أدراك ما الطارق حتى الطارق ، انتهى. فعلى هذا يكون {النجم الثاقب} بعضا مما دل عليه {والطارق} ، إذ هو اسم جنس يراد به جميع الطوارق. وعلى قول غيره : يراد به واحد مفسر بالنجم الثاقب. والنجم الثاقب عند ابن عباس : الجدي ، وعند ابن زيد : زحل. وقال هو أيضا وغيره : الثريا ، وهو الذي تطلق عليه العرب اسم النجم.

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٨/٩٤

وقال علي : نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم ، فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ، ثم رجع إلى مكانه من السماء السابعة ، فهو طارق حين ينزل ، وطارق حين يصعد. وقال الحسن : هو اسم جنس لأنها كلها ثواقب ، أي ظاهرة الضوء. وقيل : المراد جنس النجوم التي يرمى بها ويرجم. والثاقب ، قيل : المضيء ؛ يقال : ثقب يثقب ثقوبا وثقابة : أضاء ، أي يثقب الظلام بضوئه. وقيل : المرتفع العالي ، ولذلك قيل هو زحل لأنه أرقها مكانا. وقال الفراء : ثقب الطائر ارتفع وعلا.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٥٣

وقرأ الجمهور : إن خفيفة ، كل رفعا لما خفيفة ، فهي عند البصريين مخففة من الثقيلة ، كل مبتدأ واللام هي الداخلة للفرق بين إن النافية وإن المخففة ، وما زائدة ، وحافظ خبر المبتدأ ، وعليها متعلق به. وعند الكوفيين : إن نافية ، واللام بمعنى إلا ، وما زائدة ، وكل حافظ مبتدأ وخبر ؛ والترجيح بين المذهبين مذكور في علم النحو. وقرأ الحسن والأعرج وقتادة وعاصم وابن عامر وحمزة وأبو عمرو ونافع بخلاف عنهما : لما مشددة وهي بمعنى إلا ، لغة مشهورة في هذيل وغيرهم. تقول العرب : أقسمت عليك لما فعلت كذا : أي إلا فعلت ، قاله الأخفش. فعلى هذه القراءة يتعين أن تكون نافية ، أي ما كل نفس إلا عليها حافظ. وحكى هرون أنه قرىء : إن بالتشديد ، كل بالنصب ، فاللام هي الداخلة في خبر إن ، وما زائدة ، وحافظ خبر إن ، وجواب القسم هو ما دخلت عليه إن ، سواء كانت المخففة أو المشددة أو النافية ، لأن كلا منها يتلقى به القسم ؛ فتلقيه بالمشددة مشهور ، وبالمخففة {تالله إن كدت لتردين} ، وبالنافية {ولان زالتآ إن أمسكهما} . وقيل : جواب القسم {إنه على رجعها لقادر} ، وما بينهما اعتراض ، والظاهر عموم كل نفس.

٤٥٤

وقال ابن سيرين وقتادة وغيرهما : {إن كل نفس} مكلفة ، {عليها حافظ} : يحصي أعمالها ويعدها للجزاء عليها ، فيكون في الآية وعيد وزاجر وما بعد ذلك يدل عليه. وقيل : حفظة من الله يذبون عنها ، ولو وكل المرء إلى نفسه لاختطفته الغير والشياطين. وقال الكلبي والفراء : حافظ من الله يحفظها حتى يسلمها إلى المقادير. وقيل : الحافظ : العقل يرشده إلى مصالحه ويكفه عن مضاره. وقيل : حافظ مهيمن

ورقيب عليه ، وهو الله تعالى.
". (١)

"تعالى " إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون " المائدة ٩١ ثم قوله تعالى " إنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه " المائدة ٩٠ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت الخمر ولم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم في حد الخمر إلا أنه جلد أربعين خرجه مسلم وأبو داود وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه ضرب فيها ضربا مشاعا وحزره أبو بكر أربعين سوطا وعمل بذلك هو ثم عمر ثم تهافت الناس فيها فشدد عليهم الحد وجعله كأخف الحدود ثمانين وبه قال مالك وقال الشافعي بالأربعين وضرب الخمر غير شديد عند جماعة من العلماء لا يبدو إبط الضارب وقال مالك الضرب كله سواء لا يخفف ولا يبرح ويجتنب من المضروب الوجه والفرج والقلب والدماغ والخواصر بإجماع وقالت طائفة هذه الآية منسوخة بقوله " فاجتنبوه لعلكم تفلحون " المائدة ٩٠ يريد ما في قوله " ومنافع للناس " من الإباحة والإشارة إلى الترخيص

و " الميسر " مأخوذ من يسر إذا جزر والياسر الجازر ومنه قول الشاعر

(فلم يزل بك واشيهم ومكرهم

حتى أشاطوا بغيب لحم من يسروا)

ومنه قول الآخر

(أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني

ألم تيأسوا إني ابن فارس زهدم)

والجزور الذي يستهم عليه يسمى ميسرا لأنه موضع اليسر ثم قيل للسهام ميسر للمجاورة

وقال الطبري الميسر مأخوذ من يسر لي هذا إذا وجب وتسنى ونسب القول إلى مجاهد ثم جلب من نص كلام مجاهد ما هو خلاف لقوله بل أراد مجاهد الجزر واليسر الذي يدخل في الضرب بالقداح وجمعه أيسار وقيل يسر جمع ياسر كحارس وحرس وأحراس وسهام الميسر سبعة لها حظوظ وفيها فروض على عدة الحظوظ وثلاثة لا حظوظ لها ولا فروض فيها هي الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣٤١/٨

والمعلى والثلاثة التي لا حظوظ لها المنيح والسفيح والوغد تزاد هذه الثلاثة لتكثر السهام

وتختلط على الحرضة وهو الضارب بها فلا يجد إلى الميل مع أحد سبيلا وكانت عادة العرب أن تضرب بهذه القداح في الشتوة وضيق الوقت وكلب البرد على الفقراء تشتري الجزور ويضمن الأيسار ثمنها ثم تنحر وتقسم على عشرة أقسام وأخطأ الأصمعي في قسمة الجزور فذكر أنها كانت على قدر حظوظ السهام ثمانية وعشرين قسما وليس كذلك

ثم يضرب على العشرة الأقسام فمن فاز سهمه بأن يخرج من الربابة متقدما أخذ أنصباءه وأعطاها الفقراء وفي أحيان ربما تقامروا لأنفسهم ثم يغرم الثمن من لم يفز سهمه

ويعيش بهذه السيرة فقراء الحي ومنه قول الأعشى

(المطعمو الضيف إذا ما شتا

والجاعلو القوت على الياسر) " السريع "

ومنه قول الآخر

(بأيديهم مقرومة ومغالق

". (١)

"قال القاضي أبو محمد المضمر المخفوض لا ينفصل فهو كحرف من الكلمة ولا يعطف على حرف ويرد عندي هذه القراءة من المعنى وجهان أحدهما أن ذكر الأرحام فيما يتساءل به لا معنى له في الحض على تقوى الله ولا فائدة فيه أكثر من الإخبار بأن الأرحام يتساءل بها وهذا تفرق في معنى الكلام وغض من فصاحته وإنما الفصاحة في أن يكون لذكر الأرحام فائدة مستقلة والوجه الثاني أن في ذكرها على ذلك تقريرا للتساؤل بها والقسم بحرمتها والحديث الصحيح يرد ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) وقالت طائفة إنما خفض والأرحام على جهة القسم من الله على ما اختص به لا إله إلا هو من القسم بمخلوقاته ويكون المقسم عليه فيما بعد من قوله " إن الله كان عليكم **رقيبا** " وهذا كلام يأباه نظم الكلام وسرده وإن كان المعنى يخرجه و "كان " في هذه الآية ليست لتحديد الماضي فقط بل المعنى كان وهو يكون **والرقيب** بناء الاسم الفاعل من رقب يرقب إذا أحد النظر بالبصر أو بالبصيرة إلى أمر ما ليتحققه على ما هو عليه ويقترن بذلك حفظ ومشاهدة وعلم بالحاصل عن الرقبة

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١/٢٧٩

وفي قوله " عليكم " ضرب من الوعيد ولم يقل لكم للاشتراك الذي كان يدخل من أنه يرقب لهم ما يصنع غيرهم ومما ذكرناه قيل للذي يرقب خروج السهم من ربابة الضريب في القداح رقيب لأنه يرتقب ذلك

ومنه قول أبي داؤد

(كمقاعد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد

) " مجزوء الكامل "

قوله تعالى

سورة النساء ٢

" اليتامى " جمع يتيم ويتيمة واليتم في كلام العرب فقد الأب قبل البلوغ وقال النبي صلى الله عليه وسلم (لا يتم بعد بلوغ) وهو في البهيمة فقد الأم في حال الصغر وحكى اليتم في الإنسان من جهة الأم وقال ابن زيد هذه المخاطبة هي لمن كانت عادته من العرب أن لا يرث الصغير من الأولاد مع الكبير فقيل لهم ورثوهم أموالهم ولا تتركوا

أيها الكبار حظوظكم حلالا طيبا وتأخذوا الكل ظلما حراما خبيثا فيجيء فعلكم ذلك تبدلا وقالت طائفة هذه المخاطبة هي لأوصياء الأيتام والمعنى إذا بلغوا وأونس منهم الرشد وسماهم يتامى وهم قد بلغوا استصحابا للحالة الأولى التي قد ثبتت لهم من اليتم " ولا تتبدلوا " قيل المراد ما كان بعضهم يفعل من أن يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالهزيلة من ماله والدرهم الطيب الزائف من ماله قاله سعيد بن المسيب والزهري والسندي والضحاك وقيل المراد بذلك لا تأكلوا أموالهم خبيثا وتدعوا أموالكم طيبا وقيل معناه لا تتعجلوا أكل الخبيث من أموالهم وتدعوا انتظار الرزق الحلال من عند الله قاله مجاهد وأبو صالح والخبيث والطيب إنما هو هنا

٦

". (١)

"قال القاضي أبو محمد ولفظة المعاقدة والأيمان ترجح أن المراد الأحلاف لأن ما ذكر من غير الأحلاف ليس في جميعه معاقدة ولا أيمان و " شهيدا " معناه أن الله شهيد بينكم على المعاقدة والصلة فأوفوا بالعهد بحسب ذلك مراقبة ورهبة

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٦/٢

وقوله تعالى " الرجال قوامون " الآية قوام فعال بناء مبالغة وهو من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه وحفظه بالاجتهاد فقيام الرجل على النساء هو على هذا الحد وتعليل ذلك بالفضيلة والنفقة يقتضي أن للرجال عليهن استيلاء وملكا ما قال ابن عباس الرجال أمراء على النساء وعلى هذا قال أهل التأويل وما في قوله " بما فضل الله " مصدرية ولذلك استغنت عن العائد وكذلك " بما أنفقوا " والفضيلة هي الغزو وكمال الدين والعقل وما أشبهه والإنفاق هو المهر والنفقة المستمرة على الزوجات وقيل سبب هذه الآية أن سعد بن الربيع لطم زوجه حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فجاءت مع أبيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر أن تلطمه كما لطمها فنزلت الآية مبيحة للرجال تأديب نسائهم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقض الحكم الأول وقال أردت شيئا وما أراد الله خير وفي طريق آخر أردت شيئا وأراد الله غيره وقيل إن في هذا الحكم المردود نزلت " ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه " وقيل سببها قول أم سلمة المتقدم أي لما تمنى النساء درجة الرجال عرفن وجه الفضيلة

والصلاح في قوله " فالصالحات " هو الصلاح في الدين والقانتات معناه مطيعات والقنوت الطاعة ومعناه لأزواجهن أو لله في أزواجهن وغير ذلك وقال الزجاج إنها الصلاة وهذا هنا بعيد و " للغيب " معناه كل ما غاب عن علم زوجها مما استرعته وذلك يعم حال غيب الزوج وحال حضوره وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها) ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه

". (١)

"بها ويحتمل أن يريد أنه أنزله بأن حق ذلك لا أنه وجب على الله ولكن حق في نفسه وأنزله الله تعالى صلاحا لعباده وقوله " من الكتاب " يريد من الكتب المنزلة

فهو اسم جنس واختلفت عبارة المفسرين في معنى مهيمن

فقال ابن عباس " مهيمنا " شاهدا

وقال أيضا مؤتمنا

وقال ابن زيد معناه مصدقا وقال الحسن بن أبي الحسن أمينا وحكى الزجاج رقيبا ولفظة المهيمن أخص من هذه الألفاظ لأن المهيمن على الشيء هو المعني بأمره الشاهد على حقائقه الحافظلحاصله ولأن يدخل

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٥٧/٢

فيه ما ليس منه والله تبارك وتعالى هو المهيمن على مخلوقاته وعباده والوصي مهيمن على محجورية وأموالهم والرئيس مهيمن على رعيته وأحوالهم والقرآن جعله الله مهيمنا على الكتب يشهد بما فيها من الحقائق وعلى ما نسبه المحرفون إليها فيصحح الحقائق ويبطل التحريف وهذا هو شاهد ومصدق ومؤتمن وأمين ومهيمن بناء اسم فاعل قال أبو عبيدة ولم يجيء في كلام العرب على هذا البناء إلا أربعة أحرف

وهي مسيطر ومبيطر ومهيمن ومجيمر

وذكر أبو القاسم الزجاج في شرحه لصدر أدب الكتاب ومبيقر

يقال بيقر الرجل إذا سار من الحجاز إلى الشام ومن أفق إلى أفق وبيقر أيضا لعب البيقرا وهي لعب يلعب بها

٢٠٠

الصبيان وقال مجاهد قوله تعالى " ومهيمنا عليه " يعني محمدا صلى الله عليه وسلم هو مؤتمن على القرآن قال القاضي أبو محمد وغلط الطبري رحمه الله في هذه اللفظة على مجاهد فإنه فسر تأويله على قراءة الناس مهيمنا بكسر الميم الثانية فبعد التأويل ومجاهد رحمه الله إنما يقرأ هو وابن محيصن ومهيمنا عليه بفتح الميم الثانية فهو بناء اسم المفعول

وهو حال من الكتاب معطوفة على قوله " مصدقا " وعلى هذا يتجه أن المؤتمن عليه هو محمد صلى الله عليه وسلم و " عليه " في موضع رفع على تقدير أنها مفعول لم يسم فاعله

هذا على قراءة مجاهد وكذلك مشى مكي رحمه الله وتوغل في طريق الطبري في هذا الموضع قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد رحمه الله مهيمن أصله مويمن بني من أمين أبدلت همزته هاء كما قالوا أرقت الماء وهرقته قال الزجاج وهذا حسن على طريق العربية وهو موافق لما جاء في التفسير من أن معنى مهيمن مؤتمن وحكى ابن قتيبة هذا الذي قال المبرد في بعض كتبه فحكى النقاش أن ذلك بلغ ثعلبا فقال إن ما قال ابن قتيبة رديء وقال هذا باطل والوثوب على القرآن شديد وهو ما سمع الحديث من قوي ولا ضعيف وإنما جمع الكتب انتهى كلام ثعلب

قال القاضي أبو محمد ويقال من مهيمن هيمن الرجل على الشيء إذا حفظه وحاطه وصار قائما عليه أمينا ويحتمل أن يكون " مصدقا ومهيمنا " حالين من الكاف في " إليك "

ولا يخص ذلك قراءة مجاهد وحده كما زعم مكي

قوله عز وجل

سورة المائدة ٤٨

". (١)

"وذكر النفس هنا مقابلة لفظية في اللسان العربي يقتضيها الإيجاز وهذا ينظر من طرف خفي إلى قوله " ومكروا ومكر الله " " الله يستهزىء بهم " فتسمية العقوبة باسم الذنب إنما قاد إليها طلب المقابلة اللفظية إذ هي من فصيح الكلام وبارع العبارة ثم أقر عليه السلام لله تعالى بأنه " علام الغيوب " المعنى ولا علم لي أنا بغيب فكيف تكون لي الألوهية

ثم أخبر عما صنع في الدنيا وقال في تبليغه وهو أنه لم يتعد أمر الله في أن أمرهم بعبادته وأقر بربوبيته و " أن " في قوله " أن اعبدوا الله " مفسرة لا موضع لها من الإعراب

ويصح أن تكون بدلا من " ما "

ويصح أن تكون في موضع خفض على تقدير بأن اعبدوا الله ويصح أن تكون بدلا من الضمير في " به "

ثم أخبر عليه السلام أنه كان شهيدا ما دام فيهم في الدنيا فما ظرفية

وقوله " فلما توفيتني " قبضتني إليك بالرفع والتصيير في السماء

والرقيب الحافظ المراعي

قوله عز وجل

سورة المائدة ١١٨ ١١٩ ١٢٠

اعتراض عليك

وإن تغفر لهم أي لو غفرت بتوبة كما غفرت لغيرهم فإنك أنت العزيز في قدرتك الحكيم في أفعالك

لا تعارض على حال

فكأنه قال إن يكن لك في الناس معذبون فهم عبادك

وإن يكن مغفور لهم فعزتك وحكمتك تقتضي هذا كله

وهذا هو عندي القول

الأرجح

ويتقوى ما بعده

---

(١) المحرر الوجيز ، ٢/٢٣٢

وذلك أن عيسى عليه السلام لما قرر أن الله تعالى له أن يفعل في عباده ما يشاء من تعذيب ومغفرة أظهر الله لعباده ما كانت الأنبياء تخبرهم به كأنه يقول هذا أمر قد فرغ منه

وقد خلص للرحمة من خلص وللعذاب من خلص فقال تبارك وتعالى " هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم " فدخل تحت هذه العبارة كل مؤمن بالله تعالى وكل ما كان اتقى فهو أدخل في العبارة ثم جاءت هذه العبارة مشيرة إلى عيسى في حاله تلك وصدقه فيما قال

فحصل له بذلك في الموقف شرف عظيم وإن كان اللفظ يعمه وسواه وذكر تعالى ما أعد لهم برحمته وطوله إلى ق,له " ذلك الفوز العظيم " وقرأ نافع وحده هذا يوم بنصب يوم وقرأ الباقون يوم بالرفع على خبر المبتدأ الذي هو " هذا " و " يوم " مضاف إلى " ينفع " والمبتدأ والخبر في

٢٦٤

موضع نصب بأنه مفعول القول

إذ القول يعمل في الجمل وأما قراءة نافع فتحتمل وجهين أحدهما أن يكون يوم ظرفا للقول كأن التقدير قال الله هذا القصص أو الخبر يوم

قال القاضي أبو محمد وهذا عندي معنى يزيل رصف الآية وبهاء اللفظ والمعنى الثاني أن يكون ما بعد قال حكاية عما قبلها ومن قوله لعيسى إشارة إليه وخبر " هذا " محذوف إيجازا كأن التقدير قال الله هذا المقتص يقع أو يحدث يوم ينفع الصادقين

." (١)

"في سائر الأفعال فقولك كان في الدار هند أسوغ من قام في الدار هند وحسن القراءة الفصل بالظرف الذي هو الخبر ويتجه في القراءة المذكورة أن يكون في " تكن " ضمير اسم الله تعالى وتكون الجملة التي هي " له صاحبة " خبر كان ويتجه أن يكون في يكن ضمير أمر وشأن وتكون الجملة بعد تفسيرا له وخبرا وهذه الآية رد على الكفار بقياس الغائب على الشاهد وقوله " وخلق كل شيء " لفظ عام لكل ما يجوز أن يدخل تحته ولا يجوز أن يدخل تحته صفات الله تعالى وكلامه فليس هو عموما مخصصا على ما ذهب إليه قوم لأن العموم المخصص هو أن يتناول العموم شيئا ثم يخرجه التخصيص وهذا لم يتناول قط هذه التي ذكرناها وإنما هذا بمنزلة قول الإنسان قتلت كل فارس وأفحمت كل خصم فلم يدخل القائل قط في

(١) المحرر الوجيز.، ٣١٠/٢

هذا العموم الظاهر من لفظه وأما قوله " وهو بكل شيء عليم " فهذا عموم على الإطلاق ولأن الله عز وجل يعلم كل شيء لا رب غيره ولا معبود سواه ولما تقررت الحجج وبانت الوحدانية جاء قوله تعالى " ذلكم الله ربكم " الآية تتضمن تقريرا وحكما إخلاصا أمرا بالعبادة وإعلاما بأنه حفيظ رقيب على كل فعل وقول وفي هذا الإعلام تخويف وتحذير

٣٣٠

قوله تعالى

سورة الأنعام ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥

أجمع أهل السنة على أن الله تعالى يرى يوم القيامة يراه المؤمنون وقاله ابن وهب عن مالك بن أنس والوجه أن يبين جواز ذلك عقلا ثم يستند إلى ورود السمع بوقوع ذلك الجائز واختصار تبيين ذلك يعتبر بعلمنا بالله عز وجل فمن حيث جاز أن نعلمه لا في مكان ولا متحيز ولا مقابل ولم يتعلق علمنا بأكثر من الوجود جاز أن نراه غير مقابل ولا محاذي ولا مكيفا ولا محدودا وكان الإمام أبو عبد الله النحوي يقول مسألة العلم حلقت لحي المعتزلة ثم ورد الشرع بذلك وهو قوله عز وجل " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " وتعدية النظر يأتي إنما هو في كلام العرب لمعنى الرؤية لا لمعنى الانتظار على ما ذهبت إليه المعتزلة وذكر هذا المذهب لمالك فقال فأين هم عن قوله تعالى "كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون "
". (١)

"قال القاضي أبو محمد فكأن هذا المعنى يحض على المراقبة والخوف لله المطلع على الضمائر ويشبه على هذا التأويل هذا المعنى قوله تعالى " ونحن أقرب إليه من حبل الوريد " حكي هذا التأويل عن قتادة ويحتمل أن يريد تخويفهم إن لم يمتثلوا الطاعات ويستجيبوا لله وللرسول بما حل بالكفار الذين أرادهم بقوله " ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون " لأن حتمه عليهم بأنهم لو سمعوا وفهموا لم ينتفعوا يقتضي أنه قد كان حال بينهم وبين قلوبهم فكأنه قال للمؤمنين في هذه الأخرى استجيبوا لله وللرسول ولا تأمنوا إن تفعلوا أن ينزل بكم ما نزل بالكفار من الحول بينهم وبين قلوبهم فنبه على ما جرى على الكفار بأبلغ عبارة وأعلقها بالنفس ومنها أن يكون المعنى ترجية لهم بأن الله يبدل الخوف الذي في قلوبهم من كثرة العدو فيجعله جرأة وقوة وبضد ذلك الكفار فإن الله هو مقلب القلوب كما كان قسم النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣٨٩/٢

قال بعض الناس ومنه لا حول ولا قوة إلا بالله أي لا حول على معصية ولا قوة على طاعة إلا بالله وقال المفسرون في ذلك أقوالا هي أجنبية من ألفاظ الآية حكاها الطبري منها أن الله يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان ونحو هذا وقرأ ابن أبي إسحاق بين المرء بكسر الميم ذكره أبو

٥١٥

حاتم قال أبو الفتح وقرأ الحسن والزبيدي بين المر بفتح الميم وشد الراء المكسورة و " تحشرون " أي تبعثون يوم القيامة وروي عن طريق مالك بن أنس والنسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا أبي بن كعب وهو في الصلاة فلم يجب وأسرع في بقية صلاته فلما جاءه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما سمعت فيما يوحى إلي " يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم " فقال أبي لا جرم يا رسول الله لا تدعوني أبدا إلا أجبتك الحديث بطوله واختلاف ألفاظه وفي البخاري ومسلم أن ذلك وقع مع أبي سعيد بن المعلى وروي أنه وقع نحوه مع حذيفة بن اليمان في غزوة الخندق

قوله عز وجل

سورة الأنفال ٢٥ ٢٦

هذه الآية تحتمل تأويلات أسبقها إلى النفس أن يريد الله أن يحذر جميع المؤمنين من فتنة أن أصابت لم تخص الظلمة فقط بل تصيب الكل من ظالم وبريء وهذا التأويل تأول فيها الزبير بن العوام رضي الله عنه فإنه قال يوم الجمل وما علمت أنا أردنا بهذه الآية إلا اليوم وما كنت أظنها إلا فيمن خوطب بها ذلك الوقت وكذلك تأول الحسن البصري فإنه قال هذه الآية في علي وعمار وطلحة والزبير وكذلك تأول ابن عباس فإنه قال أمر الله المؤمنين في هذه الآية أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم العذاب وبينه القتبي فيما ذكر مكي عنه بيانا شافيا

". (١)

"وفي "كيف " هنا تأكيد للإستبعاد الذي في الأولى و " لا يرقبوا " معناه لا يراعوا ولا يحافظوا وأصل

١٠

الارتقاب بالبصر ومنه **الرقيب** في الميسر وغيره ثم قيل لكل من حافظ على شيء وراعاه راقبه وارتقبه وقرأ جمهور الناس إلا وقرأ عكرمة مولى ابن عباس بياء بعد الهمزة خفيفة اللام إيلا وقرأت فرقة ألا بفتح الهمزة

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٥٨٩/٢

فأما من قرأ إلا فيجوز أن يراد به الله عز وجل قاله مجاهد وأبو مجلز وهو اسمه بالسريانية ومن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين سمع كلام مسيلمة فقال هذا كلام لم يخرج من إل ويجوز أن يراد به العهد والعرب تقول للعهد والخلق والجوار ونحو هذه المعاني إلا ومنه قول أبي جهل

(لإل علينا واجب لا نضيعه

متين فواه غير منتكث الحبل) " الطويل "

ويجوز أن يراد به القرابةفإن القرابة في لغة العرب يقال له إل ومنه قول ابن مقبل الرمل

(أفسد الناس خلوف خلفوا

قطعوا الإل وأعراق الرحم) أنشده أبو عبيدة على القرابة وظاهره أنه في العهود ومنه قول حسان

(لعمرك أن إلك في قريش

كإل السقب من رال النعام) " الوافر "

وأما من قرأ ألا بفتح الهمزة فهو مصدر من فعل للإل الذي هو العهد ومن قرأ إيلا فيجوز أن يراد به الله عز وجل فإنه يقال أل وأيل وفي البخاري قال جبر وميك وسراف عبد بالسريانية وأيل الله عز وجل ويجوز أن يريد " إلا " المتقدم فأبدل من أحد المثلين ياء كما فعلوا ذلك في قولهم أما وأيما ومنه قول سعد بن قرط يهجو أمه

(يا ليت أمنا شالت نعامتها

أيما إلى جنة أيما إلى نار) " البسيط "

ومنه قول عمر بن أبي ربيعة

(رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت

فيضحي وأما بالعشي فيخصر) " الطويل "

وقال آخر

(لا تفسدوا آبا لكم

أيما لنا أيما لكم) " الرجز "

قال أبو الفتح ويجوز أن يكون مأخوذا من آل يؤول إذا ساس

قال القاضي أبو محمد كما قال عمر بن الخطاب قد ألنا وإيل علينا فكان المعنى على هذا لا يرقبون فيكم سياسة ولا مداراة ولا ذمة وقلبت الواو ياء لسكونها والكسرة قبلها والذمة أيضا بمعنى المتات والحلف

والجوار ونحوه قول الأصمعي الذمة كل ما يجب أن يحفظ ويحمى ومن رأى الإل أنه العهد جعلها لفظتين مختلفتين لمعنى واحد أو متقارب ومن رأى الإل لغير ذلك فهما لفظان لمعنيين " وتأبى قلوبهم " معناه تأبى أن تذعن لما يقولونه بالألسنة وأبى يأبى شاذ لا يحفظ فعل يفعل بفتح العين في الماضي والمستقبل وقد حكي ركن يركن وقوله " وأكثرهم " يريد به الكل أو يريد استثناء من قضى له بالإيمان كل ذلك محتمل وقوله تعالى " اشتروا بآيات الله " الآية اللازم من ألفاظ هذه الآية أن هذه

١١

." (١)

"قال القاضي أبو محمد وهذا التأويل عندي أقوى لأن غرض الآية إنما هو التنبيه على قدرة الله تعالى فذكر استواء " من هو مستخف " ومن هو " سارب " وأن " له معقبات " من الله تحفظه في كل حال ثم ذكر أن الله تعالى لا يغير هذه الحالة من الحفظ للعبد حتى يغير ما بنفسه .

قال القاضي أبو محمد وعلى كلا التأويلين ليست الضمائر لمعين من البشر .

وقال عبد الرحمن بن زيد الآية في النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت في حفظ الله له من أربد بن ربيعة وعامر بن الطفيل في القصة التي ستأتي بعد هذا في ذكر الصواعق .

قال القاضي أبو محمد وهذه الآية وإن كانت بألفاظها تنطبق على معنى القصة فيضعف القول إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتقدم له ذكر فيعود الضمير في " له " عليه .

والمعقبات الجماعات التي يعقب بعضها بعضا فعلى التأويل الأول هي الملائكة وينظر هذا إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة المغرب والصبح وعلى التأويل الثاني هي الحرس والوزعة الذين للملوك .

و " معقبات " جمع معقبة وهي الجماعة التي تأتي بعد الأخرى والتعقيب بالجملة أن تكون حال تعقبها حال أخرى من نوعها وقد تكون من غير النوع ومنه

معاقبة الركوب ومعاقبة الجاني ومعقب عقبة القدر والمعاقبة في الأزواج ومنه قول سلامة بن جندل

(وكرنا الخيل في آثارهم رجعا

كسر السنابك من بدء وتعقيب) " البسيط "

---

(١) المحرر الوجيز ، ٣/١١

وقرأ عبيد الله بن زياد على المنبر له معاقيب قال أبو الفتح هو تكسير معقب .
قال القاضي أبو محمد بسكون العين وكسر القاف كمطعم ومطاعيم ومقدم ومقاديم .
وهي قراءة أبي البرهسم فكأن معقبا جمع على معاقبة ثم جعلت الياء في معاقيب عوضا من الهاء المحذوفة في معاقبة والمعقبة ليست جمع معقب كما ذكر ذلك الطبري وشبه ذلك برجل ورجال
٣٠٢
ورجالات وليس الأمر كما ذكر لأن تلك كجمل وجمال وجمالات ومعقبة ومعقبات إنما هي كضاربة وضاربات .
وفي قراءة أبي بك كعب من بين يديه **ورقيب** من خلفه وقرأ ابن عباس ورقباء من خلفه وذكر عنه أبو حاتم أنه قرأ معقبات من خلفه **ورقيب** من بين يديه يحفظونه بأمر الله .
وقوله " يحفظونه " يحتمل معنيين
أحدهما أن يكون بمعنى يحرسونه ويذبون عنه فالضمير محمول ليحفظ .
والمعني الثاني أن يكون بمعنى حفظ الأقوال وتحصيلها ففي اللفظة حينئذ حذف مضاف تقديره يحفظون أعماله ويكون هذا حينئذ من باب " واسأل القرية " وهذا قول ابن جريج .
". (١)

"قال الفقيه الإمام القاضي وهذه عجمة وأنى هذا مما روى أنس بن مالك قال كان فتى من الأنصار يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدع شيئا من الفواحش والسرقة إلا ركبه فقيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وصلحت حاله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم اقل لكم وقوله تعالى " ولذكر الله أكبر " قال ابن عباس وابو الدرداء وسلمان وابن مسعود وأبو قرة معناه " ولذكر الله " إياكم " أكبر " من ذكركم إياه وقيل معناه " ولذكر الله أكبر " مع المداومة من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر قال ابن زيد وقتادة معناه " ولذكر الله أكبر " من كل شيء وقيل لسلمان أي الأعمال أفضل فقال أما تقرأ القرآن " ولذكر الله أكبر " ومنه حديث الموطأ عن أبي الدرداء ألا أخبركم بخير أعمالكم الحديث وقيل معناه " ولذكر الله "كبير كأنه يحض عليه في هذين التأويلين الأخيرين
قال الفقيه الإمام القاضي وعندي أن المعنى " ولذكر الله أكبر " على الإطلاق أي هو الذي ينهى عن

---

(١) المحرر الوجيز ، ٣٠٦/٣

الفحشاء والمنكر .

فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك وكذلك يفعل في غير الصلاة لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر مراقب وثواب ذلك الذكر أن يذكره الله تعالى كما في الحديث ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه والحركات التي في الصلاة لا تأثير لها في نهي والذكر النافع هو مع العلم وإقبال القلب وتفرغه إلا من الله تعالى وأما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة أخرى وذكر الله تعالى العبد هو إفاضة الهدى ونور العلم عليه وذلك ثمرة لذكر العبد ربه قال الله عز وجل " فاذكروني أذكركم " البقرة : ١٥٢ وباقي الآية ضرب من التوعد والحث على المراقبة

قوله عز وجل في سورة العنكبوت ٤٦

قرأ الجمهور إلا على الاستثناء وقرأ ابن عباس ألا بفتح الهمزة وتخفيف اللام واختلف المفسرون في المراد بهذه الآية فقال ابن زيد معناها لا تجادلوا من آمن بمحمد من " أهل الكتاب " فكأنه قال " أهل الكتاب " المؤمنين " إلا بالتي هي أحسن " أي الموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أوائلهم وغير ذلك وقوله تعالى على هذا التأويل " إلا الذين ظلموا " يريد به من بقي على كفره منهم كمن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم والآية على هذا محكمة غير منسوخة وقال مجاهد المراد ب " أهل الكتاب " اليهود والنصارى الباقون على دينهم أمر الله تعالى المؤمنين ألا يجادلوهم " إلا بالتي هي أحسن " من الدعاء إلى الله تعالى والتنبيه على آياته وأن يزال معهم عن طريق الإغلاظ والمخاشنة وقوله على هذا التأويل " إلا الذين ظلموا " معناه ظلموكم وإلا فكلهم ظلمة على الإطلاق يراد بهم من لم يؤد جزية

٣٢١

". (١)

"قال الفقيه الإمام القاضي وهذا تأويل فيه بعد وإن كان روي عن مجاهد وكذلك روي أن تبدل اليهوديات والنصرانيات بالمسلمات وهذا قول أبي رزين وسعيد بن جبير وقال أبي بن كعب " من بعد " يعني لا يحل لك العمات والخالات ونحو ذلك وأمر مع ذلك بأن لا يتبدل بأزواجه التسع منه من أن يطلق منهن ويتزوج غيرهن قاله الضحاك وقيل بمن تزوج وحصل في عصمته أي لا يبدلها بأن يأخذ زوجة إنسان ويعطيه هو زوجته قال ابن زيد وهذا شيء كانت العرب تفعله

---

(١) المحرر الوجيز ، ٤/٣٧٣

قال الفقيه الإمام القاضي وهذا قول ضعيف أنكره الطبري وغيره في معنى الآية وما فعلت العرب قط هذا وما روي من حديث عيينة بن حصن أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فقال من هذه الحميراء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عائشة فقال عيينة يا رسول الله إن شئت نزلت لك عن سيدة العرب جمالا ونسبا فليس بتبديل ولا أراد ذلك وإنما احتقر عائشة لأنها كانت صبية فقال هذا القول وقرأ أبو عمرو بخلاف " لا تحل " بالتاء على معنى جماعة النساء وقرأ الباقون " لا يحل " بالياء من تحت على معنى جميع النساء وهما حسنان لأن تأنيث لفظ النساء ليس بحقيقي وقوله تعالى " ولو أعجبك حسنهن " قال ابن عباس نزل ذلك بسبب أسماء بنت عميس أعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات عنها جعفر بن أبي طالب وفي هذه اللفظة " أعجبك حسنهن " دليل على جواز أن ينظر الرجل إلى من يريد زواجها وقد أراد المغيرة بن شعبة زواج امرأة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإنه أجدر أن يؤدم بينكما وقال عليه السلام لآخر انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئا قال الحميدي يعني صغرا وقال سهل بن أبي حثمة رأيت محمد بن مسلمة يطارد بثينة بنت الضحاك على أجار من أجاجير المدينة فقلت له أتفعل هذا فقال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا ألقى الله في قلب أحدكم خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها وقوله تعالى " إلا ما ملكت يمينك " " ما " في موضع رفع بدل من " النساء " ويجوز أن تكون في موضع نصب على الاستثناء وفي النصب ضعف ويجوز أن تكون " ما " مصدرية والتقدير إلا ملك يمينك وملك بمعنى مملوك وهوفي موضع نصب لأنه استثناء من غير الجنس الأول **والرقيب** فعيل بمعنى فاعل أي راقب

قوله عز وجل من سورة الأحزاب آية

٣٩٥

٥٣

". (١)

"قال الفقيه الإمام القاضي والطعن في تأمير أسامة إذاية له عليه السلام ولعنوا معناه أبعدوا من كل خير وإذاية المؤمنين والمؤمنات هي أيضا بالأفعال والأقوال القبيحة والبهتان والكذب الفاحش المختلف وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوما لأبي بن كعب إني قرأت هذه الآية البارحة ففزعت منها

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤/٤٥٦

" والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات " الآية والله إني لأضربهم وأنهرهم فقال له أي يا أمير المؤمنين لست منهم إنما أنت معلم ومقوم وذكر أبو حاتم أن عمر بن الخطاب قرأ إن الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ثم قال يا أبي كيف تقرأ هذه الآية فقرأها كما قال عمر .

٣٩٩

قوله عز وجل من سورة الأحزاب آية ٥٩

لما كانت عادة العربيات التبذل في معنى الحجبة وكن يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء وكان ذلك داعية إلى نظر الرجال إليهن وتشعب الفكر فيهن أمر الله تعالى رسوله عليه السلام بأمرهن بإدناء الجلابيب ليقع ستره ويبين الفرق بين الحرائر والإماء فيعرف الحرائربسترهن فكيف عن معارضتهن من كان غزلا أو شابا وروي أنه كان في المدينة قوم يجلسون على الصعدات لرؤية النساء ومعارضتهن ومراودتهن فنزلت الآية بسبب ذلك والجلباب ثوب أكبر من الخمار وروي عن ابن عباس وابن مسعود أنه الرداء واختلف الناس في صورة إدنائه فقال ابن عباس وعبيدة السلماني ذلك أن تلويه المرأة حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها وقال ابن عباس أيضا وقتادة وذلك أن تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الأنف وإن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه وقوله تعالى " ذلك أدنى أن يعرفن " أي على الجملة بالفرق حتى لا يختلطن بالإماء فإذا عرفن لم يقابلن بأذى من المعارضة مراقبة لرتبة الحرية وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى يعلم من هي وكان عمر إذا رأى أمة قد تقنعت قنعها الذرة محافظة على زي الحرائر وباقي الآية ترجية ولطف وحظ على التوبة وتطميع في رحمة الله تعالى وفيها تأنيس للنساء في ترك الجلابيب قبل هذا الأمر المشروع .

قوله عز وجل في سورة الأحزاب من ٦٠ - ٦٢

اللام في قوله تعالى " لئن " هي المؤذنة بمجيء القسم واللام في " لنغرينك " هي لام القسم وتوعد الله تعالى هذه الأصناف في هذه الآية وقرن توعده بقرينة متابعتهم وتركهم الانتهاء فقالت فرقة إن هذه الأصناف لم تنته ولم ينفذ الله تعالى عليها هذا الوعيد فهذه الآية دليل على بطلان القول بإنفاذ الوعيد في الآخرة وقالت فرقة إن هذه الأصناف انتهت وتستر جميعهم بأمرهم وكفوا وما بقي من أمرهم أنفذ الله تعالى وعيدا

بإزائه وهو مثل نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة
". (١)

") " الطويل "

ومثله قول الفرزدق

(إني ضمنت لمن أتاني ما جنى

وأبى وكان وكنت غير غدور) " الكامل "

وهذه الأمثلة كثيرة ومذهب المبرد ان التقدير عن اليمين " قعيد " وعن الشمال فأخر " قعيد " عن مكانه ومذهب الفراء ان لفظ " قعيد " يدل على الاثنين والجمع فلا يحتاج إلى تقدير غير الظاهر وقوله تعالى " ما يلفظ من قول " قال الحسن بن ابي الحسن وقتادة يكتب الملكان الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك وهذا هو ظاهر الآية قال أبو الجوزاء ومجاهد يكتبان عليه كل شيء حتى أنينه في مرضه وقال عكرمة المعنى " ما يلفظ من قول " خير أو شر واما ما خرج من هذا فإنه لا يكتب والأول أصوب وروي ان رجلا قال لجمله حل فقال ملك اليمين لا اكتبها وقال ملك الشمال لا اكتبها فأوحى الله الى ملك الشمال ان اكتب ما ترك ملك اليمين وروي نحوه عن هشام الحمصي وهذه اللفظة إذا اعتبرت فهي بحسب مشيه ببعيره فإن كان في طاعة فحل حسنة وإن كان في معصية فهي سيئة والمتوسط بين هذين عسير الوجود ولا بد ان يقترن بكل احوال المرء قرائن تخلصها للخير او لخلافه

وحكى الثعلبي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن مقعد الملكين على الثنيتين قلمهما اللسان ومدادهما الريق) وقال الضحاك والحسن مقعدهما تحت الشعر وكان الحسن يحب ان ينظف غفقته لذلك قال الحسن حتى إذا مات طويت صحيفته وقيل له يوم

١٦١

القيامة " اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " الإسراء١٤ عدل والله عليه من جعله حسيب نفسه **والرقيب** المراقب والعتيد الحاضر وقوله " وجاءت " عطف عندي على قوله " اذ يتلقى " فالتقدير وإذ تجيء سكرة الموت وجعل الماضي في موضع المستقبل تحقيقا وتثبيتا للأمر وهذا احث على الاستعداد واستشعار القرب وهذه طريقة العرب في ذلك ويبين هذا في قوله " ونفخ في الصور " " وجاءت كل نفس

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤/٤٦٢

" فإنها ضرورة بمعنى الاستقبال
وقرأ أبو عمرو " وجاءت سكرة " بإدغام التاء في السين
و " سكرة الموت " ما يعتري الإنسان عند نزاعه والناس فيها مختلفة احوالهم لكن لكل واحد سكرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في نزاعه يقول (إن للموت سكرات)
وقوله " بالحق " معناه بلقاء الله وفقد الحياة الدنيا
وفي مصحف عبد الله بن مسعود (وجاءت سكرة الحق بالموت)
وقرأها ابن جبير وطلحة ويروى ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه قالها كذلك لابنته عائشة وذلك انها قعدت عند رأسه وهو ينازع فقالت
(لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر) " الطويل "
ففتح أبو بكر رضي الله عنه عينه فقال لا تقولي هكذا وقولي (وجاءت سكرة الحق بالموت) " ذلك ما كنت منه تحيد "
". (١)

"§القول في تأويل قوله تعالى: {بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين} [آل عمران: ٧٦] وهذا إخبار من الله عز وجل عما لمن أدى أمانته إلى من ائتمنه عليها اتقاء الله ومراقبته عنده، فقال جل ثناؤه: ليس الأمر كما يقول هؤلاء الكاذبون على الله من اليهود، من أنه ليس عليهم في أموال الأميين حرج ولا إثم، ثم قال بلى، ولكن من أوفى بعهده واتقى، يعني ولكن الذي أوفى بعهده، وذلك وصيته إياهم، التي أوصاهم بها في التوراة من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به، والهاء في قوله: {من أوفى بعهده} [آل عمران: ٧٦] عائدة على اسم الله في قوله: {ويقولون على الله الكذب} [آل عمران: ٧٥] يقول: بلى من أوفى بعهد الله الذي عاهده في كتابه، فآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدق به، بما جاء به من الله من أداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها، وغير ذلك من أمر الله ونهيه، و {واتقى} [آل

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١٤٣/٥

عمران76 :] يقول: واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به وسائر معاصيه التي حرمها عليه، فاجتنب ذلك مراقبة." (١)

"{§يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا} [النساء: ١] قال أبو جعفر: يعني بقوله تعالى ذكره: {يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة} [النساء: ١] احذروا أيها الناس ربكم في أن تخالفوه فيما أمركم، وفيما نهاكم، فيحل بكم من عقوبته ما لا قبل لكم به. ثم وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع الأنام من شخص واحد، وعرف عباده كيف كان مبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنبههم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة، وأن بعضهم من بعض، وأن حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه؛ لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة، وأن الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض، وأن بعد التلاقي في النسب إلى الأب الجامع بينهم، مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب الأدنى، وعاطفا بذلك بعضهم على بعض، ليتناصفوا، ولا يتظالموا، وليبذل القوي من نفسه للضعيف حقه بالمعروف، على ما ألزمه الله له، فقال: {الذي خلقكم من نفس واحدة} [النساء: ١] يعني من آدم." (٢)

"حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: {§واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا} [النساء: ١] " ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اتقوا الله وصلوا الأرحام، فإنه أبقى لكم في الدنيا، وخير لكم في الآخرة»." (٣)

"§القول في تأويل قوله تعالى: {إن الله كان عليكم رقيبا} [النساء: ١] قال أبو جعفر: يعني بذلك تعالى ذكره أن الله لم يزل عليكم رقيبا، ويعني بقوله: {عليكم} [البقرة: ٤٠] على الناس الذين قال لهم جل ثناؤه: يا أيها الناس اتقوا ربكم والمخاطب والغائب إذا اجتمعا في الخبر، فإن العرب تخرج الكلام على الخطاب، فتقول إذا خاطبت رجلا واحدا أو جماعة فعلت هي وآخرون غيب معهم فعلا: فعلتم كذا،

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥/٥١٤

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٣٣٩

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٣٤٧

وصنعتم كذا ويعني بقوله: {رقيبا} [النساء: ١] حفيظا، محصيا عليكم أعمالكم، متفقدا رعايتكم حرمة أرحامكم وصلتكم إياها، وقطعكموها وتضييعكم حرمتها." (١)

"كما: حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: {﴿إن الله كان عليكم رقيبا} [النساء: ١] «حفيظا»." (٢)

"حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن زيد، في قوله: {﴿إن الله كان عليكم رقيبا} [النساء: ١] «على أعمالكم، يعلمها ويعرفها» -[٣٥١]- ومنه قول أبي دواد الإيادي:

[البحر الكامل]

كمقاعد الرقباء للضـ ... ـرباء أيديهم نواهد." (٣)

"حدثني عبد الله بن محمد الزهري ، قال: ثنا سفيان ، عن المسعودي ، عن جعفر بن عمرو بن حريث ، عن أبيه ، عن عبد الله: {﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} [النساء: ٤١] قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شهيدا عليهم ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد»." (٤)

"قال المسعودي: فحدثني جعفر بن عمرو بن حريث ، عن أبيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «﴿شهيدا عليهم ما دمت فيهم ، فإذا توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد»." (٥)

"حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فيما يذكر عن بعض ، أهل العلم بالكتاب الأول ، قال: لما قتله سقط في يديه ، ولم يدر كيف يواريه ، وذلك أنه كان فيما يزعمون أول قتيل من بني آدم ، وأول ميت قال {﴿يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي} الآية إلى قوله: {ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون} [المائدة: ٣٢] قال: " ويزعم أهل التوراة أن قابيل حين قتل أخاه هابيل ، قال له جل ثناؤه: يا قابيل أين أخوك هابيل؟ قال: ما أدري ما كنت عليه رقيبا. فقال الله جل وعز له: إن صوت دم أخيك ليناديني من الأرض ، الآن أنت ملعون من الأرض التي فتحت فاها فبلعت دم

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٥٠/٦

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٥٠/٦

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٥٠/٦

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٩/٧

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٠/٧

أخيك من يدك ، فإذا أنت عملت في الأرض ، فإنها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فزعا تائها في." (١)

"بشريعته. يقول تعالى ذكره: احكم يا محمد بين أهل الكتاب والمشركين بما أنزل إليك من كتابي وأحكامي ، في كل ما احتكموا فيه إليك من الحدود والجروح والقود والنفوس ، فارجم الزاني المحصن ، واقتل النفس القاتلة بالنفس المقتولة ظلما ، وافقأ العين بالعين ، واجدع الأنف بالأنف ، فإني أنزلت إليك القرآن مصدقا في ذلك ما بين يديه من الكتب ، ومهيمنا عليه ، **رقيبا** يقضي على ما قبله من سائر الكتب قبله. ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود ، الذين يقولون: إن أوتيتم الجلد في الزاني المحصن دون الرجم ، وقتل الوضيع بالشريف إذا قتله ، وترك قتل الشريف بالوضيع إذا قتله ، فخذوه ، وإن لم تؤتوه فاحذروا ، عن الذي جاءك من عند الله من الحق ، وهو كتاب الله الذي أنزله إليك. يقول له: اعمل بكتابي الذي أنزلته إليك إذا احتكموا إليك ، فاختر الحكم عليهم ، ولا تتركن العمل بذلك اتباعا منك أهواءهم وإيثارا لها على الحق الذي أنزلته إليك في كتابي. كما:." (٢)

"§القول في تأويل قوله تعالى: ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول عيسى يقول: ما قلت لهم إلا الذي أمرتني به من القول أن أقوله لهم، وهو أن قلت لهم: اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا يقول: وكنت على ما يفعلونه وأنا بين أظهرهم شاهدا عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم. فلما توفيتني يقول: فلما قبضتني إليك، كنت أنت **الرقيب** عليهم يقول: كنت أنت الحفيظ عليهم دوني، لأني إنما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم. وفي هذا تبيان أن الله تعالى إنما عرفه أفعال القوم ومقالتهم بعدما قبضه إليه وتوفاه بقوله: أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، وأنت على كل شيء شهيد يقول: وأنت تشهد على كل شيء، لأنه لا يخفى عليك شيء، وأما أنا فإنما شهدت بعض الأشياء، وذلك ما عاينت وأنا مقيم بين أظهر القوم، فإنما أنا أشهد على ذلك الذي عاينت ورأيت وشهدت. وبنحو الذي قلنا في قوله: كنت أنت **الرقيب** عليهم قال أهل التأويل." (٣)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٤٤/٨

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٩٢/٨

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٣٧/٩

"ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: {§كنت أنت الرقيب عليهم} [المائدة: ١١٧] أما الرقيب: فهو الحفيظ "." (١)

"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: {§كنت أنت الرقيب عليهم} [المائدة: ١١٧] قال: الحفيظ وكانت جماعة من أهل العلم تقول: كان جواب عيسى الذي أجاب به ربه من الله تعالى توقيفا منه له فيه." (٢)

"وإذاقة بعضهم بأس بعض، الحق الذي لا شك فيه أنه واقع، إن هم لم يتوبوا وينيبوا مما هم عليه مقيمون من معصية الله والشرك به إلى طاعة الله والإيمان به. {قل لست عليكم بوكيل} [الأنعام: ٦٦] يقول: قل لهم يا محمد: لست عليكم بحفيظ ولا رقيب، وإنما رسول أبلغكم مما أرسلت به إليكم. {لكل نبإ مستقر} [الأنعام: ٦٧] يقول: لكل خبر مستقر، يعني قرار يستقر عنده، ونهاية ينتهي إليها، فيتبين حقه وصدقه من كذبه وباطله. {وسوف تعلمون} [الأنعام: ٦٧] يقول: وسوف تعلمون أيها المكذبون بصحة ما أخبركم به من وعيد الله إياكم أيها المشركون وحقيته عند حلول عذابه بكم. فرأوا ذلك وعاينوه فقتلهم يومئذ بأوليائه من المؤمنين. وبنحو الذي قلنا من التأويل في ذلك قال أهل التأويل.." (٣)

"شيء وبارئه وصانعه، وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة. {فاعبدوه} [آل عمران: ٥١] يقول: فذلوا له بالطاعة والعبادة والخدمة، واخضعوا له بذلك. {وهو على كل شيء وكيل} [الأنعام: ١٠٢] يقول: والله على كل ما خلق من شيء رقيب وحفيظ يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته." (٤)

"§وأما قوله: {وما أنا عليكم بحفيظ} [الأنعام: ١٠٤] يقول: وما أنا عليكم -[٤٧١]- برقيب أحصي عليكم أعمالكم وأفعالكم، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، والله الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم." (٥)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٣٨/٩

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٣٨/٩

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣١١/٩

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٥٩/٩

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٧٠/٩

"حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " {§إنه يبدأ الخلق ثم يعيده} [يونس: ٤] يحييه ثم يميته، ثم يبدؤه ثم يحييه " قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه وقرأت قراء الأمصار ذلك: {إنه يبدأ الخلق} [يونس: ٤] بكسر الألف من إنه على الاستئناف وذكر عن أبي جعفر الرازي أنه قرأه أنه بفتح الألف من «أنه» كأنه أراد: حقا أن يبدأ الخلق ثم يعيده، فـ «أن» حينئذ تكون رفعا، كما قال الشاعر:

[البحر الطويل]

أحقا عباد الله أن لست زائرا ... أبا حبة إلا علي رقيب

-[١١٧]- وقوله: {ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط} [يونس: ٤] يقول: ثم يعيده من بعد مماته كهيئته قبل مماته عند بعثه من قبره، وقوله: {ليجزي الذين آمنوا} [يونس: ٤] يقول: ليثيب من صدق الله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به من الأعمال واجتنبوا ما نهاهم عنه على أعمالهم الحسنة {بالقسط} [يونس: ٤] يقول: ليجزيهم على الحسن من أعمالهم التي عملوها في الدنيا الحسن من الثواب والصالح من الجزاء في الآخرة، وذلك هو القسط. والقسط العدل والإنصاف؛ كما." (١)

"§وقوله: {وما أنا عليكم بحفيظ} [الأنعام: ١٠٤] يقول: وما أنا عليكم أيها الناس برقيب أرقبكم عند كيلكم، ووزنكم هل توفون الناس حقوقهم أم تظلمونهم، وإنما علي أن أبلغكم رسالة ربي فقد أبلغتكموها." (٢)

"§القول في تأويل قوله تعالى: {ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب} [هود: ٩٣] يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه: {ويا قوم اعملوا على مكانتكم} [هود: ٩٣] يقول: على تمكنكم، يقال منه: الرجل يعمل على مكينته ومكنته: أي على اتئاده، ومكن الرجل يمكن مكنا ومكانة ومكانا. -[٥٥٩]- وكان بعض أهل التأويل يقول في معنى قوله: {على مكانتكم} [الأنعام: ١٣٥] على منازلكم فمعنى الكلام إذن: ويا قوم اعملوا على تمكنكم من العمل الذي تعملونه، {إني عامل} [الأنعام: ١٣٥] على تؤدة من العمل الذي

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١١٦/١٢

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٤٤/١٢

أعمله، {سوف تعلمون} [هود: ٩٣] أينا الجاني على نفسه، والمخطئ عليها، والمصيب في فعله، المحسن إلى نفسه." (١)

"§القول في تأويل قوله تعالى: {من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب} [هود: ٩٣] يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه شعيب لقومه: الذي يأتيه منا ومنكم أيها القوم {عذاب يخزيه} [هود: ٣٩] يقول: يذله ويهينه؛ {ومن هو كاذب} [هود: ٩٣] يقول: ويخزي أيضا الذي هو كاذب في قيله وخبره منا ومنكم. {وارتقبوا} [هود: ٩٣] أي انتظروا وتفقدوا من الرقبة، يقال منه: رقبت فلانا أرقبه رقبة. وقوله: {إني معكم رقيب} [هود: ٩٣] يقول: إني أيضا ذو رقبة لذلك العذاب معكم، وناظر إليه بمن هو نازل منا ومنكم." (٢)

"علي بن جرير، عن حماد بن سلمة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن كنانة العدوي، قال: دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ قال: " §ملك على يمينك على حسناتك، وهو أمير على الذي على الشمال، فإذا عملت حسنة كتبت عشرا، وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين: أكتب؟ قال: لا لعله يستغفر الله ويتوب، فإذا قال ثلاثا، قال: نعم، اكتب، أراحنا الله منه، فبئس القرين، ما أقل مراقبته لله، وأقل استحياءه منا يقول الله: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٨] وملكان من بين يديك ومن خلفك، يقول الله: {له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله} [الرعد: ١١] وملك قابض على ناصيتك، فإذا تواضعت لله رفعك، وإذا تجبرت على الله قصمك، وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد، وملك قائم على فيك لا يدع الحية تدخل في فيك، وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي، ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار، لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار، فهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي، وإبليس بالنهار وولده بالليل "." (٣)

"حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: {§له معقبات من بين يديه ومن خلفه} [الرعد: ١١] " هذه ملائكة الليل يتعاقبون فيكم بالليل والنهار، وذكر لنا أنهم يجتمعون عند صلاة العصر

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٥٨/١٢

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٥٩/١٢

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٥٧/١٣

وصلاة الصبح، وفي قراءة أبي بن كعب: «له معقبات من بين يديه، ورقيب من خلفه، يحفظونه من أمر الله»." (١)

"قال: ثنا عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة، عن الجارود، عن ابن عباس: " {§-[٤٦٤]- له معقبات من بين يديه} [الرعد: ١١] رقيب {ومن خلفه} [الرعد: ١١] "." (٢)

"§القول في تأويل قوله تعالى: {أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت، وجعلوا لله شركاء، قل سموهم، أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول، بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل، ومن يضلل الله فما له من هاد} [الرعد: ٣٣] يقول تعالى ذكره: أفالرب الذي هو دائم لا يبيد ولا يهلك قائم بحفظ أرزاق جميع الخلق، متضمن لها، عالم بهم وبما يكسبونه من الأعمال، رقيب عليهم، لا يعزب عنه شيء أينما كانوا، كمن هو هالك بائد لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم شيئا، ولا يدفع عن نفسه ولا عمن يعبده ضرا، ولا يجلب إليهما نفعا؟ كلاهما سواء؟ وحذف الجواب في ذلك فلم يقل، وقد قيل {أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت} [الرعد: ٣٣] ككذا وكذا، اكتفاء بعلم السامع بما ذكر عما ترك ذكره، وذلك أنه لما قال جل ثناؤه: {وجعلوا لله شركاء} [الأنعام: ١٠٠] علم أن معنى الكلام كشركائهم التي اتخذوها آلهة، كما قال الشاعر:

[البحر الرجز]

تخيري خيرت أم عال ...." (٣)

"ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، في هذه الآية: {§ما أنا بمصرخكم، وما أنتم بمصرخي، إني كفرت بما أشركتمون من قبل} [إبراهيم: ٢٢] قال: " خطيبان يقومان يوم القيامة: إبليس، وعيسى ابن مريم، فأما إبليس فيقوم في حزبه فيقول هذا القول، وأما عيسى عليه السلام فيقول: {ما قلت لهم إلا ما أمرتني به، أن اعبدوا الله ربي وربكم، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد} [المائدة: ١١٧] "." (٤)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٥٩/١٣

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٦٣/١٣

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٤٥/١٣

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٢٩/١٣

"§وقوله: {وما أرسلناك عليهم وكيلا} [الإسراء: ٥٤] يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أرسلناك يا محمد على من أرسلناك إليه لتدعوه إلى طاعتنا ربا ولا **رقيبا**، إنما أرسلناك إليهم لتبلغهم رسالاتنا وبأيدينا صرفهم وتدبيرهم، فإن شئنا رحمناهم، وإن شئنا عذبناهم." (١)

"§وقوله: {ولم ترقب قولي} [طه: ٩٤] يقول: ولم تنظر قولي وتحفظه، من **مراقبة** الرجل الشيء، وهي مناظرته بحفظه." (٢)

"§القول في تأويل قوله تعالى: {لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء **رقيبا**} [الأحزاب: ٥٢] اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: {لا يحل لك النساء من بعد} [الأحزاب: ٥٢] فقال بعضهم: معنى ذلك: لا يحل لك النساء من بعد نسائك اللاتي خيرتهن، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة." (٣)

"ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن [١٤٧]- أبيه، عن ابن عباس، قوله: {§لا يحل لك النساء من بعد} [الأحزاب: ٥٢] . . الآية إلى {**رقيبا**} [النساء: ١] قال: «نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بعد نسائه الأول شيئا»." (٤)

"§وقوله: {وكان الله على كل شيء **رقيبا**} [الأحزاب: ٥٢] يقول: وكان الله على كل شيء ما أحل لك، وحرم عليك، وغير ذلك من الأشياء كلها، حفيظا لا يعزب عنه علم شيء من ذلك، ولا يؤوده حفظ ذلك كله." (٥)

"حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال. ثنا سعيد، عن قتادة {§وكان الله على كل شيء **رقيبا**} [الأحزاب: ٥٢] «أي حفيظا» في قول الحسن وقتادة "." (٦)

"§القول في تأويل قوله تعالى: {إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما} [الأحزاب: ٥٤] يقول تعالى ذكره: إن تظهروا بألسنتكم شيئا أيها الناس من **مراقبة** النساء، أو غير ذلك مما نهاكم عنه

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٢٥/١٤

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٤٧/١٦

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٤٦/١٩

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٤٦/١٩

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٥٧/١٩

(٦) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٥٧/١٩

أو أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقول: لأتزوجن زوجته بعد وفاته، {أو تخفوه} [البقرة: ٢٨٤] يقول: أو تخفوا ذلك في أنفسكم، فإن الله كان بكل شيء عليما، يقول: فإن الله بكل ذلك وبغيره من أموركم وأمور غيركم، عليم لا يخفى عليه شيء، وهو يجازيكم على جميع ذلك." (١)

"§القول في تأويل قوله تعالى: {إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل} [الزمر: ٤١] يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنا أنزلنا عليك يا محمد الكتاب تبيانا للناس بالحق {فمن اهتدى فلنفسه} [الزمر: ٤١] يقول: فمن عمل بما في الكتاب الذي أنزلناه إليه واتبعه فلنفسه، يقول: فإنما عمل بذلك لنفسه، وإياها بغى الخير لا غيرها، لأنه أكسبها رضا الله والفوز بالجنة، والنجاة من النار {ومن ضل} [يونس: ١٠٨] يقول: ومن جار عن الكتاب الذي أنزلناه إليك، والبيان الذي بيناه لك، فضل عن قصد المحجة، وزال عن سواء السبيل، فإنما يجور على نفسه، وإليها يسوق العطب والهلاك، لأنه يكسبها سخط الله، وأليم عقابه، والخزي الدائم {وما أنت عليهم بوكيل} [الأنعام: ١٠٧] يقول تعالى ذكره: وما أنت يا محمد على من أرسلتك إليه من الناس **برقيب** ترقب أعمالهم، وتحفظ عليهم أفعالهم، إنما أنت رسول، وإنما عليك البلاغ، وعلينا الحساب." (٢)

"يقول تعالى ذكره: فإن أعرض هؤلاء المشركون يا محمد عما أتيتهم به من الحق، ودعوتهم إليه من الرشد، فلم يستجيبوا لك، وأبوا قبوله منك، فدعهم، فإنا لن نرسلك إليهم **رقيبا** عليهم، تحفظ عليهم أعمالهم وتحصيها {إن عليك إلا البلاغ} [الشورى: ٤٨] يقول: ما عليك يا محمد إلا أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم من الرسالة، فإذا بلغتهم ذلك، فقد قضيت ما عليك {وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها} [الشورى: ٤٨] يقول تعالى ذكره: فإنا إذا أغنينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة، وذلك هو الرحمة التي ذكرها جل ثناؤه، فرح بها: يقول: سر بما أعطيناه من الغنى، ورزقناه من السعة وكثرة المال {وإن تصبهم سيئة} [النساء: ٧٨] يقول: وإن أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش {بما قدمت أيديهم} [البقرة: ٩٥] يقول: بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته إياه، جحد نعمة الله، وأيس من الخير {فإن الإنسان كفور} [الشورى: ٤٨] يقول تعالى ذكره: فإن الإنسان جحود نعم ربه، يعدد المصائب، ويجحد النعم وإنما

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٧١/١٩

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢١٤/٢٠

قال: {وإن تصبهم سيئة} [النساء: ٧٨] فأخرج الهاء والميم مخرج كناية جمع الذكور، وقد ذكر الإنسان قبل ذلك بمعنى الواحد، لأنه بمعنى الجمع." (١)

"§القول في تأويل قوله تعالى: {إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٨] يقول تعالى ذكره: ونحن أقرب إلى الإنسان من وريد حلقه، حين يتلقى الملكان، وهما المتلقيان {عن اليمين وعن الشمال قعيد} [ق: ١٧] وقيل: عنى بالقعيد: الرصد." (٢)

"§وقوله: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٨] يقول تعالى ذكره: ما يلفظ الإنسان من قول فيتكلم به، إلا عندما يلفظ به من قول رقيب عتيد، يعني حافظ يحفظه، عتيد معد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل." (٣)

"حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: {§ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٨] قال: «جعل معه من يكتب كل ما لفظ به، وهو معه رقيب»." (٤)

"وعن إسحاق بن نجيح الملطي عن عطاء الخرساني عن وهب بن منبه قال: قال داود عليه السلام: إلهي كيف لي أن أشكرك وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك؟ فأوحى الله تعالى إليه: ألست تعلم أن الذي بك من النعم مني؟ قال: بلى يا رب، قال: أرضى بذلك لك شكرا.

وقال وهب: وكذلك قال موسى: يا رب أنعمت علي بالنعم السوابغ وأمرتني بالشكر لك عليها، وإنما شكري لكل نعمة منك علي، فقال الله: يا موسى تعلمت العلم الذي لا يفوته علم، حسبي من عبدي أن يعلم أن ما به من نعمة فهو مني ومن عندي.

قال الجنيد: حقيقة الشكر: العجز عن الشكر.

وروى ذلك عن داود عليه السلام إنه قال: سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا، كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة.

وقال بعضهم: الشكر أن لا يرى النعمة البتة بل يرى المنعم.

أبو عثمان الخيري: صدق الشكر: لا تمدح بلسانك غير المنعم.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣٦/٢٠

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٢٢/٢١

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٢٤/٢١

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٢٦/٢١

أبو عبد الرحمن السلمي عن أبي بكر الرازي عن الشبلي: الشكر: التواضع تحت رؤية المنة.

وقيل: الشكر خمسة أشياء: مجانبة السيئات، والمحافظة على الحسنات، ومخالفة الشهوات، وبذل الطاعات، ومراقبة رب السموات.

قال الثعلبي: سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سئل أبو الحسن علي بن عبد الرحيم القناد في الجامع بحضرة أبي بكر بن عدوس وأنا حاضر: من أشكر الشاكرين؟ قال: الطاهر من الذنوب، يعد نفسه من المذنبين، والمجتهد في النوافل بعداد الفرائض، يعد نفسه من المقصرين، والراضي بالقليل من الدنيا، يعد نفسه من المفلسين، فهذا أشكر الشاكرين.

بكر بن عبد الرحمن عن ذي النور: الشكر لمن فوقك بالطاعة، ولنظيرك بالمكافأة، ولمن دونك بالإحسان والإفضال.

وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان قال مجاهد والفراء: هما شيء واحد، والعرب تكرر الشيء إذا اختلفت ألفاظه على التوهم، وأنشد الفراء:

وقدمت الأديم لراهشيه ... وألفى قولها كذبا ومينا «١»

---

(1) تاج العروس: ٩/ ٣٥٥. [.....]." (١)

"احتسابا بإيمان من أنفسهم، عطاء ومجاهد: مثبتون أي لا يضيعون أموالهم، وكذلك قرأ مجاهد: وتثبيتا لأنفسهم.

قال الحسن: كان الرجل إذا هم بصدقة تثبت إن كان لله أعطى وإن خالطه شيء أمسك، وعلى هذا القول يكون التثبيت بمعنى التثبت كقوله عز وجل: وتبتل إليه تبتيلا «١» أي تبتلا.

سعيد بن جبير وأبو مالك: تخفيفا في ذنبهم. ابن كيسان: إخلاصا وتوطينا لأنفسهم على طاعة الله عز وجل في نفقاتهم، الزجاج: ينفقونها مقرين بأن الله عز وجل رقيب عليهم.

وأصل هذه الكلمة من قول السائل: ثبت فلان في هذا الأمر إذا حققه وثبت عليه وعزمه وقوي عليه بذاته.

فثبت الله ما آتاك من حسن ... تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا «٢»

كمثل جنة أي بستان. قال الفراء: إذا كان في البستان نخل فهو جنة، وإذا كان كرم فهو فردوس.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١/١٩٦

وقول مجاهد: كمثل حبة بالحاء والباء بربوة قرأ السليمي والعطاردي والحسن وعاصم وابن عامر: بربوة بفتح الراء هاهنا وفي سورة المؤمنين وهي لغة بني تميم.
وقال أبو جعفر وشيبة ونافع وابن كثير والأعمش وحمزة والكسائي وخلف وأبو عمرو ويعقوب وأيوب بضم الراء فيهما. واختاره أبو حاتم وأبو عبيد لأنها أكمل اللغات وأشهرها، وقول ابن عباس وأبو إسحاق السبيعي وابن أبي إسحاق: بربوة، وقرأ أشهب العقيلي: برباوة بالألف وكسر الراء فيها. وهي جميعا المكان المرتفع المستوي الذي تجري فيه الأنهار ولا يخلو من الماء. وإنما سميت ربوة لأنها ربت [وطابت] وعلت، من قولهم ربا الشيء يربو إذا انتفخ وعظم، وإنما جعلها بربوة لأن النبات عليها أحسن وأزكى.
أصابها وابل مطر شديد كثير فآتت أكلها ضعفين قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو:
أكلها بالتخفيف والباقون بالتشديد وهو الثمر.
قال المفضل: الأكل: كثرة ما في الشيء مما يجود ويقوى به، يقال: ثوب كثير الأكل، أي كثير الغزل.
ومعناه: وأعطت ثمرها ضعفين والضعف في الحمل.
قال عطاء: حملت في سنة من الريع ما تحمل غيرها في سنتين. قال عكرمة: حملت في السنة مرتين.
فإن لم يصبها وابل فطل أي فطش وهو أضعف المطر وألينه.

---

(١) سورة المزمل: ٨.
(٢) البداية والنهاية: ٤/ ٢٧٦.." (١)
"سورة النساء
مدنية، وهي ستة عشر ألف وثلاثين حرفا، وثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وأربعين كلمة ومائة، وست وسبعين آية
عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ورث ميراثا، وأعطى من الأجر كمن اشترى محررا وبرىء من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم» «١» [٢٢٥] .
بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢/٢٦٤

[سورة النساء (٤) : الآيات ١ الى ٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١) وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (٢) وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا (٣) وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا (٤)

ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا (٥) وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا (٦)

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم وخلق منها زوجها يعني حواء، ونظيرها في سورة الأعراف والزمر وبث نشر وأظهر منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسائلون به تسألون به، وخففه أهل الكوفة على حذف إحدى التائين تخفيفا كقوله: ولا تعاونوا «٢» ونحوها، والأرحام.

قراءة العامة: نصب أي واتقوا الأرحام إن تقطعوها.

---

(١) مجمع البيان: ٣/ ٥.

(٢) سورة المائدة: ٢.." (١)

"وقرأ النخعي ويحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف وقتادة والأعمش وحمزة: بالخفض على معنى وبالأرحام، كما يقال: سألتك بالله والرحمن، ونشدتك بالله والرحمن، والقراءة الأولى أصح وأفصح، لأن العرب لا يكلأ بنسق بظاهر على المعنى، إلا أن يعيدوا الخافض فيقولون:

مررت به وبزيد، أو ينصبون.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣/٢٤١

كقول الشاعر:

يا قوم مالي وأبي ذويب»

إلا أنه جائز مع قوله، وقد ورد في الشعر.

قال الشاعر:

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا ... اذهب فمالك والأيام من عجب «٢»

وأنشد الفراء لبعض الأنصار:

نعلق في مثل السواري سيوفنا ... وما بينها والكعب غوط نفانف «٣»

وقرأ عبد الله بن يزيد المقبري: (والأرحام) رفعا على الابتداء، كأنه نوى تمام الكلام عند قوله تسائلون به ثم ابتدأ كما يقال: زيد ينبغي أن يكرم، ويحتمل أن يكون إغراء، لأن العرب من يرفع المغري.

وأنشد الفراء:

أين قوما منهم عمير ... وأشباه عمير ومنهم السفاح

لجديرون باللقاء إذا قال ... أخو النجدة السلاح السلاح «٤»

إن الله كان عليكم رقيبا أي حافظا، قيل: بمعنى فاعل وآتوا اليتامى أموالهم الآية.

قال مقاتل والكلبي: نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم طلب المال، فمنعه عمه فترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية، فلما سمعها العم قال: أطعنا الله وأطعنا الرسول، نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع إليه ماله.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره» يعني جنته، فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثبت الأجر وبقي الوزر» [٢٢٦] .

---

(١) تفسير الطبري: ٢٢/ ١٣٦.

(٢) شرح الرضي على الكافية: ٢/ ٣٣٦، تفسير القرطبي: ١٠/ ١٤.

(٣) تفسير الطبري: ٤/ ٣٠٠، والقرطبي: ٥/ ٣. وفيه (مهوى) بدل (غوط) .

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ٢٠٨، تفسير القرطبي: ٥/ ٦. [.....]." (١)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٤٢/٣

"حديث النصارى لعيسى، فأنزل الله تعالى من يطع الرسول فيما أمر به فقد أطاع الله ومن تولى عنه فما أرسلناك عليهم حفيظا أي حافظا **ورقيبا**.

وقال القتيبي: محاسبا، فنسخ الله تعالى هذه الآية الشريفة، وأمره بقتال من خالف الله ورسوله ويقولون طاعة يعني المنافقين وذلك إنهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم، إنا آمنا بك فمرنا من أمرك طاعة، وهم يكفرون به في السر، وقوله (طاعة) مرفوعة على معنى منا طاعة وأمرك طاعة وكذلك قوله (لا تقسموا طاعة)

مرفوعة أي قولوا، سمعا وطاعة، وكذلك قوله فأولى لهم طاعة وقول معروف وليست مرتفعة إليهم بل مني مرتفعة على الوجه الذي ذكرت.

فإذا برزوا من عندك أي خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول أي زور ومره وقيل هنا.

فقال قتادة والكلبي: بيت أي غير وبدل الذي عهد إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ويكون السبب معنى التبديل.

قال الشاعر:

بيت قولي عبد المليك ... قاتله الله عبدا كفورا «١»

وقال القتيبي وأبو عبيدة: (بيت طائفة منهم) أي قالوا وقدروا ليلا غير الذي أعطوك نهارا، وكل شيء قدر بليل من شر فهو تبييت.

قال عبيدة بن الهمام:

أتوني فلم أرض ما بيتوا «٢» ... وكانوا أتوني بشيء نكر

لأنكح أيمهم منذرا ... وهل ينكح العبد حر بحر «٣»

وقال النمر بن تولب:

هبت لتعذلني بليل أسمعي ... سفها تبيتك الملامة فاهجعي

وقال أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش: يقول العرب للشيء إذا قدر قد بيت، يشبهونه تقدير بيوت [الشعر] .

والله يكتب ما يبيتون أي ما يغيرون ويزورون ويقدرون.

الضحاك عن ابن عباس: يعني ما تسرون من النفاق فأعرض عنهم يا محمد فلا تعاقبهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا أي كفيلا، وثقة، وناصرا بالانتقام لك منهم، فنسخ الله

(١) تفسير القرطبي: ٥/ ٢٨٩، وتفسير الطبري: ٥/ ٣٦٨، وفيه: قاتلك الله عبدا كنودا.

(٢) تفسير الطبري: ٥/ ٢٤٣.

(٣) تفسير القرطبي: ٥/ ٢٨٩، ولسان العرب: ٥/ ٢٣٤.." (١)

"يعني الآيات التسع

ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا قتادة:

كنا نتحدث أنه باب من أبواب بيت المقدس «١» ، وقيل: إيليا، وقيل: أريحا، وقيل: هي لهم قربة.

وقلنا لهم لا تعدوا في السبت أي لا تظلموا باصطيادكم الحيتان فيها وأخذنا منهم ميثاقا غليظا يعني العهد الذي أخذ الله عليهم في الصيد فبما نقضهم ميثاقهم أي فبنقضهم ميثاقهم كقوله فبما رحمة من الله «٢» ، وعما قليل «٣» وجند ما هنالك «٤» أي فبرحمة وعن قليل، وبجند ما هنالك.

وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم تقدير الآية، فنقضهم ميثاقهم وكفرهم وقتالهم وقولهم طبع الله على قلوبهم ولعنهم فلا يؤمنون بمعنى من ممن كذب الرسل إلا من طبع الله على قلبه وإن من طبع الله على قلبه، فلا يؤمن أبدا، ثم قال تعالى إلا قليلا يعني عبد الله بن سلام، وقيل معناه: فلا يؤمنون إلا قليلا ولا كثيرا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما حين رموها بالزنا وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله الآية.

الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: إن عيسى (عليه السلام) استقبل رهطا من اليهود وقالوا: الفاجر بن الفاجرة والفاعل بن الفاعلة، فقذفوه وأمه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم، وقال: اللهم أنت ربي وأنا عبدك من روح نفخت ولم أتهم من تلقاء نفسي «اللهم فالعن من سبني وسب أمي» «٥» [٣٩٣] فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وسبوا أمه خنازير، فلما رأى رأس اليهود ما جرى بأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته آنفا فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه وجعلوا يسألونه فقال لهم: كفرتم وان الله يبغضكم، فغضبوا من مقالته غضبا شديدا وثاروا إليه ليقتلوه فبعث الله تعالى جبرئيل، وأدخله خوخة فيها روزنة في سقفها فصعد به إلى السماء من تلك الروزنة فأمر يهودا رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له ططيانوس أن يدخل الخوخة ويقتله فلما دخل ططيانوس الخوخة لم ير عيسى بداخلها فظنوا إنه يقاتله فيها

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣٤٩/٣

وألقى الله تعالى عليه شبه عيسى، فلما خرج ظن إنه عيسى فقتلوه وصلبوه.
مقاتل: إن اليهود وكلوا بعيسى رقيب عليه يدور معه حيثما دار فصعد عيسى الجبل، فجاء

---

(١) تفسير الطبري: ٦/ ١٤.
(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.
(٣) سورة ص: ١١. [.....]
(٤) سورة المؤمنون: ٤٠.
(٥) تفسير مجمع البيان: ٣/ ٢٣٢ بتفاوت.." (١)

"الملك فأخذ ضبعيه ورفعه إلى السماء فألقى الله تعالى على الرقيب شبه عيسى، فلما رأوه ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه، وكان يقول: أنا لست بعيسى، أنا فلان بن فلان، فلم يصدقوه فقتلوه.
وقال السدي: إنهم حبسوا عيسى مرتين في بيت فدخل عليهم رجل منهم وألقى الله تعالى عليه شبه عيسى ورفع عيسى إلى السماء من كوة في البيت فدخلوا عليه وقتلوه بعيسى.
قتادة: ذكر لنا إن نبي الله عيسى بن مريم قال لأصحابه: أيكم يقذف عليه شبهي فإنه مقتول فقال رجل من القوم: أنا يا نبي الله فشبه الرجل ومنع الله تعالى عيسى ورفعه إليه فلما رفعه الله إليه كساه الريش وألبسه النور وحط عنه لذة المطعم والمشرب وصار مع الملائكة يدور حول العرش وكان إنسيا ملكيا سمائيا أرضيا.
وهب بن منبه: أوحى الله تعالى إلى عيسى على رأس ثلاثين سنة ثم رفعه الله إليه وهو [أربع] وثلاثين سنة وكانت نبوته [ثلاثة سنين] .
قوله تعالى وقولهم يعني اليهود إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله فكذبهم الله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه.
الكلبي: اختلافهم فيه فاليهود قالت: نحن قتلناه وصلبناه. وقالت طائفة من النصارى: بل نحن قتلناه، وقالت طائفة منهم: ما قتلوه هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله إليه [ونحن ننظر إليه] وقال الذين لما قتل ططيانوس: ألم تروا إنه قتل وصلب فهذا اختلافهم وشكهم.
قال محمد بن مروان: ويقال أن الله وضع في شبه من عيسى على وجه ططيانوس ولم يلق عليه شبه جسده

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣/٤٠٩

وخلقه، فلما قتلوه نظروا إليه، فقالوا: إن الوجه وجه عيسى وإنما هو ططيانوس، وقد قيل إن الذي شبه لعيسى وصلب مكانه رجل إسرائيلي وكان يقال له إيشوع بن مدين.

قال السدي: اختلافهم فيه أنهم قالوا إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى، قال الله تعالى ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا أي ما قتلوا عيسى يقينا بل رفعه الله إليه.

قال الفراء والقتيبي: والهاء في قوله إليه إلى العلم يعني: وما قتلوا العلم يقينا كما يقال قتلته علما وقتلته يقينا للرأي والحديث.

وقال المقنع الكندي:

كذلك نخبر عنها الغانيات ... [....] «١» فلكم يقينا

ويؤيد هذا التأويل ما روى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: وما

---

(١) كلام غير مقروء.." (١)

"قال السدي: فلما أراد قتل هابيل راغ الغلام في رؤوس الجبال. ثم أتاه يوما من الأيام [وهو يرعى غنما له وهو نائم] فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات.

وقال ابن جريح: لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل، فتمثل له إبليس وأخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم شدخ رأسه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه القتل، فوضع قابيل رأس أخيه بين حجرين. وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة فاختلفوا في مصرعه وموضع قتله.

قال ابن عباس: على جبل نود، وقال بعضهم: عند عقبة حرا.

حكى محمد بن جرير،

وقال جعفر الصادق: بالبصرة في موضع المسجد الأعظم.

فلما قتله بالعراء لم يدر ما يصنع به، لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم فقصده السباع، فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أروح وعلقت به الطير والسباع تنظر متى يرمي به فتأكله. فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله عليه حتى مكن له ثم ألقاه في الحفيرة وواراه. وقابيل ينظر إليه فلما رأى ذلك قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي أي جيفته

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣/٤١٠

وفيه دليل على أن الميت كله عورة فأصبح من النادمين على حمله لا على قتله، وقيل: على موت أخيه لا على ركوب الذنب.

يدل عليه ما أخبر الأوزاعي عن المطلب بن عبد الله المخزومي قال: لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الأرض دمه كما يشرب الماء، فناداه الله: أين أخوك هابيل؟ قال: ما أدري، ما كنت عليه رقيبا، فقال الله عز وجل: إن صوت دم أخيك ليناديني من الأرض فلم قتلت أخاك؟ فأين دمه إن كنت قتلته؟ ومنع الله عز وجل على الأرض يومئذ أن تشرب دما بعدها أبدا.

مقاتل بن الضحاك عن ابن عباس قال: لما قتل قابيل هابيل وآدم بمكة اشتال الشجر وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه: وأمر الماء واغبرت الأرض.

فقال آدم (عليه السلام) : قد حدث في الأرض حدث فأتى الهند فإذا بقابيل قد قتل هابيل فأنشأ يقول، وهو أول من قال الشعر:

تغيرت البلاد ومن عليها ... ووجه «١» الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذي لون وطعم ... وقل بشاشة الوجه الصبيح «٢»

وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: من قال إن آدم قال شعرا فقد كذب على الله

---

(١) في الطبري: فلون

. (٢) جامع البيان: ٦/ ٢٥٨، وفي تاريخ الطبري: ١/ ٩٨ المليح

..(١) "

"وإلا فكذبوا، المبرد: أصله مؤيمن فقلبت الهمزة هاء كما قيل: أرقت الماء وهرقت، ولما ينثر عن الرأس عند الدلك أبرية وهبرية ونهاة وهيهات. وأتاك وهياك فهو مبني آمن أمين كما بيطر ومبيطر من بيطار. قال النابغة:

شك المبيطر إذ شفا من العضد «١»

وقال الضحاك: ماضيا، عكرمة: دالا عليه، ابن زيد مصدقا، الخليل: رقيبا وحافظا، يقال: هيمن فلان على كذا إذا شاهده وحفظه.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٥١/٤

قلت: سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت المنصور بن محمد بن أحمد بن منصور البستي يقول: سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد اللغوي يقول: تقول العرب: الطائر إذا جعل يطير حول وكره وخاف على فرخه صيانة له، هيمن الطائر مهيمن. وكذلك يقول للطائر إذا أرخى جناحيه فألبسهما بيضه وفرخه مهيمن. وكذلك جعل اختباؤه ومنه قيل: الله تعالى المهيمن كان معناه **الرقيب** الرحيم. قال: ورأيت في بعض الكتب إنها بلغة العجمانية فعربت، وقرأ عكرمة: هيمن ومهيمن. بقولهم الملوك فاحكم يا محمد بينهم بين أهل الكتاب، إذا ترافعوا إليك بما أنزل الله بالقرآن ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، أي سبيلا وسنة وجمع الشرعة الشرع وكل ما شرعه فيه فهو شرعة وشريعة، ومنه شريعة الماء ومشرعته، ومنه شرائع الإسلام شروع أهلها فيها، ويقال: من شرع شرعا إذا دخلوا في أمر وساروا به. والمنهاج والمنهج والنهج الطريق البين الواضح.

قال الراجز:

من يك في شك فهلا ولج ... في طريق المهج «٢»

قال المفسرون: عنى بذلك جميع أهل الملل المختلفة جعل الله لكل أهل ملة شريعة ومنهاجا، فلأهل التوراة شريعة، ولأهل الإنجيل شريعة، ولأهل القرآن شريعة، يحل فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء، والدين واحد والشرائع مختلفة ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة كلكم ملة واحدة ولكن ليبلوكم ليخبركم وهو أعلم وقد مضى معنى الابتلاء في ما آتاكم من الكتب وبين لكم من [السنن] فبين المطيع من العاصي والمواظب من المخالف فاستبقوا الخيرات فبادروا بالطيبات والأعمال الصالحات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك.

---

(١) لسان العرب: ٣/ ٢٩٥

. (٢) جامع البيان: ٦/ ٣٦٥. وفيه:

من يك في شك فهذا أفلج ... ماء رواء وطريق نهج

.." (١)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٧٤/٤

"الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط وقوم نوح أو من تحت أرجلكم يعني الخسف كما فعل بقارون.

وقال مجاهد: عذابا من فوقكم السلاطين، الذين من تحت أرجلكم العبيد السوء.

الضحاك: عذابا من فوقكم من قبل كبارکم أو من تحت أرجلكم من أسفل منكم أو يلبسكم شيعا أو يخلقكم ويفرق ويبث فيكم الأهواء والمختلفة ويذيق بعضكم بأس بعض يعني السيوف المختلفة بقتل بعضكم بعضا كما فعل ببني إسرائيل،

فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا جبرئيل ما بقاء أمتي على ذلك؟ فقال له جبرائيل: إنما أنا عبد مثلك؟

فسل ربك؟ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضأ وصلى وسأل ربه فأعطى آيتين ومنع واحدة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سألته أن يبعد على أمتي عذابا من فوقهم ومن تحت أرجلهم فأعطاني ذلك، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني، وأخبرني جبرئيل (علىه السلام) أن فناء أمتي بالسيف» «١» [١٤١] .

وقال الزهري: راقب خباب بن الإرث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة يصلي فلما فرغ، قال:

وقت الصباح لقد رأيتك تصلي صلاة ما رأيتك صليت مثلها، قال: أجل إنها صلاة رغبة ورهبة سألت ربي فيها ثلاثا وأعطاني إثنتين، وزوى عني واحدة، سألته أن لا يسلط على أمتي عدوا من غيرهم فأعطاني، وسألته أن لا يرسل عليهم سنة فتهلكهم فأعطاني، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فزواها عني» .

انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب قرأ إبراهيم بن عبلة وكذبت بالتاء به أي بالقرآن وقيل: بالعذاب قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل أي حفيظ **ورقيب** وقيل: مسلط إنما أنا رسول لكل نبإ مستقر موضع قوله وحقيقة ومنتهى ينتهي إليه فيتبين صدقه من كذبه وحقه من باطله.

قال مقاتل: لكل خبر يخبره الله تعالى وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير.

قال الكلبي: لكل قول أو فعل حقيقة ما كان منه في الدنيا فستعرفونه. وما كان منه في الآخرة فسوف يبدو لهم وسوف تعلمون ذلك.

وقال الحسن: لكل عمل جزاء فمن عمل عملا من الخير جوزي به الجنة، ومن عمل عمل سوء جوزي به النار، وسوف تعلمون يا أهل مكة.

وقال السدي: لكل نبإ مستقر أي ميعاد وحد تكتموه، فسيأتيكم حتى تعرفوه.

(١) بتفاوت في تفسير الطبري: ٧/ ٢٩٢ [.....]
.." (١)

"وقيل: اللطيف: الذي يكون عطاؤه خير ومنعه ذخيرة. وأصل اللطيف دقة النظر في جميع الأشياء
قد جاءكم بصائر من ربكم يعني الحجج البينة التي يبصرون بها الهدى من الضلال والحق من الباطل.
قال الكلبي: يعني بينات القرآن.
فمن أبصر يعني عرفها وآمن بها فلنفسه عمل وحظه أصاب وإياها بغى الخير «١» ومن عمي فعليها عنها فلم يعرفها ولم يصدقها.
وقرأ طلحة بن مصرف: ومن عمي بضم العين وتشديد الميم على المفعول التي تدل عليها، يقول: فنفسه ضر وإليها أساء لا إلى غيره وما أنا عليكم بحفيظ رقيب أحصي إليكم أعمالكم وإنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أفعالكم وكذلك نصرف الآيات نبينها في كل وجه لندعوكم بها وليقولوا وليلا يقولوا إذا قرأت عليهم القرآن درست أي تلوت وقرأت يا محمد بغير ألف قرأه جماعة منهم أبي رجاء وأبي وائل والأعرج ومعظم أهل العراق وأهل الحجاز، وكان عبد الله بن الزبير يقول: إن صبيانا يقرءونها دارست بالألف وإنما هي درست.
وقرأ علي ومجاهد وابن كثير وأبو عمرو: دارست بالألف يعني قارأت أهل الكتاب وتعلمت منهم تقرأ عليهم يقرءوا عليك.
وقال ابن عباس: يعني جادلت وخاصمت، وكذلك كان يقرأها، وقرأ قتادة: درست بمعنى قرئت وتليت.
وقرأ الحسن وابن عامر ويعقوب: درست بفتح الدال والراء وجزم التاء بمعنى تقادمت وانمحت وقرأ ابن مسعود وأبي طلحة والأعمش: درس بفتحها يعنون النبي درس الآيات ولنبينه يعني القول والتحريف والقرآن لقوم يعلمون اتبع يا محمد ما أوحي إليك من ربك يعني القرآن اعمل به لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين فلا تجادلهم ولا تعاقبهم ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا. ويقال ربا.
قال عطاء: وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم مني وما أنت عليهم بوكيل والإعراض منسوخ بآية السيف.
وهذه الآية نزلت حين قال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إلى دين آبائك.

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٤/١٥٦

(١) تفسير الطبري: ٧/ ٣٩٧
.." (١)

"[بكسر الألف على الاستئناف. وقرأ أبو جعفر: أنه، بالفتح على معنى: لأنه وبأنه «١» ، كقول الشاعر:

أحقا عباد الله أن لست زائرا «٢» ... بثينة أو يلقى الثريا رقيبها «٣»

ليجزي ليثيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط بالعدل ثم قال: مبتدئا والذين كفروا لهم شراب ماء حار قد انتهى حره حميم وهو بمعنى محموم فعيل بمعنى مفعول، وكل مسخن مغلي عند العرب فهو حميم.

قال المرقش:

وكل يوم لها مقطرة ... فيها كباء معد وحميم «٤»

وعذاب أليم بما كانوا يكفرون.

[سورة يونس (١٠) : الآيات ٥ الى ١٤]

هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون (٥) إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون (٦) إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون (٧) أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون (٨) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم (٩)

دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (١٠) ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون (١١) وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون (١٢) ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين (١٣) ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٤/ ١٧٧

لننظر كيف تعملون (١٤)

هو الذي جعل الشمس ضياء بالنهار والقمر نورا بالليل. قال الكلبي: تضيء وجوههما لأهل السموات السبع وظهورهما لأهل الأرضين السبع.

[قرأ الأكثرون: ضياء بهمزة واحدة] وروي عن ابن كثير: ضئاء بهمزت الياء، ولا وجه لها

---

(١) في زاد المسير (٤/ ٧) زيادة: وقرأت عائشة وأبو رزين وعكرمة وأبو العالية والأعمش بفتحها قال الزجاج: من كسر فعلى الاستئناف ومن فتح فالمعنى إليه مرجعكم.

(٢) في اللسان: لاقيا.

(٣) لسان العرب: ١/ ٤٢٥.

(٤) الكباء: ضرب من العود يتبخر به، والبيت في لسان العرب: ٥/ ١٠٧.." (١)

"[سورة هود (١١) : الآيات ٨٤ الى ١٠٩]

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط (٨٤) ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٨٥) بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ (٨٦) قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشؤا إنك لأنت الحليم الرشيد (٨٧) قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب (٨٨) ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد (٨٩) واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود (٩٠) قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز (٩١) قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط (٩٢) ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣)

ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١١٩/٥

جاثمين (٩٤) كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود (٩٥) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين (٩٦) إلى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد (٩٧) يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود (٩٨)

وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود (٩٩) ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد (١٠٠) وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب (١٠١) وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد (١٠٢) إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (١٠٣)

وما نؤخره إلا لأجل معدود (١٠٤) يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد (١٠٥) فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق (١٠٦) خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد (١٠٧) وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ (١٠٨)

فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص (١٠٩)

وإلى مدين يعني وأرسلنا إلى قوم مدين بن إبراهيم، أخاهم شعيبا بن شرون بن أيوب بن مدين بن إبراهيم. قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان وكانوا يطففون." (١)

"إني أراكم بخير قال ابن عباس (رضي الله عنه) : موسرين في نعمة، الحسن: الغنى ورخص السعر، قتادة: المال وزينة الدنيا، الضحاك: رغد العيش وكثرة المال، مجاهد: خصب وسعة، وغيرهم في غلاء السعر وزوال النعمة وحلول النقمة إن لم يتوبوا وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط محيط بكم فلا يفلت منكم أحد.

ويا قوم أوفوا المكيال والميزان اكتالوا بالقسط ولا تبخسوا ولا تنقصوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين قال ابن عباس: ما أبقى الله لكم من الحلال، وإيفاء الكيل والوزن خير من البخس والتطفيف «١» ، قال مجاهد:

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٨٥/٥

الطاعة، سفيان «٢» : رزق الله، قتادة: حظكم من ربكم، ابن زيد: الهلاك في العذاب والبقية: الرحمة، الفراء: مراقبة الله وما أنا عليكم بحفيظ وإنما قال هذا لأن شعيبا لم يؤمر بالقتال.

قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا من الأوثان، قال ابن عباس:

كان شعيب كثير الصلاة لذلك قالوا هذا، قال الأعمش: يعني قراءتك أو أن نفعل في أموالنا ما نشؤا يعني أو أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء، وقرأ بعضهم: تفعل وتشاء بالتاء يعني:

تأمرك أن تفعل في أموالنا ما تشاء فيكون راجعا إلى الأمر لا إلى الترك.

قال أهل التفسير: كان هذا نهيا لهم عنه وعذبوا لأجله قطع الدنانير والدراهم. فلذلك قالوا: وأن نفعل ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد قال ابن عباس: السفيه الغاوي. قال القاضي: والعرب تصف الشيء بضده، للتطير والفأل كما قيل للديغ: سليم، وللفأرة: مفازة.

وقيل: هو على الاستهزاء، كقولهم للحبشي: أبو البيضاء، وللأبيض: أبو الجون، ومنه قول خزنة النار لأبي جهل: ذق إنك أنت العزيز الكريم. وقيل: معناه الحليم الرشيد بزعمك وعندكن ومثله في صفة أبي جهل، وقال ابن كيسان: هو على الصحة أي أنك يا شعيب لنا حليم رشيد، فليس يجمل بك شق عصا قومك ولا مخالفة دينهم، كقول قوم صالح له: يا صالح قد كنت فينا مرجوا.

قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة حجة وبصيرة وبيان وبرهان من ربي ورزقني منه رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف، وقيل: علما ومعرفة وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ما أريد أن أنهاكم عن أمر وأرتكبه إن أريد ما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب أي أرجع فيما ينزل بي من النوائب، وقيل: إليه أرجع في الآخرة.

---

(١) وهو نقص المكيال والميزان.

(٢) زاد المسير: ٤/ ١١٦.." (١)

"ويا قوم لا يجرمنكم لا يحملنكم شقاقي خلافي وفراقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح من العذاب وما قوم لوط منكم ببعيد وذلك أنهم كانوا حديثي عهد بهلاك قوم لوط، وقيل: ما دار قوم لوط منكم ببعيد ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود محب المؤمنين،

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٨٦/٥

وقيل: مودود للمؤمنين ومحبوبهم.

قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا وذلك أنه كان ضريرا، قال سفيان: كان ضعيف البصر، وكان يقال له خطيب الأنبياء ولولا رهطك عشيرتك وكان في عزة ومنعة من قومه لرجمناك لقتلناك وما أنت علينا بعزيز قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا قيل: الهاء راجعة إلى الله وقيل: إلى أمر الله وما جاء به شعيب، أي نبذتموه وراء ظهوركم وتركتموه، يقال: جعلت أمري بظهر إذا قصر في أمره وأخل بحقه.

إن ربي بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم أي تؤدتكم ومكانكم، يقال:

فلان يعمل على مكانته ومكنته إذا عمل على تؤده تمكن. ويقال: مكن يمكن مكنا مكانا ومكانة، إني عامل سوف تعلمون أينا الجاني على نفسه، والأخطى في فعله، وذلك قوله من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب قيل:

(من) في محل النصب أي فسوف تعلمون من هو كاذب، وقيل: ويخزي من هو كاذب، وقيل: محله رفع تقديره: ومن هو كاذب فيعلم كذبه ويذوق وبال أمره ف ارتقبوا وانتظروا العذاب إني معكم رقيب منتظر.

ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة صيحة من السماء أخذتهم وأهلكتهم، ويقال: إن جبريل صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم من أجسادهم.

فأصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين ساقطين هلكى صرعى كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا هلاكا وغضبا لمدين كما بعدت هلكت ثمود ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين حجة بينة إلى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وخالفوا أمر موسى وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه أي يتقدمهم ويقودهم إلى النار يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود وبئس المدخل المدخول فيه.

وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود العون المعان، وذلك أنه ترادفت عليهم اللعنات، لعنة في الدنيا، ولعنة في الآخرة.

ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد خراب، ابن عباس: قائم ينظرون إليه، وحصيد قد خرب وهلك أهله، مقاتل: قائم يعني له أثر، وحصيد لا أثر له، مجاهد:." (١)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٨٧/٥

"أرى كل قوم قاربوا قيد فحلهم ... ونحن خلعنا قيده فهو سارب «١»

أي ذاهب.

قال ابن عباس: في هذه الآية هو صاحب ريبة مستخف بالليل، فإذا خرج بالنهار رأى الناس أنه بريء من الإثم.

وقال بعضهم: مستخف بالليل أي ظاهر، من قولهم: خفيت الشيء إذا أظهرته، وسارب بالنهار أي متوار داخل في سرب.

[سورة الرعد (١٣) : الآيات ١١ الى ١٤]

له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال (١١) هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال (١٢) ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال (١٣) له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال (١٤)

له أي لله تعالى معقبات ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فإذا صعدت ملائكة الليل أعقبتها ملائكة النهار، وإذا صعدت ملائكة النهار أعقبتها ملائكة الليل، والتعقيب العود بعد المبدأ، قال الله ولم يعقب وإنما ذكرها هنا بلفظ جمع التأنيث لأن واحدهما معقب وجمعه معقبة، ثم جمع المعقبة معقبات فهي جمع الجمع. كما قيل أما قال قد حالات بكم وقوله:

من بين يديه يعني من قدام هذا المستخفي بالليل والسارب بالنهار ومن خلفه من وراء ظهره.

قال ابن عباس: ملائكة يحفظونه من أمر الله ... من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء القدر خلوا عنه.

حماد بن سلمة عن عبد الله بن جعفر عن كنانه العمري قالوا: دخل عثمان بن عفان (رضي الله عنه) على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أسألك عن العبد كم معه من ملك؟ قال: «ملك على يمينك يكتب حسناتك، وهو أمين على الذي على الشمال فإذا عملت حسنة كتبت عشرا، وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين: أأكتب؟ قال: لا، لعله يستغفر الله أو يتوب فإذا قال ثلاثا قال: نعم اكتب أراحنا الله منه فبئس القرين هو ما أقل مراقبته لله عز وجل وأقل استحياء منا يقول الله ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد «٢» وملكان من بين يديك

(١) زاد المسير: ٤/ ٢٢٩، وفي لسان العرب: ١/ ٤٦٢ وفيه (كل أناس) بدل (أرى كل قوم) .
(٢) سورة ق: ١٨.." (١)

"[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٣٩ الى ٥٥]

الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (٣٩) ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣)

تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨)

يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا (٤٩) يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (٥٠) ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما (٥١) لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢) يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٥/٢٧٤

(٥٣)
إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما (٥٤) لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا (٥٥)

قوله تعالى: الذين يبلغون رسالات الله محل الذين خفض على النعت على الذين خلوا ...

ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل الله لهم وفرض عليهم وكفى بالله حسيبا حافظا لأعمال خلقه ومحاسبتهم عليها، ثم نزلت في قول الناس إن محمدا تزوج امرأة ابنه ما كان محمد أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، يعني زيدا، وإنما كان أبا القاسم والطيب والمطهر وإبراهيم.

ولكن رسول الله وخاتم النبيين أي آخرهم ختم الله به النبوة فلا نبي بعده، ولو كان لمحمد ابن لكان نبيا.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان عن مكي بن عبدان، عن عبد الرحمن عن سفيان، عن." (١)

"هذه الحميراء إلى جنبك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذه عائشة أم المؤمنين» . قال عيينة: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق، قال رسول الله صلى الله عليه: «إن الله عز وجل قد حرم ذلك» ، فلما خرج، قالت عائشة: من هذا يا رسول الله؟ قال: «هذا أحمق مطاع وإنه على ما ترين لسيد قومه» [١٦] .

قال ابن عباس في قوله: ولو أعجبك حسنهن يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب، وفيه دليل على جواز النظر إلى من يريد أن يتزوج بها، وقد جاءت الأخبار بإجازة ذلك.

وأخبرنا عبد الله بن حامد، عن محمد بن جعفر المطيري، عن عبد الرحمن بن محمد بن منصور، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان عن عاصم الأحول، عن بكير بن عبد الله المزني أن المغيرة بن شعبة أراد أن يتزوج بامرأة، فقال النبي (عليه السلام) : «فانظر إليها فإنه أجدر أن يودم بينكما» [١٧] «١» .

وأخبرنا عبد الله بن حامد، عن محمد بن جعفر، عن علي بن حرب قال: أخبرني أبو معاوية، عن الحجاج بن أرطأة، عن سهل بن محمد بن أبي خيثمة، عن عمه سليمان بن أبي خيثمة قال: رأيت محمد بن سلمة يطارد نبيتة بنت الضحاك على إجار من أياجير المدينة قلت:

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٥٠/٨

أتفعل هذا؟ قال: نعم، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: «إذا ألقى الله في قلب امرئ خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها» [١٨] .

وأخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد عن بشر بن موسى، عن الحميدي عن سفيان، عن يزيد ابن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار، فقال له النبي صلى الله عليه: «أنظر إليها فإن في أعين نساء الأنصار شيئا» [١٩] «٢» .

قال الحميدي:

يعني الصغر. وكان الله على كل شيء رقيبا حفيظا.

قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ... قال أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب.

قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بآية الحجاب، ولقد سألني عنها أبي بن كعب لما بنى رسول الله صلى الله عليه بزينب بنت جحش أولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة، وبعثت إليه أمي أم سليم بحيس في تور من حجارة، فأمرني النبي صلى الله عليه وسلم أن أدعو أصحابه إلى الطعام، فدعوتهم فجعل القوم يجيئون ويأكلون ويخرجون، ثم يجيء القوم فيأكلون ويخرجون.

---

(١) سنن الدارمي: ٢/ ١٣٤.

(٢) سنن النسائي: ٦/ ٧٧، مسند أحمد: ٢/ ١٢٨٦.." (١)

"قرأ أبو جعفر ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي وخلف: عباده بالجمع.

وقرأ الباقون: عبده يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم.

ويخوفونك بالذين من دونه وذلك

أنهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم معرة الأوثان وقالوا: إنك تعيب آلهتنا وتذكرها بسوء، فو الله لتكف عن ذكرها أو لنخلينك أو يصيبك بسوء

ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر شدة وبلاء هل

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٨/٥٧

هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة نعمة ورخاء هل هن ممسكات رحمته.
قرأ شيبة وأبو عمرو ويعقوب: بالتنوين فيهما، واختاره أبو عبيدة وأبو حاتم.
وقرأ الباقون: بالإضافة.
قال مقاتل: فسألهم النبي (عليه السلام) فسكتوا فأنزل الله سبحانه قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون إذا جاءكم بأس الله تعالى من المحق منا ومن المبطل.

[سورة الزمر (٣٩) : الآيات ٤٠ الى ٥٢]
من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم (٤٠) إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل (٤١) الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٤٢) أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون (٤٣) قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون (٤٤)
وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون (٤٥) قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون (٤٦) ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (٤٧) وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (٤٨) فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون (٤٩)
قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٥٠) فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين (٥١) أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٥٢)
من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه

ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل بحفيظ ورقيب، وقيل:
موكل عليهم في حملهم على الإيمان.." (١)

"وقصد مكة ليهدم البيت، فقيل له: إن لهذا البيت ربا يحميه، فندم وأحرم، ودخل مكة، وطاف بالبيت، وكساه، فهو أول من كسا البيت أفعيينا بالخلق الأول أي عجزنا عنه، وتعذر علينا [الأول فهم في شك الإعادة للخلق] الثاني. بل هم في لبس من خلق جديد وهو البعث.

[سورة ق (٥٠) : الآيات ١٦ الى ٢٦]
ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦) إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨) وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩) ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد (٢٠)
وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٢) وقال قرينه هذا ما لدي عتيد (٢٣) ألقيا في جهنم كل كفار عنيد (٢٤) مناع للخير معتد مريب (٢٥)
الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد (٢٦)
ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه يحدثه قلبه، فلا يخفى علينا أسراره، وضمائره ونحن أقرب إليه أي أعلم به، وأقدر عليه من حبل الوريد لأن أبعاضه، وأجزاءه يحجب بعضها بعضا، ولا يحجب علم الله سبحانه عن جميع ذلك شيء، وحبل الوريد: عرق العنق، وهو عرق بين الحلقوم، والعلباوين، وجمعه أوردة، والحبل من الوريد وأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين، قال الشاعر:
فقرت للفجار فجاء سعيا ... إذا ما جاش وانتفخ الوريد
إذ يتلقى المتلقيان أي يتلقى، ويأخذ الملكان الموكلان عليك، وكل الله سبحانه بالإنسان مع علمه بأحواله، ملكين بالليل، وملكين بالنهار يحفظان عمله، ويكتبان أثره، إلزاما للحجة، أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات، والآخر عن شماله يكتب السيئات، فذلك قوله سبحانه: عن اليمين وعن الشمال قعيد ولم يقل: قعيدان. قال أهل البصرة: لأنه أراد عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، فاكتفى بأحدهما عن الآخر، كقول

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٣٧/٨

الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك ... راض والرأي مختلف

وقول الفرزدق:

إني ضمنت لمن أتاني ما جنى ... وأبى فكان وكنت غير غدور «١»

ولم يقل: غدورين، والقعيد، والقاعد كالسميع، والعليم، والقدير، فقال أهل الكوفة:

أراد قعودا رده إلى الجنس، فوضع الواحد موضع الجمع، كالرسول في الاثنين يجعل للاثنين، والجمع، قال الله سبحانه في الاثنين: نا رسول رب العالمين

وقال الشاعر:

ألكني إليها وخير الرسول ... أعلمهم بنواحي الخبر «٢»

---

(١) تفسير الطبري: ٢٦/ ٢٠٤.

(٢) الصحاح: ٤/ ١٦٠٧. [.....]." (١)

"وكل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله، فإذا مات، قال الملكان اللذان وكلا به يكتبان عمله: قد مات فلان، فيأذن لنا، فنصعد إلى السماء، فيقول الله سبحانه: سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحون، فيقولان: نقيم في الأرض. فيقول الله سبحانه: أرضي مملوءة من خلقي يسبحون.

فيقولان: فأين؟ فيقول: قوما على قبر عبدي. فكبراني، وهللاني، واكتبا ذلك لعبدي ليوم القيامة» [٩٠] «١» .

ما يلفظ يتكلم. من قول إلا لديه عنده **رقيب** حافظ عتيد حاضر، وهو بمعنى المعتد من قوله: أعتدنا والعرب تعاقب بين (التاء) و (الذال) لقرب مخرجهما، فيقول:

اعتددت، وأعذدت، وهرذ، وهرت، وكبذ، وكبت، ونحوهما، قال الشاعر:

لئن كنت مني في العيان مغيبا ... فذكرك عندي في الفؤاد عتيد «٢»

وجاءت سكرة الموت بالحق أي وجاءت سكرة الحق بالموت لأن السكرة هي الحق، فأضيفت إلى نفسه لاختلاف الاسمين وقيل: الحق هو الله عز وجل، مجازه وجاء سكرة أمر الله بالموت. أنبأني عقيل، قال:

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٩٨/٩

أخبرنا المعافى، قال: أخبرنا جوير. قال: حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن واصل، عن أبي وائل قال: لما كان أبو بكر يقضي، قالت عائشة:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر «٣»

فقال أبو بكر: يا بنية لا هو لي، ولكنه كما قال الله سبحانه: وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد أي تكره، عن ابن عباس، وقال الحسن: تهرب. الضحاك:

تروغ. عطاء الخراساني: تميل. مقاتل بن حيان: تنكص.

وأصل الحيد الميل، يقال: حدت عن الشيء أحيد حيدا، ومحيدا إذا ملت عنه. قال طرفة:

أبا منذر رمت الوفاء فهبته ... وحدت كما حاد البعير عن الدحض «٤»

ونفخ في الصور يعني نفخة البعث. ذلك يوم الوعيد الذي وعده الله سبحانه للكفار يلعنهم فيه. وجاءت ذلك اليوم كل نفس معها سائق يسوقها إلى المحشر وشهيد شهد عليه بما عملت في الدنيا من خير أو شر. وروي أن عثمان بن عفان خطب، وقرأ هذه الآية،

---

(١) تفسير القرطبي: ١٧/ ١٢ الدر المنثور: ٦/ ١٠٥.

(٢) تفسير القرطبي: ١٧/ ١١.

(٣) لسان العرب: ٢/ ٢٣٧.

(٤) تاج العروس: ٥/ ٢٨ والدحض: الدفع.." (١)

"اختراع الأعيان القدوس الظاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به. قال قتادة: المبارك، وقال ابن كيسان: الممجد وهو بالسريانية قديشا.

السلام المؤمن قال بعضهم: المصدق لرسله بإظهار معجزاته عليهم، ومصدق للمؤمنين ما وعدهم من الثواب وقابل إيمانهم، ومصدق للكافرين ما أوعدهم من العقاب.

قال ابن عباس ومقاتل: هو الذي آمن الناس من ظلمه وآمن من آمن به من عذابه من الإيمان الذي هو هذا التخويف كما قال: وآمنهم من خوف «١» .

وقال النابغة:

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٩/١٠٠

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ... ركبان مكة بين الغيل والسند «٢»
وقال ابن زيد: هو الذي يصدق المؤمنين إذا وحدوه، وقال الحسين بن الفضل: هو الداعي الى الإيمان والآمر به والموجب لأهله اسمه. القرظي: هو المجير كما قال: وهو يجير ولا يجار عليه «٣» . المهيمن قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: الشهيد. ضحاك: الأمين. ابن زيد: المصدق. ابن كيسان: هو اسم من أسماء الله في الكتب، الله أعلم بتأويله. عطا:
المأمون على خلقه. الخليل: هو **الرقيب**. يمان: هو المطلع. سعيد بن المسيب: القاضي.
المبرد: [المهيمن في معنى مؤيمن إلا أن الهاء بدل من الهمزة] «٤» .
قال أبو عبيدة: هي خمسة أحرف في كلام العرب على هذا الوزن: المهيمن والمسيطر والمبيطر والمنيقر- وهو الذاهب في الأرض-، والمخيمر اسم جبل.
العزيز الجبار قال ابن عباس: هو العظيم، وجبروت الله عظمته، وهو على هذا القول صفة ذات، وقيل: هو من الجبر وهو الإصلاح، يقال: جبرت العظم إذا أصلحته بعد كسر، وجبرت الأمر، والجبر وجبرته فجبر تكون لازما ومتعديا قال العجاج:
قد جبر الدين الإله فجبر «٥»
ونظيره في كلام العرب: دلع لسانه فدلع، وفغر فاه ففغر، وعمر الدار فعمرت، وقال السدي: هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد.

---

(١) سورة قريش: ٤.
(٢) تفسير القرطبي: ١٨/ ٤٦- العائذات: ما عاذ بالبيت من الطير، والغيل: الشجر الكثير الملتف، والسند:
ما قابلك من الجبل وعلا.
(٣) سورة المؤمنون: ٨٨. [.....]
(٤) عن زاد المسير: ٢/ ٢٨٤.
(٥) لسان العرب: ٤/ ١١٥.." (١)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٨٧/٩

"أحوال الناس، ولذلك قال: {ومنافع للناس} ".

والقداح التي كانوا يقامرون بها عشرة: منها سبعة ذوات خطوط، على كل واحد علامة يعرف بها، وهي: الفذ، والتوأم، والرقيب، والحلس، والنافس، والمسبل، والمعلى. ومنها ثلاثة لا خطوط فيها، يقال لها: " الأغفال/ والغفل من الدواب الذي لا سمة له؛ وهي: السفيح والمنيح، والوغد وليس لها سهام.

والسبعة الأول للفذ منها نصيب، وللتوأم نصيبان، وللرقيب ثلاثة، وللحلس أربعة، وللنافس خمسة، وللمبسل ستة، وللمعلى سبعة، وعلى كل واحد من العلامة على قدر ما له من الأنصباء.

وقوله: {ومنافع للناس}.

هي أثمانها وما كانوا يصيبون من الجزور.

{وإثمهمآ أكبر من نفعهما}.

أي الإثم فيهما بعد التحريم أكبر من النفع قبل التحريم. قال سعيد بن." (١)

"ثم قال: {ومن ضل فإنما يضل عليها}، أي: ومن جار على ما أنزل إليك فإنما يجور على نفسه، لأنه أكسبها بكفره وجوره عن الحق العطب والخزي الدائم، والخلود في نار جهنم.

ثم قال: {ومآ أنت عليهم بوكيل}، أي: ما أنت يا محمد على من أرسلناك إليهم برقيب ترقب أعمالهم وتحفظ أفعالهم، إنما أنت رسول وما عليك غير البلاغ المبين وحسابهم علينا، قال قتادة، والسدي: بوكيل: بحفيظ.

ثم قال تعالى: {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها} (أي يقبض الأرواح عند فناء آجالها وانقضاء مدة حياتها ويقبض أيضا التي لم تمت في منامها) كما يتوفى التي ماتت عند مماتها فيرسل نفس النائم ويمسك نفس الميت، فإذا جاء وقت أجل النائم قبض نفسه ولم يردها إليه.

قال ابن جبير: يقبض الله D أرواح الأحياء النائمين وأرواح الموتى فتلتقي أرواح الأحياء وأرواح الموتى، ثم يرسل الله الأحياء النائمين، ويمسك أرواح الموتى.." (٢)

"أعرض هؤلاء المشركون عما جئتهم به يا محمد من الحق فلم يؤمنوا به فدعهم، فإذا لم ترسلك إليهم رقيبا عليهم تحفظهم أعمالهم، ما عليك إلا البلاغ لما أرسلت به إليهم، فإذا بلغت قضيت ما يجب عليك.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧١٧/١

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٣٤٥/١٠

ثم قال تعالى: {وإنآ إذآ أذقنا الإنسان منا رحمة}، أي: أغنيناه ووسعنا عليه فرح بها.

{وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور}، أي: وإن يصب الإنسان فقر، أو ضيق عيش، أو علة بما قدمت يداه من المعاصي – عقوبة له من الله D على فعله وعصيانه – جحد نعم الله سبحانه المتقدمة عنده ويئس من الخير.

والتقدير، فإن الإنسان كفور، أي: جحود لنعم ربه، يعد المصائب ويجحد النعم.

والإنسان هنا: واحد للجنس، يدل على الجمع، ولذلك قال: {وإن تصبهم}، فجمع.

ثم قال تعالى: {لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشآء}، أي: لله سطان السموات والأرض يفعل في سلطانه ما يشاء ويخلق من يشاء، فيهب لمن يشاء – من عباده - الذكور من الأولاد، ويهب لمن يشاء منهم الإناث، ويهب لمن يشاء ذكورا وإناثا." (١)

"أكتب ما ترك صاحب اليمين.

وقال أبو صالح: في قول الله جل ذكره: {يمحوا الله ما يشآء ويثبت} [الرعد: ٤٠] أن الملائكة تكتب كل ما تكلم به الإنسان فيمحو الله D منه ما ليس له وما ليس عليه ويثبت ما له وما عليه، وهذا القول موافق لقول الحسن وقتادة أن الملكين يكتبان كل ما يقول الإنسان ويعمل من جميع الأشياء.

وقوله: {رقيب عتيد} معناه حافظ حاضر يكتب عليه ويحفظه.

وقيل: عتيد معناه معد، وفعيل يأتي بمعنى فاعل نحو قدير بمعنى قادر وهو كثير، ويأتي بمعنى مفعول نحو سميع بمعنى مسمع.." (٢)

"وقوله: {المؤمن} أي: الذي أمن عباده من جوره.

وقيل: معناه: اليذ يصدق عباده المؤمنين إذا شهدوا على الناس.

وقوله: {المهيمن} قال ابن عباس: هو الأمين، وعنه: الشهيد.

وقال أبو عبيدة: الرقيب الحفيظ.

وقال المبرد: أصله المؤيمن ثم أبدل من الهمزة هاء.

وقله: {العزيز الجبار} أي: ذو العزة والمنع، الذي يجبر خلقه على ما يشاء من " أجبر "، وهذا قول مردود،

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٦١٥/١٠

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٠٤١/١١

لأن " فعالا " لا يكون من " أفعل " ولكنه من " جبر الله خلقه: إذا نعشهم ".
وقيل: هو من جبرت العظم: فجبر.." (١)

"{إن الله كان عليكم رقيبا} أي: حفيظا محيصا لأعمالكم ومجازيكم عليها.

قال يعقوب: الوقف {تسآءلون به} على قراءة النصب و " الأرحام " على قراءة الخفض.

قوله: {وآتوا اليتامى أموالهم} الآية.

هذه الآية عنى بها أوصياء اليتامى أن يعطوهم ما لهم إذا بلغوا الحلم وأنس منهم الرشد، ولا يقال يتيم إلا لمن (لم) يبلغ الحلم. قال النبي A: " لا يتم بعد البلوغ "، وسموا يتامى في الآية وإن كان قد بلغوا الحلم على الاسم الأول.

{ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب} أي الحرام عليكم من أموالهم بالحلال من أموالكم.

قال الزهري: تعطي لهم مهزولا وتأخذ سمينا أي: لا تأخذ الجيد من أموالهم وتعطي مكانه الرديء تقول شيئا بشيء ودرهما بدرهم وشاة بشاة والذي تأخذ خير من الذي تعطي والاسم واحد.." (٢)

"قوله: {ما دمت فيهم}: (ما) في موضع نصب، {و} المعنى: مدة دوامي، فهو ظرف عمل فيه {شهيدا} أي: {وكنت عليهم شهيدا}، {ما دمت} أي: مدة دوامي. {فلما توفيتني} أي: قبضتني إليك، {كنت أنت الرقيب عليهم} أي: الحفيظ عليهم.

قوله: {إن تعذبهم فإنهم عبادك} الآية.

المعنى: إن تعذبهم بقولهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم بتوبتهم عما قالوا فتستر عليهم، {فإنك أنت العزيز} في انتقامك، {الحكيم} في أفعالك.

وقال السدي: المعنى: إن تعذبهم فتميتهم على نصرانيتهم فيحق عليهم العذاب." (٣)

"قوله: {وكذب به قومك وهو الحق} الآية.

المعنى: وكذب يا محمد بما تقول وتخبر - من الوعد والوعيد - قومك، وهو الحق.

فالهاء ترجع إلى القرآن. وقيل: إلى " التصريف "، أي: وكذب بتصريف الآيات قومك. وقيل: ترجع على محمد، أي: وكذب بمحمد قومه، وهو الحق.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٤١٠/١١

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ١٢١٥/٢

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ١٩٤٩/٣

ثم قال: {قل} (يا محمد لهم) {لست عليكم بوكيل} أي: بحفيظ ولا رقيب، إنما أنا رسول. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: نسخ هذا آية السيف. ولا يحسن نسخ هذا عند أهل النظر والمعاني، لأنه خبر.." (١)

"هو الذي فعل أفعالا لطيفة، و {الخبير}: العالم بالشيء. فهو لطيف لإحكامه الخلق، وهو العظيم، لأنه خلق الخلق العظيم.

قوله: {قد جآءكم بصآئر من ربكم} الآية.

المعنى: أن الله أمر نبيه أن يقول للمشركين ذلك. والبصائر: الهدى. وقيل: الآيات الدالة على الهدى.

{فمن أبصر} أي: استدل وعرف نفع نفسه، {ومن عمي}: أي: من ضل فعلى نفسه، {ومآ أنا عليكم بحفيظ} أي: لست عليكم برقيب أحصي أعمالكم، إنما أنا مبلغ.." (٢)

"{ولا تبخسوا الناس أشيآءهم} أي: حقوقهم. {ولا تعثوا في الأرض}، أي: لا تسيروا في الأرض مفسدين.

وقال الضحاك: {ولا تعثوا} أي: لا تسعوا بنقص الكيل، والوزن. {بقيت الله خير لكم}: أي: ما أبقاه الله لكم من الحلال بعد أن توفوا الناس حقوقهم، خير لكم من الذي يبقى لكم يبخسكم الناس حقوقهم.

{إن كنتم مؤمنين}: أي: " مصدقين بوعد الله D، ووعيده " وقال مجاهد: {بقيت الله خير لكم}، أي: طاعة الله خير لكم.

وقيل: المعنى: حظكم من ربكم خير لكم قاله قتادة.

وعن ابن عباس: رزق الله خير لكم. وقيل: المعنى: مراقبة الله خير لكم.." (٣)

"وقيل: المعنى: حظكم من ربكم خير لكم قاله قتادة.

{ومآ أنا عليكم بحفيظ}: أي: برقيب. أراقبكم عند كيلكم، ووزنكم، إنما علي أن أبلغكم رسالة ربي.

قوله: {قالوا ياشعيب أصلاتك} - إلى قوله - {ودود}.

والمعنى: قالوا: يا شعيب: أصلواتك أي: أدعواتك {تأمرك أن نترك ما يعبد ءاباؤنآ أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء} من بخس الناس في الكيل والوزن.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢٠٥٧/٣

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢١٣٧/٣

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٤٥١/٥

قال ابن زيد: نهاهم عن قطع الدنانير، والدراهم، كانوا ينقصون منها، ويجوزونها بالوازنة. وقيل: معناه: مساجدك التي تتعبد فيها تأمرك بنهينا. وقد سمى الله، D، المساجد صلوات، فقال: {وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا} [الحج: ٤٠].

وقيل: هي صلاته لله D، لأنها كانت على خلاف ما كانوا عليه.

قوله: {إنك لأنت الحليم الرشيد} قالوا على معنى الاستهزاء. وقيل:." (١)

"المعنى: على مكانتكم من العمل، {إني عامل}. {سوف تعلمون}: أينا الجاني على نفسه، وأينا المصيب وأينا المخطئ. {من يأتيه}: " من ": في موضع نصب " بتعملون "، مثل: {يعلم المفسد من (المصلح)} [البقرة: ٢٢٠]. وقيل: هي في موضع رفع على أنها استفهام. " ومن " الثانية عند الطبري في موضع نصب عطف على الهاء، في " يجزيه " على معنى: ويخزي من هو كاذب منا، ومنكم.

{وارتقبوا إني معكم رقيب}: أي: انتظروا إني منتظر.

{تعلمون}: وقف إن جعلت " من " استفهاما ". وقيل: لا يكون وقفا، لأن الجملة إذا رفعت في موضع نصب " بتعملون " فالوقف عليه قبيح.

ثم قال تعالى: {ولما جآء أمرنا نجينا شعيبا}: أي: جاء قومه العذاب / نجيناه." (٢)

"{ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٨]، وملكان من بين يديك، ومن خلفك. يقول الله تعالى: {له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله} وملك قابض على ناصيتك، فإذا تواضعت لله رفعك، وإذا تجبرت على الله قصمك، وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على النبي (محمد) A. وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحية فيك، وملكان على عينيك: فهؤلاء عشرة أملاك، على كل آدمي ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار، لأن ملائكة الليل ينيبون ملائكة النهار. فهؤلاء عشرون ملك [ا] على كا آدمي، وإبليس بالنهار، وولده بالليل.

وروي أنهم يجتمعون عند صلاة العصر، وصلاة الصبح.." (٣)

"قال: {لكل أجل كتاب}: أي: أجل بني آدم في كتاب الله، (D) يمحو الله ما يشاء، من جاء أجله، ويثبت الذي هو حي حتى يجيء أجله.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٤٥٢/٥

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٤٥٧/٥

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٦٩٠/٥

وعن ابن عباس من رواية أبي صالح، عنه أنه قال: إن أعمال العباد تعرض على الله مما كتبت الحفظة، مما ليس للإنسان، ولا عليه. فيمحو ما ليس له، وما ليس عليه. ويثبت ماله، وما عليه، فيجازى بذلك.
فالحفظة تكتب كل شيء، والله يمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء، دليله قوله تعالى: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٨]: أي: حاضر.
وعن مجاهد Bه: أنها نزلت في قريش، قالت: لما نزلت على رسول الله A، { وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله} قالت: ما نراك يا محمد تملك من شيء، ولقد فرغ من الأمر، فنزلت هذه الآية تخويفا لهم ووعيدا.." (١)

"للإنسان، ولا عليه، ويثبت ما له، وما عليه. قاله أبو صالح، وقال (ه) أبو سليمان الداراني: قال: يمحو الله ما ليس بحسنة، ولا سيئة، ويثبت ما هو حسنة، وما هو سيئة.
{وعنده أم الكتاب} أي: ذلك (كله) في اللوح المحفوظ، قد جرى به القلم قبل خلق الخلق.
وعن ابن عباس أيضا: / أنه قال في قوله
{ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٨]، قال: يكتب كل ما يتكلم به العبد من خير، أو شر حتى إنه ليكتب: أكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت. حتى إذا كان يوم الخميس عرضة قوله جملة. فأقر ما كان فيه من خير وشر، وألقى ما عدا ذلك وذلك قوله: {يمحوا الله ما يشآء ويثبت وعنده أم الكتاب}.
واختار جماعة من أهل العلم قول الحسن ومجاهد: يجعلونه جوابا للمشركين.
وقوله: {وعنده أم الكتاب}. قال الحسن: أم الكتاب: الحلال والحرام.." (٢)

"للإنسان عدوا مبينا، يؤيد الكافر الهالك ويودي المؤمن. ولا سلطان له عليه.
قال تعالى: {ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم}.
هذا خطاب للمشركين الذين أنكروا البعث، والمعنى: " ربكم " أيها المشركون " أعلم بكم إن يشأ يرحمكم فيوفقكم للتوبة والإقرار بالبعث {أو إن يشأ يعذبكم} فيخذلكم فتموتون على كفركم فتعذبون في الآخرة.
ثم قال [تعالى] لنبيه [عليه السلام]: {ومآ أرسلناك عليهم وكيلا}.
أي: رقيبا تجبرهم على الإيمان، إنما عليك أن تبلغهم ما أرسلت به لا غير.

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٧٥٥/٥
(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٧٥٧/٥

قال {وربك أعلم بمن في السماوات والأرض}.

أي: ربك يا محمد أعلم بمصالح من في السماوات والأرض وتدبيرهم / وأهل التوبة منهم من أهل المعصية.

ثم قال: {ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض}.." (١)

"ثم قال تعالى: {ومن الشياطين من يغوصون له}.

أي: وسخرنا له من الشياطين قوما يغوصون له في البحر، " ويعملون عملا دون ذلك " يعني البنيان والتماثيل والمحاريب وغير ذلك من الأعمال.

قال الفراء: دون ذلك: أي: سوى ذلك.

فإن قيل: كيف تهيأ للجن هذه الأعمال من البنيان العظيم واستخراج الدر من قعور البحار وغير ذلك، وأجسامهم رقيبة ضعيفة لا تقدر على حمل الأجسام العظام ولا تقدر على ضر الناس إلا بالوسوسة لضعفهم ورقة أجسامهم. فالجواب أن الذين سخروا لهذه الأعمال أعطاهم الله قوة على ذلك، وذلك من إحدى المعجزات لسليمان. فلما مات سليمان، سلبهم الله تعالى تلك القوة، وردهم على خلقتهم الأولى، فلا يقدرون الآن على حمل الأجسام الكثيفة ونقلها. ولو أظهروا ذلك، وقدروا عليه، لدخلت على الناس شبهة من جهتهم وتوهينا لمعجزات الرسل. وكذلك سخر الطير له بأن زاد في فهمها عنه وقبولها لأمره، وخوفها عقابه، وذلك من معجزات سليمان. فلما مات، زال ذلك عنها، ورجعت إلى ما خلقت عليه.

ثم قال تعالى: {وكنا لهم حافظين}.

أي: لأعمالهم وأعدادهم وطاعتهم له، حافظين.

وقيل: المعنى: وكنا لهم حافظين، أن يفسدوا ما عملوا.." (٢)

"على النساء، والاعتداد للرجال أن العدة التي على النساء حق للأزواج ليستبرءوا أرحامهن لئلا يلحق أولادهم بغيرهم، أو يلحق بهم غير أولادهم.

قوله تعالى: {يا أيها النبي إنآ أحللنا لك أزواجك} إلى قوله: {على كل شيء رقيبا}.

أي: أحل لك يا محمد أزواجك اللاتي أعطيتهن صدقاتهن، وأحل لك ما ملكت يمينك من السبي، وأحل لك بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك من هاجر منهن معك دون من لم يهاجر.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٢٢٥/٦

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٧٩٢/٧

هذا معنى قول الضحاك.

قال ابن زيد: كل امرأة أتاها مهرها فقد أحلها الله له.

وروى أبو صالح عن أم هانئ أنها قالت: " خطبني رسول الله A فاعتذرت إليه فعذرني، ثم أنزل الله تعالى: {إنآ أحللنا لك أزواجك} إلى قوله: {هاجرن معك}، ولم أكن هاجرت وإنما كنت من الطلقاء، فكنت لا أحل له "..". (١)

"{يا أيها الناس} يا أهل مكة {اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة} آدم {وخلق منها زوجها} حواء خلقت من ضلع من أضلاعه {وبث} أي: فرق ونشر {منهما} {واتقوا الله} أي: خافوه وأطيعوه {الذي تساءلون به} أي: تتساءلون فيما بينكم حوائجكم وحقوقكم به وتقولون: أسألك بالله وأنشدك الله وقوله: {والأرحام} أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها {إن الله كان عليكم رقيبا} أي: حافظا يرقب عليكم أعمالكم فاتقوه فيما أمركم به ونهاكم عنه." (٢)

"{وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه} أي: شاهدا وأمينا وحفيظا ورقيبا على الكتب التي قبله فما أخبر أهل الكتاب بأمر فإن كان في القرآن فصقوا وإلأ فكذبوا {فاحكم بينهم} بين اليهود {بما أنزل الله} بالقرآن والرجم {ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق} يقول: لا تتبعهم عما عندك من الحق فتتركه وتتبعهم {لكل جعلنا منكم} من أمة موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين {شرعة ومنهاجا} سبيلا وسنة فللتوراة شريعة وللإنجيل شريعة وللقرآن شريعة {ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة} على أمر واحد ملة الإسلام {ولكن ليبلوكم} ليختبركم {في ما آتاكم} أعطاكم من الكتاب والسنن {فاستبقوا الخيرات} سارعوا إلى الأعمال الصالحة (الزاكية) {إلى الله مرجعكم جميعا} أنتم وأهل الكتاب {فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون} من الدين والفرائض والسنن يعني: إن الأمر سيؤول إلى ما يزول معه الشكوك بما يحصل من اليقين." (٣)

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٨٥٢/٩

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٢٥١

(٣) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٣٢٢

"{وكنت عليهم شهيدا} أي: كنت أشهد على ما يفعلون ما كنت مقيما فيهم {فلما توفيتني} يعني: رفعتني إلى السماء {كنت أنت **الرقيب}** الحفيظ {عليهم وأنت على كل شيء شهيد} أي: شهدت مقالتي فيهم وبعد ما رفعتني شهدت ما يقولون من بعدي." (١)

"{قد جاءكم بصائر من ربكم} يعني: بينات القرآن {فمن أبصر} اهتدى {فلنفسه} عمل {ومن عمي فعليها} فعلى نفسه جنى العذاب {وما أنا عليكم بحفيظ} **برقيب** على أعمالكم حتى أجازيكم بها." (٢)

"{ويا قوم اعملوا} الآية يقول: اعملوا على ما أنتم عليه {إني عامل} على ما أنا عليه من طاعة الله وسترون منزلتكم من منزلتي وهو قوله: {سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه} يفضحه ويذله {ومن هو كاذب} منا {وارتقبوا إني معكم **رقيب}** ارتقبوا العذاب من الله سبحانه إني مرتقب من الله سبحانه الرحمة وقوله:." (٣)

"{ما يلفظ} يتكلم {من قول إلا لديه **رقيب}** حافظ {عتيد} حاضر." (٤)

"مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وسلم تسليما.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون} [آل عمران: ١٠٢]. {يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم **رقيبا}** [النساء: ١]. {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (٧٠) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما} [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

---

(١) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٣٤٣

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٣٦٩

(٣) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٥٣٢

(٤) الوجيز للواحدي الواحدي ص/١٠٢٣

أما بعد:

فإن أجل ما صرفت فيه الأعمار، وقضيت فيه الأيام، الاشتغال بكتاب الله جل وعلا، قراءة ,تعلما وتعليما وتفسيرا، فهو الحجة البالغة والصراط المستقيم، وه و"كتابه الدال عليه لمن أراد معرفته، وطريقه الموصلة لسالكها إليه، ونوره المبين الذي أشرقت له الظلمات، ورحمته المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات، والسبب الواصل بينه وبين عباده إذا انقطعت الأسباب، وبابه الأعظم الذي منه الدخول، فلا يغلق إذا أغلقت الأبواب، وهو الصراط المستقيم الذي لا تميل به الآراء، والذكر الحكيم الذي لا تزيغ به الأهواء، والنزل الكريم الذي لا يشبع منه العلماء، ولا تفنى عجائبه، ولا تقلع سحائبه، ولا تنقضي آياته، ولا تختلف دلالاته، كلما ازدادت البصائر." (١)

"لم يعرف تفسير كل حرف على حدته، وما وضع له ذلك اللفظ.

وكذلك قوله:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي ... بسهميك في أعشار قلب مقتل (١)

معنى هذا البيت أنه يقول لامرأة: ما بكيت إلى لتأخذي بمجامع قلبي، فمن (٢) عرف هذا فقد عرف معنى البيت، لكنه إنما عرفه من قول من عبر عن مراد الشاعر بهذا لا من قول الشاعر. ودون أن تعرف وضع ألفاظه، والمراد بكل حرف منه: خرط القتاد (٣).

وعلى هذا النحو جميع كلام العرب، مثل قولهم: (أبى الحقين العذرة) (٤) يضرب لمن يعتذر، وظاهر حاله يكذبه، ومعرفة هذا المعنى لا

---

(١) (ذرفت) دمعت، (الأعشار): القطع والكسور، يقول: ما بكيت إلا لتجرحي قلبا مكسرا، ولم تبكي لأنك مظلومة، واختار الأزهري في معنى البيت ما ذكره أحمد بن يحيى، وهو: أن المراد (بسهميك) سهمي قداح الميسر، ويكون المعنى: أنها ضربت بسهامها على قلبه فخرج لها السهمان المعلى **والرقيب**، إذا فـاز الرجل بهما غلب على الجزور كلها، فهي غلبته على قلبه كله.

ورد البيت في "التهذيب" (عشر) ٣/ ٢٤٤٧، و (قتل) ٣/ ٢٨٨٤، "معجم مقاييس اللغة" (عشر) ٤/ ٣٢٦، و (قتل) ٥/ ٥٧، "المخصص" ٥/ ٥٣، "مجمل اللغة" (عشر) ٣/ ٦٧٠، و (قتل) ٣/ ٧٤٣،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٩/١

"شرح القصائد المشهورات" للنحاس ص ١٦، "اللسان" (قتل) ٦/ ٣٥٣٠، "ديوان امرئ القيس" ص ١١٤.

(٢) في (ب): (لمن).

(٣) في المثل (دونه خرط القتاد): والقتاد شجر له شوك، والخرط: أن تمر يدك على القتادة من أعلاها إلى أسفلها حتى ينثر شوكها، والمثل يضرب للأمر الشاق.

انظر: "المستقصى في أمثال العرب" ٢/ ٨٢، و ٣/ ٣٤٢ (قتد).

(٤) الحقين: اللبن المحقون، العذرة: العذر. المثل في قوم اعتذروا إلى ضيف ولهم لبن، فقال: لا يسوغ اللبن معذرتكم. وقيل: المثل في رجل حقن إهالة (الودك المذاب) وزعم لضيف أنها سمن، فلما صبها جعل يعتذر فقال الضيف: أبي الحقين العذرة. =." [1]

"أهل المعاني: "الظهور: العلو بالغلبة (١)، وأصله خروج الشيء إلى حيث يصلح أن يدرك" (٢)، قال ابن عباس: "يريد: أن يقدروا عليكم" (٣).

وقوله تعالى: {لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة}، قال الليث: "رقب الإنسان يرقبه رقبة ورقوبا (٤)، وهو أن ينتظره، **ورقيب** القوم حارسهم" (٥)، وقوله: {ولم ترقب قولي} [طه: ٩٤] أي لم تحفظه، وقيل: لم تنتظر (٦)، وهذان معنيان يرجعان إلى واحد، وهو أن معنى الرقوب: العمل في الأمر على ما تقدم به العهد، فالحفظ والانتظار داخل في هذا، قال ابن عباس: "لا يحفظوا" (٧)، وقال الضحاك: "لا ينتظروا" (٧)، وقال قطرب: "لا يراعوا" (٧).

واختلفوا في معنى الإل (٨)، فقال أبو عبيدة: "الإل: العهد" (٩)، وقال الفراء: "الإل: القرابة" (١٠)، وقال إسحاق: "وقيل (١١): الإل: الحلف،

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) في "المفردات" (ظهر) ص ٣١٨: ("ظهر الشيء: أصله أن يحصل شيء على ظهر الأرض ثم صار مستعملا في كل بارز مبصر". اهـ. باختصار.

(٣) "تنوير المقباس" ص ١٨٨ بمعناه.

(٤) في "تهذيب اللغة" وكتاب العين: رقبانا.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤١٣/١

(٥) "تهذيب اللغة" (رقب) ٢/ ١٤٤٨، ونحوه في كتاب "العين" (رقب) ٥/ ١٥٤.
(٦) هذا قول ابن جريج، والأول قول ابن عباس، رواه عنهما ابن المنذر كما في "الدر المنثور" ٤/ ٥٤٨.
(٧) انظر: "تفسير الثعلبي" ٦/ ٨١ ب، والبغوي ٤/ ١٥.
(٨) في (ى): (الأول)، وهو خطأ.
(٩) "مجاز القرآن" ١/ ٢٥٣ ونص قوله: العهد والعقد واليمين.
(١٠) "تهذيب اللغة" (أل) ١/ ١٨٤، و"لسان العرب" (ألل) ١/ ١١٢.
(١١) ساقط من (ي).." [1]

"**المراقبة** للعهد والذمة للمؤمن، وقوله تعالى: {وأولئك هم المعتدون}، قال الكلبي: "أي المعتدون للحلال إلى الحرام بنقض العهد" (١).

١١ - قوله تعالى: {فإن تابوا}، قال ابن عباس: "يريد: عن الشرك" (٢).
{وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة} قال ابن مسعود: "أمرتم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة جميعا ولم يزك فلا صلاة له" (٣)، وقال ابن زيد: "افترضت الصلاة مع الزكاة جميعا ولم يفرق بينهما وأبى الله أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة" (٤)، وقال: "يرحم الله أبا بكر ما كان (٥) أفقهه" (٦).
وقال أهل العلم: "هذه الآية دليل على أن الصلاة والزكاة مقرونتان بالشهادة في كف السيف وحقن الدم ودليل على أن المؤاخاة بالإسلام بين المسلمين موقوفة على فعل الصلاة والزكاة جميعا لأن الله تعالى شرطهما في إثبات المؤاخاة ومن لم يكن من أهل وجوب الزكاة وجب عليه أن يقر بحكمها فإذا أقر بحكمها دخل في الصفة التي تجب بها الأخوة" (٧).
وقوله تعالى: {فإخوانكم}، قال الفراء: "معناه: فهم إخوانكم، يرتفع مثل هذا من الكلام بأن يضمر له اسمه مكنيا عنه كقوله (٨): {فإن لم

---

(١) رواه الفيرزأبادي في "تنوير المقباس" ص ١٨٨ عن الكلبي عن ابن عباس.
(٢) المصدر السابق، نفس الموضع.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٠٥/١٠

(٣) رواه ابن جرير ١٠/ ٨٧، والثعلبي ٦/ ٨٢ ب، والبغوي ٤/ ١٦.

(٤) رواه ابن جرير ١٠/ ٨٧، والثعلبي ٦/ ٨٢ ب.

(٥) (كان) ساقطة من (ى).

(٦) هذا الأثر تابع للأثر السابق. وانظره في المصدرين السابقين.

(٧) انظر نحو هذا القول في كتاب "الأم" ١/ ٤٢٤، و"أحكام القرآن" للهراسي ٣/ ١٧٧، و"الإكليل استنباط التنزيل" ص١١٦.

(٨) في (ى): (قوله)، وفي "معاني القرآن": ومثله.." [1]

"القصار فلا يصلح سقوط الفاء كقول القائل: (قد قلت القبيح في فستعلم عاقبته)، لا يجوز أن تسقط الفاء هاهنا؛ لأنه كلام قصير لا يتم فيه الأول ويستأنف الثاني، و (من) في محل النصب بقوله: {تعلمون}.

وقوله تعالى: {عذاب يخزيه} أي يفضحه ويذله، وذلك أن العذاب يقع على وجهين؛ عذاب (١) فاضح وعذاب غير فاضح فالفاضح، أشد.

وقوله تعالى: {ومن هو كاذب}، قال الفراء (٢): إنما أدخلت العرب (هو) في قوله {ومن هو كاذب} لأنهم لا يقولون (من قائم) ولا (من قاعد)، إنما كلامهم: (من يقوم) و (من قام) أو (من القائم)، فلما كان قوله {كاذب} غير معرفة ولا فعل أدخلوا (هو)، قال: وقد يجوز في الشعر (من قائم) وأنشد (٣):

من شارب مرتج بالكأس نادمني ... لا بالحصور ولا فيها بسوار

وقوله تعالى: {وارتقبوا إني معكم رقيب}، معنى الارتقاب: الانتظار، وهو طلب ما يأتي بتعليق النفس به، رقبه يرقبه رقوبا، وارتقب ارتقاب،، وترقبه ترقبا، قال ابن عباس (٤) يريد: ارتقبوا العذاب إني مرتقب من الله الرحمة والثواب.

---

(١) في (ي): هذا عذاب.

(٢) "معاني القرآن" ٢/ ٢٦.

(٣) القائل هو الأخطل، والحصور: البخيل الممسك، والسوار: الذي تسور الخمرة في رأسه سريعا، فهو يعربد ويثب على من يشاربه. "ديوانه" ١٦٨، "معاني الفراء" ٢/ ٢٦، "المحتسب" ٢/ ٢٤١، "اللسان"

---

[1] التفسير البسيط الواحدي ٣١١/١٠

(حصر) ٢/ ٨٩٦، (سور) ٤/ ٢١٤٧، "إصلاح المنطق" ١٤٢، "بغية الوعاة" ١/ ١٠٥، وبلا نسبة في "تذكرة النحاة" ٣٣٢، و"مجالس ثعلب" ١/ ٥٧٧.

(٤) "زاد المسير" ٤/ ١٥٤، القرطبي ٩/ ٩٢.." (١)

"وقوله تعالى: {وإنه لذو علم} قال ابن عباس (١): لذو يقين ومعرفة بالله. وقال الكلبي (٢): لذو عمل، ونحو هذا روى سعيد عن قتادة (٣): قال: إنه لعامل بما علم. قال سفيان (٤): من لا يعمل لا يكون عالما، قال ابن الأنباري (٥): والذي قاله الكلبي جائز تحتمله اللغة، من قبل أن العلم أول أسباب العمل، فسمي بما هو من سببه وبما يقع متولدا منه ومبنيا عليه. كما قيل لعيسى: كلمة الله؛ لأنه بالكلمة وجد وخلق.

وقوله تعالى: {لما علمناه} يمكن أن يكون "ما" مصدرا والهاء عائدة على يعقوب، ويكون التقدير: لأنه لذو علم من أجل تعليمنا إياه. ويكون اللام على هذا كهي في قوله {وإنه لحب الخير لشديد} [العاديات: ٨] يعني به من أجل حب المال لبخيل. وهذا معنى قول قتادة (٦). ويمكن أن تكون "ما" بمعنى "الذي" والهاء عائدة عليها، ويكون التأويل: وإنه لذو علم لأجل الذي علمناه، وللخير الذي علمناه، وللعلم الذي بيناه له. وقيل في التفسير: وإنه لذو فهم لما علمناه أي ذو حفظ (٧) ومراقبة لما علمناه. وقال أهل المعاني: مدحه الله تعالى بالعلم لقوله: {وما أغني عنكم من الله من شيء} علم أن الحذر لا ينفع من القدر وأن المقدور كائن.

---

(١) انظر: "زاد المسير" ٤/ ٢٥٤.

(٢) انظر: "زاد المسير" ٤/ ٢٥٤، القرطبي ٩/ ٢٢٩، ابن كثير ٢/ ٥٣١.

(٣) الطبري ١٣/ ١٤، الثعلبي ٧/ ٩٥ أ، "زاد المسير" ٤/ ٢٥٤، ابن عطية ٨/ ٢٤، ابن أبي حاتم ٧/ ٢١٦٩، أبو الشيخ كما في "الدر" ٤/ ٤٩.

(٤) الطبري ١٣/ ١٥، الثعلبي ٧/ ٩٥ أ، البغوي ٤/ ٢٥٩، ابن عطية ٨/ ٢٤.

(٥) "زاد المسير" ٤/ ٣٥٤ مختصرا.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١١/٥٣٩

(٦) وهو قول الزجاج في "معانيه" ٣/ ١١٩، والفراء ٢/ ٥٠.

(٧) هذا القول ذكره الفراء في "معانيه" ٢/ ٥٠.." [1]

"يريد كل ما (١) دب على الأرض (٢).

وقوله تعالى: {والملائكة} أخرجهم بالذكر تخصيصا وتفصيلا؛ كقوله: {فيهما فاكهة ونخل ورمان} (٣) [الرحمن: ٦٨]، وقوله تعالى: {له وملائكته ورسله وجبريل وميكال} (٤) [البقرة: ٩٨] وقال الزجاج: المعنى: ولله يسجد ما في السموات من الملائكة، وما في الأرض من دابة والملائكة؛ أي: وتسجد ملائكة الأرض (٥)، وفي الأرض ملائكة موكلون بالعباد (٦)، وقيل: إنما ذكرهم على التخصيص لخروجهم من صفة الدبيب بما جعل لهم من الأجنحة (٧)، والله أعلم.

وقوله تعالى: {وهم لا يستكبرون} قال ابن عباس: يريد عن عبادة الله (٨)، وهذا صفة من يسجد لله سجود عبادة، فأما من له سجود الخضوع

---

(١) في جميع النسخ: كلما، وهو تصحيف ظاهر.

(٢) انظر: "تفسير الفخر الرازي" ٢٠/ ٤٤، وأبي حيان ٥/ ٤٩٨، و"تفسير القرطبي" ١٠/ ١١٢، بلا نسبة.

(٣) يقصد ذكر الخاص بعد العام؛ فذكر الفاكهة عموما، ثم فصل في أنواعها وخص من الأنواع النخل والرمان.

(٤) وهنا كذلك، أجمل الملائكة، ثم فصلهم وخص منهم جبريل وميكال بالذكر.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٢٠٢، بنصه.

(٦) لقوله تعالى: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق:١٨]، وغيرها من الأدلة.

(٧) ورد في "تفسير الثعلبي" ٢/ ١٥٨ أ، بنحوه، و"تفسير الماوردي" ٣/ ١٩٢، بنحوه، وانظر: "تفسير البغوي" ٥/ ٢٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٤، و"تفسير القرطبي" ١٠/ ١١٣.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٧٥/١٢

(٨) انظر: "تفسير القرطبي" ١٠/ ١١٣، وابن كثير ٢/ ٦٣٠، وأبي السعود ٥/ ١١٩ ، و"الشوكاني" ٣/ ٢٣٨، و"تفسير الألوسي" ١٤/ ١٥٨، كلها بلا نسبة.." (١)

"هو الضلال] (١) البعيد مدعوا. وغير منكر حذف الهاء من الحال؛ لأنها تضارع الصفة، والصفة يجوز فيها حذف الهاء جوازا حسنا، من ذلك قولك: الناس رجلان رجل أكرمت ورجل أهنت. ومن أبيات الكتاب (٢):

أبحت (٣) حمى تهامة بعد نجد ... وما شيء حميت بمستباح (٤)

أي حميته. فعلى هذا تقول: نظرت إلى زيد تضرب (٥) هند، [أي: ضربه هند] (٦)، فحذف الهاء من الحال لمضارعتها الصفة. وتكون اللام في "لمن" لام الابتداء و"من" مرفوعة بالابتداء، وقوله "لبئس المولى" خبر "من" كأنه قال: للذي ضره أقرب من نفعه لبئس المولى. واللام التي في "لبئس" هي اللام التي يتلقى بها القسم في نحو:

لناموا فما إن من رقيب ولا صالي (٧)

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٢) في (أ) زيادة: (فقال)، بعد قوله: (الكتاب).

(٣) في (أ): (أبحب).

(٤) البيت في الكتاب ١/ ٨٧ منسوبا لجرير، وهو في "ديوانه" ١/ ٨٩. وأمالي ابن الشجري ١/ ٥، و"المقاصد النحوية" ٤/ ٧٥.

قال الشنتمري في "تحصيل عين الذهب" ١/ ٤٥: يخاطب عبد الملك بن مروان فيقول: ملكت .. وأبحت حماها بعد مخالفتها لك، وما حميت لا يصل إليه من خالفك لقوة سلطانك، وتهامة ما تسفل من بلاد العرب ونجد ما ارتفع، وكنى بهما عن جميع بلاد العرب.

(٥) في (ظ)، (د)، (ع): (نظرت)، وهو خطأ.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ)، (د)، (ع).

(٧) البيت لامرئ القيس وأوله:

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨١/١٣

حلفت لها بالله حلفة فاجر

وهو في "ديوانه" ص ٣٢، "سر صناعة الإعراب" ١/ ٣٧٤، "شرح المفصل" =." [(١)]

"وهي تدل على يمين محذوفة، فكأنه قال: للذي ضره أقرب من نفعه والله لبئس المولى. كما تقول: زيد والله لقد قام. هذا كله كلام أبي الفتح (١) في بيان القول الثاني من (٢) الأقوال التي حكاها الزجاج. قال الزجاج: وفيه وجه ثالث: يكون "يدعو" في معنى يقول. ويكون "من" في موضع رفع، وخبره محذوف. ويكون المعنى: يقول لمن ضره أقرب من نفعه هو مولاي.

ومثل يدعو (٣) في معنى يقول قول عنترة:

يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهم (٤)

قال: ويجوز أن يكون يدعو في معنى يسمى كما قال ابن أحمر (٥):

= لابن يعيش ٩/ ٢٠، "لسان العرب" ٩/ ٥٣. (حلف)، "همع الهوامع" ٢/ ١١٥، "خزانة الأدب" ١٠/ ٧١، ٧٨.

وعندهم (حديث) مكان (رقيب).

والفاجر هنا: الكاذب. والصالي: الذي يصطلي بالنار.

(١) "سر صناعة الإعراب" ١/ ٤٠٢ - ٤٠٣ مع تقديم وتأخير.

(٢) في (أ): (عين).

(٣) (يدعو): ساقطة من)أ).

(٤) البيت أنشده الزجاج لعنترة في "معاني القرآن" ٣/ ٤١٦.

وهو في ديوانه ص ٩٢١٦ من معلقته، وفي "لسان العرب" ١٣/ ٢٣٧ (شطن) قال الشنتمري في شرحه لديوان عنترة ص ٢١٦: (قوله: يدعون عنتر، أي: ينادونني يا ضتر يا عنتر، ... والأشطان: الحبال، شبه الرماح بها في طولها واستقامتها. وقوله: في لبان الأدهم: يعني فرسه، واللبان: الصدر، أي: إذا نظر القوم إلى الرماح وقد كثرت وأشرعت في لبان الأدهم نادونني.

(٥) في (ظ)، (د)، (ع): (ابن الأحمر).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٩٥/١٥

وهو عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر، الباهلي، أبو الخطابى شاعر مخضرم، أسلم وغزى مغازي الروم، وعمر تسعين سنة، ومات نحو ٦٥ هـ. =." (١)

"شيء" (١)

وقوله: {وليسألن يوم القيامة} قال أبو إسحاق: ذلك سؤال توبيخ لا سؤال إعلام (٢).

وقوله: {عما كانوا يفترون} قال ابن عباس: يقولون على الله الكذب (٣).

وقال مقاتل: يعني قولهم: نحن الكفلاء بكل تبعة تصيبكم من الله (٤).

---

(١) الحديث أخرجه مسلم ٢/ ٧٠٤، كتاب: الزكاة، رقم الحديث (١٠١٧)، وله قصة ذكرها جرير بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: كنا عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال: {يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة} إلي قوله: {إن الله كان عليكم رقيبا} [النساء: ١] والآية التي في الحشر: {اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغدٍ واتقوا الله} [الحشر: ١٨] تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال: ولو بشق تمرة، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كله تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء". وأخرجه مختصرا الترمذي ٥/ ٤٢، كتاب: العلم، رقم (٢٦٧٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه بسنده الثعلبي ٨/ ١٥٧ ب، من حديث جرير بن عبد الله -رضي الله عنه-.

(٢) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ١٦٢.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٩٦/١٥

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤٠.

(٤) "تفسير مقاتل" ٧١ ب.." [1]

"قوله تعالى: {إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا} قال مقاتل: يعني: الولائد (١).

وقال ابن عباس: ملك بعد هؤلاء مارية (٢).

قال الزجاج: موضع رفع المعنى لا يحل لك إلا ما ملكت يمينك، قال: ويجوز أن يكون نصبا على معنى: لا يحل لك النساء، ثم استثني ما ملكت يمينك (٣).

قال أبو عبيدة: في هذه الآية حرم عليه النساء غيرهن (٤). فإن روي فيه غير ذلك فهذه الآية منسوخة، يعني: ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما مات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى أحل له النساء (٥).

قال الشافعي: كأنها تعني اللاتي حظرن عليه (٦).

وهذه الآية منسوخة على ما قالت عائشة (٧)، وهذا الذي ذكرنا في هذه الآية قول ابن عباس وقتادة ومقاتل والحسن، قال: قصره الله على نسائه التسع اللاتي مات عنهن (٨). وفيها أقوال تركناها لضعفها لم نذكرها.

---

(١) انظر: "تفسير مقاتل" ٩٤ ب.

(٢) انظر: "تفسير ابن عباس" بهامش المصحف ص ٤٢٥.

(٣) انظر: "معاني القرآن وإعرابه" ٤/ ٢٣٤.

(٤) انظر: "تفسير غريب القرآن" ص ٣٥٢.

(٥) انظر: "تفسير الطبري" ٢٢/ ٣٢، "تفسير زاد المسير" ٦/ ٤١١، وأخرجه الترمذي في "سننه" كتاب التفسير، تفسير الأحزاب ٥/ ٣٥ رقم (٣٢٦٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح وأخرجه ابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٤٥ عن أم سلمة.

(٦) "الأم" ٥/ ١٢٥.

(٧) انظر: "الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه" ص ٣٨٥.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٠٣/١٧

(٨) انظر: "تفسير الطبري" ٢٢/ ٢٩ - ٣٠، "تفسير الماوردي" ٤/ ٤١٧، "مجمع البيان" ٨/ ٥٧٥، "تفسير زاد المسير" ٦/ ٤١٠، "تفسير مقاتل" ٩٤ ب.." (١)

"قال مقاتل: ثم حذر النبي -صلى الله عليه وسلم-[إن ركب] (١) في أمرهن ما لا ينبغي، وذلك قوله: {وكان الله على كل شيء} من العمل {رقيبا} (٢) حفيظا.

٥٣ - قوله: {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم} قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بهذه الآية، إنه الحجاب، أصبح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عروسا بزينب بنت جحش، ودعا القوم فأصابوا من الطعام، ثم خرجوا وبقي وهي منهم عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأطالوا المكث، وجعلوا يتحدثون، وجعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يخرج ثم يرجع وهم قعود، فنزلت هذه الآية. قال: فقام القوم وضرب الحجاب (٣).

{إلا أن يؤذن لكم} قال الزجاج: (موضع أن نصب المعنى إلا بأن يؤذن أو لا يؤذن لكم) (٤) {إلى طعام} أي: إلا أن تدعوا إلى طعام، ومعنى {يؤذن لكم}: يدعوا، ويجوز أن يكون المعنى على التقديم والتأخير، فتقدير لا تدخلوا بيوت النبي إلى طعام إلا أن يؤذن لكم.

وقوله: {غير ناظرين} قال أبو إسحاق: (غير منصوبة على الحال، المعنى: إلا أن يؤذن لكم غير منتظرين) (٥) {إناه} أي: نضجه وإدراكه

---

(١) ما بين المعقوفين غير واضح في جميع النسخ، والتصحيح من "تفسير مقاتل".

(٢) انظر: "تفسير مقاتل" ٩٤ ب.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله: {لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم} ٤/ ١٤٩٩ رقم (٤٥١٣)، ومسلم في النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب ٢/ ١٠٤٨ رقم (١٤٢٨) كلاهما عن أنس.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٨١/١٨

(٤) انظر: "معاني القرآن وإعرابه" ٤/ ٢٣٤.

(٥) المصدر السابق.." (١)

"{ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم} [آل عمران: ١٤٢] (١)، وقد مر الكلام فيه (٢). وهذا معنى قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وجميع المفسرين في هاتين الآيتين (٣). قوله: {وربك على كل شيء حفيظ} قال مقاتل: كل شيء من الإيمان والشك رقيب (٤).

٢٢ - قوله: {قل} أي: لكفار مكة. {ادعوا} استنصروا، واستعينوا كقوله: {وادعوا شهداءكم} [البقرة: ٢٣]. وقوله: {تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم} [الأعراف: ١٩٧].

وقوله: {الذين زعمتم} أي: الذين زعمتم أنهم آلهة وأنهم ينصرونكم، فأضمر مفعول الزعم، قال المفسرون (٥): يعني الشركاء والملائكة وجميع من عبدوهم من دون الله.

قال مقاتل: يقول: ادعوهم فليكشفوا عنكم التفسير الذي نزل بكم في سني الجوع (٦). ثم وصفهم وأخبر عنهم فقال: {لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض} أي: من خير وشر ونفع وضر. {وما لهم فيهما من شرك} يريد: ما شاركونا في شيء من خلقهما. {وما له} وما لله. {منهم} من الشركاء والمعبودين. {من ظهير} من معين على شيء. قال مقاتل: ثم

---

(١) "تأويل مشكل القرآن": ص ٣١١ - ٣١٢.

(٢) عند تفسير الآية ١٤٢ من آل عمران.

(٣) انظر: "تفسير الطبري" ٢٢/ ٨٧، "تفسير الماوردي" ٤/ ٤٤٧، "مجمع البيان" ٨/ ٦٠٨، "زاد المسير" ٦/ ٤٤٩، "تفسير مقاتل" ٩٩ أ.

(٤) انظر: "تفسير مقاتل" ٩٩ أ.

(٥) انظر: "تفسير الطبري" ٢٢/ ٨٨، "بحر العلوم" ٣/ ٧٢، "تفسير القرطبي" ١٤/ ٢٩٥، "زاد المسير"

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٨٢/١٨

٦/ ٤٥١.

(٦) انظر: "تفسير مقاتل" ٩٩ أ.." (١)

"١٨ - قوله تعالى: {ما يلفظ من قول} معني اللفظ في اللغة: الرمي من الفم. يقال: لفظ الكلام، إذا رماه من أنفه وفمه. والأرض تلفظ الميت إذا لم تقبله، والبحر يلفظ الشيء إذا رمى به إلى الساحل (١). والمعنى: ما يتكلم من كلام فيلفظه: {إلا لديه **رقيب}** حافظ. يعني الملك الموكل به، إما صاحب اليمين وإما صاحب الشمال.

قوله: {عتيد} قال الكلبي: حاضر معه يحفظ عمله (٢).

وقال الزجاج: ثابت لازم (٣). وذكرنا تفسيره عند قوله: {أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما} [النساء: ١٨] (٤).

١٩ - قوله تعالى: {وجاءت} أي: وتجيء. وذكر بلفظ الماضي إشعارا بتحقق كونه، كما قال: {ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار} [الأعراف: ٤٤] وقد مر (٥) قوله {سكرة الموت} أي غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله وفهمه. وذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله: {سكرت أبصارنا} [الحجر: ١٥] (٦).

---

(١) انظر: "تهذيب اللغة" ١٤/ ٣٨١، "المفردات" (٤٥٢) (الفظ).

(٢) انظر: "الوسيط" ٤/ ١٦٥، "معالم التنزيل" ٤/ ٢٢٢، "الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ١١، ولم ينسبوه لقائل.

(٣) انظر: "معاني القرآن" ٥/ ٤٥.

(٤) ومما قال عند تفسيره الآية: يقال اعتدت الشيء فهو معتد وعتيد، وقد عند الشيء عتادة وهو عتيد حاضر، قاله الليث. قال: ومن هنالك سميت العتيدة التي فيها طيب الرجل وأدهانه.

(٥) عند تفسيره لآية (٤٤) من سورة الأعراف. ولم يذكر هناك شيئا عن وروده بصيغة الماضي والله أعلم.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٥٥/١٨

(٦) مما قاله عند تفسيره لهذه الآية: السكر سد الثقب لئلا ينفجر الماء، والسكر في الشرب هو تغير العقل وفساد اللب وقيل السكر في الشراب هو أن ينقطع عما كان =." [١]

"وذلك أن المفسرين قالوا: إذا كان يوم القيامة سأل الله تعالى الأمم عن تبليغ الرسل فيقولون (١): يا ربنا ما جاءنا رسول ولا نذير فيكذبون أنبياءهم، ويؤتى بأمة محمد -صلى الله عليه وسلم- فيسئلون عن ذلك فيصدقون نبيهم والأنبياء الماضين، فيصدقهم الله تعالى عند ذلك (٢)، فالمؤمن المصدق لعباده كما قال تعالي {يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين} [التوبة: ٦١] معناه: يصدق الله ويصدق المؤمنين (٣).

قوله تعالى: {المهيمن} قال ابن عباس: الشاهد الذي لا يغيب عنه شيء، وهو قول قتادة، ومجاهد، قالوا: معناه الشهيد على عباده بأعمالهم (٤)، وعلى هذا أصله من قولهم: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبا على الشيء (٥). وهو قول الخليل، وأبي عبيد.

وذهب كثير من المفسرين وأهل المعاني على أن المهيمن مؤيمن على الأصل من أمن يؤمن، فيكون بمعنى المؤمن (٦)، وقد ذكرنا استقصاء هذا عند قوله: {ومهيمنا عليه} [المائدة: ٤٨] قال ابن الأنباري: المهيمن القائم على خلقه برزقه وأنشد:

---

(١) في (ك): (فيقول).

(٢) انظر: "إعراب القرآن" للنحاس ٣/ ٤٠٧، و"اللسان" ١/ ١٠٩ (أمن).

(٣) انظر: "اللسان" ١/ ١٠٩ (أمن).

(٤) انظر: "تفسير عبد الرزاق" ٢/ ٢٨٥، و"جامع البيان" ٢٨/ ٣٦، و"إعراب القرآن" للنحاس ٣/ ٤٠٧، و"الكشف والبيان" ١٣/ ١٠٣ أ.

(٥) انظر: "تهذيب اللغة" ٦/ ٣٣٤ (همن)، و"إعراب القرآن" للنحاس ٣/ ٤٠٧، و"زاد المسير" ٨/ ٢٢٦، و"روح المعاني" ٦/ ١٥٢.

(٦) انظر: تفسير "غريب القرآن " ص ١١ - ١٢، و"معاني القرآن" للزجاج ٥/ ١٥٠، و"إعراب القرآن" للنحاس ٣/ ٤٠٧.." [٢]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٩٥/٢٠

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٣٩٥/٢١

"ومعنى الآية: أن ثواب الله خير لهم من كسبهم بالكفر والسحر (١).

١٠٤ - قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا} يقال: أرعى إلى الشيء، وراعاه: إذا أصغى إليه، مثل: عافاه وأعفاه. قال الفراء: هو من الإرعاء والمراعاة (٢).
وقال أبو العباس أحمد بن يحيى: راعنا سمعك، أي: اسمع منا حتى نفهمك وتفهم عنا، والعرب تقول: أرعنا سمعك، وراعنا سمعك بمعنى واحد (٣). وأصل الكلمة من الرعاية (٤)، الذي هو الحفظ، فمعنى أرعيته سمعي، أي: حفظت عليه ما يقول. والمراعاة: **المراقبة** لأنها حفظ ما يكون من أحوال الشيء، والإرعاء: الإبقاء على أخيك؛ لأنك تحفظ ما تقدم من حقه. (٥)
قال الكلبي: عن ابن عباس: كان المسلمون يقولون للنبي - صلى الله عليه وسلم -: راعنا سمعك، وكان هذا بلسان اليهود سبا قبيحا، فلما سمعوا هذه الكلمة

(١) "معاني القرآن" للزجاج ١/ ١٨٧، وينظر: "تفسير الثعلبي" ١/ ١٠٨٧، و"مشكل إعراب القرآن" ١/ ١٠٨، و"التبيان" ص ٨١، و"البحر المحيط" ١/ ٣٣٥.
(٢) "معاني القرآن" للفراء ١/ ٦٩.
(٣) نقله عنه في "تهذيب اللغة" ٢/ ١٤٣٠، (مادة: رعن).
(٤) ذكر الزجاج في "معاني القرآن" ١/ ١٨٨ أن في (راعنا) ثلاثة أقوال: أحدها: راعنا، من أرعنا سمعك. والثاني: من المراعاة والمكافأة، فقيل لهم: لا تقولوا: راعنا، أي: كافئنا في المقال، كما يقول بعضهم لبعض، وقولوا أنظرنا، أي: أمهلنا، واسمعوا، كأنه قيل لهم استمعوا. والثالث: راعنا، كلمة تجري على الهزء والسخرية، فنهي المسلمون أن يتلفظوا بها بحضرة النبي - صلى الله عليه وسلم -.
(٥) ينظر: "تهذيب اللغة" ٢/ ١٤٣٠، "المفردات" للراغب٢٠٤، "مقاييس اللغة" ٢/ ٤٠٧، "البحر المحيط" ١/ ٣٣٦، "تاج العروس" ١٨/ ٢٣٨ (رعن).." (١)

"وقيل: فداء الأسارى، وعتق النسمة، وفك الرقبة (١)، والرقاب: جمع الرقبة، وهو مؤخر أصل العنق، واشتقاقها: من **المراقبة**، وذلك أن مكانها من البدن مكان **الرقيب** المشرف على القوم؛ ولهذا المعنى

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣/٢١٥

يقال: أعتق الله رقبته، ولا يقال: أعتق الله عنقه، لأنها لما سميت رقبة كانت كأنها تراقب العذاب، ومن هذا يقال للتي لا يعيش لها ولد: رقوب؛ لأجل مراعاتها موت ولدها (٢).

وقوله تعالى: {والموفون بعهدهم إذا عاهدوا} قال المفسرون: أراد: فيما بينهم وبين الله، وبينهم وبين الناس، إذا وعدوا أنجزوا، وإذا حلفوا ونذروا وفوا، وإذا قالوا صدقوا، وإذا ائتمنوا أدوا (٣).

ارتفع قوله: {والموفون} بالعطف على محل (من) في قوله: {من

= والحسن وابن زيد والشافعي، ورواه ابن أبي حاتم في "تفسيره" ١/ ٢٩٠ عن سعيد ابن جبير ومقاتل بن حيان والحسن والزهري، وينظر: "تفسير الطبري" ٢/ ٩٨، وقد حكى الواحدي في "الوسيط" أن جميع المفسرين قالوا: يريد به المكاتبين، والمفسرون ذكروا الخلاف على أربعة أقوال: المكاتبون، وأنهم عبيد يشترون بهذا السهم ويعتقون، وفداء الأسرى، وجميع هؤلاء، وهذا قول ابن عطية وابن العربي في "أحكام القرآن" ١/ ٦٠، واستظهره أبو حيان في "البحر" ٢/ ٦. ينظر: "الإجماع في التفسير" ص ١٩٥.

(١) ينظر: "تفسير الثعلبي" ١/ ١٢٤٩، "المحرر الوجيز" ٢/ ٨١، "الكشاف" ١/ ١٠٩، وقال في "زاد المسير" ١/ ١٧٩: رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مالك بن أنس وأبو عبيد وأبو ثور، وعنه كالقولين.

(٢) ينظر في الرقاب: "المفردات" ص ٢٠٦، "اللسان" ٣/ ١٧٠١ (رقب)، والكلام بنصه عند الرازي في "تفسيره" ٥/ ٤٢.

(٣) "تفسير الثعلبي" ٢/ ١٦٦، وينظر: "تفسير الرازي" ٥/ ٤٣، "تفسير القرطبي" ٢/ ٢٢٥.." (١)

"الدنيا (١).

وقوله تعالى: {والله يرزق من يشاء بغير حساب} قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد أن أموال قريظة والنضير تصير إليكم بلا حساب ولا قتال بأسهل شيء وأيسره (٢)، فيكون على هذا: والله يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق للرزق، فيصير إليه ما لم يكن يحتسبه ولم يؤمله، ويكون ذلك من أهنأ العطاء وأحلا الأرزاق، لذلك مدح الله نفسه بهذا.

وقال في رواية لأبي صالح: يعني: كثيرا بغير فوت ولا مقدار؛ لأن كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل (٣). وقال الضحاك: يعني من غير تبعة في الدنيا ولا حساب في الآخرة (٤)، دليله قوله: - صلى الله

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٢١/٣

عليه وسلم -: "يدخل الجنة سبعون ألفا من أمتي بغير حساب" (٥).

وقال مقاتل: يرزق من يشاء حين بسط للكافرين في الرزق، وقتر على

---

(١) ينظر: "المحرر الوجيز" ٢/ ٢٠٤ - ٢٠٥، "زاد المسير" ١/ ٢٢٨، "التفسير الكبير" ٦/ ٨، وذكر ابن عطية أن هذه الاحتمالات المذكورة حفظ لمذهب سيبويه والخليل في أن التفضيل إنما يجيء فيما فيه شركة، والكوفيون يجيزونه حيث لا اشتراك.

(٢) هذا من تتمة الخبر السابق، عن عطاء، وقد تقدم تخريجه آنفا. وينظر في: "البحر المحيط" ١/ ١٣١، "غرائب النيسابوري" ٢/ ٣٠١، "الوسيط" للواحدي ١/ ٣١٥.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في "تفسيره" ٢/ ٧١٢، "البغوي" في "تفسيره" ١/ ٢٤٣، وروى ابن أبي حاتم ٢/ ٣٧٥ عن ابن عباس في تفسيرها قوله: ليس على الله رقيب ولا من يحاسبه.

(٤) ذكره عنه الثعلبي في "تفسيره" ٢/ ٧١٣، "البغوي" في "تفسيره" ١/ ٢٤٣.

(٥) رواه البخاري (٦٠٥٩) كتاب الرقاق، باب: يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، (٥٢٧٠) كتاب الطب، باب: من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، ومسلم (٣١٧) كتاب الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة.." (١)

"وقوله تعالى: {والله يعلم وأنتم لا تعلمون} أي: يعلم ما فيه مصالحكم وما فيه منافعكم فبادروا إلى ما يأمركم به وإن شق عليكم.

٢١٧ - قوله تعالى: {يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه} الآية، نزلت في سرية بعثها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى نخلة، فلما انتهوا إليها وافت خيل المشركين فيها عمرو بن الحضرمي (١) والحكم بن كيسان، فرمى واقد بن عبد الله (٢)، وهو من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٣)، عمرو بن الحضرمي فقتله، وظهر المسلمون على المشركين، وأسروا بعضهم، وأهل هلال رجب والمسلمون يقاتلون لا يعلمون بدخوله، فضجت قريش بمكة، وكانوا يستعظمون سفك الدماء في رجب، فأنزل الله تعالى هذه الآية (٤).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٠٨/٤

= ولا أدري ما هما، ولفظ الحديث لم أجده، ولا نقله أحد ممن ينقل عن الطبري. ينظر حاشية "تفسير الطبري" ٤/ ٢٩٩.

(١) هو: عمرو بن العلاء الحضرمي، والحضرمي هو عبد الله بن عباد الصدفي، كان من صناديد كفار قريش، كان في عير تجارة قريش، قتله واقد بن عبد الله التميمي من سرية عبد الله بن جحش. انظر "البداية والنهاية" ٥/ ٣٧ - ٣٩.

(٢) هو: واقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين التميمي الحنظلي اليربوعي، صحابي أسلم قبل دخول الرسول دار الأرقم، بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة **لمراقبة** تحركات المشركين والإتيان بأخبارهم، فكان أول من قاتل من المسلمين، شهد بدرا والمشاهد كلها توفي في أول خلافة عمر - رضي الله عنه -. انظر: "معرفة الصحابة" ٥/ ٢٧٢٩، "أسد الغابة" ٥/ ٤٣٢ - ٤٣٣.

(٣) من قوله: عمرو بن الحضرمي .. ساقط من (أ) ولا (م).

(٤) ينظر في سبب النزول: "تفسير الطبري" ٢/ ٣٤٧ - ٣٤٨، "سيرة ابن هشام" ٢/ ٣٤٠، والبيهقي في "دلائل النبوة" ٣/ ١٧، "تفسير الثعلبي" ٢/ ٧٥٣ - ٧٦٠، والواحدي في "أسباب النزول" ص ٦٩، قال ابن حجر في "تعليق التعليق" ١/ ٧٦: وهو مرسل جيد، قوي الإسناد، وقد صرح فيه ابن إسحاق بالسماع.." (١)

"وقوله تعالى: {إن الله كان عليكم **رقيبا**} [النساء: ١]. **الرقيب**: الحافظ، يقال: رقب يرقب رقبة ورقوبا (١). ومعناه: أنه يرقب عليكم أعمالكم فاتقوه فيما نهاكم.

٢ - قوله تعالى: {وآتوا اليتامى أموالهم}. قال المفسرون: الخطاب للأوصياء وأولياء اليتامى (٢). أي أعطوهم أموالهم. وإنما يعطى إذا بلغ، ولا يتم بعد البلوغ (٣)، ولكن قد يستصحب الاسم وإن زال معناه، كقوله: {فألقي السحرة ساجدين (٤٦)} [الشعراء: ٤٦]، أي: الذين كانوا سحرة قبل السجود. وقد كان يقال للنبي - صلى الله عليه وسلم - يتيم أبي طالب (٤).

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٣٧/٤

وقوله تعالى: {ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب}.

يقال: تبدل الشيء بالشيء إذا أخذه مكانه (٥)، قال العجاج:

من إن تبدلت بلادي آدر (٦)

قال أكثر المفسرين: كان ولي اليتيم يأخذ الجيد من ماله ويجعل

---

(١) انظر: "تهذيب اللغة" ٢/ ١٤٤٨ (رقب)، "مقاييس اللغة" ٢/ ٤٢٧ (رقب) والمصدر فيهما: رقبانا.

(٢) انظر: "تفسير الطبري" ٤/ ٢٢٨، "تفسير البغوي" ٢/ ١٥٩.

(٣) اليتيم هو الذي مات أبوه ويسمى بذلك حتى يبلغ فإذا بلغ زال عنه اسم اليتيم. هذا من ناحية الأحكام الشرعية، أما من الناحية اللغوية فيبقى الاسم لمن مات أبوه وإن كان بالغا، لأن اليتيم لغة مأخوذ من الانفراد ومنه الدرة اليتيمة: أي المنفردة. انظر "تهذيب اللغة" ٤/ ٣٩٧٣، ٣٤٠ (يتم).

(٤) انظر: "معاني الزجاج" ٢/ ٧، "تهذيب اللغة" ٤/ ٣٩٧٣ (يتم)، "تفسير القرطبي" ٥/ ٨، ٩، والمقصود أنه كان يقال ذلك بعدما كبر - صلى الله عليه وسلم -.

(٥) انظر: "تهذيب اللغة" ١/ ٢٩٤ (بدل).

(٦) لم أجده في "ديوان العجاج" برواية الأصمعي وشرحه.." [1]

"فجعل العباس المهيمن في بيته صفة للنبي، أراد به الأمين.

وقال جماعة من أهل اللغة: المهيمن: **الرقيب** الحافظ، يقال: قد هيمن الرجل يهيمن هيمنة، إذا كان **رقيبا** على الشيء. وهو قول الخليل وأبي عبيد (١).

وقال أبو عبيدة: المهيمن: الشاهد المصدق (٢)، واحتج بقول حسان (٣):

إن الكتاب مهيمن لنبينا ... والحق يعرفه ذوو الألباب (٤)

وقوله تعالى: {فاحكم بينهم بما أنزل الله}. يعني: بين اليهود بالقرآن، والرجم على الزانيين.

{ولا تتبع أهواءهم}. قال ابن عباس: يريد ما حرفوا وبدلوا، يعني: من أمر الرجم (٥).

وقوله تعالى: {عما جاءك من الحق}.

يقول: لا تتبعهم عما عندك من الحق فتتركه وتتبعهم، كما تقول: لا تتبع زيدا عن رأيك، يعني لا تترك رأيك

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦/٢٩٣

وتتبعه.

(١) انظر: "معاني الزجاج" ٢/ ١٧٩، "معاني النحاس" ٢/ ٣١٨، "تهذيب اللغة" ٤/ ٣٨٠٠ (همن)، "زاد المسير" ٢/ ٣٧١، "اللسان" ١٣/ ٤٣٧ (همن).

(٢) انظر: "مجاز القرآن" ١/ ١٦٨.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) في "ديوانه" ص ٣٥، لكن صدره: أخوات أمك قد علمت مكانها

(٥) انظر: "زاد المسير" ٢/ ٣٧١، "تنوير المقباس" بهامش المصحف ص ١١٦. وقد ثبت عن ابن عباس أنه قال: {فاحكم بينهم بما أنزل الله} قال: بحدود الله، {ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق}. "تفسيره" ص ١٨١، وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٦/ ٢٦٩.." (١)

"ورافعك إلي} [آل عمران: ٥٥] وقوله تعالى: {كنت أنت **الرقيب}** قال ابن عباس والسدي وابن جريج وقتادة: الحفيظ عليهم (١).

وقال الزجاج: أي: الحافظ عليهم (٢)، وقال عطاء: يريد القاهر لهم (٣) وهذا معنى وليس بتفسير، وذلك أن الحافظ على الشيء قاهر له، ولو لم يكن قاهرا لم يصح الحفظ منه.

وقوله تعالى: {وأنت على كل شيء شهيد} [المائدة: ١١٧]، قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد شهدت مقالتي فيهم وبعدما رفعتني إليك شهدت ما يقولون بعدي (٤)، فالشهيد على هذا معناه: المشاهد لما يكون، ويجوز أن يكون الشهيد في هذه الآية بمعنى العلم، فيكون معنى {وأنت على كل شيء شهيد} أي: شاهد عليه لعلمك به (٥).

١١٨ - قوله تعالى: {إن تعذبهم فإنهم عبادك} الآية، تفسير هذه الآية واضح على قول من يقول إن هذه المخاطبة جرت بين الله تعالى وبين عيسى حين رفعه إلى السماء، يقول عيسى لله تعالى: (إن تعذبهم) على كفرم ومعصيتهم (فإنهم عبادك وإن تغفر لهم) بتوبة تكون منهم، وهذا مذهب السدي، وقال في هذه الآية: {إن تعذبهم} فتميتهم بنصرانيتهم فإنهم عبادك، {وإن تغفر لهم} فتخرجهم من النصرانية وترشدهم

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٠٧/٧

إلى الإسلام (٦)، وتفسير

---

(١) أخرجه عن السدي وابن جريح الطبري ٧/ ١٣٩، وعن ابن عباس ابن المنذر وعن قتادة عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم، انظر: "الدر المنثور" ٢/ ٦١٦.

(٢) ليس في معانيه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) "تفسير الوسيط" ١/ ٢٤٨ وعزاه المحقق لتفسير ابن عباس ص ١٠٥.

(٥) "النكت والعيون" ٢/ ٨٩

(٦) أخرجه الطبري ٧/ ١٤٠، وكذا ابن حاتم وأبو الشيخ،"الدر المنثور" ٢/ ٦١٦.." (١)

"عمر (١)، وهو كثير في الشعر، قد (٢) تكلمت العرب في مثله بحذف الهمزة قال عمر (٣):

أريتك إذ هنا عليك ألم نخف ... رقيبا وحولي من عدوك حضر (٤)

وأنشد أبو علي (٥):

أريت إن جئت به أملودا ... مرجلا ويلبس البرودا (٦)

فأما (٧) معنى الآية فقال ابن عباس: ({قل} يا محمد {إن أتاكم

= انظر: "إنباه الرواة" ٢/ ٣٧٤، و"معجم الأدباء" ١٦/ ١٤٦، و"وفيات الأعيان" ٣/ ٤٨٦، و"سير أعلام النبلاء" ٧/ ٢٠٠، و"غاية النهاية" ١/ ٦١٣، و"تهذيب التهذيب" ٣/ ٣٦٤.

(١) ذكرها عنه: أبو علي في "الحجة" ٣/ ٣٠٧، والنحاس في "إعرابه" ١/ ٥٤٧، والرازي ١٢/ ٢٢٣، والقرطبي ٦/ ٤٢٣.

(٢) في (ش): (وقد).

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ١٢٥، و"الدر المصون" ٤/ ١٦٦. وأريتك: أي أخبرني. وحضر: أي حاضرون. والشاهد: (أريتك) حيث خفف، والأصل: أرأيتك.

(٤) في الديوان (وقيت) بدل (رقيبا).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦٠٣/٧

(٥) "الحجة" ٣/ ٣٠٨، و"الحلبيات" ص ٤٦، و"العسكريات" ص ١٠٧.
(٦) الشاهد لرؤبة في ملحق ديوانه ص ١٧٣، ولرجل من هذيل في "شرح أشعار الهذليين" للسكري ٢/ ٦٥١. وذكر السيوطي في "شرح شواهد المغني" ٢/ ٧٥٩، أنه لامرأة مجهولة، وهو بلا نسبة في: "المحتسب" ١/ ١٩٣، و"الخصائص" ١/ ١٣٦، و"سر صناعة الإعراب" ٢/ ٤٤٧، و"اللسان" ٣/ ١٥٣٨ (رأى) و"الدر المصون" ٤/ ٦١٦. والأملود بالضم: الناعم اللين. والمرجل بالضم: المزين. ورجل شعره، أي: سرحه، والبرود بالضم: ثوب فيه خطوط من برود العصب والوشي. انظر: "اللسان" ١/ ٢٥٠ (برد).
والشاهد: تخفيف أريت، والأصل أرأيت.
(٧) انظر: في توجيه القراءات "إعراب القراءات" ١/ ١٥٦، و"الحجة" لابن خالويه ص ١٣٩، ولابن زنجلة ص ٢٥٠، و"الكشف" ١/ ٤٣١.." [(١)]

"{ومن عمي} عن الحق فلم يصدق، فعلى نفسه جنى العذاب) (١)، وقال الزجاج: (المعنى: فلنفسه نفع ذلك {ومن عمي فعليها}، أي: فعلى نفسه ضرر ذلك، لأن الله جل وعز غني عن خلقه) (٢).
وقوله: {وما أنا عليكم بحفيظ} قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: ما أدفع عنكم ما يريد الله بكم) (٣)، وقال الكلبي: ({وما أنا عليكم بحفيظ} [أي: برقيب أحصي عليكم أعمالكم (٤)] أي: إنما أنا رسول أبلغكم عن ربي، وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أفعالكم) (٥)، ونحو هذا قال الحسن: (أي: برقيب على آعمالكم حتى أجازيكم بها) (٦)، قال أبو إسحاق (٧): (أي: لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ عليكم، والوكيل، وهذا قبل الأمر بالقتال، فلما أمر (٨) بالقتال صار حفيظا عليهم، ومسيطرا على كل من تولى).

---

(١) ذكره السمين في "الدر" ٥/ ٩٢ - ٩٣، وانظر: "تفسير السمرقندي" ١/ ٥٠٥، و"الوسيط" ١/ ٩٥، و"تفسير البغوي" ٣/ ١٧٥، و"تنوير المقباس" ٢/ ٤٩.
(٢) "معاني الزجاج" ٢/ ٢٧٩، وانظر: "تفسير الطبري" ٧/ ٣٠٥، و"معاني النحاس" ٢/ ٤٦٧.
(٣) لم أقف عليه، وذكر القرطبي في "تفسيره" ٧/ ٥٨ نحوه بدون نسبة.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨/١٣٢

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٥) ذكره أهل التفسير بدون نسبة. انظر: "تفسير الطبري" ٧/ ٣٠٥، والبغوي ٣/ ١٧٥، والقرطبي ٧/ ٥٨.

(٦) ذكره الواحدي في "الوسيط" ١/ ٩٥، وأبو حيان في "البحر" ٤/ ١٩٧.

(٧) "معاني الزجاج" ٢/ ٢٧٩.

(٨) انظر: "تفسير السمرقندي" ١/ ٥٠٥، والظاهر أن المعنى: لست رقيبا عليكم أحصي أعمالكم، فالآية محكمة. وهو قول مكي في "الإيضاح" ص ٢٤٢، والرازي في "تفسيره" ١٣/ ١٣٤ ، وقال ابن حزم في "ناسخه" ص ٣٧، وهبة الله بن سلامة =." [1]

"وقوله تعالى: {وما جعلناك عليهم حفيظا} قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: تمنعهم (١) مني) (٢)، ومعنى هذا الكلام أنك لم تبعث لتحفظ المشركين عن العذاب، إنما بعثت مبلغا فلا تهتم لشركهم، فإن ذلك بمشية الله (٣). وقال مقاتل: ({وما جعلناك عليهم حفيظا} رقيبا إن لم يوحدوا، ومما أنت عليهم بمسيطر، نسختها آية السيف) (٤).

١٠٨ - قوله تعالى: {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله} الآية قال [قتادة] (٥) (٦) والمفسرون (٧): (كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فنهاهم عن ذلك لئلا يسبوا الله).

وقال الزجاج: (نهوا في ذلك الوقت قبل القتال أن يلعنوا الأصنام التي كانت يعبدها المشركون) (٨).

---

(١) في (ش): (يمنعهم).

(٢) ذكره الثعلبي في "الكشف" ١٨٢ أ، والبغوي في "تفسيره" ٣/ ١٧٦، و"الخازن" ٢/ ١٦٩ عن عطاء فقط.

(٣) انظر: "تفسير الطبري" ٧/ ٣٠٥.

(٤) "تفسير مقاتل" ١/ ٥٨٣، وهو قول ابن حزم في "ناسخه" ص ٣٨، وهبة الله بن سلامة ص ٦٨، وحكاه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن" ص ٣٢٨ عن ابن عباس، والظاهر أنها محكمة. ورجحه مكي في

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨/٣٣٧

"الإيضاح" ص ٢٤٢، وانظر: "الناسخ والمنسوخ" لابن العربي ٢/ ٢١٢.
(٥) لفظ: (قتادة) غير واضح في (أ).
(٦) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢١٥ بسند جيد.
(٧) أخرجه الطبري ٧/ ٣٠٩، وابن أبي حاتم ٥/ ٣١٢ من طرق جيدة عن ابن عباس وقتادة والسدي، وهو قول مقاتل ١/ ٥٨٣، والسمرقندي ١/ ٥٠٦، وحكاه هود الهواري ١/ ٥٥١ عن الحسن والكلبي. وانظر: "أسباب النزول" للواحدي ص ٢٢٥، و"الدر المنثور" ٣/ ٧٢.
(٨) "معاني الزجاج" ٢/ ٢٨٠.." (١)

"وقوله تعالى: {فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه} [البقرة: ١٠٢] وهو أن يؤخذ كل واحد منهما عن صاحبه، ويبغض كل واحد منهما إلى صاحبه، وما هم أي: السحرة، وقيل: الشياطين.
بضارين به أي: بالسحر، من أحد أي: أحدا.
إلا بإذن الله قال المفسرون: الإذن ههنا: إرادة التكوين.
أي: لا يضرون بالسحر إلا من أراد الله أن يلحقه الضرر.
وقوله تعالى: {ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم} [البقرة: ١٠٢] المعنى: أنه يضرهم في الآخرة وإن تعجلوا به في الدنيا نفعا، ولقد علموا يعني اليهود، {لمن اشتراه} [البقرة: ١٠٢] أي: اختاره، يعني السحر، {ما له في الآخرة من خلاق} [البقرة: ١٠٢] أي: نصيب، والخلاق: النصيب الرامز من الخير، قال المفسرون: الخلاق من هذه الآية: النصيب من الجنة.
قوله تعالى: {ولبئس ما شروا به أنفسهم} [البقرة: ١٠٢] أي: بئس شيء باعوا به حظ أنفسهم، حيث اختاروا السحر ونبذوا كتاب الله، لو كانوا يعلمون عاقبة ما يصير إليه من بخس حظه في الآخرة.
ولو أنهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، واتقوا اليهود والسحر، لأثيبوا ما هو خير لهم، وهو قوله: {لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون} [البقرة: ١٠٣] ، والمثوبة كالثواب، وكذلك المثوبة مثل المشورة والمشورة، ويعني بالآية أن ثواب الله لهم لو آمنوا خير من كسبهم بالكفر والسحر.
{يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم {١٠٤} ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٤٥/٨

الفضل العظيم {١٠٥} } [البقرة: ١٠٤-١٠٥] قوله تعالى: {يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا} [البقرة: ١٠٤] المراعاة: المراقبة وحفظ ما يكون من أحوال الشيء، يقال: راعنا سمعك.

أي: اسمع منا حتى نفهمك وتفهم عنا، والعرب تقول: راعنا سمعك، وراعنا بسمعك.

بمعنى واحد.

قال الكلبي، عن ابن عباس: كان المسلمون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: راعنا سمعك.

وكان هذا بلسان اليهود سبا قبيحا فيما بينهم، فلما سمعوا هذه الكلمة يقولونها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعجبتهم، فكانوا يأتونه ويقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: عليكم لعنة الله، لئن سمعتها من رجل منكم يقولها." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النساء

مدنية وآياتها سبعون ومائة

١٨٨ - أخبرنا الأستاذ أبو عثمان سعيد بن محمد بن المقرئ الزعفراني، أخبرني أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر، حدثنا إبراهيم بن شريك، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا سلام بن سليم المدايني، حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل من ورث ميراثا، وأعطي من الأجر كمن اشترى محررا، وبرئ من الشرك، وكان في مشيئة الله عز وجل الذين يتجاوز عنهم»

١٨٩ - أخبرنا الحسن بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن الفضل، أخبرنا أحمد بن الحسن الحافظ، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا عثمان بن صالح السهمي، حدثني ابن وهب، أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، حدثني حميد بن عبد الرحمن، عن المسور بن مخرمة، أنه سمع عمر بن الخطاب، يقول: تعلموا سورة البقرة وسورة النساء وسورة المائدة وسورة الحج وسورة النور فإن فيهن الفرائض

{يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا {١} وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا {٢} وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ١/١٨٦

ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا {٣} وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا {٤} } [النساء: ١-٤] .

قوله: {يأيها الناس اتقوا ربكم} [النساء: ١] قال ابن عباس: الخطاب لأهل مكة.." (١)

"وقرأ حمزة والأرحام بالخفض، وضعف النحويون كلهم هذه القراءة واستقبحوها.

قال الزجاج: إجماع النحويين أنه يقبح باسم ظاهر على اسم مضمر في حال الخفض إلا بإظهار الخافض كقوله: {فخسفنا به وبداره الأرض} [القصص: ٨١] ، ويستقبح النحويون: مررت به وزيد، لأن المكني المخفوض حرف متصل غير منفصل، فكأنه كالتنوين في الاسم، فقبح أن يعطف باسم يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه.

وقال سيبويه: لا يجوز عطف الظاهر على المكني المخفوض من غير إعادة الخافض إلا في ضرورة الشعر وأنشد:

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا ... فاذهب فما بك والأيام من عجب

وقوله: {إن الله كان عليكم رقيبا} [النساء: ١] الرقيب: الحافظ يقال: رقب يرقب رقبة ورقبا.

ومعناه: أنه يرقب عليكم أعمالكم، فاتقوه فيما نهاكم عنه.

قوله: {وآتوا اليتامى أموالهم} [النساء: ٢] الخطاب للأوصياء وأولياء اليتامى أي: أعطوهم أموالهم إذا بلغوا، {ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب} [النساء: ٢] يقال: تبدل الشيء بالشيء، إذا أخذه مكانه.." (٢)

"أهل الكتاب بأمر، فإن كان في القرآن فصدقوا، وإلا فكذبوا.

وقال جماعة من أهل اللغة: المهيمن: الرقيب الحافظ، يقال: هيمن الرجل يهيمن هيمنة إذا كان رقيبا على الشيء، وهو قول الخليل، وأبي عبيدة، قال أبو عبيدة: المهيمن: الشاهد المصدق، واحتج بقول حسان:

إن الكتاب مهيمن لنبينا ... والحق يعرفه ذوو الألباب

وقوله: {فاحكم بينهم بما أنزل الله} [المائدة: ٤٨] يعني: بين اليهود بالقرآن، والرجم على الزانيين، {ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق} [المائدة: ٤٨] يقول: لا تتبعهم عما عندك من الحق فتتركه وتتبعهم،

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢/٣

(٢) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢/٦

كما تقول: لا تتبع زبدا عن رأيك، أي: لا تترك رأيك وتتبعه.

وقوله: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا} [المائدة: ٤٨] الشرعة والشريعة واحدة، وهي ما شرع الله للعباد من الصلاة والصوم والنكاح والحج وغيره، معناها في اللغة: الطريقة، لشروع الناس فيها.

والمنهاج الطريق الواضح، يقال: نهج الأمر.

وأنهج.

لغتان، إذا وضح، قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد: شرعة ومنهاجا: سبيلا وسنة.

قال قتادة: الخطاب للأمم الثلاث: أمة موسى، وأمة عيسى، وأمة محمد صلوات الله عليهم أجمعين: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، والدين واحد لا يقبل الله إلا الإخلاص.

وقوله: {ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة} [المائدة: ٤٨] على أمر واحد، ملة الإسلام، ولكن ليبلوكم أي: ليختبركم {في ما آتاكم} [المائدة: ٤٨] أعطاكم من الكتاب والسنن، فاستبقوا الخيرات: سارعوا في الأعمال الصالحات، {إلى الله مرجعكم جميعا} [المائدة: ٤٨] أنتم وأهل الكتاب {فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون} [المائدة: ٤٨] من الفرائض والدية والسنن.

وقوله: {وأن احكم بينهم بما أنزل الله} [المائدة: ٤٩] ، قد ذكرنا أن هذا ناسخ للتخيير في قوله: {فاحكم بينهم أو أعرض عنهم} [المائدة: ٤٢] .

ومعنى بما أنزل الله بحدود الله وما أنزل في كتابه.

{ولا تتبع أهواءهم} [المائدة: ٤٩] قال مقاتل: إن رؤساء اليهود." (١)

"وكذبا، فدفع الإناء إليهما وإلى أولياء الميت.

قوله: {ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها} [المائدة: ١٠٨] أي: ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين أدنى إلى الإتيان بالشهادة على ما كتب، أو يخافوا أي: أقرب إلى أن يخافوا {أن ترد أيمان} [المائدة: ١٠٨] على أولياء الميت بعد أيمانهم: فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم، فيفتضحوا ويغرموا، فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا ذلك الحكم.

واتقوا الله: أن تحلفوا أيمانا كاذبة، أو تخونوا أمانة، واسمعوا: الموعظة، {والله لا يهدي القوم الفاسقين} [المائدة: ١٠٨] وعيد لهم بحرمان الهداية.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ١٩٥/٢

{يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب {١٠٩} إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين {١١٠} وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون {١١١} إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين {١١٢} قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين {١١٣} قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين {١١٤} قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين {١١٥} وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب {١١٦} ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد {١١٧} إن." (١)

"والمعنى: تعلم ما أخفيه من سري وغيبي، ولا أعلم ما تخفيه أنت ولم تطلعنا عليه، فلما كان سر عيسى يخفيه في نفسه، جعل أيضا سر الله مما يخفيه الله في نفسه ليزدوج الكلام ويحسن النظم.

وقال الزجاج: النفس في اللغة تقع عبارة عن حقيقة الشيء، فمعنى {تعلم ما في نفسي} [المائدة: ١١٦] أي: تعلم ما أضمره {ولا أعلم ما في نفسك} [المائدة: ١١٦] أي: لا أعلم ما في حقيقتك وما عندي علمه.

والتأويل: إنك تعلم ما أعلم، ولا أعلم ما تعلم، يدل على هذا قوله: {إنك أنت علام الغيوب} [المائدة: ١١٦].

ثم ذكر ما قال لقومه فقال: {ما قلت لهم إلا ما أمرتني به} [المائدة: ١١٧] فسر ذلك فقال: {أن اعبدوا الله ربي وربكم} [المائدة: ١١٧] أي: أمرتهم بعبادتك لأنك ربي وربهم، {وكنت عليهم شهيدا ما دمت

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢/٢٤٣

فيهم} [المائدة: ١١٧] كنت أشهد على ما يفعلون ما كنت مقيما فيهم، فلما توفيتني يعني: وفاة الرفع إلى السماء من قوله: }إني متوفيك ورافعك إلي} [آل عمران: ٥٥] ، {كنت أنت الرقيب عليهم} [المائدة: ١١٧] الحفيظ عليهم تحفظ أعمالهم، {وأنت على كل شيء شهيد} [المائدة: ١١٧] قال ابن عباس: شهدت مقالتي فيهم وبعد ما رفعتني إليك شهدت ما يقولون بعدي.

قوله: {إن تعذبهم فإنهم عبادك} [المائدة: ١١٨] الآية: قال الحسن وأبو العالية إن تعذبهم: فبإقامتهم على كفرهم، {وإن تغفر لهم} [المائدة: ١١٨] فبتوبة كانت منهم.

وقال ابن الأنباري: هذا على التبعيض، أي: إن تعذب بعضهم الذين أقاموا على الكفر فهم عبادك، وإن تغفر لبعضهم الذين انتقلوا عن الكفر إلى الإسلام فأنت في ذلك قاهر غالب عادل لا يعترض عليك معترض.

وهذا اختيار الزجاج لأنه قال: والذي عندي: أن عيسى عليه السلام قد علم أن منهم من آمن ومنهم من أقام على الكفر، فقال عيسى في جميعهم: إن تعذب من كفر بك فإنهم عبادك، أنت العادل فيهم، وإن تغفر لهم لمن أقلع منهم وآمن فأنت في مغفرتك لهم عزيز لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في ذلك.

قوله: {قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم} [المائدة: ١١٩] أي: ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في هذا اليوم، ولأنه يوم الجزاء، وما تقدم في الدنيا الصدق إنما يتبين نفعه في هذا اليوم.

قال المفسرون: هذا تصديق لعيسى فيما قال، وذلك أنه كان صادقا في الدنيا، ولم يقل للنصارى: اتخذوني إلها فنفعه صدقه.." (١)

"وإنما خص الأبصار بإدراكه إياها مع أنه يدرك كل شيء للمعنى الذي ذكرنا، لأن غير الله تعالى لا يجوز أن يرى البصر ولا يراه البصر.

وقوله: {وهو اللطيف الخبير} [الأنعام: ١٠٣] قال الأزهري: معناه الرفيق بعباده.

وروى عمرو بن أبي عمرو، عن أبيه، قال: اللطيف: الذي يوصل إليك إربك في رفق، يقال: لطف الله لك، أي: أوصل إليك ما تحب برفق.

قال ابن عباس: وهو اللطيف: بأوليائه، الخبير بهم.

{قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ {١٠٤} وكذلك

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢٤٨/٢

نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون {١٠٥} اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين {١٠٦} } [الأنعام: ١٠٤-١٠٦] قوله: {قد جاءكم بصائر من ربكم} [الأنعام: ١٠٤] البصائر: جمع البصيرة، وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به.

قال الكلبي: يعني بينات القرآن.

{فمن أبصر فلنفسه} [الأنعام: 41٠] فمن صدق القرآن وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فلنفسه عمل، ومن عمي عن الحق ولم يصدق فعليها: فعلى نفسه جنى العذاب لأن الله غني عن خلقه، {وما أنا عليكم بحفيظ} [الأنعام: ١٠٤] قال الحسن: أي: برقيب على أعمالكم حتى أجازيكم بها.

قال الزجاج: أي: لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ عليكم.

وهذا قبل الأمر بالقتال، فلما أمر بالقتال صار حفيظا عليهم.

قوله: {وكذلك نصرف الآيات} [الأنعام: ١٠٥] قال ابن عباس: نبين الآيات في القرآن في كل وجه يدعوهم بها ويخوفوهم.

وليقولوا درست قال ابن الأنباري: هذا عطف على مضمر في المعنى، التقدير: يصرف الآيات ليلزمهم الحجة وليقولوا درست، واللام في: وليقولوا لام العاقبة والصيرورة، لأن عاقبة تصريف الآيات أدت إلى هذا القول الذي قالوه، كقوله: {فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا} [القصص: ٨] .." (١)

"غير معجزي الله} [التوبة: ٣] لا تعجزونه عن تعذيبكم ولا تفوتون بأنفسكم من أن يحل بكم عذابه في الدنيا، ثم أوعدهم بعذاب الآخرة فقال: {وبشر الذين كفروا بعذاب أليم} [التوبة: ٣] .

قوله: {إلا الذين عاهدتم من المشركين} [التوبة: ٤] قال المفسرون: استثنى الله طائفة وهم بنو ضمرة، حي من كنانة، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإتمام عهودهم، وكان قد بقي لهم من مدة عهدهم تسعة أشهر، وقوله: {ثم لم ينقصوكم} [التوبة: ٤] أي: من شروط العهد، {شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا} [التوبة: ٤] لم يعاونوا عليكم عدوا، {فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم} [التوبة: ٤] أي: إلى انقضاء مدتهم، {إن الله يحب المتقين} [التوبة: ٤] يحب من اتقاه بطاعته واجتناب معاصيه.

قوله: {فإذا انسلخ الأشهر الحرم} [التوبة: ٥] أي: مضى وذهب، وذهابها بانسلاخ المحرم، {فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم} [التوبة: ٥] أي: في الحل والحرم، وخذوهم بالأسر، واحصروهم قال ابن

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢/٣٠٨

عباس: يريد: إن تحصنوا فاحصروهم، والحصر ههنا المنع عن الخروج من محيط، {واقعدوا لهم كل مرصد} [التوبة: ٥] أي: على كل طريق يأخذون فيه، والمرصد: الموضع الذي يرقب فيه العدو، فإن تابوا من الشرك، وأقاموا الصلاة المفروضة، وآتوا الزكاة من الأموال العين والمواشي والثمار، فخلوا سبيلهم حتى يذهبوا حيث شاءوا، {إن الله غفور} [التوبة: ٥] لمن تاب وآمن، رحيم به، {وإن أحد من المشركين} [التوبة: ٦] الذين أمرتك بقتلهم استجارك طلب منك الأمان والجوار، فأجره من القتل، {حتى يسمع كلام الله} [التوبة: ٦] القرآن وما أمر به ونهى عنه، {ثم أبلغه مأمنه} [التوبة: ٦] الموضع الذي يأمن فيه، {ذلك بأنهم قوم لا يعلمون} [التوبة: ٦] أي: الأمر ذلك، وهو أن يعرفوا ويجاروا لجهلهم، فربما يعرفون فيسلمون، ثم قال على وجه الإنكار: {كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين {٧} كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون {٨} اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون {٩} لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون {١٠} فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون {١١} وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون {١٢} } [التوبة: ٧-١٢] {كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله} [التوبة: ٧] أي: لا يكون لهم عهد وهم يغدرون وينقضون، {إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام} [التوبة: ٧] وهم بنو ضمرة الذين ذكرنا، {فما استقاموا لكم} [التوبة: ٧] في وفاء العهد فاستقيموا لهم على الوفاء بإتمام أجلهم، {إن الله يحب المتقين} [التوبة: ٧] من اتقى الله في أداء فرائضه والوفاء بعهده لمن عاهده.

قوله: {كيف وإن يظهروا عليكم} [التوبة: ٨] أي: كيف يكون للمشركين عهد وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم: يقدروا عليكم، ويظفروا بكم، {لا يرقبوا فيكم} [التوبة: ٨] لا يحفظوا فيكم، إلا قرابة، ولا ذمة عهدا، يرضونكم بأفواههم يقولون كلاما حلوا، وتأبى قلوبهم الوفاء بما يقولون، وأكثرهم فاسقون كاذبون ناقضون للعهد.

{اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا} [التوبة: ٩] استبدلوا بالقرآن متاع الدنيا، {فصدوا عن سبيله} [التوبة: ٩]

فأعرضوا عن طاعته، {إنهم ساء ما كانوا يعملون} [التوبة: ٩] من اشترائهم الكفر بالإيمان، ثم ذمهم بترك المراقبة للعهد والذمة للمؤمنين بقوله: {." (١)

"حجارة قال الزجاج: معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا.

وهذا قول ابن جريج، قال: كانت عليها سيما لا تشاكل حجارة الأرض.

وقال الحسن، والسدي: كانت مختومة عليها أمثال الخواتيم.

وقال قتادة، وعكرمة: كان بها نضخ من حمرة فيها خطوط حمر على هيئة الجذع.

وقوله: عند ربك أي: في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها إلا بإذنه، وقوله: {وما هي من الظالمين ببعيد} [هود: ٨٣] قال قتادة: والله ما أجار الله منها ظالما بعد قوم لوط، فاتقوا الله وكونوا على حذر.

وأكثر المفسرين على أن المراد بالظالمين ههنا كفار قريش يرهبهم الله بها.

{وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط {٨٤} ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين {٨٥} بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ {٨٦} قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد {٨٧} قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب {٨٨} ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد {٨٩} واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود {٩٠} قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز {٩١} قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط {٩٢} ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب {٩٣} ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤٧٩/٢

{٩٤} كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود {٩٥} } قوله تعالى: وإلى مدين مفسر إلى قوله: {ولا تنقصوا المكيال والميزان} [هود: ٨٤] أي: لا تطففوا ولا تبخسوا حق الناس." (١)

"يصيبكم عذاب العاجلة {مثل ما أصاب} [هود: ٨٩] من قبلكم، والمعنى: لا تخالفوني فتستحقوا العذاب والهلاك كما استحق غيركم من الأمم بمخالفتهم أنبياءهم، وقوله: {وما قوم لوط منكم ببعيد} [هود: ٨٩] قال قتادة: أي: في الزمان الذي بينكم وبينهم.

قال الزجاج: وكان إهلاك قوم لوط أقرب الإهلاكات التي عرفوها فكأنه قال لهم: العظة في قوم لوط قريبة منكم.

واستغفروا ربكم اطلبوا منه المغفرة وتوسلوا إليه بالتوبة، وهو قوله: {ثم توبوا إليه إن ربي رحيم} [هود: ٩٠] بمن تاب إليه ودود قال ابن الأنباري: الودود في أسماء الله تعالى المحب لعباده من قولهم: وددت أود ودا وودودا ووداده.

وقال الأزهري حاكيا عن بعض أهل اللغة: إن الودود يجوز أن يكون بمعنى المودود، ومعناه: أن عبادة المؤمنين يودونه ويحبونه لما عرفوا من فضله وإحسانه إليهم.

قوله: {قالوا يا شعيب ما نفقه} [هود: ٩١] ما نفهم {كثيرا مما تقول} [هود: ٩١] قال ابن الأنباري: معناه: ما نفقه صحة كثير مما تقول، يعنون من التوحيد والبعث وما يأمرهم به من الزكاة وترك البخس {وإنا لنراك فينا ضعيفا} [هود: ٩١] قال سعيد بن جبير، وقتادة: أعمى.

وهو قول ابن عباس، قال الزجاج: لغة حمير تسمى الضرير ضعيفا، لأنه ضعف بذهاب بصره.

قوله: ولولا رهطك عشيرتك وقومك لرجمناك قتلناك، قال الزجاج: والرجم من شر القتلات، وكان رهط شعيب من أهل ملتهم، فلذلك أظهروا إليهم.

{وما أنت علينا بعزيز} [هود: ٩١] أي: لست بممتنع علينا من أن نقتلك لولا ما نراعي من حق عشيرتك، {قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله} [هود: ٩٢] يقول: أنتم تزعمون أنكم تتركون قتلي إكراما لرهطي، والله عز وجل أولى بأن يتبع أمره، كأنه يقول: حفظكم إياي في الله أولى منه في رهطي.

قوله: {واتخذتموه وراءكم ظهريا} [هود: ٩٢] الظهري: الشيء الذي تنساه وتغفل عنه، قال ابن عباس: يريد ألقيتموه خلف ظهوركم وامتنعتم من قتلي مخافة قومي والله أعز وأكبر من جميع خلقه.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢/٥٨٥

وقال الفراء: يعني: تعظمون أمر رهطي وتتركون أن تعظموا الله وتخافوه.
{إن ربي بما تعملون محيط} [هود: ٩٢] عالم بأعمالكم وهو يجازيكم بها، وما بعد هذا تقدم تفسيره إلى قوله: {وارتقبوا إني معكم رقيب} [هود: ٩٣] قال ابن عباس: ارتقبوا العذاب إني مرتقب من الله الرحمة والثواب.
قوله: {وأخذت الذين ظلموا الصيحة} [هود: ٩٤] صاح بهم جبريل صيحة فماتوا في أمكنتهم، {ألا بعدا لمدين} [هود: ٩٥] أي: بعدوا من رحمة الله {كما بعدت ثمود} [هود: ٩٥] قال ابن الأنباري: العرب تقول: بعد الطريق يبعد، وبعد الميت يبعد.
إذا هلك والمصدر فيها البعد.." (١)

"مولودا يولد في بني إسرائيل يكون سبب في ذهاب ملكك.
قال الزجاج: والعجب من حمق فرعون إن كان هذا الكاهن عنده صادقا فما ينفع القتل، وإن كان كاذبا فما معنى القتل.
وقوله: {إنه كان من المفسدين} [القصص: ٤] بالقتل والعمل بالمعاصي.
{ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض} [القصص: ٥] أي: ننعم عليهم، وهم بنو إسرائيل، {ونجعلهم أئمة} [القصص: ٥] يقتدى بهم في الخير، وقال قتادة: ولاة وملوكا.
قال مجاهد: دعاة إلى الخير.
{ونجعلهم الوارثين} [القصص: ٥] لملك فرعون، يخلفونه بعده في مساكنه.
{ونمكن لهم في الأرض} [القصص: ٦] قال ابن عباس: نملكهم ما كان يملك فرعون وقومه {ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون} [القصص: ٦] أي: ما كانوا يخافونه من المولود الذي يذهب ملكهم على يده.
وقرأ حمزة ويرى بالياء فرعون وما بعده رفعا، والاختيار قراءة العامة، ليكون الكلام من وجه واحد.
قوله: }وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين {٧} فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين {٨} وقالت امرأة فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا

---
(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٥٨٧/٢

يشعرون {٩} } [القصص: ٧-٩] {وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه} [القصص: ٧] قال قتادة: قذفنا في قلبها وليس بوحي إرسال.

وقال مقاتل: أتاها جبريل بذلك.

٦٩٦ - أخبرنا أبو الحسن بن أبي نصر السوادي، أنا محمد بن عبد الله بن محمد بن نعيم، أنا الحسن بن محمد الإسفراييني، نا محمد بن البراء، أنا عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه، عن وهب بن منبه، قال: لما حملت أم موسى بموسى، عليه السلام، كتمت أمرها من جميع الناس، فلم يطلع على حبلها أحد من خلق الله، وذلك شيء ستره الله لما أراد أن يمن على بني إسرائيل، فلما كانت السنة التي ولد فيها موسى بعث فرعون القوابل وتقدم إليهن ففتش النساء تفتيشا لم يفتشه قبل ذلك، وحملت أم موسى بموسى فلم ينم بطنها، ولم يتغير لونها، ولم يظهر لبنها، وكانت القوابل لا تعرض لها، فلما كانت الليلة التي ولد فيها موسى ولدته أمه ولا رقيب عليها ولا قابلة، ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم، وأوحى الله إليها: {أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم} قال: فكتمته أمه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك، فلما خافت عليه عملت له تابوتا مطبقا، ومهدت له فيه، ثم ألقته في البحر ليلا كما أمرها الله، فلما أصبح فرعون جلس في مجلسه على شاطئ النيل فبصر بالتابوت، فقال لمن حوله من خدمه: ايتوني بهذا التابوت، فأتوه به، فلما وضع بين يديه فتحوه فوجد فيه موسى، عليه السلام، فلما نظر إليه فرعون؛ قال: عبراني من الأعداء، فغاظه ذلك فقال: أخطأ هذا." (١)

"شاءت تزوجت من يومها.

وقوله: تعتدونها أي: تحصون عليها العدة بالأقراء أو الأشهر، فمتعوهن قال ابن عباس: هذا إذا لم يكن سمى لها صداقا، فإذا فرض لها صداقا فلها نصفه.

والمطلقة قبل المسيس لا تستحق المتعة مع نصف المهر، فإذا لم يفرض لها صداقا فإنها تستحق المتعة واجبة لها على قول أكثر الناس.

{وسرحوهن سراحا جميلا} [الأحزاب: ٤٩] من غير ضرار.

قوله: {يأيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٣٩٠

إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما {٥٠} ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما {٥١} لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا {٥٢} } [الأحزاب: ٥٠-٥٢] {يأيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك} [الأحزاب: ٥٠] ذكر الله تعالى في هذه الآية أنواع الأنكحة التي أحلها للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: {أزواجك اللاتي آتيت أجورهن} [الأحزاب: ٥٠] أي مهورهن، يعني اللاتي يتزوجن بصداق، {وما ملكت يمينك} [الأحزاب: ٥٠] يعني: الجواري التي يملكها، {مما أفاء الله عليك} [الأحزاب: ٥٠] رده عليك من الكفار بأن تسبيه فتملكه، {وبنات عمك وبنات عماتك} [الأحزاب: ٥٠] يعني نساء قريش، {وبنات خالك وبنات خالاتك} [الأحزاب: ٥٠] فتملكهن، يعني نساء بني زهرة، {اللاتي هاجرن معك} [الأحزاب: ٥٠] إلى المدينة، وهذا إنما كان قبل تحليل غير المهاجرات، ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل: {وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي} [الأحزاب: ٥٠] أي: وأحللنا لك امرأة، مؤمنة مصدقة بتوحيد الله، وهبت نفسها منك بغير صداق، وغير المؤمنة لا تحل إن وهبت منه نفسها، {إن أراد النبي أن يستنكحها} [الأحزاب: ٥٠] إن آثر النبي نكاحها وأراد ذلك، {خالصة لك من دون المؤمنين} [الأحزاب: ٥٠] خاصة لك دون غيرك، قال ابن عباس: يقول: لا يحل هذا لغيرك وهو لك حلال.

وهذا من خصائصه في النكاح، وكان ينعقد النكاح له بلفظ الهبة من غير ولي ولا شهود، ولا ينعقد لأحد نكاح بلفظ الهبة، وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه، وأجاز أهل الكوفة النكاح بلفظ الهبة إذا حضر الولي والشهود.

ثم أخبر الله تعالى عن المؤمنين، فقال: {قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم} [الأحزاب: ٥٠] يقول: ما أوجبنا عليهم أن لا يتزوجوا أكثر من أربع بمهر وولي وشهود، فلا ينعقد نكاحهم إلا بالأولياء والشهود. {وما ملكت أيمانهم} [الأحزاب: ٥٠] ممن يجوز سبيه وحربه، فأما من كان له عهد فلا، وقوله: {لكيلا يكون عليك حرج} [الأحزاب: ٥٠] ضيق في أمر النكاح، ومنع من شيء تريده، وهذا فيه تقديم لأن." (١)

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤٧٧/٣

"حسنهن} [الأحزاب: ٥٢] أي: إن أعجبك جمالهن فليس لك أن تطلق من نسائك وتنكح بدلها امرأة أعجبت بجمالها.

{إلا ما ملكت يمينك} [الأحزاب: ٥٢] يعني الولائد، قال ابن عباس: ملك بعد هؤلاء مارية.

{وكان الله على كل شيء} [الأحزاب: ٥٢] من أعمال العباد، رقيبا حافظا.

{يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما {٥٣} إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما {٥٤} لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا {٥٥} } [الأحزاب: ٥٣-٥٥] قوله: {يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي} [الأحزاب: ٥٣]

٧٥٩ - أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبيد الله المخلدي، أنا الحسين بن علي بن محمد الدارمي، أنا محمد بن المسيب، نا الحسين بن سيار الحراني، نا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، قال، عن ابن شهاب قال: قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بالحجاب، لقد كان أبي بن كعب يسألني عنه أصبح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عروسا بزينب بنت جحش، فدعا الناس لطعام بعد ارتفاع النهار، فجلس رجال بعد ما قام القوم حتى قام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فمشى ومشينا معه حتى بلغ باب حجرة عائشة، رضي الله عنها، ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم جلوس في مكانهم، فأنزل الله آية الحجاب، رواه مسلم، عن عمرو الناقد، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه

وق،له: {إلا أن يؤذن لكم إلى طعام} [الأحزاب: ٥٣] أي: يدعو إليه، غير ناظرين منتظرين، إناه نضجه وإدراكه، يقال: أنا يأني إناء إذا حان وقت إدراكه، وكانوا يدخلون بيته فيجلسون منتظرين إدراك الطعام، فنهوا من ذلك.

وقوله: {ولا مستأنسين لحديث} [الأحزاب: ٥٣] أي: بعد أن تأكلوا، كانوا يجلسون أيضا بعد الطعام يتحدثون طويلا، وكان يؤذيه ذلك ويستحي، أي: وكان يؤذيه ذلك ويستحي أن يقول لهم قوموا، فذلك قوله: {إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم} [الأحزاب: ٥٣] قال الزجاج: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحتمل إطالتهم كرما منه، ويصبر على الأذى في ذلك، فعلم الله من يحضره الأدب، فصار أدبا لهم

ولمن بعدهم.
وقوله: {." (١)

"والنخل باسقات طوالا، يقال: بسقت النخلة بسوقا إذا طالت، لها طلع وهو: أول ما يظهر من ثمر النخل قبل أن ينشق، نضيد منضود بعضه على بعض، وذلك قبل أن ينفتح وهو نضيد في أكمامه، فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد.
رزقا للعباد أي: أنبتنا هذه الأشياء للرزق، {وأحيينا به بلدة ميتا} [ق: ١١] يعني: بالمطر أنبتنا الكلأ، كذلك الخروج من القبور، أي: كما خلقنا هذه الأشياء نبعثكم.
ثم ذكر الأمم المكذبة، تخويفا لكفار مكة، فقال: {كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود {١٢} وعاد وفرعون وإخوان لوط {١٣} وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد {١٤} أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد {١٥} } [ق: ١٢-١٥] .
{كذبت قبلهم قوم نوح} [ق: ١٢] إلى قوله: وقوم تبع وهو: تبع الحميري، الذي ذكر في قوله: {أهم خير أم قوم تبع} [الدخان: ٣٧] ، كل من هؤلاء المذكورين: {كذب الرسل فحق وعيد} [ق: ١٤] أي: وجب عليهم عذابي، وحقت عليهم كلمة العذاب.
ثم أنزل جوابا لقولهم: {ذلك رجع بعيد} [ق: ٣] : {أفعيينا بالخلق الأول} [ق: ١٥] يعني: أعجزنا حين خلقناهم أولا ولم يكونوا شيئا؟ فكيف نعجز عن بعثهم؟ وهذا تقرير لهم، لأنهم اعترفوا بأن الله هو الخالق، وأنكروا البعث، ويقال لكل من عجز عن شيء: عيي به.
ثم ذكر أنهم في شك من البعث بعد الموت، فقال: {بل هم في لبس من خلق جديد} [ق: ١٥] أي: في ضلال وشك عن إعادة الخلق جديدا.
{ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد {١٦} إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد {١٧} ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد {١٨} وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد {١٩} ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد {٢٠} وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد {٢١} لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد {٢٢} } [ق: ١٦-٢٢] .

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤٧٩/٣

قوله: {ولقد خلقنا الإنسان} [ق: ١٦] ابن آدم، {ونعلم ما توسوس به نفسه} [ق: ١٦] يحدث به قلبه، أي: نعلم ما يخفي، ويكن في نفسه، {ونحن أقرب إليه} [ق: ١٦] بالعلم، {من حبل الوريد} [ق: ١٦] وهو عرق يتفرق في البدن،." (١)

"مخالط للإنسان في جميع أعضاءه، وذلك أن أبعاض الإنسان يحجب بعضها بعضا، ولا يحجب علم الله عنه شيء.

ثم ذكر أنه مع علمه، وكل به ملكين، يكتبان ويحفظان عليه عمله، إلزاما للحجة، فقال: {إذ يتلقى المتلقيان} [ق: ١٧] قال مقاتل: يعني: الملكين يتلقيان عمل ابن آدم ومنطقه، أي: يأخذان ذلك ويثبتانه. والتلقي: الأخذ، ذكر ذلك عند قوله: {فتلقى آدم من ربه كلمات} [البقرة: ٣٧] ، {عن اليمين وعن الشمال قعيد} [ق: ١٧] أراد: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، فاكتفى بأحدهما عن الآخر، والمراد بالقعيد ههنا: الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم.

قال مجاهد: عن اليمين كاتب الحسنات، وعن الشمال كاتب السيئات.

{ما يلفظ من قول} [ق: ١٨] ما يتكلم عن كلام، فيلفظه، أي: يرميه من فمه، {إلا لديه رقيب} [ق: ١٨] حافظ، يعني: الملك الموكل به: إما صاحب اليمين، وإما صاحب الشمال، عتيد حاضر معه أينما كان.

٨٧٤ - أخبرنا أبو منصور بن أبي طاهر، أنا أبو عمرو بن مطر، أنا جعفر بن محمد بن المستفاض، نا إبراهيم بن العلاء، نا إسماعيل، عن عاصم بن رجاء بن حيوة، عن عروة بن رويم، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات، عن العبد المسلم المخطئ أو المسيء، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتب واحدة»

٨٧٥ - أخبرنا المفضل بن." (٢)

"يتفكرون} [الحشر: ٢١] .

ثم أخبر بربوبيته وعظمته، فقال: هو الله وتفسير هذا سبق فيما تقدم، إلى قوله: القدوس وهو الطاهر من كل عيب، المنزه عما لا يليق به، السلام الذي سلم من النقص والعيب، المؤمن الذي أمن أولياءه عذابه،

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ١٦٤/٤

(٢) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ١٦٥/٤

المهيمن الشهيد على عباده بأعمالهم، وهو قول قتادة، ومجاهد، ومقاتل، يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن. إذا كان رقيبا على الشيء، وذهب كثير من المفسرين إلى أنه: مؤيمن على الأصل من آمن يؤمن، فيكون بمعنى: المؤمن، وذكرنا هذا فيما تقدم، الجبار العظيم، وجبروت الله عظمته، والعرب تسمى الملك: الجبار العظيم، ويجوز أن يكون فعالا من جبر، إذا أغنى الفقير، وأصلح الكسير، يجوز أن يكون من جبره على كذا، إذا أكرهه على ما أراد، وهو قول السدي، ومقاتل، قالا: هو الذي يقهر الناس، ويجبرهم على ما أراد. وهو اختيار الزجاج، {المتكبر} [الحشر: ٢٣] قال قتادة: الذي تكبر على كل سوء.

وقال ابن الأنباري: المتكبر: ذو الكبرياء وهو الملك.

وقال أهل المعاني: المتكبر في صفة الله تعالى الكبير.

والعرب تضع تفعل في موضوع فعل، مثل: تظلم بمعنى ظلم، وتشتم بمعنى: شتم، والباقي إلى آخر السورة تقدم تفسيره فيما سبق.." (١)

"بصنع يحيى بن زكريا من ماء الأردن» (١)، والثاني «لأنه كان يمسح التراب فينام عليه بلا فراش ولا بساط» (٢).

وفي قوله تعالى: {إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي} [آل عمران:٥٥] نقل أقوالا كثيرة للمفسرين عن المصلوب مكان المسيح عليه السلام، أحدها لم أجده وهو أن «المصلوب هو الموكل الذي كان عليه رقيبا» (٣).

وفي توجيه باء (بالله) في قوله تعالى: {بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا} [آل عمران:١٥١] ذكر رأيا لم أجده فقال: {بالله:} الباء بمعنى (مع)» (٤).

وفي توجيه إعراب (جهد) من قوله تعالى: {أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم} [المائدة:٥٣] رأى أنه «نصب بنزع (في)» (٥).

وفي قوله تعالى: {إنه من يشرك بالله} [المائدة:٧٢] قال: «قيل: من كلام عيسى، وقيل: استئناف كلام من الله عز وجل»، ثم انفرد برأي في هاء (إنه) فقال: «والهاء ضمير الأمر والشأن» (٦).

وانفرد برأي آخر في توجيه قوله تعالى: {وجعل الظلمات والنور} [الأنعام:١] فقال:

«هما صفتان للسموات والأرض، فكأن التقدير: وجعلهن مظلمة ومنيرة، كما قال: {وجعل لكم السمع

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢٧٩/٤

والأبصار والأفئدة} [النحل:٧٨]» (٧).
وفي قوله تعالى: {قل الله شهيد بيني وبينكم} [الأنعام:١٩] انفرد برأي قال فيه:
«وإنما لم يقل: شهيد لي ولكم؛ لأن الشهادة لم تكن لهم، وإنما لم يقل: علي وعليكم؛ لأن الشهادة لم تكن عليه» (٨).
وفي توجيه (من إله) في قوله تعالى: {من إله غير الله يأتيكم به} [الأنعام:٤٦] رأى أن «فحوى الكلام يدل على أنه جواب الشرط وليس بمبتدأ» (٩)، ولم أقف على هذا الرأي.

---

(١) درج الدرر ٣١١.
(٢) درج الدرر ٣١١ - ٣١٢.
(٣) درج الدرر ٣١٧.
(٤) درج الدرر ٣٥٧.
(٥) درج الدرر ٤٩٣.
(٦) درج الدرر ٤٩٩.
(٧) درج الدرر ٥٢٠.
(٨) درج الدرر ٥٢٤.
(٩) درج الدرر ٥٣١.." (١)

"٥٤ - {ومكروا ومكر (١)}: عامل في الظرف.
و (المكر): إيصال الشر في السر، فمكرهم ما احتالوا من قتل عيسى وفي صلبه (٢).
{ومكر الله:} صونه عيسى عن بأسهم، وصرفه الشر إليهم في الدنيا والآخرة من حيث لا يشعرون (٣).
وإنما قيل: {خير الماكرين} لأن إيصال الشر ما يمدح، وذلك إذا كان مع العدو من غير غدر (٤) وخيانة فالله متصف به خير الماكرين.

٥٥ - {إني متوفيك:} قيل: أمات الله عيسى ثلاث ساعات (٥)، ثم أحياه ورفعه من غير صلب ولا قتل،

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٤٢/١

وألقى [الله] (٦) مثاله على غيره (٧). وقيل (٨): «متوفيك: قابضك». وقال الفراء (٩): في الآية تقديم وتأخير، وتقديرها: إني رافعك ومطهرك من الذين كفروا، أي: في الحال، ومتوفيك، أي (١٠): بعد الزوال. وقال السدي: المصلوب رئيس من رؤساء اليهود، دخل ليخرج عيسى عليه السلام من بيته فألقى الله مثاله عليه، ورفعه عليه السلام (١١).

وقيل: المصلوب هو الموكل الذي كان عليه رقيبا.

وقيل: المصلوب الذي ارتد من الحواريين، وسعى (١٢) بعيسى عليه السلام، ودل اليهود عليه (١٣).

وقيل: إنه أخبر برفعه فاتخذ ضيافة لأصحابه وأطعمهم، ثم أتى بماء فتطهروا به، ثم طلب منهم أن يسألوا الله تعالى تبقيته فيما بينهم، وخرج من عندهم، ثم اطلع عليهم فوجدهم

---

(١) في الأصل وك وب: مكرا.

(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٤٧٦ - ٤٧٧، ومجمع البيان ٢/ ٣٠٢ و ٣٠٤، والتفسير الكبير ٨/ ٦٥.

(٣) في ب: لا يشعروا. وينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢١٨، وتفسير الطبري ٣/ ٣٩٣، والبغوي ١/ ٣٠٧.

(٤) في الأصل: عذر. وينظر: التفسير الكبير ٨/ ٦٦ - ٦٧، والبحر المحيط ٢/ ٤٩٦.

(٥) في ك: مرات. وينظر: تفسير الطبري ٣/ ٣٩٥، ومعاني القرآن الكريم ١/ ٤١٠، وتفسير البغوي ١/ ٣٠٨.

(٦) من ك.

(٧) بعدها في ك: وقيل غيره، وهي مقحمة.

(٨) معاني القرآن للفراء ١/ ٢١٩، وتفسير غريب القرآن ١٠٦، ومعاني القرآن الكريم ١/ ٤٠٩.

(٩) وعبارته في معاني القرآن ١/ ٢١٩: «يقال: إن هذا مقدم ومؤخر. والمعنى فيه: إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالي إياك في الدنيا».

(١٠) في ك: إلى.

(١١) ينظر: تفسير البغوي ١/ ٣٠٧، والخازن ١/ ٢٥١.

(١٢) في الأصل وع وب: وشقي.

(١٣) ينظر: تفسير البغوي ١/ ٣٠٧، والتفسير الكبير ٨/ ٦٦، وتفسير الخازن ١/ ٢٥١.." [(١)]

"{واتقوا الله:} للتكرار (١)، كما في قوله: {فقتل كيف قدر (١٩) ثم قتل كيف قدر} (٢٠) [المدثر:١٩ - ٢٠]، وقوله: {أولى لك فأولى (٣٤) ثم أولى لك فأولى} (٣٥) [القيامة:٣٤ - ٣٥].

وإنما عرف نفسه (٢) سبحانه وتعالى بالخلق والتساؤل به؛ لأن الخالق يستحق العبادة، والمخلوق به يستحق التعظيم.

[والرقيب:] (٣) دائم النظر على وجه التحفظ.

٢ - {وآتوا اليتامى أموالهم:} نزلت في رجل من غطفان، وكان لابن أخ له عنده مال، فلما بلغ امتنع عن رده، فشكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت، فرد عليه المال (٤).

وسمى اليتامى بالحالة (٧١ أ) الماضية (٥)، كقول عمر لبلال: ألا إن العبد قد نام (٦)، وقول ابن عمر رضي الله عنه (٧): «ما زدناك على عجوة وزبيب».

{ولا تتبدلوا:} تستبدلوا {الخبيث بالطيب:} أي: الحرام بالحلال (٨)، قال ابن المسيب والضحاك والسدي والزهري: إنه أن تأخذ من مال اليتيم شاة سمينة ,وتعطيه شاة مهزولة (٩).

{إلى أموالكم:} «أي: مع أموالكم» (١٠)، كقوله: {من أنصاري إلى الله} [آل عمران:٥٢].

(الحوب): الإثم (١١)، وقال الفراء (١٢): «الإثم العظيم»، وفي الحديث: (رب تقبل توبتي واغسل حوبتي) (١٣). وقد يطلق بمعنى الحاجة، ومنه قيل في الدعاء: إليك أرفع حوبتي (١٤).

---

(١) ينظر: التفسير الكبير ٩/ ١٦٤، وتفسير القرطبي ٥/ ٢.

(٢) ليس في ب.

(٣) في الآية نفسها: إن الله كان عليكم **رقيبا**. وينظر: مجمع البيان ٣/ ٧، وزاد المسير ٢/ ٧٨، وتفسير القرطبي ٥/ ٧ - ٨.

(٤) ينظر: تفسير القرآن الكريم ٢/ ٢٤٩، وتفسير البغوي ١/ ٣٩٠، والكشاف ١/ ٤٦٤.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٤٠٢/١

(٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٣/ ١٠١، وتفسير البغوي ١/ ٣٩٠، والكشاف ١/ ٤٦٤.
(٦) في مصادر التخريج أنه أمر من النبي صلى الله عليه وسلم له أن ينادي بذلك بعد أن أدن للفجر قبل دخول الوقت، ينظر: سنن أبي داود ١/ ١٤٦، وشرح معاني الآثار ١/ ١٣٩، والسنن الكبرى للبيهقي ١/ ٣٨٤.
(٧) الأولى: عنهما. وقوله في الآثار ٢٢٦، والدراية ٢/ ٢٤٩، وتحفة الأحوذي ٥/ ٥٠٧.
(٨) ينظر: تفسير مجاهد ١/ ١٤٣، والطبري ٤/ ٣٠٣، ومعاني القرآن الكريم ٢/ ٩.
(٩) في ب: هزيلة. وينظر: تفسير الطبري ٤/ ٣٠٤، والبغوي ١/ ٣٩٠، وزاد المسير ٢/ ٧٩.
(١٠) معاني القرآن للأخفش ١/ ٤٣١، وتفسير غريب القرآن ١١٨، ومعاني القرآن الكريم ٢/ ٩.
(١١) ينظر: غريب القرآن وتفسيره ١١٣، وتفسير غريب القرآن ١١٨، والإتقان ١/ ١٣٨.
(١٢) معاني القرآن ١/ ٢٥٣.
(١٣) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢٣٦، وسنن أبي داود ٢/ ٨٣، ومختصر كتاب الوتر ١٧٢.
(١٤) ينظر: تفسير القرطبي ٥/ ١٠، والبحر المحيط ٣/ ١٥٩.." (١)

"و (الفقه): إدراك العلم بالفهم، فقه، إذا فهم، وفقه، إذا صار فقيها (١).

٧٩ - {ما أصابك من حسنة:} ليس بين الآيتين تضاد؛ لأنه تعالى قال: ما أصابك من حسنة، ولم يقل: ما أصابهم من حسنة فمن الله وما أصابهم من سيئة فمن نفسك، ولو كان قال هكذا لحملنا الأول على الحكاية والثاني على الاستفهام بمعنى الإنكار. وهذه في معنى (٢) قوله:
{وما بكم من نعمة فمن الله} [النحل:٥٣]، {وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم} [الشورى:٣٠]، أي: النعم مبتدأة (٣) من الله تعالى قبل الاستحقاق والاستيهال، والحوادث إنما يقضى (٤) بها لاستيهالنا إياها بكوننا محلا لها، ولاستيجابنا (٥) إياها بارتكاب الجرائم (٦).
وإنما قال: {وكفى بالله شهيدا؛} لأن [في] (٧) قوله: {وأرسلناك للناس} شهادة (٨).

٨٠ - {من يطع الرسول:} الإطاعة: الائتمار بأمر الآمر والانتهاء إلى قوله دون منة، أو أنه في فعله. وليس

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٤٦٢/١

يطيع الرسول من ينكر نسخ القرآن بالسنة، وإنما كانت طاعته (٩) طاعة الله تعالى؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لم ينطق عن الهوى.

{فما أرسلناك:} أي: لم نبعثك جبارا عليهم لتحفظهم عن التولي بالخبر، قيل: وهذا منسوخ بآية السيف، لم نبعثك رقيبا عليهم لتحفظهم في السر والعلانية (١٠).

٨١ - {ويقولون طاعة:} نزلت في المنافقين (١١).

و (طاعة): خبر مبتدأ محذوف (١٢).

(يبيتون): والتبييت إذا وقع على المعاني هو التفكير (١٣) بالليل، وإذا وقع على الذوات فهو

---

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٣/ ٢٦٤، ومجمع البيان ٣/ ١٣٦، ولسان العرب ١٣/ ٥٢٢ (فقه).

(٢) في ك: بمعنى، بدل (في معنى).

(٣) في ب: المبتدأة.

(٤) في ك: تقضى.

(٥) في ع: ولاستباحتنا، وفي ب: ولاستجابنا.

(٦) ينظر: تفسير البغوي ١/ ٤٥٤ - ٤٥٥.

(٧) من ب.

(٨) ينظر: تفسير البغوي ١/ ٤٥٥، وزاد المسير ٢/ ١٥٧.

(٩) ساقطة من ب.

(١٠) ينظر: تفسير البغوي ١/ ٤٥٥، وزاد المسير ٢/ ١٥٨ - ١٥٩.

(١١) ينظر: تفسير القرآن الكريم ٢/ ٣٧١، وتفسير البغوي ١/ ٤٥٥، وزاد المسير ٢/ ١٥٩.

(١٢) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢٧٨، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٢٠٤، ومجمع البيان ٣/ ١٣٩.

(١٣) في ك وب: وهو التفكر، بدل (هو التفكير). وينظر: معاني القرآن الكريم ٢/ ١٣٧ - ١٣٨، وتفسير البغوي ١/ ٤٥٥، والتفسير الكبير ١٠/ ١٩٥.." [1]

---

[1] درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ١/٥٠٩

"رفعه إلى السماء (١). فالسؤال سؤال لوم وتقريع للنصارى عند الجمهور، وسؤال (٢) الابتلاء والاختبار.

(١٠٢ و) عند السدي. روي أن عيسى عليه السلام لما سئل هذا السؤال أرعد كل مفصل منه، وانفجرت من تحت كل شعرة عين دم (٣).

{إن كنت قلته فقد علمته:} تأكيد للنفي، إذ لا يصح شيء من الأشياء لا يعلمه الله تعالى. والعلم أعم من السمع (٤)، قال: {وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى} (٧) [طه:٧].

{تعلم ما في نفسي:} مضمر ما في قلبي، {ولا أعلم:} ما هو مستور في غيبك (٥).

وإنما ذكر النفس بمزدوج (٦) الكلام، ولا يحل نفس الله شيء من الحوادث، تعالى الله أن يكون ظرفا (٧) للأشياء.

١١٧ - {أن اعبدوا الله:} ترجمة للمستثنى المقول (٨).

{عليهم شهيدا ما دمت فيهم:} أي: شهدت عليهم وعلمت خيرهم وشرهم (٩).

{الرقيب:} الشهيد (١٠).

١١٨ - {إن تعذبهم:} قول عيسى عليه السلام، إرجاء منه الأمر إلى الله، وترك للتحكم والتألي عليه كما قال نوح: {ولا أقول للذين تزدري أعينكم،} الآية [هود:٣١]، وقال إبراهيم: {فمن تبعني فإنه مني} (١١)، الآية [إبراهيم:٣٦].

وإنما قال: {العزيز الحكيم} ليبين أن مغفرته لم تقع عن جهل ولا عجز، ولكنه يغفر (١٢)

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ١٨٣ و ١٨٥، ومعاني القرآن الكريم ٢/ ٣٨٩، وتفسير البغوي ٢/ ٨٠.

(٢) في ك: سؤال. وينظر: تفسير البغوي ٢/ ٨٠ - ٨١.

(٣) ينظر: تفسير البغوي ٢/ ٨١.

(٤) في ك: السر، وفي ع: الشيء.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ١٨٦، والقرطبي ٦/ ٣٧٦.

(٦) في الأصل وك وع: لمردوح. وينظر: التبيان في تفسير القرآن ٤/ ٦٨، ومجمع البيان ٣/ ٤٦٠،

والتفسير الكبير ١٢/ ١٣٥.

(٧) في الأصل وك وع: طرفا.

(٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٢٣، والتبيان في تفسير القرآن ٤/ ٧٠، ومجمع البيان ٣/ ٤٥٩.

(٩) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ١٨٦، والتفسير الكبير ١٢/ ١٣٥.

(١٠) ينظر: الكشاف ١/ ٦٩٦، والبحر المحيط ٤/ ٦٥.

(١١) (وترك للتحكم. . . فإنه مني) ليس في ك. وينظر: مجمع البيان ٣/ ٤٦١، والتفسير الكبير ١٢/ ١٣٦.

(١٢) مكانها في ب بياض.." [١]

"و (البصر): الإحساس بالعين، أو العقل بالقلب (١). وأولو الأبصار: ذوو العقول والآراء.

و {اللطيف:} نافذ العلم دقيق العمل (٢)، وقيل (٣): اللطيف الذي ليس يكشف.

١٠٤ - {قد جاءكم:} (قل) مضمر في أول الآية (٤).

و (الحفيظ): في معنى **الرقيب** والوكيل (٥).

١٠٨ - {ولا تسبوا:} قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين: لتمسكن عن ذكر آلهتنا أو لنهجون إلهكم، فنهى الله تعالى عن سب آلهتهم، وتعبد المؤمنين بترك تسبب الكفر، ولو شاء الله لأخرسهم وختم على أفواههم (٦). والسب هو الشتم (٧) والوقيعة.

و (العدو): من الاعتداء (٨)، كقوله: {بغيا وعدوا} [يونس:٩٠].

١١٠ - {أفئدتهم:} جمع فؤاد، وهو أول الأعضاء الرئيسة، وهو مركز الحرارة الغزيرة (٩)، ولحم فئيد: مشوي، والمفأد: السفود (١٠).

{كما لم يؤمنوا:} أي: جزاء لكفرهم (١١) بالنبي صلى الله عليه وسلم.

{أول مرة:} عند انشقاق القمر، والتحدي بالقرآن، والرجوع من بيت المقدس (١٢).

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٥٩٦/١

ويحتمل أن الوعيد عقباوي والتشبيه وقع لحالة الدنيا (١٣).

١١١ - وفي (١٤) قوله: {ولو أننا نزلنا:} الآية دالة أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (١٥)، وهؤلاء الجاهلين القدرية.

---

(١) ينظر: زاد المسير ٣/ ٦٨، ولسان العرب ٤/ ٦٤ - ٦٥ (بصر).
(٢) ينظر: التفسير الكبير ١٣/ ١٣٣.
(٣) ينظر: الكشاف ٢/ ٥٤.
(٤) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ٣٩٦.
(٥) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ٣٩٧، والوجيز ١/ ٣٦٩، والبحر المحيط ٤/ ٢٠٠.
(٦) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ٤٠٣، وتفسير القرآن الكريم ٣/ ٣٠٣ - ٣٠٤، وتفسير البغوي ٢/ ١٢١.
(٧) في ب: هو السب والشتم، بدل (والسب هو الشتم). وينظر: التبيان في تفسير القرآن ٤/ ٢٣٢، ومجمع البيان ٤/ ١٣١، والبحر المحيط ٤/ ١٨٨.
(٨) ينظر: غريب القرآن وتفسيره ١٤١، وتفسير البغوي ٢/ ١٢١ - ١٢٢، والقرطبي ٧/ ٦١.
(٩) النسخ الثلاث: الغريزة.
(١٠) ينظر: لسان العرب ٣/ ٣٢٨ (فأد).
(١١) في ع: كفرهم. وينظر: مجمع البيان ٤/ ١٣٦، وزاد المسير ٣/ ٧٣.
(١٢) ينظر: تفسير القرآن الكريم ٣/ ٣٠٦، والوجيز ١/ ٣٧٠، وتفسير البغوي ٢/ ١٢٣.
(١٣) ينظر: مجمع البيان ٤/ ١٣٦.
(١٤) (في) ساقطة من ك.
(١٥) ينظر: زاد المسير ٣/ ٧٣.." (١)

"عيسى وعزير (١) والملائكة: {إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون} فقالوا: فهلا قلت هذا إذ سألناك؟ ولكنك تذكر إذ خلوت.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٦٢٦/١

١٠٣ - {لا يحزنهم الفزع الأكبر:} الموت (٢)، لأنهم مستعدون له، والدنيا (٢٢٥ ظ) سجنهم. وقال الكلبي: الأطباق (٣) على النار بعد خروج المؤمنين منها، وذبح الموت بين الجنة والنار في صورة كبش أملح.

١٠٤ - {يوم نطوي السماء:} ندرجها.
و {السجل:} الصك يطوى. وقيل: {السجل:} الوراق اكاتب. وعن أبي الجوزاء قال: {السجل:} كاتب للنبي عليه السلام. (٤) وذكر أبو عبيد الهروي: أنه اسم ملك من الملائكة. (٥) وعن ابن عباس قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموعظة، فقال: «أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله تعالى عراة غرلا»، ثم قرأ: {كما بدأنا أول خلق نعيده. . .} الآية، قال:
«أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإنه سيؤتى برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما (٦) أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح:
{وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم} [المائدة:١١٧] إلى قوله: {العزيز الحكيم} [المائدة:١١٨]، فيقال: هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم». (٧)

١٠٥ - وعن ابن عباس في قوله: {أن الأرض يرثها:} الجنة.
{في الزبور:} زبور داود عليه السلام.
{من بعد الذكر:} التسبيح والتهليل والوعظ. ويحتمل: أن المراد بالذكر التوراة،

---

(١) ع: والعزير.
(٢) ساقطة من أ.
(٣) الأصول المخطوطة: الاطبا. وما أثبت من تفسير القرطبي ١١/ ٣٤٦.
(٤) أخرجه أبو داود في السنن (٢٩٣٥)، النسائي في الكبرى ٦/ ٤٠٨ (١١٣٣٥)، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس وقال الطبري في التفسير: «ولا يعرف لنبينا كاتب كان اسمه (السجل)» وقال ابن كثير في التفسير ٣/ ٢٦٩: «وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه، وإن كان في سنن أبي داود، منهم شيخنا الحافظ الكبير

أبو الحجاج المزي. . .».

(٥) ينظر: تفسير الثوري ٢٠٦، وتفسير القرطبي ١١/ ٣٤٧ عن السدي.

(٦) ع: بما أحدثوا.

(٧) أخرجه البخاري في الصحيح (٤٣٤٩)، والترمذي في السنن (٣١٦٧)، والنسائي في السنن ٤/ ١١٧، أبو يعلى (٢٥٧٨).." (١)

"سورة النجم

مكية. (١) وعن ابن عباس وقتادة: إلا (٢) آية نزلت بالمدينة: {الذين يجتنبون كبائر الإثم} الآية [النجم:٣٢]. (٣) وعن الحسن البصري: أن السورة كلها مدنية. (٤)

وهي إحدى وستون (٥) آية في غير عدد أهل الكوفة. (٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - {والنجم إذا هوى:} قال مجاهد: الثريا إذا سقط (٧)؛ لقوله عليه السلام: «إذا طلعت النجم رفعت العاهة عن كل بلد». (٨)

فلما جاز كون طلوعه معتبرا جاز كون نوئه في المغرب معتبرا. وذكر أبو بكر بن دريد (٩):

أن الثريا تسقط لثلاث عشرة ليلة تخلو (١٠) من تشرين الثاني، وتطلع من المشرق رقيبها الإكليل، وتكون الشمس حينئذ بالممتحن في أربع وعشرين درجة من العقرب، ويكون طول النهار عشر ساعات، وخمس ساعة، ولسقوط الثريا توسيع ليال.

وقال الضحاك: أراد بالنجم المنجوم. وقال الكلبي: أراد القرآن إذا نزل؛ لأن القرآن نزل نجوما منجمة. (١١) وهو رواية الأعمش عن مجاهد قال: أراد (١٢) نجوم القرآن آية آية، وسورة سورة. (١٣)

٥ - {علمه:} لقنه. (١٤)

---

(١) زاد المسير ٧/ ٢٧٣، والدر المنثور ٧/ ٥٦١ عن ابن عباس وابن الزبير.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٣٢٦/٢

(٢) ساقطة من أ.

(٣) زاد المسير ٧/ ٢٧٣، والقرطبي ١٧/ ٨١، وجمال القراء ١/ ١٤١.

(٤) ينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ١٨ من غير نسبة.

(٥) الأصول المخطوطة: وتسعون، والتصويب من كتب التخريج.

(٦) وعدها الكوفيون ثنتان وستون آية. البيان في عد آي القرآن ٢٣٤، وجمال القراء ٥/ ٥٤٦.

(٧) ينظر: تفسير مجاهد ٦٢٧، وتفسير الطبري ١١/ ٥٠٣.

(٨) أخرجه الطبراني في الصغير (١٠٤)، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٣٦٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٩) هو محمد بن الحسن بن دريد، أبو بكر الأزدي، صاحب الجمهرة، كان شاعرا ومن أعلام اللغة، ولد بالبصرة، وتنقل في طلب العلم، توفي سنة (٣٢١ هـ) ببغداد. ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية ١/ ١٢٣ - ١٣٠، وطبقات الشافعية ١/ ١١٦.

(١٠) أ: الثلاث عن ليلة يخلون.

(١١) ينظر: تفسير البغوي ٧/ ٤٠٠ عن الكلبي، والتبيان في أقسام القرآن ١٥٢ عن الكلبي عن ابن عباس.

(١٢) أ: راد.

(١٣) ينظر: تفسير الطبري ١١/ ٥٠٣، وزاد المسير ٧/ ٢٧٣.

(١٤) ينظر: الفرق ٨٩.." (١)

"سورة الجن

مكية. (١)

وهي ثمان وعشرون آية بلا خلاف. (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - {قل أوحي إلي أنه:} إنها عماد، وهو ضمير الأمر والشأن.

وهذه السورة في النفر السبعة الذين استمعوا لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣١٥ و) ببطن نخلة،

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٥٩٦/٢

(٣) وهو راجع من الطائف، دون الذين أتوه بالحجون (٤) بعد ذلك.

٢ - وقوله: {فآمنا (٥)} به يدل على أنهم لم يكونوا مؤمنين قبل ذلك مع معرفتهم موسى عليه السلام، كان قد استزلهم سفيههم بالشبهات عن خالص التوحيد (٦)، كما استزل اليهود والنصارى مع معرفتهم موسى وعيسى عليهما السلام، وكما استزل [العرب] (٧) مع معرفتهم إبراهيم عليه السلام، واستعمالهم طائفة من شريعته.

٣ - {تعالى جد ربنا:} أي: عظمة ربنا، (٨) والجد في الناس السعادة، وفي صفات الله ما ينفي الشقاوة.

٤ - {سفيهنا:} إبليس الأبالسة، (٩) فظنهم الأول، والثاني: اعتقادهم الفاسد، وظنهم الثالث: حقيقة العلم عند إيمانهم.

٨ - {حرسا:} جمع حارس، وهو **الرقيب** بالليل.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ٤٠٥، وتفسير الثعلبي ١٠/ ٤٩، وتفسير القرطبي ١٩/ ١.

(٢) البيان في عد آي القرآن ٢٥٦، ويقول الإمام السخاوي رحمه الله في جمال القراء ٢/ ٥٥٢: «فهي تسع وعشرون في الشامي، وثمان وعشرون فيما سواه»، أما الإمام ابن الجوزي فيقول في فنون الأفنان ٣١٧: «ثمان وعشرون آية في عد الجميع، إلا في الجملة التي يرويها ابن أبي بزة عن أهل مكة، ولم يأت مع هذه الجملة تفصيل».

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٣، وتفسير السمعاني ٦/ ٦٣.

(٤) ع: بالجحود.

(٥) الأصول المخطوطة: آمنا.

(٦) ع: الوعيد.

(٧) زيادة يقتضيها السياق.

(٨) ينظر: غريب القرآن للسجستاني ١٧٧، والغريبين ١/ ٣١٦، وتفسير السمرقندي ٣/ ٤٨٠، وتفسير

البيضاوي ٥/ ٢٥١.

(٩) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٩٠٠١)، وتفسير السمعاني ٦/ ٦٥، وتفسير القرطبي ١٩/ ٩ عن مجاهد وابن جريج وغيرهما.." (١)

"خمرا، وإن من العسل خمرا، وإن من البر خمرا وإن من الشعير خمرا" (١) فثبت أن الخمر لا يختص بما يتخذ من العنب أو الرطب.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد أنه أخبره أن عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال إني وجدت من فلان ريح شراب، وزعم أنه شرب الطلاء، وأنا سائل عما شرب فإن كان يسكر جلدته، فجلده عمر الحد تاما (٢) ، وما روي عن عمر وأبي عبيدة ومعاذ في الطلاء فهو فيما طبخ حتى خرج عن أن يكون مسكرا. وسئل ابن عباس عن الباذق (٣) فقال سبق محمد الباذق فما أسكر فهو حرام.

قوله تعالى: {والميسر} يعني القمار، قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله فأنزل الله تعالى هذه الآية، والميسر: مفعل من قولهم يسر لي الشيء إذا وجب ييسر يسرا وميسرا، ثم قيل للقمار ميسر وللمقامر ياسر ويسر، وكان أصل الميسر في الجزور وذلك أن أهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزؤونها عشرة أجزاء ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الأزلام والأقلام، لسبعة منها أنصباء وهي: الفذ وله نصيب واحد، والتوأم وله نصيبان، **والرقيب** وله ثلاثة أسهم، والحلس وله أربعة، والنافس وله خمسة، والمسبل وله ستة، والمعلى وله سبعة، وثلاثة منها: لا أنصباء لها وهي المنيح والسفيح والوغد، ثم يجعلون القداح في خريطة تسمى الربابة ويضعونها على يدي رجل عدل عندهم يسمى المجيل والمفيض، ثم يجيلها ويخرج قدحا منها باسم رجل منهم، فأيهم خرج سهمه أخذ نصيبه على قدر ما يخرج، فإن خرج له واحد من الثلاثة التي لا أنصباء لها كان لا يأخذ شيئا ويغرم ثمن الجزور كله.

وقال بعضهم كان لا يأخذ شيئا ولا يغرم ويكون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور إلى الفقراء ولا يأكلون منه شيئا، وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لم يفعل ذلك ويسمونه البرم وهو أصل القمار الذي كانت تفعله العرب. والمراد من الآية أنواع القمار كلها، قال طاووس وعطاء ومجاهد: كل شيء فيه

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٦٦٦/٢

(١) رواه أبو داود: في الأشربة - باب: الخمر مم هي؟ ٥ / ٢٦٢. والترمذي: في الأشربة - باب: ما جاء في الحبوب التي تتخذ منها الخمر وفي سنده إبراهيم بن المهاجر البجلي الكوفي وهو صدوق فيه لين. وقال الترمذي: هذا حديث غريب وللحديث شواهد وذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن عمر كما تقدم. وأخرجه أحمد: ٤ / ٢٦٧ عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه البخاري معلقا في الأشربة باب الباذق ومن نهى عن كل مسكر في الأشربة، ١٠ / ٦٢. مالك في الموطأ باب الحد في الخمر موصولا عن الزهري عن السائب بن زيد وأخرجه سعيد بن منصور عن ابن عيينه عن الزهري سمع السائب بن يزيد يقول: قام عمر على المنبر فقال: ذكر لي أن عبيد الله بن عمر وأصحابه شربوا شرابا - فساقه. والمصنف في شرح السنة ١١ / ٣٥٣، وسنده صحيح.

(٣) ما طبخ من عصير العنب أدنى طبخ فصار شديدا وهو مسكر.." (١)

"سورة النساء -مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١) وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (٢) }." (٢)

"قوله تعالى: {يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة} يعني: آدم عليه السلام، {وخلق منها زوجها} يعني: حواء، {وبث منهما} نشر وأظهر، {رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به} أي: تتساءلون به، وقرأ أهل الكوفة بتخفيف السين على حذف إحدى التاءين، كقوله تعالى: {ولا تعاونوا} ، {والأرحام} قراءة العامة بالنصب، أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وقرأ حمزة بالخفض، أي: به وبالأرحام كما يقال: سألتك بالله والأرحام، والقراءة الأولى أفصح لأن العرب لا تكاد تنسق بظاهر على مكنى، إلا أن تعيد الخافض فتقول: مررت به وبزيد، إلا أنه جائز مع قلته، {إن الله كان عليكم رقيبا} أي: حافظا.

قوله تعالى: {وآتوا اليتامى أموالهم} قال مقاتل والكلبي: نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٥٢/١

(٢) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٥٨/٢

أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية، فلما سمعها العم قال: أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير، فدفع إليه ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره"، يعني: جنته، فلما قبض الفتى ماله أنفق في سبيل الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ثبت الأجر وبقي الوزر" فقالوا: كيف بقي الوزر؟ فقال: "ثبت الأجر للغلام وبقي الوزر على والده" (١) .

وقوله {وآتوا} خطاب للأولياء والأوصياء، واليتامى: جمع يتيم، واليتيم: اسم لصغير لا أب له ولا جد، وإنما يدفع المال إليهم بعد البلوغ، وسماهم يتامى هاهنا على معنى أنهم كانوا يتامى.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٣٦) دون إسناد، عازيا للكلبي ومقاتل، وانظر: تفسير القرطبي: ٥ / ٨، البحر المحيط: ٣ / ١٥٩.." (١)

"{عليهم حفيظا} أي: حافظا ورقيبا، بل كل أمورهم إليه تعالى، وقيل: نسخ الله عز وجل هذا بآية السيف، وأمره بقتال من خالف الله ورسوله.

{ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٨١) أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (٨٢) وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا (٨٣) }

{ويقولون طاعة} يعني: المنافقين يقولون باللسان للرسول صلى الله عليه وسلم: إنا آمنا بك فمرنا فأمرك طاعة، قال النحويون: أي أمرنا وشأننا أن نطيعك، {فإذا برزوا} خرجوا، {من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول} قال قتادة والكلبي: بيت أي: غير وبدل الذي عهد إليهم النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون التبييت بمعنى التبديل، وقال أبو عبيدة والقتيبي: معناه: قالوا وقدروا ليلا غير ما أعطوك نهارا، وكل ما قدر بليل فهو تبييت، وقال أبو الحسن الأخفش: تقول العرب للشيء إذا قدر، قدبيت، يشبهونه بتقدير بيوت الشعر، {والله يكتب} أي: يثبت ويحفظ، {ما يبيتون} ما يزورون ويغيرون ويقدرون، وقال الضحاك عن ابن عباس: يعني ما يسرون من النفاق، {فأعرض عنهم} يا محمد ولا تعاقبهم، وقيل: لا تخبر بأسمائهم،

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ١٥٩/٢

منع الرسول صلى الله عليه وسلم من الإخبار بأسماء المنافقين، {وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا} أي: اتخذه وكيلا وكفى بالله وكيلا وناصرا.

قوله تعالى: {أفلا يتدبرون القرآن} يعني: أفلا يتفكرون في القرآن، والتدبر هو النظر في آخر الأمر، ودبر كل شيء آخره. {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} أي تفاوتا وتناقضا كثيرا، قاله ابن عباس، وقيل: لوجدوا فيه أي: في الإخبار عن الغيب بما كان وبما يكون اختلافا كثيرا، أفلا يتفكرون فيه فيعرفوا -بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر -أنه كلام الله تعالى لأن ما لا يكون من عند الله لا يخلو عن تناقض واختلاف.

قوله تعالى: {وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث السرايا فإذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم، فيفشون ويحدثون به قبل أن." (١)

"وذلك أن الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه السلام على الذي دل اليهود عليه، وقيل: إنهم حبسوا عيسى عليه السلام في بيت وجعلوا عليه **رقيبا** فألقى الله تعالى شبه عيسى عليه السلام على **الرقيب** فقتلوه، وقيل غير ذلك، كما ذكرنا في سورة آل عمران (١) .

قوله تبارك وتعالى: {وإن الذين اختلفوا فيه} في قتله، {لفي شك منه} أي: في قتله، قال الكلبي: اختلافهم فيه هو أن اليهود قالت نحن قتلناه، وقالت طائفة من النصارى نحن قتلناه، وقالت طائفة منهم ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله إلى السماء، ونحن ننظر إليه، وقيل: كان الله تعالى ألقى شبه وجه عيسى عليه السلام على وجه صطيافوس ولم يلقه على جسده، فاختلفوا فيه فقال بعضهم قتلنا عيسى، فإن الوجه وجه عيسى عليه السلام وقال بعضهم لم نقتله لأن جسده ليس جسد عيسى عليه السلام، فاختلفوا. قال السدي: اختلافهم من حيث أنهم قالوا: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ قال الله تعالى: {ما لهم به من علم} حقيقة أنه قتل أو لم يقتل، {إلا اتباع الظن} لكنهم يتبعون الظن في قتله. قال الله جل جلاله: {وما قتلوه يقينا} أي: {ما قتلوا عيسى يقينا} (٢) .

{بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا (١٥٩) }

{بل رفعه الله إليه} وقيل قوله "يقينا" ترجع إلى ما بعده وقوله "وما قتلوه" كلام تام تقديره: بل رفعه الله إليه

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢/٢٥٤

يقينا، والهاء في "ما قتلوه" كناية عن عيسى عليه السلام، وقال الفراء رحمه الله: معناه وما قتلوا الذي ظنوا أنه عيسى يقينا، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه: ما قتلوا ظنهم يقينا، {وكان الله عزيزا} منيعا بالنقمة من اليهود، {حكيما} حكم باللعنة والغضب عليهم، فسلط عليهم ضيطوس بن اسبسيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة.

قوله تعالى: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته} أي: وما من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام، هذا قول أكثر المفسرين وأهل العلم، وقوله "قبل موته" اختلفوا في هذه الكناية: فقال عكرمة ومجاهد والضحاك والسدي: إنها كناية عن الكتابي، ومعناه: وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل موته، إذا وقع في البأس حين لا ينفعه إيمانه سواء احترق أو غرق أو تردى في بئر أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة، وهذه رواية عن أبي طلحة عن ابن

---

(١) انظر فيما سبق، تفسير سورة آل عمران، الآيات (٥٢ – ٥٥) .

(٢) ما بين القوسين زيادة من (ب) .." [١]

"رقيبا، فقال الله تعالى: إن دم أخيك ليناديني من الأرض، فلم قتلت أخاك؟ قال: فأين دمه إن كنت قتلته؟ فحرم الله عز وجل على الأرض يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا.

وقال مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما قتل قابيل هابيل وآدم عليه السلام بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه، وأمر الماء واغبرت الأرض، فقال آدم عليه السلام: قد حدث في الأرض حدث، فأتى الهند فإذا قابيل قد قتل هابيل فأنشأ يقول وهو أول من قال الشعر:

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح

وروي: المليح.

وروي عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من قال إن آدم عليه السلام قال شعرا فقد كذب، إن محمدا صلى الله عليه وسلم والأنبياء كلهم عليهم السلام في النهي عن الشعر سواء، ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني، فلما قال آدم مرثيته قال لشيث: يا بني إنك وصي احفظ هذا الكلام

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٠٧/٢

ليتوارث فيرق الناس عليه، لم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان، وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو أول من خط بالعربية، وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم إلى المؤخر والمؤخر إلى المقدم، فوزنه شعرا وزاد فيه أبيات منها: وما لي لا أجود بسكب دمع وهابيل تضمنه الضريح

أرى طول الحياة علي غما فهل أنا من حياتي مستريح

فلما مضى من عمر آدم عليه السلام مائة وثلاثون سنة، وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حواء شيثا، وتفسيره: هبة الله، يعني إنه خلف من هابيل علمه الله تعالى ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادة الخلق في كل ساعة منها، وأنزل عليه خمسين صحيفة فصار وصي آدم وولي عهده، وأما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه، فأخذ بيد أخته أقليما وهرب بها إلى عدن من أرض اليمن، فأتاه إبليس فقال له إنما أكلت النار قربان هابيل لأنه كان يعبد النار فانصب أنت نارا أيضا تكون لك ولعقبك، فبنى بيتا للنار فهو أول من عبد النار، وكان لا يمر به أحد إلا رماه، فأقبل ابن له أعمى ومعه ابن له، فقال ابنه: هذا أبوك قابيل، مرمى الأعمى أباه فقتله، فقال ابن الأعمى: قتلت أباك؟ فرفع يده فلطم ابنه، فمات فقال الأعمى: ويل لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي.." (١)

"أي: في الإنجيل، {هدى ونور ومصدقا} يعني الإنجيل، {لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين}

{وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه} قرأ الأعمش وحمزة "وليحكم" بكسر اللام وفتح الميم، أي لكي يحكم، وقرأ الآخرون بسكون اللام وجزم الميم على الأمر، قال مقاتل بن حيان: أمر الله الربانيين والأحبار أن يحكموا بما في التوراة، وأمر القسيسين والرهبان أن يحكموا بما في الإنجيل، فكفروا وقالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله، {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون} الخارجون عن أمر الله تعالى.

قوله سبحانه وتعالى: {وأنزلنا إليك} يا محمد {الكتاب} القرآن، {بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب} أي: من الكتب المنزلة من قبل، {ومهيمنا عليه} روى الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أي شاهدا عليه وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والكسائي.

قال حسان: إن الكتاب مهيمن لنبينا ... والحق يعرفه ذوو الألباب

يريد: شاهدا ومصدقا.

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٣/٤٥

وقال عكرمة: دالا وقال سعيد بن جبير وأبو عبيدة، مؤتمنا عليه، وقال الحسن: أمينا (١) وقيل: أصله مؤيمن، مفيعل من أمين، كما قالوا: مبيطر من البيطار، فقلبت الهمزة هاء، كما قالوا: أرقت الماء وهرقته، وإيهات وهيهات، ونحوها. ومعنى أمانة القرآن ما قال ابن جريج: القرآن أمين على ما قبله من الكتب، فما أخبر أهل الكتاب عن [كتابهم] (٢) فإن كان في القرآن فصدقوا وإلا فكذبوا.

وقال سعيد بن المسيب والضحاك قاضيا، وقال الخليل: رقيبا وحافظا، والمعاني متقاربة، ومعنى الكل: أن كل كتاب يشهد بصدقه القرآن فهو كتاب الله تعالى، وما لا فلا. {فاحكم}

---

(١) انظر معنى الهيمنة ووجوهها بالتفصيل في مقال: "الإسلام وعلاقته بالديانات الأخرى"، عثمان جمعة ضميرية، في العدد (٢١) من مجلة البحوث الإسلامية، بالرياض، ربيع الأول ١٤٠٨هـ ص (٣١٥-٣٢٠) .

(٢) في "ب": (كتبهم) .." (١)

"منها حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها حتى توارت عنهم، وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود، فأوحى الله تعالى [إلى عيسى عليه السلام] (١) اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء، فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها، وقالوا: أترون المائدة حقا تنزل من السماء؟ فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: إني شرطت أن من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، فقال عيسى عليه السلام: (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على فرشهم مع نسائهم فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات، ويأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى عليه السلام وبكوا فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف بعيسى عليه السلام وجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم فيشيرون برءوسهم ويبكون ولا يقدرون على الكلام، فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا.

وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٦٥/٣

علام الغيوب (١١٦) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧) (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨)

قوله عز وجل: {وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله} واختلفوا في أن هذا القول متى يكون، فقال السدي: قال الله تعالى هذا القول لعيسى عليه السلام حين رفعه إلى السماء لأن حرف "إذ" يكون للماضي، وقال سائر المفسرين: إنما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله [من قبل] (٢) (يوم يجمع الله الرسل) (المائدة، ١٠٩) . وقال من بعدها (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) (المائدة، ١١٩) ، وأراد بهما يوم القيامة، وقد تجيء "إذ" بمعنى "إذا" كقوله عز وجل: (ولو ترى إذ فزعوا) أي: إذا فزعوا [يوم القيامة] (٣) والقيامة وإن لم تكن بعد ولكنها كالكائنة لأنها آتية لا محالة.

قوله: {أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله} ؟ فإن قيل: فما وجه هذا السؤال مع علم الله عز وجل أن عيسى لم يقله؟

قيل هذا السؤال عنه لتوبيخ قومه وتعظيم أمر هذه المقالة كما يقول القائل لآخر: أفعلت كذا

---

(١) ما بين القوسين ساقط من "ب".

(٢) ما بين القوسين ساقط من "ب".

(٣) ما بين القوسين ساقط من "ب".." (١)

"وكذا؟ فيما يعلم أنه لم يفعله، إعلاما واستعظاما لا استخبارا واستفهاما.

وأيضا: أراد الله عز وجل أن يقر [عيسى عليه السلام عن] (١) نفسه بالعبودية، فيسمع قومه، ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك، قال أبو روق: وإذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب أرعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة في جسده عين من دم، ثم يقول مجيبا لله عز وجل: {قال سبحانك} تنزيها وتعظيما لك {ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٢١/٣

نفسك} قال ابن عباس: تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك، وقيل معناه: تعلم سري ولا أعلم سرك، وقال أبو روق تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منك في الآخرة، وقال الزجاج: النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته، يقول: تعلم جميع ما أعلم من حقيقة أمري ولا أعلم حقيقة أمرك، {إنك أنت علام الغيوب} ما كان وما يكون.

{ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧) }

{ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم} [وحدوه] (٢) ولا تشركوا به شيئا، {وكنت عليهم شهيدا ما دمت} أقمت، {فيهم فلما توفيتني} قبضتني ورفعتني إليك، {كنت أنت الرقيب عليهم} والحفيظ عليهم، تحفظ أعمالهم، {وأنت على كل شيء شهيد}

قوله تعالى: {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم} فإن قيل كيف طلب المغفرة لهم وهم كفار، وكيف قال: وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، وهذا لا يليق بسؤال المغفرة، قيل: أما الأول فمعناه إن تعذبهم بإقامتهم على كفرهم وإن تغفر لهم بعد الإيمان وهذا يستقيم على قول السدي: إن هذا السؤال قبل يوم القيامة لأن الإيمان لا ينفع في القيامة.

وقيل: هذا في فريقين منهم، معناه: إن تعذب من كفر منهم وإن تغفر لمن آمن منهم.

وقيل: ليس هذا على وجه طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال: فإنك أنت الغفور الرحيم، ولكنه على تسليم الأمر وتفويضه إلى مراده.

---

(١) زيادة من "ب".

(٢) ساقط من "ب".." (١)

"{وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون (٦٩) }

{وكذب به قومك} أي: بالقرآن، وقيل: بالعذاب، {وهو الحق قل لست عليكم بوكيل} برقيب، وقيل: بمسلط ألزمكم الإسلام شئتم أو أبيتم، إنما أنا رسول.

{لكل نبأ} خبر من أخبار القرون، {مستقر} حقيقة ومنتهى ينتهي إليه فيتبين صدقه من كذبه وحقه من

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٢٢/٣

باطله، إما في الدنيا وإما في الآخرة، {وسوف تعلمون} وقال مقاتل: لكل خبر يخبره الله وقت [وقته] (١) ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير، وقال الكلبي: [لكل] (٢) قول وفعل حقيقة، إما في الدنيا وإما في الآخرة وسوف تعلمون ما كان في الدنيا فستعرفونه وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكم.

---

(١) ساقط من "ب".

(٢) ساقط من "أ".." (١)

"من الضلالة والحق من الباطل، {فمن أبصر فلنفسه} أي: فمن عرفها وآمن بها فلنفسه عمل، ونفعه له، {ومن عمي فعليها} أي: من عمي عنها فلم يعرفها ولم يصدقها فعليها، أي: فبنفسه ضر، ووبال العمى عليه، {وما أنا عليكم بحفيظ} برقيب أحصي عليكم أعمالكم، إنما أنا رسول إليكم أبلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أفعالكم.

{وكذلك نصرف الآيات} نفصلها ونبينها في كل وجه، {وليقولوا} قيل: معناه لئلا يقولوا، {درست} وقيل: هذه اللام لام العاقبة أي عاقبة أمرهم أن يقولوا: درست، أي: قرأت على غيرك، وقيل: قرأت كتب أهل الكتاب، كقوله تعالى: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) ، (القصص، ٨) ، ومعلوم أنهم لم يلتقطوه لذلك، ولكن أراد أن عاقبة أمرهم أن كان عدوا لهم.

قال ابن عباس: وليقولوا يعني: أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست، أي: تعلمت من يسار وجبر، كانا عبدين من سبي الروم، ثم قرأت علينا تزعم أنه من عند الله، من قولهم: درست الكتاب أدرس درسا ودراسة. وقال الفراء: يقولون تعلمت من اليهود، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: "دارست" بالألف، [أي: قارأت أهل الكتاب من المدارسة بين اثنين، تقول:] (١) قرأت عليهم وقرأوا عليك. وقرأ ابن عامر ويعقوب: "درست" بفتح السين وسكون التاء، أي: هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة، قد درست وانمحت، من قولهم: درس الأثر يدرس دروسا. {ولنبينه لقوم يعلمون} قال ابن عباس: يريد أولياءه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد، وقيل: يعني أن تصريف الآيات ليشقى به قوم ويسعد به قوم آخرون، فمن قال درست فهو شقي ومن تبين له الحق فهو سعيد.

{اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين (١٠٦) ولو شاء الله ما أشركوا وما

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٥٤/٣

جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل (١٠٧) ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون (١٠٨) }

{اتبع ما أوحي إليك من ربك} يعني: القرآن اعمل به، {لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين} فلا تجادلهم.

---

(١) ساقط من "ب".." (١)

"{ولو شاء الله ما أشركوا} أي: لو شاء لجعلهم مؤمنين، {وما جعلناك عليهم حفيظا} رقيبا قال عطاء: وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم مني، أي: لم تبعث لتحفظ المشركين عن العذاب إنما بعثت مبلغا. {وما أنت عليهم بوكيل}

قوله عز وجل: {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله} الآية ١٢٢/ب قال ابن عباس: لما نزلت "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم" (الأنبياء، ٩٨) قال المشركون: يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك، فنهاهم الله تعالى أن يسبوا أوثانهم.

وقال قتادة: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، لئلا يسبوا الله فإنهم قوم جهلة.

وقال السدي: لما حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش: انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمرنه أن ينهى عنا ابن أخيه فإنا نستحي أن نقتله بعد موته، فتقول العرب: كان يمنعه عمه فلما مات قتلوه. فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبي ابنا خلف وعقبة [بن أبي معيط وعمرو بن العاص، والأسود بن] (١) البختري إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمدا قد آذانا وآلهتنا، فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا، ولندعنه وإلهه، فدعاه فقال: هؤلاء قومك يقولون نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك، فقد أنصفك قومك فاقبل منهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم؟ " قال أبو جهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها، فما هي؟ قال: "قولوا لا إله إلا الله" فأبوا ونفروا، فقال أبو طالب: قل غيرها يا ابن أخي، فقال: يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي، فقالوا: لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك، فأنزل الله عز وجل: {ولا تسبوا الذين يدعون

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ١٧٥/٣

من دون الله} (٢) يعني الأوثان، {فيسبوا الله عدوا} أي: اعتداء وظلما، {بغير علم}
وقرأ يعقوب " عدوا " بضم العين والدال وتشديد الواو، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "لا تسبوا ربكم"، فأمسك المسلمون عن سب آلهتهم.
فظاهر الآية، وإن كان نهيا عن سب الأصنام، فحقيقته النهي عن سب الله، لأنه سبب لذلك.

---

(١) ساقط من "ب".
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي. انظر: الدر المنثور: ٣ / ٣٣٨-٣٣٩، والواحدي في أسباب النزول ص (٢٥٥) ، وانظر: الترمذي: ٩ / ٩٩-١٠١ مع تحفة الأحوذي، تاريخ الطبري: ٢ / ٣٢٣-٣٢٤، مجمع الزوائد: ٦ / ١٥، تفسير الطبري: ١٢ / ٣٤-٣٥.." (١)

"{قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز (٩١) قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط (٩٢) ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣) ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٩٤) } .
{قالوا يا شعيب ما نفقه} ما نفهم، {كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا} وذلك أنه كان ضرير البصر، فأرادوا ضعف البصر (١) ، {ولولا رهطك} عشيرتك وكان في منعة من قومه، {لرجمناك} لقتلناك. والرجم: أقبح القتل. {وما أنت علينا} عندنا، {بعزيز} .
{يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله} أي: مكان رهطي أهيب عندكم من الله، أي: إن تركتم قتلي لمكان رهطي فالأولى أن تحفظوني في الله. {واتخذتموه وراءكم ظهريا} أي: نبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه، {إن ربي بما تعملون محيط} .
{ويا قوم اعملوا على مكانتكم} أي: على تؤدتكم وتمكنكم. يقال: فلان يعمل على مكانته إذا عمل على تؤدة وتمكن. {إني عامل} على تمكني، {سوف تعلمون} أينا الجاني على نفسه، والمخطئ في فعله، فذلك قوله: {من يأتيه عذاب يخزيه} يذله {ومن هو كاذب} قيل: "من" في محل النصب، أي: فسوف

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٧٦/٣

تعلمون الكاذب. وقيل: محله رفع، تقديره: ومن هو كاذب يعلم كذبه ويذوق وبال أمره. {وارتقبوا} وانتظروا العذاب {إني معكم رقيب} منتظر.

{ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة} قيل: إن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم. وقيل: أتتهم صيحة من السماء فأهلكتهم. {فأصبحوا في ديارهم جاثمين} ميتين.

---

(١) قال ابن عطية رحمه الله: وهذا ضعيف لا تقوم عليه حجة، بضعف بصره أو بدنه، والظاهر من قولهم: "ضعيفا" أنه ضعيف الانتصار والقدرة، وأن رهطه الكفرة كانوا يراعون فيه. وقال أبو روق: إن الله لم يبعث نبيا أعمى، ولا نبيا به زمانة. انظر: المحرر الوجيز: ٧ / ٣٨٤، البحر المحيط: ٥ / ٢٥٦.." (١)

"ساجدا، فقال: يا رب دلني على هذا العبد الصالح، فدله الله عليه، فخرج من الوادي فآمن به وصدقه، وعلم أن ذلك من الله عز وجل. وقال وهب بن منبه: لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها جميع الناس، فلم يطلع على حبلها أحد من خلق الله، وذلك شيء ستره الله لما أراد أن يمن به على بني إسرائيل، فلما كانت السنة التي يولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم إليهن ففتشن النساء تفتيشا لم يفتشن قبل ذلك مثله (١) ، وحملت أم موسى بموسى (٢) فلم ينتأ بطنها، ولم يتغير لونها، ولم يظهر لبنها، وكانت القوابل لا تتعرض لها، فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة، ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم، فأوحى الله إليها "أن أرضعيه، فإذا خفت عليه" الآية، فكتمته أمه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها، لا يبكي ولا يتحرك، فلما خافت عليه عملت تابوتا له مطبقا ثم ألقته في البحر ليلا.

قال ابن عباس وغيره: وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها، وكانت من أكرم الناس عليه، وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إلى فرعون، وكان بها برص شديد، وكان فرعون قد جمع لها أطباء مصر والسحرة فنظروا في أمرها، فقالوا له: أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر، يوجد فيه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك، وذلك في يوم كذا وساعة كذا حين تشرق الشمس، فلما كان يوم الاثنين غدا فرعون إلى مجلس كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم، وأقبلت ابنة فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن، إذ أقبل النيل

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٩٧/٤

بالتابوت تضربه الأمواج، فقال فرعون: إن هذا لشيء في البحر قد تعلق بالشجرة ايتوني به، فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه، فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه، فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فإذا هي بصبي صغير في مهده، وإذا نور بين عينيه، وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمصه لبنا، فألقى الله لموسى المحبة في قلب آسية، وأحبه فرعون وعطف عليه، وأقبلت بنت فرعون، فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت بنت فرعون إلى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت، فقبلته وضمته إلى صدرها، فقال الغواة من قوم فرعون: أيها الملك إنا نظن أن ذلك المولود الذي تحذر منه بني إسرائيل هو هذا، رمي به في البحر فرقا منك فاقتله، فهم فرعون بقتله، قالت آسية: قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا، وكانت لا تلد، فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها، وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو قال فرعون يومئذ هو قرة عين لي كما هو

---

(١) ساقط من "أ".

(٢) ساقط من "أ".." (١)

"وقيل: تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهبن أنفسهن لك فتؤويها إليك وتترك من تشاء فلا تقبلها.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن سلام، أخبرنا ابن فضيل، أخبرنا هشام عن أبيه قال: كانت خولة بنت حكيم من اللائي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل؟ فلما نزلت: {ترجي من تشاء منهن} قلت: يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك (١) .

قوله عز وجل: {ومن ابتغيت ممن عزلت} أي: طلبت وأردت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلتهن عن القسم، {فلا جناح عليك} لا إثم عليك، فأباح الله له ترك القسم لهن حتى إنه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها ويطأ من يشاء منهن في غير نوبتها، ويرد إلى فراشه من عزلها تفضيلا له على سائر الرجال، {ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن} أي: التخيير الذي خيرتك في صحبتهن أقرب إلى رضاهن وأطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله عز وجل، {ويرضين بما آتيتهن} أعطيتهن، {كلهن} من تقرير وإرجاء

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ١٩٢/٦

وعزل وإيواء، {والله يعلم ما في قلوبكم} من أمر النساء والميل إلى بعضهن، {وكان الله عليما حليما}
{لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢) }

قوله عز وجل: {لا يحل لك النساء، من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج} قرأ أبو عمرو ويعقوب: "لا تحل" بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء، "من بعد": يعني من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن، هذا قول ابن عباس وقتادة (٢) .

واختلفوا في أنه هل أبيح له النساء من بعد؟

قالت عائشة: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء سواهن (٣) .

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح، باب: هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد ٩ / ١٦٤، ومسلم في الرضاع، باب: جواز هبتها نوبتها لضرتها برقم: (١٤٦٤) ٢ / ١٠٨٥-١٠٨٦.

(٢) راجع فتح الباري: ٨ / ٥٢٦.

(٣) أخرجه الترمذي في تفسير: ٩ / ٧٨-٧٩ وقال: (هذا حديث حسن صحيح) ، والنسائي في النكاح، باب: ما افترض الله عز وجل على رسوله وحرمه على خلقه: ٦ / ٥٦، والدارمي في النكاح، باب قول الله تعالى: (لا يحل لك النساء من بعد) ٢ / ١٥٣ وابن حبان في موارد الظمآن برقم: (٢١٢٦) ص (٥٢٣) ، وصححه الحاكم: ٢ / ٤٣٧ ووافقه الذهبي، والبيهقي: ٧ / ٥٤، والإمام أحمد في المسند: ٦ / ٤١،١٨٠، وانظر: فتح الباري ٨ / ٥٢٦، التلخيص الحبير: ٣ / ١٢٣.." (١)

"قوله عز وجل: {ولو أعجبك حسنهن} يعني: ليس لك أن تطلق أحدا من نسائك وتنكح بدلها أخرى ولو أعجبك جمالها.

قال ابن عباس: يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب، فلما استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها فنهي عن ذلك (١) .

{إلا ما ملكت يمينك} قال ابن عباس رضي الله عنهما: ملك بعد هؤلاء مارية.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٦/٣٦٦

{وكان الله على كل شيء رقيبا} حافظا.

وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء. روي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل" (٢) .

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أخبرنا محمد بن محمد بن علي بن شريك الشافعي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم، أخبرنا أبو بكر الجوربذي قال: أخبرنا أحمد بن حرب، أخبرنا أبو معاوية، عن عاصم هو ابن سليمان، عن بكر بن عبد الله، عن المغيرة بن شعبة قال: خطبت امرأة، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "هل نظرت إليها؟ " قلت: لا قال: "فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما" (٣) .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا حامد ابن محمد، أخبرنا بشر بن موسى، أخبرنا الحميدي، أخبرنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "انظر إليها فإن في أعين نساء الأنصار شيئا" (٤) قال الحميدي: يعني الصغر.

---

(١) انظر: البحر المحيط: ٧ / ٢٤٤.

(٢) أخرجه أبو داود في النكاح، باب: الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزوجها: ٣ / ٢٥-٢٦، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٢ / ٨، والبيهقي: ٧ / ٨٤، والحاكم: ٢ / ١٦٥ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والإمام أحمد: ٣ / ٣٣٤، والمصنف في شرح السنة: ٩ / ١٧، وانظر: نصب الراية: ٢٤١، التلخيص الحبير: ٣ / ١٤٧، إرواء الغليل: ٦ / ٢٠٠.

(٣) أخرجه الترمذي في النكاح، باب: ما جاء في النظر إلى المخطوبة ٤ / ٢٠٦ وقال: "هذا حديث حسن"، والنسائي في النكاح، باب: إباحة النظر قبل التزويج: ٦ / ٦٩-٧٠، وابن ماجه في النكاح: باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها: ١ / ٦٠٠ وصححه ابن حبان في موارد الظمآن برقم: (١٢٣٦) ص ٣٠٣، والحاكم: ٢ / ١٦٥ على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة في المصنف: ٤ / ٣٥٥، والدارمي في النكاح: باب النظر للمرأة عند الخطبة: ٢ / ٥٩، والبيهقي في السنن ٧ / ٨٤-٨٥، والإمام أحمد: ٤ / ٢٤٦ والمصنف في شرح السنة: ٩ / ١٧، وانظر: تلخيص الحبير: ٣ / ١٤٦-٢٥٢، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩٦) : ١ / ١٥٠-١٥٢.

(٤) أخرجه مسلم في النكاح، باب: النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها برقم: (١٤٢٤) ٢ / ١٠٤٠.." (١)

"{ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير (٢٣) }

قال الله تعالى: {وما كان له عليهم من سلطان} أي: ما كان تسليطنا إياه عليهم، {إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك} أي: إلا لنعلم، لنرى ونميز المؤمن من الكافر، وأراد علم الوقوع والظهور، وقد كان معلوما عنده بالغيب، {وربك على كل شيء حفيظ} رقيب. {قل} يا محمد لكفار مكة، {ادعوا الذين زعمتم} أنهم آلهة، {من دون الله} وفي الآية حذف، أي: ادعوهم ليكشفوا الضر الذي نزل بكم في سني الجوع، ثم وصفها فقال: {لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض} من خير وشر ونفع وضر {وما لهم} أي: للآلهة، {فيهما} في السموات والأرض، {من شرك} شركة، {وما له} أي: وما لله، {منهم من ظهير} عون. {ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له} الله في الشفاعة، قاله تكذيبا لهم حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ويجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله في أن يشفع له، وقرأ أبو عمرو." (٢)

"{إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل (٤١) الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٤٢) }

{ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام} منيع في ملكه، منتقم من أعدائه. {ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر} بشدة وبلاء، {هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة} بنعمة وبركة، {هل هن ممسكات رحمته} قرأ أهل البصرة: "كاشفات" و"ممسكات" بالتنوين، "ضره" "ورحمته" بنصب الراء والتاء، وقرأ الآخرون بلا تنوين وجر الراء والتاء على الإضافة، قال مقاتل: فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا، فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: {قل حسبي الله} (١) ، ثقتي به واعتمادي عليه، {عليه يتوكل

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٦/٣٦٨

(٢) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٦/٣٩٧

المتوكلون} يثق به الواثقون.

{قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم} أي: ينزل عليه عذاب دائم.

{إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها} وبال ضلالته عليه، {وما أنت عليهم بوكيل} بحفيظ ورقيب لم توكل بهم ولا تؤاخذ بهم.

قوله عز وجل: {الله يتوفى الأنفس} أي: الأرواح، {حين موتها} فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء أجلها، وقوله: {حين موتها} يريد موت أجسادها. {والتي لم تمت} يريد يتوفى

---

(١) انظر: القرطبي: ١٥ / ٢٥٩.." (١)

"إن هذه الكلمة [يقولها] (١) أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو لزوجته أو لخادمه، قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين أحدهما مجتهد في العبادة والآخر يقول كأنه مذنب، فجعل يقول: أقصر أقصر عما أنت فيه، قال فيقول: خلني وربي، قال: حتى وجده يوما على ذنب استعظمه، فقال: أقصر، فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيبا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك أبدا، ولا يدخلك الجنة أبدا. قال: فبعث الله إليهما ملكا فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي؟ فقال: لا يا رب، فقال اذهبوا به إلى النار" قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته (٢) .

قوله عز وجل: {إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم} .

أخبرنا عبد الرحمن بن أبي بكر القفال، أخبرنا أبو مسعود محمد بن أحمد بن يونس الخطيب، حدثنا محمد بن يعقوب الأصم، حدثنا أبو قلابة، حدثنا أبو عاصم، حدثنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى: "إلا اللمم" (النجم-٣٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن تغفر اللهم تغفر جما ... وأي عبد لك لا ألما (٣)

{وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون (٥٤) واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون (٥٥) }

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٢١/٧

قوله عز وجل: {وأنيبوا إلى ربكم} أقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة، {وأسلموا له} أخلصوا له التوحيد، {من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون} .

{واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم} يعني: القرآن، والقرآن كله حسن، ومعنى الآية ما قاله الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معصيته، فإن القرآن ذكر القبيح لتجتنبه، وذكر الأدون لئلا ترغب فيه، وذكر الأحسن لتؤثره. قال السدي: "الأحسن" ما أمر الله به في الكتاب، {من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون}

---

(١) في "أ" يذكرها.

(٢) أخرجه ابن المبارك في االزهد برقم (٩٠٠) وأبو داود في الأدب، باب في النهي عن البغي: ٧ / ٢٢٤-٢٢٥، والإمام أحمد: ٢ / ٣٢٣، والمصنف في شرح السنة: ١٤ / ٣٨٤-٣٨٥.

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير-تفسير سورة النجم- ٩ / ١٧٢ وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق" والمصنف في شرح السنة: ١٤ / ٣٨٧.." (١)

"إنا رسول رب العالمين" (الشعراء-١٦) ، وقيل: أراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم. وقال مجاهد: القعيد الرصيد.

{ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨) وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩) }

{ما يلفظ من قول} ما يتكلم من كلام فيلفظه أي: يرميه من فيه، {إلا لديه رقيب} حافظ، {عتيد} حاضر أينما كان. قال ١٣٨/أالحسن: إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين: عند غائطه وعند جماعه. وقال مجاهد: يكتبان عليه حتى أنينه في مرضه (١) . وقال عكرمة: لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر فيه (٢) .

وقال الضحاك: مجلسهما تحت الضرس (٣) على الحنك، ومثله عن الحسن، وكان الحسن يعجبه أن ينظف عنفقته.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد الدينوري، حدثنا أحمد

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٢٨/٧

بن جعفر بن حمدان، حدثنا الفضل بن العباس بن مهران، حدثنا طالوت، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا جعفر بن الزبير عن القاسم بن محمد عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا؛ وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر" (٤) .

{وجاءت سكرة الموت} غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله، {بالحق} أي بحقيقة الموت، وقيل: بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعيان. وقيل: بما يؤول

---

(١) ذكره صاحب البحر المحيط: ٨ / ١٢٣.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦ / ٥٩٣ لابن المنذر.

(٣) في "ب" الشعر.

(٤) قال الهيثمي في "المجمع": (١٠ / ٢٠٨) "رواه الطبراني، وفيه جعفر بن الزبير وهو كذاب". ورواه عن أبي أمامة أيضا من طريق أخرى بلفظ آخر. ابن راهويه في "مسنده"، والبيهقي في "شعب الإيمان"، وأبو نعيم في "الحلية": (٦ / ١٢٤) وقال الهيثمي: "رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها وثقوا"، وحسنه الألباني في "الصحيحة": (٣ / ٢١٠) ، فهو شاهد حسن للرواية الأولى فهي توافقها وليس في الأولى شيء زائد غير أن الحسنة بعشر أمثالها، وقد دل القرآن والسنة على ذلك -كما قال الهيثمي. وانظر: الكافي الشاف لابن حجر ص (١٥٩) ، الفتح السماوي للمناوي: ٣ / ١٠٠٧.." (١)

"{هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم (٢٢) هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون (٢٣) }

قوله عز وجل: ١٦٠/ب {لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله} قيل: لو جعل في الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخشع وتشقق وتصدع من خشية الله مع صلابته ورزانته حذرا من أن لا يؤدي حق الله عز وجل في تعظيم القرآن، والكافر يعرض عما فيه من العبر كأن لم يسمعها يصفه بقساوة القلب {وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون}

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٥٩/٧

{هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة} "الغيب": ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه والشهادة ما شاهدوه وما علموه {هو الرحمن الرحيم} {هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس} الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به {السلام} الذي سلم من النقائص {المؤمن} قال ابن عباس: هو الذي أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه، هو من الأمان الذي هو ضد التخويف كما قال: "وآمنهم من خوف" (قريش -٤) وقيل: معناه المصدق لرسله بإظهار المعجزات، والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب، وللكافرين بما أوعدهم من العقاب.

{المهيمن} الشهيد على عباده بأعمالهم، وهو قول ابن عباس، ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل. يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان **رقيبا** على الشيء وقيل: هو في الأصل مؤيمن قلبت الهمزة هاء، كقولهم: أرقت وهرقت ومعناه المؤمن. وقال الحسن: الأمين. وقال الخليل: هو **الرقيب** الحافظ. وقال ابن زيد: المصدق. وقال سعيد بن المسيب والضحاك: القاضي. وقال ابن كيسان: هو اسم من أسماء الله تعالى في الكتب والله أعلم بتأويله.

{العزيز الجبار} قال ابن عباس: "الجبار" هو العظيم، وجبروت الله عظمته، وهو على هذا القول صفة ذات الله، وقيل: هو من الجبر وهو الإصلاح يقال: جبرت الأمر، وجبرت العظم إذا أصلحته بعد الكسر، فهو يغني الفقير ويصلح الكسير. وقال السدي ومقاتل: هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد. وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال: هو القهار الذي إذا أراد أمرا فعله لا يحجزه عنه حاجز.." (١)

"وقد اكتريت بمكة جمل أعرابى للحج فقال: أعطنى من سطاتهنه، أراد من خيار الدنانير.

أو عدولا، لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روى «أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالب الله الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم، فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون، فتقول الأمم: من أين عرفتم؟ فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته، فيزكيهم ويشهد بعد التهم «١» » وذلك قوله تعالى: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) . فإن قلت: فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم «٢» ؟

قلت: لما كان الشهيد **كالرقيب** والمهيمن على المشهود له، جيء بكلمة الاستعلاء. ومنه قوله تعالى:

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٨/٨٧

(والله على كل شيء شهيد) ، (كنت أنت الرقيب عليهم وأنت علىى كل شيء شهيد) . وقيل: لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم. فإن قلت: لم أخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا «٣» ؟ قلت: لأن الغرض في

---

(١) . موقوف: أخرجه الطبري عن زيد بن أسلم موقوفا. وأخرجه في تفسير النسائي من قول السدى أيضا. وفي البخاري من حديث أبى سعيد الخدري. قال «يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول:

هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمدا وأمته. فيشهدون أنه بلغ ثم قرأ (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) - الآية ورواه البيهقي في البعث والنشور من رواية أبى معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء النبي يوم القيامة ومعه الثلاثة والأربعة والرجلان، حتى يجيء النبي وليس معه أحد، فتدعى أمة محمد فيشهدون أنهم بلغوا.

فيقال لهم: وما علمكم أنهم بلغوا فيقولون: جاءنا رسولنا بكتاب أخبرنا فيه أنهم قد بلغوا فصدقنا. قال فيقال:

صدقتم. وذلك قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) .

(٢) . قال محمود رحمه الله: «فان قلت: فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم ... الخ» ؟ قال أحمد رحمه الله: وجه الاستدلال بالآية أنه وصف الله تعالى في أولها بالرقيب وفي آخرها بالشهيد على وجه التخصيص أولا ثم التعميم ثانيا: وإنما ينتظم التعميم والتخصيص مع اتحاد مؤدى الرقيب والشهيد، إذ الآية في مثل قول القائل لمن شكره: كنت محسنا إلى وأنت بكل أحد محسن. وكأنه لما قال: (كنت أنت الرقيب عليهم)

وكان ذلك مخصصا لرقيبته تعالى على بنى إسرائيل، أراد أن يصفه بما هو أهله حتى ينفى وهم الخصوصية فقال في التقدير: وأنت على كل شيء كذلك، فوضع «شهيدا» موضع «كذلك» المشار به إلى رقيبته، فلا يتم الاستدلال بها إلا على هذا الوجه.

وفيه غموض على كثير من الأفهام والله الموفق.

(٣) . قال محمود رحمه الله: «فان قلت: لم أخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا ... الخ؟» قال أحمد

رحمه الله:

لأن المنة عليهم في الطرفين، ففي الأول بثبوت كونهم شهداء وفي الثاني بثبوت كونهم مشهودا لهم بالتزكية خصوصا من هذا الرسول المعظم ولو قدم شهيدا لانتقل الغرض إلى الامتنان على النبي عليه الصلاة والسلام بأنه شهيد. وسياق الخطاب لهم والامتنان عليهم يأباه. وإنما أخذ الزمخشري الاختصاص من التقديم لأن فيه إشعار بالأهمية والعناية، وكثيرا ما يجرى أى ذلك في أثناء كلامه، وفيه نظر.." (١)

"لم أرعه. وعن ابن عمر رضى الله عنهما: لو أدخلت أصبعى فيه لم تتبعني «١» . وهذا هو الإيمان حقا، وهم الذين اتقوا الله حق تقاته. والخمر: ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب، وهو حرام، وكذلك نقيع الزبيب أو التمر الذي لم يطبخ، فإن طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلى واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان، وحل شربه ما دون السكر إذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند أبى حنيفة. وعن بعض أصحابه: لأن أقول مرارا هو حلال، أحب إلى من أن أقول مرة هو حرام، ولأن أخر من السماء فأتقطع قطعا أحب إلى من أن أتناول منه قطرة. وعند أكثر الفقهاء هو حرام كالخمر، وكذلك كل ما أسكر من كل شراب. وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لأنها تسكرهما، أى تحجزهما، وكأنها سميت بالمصدر من «خمره خمرا» إذا ستره للمبالغة. والميسر: القمار، مصدر من يسر، كالموعد والمرجع من فعلهما. يقال: يسرته، إذا قمرته، واشتقاقه من اليسر، لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب، أو من اليسار.

لأنه سلب يساره. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله قال:

أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني «٢»

أى يفعلون بى ما يفعل الياسرون بالميسور. فإن قلت: كيف صفة الميسر؟ قلت: كانت لهم عشرة أقداح، وهي: الأزلام والأقلام، والفذ، والتوأم، **والرقيب**، والحلس، والنافس، والمسبل، والمعلى والمنيح والسفيح، والوغد. لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزءونها عشرة أجزاء. وقيل: ثمانية وعشرين إلا لثلاثة، وهي المنيح والسفيح والوغد. ولبعضهم:

لى فى الدنيا سهام ... ليس فيهن ربيح

وأساميهن وغد ... وسفيح ومنيح «٣»

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٩٩/١

(١) . أخرجه ابن أبى شيبة عن ابن المبارك عن الأوزاعى عن سليمان بن حبيب أن ابن عمر قال «لو أدخلت أصبعي في خمر ما أحببت أن ترجع إلى.

(٢) .

أقول لهم بالشعب إذ ييسروننى ... ألم تيأسوا أنى ابن فارس زهدم

لسحيم بن وثيل الرياحي. والشعب: اسم مكان. ويقال: يسره، إذا غلبه في لعب الميسر وهو القمار. واليأس هنا بمعنى العلم. وزهدم في الأصل فرخ البازي يسمى به الفرس لسرعته. أى أقول لهم في هذا الموقع وقت أن غلبوني في الميسر وضربونى بسهامه: ألم تعلموا أنى ابن الرجل الشجاع فارس تلك الفرس. والاستفهام للتقرير والتقريع.

وروى: إذ يأسروننى، أى يأخذوننى أسيرا عندهم. ويجوز أن المعنى: ألم تيأسوا وتقطعوا أطماعكم عما تريدون بى لأنى ابن ذلك الفارس المشهور، فالاستفهام للتوبيخ والحث على اليأس من ذلك.

(٣) . الأسماء الثلاثة لأقلام الميسر التي لا نصيب لها من الجزور كل اسم لعلم، والوغد في الأصل: الحادم، والدنيء، وثمر الباذنجان بخلاف السبعة الباقية فلها أنصباء. والكلام من باب التمثيل، شبه حاله في الدنيا بحال من خرجت له تلك السهام في الميسر لعدم الظفر بالمرام. ويبعد كونه كناية عن الكرم، حيث يعطى ولا يأخذ.

ويروى بدل «وأساميهن» «إنما سهمي» أى سهامي، بدليل: سهام قبله. [.....]." (١)

"للفذ سهم، وللتوأم سهمان، وللرقيب ثلاثة، وللحلس أربعة، وللنافس خمسة، وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة، ويضعونها على يدي عدل، ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها. فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح. ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله. وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها. ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه، ويسمونه البرم. وفي حكم الميسر: أنواع القمار، من النرد والشطرنج وغيرهما. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «إياكم وهاتين اللعبتين المشئومتين فإنهما من ميسر العجم «١» » وعن على رضى الله عنه: أن النرد والشطرنج من الميسر «٢» . وعن ابن

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢٦١/١

سيرين: كل شيء فيه خطر فهو من الميسر.

والمعنى: يسألونك عما في تعاطيهما، بدليل قوله تعالى قل فيهما إثم كبير، وإثمهما وعقاب الإثم في تعاطيهما أكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار، والطرب فيهما، والتوصل بهما إلى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم، والنيل من مطاعمهم ومشاربهم وأعطياتهم، وسلب الأموال بالقمار، والافتخار على الأبرام «٣» . وقرئ: إثم كثير- بالثاء- وفي قراءة أبى: وإثمهما أقرب. ومعنى الكثرة: أن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة العفو نقيض الجهد وهو أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع، قال:

خذى العفو منى تستديمى مودتى «٤»

ويقال للأرض السهلة: العفو. وقرئ بالرفع والنصب. وعن النبي صلى الله عليه وسلم، أن رجلا أتاه ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغازي فقال: خذها منى صدقة، فأعرض عنه رسول الله صلى

---

(١) . أخرجه ابن مردويه من حديث سمرة بن جندب. ومن حديث أبى موسى الأشعرى نحوه، ورواه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد من وجهين عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود بلفظ «اتقوا هاتين اللعبتين المشئومتين اللتين يزجران زجرا فإنهما من ميسر العجم» .

(٢) . أخرجه ابن أبى حاتم والبيهقي والثعلبي من طريق حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه «أن عليا قال في النرد والشطرنج: هما من الميسر» وهو منقطع.

(٣) . قوله «والافتخار على الأبرام» جمع للبرم بالتحريك، وهو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر. كذا في الصحاح. (ع)

(٤) .

خذي العفو منى تستديمى مودتي ... ولا تنطقى في سورتي حين أغضب

فانى رأيت الحب في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

ولا تضربينى مرة بعد مرة ... فإنك لا تدرين كيف المغيب

لأسماء بن خارجة النزاري أحد حكماء العرب يخاطب زوجته حين بنى عليها. والعفو: السهل اليسير. والسورة:

شدة الغضب. واجتمعا: شارفا الاجتماع. ويذهب: استئناف وقع جواب سؤال مقدر، والضرب مجاز عن

الإيذاء، والمغيب عاقبة الأمر، أى خذي السهل من أخلاقى لئلا يذهب حبى إياك ويذهب فيه رائحة الاضراب، أى بل يذهب.." (١)

"سورة النساء

مدنية، وهي مائة وست وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة النساء (٤) : آية ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١)

يا أيها الناس يا بنى آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم «١» . فإن قلت: علام عطف قوله وخلق منها زوجها؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يعطف على محذوف، كأنه قيل: من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها، وخلق منها زوجها.

وإنما حذف لدلالة المعنى عليه. والمعنى: شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها، وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها وبث منهما نوعي جنس الإنس وهما الذكور والإناث، فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل بكيفية خلقهم منها. والثاني: أن يعطف على خلقكم، ويكون الخطاب في: (يا أيها الناس) للذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والمعنى: خلقكم من نفس آدم، لأنهم من جملة الجنس المفرع منه، وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الأمم الفائتة للحصر. فإن قلت: الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعوا إليها ويبحث عليها، فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها؟ قلت: لأن

---

(١) . قال محمود: «معناه فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم وعلام عطف ... الخ» قال أحمد: وإنما قدر المحذوف في الوجه الأول حيث جعل الخطاب عاما في الجنس، لأنه لولا التقدير لكان قوله:

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢٦٢/١

(وبث منهما) تكرارا لقوله: (خلقكم) إذ مؤداهما واحد، وليس على سبيل بيان الأول، لأنه معطوف عليه حينئذ. وأما وهو معطوف على المقدر، فذاك المقدر واقع صفة مبينة، والمعطوف عليه داخل في حكم البيان فاستقام. وأما الوجه الثاني فالتكرار فيه ليس بلازم، إذ المخاطب بقوله: (خلقكم)
الذين بعث إليهم النبي عليه الصلاة والسلام. وقوله (وبث منهما) واقع على من عدا المبعوث إليهم من الأمم، فلا حاجة للتقدير المذكور في الوجه الثاني، والله أعلم.." (١)

"فإن كان لهن ولد منكم أو من غيركم. جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج، كما جعلت كذلك بحق النسب. والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن وإن كان رجل يعنى الميت.
ويورث من ورث، أى يورث منه وهو صفة لرجل. وكلالة خبر كان، أى وإن كان رجل موروث منه كلالة، أو يجعل يورث خبر كان، وكلالة حالا من الضمير في يورث. وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل، وكلالة حال أو مفعول به. فإن قلت:
ما الكلالة؟ قلت: ينطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا، وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين، وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد. ومنه قولهم: ما ورث المجد عن كلالة، كما تقول: ما صمت عن عى، وما كف عن جبن. والكلالة في الأصل: مصدر بمعنى الكلال، وهو ذهاب القوة من الإعياء. قال الأعشى:
فآليت لا أرثي لها من كلالة «١»
فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد، لأنها بالإضافة إلى قرابتهما كآلة ضعيفة، وإذا جعل صفة للموروث أو الوارث فبمعنى ذى كلالة. كما تقول: فلان من قرابتي، تريد من ذوى قرابتي. ويجوز أن تكون صفة كالهجاجة والفقاقة للأحمق «٢» . فإن قلت: فإن جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها؟ قلت: على أنها مفعول له أى يورث لأجل الكلالة أو يورث غيره

---

(١) .
وأما إذا ما أدلجت فترى لها ... رقيبين جديا لا يغيب وفرقدا
فآليت لا أرثى لها من كلالة ... ولا من وجى حتى تلاقى محمدا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١/٤٦١

للأعشى، يصف ناقته وقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، فصده المشركون ومات باليمامة. وأدلجت: سارت ليلا. وجديا، وفرقدا: بدل مما قبلهما. وهذا كناية عن طول ليلها، بل عن مللها من السير. فآليت. أى حلفت، لا أرثى: لا أرق لها، من أجل ملالة وسآمة. والوجى: ضرر الخف ونحوه من السير. ويروى بدله «فما لك عندي مشتكى من كلالة ولا من حفا» والمشتكى: الشكوى. والحف: الوجى. يقول: إذا سارت ناقتي ليلا طال ليلها، وحلفت لا أرق لها من أجل تعب ولا ضرر، حتى ألاقى بها محمدا صلى الله عليه وسلم. وأسند الفعل إليها، دلالة على أنها تعرفه، فهي السائرة إليه.

(٢) . قوله «كالهجاجة والفقاقة للأحمق» في الصحاح: رجل هجاجة أى أحمق. وفيه رجل فقاقة أى أحمق هذر.

وفيه أيضا: الهذر- بالتحريك-: الهذيان. والرجل هذر. بكسر الذال. (ع)." (١)

"لكن الله يشهد، بالتشديد. فإن قلت: الاستدراك لا بد له من مستدرك «١» فما هو في قوله: (لكن الله يشهد) ؟ قلت: لما سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله: (إنا أوحينا إليك) قال: لكن الله يشهد، بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد. وقيل: لما نزل (إنا أوحينا إليك) قالوا: ما نشهد لك بهذا، فنزل (لكن الله يشهد) ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه: إثباته لصحته بإظهار المعجزات، كما تثبت الدعاوى بالبينات. وشهادة الملائكة:

شهادتهم بأنه حق وصدق. فإن قلت: بم يجابون لو قالوا: بم يعلم أن الملائكة يشهدون بذلك؟

قلت: يجابون بأنه يعلم بشهادة الله، لأنه لما علم بإظهار المعجزات أنه شاهد بصحته علم أن الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لأن شهادتهم تبع لشهادته. فإن قلت: ما معنى قوله أنزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله؟ قلت: معناه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره، وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان، وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لأنه بيان للشهادة، وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائت للقدرة. وقيل: أنزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله إليك وأنك مبلغه. وقيل: أنزله مما علم من مصالح العباد مشتملا عليه.

ويحتمل: أنه أنزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة، والملائكة يشهدون بذلك، كما قال في آخر سورة الجن. ألا ترى إلى قوله تعالى: (وأحاط بما لديهم) والإحاطة بمعنى العلم

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤٨٥/١

وكفى بالله شهيدا وإن لم يشهد غيره، لأن التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله) .

[سورة النساء (٤) : الآيات ١٦٧ الى ١٦٩]

إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا (١٦٧) إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا (١٦٨) إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا (١٦٩) كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي «٢» ، وكان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين

---

(١) . قال محمود: «إن قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك ... الخ» قال أحمد: ورود هذا الفصل في كلامه مما يغتبط به.

(٢) . قال محمود: «أى جمعوا بين الكفر والمعاصي ... الخ» قال أحمد: يعدل من الظاهر، لعله يتروح إلى بث طرف من العقيدة الفاسدة في وجوب وعيد العصاة، وأنهم مخلدون تخليد الكفار. وقد تكرر ذلك منه. وهذه الآية تنبو عن هذا المعتقد، فانه جعل الفعلين أعنى الكفر والظلم كليهما صلة للموصول المجموع، فيلزم وقوع الفعلين جميعا من كل واحد من آحاده. ألا تراك إذا قلت: الزيدون قاموا، فقد أسندت القيام إلى كل واحد من آحاد الجمع، فكذلك لو عطفت عليه فعلا آخر لزم فيه ذلك ضرورة، والله الموفق.." (١)

"غنى به جنس الكتب المنزلة: ويجوز أن يقال: هو للعهد لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق وإنما أريد نوع معلوم منه، وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا ورقيبا على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات. وقرئ (ومهيمنا عليه) بفتح الميم، أى هو من عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل، كما قال: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) والذي هيمن عليه الله عز وجل أو الحفاظ في كل بلد، لو حرف حرف منه أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد، ولاشمأزوا رادين ومنكرين. ضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك عدى بعن كأنه قيل: ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم لكل جعلنا منكم أيها الناس شرعة شريعة. وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه. وقيل: هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا لجعلكم أمة واحدة جماعة متفقة

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٩٢/١

على شريعة واحدة، أو ذوى أمة واحدة أى دين واحد لا اختلاف فيه ولكن أراد ليبلوكم في ما آتاكم من الشرائع المختلفة، هل تعملون بها مذغنين معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات، معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها إلا ما اقتضته الحكمة؟ أم تتبعون الشبه وتفرطون في العمل؟ فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها إلى الله مرجعكم استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم، وعاملكم ومفرطكم في العمل.

[سورة المائدة (٥) : آية ٤٩]

وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون (٤٩)

فإن قلت: وأن احكم بينهم معطوف على ماذا؟ قلت: على: (الكتاب) في قوله (وأنزلنا إليك الكتاب) كأنه قيل: وأنزلنا إليك أن احكم على أن «أن» وصلت بالأمر، لأنه فعل كسائر الأفعال: ويجوز أن يكون معطوفا على: (بالحق) أى أنزلناه بالحق وبأن احكم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك أن يضلوك عنه ويستزلوك: وذلك أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من أحبار اليهود قالوا: اذهبوا بنا إلى محمد نفتنه عن دينه، فقالوا: يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود، وأنا إن اتبعناك اتبعتنا اليهود كلهم ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضى لنا عليهم، ونحن نؤمن بك ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت. فإن تولوا عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم." (١)

"رأسها ملح، وعند ذنبها خل، وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث، وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد. فقال شمعون: يا روح الله، أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة؟ فقال: ليس منهما، ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية، كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله: فقال الحواريون: يا روح الله، لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى، فقال يا سمكة احيى بإذن الله، فاضطربت. ثم قال لها: عودي كما كنت، فعادت مشوية. ثم طارت المائدة، ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير. وروى أنهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله تعالى:

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٦٤٠/١

(فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه) قالوا لا نريد فلم تنزل. وعن الحسن: والله ما نزلت، ولو نزلت لكان عيدا إلى يوم القيامة، لقوله: (وآخرنا) . والصحيح أنها نزلت.

[سورة المائدة (٥) : آية ١١٦]

وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (١١٦)

سبحانك من أن يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي أن أقول قولا لا يحق لي أن أقوله في نفسي في قلبي: والمعنى: تعلم معلومى ولا أعلم معلومك، ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه، فقيل في نفسك لقوله في نفسي إنك أنت علام الغيوب تقرير للجملتين معا، لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب، ولأن ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهى إليه علم أحد.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ١١٧ الى ١١٨]

ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧) إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨)

«أن» في قوله أن اعبدوا الله «١» إن جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر. والمفسر إما

---

(١) . قال محمود: «أن في قوله: (أن اعبدوا) إن جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر ... الخ» قال أحمد: وقد أجاز بعضهم وقوع «أن» المفسرة بعد لفظ القول، ولم يقتصر بها على ما في معناه، فيجوز على هذا القول وقوعها تفسيرا لفعل القول. وقد أبى الزمخشري في مفصله وقوعها إلا بعد فعل في معنى القول كمذهبه هاهنا.." (١)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٦٩٤/١

"القول على معناه لأن معنى (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) . ما أمرتهم إلا بما أمرتنى به، حتى يستقيم تفسيره يأن اعبدوا الله ربى وربكم. ويجوز أن تكون «أن» موصولة «١» عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه، أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الأدلة، وأنزلت عليهم من البينات، وأرسلت إليهم من الرسل إن تعذبهم فإنهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز القوى القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب. فإن قلت: المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال: (وإن تغفر لهم) «٢» ؟ قلت: ما قال إنك تغفر لهم، ولكنه بنى الكلام على: إن غفرت، فقال: إن عذبتهم عدلت، لأنهم أحقاء

---

(١) . عاد كلامه. قال: ويجوز أن تكون أن موصولة ... الخ» قال أحمد: يريد بجعله عطف بيان أن يسلم من تقدير إطراح الأول في البدل وخلو الصلة حينئذ من العائد. وقد بينا أن ذلك غير لازم في البدل. والعجب أنه أيضا في مفصله لم يفصل بين عطف البيان والبدل، إلا في مثل قول المرار:

أنا ابن التارك البكري بشر

لأنه لو جعله بدلا للزم تكرير العامل، وإضافة اسم الفاعل العرف بالألف واللام إلى العلم ولم يفصل بينهما في غير هذا المثال ومن حيث المعنى أن المعتمد في عطف البيان الأول. وأما الثاني فللتوضيح. والمعتمد في البدل الثاني.

وأما الأول فبساط لذكره، لا على أنه مطرح مهدر.

(٢) . قال محمود «إن قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وإن تغفر لهم ... الخ» ؟ قال أحمد رحمه الله: تذبذب الزمخشري في هذا الموضع فلا إلى أهل السنة ولا إلى القدرية. أما أهل السنة، فالمغفرة للكافر جائزة عندهم في حكم الله تعالى عقلا، بل عقاب المتقى المخلص كذلك غير ممتنع عقلا من الله تعالى، وإذا كان كذلك فهذا الكلام خرج على الجواز العقلي، وإن كان السمع ورد بتعذيب الكفار وعدم الغفران لهم، إلا أن ورود السمع بذلك لا يرفع الجواز العقلي. وأما القدرية فيزعمون أن المغفرة للكافر ممتنعة عقلا، لا تجوز على الله تعالى لمناقضتها الحكمة، فمن ثم كفحتهم هذه الآية بالرد، إذ لو كان الأمر كزعمهم لما دخلت كلمة «إن» المستعملة عند الشك في وقوع الفعل بعدها لغة في فعل لا شك في عدم وقوعه عقلا، ولكان ذلك من باب التعليق بالمحال، كأن يبيض القار وأشباهه. وليس هذا مكان. فقول

الزمخشري إذا (إن تغفر لهم) لم يعدم وجها من الحكمة في المغفرة لأن العفو عن المجرم حسن عقلا لا يأتلف بقواعد السنة، إذ لا يلتفت عندهم إلى التحسين العقلي، ولا يأتلف أيضا بنزغات القدرية، لأنهم يجزمون بأنه لا وجه من الحكمة في المغفرة للكافر، ويقطعون بمنافاتها الحكمة. فكيف يخاطب الله تعالى به، فعلم أن عيسى عليه السلام يبرأ إلى الله من هذا الإطلاق ومما اشتمل عليه من سوء الأدب، فان قول القائل لمن يخاطبه: ما فعل كذا فلن يعدم فيه عذرا ووجها من المصلحة كلام مبذول وعبارة نازلة عن أوفى مراتب الأدب، إنما يطلقها المتكلم لمن هو دونه عادة، فنسأل الله إلهام الأدب وتجنب ما في إساءته من مزلات العطب.." (١)

"كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم فيه ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم، من النوم بالليل، وكسب الآثام بالنهار، ومن أجله، كقولك: فيم دعوتني؟ فتقول: «١» في أمر كذا ليقضى أجل مسمى وهو الأجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم. ثم إليه مرجعكم وهو المرجع إلى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم.

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٦١ الى ٦٢]

وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون (٦١)
ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين (٦٢)

حفظة ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون. وعن أبى حاتم السجستاني كان يكتب عن الأصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم، حتى قال فيه. أنت شبيه الحفظة، تكتب لغط اللفظة: فقال أبو حاتم: وهذا أيضا مما ي كتب. فإن قلت: الله تعالى غنى بعلمه عن كتبة الملائكة، فما فائدتها؟ قلت: فيها لطف للعباد، لأنهم إذا علموا أن الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الأشهاد في مواقف القيامة، كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد عن السوء توفته رسلنا أى استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه. وعن مجاهد: جعلت الأرض له مثل الطست يتناول من يتناوله. وما من أهل بيت إلا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين. وقرئ: توفاه. ويجوز أن يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه. ويفرطون بالتشديد والتخفيف، فالتفريط التواني

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٦٩٦/١

والتأخير عن الحد، والإفراط مجاوزة الحد أى لا ينقصون مما أمروا به أو لا يزيدون فيه ثم ردوا إلى الله أى إلى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم أمورهم الحق العدل الذي لا يحكم إلا بالحق ألا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو أسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب. وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك: الحمد لله الحق.

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٦٣ الى ٦٤]

قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين (٦٣) قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون (٦٤)

---

(١) . قوله «فتقول في أمر كذا» لعله: فيقول. (ع)." (١)

"[سورة الأنعام (٦) : آية ١٠٢]

ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل (١٠٢)

ذلكم إشارة إلى الموصف مما تقدم من الصفات، وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهي الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء أى ذلك الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى: أن من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه. ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعنى وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال، رقيب على الأعمال.

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٠٣]

لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (١٠٣)

البصر: هو الجوهر اللطيف «١» الذي ركبه الله في حاسة النظر، به تدرك المبصرات. فالمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه، لأنه متعال أن يكون مبصرا «٢» في ذاته، لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلا أو تابعا، كالأجسام والهيئات وهو يدرك الأبصار وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٢/٢

اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن أن تدركه الأبصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الأبصار، لا تلطف عن إدراكه وهذا من باب اللطف.

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٠٤]

قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤)

---

(١) . قال محمود: «البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله تعالى في حاسة النظر به تدرك ... الخ» قال أحمد:

وقد سلف الكلام على هذه الآية في غير موضعها، لأن المصنف تعجل الكلام عليها قبل، والذي يريده الآن أن الإدراك عبارة عن الاحاطة، ومنه: حتى إذا أدركه الغرق أى أحاط به، وإنا لمدركون أى محاط بنا، فالمنفى إذا عن الأبصار إحاطتها به عز وعلا لا مجرد الرؤية، ثم إما أن نقتصر على أن الآية لا تدل على مخالفتنا، أو تزيد فنقول، بدل لنا أن تخصيص الاحاطة بالنفي يشعر بطريق المفهوم بثبوت ما هو أدنى من ذلك، وأقله مجرد الرؤية، كما أنا نقول: لا تحيط به الأفهام وإن كانت المعرفة بمجردها حاصلة لكل مؤمن، فالاحاطة للعقل منفية كنفى الاحاطة للحس، وما دون الاحاطة من المعرفة للعقل والرؤية للحس ثابت غير منفي. ولم يذكر الزمخشري على إحالة الرؤية عقلا دليلا ولا شبهة فيحتاج إلى القدح فيه ثم معارضته بأدلة الجواز، ولكنه اقتصر على استبعاد أن يكون المرئي لا في جهه، فيقتصر معه على إلزامه استبعاد أن يكون الموجود لا في جهة إذ اتباع الرهم يبعدهما جميعا، والانقياد إلى العقل يبطل هذا الوهم ويجيزهما معا. وهذا القدر كاف بحسب ما أورده في هذا الوضع، والله الموفق.

(٢) . قوله «لأنه متعال عن أن يكون مبصرا» استحالة الرؤية مذهب المعتزلة، لظاهر هذه الآية. وجوازها مذهب أهل السنة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وكل يؤول مستند الآخر. وتحقيقه في التوحيد. (ع)." (١)

"الخلق، بمعنى لأنه. أو هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله: أى وعد الله وعدا بدأ الخلق ثم إعادته. والمعنى: إعادة الخلق بعد بدئه. وقرئ: وعد الله، على لفظ الفعل. ويبدئ، من أبدأ. ويجوز أن

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٥٤

يكون مرفوعا بما نصب حقا، أى حق حقا بدأ الخلق، كقوله:

أحقا عباد الله أن لست جائيا ... ولا ذاهبا إلا على رقيب «١»

وقرئ: حق أنه يبدؤ الخلق، كقولك: حق أن زيدا منطلق بالقسط بالعدل، وهو متعلق بيجزى. والمعنى: ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم. أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحا، لأن الشرك ظلم. قال الله تعالى إن الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام أنفسهم، وهذا أوجه، لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون.

[سورة يونس (١٠) : آية ٥]

هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون (٥)

الياء في ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها. وقرئ: ضئاء بهمزتين بينهما ألف على القلب، بتقديم اللام على العين، كما قيل في عاق: عقا. والضياء أقوى من النور وقدره وقدر القمر. والمعنى وقدر مسيره منازل أو قدره ذا منازل، كقوله تعالى والقمر قدرناه منازل. والحساب وحساب الأوقات من الشهور والأيام والليالي ذلك إشارة إلى المذكور أى ما خلقه إلا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا. وقرئ: يفصل، بالياء.

[سورة يونس (١٠) : آية ٦]

إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون (٦)

خص المتقين لأنهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر إلى النظر والتدبر.

---

(١) .

أحقا عباد الله أن لست جائيا ... ولا ذاهبا إلا على رقيب

ولا زائرا فردا ولا في جماعة ... من الناس إلا قيل أنت مريب

لعبد الله بن الدمينة الخثعمي. وقيل: لقيس بن الملوح. قال المرزوقي: أحقا انتصب عند سيبويه على الظرفية، كأنه قال: أفى الحق ذلك، لأنهم كثيرا ما يقولون: أفى الحق كذا. وعند المبرد على المفعولية المطلقة، أى

أحق ذلك حقا، لأنه مصدر. وعباد الله: منادى. وروى: أن لست واردا ولا صادرا. والمعنى واحد. **والرقيب**: المانع من لقاء الحبيب. ويجوز أن يراد به ما في قوله تعالى: ما يلفظ من قول إلا لديه **رقيب** عتيد أى مناظر حاضر.

أو قوله تعالى إن كل نفس لما عليها حافظ.." (١)

"صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب، فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة، كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه. اشهد على أنى لا أحبك، تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من إشراككم آلهة من دونه، أو مما تشركونه من آلهة من دونه، أى أنتم تجعلونها شركاء له، ولم يجعلها هو شركاء. ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا أنتم وآلهتكم أعجل ما تفعلون، من غير إنظار، فإنى لا أبالى بكم وبكيدكم، ولا أخاف معرتكم وإن تعاونتم على وأنتم الأقوياء الشداد، فكيف تضرني آلهتكم، وما هي إلا جماد لا تضر ولا تنفع، وكيف تنتقم منى إذا نلت منها وصددت عن عبادتها، بأن تخبلنى وتذهب بعقلي.

[سورة هود (١١) : الآيات ٥٦ الى ٥٧]

إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم (٥٦) فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ (٥٧)

ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم، وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم، من كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه، والأخذ بنواصيها، تمثيل لذلك إن ربي على صراط مستقيم يريد أنه على طريق الحق والعدل في ملكه، لا يفوته ظالم، ولا يضيع عنده معتصم به فإن تولوا فإن تتولوا. فإن قلت:

الإبلاغ كان قبل التولي، فكيف وقع جزاء للشرط؟ قلت: معناه فإن تتولوا لم أعاتب على تفريط في الإبلاغ، وكنتم محجوجين بأن ما أرسلات به إليكم قد بلغكم فأبيتم إلا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٢٩/٢

كلام مستأنف، يريد: ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط، لأنه لا يجوز عليه المضار والمنافع، وإنما تضرون أنفسكم. وفي قراءة عبد الله: ويستخلف، بالجزم.

وكذلك: ولا تضروه، عطفا على محل فقد أبلغتكم والمعنى: إن يتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا إلا أنفسكم على كل شيء حفيظ أى رقيب عليه مهيمن، فما تخفى." (١)

"عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم. أو من كان رقيبا على الأشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة إلى حفظه من المضار، لم يضر مثله مثلكم.

[سورة هود (١١) : آية ٥٨]

ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ (٥٨)

والذين آمنوا معه قيل: كانوا أربعة آلاف. فإن قلت: ما معنى تكرير التنجية؟

قلت: ذكر أولا أنه حين أهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى:

وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ، وذلك أن الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضوا عضوا. وقيل: أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة، ولا عذاب أغلظ منه وأشد. وقوله: برحمة منا، يريد: بسبب الإيمان الذي أنعمنا عليهم بالتوفيق له.

[سورة هود (١١) : الآيات ٥٩ الى ٦٠]

وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد (٥٩) وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود (٦٠)

وتلك عاد إشارة إلى قبورهم وآثارهم، كأنه قال: سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا، ثم استأنف وصف أحوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله، لا نفرق بين أحد من رسله قيل لم يرسل إليهم إلا هود وحده كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤٠٤/٢

ومعنى اتباع أمرهم: طاعتهم. ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله. وألا وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم، تهويل لأمرهم وتفظيع له، وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم.

فإن قلت: بعدا دعاء بالهلاك، فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم؟ قلت: معناه الدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له: ألا ترى إلى قوله:

إخوتى لا تبعدوا أبدا ... وبلى والله قد بعدوا «١»

---

(١).

إخوتى لا تبعدوا أبدا ... وبلى والله قد يعدوا

ما أمر العيش بعدكم ... كل عيش بعدكم نكد

ليت شعري كيف شربكم ... إن شربى بعدكم ثمد

لفاطمة بنت الأحجم الخزاعية. وتقول العرب: بعد بالضم في ضد القرب، وبالكسر في الهلاك، ومضارع الأول مضموم، ومضارع الثاني مفتوح. وما في البيت منه. وما أمر: تعجب، وشبهت العيش وهو الحياة أو ما يعاش به بشيء مر على طريق المكنية، وإثبات المرارة تخييل، أو استعارتها للنقص على طريق التصريحية. والنكد:

العسر الضيق المنغص. والثمد: الماء القليل الذي لا مادة له فينقطع سريعا. ورجل مثمود، إذا كثر عليه السؤال من العلم أو المال حتى نفد ما عنده. والمعنى: أن سروري بعدكم منقطع كالماء القليل، وعبرت بذلك لمشاكلة ما قبله.

ويروى لها بعد البيت الأول:

لو تملتهم عشيرتهم ... لاقتناء العز أو ولدوا

هان من بعض الرزية أو ... هان ءن بعض الذي أجد

كل ما حى وإن أمروا ... وارد والحوض الذي وردوا

ومعنى تملتهم: عاشوا معهم مليا من الزمان، وأقحمت «من» مع إغباء «بعض» عنها، للدلالة على تبغيض

البغض.

و «ما» مقحمة، بنى كل حى مبالغة في العموم. وأمروا بالكسر: كثروا. والحوض: تمثيل للموت.." (١)

"[سورة هود (١١) : الآيات ٩١ الى ٩٥]

قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز (٩١) قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط (٩٢) ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣) ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٩٤) كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود (٩٥)

ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لأنهم كانوا لا يلقون إليه أذهانهم رغبة عنه وكراهية له، كقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه. أو كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه، فكأنهم لم يفقهوه. وقالوا ذلك على وجه الاستهانة به، كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه:

ما أدرى ما تقول. أو جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا، لا ينفعهم كثير منه، وكيف لا ينفعهم كلامه وهو خطيب الأنبياء، وقيل: كان ألثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا «١» ، فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروها. وعن الحسن ضعيفا مهينا. وقيل ضعيفا أعمى. وحمير تسمى المكفوف: ضعيفا، كما يسمى ضريرا، وليس بسديد، لأن فينا يأباه.

ألا ترى أنه لو قيل إنا لنراك فينا أعمى، لم يكن كلاما، لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم، ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا. والرهط: من الثلاثة إلى العشرة. وقيل: إلى السبعة.

وإنما قالوا: ولولاهم، احتراما لهم واعتدادا بهم، لأنهم كانوا على ملتهم، لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما أنت علينا بعزيز أى لا تعز علينا ولا تكرم، حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم. وإنما يعز علينا رهطك، لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا، وقد دل إيلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤٠٥/٢

(١) . قال محمود: «معنى قولهم ضعيفا، أى: لا قوة لك ولا عز فيما بيننا ... الخ» قال أحمد: وهذا من محاسن نكتة الدالة على أنه كان مليا بالحذاقة في علم البيان والله المستعان.." (١)

"في الفاعل لا في الفعل، كأنه قيل: وما أنت علينا بعزيز، بل رهطك هم الأعزة علينا، ولذلك قال في جوابهم أرهطي أعز عليكم من الله ولو قيل: وما عززت علينا، لم يصح هذا الجواب.

فإن قلت: فالكلام واقع فيه وفي رهطه وأنهم الأعزة عليهم دونه، فكيف صح قوله أرهطي أعز عليكم من الله قلت: تهاونهم به- وهو نبى الله- تهاون بالله، فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله. ألا ترى إلى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله، واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به، والظهرى: منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب. ونظيره قولهم في النسبة إلى أمس:

أمسى بما تعملون محيط قد أحاط بأعمالكم علما، فلا يخفى عليه شيء منها على مكانتكم لا تخلو المكانة من أن تكون بمعنى المكان، يقال: مكان ومكانة، ومقام ومقامة. أو تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين. والمعنى: اعملوا قارين على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك والشنآن لي. أو اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها إني عامل على حسب ما يؤتينى الله من النصرة والتأييد ويمكنني من يأتيه يجوز أن تكون من استفهامية، معلقة لفعل العلم عن عمله فيها، كأنه قيل: سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه، وأينا هو كاذب، وأن تكون موصولة قد عمل فيها، كأنه قيل: سوف تعلمون الشقى الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب.

فإن قلت: أى فرق بين إدخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون؟ قلت: إدخال الفاء: وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها: وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر، كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت؟ فقال: سوف تعلمون، فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف، للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف، وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما أقول لكم إني معكم **رقيب** أى منتظر. **والرقيب** بمعنى الراقب، من رقبه، كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم. أو بمعنى المراقب، كالعشير والنديم. أو بمعنى المرتقب، كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع. فإن قلت:

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٤٢٣

قد ذكر عملهم على مكانتهم «١» وعمله على مكانته، ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم،

(١) . قال محمود: «إن قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم ... الخ» قال أحمد: والظاهر- والله أعلم- أن الكلامين جميعا لهم، فالأول وهو قوله من يأتيه عذاب يخزيه مضمن ذكر جرمهم الذي يجازون به وهو الكذب، ويكون من باب عطف الصفة على الصفة والموصوف واحد، كما تقول لمن تهدده: ستعلم من يهان ومن يعاقب، وإنما يعنى المخاطب في الكلامين، فإذا ثبت صرف الكلامين إليهم لم يخل ذلك من دلالة على ذكر عاقبته هو، لأن أحد الفريقين إذا كان مبطلا فالآخر هو المحق قطعا، فذكره لإحدى العاقبتين صريحا يفهم ذكر الأخرى تعريضا:
والتعريض كما علمت في كثير من مواضعه أبلغ وأوقع من التصريح، وهذا منه، والذي يدل على أن الكلامين لهما وأن عاقبة أمر شعيب لم تذكر، استغناء عنها بذكر عاقبتهم، كما بيناه في الآية التي في أول هذه السورة، وهي قوله تعالى قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ألا تراه كيف اكتفى بذلك عن أن يقول: ومن هو على خلاف ذلك، وكذلك قوله في سورة الأنعام قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار فذكر هناك أيضا إحدى العاقبتين، لأن المراد بهذه العاقبة عاقبة الخير، ومتى أطلقت فلا يعنى إلا ذلك، كقوله والعاقبة للمتقين واستغنى عن ذكر مقابلتها، والله أعلم. فتأمل هذا الفصل فانه تحفة لمن همه نظم درر الكتاب العزيز، وضم بعضها إلى بعض، والله الموفق للصواب.." (١)

"ومنه قولهم: في الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا. ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى، كالتقية بمعنى التقوى، أى: فهلا كان منهم ذو وبقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه.
وقرئ: أولو بقية، بوزن لقية، من بقاه يبقيه إذا راقبه وانتظره ومنه: «بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم «١» » والبقية المرة من مصدره. والمعنى: فلو كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله، كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم لإشفاقهم إلا قليلا استثناء منقطع، معناه: ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد، وسائرهم تاركون للنهى. ومن في ممن أنجينا حقها أن تكون للبيان لا للتبعيض، لأن النجاة إنما هي للناهين وحدهم، بدليل قوله تعالى أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا. فإن قلت: هل لوقوع هذا

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٤٢٤

الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه؟ قلت: إن جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام، كان المعنى فاسدا، لأنه يكون تحضيضا لأولى البقية على النهى عن الفساد، إلا للقليل من الناجين منهم كما تقول: هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم، تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وإن قلت في تحضيضهم على النهى عن الفساد معنى نفيه عنهم، فكأنه قيل: ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلا، كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا، وكان انتصابه على أصل الاستثناء، وإن كان الأفصح أن يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه أراد بالذين ظلموا: تاركي النهى عن المنكرات، أى: لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعقدوا هممهم بالشهوات، واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف، من حب الرياسة والثروة، وطلب أسباب العيش الهنيء. ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم. وقرأ أبو عمرو في رواية الجعفي، واتبع الذين ظلموا، يعنى: واتبعوا جزاء ما أتوفوا فيه. ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة: أنهم اتبعوا جزاء إترافهم. وهذا معنى قوى لتقدم الإنجاء، كأنه قيل: إلا قليلا ممن أنجينا منهم وهلك السائر. فإن قلت: علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا؟ قلت: إن كان معناه: واتبعوا الشهوات، كان معطوفا على مضمر، لأن المعنى إلا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد، واتبع الذين ظلموا شهواتهم، فهو عطف على نهوا. وإن كان معناه واتبعوا جزاء الإتراف، فالواو للحال، كأنه قيل: أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم. فإن قلت: فقوله وكانوا مجرمين؟ قلت: على أترفوا أى: اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين، لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام. أو أريد بالإجرام

---

(١) . أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن جبل قال «بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة العتمة، فتأخر حتى ظن الظان أنه ليس بخارج ... الحديث» .." (١)

"متيسر لا يتعاظمه. ويجوز أن يكون من كلام يعقوب، وأن حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد، كقوله ذلك ليعلم «١»

[سورة يوسف (١٢) : آية ٦٦]

قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤٣٧/٢

ما نقول وكيل (٦٦)

لن أرسله معكم مناف حالى «٢» - وقد رأيت منكم ما رأيت- إرساله معكم حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله، أراد أن يحلفوا له بالله: وإنما جعل الحلف بالله موثقا منه لأن الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد. وقد أذن الله في ذلك فهو إذن منه لتأتنني به جواب اليمين، لأن المعنى: حتى تحلفوا لتأتننى به إلا أن يحاط بكم إلا أن تغلبوا «٣» فلم تطيقوا الإتيان به. أو إلا أن تهلكوا. فإن قلت: أخبرنى عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه إشكال؟ قلت: أن يحاط بكم مفعول له، والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي. معناه: لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم، أى: لا تمتنعون منه لعلة من العلل إلا لعلة واحدة: وهي أن يحاط بكم، فهو استثناء من أعم العام في المفعول له، والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا في النفي وحده، فلا بد من تأويله بالنفي. ونظيره من الإثبات المتأول بمعنى النفي قولهم: أقسمت بالله لما فعلت وإلا فعلت، تريد: ما أطلب منك إلا الفعل على ما نقول من طلب الموثق وإعطائه وكيل رقيب مطلع.

---

(١) . قوله «كقوله ذلك ليعلم» هل المراد أن جواز كونه من كلام يعقوب، لأن المعنى يؤدى إليه، كما جاز في قوله تعالى ذلك ليعلم كونه من كلام يوسف، لأن المعنى يقود إليه، فتدبر. (ع)

(٢) . قال محمود: «معناه أن إرساله معكم مناف ... الخ» قال أحمد: لن للنفي المؤكد. وأما قول الزمخشري في المنافاة له، فله وراء ذلك غرض إنما يطلع عليه من قتل كلامه علما، وذلك أنه اعتمد في إحالة الرؤية على الله تعالى، على أن قوله تعالى لن تراني معناه أن الرؤية منافية لحالي، وجعل هذه المنافاة من مقتضى لن ثم التزم ذلك في هذه اللفظة حيثما وقعت، كل ذلك لتمرن الأذهان على أن هذا مقتضى لن وقد سبق وجه الرد عليه في ذلك.

(٣) . عاد كلامه. قال: «وقوله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم معناه إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان ... الخ» قال أحمد: وإنما اختص هذا النوع من الاستثناء بالنفي، لأن المستثنى منه مسكوت عنه، والنفي عام، إذ يلزم من نفى الإتيان مثلا نفى جميع العوارض اللاحقة به ضرورة، فكأنه لعمومه مقرون بذكر المستثنى منه، ولا كذلك الإتيان، فانه لا إشعار له بعموم الأحوال، لأنه لا يتوقف إلا على أحدها، والله أعلم. ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر، وهو قولهم «البلاء موكل بالمنطق» فان يعقوب عليه السلام قال أولا في حق

يوسف: وأخاف أن يأكله الذئب، فابتلى من ناحية هذا القول. وقال هاهنا ثانيا: إلا أن يحاط بكم، أى تغلبوا عليه، فابتلى أيضا بذلك، وأحيط بهم، وغلبوا عليه.." (١)

"في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الإمام. وكان متقلبا في أيدى أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه، خصوصا عن القانون الذي إليه المرجع، والقاعدة التي عليها البناء، وهذه والله فرية ما فيها مرية. ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء بآمنوا، على: أولم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء أعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير إليهم شرارها، ويتعدى إليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم، أو القيامة. وقيل: ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا «١» فتغير حول مكة وتختطف منهم، وتصيب من مواشيهم. أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك، كما حل بالحديبية، حتى يأتى وعد الله وهو فتح مكة، وكان الله قد وعده ذلك

[سورة الرعد (١٣) : آية ٣٢]

ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب (٣٢)

الإملاء: الإمهال، وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن، كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم. استهزاء به وتسلية له.

[سورة الرعد (١٣) : الآيات ٣٣ الى ٣٤]

أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٣) لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق (٣٤)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤٨٧/٢

أفمن هو قائم احتجاج عليهم في إشراكهم بالله، يعنى أفا الله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة أو طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره، ويعد لكل جزاءه،

---

(١) . قلت: هو موجود في المغازي لابن اسحق. والواقدي، وطبقات ابن سعد في عدة سرايا منها سرية زيد ابن حارثة ليلقى عير قريش، وسرية على الحر بن سعد بن بكر وغيرهما.." (١)

"الغافل عما يعملون، ولكن معاملة الرقيب عليهم، المحاسب على النقير والقطمير، وإن كان خطابا لغيره ممن يجوز أن يحسبه غافلا، لجهله بصفاته، فلا سؤال فيه. وعن ابن عيينة: تسلية للمظلوم وتهديد للظالم، فقيل له. من قال هذا؟ فغضب وقال: إنما قاله من علمه. وقرئ: يؤخرهم، بالنون والياء تشخص فيه الأبصار أى أبصارهم لا تقر في أماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين إلى الداعي. وقيل: الإهطاع أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر إليه لا تطرف مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد إليهم طرفهم لا يرجع إليهم أن يطرفوا بعيونهم، أى:

لا يطرفون، ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للأجفان. أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم. الهواء: الخلاء الذي لم تشغله الأجرام، فوصف به فقيل: قلب فلان هواء إذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة. ويقال للأحمق أيضا: قلبه هواء. قال زهير:

من الظلمان جؤجؤه هواء «1»

لأن النعام مثل في الجبن والحمق. وقال حسان:

فأنت مجوف نخب هواء «٢»

---

(١) .

كأن الرحل منها فوق صعل ... من الظلمان جؤجؤه هواء

أصك مصلم الأذنين أجنى ... له بالسن تنوم وآء

لزهير بن أبى سلمى يصف ناقته. والصعل: المنجرد شعر الرأس والصغير الرأس. والظلمان: جمع ظليم وهو ولد النعام، والجؤجؤ: الصدر. والهواء: الخالي الفارغ، وجعل صدره فارغا ليكون أسرع في السير إلى طعامه.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٥٣١

والأصك:
الذي تصطك ركبتاه عند المشي لطول رجليه. وصلمه: قطعه. والتصليم: مبالغة. ويقال: أجنى الثمر إذا أدرك، وأجنت الأرض: كثر كلؤها وخصيها. والسن، المكان المستوى واسم موضع بعينه. والتنوم- وزن تنور-:
شجر تنفلق كمامه عن حب صغير تأكله أهل البادية، يغلب على لونه السواد. قيل: وهو شجر الشهدانج. والآء: جنس من الشجر واحده آءة. وقيل: ثمر ذلك الشجر يطلق على نوع من الصوت: والتنوم: فاعل أجنى، أى كثر له في ذلك المكان هذان النوعان.
(٢) .
ألا أبلغ أبا سفيان عنى ... فأنت مجوف نخب هواء
بأن سيوفنا تركت عبيدا ... وعبد الدار سادتها الإماء
هجوت محمدا فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء
أمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء
فان أبى ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء
لحسان يهجو أبا سفيان قبل إسلامه. وألا التنبيه، والمأمور بالابلاغ غير معين، وكان الظن أن يقول: فانه، أى: أبا سفيان، لكن خاطبه بالذم لأنه أغيظ. ويجوز أن المأمور أبو سفيان، فهو منادى بحذف حرف النداء.
والمجوف والنخب والهواء: خالي الجوف، أو فارغ القلب من العقل والشجاعة. وروى بدل هذا الشطر «مغلغلة فقد برح الخفاء» والمغلغلة: الحارة من الغلة بالضم، وهي شدة العطش والحرارة. وقيل. المنقولة من مكان لآخر، وبرح كسمع: ذهب وزال. وقيل: ظهر واتضح من براح الأرض وهو البارز منها، فالخفا بمعنى التستر أو السر.
وإسناد الترك للسيوف مجاز عقلى، لأنها آلة للفعل. وعبيد بالتصغير قبيلة، وكذلك عبد الدار، وسادتها مبتدأ.
والإماء خبره، والجملة في محل المفعول الثاني لتركت، أى صيرت عبيدا لا سادة لها إلا النساء، وصيرت عبد الدار كذلك، يعنى: أننا أفنينا رجالهما الرؤساء الأشراف، فأشرافهما النساء لا غير، بل يجوز أنهم سواء

الحرائر أيضا، فلم يبق إلا الرقائق. وأتهجوه: استفهام توبيخي، والواو بعده للحال، أى: لا ينبغي ذلك شر وخير، من قبيل أفعل التفضيل، واختصا بحذف همزتهما تخفيفا لكثرة استعمالهما، لكن المراد بهما هنا أصل الوصف لا الزيادة فيه والشر أبو سفيان، والجملة دعائية، دعا عليه بأن يكون فداء الرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبرزه في صورة الإبهام لأجل الانصاف في الكلام، ولذلك لما سمعه الحاضرون قالوا: هذا نصف بيت قالته العرب، فعليك بالانصاف وأمن يهجو: استفهام إنكارى، أى ليس من يهجوه منكم ومن يمدحه وينصره منا مستويين. ويحتمل أن الهمزة للتنبيه، أو للنداء، والمنادى محذوف، أى: يا قوم أبى سفيان إن الذي يهجو رسول الله منكم والذي يمدحه وينصره منكم مستويان في عدم الاكتراث بهما وروى: فمن، ولا بد من تقدير، أى: من يهجوه ويخذله منكم ليقابل الخذلان النصر كالهجو والمدح، ثم إن في هذا دليلا على جواز حذف الموصول، وقد أجازه الكوفيون والأخفش، وتبعهم أبو مالك، وشرط كونه معطوفا على موصول آخر كما هنا. وقوله: ووالده، أى والد أمى. ويروى:
ووالدتي. والوقاء: ما يتوقى به المكروه، كالترس وزن الحزام والرباط للمفعول به الفعل، فهو إما بمعنى اسم مفعول أو اسم الآلة، ورأيت في كلام الزمخشري ما يفيد تسمية هذا الوزن باسم المفعول. وفي الهمع ما يفيد أنه جاء شاذا من أوزان الآلة، كأراث لما تؤرث به النار، أى تضرم به، وسراد لما يسرد به، أى يحزز به. ولما سمع صلى الله عليه وسلم قوله «وعند الله في ذلك الجزاء» قال: جزاك الله الجنة بإحسان. ولما سمع قوله «فان أبى» قال: وقال الله حر النار بإحسان. وتقريره صلى الله عليه وسلم على المكافأة بالذم، يدل على الجواز.." (١)

"«وعاد من عاداه» «١» وكانت سبب إسلام عثمان بن مظعون.

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٩١ الى ٩٢]

وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون (٩١) ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون (٩٢)

عهد الله: هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله. ولا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٦٣/٢

تنقضوا أيمان البيعة بعد توكيدها أى بعد توثيقها باسم الله. وأكد ووكد: لغتان فصيحتان، والأصل الواو، والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا، لأن الكفيل

---

(١) . هذا طرف من حديث غدير خم الوارد في فضل على بن أبى طالب رضى الله عنه. وقد أخرجه النسائي وابن حبان والحاكم من رواية الأعمش عن حبيب بن أبى ثابت عن الطفيل عن زيد بن أرقم. وفيه هذا اللفظ.

ورواه النسائي أيضا من رواية شريك: قلت لأبى إسحاق: أسمعت البراء يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قال يوم غدير خم «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: نعم. وأخرجه ابن أبى شيبة وأبو يعلى والبزار من وجه آخر عن شريك عن إدريس بن يزيد الأودي عن أبيه عن أبى هريرة وتابعه عكرمة بن إبراهيم عن إدريس عند الطبراني، ورواه الطبري أيضا من طريق سليمان بن قوم عن أبى إسحاق عن حبشي بن جنادة. وأخرجه النسائي أيضا من طريق مهاجر بن مسمار عن عائشة بنت سعد عن أبيها أن النبي صلى الله عليه وسلم «أخذ بيد على يوم غدير خم فقال: من كنت وليه فهذا وليه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وأخرجه الحاكم من رواية مسلم الملائى عن حثمة بن عبد الرحمن عن سعد بن مالك نحوه وفي الباب عن ابن عمر أخرجه الطبراني من طريق عطية عنه والبزار من طريق جميل بن عمارة عن سالم عن أبيه وعن أنس وغيره أخرجه الطبراني في الصغير من رواية طلحة بن مصرف عن عميرة بن سعد قال: شهدت عليا على المنبر ناشد الصحابة: من سمعه يقول يوم غدير خم ما قال؟ فقام اثنا عشرة، منهم أبو هريرة وأبو سعيد وأنس» وعن جرير أخرجه الطبراني مطولا: وعن طلحة أخرجه الحاكم من رواية رفاعة بن إياس العمى عن أبيه عن جده قال «كنا مع على يوم الجمل فبعث إلى طلحة فقال له: نشدتك الله، ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول- فذكره، فقال: نعم. قال:

فلم تقاتلني؟ قال: لم أذكره وانصرف طلحة» وعن جابر أخرجه أبو يعلى، والطبراني في مسند الشاميين من طريق ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن قبيصة بن ذؤيب وأبى سلمة عن جابر، وعن حذيفة بن أسيد أخرجه الطبراني وجمع ابن عقدة طرف حديث غدير خم. فأخرجه من رواية جماعة آخرين من الصحابة مع هؤلاء: منهم عمار بن ياسر، والعباس وابنه، والحسن بن على والحسين بن على، وعبد الله بن جعفر، وسلمان

الفارسي، وسمرة بن جندب، وسلمة بن الأكوع، وزيد بن حارثة. وأبو رافع، وزيد بن ثابت الأنصارى، ويعلى بن مرة وآخرون.." (١)

"وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح، لأن ذلك نوع من العلم، فقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم، وأمر بالعمل به أولئك إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد، كقوله:

والعيش بعد أولئك الأيام «١»

وعنه في موضع الرفع بالفاعلية، أى: كل واحد منها كان مسئولا عنه، فمسئول: مسند إلى الجار والمجرور، كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للإنسان: لم سمعت ما لم يحل لك سماعه، ولم نظرت إلى ما لم يحل لك النظر إليه، ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه؟ وقرئ والفؤاد بفتح الفاء والواو، قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد، ثم استصحب القلب مع الفتح.

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٣٧ الى ٣٨]

ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا (٣٧) كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها (٣٨)

مرحا حال، أى: ذا مرح. وقرئ مرحا وفضل الأخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التأكيد لن تخرق الأرض لن تجعل فيها خرقا «٢» بدوسك لها وشدة وطأتك.

---

(١).

لولا مراقبة العيون أريننا ... مقل المها وسوالف الآرام

هل ينهينك أن قتلن مرقشا ... أو ما فعلن بعروة بن حزام

ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد أولئك الأيام

لجرير بن عطية يخاطب نفسه على طريق التجريد، يقول: لولا مراقبة النساء للعيون، أى الرقباء المتطلعين علينا، لبرزن لنا وأريننا عيونهن التي هي كعيون بقر الوحش، فمقل المها: استعارة مصرحة، وكذلك سوالف الآرام.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٦٣٠

والسالفة: مقدم العنق وصفحته. والآرام: جمع رئم بالكسر والهمز، وهو الغزال الأبيض، وأصله «أرآم» بهمز ممدود بعد الراء وزن أحمال، فقلب إلى ما قبلها. ويجوز أنه جمع ريم بالفتح وهو الغزال الأبيض، فهمز وقلب. وهل بمعنى قد. أو للتقرير. أى: أنه ينهاك عنهن مقتلهن مرقشا العاشق المشهور. أو فعلهن بعروة العاشق أيضا. وذم: فعل أمر، كأنه نذكر محبوبته في تلك الديار وتلك الأيام، فقال: ذم المنازل كلها حال كونها بعد، أى: غير منزلة اللوى. أو بعد مجاوزتك منزلة اللوى بلازم. واللوى: موضع بعينه من الرمل الملتوى، وذم الحياة كلها بعد حياتنا في تلك الأيام، أو ذم مدة الحياة كلها بعد تلك الأيام السابقة، وأشار لها بما للعقلاء لعظمتها عنده، ولأن تخصصه بالعقلاء طارئ في الاستعمال كما قيل ويجوز أن بعد ظرف المنازل والعيش وبعض النحاة جعل «ذم» مبنيا للمجهول، وما بعده مرفوع به على النيابة.

(٢) . قال محمود: «معناه لن تجعل فيها خرقا ... الخ» قال أحمد: وفي هذا التهكم والتقريع لمن يعتاد هذه المشية كفاية في الانزجار عنها، ولقد حفظ الله عوام زماننا عن هذه المشية، وتورط فيها قراؤنا وفقهاؤنا، بينا أحدهم قد عرف مسألتين أو أجلس بين يديه طالبين، أو شدا طرفا من رياسة الدنيا، إذ هو يتبختر في مشيه ويترجع، ولا يرى أنه يطاول الجبال، ولكن يحك بيافوخه عنان السماء، كأنهم يمرون عليها وهم عنها معرضون، وماذا يفيده أن يقرأ القرآن أو يقرأ عليه، وقلبه عن تدبره على مراحل، والله ولى التوفيق.." (١)

"فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم، فينتقم منكم بأن يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد، كأنها تتقصف أى تتكسر. وقيل: التي لا تمر بشيء إلا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء، أى الريح. وبالنون، وكذلك: نخسف، ونرسل، ونعيدكم.

قرئت بالياء والنون. التبيع: المطالب، من قوله فاتباع بالمعروف أى مطالبة. قال الشماخ:

كما لاذ الغريم من التبيع «١»

يقال: فلان على فلان تبيع بحقه، أى مصيطر عليه مطالب له بحقه. والمعنى: أنا نفعل ما نفعل بهم، ثم لا تجد أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثأر من جهتنا. وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها. بما كفرتم بكفرانكم النعمة، يريد: إعراضهم حين نجاهم.

[سورة الإسراء (١٧) : آية ٧٠]

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٦٦٧/٢

ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (٧٠)

قيل في تكرمة ابن آدم: كرمه الله بالعقل، والنطق، والتمييز، والخط، والصورة الحسنة والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد. وقيل بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيره لهم.

وقيل: كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم. وعن الرشيد: أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف، فقال له: جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها، فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة، «٢» وحسب بنى آدم تفضيلا أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم

---

(١) .

يلوذ ثعالب الشرقين منها ... كما لاذ الغريم من التبيع

الشماخ، يصف عقابا تهرب منها ثعالب الشرقين، وهو اسم موضع، أو جهة الجنوب وجهة الشمال، كالمشرقين، كما لاذ: أى هرب والتجأ، الغريم: أى المدين، من التبيع: أى الدائن المطالب.

(٢) . قال محمود: «المراد فضلناهم على ما سوى الملائكة ... الخ» قال أحمد: وقد بلغ إلى حد من السفه يوجب الحد، ولسنا لمساجلته إلا من حيث العلم، لا من حيث السفه. والقدر الذي تختص به هذه الآية أن حمل كثير على الجميع غير مستبعد ولا مستنكر. ألا ترى أنه ورد حمل القليل على العدم. والزمخشري يختار ذلك في قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون وأشباهه كثير. وقد لمح الشاعر ذلك في قوله.

قليل بها الأصوات إلا بغامها

أى لا أصوات بها، ولنا أن نبقيه على ما هو عليه، ونقول: إن المخلوق قسمان: بنو آدم أحدهما وغيرهم من جميع المخلوقين القسم الآخر، ولا شك أن غيرهم أكثر منهم وإن لم يكونوا أكثر منهم كثيرا، فمعنى قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا أى على غيرهم من جميع المخلوقين، وتلك الأغيار كثير بلا مراء، وذلك مرادف لقولك: وفضلناهم على جميع من عداهم ممن خلقنا، فظاهر الآية إذا مع الأشعرية الذين

سماهم مجبرة، وتمشدق في سبهم وشقشق العبارات في ثلهم، وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، والله ولى التوفيق والتسديد. [.....]." (١)

"صاغ له خباب حليا فاقتضاه الأجر، فقال: إنكم تزعمون أنكم تبعثون، وأن في الجنة ذهبا وفضة وحريرا، فأنا أقضيك ثم، فإني أوتى مالا وولدا حينئذ كلا ردع وتنبيه على الخطأ أى: هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه. فإن قلت: كيف قيل سنكتب بسين التسويف، وهو كما قاله كتب من غير تأخير، قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله، على طريقة قوله:

إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة «١»

أى تبين وعلم بالانتساب أنى لست بابن لئيمة. والثاني: أن المتوعد يقول للجاني: سوف أنتقم منك، يعنى أنه لا يخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخر، فجرد هاهنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب مدا أى نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزءون. أو نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد. يقال: مده وأمده بمعنى، وتدل عليه قراءة على بن أبى طالب: ونمد له بالضم. وأكد ذلك بالمصدر، وذلك من فرط غضب الله، نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه ونرثه ما يقول أى نزوى عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه. والمعنى مسمى ما يقول. ومعنى ما يقول وهو المال والولد. يقول الرجل: أنا أملك كذا، فتقول له: ولى فوق ما تقول، ويحتمل أنه قد تمنى وطمع أن يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا، وبلغت به أشعبيته «٢» أن تألى على ذلك في قوله لأوتين لأنه جواب قسم مضمر، ومن يتأل على الله يكذبه، فيقول الله عز وجل هب أنا أعطيناه ما اشتهاه، إما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد، كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى ... الآية فما يجدى عليه تمنيه وتأليه. ويحتمل أن هذا القول

---

(١).

رمتني عن قوس العدو وباعدت ... عبيدة زاد الله ما بيننا بعدا

إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ... ولم تجدى من أن تقرى بها بدا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٦٨٠

لزائد بن صعصعة النقعسى، كانت له امرأة اسمها عبيدة فطمحت عليه وكانت أمها سرية، فعرض لها بذلك، يقول:

رمتني بأمر قبيح كأنه نبلة صادرة عن قوس العدو، أو أبعدتنى عنها بعد النبلة عن القوس: أى تسببت في ذلك وبالغت في بعد الرمي، و «زاد الله» جملة دعائية، ثم قال: إذا أظهرنا نسبنا يتبين أنى لم تلدني لئيمة بخلافك، ولم تجدى مفرا ولا غنى من إقرارك بتلك القضية. ويجوز أن المعنى: أنه لا بد من إقرارك بأمك اللئيمة، وعلم مرجع الضمير من ذكر المقابلة وهو أمه، وهذا أدق في التبكيت. ويروى: به، أى: بذلك النسب. وفي الالتفات من الغيبة إلى الخطاب نوع من التشنيع والتوبيخ، كأنه عجب الناس أولا من حالها، ثم التفت يبكتها بلؤم أمها وأنها رقيقة.

(٢) . قوله «أشعبيته» في الصحاح «أشعب» اسم رجل كان طماعا. وفي المثل: أطمع من أشعب اه. ومنه:

أخذت الأشعبية، بمعنى: خصلة أشعب، وهي الطمع. (ع)." (١)

"يا بني إسرائيل خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك آل فرعون. وقيل: هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الأول، أى: قلنا يا بنى إسرائيل، وحذف القول كثير في القرآن. وقرئ «أنجيتكم» إلى «رزقتكم» ، وعلى لفظ الوعد والمواعدة. وقرئ الأيمن بالجر على الجوار، نحو «جحر ضب خرب» . ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم، وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور، وكتب التوراة في الألواح. وإنما عدى المواعدة إليهم لأنها لا بستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم، وإليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم، وفيما أفاض عليهم من سائر نعمه وأرزاقه. طغيانهم في النعمة: أن يتعدوا حدود الله فيها بأن يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها، وأن ينفقوها في المعاصي: وأن يزووا حقوق الفقراء فيها، وأن يسرفوا في إنفاقها، وأن يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا. قرئ فيحل وعن عبد الله: لا يحلن «١» ومن يحلل المكسور في معنى الوجوب، من حل الدين يحل إذا وجب أداؤه. ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول.

وغضب الله عقوباته «٢» ولذلك وصف بالنزول هوى هلك. وأصله أن يسقط من جبل فيهلك.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٤٠

قالت:

هوى من رأس مرقبة ... ففتت تحتها كبده «٣»

---

(١) . قوله «قرئ فيحل وعن عبد الله ... الخ» يفيد أن القراءة المشهورة: فيحل. ومن يحلل- بالكسر. ولتحرر قراءة «لا يحلن» هل هي بالكسر أو بالضم. (ع)

(٢) . قال محمود: «الغضب عقوبة الله تعالى لهم ... الخ» قال أحمد: لا يسعه أن يحمل الغضب إلا على العقوبة لأنه ينفى صفة الارادة في جملة ما ينفونه من صفات الكمال. وأما على قاعدة السنة فيجوز أن يكون المراد من الغضب إرادة العقوبة، فيكون من أوصاف الذات. ويحتمل أن يراد به معاملتهم بما يعامل به من غضب عليه شاهدا، فيكون من صفات الأفعال. وأما وصفه بالحلول فلا يتأتى حمله على الارادة، ويكون بمنزلة قوله عليه الصلاة والسلام «تنزل ربنا إلى سماء الدنيا» على التأويل المعروف. أو عبر عن حلول أثر الارادة بحلولها تعبيرا عن الأثر بالمؤثر، كما يقول الناظر إلى عجيب من مخلوقات الله تعالى: انظر إلى قدرة الله يعنى أثر القدرة لا نفسها، والله أعلم.

(٣) .

هوى ابني من على شرف ... يهول عقابه صعده

هوى من رأس مرقبة ... ففتت تحتها كبده

ألام على تبكيه ... وألمسه فلا أجده

وكيف يلام محزون ... كسير فاته ولده

لأعرابى» يقول: سقط ابني من فوق جبل عال. فعلى بمعنى فوق، ولو قرئ: على، بالضم- جمع علية- لجاز، أى: سقط عن ذرى جبل عال، فالشرف: مصدر مستعمل في الوصف مجاز، يهول: أى يخيف، عقابه: ارتفاعه.

وصعد- بالكسر- صعدا- بفتحتين وضمتين- صعودا: ارتفع، والضمير للعقاب أو للشرف، فهو من إضافة المصدر لفاعله. ويجوز أنه من اضافته لمفعوله، أى: صعوده عليه. وخص العقاب، لأنه أشد الطير صعودا، لا سيما عقاب ذلك الجبل العارف به. وكرر «هوى» لإظهار التحزن، أى: سقط من رأس ثنية عالية يرقب فيها **الرقيب**، فمزقت كبده تحتها، أى: بجانبها، فكيف ببقية جسمه. ويروى: ففزت. بتشديد الزاى بمعنى فزعت.

وروى «ففرت» بتشديد الراء، وأصله: فريت. وهذه لغة طيئ. يقولون: المرأة دعت في دعيت. والدار بنت في بنيت، ثم قال: يلومني الناس على البكاء مع أنني ألمسه، من بابى قتل وضرب، أى: أريد لمسه فلا أجده، وكيف يلام حزين هرم يئس من رجوع ولده إليه، أو من أوان التوالد. وقيل: إن القائل أم القتيل، لكن يروى يعد البيت الأول:

فلا أم فتبكيه ... ولا أخت فتفتقده

هوى عن صخرة صلد ... ففرت تحتها كبده

إلى آخره.." (١)

"أولا تقسم لأيتهن شئت، وتقسم لمن شئت. أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك، وتتزوج من شئت. وعن الحسن رضى الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها، وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض، لأنه إما أن يطلق، وإما أن يمسك، فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم. وإذا طلق وعزل، فإما أن يخلى المعزولة لا يبتغيها، أو يبتغيها. روى أنه أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة، فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء، وكانت ممن آوى إليه: عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب رضى الله عنهن أرجى خمسا وآوى أربعا «١» . وروى أنه كان يسوى مع ما أطلق له وخير فيه إلا سودة، فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت: لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك «٢» ذلك التفويض إلى مشيئتك أدنى إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا، لأنه إذا سوى بينهن في الإيواء والإرجاء والعزل والابتغاء. وارتفع التفاضل، ولم يكن لإحداهن مما تريد ومما لا تريد إلا مثل ما للأخرى. وعلمن أن هذا التفويض من عند الله بوحيه- اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير، وحصل الرضا وقرت العيون، وسلت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض إلى مشيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعث على تواطئ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه طيب نفسه. وقرئ: تقر أعينهن، بضم التاء ونصب الأعين. وتقر أعينهن، على البناء للمفعول وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقاب، فهو حقيق بأن يتقى ويحذر، كلهن تأكيد لنون يرضين، وقرأ ابن مسعود: ويرضين كلهن. بما آتيتهن. على التقديم. وقرأ: كلهن، تأكيدا ل «هن» في آتيتهن.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٧٩/٣

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٥٢]
لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢)
لا يحل وقرئ بالتذكير، لأن تأنيث الجمع غير حقيقى، وإذا جاز بغير فصل في قوله تعالى

---

(١) . أخرجه ابن أبى شيبة عن جرير وعبد الرزاق عن معمر كلاهما عن منصور عن أبى رزين وهذا مرسل.
(٢) . أما كونه كان يسوى فمن حديث عائشة رضى الله عنها «كان يقسم فيعدل» وأما قصة سودة فروى الترمذي عن ابن عباس «أن سودة خشيت أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله لا تطلقني، وأمسكنى واجعل يومى لعائشة، ففعل» وفي الطيراني من رواية ابن أبى الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت «ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضل بعضنا على بعض في القسم. وكان قل يوم إلا وهو يطيف بنا ويدنو من كل واحدة منا من غير مسيس حتى ينتهى إلى التي هي يومها فيبيت عندها، ولقد قالت له سودة بنت زمعة وقد أراد أن يفارقها: يومى منك وتصيبى لعائشة. فقبل ذلك منها، وفيها نزلت وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا الآية» .." (١)

"ولا يخلو نسخها إما أن يكون بالسنة، وإما بقوله تعالى إنا أحللنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ولو أعجبك في موضع الحال من الفاعل، وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من أزواج لأنه موغل في التنكير، وتقديره: مفروضا إعجابك بهن. وقيل: هي أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبى طالب، والمراد أنها ممن أعجبه حسنهن، واستثنى ممن حرم عليه: الإماء رقيبا حافظا مهيمنا، وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطى حلاله إلى حرامه.

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٥٣]
يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٥٢/٣

الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما (٥٣)

أن يؤذن لكم في معنى الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم. وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا. كأنه قيل: لا تدخلوا بيوت النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقت الإذن، ولا تدخلوها إلا غير ناظرين، وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه. ومعناه:

لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام، إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه، وإلا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا، لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤذن له إذنا خاصا، وهو الإذن إلى الطعام فحسب. وعن ابن أبى عبلة أنه قرأ: غير ناظرين، مجرورا صفة لطعام، وليس بالوجه، لأنه جرى على غير ما هو له، فمن حق ضمير ما هو له أن يبرز إلى اللفظ، فيقال: غير ناظرين إناه أنتم، كقولك: هند زيد ضاربته هي. وإنى الطعام: إدراكه.

يقال: أنى الطعام إنى، كقولك: قلاه قلى. ومنه قوله بين حميم آن بالغ إناه. وقيل إناه:

وقته، أى: غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله. وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم على زينب بتمر وسويق وشاة، وأمر أنسا أن يدعو بالناس، فترادفوا أفواجا يأكل فوج فيخرج، ثم يدخل فوج إلى أن قال: يا رسول الله، دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه، فقال:

ارفعوا طعامكم وتفرق الناس، وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا: فقام رسول الله صلى الله." (١)

"مراده، والدليل عليه قوله وإن كثيرا من الخلطاء وإنما خص هذه القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعجة. فإن قلت: إنما تستقيم طريقة التمثيل إذا فسرت الخطاب بالجدال، فإن فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم. قلت: الوجه مع هذا التفسير أن أجعل النعجة استعارة عن المرأة، كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله:

يا شاة ما قنص لمن حلت له «١»

فرميت غفلة عينه عن شاته «٢»

وشبهها بالنعجة من قال:

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٥٤/٣

كنعاج الملا تعسفن رملا «٣»

---

(١) .

يا شاة ما قنص لمن حلت له ... حرمت على وليتها لم تحرم

لعنترة من معلقته يتذكر محبوبته بعد وقوع الحرب بينه وبين قبيلتها، فلذلك حرمت عليه. وقيل: كان تزوجها أبوه فحرمت عليه، شبهها بالشاة الوحشية في الحسن والجمال والفرة عن الرجال، وأن كلا يصطاد بالاحتيال على طريق الاستعارة التصريحية، وذكر القنص ترشيح، لأنه يلائم الشاة. وما زائدة، أى يا شاة القنص تعالى، فهذا وقت التفكر في شأنك. وقيل: المنادى محذوف، أى: يا قوم أحضروا شاة قنص، وتعجبوا من حالها. والقنص:

الصيد، والقنص- بالتحريك- والقنيص: المصيد. ويروى: يا شاة من قنص، فقيل: من زائدة، بناء على مذهب الكوفيين، من جواز زيادة الأسماء. وقيل: نكرة موصوفة. وقنص صفتها من باب الوصف بالمصدر، أى:

يا شاة إنسان قابص. ولمن حلت: متعلق بمحذوف صفة لها، وحرمت على: التفات على القول بندائها، وهو صفة لها، أو استئناف بين به شأنها، وتمنى عدم حرمتها: ندم على ما وقع من سبب الحرمة.

(٢) .

قد كنت رائدها وشاة محاذر ... حذر يقل بعينه إغفالها

فظللت أرعاها وظل يحوطها ... حتى دنوت إذا الظلام دنا لها

فرميت غفلة عينه عن شاته ... فأصبت حبة قلها وطحالها

للأعشى. وقيل: لعمر بن أبى ربيعة. وضمير رائدها مرجعه في البيت قبله كامرأة أو مفازة، ثم قال: ورب شاة رجل محاذر، فاستعار الشاة للمرأة الجميلة على طريق التصريحية. والمحاذر: الذي يحاذر غيره ويخاف مكره. والحذر:

كثير الحذر مستمره، يقل: بضم أوله، من أقل الرباعي. وإغفالها، أى: إغفال عينه، فظللت أراقب الشاة وظل هو يحفظها، حتى قربت لها حين قرب الظلام ودخل الليل، فرميت شاته حين غفلة عينه عن شاته التي كان يحفظها وفيه نوع تهكم به، وأضاف الغفلة إلى العين دون الشخص لأنها المذكورة أولا، وللدلالة على قصر الزمن وسرعة الظفر، ولأن القلب لا يغفل عنها لعزتها عنده، بل يذكرها في النوم. وأما العين

فتغفل، فأصبت حبة ملبها أى وسطه، وأصبت طحالها، والرمي ترشيح للاستعارة، لأنه من ملائمات الشاة. ويصح أن يكون هذا البيت استعارة تمثيلية، حيث شبه حالة ظفره بمراده على حين غفلة من **الرقيب** وإصابة أحشاء المرأة بالحب، بحال من ظفر برمي الشاة بالسهم على غفلة من الراعي، بل يصح أن يكون قوله: وشاة محاذر ... إلى آخر الأبيات: استعارة تمثيلية لتلك الحال، ولا استعارة في الشاة وحدها على هذا. (٣).

قلت إذا أقبلت وزهر تهادى ... كنعاج الفلا تعسفن رملا

وتنقبن بالحرير وأبدين ... عيونا حور المداعج نجلا

لعمر بن أبى ربيعة. وزهر: عطف على ضمير الفاعل المتصل، ومجيئه بلا فصل قليل. وتهادى: أصله تتهادى، حذف منه إحدى التاءين، وهو صفة زهر. وشبههن بالنعاج الوحشية في حسن المشية وسعة العيون وسوادها.

والزهر: جمع زهراء، أى: بيضاء، والفلا: القفر الخالي. والتعسف: الميل عن سواء السبيل، وهو حال من النعاج. ورملا: نصب على نزع الخافض، أى: تمايلن في رمل. وتنقبت المرأة: لبست النقاب. وحور: جمع حوراء، أى: صافيات. والمداعج: الحدقات، من الدعج وهو اتساع سواد العين. والنجل: جمع نجلاء، أى: واسعات.." (١)

"والمعنى: أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش، وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم، لأنكم كنتم غير عاملين بشهادتها عليكم، بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا، ولكنكم إنما استترتم لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم، وذلك «١» الظن هو الذي أهلككم. وفي هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه، ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله علينا كالئة **ورقيبا** مهيمنا، حتى يكون في أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ، ولا يتبسط في سره **مراقبة** «٢» من التشبه بهؤلاء الظانين. وقرئ: ولكن زعمتم وذلكم رفع بالابتداء، وظنكم وأرداكم خبران، ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأرداكم الخبر.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٨٤/٤

[سورة فصلت (٤١) : الآيات ٢٤ الى ٢٥]

فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين (٢٤) وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين (٢٥)

فإن يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار، وإن يستعتبوا وإن يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم إلى ما يحبون جزعا مما هم فيه: لم يعتبوا: لم يعطوا العتبى ولم يجابوا إليها، ونحوه قوله عز وعلا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ: وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين، أى: إن سئلوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون، أى: لا سبيل لهم إلى ذلك وقيضنا لهم وقدرنا لهم، يعنى لمشركي مكة: يقال: هذان ثوبان قيضان: إذا كانا متكافئين.

والمقايضة: المعاوضة قرناء أخدانا «٣» من الشياطين جمع قرين، كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فإن قلت: كيف جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم؟ قلت: معناه أنه خذلهم «٤» ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر، فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين «٥» . والدليل عليه ومن يعش نقيض

---

(١) . قوله «وذلك الظن هو الذي أهلككم» لعله. وذلكم. (ع)

(٢) . قوله «في سره مراقبة من التشبه» أى مخافة، كما أفاده الصحاح. (ع)

(٣) . قوله «قرناأ أخدانا» أى أصدقاء. أفاده الصحاح. (ع)

(٤) . قوله «قلت معناه أنه خذلهم» هذا على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يقدر الشر. أما على مذهب أهل السنة أنه تعالى يقدره كالخير، فلا داعى إلى هذا التكلف. قال تعالى ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين الخ. (ع)

(٥) . قال محمود: «كيف جاز أن يقيض لهم قرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم؟ وأجاب بأن معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر، فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين. والدليل عليه قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن ... الآية قال أحمد: جواب هذا السؤال على مذهب أهل السنة: أن الأمر على ظاهره، فان قاعدة عقيدتهم أن الله تعالى قد ينهى عما يريد وقوعه، ويأمر بما لا يريد حصوله، وبذلك نطقت هذه الآية وأخواتها، وإنما تأولها الزمخشري ليتبعها هواه الفاسد في اعتقاده أن الله تعالى لا ينهى عما يريد، وإن وقع النهى عنه فعلى خلاف الارادة- تعالى الله عن ذلك وبه نستعيذ من جعل القرآن

تبعا للهوى، وحينئذ فنقول: لو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها عليه الصلاة والسلام سوى هذه الآية، لكفى بها، فهذا موضع هذه المقالة التي أنطقه الله بها الذي أنطق كل شيء في الآية التي قبل هذه.." (١)

"[سورة الشورى (٤٢) : آية ٦]

والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل (٦)

والذين اتخذوا من دونه أولياء جعلوا له شركاء وأندادا الله حفيظ عليهم رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شيء، وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم، لا رقيب عليهم إلا هو وحده وما أنت يا محمد بموكل بهم ولا مفوض إليك أمرهم ولا قسرهم على الإيمان، إنما أنت منذر فحسب.

[سورة الشورى (٤٢) : آية ٧]

وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير (٧)

ومثل ذلك أوحينا إليك وذلك إشارة إلى معنى الآية قبلها: من أن الله تعالى هو الرقيب عليهم، وما أنت برقيب عليهم، ولكن نذير لهم، لأن هذا المعنى كرره الله في كتابه في مواضع جمة، والكاف مفعول به لأوحينا. وقرآنا عربيا حال من المفعول به، أى أوحيناه إليك وهو قرآن عربى بين، لا لبس فيه عليك، لتفهم ما يقال لك، ولا تتجاوز حد الإنذار. ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا، أى: ومثل ذلك الإيحاء البين المفهم أوحينا إليك قرآنا عربيا بلسانك لتنذر يقال أنذرته كذا وأنذرته بكذا. وقد عدى الأول، أعنى:

لتنذر أم القرى إلى المفعول الأول والثاني، وهو قوله وتنذر يوم الجمع إلى المفعول الثاني أم القرى أهل أم القرى، كقوله تعالى وسئل القرية. ومن حولها من العرب.

وقرئ: لينذر بالياء والفعل للقرآن يوم الجمع يوم القيامة، لأن الخلائق تجمع فيه. قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل: يجمع بين الأرواح والأجساد. وقيل: يجمع بين كل عامل وعمله. ولا ريب فيه اعتراض لا محل له «١» . قرئ: فريق وفريق، بالرفع والنصب، فالرفع على: منهم فريق، ومنهم فريق. والضمير

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٩٦/٤

للمجموعين، لأن المعنى: يوم جمع الخلائق.

والنصب على الحال منهم، أى: متفرقين، كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون.

فإن قلت: كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة؟ قلت: هم مجموعون في ذلك اليوم، مع افتراقهم في دارى البؤس والنعيم، كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين. وإن أريد بالجمع: جمعهم في الموقف، فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق.

[سورة الشورى (٤٢) : آية ٨]

ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير (٨)

---

(١) . قوله «لا محل له» لعله. لا محل له من الاعراب. (ع)." (١)

"الله، إلا أن تزول الشمس. وعند الشافعي: يجوز الذبح إذا مضى من الوقت مقدار الصلاة.

وعن الحسن أيضا: لما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أتته الوفود من الآفاق فأكثروا عليه بالمسائل، فنهوا أن يبتدؤه بالمسئلة حتى يكون هو المبتدئ «١» . وعن قتادة:

ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون: لو أنزل فيه كذا لكان كذا، فكره الله ذلك منهم وأنزلها.

وقيل: هي عامة في كل قول وفعل: ويدخل فيه أنه إذا جرت مسألة في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسبقوه بالجواب، وأن لا يمشى بين يديه إلا لحاجة، وأن يستأنى «٢» في الافتتاح بالطعام واتقوا الله فإنكم إن اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما تقتضي مراقبة الله تجنبه، فإن التقى حذر لا يشافه أمرا «٣» إلا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في أن لا تبعة عليه فيه، وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل: لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار، فتنهاه أولا عن عين ما قارفه، ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه أمرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها إن الله سميع لما تقولون عليم بما تعملون، وحق مثله أن يتقى ويراقب.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ٢]

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٢١٠

يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون (٢)

إعادة النداء عليهم: استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وتطرية الإنصات لكل حكم نازل، وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم، وذلك لأن في إعظام صاحب الشرع إعظام ما ورد به، ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه أن يألو عملا بما يحدوه «٤» عليه، وارتداعا عما يصده عنه، وانتهاء إلى كل خير، والمراد بقوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي أنه إذا نطق ونطقتم فعليكم أن

---

(١) . لم أجده.

(٢) . قوله «وأن يستأني في الافتتاح» أى: ينتظر. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) . قوله «لا يشافه أمرا» أى: لا يتشاغل بأمر، وفي الصحاح: «الشفه» : الشغل، يقال: شفهني عن كذا، أى: شغلني. (ع)

(٤) . قوله «بما يحدوه عليه» أى: يحضه. (ع) [.....]." [1]

"كأن وريديه رشاءا خلب «١»

والوريدان: عرقان مكتنفان لصفحتى العنق في مقدمهما متصلان بالوتين، يردان من الرأس إليه. وقيل: سمى وريدا لأن الروح ترده. فإن قلت: ما وجه إضافة الحبل إلى الوريد، والشيء لا يضاف إلى نفسه؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن تكون الاضافة للبيان، كقولهم: بعير سانية. والثاني: أن يراد حبل العاتق فيضاف إلى الوريد، كما يضاف إلى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد» كما لو قيل: حبل العلياء «٢» مثلا.

[سورة ق (٥٠) : الآيات ١٧ الى ١٨]

إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨)

إذ منصوب بأقرب، وساغ ذلك لأن المعاني تعمل في الظرف متقدمة ومتأخرة:

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٥١/٤

والمعنى: أنه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس وما لا شيء أخفى منه، وهو أقرب من الإنسان «٣» من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به، إيذانا بأن استحفاظ الملكين أمر هو غنى عنه، وكيف لا يستغنى عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات؟ وإنما ذلك لحكمة اقتضت ذلك: وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما، وعرض صحائف العمل يوم يقوم الأشهاد.

وعلم العبد بذلك مع علمه بإحاطة الله بعمله: من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات. وعن النبي صلى الله عليه وسلم «إن مقعد ملكيك على ثنيتيك، ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تجرى فيما لا يعنيك لا تستحي من الله تعالى ولا منهما» «٤» ويجوز أن يكون تلقى الملكين بيانا للقرب، يعنى: ونحن قريبون منه مطلعون على أحواله مهيمنون عليه، إذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به، والتلقي: التلقن بالحفظ والكتبة. والقعيد: القاعد،

---

(١) .

غضنفر تلقاء عند الغضب ... كأن وريديه رشاءا خلب

لرؤبة. والغضنفر: الأسد. والوريدان: عرقان يردان من الرأس يكتنفان الحلقوم. وقيل: تردهما الروح.

والرشاءان: حبلان للاستقاء. والخلب- بضمتين، وقد يسكن-: اللب والماء المخلوط بالطين. ويجوز أن يراد به هنا البئر الكدرة: شبه الشجاع بالأسد، وشبه وريديه عند الغضب بالرشاءين، وكأن هنا عاملة، وهي مخففة، وهو قليل، والكثير إهمالها.

(٢) . قوله «لو قيل حبل العلباء» هي عصب العنق، كما في الصحاح. (ع)

(٣) . قوله «وهو أقرب من الإنسان» يقال: قرب من الشيء كما يقال: قرب إليه. (ع)

(٤) . أخرجه الثعلبي من رواية جميل بن الحسن عن أرطاه بن الأشعث العدوى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «مقعد ملكيك» فذكره.." (١)

"كالجليس بمعنى الجالس، وتقديره: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين، فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه، كقوله:

... كنت منه ووالدي ... بريا....... «١» ..

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٨٤/٤

رقيب ملك يرقب عمله عتيد حاضر، واختلف فيما يكتب الملكان، فقيل: يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه. وقيل: لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر به. ويدل عليه قوله عليه السلام «كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر» «٢» وقيل: إن الملائكة يجتنبون الإنسان عند غائطه وعند جماعه. وقرئ: ما يلفظ، على البناء للمفعول.

[سورة ق (٥٠) : الآيات ١٩ الى ٢٢]

وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩) ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد (٢٠) وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٢)

لما ذكر إنكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه، أعلمهم أن ما أنكروه وجحدوه هم لا قوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة، ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضي، وهو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق ونفخ في الصور، وسكرة الموت:

شدته الذاهبة بالعقل. والباء في بالحق للتعدية، يعنى: وأحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر الذي أنطق الله به كتبه وبعث به رسله. أو حقيقة الأمر وجلية الحال: من سعادة الميت وشقاوته. وقيل: الحق الذي خلق له الإنسان، من أن كل نفس ذائقة الموت. ويجوز أن تكون الباء مثلها في قوله تنبت بالدهن أى وجاءت ملتبسة بالحق، أى: بحقيقة الأمر. أو

---

(١) . تقدم شرح هذا الشاهد بالجزء الثاني صفحة ٥٢ فراجعه إن شئت اه مصححه. [.....]

(٢) . أخرجه الثعلبي والبغوي من طريق جعفر عن القاسم عن أبى أمامة. ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني. وأخرجه البيهقي من هذا الوجه. ومن رواية بشر بن نمير عن القاسم نحوه. وأخرجه الطبراني من رواية ثور بن يزيد عن القاسم نحوه. وروى أبو نعيم في الحلية وابن مردويه من طريق إسماعيل بن عياش عن عاصم بن رجاء عن عروة بن رديم، عن القاسم عن أبى أمامة وعند الطبري من طريق على بن جرير عن حماد بن

سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة، قال «دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: يا رسول الله، كم مع العبد ملك؟ - الحديث»." (١)

"وقد استدل أصحاب الشافعي رضى الله عنه بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر، وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر.

[سورة الحشر (٥٩) : الآيات ٢١ الى ٢٢]

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (٢١) هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم (٢٢)

هذا تمثيل وتخييل «١» ، كما مر في قوله تعالى إنا عرضنا الأمانة وقد دل عليه قوله وتلك الأمثال نضربها للناس والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره. وقرئ: مصدعا على الإدغام وتلك الأمثال إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله في مواضع من التنزيل.

[سورة الحشر (٥٩) : الآيات ٢٣ الى ٢٤]

هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون (٢٣) هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم (٢٤)

الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كأنه يشاهده. وقيل: ما غاب عن العباد وما شاهدوه. وقيل: السر والعلانية. وقيل: الدنيا والآخرة القدوس بالضم والفتح- وقد قرئ بهما- البليغ في النزاهة عما يستقبح. ونظيره: السبوح، وفي تسبيح الملائكة:

سبوح قدوس رب الملائكة والروح. والسلام بمعنى السلامة. ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص. أو في إعطائه السلامة والمؤمن واهب الأمن. وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار، كما تقول في قوم موسى من قوله تعالى واختار موسى قومه المختارون بلفظ صفة السبعين. والمهيمن **الرقيب** على كل شيء، الحافظ له، مفيعل من الأمن، إلا أن همزته قلبت هاء.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٣٨٥

والجبار القاهر الذي جبر خلقه على ما أراد، أى أجبره، والمتكبر البليغ الكبرياء والعظمة. وقيل: المتكبر عن ظلم عباده. والخالق المقدر لما يوجده والبارئ المميز بعضه من بعض بالأشكال

---

(١) . قال محمود: «هذا تخييل وتمثيل كما تقدم الخ» قال أحمد: وهذا مما تقدم إنكارى عليه فيه، أفلا كان يتأدب بأدب الآية: حيث سمى الله هذا مثلا ولم يقل: وتلك الخيالات نضربها للناس، ألهمنا الله حسن الأدب معه والله الموفق.." (١)

"الكسب الرائن على قلوبهم. وكونهم محجوبين عنه: تمثيل «١» للاستخفاف بهم «٢» وإهانتهم، لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم، ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم. قال:

إذا اعتروا باب ذى عبية رجبوا ... والناس من بين مرجوب ومحجوب «٣»

عن ابن عباس وقتادة وابن أبى مليكة: محجوبين عن رحمته. وعن ابن كيسان: عن كرامته:

[سورة المطففين (٨٣) : الآيات ١٨ الى ٢١]

كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين (١٨) وما أدراك ما عليون (١٩) كتاب مرقوم (٢٠) يشهده المقربون (٢١)

كلا ردع عن التكذيب. وكتاب الأبرار: ما كتب من أعمالهم. وعليون: علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين، منقول من جمع «على» فعيل من العلو كسجين من السجن، سمى بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى أعالى الدرجات في الجنة، وإما لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون، تكريما له وتعظيما. روى «إن الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه، فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم إنكم الحفظة على عبدى وأنا الرقيب على ما في قلبه، وأنه أخلص عمله فاجعلوه في عليين، فقد غفرت له، وإنها لتصعد بعمل العبد فيزكونه، فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله أوحى إليهم: أنتم الحفظة على

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٥٠٩

(١) . قال محمود: «كونهم محجوبين عنه تمثيل ... الخ» قال أحمد: هذا عند أهل السنة على ظاهره من أدلة الرؤية، فان الله تعالى لما خص الفجار بالحجاب دل على أن المؤمنين الأبرار مرفوع عنهم الحجاب، ولا معنى لرفع الحجاب إلا الإدراك بالعين، وإلا فالحجاب على الله تعالى بغير هذا التفسير محال، هذا هو الحق وما بعد الحق إلا الضلال، وما أرى من جحد الرؤية المدلول عليها بقواطع الكتاب والسنة يحظي بها. والله المسئول في العصمة.

(٢) . قوله «تمثيل للاستخفاف بهم» مبنى على مذهب المعتزلة: وه, عدم جواز الرؤية عليه تعالى. وذهب أهل السنة إلى جوازها. وفي النسفي: قال الزجاج: في الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم، وإلا لا يكون التخصيص مفيدا، وقال الحسن بن الفصل: كما حجبهم في الدنيا عن توحيده، حجبهم في العقبى عن رؤيته. وقال مالك بن أنس: لما حجب أعداءه فلم يروه، تجلى لأوليائه حتى رأوه. وكذا في الخازن. وفيه أيضا: قال الشافعي: في الآية دلالة على أن أولياء الله يرون الله جل جلاله.

(٣) . غزوا: قصدوا. وروى: اعتروا، أى: نزلوا به وأصابوه. والعبية: الكبر والفخر. قال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية بالآباء» الناس رجلان: مؤمن تقى وكافر شقى» . ورجبة الرجل: عظمته. يقول إنهم يلجون أبواب العظماء لا تمنعهم الحجاب، بخلاف غيرهم فإنهم تارة وتارة.." (١)

"عبدى وأنا الرقيب على ما في قلبه. وإنه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين «١» »

[سورة المطففين (٨٣) : الآيات ٢٢ الى ٢٨]

إن الأبرار لفي نعيم (٢٢) على الأرائك ينظرون (٢٣) تعرف في وجوههم نضرة النعيم (٢٤) يسقون من رحيق مختوم (٢٥) ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون (٢٦)

ومزاجه من تسنيم (٢٧) عينا يشرب بها المقربون (٢٨)

الأرائك الأسرة في الحجال «٢» ينظرون إلى ما شاءوا مد أعينهم إليه من مناظر الجنة، وإلى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة، وإلى أعدائهم يعذبون في النار، وما تحجب الحجال أبصارهم عن الإدراك نضرة النعيم بهجة التنعم وماءه ورونقه، كما ترى في وجوه الأغنياء وأهل الترفه. وقرئ: تعرف، على البناء للمفعول. ونضرة النعيم- بالرفع. الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه مختوم تختم أوانيه من الأكواب والأباريق بمسك

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٧٢٢

مكان الطينة. وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة مسك إذا شرب. وقيل: يمزج بالكافور، ويختم مزاجه بالمسك. وقرئ: خاتمه، بفتح التاء وكسرها، أى: ما يختم به ويقطع فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون تسنيم علم لعين بعينها: سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه:

إما لأنها أرفع شراب في الجنة وإما لأنها تأتيهم من فوق، على ما روى أنها تجرى في الهواء متسنمة فتنصب في أوانيهم. وعينا نصب على المدح. وقال الزجاج: نصب على الحال.

وقيل: هي للمقربين، يشربونها صرفا. وتمزج لسائر أهل الجنة.

[سورة المطففين (٨٣) : الآيات ٢٩ الى ٣٣]

إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون (٢٩) وإذا مروا بهم يتغامزون (٣٠) وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين (٣١) وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون (٣٢) وما أرسلوا عليهم حافظين (٣٣)

هم مشركو مكة: أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأشياعهم: كانوا يضحكون

---

(١) . أخرجه ابن المبارك في الزهد: أخبرنا أبو بكر ابن أبى مريم عن حمزة بن حبيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكره.

(٢) . قوله «الأسرة في الحجال» في الصحاح: الحجلة- بالتحريك-: واحدة حجال العروس: وهي بيت يزين بالثياب والأسرة والستور. (ع)." (١)

"سورة الطارق

مكية، وآياتها ١٧ [نزلت بعد البلد] بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة الطارق (٨٦) : الآيات ١ الى ٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق (١) وما أدراك ما الطارق (٢) النجم الثاقب (٣)

النجم الثاقب المضيء، كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه، كما قيل: درىء، لأنه يدرؤه، أى: يدفعه.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٧٢٣/٤

ووصف بالطارق، لأنه يبدو بالليل، كما يقال للآتى ليلا: طارق: أو لأنه يطرق الجنى، أى يصكه. والمراد: جنس النجوم، أو جنس الشهب التي يرجم بها. فإن قلت: ما يشبه قوله وما أدراك ما الطارق: النجم الثاقب إلا ترجمة كلمة بأخرى، فبين لي أى فائدة تحته؟

قلت: أراد الله عز من قائل: أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له، لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة، وأن ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره، وهو الطارق، ثم قال: وما أدراك ما الطارق؟ ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا إظهار لفخامة شأنه، كما قال فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم روى أن أبا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانحط نجم، فامتلأ ما ثم نورا. فجزع أبو طالب وقال: أى شيء هذا؟ فقال عليه السلام: هذا نجم رمى به، وهو آية من آيات الله، فعجب أبو طالب «١» ، فنزلت.

[سورة الطارق (٨٦) : آية ٤]

إن كل نفس لما عليها حافظ (٤)

فإن قلت: ما جواب القسم؟ قلت إن كل نفس لما عليها حافظ لأن «إن» لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة، بمعنى: إلا أن تكون نافية. وفيمن قرأها مخففة على أن «ما» صلة تكون مخففة من الثقيلة، وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم، حافظ مهيمن عليها رقيب، وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا، وكان الله على كل شيء مقيتا وقيل: ملك يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: «وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب. ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين «٢» » .

(١) . هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير إسناد.

(٢) . أخرجه الطبراني من رواية عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبى أمامة به وأتم منه. وعفير ضعيف.." (١)

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٧٣٤/٤

"أى: في شدة الأمر وصعوبة الخطب.
والضمير في أيحسب لبعض صناديد قريش الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد. والمعنى: أيظن هذا الصنديد القوى في قومه المتضعف للمؤمنين: أن لن تقوم قيامة، ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافأته بما هو عليه، ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم، وأنه يقول أهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم، ويدعونها معالى ومفاخر أيحسب أن لم يره أحد حين كان ينفق ما ينفق رئاء الناس وافتخارا بينهم، يعنى: أن الله كان يراه وكان عليه رقيبا. ويجوز أن يكون الضمير للإنسان، على أن يكون المعنى: أقسم بهذا البلد الشريف، ومن شرفه أنك حل به مما يقترفه أهله من المآثم متحرج بريء، فهو حقيق بأن أعظمه بقسمي به لقد خلقنا الإنسان في كبد أى في مرض: وهو مرض القلب وفساد الباطن، يريد: الذين علم الله منهم حين خلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات. وقيل: الذي يحسب أن لن يقدر عليه أحد: هو أبو الأشد، وكان قويا يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول: من أزالنى عنه فله كذا، فلا ينزع إلا قطعا ويبقى موضع قدميه. وقيل: الوليد بن المغيرة لبدا قرى بالضم والكسر: جمع لبدة ولبدة، وهو ما تلبد يريد الكثرة: وقرئ: لبدا بضمتين: جمع لبود. ولبدا:
بالتشديد جمع لا بد.

[سورة البلد (٩٠) : الآيات ٨ الى ١٦]
ألم نجعل له عينين (٨) ولسانا وشفتين (٩) وهديناه النجدين (١٠) فلا اقتحم العقبة (١١) وما أدراك ما العقبة (١٢)
فك رقبة (١٣) أو إطعام في يوم ذي مسغبة (١٤) يتيما ذا مقربة (١٥) أو مسكينا ذا متربة (١٦)
ألم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك وهديناه النجدين أى طريقى الخير والشر. وقيل: الثديين فلا اقتحم العقبة يعنى: فلم يشكر تلك الأيادى والنعم بالأعمال الصالحة: من فك الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين، ثم بالإيمان." (١)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٧٥٥/٤

"تعالى: إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون، [المائدة: ٩١] ، ثم قوله تعالى: إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه [المائدة: ٩٠] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حرمت الخمر» ، ولم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم في حد الخمر إلا أنه جلد أربعين، خرجه مسلم وأبو داود، وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه ضرب فيها ضربا مشاعا، وحزره أبوبكر أربعين سوطا، وعمل بذلك هو ثم عمر، ثم تهافت الناس فيها فشدد عليهم الحد وجعله كأخف الحدود ثمانين، وبه قال مالك، وقال الشافعي بالأربعين، وضرب الخمر غير شديد عند جماعة من العلماء لا يبدو إبط الضارب، وقال مالك: «الضرب كله سواء لا يخفف ولا يبرح» ، ويجتنب من المضروب الوجه والفرج والقلب والدماغ والخواصر بإجماع، وقالت طائفة: هذه الآية منسوخة بقوله: فاجتنبوه لعلكم تفلحون [المائدة: ٩٠] ، يريد ما في قوله ومنافع للناس من الإباحة والإشارة إلى الترخيص.

والميسر مأخوذ من يسر إذا جزر، والياسر الجازر، ومنه قول الشاعر:

فلم يزل بك واشيهم ومكرهم ... حتى أشاطوا بغيب لحم من يسروا

ومنه قول الآخر:

أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ... ألم تيأسوا إني ابن فارس زهدم؟

والجزور الذي يستهم عليه يسمى ميسرا لأنه موضع اليسر، ثم قيل للسهام ميسر للمجاورة. وقال الطبري: «الميسر مأخوذ من يسر لي هذا إذا وجب وتسنى» ، ونسب القول إلى مجاهد، ثم جلب من نص كلام مجاهد ما هو خلاف لقوله، بل أراد مجاهد الجزر، واليسر: الذي يدخل في الضرب بالقداح، وجمعه أيسار وقيل يسر جمع ياسر، كحارس وحرس وأحراس، وسهام الميسر سبعة لها حظوظ وفيها فروض على عدة الحظوظ، وثلاثة لا حظوظ لها، ولا فروض فيها، وهي الفذ والتوأم **والرقيب** والحلس والنافس والمسبل والمعلى، والثلاثة التي لا حظوظ لها المنيح والسفيح والوغد، تزاد هذه الثلاثة لتكثر السهام وتختلط على الحرضة وهو الضارب بها، فلا يجد إلى الميل مع أحد سبيلا، وكانت عادة العرب أن تضرب بهذه القداح في الشتوة وضيق الوقت وكلب البرد على الفقراء، تشتري الجزور ويضمن الأيسار ثمنها ثم تنحر وتقسم على عشرة أقسام، وأخطأ الأصمعي في قسمة الجزور، فذكر أنها كانت على قدر حظوظ السهام ثمانية وعشرين قسما، وليس كذلك. ثم يضرب على العشرة الأقسام، فمن فاز سهمه بأن يخرج من الربابة متقدما أخذ أنصباءه وأعطاها الفقراء، وفي أحيان ربما تقامروا لأنفسهم ثم يغرم الثمن من لم يفز سهمه. ويعيش بهذه

السيرة فقراء الحي، ومنه قول الأعشى: [السريع]

المطعمو الضيف إذا ما شتا ... والجاعلو القوت على الياسر

ومنه قول الآخر: [الطويل]

بأيديهم مقرومة ومغالق ... يعود بأرزاق العفاة منيحها

والمنيح في هذا البيت المستمنح، لأنهم كانوا يستعيرون السهم الذي قد أملس وكثر فوزه، فذلك." (١)

"[المجلد الثاني]

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

هذه السورة مدنية، إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح، في عثمان بن طلحة وهي قوله: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها [النساء: ٥٨] قال النقاش: وقيل نزلت السورة عند هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة.

قال القاضي أبو محمد: وقد قال بعض الناس: إن قوله تعالى: يا أيها الناس حيث وقع إنما هو مكي فيشبه أن يكون صدر هذه السورة مكيا، وما نزل بعد الهجرة فإنما هو مدني وإن نزل في مكة أو في سفر من أسفار النبي عليه السلام، وقال النحاس: هذه السورة مكية.

قال القاضي أبو محمد: ولا خلاف أن فيها ما نزل بالمدينة، وفي البخاري: آخر آية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة [النساء: ١٧٦] ذكرها في تفسير سورة- براءة- من رواية البراء بن عازب، وفي البخاري عن عائشة أنها قالت: ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، تعني قد بنى بها.

قوله تعالى:

[سورة النساء (٤) : آية ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٩٣/١

واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١)

«يا» حرف نداء، و «أي» منادى مفرد- و «ها» تنبيه، والناس- نعت لأي أو صلة على مذهب أبي الحسن الأخفش، «والرب» : المالك، وفي الآية تنبيه على الصانع وعلى افتتاح الوجود، وفيها حض على التواصل لحرمة هذا النسب وإن بعد، وقال: واحدة على تأنيث لفظ النفس، وهذا كقول الشاعر: [الوافر]

أبوك خليفة ولدته أخرى ... وأنت خليفة ذاك الكمال

وقرأ ابن أبي عبلة- «من نفس واحد» - بغير هاء، وهذا على مراعاة المعنى، إذ المراد بالنفس آدم صلى الله عليه وسلم، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما، والخلق في الآية: بمعنى الاختراع، ويعني بقوله:." (١)

"واستهلها بعض النحويين، قال أبو علي: ذلك ضعيف في القياس.

قال القاضي أبو محمد: المضمر المخفوض لا ينفصل فهو كحرف من الكلمة، ولا يعطف على حرف، ويرد عندي هذه القراءة من المعنى وجهان: أحدهما أن ذكر الأرحام فيما يتساءل به لا معنى له في الحض على تقوى الله، ولا فائدة فيه أكثر من الإخبار بأن الأرحام يتساءل بها، وهذا تفرق في معنى الكلام وغض من فصاحته، وإنما الفصاحة في أن يكون لذكر الأرحام فائدة مستقلة، والوجه الثاني أن في ذكرها على ذلك تقريرا للتساؤل بها والقسم بحرمتها، والحديث الصحيح يرد ذلك في قوله عليه السلام: «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» وقالت طائفة: إنما خفض- «والأرحام» - على جهة القسم من الله على ما اختص به لا إله إلا هو من القسم بمخلوقاته، ويكون المقسم عليه فيما بعد من قوله: إن الله كان عليكم رقيبا وهذا كلام يأباه نظم الكلام وسرده، وإن كان المعنى يخرجه- وكان في هذه الآية ليست لتحديد الماضي فقط، بل المعنى: كان وهو يكون، والرقيب: بناء الاسم الفاعل من رقب يرقب إذا أحد النظر بالبصر أو بالبصيرة إلى أمر ما ليتحققه على ما هو عليه، ويقترن بذلك حفظ ومشاهدة وعلم بالحاصل عن الرقبة، وفي قوله عليكم ضرب من الوعيد، ولم يقل «لكم» للاشتراك الذي كان يدخل من أنه يرقب لهم ما يصنع غيرهم، ومما ذكرناه قيل للذي يرقب خروج السهم من ربابة الضريب في القداح رقيب، لأنه يرتقب ذلك. ومنه قول أبي دؤاد: [مجزوء الكامل] كمقاعد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد قوله تعالى:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣/٢

[سورة النساء (٤) : الآيات ٢ الى ٣]
وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (٢) وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا (٣)

اليتامى: جمع يتيم ويتيمة، واليتم في كلام العرب فقد الأب قبل البلوغ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يتم بعد بلوغ» وهو في البهيمة فقد الأم في حال الصغر، وحكى اليتم في الإنسان من جهة الأم، وقال ابن زيد: هذه المخاطبة هي لمن كانت عادته من العرب أن لا يرث الصغير من الأولاد مع الكبير، فقيل لهم: ورثوهم أموالهم، ولا تتركوا أيها الكبار حظوظكم حلالا طيبا وتأخذوا الكل ظلما حراما خبيثا، فيجيء فعلكم ذلك تبدلا، وقالت طائفة: هذه المخاطبة هي لأوصياء الأيتام، والمعنى: إذا بلغوا وأونس منهم الرشد. وسماهم يتامى وهم قد بلغوا، استصحابا للحالة الأولى التي قد ثبتت لهم من اليتم، ولا تتبدلوا قيل: المراد ما كان بعضهم يفعل من أن يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالهزيلة من ماله، والدرهم الطيب بالزائف من ماله، قاله سعيد بن المسيب والزهري والسندي والضحاك، وقيل: المراد بذلك لا تأكلوا أموالهم خبيثا، وتدعوا أموالكم طيبا، وقيل: معناه لا تتعجلوا أكل «الخبيث» من أموالهم، وتدعوا انتظار الرزق الحلال من عند الله، قاله مجاهد وأبو صالح، و «الخبيث» و «الطيب» : إنما هو هنا." [1]

"قال القاضي أبو محمد: ولفظة المعاقدة والأيمان ترجح أن المراد الأحلاف لأن ما ذكر من غير الأحلاف ليس في جميعه معاقدة ولا أيمان، وشهيدا معناه: أن الله شهيد بينكم على المعاقدة والصلة، فأوفوا بالعهد بحسب ذلك مراقبة ورهبة.

وقوله تعالى: الرجال قوامون الآية، قوام فعال: بناء مبالغة، وهو من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه وحفظه بالاجتهاد، فقيام الرجل على النساء هو على هذا الحد، وتعليل ذلك بالفضيلة والنفقة يقتضي أن للرجال عليهن استيلاء وملكا ما، قال ابن عباس: الرجال أمراء على النساء، وعلى هذا قال أهل التأويل و «ما» في قوله: بما فضل الله مصدرية، ولذلك استغنت عن العائد، وكذلك بما أنفقوا والفضيلة: هي الغزو وكمال الدين والعقل وما أشبهه، والإنفاق: هو المهر والنفقة المستمرة على الزوجات، وقيل: سبب هذه الآية أن سعد بن الربيع لطم زوجه حبيبة بنت زيد بن أبي زهير، فجاءت مع أبيها إلى رسول الله صلى الله

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٥

عليه وسلم، فأمر أن تلطمه كما لطمها، فنزلت الآية مبيحة للرجال تأديب نسائهم، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقض الحكم الأول وقال: أردت شيئا وما أراد الله خير، وفي طريق آخر أردت شيئا وأراد الله غيره، وقيل: إن في هذا الحكم المردود نزلت ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه [طه: ١١٤] وقيل سببها قول أم سلمة المتقدم، أي: لما تمنى النساء درجة الرجال عرفن وجه الفضيلة. والصلاح في قوله فالصالحات هو الصلاح في الدين، و «والقانتات» معناه: مطيعات، والقنوت الطاعة، ومعناه لأزواجهن، أو لله في أزواجهن، وغير ذلك، وقال الزجاج: إنها الصلاة، وهذا هنا بعيد وللغيب معناه: كل ما غاب عن علم زوجها مما استرعته، وذلك يعم حال غيب الزوج وحال حضوره، وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها» ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية، وفي مصحف ابن مسعود «فالصوالح قوانت حوافظ» وهذا بناء يختص بالمؤنث، وقال ابن جني: والتكسير أشبه لفظا بالمعنى، إذ هو يعطي الكثرة وهي المقصود هنا، وبما حفظ الله الجمهور على رفع اسم الله بإسناد الفعل إليه، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع «الله» بالنصب على إعمال حفظ فأما قراءة الرفع «فما» مصدرية تقديره: يحفظ الله، ويصح أن تكون بمعنى «الذي» ويكون العائد الذي في حفظ ضمير نصب ويكون المعنى أما حفظ الله ورعايته التي لا يتم أمر دونها، وأما أوامره ونواهيه للنساء، فكأنها حفظه، فمعناه: أن النساء يحفظن بإرادته وبقدره، وأما قراءة ابن القعقاع بما حفظ الله، فالأولى أن تكون «ما» بمعنى «الذي» وفي حفظ ضمير مرفوع، والمعنى حافظات للغيب بطاعة وخوف وبر ودين حفظ الله في أوامره حين امتثلنها، وقيل: يصح أن تكون «ما» مصدرية، على أن تقدير الكلام بما حفظن الله وينحذف الضمير، وفي حذفه قبح لا يجوز إلا في الشعر، كما قال [الأعشى] : [المتقارب] فإن الحوادث أودى بها يريد أودين، والمعنى: يحفظن الله في أمره حين امتثلنه، وقال ابن جني: الكلام على حذف مضاف تقديره: بما حفظ دين الله وأمر الله، وفي مصحف ابن مسعود «بما حفظ الله فأصلحوا إليهن» .." (١)

"للنبيين المذكورين في قوله: يحكم بها النبيون [المائدة: ٤٤] ومصدقا حال مؤكده.

والتوراة بين يدي عيسى لأنها جاءت قبله كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدي الساعة، وقد تقدم القول في هذا المعنى في غير موضع، والإنجيل اسم أعجمي ذهب به مذهب الاشتقاق من نجل إذا

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٧/٢

استخرج وأظهر، والناس على قراءته بكسر الهمزة إلا الحسن بن أبي الحسن فإنه قرأ «الإنجيل» بفتح الهمزة، وقد تقدم القول على ذلك في أول سورة آل عمران. و «الهدى» الإرشاد والدعاء إلى توحيد الله وإحياء أحكامه. و «النور» ما فيه مما يستضاء به. ومصدقا حال مؤكدة معطوفة على موضع الجملة التي هي فيه هدى فإنها جملة في موضع الحال. وقال مكي وغيره: مصدقا معطوف على الأول.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا قلق من جهة اتساق المعاني. وقرأ الناس «وهدى وموعظة» بالنصب. وذلك عطف على مصدقا، وقرأ الضحاك «وهدى وموعظة» بالرفع وذلك متجه. وخص «المتقين» بالذكر لأنهم المقصود به في علم الله وإن كان الجميع يدعى ويوعظ ولكن ذلك على غير المتقين عمى وحيرة.

وقرأ أبي بن كعب «وأن ليحكم» بزيادة أن. وقرأ حمزة وحده «وليحكم» بكسر اللام وفتح الميم على لام كي ونصب الفعل بها، والمعنى وآتيناه الإنجيل ليتضمن الهدى والنور والتصديق ليحكم أهله بما أنزل الله فيه، وقرأ باقي السبعة «وليحكم» بسكون اللام التي هي لام الأمر وجزم الفعل. ومعنى أمره لهم بالحكم أي هكذا يجب عليهم. وحسن عقب ذلك التوقيف على وعيد من خالف ما أنزل الله. ومن القراء من يكسر لام الأمر ويجزم الفعل وقد تقدم نظير هذه الآية، وتقريره هذه الصفات لمن لم يحكم بما أنزل الله هو على جهة التأكيد وأصوب ما يقال فيها أنها تعم كل مؤمن وكل كافر، فيجيء كل ذلك في الكافر على أتم وجوهه، وفي المؤمن على معنى كفر المعصية وظلمها وفسقها.

وأخبر تعالى بعد بنزول هذا القرآن، وقوله: بالحق يحتمل أن يريد مضمنا الحقائق من الأمور فكأنه نزل بها، ويحتمل أن يريد أنه أنزله بأن حق ذلك لا أنه وجب على الله ولكن حق في نفسه وأنزله الله تعالى صلاحا لعباده، وقوله: من الكتاب يريد من الكتب المنزلة. فهو اسم جنس، واختلفت عبارة المفسرين في معنى «مهيمن» . فقال ابن عباس: مهيمنا شاهدا. وقال أيضا مؤتمنا. وقال ابن زيد:

معناه مصدقا، وقال الحسن بن أبي الحسن أمينا، وحكى الزجاج رقيبا ولفظة المهيمن أخص من هذه الألفاظ، لأن المهيمن على الشيء هو المعني بأمره الشاهد على حقائقه الحافظ لحاصله ولأن يدخل فيه ما ليس منه والله تبارك وتعالى هو المهيمن على مخلوقاته وعباده، والوصي مهيمن على محجوريه وأموالهم، والرئيس مهيمن على رعيته وأحوالهم، والقرآن جعله الله مهيمنا على الكتب يشهد بما فيها من الحقائق وعلى ما نسبه المحرفون إليها فيصحح الحقائق ويبطل التحريف، وهذا هو شاهد ومصدق ومؤتمن وأمين، و «مهيمن» بناء اسم فاعل، قال أبو عبيدة: ولم يجيء في كلام العرب على هذا البناء إلا أربعة أحرف. وهي مسيطر ومبيطر ومهيمن ومجيمر. وذكر أبو القاسم الزجاج في شرحه لصدر أدب الكتاب ومبيقر.

يقال بيقر الرجل إذا سار من الحجاز إلى الشام ومن أفق إلى أفق، وبيقر أيضا لعب البيقرا وهي لعب يلعب بها." (١)

"قال القاضي أبو محمد: وهذ غير لازم لأن الخبر مقرون بشرط يتضمنه قوله فمن يكفر بعد منكم، وسائغ ما قال الحسن، أما أن الجمهور على أنها نزلت وكفرت جماعة منهم فمسخهم الله خنازير قاله قتادة وغيره. وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: أشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة والمنافقون وآل فرعون، ويذكر أن شمعون رأس الحواريين قال لعيسى حين رأى طعام المائدة، يا روح الله أمن طعام الدنيا هو أم من طعام الآخرة؟ قال عيسى عليه السلام: ألم ينهكم الله عن هذه السؤالات، هذا طعام ليس من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة. بل هو بالقدرة الغالبة، قال الله له كن فكان، وروي أنه كان على المائدة بقول سوى الثوم والكراث والبصل، وقيل كان عليها زيتون وتمر وحب رمان.

قوله عز وجل:

[سورة المائدة (٥) : الآيات ١١٦ الى ١١٧]

وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (١١٦) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧)

اختلف المفسرون في وقت وقوع هذا القول. فقال السدي وغيره: لما رفع الله عيسى إليه قالت النصارى ما قالت وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك، فسأله تعالى حينئذ عن قولهم فقال سبحانك الآية.

قال القاضي أبو محمد: فتجيء قال على هذا متمكنة في المضي، ويجيء قوله آخرا وإن تغفر لهم [المائدة: ١١٨] أي بالتوبة من الكفر، لأن هذا ما قاله عيسى عليه السلام وهم أحياء في الدنيا، وقال ابن عباس وقتادة وجمهور الناس: هذا القول من الله إنما هو في يوم القيامة، يقول الله له على رؤوس الخلائق، فيرى الكفار تبريه منهم، ويعلمون أن ما كانوا فيه باطل.

قال القاضي أبو محمد: وقال على هذا التأويل بمعنى يقول. ونزل الماضي موضع المستقبل دلالة على كون

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٩٩/٢

الأمر وثبوته، وقوله آخرا وإن تغفر لهم [المائدة: ١١٨] معناه إن عذبت العالم كله فبحقك وإن غفرت وسبق ذلك في علمك فلأنك أهل لذلك لا معقب لحكمك ولا منازع لك، فيقول عيسى هذا على جهة التسليم والتعزي عنهم مع علمه بأنهم كفرة قد حتم عليهم العذاب، وليس المعنى أنه لا بد من أن تفعل أحد هذين الأمرين. بل قال هذا القول مع علمه بأن الله لا يغفر أن يشرك به. وفائدة هذا التوقيف على قول من قال إنه في يوم القيامة ظهور الذنب على الكفرة في عبادة عيسى وهو توقيف له يتقرر منه بيان ضلال الضالين.

وسبحانك معناه تنزيها لك عن أن يقال هذا وينطق به، وقوله ما يكون لي أن أقول ... الآية. بقي يعضده دليل العقل، فهذا ممتنع عقلا أن يكون لبشر محدث أن يدعي الألوهية وقد تجيء هذه الصيغة فيما لا ينبغي ولا يحسن مع إمكانه، ومنه قول الصديق رضي الله عنه: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال إن كنت قلته فقد علمته فوفق الله عيسى عليه السلام لهذه الحجة." (١)

"البالغة، وقوله تعلم ما في نفسي بإحاطة الله به، وخص النفس بالذكر لأنها مظنة الكتم والانطواء على المعلومات، والمعنى: أن الله يعلم ما في نفس عيسى ويعلم كل هذه الآية على قول من قال: إن توقيف عيسى عليه السلام كان إثر رفعه مستقيمة المعنى. لأنه قال عنهم هذه المقالة وهم أحياء في الدنيا وهو لا يدري على ما يوافون. وهي على قول من قال إن التوقيف هو يوم القيامة بمعنى أن سبقت لهم كلمة العذاب كما سبقت فهم عبادك تصنع بحق الملك ما شئت لا أمره مما عسى أن يكون في نفسه، وقوله ولا أعلم ما في نفسك معناه ولا أعلم ما عندك من المعلومات وما أحطت به. وذكر النفس هنا مقابلة لفظية في اللسان العربي يقتضيها الإيجاز، وهذا ينظر من طرف خفي إلى قوله ومكروا ومكر الله [آل عمران: ٥٤] الله يستهزئ بهم [البقرة: ١٥] ، فتسمية العقوبة باسم الذنب إنما قاد إليها طلب المقابلة اللفظية إذ هي من فصيح الكلام وبارع العبارة، ثم أقر عليه السلام لله تعالى بأنه علام الغيوب، المعنى ولا علم لي أنا بغيب فكيف تكون لي الألوهية.

ثم أخبر عما صنع في الدنيا وقال في تبليغه وهو أنه لم يتعد أمر الله في أن أمرهم بعبادته وأقر بربوبيته، وأن في قوله أن اعبدوا الله مفسرة لا موضع لها من الإعراب. ويصح أن تكون بدلا من ما.

ويصح أن تكون في موضع خفض على تقدير بأن اعبدوا الله، ويصح أن تكون بدلا من الضمير في به ثم

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٢٦٢

أخبر عليه السلام أنه كان شهيدا ما دام فيهم في الدنيا، فما ظرفية. وقوله فلما توفيتني قبضتني إليك بالرفع والتصيير في السماء. **والرقيب**: الحافظ المراعي.

قوله عز وجل:

[سورة المائدة (٥) : الآيات ١١٨ الى ١٢٠]

إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨) قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم (١١٩) لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير (١٢٠)

اعتراض عليك. وإن تغفر لهم أي لو غفرت بتوبة كما غفرت لغيرهم فإنك أنت العزيز في قدرتك، الحكيم في أفعالك. لا تعارض على حال. فكأنه قال إن يكن لك في الناس معذبون فهم عبادك. وإن يكن مغفور لهم فعزتك وحكمتك تقتضي هذا كله. وهذا هو عندي القول الأرجح. ويتقوى ما بعده.

وذلك أن عيسى عليه السلام لما قرر أن الله تعالى له أن يفعل في عباده ما يشاء من تعذيب ومغفرة أظهر الله لعباده ما كانت الأنبياء تخبرهم به، كأنه يقول هذا أمر قد فرغ منه. وقد خلص للرحمة من خلص، وللعذاب من خلص، فقال تبارك وتعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فدخل تحت هذه العبارة كل مؤمن بالله تعالى وكل ما كان اتقى فهو أدخل في العبارة، ثم جاءت هذه العبارة مشيرة إلى عيسى في حاله تلك وصدقه فيما قال. فحصل له بذلك في الموقف شرف عظيم وإن كان اللفظ يعمه وسواه، وذكر تعالى ما أعد لهم برحمته وطوله إلى قوله ذلك الفوز العظيم وقرأ نافع وحده «هذا يوم» بنصب يوم، وقرأ الباقون «يوم» بالرفع على خبر المبتدأ الذي هو هذا ويوم مضاف إلى ينفع، والمبتدأ والخبر في." (١)

"جعلوا بمعنى صيروا، والجن مفعول وشركاء مفعول ثان مقدم، ويصح أن يكون قوله شركاء مفعولا أولا ولله في موضع المفعول الثاني والجن بدل من قوله شركاء، وهذه الآية مشيرة إلى العادلين بالله والقائلين إن الجن تعلم الغيب العابدين للجن، وكانت طوائف من العرب تفعل ذلك وتستجير بجن الأودية في أسفارها ونحو هذا، أما الذين «خرقوا البنين» فاليهود في ذكر عزير والنصارى في ذكر المسيح، وأما ذاكرو البنات فالعرب الذين قالوا للملائكة بنات الله، فكأن الضمير في جعلوا وخرقوا لجميع الكفار إذ فعل بعضهم

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٦٣/٢

هذا، وبنحو هذا فسر السدي وابن زيد، وقرأ شعيب بن أبي حمزة «شركاء الجن» بخفض النون، وقرأ يزيد بن قطيب وأبو حيوة «الجن والجن» بالخفض والرفع على تقديرهم الجن، وقرأ الجمهور «وخلقهم» بفتح اللام على معنى وهو خلقهم، وفي مصحف عبد الله بن مسعود «وهو خلقهم» يحتمل العودة على الجاعلين ويحتملها على المجعولين، وقرأ يحيى بن يعمر «وخلقهم» بسكون اللام عطفا على الجن أي جعلوا خلقهم الذي ينحتونه أصناما شركاء بالله، وقرأ السبعة سوى نافع «وخرقوا» بتخفيف للراء وهو بمعنى اختلفوا وافتروا وقرأ نافع «وخرقوا» بتشديد الراء على المبالغة، وقرأ ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما «وحرفوا» من التحريف كذا قال أبو الفتح، قال أبو عمرو الداني قرأ ابن عباس «حرفوا» خفيفة الراء، وابن عمر «حرفوا» مشددة الراء، وقوله بغير علم نص على قبح تقحمهم المجهلة وافترائهم الباطل على عمى، سبحانه أي تنزه عن وصفهم الفاسد المستحيل عليه تبارك وتعالى وبديع بمعنى: مبدع ومخترع وخالق، فهو بناء اسم فاعل كما جاء: سميع بمعنى مسمع وأنى بمعنى كيف ومن أين، فهي استفهام في معنى التوقيف والتقرير، وقرأ جمهور الناس «ولم تكن» بالتاء على تأنيث علامة الفعل، وقرأ إبراهيم النخعي: بالياء على تذكيرها وتذكير كان وأخواتها مع تأنيث اسمها أسهل من ذلك في سائر الأفعال، فقولك: كان في الدار هند أسوغ من قام في الدار هند، وحسن القراءة الفصل بالظرف الذي هو الخبر ويتجه في القراءة المذكورة أن يكون في تكن ضمير اسم الله تعالى، وتكون الجملة التي هي له صاحبة خبر كان، ويتجه أن يكون في «يكن» ضمير أمر وشأن وتكون الجملة بعد تفسيرا له وخبرا، وهذه الآية رد على الكفار بقياس الغائب على الشاهد، وقوله وخلق كل شيء لفظ عام لكل ما يجوز أن يدخل تحته ولا يجوز أن يدخل تحته صفات الله تعالى وكلامه، فليس هو عموما مخصصا على ما ذهب إليه قوم لأن العموم المخصص هو أن يتناول العموم شيئا ثم يخرجه التخصيص، وهذا لم يتناول قط هذه التي ذكرناها، وإنما هذا بمنزلة قول الإنسان: قتلت كل فارس وأفحمت كل خصم فلم يدخل القائل قط في هذا العموم الظاهر من لفظه، وأما قوله وهو بكل شيء عليم فهذا عموم على الإطلاق ولأن الله عز وجل يعلم كل شيء لا رب غيره ولا معبود سواه، ولما تقررت الحجج وبانت الوحدانية جاء قوله تعالى: ذلكم الله ربكم الآية تتضمن تقريرا وحكما إخلاصا أمرا بالعبادة وإعلاما بأنه حفيظ رقيب على كل فعل وقول وفي هذا الإعلام تخويف وتحذير.." (١)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٣٢٩

"قضائه عليهم فخرج ذلك في عبارة بليغة في ذمهم في قوله ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم والمراد لأسمعهم إسماع تفهيم وهدى، ثم ابتدأ عز وجل الخبر عنهم بما هم عليه من حتمه عليهم بالكفر فقال ولو أسمعهم أي ولو أفهمهم لتولوا بحكم القضاء السابق فيهم ولأعرضوا عما تبين لهم من الهدى، وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت: المعني بهذه الآية المنافقون، وضعفه الطبري وكذلك هو ضعيف.
وقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول الآية، هذا الخطاب للمؤمنين المصدقين بلا خلاف، واستجيبوا بمعنى أجيبوا، ولكن عرف الكلام أن يتعدى استجاب بلام ويتعدى أجاب دوم لام، وقد يجيء تعدي استجاب بغير لام والشاهد قول الشاعر: [الطويل]
وداع دعا يا من يجيب إلى الندا ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب
وقوله لما يحييكم قال مجاهد والجمهور: المعنى للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواه، وهذا إحياء مستعار لأنه من موت الكفر والجهل، وقيل الإسلام وهذا نحو الأول ويضعف من جهة أن من آمن لا يقال له ادخل في الإسلام، وقيل لما يحييكم معناه للحرب وجهاد العدو وهو يحيي بالعزة والغلبة والظفر، فسمي ذلك حياة كما تقول حييت حال فلان إذا ارتفعت، ويحيي أيضا كما يحيي الإسلام والطاعة وغير ذلك بأنه يؤدي إلى الحياة الدائمة في الآخرة، وقال النقاش: المراد إذا دعاكم للشهادة.
قال القاضي أبو محمد: فهذه صلة حياة الدنيا بحياة الآخرة، وقوله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه يحتمل وجوها، ومنها أنه لما أمرهم بالاستجابة في الطاعة حضهم على المبادرة والاستعجال فقال:
واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه بالموت والقبض أي فبادروا بالطاعات، ويلتئم مع هذا التأويل قوله وأنه إليه تحشرون، أي فبادروا الطاعات وتزودوها ليوم الحشر، ومنها أن يقصد بقوله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه إعلامهم أن قدرة الله وإحاطته وعلمه والجة بين المرء وقلبه حاصلة هناك حائلة بينه وبين قلبه.
قال القاضي أبو محمد: فكأن هذا المعنى يحض على **المراقبة** والخوف لله المطلع على الضمائر، ويشبه على هذا التأويل هذا المعنى قوله تعالى: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد [ق: ١٦] ، حكي هذا التأويل عن قتادة، ويحتمل أن يريد تخويفهم إن لم يمتثلوا الطاعات ويستجيبوا لله وللرسول بما حل بالكفار الذين أرادهم بقوله ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون، لأن حتمه عليهم بأنهم لو سمعوا وفهموا لم ينتفعوا يقتضي أنه قد كان حال بينهم وبين قلوبهم، فكأنه قال للمؤمنين في هذه الأخرى استجيبوا لله وللرسول ولا تأمنوا إن تفعلوا أن ينزل بكم ما نزل بالكفار من الحول بينهم وبين قلوبهم، فنبه على ما جرى على الكفار بأبلغ عبارة وأعلقها بالنفس، ومنها أن يكون المعنى ترجية لهم بأن الله يبدل الخوف الذي في قلوبهم من كثرة

العدو فيجعله جرأة وقوة وبضد ذلك الكفار فإن الله هو مقلب القلوب كما كان قسم النبي صلى الله عليه وسلم، قال بعض الناس ومنه لا حول ولا قوة إلا بالله أي لا حول على معصية ولا قوة على طاعة إلا بالله، وقال المفسرون في ذلك أقوالا هي أجنبية من ألفاظ الآية حكاها الطبري، منها أن الله يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان ونحو هذا، وقرأ ابن أبي إسحاق «بين المرء» بكسر الميم ذكره أبو." (١)

"الارتقاب بالبصر، ومنه **الرقيب** في الميسر وغيره، ثم قيل لكل من حافظ على شيء وراعاه راقبه وارتقبه، وقرأ جمهور الناس «إلا» وقرأ عكرمة مولى ابن عباس بياء بعد الهمزة خفيفة اللام «إيلا» ، وقرأت فرقة «ألا» بفتح الهمزة، فأما من قرأ «إلا» فيجوز أن يراد به الله عز وجل قاله مجاهد وأبو مجلز، وهو اسمه بالسريانية، ومن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين سمع كلام مسيلمة فقال هذا كلام لم يخرج من إل، ويجوز أن يراد به العهد والعرب تقول للعهد والخلق والجوار ونحو هذه المعاني إلا، ومنه قول أبي جهل:

[الطويل]

لإل علينا واجب لا نضيعه ... متين قواه غير منتكث الحبل

ويجوز أن يراد به القرابة، فإن القرابة في لغة العرب يقال له إل، ومنه قول ابن مقبل: [الرمل]

أفسد الناس خلوف خلفوا ... قطعوا الإل وأعراق الرحم

أنشده أبو عبيدة على القرابة، وظاهره أنه في العهود، ومنه قول حسان: [الوافر]

لعمرك أن إلك في قريش ... كإل السقب من رال النعام

وأما من قرأ «ألا» بفتح الهمزة فهو مصدر من فعل للإل الذي هو العهد، ومن قرأ «إيلا» فيجوز أن يراد به الله عز وجل، فإنه يقال أل وأيل، وفي البخاري قال جبر، وميك، وسراف: عبد بالسريانية، وأيل الله عز وجل، ويجوز أن يريد إلا المتقدم فأبدل من أحد المثلين ياء كما فعلوا ذلك في قولهم أما وأيما، ومنه قول سعد بن قرط يهجو أمه: [البسيط]

يا ليت أمنا شالت نعامتها ... أيما إلى جنة أيما إلى نار

ومنه قول عمر بن أبي ربيعة: [الطويل]

رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت ... فيضحي وأما بالعشي فيخصر

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٥١٤

وقال آخر: [الرجز]

لا تفسدوا آبا لكم ... أيما لنا أيما لكم

قال أبو الفتح ويجوز أن يكون مأخوذا من آل يؤول إذا ساس.

قال القاضي أبو محمد: كما قال عمر بن الخطاب: قد ألنا وإيل علينا فكان المعنى على هذا لا يرقبون فيكم سياسة ولا مداراة ولا ذمة، وقلبت الواو ياء لسكونها والكسرة قبلها، و «الذمة» أيضا بمعنى المتات والحلف والجوار، ونحوه قول الأصمعي الذمة كل ما يجب أن يحفظ ويحمى، ومن رأى الإل أنه العهد جعلها لفظتين مختلفتين لمعنى واحد أو متقارب، ومن رأى الإل لغير ذلك فهما لفظان لمعنيين، وتأبى قلوبهم معناه تأبى أن تذعن لما يقولونه بالألسنة، وأبى يأبى شاذ لا يحفظ فعل يفعل بفتح العين في الماضي والمستقبل، وقد حكي ركن يركن، وقوله وأكثرهم يريد به الكل أو يريد استثناء من قضى له بالإيمان كل ذلك محتمل، وقوله تعالى: اشتروا بآيات الله الآية اللازم من ألفاظ هذه الآية أن هذه." (١)

"إليك» فقال جمهور المتأولين في معنى هذه الآية أنه: واتخذتم الله ظهريا أي غير مراعى وراء الظهر على معنى الاطراح- ورجحه الطبري.

قال القاضي أبو محمد: وهو عندي على حذف مضاف ولا بد، وقال بعضهم: الضمير في قوله: واتخذتموه عائد على أمر الله وشرعه، إذ يتضمنه الكلام.

وقالت فرقة: المعنى: أترون رهطي أعز عليكم من الله وأنتم تتخذون الله سند ظهوركم وعماد آمالكم.

قال القاضي أبو محمد: فقول الجمهور- على أن كان كفر قوم شعيب جحدا بالله تعالى وجهلا به.

وهذا القول الثاني- على أنهم كانوا يقرون بالخالق الرازق ويعتقدون الأصنام وسائط ووسائل ونحو هذا وهاتان الفرقتان موجودتان في الكفرة.

ومن اللفظة الاستظهار بالبينة، وقد قال ابن زيد: «الظهري» : الفضل، مثل الجمال يخرج معه بإبل ظهارية يعدها إن احتاج إليها وإلا فهي فضلة.

قال القاضي أبو محمد: هذا كله مما يستند إليه.

وقوله إن ربي بما تعملون محيط خبر في ضمنه توعد. ومعناه محيط علمه وقدرته.

قوله عز وجل:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣/ ١٠

[سورة هود (١١) : الآيات ٩٣ الى ٩٥]

ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣) ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٩٤) كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود (٩٥)

على مكانتكم معناه: على حالاتكم، وهذا كما تقول: مكانة فلان في العلم فوق مكانة فلان، يستعار من البقاع إلى المعاني.

وقرأ الحسن وأبو عبد الرحمن وعاصم: «مكانتكم» بالجمع، والجمهور على الإفراد.

وقوله: اعملوا تهديد ووعيد، وهو نحو قوله: اعملوا ما شئتم [فصلت: ٤٠] وقوله: من يأتيه يجوز أن تكون من مفعولة ب تعلمون والثانية عطف عليها، قال الفراء: ويجوز أن تكون استفهاما في موضع رفع بالابتداء.

قال القاضي أبو محمد: اﻻأول أحسن لأنها موصولة ولا توصل في الاستفهام، ويقضي بصلتها أن المعطوفة عليها موصولة لا محالة، والصحيح أن الوقف في قوله: إني عامل ثم ابتداء الكلام بالوعيد، ومن معمولة ل تعلمون وهي موصولة.." (١)

"ورجالات، وليس الأمر كما ذكر لأن تلك كجمل وجمال وجمالات، ومعقبة ومعقبات إنما هي كضاربة وضاربات.

وفي قراءة أبي بن كعب «من بين يديه ورقيب من خلفه» ، وقرأ ابن عباس: «ورقباء من خلفه» ، وذكر عنه أبو حاتم أنه قرأ: «معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله» .

وقوله: يحفظونه يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون بمعنى يحرسونه، ويذبون عنه: فالضمير محمول ليحفظ.

والمعنى الثاني أن يكون بمعنى حفظ الأقوال وتحصيلها، ففي اللفظة حينئذ حذف مضاف تقديره: يحفظون أعماله، ويكون هذا حينئذ من باب وسئل القرية [يوسف: ٨٢] وهذا قول ابن جريج.

وقوله: من أمر الله من جعل يحفظونه بمعنى يحرسونه كان معنى قوله: من أمر الله يراد به «المعقبات» ، فيكون في الآية تقديم وتأخير، أي «له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه» قال أبو

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٠٣/٣

الفتح: ف من أمر الله في موضع رفع لأنه صفة لمرفوع وهي «المعقبات» .
قال القاضي أبو محمد: ويحتمل هذا التأويل في قوله: من أمر الله مع التأويل الأول في يحفظونه.
ومن تأول الضمير في له عائد على العبد، وجعل «المعقبات» الحرس، وجعل الآية في رؤساء الكافرين- جعل قوله من أمر الله بمعنى يحفظونه بزعمه من قدر الله، ويدفعونه في ظنه، عنه، وذلك لجهالته بالله تعالى.
قال القاضي أبو محمد: وبهذا التأويل جعلها المتأول في الكافرين. قال أبو الفتح: ف من أمر الله على هذا في موضع نصب، كقولك حفظت زيدا من الأسد، فمن الأسد معمول لحفظت وقال قتادة: معنى من أمر الله: بأمر الله، أي يحفظونه مما أمر الله، وهذا تحكم في التأويل، وقال قوم: المعنى الحفظ من أمر الله، وقد تقدم نحو هذا.
وقرأ علي بن أبي طالب وابن عباس وعكرمة وجعفر بن محمد: «يحفظونه بأمر الله» .
ثم أخبر تعالى أنه لا يغير ما بقوم- بأن يعذبهم ويمتحنهم معاقبا- حتى يقع منهم تكسب للمعاصي وتغيير ما أمروا به من طاعة.
وهذا موضع تأمل لأنه يداخل هذا الخبر ما قررت الشريعة من أخذ العامة بذنوب الخاصة، ومنه قوله تعالى: واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة [الأنفال: ٢٥] ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم- وقد قيل له: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ - قال: نعم إذا كثر الخبث. إلى أشياء كثيرة من هذا.
فقوله تعالى في هذه الآية: لا يغير ما بقوم حتى يغيروا معناه حتى يقع تغيير إما منهم وإما من." (١)

"القرآن، وقال حماد بن أبي سليمان وابن جريج والكلبي: إن الصلاة تنهى ما دمت فيها.
قال الفقيه الإمام القاضي: وهذه عجمة وأنى هذا مما روى أنس بن مالك قال: كان فتى من الأنصار يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدع شيئا من الفواحش والسرقة إلا ركبه، فقيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال «إن صلاته ستنهاه» ، فلم يلبث أن تاب وصلحت حاله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألم أقل لكم» ؟ وقوله تعالى: ولذكر الله أكبر قال ابن عباس وأبو الدرداء وسلمان وابن مسعود وأبو قرة: معناه، ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه، وقيل معناه ولذكر الله أكبر مع المداومة من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر، قال ابن زيد وقتادة معناه ولذكر الله أكبر من كل شيء، وقيل لسلمان أي الأعمال

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٠٢/٣

أفضل؟ فقال: أما تقرأ القرآن ولذكر الله أكبر. ومنه حديث الموطأ عن أبي الدرداء «ألا أخبركم بخير أعمالكم؟» الحديث، وقيل معناه ولذكر الله كبير كأنه يحض عليه في هذين التأويلين الأخيرين.

قال الفقيه الإمام القاضي: وعندي أن المعنى ولذكر الله أكبر على الإطلاق أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر.

فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك وكذلك يفعل في غير الصلاة لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر مراقب، وثواب ذلك الذكر أن يذكره الله تعالى كما في الحديث «ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه» ، والحركات التي في الصلاة لا تأثير لها في نهي، والذكر النافع هو مع العلم وإقبال القلب وتفرغه إلا من الله تعالى، وأما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة أخرى، وذكر الله تعالى العبد هو إفاضة الهدى ونور العلم عليه، وذلك ثمرة لذكر العبد ربه، قال الله عز وجل فاذكروني أذكركم [البقرة: ١٥٢] ، وباقي الآية ضرب من التوعد والحث على **المراقبة**.

قوله عز وجل:

[سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٤٦]

ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (٤٦)

قرأ الجمهور «إلا» على الاستثناء، وقرأ ابن عباس «ألا» بفتح الهمزة وتخفيف اللام، واختلف المفسرون في المراد بهذه الآية، فقال ابن زيد: معناها «لا تجادلوا» من آمن بمحمد من أهل الكتاب فكأنه قال أهل الكتاب المؤمنين إلا بالتي هي أحسن أي الموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أوائلهم وغير ذلك، وقوله تعالى على هذا التأويل إلا الذين ظلموا يريد به من بقي على كفره منهم، كمن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم، والآية على هذا محكمة غير منسوخة، وقال مجاهد: المراد ب أهل الكتاب اليهود والنصارى الباقون على دينهم أمر الله تعالى المؤمنين ألا يجادلوهم إلا بالتي هي أحسن من الدعاء إلى الله تعالى والتنبيه على آياته، وأن يزال معهم عن طريق الإغلاظ والمخاشنة، وقوله على هذا التأويل إلا الذين ظلموا معناه ظلموكم وإلا فكلهم ظلمة على الإطلاق يراد بهم من لم يؤد جزية." (١)

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٣٢٠

"فأما بالهبة فلم يكن عنده منهن أحد، وقرأ الحسن البصري وأبي بن كعب والثقفي والشعبي، «أن وهبت» بفتح الألف فهي إشارة إلى ما وقع من الهبات قبل نزول الآيات.

قال الفقيه الإمام القاضي: وكسر الألف يجري مع تأويل ابن زيد الذي قدمناه، وفتح الألف يجري مع التأويل الآخر، ومن قرأ بفتح الألف قال الإشارة إلى من وهب نفسه من النساء للنبي صلى الله عليه وسلم على الجملة، قال ابن عباس فيما حكى الطبري هي ميمونة بنت الحارث، وقال علي بن الحسين هي أم شريك، وقال عروة والشعبي هي زينب بنت خزيمة أم المساكين، وقال أيضا عروة بن الزبير خولة بنت حكيم بن الأوقص السلمي ممن وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، وفي مصحف عبد الله بن مسعود «وامرأة مؤمنة وهبت» دون «إن» ، وقوله تعالى: خالصة لك أي هبة النساء أنفسهن خالصة ومزية لا يجوز أن تهب المرأة نفسها لرجل، وأجمع الناس على أن ذلك لا يجوز، وأن هذا اللفظ من الهبة لا يتم عليه نكاح إلا ما روي عن أبي حنيفة ومحمد بن الحسن وأبي يوسف أنهم قالوا: إذا وهبت فأشهد هو على نفسه بمهر فذلك جائز.

قال الفقيه الإمام القاضي: فليس في قولهم إلا تجويز العبارة ولفظة الهبة، وإلا فالأفعال التي اشترطها هي أفعال النكاح بعينه.

قال الفقيه الإمام القاضي: ويظهر من لفظ أبي بن كعب أن معنى قوله خالصة لك يراد به جميع هذه الإباحة لأن المؤمنين قصروا على مثنى وثلاث ورباع، وقوله تعالى: قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم يريد الولي والشاهدين والمهر والاقتصار على أربع قاله قتادة ومجاهد، وقال أبي بن كعب هو مثنى وثلاث ورباع، وقوله تعالى لكيلا أي بينا هذا البيان وشرحنا هذا الشرح لكيلا يكون عليك حرج ويظن بك أنك قد أثمت عند ربك في شيء، ثم أنس تعالى الجميع من المؤمنين بغفرانه ورحمته.

قوله عز وجل:

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٥١ الى ٥٢]

ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما (٥١) لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢)

ترجي معناه تؤخر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم «ترجيء» بالهمز، وقرأ عاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي «ترجي» بغير همز وهما لغتان بمعنى، وتؤوي معناه تضم وتقرب وقال المبرد هو معدى رجى يرجو تقول رجى الرجل وأرجيته جعلته ذا رجاء، ومعنى هذه الآية أن الله فسح لنبيه فيما يفعله في جهة النساء، والضمير في منهن عائد على من تقدم ذكره من الأصناف حسب الخلاف المذكور في ذلك، وهذا الإرجاء والإيواء يحتمل معاني، منها أن معناه في القسم أن تقرب من شئت في." (١)

"عليه السلام عدل بينهن في القسمة حتى مات ولم يمتثل ما أبيح له ضبطا لنفسه وأخذا بالفضل، غير أن سودة وهبت نوبتها لعائشة تقمنا لمسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله تعالى: لا يحل لك النساء من بعد قيل كما قدمنا إنها خطرت عليه النساء إلا التسع اللواتي كن عنده، فكأن الآية ليست متصلة بما قبلها، قال ابن عباس وقتادة لما هجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا، وآلى منهن ثم خرج وخيرهن فاخترن الله ورسوله، جازاهن الله بأن حظر عليه النساء غيرهن وقنعه بهن وحظر عليه تبديلهن، ونسخ بذلك ما أباحه له قبل من التوسعة في جميع النساء، وقال أبي بن كعب وعكرمة قوله لا يحل لك النساء من بعد أي من بعد الأصناف التي سميت، ومن قال إن الإباحة كانت له مطلقة قال هنا لا يحل لك النساء معناه لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات.

قال الفقيه الإمام القاضي: وهذا تأويل فيه بعد، وإن كان روي عن مجاهد، وكذلك روي أن تبدل اليهوديات والنصرانيات بالمسلمات، وهذا قول أبي رزين وسعيد بن جبير، وقال أبي بن كعب من بعد يعني لا يحل لك العمات والخالات ونحو ذلك، وأمر مع ذلك بأن لا يتبدل بأزواجه التسع منه من أن يطلق منهن ويتزوج غيرهن قاله الضحاك، وقيل بمن تزوج وحصل في عصمته أي لا يبدلها بأن يأخذ زوجة إنسان ويعطيه هو زوجته قال ابن زيد وهذا شيء كانت العرب تفعله.

قال الفقيه الإمام القاضي: وهذا قول ضعيف أنكره الطبري وغيره في معنى الآية، وما فعلت العرب قط هذا، وما روي من حديث عيينة بن حصن أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فقال من هذه الحميراء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذه عائشة، فقال عيينة: يا رسول الله إن شئت نزلت لك عن سيدة العرب جمالا ونسبا فليس بتبديل ولا أراد ذلك وإنما احتقر عائشة لأنها كانت صبية فقال هذا القول، وقرأ أبو عمرو بخلاف «لا تحل» بالتاء على معنى جماعة النساء، وقرأ الباقون «لا يحل» بالياء

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٣٩٢

من تحت على معنى جميع النساء وهما حسنان لأن تأنيث لفظ النساء ليس بحقيقي، وقوله تعالى: ولو أعجبك حسنهن، قال ابن عباس نزل ذلك بسبب أسماء بنت عميس أعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات عنها جعفر بن أبي طالب وفي هذه اللفظة أعجبك حسنهن دليل على جواز أن ينظر الرجل إلى من يريد زواجها، وقد أراد المغيرة بن شعبة زواج امرأة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «انظر إليها فإنه أجدر أن يؤدم بينكما» وقال عليه السلام لآخر: «انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئا» ، قال الحميدي يعني «صغرا» ، وقال سهل بن أبي حثمة رأيت محمد بن مسلمة يطارد بثينة بنت الضحاك على أجار من أجاجير المدينة فقلت له أتفعل هذا؟ فقال نعم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا ألقى الله في قلب أحدكم خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها» ، وقوله تعالى: إلا ما ملكت يمينك ما في موضع رفع بدل من النساء، ويجوز أن تكون في موضع نصب على الاستثناء، وفي النصب ضعف، ويجوز أن تكون ما مصدرية والتقدير إلا ملك يمينك وملك بمعنى مملوك، وهو في موضع نصب لأنه استثناء من غير الجنس الأول، و **«الرقيب»** فعيل بمعنى فاعل أي راقب.

قوله عز وجل:." (١)

"قوله عز وجل:

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٥٩]

يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما (٥٩)

لما كانت عادة العربيات التبذل في معنى الحجبة وكن يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء وكان ذلك داعية إلى نظر الرجال إليهن وتشعب الفكر فيهن أمر الله تعالى رسوله عليه السلام بأمرهن بإدناء الجلابيب، ليقع سترهن ويبين الفرق بين الحرائر والإماء، فيعرف الحرائر بسترهن فكيف عن معارضتهن من كان غزلا أو شابا وروي أنه كان في المدينة قوم يجلسون على الصعدات لرؤية النساء ومعارضتهن ومراودتهن، فنزلت الآية بسبب ذلك، و «الجلباب» ثوب أكبر من الخمار، وروي عن ابن عباس وابن مسعود أنه الرداء واختلف الناس في صورة إدنائه، فقال ابن عباس وعبيدة السلماني ذلك أن تلويه المرأة حتى لا يظهر منها إلا عين

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٣٩٤

واحدة تبصر بها، وقال ابن عباس أيضا وقتادة وذلك أن تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الأنف وإن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه، وقوله تعالى: ذلك أدنى أن يعرفن أي على الجملة بالفرق حتى لا يختلطن بالإماء، فإذا عرفن لم يقابلن بأذى من المعارضة **مراقبة** لرتبة الحرية، وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى يعلم من هي، وكان عمر إذا رأى أمة قد تقنعت قنعها الذرة محافظة على زي الحرائر، وباقي الآية ترجية ولطف وحظ على التوبة وتطميع في رحمة الله تعالى، وفيها تأنيس للنساء في ترك الجلابيب قبل هذا الأمر المشروع.

قوله عز وجل:

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٦٠ الى ٦٢]

لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا (٦٠) ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا (٦١) سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٦٢)

اللام في قوله تعالى: لئن هي المؤذنة بمجيء القسم، واللام في لنغرينك هي لام القسم، وتوعد الله تعالى هذه الأصناف في هذه الآية، وقرن توعده بقرينة متابعتهم وتركهم الانتهاء، فقالت فرقة: إن هذه الأصناف لم تنته ولم ينفذ الله تعالى عليها هذا الوعيد، فهذه الآية دليل على بطلان القول بإنفاذ الوعيد في الآخرة، وقالت فرقة: إن هذه الأصناف انتهت وتستر جميعهم بأمرهم وكفوا وما بقي من أمرهم أنفذ الله تعالى وعيدا بإزائه، وهو مثل نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليهم إلى غير ذلك مما أحله رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنافقين من الإذلال في إخراجهم من المسجد وما نزل فيهم في سورة براءة وغير ذلك، فهم لم يمتثلوا الانتهاء جملة ولا نفذ عليهم الوعيد كاملا. والمنافقون صنف يظهر الإيمان ولا يبطنه، والذين في قلوبهم مرض هو الغزل وحب الزنا قاله عكرمة، ومنه قوله تعالى:

فيطمع الذي في قلبه مرض [الأحزاب: ٣٢] والمرجفون في المدينة هم قوم من المنافقين كانوا." (١)

"جميعهم النار التي في القربان، فمن أكلته فهو المبطل، فدخلوها فاحترق قوم تبع، وخرج الحبران تعرق جباههما، فهلك القوم المخالفون وآمن سائر قوم تبع بدين الحبرين. وفي الحديث اختلاف كثير.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٩٩/٤

أثبت أصح ذلك على ما في سير ابن هشام. وذكر الطبري عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تلعنوا تبعا، فإنه كان قد أسلم» وحكى الثعلبي عن ابن عباس أن تبعا كان نبيا.

وقوله تعالى: كل كذب الرسل قال سيبويه، التقدير: كلهم وحذف لدلالة كل عليه إيجازا.

و «الوعيد» الذي حق: هو ما سبق به القضاء من تعذيب الكفرة وإهلاك الأمم المكذبة، ففي هذا تخويف من كذب محمدا صلى الله عليه وسلم.

وقوله تعالى: أفعيينا توقيف للكفار وتوبيخ وإقامة للحجة الواضحة عليهم، وذلك أن جوابهم على هذا التوقيف هو لم يقع عي، ثم هم مع ذلك في لبس من الإعادة. وهذا تناقض، ويقال عيي يعيى إذا عجز عن الأمر ويلح به، ويدغم هذا الفعل الماضي من هذا الفعل ولا يدغم المستقبل منه فيقال عي، ومنه قول الشاعر [عبيد بن الأبرص] :

عيوا بأمرهم كما ... عيت ببيضتها الحمامه

و «الخلق الأول» إنشاء الإنسان من نطفة على التدريج المعلوم، وقال الحسن: «الخلق الأول» آدم عليه السلام، حكاه الرماني، واللبس: الشك والريب واختلاط النظر. والخلق الجديد: البعث في القبور.

قوله عز وجل:

[سورة ق (٥٠) : الآيات ١٦ الى ٢١]

ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦) إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨) وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩) ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد (٢٠)

وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١)

هذه آيات فيها إقامة حجج على الكفار في إنكارهم البعث والجزاء. والخلق: إنشاء الشيء على ترتيب وتقدير حكمي. و: الإنسان اسم الجنس. قال بعض المفسرين الإنسان هنا آدم عليه السلام وتوسوس معناه: تتحدث في فكرتها، وسمي صوت الحلي وسواسا لخفائه، والوسوسة إنما تستعمل في غير الخير، وقوله تعالى: نحن أقرب إليه من حبل الوريد عبارة عن قدرة الله على العبد، وكون العبد في قبضة القدرة، والعلم قد أحيط به، فالقرب هو بالقدرة والسلطان، إذ لا ينحجب عن علم الله باطن ولا ظاهر، وكل قريب من الأجرام فبينه وبين قلب الإنسان حجب. و: الوريد عرق كبير في العنق، يقال: إنهما وريدان عن يمين

وشمال. قال الفراء: هو ما بين الحلقوم والعلباوين وقال الحسن:
الوريد الوتين.
قال الأثرم: هو نهر الجسد هو في القلب الوتين، وفي الظهر الأبهر، وفي الذراع والفخذ: الأكحل والنسا وفي الخنصر: إلا سليم، «والحبل» : اسم مشترك فخصصه بالإضافة إلى الوريد، وليس هذا." (١)
"القيامة: اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا [الإسراء: ١٤] عدل والله عليه من جعله حسيب نفسه. **والرقيب**: المراقب. والعتيد: الحاضر وقوله: وجاءت عطف عندي على قوله: إذ يتلقى فالتقدير: وإذ تجيء سكرة الموت، وجعل الماضي في موضع المستقبل تحقيقا وتثبيتا للأمر، وهذا أحث على الاستعداد واستشعار القرب، وهذه طريقة العرب في ذلك، ويبين هذا في قوله: ونفخ في الصور وجاءت كل نفس فإنها ضرورة بمعنى الاستقبال. وقرأ أبو عمرو: وجاءت سكرة بإدغام التاء في السين. وسكرة الموت: ما يعتري الإنسان عند نزاعه والناس فيها مختلفة أحوالهم، لكن لكل واحد سكرة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في نزاعه يقول: «إن للموت لسكرات» .
وقوله: بالحق معناه: بلقاء الله وفقد الحياة الدنيا. وفي مصحف عبد الله بن مسعود: «وجاءت سكرة الحق بالموت» . وقرأها ابن جبير وطلحة، ويروى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قاله كذلك لابنته عائشة وذلك أنها قعدت عند رأسه وهو ينازع فقالت: [الطويل]
لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
ففتح أبو بكر رضي الله عنه عينه فقال: لا تقولي هكذا، وقولي: «وجاءت سكرة الحق بالموت» ذلك ما كنت منه تحيد. وقد روي هذا الحديث على مشهور القراءة وجاءت سكرة الموت بالحق فقال أبو الفتح: إن شئت علقت الباء ب جاءت، كما تقول: جئت بزيد، وإن شئت كانت بتقدير: ومعها الموت.
واختلف المتأولون في معنى: «وجاءت سكرة الحق بالموت» فقال الطبري وحكاه الثعلبي: «الحق» الله تعالى، وفي إضافة السكرة إلى اسم الله تعالى بعد وإن كان ذلك سائغا من حيث هي خلق له، ولكن فصاحة القرآن ورصفه لا يأتي فيه هذا. وقال بعض المتأولين المعنى: وجاءت سكرة فراق الحياة بالموت وفراق الحياة حق يعرفه الإنسان ويحيد منه بأمله. ومعنى هذا الحيد: أنه يقول: أعيش كذا وكذا، فمتى فكر في قرب الموت حاد بذهنه وأمله إلى مسافة بعيدة من الزمن، وأيضا فحذر الموت وتحرزاته ونحو هذا

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٥٩/٥

حيد كله. وقد تقدم القول في النفخ في الصور مرارا. و: يوم الوعيد هو يوم القيامة وأضافه إلى الوعيد تخويفا.

وقوله تعالى: وجاءت كل نفس معها وقرأ طلحة بن مصرف: «محها» بالحاء المثقلة. والسائق: الحاث على السير.

واختلف الناس في السائق والشهيد، فقال عثمان بن عفان ومجاهد وغيره: ملكان موكلان بكل إنسان أحدهما يسوقه والآخر من حفظته يشهد عليه. وقال أبو هريرة: السائق ملك، والشهيد: العمل وقال منذر بن سعيد: السائق: الملك والشهيد: النبي صلى الله عليه وسلم، قال وقيل: الشهيد: الكتاب الذي يلقاه منشورا. وقال بعض النظار: سائق، اسم جنس، وشهيد كذلك، فالساقة للناس ملائكة يوكلون بذلك، والشهداء: الحفظة في الدنيا وكل ما يشهد.." (١)

"والله خير الماكرين، لأن مكره مجازاة، ونصر للمؤمنين. قال ابن عباس: ومكرهم، أن اليهود أرادوا قتل عيسى، فدخل خوخة «١» ، فدخل رجل منهم، فألقى عليه شبه عيسى، ورفع عيسى إلى السماء، فلما خرج إليهم، ظنوه عيسى، فقتلوه.

[سورة آل عمران (٣) : آية ٥٥]

إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون (٥٥)

قوله تعالى: إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك قال ابن قتيبة: التوفي، من استيفاء العدد يقال: توفيت، واستوفيت، كما يقال: تيقنت الخبر، واستيقنته، ثم قيل للموت: وفاة، وتوف. وأنشد أبو عبيدة «٢» :

إن بني الأدرد ليسوا من أحد ... ليسوا إلى قيس وليسوا من أسد

ولا توفاهم قريش في العدد أي: لا تجعلهم وفاء لعددها، والوفاء: التمام. وفي هذا التوفي قولان: أحدهما: أنه الرفع إلى السماء. والثاني: أنه الموت. فعلى القول الأول يكون نظم الكلام مستقيما من غير تقديم ولا تأخير، ويكون معنى «متوفيك» قابضك من الأرض وافيا تاما من غير أن ينال منك اليهود شيئا، هذا قول

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٦١/٥

الحسن، وابن جريج، وابن قتيبة، واختاره الفراء. ومما يشهد لهذا الوجه قوله تعالى: فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم «٣» ، أي: رفعتني إلى السماء من غير موت، لأنهم إنما بدلوا بعد رفعه، لا بعد موته. وعلى القول الثاني يكون في الآية تقديم وتأخير، وتقديره: إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد ذلك، هذا قول الفراء، والزجاج في آخرين. فتكون الفائدة في إعلامه بالتوفي تعريفه أن رفعه إلى السماء لا يمنع من موته «٤» . قال سعيد بن المسيب: رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. وقال مقاتل: رفع من بيت المقدس ليلة القدر في رمضان. وقيل: عاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين. ويقال: ماتت قبل رفعه.

قوله تعالى: ومطهرك من الذين كفروا فيه قولان: أحدهما: أنه رفعه من بين أظهرهم.

والثاني: منعهم من قتله «٥» . وفي الذين اتبعوه قولان: أحدهما: أنهم مسلمون من أمة محمد عليه السلام، لأنهم صدقوا بنبوته، وأنه روح الله وكلمته، وهذا قول قتادة، والربيع، وابن السائب. والثاني:

---

(١) في «اللسان» : الخوخة: مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب.

(٢) الرجز لمنظور الوبري. انظر «اللسان» مادة (وفي) .

(٣) المائدة: ١١٧.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله ١/ ٣٦٦: قال الأكثرون: المراد بالوفاة هاهنا النوم، كما قال تعالى: وهو الذي يتوفاكم بالليل. وقال تعالى: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا قام من النوم: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا» الحديث. وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن أنه قال: في قوله تعالى: إني متوفيك يعني وفاة المنام رفعه الله في منامه. قال الحسن: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود «إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة» .

(٥) وقع في المطبوع: قبله، والتصويب من «تفسير الماوردي» ١/ ٣٩٧.." (١)

"سورة النساء

مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢٨٧/١

[سورة النساء (٤) : آية ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١)

اختلفوا في نزولها على قولين «١» : أحدهما: أنها مكية، رواه عطية عن ابن عباس، وهو قول الحسن، ومجاهد، وجابر بن زيد، وقتادة. والثاني: أنها مدنية، رواه عطاء عن ابن عباس، وهو قول مقاتل. وقيل: إنها مدنية، إلا آية نزلت بمكة في عثمان بن طلحة حين أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة، فيسلمها إلى العباس، وهي قوله تعالى: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها «٢» ذكره الماوردي.

قوله تعالى: اتقوا ربكم فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى الطاعة، قاله ابن عباس. والثاني: بمعنى الخشية. قاله مقاتل. والنفس الواحدة: آدم، وزوجها حواء، و «من» في قوله تعالى: وخلق منها للتبعيض في قول الجمهور. وقال ابن بحر: «منها» ، أي: من جنسها.

واختلفوا أي وقت خلقت له، على قولين: أحدهما: أنها خلقت بعد دخوله الجنة، قاله ابن مسعود، وابن عباس. والثاني: قبل دخوله الجنة، قاله كعب الأحبار، ووهب، وابن إسحاق. قال ابن عباس: لما خلق الله آدم، ألقى عليه النوم، فخلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى، فلم تؤذه بشيء، ولو وجد الأذى ما عطف عليها أبدا، فلما استيقظ قيل: يا آدم ما هذه؟ قال: حواء.

قوله تعالى: وبث منهما قال الفراء: بث: نشر، ومن العرب من يقول: أبث الله الخلق، ويقولون: بثثتك ما في نفسي، وأبثثتك.

قوله تعالى: الذي تسائلون به قرأ ابن كثير، وابن عامر، والبرجمي، عن أبي بكر، عن عاصم.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٥/ ٥: هي مدنية إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح في عثمان بن طلحة الحجبي وهي قوله: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها. وهو الصحيح، فإن في صحيح البخاري- ٤٩٩٣- عن عائشة أنها قالت: ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تعني قد بنى بها. ولا خلاف بين العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما بنى بعائشة بالمدينة.

ومن تبين أحكامها علم أنها مدنية لا شك فيها. والله أعلم.
(٢) النساء: ٥٨. وسيأتي الحديث أثناء تفسيرها.." (١)

"واليزيدي، وشجاع، والجعفي، وعبد الوارث، عن أبي عمرو: «تساءلون» بالتشديد. وقرأ عاصم، وحمزة والكسائي، وكثير من أصحاب أبي عمرو عنه بالتخفيف. قال الزجاج: الأصل: تتساءلون، فمن قرأ بالتشديد. أدغم التاء في السين، لقرب مكان هذه من هذه، ومن قرأ بالتخفيف، حذف التاء الثانية لاجتماع التاءين. وفي معنى «تساءلون به» ثلاثة أقوال: أحدها: تتعاطفون به، قاله ابن عباس. والثاني: تتعاقدون، وتتعاهدون به. قاله الضحاك، والربيع. والثالث: تطلبون حقوقكم به، قاله الزجاج.
فأما قوله «والأرحام» فالجمهور على نصب الميم على معنى: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وفسرها على هذا ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والسدي، وابن زيد. وقرأ الحسن، وقتادة، والأعمش، وحمزة بخفض الميم على معنى: تساءلون به وبالأرحام، وفسرها على هذا الحسن، وعطاء والنخعي. وقال الزجاج: الخفض في «الأرحام» خطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار الشعر، وخطأ في الدين، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
(٢٥٥) «لا تحلفوا بآبائكم» ، وذهب إلى نحو هذا الفراء، وقال ابن الأنباري: إنما أراد، حمزة الخبر عن الأمر القديم الذي جرت عادتهم به، فالمعنى: الذي كنتم تساءلون به وبالأرحام في الجاهلية.
قال أبو علي: من جر، عطف على الضمير المجرور بالباء، وهو ضعيف في القياس، قليل في الاستعمال، فترك الأخذ به أحسن.
فأما الرقيب، فقال ابن عباس، ومجاهد: الرقيب: الحافظ. وقال الخطابي: هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، وهو في نعوت الآدميين الموكل بحفظ الشيء، المترصد له، المتحرز عن الغفلة فيه، يقال منه: رقبت الشيء أرقبه رقبة.

[سورة النساء (٤) : آية ٢]
وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (٢)
قوله تعالى: وآتوا اليتامى أموالهم.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣٦٦/١

(٢٥٦) سبب نزولها: أن رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ، طلب ماله فمنعه، فخاصمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت، قاله سعيد بن جبير.

والخطاب بقوله تعالى: «وآتوا» للأولياء والأوصياء. قال الزجاج: وإنما سموا يتامى بعد البلوغ، بالاسم الذي كان لهم، وقد كان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم: يتيم أبي طالب.

قوله تعالى: ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب، قرأ ابن محيصن: «تبدلوا» بتاء واحدة. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنه إبدال حقيقة، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه أخذ الجيد، وإعطاء الرديء

صحيح. أخرجه البخاري ٣٨٣٦ و ٦٦٤٨ ومسلم ١٦٤٦ وأحمد ٢/ ٢٠- ٤٢- ٧٦ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله، فكانت قريش تحلف بآبائها فقال: لا تحلفوا بآبائكم» . وانظر «تفسير القرطبي» ١٩٩١ بتخريجنا.

عزاه السيوطي في «الدر» ٢/ ٢٠٧ لابن أبي حاتم عن ابن جبير، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٩١ بدون إسناد عن مقاتل والكلبي وعزاه ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٩٩٩ للثعلبي وقال: وسنده إليهما مذكور أول الكتاب- أي كتاب الثعلبي- وسكت الحافظ عليه. وهو معضل، والكلبي متروك متهم، ومقاتل إن كان ابن سليمان، فهو كذاب، وإن كان ابن حيان، فإنه صدوق فيه ضعف وقد روى مناكير كثيرة.." (١)

"ومعنى الكلام: من قبل ما أتى به الرسول، فانما قبل: ما أمر الله به، ومن تولى، أي: أعرض عن طاعته. وفي «الحفيظ» قولان: أحدهما: أنه **الرقيب**، قاله ابن عباس. والثاني: المحاسب، قاله السدي، وابن قتيبة.

فصل: قال المفسرون: وهذا كان قبل الأمر بالقتال، ثم نسخ بآية السيف.

[سورة النساء (٤) : آية ٨١]

ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٨١)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣٦٧/١

قوله تعالى: ويقولون طاعة.

(٣١٨) نزلت في المنافقين، كانوا يؤمنون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمنوا، فاذا خرجوا، خالفوا، هذا قول ابن عباس. قال الفراء: والرفع في «طاعة» على معنى: أمرك طاعة.

قوله تعالى: بيت طائفة قرأ أبو عمرو، وحمزة: بيت، بسكون «التاء» وإدغامها في «الطاء» ، ونصب الباقون «التاء» ، قال أبو علي: التاء والطاء والدال من حيز واحد، فحسن الإدغام، ومن بين، فلانفصال الحرفين، واختلاف المخرجين. قال ابن قتيبة: والمعنى (فاذا برزوا من عندك) أي خرجوا، (بيت طائفة منهم غير الذي تقول) ، أي «١» قالوا، وقدروا ليلا غير ما أعطوك نهارا. قال الشاعر:

أتوني فلم أرض ما بيتوا ... وكانوا أتوني بشيء نكر «٢»

والعرب تقول: هذا أمر قد قدر بليل، [وفرغ منه بليل، ومنه قول الحارث بن حلزة:

أجمعوا أمرهم عشاء فلما ... أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء] «٣»

وقال بعضهم: بيت، بمعنى: بدل، وأنشد:

وبيت قولي عند المليك ... قاتلك الله عبدا كفورا «٤»

وفي قوله تعالى: غير الذي تقول قولان: أحدهما: غير الذي تقول الطائفة عندك، وهو قول ابن عباس، وابن قتيبة. والثاني: غير الذي تقول أنت يا محمد، وهو قول قتادة، والسدي.

ضعيف. أخرجه الطبري ٩٩٩١ عن العوفي عن ابن عباس وإسناده واه لأجل عطية بن سعد العوفي.

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من «غريب القرآن» : ١٣١.

(٢) البيت لعبيدة بن همام كما في «تفسير الطبري» ٤/ ١٨٠ والبيت الذي بعده يتممه:

لأنكح أيمهم منذرا ... وهل ينكح العبد حر لحر؟!

وفي «اللسان» : النكر: الأمر المنكر الذي تنكره.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من غريب القرآن. [.....]

(٤) البيت للأسود بن عامر بن جوين الطائي كما في «تفسير القرطبي» ٥/ ٢٧٦ وفيه عبد المليك.." (١)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤٣٧/١

"قال الزجاج: و «الكفل» في اللغة: النصيب، وأخذ من قولهم: اكتفلت البعير: إذا أدرت على سنامه، أو على موضع من ظهره كساء، وركبت عليه. وإنما قيل له: كفل، لأنه لم يستعمل الظهر كله، وإنما استعمل نصيبا منه.

وفي المقيت» سبعة أقوال: أحدها: أنه المقتدر، قال أحيحة بن الجلاح:

وذي ضغن كففت النفس عنه ... وكنت على مساءته مقيتا «١»

وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس، وابن جرير، والسدي، وابن زيد، والفراء، وأبو عبيد، وابن قتيبة، والخطابي.

والثاني: أنه الحفيظ، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والزجاج.

وقال: هو بالحفيظ أشبه، لأنه مشتق من القوت، يقال: قت الرجل أقوته قوتا: إذا حفظت عليه نفسه بما يقوته. والقوت: اسم الشيء الذي يحفظ نفسه، ولا فضل فيه على قدر الحفظ، فمعنى المقيت: الحافظ الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة من الحفظ. قال الشاعر:

ألي الفضل أم علي إذا حو ... سبت إني علی الحساب مقيت

والثالث: أنه الشهيد، رواه ابن أبي نجيح، عن مجاهد، واختاره أبو سليمان الدمشقي. والرابع: أنه الحسيب، رواه خصيف عن مجاهد. والخامس: **الرقيب**، رواه أبو شيبة عن عطاء. والسادس: الدائم، رواه ابن جريج عن عبد الله بن كثير. والسابع: أنه معطي القوت، قاله مقاتل بن سليمان. وقال الخطابي: المقيت يكون بمعنى معطي القوت، قال الفراء: يقال: قاته وأقاته.

[سورة النساء (٤) : آية ٨٦]

وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا (٨٦)

قوله تعالى: وإذا حييتم بتحية في التحية قولان: أحدهما: أنها السلام، قاله ابن عباس والجمهور. والثاني: الدعاء، ذكره ابن جرير والماوردي. فأما «أحسن منها» فهو الزيادة عليها، وردها:

قول مثلها. قال الحسن: إذا قال أخوك المسلم: السلام عليكم، فرد السلام، وزد: ورحمة الله. أو رد ما قال ولا تزد. وقال الضحاك: إذا قال: السلام عليك، قلت: وعليكم السلام ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليك ورحمة الله، قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وهذا منتهى السلام. وقال قتادة: بأحسن منها للمسلم، أو ردوها على أهل الكتاب «٢» .

---

(١) في «اللسان» الضغن: الحقد والعداوة.

(٢) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٥/ ٢٨٣: واختلف العلماء في معنى الآية وتأويلها، فروى ابن وهب عن مالك أن هذه الآية بتشميت العاطس والرد على المشمت. وهذا ضعيف. والرد على المشمت فمما يدخل بالقياس في معنى رد التحية وهذا هو منحى مالك إن صح ذلك عنه. وقال أصحاب أبي حنيفة: التحية هنا الهدية، لقوله تعالى: أو ردوها والصحيح أن التحية هاهنا السلام وعلى هذا جماعة المفسرين. وأجمع العلماء على أن الابتداء بالسلام سنة مرغب فيها، ورده فريضة لقوله تعالى: فحيوا بأحسن منها أو ردوها.

واختلفوا إذا رد واحد من جماعة هل يجزئ أو لا. فمذهب الشافعي ومالك إلى الإجزاء. واحتجوا بما رواه داود عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يجزئ من الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم، ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم» قال أبو عمر: حديث حسن لا معارض له. وقد ضعفه بعضهم وجعلوه حديثا منكرا.

واحتجوا أيضا بقوله عليه السلام: «يسلم القليل على الكثير» . وروى مالك عن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم واحد من القوم أجزأ عنهم» . قلت: هكذا تأول علماؤنا هذا الحديث وجعلوه حجة في جواز رد الواحد، وفيه قلق. وقوله تعالى: فحيوا بأحسن منها أو ردوها رد الأحسن أن يزيد فيقول: عليك السلام ورحمة الله، لمن قال: سلام عليك. فإن قال: سلام عليك ورحمة الله زدت في ردك: وبركاته. وهذا هو النهاية فلا مزيد. فإن انتهى بالسلام غايته، زدت في ردك الواو في أول كلامك فقلت وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. وينبغي أن يكون السلام. وروى الأعمش عن إبراهيم النخعي قال: إذا سلمت على الواحد فقل: السلام عليكم، فإن معه الملائكة، وكذلك الجواب يكون بلفظ الجمع. والاختيار في التسليم والأدب فيه تقديم اسم الله تعالى على اسم المخلوق قال تعالى: سلام على إل ياسين.

فإن رد فقدم اسم المسلم عليه لم يأت محرما ولا مكروها. ومن السنة تسليم الراكب على الماشي، والقائم على القاعد، والقليل على الكثير. هكذا جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويسلم الصغير على الكبير» . وأما تسليم الكبير على الصغير قال أكثر العلماء: التسليم عليهم أفضل من تركه، وفيه تدريب للصغير وحض على تعليم السنن ورياضة لهم على آداب الشريعة فيه، وقد جاء في الصحيحين عن سيار قال: كنت أمشي مع ثابت فمر بصبيان فسلم عليهم، وذكر أنه كان

يمشي مع أنس فمر بصبيان فسلم عليهم، وحدث أنه كان يمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بصبيان فسلم عليهم. وأما التسليم على النساء فجائز إلا على الشابات منهن خوف الفتنة من مكالمتهن بنزعة شيطان أو خائنة عين. وأما المتجالات- المتجالة الهرمة المسنة- والعجز فحسن للأمن فيما ذكرناه وإليه ذهب مالك وطائفة من العلماء.

ومنعه الكوفيون إذا لم يكن منهن ذوات محرم وقالوا: لما سقط عن النساء الأذان والإقامة والجهر بالقراءة في الصلاة سقط عنهن رد السلام فلم يسلم عليهن. والصحيح الأول لما خرجه البخاري عن سهل بن سعد قال:

كنا نفرح بيوم الجمعة. قلت ولم؟ قال: كانت لنا عجوز ترسل إلى بضاعة- قال ابن مسلمة: نخل بالمدينة- فتأخذ من أصول السلق فتطرحه في القدر وتكركر حبات من شعير، فإذا صلينا الجمعة انصرفنا فنسلم عليها فتقدمه إلينا فنفرح من أجله، ولا كنا نقيل ولا نتغذى إلا بعد الجمعة. تكركر أي تطحن. ولا تكفي الإشارة بالإصبع والكف عند الشافعي، وعندنا تكفي إذا كان على بعد وأما الكافر فحكم الرد عليه أن يقال له: وعليكم. وقال عطاء: الآية في المؤمنين خاصة، ومن سلم من غيرهم قيل له: عليك، كما جاء في الحديث في صحيح مسلم: «عليك» بغير واو وهي الرواية الواضحة، ورواية حذف الواو أحسن معنى وإثباتها أصح رواية وأشهر، وعليها من العلماء أكثر. ولا يسلم على المصلي فإن سلم عليه فهو بالخيار، إن شاء رد بالإشارة بإصبعه وإن شاء أمسك حتى يفرغ من الصلاة ثم يرد. ولا ينبغي أن يسلم على من يقضي حاجته فإن فعل لم يلزمه أن يرد عليه.." (١)

"أحدهما: أنها إشارة إلى المجروح، فاذا تصدق بالقصاص كفر من ذنوبه، وهو قول ابن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والحسن، والشعبي. والثاني: إشارة إلى الجارح إذا عفا عنه المجروح، كفر عنه ما جنى، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، وهو محمول على أن الجاني تاب من جنايته، لأنه إذا كان مصرا فعقوبة الإصرار باقية.

[سورة المائدة (٥) : آية ٤٦]

وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤٤١/١

لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين (٤٦)
قوله تعالى: وقفينا على آثارهم أي: وأتبعنا على آثار النبيين الذين أسلموا بعيسى فجعلناه يقفو آثارهم مصدقا أي: بعثناه مصدقا لما بين يديه وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا ليس هذا تكرار للأول، لأن الأول لعيسى، والثاني للإنجيل، لأن عيسى كان يدعو إلى التصديق بالتوراة، والإنجيل أنزل وفيه ذكر التصديق بالتوراة.

[سورة المائدة (٥) : آية ٤٧]
وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون (٤٧)
قوله تعالى: وليحكم أهل الإنجيل قرأ الأكثرون بجزم اللام على معنى الأمر، تقديره: وأمرنا أهله أن يحكموا بما أنزل الله فيه. وقرأ الأعمش، وحمزة بكسر اللام، وفتح الميم على معنى «كي» ، فكأنه قال: وآتيناه الإنجيل لكي يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه.

[سورة المائدة (٥) : آية ٤٨]
وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (٤٨)
قوله تعالى: وأنزلنا إليك الكتاب يعني القرآن بالحق أي: بالصدق مصدقا لما بين يديه من الكتاب قال ابن عباس: يريد كل كتاب أنزله الله تعالى.
وفي «المهيمن» أربعة أقوال: أحدها: أنه المؤيمن، رواه التميمي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير. وعكرمة، وعطاء، والضحاك. وقال المبرد: «مهيمن» في معنى: «مؤيمن» إلا أن الهاء بدل من الهمزة، كما قالوا: أرقت الماء، وهرقت، وإياك وهياك. وأرباب هذا القول يقولون: المعنى:
أن القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتاب. إلا أن ابن أبي نجيح روى عن مجاهد: ومهيمنا عليه. قال: محمد مؤتمن على القرآن. فعلى قوله، في الكلام محذوف، كأنه قال: وجعلناك يا محمد مهيمنا عليه، فتكون هاء «عليه» راجعة إلى القرآن. وعلى غير قول مجاهد ترجع إلى الكتاب المتقدمة. والثاني: أنه الشاهد، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، والسدي، ومقاتل. والثالث: أنه المصدق

على ما أخبر عن الكتاب، وهذا قول ابن زيد، وهو قريب من القول الأول. والرابع: أنه الرقيب الحافظ، قاله الخليل.." (١)

"والثاني: أنه قاله له حين رفعه إليه، قاله السدي، والأول أصح.

وفي «إذ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها زائدة، والمعنى: وقال الله، قاله أبو عبيدة. والثاني: أنها على أصلها، والمعنى: وإذ يقول الله له، قاله ابن قتيبة. والثالث: أنها بمعنى: «إذا» ، كقوله تعالى:

ولو ترى إذ فزعوا «١» والمعنى: إذا. قال أبو النجم:

ثم جزاك الله عني إذ جزى ... جنات عدن في السماوات العلا

ولفظ الآية لفظ الاستفهام، ومعناها التوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى.

قال أبو عبيدة: وإنما قال: «إلهين» ، لأنهم إذ أشركوا فعل ذكر مع فعل أنثى ذكروهما. فإن قيل: فالنصارى لم يتخذوا مريم إلها، فكيف قال الله تعالى ذلك فيهم؟ فالجواب: أنهم لما قالوا: لم تلد بشرا، وإنما ولدت إلها، لزمهم أن يقولوا: إنها من حيث البعضية بمثابة من ولدته، فصاروا بمثابة من قاله.

قوله تعالى: قال سبحانك أي: براءة لك من السوء ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق أي: لست أستحق العبادة فأدعو الناس إليها. وروى عطاء بن السائب عن ميسرة قال: لما قال الله تعالى لعيسى: أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله رعد كل مفصل منه حتى وقع مخافة أن يكون قد قاله، وما قال: إني لم أقل، ولكنه قال: إن كنت قلته فقد علمته. فإن قيل: ما الحكمة في سؤال الله تعالى له عن ذلك وهو يعلم أنه ما قاله؟ فالجواب: أنه تثبيت للحجة على قومه، وإكذاب لهم في ادعائهم عليه أنه أمرهم بذلك، ولإنه إقرار من عيسى بالعجز في قوله: ولا أعلم ما في نفسك وبالعبودية في قوله: أن اعبدوا الله ربي وربكم.

قوله تعالى: تعلم ما في نفسي قال الزجاج: تعلم ما أضمره، ولا أعلم ما عندك علمه، والتأويل: تعلم ما أعلم وأنا لا أعلم ما تعلم.

[سورة المائدة (٥) : آية ١١٧]

ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١/٥٥٤

أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧)

قوله تعالى: أن اعبدوا الله قال مقاتل: وحدوه.

قوله تعالى: وكنت عليهم شهيدا أي: على ما يفعلون ما كنت مقيما فيهم، وقوله: فلما توفيتني فيه قولان: أحدهما: بالرفع إلى السماء. والثاني: بالموت عند انتهاء الأجل. و «الرقيب» مشروح في سورة (النساء) ، و «الشهيد» في (آل عمران) .

[سورة المائدة (٥) : آية ١١٨]

إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨)

قوله تعالى: إن تعذبهم فإنهم عبادك قال الحسن، وأبو العالية: إن تعذبهم، فبإقامتهم على كفرهم، وإن تغفر لهم، فبتوبة كانت منهم. وقال الزجاج: علم عيسى أن منهم من آمن، ومنهم من أقام

---

(١) سورة سبأ: ٥١.." (١)

"الحسن، ومقاتل، ويدل على أن الآية مخصوصة بالدنيا، قوله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة «١» فقيد النظر إليه بالقيامة، وأطلق في هذه الآية، والمطلق يحمل على المقيد. وقوله تعالى: وهو يدرك الأبصار فيه القولان: قال الزجاج: وفي هذا الإعلام دليل على أن خلقه لا يدركون الأبصار، أي: لا يعرفون حقيقة البصر، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينيه، دون أن يبصر من غيرهما من أعضائه فأعلم الله أن خلقا من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه، ولا يحيطون بعلمه فكيف به عز وجل؟! فأما «اللطيف» ، فقال أبو سليمان الخطابي: هو البر بعباده، الذي يلطف لهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون. قال ابن الاعرابي: اللطيف: الذي يوصل إليك أربك في رفق ومنه قولهم: لطف الله بك ويقال: هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية.

وقد يكون اللطف بمعنى الدقة والغموض، ويكون بمعنى الصغر في نعوت الأجسام، وذلك مما لا يليق بصفات الباري سبحانه. وقال الأزهري: اللطيف من أسماء الله، معناه: الرفيق بعباده والخبير: العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٦٠٥/١

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٠٤]

قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤)

قوله تعالى: قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر: جمع بصيرة، وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به. قال الزجاج: والمعنى: قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والبصائر فمن أبصر فلنفسه نفع ذلك ومن عمي فعلى نفسه ضرر ذلك، لأن الله عز وجل غني عن خلقه. وما أنا عليكم بحفيظ أي: لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ والوكيل، وهذا قبل الأمر بالقتال.

(فصل:) وذكر المفسرون أن هذه الآية نسخت بآية السيف. وقال بعضهم: معناها: لست رقيبا عليكم، أحصي أعمالكم فعلى هذا لا وجه للنسخ.

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٠٥]

وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون (١٠٥)

قوله تعالى: وكذلك نصرف الآيات قال الأخفش: وكذلك معناها: وهكذا. وقال الزجاج: المعنى: ومثل ما بينا فيما تلي عليك، نبين الآيات، قال ابن عباس: نصرف الآيات، أي نبينها في كل وجه، ندعوهم بها مرة، ونخوفهم بها أخرى. وليقولوا يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن «دارست» . قال ابن الانباري: معنى الآية: وكذلك نصرف الآيات، لنلزمهم الحجة، وليقولوا:

دارست وإنما صرف الآيات ليسعد قوم بفهمها والعمل بها، ويشقى آخرون بالإعراض عنها فمن عمل بها سعد، ومن قال: دارست، شقي. قال الزجاج: وهذه اللام في «ليقولوا» يسميها أهل اللغة لام الصيرورة. والمعنى: أن السبب الذي أداهم إلى أن يقولوا: دارست!، هو تلاوة الآيات، وهذا كقوله تعالى: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا «٢» وهم لم يطلبوا بأخذه أن يعاديهم، ولكن كان عاقبة الأمر أن صار لهم عدوا وحزنا. ومثله أن تقول: كتب فلان الكتاب لحتفه، فهو لم يقصد أن يهلك نفسه بالكتاب. ولكن العاقبة كانت الهلاك. فأما «دارست» فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «دارست»

---

(١) سورة القيامة: ٢٢- ٢٣.

(٢) سورة القصص: ٨.." (١)

"أحدهما: أنه رخص الأسعار، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثاني: سعة المال، وهو مروي عن ابن عباس أيضا، وبه قال قتادة، وابن زيد. وقال الفراء: أموالكم كثيرة، وأسعاركم رخيصة، فأي حاجة بكم إلى سوء الكيل والوزن «١» ؟! قوله تعالى: وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه غلاء السعر، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: القحط والجدب والغلاء. والثاني: العذاب في الدنيا، وهو الذي أصابهم، قاله مقاتل. والثالث: عذاب النار في الآخرة، ذكره الماوردي «٢» .

قوله تعالى: أوفوا المكيال والميزان بالقسط أي: أتموا ذلك بالعدل. والإيفاء: الإتمام.

ولا تعثوا في الأرض مفسدين بنقص المكيال والميزان.

[سورة هود (١١) : الآيات ٨٦ الى ٩٥]

بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ (٨٦) قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشؤا إنك لأنت الحليم الرشيد (٨٧) قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب (٨٨) ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد (٨٩) واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود (٩٠)

قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز (٩١) قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط (٩٢) ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣) ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٩٤) كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود (٩٥)

قوله تعالى: بقيت الله خير لكم فيه ثمانية أقوال «٣» : أحدها: ما أبقى الله بكم من الحلال بعد

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٦٣/٢

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٩٧: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، ما أخبر الله عن شعيب أنه قال لقومه، وذلك قوله إني أراكم بخير يعني: بخير الدنيا. وقد يدخل في خير الدنيا المال وزينة الحياة الدنيا ورخص السعر، ولا دلالة على أنه بقيله ذلك بعض خيرات الدنيا دون بعض، فذلك على كل معاني خيرات الدنيا التي ذكر أهل العلم أنهم كانوا أوتوها.

(٢) في تفسيره: ٢/ ٤٩٥.

(٣) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٩٨: يعني تعالى ذكره بقوله: بقيت الله خير لكم ما أبقاه الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان بالقسط، فأحله لكم من الذي يبقى لكم ببخسكم الناس من حقوقهم بالمكيال والميزان. ثم ذكر سبب اختياره لهذا التأويل فقال في ٧/ ١٠٠: وإنما اخترت في تأويل ذلك القول الذي اخترته لأن الله تعالى ذكره إنما تقدم إليهم بالنهي عن بخس الناس أشياءهم في المكيال والميزان، وإلى ترك التطفيف في الكيل والبخس في الميزان دعاهم شعيب، فتعقيب ذلك بالخبر عما لهم من الحظ في الوفاء.

في الدنيا والآخرة أولى، مع أن قوله بقيت إنما هي مصدر من قول القائل: «بقيت بقية من كذا» ، فلا وجه لتوجيه معنى ذلك إلا إلى: بقية الله التي أبقاها لكم، مما لكم بعد وفائكم الناس حقوقهم، خير لكم من بقيتكم من الحرام الذي يبقى لكم من ظلمكم الناس، ببخسكم إياها في الكيل والوزن. اه.." (١)

"إيفاء الكيل والوزن، خير من البخس، قاله ابن عباس. والثاني: رزق الله خير لكم، روي عن ابن عباس أيضا، وبه قال سفيان. والثالث: طاعة الله خير لكم، قاله مجاهد، والزجاج. والرابع: حظكم من الله خير لكم، قاله قتادة. والخامس: رحمة الله خير لكم، قاله ابن زيد. والسادس: وصية الله خير لكم، قاله الربيع. والسابع: ثواب الله في الآخرة خير لكم، قاله مقاتل. والثامن: مراقبة الله خير لكم، ذكره الفراء. وقرأ الحسن البصري: «تقية الله خير لكم» بالتاء.

قوله تعالى: إن كنتم مؤمنين شرط الإيمان في كونه خيرا لهم، لأنهم إن كانوا مؤمنين بالله عز وجل، عرفوا صحة ما يقول. وفي قوله عز وجل: وما أنا عليكم بحفيظ ثلاثة أقوال: أحدها:

ما أمرت بقتالكم وإكراهكم على الإيمان. والثاني: ما أمرت بمراقبتكم عند كيلكم لئلا تبخسوا.

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/٣٩٥

والثالث: ما أحفظكم من عذاب الله إن نالكم.

قوله تعالى: أصلاتك تأمرك وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص: «أصلاتك» على التوحيد. وفي المراد بصلواته ثلاثة أقوال: أحدها: دينة، قاله عطاء. والثاني: قراءته، قاله الأعمش.

والثالث: أنها الصلوات المعروفة. وكان شعيب كثير الصلاة.

قوله تعالى: أو أن نفعل في أموالنا ما نشؤا قال الفراء: معنى الآية: أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا، أو أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟

وفي معنى الكلام على قراءة من قرأ بالنون قولان: أحدهما: أن فعلهم في أموالهم هو البخس والتطفيف، قاله ابن عباس فالمعنى: قد تراضينا فيما بيننا بذلك.

والثاني: أنهم كانوا يقطعون الدراهم والدنانير، فنهاهم عن ذلك، قاله ابن زيد. وقال القرظي: عذبوا في قطعهم الدراهم. قال ابن الأنباري: وقرأ الضحاك بن قيس الفهري: «ما تشاء» بالتاء، ونسق «أن تفعل» على «أن تترك» ، واستغنى عن الإضمار. قال سفيان الثوري: في معنى هذه القراءة أنه أمرهم بالزكاة فامتنعوا. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والضحاك، وابن أبي عبلة: «أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء» بالتاء فيهما «١» ومعنى هذه القراءة كمعنى قراءة الفهري.

وفي قوله تعالى: إنك لأنت الحليم الرشيد أربعة أقوال:

أحدها: أنهم قالوه استهزاء به، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والفراء.

والثاني: أنهم قالوا له: إنك لأنت السفيه الجاهل، فكنى بهذا عن ذلك، ذكره الزجاج.

والثالث: أنهم سبوه بأنه ليس بحليم ولا رشيد، فأثنى الله عز وجل عليه فقال: بل إنك لأنت الحليم الرشيد، لا كما قال لك الكافرون، حكاه أبو سليمان الدمشقي عن أبي الحسن المصيصي.

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٧/ ١٠١: فمن قرأ ذلك كذلك، فلا مؤونة فيه، وكانت «أن» الثانية حينئذ معطوفة على «أن» الأولى.." (١)

"قوله تعالى: وإنا لنراك فينا ضعيفا فيه أربعة أقوال: أحدها: ضريرا قال ابن عباس وابن جبير وقتادة: كان أعمى. قال الزجاج: ويقال إن حمير تسمي المكفوف ضعيفا. والثاني: ذليلا، قاله الحسن وأبو روق

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣٩٦/٢

ومقاتل. وزعم أبو روق أن الله لم يبعث نبيا أعمى ولا نبيا به زمانة. والثالث: ضعيف البصر، قاله سفيان. والرابع: عاجزا عن التصرف في المكاسب، ذكره ابن الأنباري. قوله تعالى:

ولولا رهطك لرجمناك قال الزجاج: لولا عشيرتك لقتلناك بالرجم، والرجم من سيئ القتلات، وكان رهطه من أهل ملتهم، فلذلك أظهروا الميل إليهم والإكرام لهم. وذكر بعضهم أن الرجم ها هنا بمعنى الشتم والأذى.

قوله تعالى: وما أنت علينا بعزيز فيه قولان: أحدهما: بكريم. والثاني: بممتنع أن نقتلك.

قوله تعالى: أرهطي أعز عليكم من الله وأسكن ياء «رهطي» أهل الكوفة، ويعقوب، والمعنى: أتراعون رهطي في، ولا تراعون الله في؟

قوله تعالى: واتخذتموه وراءكم في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله الجمهور. قال الفراء: المعنى: رميتم بأمر الله وراء ظهوركم. قال الزجاج: والعرب تقول لكل من لا يعبأ بأمر: قد جعل فلان هذا الأمر بظهر، قال الشاعر «١» :

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي ... بظهر فلا يعيا علي جوابها

والثاني: أنها كناية عما جاء به شعيب، قاله مجاهد.

قوله تعالى: إن ربي بما تعملون محيط أي: عالم بأعمالكم، فهو يجازيكم بها. وما بعد هذا قد سبق تفسيره «٢» إلى قوله تعالى: سوف تعلمون. فإن قال قائل: كيف قال ها هنا: «سوف» وفي أخرى: «فسوف» «٣» ؟ فالجواب: أن كلا الأمرين حسن عند العرب، إن أدخلوا الفاء، دلوا على اتصال ما بعد الكلام بما قبله، وإن أسقطوها، بنوا الكلام الأول على أنه قد تم، وما بعده مستأنف، كقوله تعالى: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا «٤» والمعنى: فقالوا: أتتخذنا، بالفاء، فحذفت الفاء لتمام ما قبلها. قال امرؤ القيس:

فقالت يمين الله ما لك حيلة ... وما إن أرى عنك الغواية تنجلي

خرجت بها أمشي تجر وراءنا ... على إثرنا أذيال مرط مرحل «٥»

قال ابن الأنباري: أراد: فخرجت، فأسقط الفاء لتمام ما قبلها. ويروى: فقمت بها أمشي.

قوله تعالى: وارتقبوا إني معكم رقيب قال ابن عباس: ارتقبوا العذاب، فإني أرتقب الثواب. قوله تعالى: وأخذت الذين ظلموا الصيحة. قال المفسرون: صاح بهم جبريل فماتوا في أمكنتهم. قال محمد بن كعب: عذب أهل مدين بثلاثة أصناف من العذاب، أخذتهم رجفة في ديارهم حتى خافوا أن تسقط عليهم، فخرجوا منها فأصابهم حر شديد، فبعث الله الظلة، فتنادوا: هلم إلى الظل فدخلوا جميعا في الظلة، فصيح بهم

صيحة واحدة فماتوا كلهم. قال ابن عباس: لم تعذب أمتان

---

(١) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «ظهر» وعزاه إلى الفرزدق.

(٢) سورة الأنعام: ١٣٥.

(٣) سورة الأنعام: ١٣٥.

(٤) سورة البقرة: ٦٧.

(٥) المرحل: ضرب من برود اليمن، سمي مرحلا لأن عليه تصاوير رحل. ومرط مرحل: إذا وخز فيه علم.." (١)

"وتقرر الصداق، خلافا للشافعي رضي الله عنه. قوله تعالى: فمتعوهن المراد به من لم يسم لها مهرا، لقوله تعالى: أو تفرضوا لهن فريضة «١» ، وقد بينا المتعة هنالك. وكان سعيد بن المسيب وقتادة يقولان: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: فنصف ما فرضتم «٢» . قوله تعالى: وسرحوهن سراحا جميلا أي: من غير إضرار. وقال قتادة: هو طلاقها طاهرا من غير جماع. وقال القاضي أبو يعلي: الأظهر أن هذا التسريح ليس بطلاق، لأنه قد ذكر الطلاق، وإنما هو بيان أنه لا سبيل له عليها، وأن عليه تخليتها من يده وحباله.

فصل:

واختلف العلماء فيمن قال: إن تزوجت فلانة فهي طالق، ثم تزوجها فعندنا أنها لا تطلق، وهو قول ابن عباس، وعائشة، والشافعي، واستدل أصحابنا بهذه الآية، وأنه جعل الطلاق بعد النكاح. وقال سماك بن الفضل: النكاح عقدة، والطلاق يحلها، فكيف يحل عقدة لم تعقد؟! فجعل بهذه الكلمة قاضيا على «صنعاء» . وقال أبو حنيفة: ينعقد الطلاق، فاذا وجد النكاح وقع. وقال مالك:
ينعقد ذلك في خصوص النساء، وهو إذا كان في امرأة بعينها، ولا ينعقد في عمومهن. فأما إذا قال: إن ملكت فلانا فهو حر، ففيه عن أحمد روايتان «٣» .

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٥٠ الى ٥٢]

يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣٩٨/٢

عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (٥٠) ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما (٥١) لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢)

---

(١) البقرة: ٢٣٦.

(٢) البقرة: ٢٣٧.

(٣) قال الإمام الموفق في «المغني» ٣/ ٤٨٨: وإذا قال: إن تزوجت فلانة، فهي طالق. لم تطلق إن تزوج بها، وإن قال: إن ملكت فلانا فهو حر، فملكه صار حرا واختلفت الرواية عن أحمد، فعنه: لا يقع طلاق. روي هذا عن ابن عباس. وبه قال سعيد بن المسيب، وعطاء، والحسن، وعروة، وجابر بن زيد، والشافعي، قال:

وهو قول أكثر أهل العلم لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا نذر لابن آدم فيما لا يملك ولا عتق فيما لا يملك، ولا طلاق لابن آدم فيما لا يملك» . قال الترمذي: وهذا حديث حسن.

قال أحمد: هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم وعدة من الصحابة. ولم نعرف لهم مخالفا في عصرهم، فيكون إجماعا.

والرواية الثانية عن أحمد: أنه يصح في العتق ولا يصح في الطلاق.

- وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٣/ ١٨٠: استدل بعض العلماء بقوله تعالى: ثم طلقتموهن وبمهلة ثم على أن الطلاق لا يكون إلا بعد نكاح، وأن من طلق المرأة قبل نكاحها وإن عينها، فإن ذلك لا يلزمه.

وقال هذا نيف على ثلاثين من صاحب وتابع وإمام. سمى الإمام البخاري منهم اثنين وعشرين. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا طلاق قبل نكاح» ومعناه: أن الطلاق لا يقع حتى يحصل النكاح. وقال طائفة من أهل العلم: إن طلاق المعينة الشخص أو القبيلة أو البلد لازم قبل النكاح، منهم مالك

وجميع أصحابه، وجمع عظيم من علماء الأمة. وإن قال: كل امرأة أتزوجها طالق وكل عبد أشتريه حر، لم يلزمه شيء.." (١)

"[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٥٠ الى ٥٢]

يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (٥٠) ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما (٥١) لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢)

قوله تعالى: إنا أحللنا لك أزواجك ذكر الله تعالى أنواع الأنكحة التي أحلها له، فقال: أزواجك اللاتي آتيت أجورهن أي: مهورهن، وهن اللواتي تزوجتهن بصداق وما ملكت يمينك يعني الجواري مما أفاء الله عليك أي: رده عليك من الكفار، كصفية وجويرية، فانه أعتقهما وتزوجهما وبنات عمك وبنات عماتك يعني نساء قريش وبنات خالك وبنات خالاتك يعني نساء بني زهرة اللاتي هاجرن معك إلى المدينة. قال القاضي أبو يعلى: وظاهر هذا يدل على أن من لم تهاجر معه من النساء لم يحل له نكاحها.

(١١٥٢) وقالت أم هانئ: خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه بعذر، ثم أنزل الله تعالى: إنا أحللنا لك أزواجك إلى قوله تعالى: اللاتي هاجرن معك، قالت: فلم أكن لأحل له، لأني لم أهاجر معه، كنت من الطلقاء وهذا يدل من مذهبها أن تخصيصه بالمهاجرات قد أوجب حظر من لم تهاجر.

وذكر بعض المفسرين: أن شرط الهجرة في التحليل منسوخ، ولم يذكر ناسخه. وحكى الماوردي في ذلك قولين: أحدهما: أن الهجرة شرط في إحلال النساء له على الإطلاق. والثاني: أنه شرط في إحلال قراباته المذكورات في الآية دون الأجنبيات.

قوله تعالى: وامرأة مؤمنة أي: وأحللنا لك امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها لك، إن أراد النبي أن يستنكحها أي: إن آثر نكاحها خالصة لك أي: خاصة. قال الزجاج: وإنما قال: إن وهبت نفسها للنبي، ولم يقل:

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٤٧٣

«لك» ، لأنه لو قال: «لك» ، جاز أن يتوهم أن ذلك يجوز لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاز في بنات العم وبنات العمات. و «خالصة» منصوب على الحال. وللمفسرين في معنى «خالصة» ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراة إذا وهبت له نفسها، لم يلزمه صداقها دون غيره من المؤمنين، قاله أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب. والثاني: أن له أن ينكحها بلا ولي ولا مهر دون غيره، قاله

صدره صحيح، له شواهد، وعجزه ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٢١٤ وابن سعد ٨/ ١٢١ والحاكم ٢/ ١٨٥- ٢٢٤ و ٤/ ٥٣ والطبري ٢٨٥٤٦ والبيهقي ٧/ ٥٤ وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٦١٣ من طرق عن إسرائيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هانئ به. وإسناده ضعيف جدا لأجل أبي صالح واسمه باذام، فقد ضعفه غير واحد، واتهمه بعضهم بالكذب. وصدر الحديث محفوظ، وهو كون النبي صلى الله عليه وسلم خطبها، والوهن فقط في ذكره الآية وكلام أم هانئ عقب الحديث، حيث تفرد بذلك أبو صالح. والحديث ضعفه ابن العربي جدا، وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وقال الترمذي: حسن صحيح!! قلت: وصدره محفوظ، أخرجه مسلم ٢٥٢٧ وعبد الرزاق ٢٠٦٠٣ وأحمد ٢/ ٢٦٩- ٢٧٥ وابن حبان ٦٢٦٨ من طريق معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أم هانئ بنت أبي طالب، فقالت: يا رسول الله، إني قد كبرت، ولي عيال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير نساء ركبن الإبل صالح نساء أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده» . وورد من مرسل الشعبي أخرجه ابن سعد ٨/ ١٢٠، وكرره من مرسل أبي نوفل.
الخلاصة: تبين من ذلك أن صدر الحديث محفوظ، والوهن فقط في عجزه. ولم يفرق الألباني في ذلك حيث أورد الحديث في «ضعيف سنن الترمذي» ٦٣٠، وقال: إسناده ضعيف جدا؟!!." (١)

"ثم دلهم على قدرته على البعث بقوله: أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها بغير عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج أي: من صدوع وشقوق، والزوج: الجنس. والبهيج:
الحسن، قاله أبو عبيدة. وقال ابن قتيبة: البهيج: الذي يبتهج به.
قوله تعالى: تبصرة وذكرى لكل عبد منيب قال الزجاج: أي: فعلنا ذلك لنبصر وندل على القدرة. والمنيب: الذي يرجع إلى الله ويفكر في قدرته.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤٧٤/٣

قوله تعالى: ونزلنا من السماء ماء وهو المطر مباركا أي: كثير الخير، فيه حياة كل شيء فأنبتنا به جنات وهي البساتين وحب الحصيد أراد: الحب الحصيد، فأضافه إلى نفسه، كقوله:

لهو حق اليقين «١» وقوله: من حبل الوريد «٢» فالحبل هو الوريد، وكما يقال: صلاة الأولى، يراد: الصلاة الأولى، ويقال: مسجد الجامع، يراد: المسجد الجامع، وإنما تضاف هذه الأشياء إلى أنفسها لاختلاف لفظ اسمها، وهذا قول الفراء، وابن قتيبة. وقال غيرهما: أراد حب النبت الحصيد.

والنخل أي: وأنبتنا النخل باسقات و «بسوقها» : طولها قال ابن قتيبة: يقال: بسق الشيء يبسق بسوقا: إذا طال، والنضيد: المنضود بعضه فوق بعض، وذلك قبل أن يتفتح، فاذا انشق جف طلعه وتفرق فليس بنضيد. قوله تعالى: رزقا للعباد أي: أنبتنا هذه الأشياء للرزق وأحيينا به أي:

بالمطر بلدة ميتا كذلك الخروج من القبور.

ثم ذكر الأمم المكذبة بما بعد هذا، وقد سبق بيانه إلى قوله: فحق وعيد أي: وجب عليهم عذابي. أفعيينا بالخلق الأول هذا جواب لقولهم: ذلك رجع بعيد. والمعنى: أعجزنا عن ابتداء الخلق، وهو الخلق الأول، فنعيا بالبعث وهو الخلق الثاني؟! وهذا تقرير لهم، لأنهم اعترفوا أنه الخالق وأنكروا البعث بل هم في لبس أي في شك من خلق جديد وهو البعث.

[سورة ق (٥٠) : الآيات ١٦ الى ٢٢]

ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦) إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨) وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩) ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد (٢٠)

وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٢)

---

(١) الواقعة: ٩٥.

(٢) ق: ١٦.." [١]

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٥٨/٤

"ولقد خلقنا الإنسان يعني ابن آدم ونعلم ما توسوس به نفسه أي ما تحدثه به نفسه. وقال الزجاج: نعلم ما يكنه في نفسه. قوله تعالى: ونحن أقرب إليه أي بالعلم من حبل الوريد الحبل هو الوريد، وإنما أضافه إلى نفسه لما شرحناه آنفا في قوله: «وحب الحصيد» «١» . قال الفراء: والوريد:

عرق بين الحلقوم والعلباوين. وعنه أيضا قال: عرق بين اللبة والعلباوين. وقال الزجاج: الوريد: عرق في باطن العنق، وهما وريدان، والعلباوان: العصبتان الصفراوان في متن العنق، واللبتان: مجرى القرط في العنق. وقال ابن الأنباري: اللبة حيث يتذبذب القرط مما يقرب من شحمة الأذن. وحكى بعض العلماء أن الوريد: عرق متفرق في البدن مخالط لجميع الأعضاء، فلما كانت أبعاض الإنسان يحجب بعضها بعضا، أعلم أن علمه لا يحجبه شيء. والمعنى: ونحن أقرب إليه حين يتلقى المتلقيان، وهما الملكان الموكلان بابن آدم يتلقيان عمله. وقوله: إذ يتلقى المتلقيان أي: يأخذان ذلك ويثبتانه عن اليمين كاتب الحسنات وعن الشمال كاتب السيئات. قال الزجاج: والمعنى: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، فدل أحدهما على الآخر، فحذف المدلول عليه، قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك ... راض والرأي مختلف

وقال آخر:

رماني بأمر كنت منه ووالدي ... بريئا، ومن أجل الطوى رماني «٢»

المعنى: كنت منه بريئا. وقال ابن قتيبة: القعيد بمعنى قاعد، كما يقال: «قدير» بمعنى «قادر» ، ويكون القعيد بمعنى مقاعد، كالأكيل والشريب بمنزلة: المؤاكل والمشارب.

قوله تعالى: ما يلفظ يعني الانسان، أي: ما يتكلم من كلام فيلفظه، أي يرميه من فمه، إلا لديه رقيب أي: حافظ، وهو الملك الموكل به، إما صاحب اليمين، وإما صاحب الشمال عتيد قال الزجاج: العتيد: الثابت اللازم. وقال غيره: العتيد: الحاضر معه أينما كان.

(١٣٣٩) وروى أبو أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب

حديث ضعيف. في إسناده جعفر بن الزبير متروك متهم، والقاسم وإن وثقه ابن معين والترمذي، فقد ضعفه ابن حيان، وقال أحمد: روى عنه علي بن زيد أعاجيب، ولا أراها إلا من قبل القاسم، وقال ابن معين بعد أن وثقه: والثقات يروون عنه الأحاديث. أي الواهية- ولا يرفعونها ثم قال: يجيء من المشايخ الضعفاء ما

يدل حديثهم على ضعفه. وأخرجه الطبراني في «الكبيرة» ٧٩٧١ من طريق عبد القاهر بن شعيب، والبيهقي في «الشعب» ٧٠٤٩ من طريق مروان بن معاوية كلاهما عن جعفر بن الزبير عن القاسم بن محمد عن أبي أمامة.

وأخرجه البيهقي في «الشعب» ٧٠٥٠ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ١٦٥- ١٦٦ من طريقين عن إسماعيل بن عيسى العطار عن المسيب بن شريك عن بشر بن نمير عن القاسم به دون صدره، وإسماعيل ضعيف ومثله القاسم. وورد بلفظ «إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ أو المسيء فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتب واحدة» . أخرجه البيهقي ٧٠٥١ وأبو نعيم ٦/ ١٢٤ والواحدي ٤/ ١٦٥ والطبراني ٧٧٦٥ من طريق إسماعيل بن عياش عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن عروة بن رويم عن القاسم به.

وإسناده ضعيف، وعلته القاسم، وكذا إسماعيل ضعفه غير واحد مطلقا. وضعفه بعضهم في روايته خاصة عن-

---

(١) ق: ٩. [.....]

(٢) البيت لعمرو بن أحمر، أو للأزرق بن طرفة وهو في «الكتاب» ١/ ٣٨٠ و «اللسان» - حول.." (١)

"السيئات على يساره، فكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين عشرا، وإذا عمل سيئة، وأراد صاحب الشمال أن يكتبها، قال صاحب اليمين: أمسك، فيمسك عنه سبع ساعات، فإن استغفر منها لم يكتب عليه شيء، وإن لم يستغفر كتب عليه سيئة واحدة» . وقال ابن عباس: جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل، وحافظين في النهار. واختلفوا هل يكتبان جميع أفعاله وأقواله على قولين «١» : أحدهما: أنهما يكتبان عليه كل شيء حتى أنينه في مرضه، قاله مجاهد.

والثاني: أنهما لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يوزر، قاله عكرمة. فأما مجلسهما فقد نطق القرآن بأنهما عن اليمين وعن الشمال، وكذلك ذكرنا في حديث أبي أمامة.

(١٣٤٠) وقد روى علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن مقعد ملكيك على ثنيتيك، ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تجري فيما لا يعنيك» ، وروي عن الحسن والضحاك قالا:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٥٩/٤

مجلسهما تحت الشعر على الحنك.

قوله تعالى: وجاءت سكرة الموت وهي غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله وتدله على أنه ميت بالحق وفيه وجهان: أحدهما: أن معناه: جاءت بحقيقة الموت. والثاني: بالحق من أمر الآخرة، فأبانت للانسان ما لم يكن بينا له من أمر الآخرة. ذكر الوجهين الفراء، وابن جرير.

وقرأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «وجاءت سكرة الحق بالموت» ، قال ابن جرير: ولهذه القراءة وجهان. أحدهما: أن يكون الحق هو الله تعالى، فيكون المعنى: وجاءت سكرة الله بالموت. والثاني:

أن تكون السكرة هي الموت، أضيفت إلى نفسها، كقوله: إن هذا لهو حق اليقين «٢» ، فيكون المعنى: وجاءت السكرة الحق بالموت، بتقديم «الحق» . وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران: «وجاءت سكرات»

غير الشاميين. قال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٢٠٨: وفيه جعفر بن الزبير، وهو كذاب، ولكن ورد من وجه آخر رواه الطبراني بأسانيد رجال أحدها وثقوا! قلت: فيه القاسم كما تقدم، ولا يحتج بما ينفرد به، وتعيين ست ساعات أو سبع ساعات غريب جدا. وله شاهد من حديث أم عصمة فيه «ثلاث ساعات» وفي الإسناد سعيد بن سنان وهو متروك، أخرجه الطبراني في «الأوسط» ١٧، فهذا شاهد لا يفرح به، وهو يعارض الأول في تعيين الزمن. الخلاصة: لفظ المصنف ضعيف جدا، واللفظ المختصر عن إسماعيل بن عياش الذي أوردته ضعيف فقط، وشاهده ليس بشيء، وقد أورده الألباني في «الصحيحة» ١٢٠٩ وحسنه وليس كما قال بل الإسناد ضعيف والمتن غريب، ولا يتدين بحديث ينفرد به القاسم، وفي الطريق إليه جعفر وهو متروك أو ابن عياش، وهو غير حجة.

ضعيف جدا. أخرجه الثعلبي من رواية جميل بن الحسن عن أرطأة بن الأشعث العدوي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مقعد مليكك ... » فذكره. كذا قاله الحافظ في تخريج الكشاف ٤/ ٣٨٤ وسكت عليه. وإسناده ضعيف جدا فيه جميل بن الحسن جرحه عبدان، ووثقه ابن حبان، وفيه أرطأة بن أشعث قال عنه في «الميزان» هالك. وهاه ابن حبان. ثم ذكر الذهبي له خبرا غير هذا وقال: هو المتهم به، ثم هو منقطع بين علي ومحمد الباقر. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٦٣١ بتخريجنا، ولله الحمد والمنة.

---

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٦٣: وقد اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء من الكلام؟

أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب؟ وظاهر الآية الأول، لعموم قوله: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد.
(٢) الواقعة: ٩٥.." (١)

"أخف عليهم من الهمزة. ولم يأت مفيعل في غير التصغير، إلا في ثلاثة أحرف «مسيطر» و «مبيطر» و «مهيمن» وقد ذكرنا في سورة الطور «١» عن أبي عبيدة، أنها خمسة أحرف. والثالث: المصدق فيما أخبر، قاله ابن زيد. والرابع: أنه الرقيب على الشيء، والحافظ له، قاله الخليل. قال الخطابي: وقال بعض أهل اللغة. الهيمنة: القيام على الشيء، والرعاية له، وأنشد:

ألا إن خير الناس بعد نبيه ... مهيمنه التاليه في العرف والنكر

يريد القائم على الناس بعد بالرعاية لهم. وقد زدنا هذا شرحا في المائدة «٢» ، وبينا معنى «العزيز» في البقرة «٣» .

فأما «الجبار» ، ففيه أربعة أقوال: أحدها: أنه العظيم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما يريد، قاله القرظي والسدي. وقال قتادة: جبر خلقه على ما شاء. وحكى الخطابي: أنه الذي جبر الخلق على ما أراد من أمره ونهيه، يقال: جبره السلطان وأجبره. والثالث:

أنه الذي جبر مفاقر الخلق، وكفاهم أسباب المعاش والرزق. والرابع: أنه العالي فوق خلقه، من قولهم: تجبر النبات: إذا طال وعلا، ذكر القولين الخطابي.

فأما «المتكبر» ففيه خمسة أقوال: أحدها: أنه الذي تكبر عن كل سوء، قاله قتادة. والثاني: أنه الذي تكبر عن ظلم عباده، قاله الزجاج. والثالث: أنه ذو الكبرياء، وهو الملك، قاله ابن الأنباري.

والرابع: أنه المتعالي عن صفات الخلق. والخامس: أنه الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة، فيقصمهم، ذكرهما الخطابي، قال: والتاء في «المتكبر» تاء التفرد، والتخصص، لا تاء التعاطي والتكلف، والكبر لا يليق بأحد من المخلوقين، وإنما سمة العبد الخضوع والتذلل. وقيل: إن المتكبر من الكبرياء الذي هو عظمة الله، لا من الكبر الذي هو مذموم في الخلق.

وأما «الخالق» فقال الخطابي: هو المبتدئ للخلق المخترع له على غير مثال سبق، فأما في نعوت الآدميين، فمعنى الخلق التقدير: كقول زهير:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض ... القوم يخلق ثم لا يفري

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٦٠/٤

يقول: إذا قدرت شيئا قطعته، وغيرك يقدر ما لا يقطعه، أي: يتمنى ما لا يبلغه.
والبارئ: الخالق. يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم. و «المصور» : هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها. ومعنى: التصوير: التخطيط والتشكيل. وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن السميفع «البارئ المصور» بفتح الواو والراء جميعا، يعنون: آدم عليه السلام. وما بعد هذا قد تقدم بيانه «٤» إلى آخر السورة.

---

(١) الطور: ٣٧.

(٢) المائدة: ٤٨.

(٣) البقرة: ١٢٩.

(٤) الأعراف: ١٨٠ والإسراء: ١١٠.." (١)

"ترقيب من الصديقية وصلت إلى النبوة، وإن نزلت من النبوة وصلت إلى الصديقية، ولا متوسط بينهما، وقال في آية أخرى: والذي جاء بالصدق وصدق به [الزمر: ٣٣] فلم يجعل بينهما واسطة، وكما دلت هذه الدلائل على نفي الواسطة فقد وفق الله هذه الأمة الموصوفة بأنها خير أمة حتى جعلوا الإمام بعد الرسول عليه الصلاة والسلام أبا بكر على سبيل الإجماع، ولما توفي رضوان الله عليه دفنوه إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ذاك إلا أن الله تعالى رفع الواسطة بين النبيين والصديقين في هذه الآية، فلا جرم ارتفعت الواسطة بينهما في الوجوه التي عددناها.
الصفة الثانية: الشهادة: والكلام في الشهداء قد مر في مواضع من هذا الكتاب، ولا بأس بأن نعيد البعض فنقول: لا يجوز أن تكون الشهادة مفسرة بكون الإنسان مقتول الكافر، والذي يدل عليه وجوه: الأول: أن هذه الآية دالة على أن مرتبة الشهادة مرتبة عظيمة في الدين، وكون الإنسان مقتول الكافر ليس فيه زيادة شرف، لأن هذا القتل قد يحصل في الفساق ومن لا منزلة له عند الله. الثاني: أن المؤمنين قد يقولون: اللهم ارزقنا الشهادة، فلو كانت الشهادة عبارة عن قتل الكافر إياه لكانوا قد طلبوا من الله ذلك القتل وإنه غير جائز، لأن طلب صدور ذلك القتل من الكافر كفر، فكيف يجوز أن يطلب من الله ما هو كفر، الثالث:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢٦٥/٤

روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: المبطون شهيد والغريق شهيد،
فعلمنا أن الشهادة ليست عبارة عن القتل، بل نقول: الشهيد فعيل بمعنى الفاعل، وهو الذي يشهد بصحة دين الله تعالى تارة بالحجة والبيان، وأخرى بالسيف والسنان، فالشهداء هم القائمون بالقسط، وهم الذين ذكرهم الله في قوله: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط [آل عمران: ١٨] ويقال للمقتول في سبيل الله شهيد من حيث إنه بذل نفسه في نصرة دين الله، وشهادته له بأنه هو الحق وما سواه هو الباطل، وإذا كان من شهداء الله بهذا المعنى كان من شهداء الله في نصرة دين الله، الآخرة، كما قال: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس [البقرة: ١٤٣] .
الصفة الثالثة: الصالحون: والصالح هو الذي يكون صالحا في اعتقاده وفي عمله، فإن الجهل فساد في الاعتقاد، والمعصية فساد في العمل، وإذا عرفت تفسير الصديق والشهيد والصالح ظهر لك ما بين هذه الصفات من التفاوت، وذلك لأن كل من كان اعتقاده صوابا وكان عمله طاعة وغير معصية فهو صالح، ثم إن الصالح قد يكون بحيث يشهد لدين الله بأنه هو الحق وأن ما سواه هو الباطل، وهذه الشهادة تارة تكون بالحجة والدليل وأخرى بالسيف، وقد لا يكون الصالح موصوفا بكونه قائما بهذه الشهادة، فثبت أن كل من كان شهيدا كان صالحا، وليس كل من كان صالحا شهيدا، فالشهيد أشرف أنواع الصالح، ثم إن الشهيد قد يكون صديقا وقد لا يكون: ومعنى الصديق الذي كان أسبق إيمانا من غيره، وكان إيمانه وقدوة لغيره، فثبت أن كل من كان صديقا كان شهيدا، وليس كل من كان شهيدا كان صديقا، فثبت أن أفضل الخلق هم الأنبياء عليهم السلام، وبعدهم الصديقون، وبعدهم من ليس له درجة إلا محض درجة الشهادة، وبعدهم من ليس له إلا محض درجة الصلاح.
فالحاصل أن أكابر الملائكة يأخذون الدين الحق عن الله، والأنبياء يأخذون عن الملائكة، كما قال: ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده [النحل: ٢] والصديقون يأخذونه عن الأنبياء. والشهداء يأخذونه عن الصديقين، لأنا بينا أن الصديق هو الذي يأخذ في المرة الأولى عن/ الأنبياء وصار قدوة لمن بعده، والصالحون يأخذونه عن الشهداء، فهذا هو تقرير هذه المراتب وإذا عرفت هذا ظهر لك أنه لا أحد يدخل." (١)

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٠/١٣٥

"ينقلون عن أسلافهم أنهم شاهدوه مقتولا، لأنا نقول: إن تواتر النصارى ينتهي إلى أقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب.

والطريق الثاني: أنه تعالى ألقى شبهه على إنسان آخر ثم فيه وجوه: الأول: أن اليهود لما علموا أنه حاضر في البيت الفلاني مع أصحابه أمر يهوذا رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له طيطايوس أن يدخل على عيسى عليه السلام ويخرجه ليقتله، فلما دخل عليه أخرج الله عيسى عليه السلام من سقف البيت وألقى على ذلك الرجل شبه عيسى فظنوه هو فصلبوه وقتلوه. الثاني: وكلوا بعيسى رجلا يحرسه وصعد عيسى عليه السلام في الجبل ورفع إلى السماء، وألقى الله شبهه على ذلك **الرقيب** فقتلوه وهو يقول لست بعيسى. الثالث: أن اليهود لما هموا بأخذه وكان مع عيسى عشرة من أصحابه فقال لهم: من يشتري الجنة بأن يلقى عليه شبهي؟ فقال واحد منهم أنا، فألقى الله شبه عيسى عليه فأخرج وقتل، ورفع الله عيسى عليه السلام. الرابع: كان رجل يدعي أنه من أصحاب عيسى عليه السلام، وكان منافقا فذهب إلى اليهود ودلهم عليه، فلما دخل مع اليهود لأخذه ألقى الله تعالى شبهه عليه فقتل وصلب. وهذه الوجوه متعارضة متدافعة والله أعلم بحقائق الأمور.

ثم قال تعالى: وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: اعلم أن في قوله وإن الذين اختلفوا فيه قولين: الأول: أنهم هم النصارى وذلك لأنهم بأسرهم متفقون على أن اليهود قتلوه، إلا أن كبار فرق النصارى ثلاثة: النسطورية، والملكانية، واليعقوبية.

أما النسطورية فقد زعموا أن المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لا هوته، وأكثر الحكماء يرون ما يقرب من هذا القول، قالوا: لأنه ثبت أن الإنسان ليس عبارة عن هذا الهيكل بل هو إما جسم شريف مناسب في هذا البدن، وإما جوهر روحاني مجرد في ذاته وهو مدبر في هذا البدن، فالقتل إنما ورد على هذا الهيكل، وأما النفس التي هي في الحقيقة عيسى عليه السلام فالقتل ما ورد عليه، لا يقال: فكل إنسان كذلك فما الوجه لهذا التخصيص؟ لأنا نقول: إن نفسه كانت قدسية علوية سماوية شديدة الإشراق بالأنوار الإلهية عظيمة القرب من أرواح الملائكة، والنفس متى كانت كذلك لم يعظم تألمها بسبب القتل وتخريب البدن، ثم إنها بعد الانفصال عن ظلمة البدن تتخلص إلى فسحة السموات وأنوار عالم الجلال فيعظم بهجتها وسعادتها هناك، ومعلوم أن هذه الأحوال غير حاصلة لكل الناس بل هي غير حاصلة من مبدأ خلقة آدم عليه السلام إلى قيام القيامة إلا لأشخاص قليلين، فهذا هو الفائدة في تخصيص عيسى عليه السلام بهذه الحالة.

وأما الملكانية فقالوا: القتل والصلب وصلا إلى اللاهوت بالإحساس والشعور لا بالمباشرة.

وقالت اليعقوبية: القتل والصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين، فهذا هو شرح مذاهب النصارى في هذا الباب، وهو المراد من قوله وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه.

القول الثاني: إن المراد بالذين اختلفوا هم اليهود، وفيه وجهان: الأول: أنهم لما قتلوا الشخص المشبه به كان الشبه قد ألقي على وجهه ولم يلق عليه شبه جسد عيسى عليه السلام، فلما قتلوه ونظروا إلى بدنه قالوا:

الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره. الثاني: قال السدي: إن اليهود حبسوا عيسى مع عشرة من الحواريين في." (١)

"فإن قيل: كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما في الإنجيل بعد نزول القرآن؟

قلنا: الجواب عنه من وجوه: الأول: أن المراد ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو قول الأصم، والثاني: وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، مما لم يصر منسوخا بالقرآن، والثالث: المراد من قوله وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه زجرهم عن تحريف ما في الإنجيل وتغييره مثل ما فعله اليهود من إخفاء أحكام التوراة، فالمعني بقوله وليحكم أي وليقر أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه على الوجه الذي أنزله الله فيه من غير تحريف ولا تبديل.

ثم قال تعالى: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون واختلف المفسرون، فمنهم من جعل هذه الثلاثة، أعني قوله (الكافرون الظالمون الفاسقون) صفات لموصوف واحد. قال القفال: وليس في إفراد كل واحد من هذه الثلاثة بلفظ ما يوجب القدح في المعنى، بل هو كما يقال: من أطاع الله فهو المؤمن، من أطاع الله فهو البر، من أطاع الله فهو المتقي، لأن كل ذلك صفات مختلفة حاصلة لموصوف واحد. وقال آخرون: الأول: في الجاحد، والثاني والثالث: في المقر التارك. وقال الأصم: الأول والثاني: في اليهود، والثالث: في النصارى.

[سورة المائدة (٥) : آية ٤٨]

وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٦١/١١

تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (٤٨)
ثم قال تعالى: وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب وهذا خطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم، فقوله وأنزلنا إليك الكتاب بالحق أي القرآن، وقوله مصدقا لما بين يديه من الكتاب أي كل كتاب نزل من السماء سوى القرآن.
وقوله ومهيمنا عليه فيه مسائل:
المسألة الأولى: في المهيمن قولان: الأول: قال الخليل وأبو عبيدة: يقال قد هيمن الرجل يهيمن إذا كان رقيبا على الشيء وشاهدا عليه حافظا. قال حسان:
إن الكتاب مهيمن لنبينا ... والحق يعرفه ذوو الألباب
والثاني: قالوا: الأصل في قولنا: آمن يؤمن فهو مؤمن، أأمن يؤأمن فهو مؤأمن بهمزتين، ثم قلبت الأولى هاء كما في: هرقت وأرقت، وهياك وإياك، وقلبت الثانية ياء فصار مهيمنا فلهذا قال المفسرون ومهيمنا عليه أي أمينا على الكتب التي قبله.
المسألة الثانية: إنما كان القرآن مهيمنا على الكتب لأنه الكتاب الذي لا يصير منسوخا ألبتة، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف على ما قال تعالى: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون [الحجر: ٩] وإذا كان كذلك كانت شهادة القرآن على أن التوراة والإنجيل والزبور حق صدق باقية أبدا، فكانت حقيقة هذه الكتب معلومة أبدا.." (١)

"واعلم أن الله تعالى لما سأل عيسى أنك هل قلت كذا لم يقل عيسى بأني قلت أو ما قلت بل قال ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، وهذا ليس بحق ينتج أنه ما يكون لي أن أقول هذا الكلام ولما بين أنه ليس له أن يقول هذا الكلام شرع في بيان أنه هل وقع هذا القول منه أم لا فلم يقل بأني ما قلت هذا الكلام لأن هذا يجري مجرى دعوى الطهارة والنزاهة، والمقام مقام الخضوع والتواضع، ولم يقل بأني قلته بل فوض ذلك إلى علمه المحيط بالكل.
فقال: إن كنت قلته فقد علمته وهذا مبالغة في الأدب وفي إظهار الذل والمسكنة في حضرة الجلال وتفويض الأمور بالكلية إلى الحق سبحانه.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٧١/١٢

ثم قال تعالى: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: المفسرون ذكروا فيه عبارات تعلم ما أخفي ولا أعلم ما تخفي وقيل: تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك، وقيل: تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك، وقيل: تعلم ما كان مني في الدنيا ولا أعلم ما كان منك في الآخرة، وقيل: تعلم ما أقول وأفعل، ولا أعلم ما تقول وتفعل.

المسألة الثانية: تمسكت المجسمة بهذه الآية وقالوا: النفس هو الشخص وذلك يقتضي كونه تعالى جسما. والجواب من وجهين: الأول: أن النفس عبارة عن الذات، يقال نفس الشيء وذاته بمعنى واحد، والثاني: أن المراد تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ولكنه ذكر هذا الكلام على طريق المطابقة والمشاكلة وهو من فصيح الكلام.

ثم قال تعالى: إنك أنت علام الغيوب وهذا تأكيد للجملتين المتقدمتين أعني قوله إن كنت قلته فقد علمته وقوله تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك

[سورة المائدة (٥) : آية ١١٧]

ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧)

ثم قال تعالى حكاية عن عيسى ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم أن مفسرة والمفسر هو الهاء في به الراجع إلى القول المأمور به والمعنى ما قلت لهم إلا قولا أمرتني به وذلك القول هو أن أقول لهم: اعبدوا الله ربي وربكم. واعلم أنه كان الأصل أن يقال: ما أمرتهم إلا بما أمرتني به إلا أنه وضع القول موضع الأمر، نزولا على موجب الأدب الحسن، لئلا يجعل نفسه وربه آمرين معا، ودل على الأصل بذكر أن المفسرة.

ثم قال تعالى: وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم أي كنت أشهد على ما يفعلون ما دمت مقيما فيهم.

فلما توفيتني والمراد منه، وفاة الرفع إلى السماء، من قوله إني متوفيك ورافعك إلي [آل عمران: ٥٥] .

كنت أنت **الرقيب** عليهم قال الزجاج: الحافظ عليهم المراقب لأحوالهم.." (١)

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٦٦/١٢

"والماضي ضده المستقبل، والنور ضده الظلمة، والحياة ضدها الموت، والقدرة ضدها العجز. وتأمل في سائل الأحوال والصفات لتعرف أن حصول التضاد بينها يقضي عليها بالمقهورية والعجز والنقصان، وحصول هذه الصفات في الممكنات يدل على أن لها مدبرا قادرا قاهرا منزها عن الضد والند، مقدسا عن الشبيه والشكل.

كما قال: وهو القاهر فوق عباده والرابع: أن هذا/ البدن مؤلف من الطبائع الأربع. وهي متنافرة متباغضة متباعدة بالطبع والخاصة فاجتماعها لا بد وأن يكون بقسر قاسر وأخطأ من قال إن ذلك القاسر هو النفس الإنسانية، وهو الذي ذكره ابن سينا في الإشارات لأن تعلق النفس بالبدن إنما يكون بعد حصول المزاج واعتدال الأمشاج، والقاهر لهذه الطبائع على الاجتماع سابق على هذا الاجتماع، والسابق على حصول الاجتماع مغاير للمتأخر عن حصول الاجتماع. فثبت أن القاهر لهذه الطبائع على الاجتماع ليس إلا الله تعالى، كما قال: وهو القاهر فوق عباده وأيضا فالجسد كثيف سفلي ظلماني فاسد عفن، والروح لطيف علوي نوراني مشرق باق طاهر نظيف، فبينهما أشد المنافرة والمباعدة. ثم إنه سبحانه جمع بينهما على سبيل القهر والقدرة، وجعل كل واحد منهما مستكملا بصاحبه منتفعا بالآخر. فالروح تصون البدن عن العفونة والفساد والتفرق، والبدن يصير آلة للروح في تحصيل السعادات الأبدية، والمعارف الإلهية، فهذا الاجتماع وهذا الانتفاع ليس إلا بقهر الله تعالى لهذه الطبائع، كما قال وهو القاهر فوق عباده وأيضا فعند دخول الروح في الجسد أعطى الروح قدرة على فعل الضدين، ومكنة من الطرفين إلا أنه يمتنع رجحان الفعل على الترك تارة والترك على الفعل أخرى إلا عند حصول الداعية الجازمة الخالية عن المعارض. فلما لم تحصل تلك الداعية امتنع الفعل والترك فكان إقدام الفاعل على الفعل تارة وعلى الترك أخرى بسبب حصول تلك الداعية في قلبه من الله يجري مجرى القهر فكان قاهرا لعباده من هذه الجهة، وإذا تأملت هذه الأبواب علمت أن الممكنات والمبدعات والعلويات والسفليات والذوات والصفات كلها مقهورة تحت قهر الله مسخرة تحت تسخير الله تعالى، كما قال: وهو القاهر فوق عباده.

وأما قوله تعالى: ويرسل عليكم حفظة [البحث الأول] فالمراد أن من جملة قهره لعباده إرسال الحفظة عليهم وهؤلاء الحفظة هم المشار إليهم بقوله تعالى: له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله [الرعد: ١١] وقوله: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [ق: ١٨] وقوله: وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين [الانفطار: ١٠، ١١] واتفقوا على أن المقصود من حضور هؤلاء الحفظة ضبط الأعمال. ثم اختلفوا فمنهم من يقول: إنهم يكتبون الطاعات والمعاصي والمباحات بأسرها بدليل قوله تعالى: مال هذا الكتاب

لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها [الكهف: ٤٩]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن مع كل إنسان ملكين: أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، فإذا تكلم الإنسان بحسنة كتبها من على اليمين، وإذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظره لعله يتوب منها، فإن لم يتب كتب عليه.

والقول الأول: أقوى لأن قوله تعالى:

ويرسل عليكم حفظة يفيد حفظة الكل من غير تخصيص.

والبحث الثاني: أن ظاهر هذه الآيات يدل على أن اطلاع هؤلاء الحفظة على الأقوال والأفعال، أما على صفات القلوب وهي العلم والجهل فليس في هذه الآيات ما يدل على اطلاعهم عليها. أما في الأقوال، فلقوله تعالى: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وأما في الأعمال فلقوله تعالى: وإن عليكم لحافظين كراما." (١)

"اعلم أن قوله: كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد، وحذف الفعل كونه معلوما أي كيف يكون عهدهم وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الإيمان والمواثيق لم ينظروا إلى حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم هذا هو المعنى، ولا بد من تفسير الألفاظ المذكورة في الآية يقال: ظهرت على فلان إذا علوته، وظهرت على السطح إذا صرت فوقه. قال الليث: الظهور الظفر بالشيء. وأظهر الله المسلمين على المشركين أي أعلاهم عليهم ومنه قوله تعالى: فأصبحوا ظاهرين [الصف: ١٤] وقوله: ليظهره على الدين كله [التوبة: ٣٣] أي ليعليه، وتحقيق القول فيه أن من غلب غيره حصلت له صفة كمال، ومن كان كذلك أظهر نفسه ومنه صار مغلوبا صار كالناقص، والناقص لا يظهر نفسه ويخفي نقصانه فصار الظهور كناية للغلبة لكونه من لوازمها فقوله: إن يظهروا عليكم يريد إن يقدروا عليكم وقوله: لا يرقبوا فيكم قال الليث: رقب ال‌إنسان يرقبه رقبة ورقوبا وهو أن ينتظره ورقيب القوم حارسهم وقوله: لم ترقب قولي [طه:

٩٤] أي لم تحفظه، أما الأول ففيه أقوال: الأول: أنه العهد قال الشاعر:

وجدناهم كاذبا إلهم ... وذو الإل والعهد لا يكذب

يعني العهد الثاني. قال الفراء: الإل القرابة. قال حسان:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٣/١٤

لعمرك إن إلك من قريش ... كإل السقب من رأل النعام

يعني القرابة والثالث الإل الحلف. قال أوس بن حجر:

لولا بنو مالك والإل مرقبة ... ومالك فيهم الآلاء والشرف

يعني الحلف. والرابع: الإل هو الله عز وجل، وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه لما سمع هذيان مسيلمة قال: إن هذا الكلام لم يخرج من إل، وطعن الزجاج في هذا القول وقال: أسماء الله معلومة من الأخبار والقرآن ولم يسمع أحد يقول: يا إل. الخامس: قال الزجاج: حقيقة الإل عندي على ما توجبه اللغة تحديد الشيء، فمن ذلك الإلة الحربة. وأذن مؤللة، فالإل يخرج في جميع/ ما فسر من العهد والقرابة. السادس:

قال الأزهري: إيل من أسماء الله عز وجل بالعبرانية، فجائز أن يكون عرب. فقيل إل. السابع: قال بعضهم: الإل مأخوذ من قولهم إل يئول ألا، إذا صفا ولمع ومنه الآل للمعانه، وأذن مؤللة شبيهة بالحرية في تحديدها وله أليل أي أنين يرفه به صوته، ورفعت المرأة أليلها إذا ولولت، فالعهد سمي إلا، لظهوره وصفائه من شوائب الغدر، أو لأن القوم إذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه.

أما قوله: ولا ذمة فالذمة العهد، وجمعها ذمم وذمام، كل أمر لزمك، وكان بحيث لو ضيعته لزمتك مذمة، وقال أبو عبد الله الذمة ما يتذمم منه، يعني ما يجتنب فيه الذم يقال: تذمم فلان، أي ألقى على نفسه الذم، ونظيره تحوب، وتأثم وتحرج.

أما قوله: يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم أي: يقولون بألسنتهم كلاما حلوا طيبا، والذي في قلوبهم بخلاف ذلك، فإنهم لا يضمرون إلا الشر والإيذاء إن قدروا عليه وأكثرهم فاسقون وفيه سؤالان:." (١)

"المسألة الثانية: من الناس من قال: الفقه اسم لعلم مخصوص، وهو معرفة غرض المتكلم من كلامه واحتجوا بهذه الآية وهي قوله: ما نفقه كثيرا مما تقول فأضاف الفقه إلى القول ثم صار اسما لنوع معين من علوم الدين، ومنهم من قال: إنه اسم لمطلق الفهم. يقال: أوتي فلان فقها في الدين، أي فهما.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»

أي يفهمه تأويله.

والنوع الثاني: من الأشياء التي ذكروها قولهم: وإنا لنراك فينا ضعيفا وفيه وجهان: الأول: أنه الضعيف الذي

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٣٢/١٥

يتعذر عليه منع القوم عن نفسه، والثاني: أن الضعيف هو الأعمى بلغة حمير. واعلم أن هذا القول ضعيف لوجوه: الأول: أنه ترك للظاهر من غير دليل، والثاني: أن قوله: فينا يبطل هذا الوجه ألا ترى أنه لو قال: إنا لنراك أعمى فينا كان فاسدا، لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم، الثالث: أنهم قالوا بعد ذلك ولولا رهطك لرجمناك فنفوا عنه القوة التي أثبتوها في رهطه، ولما كان المراد بالقوة التي أثبتوها للرهط هي النصرة، وجب أن تكون القوة التي نفوها عنه هي النصرة، والذين حملوا اللفظ على ضعف البصر لعلهم إنما حملوه عليه، لأنه سبب للضعف.

واعلم أن أصحابنا يجوزون العمى على الأنبياء، إلا أن هذا اللفظ لا يحسن الاستدلال به في إثبات هذا المعنى لما بيناه. وأما المعتزلة فقد اختلفوا فيه فمنهم من قال: إنه لا يجوز لكونه متعبدا فإنه لا يمكنه الاحتراز عن النجاسات، ولأنه ينحل بجواز كونه حاكما وشاهدا، فلأن يمنع من النبوة كان أولى، والكلام فيه لا يليق بهذه الآية، لأنا بينا أن الآية لا دلالة فيها على هذا المعنى.

والنوع الثالث: من الأشياء التي ذكروها قولهم: ولولا رهطك لرجمناك وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: قال صاحب «الكشاف» : الرهط من الثلاثة إلى العشرة، وقيل إلى السبعة، وقد كان رهطه على ملتهم. قالوا لولا حرمة رهطك عندنا بسبب كونهم على ملتنا لرجمناك، والمقصود من هذا الكلام أنهم بينوا أنه لا حرمة له عندهم، ولا وقع له في صدورهم، وأنهم إنما لم يقتلوه/ لأجل احترامهم رهطه.

المسألة الثانية: الرجم في اللغة عبارة عن الرمي، وذلك قد يكون بالحجارة عند قصد القتل، ولما كان هذا الرجم سببا للقتل لا جرم سموا القتل رجما، وقد يكون بالقول الذي هو القذف، كقوله: رجما بالغيب [الكهف: ٢٢] وقوله: ويقذفون بالغيب من مكان بعيد [سبأ: ٥٣] وقد يكون بالشتم واللعن، ومنه قوله: الشيطان الرجيم [النحل: ٩٨] وقد يكون بالطرد كقوله: رجوما للشياطين [الملك: ٥] .

إذا عرفت هذا ففي الآية وجهان: الأول: لرجمناك لقتلناك. الثاني: لشتمناك وطردناك.

النوع الرابع: من الأشياء التي ذكروها قولهم: وما أنت علينا بعزيز ومعناه أنك لما لم تكن علينا عزيزا سهل علينا الإقدام على قتلك وإيذائك.

واعلم أن كل هذه الوجوه التي ذكروها ليست دافعا لما قرره شعيب عليه السلام من الدلائل والبينات، بل هي جارية مجرى مقابلة الدليل والحجة بالشتم والسفاهة.

[سورة هود (١١) : الآيات ٩٢ الى ٩٣]

قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط (٩٢) ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣)." (١)

"اعلم أن الكفار لما خوفوا شعيبا عليه السلام بالقتل والإيذاء، حكى الله تعالى عنه ما ذكره في هذا المقام، وهو نوعان من الكلام:

النوع الأول: قوله: يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط والمعنى: أن القوم زعموا أنهم تركوا إيذاءه رعاية لجانب قومه. فقال: أنتم تزعمون أنكم تتركون قتلي إكراما لرهطي، والله تعالى أولى أن يتبع أمره، فكأنه يقول: حفظتكم/ إياي رعاية لأمر الله تعالى أولى من حفظكم إياي رعاية لحق رهطي.

وأما قوله: واتخذتموه وراءكم ظهريا فالمعنى: أنكم نسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به. قال صاحب «الكشاف» : والظهري منسوب إلى الظهر، والكسر من تغيرات النسب ونظيره قولهم في النسبة إلى الأمس إمسي بكسر الهمزة، وقوله: إن ربي بما تعملون محيط يعني أنه عالم بأحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها.

والنوع الثاني: قوله: ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل والمكانة الحالة يتمكن بها صاحبها من عمله، والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة وكل ما في وسعكم وطاقتكم من إيصال الشرور إلي فإني أيضا عامل بقدر ما آتاني الله تعالى من القدرة.

ثم قال: سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: لقائل أن يقول لم لم يقل «فسوف تعلمون» والجواب: إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، وأما بحذف الفاء فإنه يجعله جوابا عن سؤال مقدر والتقدير: أنه لما قال: ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فكأنهم قالوا فماذا يكون بعد ذلك؟ فقال: سوف تعلمون فظهر أن حذف حرف الفاء هاهنا أكمل في باب الفظاعة والتهويل. ثم قال وارتقبوا إني معكم رقيب والمعنى: فانتظروا العاقبة إني معكم رقيب أي منتظر، والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم، أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم، أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع.

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٩١/١٨

[سورة هود (١١) : الآيات ٩٤ الى ٩٥]

ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٩٤) كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود (٩٥)

روى الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم يعذب الله تعالى أمتين بعذاب واحد إلا قوم شعيب وقوم صالح فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم، وقوم شعيب أخذتهم من فوقهم/ وقوله: ولما جاء أمرنا يحتمل أن يكون المراد منه ولما جاء وقت أمرنا ملكا من الملائكة بتلك الصيحة، ويحتمل أن يكون المراد من الأمر العقاب، وعلى التقديرين فأخبر الله أنه نجى شعيبا ومن معه من المؤمنين برحمة منه وفيه." (١)

"المسألة الأولى: في تفسير الحسنات قولان: الأول: قال ابن عباس: المعنى أن الصلوات الخمس كفارات لسائر الذنوب بشرط الاجتناب عن الكبائر. والثاني: روي عن مجاهد أن الحسنات هي قول العبد سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

المسألة الثانية: احتج من قال إن المعصية لا تضر مع الإيمان بهذه الآية وذلك لأن الإيمان أشرف الحسنات وأجلها وأفضلها. ودلت الآية على أن الحسنات يذهبن السيئات، فالإيمان الذي هو أعلى الحسنات درجة يذهب الكفر الذي هو أعلى درجة في العصيان فلأن يقوى على المعصية التي هي أقل السيئات درجة كان أولى، فإن لم يفد إزالة العقاب بالكلية فلا أقل من أن يفيد إزالة العذاب الدائم المؤبد.

ثم قال تعالى: ذلك ذكرى للذاكرين فقوله: ذلك إشارة إلى قوله: فاستقم كما أمرت إلى آخرها ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين وإرشاد للمسترشدين.

ثم قال: واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين قيل على الصلاة وهو كقوله: وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها [طه: ١٣٢] .

[سورة هود (١١) : آية ١١٦]

فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين (١١٦)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٩٢/١٨

اعلم أنه تعالى لما بين أن الأمم المتقدمين حل بهم عذاب الاستئصال بين أن السبب فيه أمران:
السبب الأول: أنه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد في الأرض. فقال تعالى: فلولا كان من القرون والمعنى فهلا كان، وحكي عن الخليل أنه قال كل ما كان في القرآن من كلمة لولا فمعناه هلا إلا التي في الصافات. قال صاحب «الكشاف» : وما صحت هذه الرواية عنه بدليل قوله تعالى في غير الصافات لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء [القلم: ٤٩] ولولا رجال مؤمنون [الفتح: ٢٥] ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا [الإسراء: ٧٤] ، وقوله: أولوا بقية فـالمعنى أولو فضل وخير، وسمي الفضل والجود بقية لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله، فصار هذا اللفظ مثلا في الجودة يقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا، ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أي فهلا كان منهم ذو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وقرئ أولوا بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه إذا راقبه وانتظره، والبقية المرة من مصدره، والمعنى فلولا كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله تعالى. ثم قال: إلا قليلا ولا يمكن جعله استثناء متصلا لأنه على هذا التقدير يكون ذلك ترغيبا لأولي البقية في النهي عن الفساد إلا القليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المرغبين في قراءة القرآن. وإذا ثبت هذا قلنا: إنه استثناء منقطع، والتقدير: لكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي.
والسبب الثاني: لنزول عذاب الاستئصال قوله: واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه والترفه النعمة وصبي مترف إذا كان منعم البدن، والمترف الذي أبطرته النعمة وسعة المعيشة وأراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن." (١)

"وثالثها: خوفه عليهم من أن يقصدهم ملك مصر بشر، ورابعها: خوفه عليهم من أن لا يرجعوا إليه، وكل هذه الوجوه متقاربة.
وأما قوله: وإنه لذو علم لما علمناه فقال الواحدي: يحتمل أن يكون (ما) مصدرية والهاء عائدة إلى يعقوب، والتقدير: وإنه لذو علم من أجل تعليمنا إياه، ويمكن أن تكون (ما) بمعنى الذي والهاء/ عائدة إليها، والتأويل وإنه لذو علم للشيء الذي علمناه، يعني أنا لما علمناه شيئا حصل له العلم بذلك الشيء وفي الآية قولان آخران: الأول: أن المراد بالعلم الحفظ، أي إنه لذو حفظ لما علمناه ومراقبة له والثاني: لذو علم لفوائد ما علمناه وحسن آثاره وهو إشارة إلى كونه عاملا بما علمه، ثم قال: ولكن أكثر الناس لا يعلمون

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٨/٤٠٩

وفيه وجهان: الأول: ولكن أكثر الناس لا يعلمون مثل ما علم يعقوب. والثاني: لا يعلمون أن يعقوب بهذه الصفة والعلم، والمراد بأكثر الناس المشركون، فإنهم لا يعلمون بأن الله كيف أرشد أولياءه إلى العلوم التي تنفعهم في الدنيا والآخرة.

[سورة يوسف (١٢) : الآيات ٦٩ الى ٧٢]

ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون (٦٩) فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون (٧٠) قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون (٧١) قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم (٧٢)

اعلم أنهم لما أتوه بأخيه بنيامين أكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال يوسف بقي أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدة ثم أمر أن ينزل منهم كل اثنين بيتا وقال: هذا لا ثاني له فاتركوه معي فآواه إليه، ولما رأى يوسف تأسفه على أخ له هلك قال له: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال: من يجد أخا مثلك ولكنك لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام إليه وعانقه وقال: إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون.

إذا عرفت هذا فنقول: قوله: آوى إليه أخاه أي أنزله في الموضع الذي كان يأوي إليه. وقوله: إني أنا أخوك فيه قولان: قال وهب: لم يرد أنه أخوه من النسب، ولكن أراد به إني/ أقوم لك مقام أخيك في الإيناس لئلا تستوحش بالتفرد. والصحيح ما عليه سائر المفسرين من أنه أراد تعريف النسب، لأن ذلك أقوى في إزالة الوحشة وحصول الأنس، ولأن الأصل في الكلام الحقيقة، فلا وجه لصرفه عنها إلى المجاز من غير ضرورة. وأما قوله: فلا تبتئس فقال أهل اللغة: تبتئس تفتعل من البؤس وهو الضرر والشدة والابتئاس اجتلاب الحزن والبؤس. وقوله: بما كانوا يعملون فيه وجوه: الأول: المراد بما كانوا يعملون من إقامتهم على حسدنا والحرص على انصراف وجه أبينا عنا، الثاني: أن يوسف عليه السلام ما بقي في قلبه شيء من العداوة وصار صافيا مع إخوته، فأراد أن يجعل قلب أخيه صافيا معهم أيضا، فقال: فلا تبتئس بما كانوا يعملون أي لا تلتفت إلى ما صنعوه فيما تقدم، ولا تلتفت إلى أعمالهم المنكرة التي أقدموا عليها. الثالث: أنهم إنما فعلوا." (١)

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٨٥/١٨

"مات عنها أو ماتت عنه، وما روي عن سودة أنه لما هم الرسول صلى الله عليه وسلم بطلاقها قالت: دعني يا رسول الله أحشر في زمرة نسائك، كالدليل على ما ذكرناه.

القيد الرابع: قوله: والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قال ابن عباس: لهم خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ لها ألف باب مصاريعها من ذهب يدخلون عليهم الملائكة من كل باب يقولون لهم: سلام عليكم بما صبرتم على أمر الله.

وقال أبو بكر الأصم: من كل باب من أبواب البر كباب الصلاة وباب الزكاة وباب الصبر ويقولون: ونعم ما أعقبكم الله بعد الدار الأولى.

واعلم أن دخول الملائكة إن حملناه على الوجه الأول فهو مرتبة عظيمة، وذلك لأن الله تعالى أخبر عن هؤلاء المطيعين أنهم يدخلون جنة الخلد، ويجتمعون بآبائهم وأزواجهم وذرياتهم على أحسن وجه، ثم إن الملائكة مع جلالة مراتبهم يدخلون عليهم لأجل التحية والإكرام عند الدخول عليهم يكرمونهم بالتحية والسلام ويبشرونهم بقوله: فنعم عقبى الدار ولا شك أن هذا غير ما يذكره المتكلمون من أن الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالإجلال والتعظيم،

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يأتي قبور الشهداء رأس كل حول فيقول: «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»

والخلفاء الأربعة هكذا كانوا يفعلون، وأما إن حملناه على الوجه الثاني فتفسير الآية أن الملائكة طوائف، منهم روحانيون ومنهم كروبيون. فالعبد إذا راض نفسه بأنواع الرياضيات كالصبر والشكر والمراقبة والمحاسبة، ولكل مرتبة من هذه المراتب جوهر قدسي وروح علوي يختص بتلك الصفة مزيد اختصاص، فعند الموت إذا أشرقت تلك الجواهر القدسية تجلت فيها من كل روح من الأرواح السماوية ما يناسبها من الصفة المخصوصة بها فيفيض عليها من ملائكة الصبر كمالات مخصوصة نفسانية لا تظهر إلا في مقام الصبر، ومن ملائكة الشكر كمالات روحانية لا تتجلى إلا في مقام الشكر وهكذا القول في جميع المراتب.

المسألة الثانية: تمسك بعضهم بهذه الآية على أن الملك أفضل من البشر فقال: إنه سبحانه ختم مراتب سعادات البشر بدخول الملائكة عليهم على سبيل التحية والإكرام والتعظيم فكانوا به أجل/ مرتبة من البشر ولو كانوا أقل مرتبة من البشر لما كان دخولهم عليهم لأجل السلام والتحية موجبا علو درجاتهم وشرف

مراتبهم، ألا ترى أن من عاد من سفره إلى بيته فإذا قيل في معرض كمال مرتبته إنه يزوره الأمير والوزير والقاضي والمفتي، فهذا يدل على أن درجة ذلك المزور أقل وأدنى من درجات الزائرين فكذلك هاهنا.

المسألة الثالثة: قال الزجاج: هاهنا محذوف تقديره الملائكة يدخلون عليهم من كل باب ويقولون سلام عليكم فأضمر القول هاهنا لأن في الكلام دليلا عليه، وأما قوله: بما صبرتم فنعم عقبى الدار ففيه وجهان: أحدهما: أنه متعلق بالسلام. والمعنى أنه إنما حصلت لكم هذه السلامة بواسطة صبركم على الطاعات، وترك المحرمات. والثاني: أنه متعلق بمحذوف، والتقدير: أن هذه الكرامات التي ترونها، وهذه الخيرات التي تشاهدونها إنما حصلت بواسطة ذلك الصبر.." (١)

"والجواب من وجوه: الأول: المراد به التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا، كقوله: ولا تكونن من المشركين [الأنعام: ١٤] . ولا تدع مع الله إلها آخر [القصص: ٨٨] وكقوله: يا أيها الذين آمنوا. والثاني: / أن المقصود منه بيان أنه لو لم ينتقم لكان عدم الانتقام لأجل غفلته عن ذلك الظلم، ولما كان امتناع هذه الغفلة معلوما لكل أحد لا جرم كان عدم الانتقام محالا. والثالث: أن المراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون، ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير. الرابع: أن يكون هذا الكلام وإن كان خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر، إلا أنه يكون في الحقيقة خطابا مع الأمة، وعن سفيان بن عيينة:

أنه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم، ثم بين تعالى أنه إنما يؤخر عقاب هؤلاء الظالمين ليوم موصوف بصفات.

الصفة الأولى: أنه تشخص فيه الأبصار. يقال: شخص بصر الرجل إذا بقيت عينه مفتوحة لا يطرفها، وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة وسقوط القوة.

والصفة الثانية: قوله: مهطعين وفي تفسير الإهطاع أقوال أربعة:

القول الأول: قال أبو عبيدة هو الإسراع. يقال: أهطع البعير في سيره واستهطع إذا أسرع وعلى هذا الوجه، فالمعنى: أن الغالب من حال من يبقى بصره شاخصا من شدة الخوف أن يبقى واقفا، فبين الله تعالى أن حالهم بخلاف هذا المعتاد، فإنهم مع شخوص أبصارهم يكونون مهطعين، أي مسرعين نحو ذلك البلاء.

القول الثاني: في الإهطاع قال أحمد بن يحيى: المهطع الذي ينظر في ذل وخشوع.

والقول الثالث: المهطع الساكت.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٧/١٩

والقول الرابع: قال الليث: يقال للرجل إذا قر وذل أهطع.

الصفة الثالثة: قوله: مقنعي رؤسهم والإقناع رفع الرأس والنظر في ذل وخشوع، فقوله: مقنعي رؤسهم أي رافعي رؤوسهم والمعنى أن المعتاد فيمن يشاهد البلاء أنه يطرق رأسه عنه لكي لا يراه، فبين تعالى أن حالهم بخلاف هذا المعتاد وأنهم يرفعون رؤوسهم.

الصفة الرابعة: قوله: لا يرتد إليهم طرفهم والمراد من هذه الصفة دوام ذلك الشخوص، فقوله:

تشخص فيه الأبصار لا يفيد كون هذا الشخوص دائما وقوله: لا يرتد إليهم طرفهم يفيد دوام هذا الشخوص، وذلك يدل على دوام تلك الحيرة والدهشة في قلوبهم.

الصفة الخامسة: قوله: وأفئدتهم هواء الهواء الخلاء الذي لم تشغله الأجرام ثم جعل وصفا فقيل:

قلب فلان هواء إذا كان خاليا لا قوة فيه، والمراد بيان أن قلوب الكفار خالية يوم القيامة عن جميع الخواطر والأفكار لعظم ما ينالهم من الحيرة ومن كل رجاء وأمل لما تحققوه من العقاب ومن كل سرور، لكثرة ما فيه من الحزن، إذا عرفت هذه الصفات الخمسة فقد اختلفوا/ في وقت حصولها فقيل: إنها عند المحاسبة بدليل أنه تعالى إنما ذكر هذه الصفات عقيب وصف ذلك اليوم بأنه يوم يقوم الحساب، وقيل: إنها تحصل عند ما يتميز فريق عن فريق، والسعداء يذهبون إلى الجنة، والأشقياء إلى النار. وقيل: بل يحصل عند إجابة الداعي والقيام من القبور، والأول أولى للدليل الذي ذكرناه، والله أعلم.." (١)

"تعالى: ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك [الزخرف: ٧٧] وأسماء جملتهم الزبانية قال تعالى: فليدع ناديه سندع الزبانية [العلق: ١٧، ١٨] وسادسها: الموكلون ببني آدم لقوله تعالى: عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [ق ١٧، ١٨] وقوله تعالى: له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله [الرعد: ١١] وقوله تعالى: وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة [الأنعام: ٦١] . وسابعها: كتبة الأعمال وهو قوله تعالى: وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون [الانفطار: ١٠- ١٢] . وثامنها: الموكلون بأحوال هذا العالم وهم المرادون بقوله تعالى: والصافات صفا [الصافات: ١] وبقوله: والذاريات ذروا إلى قوله: فالمقسمات أمرا [الذاريات: ١، ٤] وبقوله:

والنازعات غرقا [النازعات: ١] . وعن ابن عباس قال: إن لله ملائكة سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الأشجار، فإذا أصاب أحدكم حرجة بأرض فلاة فليناد: أعينوا عباد الله يرحمكم الله. وأما أوصاف

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٩/ ١٠٨

الملائكة فمن وجوه: أحدها: أن الملائكة رسل الله، قال تعالى: جاعل الملائكة رسلا [فاطر: ١] أما قوله تعالى: الله يصطفي من الملائكة رسلا [الحج: ٧٥] فهذا يدل على أن بعض الملائكة هم الرسل فقط، وجوابه أن من للتبيين لا للتبعيض. وثانيها: قربهم من الله تعالى، وذلك يمتنع أن يكون بالمكان والجهة فلم يبق إلا أن يكون ذلك القرب هو القرب بالشرف وهو المراد من قوله: ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته [الأنبياء: ١٩] وقوله: بل عباد مكرمون [الأنبياء: ٢٦] وقوله: يسبحون الليل والنهار لا يفترون [الأنبياء: ٢٠] وثالثها: وصف طاعاتهم وذلك من وجوه: الأول: قوله تعالى حكاية عنهم: ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقال في موضع آخر وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون [الصافات: ١٦٦] والله تعالى ما كذبهم في ذلك فثبت بها مواظبتهم على العبادة. الثاني: مبادرتهم إلى امتثال أمر الله تعظيما له وهو قوله: فسجد الملائكة كلهم أجمعون [الحجر: ٣٠] . الثالث: أنهم لا يفعلون شيئا إلا بوحيه وأمره وهو قوله: / لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون [الأنبياء: ٢٧] . ورابعها: وصف قدرتهم وذلك من وجوه: الأول: أن حملة العرش وهم ثمانية يحملون العرش والكرسي ثم إن الكرسي الذي هو أصغر من العرش أعظم من جملة السموات السبع لقوله: وسع كرسيه السماوات والأرض [البقرة: ٢٥٥] فانظر إلى نهاية قدرتهم وقوتهم. الثاني: أن علو العرش شيء لا يحيط به الوهم ويدل عليه قوله: تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة [المعارج: ٤] ثم إنهم لشدة قدرتهم ينزلون منه في لحظة واحدة. الثالث: قوله تعالى: ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون [الزمر: ٦٨] فصاحب الصور يبلغ في القوة إلى حيث أن بنفخة واحدة منه يصعق من في السموات والأرض، وبالنفخة الثانية منه يعودون أحياء. فاعرف منه عظم هذه القوة. والرابع: أن جبريل عليه السلام بلغ في قوته إلى أن قلع جبال آل لوط وبلادهم دفعة واحدة. وخامسها: وصف خوفهم ويدل عليه وجوه: الأول: أنهم مع كثرة عباداتهم وعدم إقدامهم على الزلات البتة يكونون خائفين وجلين حتى كأن عبادتهم معاصي قال تعالى: يخافون ربهم من فوقهم [النحل: ٥٠] وقال: وهم من خشيته مشفقون [الأنبياء: ٢٨] . الثاني: قوله تعالى: حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير [سبأ: ٢٣]
روي في التفسير أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي سمعه أهل السموات مثل صوت السلسلة على الصفوان ففزعوا فإذا انقضى الوحي قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير،." (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٨٧/٢

"يحصل المعنى المذكور فثبت أن قوله تعالى: إنه كان مشهودا دليل قوي على أن التغليس أفضل وعندي في تفسير قوله تعالى: إنه كان مشهودا احتمال آخر وذلك لأنه كلما كانت الحوادث الحادثة أعظم وأكمل كان الاستدلال بها على كمال قدرة الله تعالى أكمل فالإنسان إذا شرع في أداء صلاة الصبح من أول هذا الوقت كانت الظلمة القوية باقية في العالم، فإذا امتدت القراءة في أثناء هذا الوقت ينقلب العالم من الظلمة إلى الضوء والظلمة مناسبة للموت والعدم، والضوء مناسب للحياة والوجود. وعلى هذا التقدير فالإنسان لما قام من منامه فكأنه انتقل من الموت إلى الحياة ومن العدم إلى الوجود ثم إنه مع ذلك يشاهد في أثناء صلاته انقلاب كلية هذا العالم من الظلمة إلى الضوء ومن الموت إلى الحياة ومن السكون إلى الحركة ومن العدم إلى الوجود. وهذه الحالة حالة عجيبة تشهد العقول والأرواح بأنه لا يقدر على هذا التقليب والتحويل والتبديل إلا الخالق المدبر بالحكمة البالغة والقوة الغير المتناهية وحينئذ يستنير العقل بنور هذه المعرفة وينفتح على العقل والروح أبواب المكاشفات الروحانية الإلهية فتصير الصلاة التي هي عبارة عن أعمال الجوارح مشهودا عليها بهذه المكاشفات الإلهية المقدسة ولذلك فكل من له ذوق سليم وطبع مستقيم إذا قام من منامه وأدى صلاة الصبح في أول الوقت واعتبر اختلاف أحوال العالم من الظلمة الحاصلة إلى النور ومن السكون إلى الحركة فإنه يجد في قلبه روحا وراحة ومزيدا في نور المعرفة وقوة اليقين فهذا هو المراد من قوله: إن قرآن الفجر كان مشهودا وظهر أن هذا الاعتبار لا يحصل إلا عند أداء صلاة الفجر على سبيل التغليس فهذا ما خطر بالبال والله أعلم بمراده. وفي الآية احتمال ثالث وهو أن يكون المراد من قوله: إن قرآن الفجر كان مشهودا الترغيب في أن تؤدى هذه الصلاة بالجماعة ويكون المعنى كونه مشهودا بالجماعة الكثيرة ومزيد التحقيق فيه أنا بينا أن تأثير هذه الصلاة في تصفية القلب وفي تنويره أكثر من تأثير سائر الصلوات فإذا حضر جمع من المسلمين في المسجد/ لأداء هذه العبادة استنار قلب كل واحد منهم ثم بسبب ذلك الاجتماع كأنه ينعكس نور معرفة الله تعالى ونور طاعته في ذلك الوقت من قلب كل واحد إلى قلب الآخر فتصير أرواحهم كالمرايا المشرقة المتقابلة إذا وقعت عليها أنوار الشمس فإنه ينعكس النور من كل واحدة من تلك المرايا إلى الأخرى فكذا في هذه الصورة ولهذا السبب فإن كل من له ذوق سليم وأدى هذه الصلاة في هذا الوقت بالجماعة وجد من قلبه فسحة ونورا وراحة. الفائدة الخامسة: قوله: وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا يحتمل أن يكون السبب في كونه مشهودا هو أن الإنسان لما نام طول الليل فصار كالغافل في هذه المدة عن مراقبة أحوال الدنيا فزالت صورة الحوادث الجسمانية عن لوح خياله وفكره وعقله وصارت هذه الألواح كألواح سطرت فيها نقوش فاسدة ثم غسلت وأزيلت تلك النقوش عنها،

ففي أول وقت القيام من المنام صارت ألواح عقله وفكره وخياله مطهرة عن النقوش الفاسدة الباطلة. فإذا تسارع الإنسان في ذلك الوقت إلى عبادة الله تعالى وقراءة الكلمات الدالة على تنزيهه والإقدام على الأفعال الدالة على تعظيم الله تعالى انتقش في لوح عقله وفكره وخياله هذه النقوش الطاهرة المقدسة، ثم إن حصول هذه النقوش يمنع من استحكام النقوش الفاسدة، وهي النقوش المتولدة من الميل إلى الدنيا وشهواتها فبهذا الطريق يترشح الميل إلى معرفة الله تعالى ومحبته وطاعته ويضعف الميل إلى الدنيا وشهواتها. إذا عرفت هذا فنقول هذه الحكمة إنما تحصل إذا شرع الإنسان في الصلاة من أول قيامه من النوم عند التغليس. وذلك يدل على المقصود واعلم أن أكثر الخلق وقعوا في أمراض القلوب وهي حب الدنيا والحرص والحسد والتفاخر والتكاثر وهذه الدنيا مثل دار المرضى إذا كانت مملوءة من المرضى والأنبياء." (١)

"بقوله: أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا قال صاحب «الكشاف» : أطلع الغيب من قولهم أطلع الجبل أي ارتقى إلى أعلاه ويقال مر مطلعا لذلك الأمر أي غالبا له مالكا له والاختيار في هذه الكلمة أن تقول: أو قد بلغ من عظم شأنه أنه ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار، والمعنى أن الذي ادعى أنه يكون حاصلا له لا يتوصل إليه إلا بأحد هذين الأمرين، إما علم الغيب وإما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل إليه؟

وقيل: في العهد كلمة الشهادة عن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول؟ ثم إنه سبحانه بين من حاله ضد ما ادعاه، فقال: كلا وهي كلمة ردع وتنبيه على الخطأ أي هو مخطئ فيما يقوله ويتمناه فإن قيل لم قال: سنكتب ما يقول بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال تعالى: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [ق: ١٨] قلنا فيه وجهان: أحدهما: سيظهر له ويعلم أنا كتبنا. الثاني: أن المتوعد يقول للجاني سوف أنتقم منك وإن كان في الحال في الانتقام ويكون غرضه من هذا الكلام محض التهديد فكذا هاهنا، أما قوله تعالى: ونمد له من العذاب مدا أي نطول له من العذاب ما يستأهله ونزيده من العذاب ونضاعف له من المدد ويقال مده وأمده بمعنى ويدل عليه قراءة علي بن أبي طالب عليه السلام ويمد له بالضم، أما قوله ونرثه ما يقول أي يزول عنه ما وعده من مال وولد فلا يعود كما لا يعود الإرث إلى من خلفه وإذا سلب ذلك في الآخرة يبقى فردا فلذلك قال: ويأتينا فردا فلا يصح أن ينفرد في الآخرة بمال وولد: ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة [الأنعام: ٩٤] والله أعلم.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢١/٣٨٥

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٨١ الى ٨٧]
واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا (٨١) كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا (٨٢) ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (٨٣) فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا (٨٤) يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا (٨٥)
ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا (٨٦) لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا (٨٧)
[في قوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة إلى قوله ضدا] اعلم أنه تعالى لما تكلم في مسألة الحشر والنشر، تكلم الآن في الرد على عباد الأصنام فحكى عنهم أنهم إنما اتخذوا آلهة لأنفسهم ليكونوا لهم عزا، حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وأنصارا، ينقذونهم من الهلاك. ثم أجاب الله تعالى بقوله: كلا وهو ردع لهم وإنكار لتعززهم بالآلهة، وقرأ ابن نهيك: كلا سيكفرون بعبادتهم أي كلهم سيكفرون بعبادة هذه الأوثان وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم أن معناه كل هذا الاعتقاد والرأي كلا، قال صاحب الكشاف: إن صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها ألفها نونا كما في قواريرا واختلفوا في أن الضمير في قوله: سيكفرون يعود إلى المعبود أو إلى العابد فمنهم من قال إنه يعود إلى المعبود، ثم قال بعضهم: أراد بذلك الملائكة لأنهم في الآخرة يكفرون بعبادتهم ويتبرءون منهم ويخاصمونهم وهو المراد من قوله: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون [سبأ: ٤٠] وقال آخرون: إن الله تعالى يحيي الأصنام يوم القيامة حتى يوبخوا عبادهم ويتبرءوا منهم فيكون ذلك أعظم لحسرتهم." (١)

"كالمملوكات له ولا يجب القسم بين المملوكات، والإرجاء التأخير والإيواء الضم ومن ابتغيت ممن عزلت يعني إذا طلبت من كنت تركتها فلا جناح عليك في شيء من ذلك ومن قال بأن القسم كان واجبا مع أنه ضعيف بالنسبة إلى المفهوم من الآية قال المراد: ترجي من تشاء أي تؤخرهن إذا شئت إذ لا يجب القسم في الأول وللزوج أن لا ينام عند أحد منهن، وإن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك فابدأ بمن شئت وتمم الدور والأول أقوى.
ثم قال تعالى: ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن.
يعني إذا لم يجب عليك القسم وأنت لا تترك القسم تقر أعينهن لتسويتك بينهن ولا يحزن بخلاف ما لو

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٦٣/٢١

وجب عليك ذلك، فليلة تكون عند إحداهن تقول ما جاءني لهوى قلبه إنما جاءني لأمر الله وإيجابه عليه ويرضين بما آتيتهن من الإرجاء والإيواء إذ ليس لهن عليك شيء حتى لا يرضين.

ثم قال تعالى: والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما.

أي إن أضمرن خلاف ما أظهرن فالله يعلم ضمائر القلوب فإنه عليم، فإن لم يعاتبهن في الحال فلا يغترن فإنه حليم لا يعجل. ثم قال تعالى:

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٥٢]

لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢)

لما لم يوجب الله على نبيه القسم وأمره بتخييرهن فاخترن الله ورسوله ذكر لهن ما جازاهن به من تحريم غيرهن على النبي عليه السلام ومنعه من طلاقهن بقوله: ولا أن تبدل بهن وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قوله: لا يحل لك النساء من بعد قال المفسرون من بعدهن والأولى أن يقال لا يحل لك النساء من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما يؤتيهن من الوصل والهجران والنقص والحرمان.

المسألة الثانية: قوله: ولا أن تبدل بهن يفيد حرمة طلاقهن إذ لو كان جائزا لجاز أن يطلق الكل، وبعدهن إما أن يتزوج بغيرهن أولا يتزوج فإن لم يتزوج يدخل في زمرة العزاب والنكاح فضيلة لا يتركها النبي، وكيف وهو يقول: «النكاح سنتي»

وإن تزوج بغيرهن يكون قد تبدل بهن وهو ممنوع من التبدل.

المسألة الثالثة: من المفسرين من قال بأن الآية ليس فيها تحريم غيرهن ولا المنع من طلاقهن بل المعنى أن لا يحل لك النساء غير اللاتي ذكرنا لك من المؤمنات المهاجرات من بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك، وأما غيرهن من الكتابيات فلا يحل لك التزوج بهن وقوله: ولا أن تبدل بهن منع من شغل الجاهلية فإنهم كانوا يبادلون زوجة بزوجة فينزل أحدهم عن زوجته ويأخذ زوجة صديقه ويعطيه زوجته، وعلى التفسيرين وقع خلاف في مسألتين إحداهما: حرمة طلاق زوجاته والثانية: حرمة تزوجه

بالكتابيات فمن فسر على الأول حرم الطلاق ومن فسر على الثاني حرم التزوج بالكتابيات.

المسألة الرابعة: قوله: ولو أعجبك حسنهن أي حسن النساء قال الزمخشري قوله: ولو أعجبك." (١)

"في معنى الحال، ولا يجوز أن يكون ذو الحال قوله: من أزواج لغاية التنكير فيه ولكون ذي الحال لا يحسن أن يكون نكرة فإذن هو النبي عليه السلام، يعني لا يحل لك النساء ولا أن تبدل بهن من أزواج وأنت معجب بحسنهن.

المسألة الخامسة: ظاهر هذا ناسخ لما كان قد ثبت له عليه السلام من أنه إذا رأى واحدة فوقعت في قلبه موقعا كانت تحرم على الزوج ويجب عليه طلاقها، وهذه المسألة حكمية وهي أن النبي عليه السلام وسائر الأنبياء في أول النبوة تشتد عليهم برحاء الوحي ثم يستأنسون به فينزل عليهم وهم يتحدثون مع أصحابهم لا يمنعهم من ذلك مانع، ففي أول الأمر أحل الله من وقع في قلبه تفريغا لقلبه وتوسيعا لصدره لئلا يكون مشغول القلب بغير الله، ثم لما استأنس بالوحي وبمن على لسانه الوحي نسخ ذلك، إما لقوته عليه السلام للجمع بين الأمرين، وإما أنه بدوام الإنزال لم يبق له مألوف من أمور الدنيا، فلم يبق له التفات إلى غير الله، فلم يبق له حاجة إلى إحلال التزوج بمن وقع بصره عليها.

المسألة السادسة: اختلف العلماء في أن تحريم النساء عليه هل نسخ أم لا؟ فقال الشافعي نسخ وقد قالت عائشة ما مات النبي إلا وأحل له النساء، وعلى هذا فالناسخ قوله: يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك [الأحزاب: ٥٠] إلى أن قال: وبنات عمك وقال: وامرأة مؤمنة على قول من يقول لا يجوز نسخ الكتاب بخبر الواحد إذ الناسخ غير متواتر إن كان خبرا.

ثم قال تعالى: إلا ما ملكت يمينك لم يحرم عليه المملوكات لأن الإيذاء لا يحصل بالمملوكة، ولهذا لم يجز للرجل أن يجمع بين ضرتين في بيت لحصول التسوية بينهما وإمكان المخاصمة، ويجوز أن يجمع الزوجة وجمعا من المملوكات لعدم التساوي بينهن ولهذا لا قسم لهن على أحد.

ثم قال تعالى: وكان الله على كل شيء رقيبا أي حافظا عالما بكل شيء قادرا عليه، لأن الحفظ لا يحصل إلا بهما.

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٥٣]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٧٧/٢٥

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما (٥٣)

ثم قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه.

لما ذكر الله تعالى في النداء الثالث يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا [الأحزاب: ٤٥] بيانا لحاله مع أمته العامة قال للمؤمنين في هذا النداء لا تدخلوا إرشادا لهم وبيانا لحالهم مع النبي عليه السلام من الاحترام ثم إن حال الأمة مع النبي على وجهين أحدهما: في حال الخلوة والواجب هناك عدم إزعاجه وبين ذلك بقوله: لا تدخلوا بيوت النبي وثانيهما: في الملأ والواجب هناك إظهار التعظيم كما قال تعالى: يا أيها الذين." (١)

"فإن العلم صفة كاشفة يظهر بها كل ما في نفس الأمر فعلم الله في الأزل أن العالم سيوجد، فإذا وجد علمه موجودا بذلك العلم، وإذا عدم يعلمه معدوما بذلك، مثاله: أن المرآة المصقولة فيها الصفاء/ فيظهر فيها صورة زيد إن قابلها، ثم إذا قابلها عمرو يظهر فيها صورته، والمرآة لم تتغير في ذاتها ولا تبدلت في صفاتها، إنما التغير في الخارجات فكذلك هاهنا قوله: إلا لنعلم أي ليقع في العلم صدور الكفر من الكافر والإيمان من المؤمن وكان قبله فيه أنه سيكفر زيد ويؤمن عمرو.

وقوله: وما كان له عليهم من سلطان إشارة إلى أنه ليس بملجئ وإنما هو آية، وعلامة خلقها الله لتبيين ما هو في علمه السابق، وقوله: وربك على كل شيء حفيظ يحقق ذلك أي الله تعالى قادر على منع إبليس عنهم عالم بما سيقع، فالحفظ يدخل في مفهومه العلم والقدرة، إذ الجاهل بالشيء لا يمكنه حفظه ولا العاجز. ثم قال تعالى:

[سورة سبإ (٣٤) : الآيات ٢٢ الى ٢٣]

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير (٢٢) ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير (٢٣)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٧٨/٢٥

لما بين الله تعالى حال الشاكرين وحال الكافرين وذكرهم بمن مضى عاد إلى خطابهم وقال لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم من دون الله ليكشفوا عنكم الضر على سبيل التهكم ثم بين أنهم لا يملكون شيئا بقوله: لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.
واعلم أن المذاهب المفضية إلى الشرك أربعة أحدها: قول من يقول الله تعالى خلق السماء والسماويات وجعل الأرض والأرضيات في حكمهم، ونحن من جملة الأرضيات فنعبد الكواكب والملائكة التي في السماء فهم آلهتنا والله إلههم، فقال الله تعالى في إبطال قولهم: إنهم لا يملكون في السموات شيئا كما اعترفتم، قال ولا في الأرض على خلاف ما زعمتم وثانيها: قول من يقول السموات من الله على سبيل الاستبداد والأرضيات منه ولكن بواسطة الكواكب فإن الله خلق العناصر والتركيبات التي فيها بالاتصالات والحركات والطوالع فجعلوا لغير الله معه شركا في الأرض والأولون جعلوا الأرض لغيره والسماء له، فقال في إبطال قولهم: وما لهم فيهما من شرك أي الأرض كالسماء لله لا لغيره، ولا لغيره فيها نصيب وثالثها: قول من قال: التركيبات والحوادث كلها من/ الله تعالى لكن فوض ذلك إلى الكواكب، وفعل المأذون ينسب إلى الآذن ويسلب عن المأذون فيه، مثاله إذا قال ملك لمملوكه اضرب فلانا فضربه يقال في العرف الملك ضربه ويصح عرفا قول القائل ما ضرب فلان فلانا، وإنما الملك أمر بضربه فضرب، فهؤلاء جعلوا السماويات معينات لله فقال تعالى في إبطال قولهم: وما له منهم من ظهير ما فوض إلى شيء شيئا، بل هو على كل شيء حفيظ ورقيب ورابعها: قول من قال إنا نعبد الأصنام التي هي صور الملائكة ليشفعوا لنا فقال تعالى في إبطال قولهم ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له فلا فائدة لعبادتكم غير الله فإن الله لا يأذن في الشفاعة لمن يعبد غيره فبطلبكم الشفاعة تفوتون على أنفسكم الشفاعة وقوله: حتى إذا فزع عن قلوبهم أي أزيل الفزع عنهم، يقال قرد البعير إذا أخذ منه القراد." (١)

"لعنة الله والملائكة

فكيف يكونون لاعنين ومستغفرين لهم؟، قلنا الجواب: عنه من وجوه:
الأول: أن قوله لمن في الأرض لا يفيد العموم، لأنه يصح أن يقال إنهم استغفروا لكل من في الأرض وأن يقال إنهم استغفروا لبعض من في الأرض دون البعض، ولو كان قوله لمن في الأرض صريحا في العموم لما صح ذلك التقسيم الثاني: هب أن هذا النص يفيد العموم إلا أنه تعالى حكى عن الملائكة في سورة حم

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٠٣/٢٥

المؤمن فقال: ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك [غافر: ٧] الثالث: يجوز أن يكون المراد من الاستغفار أن لا يعاجلهم بالعقاب كما في قوله تعالى: إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا إلى أن قال: إنه كان حليما غفورا [فاطر: ٤١] الرابع: يجوز أن يقال إنهم يستغفرون لكل من في الأرض، أما في حق الكفار فبواسطة طلب الإيمان لهم، وأما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم، فإنا/ نقول اللهم اهد الكافرين وزين قلوبهم بنور الإيمان وأزل عن خواطرهم وحشة الكفر، وهذا في الحقيقة استغفار.

واعلم أن قوله ويستغفرون لمن في الأرض يدل على أنهم لا يستغفرون لأنفسهم، ولو كانوا مصرين على المعصية لكان استغفارهم لأنفسهم قبل استغفارهم لمن في الأرض، وحيث لم يذكر الله عنهم استغفارهم لأنفسهم علمنا أنهم مبرءون عن كل الذنوب والأنبياء عليهم السلام لهم ذنوب والذي لا ذنب له البتة أفضل ممن له ذنب وأيضا فقوله ويستغفرون لمن في الأرض يدل على أنهم يستغفرون للأنبياء لأن الأنبياء في جملة من في الأرض، وإذا كانوا مستغفرين للأنبياء عليهم السلام كان الظاهر أنهم أفضل منهم.

ولما حكى الله تعالى عن الملائكة التسبيح والتحميد والاستغفار قال: ألا إن الله هو الغفور الرحيم والمقصود التنبيه على أن الملائكة وإن كانوا يستغفرون للبشر إلا أن المغفرة المطلقة والرحمة المطلقة للحق سبحانه وتعالى وبيانه من وجوه الأول: أن إقدام الملائكة على طلب المغفرة للبشر من الله تعالى إنما كان لأن الله تعالى خلق في قلوبهم داعية لطلب تلك المغفرة، ولولا أن الله تعالى خلق في قلوبهم تلك الدواعي وإلا لما أقدموا على ذلك الطلب وإذا كان كذلك كان الغفور المطلق والرحيم المطلق هو الله سبحانه وتعالى الثاني: أن الملائكة قالوا في أول الأمر أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك [البقرة: ٣٠] ثم في آخر الأمر صاروا يستغفرون لمن في الأرض، وأما رحمة الحق وإحسانه فقد كان موجودا في الأولى والآخر فثبت أن الغفور المطلق والرحيم المطلق هو الله تعالى الثالث: أنه تعالى حكى عنهم أنهم يستغفرون لمن في الأرض ولم يحك عنهم أنهم يطلبون الرحمة لمن في الأرض فقال: ألا إن الله هو الغفور الرحيم يعني أنه يعطي المغفرة التي طلبوها ويضم إليها الرحمة الكاملة التامة.

ثم قال تعالى: والذين اتخذوا من دونه أولياء أي جعلوا له شركاء وأندادا الله حفيظ عليهم أي رقيب على أحوالهم وأعمالهم، لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم عليها لا رقيب عليهم إلا هو وحده وما أنت يا محمد بمفوض إليك أمرهم ولا قسرهم على الإيمان، إنما أنت منذر فحسب.

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٧ الى ١٢]

وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير (٧) ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير (٨) أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحي الموتى وهو على كل شيء قدير (٩) وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب (١٠) فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (١١)

له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم (١٢)." (١)

"أنه تعالى هو الذي أدخلهم في الإيمان والطاعة، وقوله والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير يعني أنه تعالى ما أدخلهم في رحمته، وهذا يدل على أن الأولين إنما دخلوا في رحمته، لأنه كان لهم ولي ونصير أدخلهم في تلك الرحمة، وهؤلاء ما كان لهم ولي ولا نصير يدخلهم في رحمته.

ثم قال تعالى: أم اتخذوا من دونه أولياء والمعنى أنه تعالى حكى عنهم أولا أنهم اتخذوا من دونه أولياء، ثم قال بعده لمحمد صلى الله عليه وسلم لست عليهم رقيبا ولا حافظا، ولا يجب عليك أن تحملهم على الإيمان شاءوا أم أبوا، فإن هذا المعنى لو كان واجبا لفعله الله، لأنه أقدر منك، ثم إنه تعالى أعاد بعده ذلك الكلام على سبيل الاستنكار، فإن قوله أم اتخذوا من دونه أولياء استفهام على سبيل الإنكار.

ثم قال تعالى: فالله هو الولي والفاء في قوله فالله هو الولي جواب شرط مقدر، كأنه قال: إن أرادوا أولياء بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه، لأنه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير، فهو الحقيق بأن يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء.

ثم قال: وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله وفيه مسائل:

المسألة الأولى: وجه النظم أنه تعالى كما منع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحمل الكفار على الإيمان قهرا، فكذلك منع المؤمنين أن يشرعوا معهم في الخصومات والمنازعات فقال: وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله وهو إثابة المحقين فيه ومعاقبة المبطلين، وقيل وما اختلفتم فيه من شيء وتنازعتهم فتحاكموا فيه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا تؤثر حكومة غيره على حكومته، وقيل وما وقع بينكم فيه خلاف

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٧٩/٢٧

من الأمور التي لا تصل بتكليفكم، ولا طريق لكم إلى علمه كحقيقة الروح، فقولوا الله أعلم به، قال تعالى: ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي [الإسراء: ٨٥] .

المسألة الثانية: تقدير الآية كأنه قال: قل يا محمد وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله والدليل عليه قوله تعالى: ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب.

المسألة الثالثة: احتج نفاة القياس بهذه الآية فقالوا قوله تعالى: وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله إما أن يكون المراد فحكمه مستفاد من نص الله عليه، أو المراد فحكمه مستفاد من القياس على ما نص الله عليه، والثاني باطل لأنه يقتضي كون كل الأحكام مثبتة بالقياس بأنه باطل فيعتبر الأول، فوجب كون كل الأحكام مثبتة بالنص وذلك ينفي العمل بالقياس، ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون المراد فحكمه يعرف من بيان الله تعالى، سواء كان ذلك البيان بالنص أو بالقياس؟ أجيب عنه بأن المقصود من التحاكم إلى الله قطع الاختلاف، والرجوع إلى القياس يقوي حكم الاختلاف ولا يوضحه، فوجب أن يكون الواجب هو الرجوع إلى نصوص الله تعالى.

ثم قال تعالى: ذلكم الله ربي أي ذلكم الحاكم بينكم هو ربي عليه توكلت في دفع كيد الأعداء وفي طلب كل خير وإليه أنيب أي وإليه أرجع في كل المهمات، وقوله عليه توكلت يفيد الحصر، أي لا أتوكل إلا عليه، وهو إشارة إلى تزييف طريقة من اتخذ غير الله وليا.

ثم قال: فاطر السماوات والأرض قرئ بالرفع والجر، فالرفع على أنه خبر ذلكم، أو خبر مبتدأ." (١)

"أحدهما: أن يكون ابتداء استدلال بخلق الإنسان، وهذا على قولنا أفعيينا بالخلق الأول [ق: ١٥] معناه خلق السماوات وثانيهما: أن يكون تتميم بيان خلق الإنسان، وعلى هذا قولنا (الخلق الأول) هو خلق الإنسان أول مرة، ويحتمل أن يقال هو تنبيه على أمر يوجب عودهم عن مقالهم، وبيانه أنه تعالى لما قال: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه كان ذلك إشارة إلى أنه لا يخفى عليه خافية ويعلم ذوات صدورهم.

وقوله ونحن أقرب إليه من حبل الوريد.

بيان لكمال علمه، والوريد العرق الذي هو مجرى الدم يجري فيه ويصل إلى كل جزء من أجزاء البدن والله أقرب من ذلك بعلمه، لأن العرق تحجبه أجزاء اللحم ويخفى عنه، وعلم الله تعالى/ لا يحجب عنه شيء،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٨١/٢٧

ويحتمل أن يقال ونحن أقرب إليه من حبل الوريد بتفرد قدرتنا فيه يجري فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه.
ثم قال تعالى:

[سورة ق (٥٠) : الآيات ١٧ الى ١٨]
إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨)
إذ ظرف والعامل فيه ما في قوله تعالى: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد [ق: ١٦] وفيه إشارة إلى أن المكلف غير متروك سدى، وذلك لأن الملك إذا أقام كتابا على أمر اتكل عليهم، فإن كان له غفلة عنه فيكون في ذلك الوقت يتكل عليهم، وإذا كان عند إقامة الكتاب لا يبعد عن ذلك الأمر ولا يغفل عنه فهو عند عدم ذلك أقرب إليه وأشد إقبالا عليه، فنقول: الله في وقت أخذ الملكين منه فعله وقوله أقرب إليه من عرقه المخالط له، فعند ما يخفى عليهما شيء يكون حفظنا بحاله أكمل وأتم، ويحتمل أن يقال التلقي من الاستقبال يقال فلان يتلقى الركب وعلى هذا الوجه فيكون معناه وقت ما يتلقاه المتلقيان يكون عن يمينه وعن شماله قعيد، فالمتلقيان على هذا الوجه هما الملكان اللذان يأخذان روحه من ملك الموت أحدهما يأخذ أرواح الصالحين وينقلها إلى السرور والحبور إلى يوم النشور والآخر يأخذ أرواح الطالحين وينقلها إلى الويل والثبور إلى يوم الحشر من القبور، فقال تعالى وقت تلقيهما وسؤالهما إنه من أي القبيلين يكون عند الرجل قعيد عن اليمين وقعيد عن الشمال، يعني الملكان ينزلان وعنده ملكان آخران كاتبان لأعماله يسألانهما من أي القبيلين كان، فإن كان من الصالحين يأخذ روحه ملك السرور، ويرجع إلى الملك الآخر مسرورا حيث لم يكن مسرورا ممن يأخذها هو، وإن كان من الطالحين يأخذها ملك العذاب ويرجع إلى الآخر محزونا حيث لم يكن ممن يأخذها هو، ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى: سائق وشهيد [ق: ٢١] فالشهيد هو القعيد والسائق هو المتلقي يتلقى أخذ روحه من ملك الموت فيسوقه إلى منزله وقت الإعادة.
وهذا أعرف الوجهين وأقربهما إلى الفهم، وقول القائل جلست عن يمين فلان فيه إنباء عن تنح ما عنه احتراما له واجتنابا منه، وفيه لطيفة وهي أن الله تعالى قال: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد [ق: ١٦] المخالط لأجزائه المداخل في أعضائه والملك متنح عنه فيكون علنا به أكمل من علم الكاتب لكن من أجلس عنده أحدا ليكتب أفعاله وأقواله ويكون الكاتب ناهضا خبيرا والملك الذي أجلس الرقيب يكون جبارا عظيما فنفسه أقرب إليه من الكاتب بكثير، والقعيد هو الجليس كما أن قعد بمعنى جلس.

[سورة ق (٥٠) : آية ١٩]

وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩)." (١)

"والأحكام والأسماء، وقد شرحناه في أول سورة الحديد، ومضى شيء منه في تفسير قوله: ونقدس لك [البقرة: ٣٠] وقال الحسن: إنه الذي كثرت بركاته.

وقوله: السلام فيه ووجهان الأول: أنه بمعنى السلامة ومنه دار السلام، وسلام عليكم وصف به مبالغة في كونه سليما من النقائض كما يقال: رجاء، وغياث، وعدل فإن قيل فعلى هذا التفسير لا يبقى بين القدوس، وبين السلام فرق، والتكرار خلاف الأصل، قلنا: كونه قدوسا، إشارة إلى براءته عن جميع العيوب في الماضي والحاضر، كونه: سليما، إشارة إلى أنه لا يطرأ عليه شيء من العيوب في الزمان المستقبل فإن الذي يطرأ عليه شيء من العيوب، فإنه تزول سلامته ولا يبقى سليما الثاني: أنه سلام بمعنى كونه موجبا للسلامة.

وقوله: المؤمن فيه ووجهان الأول: أنه الذي آمن أولياء عذابه، يقال: آمنه يؤمنه فهو مؤمن والثاني: أنه المصدق، إما على معنى أنه يصدق أنبياءه بإظهار المعجزة لهم، أو لأجل أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم يشهدون لسائر الأنبياء، كما قال: لتكونوا شهداء على الناس [البقرة: ١٤٣] ثم إن الله يصدقهم في تلك الشهادة، وقرئ بفتح الميم، يعني المؤمن به على حذف الجار كما حذف في قوله: واختار موسى قومه [الأعراف: ١٥٥] .

وقوله: المهيمن قالوا: معناه الشاهد الذي لا يغيب عنه شيء. ثم في أصله قولان، قال الخليل وأبو عبيدة: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيب على الشيء، وقال آخرون: مهيمن أصله مؤيمن، من آمن يؤمن، فيكون بمعنى المؤمن، وقد تقدم استقصاؤه عند قوله: ومهيمنا عليه [المائدة: ٤٨] وقال ابن الأنباري: المهيمن القائم على خلقه برزقه وأنشد:

ألا إن خير الناس بعد نبيه ... مهيمنه التاليه في العرف والنكر

قال معناه: القائم على الناس بعده.

وأما العزيز فهو إما الذي لا يوجد له نظير، وإما الغالب القاهر.

وأما الجبار ففيه وجوه أحدها: أنه فعال من جبر إذا أغنى الفقير، وأصلح الكسير. قال الأزهري: وهو لعمري جابر كل كسير وفقير، وهو جابر دينه الذي ارتضاه، قال العجاج:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٣٤/٢٨

«قد جبر الدين الإله فجبر» .
والثاني: أن يكون الجبار من جبره على كذا إذا أكرهه على ما أراده، قال السدي: إنه الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراده، قال الأزهري: هي لغة تميم، وكثير من الحجازيين يقولونها، وكان الشافعي يقول: جبره السلطان على كذا بغير ألف. وجعل الفراء الجبار بهذا معنى/ من أجبره، وهي اللغة المعروفة في الإكراه، فقال: لم أسمع فعالا من أفعل إلا في حرفين، وهما جبار من أجبر، ودراك من أدرك، وعلى هذا القول الجبار هو القهار الثالث: قال ابن الأنباري: الجبار في صفة الله الذي لا ينال، ومنه قيل للنخلة التي فاتت يد المتناول: جبارة الرابع: قال ابن عباس: الجبار، هو الملك العظيم، قال الواحدي: هذا الذي ذكرناه من معاني الجبار في صفة الله، وللجبار معان في صفة الخلق أحدها: المسلط كقوله: وما أنت عليهم بجبار [ق: ٤٥] ، والثاني: العظيم الجسم كقوله: إن فيها قوما جبارين [المائدة: ٢٢] والثالث: المتمرد عن عبادة الله، كقوله: ولم يجعلني جبارا [مريم: ٣٢] ، «والرابع: القتال كقوله: بطشتم جبارين [الشعراء: ١٣٠]." (١)

"وإعلاء قدره وأظهر روحه من بين جماله وجلاله، وتوجه بتاج الكرامة وزينه برداء الجلال والهيبة. قوله تعالى:

[سورة الانفطار (٨٢) : آية ٩]

كلا بل تكذبون بالدين (٩)

اعلم أنه سبحانه لما بين بالدلائل العقلية على صحة القول/ بالبعث والنشور على الجملة، فرع عليها شرح تفاصيل الأحوال المتعلقة بذلك، وهو أنواع:

النوع الأول: أنه سبحانه زجرهم عن ذلك الاغترار بقوله: كلا وبل حرف وضع في اللغة لنفي شيء قد تقدم وتحقق غيره، فلا جرم ذكروا في تفسير كلا وجوها الأول: قال القاضي: معناه أنكم لا تستقيمون على توجيه نعمي عليكم وإرشادي لكم، بل تكذبون بيوم الدين الثاني: كلا أي ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله، ثم كأنه قال: وإنكم لا ترتدعون عن ذلك بل تكذبون بالدين أصلا الثالث: قال القفال: كلا أي ليس الأمر كما تقولون من أنه لا بعث ولا نشور، لأن ذلك يوجب أن الله تعالى خلق الخلق عبثا وسدى، وحاشاه من

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥١٣/٢٩

ذلك، ثم كأنه قال: وإنكم لا تنتفعون بهذا البيان بل تكذبون، وفي قوله: تكذبون بالدين وجهان الأول: أن يكون المراد من الدين الإسلام، والمعنى أنكم تكذبون بالجزاء على الدين والإسلام الثاني: أن يكون المراد من الدين الحساب، والمعنى أنكم تكذبون بيوم الحساب. النوع الثاني: قوله تعالى:

[سورة الانفطار (٨٢) : الآيات ١٠ الى ١٢]

وإن عليكم لحافظين (١٠) كراما كاتبين (١١) يعلمون ما تفعلون (١٢)

والمعنى التعجب من حالهم، كأنه سبحانه قال: إنكم تكذبون بيوم الدين وهو يوم الحساب والجزاء، وملائكة الله موكلون بكم يكتبون أعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيامة، ونظيره قوله تعالى: عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [ق: ١٧، ١٨] وقوله تعالى: وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة [الأنعام: ٦١] ثم هاهنا مباحث:

الأول: من الناس من طعن في حضور الكرام الكاتبين من وجوه: أحدها: أن هؤلاء الملائكة، إما أن يكونوا مركبين من الأجسام اللطيفة كالهواء والنسيم والنار، أو من الأجسام الغليظة، فإن كان الأول لزم أن تنتقض بنيتهم بأدنى سبب من هبوب الرياح الشديدة وإمرار اليد والكم والسوط في الهواء، وإن كان الثاني وجب أن نراهم إذ لو جاز أن يكونوا حاضرين ولا نراهم، لجاز أن يكون بحضرتنا شموس وأقمار وفيلات وبوقات، ونحن لا نراها ولا نسمعها وذلك دخول في التجاهل، وكذا القول في إنكار صحائفهم وذواتهم وقلمهم وثانيها: أن هذا الاستكتاب إن كان خاليا عن الفوائد فهو عبث وذلك غير جائز على الله تعالى، وإن كان فيه فائدة فتلك الفائدة، إما أن تكون عائدة إلى الله تعالى أو إلى العبد والأول: محال لأنه متعال عن النفع والضر، وبهذا يظهر بطلان قول من يقول: إنه تعالى إنما استكتبها خوفا من النسيان الغلط والثاني: أيضا محال، لأن أقصى ما في الباب أن يقال: فائدة هذا الاستكتاب أن يكونوا شهودا على الناس وحجة عليهم يوم القيامة إلا أن هذه الفائدة ضعيفة، لأن الإنسان الذي علم أن الله تعالى لا يجور ولا يظلم، لا يحتاج في حقه إلى إثبات هذه." (١)

"الحجة، والذي لا يعلم ذلك لا ينتفع بهذه الحجة لاحتمال/ أنه تعالى أمرهم بأن يكتبوا تلك الأشياء عليه ظلما وثالثها: أن أفعال القلوب غير مرئية ولا محسوسة فتكون هي من باب المغيبات، والغيب لا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٧٧/٣١

يعلمه إلا الله تعالى على ما قال: وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو [الأنعام: ٥٩] وإذا لم تكن هذه الأفعال معلومة للملائكة استحال أن يكتبوها والآية تقضي أن يكونوا كاتبين علينا كل ما نفعله، سواء كان ذلك من أفعال القلوب أم لا؟

والجواب: عن الأول: أن هذه الشبهة لا تزال إلا على مذهبنا بناء على أصلين أحدهما: أن البنية ليست شرطا للحياة عندنا والثاني: أي عند سلامة الحاسة وحضور المرئي وحصول سائر الشرائط لا يجب الإدراك، فعلى الأصل الأول يجوز أن تكون الملائكة أجراما لطيفة تتمزق وتتفرق ولكن تبقى حياتها مع ذلك، وعلى الأصل الثاني يجوز أن يكونوا أجساما كثيفة لكنا لا نراها والجواب: عن الثاني أن الله تعالى إنما أجرى أموره مع عباده على ما يتعاملون به فيما بينهم لأن ذلك أبلغ في تقرير المعنى عندهم، ولما كان الأبلغ عندهم في المحاسبة إخراج كتاب بشهود خوطبوا بمثل هذا فيما يحاسبون به يوم القيامة، فيخرج لهم كتب منشورة، ويحضر هناك ملائكة يشهدون عليهم كما يشهد عدول السلطان على من يعصيه ويخالف أمره، فيقولون له: أعطاك الملك كذا وكذا، وفعل بك كذا وكذا، ثم قد خلفته وفعلت كذا وكذا، فكذا هاهنا والله أعلم بحقيقة ذلك الجواب: عن الثالث أن غاية ما في الباب تخصيص هذا العموم بأفعال الجوارح، وذلك غير ممتنع.

البحث الثاني: أن قوله تعالى: وإن عليكم لحافظين وإن كان خطاب مشافهة إلا أن الأمة مجمعة على أن هذا الحكم عام في حق كل المكلفين، ثم هاهنا احتمالان:

أحدهما: أن يكون هناك جمع من الحافظين، وذلك الجمع يكونون حافظين لجميع بني آدم من غير أن يختص واحد من الملائكة بواحد من بني آدم.

وثانيهما: أن يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالآخرة، ثم يحتمل أن يكون الموكل بكل واحد من بني آدم واحدا من الملائكة لأنه تعالى قابل الجمع بالجمع، وذلك يقتضي مقابلة الفرد بالفرد، ويحتمل أن يكون الموكل بكل واحد منهم جمعا من الملائكة كما قيل: اثنان بالليل، واثنان بالنهار، أو كما قيل: إنهم خمسة.

البحث الثالث: أنه تعالى وصف هؤلاء الملائكة بصفات أولها: كونهم حافظين وثانيها: كونهم كراما وثالثها: كونهم كاتبين ورابعها: كونهم يعلمون ما تفعلون، وفيه وجهان أحدهما: أنهم يعلمون تلك الأفعال حتى يمكنهم أن يكتبوها، وهذا تنبيه على أن الإنسان لا يجوز له الشهادة إلا بعد العلم والثاني: أنهم يكتبونها حتى يكونوا عالمين بها عند أداء الشهادة.

واعلم أن وصف الله إياهم بهذه الصفات الخمسة يدل على أنه تعالى أثنى عليهم وعظم شأنهم، وفي تعظيمهم تعظيم لأمر الجزاء، وأنه عند الله تءالى من جلائل الأمور، ولولا ذلك لما وكل/ بضبط ما يحاسب عليه، هؤلاء العظماء الأكابر، قال أبو عثمان: من يزجره من المعاصي **مراقبة** الله إياه، كيف يرده عنها كتابة الكرام الكاتبين. النوع الثالث: من تفاريع مسألة الحشر قوله تعالى:

[سورة الانفطار (٨٢) : الآيات ١٣ الى ١٦]

إن الأبرار لفي نعيم (١٣) وإن الفجار لفي جحيم (١٤) يصلونها يوم الدين (١٥) وما هم عنها بغائبين (١٦)." (١)

"الثريا، وقال الفراء: إنه زحل، لأنه يثقب بنوره سمك سبع سموات، وقال آخرون: إنه الشهب التي يرجم بها الشياطين، لقوله تعالى: فأتبعه شهاب ثاقب [الصافات: ١٠] .

المسألة الرابعة:

روي أن أبا طالب أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأتحفه بخبز ولبن، فبينما هو جالس يأكل إذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم نارا، ففزع أبو طالب، وقال: أي شيء هذا؟ فقال: هذا نجم رمي به، وهو آية من آيات الله، فعجب أبو طالب، ونزلت السورة.

[في قوله تعالى إن كل نفس لما عليها حافظ] واعلم أنه تعالى لما ذكر المقسم به أتبعه بذكر المقسم عليه: إن كل نفس لما عليها حافظ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في قوله: لما قراءتان إحداهما: قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع والكسائي، وهي بتخفيف الميم والثانية: قراءة عاصم وحمزة والنخعي بتشديد الميم. قال أبو علي الفاسي: من خفف كانت إن عنده المخففة من الثقيلة، واللام في لما هي التي تدخل مع هذه المخففة لتخلصها من إن النافية، وما صلة كالتي في قوله: فبما رحمة من الله [آل عمران: ١٥٩] وعما قليل [المؤمنون: ٤٠] وتكون إن متلقية للقسم، كما تتلقاه مثقلة. وأما من ثقل فتكون إن عنده النافية، كالتي في قوله: فيما إن مكناكم [الأحقاف: ٢٦] ولما في معنى ألا، قال: وتستعمل لما بمعنى ألا في موضعين أحدهما: هذا والآخر:

في باب القسم، تقول: سألتك بالله لما فعلت، بمعنى ألا فعلت. وروي عن الأخفش والكسائي وأبي عبيدة

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٧٨/٣١

أنهم قالوا: لم توجد لما بمعنى ألا في كلام العرب. قال ابن عون: قرأت عند ابن سيرين لما بالتشديد، فأنكره وقال: سبحان الله، سبحان الله، وزعم العتبي أن لما بمعنى ألا، مع أن الخفيفة التي تكون بمعنى ما موجودة في لغة هذيل.

المسألة الثانية: ليس في الآية بيان أن هذا الحافظ من هو، وليس فيها أيضا بيان أن الحافظ يحفظ النفس عما ذا. أما الأول: ففيه قولان: الأول: قول بعض المفسرين: إن ذلك الحافظ هو الله تعالى. أما في التحقيق فلأن كل وجود سوى الله ممكن، وكل ممكن فإنه لا يترجح وجوده على عدمه إلا لمرجح وينتهي ذلك إلى الواجب لذاته، فهو سبحانه القيوم الذي بحفظه وإبقائه تبقى الموجودات، ثم إنه تعالى بين هذا المعنى في السموات والأرض على العموم في قوله: إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا [فاطر: ٤١] وبينه في هذه الآية في حق الإنسان على الخصوص وحقيقة الكلام ترجع إلى أنه تعالى أقسم أن كل ما سواه، فإنه ممكن الوجود محدث محتاج مخلوق مربوب هذا إذا حملنا النفس على مطلق الذات، أما إذا حملناها على النفس المتنفسة وهي النفس الحيوانية أمكن أن يكون المراد من كونه تعالى حافظا لها كونه تعالى عالما بأحوالها وموصلا إليها جميع مناقعها ودافعا عنها جميع مضارها.

والقول الثاني: أن ذلك الحافظ هم الملائكة كما قال: ويرسل عليكم حفظة [الأنعام: ٦١] وقال: عن/ اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [ق: ١٧، ١٨] وقال: وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين [الانفطار: ١٠، ١١] وقال: له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله [الرعد: ١١] .." (١)

"أما قوله: وما الله بغافل عما تعملون فهو الكلام الجامع لكل وعيد، ومن تصور أنه تعالى عالم بسره وإعلانه ولا يخفى عليه خافية أنه من وراء مجازاته إن خيرا فخير وإن شرا فشر لا يمضي عليه طرفة عين إلا وهو حذر خائف ألا ترى أن أحدنا لو كان عليه رقيب من جهة سلطان يعد عليه الأنفاس لكان دائم الحذر والوجل مع أن ذلك الرقيب لا يعرف إلا الظاهر، فكيف بالرب الرقيب الذي يعلم السر وأخفى إذا هدد وأوعد بهذا الجنس من القول.

[سورة البقرة (٢) : آية ١٤١]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١١٨/٣١

تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون (١٤١)

اعلم أنه تعالى لما حاج اليهود في هؤلاء الأنبياء عقبه بهذه الآية لوجوه. أحدها: ليكون وعظا لهم وزجرا حتى لا يتكلوا على فضل الآباء فكل واحد يؤخذ بعمله. وثانيها: أنه تعالى بين أنه متى لا يستنكر أن يكون فرضكم عين فرضهم لاختلاف المصالح لم يستنكر أن تختلف المصالح في نقلكم محمد صلى الله عليه وسلم من ملة إلى ملة أخرى. وثالثها: أنه تعالى لما ذكر حسن طريقة الأنبياء الذين ذكرهم في هذه الآيات بين أن الدليل لا يتم بذلك بل كل إنسان مسؤول عن عمله، ولا عذر له في ترك الحق بأن توهم أنه متمسك بطريقة من تقدم، لأنهم أصابوا أم أخطئوا لا ينفع هؤلاء ولا يضرهم لئلا يتوهم أن طريقة الدين التقليد، فإن قيل لم كررت الآية؟ قلنا فيه قولان، أحدهما: أنه عنى بالآية الأولى إبراهيم ومن ذكر معه، والثانية أسلاف اليهود. قال الجبائي قال القاضي: هذا بعيد لأن أسلاف اليهود والنصارى لم يجر لهم ذكر مصرح وموضع الشبهة في هذا القول أن القوم لما قالوا في إبراهيم وبنيه إنهم كانوا هودا فكأنهم قالوا: إنهم كانوا على مثل طريقة أسلافنا من اليهود فصار سلفهم في حكم المذكورين فجاز أن يقول: تلك أمة قد خلت ويعينهم ولكن ذلك كالتعسف بل المذكور السابق هو إبراهيم وبنوه فقوله: تلك أمة يجب أن يكون عائدا إليهم، والقول الثاني: أنه متى اختلفت الأوقات والأحوال والمواطن لم يكن التكرار عبثا فكأنه تعالى قال: ما هذا إلا بشر فوصف هؤلاء الأنبياء فيما أنتم عليه من الدين لا يسوغ التقليد في هذا الجنس فعليكم بترك الكلام في تلك الأمة فلها ما كسبت وانظروا فيما دعاكم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، فإن ذلك أنفع لكم وأعود عليكم ولا تسألون إلا عن عملكم.

[سورة البقرة (٢) : آية ١٤٢]

سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (١٤٢)

اعلم أن هذا هو الشبهة الثانية من الشبه التي ذكرها اليهود والنصارى طعنا في الإسلام فقالوا: النسخ يقتضي إما الجهل أو التجهيل، وكلاهما لا يليق بالحكيم، وذلك لأن الأمر إما أن يكون خاليا عن القيد، وإما أن يكون مقيدا بلا دوام، وإما أن يكون مقيدا بقيد الدوام، فإن كان خاليا عن القيد لم يقتض الفعل إلا مرة واحدة، فلا يكون ورود الأمر بعد ذلك على خلافه ناسخا وإن كان مقيدا بقيد اللادوام فههنا ظاهر أن الوارد بعده على خلافه لا يكون ناسخا له، وإن كان مقيدا بقيد الدوام فإن كان الأمر يعتقد فيه أنه يبقى

دائما مع أنه ذكر لفظا يدل على أنه يبقى دائما ثم إنه رفعه بعد ذلك، فههنا كان جاهلا ثم بدا له ذلك، وإن كان عالما بأنه لا يبقى دائما مع أنه/ ذكر لفظا يدل على أنه يبقى دائما كان ذلك تجهيلا فثبت أن النسخ يقتضي إما الجهل أو التجهيل وهما محالان على الله تعالى، فكان النسخ منه محالا، فالآتي بالنسخ في أحكام الله تعالى يجب أن يكون مبطلا." (١)

"لجميع الأمة فإن قيل: لو كان الأمر كذلك لكان هذا خطابا لجميع من يوجد إلى قيام الساعة، فإنما حكم لجماعتهم بالعدالة فمن أين حكمت لأهل كل عصر بالعدالة حتى جعلتهم حجة على من بعدهم؟ قلنا: لأنه تعالى لما جعلهم شهداء على الناس، فلو اعتبرنا أول الأمة وآخرها بمجموعها في كونها حجة على غيرها لزالت الفائدة إذ لم يبق بعد انقضائها من تكون الأمة حجة عليه، فعلمنا أن المراد به أهل كل عصر، ويجوز تسمية أهل العصر الواحد بالأمة، فإن الأمة اسم للجماعة التي تؤم جهة واحدة، ولا شك أن أهل كل عصر كذلك ولأنه تعالى قال: أمة وسطا فعبر عنهم بلفظ النكرة ولا شك أن هذا يتناول أهل كل عصر.

المسألة الخامسة: اختلف الناس في أن الشهادة المذكورة في قوله تعالى: لتكونوا شهداء على الناس تحصل في الآخرة أو في الدنيا. فالقول الأول: إنها تقع في الآخرة، والذاهبون إلى هذا القول لهم وجهان.

الأول: وهو الذي عليه الأكثرون: أن هذه الأمة تشهد للأنبياء على أممهم الذين يكذبونهم، روي أن الأمم يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالب الله تعالى الأنبياء بالبينة على/ أنهم قد بلغوا وهو أعلم، فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الأمم من أين عرفتم فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد عليه الصلاة والسلام، فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا [النساء: ٤١] وقد طعن القاضي في هذه الرواية من وجوه:

أولها: أن مدار هذه الرواية عن أن الأمم يكذبون أنبياءهم وهذا بناء على أن القيامة قد يكذبون، وهذا باطل عند القاضي، إلا أنا سنتكلم على هذه المسألة في سورة الأنعام في تفسير قوله تعالى: ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم [الأنعام: ٢٣، ٢٤] .

وثانيها: أن شهادة الأمة وشهادة الرسول مستندة في الآخرة إلى شهادة الله تعالى على صدق الأنبياء، وإذا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٧٨/٤

كان كذلك فلم لم يشهد الله تعالى لهم بذلك ابتداء؟ وجوابه: الحكمة في ذلك تمييز أمة محمد صلى الله عليه وسلم في الفضل عن سائر الأمم بالمبادرة إلى تصديق الله تعالى وتصديق جميع الأنبياء، والإيمان بهم جميعا، فهم بالنسبة إلى سائر الأمم كالعدل بالنسبة إلى الفاسق، فلذلك يقبل الله شهادتهم على سائر الأمم ولا يقبل شهادة الأمم عليهم إظهارا لعدالتهم وكشفا عن فضيلتهم ومنقبتهم.

وثالثها: أن مثل هذه الأخبار لا تسمى شهادة وهذا ضعيف

لقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا علمت مثل الشمس فاشهد»

والشيء الذي أخبر الله تعالى عنه فهو معلوم مثل الشمس فوجب جواز الشهادة عليه.

الوجه الثاني: قالوا معنى الآية: لتشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا الحق فيها قال ابن زيد:

الأشهاد أربعة. أولها: الملائكة الموكلون بإثبات أعمال العباد. قال تعالى: وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد [ق: ٢١] وقال: ما يلفظ من قول إلا لديه **رقيب** عتيد [ق: ١٨] وقال: وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون [الانفطار: ١٠- ١٢] . وثانيها: شهادة الأنبياء وهو المراد بقوله حاكيا عن عيسى عليه السلام: وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد [المائدة: ١١٧] وقال في حق محمد صلى الله عليه وسلم وأمته في هذه الآية: لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقال: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا." (١)

"والكافر،

روى الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال: «للسائل حق ولو جاء على فرس»

وقال تعالى: في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم [المعارج: ٢٤، ٢٥] .

أما قوله: وفي الرقاب ففيه مسألتان.

المسألة الأولى: الرقاب جمع الرقبة وهي مؤخر أصل العنق، واشتقاقها من **المراقبة**، وذلك أن مكانها من البدن مكان **الرقيب** المشرف على القوم، ولهذا المعنى يقال: أعتق الله رقبته/ ولا يقال أعتق الله عنقه، لأنه لما سميت رقبة كأنها تراقب العذاب، ومن هذا يقال للتي لا يعيش ولدها: رقوب، لأجل مراعاتها موت ولدها.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٨٧/٤

المسألة الثانية: معنى الآية: ويؤتي المال في عتق الرقاب، قال القفال: واختلف الناس في الرقاب المذكورين في آية الصدقات، فقال قائلون: إنه يدخل فيه من يشتريه فيعتقه، ومن يكون مكاتبها فيعينه على أداء كتابته، فهؤلاء أجازوا شراء الرقاب من الزكاة المفروضة، وقال قائلون: لا يجوز صرف الزكاة إلا في إعانة المكاتبين، فمن تأول هذه الآية على الزكاة المفروضة فحينئذ يبقى فيه ذلك الاختلاف، ومن حمل هذه الآية على غير الزكاة أجاز الأمرين فيها قطعا، ومن الناس من حمل الآية على وجه ثالث وهو فداء الأسارى.

واعلم أن تمام الكلام في تفسير هذه الأصناف سيأتي إن شاء الله تعالى في سورة التوبة في تفسير الصدقات.

الأمر الثالث: من الأمور المعتبرة في تحقق ماهية البر قوله: وأقام الصلاة وآتى الزكاة وذلك قد تقدم ذكره.

الأمر الرابع: قوله تعالى: والموفون بعهدهم إذا عاهدوا وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: في رفع والموفون قولان أحدها: أنه عطف على محل من آمن تقديره لكن البر المؤمنون والموفون، عن الفراء والأخفش الثاني: رفع على المدح على أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره: وهم الموفون.

المسألة الثانية: في المراد بهذا العهد قولان الأول: أن يكون المراد ما أخذه الله من العهود على عباده بقولهم، وعلى ألسنة رسله إليهم بالقيام بحدوده، والعمل بطاعته، فقبل العباد ذلك من حيث آمنوا بالأنبياء والكتب، وقد أخبر الله تعالى عن أهل الكتاب أنهم نقضوا العهود والمواثيق وأمرهم بالوفاء بها فقال: يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم [البقرة: ٤٠] فكان المعنى في هذه الآية أن البر هو ما ذكر من الأعمال مع الوفاء بعهد الله، لا كما نقض أهل الكتاب ميثاق الله وما وفوا بعهوده فجحدوا أنبياءه وقتلوهم وكذبوا بكتابه، واعترض القاضي على هذا القول وقال: إن قوله تعالى: والموفون بعهدهم صريح في إضافة هذا العهد إليهم، ثم إنه تعالى أكد ذلك بقوله: إذا عاهدوا فلا وجه لحمله على ما سيكون لزومه ابتداء من قبله تعالى.

الجواب عنه: أنه تعالى وإن ألزمهم هذه الأشياء لكنهم من عند أنفسهم قبلوا ذلك الإلزام والتزموه، فصح من هذا الوجه إضافة العهد إليهم.." (١)

"علم أن شرب الخمر مفسدة لهم في ذلك الزمان، وعلم أنه ما كان مفسدة للذين كانوا قبل هذه الأمة فهذا تمام الكلام في هذا الباب.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢١٨/٥

المسألة الثالثة: في حقيقة الميسر فنقول: الميسر القمار، مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما، يقال يسرته إذا قمرته، واختلفوا في اشتقاقه على وجوه أحدها: قال مقاتل: اشتقاقه من اليسر لأنه أخذ لمال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب، كانوا يقولون: يسروا لنا ثمن الجزور، أو من اليسار لأنه سبب يساره، وعن ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله وثانيها: قال ابن قتيبة: الميسر من التجزئة والاقتسام، يقال: يسروا الشيء، أي اقتسموه، فالجزور نفسه يسمى ميسرا لأنه يجزأ أجزاء، فكأنه موضع التجزئة، والياسر الجازر، لأنه يجزئ لحم الجزور، ثم يقال لضاربين بالقدح والمتقاربين على الجزور: إنهم ياسرون لأنهم بسبب ذلك الفعل يجزءون لحم الجزور وثالثها: قال الواحدي: إنه من قولهم: يسر لي هذا الشيء ييسر يسرا وميسرا إذا وجب، والياسر الواجب بسبب القداح، هذا هو الكلام في اشتقاق هذه اللفظة.

وأما صفة الميسر فقال صاحب «الكشاف» : كانت لهم عشرة قداح، وهي الأزلام والأقلام الفذ، والتوأم، **والرقيب**، والحلس، بفتح الحاء وكسر اللام، وقيل بكسر الحاء وسكون اللام، والمسبل، والمعلى، والنافس، والمنيح، والسفيح، والوغد، لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤونها عشرة أجزاء، وقيل: ثمانية وعشرين جزءا إلا ثلاثة، وهي: المنيح والسفيح، والوعد، ولبعضهم في هذا المعنى شعر:

لي في الدنيا سهام ... ليس فيهن ربيح

وأساميهن وغد ... وسفيح ومنيح

فللفذ سهم، وللتوأم سهمان، **وللرقيب** ثلاثة، وللحلس أربعة، وللنافس خمسة، وللمسبل/ ستة، وللمعلى سبعة، يجعلونها في الربابة، وهي الخريطة ويضعونها على يد عدل، ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصب الموسوم به ذلك القدح، ومن خرج له قدح لا نصيب له لم يأخذ شيئا، وغرم ثمن الجزور كله، وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء، ولا يأكلون منها، ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم.

المسألة الرابعة: اختلفوا في أن الميسر هل هو اسم لذلك القمار المعين، أو هو اسم لجميع أنواع القمار، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إياكم وهاتين الكعبتين فإنهما من ميسر العجم»

وعن ابن سيرين ومجاهد وعطاء: كل شيء فيه خطر فهو من الميسر، حتى لعب الصبيان بالجوز، وأما الشطرنج

فروي عن علي عليه السلام أنه قال: النرد والشطرنج من الميسر،

وقال الشافعي رضي الله عنه: إذا خلا الشطرنج عن الرهان، واللسان عن الطغيان والصلاة عن النسيان، لم يكن حراما، وهو خارج عن الميسر، لأن الميسر ما يوجب دفع المال، أو أخذ مال، وهذا ليس كذلك، فلا يكون قمارا ولا ميسرا، والله أعلم، أما السبق في الخف والحافر فبالاتفاق ليس من الميسر، وشرحه مذكور في كتاب السبق والرمي من كتب الفقه.

المسألة الخامسة: الإثم الكبير، فيه أمور أحدها: أن عقل الإنسان أشرف صفاته، والخمر عدو العقل، وكل ما كان عدو الأشرف فهو أخس، فيلزم أن يكون شرب الخمر أخس الأمور، وتقريره أن العقل إنما سمي." (١)

"[سورة آل عمران (٣) : آية ٥٥]

إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون (٥٥)

[في قوله تعالى إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي إلى قوله تعالى يوم القيامة] في الآية مسائل:

المسألة الأولى: العامل في إذ قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين أي وجد هذا المكر إذ قال الله هذا القول، وقيل التقدير: ذاك إذ قال الله.

المسألة الثانية: اعترفوا بأن الله تعالى شرف عيسى في هذه الآية بصفات:

الصفة الأولى: إني متوفيك ونظيره قوله تعالى حكاية عنه فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم [المائدة: ١١٧] واختلف أهل التأويل في هاتين الآيتين على طريقين أحدهما: إجراء الآية على ظاهرها من غير تقديم، ولا تأخير فيها والثاني: فرض التقديم والتأخير فيها، أما الطريق الأول فبيانه من وجوه الأول: معنى قوله إني متوفيك أي متمم عمرك، فحينئذ أتوفاك، فلا أتركهم حتى يقتلوك، بل أنا رافعك إلى سمائي، ومقربك بملائكتي، وأصونك عن أن يتمكنوا من قتلك وهذا تأويل حسن والثاني: متوفيك أي مميتك، وهو مروي عن ابن عباس، ومحمد بن إسحاق قالوا: والمقصود أن لا يصل أعداؤه من اليهود إلى قتله ثم إنه بعد ذلك أكرمه بأن رفعه إلى السماء ثم اختلفوا على ثلاثة أوجه أحدها: قال وهب: توفي ثلاث ساعات، ثم رفع وثانيها: قال محمد بن إسحاق: توفي سبع ساعات، ثم أحياه الله ورفعه الثالث: قال الربيع بن أنس: إنه تعالى توفاه حين رفعه إلى السماء، قال تعالى: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها [الزمر: ٤٢] .

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦/٤٠٠

الوجه الرابع: في تأويل الآية أن الواو في قوله متوفيك ورافعك إلي تفيد الترتيب فالآية تدل على أنه تعالى يفعل به هذه الأفعال، فأما كيف يفعل، ومتى يفعل، فالأمر فيہ موقوف على الدليل، وقد ثبت الدليل أنه حي

وورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنه سينزل ويقتل الدجال»

ثم إنه تعالى يتوفاه بعد ذلك.

الوجه الخامس: في التأويل ما قاله أبو بكر الواسطي، وهو أن المراد إني متوفيك عن شهواتك وحظوظ نفسك، ثم قال: ورافعك إلي وذلك لأن من لم يصر فانيا عما سوى الله لا يكون له وصول إلى مقام معرفة الله، وأيضا فعيسى لما رفع إلى السماء صار حاله كحال الملائكة في زوال الشهوة، والغضب والأخلاق الذميمة.

والوجه السادس: أن التوفي أخذ الشيء وافيا، ولما علم الله أن من الناس من يخطر بباله أن الذي رفعه الله هو روحه لا جسده ذكر هذا الكلام ليدل على أنه عليه الصلاة والسلام رفع بتمامه إلى السماء بروحه وبجسده ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى: وما يضرونك من شيء

[النساء: ١١٣] .

والوجه السابع: إني متوفيك أي أجعلك كالمتوفى لأنه إذا رفع إلى السماء وانقطع خبره وأثره عن الأرض كان كالمتوفى، وإطلاق اسم الشيء على ما يشابهه في أكثر خواصه وصفاته جائز حسن.

الوجه الثامن: أن التوفي هو القبض يقال: وفاني فلان دراهمي وأوفاني وتوفيتها منه، كما يقال: سلم فلان دراهمي إلي وتسلمتها منه، وقد يكون أيضا توفي بمعنى استوفى وعلى كلا الاحتمالين كان إخراجه من." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النساء

مائة وسبعون وست آيات مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة النساء (٤) : آية ١]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٣٧/٨

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١)

اعلم أن هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكاليف، وذلك لأنه تعالى أمر الناس في أول هذه السورة بالتعطف على الأولاد والنساء والأيتام، والرأفة بهم وإيصال حقوقهم إليهم وحفظ أموالهم عليهم، وبهذا المعنى ختمت السورة، وهو قوله: يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة [النساء: ١٧٦] وذكر في أثناء هذه السورة أنواعا أخر من التكاليف، وهي الأمر بالطهارة والصلاة وقتال المشركين ولما كانت هذه التكاليف شاقة على النفوس لثقلها على الطباع، لا جرم افتتح السورة بالعلة التي لأجلها يجب حمل هذه التكاليف الشاقة، وهي تقوى الرب الذي خلقنا والإله الذي أوجدنا، فلهذا قال: يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم

وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: روى الواحدي عن ابن عباس في قوله: يا أيها الناس أن هذا الخطاب لأهل/ مكة، وأما الأصوليون من المفسرين فقد اتفقوا على أن الخطاب عام لجميع المكلفين، وهذا هو الأصح لوجوه:

أحدها: أن لفظ الناس جمع دخله الألف واللام فيفيد الاستغراق. وثانيها: أنه تعالى علل الأمر بالاتقاء بكونه تعالى خالقا لهم من نفس واحدة، وهذه العلة عامة في حق جميع المكلفين بأنهم من آدم عليه السلام خلقوا بأسرهم، وإذا كانت العلة عامة كان الحكم عاما. وثالثها: أن التكليف بالتقوى غير مختص بأهل مكة، بل هو عام في حق جميع العالمين، وإذا كان لفظ الناس عاما في الكل، وكان الأمر بالتقوى عاما في الكل، وكانت علة هذا التكليف، وهي كونهم خلقوا من النفس الواحدة عامة في حق الكل، كان القول بالتخصيص في غاية البعد.

وحجة ابن عباس أن قوله: واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام مختص بالعرب لأن المناشدة بالله وبالرحم عادة مختصة بهم. فيقولون أسألك بالله وبالرحم، وأنشدك الله والرحم، وإذا كان كذلك كان قوله: واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام مختصا بالعرب، فكان أول الآية وهو قوله: يا أيها الناس مختصا بهم لأن قوله في أول الآية: اتقوا ربكم وقوله بعد ذلك: واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام وردا متوجهين إلى مخاطب واحد، ويمكن أن يجاب عنه بأنه ثبت في أصول الفقه أن خصوص آخر الآية لا يمنع من عموم أولها." (١)

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٩/٤٧٥

"فإن قيل: لم لم يقل: وبث منهما رجالا كثيرا ونساء كثيرا؟ ولم خصص وصف الكثرة بالرجال دون النساء؟

قلنا: السبب فيه والله أعلم أن شهرة الرجال أتم، فكانت كثرتهم أظهر، فلا جرم خصوا بوصف الكثرة، وهذا كالتنبيه على أن اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج والبروز، واللائق بحال النساء الاختفاء والخمول.

المسألة الثالثة: الذين يقولون: إن جميع الأشخاص البشرية كانوا كالذر، وكانوا مجتمعين في صلب آدم عليه السلام، حملوا قوله: وبث منهما رجالا كثيرا ونساء على ظاهره، والذين أنكروا ذلك قالوا: المراد بث منهما أولادهما ومن أولادهما جمعا آخرين، فكان الكل مضافا إليهما على سبيل المجاز.

قوله تعالى: واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا.

فيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ عاصم وحمزة والكسائي: تسائلون بالتخفيف والباقون بالتشديد، فمن شدد أراد: تتساءلون فأدغم التاء في السين لاجتماعهما في أنهما من حروف اللسان وأصول الثنايا واجتماعهما في الهمس، ومن خفف حذف تاء تتفاعلون لاجتماع حروف متقاربة، فأعلها بالحذف كما أعلها الأولون بالإدغام، وذلك لأن الحروف المتقاربة إذا اجتمعت خففت تارة بالحذف وأخرى بالإدغام.

المسألة الثانية: قرأ حمزة وحده والأرحام بجر الميم قال القفال رحمه الله: وقد رويت هذه القراءة عن غير القراء السبعة عن مجاهد وغيره، وأما الباقون من القراء فكلهم قرءوا بنصب الميم. وقال صاحب «الكشاف» : قرئ والأرحام بالحركات الثلاث، أما قراءة حمزة فقد ذهب الأكثرون من النحويين إلى أنها فاسدة، قالوا: لأن هذا يقتضي عطف المظهر على المضمر المجرور وذلك غير جائز. واحتجوا على عدم جوازه بوجوه: أولها: قال أبو علي الفارسي: المضمر المجرور بمنزلة الحرف، فوجب أن لا يجوز عطف لمظهر عليه، إنما قلنا المضمر المجرور بمنزلة الحرف لوجوه: الأول: أنه لا ينفصل البتة كما أن التنوين لا ينفصل، وذلك أن الهاء والكاف في قوله: به، وبك لا ترى واحدا منفصلا عن الجار البتة فصار كالتنوين.

الثاني: أنهم يحذفون الياء من المنادى المضاف في الاختيار كحذفهم التنوين من المفرد، وذلك كقولهم: يا غلام، فكان المضمر المجرور مشابها للتنوين من هذا الوجه، فثبت أن المضمر المجرور بمنزلة حرف التنوين، فوجب أن لا يجوز عطف المظهر عليه لأن من شرط العطف حصول المشابهة بين المعطوف والمعطوف عليه، فإذا لم تحصل المشابهة هاهنا وجب أن لا يجوز العطف. وثانيها: قال علي بن عيسى: إنهم لم يستحسنوا عطف المظهر على المضمر المرفوع. فلا يجوز أن يقال: اذهب وزيد، وذهبت وزيد بل

يقولون: اذهب أنت وزيد، وذهبت أنا وزيد. قال تعالى: فاذهب أنت وربك فقاتلا [المائدة: ٢٤] مع أن المضمر المرفوع قد ينفصل، فإذا لم يجز عطف المظهر على المضمر المجرور مع أنه أقوى من المضمر المجرور بسبب أنه قد ينفصل، فلأن لا يجوز عطف المظهر على المضمر المجرور مع أنه البتة لا ينفصل كان أولى. وثالثها: قال أبو عثمان المازني: المعطوف والمعطوف عليه متشاركان، وإنما يجوز عطف الأول على الثاني لو جاز عطف الثاني على الأول، وهاهنا هذا المعنى غير حاصل، وذلك لأنك لا تقول: مررت بزيدوك، فكذلك لا تقول مررت بك وزيد.." (١)

"ثم إنه تعالى ختم هذه الآية بما يكون كالوعد والوعيد والترغيب والترهيب فقال: إن الله كان عليكم رقيبا والرقيب هو المراقب الذي يحفظ عليك جميع أفعالك. ومن هذا صفته فإنه يجب أن يخاف ويرجى، فبين تعالى أنه يعلم السر وأخفى، وأنه إذا كان كذلك يجب أن يكون المرء حذرا خائفا فيما يأتي ويترك.

[سورة النساء (٤) : آية ٢]

وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (٢)

[في قوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم] اعلم أنه لما افتتح السورة بذكر ما يدل على أنه يجب على العبد أن يكون منقادا لتكاليف الله سبحانه، محترزا عن مساخطه، شرع بعد ذلك في شرح أقسام التكاليف.

فالنوع الأول: ما يتعلق بأموال اليتامى، وهو هذه الآية، وأيضا أنه تعالى وصى في الآية السابقة بالأرحام، فكذلك في هذه الآية وصى بالأيتام، لأنهم قد صاروا بحيث لا كافل لهم ولا مشفق شديد الإشفاق عليهم، ففارق حالهم حال من له رحم ماسة عاطفة عليه لمكان الولادة أو لمكان الرحم فقال: وآتوا اليتامى أموالهم وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: قال صاحب «الكشاف» : اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم، واليتم الانفراد، ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة، وقيل: اليتم في الأناسي من قبل الآباء، وفي البهائم من قبل الأمهات. قال: وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء الانفراد عن الآباء، إلا أن في العرف اختص هذا الاسم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال، فإذا صار بحيث يستغني بنفسه في تحصيل مصالحه عن كافل يكفله وقيم يقوم بأمره، زال عنه هذا الاسم، وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يتيم أبي طالب، إما على

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٩/٤٧٩

القياس، وإما على حكاية الحال التي كان عليها حين كان صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له. وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يتم بعد حلم»

فهو تعليم الشريعة لا تعليم اللغة، يعني إذا احتلم فإنه لا تجري عليه أحكام الصغار. وروى أبو بكر الرازي في أحكام القرآن أن جده كتب إلى ابن عباس يسأله عن اليتيم متى ينقطع يتمه؟ فكتب إليه: إذا أونس منه الرشد انقطع يتمه، وفي بعض الروايات: إن الرجل ليقبض على لحيته ولم ينقطع عنه يتمه بعد، فأخبر ابن عباس أن اسم اليتيم قد يلزمه بعد البلوغ إذا لم يؤنس منه الرشد، ثم قال أبو بكر: واسم اليتيم قد يقع على المرأة المفردة عن زوجها،

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تستأمر اليتيمة»

وهي لا تستأمر إلا وهي بالغة، قال الشاعر:

إن القبور تنكح الأيامى ... النسوة الأرامل اليتامى

فالحاصل من كل ما ذكرنا أن اسم اليتيم بحسب أصل اللغة يتناول الصغير والكبير، إلا أنه بحسب العرف مختص بالصغير.

المسألة الثانية: هاهنا سؤال وهو أن يقال: كيف جمع اليتيم على يتامى؟ واليتيم فعيل، والفعيل يجمع على فعلى، كمريض ومرضى وقتيل وقتلى وجريح وجرحى، قال صاحب «الكشاف» : فيه وجهان: أحدهما: أن يقال: جمع اليتيم يتمى، ثم يجمع فعلى على فعالى، كأسير وأسرى وأسارى، والثاني: أن يقال: جمع يتيم يتائم، لأن اليتيم جار مجرى الأسماء نحو صاحب وفارس، ثم يقلب/ اليتائم يتامى. قال القفال رحمه الله: ويجوز يتيم ويتامى، كنديم وندامى، ويجوز أيضا يتيم وأيتام كشريف وأشراف.

المسألة الثالثة: هاهنا سؤال ثان: وهو أنا ذكرنا أن اسم اليتيم مختص بالصغير، فما دام يتيما لا يجوز دفع ماله إليه، وإذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع ماله إليه لم يبق يتيما، فكيف قال: وآتوا اليتامى أموالهم." (١)

"[الجزء الاول]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٨٢/٩

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون (١٠٢) [آل عمران: ١٠٢] .

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١) [النساء: ١] .

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (٧٠) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما (٧١) [الأحزاب: ٧٠- ٧١] .

أما بعد، فإن التفسير المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» «١» للعلامة القاضي المفسر ناصر الدين أبي الخير، عبد الله بن عمر بن علي البيضاوي الشيرازي، الشافعي (ت ٦٨٥ هـ) يعتبر من أهم كتب التفسير بالرأي «٢» ، فهو كتاب جليل دقيق، جمع بين التفسير والتأويل على قانون اللغة العربية، وقرر الأدلة على أصول السنة.

وقد اختصره مؤلفه من «كشاف» الزمخشري «٣» محمود بن عمر أبي القاسم (ت ٥٣٨ هـ) مع ترك ما فيه من اعتزالات، كما استمده من «مفاتيح الغيب» للفخر الرازي «٤» محمد بن عمر بن حسين الشافعي الطبرستاني (ت ٦٠٦ هـ) وبه تأثر عند عرضه للآيات الكونية ومباحث الطبيعة، ومن تفسير الراغب الأصبهاني الحسين بن محمد بن المفضل أبي القاسم (ت ٥٠٢ هـ) المسمى «تحقيق البيان في تأويل القرآن» ، فأصبح من أمهات كتب التفسير التي لا يستغني عنها الطالب لفهم كلام الله عز وجل.

والبيضاوي رحمه الله مقل جدا من الروايات الإسرائيلية، لكنه يذكر في نهاية كل سورة حديثا في فضلها- كما وقع فيه صاحب «الكشاف» - وهي موضوعة باتفاق أهل الحديث وهذا من هناته رحمه الله.

هذا وقد ضمن البيضاوي تفسيره نكتا بارعة، واستنباطات دقيقة، كل هذا في أسلوب رائع موجز، وهو يهتم أحيانا بذكر القراءات، ولكنه لا يلتزم المتواتر منها، فيذكر الشاذ، كما أنه يتعرض لبعض المسائل الفقهية عند آيات الأحكام دون توسع منه، مع عرض للصناعة النحوية.

ونظرا لما يحتله هذا الكتاب من أهمية في عالم التفاسير، فقد وضع عليه العلماء الحواشي والتعليقات

---

(١) طبع مرات عديدة، منها طبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر عام ١٣٣٠ هـ/ ١٩١٠ م وبهامشه حاشية العلامة الكازروني (ت ٩٤٥ هـ) في خمس أجزاء في مجلدين، وهي الأصل الذي اعتمدناه في

طبعتنا هذه وعليه ختم المطبعة الميمنية بمصر عام ١٣٠٦.

(٢) كما أكده العلامة محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان في علوم القرآن» (١/ ٥٣٥)
.

(٣) طبع مؤخرا بدار إحياء التراث العربي في طبعته الأولى عام (١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م) بتحقيق عبد الرزاق المهدي.

(٤) طبع بدار إحياء التراث العربي بحلة قشيبة وملونة ومصححة عام (١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م) .." [1]

"أحد وما ظلم، بل أوضح السبل وأرسل الرسل، فبلغوا ونصحوا. ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات، والإعراض عن الآيات، فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين من قبلكم، أو بعدكم.

روي «أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالبهم الله ببينة التبليغ. وهو أعلم بهم. إقامة للحجة على المنكرين، فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون، فتقول الأمم من أين عرفتم؟ فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته، فيشهد بعدالتهم»

وهذه الشهادة وإن كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه السلام **كالرقيب** المهيمن على أمته عدى بعلى، وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم يكون الرسول شهيدا عليهم. وما جعلنا القبلة التي كنت عليها أي الجهة التي كنت عليها، وهي الكعبة فإنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي إليه، بمكة، ثم لما هاجر أمر بالصلاة إلى الصخرة تألفا لليهود. أو الصخرة لقول ابن عباس رضي الله عنهما (كانت قبلته بمكة بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الأول الجعل الناسخ، وعلى الثاني المنسوخ. والمعنى أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة، وما جعلنا قبلتك بيت المقدس.

إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه إلا لنمتحن به الناس ونعلم من يتبعك في الصلاة إليها، ممن يرتد عن دينك إلفا لقبلة آبائه. أو لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه، وما كان لعارض يزول بزواله. وعلى الأول معناه: ما رددناك إلى التي كنت عليها، إلا لنعلم الثابت على الإسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف إيمانه. فإن قيل: كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما. قلت:

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١/ ٥

هذا وأشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء، والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا. وقيل: ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه أسنده إلى نفسه لأنهم خواصه، أو لتميز الثابت من المتزلزل كقوله تعالى: ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه، ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول، والعلم إما بمعنى المعرفة، أو معلق لما في من من معنى الاستفهام، أو مفعوله الثاني ممن ينقلب، أي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب. وإن كانت لكبيرة أن هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفاصلة.

وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى إلا. والضمير لما دل عليه قوله تعالى: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة، أو الردة، أو التولية، أو التحويلة، أو القبلة. وقرئ «لكبيرة» بالرفع فتكون كان زائدة إلا على الذين هدى الله إلى حكمة الأحكام الثابتين على الإيمان والاتباع وما كان الله ليضيع إيمانكم أي ثباتكم على الإيمان. وقيل: إيمانكم بالقبلة المنسوخة، أو صلاتكم إليها لما

روي: أنه عليه السلام لما وجه إلى الكعبة قالوا: كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من إخواننا فنزلت

إن الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع أجورهم ولا يدع صلاحهم، ولعله قدم الرؤوف وهو أبلغ محافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤوف بالمد، والباقون بالقصر.

[سورة البقرة (٢) : آية ١٤٤]

قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون (١٤٤) قد نرى ربما نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة، لأنها قبلة أبيه إبراهيم، وأقدم القبلتين وأدعى للعرب إلى الإيمان، ولمخالفة اليهود، وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك: وليته كذا، إذا صيرته واليا له، أو فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها وتتشوق إليها، لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته. فول وجهك اصرف وجهك.." (١)

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١١١/١

"(٤) سورة النساء

مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

[سورة النساء (٤) : آية ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١)

يا أيها الناس خطاب يعم بني آدم. اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم. وخلق منها زوجها عطف على خلقكم أي خلقكم من شخص واحد وخلق منه أمكم حواء من ضلع من أضلاعه، أو محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها، وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة. وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما، والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة، واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها، إذ الحكمة تقتضي أن يكن أكثر، وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى، والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها، أو لأن المراد به تمهيد الأمر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها. وقرئ «وخالق» «وباث» على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث. واتقوا الله الذي تسائلون به أي يسأل بعضكم بعضا تقول أسألك بالله، وأصله تتساءلون فأدغمت التاء الثانية في السين. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها.

والأرحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك: مررت بزيد وعمرا، أو على الله أي اتقوا الله واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها. وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة. وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والأرحام كذلك، أي مما يتقى أو يتساءل به. وقد نبه سبحانه وتعالى إذ قرن الأرحام باسمه الكريم على أن صلتها بمكان منه.

وعنه عليه الصلاة والسلام «الرحم معلقة بالعرش تقول ألا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»

. إن الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا.

[سورة النساء (٤) : آية ٢]

وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (٢)
وآتوا اليتامى أموالهم أي إذا بلغوا، واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات أبوه، من اليتم وهو الانفراد.
ومنه الدرة اليتيمة، إما على أنه لما جرى مجرى الأسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم، ثم قلب فقيل يتامى أو على أنه جمع على يتمي كأسرى لأنه من باب الآفات. ثم جمع يتمى على يتامى كأسرى وأسارى، والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار، لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ. ووروده في الآية إما للبالغ على الأصل أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر، حثا على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم إن أونس منهم الرشد، ولذلك أمر بابتلاءهم صغارا أو لغير البلغ والحكم مقيد فكأنه قال." (١)

"في كلامهم لفظا كموماة ودوداة. ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم، وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب. وما أولئك بالمؤمنين بكتابهم لإعراضهم عنه أولا وعما يوافقه ثانيا، أو بك وبه.

[سورة المائدة (٥) : آية ٤٤]
إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون (٤٤)
إنا أنزلنا التوراة فيها هدى يهدي إلى الحق. ونور يكشف عما استبهم من الأحكام. يحكم بها النبيون يعني أنبياء بني إسرائيل، أو موسى ومن بعده إن قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ، وبهذه الآية تمسك القائل به. الذين أسلموا صفة أجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن المسلمين، وتعريضا باليهود وأنهم بمعزل عن دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واقتفاء هديهم. للذين هادوا متعلق بأنزل، أو بيحكم أي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على أن النبيين أنبياؤهم. والربانيون والأحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة أنبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب أمر الله إياهم بأن يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف، والراجع إلى ما محذوف ومن للتبيين. وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون أن يغير، أو شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا. فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام أن يخشوا

---
(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢/٥٨

غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم أو مراقبة كبير. ولا تشتروا بآياتي ولا تستبدلوا بأحكامي التي أنزلتها. ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهينا به منكرا له. فأولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بأن حكموا بغيره، ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون، فكفرهم لإنكاره، وظلمهم بالحكم على خلافه، وفسقهم بالخروج عنه. ويجوز أن يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت إلى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها، أو لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم، والظالمون في اليهود، والفاسقون في النصارى.

[سورة المائدة (٥) : آية ٤٥]

وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون (٤٥)

وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود. فيها في التوراة. أن النفس بالنفس أي أن النفس تقتل بالنفس. والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن رفعها الكسائي على أنها جمل معطوفة على أن وما في حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل: وكتبنا عليهم النفس بالنفس، والعين بالعين، فإن الكتابة والقراءة تقعان على الجمل كالقول، أو مستأنفة ومعناها: وكذلك العين مفقوءة بالعين، والأنف مجدوعة بالأنف، والأذن مصلومة بالأذن، والسن مقلوعة بالسن، أو على أن المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس، وإنما ساغ لأنه في الأصل مفصول عنه بالظرف، والجار والمجرور حال مبينة للمعنى، وقرأ نافع والأذن بالأذن وفي أذنيه بإسكان الذال حيث وقع. والجروح قصاص أي ذات قصاص، وقراءة الكسائي أيضا بالرفع ووافقه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر على أنه إجمال للحكم بعد التفصيل. فمن تصدق من المستحقين. به بالقصاص أي فمن عفا عنه. فهو فالتصدق. كفارة له للمتصدق يكفر الله به ذنوبه. وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه. وقرئ «فهو كفارته له» أي فالمتصدق كفارته التي يستحقها." (١)

"بالتصدق له لا ينقص منها شيء. ومن لم يحكم بما أنزل الله من القصاص وغيره. فأولئك هم الظالمون.

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٢٨/٢

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٤٦ الى ٤٧]

وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين (٤٦) وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون (٤٧)

وقفينا على آثارهم أي وأتبعناهم على آثارهم، فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه، والضمير للنبيون. بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدي إليه الفعل بالباء. مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل وقرئ بفتح الهمزة. فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال. ومصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه وكذا قوله: وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف أو تعلقا به وعطف.

وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه «عليه» في قراءة حمزة، وعلى الأول اللام متعلقة بمحذوف أي وآتيناه ليحكم، وقرئ: «وأن ليحكم» على أن أن موصولة بالأمر كقولك: أمرتك بأن قم أي وأمرنا بأن ليحكم. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون عن حكمه، أو عن الإيمان إن كان مستهينا به، والآية تدل على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام وأن اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه الصلاة والسلام، وأنه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة خلاف الظاهر.

[سورة المائدة (٥) : آية ٤٨]

وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (٤٨)

وأنزلنا إليك الكتاب بالحق أي القرآن. مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة، فاللام الأولى للعهد والثانية للجنس. ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد له بالصحة والثبات، وقرئ على بنية المفعول أي هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله سبحانه وتعالى، أو الحفاظ في كل عصر. فاحكم بينهم بما أنزل الله أي بما أنزل الله إليك. ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه إلى ما يشتهونه فعن صلة للا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف، أو حال من فاعله أي لا تتبع أهواءهم مائلا عما جاءك. لكل جعلنا منكم أيها الناس. شرعة شريعة وهي الطريق إلى الماء شبه

بها الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية. وقرئ بفتح الشين. ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الأمر إذا وضح. واستدل به على أنا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة. ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الأعصار من غير نسخ وتحويل، ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب، وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الإسلام لأجبركم عليه. ولكن ليبلوكم في ما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن، هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين أن اختلافها بمقتضى الحكمة الإلهية، أم تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل. فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم. إلى الله مرجعكم جميعا استئناف فيه تعليل الأمر بالاستباق ووعد." (١)

"[سورة المائدة (٥) : آية ١١٦]

وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (١١٦)

وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم، ومن دون الله صفة لإلهين أو صلة اتخذوني، ومعنى دون إما المغايرة فيكون فيه تنبيه على أن عبادة الله سبحانه وتعالى مع عبادة غيره كلا عبادة، فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده أو القصور، فإنهم لم يعتقدوا أنهما مستقلان باستحقاق العبادة وإنما زعموا أن عبادتهما توصل إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وكأنه قيل: اتخذوني وأمي إلهين متوصلين بنا إلى الله سبحانه وتعالى. قال سبحانك أنزهك تنزيها من أن يكون لك شريك. ما يكون لي أن أقول م ليس لي بحق ما ينبغي لي أن أقول قولا لا يحق لي أن أقوله. إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك تعلم ما أخفيه في نفسي كما تعلم ما أعلنه، ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك. وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات. إنك أنت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ١١٧ الى ١١٨]

ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٢٩/٢

أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧) إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨)

ما قلت لهم إلا ما أمرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه. أن اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به، أو بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا راجع، أو خبر مضمر أو مفعوله مثل هو أو أعني، ولا يجوز إبداله من ما أمرتني به فإن المصدر لا يكون مفعول القول ولا أن تكون أن مفسرة لأن الأمر مسند إلى الله سبحانه وتعالى، وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكي بعده إلا أن يؤول القول بالأمر فكأن قيل: ما أمرتهم إلا بما أمرتني به أن اعبدوا الله. وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم أي رقيبا عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك ويعتقدوه، أو مشاهدا لأحوالهم من كفر وإيمان. فلما توفيتني بالرفع إلى السماء لقوله: إني متوفيك ورافعك والتوفي أخذ الشيء وافيا، والموت نوع منه قال الله تعالى: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها. كنت أنت الرقيب عليهم المراقب لأحوالهم فتمنع من أردت عصمته من القول به بالارشاد إلى الدلائل والتنبيه عليها بإرسال الرسل وإنزال الآيات. وأنت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له.

إن تعذبهم فإنهم عبادك أي إن تعذبهم فإنك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه، وفيه تنبيه على أنهم استحقوا ذلك لأنهم عبادك وقد عبدوا غيرك. وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فإنك القادر القوي على الثواب والعقاب، الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم، فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل. وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد والتعليق بأن.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ١١٩ الى ١٢٠]

قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم (١١٩) لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير (١٢٠)". (١)

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢/١٥١

"بديع السماوات والأرض من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، أو إلى الظرف كقولهم: ثبت الغدر بمعنى أنه عديم النظير فيهما، وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه، ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف أو على الابتداء وخبره. أنى يكون له ولد أي من أين أو كيف يكون له ولد. ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد. وقرئ بالياء للفصل أو لأن الاسم ضمير الله أو ضمير الشأن. وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية، وإنما لم يقل به لتطرق التخصيص إلى الأول، وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه: (الأول) أنه من مبدعاته السموات والأرضون، وهي مع أنها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو أولى بأن يتعالى عنها، أو أن ولد الشيء نظيره ولا نظير له فلا ولد.
(والثاني) أن المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وأنثى متجانسين والله سبحانه وتعالى منزه عن المجانسة.
(والثالث) أن الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له لوجهين: الأول أن كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه. والثاني أنه سبحانه وتعالى لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالإجماع.

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ١٠٢ الى ١٠٣]
ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل (١٠٢) لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (١٠٣)
ذلكم إشارة إلى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ. الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء أخبار مترادفة ويجوز أن يكون البعض بدلا أو صفة والبعض خبرا. فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فإن من استجمع هذه الصفات استحق العبادة. وهو على كل شيء وكيل أي وهو مع تلك الصفات متولي أموركم فكلوها إليه وتوسلوا بعبادته إلى إنجاح مآربكم ورقيب على أعمالكم فيجازيكم عليها.
لا تدركه أي لا تحيط به. الأبصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث إنها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف، إذ ليس الإدراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الأوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الأشخاص، فإنه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع أن النفي لا يوجب الامتناع. وهو يدرك الأبصار يحيط علمه بها. وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الأبصار كالأبصار، ويجوز أن يكون من باب اللف أي لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير، فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها.

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ١٠٤ الى ١٠٥]

قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤) وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون (١٠٥)

قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن، سميت بها الدلالة لأنها تجلي لها الحق وتبصرها به. فمن أبصر أي أبصر الحق ,آمن به. فلنفسه أبصر لأن نفسه لها. ومن عمي عن الحق وضل. فعليها وباله. وما أنا عليكم بحفيظ وإنما أنا منذر والله سبحانه وتعالى هو الحفيظ عليكم يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها، وهذا كلام ورد على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام.

وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف، وهو إجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف، وهو نقل الشيء من حال إلى حال. وليقولوا درست أي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة، والدرس القراءة والتعليم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دارست أي دارست أهل الكتاب وذاكرتهم، وابن عامر ويعقوب درست من الدروس أي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم أساطير الأولين. وقرئ «درست» بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت، أو عفيت ودارست بمعنى درست أو دارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم، وجاز إضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة، ودرسن أي عفون ودرس." (١)

"أي درس محمد صلى الله عليه وسلم ودراسات أي قديمات أو ذوات درس كقوله تعالى: في عيشة راضية. ولنبينه اللام على أصله لأن التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى، أو للقرآن وإن لم يذكر لكونه معلوما أو للمصدر. لقوم يعلمون فإنهم المنتفعون به.

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ١٠٦ الى ١٠٧]

اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين (١٠٦) ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل (١٠٧)

اتبع ما أوحي إليك من ربك بالتدين به. لا إله إلا هو اعتراض أكد به إيجاب الاتباع، أو حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الألوهية. وأعرض عن المشركين ولا تحتفل بأقوالهم ولا تلتفت إلى آرائهم، ومن جعله

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٧٦/٢

منسوخا بآية السيف حمل الإعراض على ما يعم الكف عنهم.
ولو شاء الله توحيدهم وعدم إشراكهم. ما أشركوا وهو دليل على أنه سبحانه وتعالى لا يريد إيمان الكافرين وأن مراده واجب الوقوع. وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا. وما أنت عليهم بوكيل تقوم بأمورهم.

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٠٨]
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون (١٠٨)
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله أي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح.
فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق إلى الباطل. بغير علم على جهالة بالله سبحانه وتعالى وبما يجب أن يذكر به. وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا.
روي: أنه عليه الصلاة والسلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون إلهك، فنزلت.
وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله سبحانه وتعالى، وفيه دليل على أن الطاعة إذا أدت إلى معصية راجحة وجب تركها فإن ما يؤدي إلى الشر شر. كذلك زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر بإحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا، ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل أمة بالكفرة لأن الكلام فيهم، والمشبه به تزيين سب الله لهم. ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازات عليه.

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ١٠٩ الى ١١٠]
وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون (١٠٩) ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون (١١٠)
وأقسموا بالله جهد أيمانهم مصدر في موقع الحال، والداعي لهم إلى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول صلى الله عليه وسلم في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها. لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم. ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وإرادتي. وما يشعركم وما يدريكم استفهام إنكار. أنها أي أن الآية المقترحة. إذا جاءت لا يؤمنون أي لا تدرون

أنهم لا يؤمنون، أنكر السبب مبالغة في نفي المسبب، وفيه تنبيه على أنه سبحانه وتعالى إنما لم ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت لا يؤمنون بها، وقيل لا مزيدة وقيل أن بمعنى لعل إذ قرئ لعلها قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم ويعقوب إنها بالكسر كأنه قال: وما يشعركم ما يكون منهم، ثم أخبركم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فإنهم يتمنون مجيء الآية طمعا في إيمانهم، فنزلت. وقيل للمشركين إذ قرأ ابن عامر وحمزة «لا تؤمنون»." (١)

"وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الأبناء من مستضعفيهم. مشارق الأرض ومغاربها يعني أرض الشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها. التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش. وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته إياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله تعالى: ونريد أن نمن إلى قوله: ما كانوا يحذرون وقرئ «كلمات ربك» لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد. ودمرنا وخربنا. ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات. وما كانوا يعرشون من الجنات أو ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وأبو بكر هنا وفي «النحل» يعرشون بالضم. وهذا آخر قصة فرعون وقومه.

[سورة الأعراف (٧) : آية ١٣٨]

وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون (١٣٨)

وقوله: وجاوزنا ببني إسرائيل البحر وما بعده ذكر ما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن من الله عليهم بالنعم الجسام، وأراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى منهم، وإيقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم.

روي: أن موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا.

فأتوا على قوم فمروا عليهم. يعكفون على أصنام لهم يقيمون على عبادتها، قيل كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل، والقوم كانوا من العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم. وقيل من لخم، وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر. قالوا يا موسى اجعل لنا إلها مثالا نعبده. كما لهم آلهة يعبدونها، وما كافة للكاف. قال إنكم قوم

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٧٧/٢

تجهلون وصفهم بالجهل المطلق وأكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٣٩ الى ١٤٠]

إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (١٣٩) قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين (١٤٠)

إن هؤلاء إشارة إلى القوم. متبر مكسر مدمر. ما هم فيه يعني أن الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل. ما كانوا يعملون من عبادتها وإن قصدوا بها التقرب إلى الله تعالى، وإنما بالغ في هذا الكلام بإيقاع هؤلاء اسم إن والإخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان، وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لأن للتنبيه على أن الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة، وأن الإحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا.

قال أغير الله أبغيكم إلها أطلب لكم معبودا. وهو فضلكم على العالمين والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم، وفيه تنبيه على سوء معاملتهم حيث قابلوا تخصيص الله إياهم من أمثالهم لما لم يستحقوه تفضلا بأن قصدوا أن يشركوا به أخس شيء من مخلوقاته.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٤١ الى ١٤٢]

وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (١٤١) وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين (١٤٢)

وإذ أنجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت. وقرأ ابن عامر «أنجاكم» .

يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما أنجاهم منه، أو حال من المخاطبين، أو من آل فرعون أو منهما.." (١)

"فإن تولوا فإن تتولوا. فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم فقد أديت ما علي من الإبلاغ وإلزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم. ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٣٢/٣

لهم بأن الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم وأموالهم، أو عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كأنه قيل: وإن تتولوا يعذرني ربي ويستخلف. ولا تضرونه بتوليكم. شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف أسقط النون منه. إن ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم، أو حافظ مستول عليه فلا يمكن أن يضره شيء.

ولما جاء أمرنا عذابنا أو أمرنا العذاب. نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا أربعة آلاف. ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم منه وهو السموم، كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم فتقطع أعضاءهم، أو المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضا، والتعريض بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ.

[سورة هود (١١) : الآيات ٥٩ الى ٦٠]

وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد (٥٩) وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود (٦٠)

وتلك عاد أنث اسم الإشارة باعتبار القبيلة أو لأن الإشارة إلى قبورهم وآثارهم. جحدوا بآيات ربهم كفروا بها. وعصوا رسله لأنهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما عصي الكل لأنهم أمروا بطاعة كل رسول. واتبعوا أمر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا إذا طغى، والمعنى عصوا من دعاهم إلى الإيمان وما ينجيهم وأطاعوا من دعاهم إلى الكفر وما يرديهم.

وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة أي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب.

ألا إن عادا كفروا ربهم جحدوه أو كفروا نعمه أو كفروا به فحذف الجار. ألا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك، والمراد به الدلالة على أنهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم، وإنما كرر ألا وأعاد ذكرهم تفظيعا لأمرهم وحثا على الاعتبار بحالهم. قوم هود عطف بيان لعاد، وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد إرم، والإيماء إلى أن استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود.

[سورة هود (١١) : آية ٦١]

وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب (٦١)

وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض هو كونكم منها لا غيره فإنه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب. واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر، أو أقدركم على عمارتها وأمركم بها، وقيل هو من العمري بمعنى أعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم، أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم.
فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب قريب الرحمة. مجيب لداعيه.

[سورة هود (١١) : الآيات ٦٢ الى ٦٣]
قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب (٦٢) قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير (٦٣)." (١)
"ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم. شقاقي معاداتي. أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق. أو قوم هود من الريح. أو قوم صالح من الرجفة وأن بصلتها ثاني مفعولي جرم، فإنه يعدى إلى واحد وإلى اثنين ككسب. وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي إلى مفعول واحد، والأول أفصح فإن أجرم أقل دورانا على ألسنة الفصحاء. وقرئ مثل بالفتح لإضافته إلى المبنى كقوله:
لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت ... حمامة في غصون ذات ارقال
وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا أو مكانا فإن لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم، أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما أصابهم، وإفراد البعيد لأن المراد وما إهلاكهم أو وما هم بشيء بعيد، ولا يبعد أن يسوي في أمثاله بين المذكر والمؤنث لأنها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق.
واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه عما أنتم عليه. إن ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين. ودود فاعل بهم من اللطف والإحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده، وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الإصرار.

[سورة هود (١١) : آية ٩١]
قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز (٩١)

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٣٩/٣

قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم. كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما، وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكرهم. وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه، أو لأنهم لم يلقوا إليه أذهانهم لشدة نفرتهم عنه. وإنا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا إن أردنا بك سوءا، أو مهينا لا عز لك، وقيل أعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف، ومنع بعض المعتزلة استنباء الأعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين. ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم، فإن الرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى التسعة. لرجمناك لقتلناك برمي الأحجار أو بأصعب وجه. وما أنت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم، وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب، والتهديد وفي إيلاء ضميره حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه لا في ثبوت العزة، وأن المانع لهم عن إيذائه عزة قومه ولذلك.

[سورة هود (١١) : الآيات ٩٢ الى ٩٣]

قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط (٩٢) ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣)

قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر بإشراككم به والإهانة برسوله فلا تبقون علي لله وتبقون علي لرهطي، وهو يحتمل الإنكار والتوبيخ والرد والتكذيب، وظهريا منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب. إن ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها.

ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة «الأنعام» والفاء في ف سوف تعلمون ثمة للتصريح بأن الإصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك، وحذفها ها هنا لأنه جواب سائل قال: فماذا يكون بعد ذلك؟ فهو أبلغ في التهويل. ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لأنه قسيم له كقولك: ستعلم الكاذب والصادق، بل لأنهم لما أو عدوه وكذبوه قال: سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم. وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الأول إليهم والثاني إليه لكنهم." (١)

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٤٦/٣

"لما كانوا يدعونه كاذبا قال: ومن هو كاذب على زعمهم. وارتقبوا وانتظروا ما أقول لكم. إني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم، أو المراقب كالعشير أو المرتقب كالرفيع.

[سورة هود (١١) : الآيات ٩٤ الى ٩٥]

ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٩٤) كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود (٩٥)

ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا إنما ذكره بالواو كما في قصة عاد إذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فإنه ذكر بعد الوعد وذلك قوله: وعد غير مكذوب وقوله: إن موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية. وأخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا. فأصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين، وأصل الجثوم اللزوم في المكان.

كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها. ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضا بالصيحة، غير أن صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم. وقرئ «بعدت» بالضم على الأصل فإن الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك، والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور.

[سورة هود (١١) : الآيات ٩٦ الى ٩٧]

ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين (٩٦) إلى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد (٩٧)

ولقد أرسلنا موسى بآياتنا بالتوراة أو المعجزات. وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة أو العصا، وإفرادها بالذكر لأنها أبهرها، ويجوز أن يراد بهما واحد أي: ولقد أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه أو موضحا إياها، فإن أبان جاء لازما ومتعديا، والفرق بينهما أن الآية تعم الأمارة، والدليل القاطع والسلطان يخص بالقاطع والمبين يخص بما فيه جلاء.

إلى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون فاتبعوا أمره بالكفر بموسى أو فما تبعوا موسى الهادي إلى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة، واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي إلى ما لا يخفى فساده على من له أدنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم. وما أمر فرعون برشيد مرشد أو

ذي رشد، وإنما هو غي محض وضلال صريح.

[سورة هود (١١) : الآيات ٩٨ الى ٩٩]

يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود (٩٨) وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود (٩٩)

يقدم قومه يوم القيامة إلى النار كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم.

فأوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى إتيانها موردا ثم قال: وبئس الورد المورود أي بئس المورد الذي وردوه فإنه يراد لتبريد الأكباد وتسكين العطش والنار بالضد، والآية كالدليل على قوله: وما أمر فرعون برشيد فإن من كان هذه عاقبته لم يكن في أمره رشد، أو تفسير له على أن المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها.

وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة أي يلعنون في الدنيا والآخرة. بئس الرفد المرفود بئس العون المعان أو العطاء المعطى، وأصل الرفد ما يضاف إلى غيره ليعمده، والمخصوص بالذم محذوف أي رفدهم وهو اللعنة في الدارين.." (١)

"الملك ولا يتعاظمه، وقيل إنه من كلام يعقوب ومعناه، إن حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد.

[سورة يوسف (١٢) : آية ٦٦]

قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل (٦٦)

قال لن أرسله معكم إذ رأيت منكم ما رأيت. حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله أي عهدا مؤكدا بذكر الله. لتأتنني به جواب القسم إذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به. إلا أن يحاط بكم إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك أو إلا أن تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال والتقدير: لتأتنني به على كل حال إلا حال الإحاطة بكم، أو من أعم العلل على أن قوله لتأتنني به، في تأويل النفي

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٤٧/٣

أي لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم كقولهم: أقسمت بالله إلا فعلت، أي ما أطلب إلا فعلك. فلما آتوه موثقهم عهدهم. قال الله على ما نقول من طلب الموثق وإتيانه. وكيل رقيب مطلع.

[سورة يوسف (١٢) : الآيات ٦٧ الى ٦٨]

وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون (٦٧) ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٦٨)

وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة لأنهم كانوا ذوي جمال وأبهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك، فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا، ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين حينئذ، أو كان الداعي إليها خوفه على بنيامين. وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه

قوله عليه الصلاة والسلام في عوذته «اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» .

وما أغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم بما أشرت به إليكم فإن الحذر لا يمنع القدر. إن الحكم إلا لله يصيبكم لا محالة إن قضي عليكم سوءا ولا ينفعكم ذلك. عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كأن الواو للعطف والفاء لإفادة التسبب، فإن فعل الأنبياء سبب لأن يقتدى بهم.

ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم أي من أبواب متفرقة في البلد. ما كان يغني عنهم رأي يعقوب واتباعهم له. من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام. فسرقوا وأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب. إلا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع أي ولكن حاجة في نفسه، يعني شفقته عليهم وحرازته من أن يعانوا. قضاها أظهرها ووصى بها. وإنه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج، ولذلك قال وما أغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره.

ولكن أكثر الناس لا يعلمون سر القدر وأنه لا يغني عنه الحذر.

[سورة يوسف (١٢) : آية ٦٩]

ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون (٦٩)

ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه ضم إليه بنيامين على الطعام أو في المنزل

روي: (أنه أضافهم." (١)

"أفمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير أو شر لا يخفي عليه شيء من أعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم، والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك. وجعلوا لله شركاء استئناف أو عطف على كسبت إن جعلت «ما» مصدرية، أو لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع الضمير لتنبيه على أنه المستحق للعبادة وقوله: قل سموهم تنبيه على أن هؤلاء الشركاء لا يستحقونها، والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة. أم تنبئونه بل أتنبئونه. وقرئ «تنبئونه» بالتخفيف. بما لا يعلم في الأرض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم، أو بصفات لهم يستحقونها لأجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء. أم بظاهر من القول أم تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على أسلوب عجيب ينادي على نفسه بالإعجاز. بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا أباطيل ثم خالوها حقا، أو كيدهم للإسلام بشركهم. وصدوا عن السبيل سبيل الحق، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح أي وصدوا الناس عن الإيمان، وقرئ بالكسر «وصد» بالتنوين. ومن يضلل الله يخذله.

فما له من هاد يوفقه للهدى.

لهم عذاب في الحياة الدنيا

بالقتل والأسر وسائر ما يصيبهم من المصائب. ولعذاب الآخرة أشق

لشدته ودوامه. وما لهم من الله

من عذابه أو من رحمته. من واق

حافظ.

[سورة الرعد (١٣) : آية ٣٥]

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٧٠/٣

مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار (٣٥)

مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة، وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره. تجري من تحتها الأنهار على طريقة قولك صفة زيد أسمر، أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الأنهار، أو على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد أو المحذوف أو من الصلة. أكلها دائم لا ينقطع ثمرها. وظلها أي وظلها وكذلك لا ينسخ في الدنيا بالشمس تلك أي الجنة الموصوفة. عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى أمرهم.

وعقبى الكافرين النار لا غير، وفي ترتيب النظمين إطماع للمتقين وإقناط للكافرين.

[سورة الرعد (١٣) : آية ٣٦]

والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعوا وإليه مآب (٣٦)

والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك يعني المسلمين من أهل الكتاب كابن سلام وأصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة، أو عامتهم فإنهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم. ومن الأحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما. من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم أو ما يوافق ما حرفوه منها. قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به جواب للمنكرين أي قل لهم إني أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله وأوحده، وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم إلى إنكاره، وأما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الإلهية في جزئيات الأحكام. وقرئ «ولا أشرك» بالرفع على الاستئناف. إليه أدعوا لا إلى غيره. وإليه مآب وإليه مرجعي للجزاء لا إلى غيره، وهذا هو القدر المتفق عليه بين الأنبياء، وأما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالأعصار والأمم فلا معنى لإنكاركم المخالفة فيه.." (١)

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٨٩/٣

"[سورة النحل (١٦) : آية ٩٠]

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون (٩٠)

إن الله يأمر بالعدل بالتوسط في الأمور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك، والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر، وعملا كالتعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب، وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير. والإحسان إحسان الطاعات، وهو إما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل أو بحسب الكيفية كما

قال عليه الصلاة والسلام «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

وإيتاء ذي القربى وإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة. وينهى عن الفحشاء عن الإفراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فإنه أقبح أحوال الإنسان وأشنعها. والمنكر ما ينكر على متعاطيه في إثارة القوة الغضبية. والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم، فإنها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية، ولا يوجد من الإنسان شر إلا وهو مندرج في هذه الأقسام صادر بتوسط إحدى هذه القوى الثلاث، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: هي أجمع آية في القرآن للخير والشر. وصارت سبب إسلام عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه، ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين، ولعل إيرادها عقيب قوله: ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه. يعظكم بالأمر والنهي والميز بين الخير والشر. لعلكم تذكرون تتعظون.

[سورة النحل (١٦) : آية ٩١]

وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون (٩١)

وأوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام لقوله تعالى: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله. وقيل كل أمر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله: إذا عاهدتم وقيل النذور، وقيل الإيمان بالله ولا تنقضوا الأيمان أي أيمان البيعة أو مطلق الأيمان. بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله تعالى، ومنه أكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فإن الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه إن الله يعلم ما تفعلون من نقض الأيمان والعهود.

[سورة النحل (١٦) : آية ٩٢]
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون (٩٢)
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته، مصدر بمعنى المفعول. من بعد قوة متعلق ب نقضت أي نقضت غزلها من بعد إبرام وإحكام. أنكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث، وانتصابه على الحال من غزلها أو المفعول الثاني لنقضت فإنه بمعنى صيرت، والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه.
وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فإنها كانت خرقاء تفعل ذلك. تتخذون أيمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا، أو في الجار الواقع موقع الخبر أي لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها، متخذي أيمانكم مفسدة ودخلا بينكم، وأصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه. أن تكون أمة هي أربى من أمة لأن تكون جماعة أزيد عددا وأوفر مالا من جماعة، والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم أو لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش، فإنهم كانوا إذا رأوا شوكة في أعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم. إنما يبلوكم الله به الضمير لأن تكون أمة لأنه بمعنى المصدر أي يختبركم بكونهم أربى لينظر. أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم. وقيل." (١)

"[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧٩ الى ٨٠]
كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا (٧٩) ونرثه ما يقول ويأتينا فردا (٨٠)
كلا ردع وتنبيه على أنه مخطئ فيما تصوره لنفسه. سنكتب ما يقول سنظهر له أنا كتبنا قوله على طريقة قوله:
إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة أي تبين أني لم تلدني لئيمة، أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فإن نفس الكتابة لا تتأخر عن القول لقوله تعالى: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد. ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستأهله، أو نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه واستهزائه على الله جلت عظمته، ولذلك أكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه. ونرثه بموته. ما يقول يعني

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢٣٨/٣

المال والولد. ويأتينا يوم القيامة. فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا أن يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٨١ الى ٨٢]

واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا (٨١) كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا (٨٢)

واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة إلى الله وشفعاء عنده.

كلا ردع وإنكار لتعززهم بها. سيكفرون بعبادتهم ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله تعالى:

إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا أو سينكر الكفرة لسوء العاقبة أنهم عبدوها لقوله تعالى:

ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين. ويكونون عليهم ضدا يؤيد الأول إذا فسر الضد بضد العز، أي ويكونون عليهم ذلا، أو بضدهم على معنى أنها تكون معونة في عذابهم بأن توقد بها نيرانهم، أو جعل الواو للكفرة أي يكونون كافرين بهم بعد أن كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم، فإنهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره

قوله عليه الصلاة والسلام «وهم يد على من سواهم» .

وقرئ كلا بالتنوين على قلب الألف نونا في الوقف قلب ألف الإطلاق في قوله:

أقلي اللوم عاذل والعتابن أو على معنى كل هذا الرأي كلا وكلا على إضمار فعل يفسره ما بعده أي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٨٣ الى ٨٤]

ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (٨٣) فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا (٨٤)

ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين بأن سلطناهم عليهم أو قيضنا لهم قرناء. تؤزهم أزا تهزهم وتعزيهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات، والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة.

فلا تعجل عليهم بأن يهلكوا حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الأرض من فسادهم.

إنما نعد لهم أيام آجالهم. عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فإنه لم يبقى لهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة.." (١)

"إليهما. وقيل المراد بالتسبيح الصلاة.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤٣ الى ٤٤]

هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

هو الذي يصلي عليكم بالرحمة. وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم، والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار من الصلو. وقيل الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود، واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو السبب للرحمة من حيث إنهم مجابو الدعوة. ليخرجكم من الظلمات إلى النور من ظلمات الكفر والمعصية إلى نوري الإيمان والطاعة. وكان بالمؤمنين رحيما حيث اعتنى بصلاح أمرهم وإنافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين.

تحيتهم من إضافة المصدر إلى المفعول أي يحيون. يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت أو الخروج من القبور، أو دخول الجنة. سلام إخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة. وأعد لهم أجرا كريما هي الجنة، ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهم.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤٥ الى ٤٦]

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦)

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا على من بعثت إليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة. ومبشرا ونذيرا.

وداعيا إلى الله إلى الإقرار به وبتوحيده وما يجب الإيمان به من صفاته. بإذنه بتيسيره وأطلق له من حيث أنه من أسبابه وقيد به الدعوة إيذانا بأنه أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة من جناب قدسه. وسراجا منيرا

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٩/٤

يستضاء به عن ظلمات الجهالات ويقتبس من نوره أنوار البصائر.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤٧ الى ٤٨]

وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨)

وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا على سائر الأمم أو على جزاء أعمالهم، ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب أحوال أمتك.

ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم. ودع أذاهم إيذاءهم إياك ولا تحتفل به، أو إيذاءك إياهم مجازاة أو مؤاخذة على كفرهم، ولذلك قيل إنه منسوخ. وتوكل على الله فإنه يكفيكهم. وكفى بالله وكيلا موكولا إليه الأمر في الأحوال كلها، ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه، فحذف مقابل الشاهد وهو الأمر **بالمراقبة** لأن ما بعده كالتفصيل له، وقابل المبشر بالأمر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن **مراقبة** الكفار والمبالاة بأذاهم والداعي إلى الله بتيسيره بالأمر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فإن من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بأن يكتفى به عن غيره.

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٤٩]

يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا (٤٩)." (١)

"أيمانهم

من توسيع الأمر فيها أنه كيف ينبغي أن يفرض عليهم، والجملة اعتراض بين قوله: لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على أن الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه، بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس أخرى. وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه. رحيما بالتوسعة في مظان الحرج.

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٤/٢٣٤

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٥١]

ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما (٥١)

ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها. وتؤوي إليك من تشاء وتضم إليك من تشاء وتضاجعها، أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء. وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد. ومن ابتغيت طلبت. ممن عزلت طلقت بالرجعة. فلا جناح عليك في شيء من ذلك.

ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك التفويض إلى مشيئتك أقرب إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا، لأن حكم كلهن فيه سواء، ثم إن سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وإن رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله تعالى فتطمئن به نفوسهن، وقرئ «تقر» بضم التاء و «أعينهن» بالنصب و «تقر» بالبناء للمفعول و «كلهن» تأكيد نون يرضين، وقرئ بالنصب تأكيدا لهن. والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في إحسانه. وكان الله عليما بذات الصدور. حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتقى.

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٥٢]

لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢)

لا يحل لك النساء بالياء لأن تأنيث الجمع غير حقيقي، وقرأ البصريان بالتاء. من بعد من بعد التسع وهو في حقه كالأربع في حقنا، أو من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى. ولا أن تبدل بهن من أزواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق. ولو أعجبك حسنهن حسن الأزواج المستبدلة، وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من أزواج لتوغله في التنكير، وتقديره مفروضا إعجابك بهن واختلف في أن الآية محكمة أو منسوخة بقوله: ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء على المعنى الثاني فإنه وإن تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا. وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الأجناس الأربعة اللاتي نص على إحلالهن لك ولا أن تبدل بهن أزواجا من أجناس أخر.

إلا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء، وقيل منقطع. وكان الله على كل شيء

رقيبا فتحفظوا أمركم ولا تتخطوا ما حد لكم.

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٥٣]
يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما (٥٣)
.." (١)

"الموجودات الممكنة. وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون يحتمل أن يكون تمام كلام الجلود وأن يكون استئنافا.

وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم أي كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة، وما ظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم بها فما استترتم عنها. وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن يتحقق أنه لا يمر عليه حال إلا وهو عليه رقيب. ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم.

[سورة فصلت (٤١) : الآيات ٢٣ الى ٢٤]
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين (٢٣) فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين (٢٤)

وذلكم إشارة إلى ظنهم هذا، وهو مبتدأ وقوله: ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم خبران له ويجوز أن يكون ظنكم بدلا وأرداكم خبرا. فأصبحتم من الخاسرين إذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سببا لشقاء المنزلين.

فإن يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها. وإن يستعتبوا يسألوا العتبى وهي الرجوع إلى ما يحبون. فما هم من المعتبين المجابين إليها ونظيره قوله تعالى حكاية أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ «وإن

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٤/٢٣٦

يستعتبوا فما هم من المعتبين» ، أي إن يسألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة.

[سورة فصلت (٤١) : آية ٢٥]

وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين (٢٥)

وقيضنا وقدرنا. لهم للكفرة. قرناء أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القبض على البيض وهو القشر. وقيل أصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة. فزينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات. وما خلفهم من أمر الآخرة وإنكاره. وحق عليهم القول أي كلمة العذاب. في أمم في جملة أمم كقوله:

إن تك عن أحسن الصنيءة مأ ... فوكا ففي آخرين قد أفكوا

وهو حال من الضمير المجرور. قد خلت من قبلهم من الجن والإنس وقد عملوا مثل أعمالهم.

إنهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب، والضمير لهم ولل أمم.

[سورة فصلت (٤١) : الآيات ٢٦ الى ٢٧]

وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون (٢٦) فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون (٢٧)

وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه بالخرافات أو ارفعوا أصواتكم بها لتشوشوه على القارئ، وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغي ولغا يلغو إذا هذى. لعلكم تغلبون أي تغلبونه على قراءته.

فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء القائلون، أو عامة الكفار. ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون سيئات أعمالهم وقد سبق مثله.." (١)

"والذين اتخذوا من دونه أولياء شركاء وأندادا. الله حفيظ عليهم رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها. وما أنت يا محمد. عليهم بوكيل بموكل بهم أو بموكول إليك أمرهم.

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٧٠/٥

وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا الإشارة إلى مصدر يوحي أو إلى معنى الآية المتقدمة، فإنه مكرر في القرآن في مواضع جمة فتكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حال منه. لتنذر أم القرى أهل أم القرى وهي مكة شرفها الله تعالى. ومن حولها من العرب. وتنذر يوم الجمع يوم القيامة يجمع فيه الخلائق أو الأرواح أو الأشباح، أو العمال والأعمال وحذف ثاني مفعولي الأول وأول مفعولي الثاني للتهويل وإيهام التعميم، وقرئ «لينذر» بالياء والفعل «للقرآن» . لا ريب فيه اعتراض لا محل له من الإعراب.

فريق في الجنة وفريق في السعير أي بعد جمعهم في الموقف يجمعون أولا ثم يفرقون، والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه، وقرئا منصوبين على الحال منهم أي وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق، أو متفرقين في داري الثواب والعقاب.

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٨ الى ١٠]

ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير (٨) أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحي الموتى وهو على كل شيء قدير (٩) وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب (١٠)

ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة مهتدين أو ضالين. ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة. والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير أي يدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه، ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد إذ الكلام في الإنذار.

أم اتخذوا بل اتخذوا. من دونه أولياء كالأصنام. فالله هو الولي جواب لشرط محذوف مثل إن أرادوا أولياء بحق فالله هو الولي بالحق. وهو يحي الموتى وهو على كل شيء قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية.

وما اختلفتم أنتم والكفار. فيه من شيء من أمر من أمور الدنيا أو الدين. فحكمه إلى الله مفوض إليه يميز المحق من المبطل بالنصر أو بالإثابة والمعاقبة. وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه إلى المحكم من كتاب الله. ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع الأمور. وإليه أنيب إليه أرجع في المعضلات.

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ١١ الى ١٢]

فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (١١) له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم (١٢)

فاطر السماوات والأرض خبر آخر ل ذلكم أو مبتدأ خبره. جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير أو الوصف لإلى الله. من أنفسكم من جنسكم. أزواجا نساء. ومن الأنعام أزواجا أي وخلق للأنعام من جنسها أزواجا، أو خلق لكم من الأنعام أصنافا أو ذكورا وأناثا. يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر والذرو والضمير على الأول للناس، والأنعام على تغليب المخاطبين." (١)

"الدنيا.

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٤٥ الى ٤٦]

وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم (٤٥) وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل (٤٦)

وتراهم يعرضون عليها على النار، ويدل عليه العذاب. خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل. ينظرون من طرف خفي أي يبتدئ نظرهم إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر إلى السيف. وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم بالتعريض للعذاب المخلد. يوم القيامة ظرف ل خسروا والقول في الدنيا، أو لقال أي يقولون إذا رأوهم على تلك الحال. ألا إن الظالمين في عذاب مقيم تمام كلامهم أو تصديق من الله لهم.

وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل إلى الهدى أو النجاة.

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٤٧ الى ٤٨]

استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧) فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨)

استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة ل مرد. وقيل صلة يأتي أي من قبل أن يأتى يوم من الله لا يمكن رده. ما لكم من ملجإ مفر.

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٥/٧٧

يومئذ وما لكم من نكير إنكار لما اقترفتموه لأنه مدون في صحائف أعمالكم تشهد عليه ألسنتكم وجوارحكم.

فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا رقيبا أو محاسبا. إن عليك إلا البلاغ وقد بلغت. وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها أراد بالإنسان الجنس لقوله: وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولا يتأمل سببها، وهذا وإن اختص بالمجرمين جاز إسناده إلى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه. وتصدير الشرطية الأولى ب إذا والثانية ب إن لأن أذاقة النعمة محققة من حيث أنها عادة مقتضاة بالذات بخلاف إصابة البلية، وإقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعمة.

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٤٩ الى ٥٠]

لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩) أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير (٥٠)

لله ملك السماوات والأرض فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء. يخلق ما يشاء من غير لزوم ومجال اعتراض. يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور.

أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض، والمعنى يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض إما صنفا واحدا من ذكر أو أنثى أو الصنفين جميعا ويعقم آخرين، ولعل تقديم الإناث لأنها أكثر لتكثير النسل، أو لأن مساق الآية للدلالة على أن الواقع ما يتعلق به مشيئة الله لا مشيئة الإنسان والإناث كذلك، أو لأن الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء، أو لتطييب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور، أو لجبر التأخير وتغيير العاطف في." (١)

"كان أقرب إليه من حبل الوريد، تجوز بقرب الذات لقرب العلم لأنه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال: والموت أدنى من الوريد. وال حبل العرق وإضافته للبيان، والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه، وقيل سمي وريدا لأن الروح ترده.

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٨٤/٥

[سورة ق (٥٠) : الآيات ١٧ الى ١٨]

إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨)

إذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر أو متعلق ب أقرب، أي هو أعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى أي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به، وفيه إيذان بأنه غني عن استحفاظ الملكين فإنه أعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما، لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد يثبط العبد عن المعصية، وتأكيد في اعتبار الأعمال وضبطها للجزاء وإلزام للحجة يوم يقوم الاشهاد. عن اليمين وعن الشمال قعيد أي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، أي مقاعد كالجليس فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كقوله: فإني وقيار بها لغريب.

وقد يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله: والملائكة بعد ذلك ظهير.

ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه. إلا لديه رقيب ملك يرقب عمله. عتيد معد حاضر، ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب أو عقاب

وفي الحديث «كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر» .

[سورة ق (٥٠) : الآيات ١٩ الى ٢٠]

وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩) ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد (٢٠)

وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وأزاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه أعلمهم بأنهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة، ونبه على اقترابه بأن عبر عنه بلفظ الماضي، وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك: جاء زيد بعمرو. والمعنى وأحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر أو الموعود الحق، أو الحق الذي ينبغي أن يكون من الموت أو الجزاء، فإن الإنسان خلق له أو مثل الباء في تنبت بالدهن. وقرئ «سكرة الحق بالموت» على أنها لشدتها اقتضت الزهوق أو لاستعقابها له كأنها جاءت به، أو على أن الباء بمعنى مع. وقيل سكرة الحق سكرة الله وإضافتها إليه للتهويل. وقرئ «سكرات الموت» . ذلك أي الموت. ما كنت منه تحيد تميل وتنفر عنه والخطاب للإنسان.

ونفخ في الصور يعني نفخة البعث. ذلك يوم الوعيد أي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وإنجازه والإشارة إلى مصدر نفخ.

[سورة ق (٥٠) : الآيات ٢١ الى ٢٢]

وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٢)

وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان أحدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله، أو ملك جامع للوصفين. وقيل السائق كاتب السيئات، والشهيد كاتب الحسنات. وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله، ومحل معها النصب على الحال من كل لإضافته إلى ما هو في حكم المعرفة.

لقد كنت في غفلة من هذا على إضمار القول والخطاب لكل نفس إذ ما من أحد إلا وله اشتغال ما عن الآخرة أو للكفار. فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لأمور المعاد، وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والإلف بها وقصور النظر عليها. فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للأبصار. وقيل." (١)

"وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار. المهيمن **الرقيب** الحافظ لكل شيء مفيعل من الأمن قلبت همزته هاء. العزيز الجبار الذي جبر خلقه على ما أراده، أو جبر حالهم بمعنى أصلحه. المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصانا. سبحان الله عما يشركون إذ لا يشركه في شيء من ذلك. هو الله الخالق المقدر للأشياء على مقتضى حكمته. البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت.

المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد. (ومن أراد الإطناب في شرح هذه الأسماء وأخواتها فعليه بكتابي المسمى ب «منتهى المنى» . له الأسماء الحسنى لأنها دالة على محاسن المعاني. يسبح له ما في السماوات والأرض لتنزهه عن النقائص كلها. وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات بأسرها فإنها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم.

عن النبي صلى الله عليه وسلم «من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» .." (٢)

"(٨٦) سورة الطارق

مكية وآيها سبع عشرة آية

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٤١/٥

(٢) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢٠٣/٥

[سورة الطارق (٨٦) : الآيات ١ الى ٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق (١) وما أدراك ما الطارق (٢) النجم الثاقب (٣) إن كل نفس لما عليها حافظ (٤)

والسماء والطارق والكوكب البادي بالليل وهو في الأصل لسالك الطريق، واختص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي فيه.

وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه، أو الأفلاك والمراد الجنس أو معهود بالثقب وهو زحل، عبر عنه أولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه.

إن كل نفس لما عليها أي إن الشان كل نفس لعليها. حافظ رقيب فإن هي المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على أنها بمعنى إلا وأن نافية، والجملة على الوجهين جواب القسم.

[سورة الطارق (٨٦) : الآيات ٥ الى ٧]

فلينظر الإنسان مم خلق (٥) خلق من ماء دافق (٦) يخرج من بين الصلب والترائب (٧)

فلينظر الإنسان مم خلق لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ اتبعه توصية الإنسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة إعادته فلا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته.

خلق من ماء دافق جواب الاستفهام وماء بمعنى ذي دفق، وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين في الرحم لقوله:

يخرج من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها، ولو صح أن النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد لأن يتولد منها مثل تلك الأعضاء، ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين، فلا شك أن الدماغ أعظم الأعضاء معونة في توليدها، ولذلك تشبهه، ويسرع الإفراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهو النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب، وهما أقرب إلى أوعية المني فلذلك خصا بالذكر. وقرئ «الصلب» بفتحتين و «الصلب» بضمتين وفيه لغة رابعة وهي «صالب» .

[سورة الطارق (٨٦) : الآيات ٨ الى ١٠]

إنه على رجعه لقادر (٨) يوم تبلى السرائر (٩) فما له من قوة ولا ناصر (١٠)

إنه على رجعه لقادر والضمير للخالق ويدل عليه خلق.

يوم تبلى السرائر تتعرف ويميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الأعمال وما خبث منها، وهو ظرف ل رجعه.

فما له فما للإنسان. من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها. ولا ناصر يمنعه.." (١)

"وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم (١٤٣)

{وكذلك جعلناكم} ومثل ذلك الجعل جعلناكم فالكاف للتشبيه وذاجر بالكاف واللام للفرق بين الإشارة إلى القريب والإشارة إلى البعيد والكاف للخطاب لا محل لها من الإعراب {أمة وسطا} خيارا وقيل للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محمية أي كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الأمم أو عدولا لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض أي كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم أمة وسطا بين العلو والتقصير فانكم لم تغلو غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالألوهية ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بأنه ولد الزنا {لتكونوا شهداء} غير منصرف لمكان ألف التأنيث {على الناس} صلة شهداء {ويكون الرسول عليكم شهيدا} عطف على لتكونوا روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالب الله الأنبياء البينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الأمم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم والشهادة قد تكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسامع في الأشياء المعروفة ولما كان الشهيد **كالرقيب** جيء بكلمة الاستعلاء كقوله تعالى {كنت أنت **الرقيب** عليهم} وقيل {لتكونوا شهداء على الناس} في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول." (٢)

"الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك جماعة فلما سكروا منها تخاصموا وتضاربوا فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل انتم منتهون

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٣٠٣/٥

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١٣٧/١

فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضى الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه والخمر ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وسميت بمصدر خمره خمرا إذا ستره لتغطيتها العقل والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد من فعله يقال يسرته إذا قمرته واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة بلا كد وتعب أو من اليسار كأنه سلب يساره وصفة الميسر أنه كانت لهم عشرة أقداح سبعة منها عليها خطوط وهو الفذ وله سهم والتوأم وله سهمان **والرقيب** وله ثلاثة والحلس وله أربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة أغفال لا نصيب لها وهي المنيح والسفيح والوغد فيجعلون الأقداح في خريطة ويضعونها على يد عدل ثم يجلجلها ويدخل يده ويخرج باسم رجل قدحا قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجذور كله وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه وفي حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل {قل فيهما إثم كبير} بسبب التخاصم والتشاتم وقول الفحش والزور كثير حمزة وعلي {ومنافع للناس} بالتجارة في الخمر والتلذذ بشربها وفى الميسر بارتفاق الفقراء أو نيل المال بلا كد {وإثمهما} وعقاب الإثم في تعاطيهما {أكبر من نفعهما} لأن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة {ويسألونك ماذا." (١)

"يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم **رقيبا** (١)

{يا أيها الناس} يا بني آدم {اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة} فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم {وخلق منها زوجها} معطوف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها وخلق منها زوجها والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهى أنه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق منها زوجها حواءمن ضلع من أضلاعه {وبث منهما} ونشر من آدم وحواء {رجالا كثيرا ونساء} كثيرة أي وبث منهما نوعي جنس الإنس وهما الذكور والإناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها أو على خلقكم والخطاب في يا أيها الناس للذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١٨٢/١

نفس آدم وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الأمم الفائتة للحصر فإن قلت الذي تقتضيه جزالة النظم أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يدعوا إليها فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره داعيا إليها قلت لأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب." (١)

"الكفار والفجار فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولأن يدل

النساء (١ _ ٣)

على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن يتقوه في كفرانها قال عليه السلام عند نزول الآية خلقت المرأة من الرجل فهمها في الرجل وخلق الرجل من التراب فهمه في التراب {واتقوا الله الذى تساءلون به} والأصل تتساءلون فأدغمت التاء في السين بعد إبدالها سينا لقرب التاء من السين للهمس تساءلون به بالتخفيف كوفي على حذف التاء الثانية استثقالا لاجتماع التاءين أى يسأل بعصكم بعضا بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف {والأرحام} بالنصب على أنه معطوف على اسم الله تعالى أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها أو على موضع الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمر أو بالجر حمزة على عطف الظاهر على الضمير وهو ضعيف لأن الضمير المتصل كاسمه متصل والجار والمجرور كسئ واحد فأشبه العطف على بعض الكلمة {إن الله كان عليكم **رقيبا**} حافظا أو عالما." (٢)

"ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (٦٩)

{ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين} كأفاضل صحابة الأنبياء والصديق المبالغ في صدق ظاهره بالمعاملة وباطنه **بالمراقبة** أو الذي يصدق قوله بفعله {والشهداء} والذين استشهدوا." (٣)

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١/٣٢٦

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١/٣٢٧

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١/٣٧١

"معنى أي إجابة أجبتم {قالوا لا علم لنا} بإخلاص قومنا دليله {إنك أنت علام الغيوب} أو بما أحدثوا بعدنا دليله كنت أنت الرقيب عليهم أو قالوا ذلك تأدبا أي علمنا ساقط مع علمك ومغمور به فكأنه لا علم لنا." (١)

"ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧)
{ما قلت لهم إلا مآ أمرتني به} أى مأمرتهم إلا بما أمرتنى به ثم فسرما أمر به فقال {أن اعبدوا الله ربي وربكم} فإن مفسرة بمعنى أي {وكنت عليهم شهيدا} رقيبا {ما دمت فيهم} مدة كوني فيهم {فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم} الحفيظ وأنت على كل شيء شهيد من قولي وفعلي وقولهم وفعلهم." (٢)

"مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهي {الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء} وقوله {فاعبدوه} مسبب عن مضمون الجملة أي من استجمعت له هذه الصفات كان هوالحقيقى بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه {وهو على كل شيء وكيل} أي هو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال رقيب على الأعمال." (٣)

"فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ (٥٧)
{فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم} هو فى موضع فقد ثبتت الحجة عليكم {ويستخلف ربى قوما غيركم} كلام مستانف أى ويهلككم الله ويجئ بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم {ولا تضرونه} بتوليكم {شيئا} من ضرر قط إذ لا يجوز عليه المضار وإنما تضرون أنفسكم {إن ربى على كل شيء حفيظ}
رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيبا على الأشياء كلها حافظا لها وكانت الأشياء مفتقرة إلى حفظه عن المضار لم يضر مثله مثلكم." (٤)

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤٨٤/١
(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤٨٧/١
(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٥٢٧/١
(٤) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٦٨/٢

"ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣)

{ويا قوم اعملوا على مكانتكم} هي بمعنى المكان يقال مكان." (١)

"ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن فهو مكين إذا تمكن من الشيء يعنى اعملوا قارين على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك والشنآن لي أو اعملوا متمكنين من عداوتي مطبقين لها {إنى عامل} على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني {سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب} من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا نأتيه عذاب يخزيه أي يفضحه وأينا هو كاذب أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف

هود (٩٣ _ ٩٨)

تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فى زعمكم ودعوا كم وإدخال الفاء في سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعها وصل تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون والإتيان بالوجهين للتفنن في البلاغة وأبلغهما الاستئناف {وارتقبوا} وانتظروا العاقبة وما أقول لكم {إنى معكم رقيب} منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب بمعنى الضارب أو بمعنى المراقب كالعشير بمعنى المعاشر أو بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع." (٢)

"قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل (٦٦)

{قال لن أرسله معكم حتى تؤتون} وبالياء مكي {موثقا} عهدا {من الله} والمعنى حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله أي أراد أن يحلفوا له بالله وإنما جعل الحلف بالله موثقا منه لأن الحلف به مما يؤكد به العهود وقد أذن الله في ذلك فهو إذن منه {لتأتننى به} جواب اليمين لأن المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به {إلا أن يحاط بكم} إلا أن تغلبوا فلم تطيقوا الإتيان به فهو مفعول له والكلام المثبت وهو قوله {لتأتنني به} فى تأويل النفى فلا بد من تأويله بالنفى أى لا تمتنعوا من الاتيان إلا للاحاطة بكم يعنى لاتمتنعوا منه

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٨٠

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٨١

لعلة من العلل إلا لعلة واحدة وهي أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام في المفعول له والاستثناء من أعم العام لا يكون لا في النفي فلا بد من تأويله بالنفي {فلما آتوه موثقهم} قيل حلفوا بالله رب محمد عليه السلام {قال} بعضهم يسكت عليه لأن المعنى قال يعقوب {الله على ما نقول} من طلب الموثق وإعطائه {وكيل} رقيب مطلع غير أن السكتة تفصل بين القول والمقول وذا لا يجوز فالأولى أن يفرق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النغمة اسم الله." (١)

"أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٣)

{أفمن هو قائم} احتجاج عليهم في إشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو رقيب {على كل نفس} صالحة أو طالحة {بما كسبت} يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ثم استأنف فقال {وجعلوا لله شركاء} أي الأصنام {قل سموهم} أي سموهم له من هم ونبؤه بأسمائهم ثم قال {أم تنبئونه بما لا يعلم فى الأرض} على أم المنقطعة أي بل اتنبؤنه بشركاء لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات والأرض فاذا لم يعلمهم على أنهم ليسوا بشيء والمراد نفي أن يكون له شركاء {أم بظاهر من القول} بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها {بل زين للذين كفروا مكرهم} كيدهم للإسلام بشركهم {وصدوا عن السبيل} عن سبيل الله بضم الصاد كوفي وبفتحها غيرهم ومعناه وصدوا المسلمين عن سبيل الله {ومن يضلل الله فما له من هاد} من أحد يقدر على هدايته." (٢)

"وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون (٩١)

{وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم} هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله {ولا تنقضوا الأيمان} أيمان البيعة {بعد توكيدها} بعد توثيقها باسم الله وأكد ووكد لغتان

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/١٢٣

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/١٥٦

فصيحتان والأصل الواو والهمزة بدل منها {وقد جعلتم الله عليكم كفيلا} شاهدا ورقيبا لأن الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه {إن الله يعلم ما تفعلون} من البر والحنث فيجازيكم به." (١)

"كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا (٧٩)

{كلا} ردع وتنبيه على الخطأ أي هو مخطئ فيما تصوره لنفسه فليرتدع عنه {سنكتب ما يقول} أي قوله والمراد سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله لأنه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وهو كقوله ... إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ...

أي علم وتبين بالانتساب أني لست بابن لئيمة {ونمد له من العذاب} نزيده من العذاب كما يزيد في الافتراء والاجتراء من المدد يقال مده وأمده." (٢)

"قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل (٢٨)

{قال} موسى {ذلك} مبتدأ وهوإشارة إلى ما عاهده عليه شعيب والخبر {بيني وبينك} يعني ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا أنا فيما شرطت علي ولا أنت فيما شرطت على نفسك ثم قال {أيما الأجلين قضيت} أي أي أجل قضيت من الأجلين يعني العشرة أو الثمانية وأي نصب بقضيت وما زائدة ومؤكدة لا بهام أي وهي شرطية وجوابها {فلا عدوان علي} أي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه قال المبرد قد علم أنه لا عدوان عليه في أيهما ولكن جمعهما ليجعل الأقل كالأتم في الوفاء وكما أن طلب الزيادة على الأتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الأقل {والله على ما نقول وكيل} هو من وكل إليه الأمر وعدى بعلى لأنه استعمل في موضع الشاهد والرقيب روي أن شعيبا كانت عنده عصي الأنبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل أدخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأنا ولما أصبح قال له شعيبا إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر." (٣)

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٢٣٠

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٣٥٠

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٦٣٩

"لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢)

{لا يحل لك النساء} بالتاء أبو عمرو ويعقوب وغيرهما بالتذكير لأن تأنيث الجمع غير وإذا جاز بغير فصل فمع الفصل أجوز {من بعد} من بعد التسع لأن التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما أن الاربع تصاب أمته {ولا أن تبدل بهن من أزواج} بالطلاق والمعنى ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن كرامة لهن وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع التي مات عنهن عائشة حفصة أم حبيبة سودة أم سلمة صفية ميمونة زينب بنت جحش جويرية ومن فى من أزواج لتأكيد النفى وفائدته استغراق جنس الازواج باتحريم {ولو أعجبك حسنهن} في موضع." (١)

"الحال من الفاعل وهو الضمير من تبدل أي تتبدل لا من المفعول الذي هو من أزواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا إعجابك بهن وقيل هي أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب فإنها ممن أعجبه حسنهن وعن عائشة وأم سلمة ما مات رسول اللة صلى الله عليه وسلم حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء يعني أن الآية نسخت ونسخها إما بالسنة أو بقوله إنا أحللنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف {إلا ما ملكت يمينك} استثنى ممن حرم عليه الإماء ومحل ما رفع بدل من النساء {وكان الله على كل شىء رقيبا} حافظا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده." (٢)

"والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل (٦)

{والذين اتخذوا من دونه أوليآء} أي جعلوا له شركاء وأندادا {الله حفيظ عليهم} رقيب على أقوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شيء فيجازيهم عليها {ومآ أنت} يا محمد {عليهم بوكيل} بموكل عليهم ومفوض إليك أمرهم إنما أنت منذر فحسب." (٣)

"وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير (٧)

{وكذلك} ومثل ذلك {أوحينآ إليك} وذلك إشارة إلى معنى الآية التي قبلها من أن الله رقيب عليهم لا

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤٠/٣

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤١/٣

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢٤٥/٣

أنت بل أنت منذر لأن هذا المعنى كره الله في كتابة او هو مفعول به لاوحينا {قرآنا عربيا} حال من المفعول به اي اوحينا إليك وهو قرآن عربي بين {لتنذر أم القرى} أي مكة لأن الأرض دحيت من تحتها او لانها أشرف البقاع والمراد أهل أم القرى {ومن حولها} من العرب {وتنذر يوم الجمع} يوم القيامة لأن الخلائق تجتمع فيه {لا ريب فيه} اعتراض لا محل له يقال أنذرته كذا وأنذرته بكذا وقد عدي لتنذر أم القرى الى المفعول

الشورى (١١ - ٧)

الأول وتنذر يوم الجمع إلى المفعول الثاني {فريق فى الجنة وفريق فى السعير} أي منهم فريق في الجنة ومنهم فريق في السعير والضمير للمجموعين لأن المعنى يوم جمع الخلائق." (١)

"فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨)

{فإن أعرضوا} عن الإيمان {فمآ أرسلناك عليهم حفيظا} رقيبا

الشورى (٥١ - ٤٨)

{إن عليك إلا البلاغ} ما عليك إلا تبليغ الرسالة وقد فعلت {وإنآ إذا أذقنا الإنسان} المراد الجمع لا الواحد {منا رحمة} نعمة وسعة وأمنا وصحة {فرح بها} بطر لأجلها {وإن تصبهم سيئة} بلاء كالمرض والفقر ونحوهما وتوحيد فرح." (٢)

"ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨)

{ما يلفظ من قول} ما يتكلم به وما يرمي به من فيه {إلا لديه رقيب} حافظ {عتيد} حاضر ثم قيل يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبان إلا ما فيه أجر أو وزر وقيل إن الملكين لا يجتنبانه إلا عند الغائط ولاجماع لما ذكر إنكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه هم لا قوة عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضى هو قوله." (٣)

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/٢٤٦

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/٢٦٠

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/٣٦٥

"استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون (١٩)

{استحوذ عليهم الشيطان} استولى عليهم {فأنساهم ذكر الله} قال شاه الكرماني علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والمشارب والملابس ويشغل قلبه عن التفكر في آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان ويشغل لبه عن التفكر **والمراقبة** بتدبير الدنيا وجمعها {أولئك حزب الشيطان} جنده {ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون}." (١)

"يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون (١٨)

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله} في أوامره فلا تخالفوها {ولتنظر نفس} نكر النفس تقليلا للأنفس النواظر فيما قد من للآخرة {ما قدمت لغد} يعني يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له أو عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهار أن يوم وغد وتنكيره لتعظيم أمره أي انه لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك ابن دينار مكتوب على باب الجنة وجدناه ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا {واتقوا الله} كرر الأمر بالتقوى تأكيدا واتقوا الله أداء الواجبات لأنه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لأنه قرن بما يجري مجرى الوعيد وهو {إن الله خبير بما تعملون} وفيه تحريض على **المراقبة** لأن من علم وقت فعله أن الله مطلع على ما يرتكب من الذنوب يمتنع عنه." (٢)

"هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون (٢٣)

{هو الله الذى لا إله إلا هو الملك} الذي لا يزول ملكه {القدوس} المنزه عن القبائح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح {السلام} الذي سلم لخلق من ظلمه عن الزجاج {المؤمن} واهب الأمن وعن الزجاج الذي آمن الخلق من ظلمه أو المؤمن من عذابه من أطاعه {المهيمن} **الرقيب** على كل شيء الحافظ له مفيعل من الأمن إلا أن همزته قلبت هاء {العزيز} الغالب غير المغلوب {الجبار} العالي العظيم الذي يذل له من دونه أو العظيم الشأن في القدرة والسلطان أو القهار ذو الجبروت {المتكبر} البليغ الكبرياء والعظمة {سبحان الله عما يشركون} نزه ذاته عما يصفه به المشركون." (٣)

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/٤٥٢

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/٤٦٢

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/٤٦٤

"أيحسب أن لم يره أحد (٧)

{أيحسب أن لم يره أحد} حين كان ينفق ما ينفق رياه وافتخارا يعني أن الله تعالى كان يراه وكان عليه **رقيبا** ثم ذكر نعمه عليه فقال." (١)

"التوحيد في قوله فيها: وإلهكم إله واحد [البقرة: ١٦٣] وعلى محبة الله في قوله فيها:

والذين آمنوا أشد حبا لله [البقرة: ١٦٥] وعلى التوكل في قوله في آل عمران: فإذا عزمت فتوكل على الله [آل عمران: ١٥٩] وعلى **المراقبة** في قوله في النساء: إن الله كان عليكم **رقيبا** [النساء: ١] وعلى الخوف والرجاء في قوله في الأعراف: وادعوه خوفا وطمعا [الأعراف: ٥٦] وعلى التوبة في قوله في النور: وتوبوا إلى الله جميعا [النور:

٣١] وعلى الإخلاص في قوله في لم يكن: وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين [البينة: ٤] .

وأما أصول الدين فيتعلق بالقرآن من طرفين: أحدهما: ما ورد في القرآن من إثبات العقائد وإقامة البراهين عليها. والرد على أصناف الكفار. والآخر: أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن وكل طائفة منهم تحتج لمذهبها بالقرآن وترد على من خالفها.

وتزعم أنه خالف القرآن. ولا شك أن منهم المحق والمبطل. فمعرفة تفسير القرآن أن توصل في ذلك إلى التحقيق مع التشديد والتأييد من الله والتوفيق.

وأما أصول الفقه فإنها من أدوات تفسير القرآن. على أن كثيرا من المفسرين لم يشتغلوا بها. وإنها لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال. وما أحوج المفسر إلى معرفة النص. والظاهر. والمجمل. والمبين. والعام. والخاص. والمطلق. والمقيد.

وفحوى الخطاب. ولحن الخطاب. ودليل الخطاب. وشروط النسخ. ووجوه التعارض.

وأسباب الخلاف. وغير ذلك من علم الأصول.

وأما اللغة فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها. وهي غريب القرآن وهي من فنون التفسير. وقد صنف الناس في غريب القرآن تصانيف كثيرة. وقد ذكرنا بعد هذه المقدمة: مقدمة في اللغات الكثيرة الدوران في القرآن. لئلا نحتاج أن نذكرها حيث وقعت فيطول الكتاب بكثرة تكرارها.

وأما النحو فلا بد للمفسر من معرفته. فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى معرفة اللسان. والنحو ينقسم

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/٦٤٤

إلى قسمين: أحدهما: عوامل الإعراب. وهي أحكام الكلام المركب. والآخر: التصريف وهي أحكام الكلمات من قبل تركيبها. وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه من المشكل والمختلف. أو ما يفيد فهم المعنى. أو ما يختلف المعنى باختلافه ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدئ فإن ذلك يطول بغير فائدة كبيرة.

وأما علم البيان: فهو علم شريف تظهر به فصاحة القرآن. وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوائد فائقة. ونكات مستحسنة رائقة. وجعلنا في المقدمات بابا في أدوات البيان ليفهم به ما يرد منها مفرقا في مواضعه من القرآن.

الباب الخامس: في أسباب الخلاف بين المفسرين. والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم. فأما أسباب الخلاف فهي اثنا عشر: الأول: اختلاف القرآن. الثاني: اختلاف وجوه." (١)

"وقيل مختتن، والجمع حنفاء محصنين ومحصنات: الإحصان له أربع معان:

الإسلام والحرية، والعفاف، والتزوج وليحصنكم من بأسكم: بغيكم حجة:

بالضم: دليل وبرهان وحاج فلان فلانا:

جادله، وحجة عليه: بالحجة، والحج بالفتح والكسر: القصد، ومنه أخذ: حج البيت، وحجة بالكسر: سنة، وجمعها حجج حطة: أي حط عنا ذنوبنا، وقيل:

كلمة بالعبرانية تفسيرها لا إله إلا الله حضر: بالضاد من الحضور، ومنه محضرون، وشرب محتضر، وبالظاء: من المنع، ومنه: وما كان عطاء ربك محظورا، وكهشيم المحتظر، وبالذال من الحذر وهو الخوف، ومنه: إن عذاب ربك كان محذورا حفظ: العلم: وعيه وحفظ الشيء حراسته، والحفيظ: اسم الله تعالى، قيل معناه العليم، وقيل حافظ الخلق كالئهم من المهالك حاق: بهم أي حل بهم حبل: من الله ومن الناس، أي عهد، وحبل الله القرآن وأصله بالحبل المعروف حسب:

بكسر السين: ظن، مضارعه بالفتح والكسر وحسب بالفتح: من العدد ومضارعه بالضم، ومنه الحساب والحسبان، وحسبانا من السماء: أي مرام، وإحداها: حسبانة حساب: من الظن والعدد، وبغير حساب: يحتمل الوجهين، وأن يكون من المحاسبة أن لا يحاسب عليه، ومن التقدير: أي بغير تضييق، وعطاء حسابا: أي كافيا حسيب:

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١٨/١

اسم الله تعالى، فيه أربعة أقوال: كافي، وعالم، وقادر، ومحاسب حسبك الله: أي كافيك حزن: تأسف على ماض أو حال الخوف ترفع في المستقبل، ويقال حزن بكسر الزاي، وحزنه غيره، وأحزنه أيضا حصير: مجلس من الحصر، وأحصر عن الشيء: حبس عنه، وحسير بالسين: كليل حصيد: هو ما يحصد من الزرع وغيره، واستعير: قائم وحصيد، أي باق وذاهب حميم: له معنيان: الصديق، والماء الحار محيص: مهرب حجر: له أربعة معان:

الحرام، والعقل، ومنازل ثمود، وحجر الكعبة حمل: بكسر الحاء: ما على ظهر الدابة وغيرها، ويستعار للذنوب، وبالفتح:

ما في بطن المرأة، وجمعه أحمال إحسان: له ثلاث معان: فعل الحسنات، والإنعام على الناس، **ومراقبة** الله تعالى المشار إليها في قوله صلى الله عليه وسلم: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» «١» حق: له أربعة معان: الصدق، والعدل في الحكم، والشيء الثابت، والأمر الواجب والحق: اسم الله تعالى: أي الواجب الوجود حاصب: أي ريح شديدة سميت بذلك لأنها ترمي بالحصباء أي الحصى، والحاصب أيضا: الحجارة حلية:

حلى حرج: ضيق أو مشقة حول: له معنيان: العام، والحيلة، وحولا بكسر الحاء: انتقالا حرث: الأرض مصدر، ثم استعمل بمعنى الأرض والزرع والجنات حس: بغير ألف قتل ومنه: إذ تحسونهم، وأحس من الحس حرم: بضمتين محرومون بالحج حقب: بضمتين، وأحقاب جمع حقب، وهو مدة من الدهر يقال إنه:

---

(١) . من حديث مشهور رواه مسلم عن عمر بن الخطاب. انظره في الأربعين النووية.." (١)

"الموضع: سكن، ومنه، مقيم: أي دائم قيوم اسم الله تعالى وزنه فيعول وهو بناء مبالغة من القيام على الأمور: معناه مدبر الخلائق في الدنيا وفي الآخرة ومنه: قائم على كل نفس:

له معنيان: مصدر قام على اختلاف معانيه، وبمعنى قوام الأمر وملاكه، وقيم بغير ألف:

جمع قيمة قرض سلف والفعل منه أقرض يقرض أقسط بألف قسطا: عدلا في الحكم، ومنه يحب المقسطين، وقسط بغير ألف:

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٣٢/١

جار، ومنه: وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا مقاليد فيه قولان: خزائن، مفاتح قدس يقدس من التنزيه والطهارة، وقيل من التعظيم، والقدوس: اسم الله تعالى فعول من النزاهة عما لا يليق به قال يقول من القول، وقد يكون بمعنى الظن ومصدره قول، وقال يقيل: من القائلة، ومنه أو هم قائلون، وأحسن مقيلا قفى أتبع، وأصله من القفا، يقال: أقفوته، إذا حبيت «١» في أثره وقفيته بالتشديد إذا سقت شيئا في أثره، ومنه: وقفينا من بعده بالرسل قرن جماعة من الناس، وجمعه: قرون قواعد البيت: أساسه، واحدها قاعدة، والقواعد من النساء: واحدة قاعد، وهي العجوز قربان ما يتقرب به إلى الله تعالى من الذبائح وغيرها، وقربان أيضا: من القرابة قلى يقلي: أبغض، ومنه: وما قلى، ولعملكم من القالين اقترف اكتسب حسنة أو سيئة قصص له معنيان: من الحديث، ومن قص الأثر، ومنه: على آثارهما قصصا، وقصيه قررت «٢» به عينا، قرر بالكسر في

---

(١) . كذا في الأصل ولعلها خطأ والصواب: جئت. [.....]

(٢) . قر: لم أجدها في القاموس إلا مشددة، والله أعلم.

الماضي والفتح في المضارع قسطاس ميزان قتر وقترة: غبار، وعبارة عن تغير الوجه، وقتور من التقتير قارعة داهية وأمر عظيم قبس شعلة نار قنط يئس من الخير قرطاس صحيفة وجمعه قراطيس.

حرف الكاف

كافر له معنيان: من الكفر وهو الجحود، وبمعنى الزرع، ومنه: أعجب الكفار نباته أي الزراع، وتكفير الذنوب غفرانها كرة رجعة كبر بكسر الباء في السن يكبر بالفتح في المضارع، وكبر الأمر بالضم في المضارع والماضي، وكبر بضم الكاف وفتح الباء: جمع كبرى، وكبار بالضم والتشديد: كبير مبالغة، والكبر: التكبر، وكبر الشيء بكسر الكاف وضمها:

معظمه، والكبرياء: الملك والعظمة، والمتكبر: اسم الله تعالى من الكبرياء وبمعنى العظمة كفل يكفل: أي ضم الصبي وحضنه، وأكفلنيها: اجعلني كافلها كفيل نصيب «٣» كلالة هي أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد كاد قارب الأمر ولم يفعله، فإذا نفي اقتضى الإثبات كريم من الكرم وهو الحسب والجلالة والفضل، وكريم: اسم الله تعالى، أي محسن أكنة أغطية وأكنان جمع: كن، وهو ما وقى من الحر والبرد كهل هو الذي انتهى شبابه أكمام الثمار والنخيل جمع كم، وهو ما تكون الثمرة فيه قبل خروجها أكب الرجل على

وجهه فهو مكب، وكبه غيره بغير

(٣) . وقد فسرها المؤلف في سورة النحل: ٩١ بمعنى: رقيب.." (١)

"غير الله مهيمن عليه شاهد، وقيل: مؤتمن، والمهيمن. اسم الله القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم، وقيل الشهيد، وقيل: الرقيب هوان، هون أي ذل مهين بضم الميم أي مفعل مشتق من الهوان: أي مذل، وأما مهين، بفتح الميم فمعناه:

ضعيف أو ذليل.

حرف الواو

وقود النار بفتح الواو: ما توقد به من الحطب وشبهه، والوقود بالضم المصدر وجه له معنيان: الجارحة، والجهة، وأما وجه الله: ففي قوله: ابتغاء وجه الله أي طلب رضاه، وفي قوله: كل شيء هالك إلا وجهه، ويبقى وجه ربك: قيل: الوجه الذات، وقيل: صفة كاليدين، وهو من المتشابه وعد يعد وعدا بالخير، وقد يقال:

في الشر وأوعد بالألف يوعد وعيدا بالشر لا غير ود يود له معنيان: من المودة والمحبة، وبمعنى تمنى: ودوا لو تكفرون، والود بالضم: المحبة، وود: اسم صنم بضم الواو وفتحها ودود اسم الله تعالى أي محب لأوليائه، وقيل محبوب ويل كلمة شر، وقيل: إن الويل واد في جهنم وجب له معنيان: من وجوب الحق، وبمعنى سقط، كقولهم: وجب الحائط إذا سقط، ومنه وجبت جنوبها وسط وأوسط له معنيان: من التوسط بين الشيئين، وبمعنى الخيار والأحسن وسع يسع سعة: من الاتساع ضد الضيق، والسعة الغنى، والواسع اسم الله تعالى: أي واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة واسع جواد موسع غني أي: واسع الحال وهو ضد المقتر: وإنا لموسعون قيل: أغنياء، وقيل قادرون، وإلا وسعها: طاقتها ولى له معنيان: أدبر، وجعل واليا، وتولى له ثلاث معان: أدبر، وأعرض بالبدن أو بالقلب، وصار واليا، واتخذ وليا، ومنه:

ومن يتولى الله ورسوله ولي ناصر، والولي اسم الله، قيل: ناصر، وقيل: متولي أمر الخلائق مولى له سبعة معان: السيد والأعظم، والناصر، والوالي أي القريب، والمالك والمعتق، وبمعنى أولى، ومنه:

النار مولاكم ولج يلج أي دخل، ومنه: ما يلج في الأرض، وأولج: أدخل، ومنه:

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٤١/١

يولج الليل في النهار وهن يهن: ضعف، ومنه: وهن العظم، والوهن الضعف ورد الماء يرده: إذا جاء إليه وأورده غيره، وأرسلوا واردهم، الذي يتقدمهم إلى الماء فيسقي لهم أوزعني أي ألهمني ووفقني يوزعون يدفعون وليد صبي والجمع: ولدان وجل يوجل وجلا: خاف. ومنه: لا توجل أوجس وجد في نفسه وأضمر وارى يواري:

أي يستر ومنه: يواري سوأة أخيه، وما ووري عنهما، وتواروا أي استتروا واستخفوا وطئ يطأ. له ثلاث معان: جماع المرأة.

ومن الوطء بالأقدام. ومنه: أرضا لم تطؤها. والإهلاك. ومنه: لم تعلموهم أن تطؤهم وقر بفتح الواو وهو الصمم والثقل في الأذن. والوقر بكسر الواو: الحمل.

ومنه: فالحاملات وقرا ودق هو المطر واصب أي دائم وكيل كفيل بالأمر. وقيل:

كاف وزر بفتحتين أي: ملجأ وزير أي معين.

وأصله من الوزر بمعنى: الثقل. لأن الوزير يحمل عن الملك أثقاله وسوس الشيطان إلى الإنسان: ألقى في نفسه. والوسواس:." (١)

"هدى هنا بمعنى الإرشاد لتخصيصه بالمتقين، ولو كان بمعنى البيان لعم كقوله: هدى للناس. وإعرابه: خبر ابتداء، أو مبتدأ وخبره: فيه، عند ما يقف على لا ريب، أو منصوب على الحال والعامل فيه الإشارة للمتقين مفتعلين من التقوى، وقد تقدم معناه في الكتاب، فنتكلم عن التقوى في ثلاثة فصول.

الأول: في فضائلها المستنبطة من القرآن، وهي خمس عشرة: الهدى كقوله: هدى للمتقين [البقرة: ٢] والنصرة، لقوله: إن الله مع الذين اتقوا [النحل: ١٢٨] والولاية لقوله: الله ولي المتقين [الجاثية: ١٨] والمحبة لقوله: إن الله يحب المتقين [براءة:

٤] والمغفرة لقوله: إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا [الأنفال: ٢٩] والمخرج من الغم والرزق من حيث لا يحتسب لقوله: ومن يتق الله يجعل له مخرجا [الطلاق: ٢] الآية وتيسير الأمور لقوله: ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا [الطلاق: ٤] وغفران الذنوب وإعظام الأجور لقوله: ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا [الطلاق: ٥] وتقبل الأعمال لقوله: إنما يتقبل الله من المتقين [المائدة: ٢٧] والفلاح لقوله: واتقوا الله لعلكم تفلحون [البقرة: ١٨٩] والبشرى لقوله: هم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٤٥/١

[يونس: ٦٤] ودخول الجنة لقوله: إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم [القلم: ٣٤] والنجاة من النار لقوله: ثم ننجي الذين اتقوا [مريم: ٧٢] .

الفصل الثاني: البواعث على التقوى عشرة: خوف العقاب الأخروي، وخوف العقاب الدنيوي، ورجاء الثواب الدنيوي، ورجاء الثواب الأخروي، وخوف الحساب، والحياء من نظر الله، وهو مقام **المراقبة**، والشكر على نعمه بطاعته، والعلم لقوله: إنما يخشى الله من عباده العلماء [فاطر: ٢٨] وتعظيم جلال الله، وهو مقام الهيبة، وصدق المحبة لقول القائل: -

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

ولله در القائل: -

قالت وقد سألت عن حال عاشقها: ... لله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقلت: لو كان يظن الموت من ظمإ ... وقلت: قف عن ورود الماء لم يرد

الفصل الثالث: درجات التقوى خمس: أن يتقي العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام، وأن يتقي المعاصي والحرمات وهو مقام التوبة، وأن يتقي الشبهات، وهو مقام الورع، وأن يتقي المباحات وهو مقام الزهد، وأن يتقي حضور غير الله على قلبه، وهو مقام المشاهدة

الذين يؤمنون بالغيب فيه قولان: يؤمنون بالأمور المغيبات كالآخرة وغيرها، فالغيب على." (١)

"عليه واله وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: ذكر الله، قيل الذكر أفضل أم الجهاد في سبيل الله؟ فقال: لو ضرب المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دما: لكان الذاكر أفضل منه «١» . الوجه الثاني: أن الله تعالى حيث ما أمر بالذكر، أو أثنى على الذكر: اشترط فيه الكثرة، فقال: اذكروا الله ذكرا كثيرا، والذاكرين الله كثيرا، ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال الوجه الثالث: أن للذكر مزية هي له خاصة وليست لغيره: وهي الحضور في الحضرة العلية، والوصول إلى القرب بالذي عبر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعية، فإن الله تعالى يقول: أنا جليس من ذكرني «٢» ، ويقول: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني» متفق عليه من حديث أبي هريرة. وفي رواية البيهقي: وأنا معه حين يذكرني. وللناس في المقصد بالذكر مقامان: فمقصد العامة اكتساب الأجور، ومقصد الخاصة القرب والحضور، وما

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٦٩/١

بين المقامين بون بعيد. فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب، وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحباب.

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة: فمنها التهليل، والتسبيح، والتكبير، والحمد، والحوقلة، والحسبلة، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى، والصلاة على النبي صلى الله عليه واله وسلم، والاستغفار، وغير ذلك. ولكل ذكر خاصيته وثمرته. وأما التهليل: فثمرته التوحيد: أعني التوحيد الخاص فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن، وأما التكبير: فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال، وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك: فثمرتها ثلاث مقامات، وهي الشكر، وقوة الرجاء، والمحبة. فإن المحسن محبوب لا محالة. وأما الحوقلة والحسبلة: فثمرتها التوكل على الله والتفويض إلى الله، والثقة بالله: وأما الأسماء التي معناها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك: فثمرتها **المراقبة**. وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه واله وسلم: فثمرتها شدة المحبة فيه، والمحافظة على اتباع سنته، وأما الاستغفار: فثمرته الاستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة.

ثم إن ثمرة الذكر التي تجمع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرد وهو قولنا:

الله، الله. فهذا هو الغاية وإليه المنتهى

استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين أي بمعونته

ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات قيل إنها نزلت في الشهداء المقتولين

---

(١) . رواه الترمذي في كتاب الدعاء ص ٤٥٨ ج ٥ عن أبي سعيد الخدري وأوله: أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات، قلت ومن الغازين في سبيل الله؟ قال لو ضرب» .

(٢) . قال عنه العجلوني في كشف الخفاء: رواه البيهقي في الشعب عن أبي بن كعب أوله: قال موسى عليه السلام يا رب: أقريب أنت فأناجيك أو بعيد فأناديك؟ فقيل له يا موسى: أنا ... » .." (١)

"سورة النساء

مدنية وآياتها ١٧٦ نزلت بعد الممتحنة (سورة النساء) بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١٠٢/١

يا أيها الناس اتقوا ربكم خطاب على العموم وقد تكلمنا على التقوى في أول البقرة من نفس واحدة هو آدم عليه السلام زوجها هي حواء خلقت من ضلع آدم وبث نشر تسائلون به أي يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله أن تفعل كذا والأرحام بالنصب عطفا على اسم الله أي: اتقوا الأرحام فلا تقطعوها، أو على موضع الجار والمجرور. وهو به، لأن موضعه نصب وقرئ بالخفض عطف على الضمير في به، وهو ضعيف عند البصريين، لأن الضمير المخفوض لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض إن الله كان عليكم **رقيبا** إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام **المراقبة** وهو مقام شريف أصله علم وحال، ثم يثمر حالين: أما العلم: فهو معرفة العبد بأن الله مطلع عليه، ناظر إليه يرى جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، ويعلم كل ما يخطر على باله، وأما الحال: فهي ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه، ولا يغفل عنه، ولا يكفي العلم دون هذه الحال، فإذا حصل العلم والحال: كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين: الحياء من الله، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي والجد في الطاعات، وكانت ثمرتها عند المقربين: الشهادة التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال، وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» «١» فقوله أن تعبد الله كأنك تراه: إشارة إلى الثمرة الثانية، وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم: كمن يشاهد ملكا عظيما، فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة، وقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك: إشارة إلى الثمرة الأولى ومعناه إن لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقربين، فأعلم أنه يراك، فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين، فلما

---

(١) . جزء من الحديث المشهور أخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب. راجع الأربعين النووية.." (١)

"فسر الإحسان أول مرة بالمقام الأعلى رأى أن كثيرا من الناس قد يعجزون عنه، فنزل عنه إلى المقام الآخر، واعلم أن **المراقبة** لا تستقيم حتى تتقدم قبلها المشارطة والمرابطة، وتتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة، فأما المشارطة: فهي اشتراط العبد على نفسه بالتزام الطاعة وترك المعاصي، وأما المرابطة فهي معاهدة العبد لربه على ذلك، ثم بعد المشارطة والمرابطة أول الأمر تكون **المراقبة** إلى آخره، وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عاهد عليه الله: حمد الله، وإن وجد نفسه قد حل عقد المشارطة، ونقض عهد المرابطة، عاقب النفس عقابا بزجرها عن العودة إلى مثل ذلك، ثم عاد

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١/١٧٦

إلى المشارطة والمرابطة وحافظ على **المراقبة**، ثم اختبر بالمحاسبة، فهكذا يكون حتى يلقى الله تعالى

وآتوا اليتامى أموالهم.

خطاب للأوصياء، وقيل: للعرب الذين لا يورثون الصغير مع الكبير أمروا أن يورثوهم، وعلى القول بأن الخطاب للأوصياء، فالمراد أن يؤتوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون في حال صغرهم، فيكون اليتيم على هذا حقيقة، وقيل: المراد دفع أموالهم إليهم إذا بلغوا، فيكون اليتيم على هذا مجاز، لأن اليتيم قد كبر ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب كان بعضهم يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله، والدرهم الطيب بالزائف، فنهوا عن ذلك. وقيل: المعنى لا تأكلوا أموالهم وهو الخبيث، وتدعوا مالكم وهو الطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم المعنى: نهي أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعة إلى أموالهم، وقيل: نهي عن خلط أموالهم بأموال اليتامى، ثم أباح ذلك بقوله وإن تخالطوهم فإخوانكم، وإنما تعدى الفعل بإلى لأنه تضمن معنى الجمع والضم وقيل: بمعنى مع حوبا أي ذنبا

وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا الآية، قالت عائشة: نزلت في أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال أوليائهم، فيريدون أن يتزوجوهن ويبخسوهن في الصداق لمكان ولايتهم عليهم، فقيل لهم: أقسطوا في مهورهن، فمن خاف أن لا يقسط فليتزوج بما طاب له من الأجنبيات اللاتي يوفيهن حقوقهن، وقال ابن عباس: إن العرب كانت تتحرج في أموال اليتامى ولا تتحرج في العدل بين النساء، فنزلت الآية في ذلك: أي كما تخافون أن لا تقسطوا في اليتامى: كذلك خافوا النساء، وقيل: إن الرجل منهم كان يتزوج العشرة أو أكثر، فإذا ضاق ماله أخذ مال اليتيم، فقيل لهم: إن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فاقتصروا في النساء على ما طاب: أي ما حل، وإنما قال ما، ولم يقل من: لأنه أراد الجنس، وقال الزمخشري لأن الإناث من العقلاء يجري مجرى غير العقلاء، ومنه قوله: وما ملكت أيمانكم مثنى وثلاث ورباع لا." (١)

"معلمة أنه: لا جناح على من شربها قبل التحريم، لأنه لم يعص الله بشربها حينئذ، والآخر أن المعنى رفع الجناح عن المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرام منها، وعلى هذا أخذها عمر رضي الله عنه حين قال لقدامة: إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم عليك، وكان قدامة قد شربها واحتج بهذه الآية على رفع الجناح عنه، فقال عمر: أخطأت التأويل إذا ما اتقوا وآمنوا الآية قيل: كرر التقوى مبالغة، وقيل: الرتبة الأولى: اتقاء الشرك، والثانية اتقاء المعاصي، والثالثة: اتقاء ما لا بأس به حذرا مما به البأس، وقيل:

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١٧٧/١

الأولى للزمان الماضي والثانية للحال، والثالثة للمستقبل وأحسنوا يحتمل أن يريد الإحسان إلى الناس، أو الإحسان في طاعة الله وهو **المراقبة**، وهذا أرجح لأنه درجة فوق التقوى، ولذلك ذكره في المرة الثالثة وهي الغاية، ولذلك قالت الصوفية: المقامات ثلاثة: مقام الإسلام ثم مقام الإيمان ثم مقام الإحسان ليبلونكم الله بشيء من الصيد أي يختبر طاعتكم من معصيتكم بما يظهر لكم من الصيد مع الإحرام وفي الحرم، وكان الصيد من معاش العرب ومستعملا عندهم، فاختبروا بتركه كما اختبر بنو إسرائيل بالحوت «١» في السبت وإنما قلله في قوله: بشيء من الصيد إشعارا بأنه ليس من الفتن العظيمة، وإنما هو من الأمور التي يمكن الصبر عنها تناله أيديكم ورماحكم قال مجاهد: الذي تناله الأيدي الفراخ والبيض، وما لا يستطيع أن يفر، والذي تناله الرماح كبار الصيد، والظاهر عموم هذا التخصيص ليعلم الله أي يعلمه علما تقوم به الحجة، وذلك إذا ظهر في الوجود فمن اعتدى أي بقتل الصيد وهو محرم، والعذاب الأليم هنا في الآخرة لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم معنى حرم داخلين في الإحرام وفي الحرم، والصيد هنا عام خصص منه الحديث: الغراب والحدأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور «٢» . وأدخل مالك في الكلب العقور كل م؛ يؤذي الناس من السباع وغيرها، وقاس الشافعي على هذه الخمسة: كل مما لا يؤكل لحمه، ولفظ الصيد يدخل فيه ما صيد وما لم يصد مما شأنه أن يصاد وورد النهي هنا عن القتل قبل أن يصاد وبعد أن يصاد، وأما النهي عن الاصطياد فيؤخذ من قوله [الآتي] «وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما» ومن قتله منكم متعمدا مفهوم الآية يقتضي أن جزاء الصيد على المتعمد لا على الناسي، وبذلك قال أهل الظاهر،

---

(١) . حيثما ورد في هذا الكتاب فالمقصود به السمك على اختلاف أنواعه كما هو معروف في المغرب.

(٢) . الحديث رواه أحمد عن عائشة وأوله: خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: والحية والغراب: إلخ ج ٦ ص ١١٣.." (١)

"التعجب منهم لما طلبوا آية، أي قد جاءكم محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن وآيات كثيرة فعميتم عنها، وطلبتم غيرها وتماديتم على الكفر، لأن الله يضل من يشاء مع ظهور الآيات، وقد يهدي من يشاء دون ذلك

الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله بدل من من أناب، أو خبر ابتداء مضمر والذين آمنوا وعملوا الصالحات

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢٤٣/١

بدل ثان، أو مبتدأ طوبى مصدر من طاب كبشرى ومعناها أصابت خيرا وطيبا، وقيل: هي شجرة في الجنة، وإعرابها مبتدأ.

كذلك أرسلناك الكاف تتعلق بالمعنى الذي في قوله: يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهم يكفرون بالرحمن قيل: إنها نزلت في أبي جهل، وقيل نزلت في قريش حين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية، فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال قائلهم: نحن لا نعرف الرحمن، وهذا ضعيف، لأن الآية نزلت قبل ذلك ولأن تلك القصة إنما أنكروا فيها التسمية فقط، ومعنى الآية: أنهم يكفرون بالله مع تلاوة القرآن عليهم متاب مفعل من التوبة وهو اسم مصدر ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الآية: جواب لو محذوف تقديره: لو أن قرآنا على هذه الصفة من تسيير الجبال، وتقطيع الأرض وتكليم الموتى لم يؤمنوا به، فالمعنى كقوله: لا يؤمنوا ولو جاءتهم كل آية، وقيل تقديره: ولو أن قرآنا على هذه الصفة لكان هذا القرآن الذي هو غاية في التذكير ونهاية في الإنذار كقوله: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا [الحشر: ٢١] ، وقيل هو متعلق بما قبله والمعنى، وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أفلم ييأس معناه أفلم يعلم وهي لغة هوازن ولا يزال الذين كفروا يعني كفار قريش قارعة يعني مصيبة في أنفسهم وأولادهم وأموالهم، أو غزوات المسلمين إليهم أو تحل الفاعل ضمير القارعة. والمعنى إما إن تصيبهم، وإما أن تقرب منهم، وقيل التاء للخطاب، والفاعل ضمير المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم، والأول أظهر حتى يأتي وعد الله هو فتح مكة، وقيل قيام الساعة.

ولقد استهزئ الآية مقصدها تأنيس وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا حيث وقع فأمليت أي أمهلتهم أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت هو الله تعالى أي حفيظ رقيب على عمل كل أحد، والخبر محذوف تقديره: أفمن هو قائم على كل نفس بما." (١)

"في القول للمعبودين والمعنى أنهم كذبوهم في قولهم أنهم كانوا يعبدونهم، كقولهم: ما كنتم إيانا تعبدون [يونس: ٢٨] فإن قيل: كيف كذبوهم وهم قد كانوا يعبدونهم؟ فالجواب أنهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم، فكأن عبادتهم لم تكن عبادة، ويحتمل أن يكون تكذيبهم لهم في تسميتهم شركاء لله، لا في العبادة وألقوا إلى الله يومئذ السلم أي استسلموا له وانقادوا زدناهم عذابا فوق العذاب روي أن الزيادة في العذاب هي حيات وعقارب كالبغال تلسعهم إن الله يأمر بالعدل والإحسان يعنى بالعدل: فعل الواجبات،

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٤٠٥/١

وبالإحسان: المندوبات، وذلك في حقوق الله تعالى وفي حقوق المخلوقين، قال ابن مسعود: هذه أجمع آية في كتاب الله تعالى وإيتاء ذي القربى الإيتاء مصدر آتى بمعنى أعطى، وقد دخل ذلك في العدل والإحسان، ولكنه جرده بالذكر اهتماما به وينهى عن الفحشاء قيل: يعنى الزنا، واللفظ أعم من ذلك والمنكر هو أعم من الفحشاء، لأنه يعم جميع المعاصي والبغي يعنى الظلم ولا تنقضوا الأيمان هذا في الإيمان التي في الوفاء بها خير، وأما ما كان تركه أولى، فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير منه، كما جاء في الحديث، أو تكون الأيمان هنا ما يحلفه الإنسان في حق غيره، أو معاهدة لغيره وقد جعلتم الله عليكم كفيلا أي رقيبا ومتكفلا بوفائكم بالعهد، وقيل: إن هذه الآية نزلت في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: فيما كان بين العرب من حلف في الجاهلية ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها شبه الله من يحلف ولم يف بيمينه بالمرأة التي تغزل غزلا قويا ثم تنقضه.

وروي أنه كان بمكة امرأة حمقاء تسمى ريطة بنت سعد، كانت تفعل ذلك وبها وقع التشبيه، وقيل إنما شبه بامرأة غير معينة أنكاثا جمع نكث، وهو ما ينكث أي ينقض، وانتصابه على الحال تتخذون أيمانكم دخلا بينكم الدخل الدغل، وهو قصد الخديعة أن تكون أمة هي أربى من أمة أن في موضع المفعول من أجله: أي بسبب أن تكون أمة، ومعنى أربى: أكثر عددا أو أقوى، ونزلت الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم تحالف الأخرى، فإذا جاءها قبيلة أقوى منها غدرت بالأولى وحالفت الثانية، وقيل:
الإشارة بالأربى هنا إلى كفار قريش إذ كانوا حينئذ أكثر من المسلمين إنما يبلوكم الله." (١)

"سورة المؤمنون

مكية وآياتها ١١٨ نزلت بعد الأنبياء بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة المؤمنون) الذين هم في صلاتهم خاشعون الخشوع حالة في القلب من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة المولى جل جلاله، ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات والبكاء والتضرع، وقد عد بعض الفقهاء [الأوزاعي] الخشوع في فرائض الصلاة، لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها، وقد جاء في الحديث: لا يكتب للعبد في صلاته إلا ما عقل منها «١» ، والصواب أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب، فقد يحضر القلب ولا يخشع عن اللغو معرضون اللغو هنا: الساقط من الكلام كالسب واللهو، والكلام بما لا يعني، وعدد أنواع المنهي عنه من الكلام عشرون نوعا، ومعنى

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١/٤٣٤

الإعراض عنه: عدم الاستماع إليه والدخول فيه، ويحتمل أن يريد أنهم لا يتكلمون به، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضي ذلك من باب أولى وأحرى للزكاة فاعلون أي مؤدون، فإن قيل: لم قال فاعلون ولم يقل مؤدون؟ فالجواب أن الزكاة لها معنيان أحدهما:

الفعل الذي يفعله المزكي أي أداء ما يجب على المال، والآخر المقدار المخرج من المال كقولك:

هذه زكاة مالي، والمراد هنا الفعل لقوله «فاعلون» ويصح المعنى الآخر على حذف تقديره:

هم لأداء الزكاة فاعلون على أزواجهم هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله غير ملومين أي لا يلامون على أزواجهم ويمكن أن يتعلق بقوله حافظون على أن يكون على بمعنى عن أو ما ملكت أيمانهم يعني النساء المملوكات، وراء ذلك يعني ما سوى الزوجات والمملوكات

لأماناتهم وعهدهم يحتمل أن يريد أمانة الناس وعهدهم وأمانة الله وعهده في دينه أو العموم، والأمانة أعم من العهد، لأنها قد تكون بعهد وبغير عهد

---

(١) . قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: لم أجده مرفوعا وقال: روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب: لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه ج ١/ ١٥٩.." (١)

"قال الزجاج: إسماع صوت الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها.

وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون التوبة واجبة على كل مؤمن مكلف بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وفرائضها ثلاثة: الندم على الذنب من حيث عصي به ذو الجلال، لا من حيث أضر ببدن أو مال، والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان، والعزم أن لا يعود إليها أبدا ومهما قضى عليه بالعود أحدث عزما مجددا، وآدابها ثلاثة:

الاعتراف بالذنب مقرونا بالانكسار، والإكثار من التضرع والاستغفار، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات، ومراتبها سبع: فتوبة الكفار من الكفر، وتوبة المخلطين من الذنوب الكبائر، وتوبة العدول من الصغائر وتوبة العابدين من الفترات، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات، وتوبة أهل الورع من الشبهات، وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات. والبواعث على التوبة سبعة: خوف العقاب، ورجاء الثواب، والخجل من الحساب، ومحبة الحبيب، **ومراقبة الرقيب** القريب، وتعظيم بالمقام، وشكر الإنعام.

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/ ٤٨

وأنكحوا الأيامى منكم الأيامى جمع أيم ومعناه الذين لا أزواج لهم رجالا كانوا أو نساء أبكارا أو ثيبات، والخطاب هنا للأولياء والحكام أمرهم الله بتزويج الأيامى، فاقتضى ذلك النهي عن عضلهن من التزويج، وفي الآية دليل على عدم استقلال النساء بالإنكاح واشتراط الولاية فيه، وهو مذهب مالك والشافعي خلافا لأبي حنيفة والصالحين من عبادكم وإمائكم يعني الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناثهم، وقال الزمخشري: الصالحين بمعنى الصلاح في الدين، قال وإنما خصهم الله بالذكر ليحفظ عليهم صلاحهم والمخاطبون هنا ساداتهم ومذهب الشافعي أن السيد يجبر على تزويج عبيده على هذه الآية خلافا لمالك، ومذهب مالك أن السيد يجبر عبده وأمته على النكاح خلافا للشافعي إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وعد الله بالغنى للفقراء الذين يتزوجون لطلب رضا الله، ولذلك قال ابن مسعود: التمسوا الغنى في النكاح وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله أمر بالاستعفاف وهو الاجتهاد في طلب العفة من الحرام لمن لا يقدر على التزوج، فقوله: لا يجدون نكاحا معناه لا يجدون استطاعة على التزوج بأي وجه تعذر التزوج، وقيل: معناه لا يجدون صداقا للنكاح، والمعنى الأول أعم، والثاني: أليق بقوله حتى يغنيهم الله من فضله.

والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم الكتاب هنا مصدر بمعنى الكتابة، وهي مقاطعة العبد على مال منجم فإذا أداه خرج حرا، وإن عجز بقي رقيقا، وقيل: إن الآية نزلت بسبب حويطب ابن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه، وحكمها مع ذلك عام فأمر الله سادات العبيد أن يكاتبوهم إذا طلبوا الكتابة، وهذا الأمر على الندب عند مالك والجمهور، وقال الظاهرية وغيرهم. هو على الوجوب وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنس بن مالك حين سأله مملوكه سيرين الكتابة فتلكأ أنس، فقال له عمر: لتكاتبنه أو لأوجعنك." (١)

"أظهر وأشهر ونحن أقرب إليه من حبل الوريد هو عرق كبير في العنق، وهما وريدان عن يمين وشمال، وهذا مثل في فرط القرب، والمراد به: قرب علم الله واطلاعه على عبده، وإضافة الحبل إلى الوريد كقولك: مسجد الجامع أو يراد بالحبل: العاتق إذ يتلقى المتلقيان يعني الملكين الحافظين الكاتبين للأعمال، والتلقي هو: تلقي الكلام بحفظه وكتابته، والعامل في إذ نحن أقرب، وقيل: مضمر تقديره: اذكر. واختاره ابن عطية عن اليمين وعن الشمال قعيد أي قاعد، وقيل: مقاعد بمعنى مجالس، ورده ابن عطية بأن المقاعد إنما

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٦٨/٢

يكون مع قعود الإنسان، والقاعد يكون على جميع هيئة الإنسان، وإنما أفرده وهما اثنان لأن التقدير: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه، وقال الفراء: لفظ قعيد يدل على الاثنين والجماعة فلا يحتاج إلى حذف.

ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد العتيد: الحاضر، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن مقعد الملكين على الشفتين قلمهما اللسان ومدادهما الريق «١» ، وعموم الآية يقتضي أن الملكين يكتبان جميع أعمال العبد، ولذلك قال الحسن وقتادة: يكتبان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك، وقال عكرمة: إنما تكتب الحسنات والسيئات لا غير وجاءت سكرة الموت بالحق أي بلقاء الله أو فراق الدنيا، وفي مصحف عبد الله بن مسعود: وجاءت سكرة الحق بالموت، وكذلك قرأها أبو بكر الصديق، وإنما قال: جاءت بالماضي لتحقق الأمر وقربه، وكذلك ما بعده من الأفعال ذلك ما كنت منه تحيد أي تفر وتهرب، والخطاب للإنسان سائق وشهيد السائق ملك يسوقه، وأما الشهيد فقيل: ملك آخر يشهد عليه وهو الأظهر، وقيل: صحائف الأعمال، وقيل: جوارح الإنسان لقد كنت في غفلة من هذا خطاب للإنسان الذي يقتضيه قوله: كل نفس، يريد أنه كان غافلا عما لقي في الآخرة، وقيل: هو خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أي كنت في غفلة من هذا القصص وهذا في غاية الضعف لأنه خروج عن سياق الكلام فكشفنا عنك غطاءك قيل: كشف الغطاء معاينته أمور الآخرة فبصرك اليوم حديد أي يبصر ما لم يبصره قبل، وقد ورد: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا «٢» وقال قرينه هذا ما لدي عتيد القرين هنا: الشيطان الذي كان يغويه،

---

(١) . لم أعثر عليه فيما بين يدي من مصادر.

(٢) . قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ٤/ ٢٣: لم أجده مرفوعا وإنما ينسب للإمام علي بن أبي طالب.." (١)

"وهو الصنف من الفواكه وغيرها

من كل فاكهة زوجان أي نوعان وجنى الجنتين دان الجنا هو ما يجتنى من الثمار، ودان قريب، وروي أن الإنسان يجتنى الفاكهة في الجنة على أي حال كان من قيام أو قعود أو اضطجاع لأنها تتدلى له إذا أرادها

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٣٠٢/٢

وفي قوله جنا الجنتين ضرب من ضروب التجنيس قاصرات الطرف ذكر في الصافات [٤٨] لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان المعنى أنهن أبكار، ولم يطمثهن معناه لم يفتضهن، وقيل: الطمث الجماع سواء كان لبكر أو غيرها، ونفي أن يطمثهن إنس أو جان، مبالغة وقصدا للعموم، فكأنه قال لم يطمثهن شيء، وقيل: أراد لم يطمث نساء الإنس إنس ولم يطمث نساء الجن جن، وهذا القول يفيد بأن الجن يدخلون الجنة ويتلذذون فيها بما يتلذذ البشر كأنهن الياقوت والمرجان شبه النساء بالياقوت والمرجان في الحمرة والجمال، وقد ذكرنا المرجان في أول السورة.

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان المعنى أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن الله إليه بالجنة، ويحتمل أن يكون الإحسان هنا هو الذي سأل عنه جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» «١» ، وذلك هو مقام **المراقبة** والمشاهدة، فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين، ويقوي هذا أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العلي، وجعل جنتين دونها لمن كان دون ذلك، فالجنتان المذكورتان أولا للسابقين، والجنتان المذكورتين ثانيا بعد ذلك لأصحاب اليمين حسبما ورد في الواقعة، وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين، أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما فقال هنا: عينان تجريان وقال في الآخرتين: عينان نضاختان، والجري أشد من النضخ وقال هنالك: من كل فاكهة زوجان، وقال هنا فاكهة ونخل ورمان، وكذلك صفة الحور هنا أبلغ من صفتها هنالك، وكذلك صفة البسط ويفسر ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

جنتان من ذهب آنيتهما وكل ما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وكل ما فيهما «٢» مدهامتان أي تضربان إلى السواد من شدة الخضرةينان نضاختان

أي تفوران بالماء والنضخ بالخاء المعجمة أشد من النضح بالحاء المهملة فاكهة ونخل ورمان خص النخل

---

(١) . هذا جزء من حديث صحيح رواه مسلم عن عمر بن الخطاب، انظر الأربعين النووية الحديث الثاني.

(٢) . الحديث رواه مسلم عن عبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعري) كتاب الإيمان ١٦٣/ ١..." [(١)]

"خشوعه عند تلاوة القرآن فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدع لو سمع القرآن فما ظنك بابن آدم

عالم الغيب والشهادة أي يعلم ما غاب عن المخلوقين وما شاهدوه، وقيل: الغيب الآخرة والشهادة الدنيا،

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٣٣١/٢

والعموم أحسن القدوس مشتق من التقديس، وهو التنزه عن صفات المخلوقين، وعن كل نقص وعيب وصيغة فعول للمبالغة كالسبوح السلام في معناه قولان: أحدهما الذي سلم عباده من الجور، والآخر السليم من النقائص، وأصله مصدر بمعنى السلامة، وصف به مبالغة أو على حذف مضاف تقديره ذو السلام المؤمن فيه قولان: أحدهما أنه من الأمن أي الذي أمن عباده، والآخر أنه من الإيمان أي المصدق لعباده في إيمانهم، أو في شهادتهم على الناس يوم القيامة، أو المصدق نفسه في أقواله المهيمن في معناه ثلاثة أقوال الرقيب والشاهد والأمين، قال الزمخشري أصله مؤيمن بالهمزة ثم أبدلت هاء الجبار في معناه قولان: أحدهما أنه من الإجبار بمعنى القهر، والآخر أنه من الجبر أن يجبر عباده برحمته، والأول أظهر المتكبر أي الذي له التكبر حقا البارئ أي الخالق يقال: أبرأ الله الخلق أي خلقهم ولكن البارئ والفاطر يراد بهما الذي برأ الخلق واخترعه المصور أي خالق الصور له الأسماء الحسنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة «١» ، قال المؤلف قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن الكماد فلما بلغت إلى آخر سورة الحشر قال لي: ضع يدك على رأسك فقلت له ولم ذلك؟ قال لأني قرأت على القاضي أبي علي بن أبي الأحوص فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لي، ضع يدك على رأسك وأسند الحديث إلى عبد الله بن مسعود قال: قرأت على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لي: ضع يدك على رأسك قلت ولم ذاك يا رسول الله فداك أبي وأمي؟

قال: أقرأني جبريل القرآن فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر، قال لي ضع يدك على رأسك يا محمد قلت: ولم ذاك قال: إن الله تبارك وتعالى افتتح القرآن فضرب فيه فلما انتهى إلى خاتمة سورة الحشر أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها. فقالت: يا ربنا ولم ذاك قال إنه شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت.

---

(١) . رواه أحمد عن أبي هريرة ج ٢ ص ٢٥٨.." (١)

"شاهدا عليكم أي يشهد على أعمالكم من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية، وإنما يشهد على من أدركه لقوله صلى الله عليه وسلم: أقول كما قال أخي عيسى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم [المائدة: ١١٧] كما أرسلنا إلى فرعون رسولا يعني موسى عليه السلام وهو المراد

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٣٦٣/٢

بقوله: فعصى فرعون الرسول فاللام للعهد
أخذا وبيلا أي عظيما شديدا.
يوما مفعول به، وناصبه تتقون أي: كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم وقيل: هو مفعول به على أن يكون كفرتم بمعنى جحدتم، وقيل، هو ظرف أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره: اذكروا قوله السماء منفطر به يجعل الولدان شيبا الولدان جمع وليد وهو الطفل الصغير، والشيب بكسر الشين جمع أشيب ووزنه فعل بضم الفاء وكسرت لأجل الياء، ويجعل يحتمل أن يكون مسندا إلى الله تعالى أو إلى اليوم، والمعنى أن الأطفال يشيبون يوم القيامة، فقيل: إن ذلك حقيقة، وقيل: إنه عبارة عن هول ذلك اليوم، وقيل: إنه عبارة عن طوله السماء منفطر به الانفطار:
الانشقاق، والضمير المجرور يعود على اليوم أي: تتفطر السماء لشدة هوله ويحتمل أن يعود على الله أي تنفطر بأمره وقدرته والأول أظهر، والسماء مؤنثة. وجاء منفطر بالتذكير لأن تأنيثها غير حقيقة أو على الإضافة تقديره: ذات انفطار أو لأنه أراد السقف كان وعده مفعولا الضمير في وعده يحتمل أن يعود على اليوم أو على الله والأول أظهر لأنه ملفوظ به إن هذه تذكرة الإشارة إلى ما تقدم من المواعظ والوعيد فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا يريد سبيل التقرب إلى الله، ومعنى الكلام حض على ذلك وترغيب فيه.
إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل هذه الآية نزلت ناسخة لما أمر به في أول السورة من قيام الليل، ومعناها أن الله يعلم أنك ومن معك من المسلمين تقومون قياما مختلفا، مرة يكثر ومرة يقل، لأنكم لا تقدرون على إحصاء أوقات الليل وضبطها، فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله فخفف عنكم وأمركم أن تقرأوا ما تيسر من القرآن ونصفه وثلثه من قرأها بالخفض [مثل نافع وابن عامر وأبو عمرو] فهو عطف على ثلثي الليل، أي تقوم أقل من ثلثي الليل وأقل من نصفه وثلثه، ومن قرأ بالنصب [باقي القراء] فهو عطف على أدنى أي تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه تارة وثلثه تارة وطائفة يعني المسلمين وهو معطوف على الضمير الفاعل في تقوم علم أن لن تحصوه الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام، أي لن تحصوا تقدير الليل، وقيل: معناه لن تطيقوه أي: لن تطيقوا." (١)

"الكفار ويدل على ذلك ما ذكره بعده من أخذ عاد وثمود وفرعون
إرم هي قبيلة عاد سميت باسم أحد أجدادها، كما يقال: هاشم لبني هاشم، وإعرابه بدل من عاد أو عطف

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/٤٢٥

بيان وفائدته أن المراد عادا الأولى، فإن عادا الثانية لا يسمون بهذا الإسم. وقيل: إرم اسم مدينتهم فهو على حذف مضاف تقديره: بعاد عاد إرم، ويدل على هذا قراءة ابن الزبير بعاد إرم على الإضافة من تنوين عاد وامتنع إرم من الصرف على القولين للتعريف والتأنيث ذات العماد من قال إرم قبيلة قال: العماد أعمدة بنيانهم أو أعمدة بيوتهم من الشعر لأنهم كانوا أهل عمود وقال ابن عباس: ذلك كناية عن طول أبدانهم ومن قال إرم مدينة فالعماد الحجارة التي بنيت بها وقيل القصور والأبراج التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة للقبيلة لأنهم كانوا أعظم الناس أجساما يقال: كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع [كذا] أو صفة للمدينة وهذا أظهر لقوله في البلاد ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا، وروي أنها بناها شداد بن عاد في ثلاثمائة عام، وكان عمره تسعمائة عام وجعل قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أنواع الشجر والأنهار الجارية، وروي أنه سمع ذكر الجنة فأراد أن يعمل مثلها فلما أتمها وسار إليها بأهل مملكته أهلكهم الله بصيحة، وكانت هذه المدينة باليمن.

وروي أن بعض المسلمين مر بها في خلافة معاوية، وقيل: هي دمشق وقيل:

الإسكندرية وهذا ضعيف جابوا الصخر بالواد «١» أي نقبوه ونحتوا فيه بيوتا والوادي ما بين الجبلين، وإن لم يكن فيها ماء، وقيل: أراد وادي القرى وفرعون ذي الأوتاد ذكر في سورة داود (ص) الذين طغوا في البلاد صفة لعاد وثمود وفرعون ويجوز أن يكون منصوبا على الذم أو خبر ابتداء مضمر فصب عليهم ربك سوط عذاب استعارة السوط للعذاب لأنه يقتضي من التكرار ما لا يقتضيه السيف وغيره. قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: ذكر السوط إشارة إلى عذاب الدنيا، إذ هو أهون من عذاب الآخرة، كما أن السوط أهون من القتل إن ربك لبالمرصاد عبارة عن أنه تعالى حاضر بعلمه في كل مكان، وكل زمان ورقيب على كل إنسان، وأنه لا يفوته أحد من الجبابرة والكفار، وفي ذلك تهديد لكفار قريش وغيرهم، والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه الابتلاء هو الاختبار واختبار الله لعبده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه، وقد كان الله عالما بذلك قبل كونه، والإنسان هنا جنس وقيل: نزلت في عتبة بن ربيعة وهي مع ذلك على

---

(١) . الواد: قرأ ابن كثير وورش: بالوادي بإثبات الياء في الوصل وابن كثير في الوقف أيضا والباقون بدون ياء مطلقا.." (١)

"الناس دينهم» وفي أفراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمعناه، وقد تقدم الكلام على معنى الإيمان والإسلام. وبقي أشياء تتعلق بمعنى الحديث، فقوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا أي ظاهرا، وقوله: أن تؤمن بالله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر هو بكسر الخاء. وقيل في الجامع بين قوله وتؤمن بلقاء الله وبالبعث فإن اللقاء يحصل بمجرد الانتقال إلى الدار الآخرة وهو الموت والبعث هو بعده عند قيام الساعة وفي تقييده بالآخر وجه آخر وهو أن خروجه إلى الدنيا بعث من الأرحام وخروجه من القبر إلى الآخرة بعث آخر. قوله ما الإحسان هو هنا الإخلاص في العمل وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام لأن من أتى بلفظ الشهادة وأتى بالعمل من غير إخلاص لم يكن محسنا، وقيل أراد بالإحسان **المراقبة** وحسن الطاعة، فإن من راقب الله حسن عمله، وهو المراد بقوله، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وأشراط الساعة علاماتها التي تظهر قبلها. قوله: إذا ولدت الأمة ربها يعني سيدها والمعنى أن الرجل تكون له الأمة فتلد له ولدا فيكون ذلك الولد ابنها وسيدها، ورعاء البهم بكسر الراء وفتح الباء وإسكان الهاء من البهم وهي الصغار من أولاد الضأن، والمعنى أنه يبسط المال على أهل البادية وأشباههم حتى يتباهون في البناء ويسودون الناس فذلك من أشراط الساعة والله أعلم. قوله تعالى بالغيب، والغيب هنا مصدر وضع موضع الاسم، فقيل: الغائب غيب وهو ما كان مغيبا عن العيون قال ابن عباس: الغيب هنا كل ما أمرت بالإيمان به مما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان. وقيل: الغيب هنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقيل بالآخرة وقيل بالوحي وقيل بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به فقال عبد الله بن مسعود إن أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه إلى قوله وأولئك هم المفلحون ويقيمون الصلاة أي يداومون عليها في مواقيتها بحدودها وإتمام أركانها وحفظها من أن يقع فيها خلل في فرائضها وسننها وآدابها، يقال: قام بالأمر وأقام الأمر إذا أتى به معطى حقوقه، والمراد به الصلوات الخمس. والصلاة في اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل عليهم أي ادع لهم وأصله من صليت العود إذا لينته فكأن المصلي يلين ويخشع. وفي الشرع اسم

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٤٧٩/٢

لأفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء مع النية ومما رزقناهم أي أعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد

وأصله الحظ والنصيب ينفقون أي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله تعالى وسبيله، ويدخل فيه إنفاق الواجب كالزكاة والنذر والإنفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والإنفاق في الجهاد إذا وجب عليه والإنفاق في المندوب، وهو صدقه التطوع ومواساة الإخوان، وهذه كلها مما يمدح بها وأدخل من التي هي للتبعيض صيانة لهم وكفا عن السرف والتبذير المنهي عنهما في الإنفاق.

[سورة البقرة (٢): آية ٤]

والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤)

والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك أي يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الأنبياء من قبل كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء كلها فيجب الإيمان بذلك كله وبالآخرة يعني بالدار الآخرة سميت آخرة لتأخرها عن الدنيا وكونها بعدها هم يوقنون من الإيقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون أنها كائنة.

[سورة البقرة (٢): الآيات ٥ الى ٨]

أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥) إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (٧) ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨)." [١]

"جزءا، ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها: الأزلام والأقلام وأسماؤها الفذ والتوأم **والرقيب** والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منها أنصباء فللفذ سهما وللتوأم سهمين **وللرقيب** ثلاثة أسهم وللحلس أربعة وللنافس خمسة، وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من القداح لا أنصباء لها وهي المنيح والسفيح والوغد قال بعضهم:

فلي في الدنيا سهام ... ليس فيهن ربيح

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٥/١

إنما سهمي وغد ... ومنيح وسفيح
ثم يجمعون القداح في خريطة يسمونها الربابة، ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه المحيل والمفيض فيحيلها في الخريطة، ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فأيهم خرج اسمه أخذ نصيبه على قدر ما يخرج من القداح، وإن خرج له قدح من الثلاثة التي لا أنصباء لها لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وقيل: لا يأخذ ولا يغرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور إلى الفقراء ولا يأكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعني البخيل الذي لا يخرج شيئا بين الأصحاب لبخله. وأما حكم الآية فالمراد به جميع أنواع القمار. فكل شيء فيه قمار فهو من الميسر روي عن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شيء فيه خطر يعني الرهن فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وأما النرد فيحرم اللعب به سواء كان بخطر أم لا يدل على تحريمه ما روي عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من لعب بالنرد شير فكأنما صبغ يده في دم خنزير. أخرجه مسلم. وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لعب بنرد أو نردشير فقد عصى الله ورسوله» أخرجه أبو داود. وعن علي بن أبي طالب قال النرد والشطرنج من الميسر. واختلفوا في الشطرنج فمذهب أبي حنيفة أنه يحرم اللعب به سواء كان برهن أو بغير رهن، ومذهب الشافعي أنه مباح بشروط ذكرها الشافعي فقال: إذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان ويروى عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما، وهو خارج عن الميسر لأن الميسر ما يوجب دفع مال، وأخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى: قل فيهما يعني في الخمر والميسر إثم كبير أي وزر عظيم وقيل: إن الخمر عدو للعقل فإذا غلبت على عقل الإنسان ارتكب كل قبيح ففي ذلك آثام كبيرة منها إقدامه على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل فعله. وأما الإثم الكبير في الميسر فهو أكل المال الحرام بالباطل وما يجري بينهما من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه آثام كثيرة ومنافع للناس يعني أنهم كانوا يربحون في بيع الخمر قبل تحريمها. وأما منافع الميسر فهو أخذ مال بغير كد ولا تعب. قيل ربما أن الواحد منهم كان يقمر في المجلس الواحد مائة بعير، فيحصل له المال الكثير، وربما كان يصرفه إلى المحتاجين فيكسب بذلك الثناء والمدح، وهو المنفعة وإثمهما أكبر من نفعهما يعني إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم، وقيل: إثمهما قوله تعالى: إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فهذه ذنوب يترتب عليها آثام كبيرة بسبب الخمر والميسر. قوله تعالى: ويسئلونك ماذا ينفقون وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله تعالى: قل العفو

يعني الفضل والعفو ما فضل عن قدر الحاجة.
فكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة. ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه الآية ثم نسخ ذلك بآية الزكاة وقيل: هو التصدق عن ظهر غنى (ق) عن الزهري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول» وقيل: هو الوسط في الإنفاق من غير إسراف ولا إقتار وقيل: هو في صدقة التطوع إذ لو كان المراد بهذا الإنفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على أن المراد به صدقة التطوع كذلك يبين الله لكم الآيات أي يبين لكم الأمور التي سألتم عنها من وجوه الإنفاق ومصارفه لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة. يعني فتأخذون ما يصلحكم في الدنيا وتنفقون الباقي فينفعكم." (١)

"سورة النساء

وهي مائة وخمس وسبعون آية وثلاثة آلاف وخمس وأربعون كلمة وستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفا.
بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة النساء (٤): آية ١]
بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١)
قوله عز وجل: يا أيها الناس خطاب للكافة فهو كقوله يا بني آدم اتقوا ربكم أي احذروا أمر ربكم أن تخالفوه فيما أمركم به أو نهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة يعني من أصل واحد وهو آدم أبو البشر عليه السلام وإنما أنث الوصف على لفظ النفس وإن كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم:
أبوك خليفة ولدته أخرى ... وأنت خليفة ذاك الكمال
فإنما قال ولدته أخرى لتأنيث وخلق منها زوجها يعني حواء وذلك أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام ألقى عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى، وهو قصير. فلما استيقظ رآها جالسة عند

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٥١/١

رأسه فقال لها: من أنت؟ قالت: امرأة قال: لماذا خلقت قالت خلقت لتسكن إلي فمال إليها وألفها لأنها خلقت منه واختلفوا في أي وقت خلقت حواء. فقال كعب الأحبار ووهب وابن إسحاق خلقت قبل دخوله الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس إنما خلقت في الجنة بعد دخوله إياها وبث منهما يعني نشر وأظهر من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء إنما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لأن حال الرجال أتم وأكمل وهذا كالتنبيه عن أن اللائق بحال الرجال الظهور والاستشهار وبحال النساء الاختفاء والخمول واتقوا الله الذي تسائلون به إنما كرر التقوى للتأكيد وأنه أهل أن يتقى والتساؤل بالله هو كقولك أسألك بالله واحلف عليك بالله واستشفع إليك بالله والأرحام قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا الأرحام أن تقطعوها وقرئ بكسر الميم فهو كقولك سألتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم لأن العرب كان من عادتهم أن يقولوا ذلك والرحم القرابة. وإنما استعير اسم الرحم للقرابة لأنهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لأن القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض. وفي الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها ويدل على ذلك أيضا الأحاديث الواردة في ذلك (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يبسط عليه من رزقه وينسأ في أنزه فليصل رحمه قوله وينسأ في أثره أي يؤخر له في أجله. (ق) عن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يدخل الجنة قاطع» قال سفيان في روايته يعني قاطع رحم وعن الحسن قال من سألك بالله فأعطه ومن سألك بالرحم فأعطه وعن ابن عباس قال:." (١)

"الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل بشت به وكلمته وإذا أتاها القاطع احتجبت عنه إن الله كان عليكم رقيبا يعني حافظا والرقيب في صفة الله تعالى هو الذي لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء من أمر خلقه فبين بقوله: إن الله كان عليكم رقيبا إنه يعلم السر وأخفى، وإذا كان كذلك فهو جدير بأن يخاف ويتقى. قوله عز وجل:

[سورة النساء (٤): الآيات ٢ الى ٣]

وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (٢) وإن

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٣٧/١

خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا (٣)

وآتوا اليتامى أموالهم نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم كان في حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذي له فمنعه عمه فترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال: «أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع إلى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا. فإنه يحل داره يعني جنته فلما قبض الصبي أنفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ثبت الأجر وبقي الوزر فقالوا كيف ثبت الأجر وبقي الوزر؟ قال ثبت الأجر للغلام وبقي الوزر على أبيه. والخطاب في قوله تعالى وآتوا خطاب للأولياء والأوصياء واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذي مات أبوه واليتيم في اللغة الانفراد ومن الدرة اليتيمة لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقاء معنى الانفراد عن الآباء لكن في العرف اختص اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال. فإذا بلغ الصبي وصار يستغني بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتم وسئل ابن عباس اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتم؟ قال إذا أونس منه الرشد وإنما سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة أو لقرب عهدهم باليتم وإن كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا والمعنى وآتوا اليتامى أموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد وقيل معناه وآتوا اليتامى الصغار ما يحتجون إليه من نفقة وكسوة والقول الأول هو الصحيح إذا المراد باليتامى البالغون لأنه لا يجوز دفع المال إلى اليتيم إلا بعد البلوغ وتحقق الرشد ولا تتبدلوا أي ولا تستبدلوا الخبيث بالطيب يعني الخبيث الذي هو حرام عليكم بالحلال من أموالكم واختلفوا في هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الرديء، فربما كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها الهزيلة ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم فنهوا عنه وقال عطاء هو الربح في مال اليتيم وهو صغير لا علم له بذلك. وقيل إنه ليس بإبدال حقيقة. وإنما هو أخذه مستهلكا وذلك أن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصغار وإنما كان يأخذ الميراث الأكابر من الرجال وقيل هو أكل مال اليتيم عوضا عن أكل أموالهم فنهوا عن ذلك ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إلى أموالكم يعني مع أموالكم وقيل معناه ولا تضموا أموالهم إلى أموالكم في الإنفاق واعلم أن الله تعالى نهى عن أكل مال اليتيم وأراد به جميع التصرفات المهلكة للمال وإنما ذكر الأكل لأنه معظم المقصود إنه كان حوبا كبيرا يعني أن أكل مال اليتيم من غير حق إثم عظيم والحوب الإثم. قوله عز وجل: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى يعني وإن خفتم

يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا فيهن إذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب (ق) عن عروة أنه سأل عائشة رضي الله تعالى عنهما عن قوله تعالى: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء- إلى قوله- أو ما ملكت أيمانكم قالت يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضي الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل ويستفتونك في النساء- إلى- وترغبون أن تنكحوهن." (١)

"[سورة النساء (٤): الآيات ١٥٦ الى ١٥٨]

وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما (١٥٦) وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨)

وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني حين رموها بالزنا وذلك أنهم أنكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير أب ومنكر قدرة الله كافر. فالمراد بقوله وبكفرهم هو إنكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم إياها بالزنا وإنما سماه بهتانا عظيما لأنه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على براءتها من ذلك فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم.

قوله عز وجل: وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ادعت اليهود أنهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقتهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله: وما قتلوه وما صلبوه وفي قول رسول الله قولان: أحدهما أنه من قول اليهود فيكون المعنى أنه رسول الله على زعمه. والقول الثاني أن من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم وذلك أن الله تعالى أبدل ذكرهم في عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح.

وقوله تعالى: ولكن شبه لهم يعني ألقى شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب. واختلف العلماء في صفة التشبيه الذي شبه على اليهود في أمر عيسى عليه السلام. فروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه أنه قال أتى اليهود عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم: سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لأصحابه

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٣٨/١

من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم أنا فخرج إليهم فقال: أنا عيسى وقد صوره الله تعالى على صورة عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك. ورفع الله عز وجل عيسى عليه السلام من يومه ذلك. وفي رواية أخرى عن وهب أن عيسى عليه السلام قال لأصحابه: ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين. فقالوا هذا من أصحاب عيسى فجحد وقال: ما أنا بصاحبه فتركوه ثم أخذوا آخر فجحد كذلك فلما أصبح أتى بعض الحواريين إلى اليهود وكان منافقا فقال ما تجعلون لي إن أنا دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدلهم عليه فألقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذي دل عليه فأخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى. وقال قتادة إن أعداء الله اليهود زعموا أنهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا أن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لأصحابه أيكم يقذف عليه شبهي وله الجنة فانه مقتول فقال رجل منهم حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقيبا يحفظه فألقى الله شبه عيسى على ذلك للرقيب فأخذ فقتل وصلب فرفع الله عز وجل عيسى في ذلك الوقت. قال الطبري وأولى الأقوال بالصواب ما ذكرنا عن وهب بن منبه من أن شبه عيسى ألقى على جميع من كان مع عيسى في البيت حين أحيط بي وبهم من غير مسألة عيسى إياهم ذلك ولكن ليخزي الله بذلك اليهود وينقذ به نبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه أرادوه به من قتل وغيره وليبتلي الله من أراد ابتلاءه من عباده ويحتمل أن يكون ألقى شبهه على بعض أصحابه بعد ما تفرق عنه أصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام. وبقي ذلك فأخذ وقتل وصلب وظن أصحابه واليهود أن الذي قتلوه وصلبوه هو عيسى لما رأوا من شبهه به وخفي أمر عيسى عليهم وكانت حقيقة ذلك الأمر عند الله فلذلك قال تعالى: وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه يعني في قتل عيسى وهم اليهود لفي شك منه يعني من قتله وذلك أن اليهود قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد ألقي الشبه على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما." (١)

"قال بعضهم: معناه إني أريد أن تبوء بعقاب إثمي وإثمك فحذف المضاف وما باء بإثم باء بعقاب ذلك الإثم ذكره الواحدي وقال الزمخشري: ليس ذلك بحقيقة الإرادة لكنه لما علم أنه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكأنه صار مريدا لقتله مجازا وإن لم يكن مريدا حقيقة فتكون من

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١/٤٤٤

أصحاب النار يعني الملازمين لها وذلك جزاء الظالمين يعني جهنم جزاء من قتل أخاه ظلما.
قوله تعالى: فطوعت له نفسه قتل أخيه يعني زينت له وسهلت عليه القتل وذلك أن الإنسان إذا تصور أن قتل النفس من أكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فإذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى: «فطوعت له نفسه قتل أخيه» فقتله.
قال ابن جريج: لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له إبليس وقد أخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله.
واختلف في موضع قتله فقال ابن عباس: على جبل ثور. وقيل: على عقبة حراء. وقيل: بالبصرة عند مسجدها الأعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة.
وقوله تعالى: فأصبح من الخاسرين قال ابن عباس: خسر دنياه وآخرته أما دنياه فإسخاط والديه وبقي بلا أخ وأما آخرته فأسخط ربه وصار إلى النار (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل».

[سورة المائدة (٥): آية ٣١]
فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين (٣١)
قوله تعالى: فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال أصحاب الأخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت من بني آدم على وجه الأرض فقصدته السباع لتأكله فحمله قابيل على ظهره في جراب أربعين يوما. وقال ابن عباس: سنة حتى أروح وأنتن فأراه الله أن يرى قابيل سنته في موتى بني آدم في الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفيرة ثم ألقاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى: فبعث الله غرابا يبحث في الأرض يعني يحفرها وينثر ترابها ليريه كيف يواري سوأة أخيه يعني ليري الله أو يري الغراب قابيل كيف يواري ويستر جيفة أخيه فلما رأى ذلك قابيل من فعل الغراب قال يا ويلتى أي لزمه الويل وحضره وهي كلمة تحسر وتلهف وتستعمل عند وقوع الداهية العظيمة وذلك أنه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم أن الغراب أكثر علما منه وعلم أنه إنما ندم على قتل أخيه بسبب جهله وعدم معرفته فعند

ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال: يا ويلتا. وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب يعني مثل هذا الغراب الذي وارى الغراب الآخر فأواري سوأة أخي يعني فأستر جيفته وعورته عن الأعين فأصبح من النادمين يعني على حمله على ظهره مدة سنة لا على قتله. وقيل: إنه ندم على قتل أخيه لأنه لم ينتفع بقتله وسخط عليه أبواه وإخوته فندم لأجل ذلك لا لأجل أنه جنى جناية واقترف ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف وإشفاق من فعله فلأجل ذلك لم ينفعه الندم، قال المطلب بن عبد الله بن حطب: لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بمن عليها سبعة أيام وشربت دم المقتول كما تشرب الماء فناداه تعالى أين أخوك هابيل؟

فقال ما أدري ما كنت عليه **رقيبا**: فقال الله تعالى إن دم أخيك ليناديني من الأرض فلم قتلت أخاك؟ قال فأين دمه." (١)

"لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك إيانا عن أمر أنت أعلم به منا. وقيل: معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة أمرهم لأنا كنا نعلم ما كان من أفعالهم وأقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم ما أحدثوا من بعدنا ومنه ما أخبر الله عن عيسى عليه السلام بقوله: «وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم» ومنه ما روي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رفعوا إلي اختلجوا دوني فلأقولن أي رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» زاد في رواية «فأقول سحقا لمن بدل بعدي» أخرجاه في الصحيحين وقال جمع من المفسرين إن للقيامة أهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم إذا ثابت إليهم عقولهم يشهدون على أممهم بالتبليغ.

وهذا فيه ضعف ونظر لأن الله تعالى قال في حق الأنبياء: «لا يحزنهم الفزع الأكبر»، وذكر الإمام فخر الدين الرازي وجها آخر وهو أن الرسل عليهم السلام لما علموا أن الله تعالى عالم لا يجهل وحليم لا يسفه وعادل لا يظلم علموا أن قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فرأوا أن الأدب في السكوت وفي تفويض الأمر إلى الله تعالى وعدله فقالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب يعني إنك تعلم ما غاب عنا من بواطن الأمور ونحن نعلم ما نشاهد ولا نعلم ما في البواطن. وقيل معناه إنك لا يخفى عليك ما عندنا من العلوم وأن الذي سألتنا عنه ليس بخاف عليك لأنك أنت علام الغيوب ومعناه العالم بأصناف المعلومات على تفاوتها

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٤/٢

ليس تخفى عليه خافية وبناء فعال بناء التكثير ودلت الآية على جواز إطلاق العلام على الله تعالى كما يجوز إطلاق الخلاق عليه.

قوله عز وجل: إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك قال بعضهم: إن إذ قال الله تعالى: يا عيسى صلة لماذا أجبتم ولما كان المراد بقوله للرسل ما أجبتم توبيخ الأمم ومن تمرد منهم على الله وكان أشد الأمم احتياجا وافتقارا إلى التوبيخ والملامة النصارى الذين يزعمون أنهم أتباع عيسى عليه السلام ووجه ذلك أن جميع الأمم إنما كان طعنهم في أنبيائهم بالتكذيب لهم وطعن هؤلاء النصارى تعدي إلى جلال الله تعالى حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الزوجة والولد. ذكر الله في هذه الآية أنواع نعمه على عيسى عليه السلام التي تدل على أنه عبد وليس بإله والفائدة في ذكر هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقالتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد الحجة عليهم. وقيل: فائدة ذلك إسماع الأمم يوم القيامة ما خص الله عيسى عليه السلام به من الكرامة. وقيل:

موضع إذا رفع بالابتداء على القطع ومعناه اذكر إذ قال الله: يا عيسى وإنما خرج قوله: إذ قال الله على لفظ الماضي دون المستقبل لأنه ورد على سبيل حكاية الحال. وقيل: تقديره إذ يقول الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك لفظه واحد والمراد به الجمع لأن الله تعالى عدد نعمه عليه في هذه الآية والمراد من ذكرها شكرها وعلى والدتك يعني بنعمته على مريم عليها السلام أنه تعالى: أنبتها نباتا حسنا وطهرها واصطفاها على نساء العالمين.

ثم ذكر نعمه على عيسى عليه السلام فقال تعالى: إذ أيدتك بروح القدس يعني بجبريل عليه السلام لأن القدس هو الله تعالى وأضافه إليه على سبيل التشريف والتعظيم كإضافة بيت الله وناقة الله. وقيل: أراد بروح القدس الروح المطهرة لأن الأرواح تختلف باختلاف الماهية فمنها روح طاهرة مقدسة نورانية ومنها روح خبيثة كدرة ظلمانية فخص الله عيسى بالروح المقدسة الطاهرة النورانية المشرفة تكلم الناس في المهد يعني تكلمهم طفلا في حال الصغر وكهلا يعني وفي حالة الكهولة من غير أن يتفاوت كلامك في هذين الوقتين وهذه معجزة عظيمة وخاصة شريفة ليست لأحد قبله. قال ابن عباس: أرسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله إليه وإذ علمتك الكتاب والحكمة يعني الكتابة

وهي الخط والحكمة الفهم والاطلاع على أسرار العلوم والتوراة والإنجيل أي وعلمتك التوراة التي أنزلتها على موسى والإنجيل الذي." (١)

"[سورة المائدة (٥): الآيات ١١٧ الى ١١٨]

ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧) إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨)

قوله تعالى إخبارا عن عيسى ما قلت لهم إلا ما أمرتني به يعني ما قلت لهم إلا قولا أمرتني به أن اعبدوا الله يعني قلت لهم اعبدوا الله ربي وربكم يعني وحده ولا تشركوا به شيئا وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم يعني وكنت أشهد ما يفعلون وأحصره ما دمت مقيما فيهم فلما توفيتني يعني فلما رفعتني إلى السماء فالمراد به وفاة الرفع لا الموت كنت أنت **الرقيب** عليهم يعني الحفيظ عليهم المراقب لأعمالهم وأحوالهم **والرقيب** الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء وأنت على كل شيء شهيد يعني أنت شهدت مقالتي التي قلتها لهم وأنت الشهيد عليهم بعد ما رفعتني إليك لا تخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد هنا بمعنى الشاهد لما كان وما يكون أن يجوز أن يكون الشهيد هنا بمعنى العليم يعني أنت العالم بكل شيء فلا يعزب عن علمك شيء.

قوله عز وجل إخبارا عن عيسى عليه السلام إن تعذبهم يعني إن تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بأن تميتهم على كفرهم فإنهم عبادك لا يقدرون على دفع ضر نزل بهم ولا جلب نفع لأنفسهم وأنت العادل فيهم لأنك أوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا وإن تغفر لهم يعني لمن تاب من كفره منهم بأن تهديه إلى الإيمان فإن ذلك بفضلك ورحمتك فإنك أنت العزيز يعني في الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك ما تريده الحكيم في أفعالك كلها وهذا التفسير إنما يصح على قول السدي لأنه قال كان سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه إلى السماء قبل يوم القيامة. أما على قول جمهور المفسرين إن هذا السؤال إنما يقع يوم القيامة ففي قوله وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم إشكال وهو أنه يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه بأن الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الإشكال من وجوه أحدها أنه ليس هذا على طريق طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فإنك أنت الغفور

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٩٠

الرحيم ولكنه على تسليم الأمر إلى الله وتفويضه إلى مراده فيهم لأنه العزيز في ملكه الحكيم في فعله ويجوز في حكمته وسعة مغفرته ورحمته أن يغفر للكفار، لكنه تعالى أخبر أنه لا يفعل ذلك بقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به الوجه الثاني: قيل معناه أن تعذبهم يعني إقامتهم على كفرهم إلى الموت وإن تغفر لهم يعني لمن آمن منهم وتاب ورجع عن كفره، الوجه الثالث: قال ابن الأنباري: لما قال الله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله. لم يقع لعيسى إلا أن النصارى حكت عنه الكذب لأنه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز أن يسأل له المغفرة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني الآية وقول عيسى: إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي فبكى فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فاسأله ما يبكيك، فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك. عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى أصبح بآية والآية إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم أخرجه النسائي قوله عز وجل:

[سورة المائدة (٥): الآيات ١١٩ الى ١٢٠]

قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم (١١٩) لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير (١٢٠)

قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم اتفق جمهور العلماء على أن المراد بهذا اليوم يوم القيامة." (١)

"عما يصفون فقوله سبحانه فيه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وقوله تعالى يعني هو المتعالي عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد، أو يكون المعنى: المتعالي عن اتخاذ الولد والتشريك وقوله عما يصفون يعني عما يصفونه به من الكذب.

قوله عز وجل: بديع السماوات والأرض الإبداع عبارة عن تكوين الشيء على غير مثال سبق والله تعالى

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٩٥

خلق السموات والأرض على غير مثال سبق أنى يكون له ولد يعني من أين يكون له ولد ولم تكن له صاحبة لأن الولد لا يكون إلا من صاحبة أنثى ولا ينبغي أن تكون لله صاحبة لأنه ليس كمثله شيء وخلق كل شيء يعني أن الصاحبة والولد في جملة من خلق لأنه خالق كل شيء وليس كمثله شيء فكيف يكون الولد لمن لا مثل له وإذا نسب الولد والصاحبة إليه فقد جعل له مثل والله تعالى منزه عن المثلية وهذه الآية حجة قاطعة على فساد قول النصارى وهو بكل شيء عليم يعني أنه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن علمه شيء وعلمه محيط بكل شيء.

قوله تعالى: ذلكم الله ربكم يعني ذلكم الله الذي من صفته أنه خلق السموات والأرض وأبدعهما على غير مثال سبق إنه بكل شيء عليم هو ربكم الذي يستحق العبادة لا من تدعون من دونه من الأصنام لأنها جمادات لا تخلق ولا تضر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الضار النافع لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه يعني أنه هو الذي يستحق العبادة فاعبدوه وأطيعوه وهو على كل شيء وكيل يعني أنه هو تعالى على كل شيء خلق رقيب حفيظ، يقوم بأرزاق جميع خلقه.

[سورة الأنعام (٦): الآيات ١٠٣ الى ١٠٥]

لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (١٠٣) قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤) وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون (١٠٥)

قوله عز وجل: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار قال جمهور المفسرين معنى: الإدراك الإحاطة بكنه الشيء وحقيقته فالأبصار ترى البارئ جل جلاله ولا تحيط به كما أن القلوب تعرفه ولا تحيط به. وقال سعيد بن المسيب في تفسيره: قوله لا تدركه الأبصار، لا تحيط به الأبصار. وقال ابن عباس: كلت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به.

((فصل)) تمسك بظاهر الآية قوم من أهل البدع ووهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا: إن الله تبارك وتعالى لا يراه أحد من خلقه وإن رؤيته مستحيلة عقلا، لأن الله أخبر أن الأبصار لا تدركه وإدراك البصر عبارة عن الرؤية، إذ لا فرق بين قوله أدركته ببصري ورأيته ببصري فثبت بذلك أن قوله لا تدركه الأبصار بمعنى لا تراه الأبصار وهذا يفيد العموم ومذهب أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة وأن رؤيته غير مستحيلة عقلا واحتجوا لصحة مذهبهم بتظاهر أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، ومن

بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تبارك وتعارى للمؤمنين في الآخرة قال الله تبارك وتعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ففي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى: كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي رحمه الله: حجب قوما بالمعصية وهي الكفر فثبت أن قوما يرونه بالطاعة وهي الإيمان وقال مالك لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكفار بالحجاب وقال تعالى: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وفسروا هذه الزيادة بالنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى يوم القيامة.." (١)

"عليهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم بره وإحسانه عند المعصية. وقيل: هو الذي لطف عن أن تدركه الأبصار وهو يدركها.

قوله تعالى: قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر: جمع البصيرة، وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به. والمعنى: قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل. وقيل: إن الآيات والبراهين ليست في أنفسها بصائر إلا أنها لقوتها توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها فلما كانت هذه الآيات والحجج والبراهين أسبابا لحصول البصائر سميت بصائر فمن أبصر يعني فمن عرف الآيات واهتدى بها إلى الحق فلنفسه يعني فلنفسه أبصر ولها عمل لأنه يعود نفع ذلك عليه ومن عمي يعني ومن جهل ولم يعرف الآيات ولم يستدل بها إلى الطريق فعليها يعني فعلى نفسه عمى ولها ضر وكان وبال ذلك العمى عليه لأن الله تعالى غني عن خلقه وما أنا عليكم بحفيظ يعني وما أنا ءليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم وأفعالكم إنما أنا رسول من ربكم إليكم أبلغكم ما أرسلت به إليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وأحوالكم. وقيل معناه لا أقدر أن أدفع عنكم ما يريده الله بكم وقيل معناه لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الأمر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآيات السيف وعلى القول الأول ليست منسوخة والله أعلم.

قوله عز وجل: وكذلك نصرف الآيات يعني وكذلك نبين الآيات ونفصلها في كل وجه كما صرفناها وبيناها من قبل وليقولوا درست يعني وكذلك نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقولوا درست. وقيل: معناه لئلا يقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه عاقبة أمرهم أن يقولوا درست يعني قرأت على غيرك. يقال:

درس الكتاب يدرسه دراسة إذا أكثر قراءته وذلله للحفظ. قال ابن عباس: وليقولوا، يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست ىعني تعلمت من يسار وجبر وكانا عبدين من سبي الروم ثم قرأت علينا تزعم أنه من

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/١٤٢

عند الله وقال الفراء: معناه تعلمت من اليهود وقرئ دارست بالألف بمعنى قارأت أهل الكتاب من المدارسة التي هي بين اثنين يعني يقولون قرأت على أهل الكتاب وقرءوا عليك وقرئ درست بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه أن هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة فدرست وانمحت من قولهم فرس الأثر إذا محي وذهب أثره ولنبينه لقوم يعلمون يعني القرآن وقيل: معناه نصرف الآيات لقوم يعلمون. قال ابن عباس: يريد أولياءه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد وقيل: معنى الآية وكذلك نصرف الآيات ليسعد بها قوم ويشقى بها آخرون فمن أعرض عنها وقال النبي صلى الله عليه وسلم: درست أو درست فهو شقي ومن تبين له الحق وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد وقال أبو إسحاق: إن السبب الذي أداهم إلى أن قالوا درست هو تلاوة الآيات عليهم وهذه اللام تسميها أهل اللغة لام الصيرورة يعني صار عاقبة أمرهم أن قالوا دارست فصار ذلك سببا لشقاوتهم وفي هذا دليل على أن الله تعالى جعل تصريف الآيات سببا لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم.

[سورة الأنعام (٦): الآيات ١٠٦ الى ١٠٨]

اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين (١٠٦) ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل (١٠٧) ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون (١٠٨)

قوله تعالى: اتبع ما أوحي إليك من ربك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني اتبع يا محمد ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه إليك وهو القرآن فاعمل به وبلغه إلى البادي ولا تلتفت إلى قول من يقول: دارست أو درست. وفي قوله اتبع ما أوحي إليك من ربك تعزية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن الذي حصل له بسبب قولهم درست ونبه بقوله." (١)

"تعالى: لا إله إلا هو أنه سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لا شريك له وإذا كان كذلك فإنه تجب طاعته ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين وقوله تعالى: وأعرض عن المشركين قيل: المراد منه في الحال لا الدوام وإذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل: المراد ترك مقالتهم فعلى هذا يكون الأمر بالإعراض منسوخة بآية القتال قوله عز وجل: ولو شاء الله ما أشركوا قال الزجاج: معناه لو شاء الله لجعلهم

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٤٤/٢

مؤمنين وهذا نص صريح في أن شركهم كان بمشيئة الله تعالى خلافا للمعتزلة في قولهم لم يرد من أحد الكفر والشرك فالآية رد عليهم وما جعلناك عليهم حفيظا يعني: وما جعلناك يا محمد على هؤلاء المشركين رقيبا ولا حافظا تحفظ عليهم أعمالهم. وقال ابن عباس في رواية عطاء: وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم منا ومعناه إنك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب وإنما بعثت مبلغا فلا تهتم بشركهم فإن ذلك بمشيئة الله تعالى: وما أنت عليهم بوكيل يعني وما أنت عليهم بقيم تقوم بأرزاقهم وما أنت عليهم بمسيطر، فعلى التفسير الأول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى قول ابن عباس: لا تكون منسوخة.

قوله تعالى: ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم الآية قال ابن عباس: لما نزلت: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سبب آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة: كان المؤمنون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله لأنهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل. وقال السدي: لما حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فإنا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات قتلوه. فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبي ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والأسود بن أبي البختري إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه وإلهه فدعاه جاء النبي صلى الله عليه وسلم: فقال له أبو طالب: إن هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يريدون؟ قالوا:

نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك. فقال له أبو طالب: قد أنصفك قومك فاقبل منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرأيتم إن أعطيتكم هذا فهل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم وأدت لكم الخراج؟ فقال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فما هي؟ فقال: قولوا لا إله إلا الله «فأبوا ونفروا» فقال أبو طالب: قل غيرها يا ابن أخي فقال: يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها إرادة أن يؤيسهم فقالوا: لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنك ونشتمن من يأمرك فأنزلت: ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعني ولا تسبوا أيها المؤمنون الأصنام التي يعبدها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم يعني فيسبوا الله ظلما بغير علم لأنهم جهلة بالله عز وجل. قال الزجاج: نهوا في ذلك الوقت قبل القتال أن يلعنوا الأصنام التي كانت عبدها المشركون. وقال ابن الأنباري: هذه الآية منسوخة أنزلها الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة فلما قواه بأصحابه نسخ هذه الآية

ونظائرها بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم. وقيل إنما نهوا عن سب الأصنام وإن كان في بسبها طاعة وهو مباح لما يترتب على ذلك من المفاسد التي هي أعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب رسوله وذلك من أعظم المفاسد فلذلك نهوا عن سب الأصنام وقيل لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا آلهتكم فيسبوا ربكم فأمسك المسلمون عن سب آلهتهم فظاهر الآية وإن كان نهيا عن سب الأصنام فحقيقته النهي عن سب الله تعالى لأنه سبب لذلك.

وقوله تعالى: كذلك زينا لكل أمة عملهم يعني كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل أمه عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي هذه الآية دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله خلق الكفر وتزيينه.." (١)

"سبحانه وتعالى المقدسة كلها حسنى وليس المراد أن فيها ما ليس بحسن والمعنى أن الأسماء الحسنى ليس إلا لله لأن هذا اللفظ يفيد الحصر. وقيل إن الأسماء ألفاظ دالة على معان فهي إنما تحسن بمعانيها ولا معنى للحسن في حق الله تبارك وتعالى إلا ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين:

أحدهما: عدم افتقاره إلى غيره.

الثاني: افتقار غيره إليه وإنه هو المسمى بالأسماء الحسنى (ق). عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة، والله وتر يحب الوتر» وفي رواية «من أحصاها» وفي رواية أخرى «لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة، والله وتر يحب الوتر» وفي رواية «من أحصاها» وفي رواية أخرى «لله تسعة وتسعون اسما مائة إلا واحدا لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر» قال البخاري:

أحصاها حفظها. وفي رواية الترمذي قال: قال رسول الله «إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/١٤٥

الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المعدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور» قال الترمذي: حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث قال وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء التي في هذا الحديث. قال ابن الأثير: وفي رواية ذكرها رزين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون فقال: «إن لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما» الحديث.

قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى: اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى وليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين وإنما المقصود من الحديث أن هذه التسعة والتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء ولهذا جاء في الحديث الآخر «أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك» وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم أن لله ألف اسم. قال ابن العربي: وهذا قليل. وقوله صلى الله عليه وسلم: من أحصاها دخل الجنة تقدم فيه قول البخاري أن معناه حفظها وهو قول أكثر المحققين ويعضده الرواية الأخرى من حفظها دخل الجنة. وقيل: المراد من الإحصاء العدد أي عدها في الدعاء بها. وقيل معناه من أطاقها وأحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معنى أحصاها أحضر بباله عند ذكرها معناه وتفكر في مدلولها معتبرا متدبرا ذاكرا راغبا راهبا معظما لها ولمسماها ومقدسا لذات الله سبحانه وتعالى وأن يخطر بباله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه، وقوله والله وتر يحب الوتر الوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى أنه الواحد الذي لا شريك له ولا نظير فيه تفضيل الوتر في الأعمال لأن أكثر الطاعات وتر وفيه دليل على أن أشهر أسمائه سبحانه وتعالى الله لإضافة الأسماء إليه فيقال الرؤوف والكريم واللطيف من أسماء الله ولا يقال من أسماء الله الرؤوف والكريم واللطيف الله وقد قيل إن لفظة الله هو الاسم الأعظم. قال أبو." (١)

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٢٧٥

"وقيل إليه أرجع في معادي روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الأنبياء» لحسن مراجعته قومه.

وقوله تعالى: ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أي لا يحملنكم خلافي وعداوتي أن يصيبكم يعني عذاب العاجلة على كفركم وأفعالكم الخبيثة مثل ما أصاب قوم نوح يعني الغرق أو قوم هود يعني الريح التي أهلكتهم أو قوم صالح يعني ما أصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا وما قوم لوط منكم ببعيد وذلك أنهم كانوا حديثي عهد بهلاكهم وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك أنهم كانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم.

[سورة هود (١١): الآيات ٩٠ الى ٩٣]

واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود (٩٠) قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز (٩١) قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط (٩٢) ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣)

واستغفروا ربكم يعني من عبادة الأصنام ثم توبوا إليه يعني من البخس والنقصان في الكيل والوزن إن ربي رحيم يعني بعباده إذا تابوا واستغفروا ودود قال ابن عباس: الودود المحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل أوده إذا أحببته، وقيل: يحتمل أن يكون ودود فعول بمعنى مفعول ومعناه أن عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة إفضاله وإحسانه إليهم. وقال الحليمي: هو الواد لأهل طاعته أي الراضي عنهم بأعمالهم والمحسن إليهم لأجلها والمادح لهم بها، وقال أبو سليمان الخطابي: وقد يكون معناه من تودد إلى خلقه قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول يعني ما نفهم ما تدعونا إليه وذلك أن الله سبحانه وتعالى ختم على قلوبهم فصارت لا تعي ولا تفهم ما ينفعها وإن كانوا في الظاهر يسمعون ويفهمون وإنا لنراك فينا ضعيفا قال ابن عباس وقتادة: كان أعمى، قال الزجاج: ويقال إن حمير كانوا يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن وأبو روق ومقاتل: يعني ذليلا، قال أبو روق: إن الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا أعمى ولا نبيا به زمانة، وقيل: كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذي يتعذر عليه المنع عن نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله ولولا رهطك يعني جماعتك وعشيرتك قيل الرهط ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل: إلى السبعة لرجمناك يعني لقتلناك بالحجارة والرجم بالحجارة أسوأ

القتلات وشرها، وقيل:
معناه لشتمناك وأغلظنا لك القول وما أنت علينا بعزيز يعني بكريم وقيل بممتنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله أنهم بينوا لشعيب عليه السلام أنه لا حرمة له عندهم ولا في صدورهم وأنهم إنما لم يقتلوه ولم يسمعوه الكلام الغليظ الفاحش لأجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لأنهم كانوا على دينهم وملتهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة أجابهم بقوله قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله يعني أهيب عندكم من الله وأمنع حتى تركتم قتلي لمكان رهطي عندكم فالأولى أن تحفظوني في الله ولأجل الله لا لرهطي لأن الله أعز وأعظم واتخذتموه وراءكم ظهريا يعني ونبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشيء الملقى الذي لا يلتفت إليه إن ربي بما تعملون محيط يعني أنه سبحانه وتعالى عالم بأحوالكم جميعا لا يخفى عليه منها شيء فيجازيكم بها يوم القيامة ويا قوم اعملوا على مكانتكم يعني على تؤدتكم وتمكنكم من أعمالكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بعناية المكنة والقدرة من الشر إني عامل يعني ما أقدر عليه من الطاعة." (١)

"والخير وهذا الأمر في قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: سوف تعلمون أينا الجاني على نفسه المخطئ في فعله.

فإن قلت أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في قوله سوف تعلمون.

قلت إدخال الفاء في قوله: فسوف تعلمون، وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها في قوله سوف تعلمون وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فما يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون يعني عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلادة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعني بسبب عمله السيء أو أينا الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب يعني فيما يدعيه وارتقبوا يعني وانتظروا العاقبة ما يؤول إليه أمري وأمركم إني معكم **رقيب** أي منتظر، **والرقيب** بمعنى المراقب.

[سورة هود (١١): الآيات ٩٤ الى ١٠١]

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٥٠٠

ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٩٤) كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود (٩٥) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين (٩٦) إلى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد (٩٧) يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود (٩٨)

وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود (٩٩) ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد (١٠٠) وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب (١٠١)

ولما جاء أمرنا يعني بعذابهم وإهلاكهم نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا يعني بفضل منا بأن هديناهم للإيمان ووفقناهم للطاعة وأخذت الذين ظلموا يءني ظلموا أنفسهم بالشرك والبخس الصيحة وذلك أن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم وماتوا جميعا، وقيل: أتتهم صيحة واحدة من السماء فماتوا جميعا فأصبحوا في ديارهم جاثمين يعني ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطير إذا قعد ولطأ بالأرض كأن لم يغنوا فيها يعني كأن لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غني بالمكان إذا أقام فيه مستغنيا به عن غيره ألا بعدا يعني هلاكا لمدين كما بعدت ثمود قال ابن عباس «لم تعذب أمتان قط بعذاب واحد إلا قوم شعيب وقوم صالح فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فأخذتهم الصيحة من فوقهم» قوله عز وجل: ولقد أرسلنا موسى بآياتنا يعني بحججنا والبراهين التي أعطيناه الدالة على صدقه ونبوته وسلطان مبين يعني ومعجزة باهرة ظاهرة دالة على صدقة أيضا قال بعض المفسرين المحققين سميت الحجة سلطانا لأن صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه كالسلطان يقهر غيره، وقال الزجاج: السلطان هو الحجة وسمي السلطان سلطانا لأنه حجة الله في الأرض إلى فرعون وملائه يعني أتباعه وأشراف قومه فاتبعوا أمر فرعون يعني ما هو عليه من الكفر وترك الإيمان بما جاءهم به موسى وما أمر فرعون برشيد يعني وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو إلى خير يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار يعني كما تقدم قومه فأدخلهم البحر في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة فيدخلهم النار ويدخل هو أمامهم، والمعنى كما كان قدوتهم في الضلال والكفر في الدنيا فكذلك هو

قدوتهم وإمامهم في النار وبئس الورد المورود يعني: وبئس الدخل المدخول فيه وقيل شبه الله تعالى فرعون في تقدمه على قومه إلى النار بمن يتقدم." (١)

"له؟ قلت: المقصود منه الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شيء إلا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمته ولوالدي. فإن قلت: كيف استغفر إبراهيم لأبويه وكانا كافرين؟

قلت: أراد أنهما إن أسلما وتابا وقيل إنما قال ذلك قبل أن يتبين له أنهما من أصحاب الجحيم وقيل إن أمه أسلمت فدعا لها وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وللمؤمنين يعني واغفر للمؤمنين كلهم يوم يقوم الحساب يعني يوم يبدو ويظهر الحساب وقيل أراد يوم الناس للحساب فاكتفى بذلك أي بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليله إبراهيم عليه السلام ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة. قوله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله محال فلا بد من تأويل الآية فالمقصود منها أنه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظلوم ففيه وعيد وتهديد للظالم وإعلام له بأن لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة: فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم. فإن قلت: تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم غافلا وهو أعلم الناس به أنه لم غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون. قلت: إذا كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان: أحدهما التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله «ولا تكونن من المشركين- ولا تدع مع الله إلها آخر» وكقوله سبحانه وتعالى «يا أيها الذين آمنوا آمنوا» أي اثبتوا على ما أنتم عليه من الإيمان. الوجه الثاني أن المراد بالنهي عن حسابه غافلا الإعلام بأنه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون ولا يخفى عليه شيء وأنه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى: ولا تحسبنه معاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملة **الرقيب** الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وإن كان المخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا إشكال فيه ولا سؤال لأن أكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز أن يحسبه غافلا فلجهله بصفاته إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار يقال:

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٥٠١

شخص بصر الرجل إذا بقيت عيناه مفتوحتين لا يطرفهما، وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة من هول ما ترى في ذلك اليوم مهطعين قال قتادة مسرعين وهذا قول أبي عبيدة فعلى هذا المعنى أن الغالب من حال من بقي بصره شاخصا من شدة الخوف أن يبقى واقفا باهتا فبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن أحوال أهل الوقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة فأخبر سبحانه وتعالى أنهم مع شخوص الأبصار ي كونون مهطعين يعني مسرعين نحو الدعي وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكت مقنعي رؤسهم الاقناع رفع الرأس إلى فوق فأهل الموقف من صفتهم أنهم رافعو رؤوسهم إلى السماء وهذا بخلاف المعتاد لأن من يتوقع البلاء فإنه يطرق ببصره إلى الأرض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد وهو قوله تعالى لا يرتد إليهم طرفهم أي لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة الخوف فهي شاخصة لا ترتد إليهم قد شغلهم ما بين أيديهم وأفئدتهم هواء أي خالية. قال قتادة خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى أماكنها ومعنى الآية أن أفئدتهم خالية فارغة لا تعي شيئا ولا تعقل من شدة الخوف. وقال سعيد بن جبير: وأفئدتهم هواء مترددة تهوي في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه، ومعنى الآية أن القلوب يومئذ زائلة عن أماكنها والأبصار شاخصة والرؤوس مرفوعة إلى السماء من هول ذلك اليوم وشدته.

[سورة إبراهيم (١٤): آية ٤٤]

وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال (٤٤)

وأنذر الناس يعني وخوف الناس يا محمد بيوم القيامة وهو قوله سبحانه وتعالى يوم يأتيهم العذاب." (١)

"تخافي

أي عليه من الغرق وقيل الضيعة ولا تحزني أي على فراقه إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين قال ابن عباس إن بني إسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس، وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم إلى أن أنجاهم الله على يد نبيه موسى عليه الصلاة والسلام.

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤٣/٣

ذكر القصة في ذلك

قال ابن عباس: إن أم موسى لما تقاربت ولادتها، كانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني إسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت إليها، وقالت لها: قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك إياي اليوم، فعالجت قبالها فلما وقع موسى بالأرض هالها نور عيني موسى فارتعش كل مفصل فيها، ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت إليك حين دعوتني إلا مرادي قتل ولدك، ولكن وجدت لولدك حبا ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنك، فإني أراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤوا إلى بابها ليدخلوا إلى أم موسى، فقالت أخته: يا أماه هذا الحرس بالباب فلفته بخرقة وألقته في التنور وهو مسجور، وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون، ولم يظهر لها لبن فقالوا ما أدخل القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت علي زائرة، فخرجوا من عندها فرجع إليها عقلها فقالت لأخته فأين الصبي؟ فقالت: لا أدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتملته، قال: ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها، فقذف الله في قلبها أن تتخذ تابوتا له ثم تقذف التابوت في النيل فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون، فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت؟ فقالت: ابن لي أخبئه في التابوت، وكرهت الكذب قال ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون، فلما اشترت التابوت وحملته، وانطلقت به انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه، فلم يطلق الكلام وجعل يشير بيديه فلم تدر الأمناء ما يقول، فلما أعياهم أمره قال كبيرهم: اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار إلى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الأمناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام، ولم يبصر شيئا فضربوه وأخرجوه، وبقي حيران فجعل لله عليه إن رد عليه لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه فيحفظه، حيثما كان فعرف الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يا رب: دلني على هذا العبد الصالح فدله عليه فآمن به وصدقه وقال وهب لما حملت أم موسى بموسى، كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله تعالى، وذلك شيء ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بني إسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها، بعث فرعون القوابل وتقدم الأمين ففتش النساء تفتيشا لم يفتش قبل ذلك مثله، وحملت بموسى ولم يتغير لونها ولم ينب بطنها فكانت القوابل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم وأوحى الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه

فألقيه في اليم فكتمته ثلاثة أشهر فلما خافت عليه عملت تابوتا، مطبقا، ثم ألقته في اليم وهو البحر ليلا. قال ابن عباس وغيره: كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الأطباء والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا: أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون إلى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ البحر." (١)

"أم شريك بنت جابر: من بني أسد وقال عروة بن الزبير: هي خولة بنت حكيم من بني سليم. وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم أي أوجبنا على المؤمنين في أزواجهم أي من الأحكام وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر وما ملكت أيمانهم أي ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين لكيلا يكون عليك حرج وهذا يرجع إلى أول الآية معناه أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لكي لا يكون عليك ضيق وكان الله غفورا أي للواقع في الحرج رحيما أي بالتوسعة على عبادة.

[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٥١ الى ٥٢]

ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما (٥١) لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢)

قوله تعالى ترجي يعني تؤخر من تشاء منهن وتؤوي إليك أي تضم إليك من تشاء قيل هذا للقسم بينهن وذلك أن التسوية بينهن في القسم كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم، فلما نزلت هذه الآية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار إليه فيهن، وقيل نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت آية التخيير فأمره الله تعالى أن يخيرهن فمن اختارت الدنيا فارقها، ويمسك من اختارت الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين، لا ينكحن أبدا

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٣٥٧

وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهن ويرجي من يشاء فيرضين به قسم لهن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن، دون بعض، أو فضل بعضهن في النفقة والكسوة فيكون الأمر في ذلك إليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط. واختلفوا في أنه هل أخرج أحدا منهن من القسم فقال بعضهم: لم يخرج أحدا بل كان صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم، إلا سودة فإنها رضيت بترك حقها من القسم، وجعلت يومها لعائشة وقيل: أخرج بعضهن. روي عن أبي رزين، قال: لما نزل التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت، ودعنا على حالنا فأرجى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن، وآوى إليه بعضهن فكان ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب، وكان يقسم بينهن سواء وأرجى منهن خمسا أم حبيبة وميمونة وسودة وجويرة وصفية، فكان يقسم لهن ما يشاء وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن، وتمسك من تشاء وقال الحسن: تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من النساء قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهبن أنفسهن فتؤويها إليك وتترك من تشاء فلا تقبلها (ق) عن عروة قال: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي، وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قلت يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك ومن ابتغيت ممن عزلت أي طلبت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلتهن عن القسمة فلا جناح عليك أي لا إثم عليك فأباح الله له ترك القسم، لهن، حتى إنه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها ويطأ من يشاء منهن في غير نوبتها ويرد إلى فراشه من عزل منهن، تفضيلا له على سائر الرجال ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن أي ذلك التخيير الذي خيرتك في صحبتهن أقرب إلى رضاهن وأطيب لأنفسهن، وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله تعالى ويرضين بما آتيتهن أي أعطيتهن كلهن من تقريب وإرجاء وعزل وإيواء والله يعلم ما في قلوبكم أي من أمر النساء والميل إلى بعضهن وكان الله عليما أي مما في ضمائركم حليما أي عنكم.

قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد أي من بعد هؤلاء التسع اللاتي اخترنك وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما." (١)

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤٣٢/٣

"خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النساء سواهن، ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن، قاله ابن عباس: واختلفوا هل أبيح له النساء بعد ذلك فروي عن عائشة أنها قالت «ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء» أخرجه الترمذي. وقال حديث حسن صحيح، وللنسائي عنها «حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما يشاء» وقال أنس «مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم» وقيل لأبي بن كعب لو مات نساء النبي صلى الله عليه وسلم أكان يحل له أن يتزوج قال: وما يمنعه من ذلك قيل له قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد قال: إنما أحل له ضربا من النساء فقال تعالى يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك الآية ثم قال لا يحل لك النساء من بعد وقيل معنى الآية لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا أن تبدل بهن من أزواج أي بالمسلمات غيرهن من الكتابيات، لأنه لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية إلا ما ملكت يمينك أي من الكتابيات فتسري بهن وقيل في قوله ولا أن تبدل بهن من أزواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم، يقول الرجل للرجل انزل لي عن امرأتك وأنزل عن امرأتي فأنزل الله تعالى ولا أن تبدل بهن من أزواج أي تبادل بهن من أزواج أي تبادل بأزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته فحرم ذلك إلا ما ملكت يمينك أي لا بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت، فأما الحرائر فلا ولو أعجبك حسنهن يعني ليس لك أن تطلق أحد من نسائك، وتنكح بدلها أخرى، ولو أعجبك جمالها، قال ابن عباس: يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب لما استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها فنهي عن ذلك إلا ما ملكت يمينك قال ابن عباس:

ملك بعد هؤلاء مارية وكان الله على كل شيء رقيبا أي حافظا وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء، ويدل عليه ما روى عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل» أخرجه أبو داود. (م) عن أبي هريرة «أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئا» قال الحميدي: يعني هو الصغر عن المغيرة بن شعبة قال: «خطبت امرأة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم هل نظرت إليها قلت: لا قال فانظر إليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما» أخرجه الترمذي: وقال حديث حسن. قوله عز وجل:

[سورة الأحزاب (٣٣): آية ٥٣]

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما (٥٣)

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الآية قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن أنس بن مالك: أنه كان ابن عشر سنين مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، قال فكانت أم هانئ تواظبني على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخدمته عشر سنين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشرين سنة، وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، وكان أول ما نزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين أصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا، وبقي رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت، حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة، وظن أنهم قد خرجوا فرجع." (١)

"عنده لأنه عالم الغيب وربك على كل شيء حفيظ يعني رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ. قوله تعالى قل يعني قل يا محمد لكفار مكة ادعوا الذين زعمتم يعني أنهم آلهة من دون الله والمعنى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع، ثم وصف عجز الآلهة فقال تعالى لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض يعني من خير وشر ونفع وضر وما لهم يعني للآلهة فيهما يعني في السموات، الأرض من شرك يعني من شركة وما له يعني لله منهم يعني من الآلهة من ظهير عون.

[سورة سبإ (٣٤): الآيات ٢٣ الى ٣١]

ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير (٢٣) قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤٣٣/٣

(٢٤) قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون (٢٥) قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم (٢٦) قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم (٢٧)
وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢٨) ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (٢٩) قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون (٣٠) وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين (٣١)
ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له يعني أذن الله له في الشفاعة قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل: يجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله في أن يشفع له حتى إذا فزع عن قلوبهم معناه كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى (خ) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها» فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير وللترمذي «إذا قضى الله في السماء أمرا ضربت الملائكة بأجنحتها خضعا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير» قال الترمذي حديث حسن صحيح قوله: خضعا جمع خاضع وهو المنقاد المطمئن والصفوان الحجر الأملس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفاة، فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فإذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول الحق فيقولون الحق» أخرجه أبو داود. الصلصلة صوت الأجراس الصلبة بعضها على بعض، وقيل: إنما يفزعون حذرا من قيام الساعة، قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة سنة أو ستمائة، لم تسمع الملائكة فيها صوت وحي فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا أنها الساعة، لأن محمدا صلى الله عليه وسلم، عند أهل السموات من أشراط الساعة، فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر بأهل كل سماء، فيكشف عنهم فيرفعون رؤوسهم ويقول بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم: قالوا قال الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقيل: الموصوفون بذلك هم المشركون وقيل إذا كشف الفزع عن قلوبهم عند

نزول الموت قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا لإقامة الحجة عليهم؟ قالوا: الحق فأقروا به حين لم ينفعهم الإقرار وهو العلي الكبير أي ذو العلو والكبرياء.." (١)

"الذي أراد فقبضته ملائكة الرحمة» (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل أسرف على نفسه وفي رواية لم يعمل خيرا قط وفي رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه إذا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح فو الله لئن قدر على ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا فلما مات فعل به ذلك فأمر الله تعالى الأرض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت فإذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يا رب أو قال مخافتك فغفر له بذلك» وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «كان في بني إسرائيل رجلان متحابان أحدهما مذنب والآخر في العبادة مجتهد فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول له أقصر فوجده يوما على ذنب فقال له أقصر فقال خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر لك الله أو قال لا يدخلك الجنة فقبض الله أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب تبارك وتعالى للمجتهد أكنت على ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر اذهبوا به إلى النار» قال أبو هريرة «تكلم والله بكلمة أوبقت دنياه وآخرته» أخرجه أبو داود عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «قال الله عز وجل يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة» أخرجه الترمذي، قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها وقراب الأرض بضم القاف هو ما يقارب ملأها. قوله عز وجل:

[سورة الزمر (٣٩): الآيات ٥٤ الى ٥٥]

وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون (٥٤) واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون (٥٥)

وأنيبوا إلى ربكم أي ارجعوا إليه بالتوبة والطاعة وأسلموا له أي أخلصوا له التوحيد من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون أي لا تمنعون منه واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم يعني القرآن لأنه كله حسن ومعنى

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤٤٧/٣

الآية على ما قاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فإنه أنزل في القرآن ذكر القبيح ليجتنب وذكر الأدون لئلا يرغب فيه وذكر الأحسن لتؤثره وتأخذ به وقيل الأحسن إتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون يعني غافلين عنه.

[سورة الزمر (٣٩): الآيات ٥٦ الى ٥٨]

أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين (٥٦) أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين (٥٧) أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين (٥٨)

أن تقول نفس أي لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا أن تقول وقيل خوف أن تصيروا إلى حال أن تقول نفس يا حسرتى أي يا ندمي ويا حزني والتحسر الاغتمام والحزن على ما فات على ما فرطت في جنب الله أي على ما قصرت في طاعة الله، وقيل في أمر الله وقيل في حق الله وقيل على ما ضيعت في ذات الله وقيل معناه على ما قصرت في الجانب الذي يؤدي إلى رضا الله تعالى: وإن كنت لمن الساخرين أي المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله وبالمؤمنين قيل لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر بأهلها أو تقول لو أن الله هداني أي أرشدني إلى دينه وطاعته لكنت من المتقين أي الشرك أو تقول حين ترى العذاب أي عيانا لو أن لي كرة أي رجعة إلى الدنيا فأكون من المحسنين أي الموحدين ثم أجاب الله تعالى هذا التأويل بأن الأعذار زائلة والتعليل باطل وهو قوله تعالى:." (١)

"والملائكة يسبحون بحمد ربهم أي ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بأمر ربهم ويستغفرون لمن في الأرض أي من المؤمنين دون الكفار، لأن الكافر لا يستحق أن تستغفر له الملائكة، وقيل يحتمل أن يكون لجميع من في الأرض أما في حق الكافرين فبواسطة طلب الإيمان لهم ويحتمل أن يكون المراد من الاستغفار لا يعاجلهم بالعقاب وأما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم، وقيل استغفارهم لمن في الأرض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن والكافر ألا إن الله هو الغفور الرحيم يعني أنه تعالى يعطي المغفرة التي سألوها ويضم إليها بمنه وكرمه الرحمة العامة الشاملة.

قوله تعالى: والذين اتخذوا من دونه أولياء أي جعلوا له شركاء وأندادا الله حفيظ عليهم يعني رقيب على أحوالهم وأعمالهم وما أنت عليهم بوكيل يعني لم توكل بهم حتى تؤخذ بهم إنما أنت نذير وكذلك أي ومثل

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٦٢/٤

ما ذكرنا أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى يعني مكة والمراد أهلها ومن حولها يعني قرى الأرض كلها وتنذر يوم الجمع أي وتنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله سبحانه وتعالى فيه الأولين والآخرين وأهل السموات وأهل الأرضين لا ريب فيه أي لا شك في الجمع أنه كائن ثم بعد ذلك يتفرقون وهو قوله تعالى: فريق في الجنة وفريق في السعير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفه ومعه كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا في الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفا في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم إجمال من الله تعالى عليهم إلى يوم القيامة، ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا في الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفا في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم إجمال من الله تعالى عليهم إلى يوم القيامة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل إذا؟ قال اعملوا وسددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله تعالى» أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده.

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٨ الى ١١]

ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير (٨) أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحي الموتى وهو على كل شيء قدير (٩) وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب (١٠) فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (١١)

قوله تعالى: ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة قال ابن عباس: على دين واحد وقيل على ملة الإسلام ولكن يدخل من يشاء في رحمته أي في دين الإسلام والظالمون أي الكافرون ما لهم من ولي أي يدفع عنهم العذاب ولا نصير أي يمنعهم من العذاب أم اتخذوا يعني الكفار من دونه أولياء فالله هو الولي قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولي من تبعك وهو يحي الموتى وهو على كل شيء قدير يعني أن من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بأن يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولي وما اختلفتم فيه من شيء أي من أمر الدين فحكمه إلى الله أي يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب وقيل علمه إلى

الله وقيل تحاكموا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن حكمه من حكم الله تعالى ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته ذلكم الله يعني الذي يحكم بين المختلفين هو الله ربي عليه توكلت يعني في جميع أموري وإليه أنيب." (١)

"ومرة معلم مجنون ويقولون في القرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة مفتري فكان أمرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك قوم الحق إلا مرج عليهم أمرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى: أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها أي: بغير عمد وزيناها أي بالكواكب وما لها من فروج أي: شقوق وصدوع والأرض مددناها أي بسطناها على وجه الماء وألقينا فيها رواسي أي: جبالا ثوابت وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج أي: من كل صنف حسن كريم يبتهج به أي:

يسر به تبصرة أي جعلنا ذلك تبصرة وذكرى أي تذكرة لكل عبد منيب أي: راجع إلى الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به من أناب ونزلنا من السماء ماء مباركا أي كثير الخير والبركة فيه حياة كل شيء وهو المطر فأنبتنا به أي: بذلك الماء جنات أي بساتين وحب الحصيد يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد والنخل باسقات أي: طوالا وقيل مستويات لها طلع أي: ثمر يطلع ويظهر ويسمى طلعا قبل أن يتشقق نضيد أي: متراكب بعضه على بعض في أكمامه فإذا تشقق وخرج من أكمامه فليس بنضيد رزقا أي: جعلنا ذلك رزقا للعباد وأحيينا به أي: بالمطر بلدة ميتا فأنبتنا فيها الكلأ والعشب كذلك الخروج أي: من القبور أحياء بعد الموت. قوله تعالى:

[سورة ق (٥٠): الآيات ١٢ الى ١٨]

كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود (١٢) وعاد وفرعون وإخوان لوط (١٣) وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد (١٤) أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد (١٥) ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦)

إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه **رقيب** عتيد (١٨)

كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة قيل: كان لوط

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/٩٤

مرسلا إلى طائفة من قوم إبراهيم ولذلك قال إخوان لوط وقوم تبع هو أبو كرب أسعد تبع الحميري وقد تقدم قصص جمعهم قيل ذم الله عز وجل قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لأنه هو المكذب المستخف لقومه فلهذا خص بالذكر دونهم كل كذب الرسل فحق وعيد أي: كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلهم فحق وعيدي أي وجب لهم عذابي وقيل فحق وعيدي للرسل بالنصر أفعيينا بالخلق الأول هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى أعجزنا حين خلقناهم أولا فنعيا بالإعادة ثانيا وذلك لأنهم اعترفوا بالخلق الأول وأنكروا البعث بل هم في لبس أي شك من خلق جديد وهو البعث.

قوله عز وجل: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه أي ما يحدث به قلبه فلا تخفى علينا سرائره وضمائره ونحن أقرب إليه من حبل الوريد بيان لكمال علمه أي نحن أعلم به منه والوليد العرق الذي يجري فيه الدم ويصل إلى كل جزء من أجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين ومعنى الآية أن أجزاء الإنسان وأبعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شيء. وقيل: يحتمل أن يكون المعنى ونحن أقرب إليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجري فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه إذ يتلقى المتلقيان أي يتلقن الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه عن اليمين وعن الشمال يعني أن أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات قعيد أي قاعد وكل واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر. وقيل: أراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح ما يلفظ من قول أي ما يتكلم من كلام يخرج من فيه إلا لديه رقيب أي حافظ عتيد أي حاضر أينما كان سوى وقت الغائط وعند جماعة فإنهما يتأخران عنه فلا يجوز للإنسان أن يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا يؤذي الملائكة بدنوهما منه وهو على تلك." (١)

"المشركين قالوا للمسلمين: إنهم كانوا بالأمس يعملون معنا فأنزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن سلم. وقيل: اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنى وهو قول ابن مسعود وأبي هريرة ومسروق والشعبي والرواية الأخرى عن ابن عباس (ق) عن ابن عباس قال «ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة فزنى العينين النظر وزنى اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه».

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/١٨٧

ولمسلم قال: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه» وقيل: اللمم على وجهين، أحدهما أنه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان ما لم يبلغ الكبائر والفواحش.

والوجه الثاني: هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل: هو ما لم على القلب أي خطر وقيل: اللمم النظرة من غير عمد فهو مغفور فإن أعاد النظر فليس بلمم فهو ذنب والله سبحانه وتعالى أعلم.

(فصل: في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة) قال العلماء: أكبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر لا خفاء به لقوله تعالى: إن الشرك لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق فأما ما سواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور وأكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وأكل الربا وغير ذلك من الكبائر التي ورد بها النص فلها تفاصيل وأحكام تعرف بها مراتبها ويختلف أمرها باختلاف الأحوال والمفاسد المرتبة عليها. فعلى هذا يقال في كل واحدة منها: هي من أكبر الكبائر بالنسبة إلى ما دونها.

وقد جاء عن ابن عباس أنه سئل عن الكبائر أسبع هي قال هي إلى السبعين أقرب.

وفي رواية إلى سبعمائة أقرب وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة فجاء عن ابن عباس: كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة. وبهذا قال الأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني وحكاه القاضي عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بأن كل مخالفة فهي بالنسبة إلى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة واستعمال سلف الأئمة. وإذا ثبت انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر، فقد اختلف في ضبطها، فروي عن ابن عباس أنه قال: الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل: هي ما وعد الله عليه بنار في الآخرة وأحد في الدنيا. وقال الغزالي: في البسيط الضابط الشامل في ضبط الكبيرة أن كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف أو استحداث ندم كالمتهاون في ارتكابها والمستجرئ عليها اعتيادا فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما تحمل عليه فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد:

إذا أردت معرفة الفرق بين الكبيرة والصغيرة فأعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو زادت عليه فهي من الكبائر فمن أمسك امرأة محصنة لمن يزني بها أو أمسك مسلما لمن يقتله فلا شك أن مفسدة ذلك أعظم ممن أكل درهما." (١)

"ولما وصف القرآن بالعظم أتبعه بوصف عظمته فقال تعالى: هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة يعني أنه تعالى أعلم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وما علموه وقيل استوى في علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والآخرة هو الرحمن الرحيم اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة الله إرادته الخير والنعمة والإحسان إلى خلقه وقيل إن الرحمن أشد مبالغة من الرحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لأن إحسانه تعالى في الدنيا يعم المؤمن والكافر وفي الآخرة يختص إحسانه وإنعامه بالمؤمنين هو الله الذي لا إله إلا هو الملك أي المتصرف بالأمر والنهي في جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وإرادته القدوس أي الطاهر عن كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذي كثرت بركته السلام أي الذي سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق.

فإن قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن. قلت الفرق بينهما أن القدوس إشارة إلى براءته عن جميع العيوب والنقائص في الماضي والحاضر والسلام إشارة إلى أنه لا يطرأ عليه شيء من العيوب والنقائص في المستقبل فإن الذي يطرأ عليه شيء من ذلك تزول سلامته ولا يبقى سليما، وقيل السلام أي سلم خلقه ممن ظلمه، المؤمن قال ابن عباس هو الذي أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه وقيل هو المصدق لرسله بإظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما أوعد الكافرين من العذاب المهيمن قال ابن عباس أي الشهيد على عباده بأعمالهم الذي لا يغيب عنه شيء وقيل هو القائم على خلقه برزقه وأنشد في معناه:

ألا إن خير الناس بعد نبيه ... مهيمنه التاليه في العرب والنكر

أي القائم على الناس بعده وقيل هو **الرقيب** الحافظ، وقيل هو المصدق وقيل هو القاضي وقيل هو بمعنى الأمين والمؤتمن وقيل بمعنى العلي ومنه قول العباس يمدح النبي صلى الله عليه وسلم في أبيات منها:

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/٢١١

حتى احتوى بينك المهيمن من ... خندف عليا زانها النطق

وقيل: المهيمن اسم من أسماء الله تعالى هو أعلم بتأويله وأنشدوا في معناه:

جل المهيمن عن صفات عبيده ... ولقد تعالى عن عقول أولي النهى

راموا بزعمهم صفات مليكهم ... والوصف يعجز عن مليك لا يرى

العزيز أي الذي لا يوجد له نظير وقيل الغالب القاهر الجبار قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعني الذي يغني الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغني كل فقير وقيل هو الذي يجبر الخلق ويقهرهم على ما أراد: وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي إذا أراد أمرا فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذي لا ينال ولا يداني والجبار في صفة الله تعالى صفة مدح وفي صفة الناس صفة ذم وكذلك المتكبر في صفة الناس صفة ذم لأن المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص في حقه لأنه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فإذا أظهر الكبر كان كذابا في فعله فكان مذموما في حق الناس وأما المتكبر في صفة الله تعالى فهو صفة مدح لأن له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا قال في آخر الآية سبحان الله عما يشركون كأنه قيل إن بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصا في حقه أما الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبرياء فإن أظهر ذلك." (١)

"والفراء: حافظ من الله يحفظها حتى يسلمها إلى المقادير. وقيل: الحافظ: العقل يرشده إلى مصالحه ويكفه عن مضاره. وقيل: حافظ مهيمن ورقيب عليه، وهو الله تعالى.

ولما ذكر أن كل نفس عليها حافظ، أتبع ذلك بوصية الإنسان بالنظر في أول نشأته الأولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه، فيعمل لذلك ولا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته. ومم خلق: استفهام، ومن متعلقة بخلق، والجملة في موضع نصب بفلينظر، وهي معلقة. وجواب الاستفهام ما بعده وهو: خلق من ماء دافق، وهو مني الرجل والمرأة لما امتزجا في الرحم واتحدا عبر عنهما بماء، وهو مفرد، ودافق قيل:

هو بمعنى مدفوق، وهي قراءة زيد بن علي. وعند الخليل وسيبويه: هو على النسب، كلا بن وتامر، أي ذي دفق. وعن ابن عباس: بمعنى دافق لزج، وكأنه أطلق عليه وصفه لا أنه موضوع في اللغة لذلك، والدفق:

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/ ٢٧٧

الصب، فعله متعد. وقال ابن عطية: والدفق:

دفع الماء بعضه ببعض، تدفق الوادي والسيل إذا جاء يركب بعضه بعضا. ويصح أن يكون الماء دافقا، لأن بعضه يدفع بعضا، فمنه دافق ومنه مدفوق، انتهى. وركب قوله هذا على تدفق، وتدفق لازم دفقته فتدفق، نحو: كسرته فتكسر، ودفق ليس في اللغة معناه ما فسر من قوله: والدفق دفع الماء بعضه ببعض، بل المحفوظ أنه الصب. وقرأ الجمهور: يخرج مبنيا للفاعل، من بين الصلب: بضم الصاد وسكون اللام وابن أبي عبلة وابن مقسم:

مبنيا للمفعول، وهما وأهل مكة وعيسى: بضم الصاد واللام واليماني: بفتحهما. قال العجاج:

في صلب مثل العنان المؤدم وتقدمت اللغات في الصلب في سورة النساء، وإعرابها صالب كما قال العباس: تنقل من صالب إلى رحم قال قتادة والحسن: معناه من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائبه. وقال سفيان وقتادة أيضا: من بين صلب الرجل وترائب المرأة، وتقدم شرح الترائب في المفردات. وقال ابن عباس: موضع القلادة ،وعن ابن جبير: هي أضلاع الرجل التي أسفل الصلب. وقيل: ما بين المنكبين والصدر. وقيل: هي التراقي وعن معمر: هي عصارة القلب ومنه يكون الولد. ونقل مكي عن ابن عباس أن الترائب أطراف المرء، رجلاه ويداه وعيناه. قال ابن عطية: وفي هذه الأحوال تحكم على اللغة، انتهى.." (١)

"ويكون الرسول عليكم شهيدا، أي محتجا بالتبليغ. وقيل: لتكونوا شهداء لمحمد صلى الله عليه وسلم على الأمم، اليهود والنصارى والمجوس، قاله مجاهد. وقيل: شهداء على الناس في الدنيا، فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار. وأسباب هذه الشهادة، أي شهادة هذه العدول أربعة: بمعاينة، كالشهادة على الزنا، وبخبر الصادق، كالشهادة على الشهادة وبالاستفاضة، كالشهادة على الأنساب وبالدلالة، كالشهادة على الأملاك، وكتعديل الشاهد وجرحه. وقال ابن دريد: الإشهاد أربعة: الملائكة بإثبات أعمال العباد، والأنبياء، وأمة محمد، والجوارح. انتهى. ولما كان بين الرؤية بالبصر والإدراك بالبصيرة مناسبة شديدة، سمي إدراك البصيرة: مشاهدة وشهودا، وسمي العارف: شاهدا ومشاهدا، ثم سميت الدلالة على الشيء: شهادة عليه، لأنها هي التي بها صار الشاهد شاهدا. وقد اختص هذا اللفظ في عرف الشرع بمن يخبر عن حقوق الناس بألفاظ مخصوصة على جهات. قالوا: وفي هذه الآية دلالة على أن الأصل في المسلمين العدالة، وهو مذهب أبي حنيفة، واستدل بقوله: أمة وسطا، أي عدولا خيارا. وقال بقية العلماء: العدالة

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٥١/١٠

وصف عارض لا يثبت إلا ببينة، وقد اختار المتأخرون من أصحاب أبي حنيفة ما عليه الجمهور، لتغير أحوال الناس، ولما غلب عليهم في هذا الوقت، وهذا الخلاف في غير الحدود والقصاص.
ويكون الرسول عليكم شهيدا: لا خلاف أن الرسول هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم، وفي شهادته أقوال: أحدها: شهادته عليهم أنه قد بلغهم رسالة ربه. الثاني: شهادته عليهم بإيمانهم. الثالث: يكون حجة عليهم. الرابع: تزكيته لهم وتعديله إياهم، قاله عطاء، قال: هذه الأمة شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين، والرسول شهيد معدل مزك لهم. وروي في ذلك حديث. وقد تقدم أيضا ما روى البخاري في ذلك. واللام في قوله:
لتكونوا هي، لام كي، أو لام الصيرورة عن من يرى ذلك، فمجيء ما بعدها سببا لجعلهم خيارا، أو عدولا ظاهرا. وأما كون شهادة الرسول عليهم سببا لجعلهم خيارا، فظاهر أيضا، لأنه إن كانت الشهادة بمعنى التزكية، أو بأي معنى فسرت شهادته، ففي ذلك الشرف التام لهم، حيث كان أشرف المخلوقات هو الشاهد عليهم. ولما كان الشهيد كالرقيب على المشهود له، جيء بكلمة على، وتأخر حرف الجر في قوله: على الناس، عما يتعلق به. جاء ذلك على الأصل، إذ العامل أصله أن يتقدم على المعمول. وأما في قوله: عليكم شهيدا فتقدمه من باب الاتساع في الكلام للفصاحة، ولأن شهيدا أشبه." (١)
"ما حصل لهم من العذاب هو بسبب ما أنزل الله من الكتاب فخالفوه. ثم ذكر أن الذين اختلفوا فيما أنزل الله هم في معاداة لا تنقطع.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ١٧٧ الى ١٨٢]
ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون (١٧٧) يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم (١٧٨) ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم

---
(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢/١٣

تتقون (١٧٩) كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين (١٨٠) فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم (١٨١) فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم (١٨٢)

قبل: ظرف مكان، تقول: زيد قبلك. وشرح المعنى: أنه في المكان الذي هو مقابلك فيه. وقد يتسع فيه فيكون بمعنى: العندية المعنوية. تقول لي: قبل زيد دين.

الرقاب: جمع رقبة، والرقبة: مؤخر العنق، واشتقاقها من **المراقبة**، وذلك أن مكانها من البدن مكان **الرقيب** المشرف على القوم. ولهذا المعنى يقال: أعتق الله رقبته، ولا يقال:

أعتق الله عنقه، لأنها لما سميت رقبة، كانت كأنها تراقب العذاب. ومن هذا يقال للتي لا يعيش لها ولد: رقوب، لأجل مراعاتها موت ولدها. قال في المنتخب: وفعال جمع يطرد لفعلة، سواء كانت اسما نحو: رقبة ورقاب، أو صفة نحو: حسنة وحسان، وقد يعبر بالرقبة." (١)

"تقديره: من ذنب، وذهب أبو الحسن بن الطراوة إلى أن: استغفر، يتعدى بنفسها إلى مفعولين صريحين، وأن قولهم: استغفر الله من الذنب، إنما جاء على سبيل التضمين، كأنه قال: تبت إلى الله من الذنب، وهو محجوج بقول سيبويه، ونقله عن العرب وذلك مذكور في علم النحو، وحذف هنا المفعول الثاني للعلم به، ولم يجىء في القرآن مثبتا، لا مجرورا بمن، ولا منصوبا، بخلاف: غفر، فإنه تارة جاء في القرآن مذكورا مفعوله، كقوله: ومن يغفر الذنوب إلا الله «١» وتارة محذوفا. كقوله تعالى: يغفر لمن يشاء وجاء: استغفر، أيضا معدى باللام، كما قال تعالى: فاستغفروا لذنوبهم «٢» واستغفر لذنبك «٣» وكأن هذه اللام، والله أعلم، لام العلة، وأن ما دخلت عليه مفعول من أجله، واستفعل هنا للطلب، كاستوهب واستطعم واستعان، وهو أحد المعاني التي جاء لها استفعل، وقد ذكرنا ذلك في قوله: وإياك نستعين «٤»
.

إن الله غفور رحيم هذا كالسبب في الأمر بالاستغفار، وهو أنه تعالى كثير الغفران، كثير الرحمة، وهاتان الصفتان للمبالغة، وأكثر بناء: فعول، من: فعل، نحو:

غفور، وصفوح، وصبور، وشكور، وضروب، وقتول، وتروك، وهجوم، وعلوك، وأكثر بناء: فعيل، من فعل بكسر العين نحو: رحيم، وعليم، وحفيظ، وسميع، وقد يتعارضان.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢/١٢٨

قالوا: رقب فهو رقيب، وقدر فهو قدير، وجهل فهو جهول وقد تقدم الكلام على نحو هذه الجمل، أعني: أن يكون آخر الكلام ذكر اسم الله، ثم يعاد بلفظه بعد: إن، والأولى أن يطلق الغفران والرحمة، وأن ذلك من شأنه تعالى.

وقيل: إن المغفرة الموعودة في الآية هي عند الدفع من عرفات، وقيل: إنها عند الدفع من جمع إلى منى، والأولى ما قدمناه.

فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وسبب نزولها أنهم كانوا إذا اجتمعوا في الموسم تفاخروا بآبائهم، فيقول أحدهم: كان يقري الضيف، ويضرب بالسيف، ويطعم الطعام، وينحر الجزور، ويفك العاني، ويجر النواصي، ويفعل كذا وكذا. فنزلت.

وقال الحسن: كانوا إذا حدثوا أقسموا بالآباء، فيقولون. وأبيك، فنزلت.

---

(١) سورة آل عمران: ٣/ ١٣٥.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ١٣٥.

(٣) سورة غافر: ٤٠/ ٥٥ ومحمد: ٤٧/ ١٩.

(٤) سورة الفاتحة: ١/ ٥.." (١)

"وخامري أم عامر، مثل الأحمق، وخامري حضاجر أتاك ما تحاذر، وحضاجر اسم للذكر والأنثى من السباع، ومعناه: ادخلي الخمر واستتري.

فلما كانت تستر العقل سميت بذلك، وقيل: لأنها تخمر: أي تغطي حتى تدرك وتشتد.

وقال ابن الأنباري: سميت بذلك لأنها تخامر العقل أي: تخالطه، يقال: خامر الداء خالط، وقيل: سميت بذلك لأنها تترك حين تدرك، يقال: اختمر العجين بلغ إدراكه، وخمر الرأي تركه حتى يبين فيه الوجه، فعلى هذه الاشتقاقات تكون مصدرا في الأصل وأريد بها اسم الفاعل أو اسم المفعول.

الميسر: القمار، وهو مفعل من: يسر، كالموعد من وعد، يقال يسرت الميسر أي قامرته، قال الشاعر:

لو تيسرون بخيل قد يسرت بها ... وكل ما يسر الأقوام مغروم

واشتقاقه من اليسر وهو السهولة، أو من اليسار لأنه يسلب يساره، أو من يسر الشيء إذا وجب، أو من

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢/٣٠٥

يسر إذا جزر والياسر الجازر، وهو الذي يجزىء الجزور أجزاء، قال الشاعر:

أقول لهم بالشعب إذ تيسرونني ... ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم؟

وسميت الجزور التي يسهم عليها ميسرا لأنها موضع اليسر، ثم قيل للسهام: ميسر للمجاورة، واليسر، الذي يدخل في الضرب بالقداح وجمعه، أيسار، وقيل: يسر جمع ياسر كحارس وحرس وأحراس.

وصفة الميسر أنه عشرة أقداح، وقيل: أحد عشر على ما ذكر فيه، وهي: الأزلام، والأقلام، والسهام. لسبعة منها حظوظ، وفيها فروض على عدة الحظوظ: القد، وله سهم واحد والتوأم، وله سهمان، والرقيب، وله ثلاثة والجلس، وله أربعة والنافس، وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة أغفال لا حظوظ لها، وهي:

المنيح، والسفيح، والوغد، وقيل: أربعة وهي: المصدر، والمضعف، والمنيح، والسفيح. تزاد هذه الثلاثة أو الأربعة على الخلاف لتكثر السهام وتختلط على الحرضة وهو الضارب بالقداح، فلا يجد إلى الميل مع أحد سبيلا، ويسمى أيضا: المجيل، والمغيض، والضارب، والضريب. ويجمع ضرباء، وهو رجل عدل عندهم. وقيل يجعل رقيب لئلا." (١)

"وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن معناه: لا صمت يوم، أي عن ذكر الله، وأما الصمت عما لا منفعة فيه، فحسن.

واستثناء الرمز، قيل: هو استثناء منقطع، إذ الرمز لا يدخل تحت التكليم، من أطلق الكلام في اللغة على الإشارة الدالة على ما في نفس المشير، فلا يبعد أن يكون هذا استثناء متصلا على مذهبه. ولذلك أنشد النحويون:

أرادت كلاما فاتقت من رقيبها ... فلم يك إلا ومؤها بالحواجب

وقال:

إذا كلمتني بالعيون الفواتر رددت عليها بالدموع البوادر واستعمل المولدون هذا المعنى. قال حبيب:

كلمته بجفون غير ناطقة ... فكان من رده ما قال حاجبه

وكونه استثناء متصلا بدأ به الزمخشري. قال: لما أدى مؤدي الكلام، وفهم منه ما يفهم منه، سمي كلاما. وأما ابن عطية فاختار أن يكون منقطعا. قال: والكلام المراد به في الآية إنما هو النطق باللسان لا الإعلام

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٩٩/٢

بما في النفس، فحقيقة هذا الاستثناء أنه منقطع، وبدأ به أولا. فقال استثناء الرمز وهو استثناء منقطع، ثم قال: وذهب الفقهاء في الإشارة ونحوها إلى أنها في حكم الكلام في الإيمان ونحوها، فعلى هذا يجيء الاستثناء متصلا، والرمز هنا:

تحريك بالشفتين، قاله مجاهد. أو: إشارة باليد والرأس، قاله الضحاك، والسدي، وعبد الله بن كثير. أو: إشارة باليد، قاله الحسن. أو: إيماء، قاله قتادة. فالإيماء هو الإشارة لكنه لم يعين بماذا أشار. وروي عن قتادة: إشارة باليد أو إشارة بالعين، روي ذلك عن الحسن.

وقيل: رمزه الكتابة على الأرض. وقيل: الإشارة بالإصبع المسبحة. وقيل: باللسان. ومنه قول الشاعر:

ظل أياما له من دهره ... يرمز الأقوال من غير خرس

وقيل: الرمز الصوت الخفي.

وقرأ علقمة بن قيس، ويحيى بن وثاب: رمزا، بضم الراء والميم، وخرج على أنه." (١)

"سورة النساء

[سورة النساء (٤) : الآيات ١ الى ١٠]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١) وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (٢) وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا (٣) وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا (٤)

ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا (٥) وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٤٠/٣

بالله حسيبا (٦) للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا (٧) وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا (٨) وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا (٩)

إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا (١٠)." (١)

"**الرقيب**: فعيل للمبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا، أحد النظر إلى أمر ليتحققه على ما هو عليه. ويقترن به الحفظ ومنه قيل للذي يرقب خروج السهم: **رقيب**.

وقال أبو داود:

كمقاعد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد **والرقيب**: السهم الثالث من السبعة التي لها أنصباء. **والرقيب**: ضرب من الحيات، والمرقب: المكان العالي المشرف الذي يقف عليه **الرقيب**. والارتقاب: الانتظار.

الحوب: الإثم. يقال: حاب يحوب حوبا وحوبا وحابا وحؤوبا وحيابة. قال:

المخبل السعدي.

فلا يدخلني الدهر قبرك حوب ... فإنك تلقاه عليك حسيب

وقال آخر:

وإن تهاجرين تكففاه ... غرايته لقد خطيا وحابا

وقيل: الحوب بفتح الحاء المصدر وبضمها الاسم، وتحوب الرجل ألقى الحوب عن نفسه كتحنث وتأثم وتحرج. وفلان يتحوب من كذا يتوقع. وأصل الحوب: الزجر للإبل، فسمي الإثم حوبا لأنه يزجر عنه، وبه الحوبة الحاجة، ومنه في الدعاء إليك أرفع حوبتي. ويقال: ألحق الله به الحوبة أي المسكنة والحاجة.

مثنى وثلاث ورباع: معدولة عن اثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة. ولا يراد بالمعدول عنه التوكيد، إنما يراد بذلك تكرار العدد إلى غاية المعدود. كقوله: ونفروا بعيرا بعيرا، وفصلت الحساب لك بابا بابا، ويتحتم منع صرفها لهذا العدل. والوصف على مذهب سيبويه والخليل وأبي عمرو، وأجاز الفراء أن تصرف، ومنع

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٨٨/٣

الصرف عنده أولى.

وعلة المنع عنده العدل والتعريف بنية الألف واللام، وامتنع عنده إضافتها لأنها في نية." (١)

"وأما قول ابن عطية: ويرد عندي هذه القراءة من المعنى وجهان، فجسارة قبيحة منه لا تليق بحاله ولا بطهارة لسانه. إذ عمد إلى قراءة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بها سلف الأمة، واتصلت بأكابر قراء الصحابة الذين تلقوا القرآن من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير واسطة عثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت. وأقرأ الصحابة أبي بن كعب عمد إلى ردها بشيء خطر له في ذهنه، وجسارته هذه لا تليق إلا بالمعتزلة كالزمخشري، فإنه كثيرا ما يطعن في نقل القراء وقراءتهم، وحمزة رضي الله عنه: أخذ القرآن عن سليمان بن مهران الأعمش، وحمدان بن أعين، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وجعفر بن محمد الصادق، ولم يقرأ حمزة حرفا من كتاب الله إلا بأثر. وكان حمزة صالحا ورعا ثقة في الحديث، وهو من الطبقة الثالثة، ولد سنة ثمانين وأحكم القراءة وله خمس عشرة سنة، وأم الناس سنة مائة، وعرض عليه القرآن من نظرائه جماعة منهم: سفيان الثوري، والحسن بن صالح. ومن تلاميذه جماعة منهم إمام الكوفة في القراءة والعربية أبو الحسن الكسائي. وقال الثوري وأبو حنيفة ويحيى بن آدم: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض. وإنما ذكرت هذا وأطلت فيه لئلا يطلع عمر على كلام الزمخشري وابن عطية في هذه القراءة فيسيء ظنا بها وبقارئها، فيقارب أن يقع في الكفر بالطعن في ذلك. ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم، فكم حكم ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون، وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون، وإنما يعرف ذلك من له استبحار في علم العربية، لا أصحاب الكنانيس المشتغلون بضروب من العلوم الآخذون عن الصحف دون الشيوخ.

إن الله كان عليكم **رقيبا** لا يراد بكان تقييد الخبر بالمخبر عنه في الزمان الماضي المنقطع في حق الله تعالى، وإن كان موضوع كان ذلك، بل المعنى على الديمومة فهو تعالى **رقيب** في الماضي وغيره علينا، **والرقيب** تقدم شرحه في المفردات. وقال بعضهم:

هنا هو العليم، والمعنى: أنه مراع لكم لا يخفى عليه من أمركم شيء فاتقوه وآتوا اليتامى أموالهم قال مقاتل والكلبي: نزلت في رجل من غطفان كان عنده مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ طلب المال فمنعه. ومناسبتها لما قبلها أنه لما وصل الأرحام أتبع بالأيتام، لأنهم صاروا بحيث لا كافل لهم، ففارق حالهم حال

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣/٤٨٩

من له رحم ماسة. وظاهره الأمر بإعطاء اليتامى أموالهم.
واليتم في بني آدم: فقد الأب، وهو جمع يشمل الذكور والإناث. وينقطع هذا الاسم." (١)

"هؤلاء، وهو رفيقي في الجنة؟ فقال سرجس: أنا، فألقي عليه شبه عيسى.

وقيل: ألقي شبهه على الجميع، فلما أخرجوا نقص واحد من العدة، فأخذوا واحدا ممن عليه الشبه فصلب. وروي أن الملك والمتناولين لم يخف عليهم أمر عيسى لما رأوه من نقصان العدة واختلاط الأمر، فصلب ذلك الشخص، وأبعد الناس عن خشبته أياما حتى تغير، ولم تثبت له صفة، وحينئذ دنا الناس منه، ومضى الحواريون يتحدثون في الآفاق إن عيسى صلب.

وقيل: لم يلق شبهه على أحد، وإنما معنى: ولكن شبه لهم، أي شبه عليهم الملك الممخرق ليستديم بما نقص واحد من العدة، وكان بادر بصلب واحد وأبعد الناس عنه، وقال: هذا عيسى، وهذا القول هو الذي ينبغي أن يعتقد في قوله: ولكن شبه لهم. أما أن يلقى شبهه على شخص، فلم يصح ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعتمد عليه.

وقد اختلف فيمن ألقي عليه الشبه اختلافا كثيرا. فقيل: اليهودي الذي دل عليه.

وقيل: خليفة قيصر الذي كان محبوسا عنده. وقيل: واحد من اليهود. وقيل: دخل ليقتله.

وقيل: رقيب وكلته به اليهود. وقيل: ألقي الشبه على كل الحواريين. وقيل: ألقي الشبه على الوجه دون البدن، وهذا الوثوق مما يدفع الوثوق بشيء من ذلك. ولهذا قال بعضهم:

إن جاز أن يقال: إن الله تعالى يلقي شبه إنسان على إنسان آخر، فهذا يفتح باب السفسطة.

وقيل: سبب اجتماع اليهود على قتله هو أن رهطا منهم سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم: «اللهم أنت ربي، وبكلمتك خلقتني، اللهم العن من سبني وسب والدتي» فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير، فاجتمعت اليهود على قتله.

وشبه مسند إلى الجار والمجرور كقوله: خيل إليه، ولكن وقع لهم التشبيه. ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول الدال عليه:

إنا قتلنا أي: ولكن شبه لهم من قتلوه. ولا يجوز أن يكون ضمير المسيح، لأن المسيح مشبه به لا مشبه.

وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن اختلف فيه اليهود فقال بعضهم: لم

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣/٥٠٠

يقتل ولم يصلب، الوجه وجه عيسى، والجسد جسد غيره. وقيل:
أدخلوا عليه واحدا ليقتله، فألقي الشبه عليه فصلب، ونقص من العدد واحد. وكانوا علموا عدد الحواريين فقالوا: إن كان المصلوب صاحبنا فأين عيسى؟ وإن كان عيسى فأين صاحبنا؟ وقيل: قال العوام: قتلنا عيسى، وقال من عاين: رفعه إلى السماء ما قتل ولا صلب. قال ابن عطية: واليقين الذي صح فيه نقل الكافة عن حواسها هو أن شخصا ب، وهل هو عيسى أم لا؟ فليس هو من علم الحواس، فلذلك لم يقع في ذلك نقل." (١)

"موقع الجملة المفسرة، لأنه بيان للشهادة بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائت للقدر، ويحتمل أنه أنزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة.
والملائكة يشهدون أي بما أنزل الله إليك. وشهادة الملائكة تبع لشهادة الله، وقد علم بشهادة الله له، إذ أظهر على يديه المعجزات، وهذا على سبيل التسلية له عن تكذيب اليهود. إن كذبك اليهود وكذبوا ما جئت به من الوحي، فلا تبال، فإن الله يشهد لك وملائكته، فلا تلتفت إلى تكذيبهم.
وكفى بالله شهيدا أي وإن لم يشهد غيره قل أي شيء أكبر شهادة قل الله. «١»
إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا أي ضلالا لا يقرب رجوعهم عنه، ولا تخلصهم منه، لأنه يعتقد في نفسه أنه محق ثم يتوسل بذلك الضلال إلى اكتساب المال والجاه وإلقاء غيره فيه، فهو ضلال في أقصى غاياته. وقرأ عكرمة وابن هرمز: وصدوا بضم الصاد، قيل: وهي في اليهود.
إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا قيل: هذه في المشركين. وقد تقدم الكلام على لام الجحود وما بعدها، وأن الإتيان بها أبلغ من الإتيان بالفعل المجرد عنها. وهذا الحكم مقيد بالموافاة على الكفر. وقال أبو سليمان الدمشقي: المعنى لم يكن الله ليستر عليهم قبيح أفعالهم، بل يفضحهم في الدنيا ويعاقبهم بالقتل والجلاء والسبي، وفي الآخرة بالنار. وقال الزمخشري: كفروا وظلموا، جمعوا بين الكفر والمعاصي، وكان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين أصحاب الكبائر، لأنه لا فرق بين الفريقين في أنه لا يغفر لهما إلا بالتوبة، ولا ليهديهم طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل إلى جهنم، ولا ليهديهم يوم القيامة إلا طريقها انتهى. وهو على طريقة الاعتزال في أن صاحب الكبائر لا يغفر له ما لم يتب منها، وإن أريد بقوله طريقا مخصوصا أي عملا صالحا يدخلون به الجنة،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤/١٢٦

كان قوله: إلا طريق جهنم استثناء منقطعا.

وكان ذلك على الله يسيرا أي انتفاء غفرانه وهدايته إياهم وطردهم في النار سهلا لا صارف له عنه، وهذا تحقير لأمرهم، وأنه تعالى لا يعبأ بهم ولا يبالي.

---

(١) سورة الأنعام: ٦/ ١٩.." (١)

"ويقال للجاسوس: ذو العينين، والعين لفظ مشترك بين معان كثيرة ذكرها اللغويون.

الأنف: معروف والجمع آناف وآنف وأنوف.

المهيمن: الشاهد الرقيب على الشيء الحافظ له، وهو اسم فاعل من هيمن قالوا:

ولم يجئ على هذا الوزن إلا خمسة ألفاظ: هيمن، وسيطر، وبيطر، وحيمر، وبيقر، ذكر هذا الخامس الزجاجي في شرحه خطبة أدب الكاتب، ومعناه: سار من الحجاز إلى اليمن، ومن أفق إلى أفق. وهيمن بنا أصل. وذهب بعض اللغويين إلى أن مهيمنا اسم فاعل من آمن غيره من الخوف قال: فأصله مأمن قلبت الهمزة الثانية ياء كراهة اجتماع الهمزتين فصار مؤيمن، ثم أبدلت الهمزة الأولى هاء كما قالوا: أهراق في أراق، وهياك في إياك، وهذا تكلف لا حاجة إليه، وقد ثبت نظير هذا الوزن في ألفاظ فيكون هذا منها. وأيضا فالهمزة في مؤمن اسم فاعل من آمن قد سقطت كراهة اجتماع الهمزتين، فلا يدعى أنها أقرت وأبدل منها. وأما ما ذهب إليه ابن قتيبة من أنه تصغير مؤمن، وأبدلت همزته هاء، فقد كتب إليه أبو العباس المبرد يحذره من هذا القول. واعلم أن أسماء الله تعالى لا تصغر. الشرعة:

السنة والطريقة شرع يشرع شرعا أي سن، والشارع الطريق الأعظم، ومنزل شارع إذا كان بابه قد شرع إلى طريق نافذ. المنهاج والمنهج: الطريق الواضح، ونهج الأمر استبان، ونهجت الطريق أبنته وأوضحته، ونهجت الطريق سلكته.

يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم

روي عن أبي هريرة وابن عباس وجماعة: أن سبب نزولها أن يهوديا زنى بيهودية، قيل: بالمدينة. وقيل: بغيرها من أرض الحجاز، فسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم وطمعوا أن يكون غير الرجم حدهما، وكان في التوراة رجم، فأنكروا ذلك أن يكون في التوراة وافتضحوا إذ أحضروها، وحكم الرسول فيهما بالرجم وأنفذه.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٤١/٤

وقال قتادة: السبب أن بني النضير كانوا إذا غزوا بني قريظة، فإن قتل قرظي نضيريا قتل به، أو نضيري قرظيا أعطى الدية.

وقيل: كانت دية القرظي على نصف دية النضيري، فلما جاء الرسول المدينة طلبت قريظة الاستواء لأنهما أبناء عم، وطلبت الحكومة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت بنو النضير: إن حكم بما نحن عليه فخذوه، وإلا فاحذروا.

وقال السدي: نزلت في رجل من الأنصار وهذا بعيد من مساق الآية. وذكروا أن هذا الرجل هو أبو لبابة بن عبد المنذر، أشارت إليه قريظة يوم حصرهم علام ينزل من الحكم، فأشار إلى حلقه بمعنى أنه الذبح.

وقال الشعبي: نزلت في قوم من اليهود قتل واحد منهم آخر، فكلفوا رجلا من المسلمين أن يسأل الرسول." (١)

"وفي الثاني لا يحتاج إلى هذا التقدير، لأن العهد في الاسم يتضمن الاسم به جميع الصفات التي للاسم، فلا يحتاج إلى تقدير حذف.

ومهيمنا عليه أي أمينا عليه، قاله ابن عباس في رواية التيمي، وابن جبير، وعكرمة، وعطاء، والضحاك، والحسن. وقال ابن جريج: القرآن أمين على ما قبله من الكتب، فما أخبر أهل الكتاب عن كتابهم فإن كان في القرآن فصدقوا، وإلا فكذبوا. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: شاهدا. وبه قال الحسن أيضا وقتادة، والسدي، ومقاتل، وقال ابن زيد: مصدقا على ما أخبر من الكتب، وهذا قريب من القول الأول. وقال الخليل:

المهيمن هو الرقيب الحافظ. ومنه قوله:

إن الكتاب مهيمن لنبينا ... والحق يعرفه ذوو الألباب

وحكاه الزجاج، وبه فسر الزمخشري قال: ومهيمنا رقيبا على سائر الكتب، لأنه يشهد لها بالصحة والبيان انتهى. وقال الشاعر:

مليك على عرش السماء مهيمن ... لعزته تعنو الوجوه وتسجد

فسر بالحافظ، وهذا في صفات الله. وأما في القرآن فمعناه أنه حافظ للدين والأحكام. وقال الضحاك أيضا: معناه قاضيا. وقال عكرمة أيضا: معناه دالا. وقال ابن عطية: وقد ذكر أقوالا أنه شاهد، وأنه مؤتمن،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤/٢٥٩

وأنه مصدق، وأنه أمين، وأنه رقيب، قال:

ولفظة المهيمن أخص من هذه الألفاظ، لأن المهيمن على الشيء هو المعني بأمره الشاهد على حقائقه الحافظ لحامله، فلا يدخل فيه ما ليس منه، والقرآن جعله الله مهيمنا على الكتب يشهد بما فيها من الحقائق وعلى ما نسبه المحرفون إليها، فيصحح الحقائق ويبطل التحريف. وقرأ مجاهد وابن محيصن: ومهيمنا بفتح الميم الثانية، جعله اسم مفعول أي مؤمن عليه، أي: حفظ من التبديل والتغيير. والفاعل المحذوف هو الله أو الحافظ في كل بلد، لو حذف منه حرف أو حركة أو سكون لتنبه له وأنكر ذلك. ورد ففي قراءة اسم الفاعل الضمير في عليه عائد على الكتاب الثاني. وفي قراءة اسم المفعول عائد على الكتاب الأول، وفي كلا الحالين هو حال من الكتاب الأول لأنه معطوف على مصدقا والمعطوف على الحال حال. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قراءته بالفتح وقال: معناه محمد مؤتمن على القرآن. قال الطبري: فعلى هذا يكون مهيمنا حالا من الكاف في إليك. وطعن في هذا القول لوجود الواو في ومهيمنا، لأنها عطف على مصدقا، ومصدقا حال من الكتاب لا." (١)

"همه من كيفية عروج الأرواح المشرقة النورانية الإلهية ونزولها اللهم اجعلنا من أهله، وهو كلام دائر بين لفظ فلسفي ولفظ صوفي وكلاهما بعيد عن كلام العرب ومناحيها.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ١١٥ الى ١٢٠]

قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين (١١٥) وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (١١٦) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧) إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨) قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم (١١٩)

لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير (١٢٠)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤/٢٨٢

قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين الظاهر أن المائدة نزلت لأنه تعالى ذكر أنه منزلها وبإنزالها قال الجمهور. قال ابن عطية شرط عليهم شرطه المتعارف في الأمم أنه من كفر بعد آية الاقتراح عذب أشد عذاب. قال الحسن ومجاهد لما سمعوا الشرط أشفقوا فلم تنزل. قال مجاهد فهو مثل ضربه الله للناس لئلا يسألوا هذه الآيات واختلف من قال إنها نزلت هل رفعت بإحداث أحدثوه أم لم ترفع. وقال الأكثرون أكلوا منها أربعين يوما بكرة وعشية. وقال إسحاق بن عبد الله يأكلون منها متى شاؤوا، وقيل بطروا فكانت تنزل عليهم يوما بعد يوم. وقال المؤرخون كانت تنزل عند ارتفاع الضحى فيأكلون منها ثم ترتفع إلى السماء وهم ينظرون إلى ظله، في الأرض واختلفوا في كيفية نزولها وفيما كان عليها وفي عدد من أكل منها وفيما آل إليه حال من أكل منها اختلافا مضطربا متعارضا ذكره المفسرون، ضربت عن ذكره صفحا إذ ليس منه شيء يدل عليه لفظ الآية وأحسن ما يقال فيه ما خرجه الترمذي في أبواب." (١)

"كون أن مفسرة لا يصح لأنها جاءت بعد إلا، وكل ما كان بعد إلا المستثنى بها فلابد أن يكون له موضع من الإعراب وأن التفسيرية لا موضع لها من الإعراب، وانظر إلى ما تضمنت محاورة عيسى وجوابه مع الله تعالى لما قرع سمعه ما لا يمكن أن يكون نزه الله تعالى وبرأه من السوء، ومن أن يكون معه شريك ثم أخبر عن نفسه أنه لا يمكن أن يقول ما ليس له بحق، فأتى بنفي لفظ عام، وهو لفظ ما المندرج تحته كل قول ليس بحق حتى هذا القول المعين، ثم تبرأ تبرؤا ثالثا وهو إحالة ذلك على علمه تعالى وتفويض ذلك إليه، وعيسى يعلم أنه ما قاله، ثم لما أحال على العلم أثبت علم الله به ونفى علمه بما هو لله وفيه إشارة إلى أنه لا يمكن أن يهجس ذلك في خاطري فضلا عن أن أفوه به وأقوله، فصار مجموع ذلك نفي هذا القول، ونفي أن يهجس في النفس، ثم علل ذلك بأنه تعالى مستأثر بعلم الغيب، ثم لما نزه الله تعالى وانتفى عنه قول ذلك وأن يخطر ذلك في نفسه انتقل إلى ما قاله لهم فأتى به محصورا بإلا معذوقا بأنه هو الذي أمره الله به أن يبلغهم عنه.

وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم أي **رقيبا** كالشاهد على المشهود عليه، أمنعهم من قول ذلك وأن يتدينوا به، وأتى بصيغة فعيل للمبالغة كثير الحفظ عليهم والملازمة لهم وما ظرفية ودام تامة أي ما بقيت فيهم، أي شهيدا في الدنيا.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤/٤١٤

فلما توفيتني قيل: هذا يدل على أنه توفاه وفاة الموت قبل أن يرفعه، وليس بشيء لأن الأخبار تظافرت برفعه حيا، وأنه في السماء حي وأنه ينزل ويقتل الدجال، ومعنى توفيتني قبضتني إليك بالرفع. وقال الحسن: الوفاة وفاة الموت ووفاة النوم ووفاة الرفع.

وقال الزمخشري: كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الأدلة، وأنزلت عليهم من البينات وأرسلت إليهم الرسل انتهى وفيه دسيسة الاعتزال.

إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم قال الزمخشري: فإنهم عبادك والذين عذبتهم جاحدين لآياتك، مكذبين لأنبيائك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز القوي على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب.

(فإن قلت) : المغفرة لا تكون للكفار، فكيف قال: وإن تغفر لهم؟ (قلت) : ما قال: إنك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على أن يقال: إن عذبتهم عدلت لأنهم أحقاء." (١)

"الملائكة الموكلون بكتب الأعمال انتهى. وما قالاه هو قول ابن عباس وظاهر الجمع أنه مقابل الجمع ولم تتعرض الآية لعدد ما على كل واحد ولا لما يحفظون عليه. وعن ابن عباس: ملكان مع كل إنسان أحدهما عن يمينه للحسنات، والآخر عن شماله للسيئات وإذا عمل سيئة قال من على اليمين: انتظره لعله يتوب منها فإن لم يتب كتبت عليه. وقيل:

ملكان بالليل وملكان بالنهار أحدهما يكتب الخير والآخر يكتب الشر، فإذا مشى كان أحدهما بين يديه والآخر وراءه وإذا جلس فأحدهما عن يمينه والآخر عن شماله. وقيل:

خمسة من الملائكة اثنان بالليل واثنان بالنهار، وواحد لا يفارقه ليلا ولا نهارا والمكتوب الحسنة والسيئة. وقيل: الطاعات والمعاصي والمباحات. وقيل: لا يطلعون إلا على القول والفعل لقوله: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد «١» ولقوله: يعلمون ما تفعلون «٢» وأما أعمال القلوب فعلمه لله تعالى. وقيل: يطلعون عليها على الإجمال لا على التفصيل فإذا عقد سيئة خرجت من فيه ريح خبيثة أو حسنة خرجت ريح طيبة.

وقال الزمخشري (فإن قلت) : الله غني بعلمه عن كتب الكتبة فما فائدتها؟ (قلت) :

فيها لطف للعباد لأنهم إذا علموا أن الله رقيب عليهم، والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في مواقف القيامة، كان ذلك

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤١٩/٤

أزجر لهم عن القبيح وأبعد من السوء انتهى. وقوله:
والملائكة الذين هم أشرف خلقه هو جار على مذهب المعتزلة في الملائكة، ولا تتعين هذه الفائدة إذ يحتمل أن تكون الفائدة فيها أن توزن صحائف الأعمال يوم القيامة لأن وزن الأعمال بمجردها لا يمكن، وهذه الفائدة جارية على مذهب أهل السنة، وأما المعتزلة فتأولوا الوزن والميزان ولا يشعر قوله: حفظة أن ذلك الحفظ بالكتابة كما فسروا بل قد قيل: هم الملائكة الذي
قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: «تتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» قاله قتادة والسدي.
وقيل: يحفظون الإنسان من كل شيء حتى يأتي أجله.
حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا أي أسباب الموت توفته قبضت روحه رسلنا جاء جمعا. فقيل: عنى به ملك الموت عليه السلام وأطلق عليه الجمع تعظيما. وقيل: ملك الموت وأعوانه والأكثرون على أن رسلنا عين الحفظة يحفظونهم مدة الحياة، وعند مجيء أسباب الموت يتوفونهم ولا تعارض بين قوله:

(١) سورة ق: ٥٠/ ١٨.
(٢) سورة الانفطار: ٨٢/ ١٢.." (١)

"ما ذهب إليه قوم لأن العموم المخصص هو أن يتناول العموم شيئا ثم يخرجه بالتخصيص، وهذا لم يتناول قط هذا الذي ذكرناه وإنما هو بمنزلة قول الإنسان: قتلت كل فارس وأفحمت كل خصم فلم يدخل القاتل قط في هذا العموم الظاهر من لفظه، قال الزمخشري: وفيه إبطال الولد من ثلاثة أوجه: أحدها: أن مبتدع السموات والأرض وهي أجسام عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة، لأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا، والثاني: أن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد، وهو تعالى متعال عن مجانس فلم يصح أن تكون له صاحبة فلم تصح الولادة، والثالث: أنه ما من شيء إلا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد إنما يطلبه المحتاج.
وهو بكل شيء عليم قال ابن عطية: هذا عموم على الإطلاق لأن الله تعالى يعلم كل شيء، وقال التبريزي: بكل شيء من الواجب والممكن والممتنع.
ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل أي ذلكم الموصوف بتلك

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥٣٩/٤

الأوصاف السابقة من كونه بديعا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا خالق الموجودات عالما بكل شيء هو الله بدأ بالاسم العلم ثم قال: ربكم أي مالككم والناظر في مصالحكم، ثم حصر الألوهية فيه ثم كرر وصف خلقه كل شيء ثم أمر بعبادته لأن من استجمعت فيه هذه الصفات كان جديرا بالعبادة وأن يفرد بها فلا يتخذ معه شريك، ثم أخبر أنه مع تلك الصفات السابقة التي منها خلق كل شيء وهو المالك لكل شيء من الأرزاق والآجال رقيب على الأعمال.

لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار الإدراك قيل معناه الإحاطة بالشيء وبذلك فسره هنا ابن عباس وقتادة وعطية العوفي وابن المسيب والزجاج، قال ابن المسيب لا تحيط به الأبصار، وقال الزجاج: لا تحيط بحقيقته والإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى أعماقه وحوزه من جميع جهاته أو كنى بالأبصار عن الأشخاص لأن بها تدرك الأشخاص الأشياء، وكان المعنى لا تدركه الخلق وهو يدركهم أو يكون المعنى إبصار القلب أي لا تدركه علوم الخلق وهو يدرك علومهم وذواتهم، لأنه غير محاط به وهو على هذا مستحيل على الله عند المسلمين ولا تنافي الرؤية انتفاء الإدراك، وقيل: الإدراك هنا الرؤية وهي مختلف فيها بين المسلمين فالمعتزلة يحيلونها وأهل السنة يجوزونها عقلا." (١)

"كالبصائر قاله الزمخشري، وقال ابن عطية: البصيرة هي ما ينقب عن تحصيل العقل للأشياء المنظور فيها بالاعتبار فكأنه قال: قد جاءكم في القرآن والآيات طرائق إبصار الحق والمعينة عليه والبصيرة للقلب مستعارة من إبصار العين، وقال الحوفي: البصيرة الحجة البينة الظاهرة كما قال تعالى: أدعوا إلى الله على بصيرة «١» بل الإنسان على نفسه بصيرة

«٢» ، وقال الكلبي: البصائر آيات القرآن التي فيها الإيضاح والبينات والتنبيه على ما يجوز عليه وعلى ما يستحيل وإسناد المجيء إلى البصائر مجاز لتفخيم شأنها إذا كانت بمنزلة الغائب المتوقع حضوره كما يقال جاءت العافية.

فمن أبصر فلنفسه أي فالإبصار لنفسه أي نفعه وثمرته.

ومن عمي فعليها أي فالعمى عليها أي فجدوى العمى عائد على نفسه والإبصار والعمى كنايتان عن الهدى والضلال، والمعنى أن ثمرة الهدى والضلال إنما هي للمهتدي والضال لأنه تعالى غني عن خلقه، وهي من الكنايات الحسنة لما ذكر البصائر أعقبها تعالى بالإبصار والعمى وهذه مطابقة، وقدره الزمخشري فمن

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤/٦٠٥

أبصر الحق وآمن فلنفسه أبصر وإياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي والذي قدرناه من المصدر أولى وهو فالإبصار والعمى لوجهين: أحدهما: أن المحذوف يكون مفردا لا جملة ويكون الجار والمجرور عمدة لا فضلة، وفي تقديره هو المحذوف جملة والجار والمجرور فضلة، والثاني: وهو أقوى وذلك أنه لو كان التقدير فعلا لم تدخل الفاء سواء كانت من شرطا أم موصولة مشبهة بالشرط لأن الفعل الماضي إذا لم يكن دعاء ولا جامدا ووقع جواب شرط أو خبر مبتدأ مشبه باسم الشرط لم تدخل الفاء في جواب الشرط ولا في خبر المبتدأ، لو قلت: من جاءني فأكرمته لم يجز بخلاف تقديرنا فإنه لا بد فيه من الفاء ولا يجوز حذفها إلا في الشعر وقال أبو عبد الله الرازي: البصيرة اسم الإدراك التام الحاصل في القلب والآيات المتقدمة ليست في أنفسها بصائر إلا أنها لقوتها وجلائها توجب البصائر لمن عرفها، فلما كانت أسبابا لحصول البصائر سميت بصائر.

وما أنا عليكم بحفيظ أي برقيب أحصر أعمالكم أو بوكيل آخذكم بالإيمان أو بحافظكم من عذاب الله أوبرب أجازيكم أو بشاهد أقوال رابعها للحسن وخامسها للزجاج، وقال الزمخشري: بحفيظ أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها إنما أنا منذر والله هو الحفيظ

(١) سورة يوسف: ١٢/ ١٠٨. [.....]

(٢) سورة القيامة: ٧٥/ ١٤.." (١)

"الآيات لأنها القرآن كأنه قال: وكذلك نصرف القرآن أو على القرآن ودل عليه الآيات أو درست أو على المصدر المفهوم من ولنبينه أي ولنبين التبيين كما تقول: ضربته زيدا إذا أردت ضربت الضرب زيدا أو على المصدر المفهوم من نصرف، قال ابن عباس: لقوم يريد أولياء الذين هداهم إلى سبيل الرشاد.

اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين أمره تعالى بأن يتبع ما أوحي إليه وبأن يعرض عن من أشرك والأمر بالإعراض عنهم كان قبل نسخه بالقتال والسوق إلى الدين طوعا أو كرها، والجملة بين الأمرين اعتراض أكد به وجوب اتباع الموحى أو في موضع الحال المؤكدة.

ولو شاء الله ما أشركوا أي إن إشراكهم ليس في الحقيقة بمشيئتهم وإنما هو بمشيئة الله تعالى، وظاهر الآية يرد على المعتزلة ويتأولونها على مشيئة القسر والإلجاء.

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤/٦٠٧

وما جعلناك عليهم حفيظا أي رقيبا تحفظهم من الإشراك.

وما أنت عليهم بوكيل أي بمسلط عليهم والجملتان متقاربتان في المعنى إلا أن الأولى فيها نفي جعل الحفظ منه تعالى له عليهم. والثانية فيها نفي الوكالة عليهم والمعنى أنا لم نسلطك ولا أنت في ذاتك بمسلط فناسب أن تعرض عنهم إذ لست مأمورا منا بأن تكون حفيظا عليهم ولا أنت وكيل عليهم من تلقائك.

ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم

قال ابن عباس: سببها أن كفار قريش قالوا لأبي طالب: إما أن ينتهي محمد وأصحابه عن سب آلهتنا والغض منها وإما أن نسب إلهه ونهجوه فنزلت

، وقيل: قالوا ذلك عند نزول قوله: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم «١» وقيل: كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى، وحكم هذه الآية باق في هذه الأمة فإذا كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الإسلام أو الرسول أو الله فلا يحل لمسلم ذم دين الكافر ولا صنمه ولا صليبه ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك، ولما أمر تعالى باتباع ما أوحي إليه وبموادعة المشركين عدل عن خطابه إلى خطاب المؤمنين، فنهوا عن سب أصنام المشركين ولم يواجه هو صلى الله عليه وسلم بالخطاب وإن كان هو الذي سبت الأصنام على لسانه وأصحابه تابعون له في

---

(١) سورة الأنبياء: ٢١/ ٩٨.." (١)

"وقيل: اللام بمعنى إلى ويتعلق باستجيبوا فلذلك قدره بإلى حتى يتغاير مدلول اللام فيتعلق الحرفان بفعل واحد، قال مجاهد والجمهور: المعنى استجيبوا للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواهي ففيه الحياة الأبدية والنعمة السرمدية، وقيل: لما يحييكم هو مجاهدة الكفار لأنهم لو تركوها لغلبوهم وقتلوهم ولكم في القصاص حياة «١» ، وقيل:

الشهادة لقوله: بل أحياء عند ربهم يرزقون «٢» قاله ابن إسحاق، وقيل: لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لأن العلم حياة كما أن الجهل موت. قال الشاعر:

لا تعجبن الجهول حليته ... فذاك ميت وثوبه كفن

وهذا نحو من قول الجمهور ومجاهد، وقال مجاهد أيضا: لما يحييكم هو الحق، وقيل: هو إحياء أمورهم

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤/٦١٠

وطيب أحوالهم في الدنيا ورفعتهم، يقال: حييت حاله إذا ارتفعت، وقيل: ما يحصل لكم من الغنائم في الجهاد ويعيشون منها، وقيل: الجثة والذي يظهر هو القول الأول لأنه في سياق قوله ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم فالذي يحيا به من الجهل هو سماع ما ينفع مما أمر به ونهى عنه فيمتثل المأمور به ويجتنب المنهي عنه فيؤول إلى الحياتين الطيبتين الدنيوية والأخروية.

واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون المعنى: أنه تعالى هو المتصرف في جميع الأشياء والقادر على الحيلولة بين الإنسان وبين ما يشتهيه قلبه فهو الذي ينبغي أن يستجاب له إذا دعاه إذ بيده تعالى ملكوت كل شيء وزمامه وفي ذلك حض على **المراقبة** والخوف من الله تعالى والبدار إلى الاستجابة له، وقال ابن عباس وابن جبير والضحاك: يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان، وقال مجاهد: يحول بين المرء وعقله فلا يدري ما يعمل عقوبة على عناده ففي التنزيل إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب «٣» أي عقل، وقال السدي: يحول بين كل واحد وقلبه فلا يقدر على إيمان ولا كفر إلا بإذنه، وقال ابن الأنباري: بينه وبين ما يتمناه، وقال ابن قتيبة: بينه وبين هواه وهذان راجعان إلى القول الأول، وقال علي بن عيسى: هو أن يتوفاه ولأن الأجل يحول بينه وبين أمل قلبه وهذا حث على انتهاز الفرصة قبل الوفاة التي هو واجدها وهي التمكن من إخلاص سلب ومخالجة أدوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ١٦٩.

(٣) سورة ق: ٥/ ٣٧.." (١)

"الشفاعة عنده إلا بإذنه، إذ هو تعالى أعلم بموضع الحكمة والصواب. وفي هذه دليل على عظم عزته وكبريائه كما قال: يوم يقوم الروح والملائكة صفا «١» الآية. ولما كان الخطاب عاما وكان الكفار يقولون عن أصنامهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، رد ذلك تعالى عليهم، وناسب ذكر الشفاعة التي تكون في القيامة بعد ذكر المبدأ ليجمع بين الطرفين:

الابتداء والانتهاء. وقال أبو مسلم الأصبهاني: الشفيع هنا من الشفع الذي يخالف الوتر، فمعنى الآية: أنه

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥/٣٠٢

أوجد العالم وحده لا شريك يعينه، ولم يحدث شيء في الوجود إلا من بعد أن قال له: كن. وقال أبو البقاء: يدبر الأمر، يجوز أن يكون مستأنفا وخبرا ثانيا وحالا.

ذلكم الله ربكم فاعبدوه: أي المتصف بالإيجاد والتدبير والكبرياء هو ربكم الناظر في مصالحكم، فهو المستحق للعبادة، إذ لا يصلح لأن يعبد إلا هو تعالى، فلا تشركوا به بعض خلقه.

أفلا تذكرون: حض على التدبير والتفكر في الدلائل الدالة على ربوبيته وإمحاض العبادة له.

إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون: ذكر ما يقتضي التذكير وهو كون مرجع الجميع إليه، وأكد هذا الإخبار بأنه وعد الله الذي لا شك في صدقه ثم استأنف الإخبار وفيه معنى التعليل بابتداء الخلق وإعادته وأن مقتضى الحكمة بذلك هو جزاء المكلفين على أعمالهم. وانتصب وعد الله وحقا على أنهما مصدران مؤكدان لمضمون الجملة والتقدير: وعد الله وعدا، فلما حذف الناصب أضاف المصدر إلى الفاعل وذلك كقوله: صبغة الله «٢» وصنع الله «٣» والتقدير: في حقا حق ذلك حقا. وقيل: انتصب حقا بوعد على تقدير في أي وعد الله في حق. وقال علي بن سليمان التقدير: وقت حق وأنشد:

أحقا عباد الله أن لست خارجا ... ولا والجا إلا علي رقيب

وقرأ عبد الله، وأبو جعفر، والأعمش، وسهل بن شعيب: أنه يبدأ بفتح الهمزة. قال الزمخشري: هو منصوب بالفعل، أي: وعد الله تعالى بدء الخلق ثم إعادته، والمعنى:

(١) سورة النبأ: ٧٨/ ٣٨. [.....]

(٢) سورة البقرة: ٢/ ١٣٨.

(٣) سورة النمل: ٢٧/ ٨٨.." (١)

"إعادة الخلق بعد بدئه. وعد الله على لفظ الفعل، ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقا أي: حق حقا بدء الخلق كقوله:

أحقا عباد الله أن لست جائيا ... ولا ذاهبا إلا علي رقيب

انتهى. وقال ابن عطية: وموضعها النصب على تقدير أحق أنه. وقال الفراء: موضعها رفع على تقدير لحق

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٢/٦

أنه. قال ابن عطية: ويجوز عندي أن يكون أنه بدلا من قوله: وعد الله.

قال أبو الفتح: إن شئت قدرت لأنه يبدأ، فمن في قدرته هذا فهو غني عن إخلاف الوعد، وإن شئت قدرت وعد الله حقا إنه يبدأ ولا يعمل فيه المصدر الذي هو وعد الله، لأنه قد وصف ذلك بتمامه وقطع عمله. وقرأ ابن أبي عبلة: حق بالرفع، فهذا ابتداء وخبره أنه انتهى. وكون حق خبر مبتدأ، وأنه هو المبتدأ هو الوجه في الإعراب كما تقول: صحيح أنك تخرج، لأن اسم أن معرفة، والذي تقدمها في نحو هذا المثال نكرة. والظاهر أن بدء الخلق هو النشأة الأولى، وإعادته هو البعث من القبور. وليجزي متعلق بيعيده أي: ليقع الجزاء على الأعمال. وقيل: البدء من التراب، ثم يعيده إلى التراب، ثم يعيده إلى البعث. وقيل: البدء نشأته من الماء، ثم يعيده من حال إلى حال. وقيل: يبدؤه من العدم، ثم يعيده إليه، ثم يوجده. وقيل: يبدؤه في زمرة الأشقياء، ثم يعيده عند الموت إلى زمرة الأولياء، وبعكس ذلك. وقرأ طلحة: يبدىء من أبدأ رباعيا، وبدأ وأبدأ بمعنى، وبالقسط معناه بالعدل، وهو متعلق بقوله: ليجزي أي: ليثيب المؤمنين بالعدل والإنصاف في جزائهم، فيوصل كلا إلى جزائه وثوابه على حسب تفاضلهم في الأعمال، فينصف بينهم ويعدل، إذ ليسوا كلهم متساوين في مقادير الثواب، وعلى هذا يكون بالقسط منه تعالى. قال الزمخشري: أو يقسطهم بما أقسطوا أو عدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات، لأن الشرك ظلم قال الله تعالى: إن الشرك لظلم عظيم «١» والعصاة ظلام لأنفسهم، وهذا أوجه لمقابلة قوله: بما كانوا يكفرون انتهى. فجعل القسط من فعل الذين آمنوا وهو على طريقة الاعتزال، والظاهر أن والذين كفروا مبتدأ، ويحتمل أن يكون معطوفا على قوله:

الذين آمنوا، فيكون الجزاء بالعدل قد شمل الفريقين. ولما كان الحديث مع الكفار مفتتح السورة معهم، ذكر شيئا من أنواع عذابهم فقال: لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون «٢» وتقدم شرح هذا في سورة الأنعام.

---

(١) سورة لقمان: ٣١/ ١٣.

(٢) سورة الأنعام: ٦/ ٧٠.." (١)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٣/٦

"على انتصار منه، ولا تقابلون فعله بشيء يضره انتهى. وهذا فعل منفي ومدلوله نكرة، فينتفي جميع وجوه الضرر، ولا يتعين واحد منها. ومعنى حفيظ رقيب محيط بالأشياء علما لا يخفى عليه أعمالكم، ولا يغفل عن مؤاخذتكم، وهو يحفظني مما تكيدونني به.

ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ. وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود: الأمر واحد الأمور، فيكون كناية عن العذاب، أو عن القضاء بهلاكهم. أو مصدر أمر أي أمرنا للريح أو لخزنتها. والذين آمنوا معه قيل: كانوا أربعة آلاف، وقيل: ثلاثة آلاف. والظاهر تعلق برحمة منا بقوله: نجينا أي، نجيناهم بمجرد رحمة من الله لحقتهم، لا بأعمالهم الصالحة.

أو كنى بالرحمة عن أعمالهم الصالحة، إذ توفيقهم لها إنما هو بسبب رحمته تعالى إياهم.

ويحتمل أن يكون متعلقا بآمنوا أي: إن إيمانهم بالله وبتصديق رسوله إنما هو برحمة الله تعالى إياهم، إذ وفقهم لذلك. وتكررت التنجية على سبيل التوكيد، ولقلق من لولا صقت منا فأعيدت التنجية وهي الأولى، أو تكون هذه التنجية هي من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه، فأعيدت لأجل اختلاف متعلقيها.

وقال الزمخشري: (فإن قلت) : فما معنى تكرير التنجية؟ (قلت) : ذكر أولا أنه حين أهلك عدوهم نجاهم ثم قال: ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى، وكانت التنجية من عذاب غليظ قال: وذلك أن الله عز وعلا بعث عليهم السموم، فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم وتقطعهم عضوا عضوا انتهى، وهذا قاله الزجاج. وقال ابن عطية:

ويحتمل أن يريد، وكانت النجاة المتقدمة من عذاب غليظ يريد الريح، فيكون المقصود على هذا تعديد النعمة، والمشهور في عذابهم بالريح أنها كانت تحملهم وتهدم مساكنهم وتنسفه، وتحمل الظعينة «١» كما هي، ونحو هذا. وتلك عاد إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال: فسيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا، ثم استأنف الأخبار عنهم فقال: جحدوا بآيات ربهم أي: أنكروها. وأضاف الآيات إلى ربهم تنبيها على أنه مالكهم ومربيهم، فأنكروا آياته، والواجب إقرارهم بها. وأصل جحد أن يتعدى بنفسه، لكنه أجري مجرى كفر فعدي بالباء، كما عدي كفر بنفسه في قوله: إلا أن عادا كفروا ربهم، إجراء له مجرى

(١) سورة التوبة: ٩/ ٢.." (١)

"حمرة. وعن ابن عباس أيضا: الحجر أبيض فيه نقطة سوداء، وأسود فيه نقطة بيضاء. وعن عكرمة وقتادة أيضا: فيها خطوط حمر على هيئة الجزع. وقيل: وكانت مثل رؤوس الإبل، ومثل مبارك الإبل. وقيل: قبضة الرجل. قال ابن عباس ومقاتل: معنى من عند ربك، جاءت من عند ربك. وقيل: معدة عند ربك قاله: أبو بكر الهذلي. وقال ابن الأنباري:

المعنى لزم هذا التسويم الحجارة عند الله إيذانا بنفاذ قدرته وشدة عذابه. والظاهر أن ضمير هي عائد على القرى التي جعل الله أعاليها أسافلها، والمعنى: أن ذوات هذه المدن كانت بين المدينة والشام، يمر عليها قريش في مسيرهم، فالنظر إليها وفيها فيه اعتبار واتعاظ.

وقيل: هي عائدة على الحجارة، وهي أقرب مذكور. وقال ابن عباس: وما عقوبتهم ممن يعمل عملهم ببعيد، والظاهر عموم الظالمين. وقيل: عني به قريش.

وفي الحديث: «إنه سيكون في أمتي خسف ومسخ وقذف بالحجارة»

وقيل: مشركو العرب. وقيل: قوم لوط أي: لم تكن الحجارة تخطئهم.

وفي الحديث: «سيكون في أواخر أمتي قوم يكتفي رجالهم بالرجال والنساء بالنساء فإذا كان كذلك فارتقبوا عذاب قوم لوط أن يرسل الله عليهم حجارة من سجيل ثم تلا وما هي من الظالمين ببعيد»

وإذا كان الضمير في قوله: وما هي، عائد على الحجارة، فيحتمل أن يراد بشيء بعيد، ويحتمل أن يراد بمكان بعيد، لأنها وإن كانت في السماء وهي مكان بعيد، إلا أنها إذا هويت منها فهي أسرع شيء لحوقا بالمرمي، فكأنها بمكان قريب منه.

[سورة هود (١١) : الآيات ٨٤ الى ١٠٨]

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط (٨٤) ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٨٥) بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٧٠/٦

(٨٦) قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشؤا إنك لأنت الحليم الرشيد (٨٧) قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب (٨٨)
ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد (٨٩) واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود (٩٠) قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز (٩١) قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط (٩٢) ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣)
ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٩٤) كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود (٩٥) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين (٩٦) إلى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد (٩٧) يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود (٩٨)
وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود (٩٩) ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد (١٠٠) وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب (١٠١) وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد (١٠٢) إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (١٠٣)
وما نؤخره إلا لأجل معدود (١٠٤) يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد (١٠٥) فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق (١٠٦) خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد (١٠٧) وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ (١٠٨)." (١)

"الناس أشياءهم، وهو عام في الناس، وفيما بأيديهم من الأشياء كانت مما تكال وتوزن أو غير ذلك.
ونهوا رابعا: عن الفساد في الأرض وهو أعم من أن يكون نقصا أو غيره، فبدأهم أولا بالمعصية الشنيعة التي

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٩٢/٦

كانوا عليها بعد الأمر بعبادة الله، ثم ارتقى إلى عام، ثم إلى أعم منه وذلك مبالغة في النصح لهم ولطف في استدراجهم إلى طاعة الله. وتفسير معاني هذه الجمل سبق في الأعراف. بقية الله قال ابن عباس: ما أبقى الله لكم من الحلال بعد الإيفاء خير من البخس، وعنه رزق الله. وقال مجاهد والزجاج: طاعة الله. وقال قتادة:

حظكم من الله. وقال ابن زيد: رحمة الله. وقال قتادة: ذخيرة الله. وقال الربيع: وصية الله. وقال مقاتل: ثواب الله في الآخرة، وذكر الفراء: مراقبة الله. وقال الحسن: فرائض الله. وقيل: ما أبقاه الله حلالا لكم ولم يحرمه عليكم. قال ابن عطية: وهذا كله لا يعطيه لفظ الآية، وإنما المعنى عندي إبقاء الله عليكم إن أطعتم. وقوله: إن كنتم مؤمنين، شرط في أن يكون البقية خيرا لهم، وأما مع الكفر فلا خير لهم في شيء من الأعمال. وجواب هذا الشرط متقدم. والحفيظ المراقب الذي يحفظ أحوال من يرقب، والمعنى: إنما أنا مبلغ، والحفيظ المحاسب هو الذي يجازيكم بالأعمال انتهى. وليس جواب الشرط متقدما كما ذكر، وإنما الجواب محذوف لدلالة ما تقدم عليه على مذهب جمهور البصريين. وقال الزمخشري: وإنما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الأرض وهم كفرة بشرط الإيمان، ويجوز أن يريد ما يبقى لهم عند الله من الطاعات كقوله: والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا «١» وإضافة البقية إلى الله من حيث أنها رزقه الذي يجوز أن يضاف إليه، وأما الحرام فلا يجوز أن يضاف إلى الله، ولا يسمى رزقا انتهى، على طريق المعتزلة في الرزق، وقرأ إسماعيل بن جعفر عن أهل المدينة: بقية بتخفيف الياء. قال ابن عطية: هي لغة انتهى. وذلك أن قياس فعل اللازم أن يكون على وزن فعل نحو: سجيت المرأة فهي سجية، فإذا شددت الياء كان على وزن فعيل للمبالغة. وقرأ الحسن: تقية بالتاء، وهي تقواه ومراقبته الصارفة عن المعاصي.

قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشؤا إنك لأنت الحليم الرشيد. قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي

---

(١) سورة الكهف: ١٨/ ٤٦.." (١)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٩٦/٦

"الذنب، وكسب زيد المال، ويتعدى إلى اثنين جرمت زيدا الذنب، وكسبت زيدا المال.

وبالألف يتعدى إلى اثنين أيضا، أجرم زيد عمرا الذنب، وأكسبت زيدا المال، وتقدم الكلام في جرم في العقود. وقرأ مجاهد، والجحدري، وابن أبي إسحاق، ورويت عن نافع: مثل بفتح اللام، وخرج على وجهين: أحدهما: أن تكون الفتحة فتحة بناء، وهو فاعل كحاله حين كان مرفوعا، ولما أضيف إلى غير متمكن جاز فيه البناء، كقراءة من قرأ إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون. والثاني: أن تكون الفتحة فتحة إعراب، وانتصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي: إصابة مثل إصابة قوم نوح. والفاعل مضمر يفسره سياق الكلام أي: أن يصيبكم هو أي العذاب. وما قوم لوط منكم ببعيد، إما في الزمان لقرب عهد هلاكهم من عهدكم، إذ هم أقرب الهالكين، وإما في الكفر والمعاصي وما يستحق به الهلاك. وأجرى بعيدا على قوم إما باعتبار الزمان أو المكان، أي: بزمان بعيد، أو بمكان بعيد. أو باعتبار موصوف غيرهما أي: بشيء بعيد، أو باعتبار مضاف إلى قوم أي: وما إهلاك قوم لوط. ويجوز أن يسوى في قريب وبعيد وكثير وقليل بين المفرد والجمع، وبين المذكر والمؤنث، كما قالوا: هو صديق، وهم صديق، وهي صديق، وهن صديق. وودود بناء مبالغة من ود الشيء أحبه وآثره، وهو على فعل. وسمع الكسائي: وددت بفتح العين، والمصدر ود ووداد وودادة. وقال بعض أهل اللغة: يجوز أن يكون ودود فعول بمعنى مفعول. وقال المفسرون: ودود متحبب إلى عباده بالإحسان إليهم. وقيل: محبوب المؤمنين ورحمته لعباده، ومحبته لهم سبب في استغفارهم وتوبتهم، ولولا ذلك ما وفقهم إلى استغفاره والرجوع إليه، فهو يفعل بهم فعل الواد بمن يوده من الإحسان إليه.

قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم **رقيب** ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود: كانوا لا يلقون إليه أذهانهم، ولا يصغون لكلامه رغبة عنه وكراهة له كقوله تعالى: وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه «١»

---

(١) سورة الأنعام: ٦/ ٢٥.." (١)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٦/٢٠٠

"بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا، وعملت أنت؟ فقال: سوف تعلمون، يوصل تارة بالفاء، وتارة بالاستئناف، كما هو عادة البلغاء من العرب. وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف، وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه. قال الزمخشري: (فإن قلت) : قد ذكر عملهم على مكانتهم، وعمله على مكانته، ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم، فكان القياس أن يقول من يأتيه عذاب يخزيه، ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه إلى الجاحدين، ومن هو صادق إلى النبي المبعوث إليهم. (قلت) : القياس ما ذكرت، ولكنهم لما كانوا يعدونه كاذبا قال: ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم انتهى. وفي ألفاظ هذا الرجل سوء أدب، والذي قاله ليس بقياس، لأن التهديد الذي وقع ليس بالنسبة إليه، ولا هو داخل في التهديد المراد بقوله: سوف تعلمون، إذ لم يأت التركيب اعملوا على مكانتكم، وأعمل على مكانتي، ولا سوف تعلمون. واعلم أن التهديد مختص بهم. واستسلف الزمخشري قوله: قد ذكر عملهم على مكانتهم، وعمله على مكانته، فبنى على ذلك سؤالا فاسدا، لأن المترتب على ما ليس مذكورا لا يصح البتة، وجميع الآية والتي قبلها إنما هي بالنسبة إليهم على سبيل التهديد، ونظيره في سورة تنزيل: فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم «١» فهذا جاء بالنسبة للمخاطبين في قوله: قل يا قوم اعملوا على مكانتكم كما جاء هنا، وارتقبوا: انتظروا العاقبة، وما أقول لكم. **والرقيب** بمعنى الراقب فعيل للمبالغة، أو بمعنى المراقب كالعشير والجليس، أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع، ويحسن هذا مقابلة فارتقبوا.

وقال الزمخشري: (فإن قلت) : ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء؟ (قلت) : قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله: إن موعدهم الصبح «٢» ذلك وعد غير مكذوب «٣» فجيء بالفاء التي للتسبب كما تقول:

وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت، وأما الأخريان فلم يقعا بتلك المنزلة، وإنما وقعتا مبتدأتين، فكان حقهما أن يعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما، كما تعطف قصة على قصة انتهى. وتقدم تفسير مثل ولما جاء أمرنا إلى قوله كأن لم يغنوا فيها. وقرأ السلمي وأبو

---

(١) سورة هود: ١١/ ٣٩. [.....]

(٢) سورة هود: ١١/ ٨١.

(٣) سورة هود: ١١/ ٦٥.." (١)

"ذكرى معناها توبة، ثم أمر تعالى بالصبر على التبليغ والمكاره في ذات الله بعد ما تقدم من الأوامر والنواهي، ومنبها على محل الصبر، إذ لا يتم شيء مما وقع الأمر به والنهي عنه إلا به، وأتى بعام وهو قوله: أجر المحسنين، ليندرج فيه كل من أحسن بسائر خصال الإحسان مما يحتاج إلى الصبر فيه، وما قد لا يحتاج كطبع من خلق كريما، فلا يتكلف الإحسان إذ هو مركوز في طبعه. وقال ابن عباس: المحسنون هم المصلون، كأنه نظر إلى سياق الكلام. وقال مقاتل: هم المخلصون، وقال أبو سليمان: المحسنون في أعمالهم.

فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين: لولا هنا للتحضيض، صحبها معنى التفجع والتأسف الذي ينبغي أن يقع من البشر على هذه الأمم التي لم تهتد، وهذا نحو قوله: يا حسرة على العباد «١» والقرون: قوم نوح، وعاد، وثمود، ومن تقدم ذكره. والبقية هنا يراد بها الخير والنظر والجزم في الدين، وسمي الفضل والجود بقية، لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله، فصار مثلا في الجودة والفضل. ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم، وبه فسر بيت الحماسة: إن تذنبوا ثم يأتيني بقيتكم. ومنه قولهم:

في الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا. وإنما قيل: بقية لأن الشرائع والدول ونحوها قوتها في أولها، ثم لا تزال تضعف، فمن ثبت في وقت الضعف فهو بقية الصدر الأول. وبقية فعيلة اسم فاعل للمبالغة. وقال الزمخشري: ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى، كالتقية بمعنى التقوى أي: فلا كان منهم ذو وبقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه.

وقرأت فرقة: بقية بتخفيف الياء اسم فاعل من بقي، نحو: شجيت فهي شجية. وقرأ أبو جعفر، وشيبة: بقية بضم الباء وسكون القاف، وزن فعلة. وقريء: بقية على وزن فعلة للمرة من بقاه يقيه إذا رقبه وانتظره، والمعنى: فلولا كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله، كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم لإشفاقهم. والفساد هنا الكفر وما اقترن به من المعاصي، وفي ذلك تنبيه لهذه الأمة وحض لها على تغيير المنكر. إلا قليلا استثناء منقطع أي: لكن قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد وهم قليل بالإضافة إلى جماعاتهم، ولا

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٠٣/٦

يصح أن يكون استثناء متصلا مع بقاء التحضيض على ظاهره لفساد المعنى، وصيرورته إلى أن الناجين لم يحرضوا على النهي عن الفساد. والكلام عند سيبويه بالتحضيض واجب، وغيره

---

(١) سورة يس: ٣٦/ ٣٠.." (١)

"الإثبات، ولا يقدر فيه معنى النفي. وفي الكلام حذف تقديره: فأجابوه إلى ما طلبه، فلما آتوه موثقهم قال يعقوب: الله على ما نقول من طلب الموثق وإعطائه وكيل رقيب مطلع.

ونهيه إياهم أن يدخلوا من باب واحد هو خشية العين، وكانوا أحد عشر لرجل واحد أهل جمال وبسطة قاله: ابن عباس، والضحاك، وقتادة، وغيرهم، والعين حق.

وفي الحديث: «إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وفي التعوذ ومن كل عين لامة»

وخطب الزمخشري فقال: لأنهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة، وقد أشهرهم أهل مصر بالقربة عند الملك والكرامة الخاصة التي لم تكن لغيرهم، فكانوا مظنة لطموح الأبصار إليهم من الوفود، وأن يشار إليهم بالأصابع، ويقال: هؤلاء أضياف الملك انظروا إليهم ما أحسنهم من فتيان، وما أحقهم بالإكرام، لأمر ما أكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه. فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم في الصدور، ويصيبهم ما يسوءهم، ولذلك لم يوصهم بالتفرق في المرة الأولى، لأنهم كانوا مجهولين معمورين بين الناس انتهى. ويظهر أن خوفه عليهم من العين في هذه الكرة بحسب أن محبوبه فيهم وهو بنيامين الذي كان يتسلى به عن شقيقه يوسف، ولم يكن فيهم في الكرة الأولى، فأهمل أمرهم ولم يحتفل بهم لسوء صنيعهم في يوسف. وقيل: نهاهم خشية أن يستراب بهم لقول يوسف: أنتم جواسيس. وقيل: طمع بافتراقهم أن يتسمعوا خبر يوسف، ثم نفى عن نفسه أن يغني عنهم شيئا يعني: بوصاته، إن الحكم إلا لله أي: هو الذي يحكم وحده وينفذ ما يريد، فعليه وحده توكلت. ومن حيث أمرهم أبوهم أي: من أبواب متفرقة.

روي أنهم لما ودعوا أباهم قال لهم: بلغوا ملك مصر سلامي وقولوا له: إن أبانا يصلي عليك، ويدعو لك، ويشكر صنيعك معنا.

وفي كتاب أبي منصور المهراني: أنه خاطبه بكتاب قرىء على يوسف فبكى. وجواب لما قوله: ما كان

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٢٤/٦

يغني عنهم من الله من شيء، وفيه حجة لمن زعم أن لما حرف وجوب لوجوب لا، ظرف زمان بمعنى حين، إذ لو كانت ظرف زمان ما جاز أن تكون معمولة لما بعد ما النافية. لا يجوز حين قام زيد ما قام عمرو، ويجوز لما قام زيد ما قام عمرو، فدل ذلك على أن لما حرف يترتب جوابه على ما بعده. وقال ابن عطية: ويجوز أن يكون جواب لما محذوفا مقدرا، ثم يخبر عن دخولهم أنه ما كان يغني. ومعنى الجملة: لم يكن في دخولهم متفرقين دفع قدر الله الذي قضاه عليهم من تشريفهم وافتضاحهم بذلك، وأخذ أخيهم بوجدان الصاع في رحله، وتزايد مصيبته على أبيهم، بل كان إربا ليعقوب قضاه وتطييبا لنفسه. وقيل: معنى ما كان يغني." (١)

"المعنى، لا من حيث صناعة النحويين، فبين أن معقبة من حيث أريد به الجمع كرجال من حيث وضع للجمع، وأن معقبات من حيث استعمل جمعا لمعقبة المستعمل للجمع كرجالات الذي هو جمع رجال. وقرأ عبيد بن زياد على المنبر له المعاقب، وهي قراءة أبي وإبراهيم. وقال الزمخشري: وقرىء له معاقيب. قال أبو الفتح: هو تكسير معقب بسكون العين وكسر القاف، كمطعم ومطاعيم، ومقدم ومقاديم، وكان معقبا جمع على معاقبة، ثم جعلت الياء في معاقيب عوضا من الهاء المحذوفة في معاقبة. وقال الزمخشري: جمع معقب أو معقبة، والياء عوض من حذف أحد القافين في التكسير. وقرىء له معتقبات من اعتقب. وقرأ أبي من بين يديه، ورقيب من خلفه. وقرأ ابن عباس: ورقباء من خلفه، وذكر عنه أبو حاتم أنه قرأ له معقبات من خلفه، ورقيب من بين يديه. وينبغي حمل هذه القرآات على التفسير، لا أنها قرآن لمخالفتها سواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون.

والظاهر أن قوله تعالى: من أمر الله متعلق بقوله: يحفظونه. قيل: من للسبب كقولك:

كسرته من عرى، ويكون معناها ومعنى الباء سواء، كأنه قيل: يحفظونه بأمر الله وبإذنه، فحفظهم إياه متسبب عن أمر الله لهم بذلك. قال ابن جريج: يحفظون عليه عمله، فحذف المضاف. وقال قتادة: يكتبون أقواله وأفعاله.

وقراءة علي، وابن عباس، وعكرمة، وزيد بن علي، وجعفر بن محمد: يحفظونه بأمر الله

، يؤيد تأويل السببية في من وفي هذا التأويل. قال الزمخشري: يحفظونه من أجل أمر الله تعالى أي: من أجل أن الله تعالى أمرهم بحفظه. وقال ابن عطية، وقتادة: معنى من أمر الله، بأمر الله أي: يحفظونه بما

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٦/٢٩٨

أمر الله، وهذا تحكم في التأويل انتهى. وليس بتحكم وورود من للسبب ثابت من لسان العرب. وقيل: يحفظونه من بأس الله ونقمته كقولك: حرست زيدا من الأسد، ومعنى ذلك: إذا أذن الله لهم في دعائهم أن يمهله رجاء أن يتوب عليه وينيب كقوله تعالى: قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن «١» يصير معنى الكلام إلى التضمين أي: يدعون له بالحفظ من نقمات الله رجاء توبته. ومن جعل المعقبات الحرس، وجعلها في رؤساء الكفار فيحفظونه معناه: في زعمه وتوهمه من هلاك الله، ويدفعون قضاءه في ظنه، وذلك لجهالته بالله تعالى، أو يكون ذلك على معنى التهكم به، وحقيقة التهكم هو أن يخبر بشيء ظاهره مثلا الثبوت في ذلك الوصف، وفي الحقيقة هو منتصف، ولذلك حمل بعضهم يحفظونه

(١) سورة الأنبياء: ٢١/ ٤٢.." (١)

"محذوف. وقرأ الجمهور: جنات، والنخعي: جنة بالإفراد. وروي عن ابن كثير، وأبي عمرو: يدخلونها مبنيا للمفعول. وقرأ ابن أبي عبلة: ومن صلح بضم اللام، والجمهور بفتحها، وهو أفصح. وقرأ عيسى الثقفي: وذريتهم بالتوحيد، والجمهور بالجمع. وقرأ ابن يعمر: فنعم بفتح النون وكسر العين وهي الأصل، كما قال الراجز:

نعم الساعون في اليوم الشطر وقرأ ابن وثاب: فنعم بفتح النون وسكون العين، وتخفيف فعل لغة تميمية، والجمهور نعم بكسر النون وسكون العين، وهي أكثر استعمالا. قال مجاهد وغيره: ومن صلح أي عمل صالحا وآمن انتهى. وهذا يدل على أن مجرد النسب من الصالح لا ينفع، إنما تنفع الأعمال الصالحة. وقيل: يحتمل قوله: ومن صلح أي لذلك بقدر الله تعالى وسابق علمه. قال ابن عباس: هذا الصلاح هو الإيمان بالله وبالرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه بشارة بنعمة اجتماعهم مع قراباتهم في الجنة. والظاهر أن ومن معطوف على الضمير في يدخلونها وقد فصل بينهما بالمفعول. وقيل: يجوز أن يكون مفعولا معه أي: يدخلونها مع من صلح.

ويشتمل قوله: من آبائهم، أبوي كل واحد والده ووالدته، وغلب الذكور على الإناث، فكأنه قيل: ومن صلح من آبائهم وأمهاتهم. والملائكة يدخلون عليهم من كل باب أي:

بالتحف والهدايا من الله تعالى تكرمة لهم. قال أبو بكر الوراق: هذه ثمانية أعمال تشير إلى ثمانية أبواب

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٦١/٦

الجنة، من عملها دخلها من أي باب شاء. قال الأصم: نحو هذا قال: من كل باب باب الصلاة، وباب الزكاة، وباب الصبر. ولأبي عبد الله الرازي كلام عجيب في الملائكة ذكر: أن الملائكة طوائف منهم روحانيون، ومنهم كروبيون، فالعبد إذا راض نفسه بأنواع الرياضات كالصبر والشكر **والمراقبة** والمحاسبة، فلكل مرتبة من هذه المراتب جوهر قدسي وروح علوي يحفظ لتلك الصفة مزيد اختصاص، فعند الموت إذا أشرقت تلك الجواهر القدسية تجلت فيها من كل روح من الأرواح السمائية ما يناسبها من الصفة المخصوصة، فيفيض عليها من ملائكة الصبر كمالات مخصوصة نفسانية لا تظهر إلا في مقام الصبر، ومن ملائكة الشكر كمالات روحانية لا تتجلى إلا في مقام الشكر، وهكذا القول في جميع المراتب انتهى. وهذا كلام فلسفي لا تفهمه العرب، ولا جاءت به الأنبياء، فهو كلام مطرح لا يلتفت إليه المسلمون. قال ابن عطية: وحكى الطبري رحمه الله في صفة دخول الملائكة أحاديث لم نطول بها لضعف أسانيدها انتهى.." (١)

"حال من استهزأ بك، وإن أمهل حال أولئك في أخذهم ووعيد لهم. وفي قوله: فكيف كان عقاب استفهام معناه التعجب بما حل، وفي ضمنه وعيد معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم من الكفار.

أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد. لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق: من موصولة صلتها ما بعدها، وهي مبتدأ والخبر محذوف تقديره: كمن ييئس، كذلك من شركائهم التي لا تضر ولا تنفع، كما حذف من قوله: أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه «١» تقديره: كالقاسي قلبه الذي هو في ظلمة. ودل عليه قوله تعالى: وجعلوا لله شركاء، كما دل على القاسي فويل للقاسية قلوبهم «٢» ويحسن حذف هذا الخبر كون المبتدأ يكون مقابله الخبر المحذوف، وقد جاء مثبتا كثيرا كقوله تعالى: أفمن يخلق كمن لا يخلق «٣» أفمن يعلم «٤» ثم قال: كمن هو أعمى «٥» . والظاهر أن قوله تعالى: وجعلوا لله شركاء، استئناف إخبار عن سوء صنيعهم، وكونهم أشركوا مع الله ما لا يصلح للألوهية. نعى عليهم هذا الفعل القبيح، هذا والباري تعالى هو المحيط بأحوال النفوس جليها وخفيها. ونبه على بعض حالاتها وهو الكسب، ليتفكر الإنسان فيما يكسب من خير وشر، وما يترتب على الكسب في الجزاء، وعبر بقائم عن الإحاطة **والمراقبة**

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٨٢/٦

التي لا يغفل عنها. وقال الزمخشري: ويجوز أن يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ، ويعطف عليه وجعلوا لله أي: وجعلوا، وتمثيله: أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه، وجعلوا له شركاء، وهو الله الذي يستحق العبادة وحده انتهى. وفي هذا التوجيه إقامة الظاهر مقام المضمر في قوله: وجعلوا لله أي: وجعلوا له، وفيه حذف الخبر عن المقابل، وأكثر ما جاء هذا الخبر مقابلا. وفي تفسير أبي عبد الله الرازي قال: الشديد صاحب العقد، الواو في قوله تعالى: وجعلوا واو الحال، والتقدير: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت موجود، والحال أنهم جعلوا له شركاء، ثم أقيم الظاهر وهو لله مقام المضمر تقديرا لألوهيته وتصريحا بها، كما تقول: معطي الناس ومغنيهم موجود، ويحرم مثلي انتهى. وقال ابن عطية: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق بالعبادة أم الجمادات التي لا تضر ولا

---

(١) سورة الزمر: ٣٩/ ٢٢.

(٢) سورة الزمر: ٣٩/ ٢٢.

(٣) سورة النحل: ١٦/ ١٧.

(٤) سورة الرعد: ١٣/ ١٩.

(٥) سورة الرعد: ١٣/ ١٩.." (١)

"إسماعيل وإسحاق، وأنكر عاصم الجحدري هذه القراءة، وقال: إن في مصحف أبي بن كعب: ولأبوي، وعن يحيى بن يعمر: ولولدي بضم الواو وسكون اللام، فاحتمل أن يكون جمع ولد كأسد في أسد، ويكون قد دعا لذريته، وأن يكون لغة في الولد. وقال الشاعر:

فليت زيادا كان في بطن أمه ... وليت زيادا كان ولد حمار

كما قالوا: العدم والعدم. وقرأ ابن جبير: ولوالدي بإسكان الياء على الإفراد كقوله:

واغفر لأبي، وقيام الحساب مجاز. عن وقوعه وثبوته كما يقال: قامت الحرب على ساق، أو على حذف مضاف أي: أهل الحساب كما قال: يقوم الناس لرب العالمين «١» .

ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء: الخطاب بقوله: ولا تحسبن، للسامع الذي يمكن منه حسبان مثل هذا

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٩٢/٦

لجهله بصفات الله، لا للرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه مستحيل ذلك في حقه. وفي هذه الآية وعيد عظيم للظالمين، وتسلية للمظلومين. وقرأ طلحة: ولا تحسب بغير نون التوكيد، وكذا فلا تحسب الله مخلف وعده. والمراد بالنهي عن حسبانه غافلا الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون، لا يخفى عليه منه شيء، وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله: والله بما تعملون عليم «٢» يريد الوعيد. ويجوز أن يراد: ولا تحسبنه، يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون، ولكن معاملة **الرقيب** عليهم المحاسب على النقير والقطمير. وقرأ السلمي والحسن، والأعرج، والمفضل، عن عاصم وعباس بن الفضل، وهارون العتكي، ويونس بن حبيب، عن أبي عمر: ونؤخرهم بنون العظمة، والجمهور بالياء أي: يؤخرهم الله. مهطعين مسرعين، قاله:

ابن جبير وقتادة. وذلك بذلة واستكانة كإسراع الأسير والخائف. وقال ابن عباس، وأبو الضحى: شديدي النظر من غير أن يطرقوا. وقال ابن زيد: غير رافعي رؤوسهم. وقال مجاهد: مدیمين النظر. وقال الأخفش: مقبلين للإصغاء، وأنشد:

بدجلة دارهم ولقد أراهم ... بدجلة مهطعين إلى السماع

وقال الحسن: مقنعي رؤوسهم وجوه الناس يومئذ إلى السماء، لا ينظر أحد إلى أحد انتهى. وقال ابن جريج: هواء صفر من الخير خاوية منه. وقال أبو عبيدة: جوف لا عقول

---

(١) سورة المطففين: ٨٣/ ٦.

(٢) سورة البقرة: ٢/ ٢٨٣.." (١)

"والمؤدى هو العين المؤتمن عليه أو القول إن كان المؤتمن عليه لا المصدر. وقرأ الأخوان على صلاتهم بالتوحيد، وباقي السبعة بالجمع. والخشوع والمحافظة متغايران بدأ أولا بالخشوع وهو الجامع **للمراقبة** القلبية والتذلل بالأفعال البدنية، وثنى بالمحافظة وهي تأديتها في وقتها بشروطها من طهارة المصلي وملبوسه ومكانه وأداء أركانها على أحسن هيئاتها ويكون ذلك دأبه في كل وقت. قال الزمخشري: ووحدت أولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أي صلاة كانت، وجمعت آخرا لتفاد المحافظة على أعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٥١/٦

والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل.

أولئك أي الجامعون لهذه الأوصاف هم الوارثون الأحقاء أن يسموا وراثا دون من عداهم، ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لإرثهم لا تخفى على الناظر، ومعنى الإرث ما مر في سورة مريم انتهى. وتقدم الكلام في الفردوس في آخر الكهف.

ولقد خلقنا الإنسان الآية لما ذكر تعالى أن المتصفين بتلك الأوصاف الجليلة هم يرثون الفردوس فتضمن ذلك المعاد الأخروي، ذكر النشأة الأولى ليستدل بها على صحة النشأة الآخرة. وقال ابن عطية: هذا ابتداء كلام والواو في أوله عاطفة جملة كلام على جملة، وإن تباينت في المعاني انتهى. وقد بينا المناسبة بينهما ولم تتباين في المعاني من جميع الجهات. والإنسان هنا. قال قتادة وغيره ورواه عن سلمان وابن عباس آدم لأنه انسل من الطين ثم جعلناه عائد على ابن آدم وإن كان لم يذكر لشهرة الأمر وأن المعنى لا يصلح إلا له ونظيره حتى توارت بالحجاب «١» أو على حذف مضاف أي ثم جعلنا نسله. وعن ابن عباس أيضا أن الإنسان ابن آدم وسلالة من طين صفوة الماء يعني المني وهو اسم جنس، والطين يراد به آدم إذ كانت نشأة من الطين كما سمي عرق الثرى أو جعل من الطين لكونه سلالة من أبويه وهما متغذيان بما يكون من الطين. وقال الزمخشري: خلق جوهر الإنسان أولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة انتهى. فجعل الإنسان جنسا باعتبار حالتيه لا باعتبار كل مردود منه ومن الأولى لابتداء الغاية ومن الثانية قال الزمخشري للبيان كقوله من الأوثان «٢» انتهى. ولا تكون للبيان إلا على تقدير

---

(١) سورة ص: ٣٨/ ٣٢.

(٢) سورة الحج: ٢٢/ ٣٠.." (١)

"الثماني. أراد بذلك تقرير الخيار، وأنه ثابت مستقر، وأن الأجلين على السواء، إما هذا، وإما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء. وأما التتمة فموكولة إلى رأيي، إن شئت أتيت بها وإلا لم أجبر عليها. وقيل: معناه فلا أكون متعديا، وهو في نفي العدوان عن نفسه، كقولك: لا إثم علي ولا تبعة. انتهى، وجوابه الأول فيه تكثير. والله على ما نقول: أي على ما تعاهدنا عليه وتواثقنا، وكيل: أي شاهد. وقال قتادة: حفيظ. وقال ابن شجرة: رقيب، والوكيل الذي وكل إليه الأمر، فلما ضمن معنى شاهد ونحوه عدي بعلى.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٧/٥٥٠

فلما قضى موسى الأجل: جاء على النبي صلى الله عليه وسلم أنه وفى أطول الأجلين، وهو العشر. وعن مجاهد: وفي عشر أو عشرا بعدها، وهذا ضعيف. وسار بأهله: أي نحو مصر بلده وبلد قومه. والخلاف فيمن تزوج، الكبرى أم الصغرى، وكذلك في اسمها.

وتقدم كيفية مسيره، وإيناسه النار في سورة طه وغيرها. وقرأ الجمهور: جذوة، بكسر الجيم والأعمش، وطلحة، وأبو حيوة، وحمزة: بضمها وعاصم، غير الجعفي:

بفتحها. لعلكم تصطلون: أي تتسخنون بها، إذ كانت ليلة باردة، وقد أضلوا الطريق.

فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين، وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين، اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوما فاسقين، قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون، وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون، قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون.

من، في: من شاطىء، لابتداء الغاية، ومن الشجرة كذلك، إذ هي بدل من الأولى، أي من قبل الشجرة. والأيمن: يحتمل أن يكون صفة للشاطىء وللوادي، على معنى اليمن والبركة، أو الأيمن: يريد المعادل للعضو الأيسر، فيكون ذلك بالنسبة إلى موسى، لا للشاطىء، ولا للوادي، أي أيمن موسى في استقباله حتى يهبط الوادي، أو بعكس ذلك وكل هذه الأقوال في الأيمن مقول. وقرأ الأشهب العقيلي، ومسلمة: في البقعة، بفتح الباء. قال أبو زيد: سمعت من العرب: هذه بقعة طيبة، بفتح الباء، ووصفت البقعة بالبركة، لما خصت به من آيات الله وأنواره وتكليمه لموسى عليه السلام، أو لما حوت من الأرزاق والثمار الطيبة. ويتعلق في البقعة بنودي، أو تكون في موضع الحال من شاطىء.." (١)

"وتفرغه إلا من الله. وأما ما لا يجاوز اللسان ففي ركبة رتبة أخرى. وقال الزمخشري: يريد والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وسماها بذكر الله، كما قال: فاسعوا إلى ذكر الله «١» ، وإنما قال: ولذكر الله، لتستقل بالتعليل، كأنه قال: والصلاة أكبر، لأنها ذكر الله مما تصنعون من الخير والشر فيجازيكم، وفيه وعيد وحث على المراقبة.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٠١/٨

ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون، وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون، وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون، بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون، وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين، أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون، قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون، ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون، يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين، يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون.

وأهل الكتاب: اليهود والنصارى. إلا بالتي هي أحسن: من الملاطفة في الدعاء إلى الله والتنبيه على آياته. إلا الذين ظلموا: ممن لم يؤد جزية ونصب الحرب، وصرح بأن لله ولدا أو شريكا، أو يده مغلولة فالآية منسوخة في مهادنة من لم يحارب، قاله مجاهد ومؤمنو أهل الكتاب. إلا بالتي هي أحسن: أي بالموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أوائلهم. إلا الذين ظلموا: من بقي منهم على كفره، وعد لقريظة والنضير، قاله ابن زيد، والآية على هذا محكمة. وقيل: إلا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال قتادة: الآية منسوخة بقوله: قاتلوا الذين لا يؤمنون «٢» الآية. وقرأ الجمهور: إلا، حرف استثناء وابن عباس: ألا، حرف تنبيه واستفتاح، وتقديره: ألا جادلوهم بالتي هي أحسن. وقولوا آمنا: هذا من المجادلة بالأحسن. بالذي أنزل إلينا، وهو القرآن، وأنزل إليكم، وهو التوراة والزبور والإنجيل.

---

(١) سورة الجمعة: ٦٢/ ٩.

(٢) سورة التوبة: ٩/ ٢٩.." (١)

"سورة الأحزاب

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ١ الى ٧٣]

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٦٠/٨

بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما (١) واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا (٢) وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٣) ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل (٤)
ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما (٥) النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا (٦) وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا (٧) ليسئل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما (٨) يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا (٩)
إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (١٠) هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا (١١) وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا (١٢) وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا (١٣) ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا (١٤)
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤلا (١٥) قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا (١٦) قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (١٧) قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا (١٨) أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا (١٩)
يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا (٢٠) لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم

الآخر وذكر الله كثيرا (٢١) ولما رأ المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما (٢٢) من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا (٢٣) ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما (٢٤)

ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا (٢٥) وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا (٢٦) وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا (٢٧) يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا (٢٨) وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما (٢٩)

يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا (٣٠) ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما (٣١) يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا (٣٢) وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (٣٣) واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا (٣٤)

إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما (٣٥) وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (٣٦) وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا (٣٧) ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (٣٨) الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (٣٩)

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠) يا أيها

الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨) يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا (٤٩)

يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (٥٠) ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما (٥١) لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢) يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما (٥٣) إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما (٥٤)

لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا (٥٥) إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (٥٦) إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا (٥٧) والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا (٥٨) يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما (٥٩)

لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا (٦٠) ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا (٦١) سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٦٢) يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (٦٣) إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا (٦٤)

خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا (٦٥) يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (٦٦) وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا (٦٧) ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا (٦٨) يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها (٦٩)

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (٧٠) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما (٧١) إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا (٧٢) ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما (٧٣)." (١)

"تقدم شرحها، فبدأ أولا بالانقياد الظاهر، ثم بالتصديق، ثم بالأوصاف التي بعدهما تندرج في الإسلام وهو الانقياد، وفي الإيمان وهو التصديق، ثم ختمها بخلة **المراقبة** وهي ذكر الله كثيرا. ولم يذكر لهذه الأوصاف متعلقا إلا في قوله: والحافظين فروجهم والذاكرين الله كثيرا، نص على متعلق الحفظ لكونه منزلة العقلاء ومركب الشهوة الغالبة، وعلى متعلق الذكر بالاسم الأعظم، وهو لفظ الله، إذ هو العلم المحتوي على جميع أوصافه، ليتذكر المسلم من تذكره، وهو الله تعالى، وحذف من الحافظات والذاكرات المفعول لدلالة ما تقدم، والتقدير: والحافظاتها والذاكراته. أعد الله لهم: غلب الذكور، فجمع الإناث معهم وأدرجهم في الضمير، ولم يأت التركيب لهم ولهن.

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا، وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا، ما كان على النبي

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٤٣/٨

من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا، الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا، ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما، يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا، وسبحوه بكرة وأصيلا، هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما، تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا، ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا.

قال الجمهور، وابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وغيرهم: خطب الرسول لزيد زينب بنت جحش، فأبت وقالت: لست بناكحة، فقال: «بلى فأنكحيه فقد رضيته لك» ، فأبت، فنزلت.

وذكر أنها وأخاها عبد الله كرها ذلك، فلما نزلت الآية رضيا.

وقال ابن زيد: وهبت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أول امرأة وهبت للنبي صلى الله عليه وسلم نفسها، فقال: «قد قبلتك وزوجتك زيد بن حارثة» ، فسخطت هي وأخوها، قالا: إنما أردناه فزوجنا عبده، فنزلت

، والسبب الأول أصح. ومناسبة هذه الآية أنه لما ذكر تلك الأوصاف السابقة من." (١)

"أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما، ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما، لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء **رقيبا**.

لما ذكر تعالى قصة زيد وزينب وتطليقه إياها، وكانت مدخولا بها، واعتدت، وخطبها الرسول، عليه السلام، بعد انقضاء عدتها، بين حال من طلقت قبل المسيس، وأنها لا عدة عليها.

ومعنى نكحتم: عقدتم عليهن. وسمي العقد نكاحا لأنه سبب إليه، كما سميت الخمر إثما لأنها سبب له. قالوا: ولفظ النكاح في كتاب الله لم يرد إلا في العقد، وهو من آداب القرآن كما كنى عن الوطء بالمماسة والملامسة والقربان والتغشي والإتيان، قيل:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٨٠/٨

إلا في قوله: حتى تنكح زوجا غيره «١» ، فإنه بمعنى الوطء، وقد تقدم الكلام عليه في البقرة. والكتابيات، وإن شاركت المؤمنات في هذا الحكم، فتخصيص المؤمنات بالذكر تنبيه على أن المؤمن لا ينبغي أن يتخير لنطفته إلا المؤمنة. وفائدة المجيء بثم، وإن كان الحكم ثابتا، إن تزوجت وطلقت على الفور، ولمن تأخر طلاقها. قال الزمخشري: نفى التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها، وهي قريبة العهد من النكاح، وبين أن يبعد عهدها بالنكاح، وتتراخى بها المدة في حيالة الزوج ثم يطلقها. انتهى. واستعمل صلة لمن عسى، وهو لا يجوز، أو لوحظ في ذلك الغالب. فإن من أقدم على العقد على امرأة، إنما يكون ذلك لرغبة، فيبعد أن يطلقها على الفور، لأن الطلاق مشعر بعدم الرغبة، فلا بد أن يتخلل بين العقد والطلاق مهلة يظهر فيها للزوج نأيه عن المرأة، وأن المصلحة في ذلك له. والظاهر أن الطلاق لا يكون إلا بعد العقد، ولا يصح طلاق من لم يعقد عليها عينها أو قبيلتها أو البلد، وهو قول الجمهور من الصحابة والتابعين. وقالت طائفة كبيرة، منهم مالك: يصح ذلك. والظاهر أن المسيس هنا كناية عن الجماع، وأنه إذا خلا بها ثم طلقها، لا يعقد. وعند أبي حنيفة وأصحابه: حكم الخلوة الصحيحة حكم المسيس.

والظاهر أن المطلقة رجعية، إذا راجعها زوجها قبل أن تنقضي عدتها، ثم فارقها قبل أن يمسها، لا تتم عدتها من الطلقة الأولى، ولا تستقبل عدة، لأنها مطلقة قبل الدخول، وبه

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ٢٣٠. [.....]." (١)

"عليه نحو: ما زاد المال إلا النقص، فلا يمكن توجه الزيادة على النقص، ولأنه قال:

استثناء من غير الجنس. وقال مالك: بمعنى مملوك فناقض. وكان الله على كل شيء رقيبا: أي راقبا، أو مراقبا، ومعناه: حافظ وشاهد ومطلع، وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله وحرامه.

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما، إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما، لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٨/٤٨٩

أخواتهن ولا نسائهن ولا م ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا، إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا.

في الصحيحين، أنه صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، وقام من القوم من قام، وقعد ثلاثة، فجاء فدخل، فإذا القوم جلوس، فرجع وأنهم قاموا فانطلقوا، وجئت فأخبرته أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، وذهبت أدخل، فألقى الحجاب بيني وبينه، وأنزل عليه هذه الآية.

قال ابن عباس: كان ناس يتحينون طعامه، عليه الصلاة والسلام، فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك، ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان يتأذى بهم، فنزلت.

وأما سبب الحجاب،

فعمر قال: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البار والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت.

وقال مجاهد: طعم معه بعض أصحابه، ومعهم عائشة، فمست يد رجل منهم يد عائشة، فكره ذلك عليه السلام، فنزلت آية الحجاب.

ولما كان نزول الآية في شيء خاص وقع للصحابة، لم يدل ذلك على أنه لا يجوز دخول بيوت النبي إلا أن كان عن إذن إلى طعام غير ناظرين إناه، بل لا يجوز دخول بيوته، عليه السلام، إلا بإذن، سواء كان لطعام أم لغيره. وأيضا فإذا كان النهي إلا بإذن إلى طعام، وهو ما تمس الحاجة إليه لجهة الأولى. وبيوت: جمع، وإن كانت الواقعة في." (١)

"سورة ق

[سورة ق (٥٠) : الآيات ١ الى ٤٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد (١) بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب (٢) أإذا متنا وكنا

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٩٨/٨

ترابا ذلك رجع بعيد (٣) قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ (٤)
بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج (٥) أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج (٦) والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج (٧) تبصرة وذكرى لكل عبد منيب (٨) ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد (٩)
والنخل باسقات لها طلع نضيد (١٠) رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج (١١) كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود (١٢) وعاد وفرعون وإخوان لوط (١٣) وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد (١٤)
أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد (١٥) ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦) إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨) وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩)
ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد (٢٠) وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٢) وقال قرينه هذا ما لدي عتيد (٢٣) ألقيا في جهنم كل كفار عنيد (٢٤)
مناع للخير معتد مريب (٢٥) الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد (٢٦) قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد (٢٧) قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد (٢٨) ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد (٢٩)
يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد (٣٠) وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد (٣١) هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ (٣٢) من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب (٣٣) ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (٣٤)
لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد (٣٥) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص (٣٦) إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (٣٧) ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب (٣٨) فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب (٣٩)
ومن الليل فسبحه وأدبار السجود (٤٠) واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب (٤١) يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج (٤٢) إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير (٤٣) يوم تشقق الأرض عنهم سراعا

ذلك حشر علينا يسير (٤٤)

نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد (٤٥)." (١)

"بعضه ببعض فهو نضيد، فإذا خرج من الكفرى تفرق فليس بنضيد. ورزقا نصب على المصدر، لأن معنى: وأنبتنا رزقنا، أو على أنه مفعول له. وقرأ الجمهور: ميتا بالتخفيف وأبو جعفر، وخالد: بالتثقيل، والإشارة في ذلك إلى الإحياء، أي الخروج من الأرض أحياء بعد موتكم، مثل ذلك الحياة للبلدة الميت، وهذه كلها أمثلة وأدلة على البعث.

وذكر تعالى في السماء ثلاثة: البناء والتزين ونفي الفروج، وفي الأرض ثلاثة: المد وإلقاء الرواسي والإنبات. قابل المد بالبناء، لأن المد وضع والبناء رفع. وإلقاء الرواسي بالتزيين بالكواكب، لارتكاز كل واحد منهما. والإنبات المترتب على الشق بانتفاء الفروج، فلا شق فيها. ونبه فيما تعلق به الإنبات على ما يقطف كل سنة ويبقى أصله، وما يزرع كل سنة أو سنتين ويقطف كل سنة، وعلى ما اختلط من جنسين، فبعض الثمار فاكهة لا قوت، وأكثر الزرع قوت والثمر فاكهة وقوت.

ولما ذكر تعالى قوله: بل كذبوا بالحق لما جاءهم، ذكر من كذب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم، وتقدم الكلام على مفردات هذه الآية وقصص من ذكر فيها. وقرأ أبو جعفر، وشيبة، وطلحة، ونافع: الأيكة بلام التعريف والجمهور: ليكة. كل كذب الرسل: أي كلهم، أي جميعهم كذب وحمل على لفظ كل، فأفرد الضمير في كذب. وقال الزمخشري: يجوز أن يراد به كل واحد منهم. انتهى.

والتنوين في كل تنوين عوض من المضاف إليه المحذوف. وأجاز محمد بن الوليد، وهو من قدماء نحاة مصر، أن يحذف التنوين من كل جعله غاية، ويبنى على الضم، كما يبنى قبل وبعد، فأجاز كل منطلق بضم اللام دون تنوين، ورد ذلك عليه الأخفش الصغير، وهو علي بن سليمان. فحق وعيد: أي وجب تعذيب الأمم المكذبة وإهلاكهم، وفي ذلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم، وتهديد لقريش ومن كذب الرسول.

قوله عز وجل: أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد، ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد، ونفخ في الصور ذلك يوم

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥٢٦/٩

الوعيد، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد.

أفعيينا بالخلق الأول: وهو إنشاء الإنسان من نطفة على التدريج، وتقدم تفسير." (١)

"إذ يتلقى المتلقيان، ومنها مجيء سكرة الموت، ومنها: النفخ في الصور، ومنها: مجيء كل نفس معها سائق وشهيد. والمتلقيان: الملكان الموكلان بكل إنسان ملك اليمين يكتب الحسنات، وملك الشمال يكتب السيئات. وقال الحسن: الحفظة أربعة، اثنان بالنهار واثنان بالليل. وقعيدة: مفرد، فاحتمل أن يكون معناه: مقاعد، كما تقول: جليس وخليط:

أي مجالس ومخالط، وأن يكون عدل من فاعل إلى فعيل للمبالغة، كعليم. قال الكوفيون: مفرد أقيم مقام اثنين، والأجود أن يكون حذف من الأول لدلالة الثاني عليه، أي عن اليمين قعيد، كما قال الشاعر:

رماني بأمر كنت منه ووالدي ... بريئا ومن أجل الطوي رماني

على أحسن الوجهين فيه، أي كنت منه بريا، ووالدي بريا. ومذهب المبرد أن التقدير عن اليمين قعيد، وعن الشمال، فأخر قعيد عن موضعه. ومذهب الفراء أن لفظ قعيد يدل على الاثنين والجمع، فلا يحتاج إلى تقدير. وقرأ الجمهور: ما يلفظ من قول، وظاهر ما يلفظ العموم. قال مجاهد، وأبو الحواراء: يكتب عليه كل شيء حتى أنينه في مرضه. وقال الحسن، وقتادة: يكتبان جميع الكلام، فيثبت الله تعالى من ذلك الحسنات والسيئات، ويمحو غير ذلك. وقيل: هو مخصوص، أي من قول خير أو شر.

وقال: معناه عكرمة، وما خرج عن هذا لا يكتب. واختلفوا في تعيين قعود الملكين، ولا يصح فيه شيء. رقيب: ملك يرقب. عتيد: حاضر، وإذا كان على اللفظ رقيب عتيد، فأحرى على العمل. وقال الحسن: فإذا مات، طويت صحيفته. وقيل: له يوم القيامة اقرأ كتابك.

وجاءت سكرة الموت: هو معطوف على إذ يتلقى، وسكرة الموت:

ما يعتري الإنسان عند نزاعه، والباء في بالحق للتعدية، أي جاءت سكرة الموت الحق، وهو الأمر الذي أنطق الله به كتبه وبعث به رسله، من سعادة الميت أو شقاوته، أو للحال، أي ملتبسه بالحق. وقرأ ابن مسعود: سكران جمعا. ذلك ما كنت منه تحيد:

أي تميل. تقول: أعيش كذا وأعيش كذا، فمتى فكر في قرب الموت، حاد بذهنه عنه وأمل إلى مسافة بعيدة

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥٣٢/٩

من الزمن. ومن الحيد: الحذر من الموت، وظاهر تحبد أنه خطاب للإنسان الذي جاءته سكرة الموت. وقال الزمخشري: الخطاب للفاجر. تحيد: تنفر وتهرب. ذلك يوم الوعيد، هو على حذف: أي وقت ذلك يوم الوعيد. والإشارة إلى." (١)

"اليسر، ثم سميت السهام ميسرا للمجاورة» واليسر: الذي يدخل في الضرب بالقداح، ويجمع على أيسار، وقيل، بل «يسر» جمع ياسر كحارس وحرس وأحراس.

وللميسر كيفية، ولسهامه – وتسمى القداح والأزلام أيضا – أسماء لا بد من ذكرها لتوقف المعنى عليها. فالكيفية أن لهم عشرة أقداح وقيل أحد عشر، لسبعة منها حظوظ، وعلى كل منها خطوط، فالخط يقدر الحظ، وتلك القداح هي: الفذ وله سهم واحد، والتوءم وله اثنان، **والرقيب** وله ثلاثة، والحلس وله أربعة، والنافس وله خمسة، والمسبل وله ستة، والمعلى وله سبعة، وثلاثة أغفال لا خطوط عليها وهي المنيح والسفيح والوغد، ومن زاد رابعا سماه المضعف. وإنما كثروا بهذه الأغفال ليختلط على الحرضة وهو الضارب، فلا يميل مع أحد، وهو رجل عدل عندهم، فيجثوا ويلتحف بثوب، ويخرج رأسه، فيجعل تلك القداح في الربابة وهي الخريطة، ثم يخلخلها ويدخل يده فيها، ويخرج باسم رجل رجل قدحا فمن خرج على اسمه قدح: فإن كان من ذوات السهام فاز بذلك النصيب وأخذه، وإن كان من الأغفال غرم من الجزور، وكانوا يفعلون هذا في الشتوة وضيق العيش، ويقسمونه على الفقراء ولا يأكلون منه شيئا، ويفتخرون بذلك، ويسمون من لم يدخل معهم فيه: البرم، والجزور تقسم عند الجمهور على عدد القداح فتقسم عشرة أجزاء، وعند الأصمعي على عدد خطوط القداح، فتقسم على ثمانية وعشرين جزءا.

وخطأ ابن عطية الأصمعي في ذلك، وهذا عجيب منه، لأنه يحتمل أن العرب كانت تقسمها مرة على عشرة ومرة على ثمانية وعشرين/.

وقوله {عن الخمر} لا بد من حذف مضاف، إذ السؤال عن ذاتي الخمر." (٢)

"يدل على ذلك قوله في سورة مريم: {ثلاث ليال سويا} [مريم: ١٠] ، وقد يقال: إنه يؤخذ المجموع من المجموع فلا حاجة إلى ادعاء حذف، فإنا على هذا التقدير الذي ذكرتموه نحتاج إلى تقدير معطوف في. الآية الأخرى تقديره: ثلاث ليال وأيامها.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥٣٤/٩

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٠٦/٢

قوله: {إلا رمزا} فيه وجهان، أحدهما: أنه استثناء منقطع لأن الرمز ليس من جنس الكلام، إذ الرمز: الإشارة بعين أو حاجب، أو نحوهما، ولم يذكر أبو البقاء غيره، واختاره ابن عطية بادئا به فإنه قال:» والكلام المراد في الآية إنما هو النطق باللسان لا الإعلام بما في النفس، فحقيقة هذا الاستثناء أنه استثناء منقطع «ثم قال:» وذهب الفقهاء إلى أن الإشارة ونحوها في حكم الكلام في الأيمان ونحوها، فعلى هذا يجيء الاستثناء متصلا «.

والوجه الثاني: أنه متصل؛ لأن الكلام لغة يطلق بإزاء معان، الرمز والإشارة من جملتها، وأنشدوا على ذلك:

١٢٧١ - إذا كلمتني بالعيون الفواتر ... رددت عليها بالدموع البوادر

وقال آخر:

١٢٧٢ - أرادت كلاما فاتقت من رقيبها ... فلم يك إلا ومؤها بالحواجب

وقد استعمل الناس ذلك فقال حبيب:." (١)

"والثاني: أنه ليس معطوفا على الضمير المجرور بل الواو للقسم وهو خفض بحرف القسم مقسم به، وجواب القسم: «إن الله كان عليكم رقيبا» . وضعف هذا بوجهين، أحدهما: أن قراءتي النصب وإظهار حرف الجر في «بالأرحام» يمنعان من ذلك، والأصل توافق القراءات. والثاني: أنه نهي أن يحلف بغير الله تعالى والأحاديث مصرحة بذلك.

وقدر بعضهم مضافا فرارا من ذلك فقال: «تقديره: ورب الأرحام: قال أبو البقاء: وهذا قد أغنى عنه ما قبله» يعني الحلف بالله تعالى. ولقائل [أن يقول:] «إن لله تعالى أن يقسم بما شاء كما أقسم بمخلوقاته كالشمس والنجم والليل، وإن كنا نحن منهيين عن ذلك» ، إلا أن المقصود من حيث المعنى ليس على القسم، فالأولى حمل هذه القراءة على العطف على الضمير، ولا التفات إلى طعن من طعن فيها، وحمزة بالرتبة السنية المانعة له من نقل قراءة ضعيفة.

وقرأ عبد الله أيضا: «والأرحام» رفعا وهو على الابتداء، والخبر محذوف فقدره ابن عطية: «أهل أن توصل» ، وقدره الزمخشري: و «الأرحام مما يتقى، أو: مما يتساءل به» ، وهذا أحسن للدلالة اللفظية والمعنوية، بخلاف الأول، فإنه للدلالة المعنوية فقط، وقدره أبو البقاء: «والأرحام محترمة» أي: واجب حرمتها.." (٢)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٦٥/٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٥٥/٣

"وقوله: {إن الله كان عليكم **رقيبا**} جار مجرى التعليل. **والرقيب**: فعيل للمبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا إذا أحد النظر لأمر يريد تحقيقه، واستعماله في صافت الله تعالى بمعنى الحفيظ، قال:

١٥٢٥ - كمقاعد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد ... **والرقيب** أيضا: ضرب من الحيات. **والرقيب**: السهم الثالث من سهام الميسر وقد تقدمت في البقرة. والارتقاب: الانتظار.." (١)

"معلوم من الكتاب، لا كل ما يقع عليه هذا الاسم، والفرق بين الوجهين أن الأول يحتاج إلى حذف صفة أي: الكتاب الإلهي، وفي الثاني لا يحتاج إلى ذلك؛ لأن العهد في الاسم يتضمنه بجميع صفاته.

قوله: {ومهيمنا} الجمهور على كسر الميم الثانية، اسم فاعل وهو حال من «الكتاب» الأول لعطفه على الحال منه وهي «مصدقا» ، ويجوز في «مصدقا» و «مهيمنا» أن يكونا حالين من كاف «إليك» وسيأتي تحقيق ذلك عند ذكر قراءة مجاهد رحمه الله. و «عليه» متعلق «بمهيمن» والمهيمن: **الرقيب**: قال:

١٧٣ - ٣- إن الكتاب مهيمن لنبينا ... والحق يعرفه ذوو الألباب

والحافظ أيضا، قال:

١٧٣ - ٤- مليك على عرش السماء مهيمن ... لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهو الشاهد أيضا. واختلفوا فيه: هل هو أصل بنفسه أي: ليس مبدلا من شيء، يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن، كبيطر يبيطر فهو مبيطر قال أبو عبيدة: «لم يجيء في كلام العرب على هذا البناء إلا أربعة ألفاظ:» مبيطر ومسيطر ومهيمن ومحيمر «وزاد أبو القاسم الزجاجي في شرحه." (٢)

"البقرة. و «ربي» نعت أو بدل أو بيان مقطوع عن الإتباع رفعا أو نصبا، فهذه خمسة أوجه تقدم إيضاحها.

قوله: {شهيدا} خبر «كان» و «عليهم» متعلق به، و «ما» مصدرية ظرفية أي: تتقدر بمصدر مضاف إليه زمان، و «دام» صلتها، ويجوز فيها التمام والنقصان، فإن كانت تامة كان معناها الإقامة، ويكون «فيهم» متعلقا بها، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال، والمعنى: وكنت عليهم شهيدا مدة إقامتي فيهم، فلم يحتج هنا إلى منصوب، وتكون حينئذ متصرفة، وإن كانت الناقصة لزمت لفظ المضي ولم تكتف بمرفوع، فيكون «فيهم» في محل نصب خبرا لها، والتقدير: مدة دوامي مستقرا فيهم، وقد تقدم أنه يقال: «دمت

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٥٦/٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٨٧/٤

تدام» كخفت تخاف. قوله: {كنت أنت **الرقيب**} يجوز في «أنت» أن تكون فصلا وأن تكون تأكيدا. وقرئ **«الرقيب»** بالرفع على أنه خبر ل «أنت» والجملة خبر «ل كان» ، كقوله:

١٨٥ - ٧-. . . . . وكنت عليها بالملا أنت أقدر

وقد تقدم اشتقاق **{الرقيب}** و «عليهم» متعلق به. و «على كل شيء» متعلق ب «شهيد» قدم للفاصلة.." (١)

"المحض قطرب وغيره من اللغويين. قال بعضهم: «هذا غلط غلط عليه» أي على نافع. وسبب ذلك أن يؤدي إلى الجمع بين ساكنين فإن الياء بعدها ساكنة. ونقل أبو عبيد القاسم بن سلام عن أبي جعفر ونافع وغيرهما من أهل المدينة أنهم يسقطون الهمزة، ويدعون أن الألف خلف منها. قلت: وهذه العبارة تشعر أن هذه الألف ليست بدلا عن الهمزة، بل جيء بها عوضا عن الهمزة الساقطة.

وقال مكي، بن أبي طالب: «وقد روي عن ورش إبدال الهمزة ألفا، لأن الرواية عنه أنه يمد الثانية، والمد لا يتمكن، إلا مع البدل، وحسن جواز البدل في الهمزة وبعدها ساكن أن الأول حرف مد ولين، فإن هذا الذي يحدث مع السكون يقوم مقام حركة يتوصل بها إلى النطق بالساكن» وقد تقدم لك شيء من هذا عند قوله «أأنذرتهم» . ومنها: أن تخذف الهمزة التي هي عين الكلمة، وبها قرأ الكسائي، وهي فاشية نظما ونثرا، فمن النظم قوله:

١٩١ - ١- أريت ما جاءت به أملودا ... مرجلا ويلبس البرودا

أقائلن أحضروا الشهودا ... وقال آخر:

١٩١ - ٢- أريتك إذ هنا عليك الم تخف ... **رقيبا** وحولي من عدوك حضر." (٢)

"وقوله تعالى: {ولو شآء الله} : مفعول المشيئة محذوف أي: لو شاء الله إيمانهم، وقد تقدم أنه لا يذكر إلا لغرابته. وقوله: «جعلناك» هي بمعنى صير، فالكاف مفعول أول و «حفيظا» هو الثاني، و «عليهم» متعلق به قدم للاهتمام أو للفواصل. ومفعول «حفيظ» محذوف أي: حفيظا عليهم أعمالهم. قال أبو البقاء: «هذا يؤيد قول سيبويه في إعمال فعيل» يعني أنه مثال مبالغة، وللناس في إعماله وإعمال فعل خلاف أثبته سيبويه ونفاه غيره، وكيف يؤيده وليس شيء في اللفظ يشهد له؟

وقوله: {ومآ أنت} يجوز أن تكون الحجازية، فيكون «أنت» اسمها و «بوكيل» خبرها في محل نصب،

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/٥١٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/٦١٦

ويجوز أن تكون التميمية فيكون «أنت» مبتدأ و «بوكيل» خبره في محل رفع، والباء زائدة على كلا التقديرين، و «عليهم» متعلق بوكيل قدم لما تقدم فيما قبله. وهذه الجملة هي في معنى الجملة قبلها؛ لأن معنى ما أنت وكيل عليهم هو بمعنى ما جعلناك حفيظا عليهم أي: رقيبا.." (١)

"قوله تعالى: {وعد الله} : منصوب على المصدر المؤكد، لأن معنى «إليه مرجعكم» : وعدكم بذلك.

وقوله: {حقا} مصدر آخر مؤكد لمعنى هذا الوعد، وناصبه مضمر، أي: أحق ذلك حقا. وقيل: انتصب «حقا» ب «وعد» على تقدير «في» ، أي: وعد الله في حق، يعني على التشبيه بالظرف. وقال الأخفش الصغير: «التقدير: وقت حق» وأنشد:

٢٥٦٦ - أحقا عباد الله أن لست ذاهبا ... ولا والجا إلا علي رقيب

قوله: {إنه يبدأ} الجمهور على كسر الهمزة للاستئناف. وقرأ عبد الله وابن القعقاع والأعمش وسهل بن شعيب بفتحها. وفيها تأويلات، أحدها: أن تكون فاعلا بما نصب «حقا» ، أي: حق حقا بدء الخلق، ثم إعادته، كقوله:

٢٥٦٧ - أحقا عباد الله أن لست جائيا ... .

البيت. وهو مذهب الفراء فإنه قال: «والتقدير: يحق أنه يبدأ الخلق. الثاني: أنه منصوب بالفعل الذي نصب» وعد الله «أي: وعد الله تعالى بدء الخلق ثم إعادته، والمعنى إعادة الخلق بعد بدئه. الثالث: أنه." (٢)

"قوله: {ما يلفظ} : العامة على كسر الفاء ومحمد بن أبي معدان على فتحها. ورقيب عتيد قيل: هو بمعنى: رقيبان عتيدان.." (٣)

"قوله: {فوجدناها} : فيها وجهان، أظهرهما: أنها متعدية لواحد؛ لأن معناها أصبنا، وصادفنا، وعلى هذا فالجملة من قوله «ملئت» في موضع نصب على الحال. والثاني: أنها متعدية لاثنين، فتكون الجملة في موضع المفعول الثاني.

«وحرسا» منصوب على التمييز نحو: «امتلأ الإناء ماء» . والحرس اسم جمع ل حارس نحو: خدم لخادم،

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٩٩/٥

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٤٨/٦

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٥/١٠

وغيب/ لغائب، ويجمع تكسيرا على أحراس، كقول امرىء القيس:

٤٣٤٨ - تجاوزت أحراسا وأهوال معشر ... علي حراص لو يشرون مقتلي

والحارس: الحافظ الرقيب، والمصدر الحراسة. و «شديدا» صفة ل حرس على اللفظ، كقوله:

٤٣٤٩ - أخشى رجيلا وركيبا عاديا ...." (١)

"مقدمة التحقيق

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون} [آل عمران: ١٠٢] .

{يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا} [النساء: ١] .

{يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما} [الأحزاب: ٧٠، ٧١] .

أما بعد:

فهذا هو كتاب تفسير القرآن العظيم، للإمام العلامة، المفسر، المؤرخ، الحجة الحافظ إسماعيل بن عمر بن ضوء بن كثير القرشي الشافعي الدمشقي -رحمه الله- أقدمه لقراء العربية والعالم الإسلامي، بعد مضي قرن من الزمان على طبعته الأولى تقريبا، كادت -خلال هذه الفترة- أن تخفى معالمه، وتنمحي مميزاته من جراء عبث الوراقين، وممارسات المتأكلين من صحفيين وكتبيين.

أقدمه بعد أن قمت بأعباء تحقيقه وضبط نصه، وتخريج أحاديثه والتعليق عليه، على نحو ييسر الفائدة منه، ويحقق رغبة أهل العلم الذين طالما تمنوا أن ينشر هذا الكتاب نشرة علمية موثقة، خالية من التحريف، والسقط والتصحيف.

وتفسير ابن كثير -رحمه الله- من أعظم وأجل كتب التفسير، أمضى فيه مؤلفه -رحمه الله- عمرا طويلا وهو يقلب فيه بين الفينة والأخرى، محليا إياه بفائدة تخطر له، أو حكاية قول أزمع تحقيقه.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٨٩/١٠

وقد احتوى تفسيره على الكثير من الأحاديث والآثار من مصادر شتى، حتى أتى على مسند الإمام أحمد فكاد يستوعبه، كما نقل عن مصادر لا ذكر لها في عالم المخطوطات، كتفسير الإمام أبي بكر بن مردويه، وتفسير الإمام عبد بن حميد، وتفسير الإمام ابن المنذر، وغيرها كثير.

كما تضمن تفسير ابن كثير-رحمه الله-بعض المباحث الفقهية والمسائل اللغوية، وقد قال الإمام." (١)

"كتاب فضائل القرآن

قال البخاري، رحمه الله:

كيف نزول الوحي وأول ما نزل:

قال ابن عباس: المهيمن الأمين القرآن، أمين على كل كتاب قبله: حدثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن يحيى عن أبي سلمة قال: أخبرتني عائشة وابن عباس قالا لبث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشرا (١) .

ذكر البخاري، رحمه الله، كتاب "فضائل القرآن" بعد كتاب التفسير؛ لأن التفسير أهم ولهذا بدأ به، [ونحن قدمنا الفضائل قبل التفسير وذكرنا فضل كل سورة قبل تفسيرها ليكون ذلك باعثا على حفظ القرآن وفهمه والعمل بما فيه والله المستعان] (٢) .

وقول ابن عباس في تفسير المهيمن إنما يريد به البخاري قوله تعالى في المائدة بعد ذكر التوراة والإنجيل: {وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه} [المائدة: ٤٨] . قال الإمام أبو جعفر بن جرير، رحمه الله:

حدثنا المثنى، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية عن علي -يعني ابن أبي طلحة-عن ابن عباس في قوله: {ومهيمنا عليه} قال: المهيمن: الأمين. قال: القرآن أمين على كل كتاب قبله (٣) . وفي رواية: شهيدا عليه (٤) . وقال سفيان الثوري وغير واحد من الأئمة عن أبي إسحاق السبيعي، عن التميمي، عن ابن عباس: {ومهيمنا عليه} قال: مؤتمنا (٥) . وبنحو ذلك قال مجاهد والسدي وقتادة وابن جريج والحسن البصري وغير واحد من أئمة السلف. وأصل الهيمنة: الحفظ والارتقاب، يقال إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده: قد هيمن فلان عليه، فهو يهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن، وفي أسماء الله تعالى: المهيمن، وهو الشهيد على كل شيء، **والرقيب**: الحفيظ بكل شيء.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١/٧

وأما الحديث الذي أسنده البخاري: أنه، عليه السلام، أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشرا، فهو مما انفرد به البخاري دون مسلم، وإنما رواه النسائي من حديث شيبان وهو ابن عبد الرحمن، عن يحيى وهو ابن أبي كثير، عن أبي سلمة عنها (٦) .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا يزيد عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة، ثم

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٧٨، ٤٩٧٩) .

(٢) جاء في م: "فجرينا على منواله وسننه مقتدين به" وما أثبته من ط، ج.

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٣٧٩) ط. المعارف.

(٤) تفسير الطبري (١٠/ ٣٧٧) ط. المعارف.

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٧٨) ط. المعارف.

(٦) سنن النسائي الكبرى برقم (٧٩٧٧) .." (١)

"فسأل عمر ابنته حفصة، رضي الله عنها: كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت: ستة أشهر أو أربعة أشهر. فقال عمر: لا أحبس أحدا من الجيوش أكثر من ذلك.

وقال: محمد بن إسحاق، عن السائب بن جبير، مولى ابن عباس - وكان قد أدرك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم -قال: ما زلت أسمع حديث عمر أنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة، وكان يفعل ذلك كثيرا؛ إذ مر بامرأة من نساء العرب مغلقة بابها [وهي] تقول. تطاول هذا الليل وازور جانبه ... وأرقني ألا ضجيع ألاعبه ...

ألاعبه طورا وطورا كأنما ... بدا قمرا في ظلمة الليل حاجبه ...

يسر به من كان يلهو بقربه ... لطيف الحشا لا يحتويه أقاربه ...

فوالله لولا الله لا شيء غيره ... لنقض من هذا السرير جوانبه ...

ولكنني أخشى رقيبا موكلا ... بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه ...

ثم ذكر بقية ذلك كما تقدم، أو نحوه. وقد روى هذا من طرق، وهو من المشهورات.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٧/١

وقوله: {وإن عزموا الطلاق} فيه دلالة على أنه لا يقع الطلاق بمجرد مضي الأربعة أشهر كقول الجمهور،وذهب آخرون إلى أنه يقع بمضي الأربعة أشهر تطليقة، وهو مروي بأسانيد صحيحة عن عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وزيد بن ثابت، وبه يقول ابن سيرين، [ومسروق] والقاسم، وسالم، والحسن، وأبو سلمة، وقتادة، وشريح القاضي، وقبيصة بن ذؤيب، وعطاء، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وسليمان بن طرخان التيمي، وإبراهيم النخعي، والربيع بن أنس، والسدي.

ثم قيل: إنها تطلق بمضي الأربعة أشهر طلقة رجعية؛ قاله سعيد بن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ومكحول، وربيعة، والزهري، ومروان بن الحكم. وقيل إنها تطلق طلقة بائنة، روي عن علي، وابن مسعود، وعثمان، وابن عباس، وابن عمر، وزيد بن ثابت، وبه يقول: عطاء وجابر بن زيد، ومسروق وعكرمة، والحسن، وابن سيرين، ومحمد بن الحنفية، وإبراهيم، وقبيصة بن ذؤيب، وأبو حنيفة، والثوري، والحسن بن صالح، وكل من قال: إنها تطلق بمضي الأربعة أشهر أوجب عليها العدة، إلا ما روي عن ابن عباس وأبي الشعثاء: أنها إن كانت حاضت ثلاث حيض فلا عدة عليها، وهو قول الشافعي، والذي عليه الجمهور أنه يوقف فيطالب إما بهذا أو هذا ولا يقع عليها بمجرد مضيها طلاق.." (١)

"بينهما، بل ذلك سهل عليه يسير لديه وهو القائم على كل نفس بما كسبت، **الرقيب** على جميع الأشياء، فلا يعزب عنه شيء ولا يغيب عنه شيء والأشياء كلها حقيرة بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه، محتاجة فقيرة وهو الغني الحميد الفعال لما يريد، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. وهو القاهر لكل شيء الحسيب على كل شيء **الرقيب** العلي العظيم لا إله غيره ولا رب سواه فقوله: {وهو العلي العظيم} كقوله: {وهو [العلي الكبير} وكقوله] (١) : {الكبير المتعال} [الرعد:٩] .

وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح الأجود فيها طريقة السلف الصالح إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه.

{لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم (٢٥٦) }

يقول تعالى: {لا إكراه في الدين} أي: لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١/٦٠٥

بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا. وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار، وإن كان حكمها عاما.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاتا فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا فأنزل الله عز وجل: {لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي}

وقد رواه أبو داود والنسائي جميعا عن بندار به (٢) ومن وجوه أخر عن شعبة به نحوه. وقد رواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه من حديث شعبة به (٣) ، وهكذا ذكر مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري وغيرهم: أنها نزلت في ذلك.

وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد الجرشي عن (٤) زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد [بن جبير] (٥) عن ابن عباس قوله: {لا إكراه في الدين} قال: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له: الحصيني كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلا مسلما فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله فيه ذلك.

رواه ابن جرير وروى السدي نحو ذلك وزاد: وكانا قد تنصرا على يدي تجار قدموا من الشام يحملون زيتا فلما عزما على الذهاب معهم أراد أبوهما أن يستكرههما، وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث في آثارهما، فنزلت هذه الآية.

---

(١) زيادة من أ، و.

(٢) تفسير الطبري (٥/٤٠٧، ٤٠٨) وسنن أبي داود برقم (٢٦٨٢) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٠٤٨)
.

(٣) صحيح ابن حبان برقم (١٧٢٥) "موارد".

(4) في و: "مولى".

(٥) زيادة من جـ، أ.." (١)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦٨٢/١

"بسم الله الرحمن الرحيم

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١) }

يقول تعالى آمرا خلقه بتقواه، وهي عبادته وحده لا شريك له، ومنبها لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة، وهي آدم، عليه السلام {وخلق منها زوجها} وهي حواء، عليها السلام، خلقت من ضلعه الأيسر (١) من خلفه وهو نائم، فاستيقظ فرآها فأعجبته، فأنس إليها وأنست إليه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن مقاتل، حدثنا وكيع، عن أبي هلال، عن قتادة، عن ابن عباس قال: خلقت المرأة من الرجل، فجعل نهمتها في الرجل، وخلق الرجل من الأرض، فجعل نهمته في الأرض، فاحبسوا نساءكم.

وفي الحديث الصحيح: "إن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج" (٢) .

وقوله: {وبث منهما رجالا كثيرا ونساء} أي: وذرأ منهما، أي: من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء، ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم، ثم إليه بعد ذلك المعاد والمحشر.

ثم قال تعالى: {واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام} أي: واتقوا الله بطاعتكم إياه، قال إبراهيم ومجاهد والحسن: {الذي تساءلون به} أي: كما يقال: أسألك بالله وبالرحم. وقال الضحاك: واتقوا الله الذي به تعاقدون وتعاهدون، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ولكن بروها وصلوها، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، والضحاك، والربيع وغير واحد.

وقرأ (٣) بعضهم: {والأرحام} بالخفض على العطف على الضمير في به، أي: تساءلون بالله وبالأرحام، كما قال مجاهد وغيره.

وقوله: {إن الله كان عليكم رقيبا} أي: هو مراقب لجميع أعمالكم وأحوالكم كما قال: {والله على كل شيء شهيد} [البروج: ٩] .

وفي الحديث الصحيح: "اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (٤) وهذا إرشاد وأمر بمراقبة الرقيب؛ ولهذا ذكر تعالى أن أصل الخلق من أب [واحد] (٥) وأم واحدة؛ ليعطف بعضهم على

---

(١) في جـ، ر، أ: "الأقصر".

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٤٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) في أ: "وقال".
(٤) رواه بهذا اللفظ الطبراني في المعجم الكبير والحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق كما في التهذيب (١٠٦/٣) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، ولعل الحافظ ابن كثير يقصد بهذا الحديث حديث جبريل الطويل الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٨) ، وفيه "أخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".
(٥) زيادة من جـ، ر، أ.." (١)

"ثم قال: {وكفى بالله حسيبا} أي: وكفى بالله محاسبا وشهيدا ورقيبا على الأولياء في حال نظرهم للأيتام، وحال تسليمهم (١) للأموال: هل هي كاملة موفرة، أو منقوصة مبخوسة مدخلة مروج حسابها مدلس أمورها؟ الله عالم بذلك كله. ولهذا ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا أبا ذر، إني أراك ضعيفا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تلين مال يتيم" (٢) .

---

(١) في و: "تسلمهم الأموال".
(٢) صحيح مسلم برقم (١٨٢٦) .." (٢)

"اضطرب (١) لحياه وجنباه، فقال: "يا رب هذا شهدت على من أنا بين ظهريه، فكيف بمن لم أره؟ " (٢) .

وقال ابن جرير: حدثني عبد الله بن محمد الزهري، حدثنا سفيان، عن المسعودي، عن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه عن عبد الله -هو ابن مسعود- {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد} قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "شهيد عليهم ما دمت فيهم، فإذا توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم".
وأما ما ذكره أبو عبد الله القرطبي في "التذكرة" (٣) حيث قال: باب (٤) ما جاء في شهادة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته: قال: أخبرنا ابن المبارك، أخبرنارجل من الأنصار، عن المنهال بن عمرو، حدثه

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٠٦/٢
(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢١٩/٢

أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: ليس من يوم إلا تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أمته غدوة وعشية، فيعرفهم بأسمائهم (٥) وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم، يقول الله تعالى: {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} فـإنه أثر، وفيه انقطاع، فإن فيه رجلا مبهما لم يسم، وهو من كلام سعيد بن المسيب لم يرفعه. وقد قبله القرطبي فقال بعد إيراده: [قد تقدم] (٦) أن الأعمال تعرض على الله كل يوم اثنين وخميس، وعلى الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة. قال: ولا تعارض، فإنه يحتمل أن يخص نبينا بما يعرض عليه كل يوم، ويوم الجمعة مع الأنبياء، عليهم السلام.

وقوله {يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض} أي: لو انشقت وبلعتهم، مما يرون من أهوال الموقف، وما يحل بهم من الخزي والفضيحة والتوبيخ، كقوله: {يوم ينظر المرء ما قدمت يداه [ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا] (٧) } وقوله {ولا يكتمون الله حديثا} أخبر (٨) عنهم بأنهم يعترفون بجميع ما فعلوه، ولا يكتمون منه شيئا.

قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا حكام، حدثنا عمرو، عن مطرف، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير قال: أتى رجل ابن عباس فقال: سمعت الله، عز وجل، يقول -يعني إخبارا عن المشركين يوم القيامة أنهم قالوا-: {والله ربنا ما كنا مشركين} [الأنعام: ٢٣] وقال في الآية الأخرى: {ولا يكتمون الله حديثا} فقال ابن العباس: أما قوله: {والله ربنا ما كنا مشركين} فإنهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا: تعالوا فلنجحد، فقالوا: {والله ربنا ما كنا مشركين} فختم الله على أفواههم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم {ولا يكتمون الله حديثا}

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن رجل عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: أشياء تختلف علي في القرآن. قال: ما هو؟ أشك في القرآن؟ قال: ليس

---

(١) في ر: "ضرب".

(٢) ورواه البغوي في معجمه ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٣/١٩) من طريق الصلت بن مسعود الجحدري به. قال الهيثمي في المجمع (٤/٧) : "رجاله ثقات".

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٢٩٤) .

(٤) في أ: "يارب".

(٥) في أ: "بسيماهم".

(٦) زيادة من ر، أ، والتذكرة.

(٧) زيادة من ر، وفي هـ: "الآية".

(٨) في ر، أ: "إخبار".." (١)

"بين سبعين ألفا يدخلون الجنة عفوا (١) بغير حساب، وبين الخبيئة عنده لأمتي". فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله، أيخبأ ذلك ربك؟ فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وهو يكبر، فقال: "إن ربي زادني مع كل ألف سبعين ألفا والخبيئة عنده" قال أبو رهم: يا أبا أيوب، وما تظن خبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأكله الناس بأفواههم فقالوا: وما أنت وخبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فقال أبو أيوب: دعوا الرجل عنكم، أخبركم عن خبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أظن، بل كالمستيقن. إن خبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله مصدقا لسانه قلبه أدخله (٢) الجنة" (٣) .

الحديث التاسع: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا المؤمل بن الفضل الحراني، حدثنا عيسى بن يونس (ح) وأخبرنا هاشم بن القاسم الحراني -فيما كتب إلي-قال: حدثنا عيسى بن يونس نفسه، عن واصل بن السائب الرقاشي، عن أبي سورة ابن أخي أبي أيوب، عن أبي أيوب الأنصاري قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام. قال: "وما دينه؟ " قال: يصلي ويوحد الله تعالى. قال "استوهب منه دينه، فإن أبى فابتعه منه". فطلب الرجل ذاك منه فأبى عليه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: وجدته شحيحا في (٤) دينه. قال: فنزلت: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} (٥) .

الحديث العاشر: قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا عمرو بن الضحاك، حدثنا أبي، حدثنا مستور أبو همام الهنائي، حدثنا ثابت عن أنس قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ما تركت حاجة ولا ذا حاجة إلا قد أتيت. قال: "أليس تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؟ " ثلاث مرات. قال: نعم. قال: "فإن ذلك يأتي على ذلك كله" (٦) .

الحديث الحادي عشر: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا عكرمة بن عمار، عن ضمضم بن جوس اليمامي (٧) قال: قال لي أبو هريرة: يا يمامي (٨) لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك. أو لا (٩)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٠٧/٢

يدخلك الجنة أبدا. قلت: يا أبا هريرة (١٠) إن هذه كلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب قال: لا تقلها، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كان في بني إسرائيل رجلان كان أحدهما مجتهدا في العبادة، وكان الآخر مسرفا على نفسه، وكانا متآخيين (١١) وكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب، فيقول: يا هذا أقصر. فيقول: خلني وربي! أبعثت علي رقيبا؟ قال: إلى أن رآه يوما على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك! أقصر! قال: خلني وربي! أبعثت علي رقيبا؟ فقال: والله

---

(١) في ر، أ: "غفرا".

(٢) في د، أ: "فأدخله"، وفي ر: "فأدخل".

(٣) المسند (٥/ ٤١٣) .

(٤) في ر: "على".

(٥) ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٧٧) من طريق عيسى بن يونس عن واصل به.

قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٥) : "فيه واصل بن السائب وهو ضعيف".

(٦) مسند أبي يعلى (٦/ ١٥٥) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٨٣) : "رجاله ثقات".

(٧) في د، ر: "الهفائي"، وفي أ: "الهنائي".

(٨) في د، ر، أ: "يا يماني".

(٩) في د، ر، أ: "ولا".

(١٠) في ر: "يا رسول الله".

(١١) في أ: "متحابين".." (١)

"عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط".

وهكذا رواه الإمام أحمد وأهل السنن، من حديث همام بن يحيى، عن قتادة، به. وقال الترمذي: إنما أسنده همام، ورواه هشام الدستوائي عن قتادة -قال: "كان يقال". ولا نعرف هذا الحديث مرفوعا إلا من حديث همام (١) .

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٢٩/٢

وقوله: {وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما} أي: وإن أصلحتم في أموركم، وقسمتم بالعدل فيما تملكون، واتقيتم الله في جميع الأحوال، غفر الله لكم ما كان من ميل إلى بعض النساء دون بعض.

ثم قال تعالى: {وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما} وهذه هي الحالة الثالثة، وهي حالة الفراق، وقد أخبر تعالى أنهما إذا تفرقا فإن الله يغنيه عنها ويغنيها عنه، بأن يعوضه بها من هو خير له منها، ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه: {وكان الله واسعا حكيما} أي: واسع الفضل عظيم المن، حكيما في جميع أفعاله وأقداره وشرعه.

{ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا (١٣١) ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا (١٣٢) إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا (١٣٣) من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا (١٣٤) }

يخبر تعالى أنه مالك السماوات والأرض، وأنه الحاكم فيهما؛ ولهذا قال: {ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم} أي: وصيناكم بما وصيناهم به، من تقوى الله، عز وجل، بعبادته وحده لا شريك له.

ثم قال: {وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض [وكان الله غنيا حميدا] (٢) } كما قال تعالى إخبارا عن موسى أنه قال لقومه: {إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد} [إبراهيم: ٨] ، وقال {فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد} [التغابن: ٦] أي: غني عن عباده، {حميد} أي: محمود في جميع ما يقدره ويشرعه.

وقوله: {ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا} أي: هو القائم على كل نفس بما كسبت، **الرقيب** الشهيد على كل شيء.

---

(١) مسند الطيالسي برقم (١٥٩٧) والمسند (٤٧١/١) وسنن أبي داود برقم (٢١٣٣) وسنن الترمذي برقم (١١٤١) وسنن النسائي (٦٣/٧) وسنن ابن ماجه برقم (١٩٦٩) .

(٢) زيادة من ر، أ، وفي هـ: "الآية".." (١)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٣١/٢

"وله ولمسلم من طريق موسى بن عقبة، عن نافع قال: قال عبد الله بن عمر: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يوما بين ظهراني الناس المسيح الدجال فقال: "إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية وأراني الله عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدم، كأحسن ما ترى من أدم الرجال، تضرب لمته بين منكبيه، رجل الشعر، يقطر رأسه ماء، واضعا يديه على منكبي رجلين، وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيح ابن مريم (١) ثم رأيت وراءه رجلا جعدا قططا، أعور عين اليمنى، كأشبه من رأيت بابن قطن، واضعا يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ قالوا: المسيح الدجال". تابعه عبيد الله عن نافع (٢) .

ثم رواه (٣) البخاري عن أحمد بن محمد المكي، عن إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه قال: لا والله ما قال النبي صلى الله عليه سلم لعيسى [عليه السلام] (٤) أحمر، ولكن قال: "بينما أنا نائم أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم سبط الشعر، يتهادى بين رجلين ينطف رأسه ماء -أو يهراق رأسه ماء- فقلت: من هذا؟ فقالوا: ابن مريم. فذهبت ألتفت، فإذا رجل أحمر جسيم، جعد الرأس، أعور عينه اليمنى، كأن عينه عنبة طافية. قلت: من هذا؟ قالوا: الدجال. وأقرب الناس به شبها ابن قطن". قال الزهري: رجل من خزاعة هلك في الجاهلية (٥) .

هذه كلها ألفاظ البخاري، رحمه الله، وقد تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة: أن عيسى، عليه السلام، يمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون.

وفي حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم: أنه يمكث سبع سنين، فيحتمل -والله أعلم- أن يكون المراد بلبثه في الأرض أربعين سنة، مجموع إقامته فيها قبل رفعه وبعد نزوله، فإنه رفع وله ثلاث وثلاثون سنة في الصحيح، وقد ورد ذلك في حديث في صفة أهل الجنة: أنهم على صورة آدم وميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة. وأما ما حكاه ابن عساكر عن بعضهم أنه رفع وله مائة وخمسون سنة، فشاذ غريب بعيد. وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في ترجمة عيسى ابن مريم من تاريخه، عن بعض السلف: أنه يدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجرته، فالله أعلم (٦) .

وقوله تعالى: {ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا} قال قتادة: يشهد عليهم أنه قد بلغهم الرسالة من الله، وأقر بالعبودية لله (٧) عز وجل، وهذا كقوله تعالى في آخر سورة المائدة: {وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس [اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما

أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد. إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت] (٨) العزيز الحكيم} [المائدة: ١١٦ -١١٨] .

---

(١) في د: "قالوا هو المسيح".

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٤٣٩، ٣٤٤٠) ، وصحيح مسلم برقم (١٦٩) .

(٣) في د: "روى".

(٤) زيادة من أ.

(٥) صحيح البخاري برقم (٣٤٤١) .

(٦) تاريخ دمشق (١٠٦/١٤ المخطوط) ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٥٤/٢٠) بإسناده إلى عبد الله بن سلام رضي الله عنه، قال البخاري: هذا لا يصح عندي ولا يتابع عليه.

(٧) في د: "بعبودية الله".

(٨) زيادة من أ، وفي هـ: "إلى قوله".." [١]

"رواه ابن جرير أيضا.

وقوله تعالى: {فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين} قال السدي بإسناده المتقدم إلى الصحابة: لما مات الغلام تركه بالعراء، ولا يعلم كيف يدفن، فبعث الله غرابين أخوين، فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه، فحفر له ثم حثى عليه. فلما رآه قال: {قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي}

.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: جاء غراب إلى غراب ميت، فبحث عليه من التراب حتى واراه، فقال الذي قتل أخاه: {قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي}

وقال الضحاك، عن ابن عباس: مكث يحمل أخاه في جراب على عاتقه سنة، حتى بعث الله الغرابين، فرآهما يبحثان، فقال: {أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب} فدفن أخاه.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٦٦/٢

وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: وكان يحمله على عاتقه مائة سنة ميتا، لا يدري ما يصنع به يحمله، ويضعه إلى الأرض حتى رأى الغراب يدفن الغراب، فقال: {يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين} رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال عطية العوفي: لما قتله ندم. فضمه إليه حتى أروح، وعكفت عليه الطيور والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله. رواه ابن جرير.

وقال محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول: لما قتله سقط في يديه، ولم يدر كيف يواريه. وذلك أنه كان، فيما يزعمون، أول قتيل في (١) بني آدم وأول ميت {فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين} قال: وزعم (٢) أهل التوراة أن قينا لما قتل أخاه هابيل، قال له الله، عز وجل: يا قين، أين أخوك هابيل؟ قال: قال: ما أدري، ما كنت عليه **رقيبا**. فقال الله: إن صوت دم أخيك ليناديني من الأرض، والآن أنت ملعون من الأرض التي فتحت فاها فبلعت (٣) دم أخيك من يدك، فإن أنت عملت في الأرض، فإنها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فزعا تائها في الأرض.

وقوله: {فأصبح من النادمين} قال الحسن البصري: علاه الله بندامة بعد خسران.

فهذه أقوال المفسرين في هذه القصة، وكلهم متفقون على أن هذين ابنا آدم لصلبه، كما هو ظاهر القرآن، وكما نطق به الحديث في قوله: "إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل". وهذا ظاهر جلي، ولكن قال ابن جرير:

حدثنا ابن وكيع، حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن -هو البصري- قال: كان

---

(١) في أ: "من".

(٢) في ر، أ: "ويزعم".

(٣) في ر: "فتلقت".." (١)

"ثم رواه أحمد، وابن مردويه، والحاكم في مستدركه، من حديث سفيان الثوري، به. (١)

{وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٩٠/٣

لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (١١٦) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧) إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨) }

هذا أيضا مما يخاطب الله تعالى به عبده ورسوله عيسى ابن مريم، عليه السلام، قائلا له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله: {وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله} ؟ وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد. هكذا قاله قتادة وغيره، واستدل قتادة على ذلك بقوله تعالى: {هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم}

وقال السدي: هذا الخطاب والجواب في الدنيا.

قال ابن جرير: هذا هو الصواب، وكان ذلك حين رفعه الله إلى سماء الدنيا. واحتج ابن جرير على ذلك بمعنيين:

أحدهما: أن الكلام لفظ المضي.

والثاني: قوله: {إن تعذبهم} و {إن تغفر لهم}

وهذان الدليلان فيهما نظر؛ لأن كثيرا من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ المضي، ليدل على الوقوع والثبوت.

ومعنى قوله: {إن تعذبهم فإنهم عبادك} الآية: التبري منهم ورد المشيئة فيهم إلى الله، وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه، كما في نظائر ذلك من الآيات.

والذي (٢) قاله قتادة وغيره هو الأظهر، والله أعلم: أن ذلك كائن يوم القيامة، ليدل على تهديد النصارى وتقريعهم وتوبيخهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة. وقد روي بذلك حديث مرفوع، رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عبد الله، مولى عمر بن عبد العزيز، وكان ثقة، قال: سمعت أبا بردة يحدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كان يوم القيامة دعي بالأنبياء وأممهم، ثم يدعى بعيسى فيذكره الله نعمته عليه، فيقر بها، فيقول: {يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك} الآية [المائدة: ١١٠] ثم يقول: {أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله} ؟ فينكر أن يكون قال ذلك، فيؤتى بالنصارى فيسألون، فيقولون: نعم، هو

---

(١) المسند (٢٤٢/١) والمستدرك (٥٣/١) ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٥٢/١٢) من طريق

سفيان به، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/١٩٦) : "رجاله رجال الصحيح".
(٢) في د: "فالذي".." (١)

"أمرنا بذلك، قال: فيطول شعر عيسى، عليه السلام، فيأخذ كل ملك من الملائكة بشعرة من شعر رأسه وجسده. فيجاثيهم بين يدي الله، عز وجل، مقدار ألف عام، حتى ترفع عليهم الحجة، ويرفع لهم الصليب، وينطلق بهم إلى النار"، وهذا حديث غريب عزيز. (١)

وقوله: {سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق} هذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل، كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن طاوس، عن أبي هريرة قال: يلقى عيسى حجته، ولقاه الله في قوله: {وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله} ؟ قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فلقاه الله: {سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق} أي آخر الآية.

وقد رواه الثوري، عن معمر، عن ابن طاوس، عن طاوس، بنحوه.

وقوله: {إن كنت قلته فقد علمته} أي: إن كان صدر مني هذا فقد علمته يا رب، فإنه لا يخفى عليك شيء مما قلته ولا أردته في نفسي ولا أضمرته؛ ولهذا قال: {تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما أمرتني به} بإبلاغه {أن اعبدوا الله ربي وربكم} أي: ما دعوتهم إلا إلى الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه: {أن اعبدوا الله ربي وربكم} أي: هذا هو الذي قلت لهم، {وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم} أي: كنت أشهد على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم، {فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد}

قال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة قال: انطلقت أنا وسفيان الثوري إلى المغيرة بن النعمان فأملاه على سفيان وأنا معه، فلما قام انتسخت من سفيان، فحدثنا قال: سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة، فقال: "يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله، عز وجل، حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده، وإن أول الخلائق يكسى إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: {وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣/٢٣٢

شيء شهيد * إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم} فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم".

ورواه البخاري عند هذه الآية عن الوليد، عن أبي شعبة -وعن محمد بن كثير، عن سفيان الثوري، كلاهما عن المغيرة بن النعمان، به. (٢)

وقوله: {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم} هذا الكلام يتضمن رد المشيئة إلى الله، عز وجل، فإنه الفعال لما يشاء، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. ويتضمن

---

(١) تاريخ دمشق (١٢٨/١٩ القسم المخطوط) والمختصر لابن منظور (٥٤/٢٩).

(٢) مسند الطيالسي برقم (8٢٦٣) وصحيح البخاري برقم (٤٦٢٥) ورواه مسلم في صحيحه برقم (٣٠٢٣) ". (١)

"وقوله: {وهو القاهر فوق عباده} أي: هو الذي قهر كل شيء، وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء.

{ويرسل عليكم حفظة} أي: من الملائكة يحفظون بدن الإنسان، كما قال [تعالى] (١) {له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله} [الرعد: ١١]، وحفظة يحفظون عمله ويحصونه [عليه] (٢) كما قال: {وإن عليكم لحافظين * [كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون] (٣) } [الانفطار: ١٠ -١٢]، وقال: {عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٧، ١٨].

وقوله: {حتى إذا جاء أحدكم الموت} أي: [إذا] (٤) احتضر وحان أجله {توفته رسلنا} أي: ملائكة موكلون بذلك.

قال ابن عباس وغير واحد: لملك الموت أعوان من الملائكة، يخرجون الروح من الجسد، فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم وسيأتي عند قوله تعالى: {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت [في الحياة الدنيا وفي الآخرة] (٥) } [إبراهيم: ٢٧]، الأحاديث المتعلقة بذلك، الشاهدة لهذا المروي عن ابن عباس وغيره بالصحة.

وقوله: {وهم لا يفرطون} أي: في حفظ روح المتوفى، بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله، عز وجل،

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٣٣/٣

إن كان من الأبرار ففي عليين، وإن كان من الفجار ففي سجين، عياذا بالله من ذلك.
وقوله: {ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق} قال ابن جرير: {ثم ردوا} يعني: الملائكة {إلى الله مولاهم الحق} ونذكر هاهنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد [عن أبي هريرة في ذكر صعود الملائكة بالروح من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل] (٦) حيث قال: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل. وإذا كان الرجل السوء، قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحبا بالنفس

---

(١) زيادة من أ.

(٢) زيادة من م، أ.

(٣) زيادة من م، أ، وفي هـ "الآية".

(٤) زيادة من أ.

(٥) زيادة من أ.

(٦) زيادة من م.." (١)

"هو، وأنه لا ولد له ولا والد، ولا صاحبة له ولا نظير ولا عديل {وهو على كل شيء وكيل} أي: حفيظ ورقيب يدبر كل ما سواه، ويرزقهم ويكلؤهم بالليل والنهار.
وقوله تعالى: {لا تدركه الأبصار} فيه أقوال للأئمة من السلف:

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٦٧/٣

أحدها: لا تدركه في الدنيا، وإن كانت تراه في الآخرة (١) كما تواترت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ما طريق ثابت في الصحاح والمسانيد والسنن، كما قال مسروق عن عائشة أنها قالت: من زعم أن محمدا أبصر ربه فقد كذب. [وفي رواية: على الله] (٢) فإن الله يقول: {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار}

رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن عياش، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي الضحى، عن مسروق. ورواه غير واحد عن مسروق، وثبت في الصحيح وغيره عن عائشة غير وجه (٣)

وقد خالفها ابن عباس، فعنه إطلاق الرؤية، وعنه أنه رآه بفؤاده مرتين. والمسألة تذكر في أول "سورة النجم" إن شاء الله [تعالى] (٤)

وقال ابن أبي حاتم: ذكر محمد بن مسلم، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا يحيى بن معين قال: سمعت إسماعيل بن علية يقول في قول الله تعالى: {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار} قال: هذا في الدنيا. قال: وذكر أبي، عن هشام بن عبيد الله أنه قال نحو ذلك.

وقال آخرون: {لا تدركه الأبصار} أي: جميعها، وهذا مخصص بما ثبت من رؤية المؤمنين له في الدار الآخرة (٥)

وقال آخرون، من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من الآية: إنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة. فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك، مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله. أما الكتاب، فقوله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة} [القيامة: ٢٢، ٢٣] ، وقال تعالى عن الكافرين: {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون} [المطففين: ١٥] .

قال الإمام الشافعي: فدل هذا على أن المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى.

وأما السنة، فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد، وأبي هريرة، وأنس، وجرير، وصهيب، وبلال، وغير واحد من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات، وفي روضات الجنات، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين.

---

(١) في م: "تراه في الدار الآخرة"

(٢) زيادة من أ.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٦١٢) ومسلم في صحيحه برقم (١٧٧) والترمذي في السنن برقم

(٣٠٦٨) من طريق الشعبي، عن مسروق به.

(٤) زيادة من م، أ.

(٥) في أ: "في الدار الآخرة".." (١)

"لا يراه شيء وهو يرى الخلائق.

وقال أبو العالية في قوله [تعالى] (١) {وهو اللطيف الخبير} اللطيف باستخراجها، الخبير بمكانها. والله أعلم.

وهذا كما قال تعالى إخبارا عن لقمان فيما وعظ به ابنه: {يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير} [لقمان: ١٦] .

{قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤) وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون (١٠٥) }

البصائر: هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم {فمن أبصر فلنفسه} مثل قوله: {من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها} [الإسراء: ١٥] ؛ ولهذا قال: {ومن عمي فعليها} لما ذكر البصائر قال:

{ومن عمي فعليها} أي: فإنما يعود وبال ذلك عليه، كقوله: {فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور} [الحج: ٤٦] .

{وما أنا عليكم بحفيظ} أي: بحافظ ولا رقيب، بل أنا مبلغ والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

وقوله: {وكذلك نصرف الآيات} أي: وكما فصلنا الآيات في هذه السورة، من بيان التوحيد وأنه لا إله إلا هو، هكذا نوضح الآيات ونفسرها ونبينها في كل موطن لجهالة الجاهلين، وليقول المشركون والكافرون المكذبون: دارست يا محمد من قبلك من أهل الكتاب وقارأتهم وتعلمت منهم.

هكذا قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك، وغيرهم.

وقد قال الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا أبي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن كيسان، سمعت ابن عباس يقرأ: {دارست} تلوت، خاصمت، جادلت (٢)

وهذا كما قال تعالى إخبارا عن كذبهم وعنادهم: {وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣/٣٠٩

آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا. وقالوا أساطير الأولين اكتتبها [فهي تملى عليه بكرة وأصيلا] (٣) } [الفرقان: ٤، ٥] ، وقال تعالى إخبارا عن زعيمهم وكاذبهم: {إنه فكر وقدر. فقتل كيف قدر. ثم قتل كيف قدر. ثم نظر. ثم عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر. فقال إن هذا إلا سحر يؤثر. إن هذا إلا قول البشر} [المدثر: ١٨ -٢٥] .

وقوله: {ولنبينه لقوم يعلمون} أي: ولنوضحه لقوم يعلمون الحق فيتبعونه، والباطل فيجتنبونه. فلله تعالى الحكمة البالغة في إضلال أولئك، وبيان الحق لهؤلاء. كما قال تعالى: {يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا [وما يضل به إلا الفاسقين] (٤) } [البقرة: ٢٦] ، وقال تعالى: {ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد (٥) } [الحج: ٥٣]

---

(١) زيادة من م، أ.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٣٧/١١) . وقال الهيثمي في المجمع (٢٢/٧) : "رجاله ثقات".

(٣) زيادة من م، أ، وفي هـ: "الآية".

(٤) زيادة من م، أ، وفي هـ: "الآية".

(٥) في هـ: "وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم".." (١)

"وقال: {فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور} [الحج:٤٦] ، وقال {ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون} [الزخرف:٣٦، ٣٧] .

وقوله تعالى: {أولئك كالأنعام} أي: هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعونه ولا يبصرون الهدى، كالأنعام السارحة التي لا تنتفع (١) بهذه الحواس منها إلا في الذي يعيشها من ظاهر الحياة الدنيا كما قال تعالى: {ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء [صم بكم عمي] (٢) } [البقرة:١٧١] أي: ومثلهم -في حال دعائهم إلى الإيمان -كمثل الأنعام إذا دعاها راعيها لا تسمع إلا صوته، ولا تفقه (٣) ما يقول؛ ولهذا قال في هؤلاء: {بل هم أضل} أي: من الدواب؛ لأن الدواب قد تستجيب مع ذلك لراعيها إذا أبس بها، وإن لم تفقه كلامه، بخلاف هؤلاء؛ ولأن الدواب تفقه (٤) ما خلقت له إما بطبعها

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣١٢/٣

وإما بتسخيرها، بخلاف الكافر فإنه إنما خلق ليعبد الله ويوحده، فكفر بالله وأشرك به؛ ولهذا من أطاع الله من البشر كان أشرف من مثله من الملائكة في معاده، ومن كفر به (٥) من البشر، كانت الدواب أتم منه؛ ولهذا قال تعالى: {أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون}

{ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون (١٨٠) }

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعا وتسعين اسما مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر".

أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عنه (٦) رواه البخاري، عن أبي اليمان، عن شعيب بن أبي حمزة، عن أبي الزناد به (٧) وأخرجه الترمذي، عن الجوزجاني، عن صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم، عن شعيب فذكر بسنده مثله، وزاد بعد قوله: "يحب الوتر": هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، **الرقيب**، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر،

---

(١) في ك، م: "لا ينتفع".

(٢) زيادة من أ.

(٣) في أ: "لا تفهم".

(٤) في أ: "تفعل".

(٥) في أ: "بالله".

(٦) صحيح البخاري برقم (٦٤١٠) وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٧) .
(٧) صحيح البخاري برقم (٧٣٩٢) .." (١)

"{ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٨٥) بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ (٨٦) }

ينهاهم (١) أولا عن نقص المكيال والميزان إذا أعطوا الناس، ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط آخذين ومعطين، ونهاهم عن العيث (٢) في الأرض بالفساد، وقد كانوا يقطعون الطريق.

وقوله: {بقية الله خير لكم} قال ابن عباس: رزق الله خير لكم.

وقال الحسن: رزق الله خير [لكم] (٣) من بخسكم الناس.

وقال الربيع بن أنس: وصية الله خير لكم.

وقال مجاهد: طاعة الله [خير لكم] (٤) .

وقال قتادة: حظكم من الله خير لكم.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: "الهلاك" في العذاب، و"البقية" في الرحمة.

وقال أبو جعفر بن جرير: {بقية الله خير لكم} أي: ما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان {خير لكم} أي: من أخذ أموال الناس قال: وقد روي هذا عن ابن عباس.

قلت: ويشبه قوله تعالى: {قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث} [المائدة:١٠٠] .

وقوله: {وما أنا عليكم بحفيظ} أي: برقيب ولا حفيظ، أي: افعلوا ذلك لله عز وجل. لا تفعلوه (٥) ليراكم الناس، بل لله عز وجل.

{قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد (٨٧) }

يقولون له على سبيل التهكم، قبحهم الله: {أصلاتك} (٦) ، قال الأعمش: أي: قرآنك (٧) {تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا} أي: الأوثان والأصنام، {أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء} فنترك التطفيف (٨) على قولك، هي أموالنا نفعل فيها ما نريد.

[قال الحسن] (٩) في قوله: {أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا} (١٠) إي والله، إن صلاته

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥١٤/٣

(١) في ت، أ: "نهاهم".

(٢) في ت: "العيب".

(٣) زيادة من ت، أ.

(٤) زيادة من ت، أ.

(٥) في ت، "لا تفعلوا".

(٦) في ت: "أصلواتك".

(7) في أ: "قراءتك".

(٨) في أ: "الطفيف".

(٩) زيادة من ت، أ.

(١٠) في ت: "أصلواتك".." (١)

"[وقال السدي: {وإنا لنراك فينا ضعيفا} قال: أنت واحد] (١) .

[وقال أبو روق: {وإنا لنراك فينا ضعيفا} يعنون: ذليلا؛ لأن عشيرتك ليسوا على دينك، فأنت ذليل ضعيف] (٢) .

{ولولا رهطك} أي: قومك وعشيرتك؛ لولا معزة قومك علينا لرجمناك، قيل (٣) بالحجارة، وقيل: لسببناك، {وما أنت علينا بعزيز} أي: ليس لك عندنا معزة.

{قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله} يقول: أتتركوني لأجل قومي، ولا تتركوني إعظاما لجناب الله أن تنالوا نبيه بمساءة. وقد اتخذتم جانب الله {وراءكم ظهريا} أي: نبذتموه خلفكم، لا تطيعونه ولا تعظمونه، {إن ربي بما تعملون محيط} أي: هو يعلم جميع أعمالكم وسيجزيكم بها.

{ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣) ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٩٤) كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود (٩٥) }

لما يئس نبي الله شعيب من استجابة قومه له، قال: يا قوم، {اعملوا على مكانتكم} أي: على طريقتكم،

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٤٣/٤

وهذا تهديد ووعيد شديد، {إني عامل} على طريقتي ومنهجي {سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه} أي: في الدار الآخرة، {ومن هو كاذب} أي: مني ومنكم، {وارتقبوا} أي: انتظروا {إني معكم رقيب} .
قال الله تعالى: {ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا} وهم قومه، {الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين} وقوله {جاثمين} أي: هامدين لا حراك بهم. وذكر هاهنا أنه أتتهم صيحة، وفي الأعراف رجفة، وفي الشعراء عذاب يوم الظلة، وهم أمة واحدة، اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها. وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه، ففي الأعراف لما قالوا: {لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا} [الأعراف:٨٨] ، ناسب أن يذكر هناك الرجفة، فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها، وأرادوا إخراج نبيهم منها، وهاهنا لما أساءوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ناسب ذكر الصيحة التي أسكتتهم (٤) وأخمدتهم، وفي الشعراء لما قالوا: {فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين} [الشعراء:١٨٩] ، قال {فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم} [الشعراء:١٨٩] ، وهذا من الأسرار الغريبة الدقيقة، ولله الحمد والمنة كثيرا دائما.

---

(١) زيادة من ت، أ.

(٢) زيادة من ت، أ.

(٣) في ت: "قتل".

(٤) في ت، أ: "أسكنتهم"." (١)

"نعم، اكتب أراحنا الله منه، فبئس القرين. ما أقل مراقبته لله وأقل استحياءه منا". يقول الله: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٨] وملكان من بين يديك ومن خلفك، يقول الله: {له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله} وملك قابض على ناصيتك، فإذا تواضعت لله رفعك، وإذا تجبرت على الله قصمك، وملكان على شفتيك، ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم، وملك قائم على فيك لا يدع الحية أن تدخل في فيك، وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي (١) ينزلون (٢) ملائكة الليل على ملائكة النهار؛ لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار، فهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي وإبليس بالنهار وولده بالليل" (٣) .

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٤٧/٤

قال الإمام أحمد، رحمه الله: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا سفيان، حدثني منصور، عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه، عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة". قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: "وإياي، ولكن أعانني الله عليه (٤) فلا يأمرني إلا بخير".

انفرد بإخراجه مسلم (٥) .

وقوله: {يحفظونه من أمر الله} قيل: المراد حفظهم له من أمر الله. رواه علي بن أبي طلحة، وغيره، عن ابن عباس. وإليه ذهب مجاهد، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وغيرهم.

وقال قتادة: {يحفظونه من أمر الله} قال: وفي بعض القراءات: "يحفظونه بأمر الله".

وقال كعب الأحبار: لو تجلى لابن آدم كل سهل وحزن، لرأى كل شيء من ذلك شياطين (٦) لولا أن الله وكل بكم ملائكة عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم، إذا لتخطفتم.

وقال أبو أمامة (٧) ما من آدمي إلا ومعه ملك يذود عنه، حتى يسلمه للذي قدر له.

وقال أبو مجلز: جاء رجل من مراد إلى علي، رضي الله عنه، وهو يصلي، فقال: احترس، فإن ناسا من مراد يريدون قتلك. فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وإن الأجل جنة حصينة. (٨)

وقال بعضهم: {يحفظونه من أمر الله} بأمر الله، كما جاء في الحديث أنهم قالوا: يا رسول الله، أرأيت رقى نسترقي بها، هل ترد من قدر الله شيئا؟ فقال: "هي من قدر الله" (٩) .

---

(١) في ت، أ: "على كل بني آدم".

(٢) في ت، أ: "يبدلون".

(٣) تفسير الطبري (١٦/٣٧٠) .

(٤) في ت، أ: "ولكن الله أعانني عليه".

(٥) المسند (١/٣٩٧) وصحيح مسلم برقم (٢٨١٤)

(٦) في ت، أ: "من ذلك ساء نفسه".

(٧) في أ: "أبو أسامة".

(٨) رواه الطبري في تفسيره (١٦/٣٧٨) .

(٩) رواه الترمذي في السنن برقم (٢٠٦٥) من حديث أبي خزامة وقال: "حديث حسن".." (١)

"وفي الصحيحين: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد} [هود: ١٠٢] . (١)

{أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٣) }

يقول تعالى: {أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت} أي: حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة، يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر، ولا يخفى عليه خافية، {وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه} [يونس: ٦١] وقال تعالى: {وما تسقط من ورقة إلا يعلمها} [الأنعام: ٥٩] وقال {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين} [هود:٦] وقال {سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار} [الرعد: ١٠] وقال {يعلم السر وأخفى} [طه: ٧] وقال {وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير} [الحديد [٤] أفمن هو هكذا كالأصنام التي يعبدونها (٢) لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل، ولا تملك نفعا لأنفسها ولا لعابديها، ولا كشف ضر عنها ولا عن عابديها؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه، وهو قوله: {وجعلوا لله شركاء} أي: عبدوها معه، من أصنام وأنداد وأوثان.

{قل سموهم} أي: أعلمونا بهم، واكشفوا عنهم حتى يعرفوا، فإنهم لا حقيقة لهم؛ ولهذا قال: {أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض} أي: لا وجود له؛ لأنه لو كان له (٣) وجود في الأرض لعلمها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية.

{أم بظاهر من القول} قال مجاهد: بظن من القول.

وقال الضحاك وقتادة: بباطل من القول.

أي إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر، وسميتموها آلهة، {إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى} [النجم: ٢٣] .

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤/٤٣٩

{بل زين للذين كفروا مكرهم} قال مجاهد: قولهم، أي: ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٨٦) وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى، رضي الله عنه.
(٢) في ت، أ: "عبدوها".
(٣) في ت، أ: "لها".." (١)

"تعالى: {وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم} [يس: ٣٧، ٣٨] .

ثم إنه تعالى جعل لليل آية، أي: علامة يعرف بها (١) وهي الظلام وظهور القمر فيه، وللنهار علامة، وهي النور وظهور (٢) الشمس النيرة فيه، وفاوت بين ضياء القمر وبرهان الشمس ليعرف هذا من هذا، كما قال تعالى: {هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق} إلى قوله: {لآيات (٣) لقوم يتقون} [يونس: ٥، ٦] ، كما قال تعالى: {يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج} الآية [البقرة: ١٨٩] .

قال ابن جريج، عن عبد الله بن كثير في قوله: {فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة} قال: ظلمة الليل وسدفة (٤) النهار.

وقال ابن جريج عن مجاهد: الشمس آية النهار، والقمر آية الليل {فمحونا آية الليل} قال: السواد الذي في القمر، وكذلك (٥) خلقه الله تعالى.

وقال ابن جريج: قال ابن عباس: كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار {فمحونا آية الليل} السواد الذي في القمر.

وقد روى أبو جعفر بن جرير من طرق متعددة جيدة: أن ابن الكواء سأل [أمير المؤمنين] (٦) علي ابن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين، ما هذه اللطخة التي في القمر؟ فقال: ويحك أما تقرأ القرآن؟ {فمحونا آية الليل} فهذه محوه.

وقال قتادة في قوله: {فمحونا آية الليل} كنا نحدث أن (٧) محو آية الليل سواد القمر الذي فيه، وجعلنا آية النهار مبصرة، أي: منيرة، خلق الشمس أنور من القمر وأعظم.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٦٣/٤

وقال ابن أبي نجيح عن ابن عباس: {وجعلنا الليل والنهار آيتين} قال: ليلا ونهارا، كذلك خلقهما الله، عز وجل (٨) .

{وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا (١٣) اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (١٤) }

يقول تعالى بعد ذكر الزمان وذكر ما يقع فيه من أعمال بني آدم: {وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه} وطائره: هو ما طار عنه من عمله، كما قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: من خير وشر، يلزم به ويجازى عليه {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} [الزلزلة: ٥، ٦] ، وقال تعالى: {عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٧، ١٨] ،

---

(١) في ت: "يعرفونها".

(٢) في ت، ف: "وطلوع".

(٣) في ف، أ: (إن في ذلك لآيات) وهو خطأ.

(٤) في ت، ف، أ: "وسدف".

(٥) في ف: "ولذلك".

(٦) زيادة من ف، أ.

(٧) في ت: "ما نجد كان".

(٨) في ف: "الله تعالى".." (١)

"أرسلهم به، فلا يخفى عليه من أمورهم شيء، كما قال: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا. إلا من ارتضى من رسول [فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا. ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم] (١) وأحصى كل شيء عددا} [الجن: ٢٦ -٢٨] ، فهو سبحانه رقيب عليهم، شهيد على ما يقال لهم، حافظ لهم، ناصر لجنابهم؛ {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس} الآية [المائدة: ٦٧] .

{يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون (٧٧) وجاهدوا في الله حق

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥٠/٥

جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير (٧٨) } .

اختلف الأئمة، رحمهم الله، في هذه السجدة الثانية من سورة الحج: هل هي مشروع السجود فيها أم لا؟ على قولين. وقد قدمنا عند الأولى حديث عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فضلت سورة الحج بسجدتين، فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما".

وقوله: {وجاهدوا في الله حق جهاده} أي: بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم، كما قال تعالى: {اتقوا الله حق تقاته} [آل عمران: ١٠٢] .

وقوله: {هو اجتباكم} أي: يا هذه الأمة، الله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم، وفضلكم وشرفكم وخصكم بأكرم رسول، وأكمل شرع.

{وما جعل عليكم في الدين من حرج} أي: ما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا، فالصلاة -التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين-تجب في الحضر أربعا وفي السفر تقصر إلى ثنتين، وفي الخوف يصليها بعض الأئمة ركعة، كما ورد به الحديث، وتصلى رجالا وركبانا، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها. وكذا في النافلة في السفر إلى القبلة وغيرها، والقيام فيها يسقط بعذر المرض، فيصليها المريض جالسا، فإن لم يستطع فعلى جنبه، إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات، في سائر الفرائض والواجبات؛ ولهذا قال، عليه السلام (٢) : "بعثت بالحنيفية السمحة" (٣) وقال لمعاذ وأبي موسى، حين بعثهما أميرين إلى اليمن: "بشرا ولا

---

(١) زيادة من ف، أ. وفي ت: "إلى قوله".

(٢) في ت: "عليه الصلاة والسلام"، وفي ف، أ: "صلى الله عليه وسلم".

(٣) رواه أحمد في مسنده (٥/٢٦٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.." (١)

"عليه، والإعذار إليه؛ ولهذا قال: {سيريكم آياته فتعرفونها} كما قال تعالى: {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق} [فصلت: ٥٣] .

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٥٥/٥

وقوله: {وما ربك بغافل عما تعملون} أي: بل هو شهيد على كل شيء.
قال ابن أبي حاتم: ذكر عن أبي عمر الحوضي حفص بن عمر: حدثنا أبو أمية بن يعلى الثقفي، حدثنا سعيد بن أبي سعيد، سمعت أبا هريرة يقول: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس، لا يغترن أحدكم بالله؛ فإن الله لو كان غافلا شيئا لأغفل البعوضة والخردلة والذرة" (١) .
[قال أيضا] (٢) : حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا نصر بن علي، قال أبي: أخبرني خالد بن قيس، عن مطر، عن عمر بن عبد العزيز قال: فلو كان الله مغفلا شيئا لأغفل ما تعفي الرياح من أثر قدمي ابن آدم.
وقد ذكر عن الإمام أحمد، رحمه الله، أنه كان ينشد هذين البيتين، إما له أو لغيره:
إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل علي رقيب ...
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب ...

---

(١) ورواه الديلمي في مسند الفردوس برقم (٨١٦٧) من طريق أبي أمية بن يعلى به.
(٢) زيادة من ف، أ.." (١)

"المنافقون: تراءون." (١)
وقال (٢) الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي، سمعت أبا الوازع جابر بن عمرو يحدث عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله فيه، إلا رأوه حسرة يوم القيامة." (٣)
وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: {اذكروا الله ذكرا كثيرا} : إن الله لم يفرض [على عباده] (٤) فريضة إلا [جعل لها حدا معلوما، ثم] (٥) عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه، إلا مغلوبا على تركه، فقال: {فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم} [النساء:١٠٣] ، بالليل والنهار، [في البر والبحر] (٦) ، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال، وقال: {وسبحوه بكرة وأصيلا} فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته.
والأحاديث والآيات والآثار في الحث على ذكر الله كثيرة جدا، وفي هذه الآية الكريمة الحث على الإكثار

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢١٩/٦

(٧) من ذلك.

وقد صنف الناس في الأذكار المتعلقة بآناء الليل والنهار كالنسائي والمعمري وغيرهما (٨) ، ومن أحسن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب الأذكار للشيخ محيي الدين النووي، رحمه الله تعالى (٩)

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٢/١٦٩) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٧٦) : "فيه الحسين بن أبي جعفر الجعفري وهو ضعيف".

(٢) في أ: "زاده".

(٣) المسند (٢/٢٢٤) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٨٠) : "رجاله رجال الصحيح".

(٤) زيادة من ت، ف، أ.

(٥) زيادة من ت، ف، أ.

(٦) زيادة من ت، ف، أ.

(٧) في أ: "الإكثرار".

(٨) في ت: "والمعمري والكلم الطيب لشيخ الإسلام وغيرهم".

(٩) وقد طبع كتاب الأذكار بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في دار الهدى وعليه تخريج لابن علان اسمه: "الفتوحات الربانية" طبع في الهند.

هذا وقد جاء في نسخة "ت" بعد هذه الفقرة ما يلي:

"فذكر الله أصل موالاة الله، عز وجل، ورأسها. والغفلة أصل معاداته ورأسها، فإن العبد لا يزال يذكر ربه حتى يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه ويعاديه. قال الله تعالى: (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) وما استجلبت نعم الله تعالى واستدفعت نقمة بمثل ذكر الله، فالذكر جلاب النعم دفاع النقم. قال تعالى: (إن الله يدفع عن الذين آمنوا) وفي القراءة الأخرى: (يدافع عن الذين آمنوا) فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله ومادة الإيمان وقوته بذكر الله، فمن كان أكمل إيمانا وأكثر ذكرا كان دفاع الله عنه، ودفعه أعظم. ومن نقص نقص ذكر بذكر ونسيان بنسيان، وقال تعالى: (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم) والذكر رأس الشكر، والشكر جلاب النعم، موجب للمزيد. قال بعض السلف: ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن برك. ومجالس الذكر رياض الجنة كما روى ابن أبي الدنيا من حديث جابر، عن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "يأيها الناس ارتعوا

في رياض الجنة" قلنا يا رسول الله: وما رياض الجنة؟ قال: "مجالس الذكر"، ثم قال: "اغدوا وروحوا فاذكروا فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه". فمجالس الذكر مجالس الملائكة كما في الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلم إلى حاجتكم، فتحف بأجنحتها إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال: وهل رأوني؟ قال: يقولون: لا والله يا ربنا ما رأوك، فيقول: كيف لو أنهم رأوني؟ قال: فيقولون: لو أنهم رأوك كانوا أشد عبادة وأشد تحميدا وتمجيدا، وأكثر تسبيحا، فيقول: ما يسألوني؟ فيقولون: يسألونك الجنة، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا ربنا ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد حرصا عليها، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة، فيقول: مم يتعوذون؟ قال: فيقولون: من النار، فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا ربنا ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة، فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: إن فيهم فلانا ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم"، فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم، فلهم نصيب من قوله: (وجعلني مباركا أينما كنت) [مريم:٣١] وإن الله، عز وجل، ليباهى بالذاكرين الملائكة، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال: ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذلك. قال: أما إني لم أسألكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل
عنه حديثا مني، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه. قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن علينا بك. قال: "آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ " قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك؟ قال: "أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة" فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى، دليل على شرف الذكر عنده ومحبته له وأن له مزية على غيره من الأعمال.

والذكر نوعان: أحدهما: ذكر أسماء الرب وصفاته والثناء عليه، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به وهذا أيضا نوعان: أحدهما: إنشاء الثناء بها من الذاكر، وهذا النوع هو المذكور في الحديث نحو: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله

الحمد وهو على كل شيء قدير، ونحو ذلك، فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمه نحو: سبحان الله عدد خلقه، فهذا أفضل من مجرد سبحان الله، وقول: الحمد لله عدد ما خلق في السماء، وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما خلق بينهما، وعدد ما هو خالق، أفضل من مجرد قولك: الحمد لله، وهذا في حديث جويرية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: "لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم، لوزنتهن: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته". رواه مسلم. وفي الترمذي وسنن أبي داود عن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة بين يديها نوى أو حصى تسبح به، فقال: "أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل؟ " فقال: سبحان الله عدد ما خلق في السماء، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك".

والنوع الثاني: الخبر عن الرب تبارك وتعالى بأحكام أسمائه وصفاته نحو قولك: إن الله، عز وجل، يسمع أصوات عباده، ويرى حركاتهم، ولا يخفى عليه خافية من أعمالهم، وهو أرحم من آبائهم وأمهاتهم، وهو على كل شيء قدير، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد الواجد ونحو ذلك. وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنى به على نفسه، وبما أثنى عليه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل كما قال: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ، وهذا النوع أيضا ثلاثة أنواع: حمد، وثناء، ومجد.

فالحمد: الإخبار عنه بصفات كماله مع محبته والرضا عنه، ولا يكون المحب الساكت حامدا، ولا المثنى بلا محبة حامدا، حتى يجمع له المحبة والثناء، فإن كرر المحامد شيئا بعد شيء، كانت ثناء، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجدا. قد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة فى أول سورة فاتحة الكتاب، فإذا قال العبد: (الحمد لله رب العالمين) قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: (الرحمن الرحيم) قال: أثنى علي عبدي. وإذا قال: (مالك يوم الدين) قال: مجدني عبدي.

والنوع الثاني من الذكر: ذكر أمره ونهيه وأحكامه، وهذا أيضا نوعان: أحدهما: ذكره بذلك إخبارا عنه بأنه أمر بكذا ونهى عن كذا وأحب كذا وسخط كذا، والثاني: ذكره عند أمره فيبادر إليه، وعند نهيه فيهرب منه، فذكر أمره ونهيه شيء، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر، فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر، فذكره أفضل الذكر وأجله وأعظمه.

فائدة:

فهذا ذكره هو الفقه الأكبر، وما دونه من أفضل الذكر إذا صحت فيه النية، ومن ذكره تعالى ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه ومواقع فضله على عبيده، وهذا من أجل أنواع الذكر، فهذه خمسة أنواع، وهي تكون بالقلب واللسان، وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان؛ لأن ذكر القلب يثمر المعرفة، ويصح المحبة، ويثير الحياء، ويبعث على المخافة، ويدعو إلى **المراقبة**، ويردع عن التقصير في الطاعة والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئا ما من تلك الأثمار، وإن أثمر شيئا ما، فثمرته ضعيفة.

والذكر أفضل من الدعاء؛ لأن الذكر ثناء على الله، عز وجل، بجميل صفاته وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته، فأين هذا من هذا؟ ولهذا جاء في الحديث: "من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين". ولهذا كان مستحبا في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله والثناء عليه بين يدي حاجته، ثم يسأل حاجته كما جاء في حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد عجل هذا"، ثم دعاه فقال له أو لغيره: "إذا صلى أحدكم، فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو بما شاء ". رواه الإمام أحمد والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. وهكذا دعا ذو النون الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" وفي الترمذي: دعوة أخي ذي النون إذ دعا بها في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له". وهكذا عامة الأدعية النبوية، ومنه

قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الكرب: "لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم". ومنه حديث بريدة الأسلمي، رواه أهل السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو وهو يقول: اللهم أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، فقال: "والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى". وروى أبو داود والنسائي من حديث أنس أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يصلي ثم دعا: اللهم أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي: "لقد دعا الله باسمه العظيم

الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى" وروى أبو داود والنسائي من حديث أنس، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الدعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذكر، وأنه اسم الله الأعظم، فكان ذكر الله والثناء عليه أنجح ما سأل به حوائجه، فهذا من فوائد الذكر، وهو أنه يجعل الدعاء مستجابا فلهذا قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) فالدعاء الذي يتقدمه الذكر والثناء أقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه، كان أبلغ في الإجابة وأفضل. فإنه يكون قد توسل إلى المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرض، بل صرح، بشدة حالته وضرورته وفقره ومسكنته، فهذا المقتضى منه وأوصاف المسؤول مقتضى منه، فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسؤول في الدعاء، فكان أبلغ وألطف موقعا وأتم معرفة وعبودية، وأنت ترى في الشاهد ولله المثل الأعلى أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره، وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته، كان أعطف لقلب المسؤول وأقرب إلى قضاء حاجته من أن يقول له ابتداء أعطني كذا وكذا، فإذا عرف هذا فتأمل قول موسى، عليه السلام: (رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) وقول ذي النون في دعائه: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) وقول أبينا آدم: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه؛ قال يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي فقال: "قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم" فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله، والتوسل إلى ربه بفضله وجوده، وأنه المتفرد بغفران الذنوب ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معا فهكذا آداب الدعاء والعبودية.

وقراءة القرآن أفضل الأذكار وهي أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء، وهذا من حيث النظر إلى كل واحد منهما مجردا، وقد تعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل، بل تعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود، فإنه أفضل من قراءة القرآن، وكذلك التشهد، وكذلك رب اغفر لي بين السجدتين، وقول رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني بين السجدتين أفضل من القراءة. وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة، ذكر التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة. وكذلك إجابة المؤذن، والقول كما يقول، أفضل من القراءة، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله على خلقه، لكن لكل مقام مقال، متى فات مقاله فيه وعدل عنه إلى غيره، واختلت الحكمة، وفقدت المصلحة المطلوبة منه، وهكذا الأذكار المفيدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة

المطلقة اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن، مثاله أن يحدث له من التفكر في ذنوبه فيحصل له توبة واستغفار أو يحصل له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن، فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصنه وتحوطه، وكذلك أيضا قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة القرآن، لم يحضر قلبه فيها. وإذا أقبل على الذكر والدعاء إليها اجتمع قلبه كله على الله، وأحدث له تضرعا وخشوعا وابتهالا، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع له، وإن كان كل من القراءة والذكر أفضل وأكثر أجرا، وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه نص وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة، فيعطي كل ذي حق حقه ويضع كل شيء موضعه، فللعين موضع، وللرجل موضع، وللماء موضع، وللحم موضع، وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التي هي نظام الأمر والنهي، والله الموفق.

وهكذا الصابون والأشنان أنفع للثوب في وقت، والتحمير وماء الورد أنفع له في وقت. وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، يوما: سئل بعض أهل العلم: أيما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيا فالبخور وماء الورد نافع له، وإن كاد دنسا فالصابون والماء الجاري أنفع له فقال: كيف والثياب لا تزال دنسة؟.

ومن هذا الباب أن سورة (قل هو الله أحد الله) تعدل ثلث القرآن، ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث والطلاق والخلع والعدد ونحوها، بل هذه الآيات في وقتها، وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الإخلاص. ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء، وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه، فكانت أفضل من كل القراءة والذكر والدعاء بمفرده بجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء فهذا أصل نافع جدا للعبد يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وينزلها منازلها لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها فيرنح عليه إبليس الفضل الذي بينهما أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل عن مفضولها، وإن كان ذلك وقته فتفوته مصلحته بالكلية لظنه أن اشتغاله به أكثر ثوابا وأعظم أجرا". اهـ.." (١)

"ورواه أهل السنن الأربعة، من حديث حماد بن سلمة - (١) وزاد أبو داود بعد قوله: فلا تلمني (٢) فيما تملك ولا أملك: يعني القلب. وإسناده صحيح، ورجاله كلهم ثقات. ولهذا عقب ذلك بقوله: {وكان الله عليما} أي: بضمائر السرائر، {حليما} أي: يحلم ويغفر.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦/٤٣٣

{لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢) } .

ذكر غير واحد من العلماء -كابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، وابن جرير، وغيرهم -أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضا عنهن، على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة، لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما تقدم في الآية. فلما اخترن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان جزاؤهن أن [الله] (٣) قصره عليهن، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن، ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء والسراري فلا حجر عليه فيهن. ثم إنه تعالى رفع عنه الحجر (٤) في ذلك ونسخ حكم هذه الآية، وأباح له التزوج (٥) ، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنة للرسول (٦) صلى الله عليه وسلم عليهن.

قال (٧) الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عطاء، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء (٨) .

ورواه أيضا من حديث ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير (٩) ، عن عائشة. ورواه الترمذي والنسائي في سننيهما (١٠) .

وقال (١١) ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة، حدثني عمر بن أبي بكر، حدثني المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي (١٢) ، عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله (١٣) ، عن عبد الله بن وهب بن زمعة، عن أم سلمة أنها قالت: لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء، إلا ذات محرم، وذلك قول الله، عز وجل: {ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء} .

فجعلت هذه ناسخة للتي بعدها في التلاوة، كآيتي عدة الوفاة في البقرة، الأولى ناسخة للتي بعدها، والله (١٤) أعلم.

---

(١) المسند (٦/١٤٤) وسنن أبي داود برقم (٢١٣٤) وسنن الترمذي برقم (١١٤٠) وسنن النسائي (٧/٦٣) وسنن ابن ماجه برقم (١٩٧١) .

(٢) في أ: "فلا تملني".

(٣) زيادة من ت، أ.

(٤) في ت: "الحرج".

(٥) في أ: "التزويج".

(٦) في ف: "لرسول الله".

(٧) في ت: "روى".

(٨) المسند (٦/٤١) .

(٩) في أ: "عن عمير بن عبيد".

(١٠) المسند (٦/١٨٠) وسنن الترمذي برقم (٣٢١٦) وسنن النسائي (٦/٥٦) .

(١١) في ت: "وروى".

(١٢) في أ: "الخزاعي".

(١٣) في أ: "عبد الله".

(١٤) في ت: "فالله".." (١)

"{لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا (٥٥) } .

لما أمر تعالى النساء بالحجاب من الأجانب، بين أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم، كما استثناهم في سورة النور، عند قوله: {ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن} إلى آخرها، [النور: ٣١] ، وفيها زيادات على هذه. وقد تقدم تفسيرها والكلام عليها بما أغنى عن إعادته. وقد سأل بعض السلف فقال: لم لم يذكر العم والخال في هاتين الآيتين؟ فأجاب عكرمة والشعبي: بأنهما لم يذكرا؛ لأنهما قد يصفان ذلك لبنيهما. قال ابن جرير: حدثني محمد بن المثنى، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا حماد، حدثنا داود، عن الشعبي وعكرمة في قوله: {لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن} قلت: ما شأن العم والخال لم يذكرا؟ قالا هما (١) ينعتانها لأبنائهما. وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها.

وقوله: {ولا نسائهن} : يعني بذلك: عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦/٤٤٧

وقوله: {ولا ما ملكت أيمانهن} يعني به: أرقاءهن من الذكور والإناث، كما تقدم التنبيه عليه، وإيراد الحديث فيه (٢) .

قال سعيد بن المسيب: إنما يعني به: الإماء فقط. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: {واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا} أي: واخشينه في الخلوة والعلانية، فإنه شهيد على كل شيء، لا تخفى عليه خافية، فراقبن **الرقيب**.

---

(١) في أ: "لأنهما".

(٢) تقديم تخريج الحديث عند تفسير الآية: ٣١ من سورة النور.." (١)

"يوم الآزفة هو: اسم من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لاقترابها، كما قال تعالى: {أزفت الآزفة. ليس لها من دون الله كاشفة} [النجم:٥٧، ٥٨] وقال {اقتربت الساعة وانشق القمر} [القمر: ١] ، وقال {اقترب للناس حسابهم} [الأنبياء:١] وقال {أتى أمر الله فلا تستعجلوه} [النحل:١] وقال {فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون} [الملك:٢٧] .

وقوله: {إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين} [أي ساكتين] (١) ، قال قتادة: وقفت القلوب في الحناجر من الخوف، فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها. وكذا قال عكرمة، والسدي، وغير واحد.

ومعنى {كاظمين} أي: ساكتين، لا يتكلم أحد إلا بإذنه {يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا} [النبأ:٣٨] .

وقال ابن جريج (٢) : {كاظمين} أي: باكين.

وقوله: {ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع} أي: ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير.

وقوله: {يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور} يخبر تعالى عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها؛ ليحذر الناس علمه فيهم، فيستحيوا من الله حق الحياء، ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه **مراقبة** من يعلم أنه يراه، فإنه تعالى يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٥٦/٦

قال ابن عباس في قوله: {يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور} وهو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم، وفيهم المرأة الحسناء، أو تمر به وبهم المرأة الحسناء، فإذا غفلوا لحظ إليها، فإذا فطنوا غض، فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غض [بصره عنها] (٣) وقد اطلع الله من قلبه أنه ود أن لو اطلع على فرجها. رواه ابن أبي حاتم.

وقال الضحاك: {خائنة الأعين} هو الغمز، وقول الرجل: رأيت، ولم ير؛ أو: لم أر، وقد رأى.

وقال ابن عباس: يعلم [الله] (٤) تعالى من العين في نظرها، هل تريد الخيانة أم لا؟ وكذا قال مجاهد، وقتادة.

وقال ابن عباس في قوله: {وما تخفي الصدور} يعلم إذا أنت قدرت عليها هل تزني بها أم لا؟.

وقال السدي: {وما تخفي الصدور} أي: من الوسوسة.

---

(١) زيادة من ت.

(٢) في ت: "جرير".

(٣) زيادة من س، أ.

(٤) زيادة من س.." (١)

"{ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦) إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨) وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩) ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد (٢٠) وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٢) }." (٢)

"يخبر تعالى عن قدرته على الإنسان بأنه خالقه، وعمله محيط بجميع أموره، حتى إنه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر. وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله (١) تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل" (٢) .

وقوله: {ونحن أقرب إليه من حبل الوريد} يعني: ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده (٣)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٣٧/٧

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٩٧/٧

إليه. ومن تأوله على العلم فإنما فر لئلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع، تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد، وإنما قال: {ونحن أقرب إليه من حبل الوريد} كما قال في المحتضر: {ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون} [الواقعة: ٨٥] ، يعني ملائكته. وكما قال [تعالى] (٤) : {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} [الحجر: ٩] ، فالملائكة نزلت بالذكر -وهو القرآن- بإذن الله، عز وجل. وكذلك (٥) الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه بإقدار (٦) الله لهم على ذلك، فالملك لمة في الإنسان كما أن للشيطان لمة وكذلك: "الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق؛ ولهذا قال هاهنا: {إذ يتلقى المتلقيان} يعني: الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان. {عن اليمين وعن الشمال قعيد} أي: مترصد (٧) .

{ما يلفظ} أي: ابن آدم {من قول} أي: ما يتكلم بكلمة (٨) {إلا لديه رقيب عتيد} أي: إلا ولها من يراقبها معتد (٩) لذلك يكتبها، لا يترك كلمة ولا حركة، كما قال تعالى: {وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون} [الانفطار: ١٠ -١٢] .

وقد اختلف العلماء: هل يكتب الملك كل شيء من الكلام؟ وهو قول الحسن وقتادة، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس، على قولين، وظاهر الآية الأول، لعموم قوله: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد}

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة الليثي، عن أبيه، عن جده علقمة، عن بلال بن الحارث المزني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه (١٠) . وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عليه بها (١١) سخطه إلى يوم يلقاه".

قال: فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث.

ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، من حديث محمد بن عمرو به (١٢) . وقال الترمذي: حسن

---

(١) في أ: "إن الله تعالى".

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٢٦٩) وصحيح مسلم برقم (١٢٧) .

(٣) في أ: "الوريد".

(٤) زيادة من م، أ.

(٥) في أ: "ولذلك".

(٦) في م: "باقتدار".

(٧) في م: "مرصد".

(٨) في م: "بكلام".

(٩) في م: "معد".

(١٠) في أ: "القيامة".

(١١) في م: "له بها عليه".

(١٢) المسند (٣/٤٦٩) وسنن الترمذي برقم (٢٣١٩) والنسائي في السنن الكبرى، كما في تحفة الأشراف (٢/١٠٣) وسنن ابن ماجه برقم (٣٩٦٩) .." [1]

"صحيح. وله شاهد (١) في الصحيح (٢) .

وقال الأحنف بن قيس: صاحب اليمين يكتب الخير، وهو أمير على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة قال له: أمسك، فإن استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها، وإن أبى كتبها. رواه ابن أبي حاتم.

وقال الحسن البصري وتلا هذه الآية: {عن اليمين وعن الشمال قعيد} : يا ابن آدم، بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك فاعمل (٣) ما شئت، أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك، وجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول: {وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا} [الإسراء: ١٣، ١٤] ثم يقول: عدل -والله- فيك من جعلك حسيب نفسك.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} قال: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر، حتى إنه ليكتب قوله: "أكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت"، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر، وألقى سائره، وذلك قوله: {يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب} [الرعد: ٣٩] ، وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه، فبلغه عن طاوس أنه قال: يكتب الملك كل شيء حتى الأنين. فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله (٤) .

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٧/٣٩٨

وقوله: {وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد} ، يقول تعالى: وجاءت -أيها الإنسان- سكرة الموت بالحق، أي: كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه، {ذلك ما كنت منه تحيد} أي: هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك، فلا محيد ولا مناص، ولا فكاك ولا خلاص.

وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله: {وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد} ، فالصحيح أن المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو. وقيل: الكافر، وقيل: غير ذلك.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا إبراهيم بن زياد -سبلان-أخبرنا عباد بن عباد عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص (٥) أن عائشة، رضي الله عنها، قالت: حضرت أبي وهو يموت، وأنا جالسة عند رأسه، فأخذته غشية فتمثلت ببيت من الشعر:

من لا يزال دمعه مقنعا ... فإنه لا بد مرة (٦) مدقوق (٧)

---

(١) في أ: "شواهد".

(٢) شاهده حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٤٧٨) .

(٣) في أ: "فاملل".

(٤) رواه صالح بن الإمام أحمد في سيرة أبيه.

(٥) في أ: "أبي وقاص" وهو خطأ. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب.

(٦) في أ: "من دمعه".

(٧) البيت في النهاية لابن الأثير (١١٥/٤) وعنده: لا بد يوما أن يهراق.." (١)

"{يعلم ما يلج في الأرض} أي: يعلم عدد ما يدخل فيها من حب وقطر {وما يخرج منها} من زرع ونبات وثمار، كما قال: {وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين} [الأنعام: ٥٩] .

وقوله: {وما ينزل من السماء} أي: من الأمطار، والثلوج والبرد، والأقدار والأحكام مع الملائكة الكرام، وقد تقدم في سورة "البقرة" أنه ما ينزل من قطرة من السماء إلا ومعها ملك يقررها في المكان الذي يأمر الله به حيث يشاء تعالى.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٩٩/٧

وقوله: {وما يعرج فيها} أي: من الملائكة والأعمال، كما جاء في الصحيح: "يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل" (١)

وقوله: {وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير} أي: رقيب عليكم، شهيد على أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم، من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم، كما قال: {ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور} [هود: ٥] . وقال {سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار} [الرعد: ١٠] ، فلا إله غيره ولا رب سواه. وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه سلم قال لجبريل، لما سأله عن الإحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

وروى الحافظ أبو بكر الإسماعيلي من حديث نصر بن خزيمة بن جنادة بن محفوظ بن علقمة، حدثني أبي، عن نصر بن علقمة، عن أخيه، عن عبد الرحمن بن عائذ قال: قال عمر: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: زودني كلمة أعيش بها فقال: "استح الله كما تستحي رجلا من صالح عشيرتك لا يفارقك" (٢)

هذا حديث غريب، وروى أبو نعيم من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري مرفوعا: "ثلاث من فعلهن فقد طعم الإيمان: من عبد الله وحده، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام، ولم يعط الهرمة ولا الدرنة، ولا الشرط اللئيمة ولا المريضة ولكن من أوسط أموالكم. وزكى نفسه" وقال رجل: يا رسول الله، ما تزكية المرء نفسه؟ فقال: "يعلم أن الله معه حيث كان" (٣)

وقال نعيم بن حماد، رحمه الله: حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، عن محمد بن مهاجر، عن عروة بن رويم، عن عبد الرحمن بن غنم، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت". غريب. (٤)

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه.

(٢) وذكره المؤلف في مسند عمر بن الخطاب (٢/٦٠٩) من طريق الإسماعيلي وقال: "إسناده غريب، وفي حديث القدر: "فإن لم تكن تراه فإنه يراك" وله شاهد من حديث سعيد بن يزيد عن بن عم له قال: قلت يا رسول الله أوصني، قال: "استح من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك". أخرجه مجشل

في تاريخ واسط (ص٢٠٩) .
(٣) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٤/٩٦) من طريق الزبيدي عن يحيى بن جابر، أن عبد الرحمن بن جبير حدثه أن أباه حدثه أن عبد الله بن معاوية الغاضري به، ورواه أبو داود من طريق الزبيدي عن يحيى بن جابر، عن جبير بن نفير به نحوه، والأول أصح.
(٤) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٤٧) "مجمع البحرين" عن مطلب، عن نعيم بن حماد به وقال: "تفرد به عثمان". ورواه أبو نعيم في الحلية (٦/١٢٤) عن الطبراني، عن يحيى بن عثمان، عن نعيم بن حماد به، وقال: "غريب من حديث عروة لم نكتبه إلا من حديث محمد بن مهاجر". وعثمان بن سعيد لم يعرفه الهيثمي في المجمع (١/٦٠) ، وذكره بن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٦/١٥٢) ونقل عن يحيى بن معين أنه ثقة.." (١)

"وكان الإمام أحمد ينشد هذين البيتين:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل: علي رقيب ...

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب ...

وقوله: {له ملك السماوات والأرض وإلى الله ترجع الأمور} أي: هو المالك للدنيا والآخرة كما قال: {وإن لنا للآخرة والأولى} [الليل: ١٣] ، وهو المحمود على ذلك، كما قال: {وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة} [القصص:٧٠] ، وقال {الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير} [سبإ: ١] . فجميع ما في السماوات والأرض ملك له، وأهلهما عبيد أرقاء أذلاء بين يديه كما قال: {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا} [مريم: ٩٣-٩٥] . ولهذا قال: {وإلى الله ترجع الأمور} أي: إليه المرجع يوم القيامة، فيحكم في خلقه بما يشاء، وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة، بل إن يكن أحدهم عمل حسنة واحدة يضاعفها إلى عشر أمثالها، {ويؤت من لدنه أجرا عظيما} [النساء: ٤٠] وكما قال تعالى: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين} [الأنبياء: ٤٧] .
وقوله: {يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل} أي: هو المتصرف في الخلق، يقلب الليل والنهار

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٨/٩

ويقدرهما بحكمته كما يشاء، فتارة يطول الليل ويقصر النهار، وتارة بالعكس، وتارة يتركهما معتدلين. وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعا ثم قيظا ثم خريفا، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريده بخلقه، {وهو عليم بذات الصدور} أي: يعلم السرائر وإن دقت، وإن خفيت.

{آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير (٧) وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين (٨) هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرءوف رحيم (٩) وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير (١٠) من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم (١١) }." (١)

"امرأة ترعى الغنم، وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب. قال: فنزل الراهب ففجر بها، فحملت، فأتاه الشيطان فقال له: اقتلها ثم ادفنها، فإنك رجل مصدق يسمع قولك. فقتلها ثم دفتها. قال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم، فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا. فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك؟ قالوا: لا بل قصها علينا. قال: فقصها، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك. فقالوا: فوالله ما هذا إلا لشيء. قال: فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان فقال: إني أنا الذي أوقعتك في هذا، ولن ينجيك منه غيري، فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه. قال: فسجد له، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه، وأخذ فقتل (١) .

وكذا روي عن ابن عباس، وطاوس، ومقاتل بن حيان، نحو ذلك. واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا، والله أعلم. وهذه القصة مخالفة لقصة جريج العابد، فإن جريجا اتهمته امرأة بغي بنفسها، وادعت أن حملها منه، ورفعت أمره إلى ولي الأمر، فأمر به فأنزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول: ما لكم؟ ما لكم؟ فقالوا: يا عدو الله، فعلت بهذه المرأة كذا وكذا. فقال: جريج: اصبروا. ثم أخذ ابنها وهو صغير جدا ثم قال: يا غلام، من أبوك؟ قال (٢) أبي الراعي -وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه-

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٨/ ١٠

فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيما بليغا وقالوا: نعيد صومعتك من ذهب. قال: لا بل أعيدوها من طين، كما كانت.

وقوله: {فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها} أي: فكانت عاقبة الآمر بالكفر والفاعل له، وتصيرهما (٣) إلى نار جهنم خالدين فيها، {وذلك جزاء الظالمين} أي: جزاء كل ظالم.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون (١٨) ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون (١٩) لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون (٢٠) }

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عون بن أبي جحيفة، عن المنذر ابن جرير، عن أبيه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار -أو: العباء-متقلدي السيوف عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، قال: فدخل ثم خرج، فأمر بلالا فأذن وأقام الصلاة، فصلى ثم خطب، فقال: {يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة} إلى آخر الآية: {إن الله كان عليكم رقيبا} [النساء: ١] . وقرأ الآية التي في الحشر: {ولتنظر نفس ما قدمت لغد}

---

(١) تفسير الطبري (٣٣/٢٨) .

(٢) في م: "فقال".

(٣) في م: "ومصيرهما".." (١)

"{السلام} أي: من جميع العيوب والنقائص؛ بكماله (١) في ذاته وصفاته وأفعاله.

وقوله: {المؤمن} قال الضحاك، عن ابن عباس: [أي] (٢) أمن خلقه من أن يظلمهم. وقال قتادة: أمن بقوله: إنه حق. وقال ابن زيد: صدق عباده المؤمنين في إيمانهم به.

وقوله: {المهيمن} قال ابن عباس وغير واحد: أي (٣) الشاهد على خلقه بأعمالهم، بمعنى: هو رقيب عليهم، كقوله: {والله على كل شيء شهيد} [البروج: ٩] ، وقوله {ثم الله شهيد على ما يفعلون} [يونس: ٤٦] .

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٧٦/٨

وقوله: {أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت} الآية [الرعد: ٣٣] .

وقوله: {العزيز} أي: الذي قد عز كل شيء فقهره، وغلب الأشياء فلا ينال جنابه؛ لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه؛ ولهذا قال: {الجبار المتكبر} أي: الذي لا تليق الجبرية إلا له، ولا التكبر إلا لعظمته، كما تقدم في الصحيح: "العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدا منهما عذبته".

وقال قتادة: الجبار: الذي جبر خلقه على ما يشاء.

وقال ابن جرير: الجبار: المصلح أمور خلقه، المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم.

وقال قتادة: المتكبر: يعني عن كل سوء.

ثم قال: {سبحان الله عما يشركون} (٤) .

وقوله: {هو الله الخالق البارئ المصور} الخلق: التقدير، والبراء: هو الفري، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله، عز وجل. قال الشاعر يمدح آخر (٥)

ولأنت تفري ما خلقت ... وبعض القوم يخلق ثم لا يفري ...

أي: أنت تنفذ ما خلقت، أي: قدرت، بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع ما يريد. فالخلق: التقدير. والفري: التنفيذ. ومنه يقال: قدر الجلاد ثم فرى، أي: قطع على ما قدره بحسب ما يريده.

وقوله تعالى: {الخالق البارئ المصور} أي: الذي إذا أراد شيئا قال له: كن، فيكون على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار. كقوله: {في أي صورة ما شاء ركبك} [الانفطار: ٨] ولهذا قال: {المصور} أي: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها.

---

(١) في م: "لكماله".

(٢) زيادة من م.

(٣) في م: "إنه".

(٤) في م: "يصفون" وهو خطأ.

(٥) هو زهير بن أبي سلمي يمدح به هرم بن سنان، والبيت في ديوانه (ص ٩٤) أ. هـ مستفادا من حاشية ط الشعب.." (١)

"وقوله: {له الأسماء الحسنى} قد تقدم الكلام على ذلك في "سورة الأعراف"، وذكر الحديث المروي في الصحيحين عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر". وتقدم سياق الترمذي وابن ماجه له، عن أبي هريرة أيضا، وزاد بعد قوله: "وهو وتر يحب الوتر" -واللفظ للترمذي-: "هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، **الرقيب**، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الولي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرءوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور".

وسياق ابن ماجه بزيادة ونقصان، وتقديم وتأخير، وقد قدمنا ذلك مبسوطا مطولا بطرقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته هنا (١) (٢) .

وقوله: {يسبح له ما في السماوات والأرض} كقوله {تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا} [الإسراء: ٤٤] .

وقوله: {وهو العزيز} أي: فلا يرام جنابه {الحكيم} في شرعه وقدره. وقد قال الإمام أحمد:

حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا خالد -يعني: ابن طهمان، أبو العلاء الخفاف- حدثنا نافع ابن أبي نافع، عن معقل بن يسار، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٨/٨٠

يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة".

ورواه الترمذي عن محمود بن غيلان، عن أبي أحمد الزبيري، به (٣) ، وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

---

(١) في م: "هاهنا".

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث عند تفسير الآية: ١٨٠ من سورة الأعراف.

(٣) المسند (٥/٢٦) وسنن الترمذي برقم (٢٩٢٢) .." (١)

"بعد ما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق، لم ينظروا في حلف ولا عهد ولا يبقوا عليكم. والجملة الشرطية من قوله:» إن يظهروا «في محل نصب على الحال، أي: كيف يكون لهم عهد، وهم على حالة تنافي ذلك؟ وقد تقدم تحقيق هذا عند قوله: {وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه} [الأعراف: ١٦٩] ، و» لا يرقبوا «جواب الشرط، وقرأ زيد بن علي:» وإن يظهروا «ببنائه للمفعول، من أظهره عليه، أي: جعله غالبا له، يقال: ظهرت على فلان: إذا علوته، وظهرت على السطح: إذا صرت فوقه.

قال الليث:» الظهور: الظفر بالشيء، وأظهر الله المسلمين على المشركين، أي: أعلاهم عليهم «. قال تعالى: {فأصبحوا ظاهرين} [الصف: ١٤] وقوله: {ليظهره على الدين كله} [التوبة: ٣٣] أي: ليعليه.

قوله:» لا يرقبوا «قال الليث» رقب الإنسان يرقب رقبة ورقبانا، هو أن ينتظره «.

والمعنى: لا ينتظروا، قاله الضحاك، ورقيب القوم: حارسهم، وقوله: {ولم ترقب قولي} [طه: ٩٤] أي: لم تحفظه.

وقال قطرب:» لا يراعوا فيكم إلا «. قوله:» إلا «مفعول به ب» يرقبوا «. وفي» الإل «أقوال» .

أحدها: أن المراد به العهد، قاله أبو عبيدة، وابن زيد، والسدي وكذلك الذمة، إلا أنه كرر، لاختلاف اللفظين؛ ومنه قول الشاعر: [البسيط]

٢٧٥٤ - لولا بنو مالك، والإل مرقبة ... ومالك فيهم الآلاء والشرف

أي: الحلف؛ وقال آخر: [المتقارب]

٢٧٥٥ - وجدناهم كاذبا إلهم ... وذو الإل والعهد لا يكذب

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٨١/٨

وقال آخر: [الرمل]

٢٧٥٦ - أفسد الناس خلوف خلفوا ... قطعوا الإل وأعراق الرحم

وفي حديث أم زرع بنت أبي زرع: «وفي الإل، كريم الخل، برود الظل» أي؛ وفي العهد.." (١)

"{ذلكم الله ربكم فاعبدوه} مبينا بذلك أن العبادة لا تصلح إلا له، وأنه هو المستحق لجميع العبادات، لأنه هو المنعم بجميع النعم التي ذكرها.

ثم قال: {أفلا تذكرون} دالا بذلك على وجوب التفكر في تلك الدلائل القاهرة الباهرة.

قوله تعالى: {إليه مرجعكم جميعا} الآية.

لما ذكر الدلائل الدالة على إثبات المبدأ، أردفه بما يدل على صحة القول بالمعاد فقوله «إليه مرجعكم» الرجع بمعنى الرجوع و «جميعها» نصب على الحال أي ذلك الرجوع يحصل حال الاجتماع وهذا يدل على أن المراد بالرجوع القيامة لا الموت.

وقوله: «وعد الله» منصوب على المصدر المؤكد؛ لأن معنى «إليه مرجعكم» : وعدكم بذلك.

وقوله: «حقا» مصدر آخر مؤكد لمعنى هذا الوعد، وناصبه مضمر، أي: أحق ذلك حقا.

وقيل: انتصب «حقا» ب «وعد» على تقدير «في» ، أي: وعد الله في حق، يعني على التشبيه بالظرف.

وقال الأخفش الصغير: التقدير: وقت حق؛ وأنشد: [الطويل]

٢٨٧١ - أحقا عباد الله أن لست ذاهبا ... ولا والجا إلا علي رقيب

«إنه يبدؤا» الجمهور على كسر الهمزة للاستئناف، وقرأ عبد الله، وابن القعقاع، والأعمش، وسهيل بن شعيب بفتحها، وفيها تأويلات:

أحدها: أن تكون فاعلا بما نصب «حقا» أي: حق بدء الخلق، ثم إعادته؛ كقوله: [الطويل]

٢٨٧٢ - أحقا عباد الله أن لست جائيا..... ... ...

البيت.

وهو مذهب الفراء، فإنه قال «والتقدير: يحق أنه يبدأ الخلق» .

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٥/١٠

والثاني: أنه منصوب بالفعل الذي نصب «وعد الله» ، أي: وعد الله تعالى بدء الخلق ثم إعادته، والمعنى: إعادة الخلق بعد بدئه.." (١)

"قال الزمخشري: فإن قلت: أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في «سوف تعلمون» ؟ .

قلت: إدخال الفاء وصل ظاهرة بحرف موضوع للوصل، ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا، وعملت أنت عما مكانتك؟ فقيل سوف تعلمون، فوصل تارة بالفاء، وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة، كما هو عادة البلغاء من العرب، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف «.

ثم قال: {وارتقبوا إني معكم رقيب} أي: وانتظروا العذاب إني معكم منتظر. والرقيب: بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم، أو بمعنى المراقب، أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمترفع.

قوله تعالى: {ولما جآء أمرنا} الآية.

قال الزمخشري: فإن قتل: ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو، والساقتان الوسطيان بالفاء؟ قلت: قد وقعت الوسيطان بعد ذكر الوعد، وذلك قوله: {إن موعدهم الصبح} [هود: ٨١] {ذلك وعد غير مكذوب} [هود: ٦٥] فجاء بالفاء التي للتسبب كما تقول:» وعدته فلما جاء المعياد كان كيت وكيت «، وأما الأخريان فلم تقعا بتلك المنزلة، وإنما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفها بحرف الجمع على ما قبلهما، كما تعطف قصة على قصة» .

قوله: {نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا} .

روى الكلبي عن ابن عباس قال: لم يعذب الله أمتين بعذاب واحد إلا قوم شعيب وقوم مصالح، فأما قوم صالح؛ فأخذتم الصحية من تحتهم، وقوم شعيب أخذتهم من فوقهم.

وقوله: {ولما جآء أمرنا} يحتمل أن يكون المراد منه، ولما جاء وقت أمرنا ملكا من الملائكة بتلك الصيحة، ويحتمل أن يكون المراد من الأمر العذاب، وعلى التدقرين فأخبر الله أنه نجى شعيبا ومن معه من المؤمنين.

وفي وله: {برحمة منا} وجهان:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٦١/١٠

الأول: أنه تعالى إنما خلصه من ذلك العذاب لمحض رحمته، تنبيها على أن كل ما يصل إلى العبد ليس إلا بفضل الله ورحمته.

والثاني: أن المراد من الرحمة الإيمان والطاعة وهي أيضا ما حصلت إلا بتوفيق الله.

ثم قال: {وأخذت الذين ظلموا الصيحة} وعرف «الصيحة» بالألف واللام إشارة إلى المعهود السابق وهي صيحة جبريل {فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيهآ} تقدم." (١)

"والثاني: أنها مصدر بمعنى البقوى قال الزمخشري ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى، أي: فهلا كان منهم ذوو إبقاء على أنفسهم، وصيانة لها من سخط الله وعقابه. والمعنى: فهلا كان منهم أولوا مراقبة وخشية من انتقام الله.

وقرأت فرقة «بقية» بتخفيف الياء، وهي اسم فاعل من بقي ك: شجية من شجي، والتقدير أولوا طائفة بقية أي: باقية وقرأ أبو جعفر وشيبة «بقية» بضم الفاء وسكون العين.

وقرئ «بقية» على المرة من المصدر. و «في الأرض» متعلق بالفساد، والمصدر المقترن ب «أل» يعمل المفاعيل الصريحة فكيف في الظروف؟ ويجوز أن يتعلق بمحذوف عل أنه حال من «الفساد» .

فصل

المعنى: فهلا «كان من القرون» التي أهلكناهم، «من قبلكم» أولوا تمييز وقيل: أولوا طاعة وقيل: أولوا خير، يقال: فلان على بقية من الخير إذا كان على خصلة محمودة. و «ينهون عن الفساد في الأرض» أي: يقومون بالنهي عن الفساد، ومعناه جحدا، أي: لم يكن فيهم أولو بقية.

قوله: {إلا قليلا} فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون استثناء منقطعا؛ وذلك أن يحمل التخضيض على حقيقته، وإذا حمل على حقيقته تعين أن يكون الاستثناء منقطعا لئلا يفسد المعنى.

قال الزمخشري: معناه: ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد، وسائرهم تاركون النهي ثم قال: فإن قلت: هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه؟ قلت: إن جعلته متصلا على ما هو عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا؛ لأنه يكون تحضيضا لأولي البقية على النهي عن الفساد إلا للقليل من الناجين منهم، كما تقول: هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم، تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٠/٥٥٥

القرآن. فيئول الكلام إلى أن الناجين لم يحضوا على النهي عن الفاسد، وهو معنى فاسد.

والثاني: أن يكون متصلا، وذلك بأن يؤول التحضيض على قراءة القرآن بمعنى النفي، فيصح ذلك؛ إلا أنه يؤدي إلى النصب غير الموجب، وإن كان غير النصب أولى.." (١)

"ثم قال تعالى: {وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم} .

وهذا تهديد ووعيد؛ لأنه تعالى لما بالغ في الإعذار والإنذار والترغيب والترهيب، أبتع ذلك بأن قال للرسول – صلوات الله وسلامه عليه – {وقل للذين لا يؤمنون} ولم تؤثر فيهم هذه البيانات البالغة: {اعملوا على مكانتكم إنا عاملون} وهذا عين ما حكاه عن شعيب – عليه السلام – أنه قال لقومه {وارتقبوا إني معكم رقيب} [هود: ٩٣] . والمعنى: افعلوا كل ما تقدرون عليه في حقي من الشر، فنحن أيضا عاملون.

وقوله: «اعملوا» وإن كان صيغته صيغة أمر، إلا أن المراد به التهديد، كقوله: {واستفزز من استطعت منهم بصوتك} [الإسراء: ٤] وكقوله: {فمن شآء فليؤمن ومن شآء فليكفر} [الكهف: ٢٩] «وانتظروا» ما يعدكم الشيطان من الخذلان ف «إنا منتظرون» ما وعدنا الرحمن من أنواع الغفران والإحسان، قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: «وانتظروا» اهلاك ف «إنا منتظرون» لكم العذاب وقيل: «انتظروا» ما يحل بنا من رحمة الله «إنا منتضرون» ما يحل بكم من نقمته.

ثم إنه تعالى ذكر خاتمة شريفة عالية جامعة لكل المطالب الشريفة فقال: {ولله غيب السماوات والأرض} [هود: ١٢٣] أي: علم ما غاب من العباد، أي: أن علمه نافذ في جمعي الكفليات والجزئيات، والمعدومات، والموجودات {وإليه يرجع الأمر كله} في المعاد.

قرأ نافع وحفص «يرجع» بضم الياء وفتح الجيم، أي: يرد. وقرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الجيم، أي: يعود الأمر كله إليه حتى لا يكون للخلق أمر {فاعبده وتوكل عليه} وثق به {وما ربك بغافل عما تعملون} قرأ نافع وابن عامر وحفص «تعملون» بالخطاب، لأن قبله «اعملوا» والباقون بالغيبة رجوعا على قوله: {للذين لا يؤمنون} وهذا الخلاف أيضا في آخر النمل.." (٢)

"جاء في عقبها ملائكة النهار، وإذا صعدت ملائكة النهار، جاء في عقبها ملائكة الليل.

لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٩٧/١٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦٠٤/١٠

وملائكة بالنهار يجتمعون عند صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتواة فيكم؛ فيسألهم وعو أعمل بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم، وهم يصلون، وأتيناهم، وهم يصلون» .

وقوله: {من بين يديه ومن خلفه} يعنى من قدام، هذا استخفى بالليل والسارب بالنهار، ومن وراء ظهره يحفظونه من أمر الله يعني بإذن الله ما لم يجيء القدر، فإذا جاء القدر خلوا عنه.

وقيل: يحفظونه مما أمر الله به من الحفظ عنه.

قال مجاهد: ما من عبد إلا وله ملك وكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس، والهوام.

وقيل: المراد بالآية الملكين القاعدين على اليمين، وعلى الشمال يكتبان الحسنات والسيئات «يحفظونه» أي يحفظون عليه، «من أمر الله» يعني الحسنات والسيئات قال الله تعالى:

{ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق. ١٨] .

وقال عبد الرحمن بن زيد: نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة، وكانت قصتهما على ماروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «أقبل عامر بن الطفيل، وأربد بن ربيعة، وهما عامريان يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه، فدخلا المسجد، فاستشرف الناس لجمال عامر، وكان أعور، وكان من أجمل الناس، فقال رجل: يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك فقال: دعه؛ فإن يرد الله به خيرا يهده، مفأقبل حتى قام عليه، فقال: يا محمد ما لي إن أسلمت؛ فقال صلى الله عليه وسلم : لك ما للمسلمين، وعليك ما على المسلمين، قال: تجعلي لي الأمر بن بعدك؛ قال: ليس ذلك إلي، إنما ذلك إلى الله عز وجل يجعله حيث يشاء، فقال: تجعلني على الوبر والمدر، قال: لا، قال: فما تجعلي لي؟ قال أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها قال: أوليس ذلك لي اليوم، قم معي أكلمك، فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر أوصى إلى أربد بن ربيعة: إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه، فاضربه بالسيف، فجعل يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه، فدار أربد من خلف النبي ليضربه، فاخترط من سيفه شبرا، ثمذ حبسه الله عز وجل عنده، فلم يقدر على سله،." (١)

"فالجواب من وجوه:

الأول: المراد به التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب إن كان غافلا، كقوله تعالى: {ولا تكونن من

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٦٩/١١

المشركين} [الأنعام: ١٤] {ولا تدع مع الله إلها آخر} [القصص: ٨٨] .

والثاني: المقصود منه بيان أنه لو لم ينتقم لكان عدم الانتقام لأجل غفلته عن ذلك الظالم، ولما كان امتناع هذه الغفلة معلوما للك أحد لا جرم كان عدم الانتقام محالا.

الثالث: أن المراد: ولا تحسبنه يعاملهم الله معاملة الغافل عما يعملون، ولكن معالمة الرقيب عليهم المحاسب على النقير، والقطمير.

الرابع: أن هذا الخطاب، وإن كان خطابا للنب صلى الله عليه وسلم في الظاهر إلا أنه خطاب مع الأمة.

قال سفيان بن عيينة رضي الله عنه: هذا تسلية للمظلوم، وتهديد للظالم.

قوله: {إنما يؤخرهم} أي: لأجل يوم، فاللام للعلة.

وقيل: بمعنى «إلى» أي: للغاية.

وقرأ العامة «يؤخرهم» بالياء، لتقدم اسم الله تعالى. وقرأ الحسن وا لسلمي، والأعرج، [وخلائق] رضي الله عنهم: «نؤخرهم» بنون العظمة.

ويروى عن أبي عمرو «نؤخرهم» بنون العظمة.

و «تشخص» صفلة ل «يوم» . ومعنى شخوص البصر حدة النظر، وعدم استقراره في مكانه، ويقال: شخص سمعه، وبصره، وأشخصهما صاحبهما، وشخص بصره، أي: لم يطرف جفنه، وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة، ويقال: شخص من بلده أي: بعد والشخص: سواد الإنسان المرئي من بعيد.

قوله: {مهطعين مقنعي رءوسهم} حالان من المضاف المحذوف إذا التقدير: أصحاب الأبصار، إذا يقال: شخس زيد بصره، أو تكون الأبصار دلت على أربابها فجاءت الحال من المدلول عليه، قالهما أبو البقاء.

وقيل: «مهطعين» منصوب بفعل مقدر، أي: تبصرهم مهطعين، ويجوز في «مقنعي» أن يكون حالا من الضمير في: «مهطعين» فيكون حالا، وإضافة: «مقنعي» غير حقيقة؛ فلذلك وقع حالا.

والإهطاع: قيل: الإسراع في المشي؛ قال: [البسيط]." (١)

"مع أصحابهم لا يمنعهم من ذلك مانع، ففي أول الأمر أحل الله من وقع في قلبه تفريغا لقلبه، وتوسعا لصدره لئلا يكون مشغول القلب بغير الله، ثم لما استأنس بالوحي نسخ ذلك إما لقوله عليه (الصلاة و) السلام الجمع بين الأمرين، وإما لأنه بدوام الإنزال لم يبق له مألوف من أمور الدنيا فلم يبق له التفات إلى

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٠٦/١١

غير الله فلم يبق له حاجة إلى إخلاء المتزوج بمن وقع بصره عليه.

قوله: {إلا ما ملكت} فيه أوجه:

أحدها: أنه مستثنى من النساء فيجوز فيه وجهان: النصب على أصل الاستثناء والرفع على البدل وهو المختار، والثالث: أنه مستثنى من «أزواج: قاله أبو البقاء، فيجوز أن يكون في موضع نصب على أصل الاستثناء، وأن يكون في موضع جر بدلا من» هن « (على) اللفظ، وأن يكون في موضع نصب بدلا من» هن «على المحل، وقال ابن عطية إن كانت (ما) مصدرية فهي في موضع نصب لأنه من غير الجنس وليس بجيد؛ لأنه قال بعد ذلك والتقدير: إلا ملك اليمين، و» ملك «بمعنى مملوك انتهى. وإذا كان بمعنى مملوك صار من الجنس وإذا صار من الجنس لم يكن منقطعا على أنه على تقدير انقطاعه لا يتحتم نصبه، بل يجوز عند تميم الرفع بدلا والنصب على الأل كالمتصل بشرط صحة توجه العامل إليه كما تقدم تحقيقه، وهذا يمكن توجه العامل إليه، ولكن اللغة المشهورة لغة الحجاز وهو لزوم النصب في المنقطع مطلقا، كما ذكره أبو محمد آنفا.

فصل

قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مارية، و {وكان الله على كل شيء رقيبا} حافظا عالما بكل شيء قادرا عليه، وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من." (١)

"فوالله لئن قدر الله عليه ليعدبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فلما مات فعلوا ما أمرهم فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال له: لم فعلت هذا قال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم فغفر له» . وعن ضمضم بن حوش (ب) قال: دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ فقال: يا يماني تعضال وما أعرفه فقال: لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك أبدا ولا يدخلك الجنة قلت: ومن أنت يرحمك الله؟ قال: أبو هريرة قال فقلت إن هذه الكملة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو زوجه أو لخادمه قال: فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين أحدهما مجتهد في العبادة والآخرة كأنه يقول: مذنب فجعل يقول أقصر عما أنت فيه قال: فيقول خلني وربي قال: حتى وجده يوما على ذنب استعظمه فقال أقصر فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال: والله لا يغفر لك الله أبدا ول يدخلك الجنة أبدا قال: فبعث الله إليهما ملكا فقبض أرواحها فاجتمعا عنده فقال للمذنب

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٧٧/١٥

ادخل الجنة برحمتي وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي؟ فقال: لا يا رب فقال: اذهبوا به إلى النار» قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده ل (قد) تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

قوله عز وجل: {إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم} .

قوله: {ياعبادي} قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم يا عبادي بفتح الياء، والباقون وعاصم – في بعض الروايات – بغير فتح، وكلهم يقفون عليها بإثبات الياء؛ لأنها ثابتة في المصحف إلا في بعض رواية أبي بكر عن عاصم أنه يقف بغير ياء.

قوله: {لا تقنطوا} قرأ أبو عمرو والكسائي بكسرالنون، والباقون بفتحها، وهما لغتان، قال الزمخشري: وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود «يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء» .

قوله: {وأنيبوا إلى ربكم} قال الزمخشري أي توبوا إليه «وأسلموا له» أي وأخلصوا." (١)

"الأول: أنه عام مخصوص بآية المؤمن كما تقدم.

الثاني: أن قوله {لمن في الأرض} لا يفيد العموم؛ لأنه (لا) يصح أن يقال: إنهم استغفروا لكل من في الأرض وأن يقال: إنهم استغفروا لبعض من في الأرض دون البعض ولو كان صريحا في العموم لما صح ذلك.

الثالث: يجوم أن يكون المراد من الاستغفار أنه لا يعاجلهم بالعقاب، كما في قوله تعالى: {إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا} [فاطر: ٤١] إلى أن قال: {إنه كان حليما غفورا} [فاطر: ٤١] .

الرابع: يجوز أن يقال: إنهم يستغفرون لكل من في الأرض، أما في حق الكفار فبطلب الإيمان لهم وأما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم فإنا نقول: اللهم أهدش الكفار، وزين قلوبهم بنور الإيمان وأزل عن خواطرهم وحشة الكفر، وهذا استغفار لهم في الحقيقة.

فصل

قال ابن الخطيب: قوله: «ويستغفرون لمن في الأرض» يدل على أنهم لا يستغفرون لأنفسهم ولو وجد منهم معصية لا ستغفروا لأنفسهم قبل استغفارهم لمن في الأرض، فحيث لم يذكر الله عز وجل استغفارهم لأنفسهم علمنا أنهم مبرأون عن كل الذنوب والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لهم ذنوب، والذين لا ذنب لهم ألبتة أفضل ممن له ذنب، وأيضا فقثوله: «ويستغفرون لمن في الأرض» يدعل على أنهم يستغفرون للأنبياء

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٣٠/١٦

عليه الصلاة والسلام لأنهم من جملة من في الأرض، وإذال كانوا مستغفرين للأنبياء عليه الصلاة والسلام كان الظاهر أنهم أفضل منهم. ثم قال تعالى: {ألا إن الله هو الغفور الرحيم} وهذا تنبيه على أن الملائكة وإن كانوا يستغفرون للبشر، إلا أن المغفرة المطلقة لله تعالى وهذا يدل على أنه تعالى يعطي المغفرة التي طلبوها ويضم إليها الرحمة.

قوله: {والذين اتخذوا من دونه أوليآء} أي جعلوا له شركاء وأندادا الله حفيظ عليهم أي **رقيب** عليهم ويحفظ أعمالهم، وأقوالهم ويحصيها ليجازيهم بها، {ومآ أنت عليهم} يا محمد «بوكيل» أي لم يوكدك بهم ولا أمرهمه إليك إنما أنت منذر.

قوله تعالى: {وكذلك أوحينآ إليك قرآنا عربيا} في قرآنا وجهان:

أظهرهما: أنه مفعول أوحينا، والكاف للمصدر نعتا أو حالا.." (١)

"يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه.

قوله: {عن اليمين وعن الشمال} أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات. وقوله: «قعيد» أي قاعد، فيجوز أن يكون مفردا على بابه، فيكون بمعنى مقاعد كخليط بمعنى مخالط. وفيه لطيفة، وهي أن الله تعالى قال: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد المخالط لأجزائه الداخل في أعضائه والملك متنح عنه فيكون علمنا به أكمل من علم الكاتب، أو يكون عدل من فاعل إلى فعيل مبالغة كعليم. وجوز الكوفيون أن يكون فعيل واقعا موقع الاثنين أراد قعودا كالرسوب يجعل للاثنين والجمع كما قال تعالى في الاثنين: {فقولا إنا رسول رب العالمين} [الشعراء: ١٦] . وقال المبرد: الأصل: عن اليمين قعيد وعن الشمال، فأخر عن موضعه، وهذا لا ينحي من وقوع المفرد موقع المثنى، والأجود أن يدعى حذف إما من الأول أي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، وإما من الثاني فيكون قعيد الملفوظ به للأول.

ومثله قوله:

٤٥١١ - رماني بأمر كنت منه ووالدي ... بريئا ومن أجل الطوي رماني

قال المفسرون: أراد بالقعيد اللازم الذي لا يبرح لا القائم الذي هو عند القائم. وقال مجاهد: القعيد: الرصيد.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٦٧/١٧

قوله: {ما يلفظ من قول} أي ما يتكلم من كلام فيلقيه أي يرميه من فيه {إلا لديه رقيب عتيد} حافظ حاضر. وقرأ العامة «يلفظ» بكسر الفاء. ومحمد بن (أبي) معدان بفتحها. و «رقيب عتيد» قيل: هو بمعنى رقيبان عتيدان أينما كان. قال الحسن (رضي الله عنه) إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالتين عند غائطه، وعند جماعه. وقال مجاهد: يكتبان عليه حتى أنينه في مرضه، وقال عكرمة: لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه." (١)

"والحارس: الحافظ الرقيب، والمصدر الحراسة، و «شديدا» صفة ل «حرس» على اللفظ؛ كقوله: [الرجز]

٤٨٩٧ - أخشى رجيلا أو ركيبا عاديا ... ولو جاء على المعنى لقيل: «شداد» بالجمع، لأن المعنى: ملئت ملائكة شداد، كقولك السلف الصالح، يعني: الصالحين.

قال القرطبي: «ويجوز أن يكون حرسا مصدرا على معنى: حرست حراسة شديدة» .

قوله: «وشهبا» . جمع «شهاب» ك «كتاب وكتب» .

وقيل: المراد النجوم، أو الحرس أنفسهم، وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراقة السمع، وقد تقدم في سورة «الحجر، والصافات» .

وإنما عطف بعض الصفات على بعض عند تغاير اللفظ، كقوله: [الطويل]

٤٨٩٨ - ... ... وهند أتى من دونها النأي والبعد

وقرأ الأعرج: «مليت» بياء صريحة دون همزة.

قوله: {وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع} ، المقاعد: جمع «مقعد» اسم مكان، والضمير في «منها» ، أي: من السماء، والمقاعد مواضع يقعد في مثلها لاستماع الأخبار من السماء، وذلك أن مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء فيلقوها إلى الكهنة فحرسها الله - تعالى - حين بعث رسوله بالشهب المحرقة، فقالت الجن حينئذ: {فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا} يعني بالشهاب الكواكب المحرقة.

قوله «الآن» . هو ظرف حالي، واستعير هنا للاستقبال، كقوله الشاعر: [الوافر]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٦/١٨

٤٨٩٩ - ... ... سأسعى الآن إذ بلغت إناها

فاقترن بحرف التنفيس، وقد تقدم هذا في البقرة عند قوله: «فالآن باشروهن» .." (١)

"تكذبون بيوم الدين وهو يوم الحساب والجزاء، وملائكة الله - تعالى - موكلون بكم، يكتبون أعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيامة، ونظيره: قوله تعالى: {عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٧، ١٨] وقوله تعالى: {وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة} [الأنعام: ٦١] .

فصل في الرد على من طعن في حضور الكرام الكاتبين

قال ابن الخطيب: من الناس من طعن في حضور الكرام الكاتبين من وجوه:

الأول: لو كان الحفظة، وصحفهم وأقلامهم معنا، ونحن لا نراهم لجاز أن يكون بحضرتنا جبال، وأشخاص لا نراهم، وذلك دخول في الجهالات.

والثاني: هذه الكتابة، والضبط إن كان لا لفائدة فهو عبث، وهو غير جائز على الله تعالى، وإن كان لفائدة، فلا بد وأن تكون للعبد؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - متعال عن النفع والضر، وعن تطرق النسيان إليه، وغاية ذلك أنه حجة على الناس وتشديد عليهم لإقامة الحجة، ولكن هذا ضعيف؛ لأن من علم أن الله تعالى لا يجور، ولا يظلم، لا يحتاج في حقه إلى إثبات هذه الحجة، والذي لا يعلم لا ينتفع بهذه الحجة، لاحتمال أنه تعالى أمرهم بذلك ظلما.

الثالث: أن أفعال القلوب غير مرئية، فهي من باب المغيبات، والله - تعالى - مختص بعلم الغيب، فلا تكتبوها، والآية تقتضي ذلك.

والجواب عن الأول: أن البنية عندنا ليست شرطا في قبول الحياة؛ ولأن عند سلامة الأعضاء، وحصول جميع الشرائط لا يجب الإدراك، فيجوز على الأول: أن يكونوا أجراما لطيفة، تتمزق، وتبقى حياتها ذلك، وعلى الثاني: يجوز أن يكونوا أجراما كثيفة، ونحن لا نراهم.

وعن الثاني: أن الله - تعالى - أجرى أموره على عباده على ما يتعارفونه في الدنيا فيما بينهم؛ لأن ذلك أبلغ في تقرير المعنى عندهم في إخراج كتاب، وشهود في إلزام الحجة، كما يشهد العدول عند الحاكم على القضاة.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩/٤١٩

وعن الثالث: أن ذلك مخصوص بأفعال الجوارح، فهو عام مخصوص، وفي مدح الحفظة، ووصفهم بهذه الصفات تعظيم لأمر الجزاء، وأنه من جلائل الأمور.

فصل في عموم الخطاب

هذا الخطاب وإن كان خطاب مشافهة إلا أن الأمة أجمعت على عموم هذا الحكم في حق المكلفين.

وقوله تعالى: {لحافظين} : جمع يحتمل أن يكونوا حافظين لجميع بني آدم، من غير أن." (١)

"والسلام : «إذا علمت مثل الشمس فاشهد» والشيء الذي أخبر الله تعالى عنه فهو معلوم مثل الشمس، فوجب جواز الشهادة عليه.

والثاني: قالوا معنى الآية: لتشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا الحق فيها، قال ابن زيد رحمه الله تعالى: الأشهاد الأربعة: الملائكة الموكلون بإثبات أعمال العباد، قال تعالى: {وجآءت كل نفس معها سآئق وشهيد} [ق: ٢١] .

وقال: {ما يلفظ من قول إلا لديه **رقيب** عتيد} [ق: ١٨] وقال: {وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون} [الانفطار: ١٠ - ١٢] .

وثانيها: شهادة الأنبياء، وهو المراد بقوله حاكيا عن عيسى عليه الصلاة والسلام : {وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد} [المائدة: ١١٧] .

وقال تعالى في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأمته في هذه الآية: {لتكونوا شهدآء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} .

وقال في حق - محمد صلى الله عليه وسلم : {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} [النساء: ٤١] .

وثالثها: شهادة أمة محمد - عليه الصلاة والسلام - قال تعالى: {وجيء بالنبيين والشهدآء} [الزمر: ٦٩] .

وقال تعالى: {ويوم يقوم الأشهاد} [غافر: ٥١] .

ورابعها: شهادة الجوارح، وهي بمنزلة الإقرار، بل أعجب منه.

قال تعالى: {يوم تشهد عليهم ألسنتهم} [النور: ٢٤] . الآية، وقال: {اليوم نختم على أفواههم} [يس:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٠١/٢٠

٦٥] الآية.
القول الثاني: أن أداء هذه الشهادة إنما يكون في الدنيا، وتقديره أن الشهاة والمشاهدة والشهود هو الرؤية يقال: شاهدت كذا إذا رأيته وأبصرته.
ولما كان بين الإبصار بالعين وبين المعرفة بالقلب مناسبة شديدة، لا جرم قد تسمى المعرفة التي في القلب: مشاهدة وشهودا، والعارف بالشيء: شاهدا ومشاهدا، ثم سميت الدلائل على الشيء: شاهدا على الشيء، لأنها هي التي بها صار الشاهد شاهدا، ولما كان المخبر عن الشيء والمبين لحاله جاريا مجرى الدليل على ذلك سمي ذلك المخبر أيضا شاهدا، ثم اختص هذا اللفظ في عرف الشرع بمن يخبر عن حقوق الناس بألفاظ مخصوصة على جهات مخصوصة. إذا ثبت هذا فنقول: إن كل من عرف حال شيء وكشف عنه كان شاهدا عليه، والله سحبانه وتعالى وصف هذه الأمة بالشهادة، فهذه الشهادة: إما أن تكون في الآخرة، أو الدنيا، ولا جائز أن تكون في الآخرة؛ لأن الله -." (١)
"فصل.
من جعل الآية الكريمة في غير الزكاة، أدخل في هذه الآية المسلم والكافر، روى الحسن بن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: «للسائل حق، ولو جاء على فرس» ، وقال تعالى: {وفي أموالهم حق للسآئل والمحروم} [الذاريات: ١٩] .
الأمر الثالث في تحقيق مسمى البرن قوله: {وأقام الصلاة وآتى الزكاة} وقد تقدم: قوله {وفي الرقاب} متعلق ب «آتى» وفيه وجهان:
أحدهما: أن يكون ضمن «آتى» معنى فعل يتعدى لواحد؛ كأنه قال: وضع المال في الرقاب.
والثاني: أن يكون مفعول «آتى» الثاني محذوفا، أي: آتى المال أصحاب الرقاب في فكها، أو تخليصها؛ فإن المراد بهم المكاتبون، أو الأسارى، أو الأرقاء يشترون، فيعتقون، وكل قد قيل به.
والرقاب: جمع «رقبة» ، وهي من مؤخر أصل العنق، واشتقاقها من «**المراقبة**» ؛ وذلك أن مكانها من البدن مكان **الرقيب** المشرف على القوم؛ وبهذا المعنى: يقال: »أعتق الله رقبته» ، ولا يقال: «أعتق الله عنقه» ؛ لأنها لما سميت رقبة؛ كأنها تراقب العذاب، ومن هذا يقال للتي لا يعيش ولدها «رقوب» ؛ لأجل **مراقبة** موت ولدها.

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨/٣

قوله: {وأقام الصلاة} عطف على صلة «من» ، وهي: «آمن، وآتى» وإنما قدم الإيمان، لأنه رأس الأعمال الدينية، وثنى بإيتاء المال؛ لأنه أجل شيء عند العرب، وبه يمتدحون، ويفتخرون بفك العاني: وقرى الضيفان، ينطق بذلك نظمهم ونثرهم.

قوله {والموفون بعهدهم ... } في رفعة ثلاثة أوجه:

أحدها: ذكره الزمخشري: أنه عطف على «من آمن» أي: ولكن البر المؤمنون والموفون.

والثاني: أن يرتفع على خبر مبتدأ محذوف، أي: هم الموفون، وعلى هذين الوجهين: فنصب الصابرين على المدح؛ بإضمار فعل، وهو في المعنى عطف على «من آمن» ، ولكن لما تكررت الصفات، خولف بين وجوه الإعراب.

قال الفارسي: وهو أبلغ؛ لأن الكلام يصير مشتملا على جمل متعددة، بخلاف اتفاق الإعراب؛ فإنه يكون جملة واحدة، وليس فيها من المبالغة ما الجمل المتعددة.

وقال أبو عبيدة: ومن شأن العرب، إذا طال الكلام: أن يغيروا الإعراب والنسق؛ كقوله تعالى في سورة النساء: {والمقيمين الصلاة} [النساء: ١٦٢] وفي المائدة: {والصابئون} [المائدة: ٦٩] وقال الفراء: إنما رفع «الموفون» ، ونصب «الصابرين» ؛." (١)

"هداكم ولعلكم تشكرون} [البقرة: ١٨٥] فأمر العبد بالتكبير الذي هو الذكر وبالشكر، أعلم العبد أنه سبحانه بلطفه ورحمته قريب من العبد مطلع على ذكره وشكره، فيسمع نداءه ويجيب دعاءه.

الثاني: أنه أمره بالتكبير أولا، ثم رغبه في الدعاء ثانيا تنبيها على أن الدعاء لا بد وأن يكون مسبوقا بالثناء الجميل؛ ألا ترى أن الخليل - عليه السلام - لما أراد الدعاء قدم أولا الثناء؛ فقال: {الذي خلقني فهو يهدين} [الشعراء: ٧٨] إلى قوله: {والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين} [الشعراء: ٨٢] فلما فرغ من هذا الثناء، شرع في الدعاء، فقال: {رب هب لي حكما} [الشعراء: ٨٣] فكذا هاهنا.

الثالث: أنه لما فرض عليهم الصيام، كما فرض على الذين من قبلهم؛ وكانوا إذا ناموا، حرم عليهم ما حرم على الصائم، فشق ذلك على بعضهم؛ حتى عصوا في ذلك التكليف، ثم ندموا وسألوا النبي - صلى الله عليه وسلم - عن توبتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة مخبرا لهم بقبول توبتهم، وبنسخ ذلك التشديد؛ بسب دعائهم وتضرعهم.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٠٩/٣

فصل في بيان سبب النزول

ذكر في سبب نزول هذه الآية الكريمة وجوه:

أحدها: ما قدمناه.

الثاني: قال ابن عباس: إن يهود المدينة قالوا: يا محمد، كيف يسمع ربك دعاءنا، وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام، وأن غلظ كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت الآية الكريمة

الثالث: قال الضحاك: إن أعربيا سأل النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: أرقيب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى الآية.

الرابع: أنه – عليه الصلاة والسلام – كان في غزاة خيبر، وقد رفع أصحابه أصواتهم بالتكبير والتهليل والدعاء، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم اربعون على أنفسكم فإنما لا تدعون أصم ولا غائبا، إنما تدعون سمعيا قريبا وهو معكم.." (١)

"ذهب نصفه، فهو حلال، ولكنه يكره، وإن طبخ، حتى يذهب ثلثاه قالوا: هو حلال مباح شربه إلا أن السكر منه حرام.

وقال قوم: إذا طبخ صار العصير أدنى طبخ، صار حلالا، وهو قول إسماعيل بن عليه، وذهب أكثر أهل العلم إلى أن كل شراب أسكر كثيره، فهو خمر قليله حرام يحد شاربه، وقد تقدم ما أجابوا به.

والميسر: القمار، مفعل من اليسر، يقال: يسر ييسر؛ قال علقمة: [البسيط]

١٠٦٨ – لو ييسرون بخيل قد يسرت بها ... وكل ما يسر الأقوام مغروم

وقال آخر: [الطويل]

١٠٦٩ – أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ... ألم تيئسوا أني ابن فارس زهدم

وفي اشتقاقه أربعة أقوال:

أحدها: من اليسر وهو السهولة؛ لأن أخذه سهل من غير كدر ولا تعب قاله مقاتل.

والثاني: من اليسار، وهو الغنى؛ لأنه يسلبه يساره.

قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه؛ ذهب بأهله، وماله، فنزلت الآية.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٩٣/٣

الثالث: قال الواحدي: إنه من قولهم: يسر لي هذا الشيء ييسر يسرا وميسرا، إذا وجب، والياسر الواجب بسبب القداح. وحكاه الطبري عن مجاهدس، ورد ابن عطية عليه.

الرابع: من يسر إذا جزر، والياسر الجازر، وهو الذي يجزئ الجزور أجزاء. قال ابن عطية: وسميت الجزور التي يستهم عليها ميسرا؛ لأنها موضع اليسر، ثم سميت السهام ميسرا للمجاورة «واليسر: الذي يدخل في الضرب بالقداح، ويجمع على أيسار، وقيل: بل» يسر «مع ياسر كحارس وحرس وأحراس.

وللميسر كيفية، وتسمى سهامه القداح والأزلام والأقلام. وقيل: هي عشرة أقداح، وقيل: أحد عشر، لسبعة منها حظوظ، وعلى كل منها خطوط، فالخط يقدر الحظ، وتلك القداح هي: الفذ وله سهم واحد، والتوءم وله اثنان، **والرقيب** وله ثلاثة، والحلس." (١)

"باللسان لا الإعلام بما في النفس، فحقيقة هذا الاستثناء، منقطع، ثم قال: وذهب الفقهاء إلى أن الإشارة ونحوها في حكم الكلام في الأيمان ونحوها؛ فعلى هذا يجيء الاستثناء متصلا» .

والوجه الثاني: أنه متصل؛ لأن الكلام لغة يطلق بإزاء معان: الرمز والإشارة من جملتها.

أنشدوا: [الطويل]

١٤٤٧ - إذا كلمتني بالعيون الفواتر ... رددت عليها بالدموع البوادر

وقال آخر: [الطويل]

١٤٤٨ - أرادت كلاما فاتقت من **رقيبها** ... فلم يك إلا ومؤها بالحواجب

وهو مستعمل، قال حبيب: [البسيط]

١٤٤٩ - كلمته بجفون غير ناطقة ... فكان من رده ما قال حاجبه

وبهذا الوجه بدأ الزمخشري مختارا له، قال: «لما أدى مؤدى الكلام، وفهم منه ما يفهم سمي كلاما، ويجوز أن يكون استثناء منقطعا» .

والرمز: الإشارة والإيماء بعين، أو حاجب أو يد - ذكر بعض المفسرين أن إشارته كانت بالمسبحة ومنه قيل للفاجرة: الرمازة، والرمازة، وفي الحديث: «نهى عن كسب الرمازة» ، يقال منه: رمزت ترمز وترمز - بضم العين وكسرها في المضارع.

وأصل الرمز: التحرك، يقال: رمز وارتمز أي: تحرك، ومنه قيل للبحر: الراموز، لتحركه واضطرابه.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤/٣٤

وقال الراغب: «الرمز: الإشارة بالشفة والصوت الخفي، والغمز بالحاجب. وما ارماز: أي ما تكلم رمزا، وكتيبه رمازة: أي: لم يسمع منها إلا رمزا؛ لكثرتها» .

ويؤيد كونه الصوت الخفي - على ما قاله الراغب - أنه كان ممنوعا من رفع الصوت.

قال الفراء: «قد يكون الرمز باللسان من غي أن يتبين، وهو الصوت الخفي، شبه الهمس» .." (١)

"قال بعض المفسرين: «ابتدأ الله سبحانه وتعالى هذه السورة بالعطف على النساء والأيتام، ذكر فيها أحكاما كثيرة، وبذلك ختمها، ولما كانت هذه التكاليف شاقة على النفوس والطباع، افتتحها بالأمر بالتقوى المشتملة على كل خير» .

فصل

روى الواحدي عن ابن عباس في قوله: {ياأيها الناس} أن هذا الخطاب لأهل مكة.

ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونسآء واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا

وأما الأصوليون من المفسرين فاتفقوا على أن الخطاب عام لجميع المكلفين، وهذا هو الأصح؛ لأن لفظ الناس جمع دخله الألف واللام فيفيد الاستغراق، ولأنه علل الأمر بالاتقاء لكونه تعالى خالق لهم من نفس واحدة، وهذه العلة موجودة في جميع المكلفين.

وأيضا فالتكليف بالتقوى غير مختص بأهل مكة، بل هو عام، وإذا كان لفظ الناس عاما، والمر بالتقوى عاما، وعلة هذا التكليف عامة، فلا وجه للتخصيص، وحجة ابن عباس أن قوله: {واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام} [النساء: ١] مختص بالعرب؛ لأن المناشدة بالله وبالرحم عادة مختصة بهم، فيقولون: «أسألك بالله وبالرحم، أنشدك الله والرحم» ، وإذا كان كذلك، كان قوله: {واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام} [النساء: ١] ، مختصا بالعرب، فيكون قوله: {ياأيها الناس} مختصا بهم، لأن الخطابين متوجهان إلى مخاطب واحد.

ويمكن الجواب عنه بأن خصوص آخر الآية لا يمنع من عموم الآية.

فصل

اعلم أنه تعالى جعل الافتتاح لسورتين في القرآن:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٢١٠

أحدهما: هذه وهي السورة الرابعة من النصف الأول من القرآن، وعلل الأمر بالتقوى فيهما بما يدل على معرفة المبدأ بأنه خلق الخلق من نفس واحدة، وهذا يدل على كمال قدرة الخالق وكمال علمه وحكمته.." (١)

"في قوله تعالى: {وكفر به والمسجد الحرام} [البقرة: ٢١٧] وقد طعن جماعة في هذه القراءة، كالزجاج وغيره، حتى يحكى عن الفراء الذي مذهبه جواز ذلك أنه قال: حدثني شريك بن عبد الله عن الأعمش عن إبراهيم، قال: {والأرحام} بخفض [الأرحام] هو كقولهم: «أسألك بالله والرحم» قال: «وهذا قبيح؛ لأن العرب لا ترد مخفوضا على مخفوض قد كني به، وضعفه بعضهم بأنه عطف للمظهر على الضمير، وهو لا يجوز.

قال ابن عيس: إنهم لم يستحسنوا عطف المظهر على الضمير المرفوع، فلا يجوز أن يقال:» اذهب وزيد «و» ذهبت وزيدا «، بل يقولون: اذهب أنت وزيد وذهبت أنا وزيد، قال تعالى: {فاذهب أنت وربك} [المائدة: ٢٤] مع أن الضمير المرفوع قد ينفصل، فإذا لم يجز عطف المظهر على الضمير المرفوع مع أنه أقوى من الضمير المجرور، بسبب أنه قد ينفصل؛ فلأن لا يجوز عطف المظهر على الضمير المجرور، مع أنه [لا] ينفصل ألبتة أولى.

والثاني: أنه ليس معطوفا على الضمير المجرور، بل الواو للقسم وهو خفض بحرف القسم مقسم به، وجواب القسم {إن الله كان عليكم رقيبا} وضعف هذا بوجهين:

أحدهما: أن قراءتي النصب وإظهار حرف الجر في ب» الأرحام «يمنعان من ذلك، والأصل توافق القراءات.

والثاني: أنه نهي أن يحلف بغير الله تعالى، والأحاديث مصرحة بذلك.." (٢)

"وحمزة بالرتبة السنية المانعة له من نقل قراءة ضعيفة.

قال بن الخطيب:» والعجب من هؤلاء [النحاة] أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين، ولا يستحسنوها بقراءة حمزة ومجاهد، مع أنهما كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن «.

وقرأ عبد الله أيضا» والأرحام «رفعا على الابتداء، والخبر محذوف فقدره ابن عطية: أهل أن توصل، وقدره الزمخشري:» والأرحام مما يتقي «أو» مما يتساءل به «.

وهذا أحسن للدلالة اللفظية، والمعنوية، بخلاف الأول فإنه للدلالة المعنوية فقط، وقدره أبو البقاء: والأرحام

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦/١٣٩

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦/١٤٥

محترمة، أي: واجب حرمتها.

فإن قيل: ما فائدة هذا التكرير في قوله أولا:» اتقوا الله الذي خلقكم «. ثم قال بعده:» واتقوا الله «.

فالجواب فائدته من وجوه:

الأول: فائدته تأكيد الأمر والحث عليه.

والثاني: أن الأمر الأول عام في التقوى بناء على الترتيب. والأمر الثاني خاص فيما يلتمس البعض من البعض، ويقع التساؤل به.

الثالث: قوله أولا: {اتقوا ربكم} ولفظ» الرب «يدل على التربية والإحسان، وقوله ثانيا {واتقوا الله} ولفظ» الإله «يدل على الغلبة والقهر، فالأمر الأول بالتقوى بناء على الترغيب، والأمر الثاني يدل على الترهيب، فكأنه قيل: اتق الله إنه رباك، وأحسن إليك، واتق مخالفته؛ لأنه شديد العقاب عظيم السطوة.

وقوله تعالى: {إن الله كان عليكم **رقيبا**} .

جار مجرى التعليل **والرقيب**: فعيل للمبالغة من رقب يرقب رقبا، ورقوبا، ورقبانا." [(١)]

"إذا أحد النظر [لأمر يريد تحقيقه] ، **والرقيب** هو المراقب الذي يحفظ جميع أفعالك، واستعماله في صفات الله تعالى بمعنى الحفيظ قال: [مجزوء الكامل]

١٧٣٠ - كمقاعد الرقباء للض ... ضرباء أيديهم نواهد

وقال: [الكامل]

١٧٣١ - ومع الحبيب بها لقد نلت المنى ... لي عقله الحساد والرقباء

والمرقب: المكان العالي المشرف يقف عليه **الرقيب**، **والرقيب** أيضا [ضرب] من الحيات، **والرقيب** السهم الثالث من سهام الميسر، وقد تقدمت من البقرة، والارتقاب: الانتظار.

فصل

دلت الآية على تعظيم حق الرحم وتأكيد النهي عن قطعه.

قال تعالى: {فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم} [محمد: ٢٢] .

وقال تعالى: {لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة} [التوبة: ١٠] قيل: إن الإل القرابة، قال: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا} [الإسراء: ٢٣] وقال عليه السلام: قال الله تعالى: «أنا الرحمن وهي

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦/١٤٧

الرحم اشتققت لها اسما من اسمي، من وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته» .

فصل

قال القرطبي: الرحم: اسم لكافة الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره. وأبو حنيفة يعتبر الرحم المحرم في منع الرجوع في الهبة، ويجوز الرجوع في حق بني الأعمام، مع أن القطيعة موجودة، والقرابة حاصلة ولذلك تعلق بها الإرث، والولاية، وغيرهما من الأحكام، فاعتبار المحرم زيادة على نص القرآن من غير دليل، وهم يرون ذلك [نسخا] ، سيما وفيه إشارة بالتعليل إلى القطيعة قد جوزها في حق بني الأعمام، وبني الأخوال والخالات.

فصل

أجمعت الأمة على أن صلة الرحم واجبة، وأن قطيعتها محرمة، وقد صح أن." (١)

"وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أحبني فقد أحب الله» فقال بعض المنافقين: ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه ربا؛ كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم ربا؛ فأنزل الله - عز وجل -: «من يطع الرسول» فيما أمره [الله] «فقد أطاع الله» ، «ومن تولى» : عن طاعته «فما أرسلناك» يا محمد «عليهم حفيظا» أي: حافظا ورقيبا، بل كل أمورهم إلى الله - تعالى -، ولا تغتم بسبب توليهم ولا تحزن، والمراد: تسلية الرسول - عليه الصلاة والسلام -.

قيل: نسخ الله - عز وجل - هذه الآية بآية السيف، وأمره بقتال من خالف الله ورسوله.

قوله: «حفيظا» : حال من كاف «أرسلناك» و «عليهم» متعلق ب «حفيظا» ، وأجاز فيه أبو البقاء ما تقدم في «للناس» .." (٢)

"الغراب} . فإن قيل: لفظ الندم وضع للزوم، ومنه سمي النديم نديما لأنه يلازم المجلس.

فالجواب أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: {الندم توبة} وأجابوا عنه بوجوه:

أحدها: أنه لما تعلم الدفن من الغراب صار من [النادمين على كونه حمله على ظهره سنة.

وثانيها: أنه صار من النادمين] ؛ لأنه لم ينتفع بقتله، وسخط عليه بسببه أبواه وإخوته، وكان ندمه لهذه الأسباب لا لكونه معصية.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٤٨/٦

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥١٦/٦

وثالثها: أن ندمه كان لأجل تركه بالعراء استخفافا به بعد قتله، لأن الغراب لما قتل الغراب ودفنه، ندم على قساوة قلبه، وقال: هذا أخي وشقيقي ومن لحمه مختلط بدمي، فإذا ظهرت الشفقة من الغراب ولم تظهر مني على أخي، كنت دون الغراب في الرحمة والشفقة والأخلاق الحميدة، فكان ندمه لهذه الأسباب، لا للخوف من الله – تعالى –، فلذلك لم ينفعه الندم.

قال المطلب بن عبد الله بن حنطب: لما قتل ابن آدم أخاه، وجفت الأرض سبعة أيام بما عليها، ثم شربت الأرض دمه كما تشرب الماء، فناداه [آدم] : أين أخوك هابيل؟ قال: ما أدري ما كنت عليه رقيبا.

فقال آدم: إن دم أخيك ليناديني من الأرض. فلم قتلت أخاك؟ قال: فأين دمه إن كنت قتلته؟ فحرم الله – عز وجل – على الأرض أن تشرب بعده [دما] أبدا، وقيل لقابيل: اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه، فأخذ بيد أخته «إقليما» وهرب بها إلى اليمن، فأتاه إبليس فقال له: إنما أكلت النار قربان أخيك هابيل؛ لأنه كان يعبد النار فانصب النار أنت أيضا نارا، وهو أول من عبد النار قال مجاهد: فعلقت إحدى رجلي قابيل إلى فخذها وساقها، وعلقت من يومئذ إلى يوم القيامة، ووجهه إلى الشمس حيث ما دارت عليه، في الصيف حظيرة من نار، وفي الشتاء حظيرة من ثلج، واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو، وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش، حتى غرقهم الله بالطوفان أيام نوح – عليه السلام – وبقي نسل شيث.." (١)

"وجوز أبو حيان: أن تكون للعهد؛ إذ المراد نوع معلوم من الكتاب، لا كل ما يقع عليه هذا الاسم، والفرق بين الوجهين أن الأول يحتاج إلى حذف [صفة] أي: من الكتاب الإلهي، وفي الثاني لا يحتاج إلى ذلك؛ لأن العهد في الاسم يتضمنه بجميع صفاته.

قوله تعالى: «ومهيمنا» الجمهور على كسر الميم الثانية، اسم فاعل، وهو حال من «الكتاب» الأول لعطفه على الحال منه وهو «مصدقا» ، ويجوز في «مصدقا» و «مهيمنا» أن يكونا حالين من كاف «إليك» ، وسيأتي تحقيق ذلك عند قراءة مجاهد رحمه الله.

«وعليه» متعلق ب «مهيمن» .

و «المهيمن» : الرقيب قال حسان: [الكامل]

١٩٧١ – إن الكتاب مهيمن لنبينا ... والحق يعرفه ذوو الألباب

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٩٧/٧

والحافظ أيضا قال: [الطويل]

١٩٧٢ - مليك على عرش السماء مهيمن ... لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - «شاهدا» وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والكسائي، وقال عكرمة: دالا، وقال سعيد بن جبير، وأبو عبيدة: مؤتمنا عليه. وقاله الكسائي والحسن.

واختلفوا: هل هو أصل بنفسه، أي: أنه ليس مبدلا من شيء، يقال: «هيمن يهيمن فهو مهيمن» ك «بيطر يبيطر فهو مبيطر» .

وقال أبو عبيدة: لم تجئ في كلام العرب على هذا البناء إلا أربعة ألفاظ: «مبيطر، ومسيطر، ومهيمن، ومحيمر» .." (١)

"يصح، لأنها جاءت بعد «إلا» ، وكل ما كان بعد «إلا» المستثنى بها فلا بد أن يكون له موضع من الإعراب، و «أن» التفسيرية لا موضع لها من الإعراب «. انتهى.

قال شهاب الدين: أما قوله:» إن ربي وربكم من كلام عيسى «ففي غاية ما يكون من البعد عن الأفهام، وكيف يفهم ذلك الزمخشري والسياق والمعنى يقودان إلى أن» ربي «تابع للجلالة؟ لا يتبادر للذهن - بل لا يقبل - إلا ذلك، وهذا أشد من قولهم» يؤدي إلى تهيئتة العامل للعمل وقطعه عنه «فآل قول الشيخ إلى أن» اعبدوا الله «من كلام الله تعالى و» ربي وربكم «من كلام عيسى، وكلاهما مفسر ل» أمرت «المسند للباري تعالى. وأما قوله» يصح ذلك على حذف مضاف «ففيه بعض جودة، وأما قوله:» إن حلول البدل محل المبدل منه غير لازم «واستشهاده بما ذكر فغير مسلم، لأن هذا معارض بنصهم، على أنه لا يجوز» جاء الذي مررت به أبي عبد الله «بجر» عبد الله «بدلا من الهاء، وعللوه بأنه يلزم بقاء الموصول بلا عائد، مع أن لنا أيضا في الربط بالظاهر في الصلة خلافا قدمت التنبيه عليه، ويكفينا كثرة قولهم في مسائل:» لا يجوز هذا لأن البدل يحل محل المبدل منه «فيجعلون ذلك علة مانعة، يعرف ذلك من اطلع على كلامهم، قال شهاب الدين رحمه الله: فلولا خوف الإطالة لأوردت منه مسائل شتى. وأما قوله:» وكل ما كان بعد «إلا» المستثنى به إلى آخره «فكلام صحيح لأنها إيجاب بعد نفي فيستدعي تسلط ما قبلها على ما بعدها.

ويجوز في» أن «الكسر على أصل التقاء الساكنين والضم على الإتباع، وقد تقدم تحقيقه ونسبته إلى من

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٦٥/٧

قرأ به في قوله:» فمن اضطر «في البقرة [الآية ١٧٣] . و» ربي «نعت أو بدل أو بيان مقطوع عن الإتباع رفعا أو نصبا، فهذه خمسة [أوجه] تقدم إيضاحها.

قوله: «شهيدا» خبر «كان» ، و «عليهم» متعلق به، و «ما» مصدرية ظرفية أي: تتقدر بمصدر مضاف إليه زمان، و «دام» صلتها، ويجوز فيها التمام والنقصان، فإن كانت تامة كان معناها الإقامة، ويكون «فيهم» متعلقا بها، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال، والمعنى: وكنت عليهم شهيدا مدة إقامتي فيهم، فلم يحتج هنا إلى منصوب، وتكون حينئذ متصرفة، وإن كانت الناقصة لزمت لفظ المضي ولم تكتف بمرفوع، فيكون «فيهم» في محل نصب خبرا لها، والتقدير: مدة دوامي مستقرا فيهم، وقد تقدم أنه يقال: «دمت تدام» كخفت تخاف. قوله: {كنت أنت الرقيب عليهم} يجوز في «أنت» أن تكون فصلا وأن تكون تأكيدا. وقرئ «الرقيب» بالرفع على أنه خبر ل «أنت» والجملة خبر ل «كان» ، كقول القائل: [الطويل]

٢١٠٠ - ... ..." (١)

"وكنت عليها بالملا أنت أقدر

وقد تقدم اشتقاق «الرقيب» . و «عليهم» معلق به. و «على كل شيء» متعلق ب «شهيد» قدم للفاصلة.

فصل

معنى الكلام {وكنت عليهم شهيدا} أي: كنت أشهد على ما يفعلون، ما دمت مقيما فيهم، «فلما توفيتني» والمراد منه: الوفاة بالرفع إلى السماء من قوله: {إني متوفيك ورافعك إلي} [آل عمران: ٥٥] .

و {كنت أنت الرقيب عليهم} ، قال الزجاج: الحافظ عليهم بعد مفارقتي عنهم.

فالشهيد: المشاهد، ويجوز حمله على الرؤية، ويجوز حمله على العلم، ويجوز حمله على الكلام بمعنى الشهادة، فالشهيد من أسماء الصفات الحقيقية على جميع التقديرات.." (٢)

"ورش، والنحاة يستضعفون إبدال هذه الهمزة ألفا، بل المشهور عندهم تسهيلها بين بين، وهي الرواية المشهورة عن نافع، لكنه قد نقل الإبدال المحض قطرب وغيره من اللغويين قال بعضهم «هذا غلط عليه» ، أي: على نافع، وسبب ذلك أنه يؤدي إلى الجمع بين ساكنين، فإن «الياء» بعدها ساكنة.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦٢٣/٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦٢٤/٧

ونقل أبو عبيد القاسم بن سلام عن أبي جعفر ونافع، وغيرهما من أهل «المدينة» أنهم يسقطون الهمزة، ويدعون أن الألف خلف منها.

قال شهاب الدين: وهذه العبارة تشعر بأن هذه الألف ليست بدلا من الهمزة، بل جيء بها عوضا عن الهمزة الساقطة.

وقال مكي بن أبي طالب: «وقد روي عن ورش إبدال الهمزة ألفا؛ لأن الرواية عنه أنه يمد الثانية، والمد لا يتمكن إلا مع البدل، وحسن جواز البدل في الهمزة وبعدها ساكن أن الأول حرف مد ولين، فإن هذا الذي يحدث مع السكون يقوم مقام حركة يتوصل بها إلى النطق بالساكن» .

وقد تقدم شيء من هذا عند قوله: {أأنذرتهم} [البقرة: ٦] .

ومنها: أن تنحذف الهمزة التي هي عين الكلمة، وبها قرأ الكسائي، وهي فاشية نظما ونثرا فمن النظم قوله: [الرجز]

٢١٥٨ - أريت ما جاءت به أملودا ... مرجلا ويلبس البرودا

أقائلن أحضروا الشهودا ... وقال الآخر: [الطويل]

٢١٥٩ - أريتك إذ هنا عليك ألم تخف ... رقيبا وحولي من عدوك حضر

وأنشد الكسائي لأبي الأسود: [المتقارب]

٢١٦٠ - أريت امرأ كنت لم أبله ... أتاني فقال: اتخذني خليلا." (١)

"والثالث: أنه متعلق بمحذوف على أنه حال من «حفظة» ، إذ لو تأخر لجاز أن يكون صفة لها.

قال أبو البقاء: «عليكم» فيه وجهان:

أحدهما: هو متعلق ب «يرسل» .

والثاني: أن يكون في نية التأخير، وفيه وجهان:

أحدهما أن يتعلق بنفس «حفظة» ن والمفعول محذوف، أي: يرسل عليكم من يحفظ أعمالكم.

والثاني: أن يكون صفة ل «حفظة» قدمت فصارت حالا. قوله: والمفعول محذوف يعني: مفعول «حفظة» ، إلا أنه يوهم أن تقدير المفعول خاص بالوجه الذي ذكره، وليس كذلك، بل لا بد من تقديره على كل وجه، و «حفظة» إنما عمل في ذلك المقدر لكونه صفة لمحذوف تقديره: ويرسل عليكم ملائكة حفظة؛

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣٤/٨

لأنه لا يعمل إلا بشروط هذا منها، أعني كونه معتمدا على موصوف، و «حفظة» جمع «حافظ» ، وهو منقاس في كل وصف على فاعل صحيح «اللام» لعقل مذكر، ك «بار» و «بررة» ، و «فاجر» و «فجرة» ، و «كامل» و «كمله» ، ونيقل في غير العاقل، كقوله: «غراب ناعق» و «غربان نعقة» .

فصل في معنى الحفظة

هؤلاء الحفظة هم المذكورون في قوله تعالى: {له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله} [الرعد: ١١] .

وقوله: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٨] وقوله: {وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين} [الانفطار: ١٠، ١١] .

والمقصود بهؤلاء الحفظة ضبط الأعمال ثم اختلفوا فقيل: إنهم يكتبون الطاعات والمعاصي والمباحات بأسرها لقوله تعالى: {ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها} [الكهف: ٤٩] .

وعن ابن عباس أن مع كل إنسان ملكين؛ أحدهما: عن يمينه، والآخر عن يساره، فإذا تكلم الإنسان بحسنة كتبها [من] على اليمين، وإذا تكلم بسيئة قال من على اليمين للذي على اليسار: انتظره لعله يتوب منها، فإن لم يتب كتبت عليه.

والأول أقوى؛ لأن قوله: «يرسل عليكم حفظة» يفيد حفظة الكل من غير تخصيص.

والثاني: أن ظاهر هذه الآية يدل على اضلاع هؤلاء الحفظة على الاقوال والأفعال." (١)

"أما على صفات القلوب، وهو العلم والجهل، فليس في هذه الآيات ما يدل على اطلاعهم عليها.

أما في الأقوال، فلقوله تعالى: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد}

[ق: ١٨] .

وأما في الأفعال، فلقوله تعالى: {وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون} [الانفطار: ١٠ - ١٢] .

وأما الإيمان والكفر، والإخلاص والإشراك فلم يدل دليل على اطلاع الملائكة عليها.

فصل في فائدة توكيل الملائكة علينا

وفي فائدة جعل الملائكة موكلين على بين آدم وجوه:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩٥/٨

أحدها: أن المكلف إذا علم أن الملائكة موكلين به يحصون عليه عمله، ويكتبونه في صحيفة تعرض على رؤوس الاشهاد في مواقف القيامة كان ذلك أزجر له عن القبائح.

والثاني: يحتمل ا، تكون الكتابة لفائدة وزن تلك الصحائف يوم القيامة؛ لأن وزن الأعمال غير ممكن، أما وزن الصحائف ممكن.

وثالثها: يفعل الله ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويجب علينا الإيمان بكل ما ورد به الشرع، سواء عقلناه أم لم نعقله.

قوله: {حتى إذا جآء أحدكم الموت} تقدم مثله.

وقوله: «توفته» قرأ الجمهور «توفته» ، ماضيا بتاء التأنيث لتأنيث الجمع.

وقرأ حمزة: «توفاه» من غير تاء تأنيث، وهي تحتمل وجهين.

أظهرهما: أنه ماض، وإنما حذف تاء التأنيث لوجهين:

أحدهما: كونه تأنيثا مجازيا.

والثاني: الفصل بين الفعل وفاعله بالمفعول.

والثاني: أنه مضارع، وأصله: تتوفاه بتاءين، فحذفت إحداهما على خلاف في أيتهما ك «تنزل» وبابه، وحمزة على بابه في إمالة مثل هذه الألف.

وقرأ الأعمش: «يتوفاه» مضارعا بياء اليغيبة اعتبارا بكونه مؤنثا مجازيا، أو للفصل، فهو كقراءة حمزة في الوجه الأول من حيث تذكير الفعل وكقراءته فغي الوجه الثاني من حيث إنه أتى به مضارعا.." (١)

"المبتدأ لو قلت:» من جاءني فأكرمته «لم يجز بخلاف تقديرنا، فإنه لا بد فيه من الفاء، ولا يجوز حذفها إلا في الشعر.

قال شهاب الدين: وهذا التقدير الذي قدره الزمخشري سبقه إليه الكلبين فإنه قال: فمن أبصر صدق وآمن بمحمد عليه الصلاة والسلام فنلفسه عمل ومن عمي فلم يصدق فعلى نفسه جنى العذاب» وقوله: إن الفاء لا تدخل فيما ذكر قد ينازع فيه، وإذا كانوا فيما يصلح أن يكون جوابا صريحا، ويظهر فيه أثر الجازم كالمضارع يجوز فيه دخول الفاء نحو:

{ومن عاد فينتقم الله منه} [المائدة: ٩٥] فالماضي بدخولها أولى وأحرى.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩٦/٨

فصل في بيان عود المنافع للبشر

قال القاضي: إنه – تعالى – بين لنا أن المنافع تعودإليها لا لمنافع تعود إلى الله تبارك وتعالى – وأيضا إن المرء بعدوله عن النظر يضر بنفسه، ولم يؤت إلا من قبله لا من قبل ربه، وأيضا إنه متمكن من الأمرين، فلذلك قال: «فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها» قال: وهذا يبطل قول المجبرة [في أنه – تعالى – يكلف بلا قدرة] وجوابه المعارضة بسؤال الداعي.

قوله: {ومآ أنا عليكم بحفيظ} أي: برقيب أحي عليكم أعمالكم، إنما أنا رسوله أبلغكم رسالات ربي، وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

فصل في معنى الآية

قال المفسرون: هذا كان قبل الأمر بالقتال، فلما أمر بالقتال صار حفيظا عليهم، ومنهم من يقول: آية القتال ناسخة لهذه الآية الكريمة، وهو بعيد؛ لأن الأصل عدم النسخ.." (١)

"[قال شهاب الدين] : يؤيده وليس شيء في اللفظ يشهد له؟

قوله: «وما أنت» يجوز أن تكون «ما» الحجازيةح فيكون «أنت» : اسمها، و «بوكيل» : خبرها في محل نصب، ويجوز أن تكون التميمية؛ فيكون «أنت» : مبتدأ و «بوكيل» : خبره في محل رفع، والباء زايدة على كلا التقديرين، و «عليهم» : متعلق بوكيل قدم لما فيما قبله، وهذه الجملة هي في معنى الجملة قبلها؛ لأن معنى ما أنت وكيل عليهم، وهو بمعنى: ما جعلناك حفيظا عليهم، أي: رقيبا.

واعلم أنه – تبارك وتعالى – لما بين أن لا قدرة لأحد على إزالة الكفر عنهم، ختم الكلام بما يكمل معه تبصير الرسوال؛ لأنه لما بين له قدر ما جعل إليه، فذكر أنه ما جعله عليهم حفيظا ولا وكيلا، وإنما فوض إليه البلاغ بالأمر، والنهي، البيان بذكر الدلائل، فإن انقادوا للقبول، فنفعه عائد إليهم، وإلا فضرره عائد إليهم.

قال عطاء: وما جعلناك علهيم حفيظا: تمنعهم مني، أي: لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب، إنما بعثت مبلغا، وما أنت عليهم بوكيل على سبيل المنع لهم.." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٥٤/٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٦٢/٨

"كثيرة من المسلسلات وغيرها. وعن العالم الأجل الصالح أبي الحسن القلصادي الأندلسي الفرائض والحساب، وأجازه جميع ما يرويه وغيرهم. وكان آية في علمه وهديه، وصلاحه وسيرته، وزهده وورعه وتوقيه. جمع تلميذه الملالي في أحواله وسيره وفوائده تأليفا كبيرا في نحو ستة عشر كراسا من القالب الكبير.

وكان حليما، كثير الصبر، ربما يسمع ما يكره فيتعامى عنه ولا يؤثر فيه، بل يتبسم، وهذا شأنه في كل ما يغضبه ولا يلقي له بالا، ولا يحقد على أحد، ولا يعبس في وجهه، يفاتح من تكلم في عرضه بكلام طيب وإعظام حتى يعتقد أنه صديقه، وقع له ممن يدعي أنه أعلم أهل الأرض كلام ينقصه، فما بالى به، ولما ألف بعض عقائده أنكر عليه كثير من علماء أهل وقته، وتكلموا بما لا يليق، فتغير لذلك كثيرا وحزن أياما، ثم رأى في منامه عمر بن الخطاب واقفا على رأسه بيده سيف أو عصا، فهزها على رأسه وهدده بها، وكأنه قال: ما هذا الخوف من الناس. فأصبح قد زال حزنه، واشتد قلبه على المنكرين فخرست حينئذ ألسنتهم، فحلم عنهم وسمح، فأقروا بفضله.

وكان من عاداته أنه إذا صلى الصبح في مسجده وفرغ من ورده، أقرأ العلم إلى وقت الفطور المعتاد، ثم خرج ووقف مع الناس ساعة بباب داره ثم دخل وصلى الضحى قدر قراءة عشرة أحزاب، ثم اشتغل بالمطالعة في وقت طول النهار، وإلا ربما زالت الشمس وهو في الضحى، وخرج بعد الزوال للخلوات، فلا يرجع إلا للغروب، أو يبقى في بيته فيتوضأ ويصلي أربع ركعات، ثم خرج لمسجده وصلى بالناس الظهر وتنفل أربعا، ويقرىء ثم يتنفل وقت العصر أربعا، ويصلي العصر ويقرأ، أو يخرج لداره. واشتغل بالورد إلى الغروب، ثم خرج للمغرب وتنفل بست ركعات، ويبقى هناك حتى يصلي العشاء، ويقرأ ما تيسر ورجع لداره ونام ساعة، ثم اشتغل بالنظر أو النسخ ساعة وتوضأ، ويصلي باقيا فيها، أو في ذكر لطلوع الفجر، هذا أكثر حاله.

وأما وعظه، فكان يقرع الأسماع، وتقشعر منه الجلود، كل من حضر يقول: معي يتكلم، وإياي يعني، جله في الخوف والمراقبة وأحوال الآخرة، لا تخلو مجالسه منه مع حلاوة له، لا توجد في كلام غيره، يعظ كل أحد بحسب حاله، ما رؤي قط إلا وشفتاه متحركتان بالذكر، وربما يكلمه إنسان وهو يذكر الله تعالى، وتسمع لقلبه أنينا من شدة خوفه ومراقبته على الدوام، كان يقول: حقيقة العبودية امتثال الأمر، واجتناب النهي مع كمال الذلة والخضوع.." (١)

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٧/١

"وبأجنحتها تمسحهم، ويستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، الفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، هو إمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء» «١» ، قال أبو عمر: هكذا حدثنيه عبيد بن محمد مرفوعا بالإسناد الذي رويناه به عنه، وهو حديث حسن جدا، ولكن ليس له إسناد قوي، ورويناه من طرق شتى موقوفا على معاذ. انتهى من كتاب «فضل العلم» «٢» ، قال الشيخ العارف أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي (رحمه الله) ، ومن علامة نور العلم، إذا حل بالقلب: المعرفة والمراقبة والحياء والتوبة والورع والزهد والتوكل والصبر والرضى والأنس والمجاهدة والصمت والخوف والرجاء والقناعة وذكر الموت. اهـ.

وقوله تعالى: كل من عند ربنا: فيه ضمير عائد على كتاب الله محكمه ومتشابهه، والتقدير: كله من عند ربنا.

ثم قال تعالى: وما يذكر إلا أولوا الألباب، أي: ما يقول هذا، ويؤمن ويقف حيث وقف، ويدع اتباع المتشابه إلا ذو لب، وهو العقل و «أولو» : جمع: «ذو» .

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ٨ الى ١١]

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب (٨) ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد (٩) إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار (١٠) كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب (١١)

وقوله تعالى: ربنا لا تزغ قلوبنا ... الآية: لما ذكر الله سبحانه أهل الزيغ، وذكر نقيضهم، وظهر ما بين الحالتين، عقب ذلك بأن علم عباده الدعاء إليه في ألا يكونوا من الطائفة الذميمة التي ذكرت، وهم أهل الزيغ، ويحتمل أن يكون هذا من تمام قول الراسخين، وتزغ: معناه: تمل قلوبنا عن الهدى والحق، ومن لدنك: معناه: من عندك تفضلا، لا عن سبب منا، ولا عمل، وفي هذا استسلام وتطارح، والمراد: هب لنا نعيما صادرا عن الرحمة.

وقوله تعالى: ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه: إقرار بالبعث ليوم القيامة،

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» رقم (٢٦٨) . [.....]

(٢) ينظر: المصدر السابق.." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النساء مدنية

إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح، وهي: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ... [النساء: ٥٨] الآية: وفي البخاري: عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت:

ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، تعني: قد بنى بها «١» .

[سورة النساء (٤) : آية ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١)

قوله تعالى: يا أيها الناس اتقوا ربكم ... الآية: في الآية تنبيه على الصانع، وعلى افتتاح الوجود، وفيها حض على التواصل لحرمة هذا النسب، والمراد بالنفس آدم صلى الله عليه وسلم، وقال: واحدة على تأنيث لفظ النفس، وزوجها، يعني: حواء، قال ابن عباس وغيره: خلق الله آدم وحشا في الجنة وحده، ثم نام، فانتزع الله إحدى أضلاعه القصيرى من شماله «٢» ، وقيل: من يمينه، فخلق منها حواء، ويعضد هذا- الحديث الصحيح في قوله صلى الله عليه وسلم: «إن المرأة خلقت من ضلع أعوج ... » الحديث «٣» ، وبث: معناه: نشر كقوله تعالى: كالفراش المبثوث [القارعة: ٤] أي: المنتشر، وفي تكرير الأمر بالتقوى

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٣) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٢٠٥) ، وعزاه للبخاري.

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٣/٢

(٢) ذكره ابن عطية (٢/ ٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٤١٨) في أحاديث الأنبياء: باب خلق آدم وذريته (٣٣٣١) ، و (٩/ ١٦٠) في النكاح: باب المداراة مع النساء (٥١٨٤) ، وباب الوصاة بالنساء (٥١٨٦) ، ومسلم (٢/ ١٠٩٠- ١٠٩١) في الرضاع، باب الوصية بالنساء (١٤٦٨) ، والترمذي (٣/ ٤٩٣- ٤٩٤) في الطلاق: باب ما جاء في مداراة النساء (١١٨٨) ، وأحمد (٢/ ٤٢٨، ٤٤٩، ٤٩٧) ، والدارمي (٢/ ١٤٨) في النكاح: باب مداراة الرجل أهله، من طرق عن أبي هريرة رفعه- واللفظ لمسلم-: «أن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها» .

وقال الترمذي: حسن صحيح، وإسناده جيد.

ويشهد له حديث سمرة رواه أحمد (٥/ ٨) ، وحديث أبي ذر عند أحمد (٥/ ١٥٠- ١٥١) ، والدارمي (٢/ ١٤٧- ١٤٨) وحديث عائشة رواه أحمد (٦/ ٢٧٩) .." (١)

"الكلام عليه في قوله تعالى: وكفر به والمسجد الحرام [البقرة: ٢١٧] انتهى، وهو حسن، ونحوه للإمام الفخر «١» .

وفي قوله تعالى: إن الله كان عليكم رقيبا: ضرب من الوعيد، قال المحاسبي:

سألت أبا جعفر محمد بن موسى، فقلت: أجمل حالات العارفين ما هي؟ فقال: إن الحال التي تجمع لك الحالات المحمودة كلها في حالة واحدة هي المراقبة، فألزم نفسك، وقلبك دوام العلم بنظر الله إليك في حركتك، وسكونك، وجميع أحوالك/ فإنك بعين الله (عز وجل) في جميع تقلباتك، وإنك في قبضته حيث كنت، وإن عين الله على قلبك، وناظر إلى سرك وعلانيتك، فهذه الصفة، يا فتى، بحر ليس له شط، بحر تجري منه السواقي والأنهار، وتسير فيه السفن إلى معادن الغنيمة. انتهى من كتاب «القصد إلى الله سبحانه» .

[سورة النساء (٤) : الآيات ٢ الى ٣]

وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (٢) وإن

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٥٩/٢

خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا (٣)

وقوله سبحانه: وآتوا اليتامى أموالهم ... الآية: قال ابن زيد: هذه مخاطبة لمن كانت عادته من العرب ألا يرث الصغير من الأولاد «٢» ، وقالت طائفة: هذه مخاطبة للأوصياء.

قال ابن العربي «٣» : وذلك عند الابتلاء والإرشاد. انتهى.

وقوله: ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب، قال ابن المسيب وغيره: هو ما كان يفعله بعضهم من إبدال الشاة السمينة من مال اليتيم بالهزيلة من ماله، والدرهم الطيب بالزائف، وقيل «٤» : المراد: لا تأكلوا أموالهم خبيثا، وتدعوا أموالكم طيبا، وقيل غير هذا.

والطيب هنا: الحلال، والخبيث: الحرام.

---

(١) ينظر: «تفسير الرازي» (٩/ ١٢٩) .

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٥٧١) برقم (٨٤٤٦) ، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز« (٢/ ٥) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٢٠٨) ، وعزاه لابن جرير عن ابن زيد.

(٣) ينظر: «أحكام القرآن» (١/ ٣٠٨) .

(٤) أخرجه الطبري (٣/ ٥٧١) برقم (٨٤٤١) ، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٥) والسيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٢٠٨) ، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. [.....]." [١]

"[سورة المائدة (٥) : الآيات ١١٦ الى ١١٨]

وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (١١٦) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧) إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨)

وقوله سبحانه: وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ...

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢/١٦١

الآية: اختلف المفسرون في وقت وقوع هذا القول، فقال السدي وغيره: لما رفع الله عيسى إلى السماء، قالت النصارى ما قالت، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك، فسأله تعالى عن قولهم، فقال: سبحانك ... «١» الآية، ويجيء على هذا قوله:

وإن تغفر لهم، أي: في التوبة من الكفر لأن هذا قاله، وهم أحياء في الدنيا، وقال ابن عباس، وجمهور الناس: هذا القول من الله إنما هو يوم القيامة يقوله الله له على رءوس الخلائق، فيرى الكفار تبريه منهم، ويعلمون أن ما كانوا فيه باطل، فقال «٢» على هذا التأويل بمعنى: «يقول» ونزل الماضي موضع المستقبل لدلالته على كون الأمر وثبوته، وقوله آخرا: وإن تغفر لهم: معناه: إن عذبت العالم كله، فبحقك، فهم عبادك تصنع بحق الملك ما شئت لا اعتراض عليك، وإن غفرت وسبق ذلك في علمك فلأنك أهل لذلك لا معقب لحكمك، ولا منازع لك، فيقول عيسى هذا على جهة التسليم والتعزي عنهم، مع علمه بأنهم كفرة قد حتم عليهم العذاب، وهذا القول عندي أرجح ويتقوى بما يأتي بعد، وهو قوله سبحانه: هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم [المائدة: ١١٩] .

وقوله: سبحانك، أي: تنزيها لك عن أن يقال هذا، وينطق به ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، أي: ما يكون/ لبشر محدث أن يدعي الألوهية، ثم قال: إن كنت قلته فقد علمته لأنك أحطت بكل شيء علما، وأحصيت كل شيء عددا، فوفق الله عيسى لهذه الحجة البالغة، وقوله: تعلم ما في نفسي، خص النفس بالذكر لأنها مظنة الكتم والانطواء على المعلومات.

والمعنى: أن الله- سبحانه- يعلم ما في نفس عيسى، ويعلم كل أمره مما عسى ألا يكون في نفسه.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٣٧) برقم (١٣٠٣١) ، وذكره ابن عطية (٢/ ٢٦٢) ، والسيوطي (٢/ ٦١٥) ، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم عن السدي.

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٢/ ٢٦٢) .." (١)

"وقوله: ولا أعلم ما في نفسك: معناه: ولا أعلم ما عندك من المعلومات، وما أحطت به، وذكر «النفس» هنا مقابلة لفظية، وفي اللسان العربي يقتضيها الإيجاز وهذا ينظر من طرف خفي إلى قوله تعالى: ومكروا ومكر الله [آل عمران: ٥٤] والله يستهزئ بهم [البقرة: ١٥] فتسمية العقوبة باسم الذنب إنما قاد

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤٤٠/٢

إليها طلب المقابلة اللفظية، إذ هي من فصيح الكلام، وبارع العبارة.

ثم أقر عيسى- عليه السلام- لله تعالى بأنه- سبحانه- علام الغيوب، أي: ولا علم لي أنا بغيب.

وقوله: فلما توفيتني: أي: قبضتني بالرفع، والتصيير في السماء، **والرقيب:** الحافظ المراعي.

وقوله: فإنك أنت العزيز: أي: في قدرتك، الحكيم في أفعالك.

والمعنى: إن يكن لك في الناس معذبون، فهم عبادك، وإن يكن مغفور لهم، فعزتك وحكمتك تقتضي هذا كله.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ١١٩ الى ١٢٠]

قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم (١١٩) لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير (١٢٠)

قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فدخل تحت هذه العبارة كل مؤمن بالله- سبحانه-، وكل ما كان أتقى، فهو أدخل في العبارة، وجاءت هذه العبارة مشيرة إلى عيسى- عليه السلام- في حاله، وصدقه فيحصل له بذلك في الموقف شرف عظيم، وإن كان اللفظ يعمه وسواه.

ثم ذكر- تعالى- ما أعده لهم برحمته، وطوله، جعلنا الله منهم بمنه، وسعة جوده، لا رب غيره، ولا مرجو في الدارين سواه، وباقي الآية بين. جعل الله ما كتبناه من هذه الأحرف نورا يسعى بين أيدينا بمنه. والحمد لله كما هو أهله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.." (١)

"وقوله سبحانه: يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ... الآية: استجيبوا بمعنى: أجيبوا وقوله: لما يحييكم قال مجاهد والجمهور: المعنى للطاعة «١» ، وما يتضمنه القرآن، وهذا إحياء مستعار لأنه من موت الكفر والجهل، والطاعة تؤدي إلى الحياة الدائمة في الآخرة.

وقوله سبحانه: واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه يحتمل وجوها:

منها: أنه لما أمرهم سبحانه بالاستجابة في الطاعة، حضهم على المبادرة والاستعجال، وأعلمهم أنه يحول

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤٤١/٢

بين المرء وقلبه بالموت والقبض، أي: فبادروا الطاعات، ويلتئم مع هذا التأويل قوله: وأنه إليه تحشرون، أي: فبادروا الطاعات، وتزودوها ليوم الحشر.

ومنها: أن يقصد إعلامهم أن قدرة الله وعلمه وإحاطته حائلة بين المرء وقلبه، فكأن هذا المعنى يحض على المراقبة والخوف لله المطلع على الضمائر حكي هذا التأويل عن قتادة «٢» ويحتمل أن يريد تخويفهم إن لم يمتثلوا الطاعات، ويستجيبوا لله وللرسول أن يحل بهم ما حل بالكفار الذين أرادهم بقوله: ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون [الأنفال: ٢٣] لأن حتمه عليهم بأنهم لو سمعوا لم ينتفعوا يقتضي أنه كان قد حال بينهم وبين قلوبهم.

ومنها: أن يكون المعنى ترجية لهم بأن الله يبدل الخوف الذي في قلوبهم من كثرة العدو، فيجعله جراءة وقوة، وبضد ذلك للكفار، أي: فإن الله تعالى هو مقلب القلوب كما كان قسم النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل غير هذا.

قال مكي، وقال الطبري «٣» : هذا خبر من الله عز وجل أنه أملك بقلوب العباد منهم لها، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء حتى لا يدرك الإنسان شيئا من إيمان ولا كفر، ولا يعي شيئا، ولا يفهم شيئا إلا بإذنه ومشيئته سبحانه، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول في

---

(١) ذكره ابن عطية (٢/ ٥١٤) .

(٢) أخرجه الطبري (٦/ ٢١٥) برقم: (١٥٩١٦) بنحوه.

(٣) ينظر: «الطبري» (٦/ ٢١٥) .." (١)

"عبد الله، قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالا، فأذن وأقام، فصلى ثم خطب، فقال: يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ... إلى آخر الآية: إن الله كان عليكم رقيبا [النساء: ١] والآية التي في سورة الحشر: واتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد [الحشر: ١٨] تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره حتى قال: ولو بشق تمرة، قال: فجاء رجل من

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٢٤/٣

الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» «١» . انتهى.

[سورة التوبة (٩) : الآيات ٨٠ الى ٨١]

استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين (٨٠) فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨١)

وقوله سبحانه: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم: المعنى: أن الله خير نبيه في هذا، فكأنه قال له: إن شئت فاستغفر لهم، وإن شئت لا تستغفر، ثم أعلمه أنه لا يغفر لهم، وإن استغفر سبعين مرة، وهذا هو الصحيح في تأويل الآية، لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر: «إن الله قد خيرني فاخترت، ولو علمت أني إذا زدت على السبعين يغفر لهم لزدت ... » «٢»

الحديث، وظاهر لفظ الحديث رفض إلزام دليل الخطاب، وظاهر صلاته صلى الله عليه وسلم على ابن أبي أن كفره لم يكن يقينا عنده، ومحال أن يصلي على كافر، ولكنه راعى ظواهره من الإقرار

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٤- ٧٠٥) كتاب «الزكاة» باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، حديث (٦٩/ ١٠١٧) ، والنسائي (٥/ ٧٥) كتاب «الزكاة» باب: التحريض على الصدقة، حديث (٢٥٥٤) من حديث جرير.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٣٥) برقم: (١٧٠٤٥) عن ابن عباس.

وأخرجه عن مجاهد أيضا (٦/ ٤٣٤) برقم: (١٧٠٤٠، ١٧٠٤٣) بنحو حديث ابن عباس.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧٢) وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي شيبة وابن المنذر.." (١)

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٠١/٣

"جميع فضل الله سبحانه، وجميع تقصير الخلق.

وقوله سبحانه: وما تكون في شأن ... الآية: مقصد هذه الآية وصف إحاطة الله عز وجل بكل شيء، لا رب غيره، ومعنى اللفظ: وما تكون يا محمد، والمراد هو وغيره في شأن من جميع الشؤون، وما تتلوا منه: الضمير عائد على شأن أي: فيه وبسببه «من قرآن» ، ويحتمل أن يعود الضمير على جميع القرآن.

وقال ص: ضمير «منه» عائد على «شأن» ومن قرآن: تفسير للضمير.

انتهى. وهو حسن، ثم عم سبحانه بقوله: ولا تعملون من عمل، وفي قوله سبحانه:

إلا كنا عليكم شهودا تحذير وتنبيه.

ت وهذه الآية عظيمة الموقع لأهل المراقبة تثير من قلوبهم أسرارا، ويغترفون من بحر فيضها أنوارا، وتفيضون معناه: تأخذون وتنهضون بجد، وما يعزب:

معناه: وما يغيب عن ربك من مثقال ذرة والكتاب المبين هو اللوح المحفوظ، ويحتمل ما كتبته الحفظة.

[سورة يونس (١٠) : الآيات ٦٢ الى ٦٤]

ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣) لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم (٦٤)

وقوله سبحانه: ألا إن أولياء الله ... الآية: «ألا» استفتاح وتنبيه، وأولياء الله: هم المؤمنون الذين والوه بالطاعة والعبادة، وهذه الآية يعطي ظاهرها أن من آمن واتقى الله، فهو داخل في أولياء الله، وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل، من أولياء الله؟ فقال: «الذين إذا رأيتهم ذكرت الله» «١» .

قال: ع «٢» : وهذا وصف لازم للمتقين لأنهم يخشعون ويخشعون، وروي عنه صلى الله عليه وسلم أيضا أنه قال: «أولياء الله قوم تحابوا في الله، واجتمعوا في ذاته، لم تجمعهم قرابة ولا مال يتعاطونه» . وروى الدارقطني في «سننه» عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خيار عباد

---

(١) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨١) وقال: رواه البزار عن شيخه علي بن حرب الرازي ولم أعرفه، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٥٦) ، وزاد في نسبته إلى ابن المبارك، والحكيم الترمذي

في «نوادر الأصول» ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عباس.
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ١٢٨) .." (١)

"وقوله سبحانه: وأمطرنا عليها حجارة من سجيل ذهبت فرقة، منهم ابن عباس إلى أن الحجارة التي رموا بها كانت كالآجر المطبوخ «١» ، كانت من طين قد تحجر، وأن سجيلا معناها: ماء وطين، وهذا القول هو الذي عليه الجمهور، وقالت فرقة: «من سجيل» : معناه: من جهنم لأنه يقال: سجيل وسجين، حفظ فيها بدل النون لاما، وقيل غير هذا ومنضود: معناه: بعضه فوق بعض، متتابع، ومسومة: أي: معلمة بعلامة.

وقوله تعالى: وما هي: إشارة إلى الحجارة، والظالمون: قيل: يعني قريشا، وقيل: يريد عموم كل من اتصف بالظلم، وهذا هو الأصح، وقيل: يعني بهذا الإعلام بأن هذه البلاد قريبة من مكة، وما تقدم أبين.

[سورة هود (١١) : الآيات ٨٤ الى ٨٥]

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط (٨٤) ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٨٥)

وقوله عز وجل: وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير ... الآية: قوله: بخير: قال ابن عباس: معناه: في رخص من الأسعار «٢» ، وقيل: قوله: بخير: عام في جميع نعم الله تعالى، وتعثوا: معناه تسعون في فساد، يقال: عثا يعثو، وعثى يعثي إذا أفسد.

[سورة هود (١١) : الآيات ٨٦ الى ٩٤]

بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ (٨٦) قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشؤا إنك لأنت الحليم الرشيد (٨٧) قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣/٢٥٣

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب (٨٨) ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد (٨٩) واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود (٩٠)

قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز (٩١) قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط (٩٢) ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣) ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٩٤)

---

(١) ذكره ابن عطية (٣/ ١٩٨) .

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٩٧) برقم: (١٨٤٨١) ، وابن عطية (٣/ ١٩٩) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٦) ، وعزاه إلى أبي الشيخ.." (١)

"ظهرك، ودبر أذنك، وعلى هذا المعنى حمل الجمهور الآية، أي: اتخذتم أمر الله وشرعه وراء ظهوركم، أي: غير مراعى، وإما بأن يستند إليه ويلجأ كما قال عليه السلام:

«وألجأت ظهري إليك» «١» وعلى هذا المعنى حمل الآية قوم: أي: وأنتم تتخذون الله سند ظهوركم وعماد آمالكم.

وقوله: اعملوا على مكانتكم معناه: على حالاتكم، وفيه تهديد.

وقوله: سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب: والصحيح: أن الوقف في قوله: إني عامل.

وقوله سبحانه: وأخذت الذين ظلموا الصيحة ... الآية: الصيحة: هي صيحة/ جبريل عليه السلام.

[سورة هود (١١) : الآيات ٩٥ الى ٩٩]

كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود (٩٥) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين (٩٦)

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٦٢٩/٣

إلى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد (٩٧) يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود (٩٨) وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود (٩٩)

وقوله سبحانه: كأن لم يغنوا فيها ... الآية: يغنوا: معناه: يقيمون بنعمة وخفض عيش ومنه المغاني، وهي المنازل المعمورة بالأهل، وضمير «فيها» عائد على الديار.

وقوله: بعدا: مصدر دعا به كقولك: سحقا للكافرين، وفارقت هذه قولهم:

سلام عليكم [النحل: ٣٢] لأن بعدا إخبار عن شيء قد وجب وتحصل، وتلك إنما هي دعاء مرتجى، ومعنى البعد في قراءة: «بعدت» - بكسر العين-: الهلاك، وهي قراءة الجمهور»

ومنه قول خرنق بنت هفان: [الكامل]

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر «٣»

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٢٠٤) ، و «البحر المحيط» (٥/ ٢٥٧) ، و «الدر المصون» (٤/ ١٢٧) .

(٣) البيت في «ديوانها» ص: (٤٣) ، و «الأشباه والنظائر» (٦/ ٢٣١) ، و «أمالي المرتضى» (١/ ٢٠٥) ، و «الإنصاف» (٢/ ٤٦٨) ، و «أوضح المسالك» (٣/ ٣١٤) ، «الحماسة البصرية» (١/ ٢٢٧) ، و «خزانة الأدب» (٥/ ٤١- ٤٢، ٤٤) ، و «الدر» (٦/ ١٤) ، و «سمط اللآلي» ص: (٥٤٨) ، و «شرح أبيات سيبويه» (٢/ ١٦) ، و «شرح التصريح» (٢/ ١١٦) ، و «الكتاب» (١/ ٢٠٢) ، (٢/ ٥٧- ٥٨، ٦٤) ، -[.....]." (١)

"فإذا جاء المقدور الواقع، أسلم المرء إليه، وال معقبات على هذا التأويل: الحفظة على العباد أعمالهم، والحفظة لهم أيضا قاله الحسن «١» ، وروى فيه عن عثمان بن عفان حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا أقوى التأويلات في الآية، وعبارة البخاري: معقبات:

ملائكة حفظة يعقب الأول منها الآخر. انتهى.

وقالت فرقة: الضمير في «له» عائد على اسم الله المتقدم ذكره، أي: لله معقبات يحفظون عبده، والضمير

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٩٩/٣

في قوله: يديه وما بعده من الضمائر عائد على العبد، ثم ذكر سبحانه أنه لا يغير هذه الحالة من الحفظ للعبد حتى يغير العبد ما بنفسه، وال معقبات: الجماعات التي يعقب بعضها بعضا، وهي الملائكة، وينظر هذا إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ... » «٢» الحديث، وفي قراءة أبي بن كعب: «من بين يديه/ ورقيب من خلفه» ، وقرأ ابن «٣» عباس: «ورقباء من خلفه يحفظونه بأمر الله» ، وقوله: يحفظونه: أي: يحرسونه ويذبون عنه، ويحفظون أيضا أعماله، ثم أخبر تعالى أنه إذا أراد بقوم سوءا، فلا مرد له، ولا حفظ منه.

[سورة الرعد (١٣) : الآيات ١٢ الى ١٤]

هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال (١٢) ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال (١٣) له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال (١٤)

وقوله سبحانه: هو الذي يريكم البرق ... الآية: قد تقدم في أول البقرة تفسيره، والظاهر أن الخوف إنما هو من صواعق البرق، والطمع في الماء الذي يكون معه، وهو قول الحسن «٤» ، والسحاب: جمع سحابة ولذلك جمع الصفة، والثقال:

معناه: بحمل الماء، قاله قتادة ومجاهد «٥» ، والعرب تصفها بذلك، وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع الرعد، قال: «سبحان من يسبح الرعد بحمده» «٦» ، وقال ابن أبي

---

(١) ذكره ابن عطية (٣/ ٣٠٠) ، والسيوطي (٤/ ٩٠) ، وعزاه لابن جرير.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٠٢) ، و «البحر المحيط» (٥/ ٣٦٤) .

(٤) ذكره ابن عطية (٣/ ٣٠٣) .

(٥) أخرجه الطبري (٧/ ٣٥٩) برقم: (٢٠٢٥٣) وبرقم: (٢٠٢٥٤، ٢٠٢٥٨) ، وذكره ابن عطية (٣/ ٣٠٣) ، وابن كثير (٢/ ٥٠٥) ، والسيوطي (٤/ ٩٥) ، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ. [.....]

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٦٠) برقم: (٢٠٢٦٠) ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٩٧) ،." (١)

"قال الله عز وجل: فاذكروني أذكركم [البقرة: ١٥٢] .

وعبارة الشيخ ابن أبي جمرة: ولذكر الله أكبر معناه: ذكره لك في الأزل أن جعلك من الذاكرين له أكبر من ذكرك أنت الآن له، انتهى.

قال القشيري في «رسالته» : الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وهو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله سبحانه إلا بدوام الذكر، ثم الذكر على ضربين: ذكر باللسان، وذكر بالقلب، فذكر اللسان: به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب، والتأثير لذكر القلب، فإذا كان العبد ذاكرا بلسانه، وقلبه فهو الكامل في وصفه، سمعت أبا علي الدقاق يقول: الذكر منشور الولاية، فمن وفق للذكر فقد وفق للمنشور ومن سلب الذكر فقد عزل، والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات. وأسند القشيري عن المظفر الجصاص قال: كنت أنا ونصر الخراط ليلة في موضع فتذاكرنا شيئا من العلم فقال الخراط:

الذاكر لله تعالى فائدته في أول ذكره: أن يعلم أن الله ذكره فبذكر الله له ذكره، قال:

فخالفته، فقال: لو كان الخضر هاهنا لشهد لصحته، قال: فإذا نحن بشيخ يجيء بين السماء والأرض، حتى بلغ إلينا وقال: صدق الذاكر لله بفضل الله، وذكره له ذكره، فعلمنا أنه الخضر عليه السلام، انتهى.

وباقي الآية ضرب من التوعد وحث على **المراقبة**، قال الباجي في «سنن الصالحين» : / قال بعض العلماء: إن الله عز وجل يقول: «أيما عبد ٦٣ أاطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته، وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه» . انتهى.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٤٦ الى ٤٩]

ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (٤٦) وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون (٤٧) وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون (٤٨) بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣٦٣/٣

الظالمون (٤٩)

وقوله تعالى: ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن هذه الآية مكية، ولم يكن يومئذ قتال، وكانت اليهود يومئذ بمكة وفيما جاورها، فربما وقع بينهم وبين بعض المؤمنين جدال واحتجاج في أمر الدين وتكذيب، فأمر الله المؤمنين ألا يجادلوهم إلا بالتي هي أحسن دعاء إلى الله تعالى وملاينة، ثم استثنى من ظلم منهم المؤمنين وحصلت منه أذية فإن هذه الصنيفة استثني لأهل الإسلام معارضتها بالتغيير عليها." (١)

"عليه السلام- مع ما جعل الله له من ذلك كان يسوي بينهن في القسم تطييبا لنفوسهن وأخذا بالفضل، وما خصه الله من الخلق العظيم- صلى الله عليه وعلى آله- غير أن سودة وهبت يومها لعائشة تقمنا لمسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٥٢ الى ٥٥]

لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢) يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما (٥٣) إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما (٥٤) لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا (٥٥)

وقوله تعالى: لا يحل لك النساء من بعد قيل كما قدمنا: إنها حظرت عليه النساء إلا التسع وما عطف عليهن على ما تقدم لابن عباس وغيره، قال ابن عباس وقتادة:

جازاهن الله بذلك لما اخترن الله ورسوله «١» ، ومن قال: بأن الإباحة كانت له مطلقة قال هنا: لا يحل لك النساء معناه: لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات، ولا ينبغي أن يكن أمهات المؤمنين وروي هذا عن مجاهد «٢» وكذلك قدر: ولا أن تبدل اليهوديات والنصرانيات بالمسلمات وهو قول أبي رزين وابن

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٩٧/٤

جبير «٣» وفيه بعد.

وقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه هذه الآية تضمنت قصتين: إحداهما: الأدب في أمر الطعام والجلوس، والثانية: أمر الحجاب.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٣١٦) رقم (٢٨٥٨١) عن ابن عباس، وعن قتادة برقم (٢٨٥٨٢) ، وذكره البغوي (٣/ ٥٣٨) ، وابن عطية (٤/ ٣٩٤) ، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٠١) . والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٩) ، وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٣١٨) (٢٨٥٨٩) ، وذكره البغوي (٣/ ٥٣٨) ، وابن عطية (٤/ ٣٩٤) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٩) ، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٩٤) .." (١)

"النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة» «١» . رواه الترمذي، وابن حبان في «صحيحه» ، ولفظهما سواء، وقال الترمذي: حسن غريب. انتهى من «السلاح» .

وقوله سبحانه: يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب: ثوب أكبر من الخمار، وروي عن ابن عباس وابن مسعود: أنه الخمار، واختلف في صورة إدنائه: فقال ابن عباس «٢» / وغيره: ذلك أن تلويه المرأة حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها، وقال ٧٧ أابن عباس أيضا وقتادة: ذلك أن تلويه على الجبين وتشده، ثم تعطفه على الأنف، وإن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه «٣» .

وقوله: ذلك أدنى أن يعرفن: أي حتى لا يختلطن بالإماء، فإذا عرفن لم يقابلن بأذى من المعارضة مراقبة لرتبة الحرائر، وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى يعلم من هي وكان عمر إذا رأى أمة قد تقنعت قنعها بالدرة محافظة على زي الحرائر.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٦٠ الى ٧١]

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/٣٥٥

لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا (٦٠) ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا (٦١) سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٦٢) يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (٦٣) إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا (٦٤)

خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا (٦٥) يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (٦٦) وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا (٦٧) ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا (٦٨) يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها (٦٩)

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (٧٠) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما (٧١)

وقوله تعالى: لئن لم ينته المنافقون ... الآية. اللام في قوله: لئن هي المؤذنة بمجيء القسم، واللام في لنغرينك: هي لام القسم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢/ ٣٥٤) كتاب الصلاة: باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، حديث (٤٨٤) ، وابن حبان (٣/ ١٩٢) ، رقم (٩١١) ، من حديث ابن مسعود.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وصححه ابن حبان.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٣٢) عن ابن عباس برقم (٢٨٦٤٧) ، وذكره البغوي (٣/ ٥٤٤) ، وابن عطية (٤/ ٣٩٩) ، وابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٥) عن ابن عباس رضي الله عنه، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤١٥) ، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس.

(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٩٩) .." [(١)]

"وقال ابن زيد: المراد ب من ينشؤا في الحلية: الأصنام والأوثان، لأنهم كانوا يجعلون الحلي على كثير منها، ويتخذون كثيرا منها من الذهب والفضة «١» ، وقرأ أكثر السبعة:

وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وقرأ الحرميان وابن عامر: «عند الرحمن إناثا» وهذه القراءة

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣٥٩/٤

أدل على رفع المنزلة «٢» .

وقوله تعالى: «أأشهدوا خلقهم» معناه أأحضروا خلقهم، وفي قوله تعالى: ستكتب شهادتهم ويسئلون وعيد مفصح، وأسند ابن المبارك عن سليمان بن راشد أنه بلغه أن امرأ لا يشهد شهادة في الدنيا إلا شهد بها يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، ولا يمتدح عبدا في الدنيا إلا امتدحه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، قال القرطبي في «تذكرته» : وهذا صحيح يدل على صحته قوله تعالى: ستكتب شهادتهم ويسئلون وقوله: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [ق: ١٨] انتهى.

[سورة الزخرف (٤٣) : الآيات ٢٠ الى ٢٥]

وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون (٢٠) أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون (٢١) بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون (٢٢) وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون (٢٣) قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون (٢٤)
فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين (٢٥)

وقوله سبحانه: وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ... الآية، أي: ما عبدنا الأصنام.

ت: وقال قتادة وغيره: يعني: ما عبدنا الملائكة «٣» ، وجعل الكفار إمهال الله لهم دليلا على رضاه عنهم، وأن ذلك كالأمر به، ثم نفى سبحانه علمهم بهذا، وليس عندهم كتاب منزل يقتضي ذلك وإنما هم يظنون ويحدسون/ ويخمنون، وهذا هو الخرص والتخرص، والأمة هنا بمعنى الملة والديانة، والآية على هذا تعيب عليهم التقليد،

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٤٧) برقم: (٣٠٨٠٠) ، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٩) .

(٢) ينظر: «السبعة» (٥٨٥) ، و «الحجة» (٦/ ١٤٠) ، و «إعراب القراءات» (٢/ ٢٩٥) ، و «معاني القراءات» (٢/ ٣٦٢) ، و «شرح الطيبة» (٥/ ٢١٨) ، و «العنوان» (١٧١) ، و «حجة القراءات» (٦٤٧) ، و «شرح شعلة» (٥٧٦) ، و «إتحاف» (٢/ ٤٥٤) .

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٣٦) آية رقم: (٢٠) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧١٩) ، وعزاه إلى عبد بن حميد.." (١)

"وقوله: ولا تستعجل لهم معناه: ولا تستعجل لهم عذابا فإنهم إليه صائرون، ولا تستطل تعميرهم في هذه النعمة فإنهم يوم يرون العذاب كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة لاحتقارهم ذلك لأن المنقضي من الزمان يصير عدما.

ت: وإذا علمت- أيها الأخ- أن الدنيا أضغاث أحلام، كان من الحزم اشتغالك الآن بتحصيل الزاد للمعاد، وحفظ الحواس، ومراعاة الأنفاس، ومراقبة مولاك، فآتخذه صاحبا، وذر الناس جانبا قال أبو حامد الغزالي- رحمه الله-: اعلم أن صاحبك الذي لا تفارقه في حضرك وسفرك، ونومك ويقظتك، بل في حياتك، وموتك- هو ربك، ومولاك، وسيدك، وخالقك، ومهما ذكرته فهو جليسك إذ قال تعالى: «أنا جليس من ذكرني» ، ومهما انكسر قلبك حزنا على تقصيرك في حق دينك، فهو صاحبك وملازمك إذ قال: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» «١» فلو عرفته يا أخي حق معرفته لاتخذته صاحبا، وتركت الناس جانبا، فإن لم تقدر/ على ذلك في جميع أوقاتك، فإياك أن تخلي ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه بمولاك، وتلذذ بمناجاته، وعند ذلك فعليك بآداب الصحبة مع الله تعالى، وآدابها: إطراق الطرف، وجمع الهم، ودوام الصمت، وسكون الجوارح، ومبادرة الأمر، واجتناب النهي، وقلة الاعتراض على القدر، ودوام الذكر باللسان، وملازمة الفكر، وإيثار الحق، واليأس من الخلق، والخضوع تحت الهيبة والانكسار تحت الحياء، والسكون عن حيل الكسب ثقة بالضمان، والتوكل على فضل الله معرفة بحسن اختياره وهذا كله ينبغي أن يكون شعارك، في جميع ليلك ونهارك، فإنه آداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك، والخلق كلهم يفارقونك في بعض أوقاتك، انتهى من «بداية الهداية» .

وقوله: بلاغ يحتمل معاني:

أحدها: أن يكون خبر مبتدإ محذوف، أي: هذا إنذار وتبليغ.

ويحتمل أن يريد: كأن لم يلبثوا إلا ساعة كانت بلاغهم، وهذا كما تقول: متاع قليل، وقيل غير هذا، وقرأ أبو مجلز وغيره «٢» : بلاغ على الأمر، وقرأ الحسن بن أبي

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٧٧/٥

(١) ينظر: «إتحاف السادة المتقين» للزبيدي (٦٣) .

(٢) وقرأ بها أبو سراج الهذلي.

ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٤٠) ، و «المحتسب» (٢/ ٢٦٨) ، و «المحرر الوجيز» (٥/ ١٠٨) ، و «البحر المحيط» (٨/ ٦٨) ، و «الدر المصون» (٦/ ١٤٥) .." (١)

"وكون العبد في قبضة القدرة والعلم قد أحيط به، فالقرب هو بالقدرة والسلطان، إذ لا ينحجب عن علم الله لا باطن ولا ظاهر، والوريد: عرق كبير في العنق، ويقال: إنهما وريدان عن يمين وشمال.

وأما قوله تعالى: إذ يتلقى المتلقيان فقال المفسرون: العامل في إذ أقرب ويحتمل عندي أن يكون العامل فيه فعلا مضمرا تقديره: اذكر إذ يتلقى المتلقيان، والمتلقيان: الملكان الموكلان بكل إنسان، ملك اليمين الذي يكتب الحسنات، وملك الشمال الذي يكتب السيئات قال الحسن: الحفظة أربعة: اثنان بالنهار، واثنان بالليل «١» ، قال ع «٢» : ويؤيد ذلك الحديث الصحيح: «يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» «٣» الحديث/ بكماله، ويروى أن ملك اليمين أمير على ملك الشمال، وأن العبد إذا أذنب يقول ملك اليمين للآخر: تثبت لعله يتوب رواه إبراهيم التيمي، وسفيان الثوري، وقعيد: معناه قاعد.

[سورة ق (٥٠) : الآيات ١٨ الى ٢٢]

ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨) وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩) ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد (٢٠) وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٢)

وقوله سبحانه: ما يلفظ من قول ... الآية، قال الحسن بن أبي الحسن وقتادة:

يكتب الملكان جميع الكلام، فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات، ويمحو غير هذا «٤» ، وهذا هو ظاهر هذه الآية، قال أبو الجوزاء، ومجاهد: يكتبان عليه كل شيء حتى أنينه في مرضه «٥» ، وقال عكرمة: يكتبان الخير والشر فقط «٦» قال ع «٧» : والأول أصوب.

ت: وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل شيء يتكلم به ابن آدم، فإنه مكتوب عليه، إذا أخطأ خطيئة، فأحب أن يتوب إلى الله، فليأت، فليمد يديه إلى الله

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥/٢٢٦

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٦) برقم: (٣١٨٦٣) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية (٥/ ١٦٠) .

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٠) .

(٣) تقدم.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٧) برقم: (٣١٨٦٥) ، وذكره ابن عطية (٥/ ١٦٠) .

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٧) برقم: (٣١٨٦٨) عن ابن زيد، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٢) ، وابن عطية (٥/ ١٦٠) ، والسيوطي في «الدر المنثور» ، وعزاه لابن المنذر عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٦) برقم: (٣١٨٦٤) ، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٢) ، وابن عطية (٥/ ١٦٠) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١١٩) ، وعزاه لابن المنذر.

(٧) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٠) . [.....]." (١)

"عز وجل، ثم يقول: اللهم، إني أتوب إليك منها، لا أرجع إليها أبدا، فإنه يغفر له ما لم يرجع في عمله ذلك» رواه الحاكم في «المستدرك» ، وقال: صحيح على شرط الشيخين، يعني البخاري ومسلما «١» ، انتهى من «السلاح» ، قال النووي- رحمه الله تعالى-: ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه من جميع الكلام إلا كلاما تظهر فيه مصلحته، ومتى استوى الكلام وتركه بالمصلحة فالسنة الإمساك فإنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وهذا هو الغالب، والسلامة لا يعدلها شيء، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا أو ليصمت» «٢» وهو نص صريح فيما قلناه، قال: وروينا في «كتاب الترمذي» / و «ابن ماجه» عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» قال الترمذي: حديث حسن «٣» ، وفيه عن عقبة بن عامر «قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك» قال الترمذي: حديث حسن «٤» ، وفيه عنه صلى الله عليه وسلم قال: «من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه، دخل الجنة» قال الترمذي: حديث حسن «٥» ، انتهى، **والرقيب:** المراقب، والعتيد: الحاضر.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥/٢٨٣

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢٩) ، (٤/ ٢٦١) .

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) تقدم.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٥٨) كتاب «الزهد» باب: (١١) (٢٣١٧) ، وابن ماجه (٢/ ١٣١٥-١٣١٦) كتاب «الفتن» باب: كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٦) من حديث أبي هريرة.

قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه.

والحديث أخرجه أحمد (١/ ٢٠١) ، هذا اللفظ، وله رواية أخرى بلفظ «من حسن إسلام المرء قلة الكلام فيما لا يعنيه» ، كلاهما من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢١) : رواه أحمد، والطبراني في الثلاثة، ورجال أحمد و «الكبير» ثقات، وعن زيد بن ثابت، رواه الطبراني في «الصغير» وفيه محمد بن كثير بن مروان وهو ضعيف.

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠٥) كتاب «الزهد» باب: ما جاء في حفظ اللسان (٢٤٠٦) ، وأحمد (٥/ ٢٥٩) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٩) .

قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠٦) كتاب «الزهد» باب: ما جاء في حفظ اللسان (٢٤٠٩) ، والحاكم (٤/ ٣٥٧) ، وابن حبان (١٣/ ٩- ١٠) كتاب «الحظر والإباحة» باب: ما يكره من الكلام وما لا يكره، ذكر البيان بأن من عصم من فتنة فمه وفرجه رجي له دخول الجنة (٥٧٠٣) .

قال الترمذي: أبو حازم الذي روى عن أبي هريرة اسمه: سلمان مولى عزة الأشجعية وهو كوفي، وأبو حازم الذي روى عن سهل بن سعد هو: أبو حازم الزاهد مدني، واسمه: سلمة بن دينار، وهذا حديث." (١)

"يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن فتنقمع الشهوات، وتحترق بالخوف، ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة، ويصير العبد مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر/ عاقبته فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شغل إلا **المراقبة** والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات، ثم قال: واعلم أنه لا تنقمع الشهوات بشيء كما تنقمع بنار الخوف،

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٨٤/٥

انتهى.

[سورة الفجر (٨٩) : الآيات ١٥ الى ٢١]

فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن (١٥) وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن (١٦) كلا بل لا تكرمون اليتيم (١٧) ولا تحاضون على طعام المسكين (١٨) وتأكلون التراث أكلا لما (١٩)

وتحبون المال حبا جما (٢٠) كلا إذا دكت الأرض دكا دكا (٢١)

وقوله سبحانه: فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه ... الآية، ذكر تعالى في هذه الآية ما كانت قريش تقوله وتستدل به على إكرام الله وإهانته لعبده، وجاء هذا التوبيخ في الآية لجنس الإنسان، إذ قد يقع بعض المؤمنين في شيء من هذا المنزع، وابتلاه معناه:

اختبره، ونعمه أي جعله ذا نعمة.

و «قدر» بتخفيف الدال بمعنى: ضيق، ثم قال تعالى: كلا ردا على قولهم ومعتقدهم، أي: ليس إكرام الله تعالى وإهانته كذلك، وإنما ذلك ابتلاء فحق من ابتلي بالغنى أن يشكر ويطيع، ومن ابتلي بالفقر أن يشكر ويصبر، وأما إكرام الله فهو بالتقوى وإهانته فبالمعصية، وطعام في هذه الآية بمعنى: إطعام، ثم عدد عليهم جدهم في أكل التراث، لأنهم كانوا لا يورثون النساء ولا صغار الأولاد، وإنما كان يأخذ المال من يقاتل ويحمي الحوزة، و «اللم» الجمع واللف، قال الحسن: هو أن يأخذ في الميراث حظه وحظ غيره «١» ، والجم الكثير الشديد ومنه قول الشاعر: [الرجز]

إن تغفر اللهم تغفر جما ... وأي عبد لك لا ألما «٢»

ومنه الجم من الناس، ودك الأرض تسويتها.

[سورة الفجر (٨٩) : الآيات ٢٢ الى ٢٣]

وجاء ربك والملك صفا صفا (٢٢) وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى (٢٣)

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٧٤) ، (٣٧١٧١) ، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٠) ، والسيوطي في «الدر

المنثور» (٤/ ٥٨٦) ، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن الحسن بنحوه.

(٢) تقدم.." (١)

"الفاعل في نفسه كما تقول: وجدتني/ وظننتني، ثم حقر تعالى غنى هذا الإنسان وحاله بقوله: إن إلى ربك الرجعى

أي: بالحشر والبعث يوم القيامة، وفي هذا الخبر وعيد للطاغين من الناس، ثم صرح بذكر الناهي لمحمد ع، ولا خلاف أن الناهي أبو جهل، وأن العبد المصلي هو محمد ع.

[سورة العلق (٩٦) : الآيات ١٤ الى ١٩]

ألم يعلم بأن الله يرى (١٤) كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية (١٥) ناصية كاذبة خاطئة (١٦) فليدع ناديه (١٧) سندع الزبانية (١٨)

كلا لا تطعه واسجد واقترب (١٩)

وقوله تعالى: ألم يعلم بأن الله يرى إكمال للتوبيخ والوعيد بحسب التوفيقات الثلاث، يصلح مع كل واحد منها، ت: وفي قوله تعالى: ألم يعلم بأن الله يرى ما يثير الهمم الراكدة، ويسيل العيون الجامدة، ويبعث على الحياء **والمراقبة**، قال الغزالي:

اعلم أن الله مطلع على ضميرك، ومشرف على ظاهرك وباطنك، فتأدب أيها المسكين ظاهرا وباطنا بين يديه سبحانه واجتهد أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك، ولا تدع عنك التفكر في قرب الأجل، وحلول الموت القاطع للأمل، وخروج الأمر من الاختيار، وحصول الحسرة والندامة بطول الاغترار، انتهى، ثم توعده تعالى لئن لم ينته ليؤخذن بناصيته، فيجر إلى جهنم ذليلا، تقول العرب: سفعت بيدي ناصية الفرس، والرجل إذا جذبتها مذللة، وقال بعض العلماء بالتفسير: معناه لتحرقن، من قولهم: سفعته النار، واكتفى بذكر الناصية لدلالتها على الوجه والرأس، والناصية مقدم شعر الرأس، ثم أبدل النكرة من المعرفة في قوله: ناصية كاذبة ووصفها بالكذب والخطإ من حيث هي صفات لصاحبها.

قوله: فليدع ناديه أي أهل مجلسه، والنادي والندي: المجلس، ومنه دار الندوة، وقال البخاري قال مجاهد: ناديه: عشيرته «١» .

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥/٥٨٧

وقوله: سندع الزبانية أي: / ملائكة العذاب، ثم قال- تعالى- لنبيه- عليه السلام-: كلا لا تطعه أي: لا تلتفت إلى نهيه وكلامه واسجد لربك واقترب إليه بسجودك، وفي الحديث: «أقرب ما يكون العبد من ربه إذا سجد، فأكثروا من الدعاء في السجود، فقمن أن يستجاب لكم» ، وروى ابن وهب عن جماعة من أهل العلم: أن قوله: واسجد: خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأن قوله: واقترب: خطاب لأبي جهل، أي: إن

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٤٩) ، (٣٧٦٩٠) عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٢٧) ، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.." (١)

"مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون (٥٥) فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين (٥٦) وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين (٥٧) ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم (٥٨) إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (٥٩) الحق من ربك فلا تكن من الممترين (٦٠) فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين (٦١) إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم (٦٢) فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين (٦٣)

* * *

(إذ قال الله) ظرف لمكر الله، (يا عيسى إني متوفيك) المراد من الوفاة ها هنا النوم، وعليه الأكثرون أو في الآية تقديم وتأخير تقديره إني رافعك إلي ومتوفيك يعني بعده أو توفاه الله ثلاث ساعات حين رفعه إليه أو سبع ساعات (١) ثم أحياه أو متوفيك من الدنيا، وليس بوفاة موت أي: قابضك من الأرض وافيا لم ينالوا منك شيئا من توفيت مالي، (ورافعك إلي) إلى محل كرامتي، (ومطهرك من الذين

---

(١) كلام باطل يتفق مع أساطير النصارى قاتلهم الله.

قال الإمام فخر الدين الرازي ما نصه:

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥/٦٠٩

اعترفوا بأن الله تعالى شرف عيسى في هذه الآية بصفات:
الصفة الأولى: إني متوفيك ونظيره قوله تعالى حكاية عنه فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم [المائدة: ١١٧] واختلف أهل التأويل في هاتين الآيتين على طريقين أحدهما: إجراء الآية على ظاهرها من غير تقديم، ولا تأخير فيها والثاني: فرض التقديم والتأخير فيها، أما الطريق الأول فبيانه من وجوه الأول: معنى قوله إني متوفيك أي متمم عمرك، فحينئذ أتوفاك، فلا أتركهم حتى يقتلوك، بل أنا رافعك إلى سمائي، ومقربك بملائكتي، وأصونك عن أن يتمكنوا من قتلك وهذا تأويل حسن والثاني: متوفيك أي مميتك، وهو مروي عن ابن عباس، ومحمد بن إسحاق قالوا: والمقصود أن لا يصل أعداؤه من اليهود إلى قتله ثم إنه بعد ذلك أكرمه بأن رفعه إلى السماء ثم اختلفوا على ثلاثة أوجه أحدها: قال وهب: توفي ثلاث ساعات، ثم رفع وثانيها: قال محمد بن إسحاق: توفي سبع ساعات، ثم أحياه الله ورفعه الثالث: قال الربيع بن أنس: إنه تعالى توفاه حين رفعه إلى السماء، قال تعالى: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها [الزمر: ٤٢].
الوجه الرابع: في تأويل الآية أن الواو في قوله متوفيك ورافعك إلي تفيد الترتيب فالآية تدل على أنه تعالى يفعل به هذه الأفعال، فأما كيف يفعل، ومتى يفعل، فالأمر فيه موقوف على الدليل، وقد ثبت الدليل أنه حي
وورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنه سينزل ويقتل الدجال»
ثم إنه تعالى يتوفاه بعد ذلك.
الوجه الخامس: في التأويل ما قاله أبو بكر الواسطي، وهو أن المراد إني متوفيك عن شهواتك وحظوظ نفسك، ثم قال: ورافعك إلي وذلك لأن من لم يصر فانيا عما سوى الله لا يكون له وصول إلى مقام معرفة الله، وأيضا فعيسى لما رفع إلى السماء صار حاله كحال الملائكة في زوال الشهوة، والغضب والأخلاق الذميمة.
والوجه السادس: أن التوفي أخذ الشيء وافيا، ولما علم الله أن من الناس من يخطر بباله أن الذي رفعه الله هو روحه لا جسده ذكر هذا الكلام ليدل على أنه عليه الصلاة والسلام رفع بتمامه إلى السماء بروحه وبجسده ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى: وما يضرونك من شيء
[النساء: ١١٣].
والوجه السابع: إني متوفيك أي أجعلك كالمتوفى لأنه إذا رفع إلى السماء وانقطع خبره وأثره عن الأرض

كان كالمتوفى، وإطلاق اسم الشيء على ما يشابهه في أكثر خواصه وصفاته جائز حسن.

الوجه الثامن: أن التوفي هو القبض يقال: وفاني فلان دراهمي وأوفاني وتوفيتها منه، كما يقال: سلم فلان دراهمي إلي وتسلمتها منه، وقد يكون أيضا توفي بمعنى استوفى وعلى كلا الاحتمالين كان إخراجه من الأرض وإصعاده إلى السماء توفيا له.

فإن قيل: فعلى هذا الوجه كان التوفي عين الرفع إليه فيصير قوله ورافعك إلي تكرارا.

قلنا: قوله إني متوفيك يدل على حصول التوفي وهو جنس تحته أنواع بعضها بالموت وبعضها بالإصعاد إلى السماء، فلما قال بعده ورافعك إلي كان هذا تعيينا للنوع ولم يكن تكرارا.

الوجه التاسع: أن يقدر فيه حذف المضاف والتقدير: متوفي عملك بمعنى مستوفي عملك ورافعك إلي أي ورافع عملك إلي، وهو كقوله إليه يصعد الكلم الطيب [فاطر: ١٠] والمراد من هذه الآية أنه تعالى بشره بقبول طاعته وأعماله، وعرفه أن ما يصل إليه من المتاعب والمشاق في تمشية دينه وإظهار شريعته من الأعداء فهو لا يضيع أجره ولا يهدم ثوابه، فهذه جملة الوجوه المذكورة على قول من يجري الآية على ظاهرها.

الطريق الثاني: وهو قول من قال: لا بد في الآية من تقديم وتأخير من غير أن يحتاج فيها إلى تقديم أو تأخير، قالوا إن قوله ورافعك إلي يقتضي أنه رفعه حيا، والواو لا تقتضي الترتيب، فلم يبق إلا أن يقول فيها تقديم وتأخير، والمعنى: أني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالي إياك في الدنيا، ومثله من التقديم والتأخير كثير في القرآن.

واعلم أن الوجوه الكثيرة التي قدمناها تغني عن التزام مخالفة الظاهر والله أعلم. اهـ (مفاتيح الغيب ٨/ ٢٣٧ - ٢٣٨)." (١)

"سورة النساء

وهي مائة وست وسبعون آية وأربعة وعشرون ركوعا

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١) وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٥١/١

بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (٢) وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا (٣) وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا (٤) ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا (٥) وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا (٦) للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا (٧) وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا." (١)

"معروفا (٨) وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا (٩) إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا (١٠)

* * *

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة): هي آدم. (وخلق منها زوجها): حواء من ضلع من أضلاعها. (وبث): نشر. (منهما رجالا كثيرا ونساء) أي: كثيرا. (واتقوا الله الذي تساءلون به) أي: تتساءلون فيما بينكم حوائجكم به، كما تقولون: أسألك بالله، أدغمت التاء الثانية في السين، وقرئ بطرحها (والأرحام) أي: اتقوا الأرحام أن تقطعوها (إن الله كان عليكم رقيبا) حافظا مطلعا فاتقوه.

(وءاتوا اليتامى أموالهم) نزلت في رجل معه مال لابن أخ يتيم له فطلبه بعد البلوغ ومنعه (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب): ولا تستبدلوا حرام أموالهم بحلال." (٢)

"يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون): الخارجون عن طاعة ربهم (وأنزلنا إليك الكتاب) أي: القرآن (بالحق) متلبسا به (مصدقا لما بين يديه من الكتاب): من جنس الكتب المنزلة (ومهيمنا عليه): رقيبا على سائر الكتب وشهيدا. فكل خبر يوافقه فحق وما خالفه منها فمحرف باطل أو حاكما على ما قبله من الكتب (فاحكم بينهم) بين أهل الكتاب (بما أنزل الله) إليك (ولا تتبع أهواءهم) بالانحراف (عما

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣٢٨/١

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣٢٩/١

جاءك من الحق) ولتضمن لا تتبع معنى الانحراف تعلق به عن أو حال عن الفاعل أي: مائلا عما جاءك (لكل جعلنا منكم) أيها الناس (شرعة): سبيلا (ومنهاجا): سنة السنن هي مختلفة في التوراة شريعة وفي الإنجيل." (١)

"فإني أعذبه عذابا): تعذيبا، (لا أعذبه)، الضمير للمصدر فيكون في موقع المفعول المطلق ويقوم مقام العائد فإن لا أعذبه صفة عذابا أو من باب الحذف والإيصال أي: لا أعذب به، (أحدا من العالمين): عالمي زمانهم والأصح أن المائدة نزلت وكفروا بها فمسخوا قردة وخنازير، قيل ما مسخ أحد قبلهم خنزيرا، فالعالمين مطلق قال عبد الله بن عمر: أشد الناس عذابا (١) يوم القيامة المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون.

* * *

(وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (١١٦) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧) إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨) قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات

---

(١) في الأصل " عتابا " والتصويب من بحر العلوم للسمرقندي.." (٢)

"شهيدا): مشاهدا لأحوالهم، (ما دمت فيهم فلما توفيتني)، بالرفع إلى السماء، والتوفي أخذ الشيء وافيا، (كنت أنت **الرقيب** عليهم). المراقب لأحوالهم، (وأنت على كل شيء شهيد): مطلع عليه، (إن تعذبهم فإنهم عبادك): لا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل في ملكه، (وإن تغفر لهم) مع كفرهم (فإنك أنت العزيز الحكيم): القوي القادر على الثواب، والعقاب لا تثيب ولا تعاقب إلا عن حكمة، والمغفرة وإن كانت قطعية الانتفاء في الكفار بحسب الوعيد، لكن يحتمل الوقوع، واللاوقوع بحسب العقل فجاز استعمال إن فيه، ومسألة الكلام أن غفران الشرك جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة قيل معناه،

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤٧١/١

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٥١١/١

إن تعذبهم أي: من يكفر منهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم أي: من أسلم منهم، (قال الله): مجيبا لرسوله فيما أنهاه إليه من التبري من النصارى، (هذا يوم ينفع الصادقين): المستمرين، (صدقهم): في دنياهم إلى آخرتهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما معناه ينفع الموحدين توحيدهم، والمشار إليه يوم القيامة، ومن قرأ (يوم) بالنصب فيكون ظرفا لقال، والمشار إليه قوله " يا عيسى ابن مريم ءأنت " إلخ، (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه): هذا نفعهم، (ذلك الفوز العظيم لله ملك السماوات والأرض وما فيهن): خلقا وملكا فلا شك فى كذب زعم النصارى، (وهو على كل شيء قدير): فلا يكون إلا هو وحده إلها لأنه لو كان متعددا لابد أن يكون كل واحد قادرا على كل شيء، وهذا محال. والحمد لله حق حمده ..

* * *." (١)

"إضلالهم، (ولو شاء الله): توحيدهم، (ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا): رقيبا تحفظ أعمالهم وتجازيهم أو تحفظ من عذاب الله، (وما أنت عليهم بوكيل): تقوم بأمرهم.

(ولا تسبوا الذين يدعون): يعبدون، (من دون الله) أي: أصنامهم، (فيسبوا الله عدوا): ظلما، (بغير علم): على جهالة بالله يعني سب آلهتهم، وإن كان حقا لكن فيه مفسدة عظيمة، نزلت حين قالوا: يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا، أو لنهجون ربك أو كان المسلمون يسبون آلهتهم وهم يسبون الله عدوا، (كذلك): مثل ذلك التزيين، (زينا لكل أمة): من أمم الكفار، (عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون): بالمجازاة.." (٢)

"عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط (٩٢) ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣) ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٩٤) كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود (٩٥)

* * *

(وإلى مدين) اسم بلدة، (أخاهم) من أشرافهم نسبا، (شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله) وحده، (ما لكم من إله

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٥١٣/١

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٥٦٧/١

غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان) نهاهم عن هذا بعد الإيمان؛ لأنهم اعتادوا البخس، (إني أراكم بخير) موسرين في نعمة وخصب لا حاجة لكم إلى التطفيف، (وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) وعدهم بعذاب يحيط بهم فلا يفلت منهم أحد ووصف اليوم بالإحاطة لاشتماله على عذاب محيط، (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان) أمر بالإيفاء بعد أن." (١)

"أدري ما تقول، (وإنا لنراك فينا ضعيفا) لأنه كان أعمى (١) أو لأنه لا خدم ولا عسكر له، (ولولا رهطك) أي: عزتهم فإنهم على ديننا والرهط من الثلاثة إلى العشرة، (لرجمناك) قتلناك بأذل وجه، (وما أنت علينا بعزيز) يمنعنا عزك عن الرجم، (قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله) فإنكم تبقون علي لرهطي ولا تبقون علي لله وأنا رسوله، (واتخذتموه) أي: الله، (وراءكم ظهريا) جعلتموه كالشيء الملقى وراء الظهر وهو منسوب إلى الظهر والكسر من تغيرات النسب كالإمسي في الأمس، (إن ربي)، أي: علمه، (بما تعملون محيط) فيجازي عليه، (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) أي: قارين على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك أو على تمكنكم من أمركم، (إني عامل) ما أنا عليه، (سوف تعلمون) استئناف كأنه قيل فماذا يكون بعد ذلك؟ فقال: سوف تعلمون (من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب) أي: سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فإنهم أوعدوه وسموه كاذبا، أو من استفهامية منقطعة عن سوف تعلمون أي: أينا يأتيه إلخ، (وارتقبوا) انتظروا ما أقول لكم، (إني معكم رقيب) منتظر،

---

(١) لا دليل عليه ولو صح ذلك لعيروه شعيبا – عليه السلام – بذلك.." (٢)

"لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق (٣٤) مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار (٣٥) والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب (٣٦) وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق (٣٧)

* * *

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ١٩٢/٢

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ١٩٥/٢

(ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا): أطلت لهم المدة، (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) أي: عقابي إياهم وهذا تسلية لنبينا عليه السلام، (أفمن هو قائم): رقيب، (على كل نفس بما كسبت): من خير وشر فيحفظها ويجازيها والخبر محذوف، أي: كمن لا يكون كذلك والهمزة لإنكار المساواة، (وجعلوا لله شركاء) عطف على كسبت أو استئناف، وقيل: نقدر الخبر المحذوف لم يوحدوه فقوله وجعلوا عطف عليه، وقيل تقديره أفمن هو قائم على كل نفس) موجود وقد جعلوا لله شركاء فعلى هذا الواو للحال، (قل سموهم)." (١)

"يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (٥٠) ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما (٥١) لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢)

* * *

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا)، في الحديث (أكثروا ذكر الله حتى يقال مجنون)، وعن ابن عباس رضى الله عنه: ما فرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، (وسبحوه بكرة): أول النهار، (وأصيلا) وآخره خصوصا، وعن بعض: المراد صلاة الصبح والعصر أو." (٢)

"كثير من السلف: لما خيرن بين الدنيا والآخرة فاخترن الآخرة كما تقدم جازاهن الله بتحريم التزويج لغيرهن، ثم نسخ حكم هذه الآية كما دل عليه الأحاديث الصحاح وأباح له التزوج أي عدد أراد لكن لم يقع منه بعد ذلك لتكون المنة له عليه السلام وعن بعض معناه: لا يحل لك النساء من بعد الأجناس الأربعة التي مر ذكرها في قوله: " إنا أحللنا " الآية، فلا يحل له عربية غير بنات عمه وعماته وخاله وخالاته، ولا غير مهاجرة وإن كانت قريبة، ولا غير مؤمنة فقوله " ولا أن تبدل بهن " على هذا تأكيد بخلافه في المعنى الأول، (إلا ما ملكت يمينك) استثناء متصل من النساء المتناول للأزواج والإماء، أو منقطع، (وكان الله

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٧٦/٢

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣٥٨/٣

على كل شيء رقيبا) فلا تتخطوا عما حد لكم.

* * *

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من." (١)

"كما قال تعالى: (يستغفرون للذين آمنوا) [غافر: ٧]، وقيل: الاستغفار طلب هدايتهم التي هي موجب الغفران، فيعم الكافر (ألا إن الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه أولياء) شركاء (الله حفيظ عليهم): رقيب على أعمالهم، يحصيها ويجزيهم (وما أنت) يا محمد (عليهم بوكيل): بموكل بهم، (إنما أنت نذير) [هود: ١٢] (وكذلك) أي: مثل ذلك الإيحاء البين (أوحينا إليك قرآنا) مفعول أوحينا (عربيا لتنذر أم القرى): مكة، أي: أهلها (ومن حولها) قرئ الأرض كلها، أو المراد العرب، وترك المفعول الثاني لقصد العموم أي: بأنواع الإنذار (وتندر يوم الجمع) يقال: أنذرته النار وبالنار. وترك المفعول الأول للعموم أيضا، أى: لتنذر كل أحد عن هول يوم القيامة، الذي يجمع فيه الأولون والآخرون (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له (فريق) أي: منهم فريق يعني مشارفين للتفريق، والضمير للمجموعين الدال عليه يوم الجمع (في الجنة وفريق في السعير) والجملة حال من مفعول الجمع، ولذلك قدرنا الجار والمجرور مقدما؛ لأنه إذا كانت الجملة الاسمية حالا بغير واو، ولم يكن فيما صدرته الجملة ضمير إلى ذي الحال، لكان ضعيفا (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة): على دين واحد (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) بالهداية (والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير): يدفع عنهم العذاب وينصرهم، وتغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد، وتكثير الفائدة (أم اتخدوا) بل اتخذوا." (٢)

"(ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير): إنكار لأعمالكم، وجاز أن يراد إنكار لوعد الله تعالى ووعيده (فإن أعرضوا) عن الإجابة (فما أرسلناك عليهم حفيظا): رقيبا تحفظ أعمالهم (إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان) أي: جنسه (منا رحمة) كصحة وغني (فرح بها) فأشر وبطر (وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم) بسبب قبائحهم (فإن الإنسان كفور): بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويقنط، علق الحكم

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣/٣٦٣

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤/٥٦

بصريح اسم الجنس دون الضمير العائد إلى مثله، تسجيلا على أن هذا الجنس موسوم بالكفران (لله ملك السماوات والأرض) فيقسم." (١)

"من قول إلا لديه **رقيب** عتيد (١٨) وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩) ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد (٢٠) وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٢) وقال قرينه هذا ما لدي عتيد (٢٣) ألقيا في جهنم كل كفار عنيد (٢٤) مناع للخير معتد مريب (٢٥) الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد (٢٦) قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد (٢٧) قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد (٢٨) ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد (٢٩)

* * *

(ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه): ما يخطر بضميره، " ما " موصولة والباء صلة لـ توسوس أي: الذي تحدث نفسه به أو مصدرية، والباء للتعدية والضمير للإنسان، (ونحن أقرب إليه) المراد قرب علمه منه فتجوز بقرب الذات،." (٢)

"والإضافة بيانية، (إذ يتلقى): يتلقن بالحفظ، (المتلقيان): الملكان الحفيظان، إذ ظرف لأقرب، وفيه إشعار بأنه تعالى غني عن استحفاظ الملكين لكن إقامتهما لحكمة، أو إذ تعليل لقرب الملائكة، (عن اليمين): قعيد، (وعن الشمال قعيد)، حذف المبتدأ من الأول لدلالة الثاني عليه، وقيل: الفعيل للواحد والجمع، (ما يلفظ من قول إلا لديه): لدى القول، أو الإنسان، (**رقيب**): ملك يرقبه، (عتيد): حاضر، وهو يكتب كل شيء؟ فيثبت في القيامة ما كان فيه من خير أو شر وألقى سائره، أو لا يكتب إلا الخير والشر؟ فيه خلاف بين السلف، والقرآن يشعر بالأول، ولو قيل: المراد من قوله إلا لديه **رقيب** ملك يسمعه لا يحفظه، ويكتبه فقلنا: فالمناسب **رقيبان**، لأن السماع لا يختص بواحد، (وجاءت سكرة الموت): شدته، (بالحق)، الباء للتعدية أي: أتت بحقيقة الأمر الذي كنت تمتري فيه، (ذلك): الحق، (ما كنت منه تحيد): تميل فلم تقربه، لما ذكر إنكارهم البعث، واحتج عليهم بشمول علمه وقدرته أعلمهم أن ما أنكروه يلاقون عن قريب فنبه على الاقتراب بلفظ الماضي، أو معناه جاءت سكرته متلبسة بالحكمة ذلك الموت مما

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٧٢/٤

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ١٨٠/٤

كنت تفر منه، (ونفخ في الصور) أي: نفخة البعث، (ذلك): النفخ أي: وقته، (وجاءت كل نفس معها سائق): من الملك يسوقه إلى الله تعالى، (وشهيد): منه يشهد عليه بأعماله فمعه ملكان، وعن بعض المراد من الشهيد جوارحه، وكل نفس وإن كان نكرة صورة، لكن معرفة معنى، لأنه بمعنى النفوس فجاز أن يكون ذا الحال، (لقد كنت في غفلة من هذا) أي: يقال لكل نفس، فإن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا يقظة، (فكشفنا." (١)

"وفهمناه الحكم والمثل (لرأيته خاشعا متصدعا) متشققا (من خشية الله وتلك الأمثال) التي في القرآن (نضربها للناس لعلهم يتفكرون) والمراد توبيخ الإنسان على عدم تخشعه وقلة تدبره وعدم الاتعاظ بالقرآن (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب) ما غاب عنا (والشهادة) وما حضر (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس) الطاهر البليغ في النزاهة عن كل نقصان (السلام) ذو السلامة من كل نقص (المؤمن) واهب الأمن أو المصدق للمؤمنين والكافرين في وعدهم ووعيدهم (المهيمن) **الرقيب** المطلع على السرائر (العزيز الجبار) العظيم أو الذي جبر خلقه على مراده أو جبر حالهم." (٢)

"الاستعلاء لما في الشهيد من معنى **الرقيب** والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة إلا من العدول الأخيار وتقديم الظرف لدلالة على اختصاص شهادته عليه السلام بهم {وما جعلنا القبلة التى كنت عليها} جرد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم رمزا إلى أن مضمون الكلام من الأسرار الحقيقة بأن يخص معرفته به عليه السلام وليس الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل من أن الجعل تحويل الشئ من حالة إلى أخرى فالملتبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني كما في قولك جعلت الطين خزفا فينبغي أن يكون المفعول الأول هو الموصول والثاني هو القبلة فكلام صناعي ينساق إليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التأمل اللائق يهدي إلى العكس فإن المقصود إفادته ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة الوجود هذه الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هي الكعبة فإنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي إليها أولا ثم لما هاجر أمر بالصلاة إلى الصخرة تألفا لليهود أو هي الصخرة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من أن قبلته عليه السلام بمكة كانت بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن أن يراد بالقبلة الأولى الكعبة

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤/١٨٢

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤/٢٩٥

وأما الصخرة فيتأتى إرادتها على الروايتين والمعنى على الأول وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها آثر ذي أثير وهي الكعبة وعلى الثاني وما جعلناها التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة

{إلا لنعلم} استثاء مفرغ من أعم العلل أي وما جعلنا ذلك لشئ من الأشياء إلا لنمتحن الناس أي نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم حينئذ

{من يتبع الرسول} في التوجه إلى ما أمر به من الدين أو القبلة والالتفات إلى الغيبة مع إيراده عليه السلام بعنوان الرسالة للإشعار بعلة الاتباع

{ممن ينقلب على عقبيه} يرتد عن دين الإسلام أو لايتوجه إلى القبلة الجديدة أو لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لايتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الأول ماردناك إلى ما كنت عليه إلا لنعلم الثابت على الإسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف إيمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي أي ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين وإسناده إليه سبحانه لما أنهم خواصه وليتميز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى {ليميز الله الخبيث من الطيب} فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على بناء المجهول من صيغة الغيبة والعلم إما بمعنى المعرفة أو متعلق بما في من من معنى الاستفهام أو مفعوله الثاني ممن ينقلب الخ أي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه

{وإن كانت لكبيرة} أي شاقة ثقيلة وإن هي المخففة من الثقيلة دخلت على ناسخ المبتدأ والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله تعالى إن كان وعد ربنا لمفعولا وزعم الكوفيون أنها نافية واللام بمعنى إلا أي ما كانت إلا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع إلى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها من الجعلة أو التولية أو التحويلة أو الردة أوالقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على أن كان مزيدة كما في قوله ... وإخوان لنا كانوا كرام ...

وأصله وإن هي لكبيرة كقوله إن زيد لمنطلق

{إلا على الذين هدى الله} أي إلى سر الأحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح إجمالا وتفصيلا وهم المهديون إلى الصراط المستقيم الثابتون على الإيمان واتباع الرسول عليه السلام

{وما كان الله ليضيع إيمانكم} أي ما صح وما استقام له." (١)

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٧٣/١

"{يسألونك عن الخمر والميسر} تواردت في شأن الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون بشربونها ثم إن عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قالوا أفتنا يا رسول الله في الخمر فإنها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فأقام أحدهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن أبي وقاص في نفر فلما سكروا تفاخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله تعالى فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب ,وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة منها في بئر فبنيت في مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف فنبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو أدخلت أصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الإيمان والتقى حقا رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والخمر مصدر خمره أي ستره سمي به من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كأنها نفس الستر كما سميت سكرا لأنها تسكرهما أي تحجزهما والميسر مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته إذا قمرته واشتقاقه إما من اليسر لأنه أخذ المال بيسر من غير كد وإما من اليسار لأنه سلب له وصفته أنه كانت لهم عشرة أقداح هي الأزلام زالاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين إلا الثلاثة هي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم." (١)

"سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلاثة غرم ثمن الجزور مع حرمانه وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لايدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكمه جميع أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إياكم وهاتين اللعبتين المشئومتين فإنهما مياسر العجم وعن علي كرم الله وجهه أن النرد

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢١٨/١

والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عن حكمهما وعما في تعاطيهما

{قل فيهما إثم كبير} أي في تعاطيهما ذلك لما أن الأول مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للأموال

{ومنافع للناس} من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ إثم كثير بالمثلثة وفي تقديم بيان إثمه ووصفه بالكبر وتأخير ذكر منافعه مع تخصيصهما بالناس من الدلالة على غلبة الأول مالا يخفى على ما نطق به قوله تعالى

{وإثمهما أكبر من نفعهما} أي المفاسد المترتبة على تعاطيهما أعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرئ أقرب من نفعهما

{ويسألونك ماذا ينفقون} عطف على يسألونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة أي أي شيء ينفقونه قيل هو عمرو بن الجموح أيضا سأل أولا لا من أي جنس ينفق من أجناس الأموال فلما بين جواز الإنفاق من جميع الأجناس سأل ثانيا من أي أصنافها ننفق أمن خيارها أم من غيرها أو سأل عن مقدار ما ينفقه منه فقيل

{قل العفو} بالنصب أي ينفقون العفو أو انفقوا العفو وقرئ بالرفع على أن ما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون أي الذي ينفقونه العفو قال الواحدي أصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل وتيسر مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطاء والسدي وكانت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه فكرر ذلك مرارا حتى قال عليه السلام مغضبا هاتها فأخذها فخذفها عليه خذفا لو أصابته لشجته ثم قال يأتي أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى

{كذلك} إشارة إلى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة المشار إليه في الفضل مع كمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة وإفراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل أو الفريق أو لعدم القصد إلى تعيين المخاطب كما مر ومحله النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك البيان الواضح الذي هو عبارة عما مضى في أجوبة الأسئلة المارة

{يبين الله لكم الآيات} الدالة على الأحكام الشرعية المذكورة لا بيانا أدنى منه وقد مر تمام تحقيقه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا وتبيين الآيات تنزيلها مبينة الفحوى واضحة المدلول لا أنه تعالى يبينها بعد أن كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة
{لعلكم تتفكرون} لكي تتفكروا فيها." (١)

"٢ - النساء وقرئ تسألون من الثلاثي أي تسألون به غيركم وقد فسر به القراءة الأولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك رأيت الهلال وتراءيناه وبه فسر عم يتساءلون على وجه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة إلى السين
{والارحام} بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة تساءلون به وبالأرحام فإنهم كانوا يقرنونها في السؤال والمناشدة بالله عز وجل ويقولون أسألك بالله وبالرحم أو عطفا على الاسم الجليل أي اتقوا الله والأرحام وصلوها ولاتقطعوها فإن قطيعتها مما يجب أن يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والفراء والزجاج وقد جوز الواحدي نصبه على الإغراء أي والزموا الأرحام وصلوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والأرحام كذلك أي مما يتقى أو يتساءل به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه الجليل على أن صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى {ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا} وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله
{إن الله كان عليكم رقيبا} أي مراقبا وهي صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا إذا أحد النظر لأمر يريد تحقيقه أي حافظا مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الأفعال والأقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك وهو تعليل للأمر ووجوب الامتثال به وإظهار الاسم الجليل لتأكيده وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل." (٢)

"المائدة ٤٨ بهذا العنوان جنس برأسه وإن كان في نفسه نوعا مخصوصا من مدلول لفظ الكتاب وعن هذا قالوا اللام للعهد إلا أن ذلك لا ينتهي إلى خصوصية الفردية بل إلى خصوصية النوعية التي هي أخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب السماوي أيضا حيث خص بما عدا القرآن {ومهيمنا

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢١٩/١
(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٣٩/٢

عليه} أي رقيبا على سائر الكتب المحفوظة من التغيير لأنه يشهد لها بالصحة والثبات ويقررأصول شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعين أحكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتاب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في أن تمييز أحكامها الباقية على المشروعية أبدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من أحكام كونه مهيمنا عليه وقرىء ومهيمنا عليه على صيغة المفعول أي هو من عليه وحوفظ من التغيير والتبديل كقوله عز وجل ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ إما من جهته تعالى كما في قوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون أو الحفاظ في الأعصار والأمصار والفاء في قوله تعالى {فاحكم بينهم} لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن كون شأن القرآن العظيم حقا مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الأمم مهيمنا عليه من موجبات الحكم المأمور به أي إذا كان القرآن كما ذكر فاحكم بين أهل الكتابين عند تحاكمهم إليك {بما أنزل الله} أي بما أنزله إليك فإنه مشتمل على جميع الأحكام الشرعية الباقية في الكتب الإلهية وتقديم بينهم لفعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضوع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما في حين الصلة للحكم والالتفات بإظهار الإسم الجليل لتربية المهابة والإشعار بعلة الحكم {ولا تتبع أهواءهم} الزائغة {عما جاءك من الحق} الذي لا محيد عنه وعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كأنه قيل ولا تعدل عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله أي لا تتبع أهواءهم عادلا عما جاءك وفيه أن ما وقع حالا لا بد أن يكون فعلا عاما ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الأول للإيماء بما في حيز الصلة من مجيء الحق إلى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الأهواء وقوله تعالى {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا} كلام مستأنف جيء به لحمل أهل الكتابين من معاصريه صلى الله عليه وسلم على الانقياد لحكمه بما أنزل إليه من القرآن الكريم ببيان أنه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وإنما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الأمم السالفة والخطاب بطريق التلوين والالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين أيضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد وهو إخبار بجعل ماض لا إنشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل ولا ضير في توسط جعلنا بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات الخ والمعنى لكل أمة كائنة منكم أيها الأمم الباقية والخالية جعلنا أي عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الأمة لا تكاد أمة تتخطى شرعتها التي عينت لها فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التوارة والتي كانت من مبعث عيسى إلى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم شرعتهم الإنجيل وأما أنتم أيها الموجودون

فشرعتكم القرآن ليس إلا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هي الطريقة إلى الماء شبه بها الدين لكونه سبيلا موصولا إلى ما هو سبب للحياة الأبدية كما أن سبب للحياة الأبدية كما أن الماء سبب للحياة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الأمر إذا وضح." (١)

"{ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به} استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد أدرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على أبلغ وجه وآكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الأقوال المغايرة للمأمور به فدخل فيه انتفاء صدور القول المذكور دخولا أوليا أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني به وإنما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الأدب ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى {أن اعبدوا الله ربى وربكم} تفسير للمأمور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر او مفعول مثل عو أو أعني {وكنت عليهم شهيدا} رقيبا أراعي أحوالهم وأحملهم على العمل بموجب أمرك وأمنعهم عن المخالفة أو مشاهدا لأحوالهم من كفر وإيمان {ما دمت فيهم} ما مصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف إليه زمان ودمت صلتها أي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم {فلما توفيتني} بالرفع إلى السماء كما في قوله تعالى إني متوفيك ورافعك إلى فإن التوفي أخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها {كنت أنت الرقيب عليهم} لا غيرك فأنت ضمير الفصل أو تأكيد وقرىء الرقيب بالرفع على أنه خبر أنت والجملة خبر لكان وعليهم." (٢)

"{ولو شاء الله} أي عدم إشراكهم حسبما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء {ما أشركوا} وهذا دليل على أنه تعالى لا يريد إيمان الكافر لكن لا بمعنى أنه تعالى يمنعه عنه مع توجهه إليه بل بمعنى أنه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الإيمان وإصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للإعراض وكذا قوله تعالى {وما جعلناك عليهم حفيظا} أي رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم أعمالهم وكذا قوله تعالى {وما أنت عليهم بوكيل} من جهتهم تقوم بأمورهم وتدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق بما بعده قد عليه للاهتمام به أو لرعاية الفواصل." (٣)

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣/٤٥

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣/١٠١

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣/١٧١

"{وجاوزنا ببني إسرائيل البحر} شروع في قصة بني إسرائيل وشرح ما أحدثوه من الأمور الشنيعة بعد أن أنقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام الموجبة للشكر وأراهم من الآيات الكبار ما تخر له شم الجبال تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإيقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم **ومراقبة** أحوالهم وجاوز بمعنى جاز وقرىء جوزنا بالتشديد وهو أيضا بمعنى جاز فعدي بالباء أي قطعنا بهم البحر روي أنه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله تعالى فرعون فصاموه شكرا لله عز وجل {فاتوا} أي مروا {على قوم} قيل كانوا من لخم وقيل من العمالقة الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم {يعكفون على أصنام لهم} أي يواظبون على عبادتها ويلازمونها وقرىء بكسر الكاف قال ابن جريج كانت أصنامهم تماثيل بقر وهو أول شأن العجل {قالوا} عندما شاهدوا أحوالهم {يا موسى اجعل لنا إلها} مثالا نعبده {كما لهم آلهة} الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لإلها وما موصولة ولهم صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير هذا إثر ما شاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق إذ لا جهل أعظم مما ظهر منهم وأكده بقوله." (١)

"٩ سورة براءة الآية (٩) يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله صلى الله عليه وسلم وأما ما قيل من أنه لاستبعاد ثباتهم على العهد فكما ترى لأن ما يذكر بصدد التعليل للاستبعاد عين عدم ثباتهم على العهد لا أنه شيء يستدعيه وإنما أعيد الاستنكار والاستبعاد تأكيدا لهما وتمهيدا لتعداد العلل الموجبة لهما لإخلال تخلل ما في البين من الارتباط والتقريب حذف الفعل المستنكر للإيذان بأن النفس مستحضرة له مترقبة لورود ما يوجب استنكاره لا لمجرد كونه معلوما كما في قوله ... وخبرتماني أنما الموت بالقرى ... فكيف وهاتا هضبة وقليب ...

فإنه علة مصححة لا مرجحة أي كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وسلم

{وإن يظهروا عليكم} أي وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم أي يظفروا بكم

{لا يرقبوا فيكم} أي لا يراعوا في شأنكم وأصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه **الرقيب** ثم استعمل في مطلق الرعاية **والمراقبة** أبلغ منه كالمراعاة وفي نفي الرقوب من المبالغة ما ليس في نفيها

{إلا ولا ذمة} أي حلفا وقيل قرابة ولا عهدا أو حقا يعاب على إغفاله مع ما سبق لهم من تأكيد الأيمان

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣/٢٦٧

والمواثيق يعني أن وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة الآخر لها فإذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها على منوال قول من قال ... علام تقبل منهم فدية وهم ... لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا ...

وقيل الإل من أسماء الله عز وجل أي لا يراعوا حق الله تعالى وقيل الجوار ومآله الحلف لأنهم إذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به أصواتهم لتشهيره ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهما للرعاية عند عدمه كشف عن حقيقة شئونهم الجلية والخفية بطريق الاستئناف وبين أنهم في حالة العجز أيضا ليسوا من الوفاء في شيء وأن ما يظهرونه مداهنة لا مهادنه فقيل

{يرضونكم بأفواههم} حيث يظهرون الوفاء والمصافاة ويعدون لكم بالإيمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالأيمان الفاجرة وتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الإرضاء إلى الأ فواه للإيذان بأن كلامهم مجرد ألفاظ يتفوهون بها من غير أن يكون لها مصداق في قلوبهم

{وتأبى قلوبهم} ما يفيده كلامهم

{وأكثرهم فاسقون} خارجون عن الطاعة فإن مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليست لهم مروءة رادعة ولا عقيدة وزاعة ولا يتسترون كما يتعاطاه بعضهم ممن يتفادى عن الغدر ويتعفف عما يجر أحدوثة السوء." (١)

"{فإن تولوا} أي تتولوا بحذف إحدى التاءين أي أن تستمروا على ما كنتم عليه من التولي والإعراض {فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم} أي لم أعاتب على تفريط في الإبلاغ وكنتم محجوجين بأن بلغكم الحق فأبيتم إلا التكذيب والجحود

{ويستخلف ربي قوما غيركم} استئناف بالوعيد لهم بأن الله تعالى يهلكهم ويستخلف في ديارهم وأموالهم قوما آخرين أو عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بالجزم عطفا على الموضع كأنه قيل فإن تولوا يعذرني ويهلكهم ويستخلف مكانكم آخرين وفي اقتصار إضافة الرب عليه الصلاة والسلام رمز إلى اللطف به والتدمير للمخاطبين

{ولا تضرونه} بتوليكم

{شيئا} من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف أسقط منه النون

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٤/ ٤٦

{إن ربي على كل شيء حفيظ} أي رقيب مهيمن فلا تخفى عليه أعمالكم فيجازيكم بحسبها أو حافظ مستول على كل شيء فكيف يضره شيء وهو الحافظ للكل." (١)

"فيه وابدلوا جهدكم في مضارتي وإيقاع ما في نيتكم وإخراج ما في أمنيتكم من القوة إلى الفعل

{إني عامل} على مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني بأنواع التأييد والتوفيق

{سوف تعلمون} لما هددهم عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم إني عامل كان مظنة أن يسأل منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون

{من يأتيه عذاب يخزيه} وصف العذاب بالإخزاء تعريضا بما أوعدوه عليه السلام به من الرجم فإنه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون إلا بجناية عظيمة توجبه

{ومن هو كاذب} عطف على من يأتيه لا على أنه قسيمه بل حيث أوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب ومن الكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عليه السلام وفي نسبته إلى الضعف والهوان وفي ادعائهم الإبقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لأن كذب الكاذب ليس بمرتقب كإتيان العذاب بل إنما المرتقب ظهور الكذب السابق المستمر ومن إما استفهامية معلقة للعلم عن العمل كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا كاذب وإما موصولة أي سوف تعرفون الذي يأتيه عذاب والذي هو كاذب

{وارتقبوا} وانتظروا مآل ما أقول

{إني معكم رقيب} منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم أو المراقب كالعشير أو المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم إظهار منه عليه السلام لكمال الوثوق بأمره

هود (٩٤ ٩٥)." (٢)

"{فلولا كان} فهلا كان

{من القرون} الكائنة

{من قبلكم} على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أو كائنة من قبلكم

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢١٩/٤

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٣٧/٤

{أولوا بقية} من الرأي والعقل أو أولوا فضل وخير وسميا بها لأن الرجل إنما يستبقي مما يخرجه عادة أجوده وأفضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية من التقوى أي فهلا كان منهم ذوو إبقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده أنه قرىء أولو بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه إذا راقبه وانتظره أي أولو **مراقبة** وخشية من عذاب الله تعالى كأنهم ينتظرون نزوله لإشفاقهم {ينهون عن الفساد فى الارض} الواقع منهم حسب ما حكى عنه

{إلا قليلا ممن أنجينا منهم} استثناء منقطع أي لكن قليلا منهم أنجيناهم لكونهم على تلك الصفة على أن من للبيان لا للتبعيض لأن جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام." (١)

"يوسف آية (٦٧) محدثا بل مجرد تحققه ووقوعه من غير إخلال به كما في قولك لأحجن العام إلا أن أحصر فإن مرادك إنما هو الإخبار بعدم منع ما سوى حال الإحصار عن الحج إلا الإخبار بمقارنته لتلك الأحوال على سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصلاة كأن اعتبار الأحوال معه من حيث عدم منعها منه فآل المعنى إلى التأويل المذكور

{فلما آتوه موثقهم} عهدهم من الله حسبما أراد يعقوب عليه السلام

{قال الله على ما نقول} أي على ما قلنا في أثناء طلب الموثق وإيتائه من الجانبين وإيثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدي إلى تثبتهم ومحافظتهم على تذكره ومراقبته

{وكيل} مطلع **رقيب** يريد به عرض ثقته بالله تعالى وحثهم على مراعاة ميثاقهم." (٢)

"{أفمن هو قائم} أي **رقيب** مهيمن {على كل نفس} كائنة من كانت {بما كسبت} من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يجازي كلا بعمله وهو الله تعالى والخبر محذوف أي كمن ليس كذلك إنكارا لذلك وإدخال الفاء لتوجيه الإنكار إلى توهم المماثلة غب ما علم مما فعل تعالى بالمستهزئين من الإملاء المديد والأخذ الشديد ومن كون الأمر كله لله تعالى وكون هداية الناس جميعا منوطة بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة إلى أن يأتي وعد الله كأنه قيل الأمر كذلك فمن هذا شأنه كما ليس في عداد الأشياء حتى تشركوه به فالإنكار متوجه إلى ترتب المعطوف أعني توهم المماثلة على المعطوف

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٤/٢٤٦

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٤/٢٩٢

عليه المقدر أعني كون الأمر كما ذكر كما في قولك أتعلم الحق فلا تعمل به لا إلى المعطوفين جميعا كما إذا قلت ألا تعلمه فلا تعمل به وقوله تعالى {وجعلوا لله شركاء} جملة مستقلة جيء بها للدلالة على الخبر أو حيالة أي أفمن هذه صفاته كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا واحدا أو معطوفة على الخبر إن قدر ما يصلح لذلك أي أفمن هذا شأنه لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما وللتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الإبهام بإيراده موصولا للدلالة على التفخيم وقوله تعالى {قل سموهم} تبكيت لهم إثر تبكيت أي سموهم من هم وماذا أسماؤهم أو صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة {أم تنبئونه} أي بل أتنبئون الله {بما لا يعلم في الأرض} أي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض وقرىء بالتخفيف {أم بظاهر من القول} أي بل أتسمونهم بشركاء بظاهر من القول من غير أن يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله تعالى ذلك قولهم بأفواههم وهاتيك الأساليب البديعة التي ورد عليها الآية الكريمة منادية على أنها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين {بل زين للذين كفروا} وضع الموصول موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر {مكرهم} تمويههم الأباطيل أو كيدهم للإسلام بشركهم {وصدوا عن سبيل الله} أي سبيل الحق من صده صدا وقرىء بكسر الصاد على نقل حركة الدال إليها وقرىء بفتحها أي صدوا الناس أو." (١)

"انحل ٩٢ ٩٣ {ولا تنقضوا الأيمان} التي تحلفون بها عند المعاهدة {بعد توكيدها} حسبما هو المعهود في أثناء العهود لا على أن يكون النهي مقيدا بالتوكيد مختصا به {وقد جعلتم الله عليكم كفيلا} شاهدا **رقيبا** فإن الكفيل مراع لحال المكفول به محافظ عليه {أن الله يعلم ما تفعلون} من نقض الأيمان والعهود فيجازيكم على ذلك." (٢)

"{واصبر} أي على ما أصابك من جهتهم من فنون الآلام والأذية وعاينت من إعراضهم عن الحق بالكلية {وما صبرك إلا بالله} استثناء مفرغ من أعم الأشياء أي وما صبرك ملابسا ومصحوبا بشيء من الأشياء إلا بالله أي بذكره والاستغراق في **مراقبة** شئونه والتبتل إليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته عليه الصلاة والسلام وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه مالا مزيد عليه أو إلا بمشيئته المبنية على حكم بالغة

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٤/٥

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٣٧/٥

مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية من حيث اشتماله على غايات جميلة وقيل إلا بتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره فقط {ولا تحزن عليهم} أي على الكفارين بوقوع اليأس من إيمانهم بك ومتابعتهم لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم والأول هو الأنسب بجزالة النظم الكريم {ولا تك فى ضيق} بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل أي لا تكن في ضيق صدر وحرج ويجوز أن يكون الأول تخفيف ضيق كهين من هين أي في أمر ضيق {مما يمكرون} أي من مكرهم بك فيما يستقبل فالأول نهي عن التألم بمطلوب من قبلهم فات والثاني عن التألم بمحذور من جهتهم آت والنهي عنهما مع أن انتفاءهما من لوازم الصبر المأمور به لا سيما على الوجه الأول لزيادة التأكيد وإظهار كمال العناية بشأن التسلية وإلا فهل يخطر ببال من توجه إلى الله سبحانه بشر اشر نفسه متنزها عن كل ما سواه من الشواغل شيء من المطلوب فينهي عن الحزن." (١)

"{كلا} ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطئه {سنكتب ما يقول} أي سنظهر أنا كتبنا قوله كقوله ... إذا ما نتسبنا لم تلدني لئيمة ...

أي يتبين أني لم تلدني لئيمة أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة الجاني وحفظها عليه فإن نفس الكتيبة لا تكاد تتأخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فمبنى الأول تنزيل إظهار الشيء الخفي منزلة إحداث الأمر المعدوم بجامع أن كلا منهما إخراج من الكمون إلى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه إظهار الكتابة على رءوس الأشهاد بإحداثها ومدار الثاني تسمية الشيء باسم سببه فإن." (٢)

"{ولا تطع الكافرين والمنافقين} نهي عن مداراتهم في أمر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الإنذار كني عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج والإلهاب فقد أبعد عن التحقيق بمراحل {ودع أذاهم} أي لاتبال بأذيتهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والإنذار {وتوكل على الله} في كل ما تأتي وما تذر من الشئون التي من جملتها هذا الشأن فإنه تعالى يكفيكهم {وكفى بالله وكيلا} موكولا إليه الأمور في كل الأحوال وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتعليل الحكم وتأكيد استقلال الاعتراض التذييل

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٥٢/٥

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٧٩/٥

ولما وصف صلى الله عليه وسلم بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا أنه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الأمر **بالمراقبة** ثقة بظهور دلالة مقابل المبشر عليه وهو الأمر بالتبشير حسبما ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في إنذارهم كما تحققته وقوبل الداعي إلى الله بإذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث إنه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فإن من أيده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي إلى نور الرشاد حقيق بأن يكتفي به عن كل ما سواه." (١)

"{لا يحل لك النساء} بالياء لأن تأنيث الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وقرئ بالتاء {من بعد} أي من بعد التسع وهو في حقه كالأربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران {ولا أن تبدل} أي تتبدل بحذف إحدى التاءين {بهن} أي بهؤلاء التسع {من أزواج} بأن تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها أخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق أراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتي توفى صلى الله عليه وسلم عنهن وهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعه وأم سلمة بنت أبي أمية وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحرث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الأربعة اللاتي أحللناهن لك بالصفة التي تقدم ذكرها من الأعرابيات والغرائب أو من الكتابيات أو من الإماء بالنكاح ويأباه قوله تعالى ولا أن تبدل بهن فإن معنى إحلال الأجناس المذكورة إحلال نكاحهن فلا بد أن يكون معنى التبدل بهن إحلال نكاح غيرهن بدل إحلال نكاحهن وذلك إنما يتصور بالنسخ الذي ليس من الوظائف البشرية {ولو أعجبك حسنهن} أي حسن الأزواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من أزواج لنوغله في التنكير قيل تقديره مفروضا إعجابك بهن وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم وقيل هي أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب أي هي ممن أعجبه صلى الله عليه وسلم حسنهن واختلف في أن الآية محكمة أو منسوخة قيل بقوله تعالى ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء وقيل بقوله تعالى إنا أحللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة رضي الله عنها

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٠٨/٧

مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء وقال أنس رضي الله عنه مات صلى الله عليه وسلم على التحريم {إلا ما ملكت يمينك} استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء وقيل منقطع {وكان الله على كل شيء رقيبا} حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه." (١)

"{والذين اتخذوا من دونه أولياء} شركاء وأندادا {الله حفيظ عليهم} رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها {وما أنت عليهم بوكيل} بموكل بهم أو بموكول إليه أمرهم وإنما وظيفتك الإنذار." (٢)

"{فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا} تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي فإن لم يستجيبوا وأعرضوا عما تدوعهم إليه فما أرسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم {إن عليك إلا البلاغ} وقد فعلت {وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة} أي نعمة من الصحة والغنى والأمن {فرح بها} أريد بالإنسان الجنس لقوله تعالى {وإن تصبهم سيئة} أي بلاء من مرض وفقر وخوف {بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور} بليغ الكفر ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم أنها أصابته بغير استحقاق لها وإسناد هذه الخصلة إلى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الأفراد وتصدير الشرطية الأولى بإذا مع إسناد الإذاقة إلى نون العظمة للتنبيه على أن إيصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وأنه مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية بإن وإسناد الإصابة إلى السيئة وتعليلها بأعمالهم للإيذان بندرة وقوعها وأنها بمعزل عن الانتظام في سلك الإرداة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم." (٣)

"{ما يلفظ من قول} ما يرمي به من فيه من خير أو شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول {إلا لديه رقيب} ملك يرقب قوله ويكتبه فإن كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه وإلا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غني عن البيان والإفراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما أن كلا منهما رقيب لما فوض إليه لا لما فوض إلى صاحبه كما ينبأ عنه قوله تعالى {عتيد} أي معد مهيأ لكتابة ما أمر به من الخير أو الشر ومن لم ينتبه له توهم أن معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر لإثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلاف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شئ حتى أنينه في مرضه وقيل إنما يكتبان ما فيه من أجر أو

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١١١/٧

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٢/٨

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣٦/٨

وزر وهو الأظهر كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يساره وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر." (١)

"{ ٤

لغة فيه {السلام} ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة {المؤمن} واهب الأمن وقرىء بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار {المهيمن} الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الأمن بقلب همزته هاء {العزيز} الغالب {الجبار} الذي جبر خلقه على ما أراد أو جبر أحوالهم أي أصلحها {المتكبر} الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصانا أو البليغ الكبرياء والعظمة {سبحان الله عما يشركون} تنزيه له تعالى عما يشركونه به تعالى أو عن إشراكهم به تعالى إثر تعداد صفاته التي لا يمكن أن يشاركه تعالى في شيء منها شيء ما أصلا." (٢)

"{واذكر اسم ربك} ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم

{وتبتل إليه} أي وانقطع إليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك إلا بتجريد نفسه عليه الصلاة والسلام عن العوائق الصادة عن مراقبة اله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل تبتيلا مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية الفواصل." (٣)

"ذكرمن تأكيد فخامة المقسمبه المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وإن نافية ولما بمعنى إلا أي ما كل نفس إلا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصي تعالى {وإن عليكم لحافظين كراما} الآية وقوله تعالى {ويرسل عليكم حفظة} وقوله تعالى {له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه} وقرىء لما مخففة على أن إن مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة وما مزيدة أي أن الشأن كل نفس لعليها حافظ والفاء في قوله تعالى." (٤)

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٢٩/٨
(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٣٤/٨
(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٥١/٩
(٤) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٤١/٩

"فأما الإنسان

الخ متصل بما قبله كأنه قيل إنه تعالى بصدد **مراقبة** أحوال عباده ومجازاتهم بأعمالهم خيرا وشرا فأما الإنسان فلا يهمه ذلك وإنما مطمح أنظاره ومرصد أفكاره الدنيا ولذائذها

إذا ما ابتلاه ربه

أي عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفاء في قوله تعالى

فأكرمه ونعمه

تفسيرية فإن الإكرام والتنعيم من الابتلاء

فيقول ربي أكرمن

أي فضلني بما أعطاني من المال والجاه حسبما كنت أستحقه ولا يخطر بباله أنه فضل تفضل به عليه ليبلوه أيشكر أم يكفر وهو خبر للمبتدأ الذي هو الإنسان والفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فيقول ربي أكرمن وقت ابتلائه بالإنعام وإنما تقديمه للإيذان من أول الأمر بأن الإكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي." (١)

"الإشارة: مساجد الله هي حضرة القلوب وحضرة الأرواح وحضرة الأسرار، فحضرة القلوب لأهل **المراقبة** من أهل الإيمان، وحضرة الأرواح والأسرار لأهل المشاهدة والمكالمة من أهل الإحسان، فمن منع نفسه من الدخول في هذه الحضرات الثلاث، وسعى في خراب باطنه باتباع الحظوظ والشهوات، ومال إلى الدنيا وزخارفها الغرارات، فلا أحد أظلم منه نفسا، ولا أبخس منه صفقة. فلا ينجع في هؤلاء إلا خوف مزعج أو شوق مقلق. فإن لم يكن أحد من هذين بقي على غيه حتى مخايل الموت، فيحن إلى الدخول فيها خائفا، ولا ينفع حينئذ الندم، وقد زلت به القدم، له في الدنيا ذلك الفقر والجزع، وله في الآخرة غم الحجاب وسوء الحساب وحسرة العتاب، نسأل الله العافية في الدارين. آمين، بمنه وكرمه.

وقال القشيري: نفس العابد وطن العبادة، وقلب العارف وطن المعرفة، وروح الواجد وطن المحبة، وسر الموحد وطن المشاهدة، ولا أظلم ممن سعى في خراب وطن العابد بالشهوات، وفي وطن المعرفة بالمنى والعلاقات، وفي وطن المحبة بالحظوظ والمساكنات، وفي وطن الموحد بالالتفات إلى القربات. هـ. وبالله التوفيق.

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٩/٥١٦

ولما ذكر الحق تعالى تعطيل بعض المساجد والمنع من الصلاة فيها، وسع على عباده فى الصلاة حيث شاءوا، فقال:

[سورة البقرة (٢) : آية ١١٥]

ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم (١١٥)

قلت: (أينما) شرطية، و (تولوا) شرطها، وجملة (فثم) جوابها، و «ولي» يستعمل بمعنى أدبر وبمعنى أقبل، تقول: وليت عن كذا أو كذا، والوجه هنا بمعنى الجهة، تقول: سافرت في وجه كذا، أي في جهة كذا. قاله ابن عطية.

يقول الحق جل جلاله: ولله المشرق والمغرب، والجهات كلها له، لا يختص ملكه بمكان دون آخر، فإذا منعتم من الصلاة في المساجد ففي أي مكان كنتم ووليتم وجهكم إلى القبلة التي أمرتم بالتوجه إليها فثم جهته التي أمر بها، أو فثم ذاته المقدسة، أي: عالم مطلع على ما يفعل فيه، إن الله واسع بإحاطته بالإشياء، أو برحمته يريد التوسعة على عباده، عليم بمصالحهم وأعمالهم في الأماكن كلها.

وعن ابن عمر: أنها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة حيثما توجهت به، وقيل: في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا إلى أنحاء مختلفة، فلما أصبحوا تبينوا خطأهم، وعلى هذا: لو أخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ، لم يلزمه التدارك. قاله البيضاوي.

الإشارة: اعلم أن الأماكن والجهات، وكل ما ظهر من الكائنات، قائمة بأنوار الصفات، ممحوة بأحدية الذات، «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان» إذ لا وجود لشئ مع الله، فأينما تولوا فثم." (١)

"بتحصيل مراتبه، كتحقيق المشاهدة، وهو أن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يستطع فليعبده كأن الله يراه، وإن شئت قلت: رفع قواعد الإسلام يكون بتحقيق التوبة والتقوى والاستقامة، ورفع قواعد الإيمان يكون بتحقيق الإخلاص والصدق والطمأنينة، ورفع قواعد الإحسان يكون **بالمراقبة** والمشاهدة والمعرفة، كما قال الساحلى- رحمه الله-.

ثم ذكر الحق تعالى دعاءهم بعد البناء، فقال:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٥٥/١

[سورة البقرة (٢) : الآيات ١٢٨ الى ١٢٩]

ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (١٢٨) ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم (١٢٩)

قلت: قال ابن عباس رضي الله عنه: لما فرغ إبراهيم وإسماعيل من بناء البيت، دعوا بهذا الدعاء، فقالا: (ربنا واجعلنا مسلمين لك) أي: منقادين لأوامرك الظاهرة ولأحكامك القهرية.

واجعل من ذريتنا أمة أي: جماعة مسلمة لك. علما- بوحي أو إلهام- أنه يكون من ذريتهما من يكفر بالله، وأرنا أي: عرفنا وعلمنا مناسكنا في الحج. والنسك في الأصل: غاية العبادة، وشاع في الحج لما فيه من المشاق والكلفة، والبعد عن العادة. وتب علينا مما لا يليق بحالنا، فحسنات الأبرار سيئات المقربين، فلكل مقام ما ينقصه وإن كان كاملا. ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يستغفر في المجلس سبعين مرة. إذ ما من مقام إلا وقبله ما فيه نقص، فإذا ترقى عنه استغفر منه، إنك أنت التواب الرحيم أي: كثير القبول والإقبال على التائبين.

ربنا وابعث فيهم أي: في الذرية رسولا منهم وهو مولانا محمد صلى الله عليه وسلم قال- عليه الصلاة والسلام-:

«أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى» ، حال كونه يتلوا عليهم أي: يبلغهم آياتك الدالة على توحيدك وصدق رسالتك، ويعلمهم الكتاب أي: القرآن والحكمة أي: الشريعة أو السنة. وقال مالك: هي الفقه في الدين والفهم فيه، أو نور يضعه في قلب من شاء من عباده، ويزكيهم أي: يطهرهم من لوث المعاصي وكدر الحس، إنك أنت العزيز الغالب في حكمه وسلطانه، الحكيم في صنعه وإتقانه، والله تعالى أعلم.

الإشارة: تضمن دعاؤهما عليهما السلام ثلاثة أمور يطلب التماسها والتحقق بها من كل أحد أولها: الانقياد لله في الظاهر والباطن، بامتثال أمره والاستسلام لقهره، حتى يسري ذلك في الأصل إلى فرعه، وهي غاية المنة، قال في الحكم: «متى جعلك في الظاهر ممتثلا لأمره، وفي الباطن مستسلما لقهره، فقد أعظم منته." (١)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/١٦٦

"قال بعض العارفين: (لي أربعون سنة ما أقامني الحق في شيء فكرهته، ولا نقلني إلى غيره فسخطته)

.

بخلاف السفهاء من الجهال، فشأنهم الإنكار عند اختلاف الأحوال، فمن رأوه تجرد عن الأسباب وانقطع إلى الكريم الوهاب، قالوا: ما ولاه عن حاله الذي كان عليه؟ وأكثروا من الاعتراض والانتقاد عليه، وكذلك من رأوه رجع إلى الأسباب بعد الكمال، قالوا: قد انحط عن مراتب الرجال. وهو إنما زاد في مراتب الكمال. فالملك كله لله، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ويضل من يشاء بعدله الحكيم.

ثم شهد الحق تعالى لهذه الأمة بالعدالة والفضل، فقال:

وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ...

قلت: (الوسط) هو العدل الخير الفاضل، وهو في الأصل اسم للمكان الذي تستوي إليه المساحة من الجوانب، ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط، كالجود بين الإسراف والبخل، والشجاعة بين التهور والجبن، ثم أطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث. قاله البيضاوي.

يقول الحق جل جلاله: وكما جعلناكم مهتدين إلى الصراط المستقيم، وجعلنا قبلتكم أفضل الجهات، جعلناكم أمة أفضل الأمم، خيارا عدولا مزكين بالعلم والعمل، لتصلحوا للشهادة على غيركم، فتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس، ويزكيكم نبيكم فيشهد بعدالتكم.

قال البيضاوي: روي (أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو أعلم بهم، إقامة للحجة على المنكرين، فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون، فتقول الأمم: من أين عرفتم؟ فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق. فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيشهد بعدالتهم) .

وهذه الشهادة، وإن كانت لهم، لكن لما كان الرسول **كالرقيب** المهيمن على أمته عدي بعلى، وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم. هـ.

الإشارة: التفاضل بين الرجال إنما يكون بالعلم والحال، فمن قوي علمه بالله كان أعظم قدرا عند الله، والعلم الذي به الشرف عند الله هو العلم بذات الله وبصفاته وأسمائه، وكذا العلم بأحكام الله إذا حصل معه العلم بالله، فكلما انكشف الحجاب عن القلب كان أقرب إلى الرب، وانكشاف الحجاب يكون على

قدر التخلية والتحلية، فبقدر ما يتخلى القلب عن الرذائل، ويبعد عن القواطع والشواغل، ويتحلى بأنواع الفضائل، ينكشف عنه الحجاب ويدخل مع." (١)

"أحباي أنتم، أحسن الدهر أم أسا ... فكونوا كما شئتم، أنا ذلك الخل

وقال أيضا:

لو قال تيها: قف على جمر الغضا «١» ، ... لوقفت ممتثلا ولم أتوقف

وقال آخر:

ولو عذبتني في النار حتما ... دخلت مطاوعا وسط الجحيم

إذا كان الجحيم رضاك عني ... فما ذاك الجحيم سوى نعيم

الإشارة: المحبة: ميل دائم بقلب هائم، أو مراقبة الحبيب في المشهد والمغيب، أو مواطأة القلب لمراد الرب، أو خوف ترك الخدمة مع إقامة الحرمة، أو استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك، أو معانقة الطاعة ومباينة المخالفة، وقال الشبلي: (أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك) والمحب على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه، ولا مشيئة له غير مشيئته، وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: (المحبة أخذة من الله لقلب عبده المؤمن عن كل شيء سواه، فترى النفس مائلة لطاعته، والعقل متحصنا بمعروفه، والروح مأخوذة في حضرته، والسر مغمورا في مشاهدته، والعبد يستزيد من محبته فيزداد، ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته، فيكسي حلل التقريب على بساط القربة، ويمس أبكار الحقائق وثيبات العلوم، فمن أجل ذلك قالوا: أولياء الله عرائس، ولا يرى العرائس المجرمون ...) الخ كلامه.

واعلم أن محبة العبد لمولاه سببها شيئان:

أحدهما: نظر العبد لإحسان الله إليه وضروب امتنانه عليه، وجبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وهذا هو المسمى بحب الهوى، وهو مكتسب، لأن الإنسان مغمور بإحسانات الله إليه، ومتمكن من النظر فيها، فكلما طالع منة من منن الله التي لا تقبل الحصر ولا العد، كان ذلك كحبة زرعت في أرض قلبه الطيب الزكي، فلا يزال يطالع منة بعد منة، وكل منة أعظم من التي قبلها، لأنه كلما طالع المنن تنور قلبه وازداد إيمانا، وكشف من دقائق المنن ما لم يكن يكشف له قبل، وظهر له خفايا المنن، وعظمت محبته.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/ ١٧٤

(١) الغضى: شجر ءشبه من أصلب الخشب، وجمره يبقى زمانا طويلا لا ينطفئ.." (١)

"قلت: كانت الأنصار إذا حجوا أو اعتمروا، يقولون: لا يحول بيننا وبين السماء سقف، حتى يدخلوا بيوتهم، فإذا رجعوا تسوروا الجدران، أو نقبوا في ظهور بيوتهم، فجاء رجل منهم فدخل من الباب، فعير بذلك، فأنزل الحق جل جلاله: وليس البر أي: الطاعة، بأن تأتوا البيوت من ظهورها فتتسوروها، أو تنقبوا من أعلاها، ولكن البر من اتقى المحارم وخالف الشهوات.

أو: ليس البر بأن تعكسوا مسائلكم بأن تسألوا عما لا نفع لكم فيه، وتتركوا مسائل العلم التي تنفعكم في العاجل والآجل. ولكن البر من اتقى ذلك، وأتوا بيوت العلم من أبوابها، فتحسنون السؤال وتتأدبون في المقال، وتقدمون الأهم فالأهم، والأنفع فالأنفع. واتقوا الله فلا تغيروا أحكامه، ولا تعترضوا على أفعاله، لعلكم تفلحون بتوفيقه وهدايته.

الإشارة: اعلم أن البيوت التي يدخلها المريد ثلاثة: بيت الشريعة وبيت الطريقة وبيت الحقيقة، ولكل واحد أبواب فمن أتى البيت من بابه دخل. ومن أتاه من غيره طرد.

فبيت الشريعة له ثلاثة أبواب: الباب الأول: التوبة، فإذا دخل هذا الباب، وحقق التوبة بأركانها وشروطها، استقبله باب الاستقامة، وهي: متابعة الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله، فإذا دخله، وحقق الاستقامة، استقبله باب التقوى بأقسامها. فإذا حقق التقوى ظاهرا وباطنا، دخل بيت الشريعة المطهرة، وتنزه في محاسنه ومعانيه، ثم يروم دخول بيت الطريقة، وله ثلاثة أبواب:

الباب الأول: الإخلاص وهو: إفراد العمل لله من غير حرف ولا حظ، فإذا حقق الإخلاص استقبله باب التخلية وهى التطهير من العيوب الباطنة، وهي لا تنحصر، لكن من ظفر بالشيخ أطلعه عليها، وعلمه أدويتها، فإذا حقق التخلية استقبله باب التحلية، وهي: الاتصاف بأنواع الفضائل كالصبر والحلم والصدق والطمأنينة والسخاء والإيثار، وغير ذلك من أنواع الكمالات. فإذا حقق الإخلاص والتخلية والتحلية فقد حقق بيت الطريقة، ثم يستقبله بيت الحقيقة.

فأول ما يقرع باب **المراقبة**، وهي: حفظ القلب والسر من الخواطر الردية، فإذا تطهر القلب من الخواطر الساكنة، استشرف على باب المشاهدة، وهى: محو الرسوم في مشاهدة أنوار الحي القيوم، أو تلطيف

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/١٩٤

الأواني عند ظهور المعاني، فإذا دخل باب المشاهدة، وسكن فيها، استقبله باب المعرفة، وهي محل الرسوخ والتمكين، وهي الغاية والمنتهى، فبيت الحقيقة هو مسجد الحضرة الربانية. وما بقي بعدها إلا الترقي في المقامات، وزيادة المعارف والكشوفات أبدا سرمدا، منحنا الله من ذلك حظا وافرا بمنه وكرمه.." (١)

"يقول الحق جل جلاله: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا أجر صدقتكم بالمن بها على المتصدق عليه، والأذى الذي يصدر منكم له، بأن تذكروا ذلك للناس، فتكون صدقتكم باطلة، كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، فإن أجره يوم القيامة يكون هباء منثورا، فمثله في انتفاعه بصدقته، وتستره بها في دار الدنيا، وافتضاحه يوم القيامة، كحجر أملس عليه تراب يستره، فيظن الرائي أنه أرض طيبة تصلح للزراعة، فأصابه وابل أي: مطر غرير فتركه صلدا حجرا يابسا خاليا من التراب، كذلك المراءون بأعمالهم، ينتفعون بها في الدنيا بثناء الناس عليهم وستر حالهم، فإذا قدموا يوم القيامة وجدوها باطلة، لا يقدرون على الانتفاع ب شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين إلى مراشدهم ومصالح دينهم. وفيه تعريض بأن الرياء والمن والأذى من صفة الكافر، ولا بد للمؤمن أن يتجنب عنها.

وبالله التوفيق.

الإشارة: تصفية الأعمال على قدر تصفية القلوب، وتصفية القلوب على قدر **مراقبة** علام الغيوب، **والمراقبة** على قدر المعرفة. والمعرفة على قدر المشاهدة. والمشاهدة تحصل على قدر المجاهدة، والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا. وفي الحكم: «حسن الأعمال من نتائج حسن الأحوال. وحسن الأحوال من التحقق بمقامات الإنزال» والحاصل أن من لم يتحقق بمقام الفناء لا تخلو أعماله من شوب الخلل، ومن تحقق بالزوال لم ير لنفسه نسبة في عطاء ولا منع، ولا حركة ولا سكون، ولم ير لغيره وجودا حتى يرجو منه نفعا ولا خيرا. وفي بعض الإشارات: يا من يرائي أمر من من ترائي بيد من تعصيه. هـ. وفي تمثيله بالحجر إشارة إلى قساوة قلبه ويبوسه طبعه، فلا يرجى منه خير قط. والعياذ بالله.

ثم ذكر الحق تعالى ضد هؤلاء، وهم المخلصون، فقال:

[سورة البقرة (٢) : آية ٢٦٥]

ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٢٢١

ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير (٢٦٥)

قلت: الربوة- مثلثة الراء-: المكان المرتفع، والوابل: المطر الغزير، والطل: المطر الخفيف، وفي ذلك يقول الراجز:

والطل ما خف من الأمطار ... والوابل الغزير ذو أنهمار." (١)

"الأشارة: لا ينبغي للمريد الصادق أن يخالط أهل الغفلة، ولا يتودد معهم فإن ذلك يقطعه عن ربه، ويصده عن دواء قلبه، وفي ذلك يقول صاحب العينية:

وقاطع لمن واصلت أيام غفلة ... فما واصل العذال إلا مقاطع

وجانب جناب الأجنبي لو أنه ... لقرب انتساب في المنام مضاجع

فللنفس من جلاسها كل نسبة ... ومن خلة للقلب تلك الطبائع

إلا أن يتقي منهم تقية، بحيث تلجئه الضرورة إلى مخالطتهم، فيخالطهم بجسمه ويفارقهم بقلبه، وقد حذر الصوفية من صحبة أربع طوائف: الجبابرة المتكبرون، والقراء المداهنون، والمتفقرة الجاهلون، والعلماء المتجمدون لأنهم مولعون بالطعن على أولياء الله، يرون ذلك قربة تقربهم إلى الله.

ثم قال: (ويحذركم الله نفسه) أن تقصدوا معه غيره، وهذا خطاب للسائرين بدليل تعقيبة بقوله: (وإلى الله المصير) أي: إليه ينتهي السير وإليه يكون الوصول، ثم شدد عليهم في **المراقبة** فقال: (إن تخفوا ما في صدوركم) من الميل أو الركون إلى الغير أو الوقوف عن السير، (أو تبدوه يعلمه الله) فينقص عنكم المدد بقدر ذلك الميل، يظهر ذلك يوم الدخول إلى بلاد المشاهدة، (يوم تجد كل نفس) ما قدمت من المجاهدة، فبقدر المجاهدة تكون المشاهدة. ثم خاطب الواصلين فقال: (ويحذركم الله نفسه) من أن تشهدوا معه سواه، فلو كلف الواصل أن يشهد غيره لم يستطع، إذ لا غير معه حتى يشهده. ويدل على أن الخطاب هنا للواصلين تعقيبه بالمودة والرأفة، اللائقة بالواصلين المحبوبين العارفين الكاملين. خرطنا الله في سلكهم بمنه وكرمه.

ثم لا طريق للوصول إلى هذا كله إلا باتباع الرسول الأعظم، كما أشار إلى ذلك بقوله تعالى:

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ٣١ الى ٣٢]

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٩٨/١

قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٣١) قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين (٣٢)

قلت: قد تقدم الكلام على حقيقة المحبة عند قوله يحبونهم كحب الله. وقال البيضاوي هنا: المحبة ميل النفس إلى الشيء لإدراك كمال فيه، بحيث يحملها- أي الميل- إلى ما يقربها إليه، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله، وأن ما يراه كمالا من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله وإلى الله، لم يكن حبه إلا لله وفي الله، وذلك يقتضي إرادة طاعته، فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة، وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته، والحرص على مطاوعته. هـ.." (١)

"فذنبهم قلة معرفتهم لأقدار الحق، كما قال عليه الصلاة والسلام: «لو أن الله عذب الملائكة لحق منه، فقيل: إنهم معصومون، فقال عليه الصلاة والسلام: من قلة معرفتهم بربهم» «١» . ولذلك دعاهم إلى المغفرة. هـ. قال في الحاشية: وقوله: (أثبت بالآية ذنب الكل) ، يعني: شمول قوله: (يغفر لمن يشاء) من فى السموات الصادق بالملائكة، وإنما تكون المغفرة بعد ذنب، ولكنه في كل أحد على حسبه، وأما قوله: دعاهم إلى المغفرة، فكأنه من قوله: سارعوا إلى مغفرة من ربكم، وأن الخطاب يعم من فى السموات أيضا، وقد يتصور في حق الملائكة الاستناد لظواهر الأمور والاختلاف بينهم والاختصام، مما هو معرض للخطأ، وذلك من دواعي المغفرة، وكذلك القصور عن معرفة كنه جلال الله: نقص لا يخلو منه مخلوق، لاستحالة الإحاطة به علما، ولذلك كان الترقي في المعرفة لا حد له أبدا سرمدا. هـ.

ثم ذكر حال أهل اليمين، فقال:

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٣٥ الى ١٣٦]

والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون (١٣٥) أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين (١٣٦)

يقول الحق جل جلاله: والذين إذا فعلوا فاحشة أي: فعلة بالغة في الفحش والقبح، كالزنى، أو ظلموا أنفسهم بأي ذنب كان، أو فعلوا كبيرة أو صغيرة، أو الفاحشة: ما يتعدى للغير، وظلم النفس ما يخص، أو

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٤٣/١

الفاحشة بالفعل، وظلم النفس بالقول، ذكروا الله أي: عقابه وغضبه وعرضه الأكبر، أو ذكروا الله في أنفسهم أن الله سائلهم عنه، أو كونه رقيبا عليهم، أو ذكروا الله باللسان فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة، ومن يغفر الذنوب إلا الله أي: لا أحد يغفره إلا الله، والمراد: وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة، والحث على الاستغفار.

ولم يصروا على ما فعلوا أي: لم يدوموا عليها غير مستغفرين، لقوله صلى الله عليه وسلم: «ما أصر من استغفر، ولو عاد في اليوم سبعين مرة» ، وذلك إذا صحبه الندم، وقال أيضا: «لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع

---

(١) لم أقف عليه. وذكر المتقى الهندي فى الكنز حديث: (لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا لهم من أعمالهم..» وعزاه لأحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن حبان. انظر: (الكنز ١/ ١٣٠ ح ٦١٣) .." (١)

"ونجاتها، فقد طارت قلوبهم من الخوف، فلا يتصور في حقهم النوم، يظنون بالله غير الحق أي: غير الظن الحق، لأنهم ظنوا أنه لا ينصر- عليه الصلاة والسلام، وأن أمره مضمحل، أو ظنوا أنه قتل، ظنا كظن الجاهلية، أهل الشرك، يقولون أي: بعضهم لبعض: هل لنا من الأمر من شيء أي: عزلنا عن تدبر أنفسنا، فلم يبق لنا من الأمر من شيء. قاله ابن أبي، لما بلغة قتل الخزرج.

قل لهم يا محمد: إن الأمر كله لله ليس بيد غيره شيء من التدبير والاختيار، حال كون المنافقين يخفون في أنفسهم من الكفر والنفاق ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا أي: لو كان تدبيرا أو اختيارا ما خرجنا مع محمد حتى نقتل هاهنا ويقتل رؤساؤنا. قل لهم يا محمد:

أخرجتكم القدرة فى سلسلة المقادير، رغما على أنفكم، فلو كنتم في بيوتكم آمنين لبرز الذين كتب عليهم القتل، ووصل أجلهم إلى مضاجعهم ومصارعهم، رغما على أنفهم، فإن الله قدر الأمور ودبرها في سابق أزله، لا معقب لحكمه، وإنما فعل ذلك، وأخرجكم إلى المعركة ليبتلي الله ما في صدوركم أي: يختبر ما فيها من الخير أو الشر، وليمحص ما في قلوبكم أي: يكشف ما فيها من النفاق أو الإخلاص، فقد ظهر خبث سريرتكم ومرض قلوبكم بالنفاق الذي تمكن فيه، والله عليم بذات الصدور أي: بخفاياها قبل إظهارها.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٤٠٩

وفيه وعد ووعيد وتنبيه على أنه غني عن الابتلاء، وإنما فعل ذلك ليميز المؤمنين ويظهر حال المنافقين. قاله البيضاوي.

الإشارة: ثم أنزل عليكم أيها الواصلون المتمكنون، أو من تعلق بكم من السائرين، من بعد غم المجاهدة وتعب **المراقبة** أمنة في قلوبكم بالطمأنينة بشهود الله، وراحة في جوارحكم من تعب الخدمة في السير إلى الله، حتى وصلتم فنمتم في ظل الأمن والأمان، وسكنتم في جوار الكريم المنان.

قال بعض العارفين: (إذا انتقلت المعاملة إلى القلوب استراحت الجوارح) «١» ، وهذه الراحة إنما تحصل للعارفين، أو من تعلق بهم من المريدين، وطائفة من غيرهم وهم المتفقرة الجاهلون، الذين لا شيخ لهم، قد أهمتهم أنفسهم، تارة تصرعهم وتارة يصرعونها، تارة تشرق عليهم أنوار التوجه، فيقوى رجاؤهم في الفتح، وتارة تنقبض عنهم فيظنون بالله غير الحق، ظن الجاهلية، يقولون: هل لنا من الفتح من شيء؟.

قل لهم: (أن الأمر كله لله) يوصل من يشاء ويبعد من يشاء، يخفون في أنفسهم من العيوب والخواطر الرديئة ما لا يبدون لك، فإذا طال عليهم الفتح، وغلب عليهم الفقر، ندموا على ما فاتهم من التمتع بالدنيا، يقولون: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا بالذل والفقر والجوع، قل لهم: ذلك الذي سبق في علم الله، لا محيد لأحد عنه، ليظهر الصادق في الطلب من الكاذب، [كن صادقا تجد مرشدا] ، فلو صدقتم في الطلب لأرشدكم إلى من يوصلكم ويريحكم من التعب. وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق.

---

(١) سبق بيان معنى العبارة عند إشارة الآية/ ٢١٢ من سورة البقرة.." (١)

"رسلك من الفضل والرحمة وحسن المآب، سألوا ما وعدوا على الامتثال، لا خوفا من إخلاف الوعد، بل مخافة ألا يكونوا موعودين لسوء عاقبة، أو قصور في الامتثال، أو تعبدا، أو استكانة. قاله البيضاوي.

ولا تخزنا يوم القيامة أي: لا تهنا بسبب تقصيرنا، إنك لا تخلف الميعاد بإثابة المؤمن وإجابة الداعي، أو ميعاد البعث والحساب، وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال، والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها، ففي بعض الآثار: (من حزبه أمر فقال خمس مرات: «ربنا» ، أنجاه الله مما يخاف) . «١» قاله البيضاوي.

الإشارة: قدم الحق الذكر على الفكر على ترتيب السير، فإن المريد يؤمر أول أمره بذكر اللسان، حتى يفضي إلى الجنان، فينتقل الذكر إلى القلب، ثم إلى الروح، وهو الفكر، ثم إلى السر، وهو الشهود والعيان، وهنا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٢٣/١

يخرس اللسان، ويغيب الإنسان في أنوار العيان، وفي ذلك يقول القائل:

ما إن ذكرتك إلا هم يلعنني ... سري وروحي وقلبي عند ذكراك

حتى كأن رقيبا منك يهتف بي: ... إياك: ويحك والتذكار! إياك!

أما ترى الحق قد لاحت شواهده ... وواصل الكل من معناه معناك

فإذا بلغ العبد هذا المقام- الذي هو مقام الإفراد- اتحدت عنده الأوراد، وصار وردا واحدا، وهو عكوف القلب في الحضرة بين فكرة ونظرة، أو إفراد القلب بالله، وتغيبه عما سواه.

قال في الإحياء في كتاب الأوراد: الموحد المستغرق الهم بالواحد الصمد، الذي أصبح وهمومه هم واحد، فلا يحب إلا الله، ولا يخاف إلا منه، ولا يتوقع الرزق من غيره، ولا ينظر في شيء إلا يرى الله فيه، فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة، لم يفتقر إلى ترتيب الأوراد واختلافها، بل ورده بعد المكتوبات ورد واحد، وهو حضور القلب مع الله في كل حال، فلا يخطر بقلبه أمر، ولا يقرع سمعه قارع، ولا يلوح لنظره لائح، إلا كان له فيه عبرة وفكرة ومزيد، فلا محرك ولا مسكن إلا الله. فهؤلاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سببا لازديادهم، فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة، وهم الذين فروا إلى الله كما قال تعالى: ففروا إلى الله، وتحقق فيهم قوله:

إني ذاهب إلى ربي، وهذه الدرجة منتهى درجة الصديقين، ولا ينبغي أن يغتر المريد بما يسمعه من ذلك، فيدعيه لنفسه، ويفتر عن وظائف عباداته، فذلك علامته ألا يحس في قلبه وسواسا، ولا يخطر بقلبه معصية، لا يزعجه هواجم الأحوال، ولا يستفزه عظائم الأشغال، وأنى تكون هذه المرتبة!. هـ.

---

(١) حكى القرآن عن أولى الألباب فى هذه الآيات- أنهم قالوا: (ربنا) خمس مرات. وعن الأثر الذي ذكره المصنف- قال المناوى فى الفتح السماوي: لم أقف عليه.." (١)

"سورة النساء

مدنية، وهى ستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفا. وثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وأربعون كلمة. ومائة وستون آية. قاله الثعلبي. وقال البيضاوي: مائة وخمس وسبعون آية.

ومضمنها: الأمر بحفظ ستة أمور: حفظ الأموال، وحفظ الأنساب، وحفظ الأبدان، وحفظ الأديان، وحفظ

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٤٥١

اللسان، وحفظ الأيمان. بعد أن قدم الأمر بالتقوى، التي هى ملاك ذلك كله، فقال:

[سورة النساء (٤) : آية ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١)

قلت: من قرأ: (والأرحام) بالنصب، فعطف على لفظ الجلالة، أي: اتقوا الأرحام أن تقطعوها، وقرأ حمزه بالخفض على الضمير من (به) كقول الشاعر:

فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا ... فاذهب فما بك والأيام من عجب «١»

وجمهور البصريين يمنعون العطف على الضمير إلا بإعادة الجار، فيقولون: مررت به وبزيد. وقال ابن مالك:

وليس عندي لازما إذ قد أتى ... في النظم والنثر الصحيح مثبتا.

والنثر الصحيح هو ما قرأ به حمزة، وهذا هو التوجيه الصحيح، وأما من جعل الواو للقسم فبعيد.

يقول الحق جل جلاله: يا أيها الناس أي: جميع الخلق، اتقوا ربكم فيما كلفكم به، ثم بين موجب التقوى فقال: الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم، وخلق منها زوجها يعني حواء، من ضلع من أضلاعه، وبث أي: نشر منهما رجالا كثيرا ونساء أي: نشر من تلك النفس الواحدة بنين وبنات. قال البيضاوي: واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء، إذ الحكمة تقتضي أن يكن أكثر، وذكر: كثيرا

---

(١) البيت أنشده سيبويه، انظر: شرح ابن عقيل على الألفية، باب عطف النسق.." (١)

"حملا على الجمع، وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة مولاها. هـ.

واتقوا الله الذي تسائلون به أي: يسأل بعضكم بعضا فيقول: أسألك بالله العظيم، والأرحام أي: واتقوا الأرحام فلا تقطعوها، فمن قطعها قطعه الله، ومن وصلها وصله الله، كما في الحديث. أو تساءلون به وبالأرحام، فيقول بعضكم لبعض: أسألك بالرحم التي بيني وبينك، أو بالقرابة التي بيني وبينك. ثم هددهم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٥٩/١

على ترك ما أمروا به فقال: إن الله كان عليكم **رقيبا** حافظا مطلعا شهيدا عليكم في كل حال.

الإشارة: درجهم في آخر السورة في مدارج السلوك حتى زجهم في حضرة ملك الملوك، وأمرهم أن يتقوا ما يخرجهم عن مشاهدة ظلمة أنوار الربوبية، ثم دلاهم في أول السورة إلى التنزل لآداب العبودية بشهود آثار القدرة الإلهية، في النشأة الأولية، ليعلمهم الجمع بين آداب **المراقبة** ودوام المشاهدة، أو بين الفناء والبقاء.

وقد تكلم ابن جزي هنا على أحكام **المراقبة**، فقال: إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها، استفاد مقام **المراقبة**، وهو مقام شريف أصله علم وحال، ثم يثمر حالين. أما العلم: فهو معرفة العبد بأن الله مطلع عليه، ناظر إليه في جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، ويعلم كل ما يخطر على باله. وأما الحال: فهو ملازمة هذا العلم بالقلب، بحيث يغلب عليه ولا يغفل عنه. ولا يكفي العلم دون هذه الحال، فإذا حصل العلم والحال كانت ثمرتهما عند أصحاب اليمين:

الحياء من الله، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي والجد في الطاعات، وكانت ثمرتهما عند المقربين: المشاهدة، التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال.

وإلى هاتين الثمرتين أشار الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك» ، فقوله:

«أن تعبد الله كأنك تراه» إشاره إلى الثمرة الثانية، وهي الموجبة للتعظيم، كمن يشاهد ملكا عظيما فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة، وقوله: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» إشارة إلى الثمرة الأولى، ومعناه: إن لم تكن من أهل المشاهدة– التي هي مقام المقربين– فاعلم أنه يراك، فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين، فلما فسر الإحسان أول مرة بالمقام الأعلى، ورأى أن كثيرا من الناس قد يعجزون عنه، تنزل منه إلى المقام الآخر.

واعلم أن **المراقبة** لا تستقيم حتى تتقدم قبلها المشارطة والمرابطة، ويتأخر عنها المحاسبة والمعاتبة، فأما المشارطة فهي اشتراط العبد على نفسه التزام الطاعة، وترك المعاصي، وأما المرابطة فهي معاهدة العبد لربه على ذلك، ثم بعد المشارطة والمرابطة في أول الأمر تكون **المراقبة** ... الخ.." (١)

"وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه، فإن وجد نفسه قد وفى بما عاهد عليه الله يحمد الله، وإن وجد نفسه قد حل عقد المشارطة ونقض عهد **المراقبة**، عاقب النفس عقابا شديدا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/ ٤٦٠

بزجرها عن العودة إلى مثل ذلك، ثم عاد إلى المشارطة والمرابطة، وحافظ على **المراقبة**، ثم اختبر بالمحاسبة، وهكذا يكون إلى أن يلقى الله تعالى. انتهى كلامه، وهو مقتبس من الإحياء. والله تعالى أعلم.

ثم شرع تعالى فى الكلام على حفظ الأموال، وبدأ بأموال اليتامى، اعتناء بهم لضعفهم، فقال:

[سورة النساء (٤) : آية ٢]

وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (٢)

قلت: اليتيم: من فقد أباه، ولا يقال فيه اليتيم عرفا إلا قبل البلوغ، وهو هنا مجاز، أي: من كان يتيما، والحوب:

الإثم، ويقال فيه: حوبا، بالضم والفتح، مع الواو والألف، مصدر حاب حوبا وحوبا وحاب.

يقول الحق جل جلاله: وآتوا أي: أعطوا اليتامى أموالهم إذا بلغوا، وأنس منهم الرشد، وسماهم يتامى بعد البلوغ اتساعا لقرب عهدهم بالصغر، حثا على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم، قبل أن يزول عنهم هذا الاسم إذا أنس فيهم الرشد، ويدل على هذا ما قيل في سبب نزول الآية، وهو أن رجلآ من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له، فلما بلغ طلب مال أبيه، فمنعه، فنزلت الآية، فلما سمعها العم قال: أطعنا الله ورسوله، ونعوذ بالله من الحوب الكبير. وقيل: إن العرب كانت لا تورث الصغار مع الكبار، فأمروا أن يورثوهم، وعلى هذا يكون اليتيم على حقيقته، فعلى الأول: الخطاب للأوصياء، وعلى الثاني: للعرب التي كانت لا تورث الصغار.

ثم قال: ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب أي: لا تتبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم، أو: لا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا الخبيث مكانها من أموالكم. كان بعضهم يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله، والدرهم الطيب بالزائف. ولا تأكلوا أموالهم مضموما إلى أموالكم فتنفقونها معا، مع أن اليتيم لا يأكل كالكبير، إلا إذا كان المنفق قدر أكله، أو لمصلحة. إنه أي: الأكل، كان حوبا كبيرا أي: إثما عظيما.

الإشارة: أمر الحق جل جلاله أغنياء القلوب، وهم أكابر الأولياء الراسخون في علم الغيوب، أن يمنحوا من تعلق بهم من الفقراء والضعفاء، من الغني بالله الذي منحهم الله، حتى لا يلتفتوا إلى سواه، وأن يقبلوا كل

من أتى إليهم من العباد، سواء كان من أهل المحبة والوداد، أو من أهل المخالفة والعناد، ولا يتبدلوا الخبيث بالطيب، بحيث." (١)

"يقول الحق جل جلاله: إنما التوبة التي يستحق على الله قبولها فضلا وإحسانا هي للذين يعملون السوء أي: المعاصي متلبسين بجهالة أي: سفاهة وجهل وسوء أدب، فكل من اشتغل بالمعصية فهو جاهل بالله، قد انتزع منه الإيمان حتى يفرغ، وإن كان عالما بكونها معصية، ثم يتوبون بعد تلك المعصية من قريب أي: من زمن قريب، وهو قبل حضور الموت لقوله بعد: حتى إذا حضر أحدهم الموت، وقوله– عليه الصلاة والسلام-: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» وإنما جعله قريبا لأن الدنيا سريعة الزوال، متاعها قليل وزمانها قريب، فأولئك يتوب الله عليهم تصديقا لوعده المتقدم، وكان الله عليما بإخلاصهم التوبة، حكيما في ترك معاقبة التائب، إذ الحكمة هي وضع الشيء في محله.

وعن الحسن: قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لما أهبط إبليس قال: وعزتك وعظمتك لا أفارق ابن آدم حتى تفارق روحه جسده، قال الله تعالى: وعزتي وعظمتي لا أحجب التوبة عن عبدي حتى يغرغر بها» . وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الشيطان قال: وعزتك لا أبرح أغوى عبادك، ما دامت أرواحهم في أجسادهم. قال الله تعالى: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا أزال أغفر لهم ما استغفروني» .

قال ابن جزي: وإذا تاب العبد توبة صحيحة بشروطها، فيقطع بقبول توبته عند جمهور العلماء. وقال أبو المعالي: يغلب ذلك على الظن ولا يقطع. هـ.

وليست التوبة مقبولة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت أي: بلغت الحلقوم قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فلا توبة لهم، أولئك أعتدنا أي: أعددنا وهيأنا لهم عذابا أليما، قال البيضاوي: سوى الحق تعالى بين من سوف التوبة إلى حضور الموت من الفسقة، وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة، وكأنه يقول: توبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء. وقيل: المراد بالذين يعملون السوء: عصاة المؤمنين، وبالذين يعملون السيئات: المنافقون لتضاعف كفرهم، وبالذين يموتون: الكفار. هـ.

الإشارة: توبة العوام ليست كتوبة الخواص، إن الله يمهل العوام ترغيبا لهم في الرجوع، ويعاقب الخواص على

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٤٦١

التأخير على قدر مقامهم في القرب من الحضرة، فكلما عظم القرب عظمت المحاسبة على ترك **المراقبة**، منهم من يسامح له في لحظة، ومنهم في ساعة، ومنهم في ساعتين، على قدر المقام، ثم يعاتبهم ويردهم إلى الحضرة.

وقال شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن الفاسي في حاشيته: إنما التوبة على الله أي: إنما الهداية بعد الذلة، على الله لأنه الذي يخلص من قهره بكرمه الفياض وبرحمته التي غلبت غضبه، كما قال تعالى:." (١)

"قلت: (شهداء) : خبر ثان لكان، أو حال، (فالله أولى) : علة للجواب أي: إن يكن المشهود عليه غنيا عليه فلا تمتنعوا من الشهادة عليه تعظيما له، وإن يكن فقيرا فلا تمتنعوا من الشهادة عليه إشفاقا عليه، فإن الله أولى بالغني والفقير منكم، والضمير في (بهما) راجع إلى مادل عليه المذكور، وهو جنسا الغني والفقير، لا إليه وإلا لوحد لأن «أو» لأحد الشيئين. و (أن تعدلوا) : مفعول من أجله، ومن قرأ: تلوا- بضم اللام- فقد نقل ضم الواو إلى اللام وحذف أحد الواوين، وقيل: من الولاية.

يقول الحق جل جلاله: يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط أي: مجتهدين في إقامة العدل مواظبين على الحكم به، وكونوا شهداء لله بالحق تقيمون شهادتكم لوجه الله، وابتغاء مرضاته، بلا طمع أجر ولا عوض، وهذا إن تعينت عليه، ولم يكن في تحملها مشقة، وإلا أبيح له أجر تعبه، فأدوا شهاداتكم ولو كانت على أنفسكم بأن تقروا بالحق الذي عليها، لأن الشهادة بيان الحق، سواء كان عليها أو على غيرها، أو كانت الشهادة على الوالدين والأقربين، فلا تمنعكم الشفقة والتعظيم من إقامة الشهادة عليهما، وأحرى غيرهما من الأجانب، إن يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا فلا تميلوا عن الشهادة بالحق عليهما، تعظيما للغني أو شفقة للفقير، فأن فالله أولى بهما وبالنظر لهما، فلو لم تكن الشهادة عليهما صلاحا لهما ما شرعها، فلا تتبعوا الهوى فتميلوا مع الغني أو الفقير، فقد نهيتكم إرادة أن تعدلوا في أحكامكم، فتكونوا عدولا، أو كراهية أن تعدلوا عن الحق أي: تميلوا، وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل أو تعرضوا عن أدائها فتكتموها فإن الله كان بما تعملون خبيرا، فيجازي الكاتم والمؤدي.

قال صلى الله عليه وسلم عند نزولها: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقم شهادته على من كانت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجحد حقا هو عليه، وليؤده عفوا، ولا يلجئه إلى السلطان وخصومته، ليقتطع بها حقه، وأيما رجل خاصم إلي فقضيت له على أخيه بحق ليس له عليه، فلا يأخذه، فإنما أقطع

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٤٨٠

له قطعة من النار» .

الإشارة: قد أمر الحق تعالى عباده بإقامة العدل في الأمور كلها، ونهى عن مراقبة الخلق في الأشياء كلها، فيتأكد على المريد ألا يراقب أحدا من الخلق وإنما يراقب الملك الحق، فيكون قويا في الحق، يقيمه على نفسه وغيره، فلا تجتمع مراقبة الحق مع مراقبة الخلق، من راقب الحق غاب عن الناس، ومن راقب الناس غاب عن الحق، وعاش مغموما من الخلق، ولله در القائل حيث قال:

من راقب الناس مات غما ... وفاز باللذات الجسور." (١)

"وكان شيخ شيخنا رضي الله عنه يقول: (مراقبة الخلق عند أهل الظاهر شيء كبير، وعدم المراقبة عند الباطن أمر كبير) . فإقامة العدل على النفس ألا يتركها تميل إلى الرخص والتأويلات، وإقامته على الوالدين تذكيرهما بالله ودلالتهما على الله بلطف ولين، وإقامته على الأقربين بنصحهم وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم، كانوا أغنياء أو فقراء، وإقامته على الأجانب كذلك. وبالله التوفيق.

ولما فرغ مما يتعلق بحفظ اللسان، تكلم على حفظ الإيمان، وهو الأمر السادس مما تضمنته السورة، فقال:

[سورة النساء (٤) : آية ١٣٦]

يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (١٣٦)

يقول الحق جل جلاله: مخاطبا من أسلم من اليهود- وهو عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابنا كعب، وثعلبة بن قيس، وسلام بن أخت عبد الله بن سلام، وسلمة ابن أخية ويامين- قالوا يا رسول الله، نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير، ونكفر بما سواه من الكتب؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبكتابه القرآن، وبكل كتاب قبله» ، فنزلت الآية.

فقال لهم جل جلاله: يا أيها الذين آمنوا بمحمد، بعد أن آمنوا بموسى آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله القرآن والكتاب الذي أنزل من قبل أي: جنس الكتاب، فتدخل الكتب المتقدمة كلها، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أي: ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا أي: أخطأ خطأ بعيدا لا يكاد يعود إلى الطريق، فلما نزلت قالوا: يا رسول الله إنا نؤمن بالجميع، ولا نفرق بين

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٥٧٤

أحد منهم، كما فرقت اليهود والنصارى.

وقيل: الخطاب للمنافقين، أي: يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم آمنوا بقلوبكم، كما آمنتم بألسنتكم، وقيل: للمؤمنين، أي: دوموا على إيمانكم، وأثبتوا عليه.

الإشارة: أمر الحق جل جلاله، أهل الإيمان أن يجددوا إيمانهم، فيثبتوا على ما هو حاصل، ويسترشدوا إلى ما ليس بحاصل، فإن أنوار الإيمان تتزايد وتترادف على القلوب بحسب التصفية والنظر، وبقدر الطاعة والتقرب، فلا يزال العبد يتقرب إلي الله، وأنوار التوجه تتوارد عليه، حتى تشرق عليه أنوار المواجهة وهي أنوار الشهود، فشروق الأنوار على قدر صفاء الأسرار، وورود الإمداد على حسب الاستعداد، فبقدر التفرغ من الأغيار ترد على." (١)

"وأن تستقسموا بالأزلام أي: تطلبوا ما قسم لكم في الأزل من المقادير بالأزلام، جمع زلم- بضم الزاي وفتحها- وهي الأقداح على قدر السهام. وكانت في الجاهلية ثلاثة، قد كتب على أحدها: افعل، وعلى الآخر:

لا تفعل، وعلى الثالث: مهمل، فإذا أراد الإنسان أن يعمل أمرا جعلها في خريطة، وأدخل يده وأخرج أحدها، فإن خرج له الذي فيه «افعل» فعل ما أراد، وإن خرج الذي فيه «لا تفعل» ، تركه، وإن خرج المهمل أعاد الضرب، ويقاس عليه كل ما يدخل في علم الغيب، كالقريعة والحظ والنصبة والكهانة، وشبهها.

ذلكم فسق، الإشارة إلى المحرمات المذكورة، أو إلى الاستقسام بالأزلام، وإنما كان فسقا لأنه دخول في علم الغيب الذي انفرد الله به، وفيه تجسس على سر الملك، وهو حرام، ولا يعارض ما ثبت جوازه من القرعة، في أمور مخصوصة كتمييز الأنصبة في القسمة، «وقد كان- عليه الصلاة والسلام- يقترع بين نسائه» ، وغير ذلك مما يفيد تطييب القلوب، دون الاطلاع على علم الغيوب. والله تعالى أعلم.

الإشارة: حرمت عليكم يا معشر المريدين طلب الحظوظ والشهوات، وما تموت به قلوبكم من الانهماك في الغفلات، وتناول ما أعطيكم لغير وجه الله، وقبضتموه من غير يد الله، بأن نظرتم حين قبضه إلى الواسطة، وغفلتم عن المعطي حقيقة، فمقتضى شريعة الخواص: إخراجه عن الملك، وحرمان النفس من الانتفاع به، كما وقع لبعض الأولياء، ولا تتناولوا من الطعام إلا ما ذكيتموه بأن شهدتم فيه المنعم دون الوقوف مع النعمة، ونزلتم إليه بالإذن، دون قصد الشهوة والمتعة، وهذا يحتاج إلى تيقظ كبير **ومراقبة** قوية.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٧٥/١

والله يتجاوز عن أمثالنا بحلمه وكرمه. آمين.

ولما حرم الله تعالى هذه الاشياء حصل للمشركين الإياس من موافقة المسلمين لهم في دينهم، فلذلك ذكره الحق تعالى بإثر تحريمها، فقال:

... اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ...

يقول الحق جل جلاله: اليوم الذي أنتم فيه، وهو يوم الجمعة، ويوم عرفة في حجة الوداع، يئس الذين كفروا من دينكم أن يبطلوه، أو يظهروا عليه بحصول المباينة لهم في أمورهم كلها، ولظهور الإسلام فيه وكثرة المسلمين، قيل: إنه وقف معه صلى الله عليه وسلم في هذه الحجة: مائة ألف وأربعة عشر ألفا، ويحتمل أن يريد باليوم الزمان الحاضر، وما يتصل به من الأزمنة الآتية، فلا تخشوهم أن يظهروا عليكم، واخشون وحدي فأمرهم بيدي.

اليوم أكملت لكم دينكم بالنصر والإظهار على الأديان كلها، أو بالتنصيص على قواعد العقائد، والتوقيف على أحوال الشرائع وقوانين الاجتهاد، وأتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق، أو بإكمال الدين، وبالفتح والتمكين، بهدم منار الكفر، ومحو علل الملحدين، ورضيت لكم الإسلام دينا أي: اخترته لكم من بين الأديان، الذي لا نرتضي غيره ولا نقبل سواه.." (١)

"قلت: (للذين هادوا) : متعلق بيحكم، أو بأنزلنا، أو بهدى ونور، و (الربانيون) : عطف على (النبيون) ، وهم العباد والزهاد منهم، والأحبار: علماؤهم، جمع حبر- بكسر الحاء وفتحها، وهو أشهر استعمالا للفرق بينه وبين المداد، و (بما استحفظوا) : سببية متعلق بيحكم، أو بدل من (بها) والعائد إلى «ما» محذوف، أي: استحفظوه.

يقول الحق جل جلاله: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى أي: ما يهدي إلى إصلاح الظواهر من النواهي والأوامر، ونور تستنير به السرائر، وتشرق به القلوب والضمائر، من الاعتقادات الصحيحة والعقائد الراجحة، والعلوم الدينية والأسرار الربانية. يحكم بها النبيون الذين أتوا بعد موسى- عليه السلام- إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وهم الذين أسلموا إي: انقادوا بكليتهم إلى ربهم، ولم تبق بقية لغير محبوبهم، وفيه تنويه بشأن الإسلام وأهله، وتعريض باليهود فإنهم بمعزل عن دين الأنبياء واقتفاء هديهم، حيث لم يتصفوا به، يحكم بها

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٧

للذين هادوا وعليهم، وهم اليهود، ويحكم بها أيضا الربانيون والأحبار أي: زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة أنبيائهم، بما استحفظوا من كتاب الله أي: بسبب أمر الله تعالى لهم أن يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف. وكانوا عليه شهداء أي: رقباء، فلا يتركون من يغيرها أو يحرفها، ولما طال العهد عليهم حرفوا وغيروا، بخلاف كتابنا، حيث تولى حفظه الحق ربنا، فلا يزال محفوظا لفظا ومعنى إلى قيام الساعة، قال تعالى: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون «١» . فلله الحمد.

ثم خاطب الحكام، فقال: فلا تخشوا الناس واخشون أي: فلا تداهنوا في حكوماتكم خشية ظالم أو **مراقبة** كبير، فكل كبير في جانب الحق صغير، ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا أي: لا تستبدلوا بالحكم بالحق ثمنا قليلا كالرشوة والجاه، ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهينا به ومنكرا له فأولئك هم الكافرون لاستهانتهم به.

قال ابن عباس: نزلت الثلاثة في اليهود، الكافرون والظالمون والفاسقون، وقد روي في هذا أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وقالت جماعة: هي عامة، فكل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين وغيرهم، إلا أن الكفر في حق المسلمين كفر معصية، وقال الشافعي: الكافرون في المسلمين، والظالمون في اليهود، والفاسقون في النصارى، وهو أنسب لسياق الكلام، والله تعالى أعلم.

الإشارة: قد وصف الله تعالى القرآن بأعظم مما وصف به التوراة. قال تعالى: قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا «٢» فجعل التوراة ظرفا للهداية والنور، وجعل القرآن نفس النور والهداية. وربانيو هذه الأمة: أولياؤها العارفون بالله، الذين يربون الناس ويرشدونهم إلى معرفة الشهود والعيان، وأحبارها: علماؤها.

---

(١) الآية ٩ من سورة الحجر.

(٢) الآية ١٧٤ من سورة النساء.." (١)

"ويصطفيهم لحضرته، روي أنه لما نزل تحريم الخمر، قالت الصحابة- رضى الله عنهم-: يا رسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر؟ فنزلت.

ويحتمل أن يكون هذا التكرير باعتبار الأوقات الثلاثة، أي: الماضي والحال والاستقبال، أو باعتبارات الحالات الثلاثة. فيستعمل التقوى فيما بينه وبين نفسه بالتزكية والتحلية، وفيما بينه وبين الناس بالكف عن التعرض لهم، وفيما بينه وبين الله بامتثال أمره واجتناب نهيه والغيبة عن غيره، ولذلك بدل الإيمان بالإحسان

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٣/٢

في الكرة الثالثة، أو باعتبار المراتب الثلاثة المبدأ والوسط والنهاية، أو باعتبار ما يتقى فإنه ينبغي أن يتقي المحرمات توقيا من العقاب، ثم يتقي الشبهات تحفظا من الحرام، ثم يتقي بعض المباحات تحفظا للنفس عن خسة الشره، وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة، قال معناه البيضاوي.

الإشارة: المقامات التي يقطعها المريد ثلاث: مقام الإسلام، ومقام الإيمان، ومقام الإحسان، فما دام المريد مشتغلا بالعمل الظاهر من صلاة وصيام وذكر اللسان، سمي مقام الإسلام، فإذا انتقل لعمل الباطن من تخلية وتحلية وتهذيب وتصفية، سمي مقام الإيمان، فإذا انتقل لعمل باطن الباطن من فكرة ونظرة وشهود وعيان سمي مقام الإحسان، وهذا اصطلاح الصوفية سموا ما يتعلق بإصلاح الظواهر: إسلاما، وما يتعلق بإصلاح القلوب والضمائر: إيمانا، وما يتعلق بإصلاح الأرواح والسرائر: إحسانا. وجعل الساحلي في البغية كل مقام مركبا من ثلاثة مقامات، فالإسلام مركب من التوبة والتقوى والاستقامة، والإيمان مركب من الإخلاص والصدق والطمأنينة، والإحسان مركب من مراقبة ومشاهدة ومعرفة. وأطال الكلام في كل مقام، لكن من سقط على شيخ التربية لم يحتج إلى شيء من هذا التفصيل. وبالله التوفيق.

ثم تكلم على حرمة الصيد في الإحرام تبيينا لقوله: غير محلي الصيد وأنتم حرم، فقال:

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٩٤ الى ٩٦]

يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم (٩٤) يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام (٩٥) أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون (٩٦)." (١)

"السؤال، بين الحق لهم أن إنزالها سهل على قدرته، لكن فيه خطر وسوء عاقبة، لأن الحقائق قد تضر بالمريد إذا لم يكمل أدبه واستعداده، فلما بينوا مرادهم من كمال الطمأنينة واليقين دعا الله- تعالى- فوعدهم بالإنزال مع دوام الإيمان وكمال الإيقان، فمن كفر بها، ولم يعرف قدرها، عذب بعذاب لم يعذبه

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧٥/٢

أحد من العالمين، وهو الطرد والبعد من ساحة حضرة رب العالمين. والله تعالى أعلم.

ثم وبخ من عبد عيسى من الكفرة، فقال:

[سورة المائدة (٥) : الآيات ١١٦ الى ١٢٠]

وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (١١٦) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧) إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨) قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم (١١٩) لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير (١٢٠)

قلت: (من دون الله) : صفة لإلاهين، أو صلة (اتخذوني) ، و (أن أعبدوا) : تفسيرية للمأمور به، أو بدل من ضمير به، وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا لئلا يلزم منه بقاء الموصول بلا راجع، أو عطف بيان له، أو خبر عن مضمر، أي: هو، أو مفعول به، أي: أعني، ولا يجوز إبداله من (ما) لأن المصدر لا يكون مفعولا للقول لأنه مفرد، والقول لا يعمل إلا في الجمل أو ما في معناه.

(يوم ينفع) من نصب جعله ظرفا لقال، أو ظرف، مستقر خبر (هذا) والمعنى: هذا الذي مر من كلام عيسى، واقع يوم ينفع، الخ، وأجاز ابن مالك أن يكون مبنيا، قال في ألفيته:

وقبل فعل معرب أو مبتدا ... أعرب، ومن بنا فلن يفندا «١»

ومن رفع، فخبر، وهو ظرف متصرف.

---

(١) أنظر الألفية، باب الإضافة.." (١)

"يقول الحق جل جلاله: واذكر إذ قال الله يا عيسى بعد رفعه إلى السماء، أو يقوله له يوم القيامة، وهو الصحيح، بدليل قوله: قال الله هذا الخ، فإن اليوم الذي ينفع الصادقين صدقهم هو يوم القيامة، فيقول

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٩٢

له حينئذ: أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله يريد به توبيخ الكفار الذين عبدوه وتبكيتهم، وفيه تنبيه على أن من عبد مع الله غيره فكأنه لم يعبد الله قط، إذ لا عبرة بعبادة من أشرك معه غيره.

قال عيسى عليه السلام مبرءا نفسه من ذلك وقد أرعد من الهيبة: سبحانك أي: تنزيها لك من أن يكون لك شريك، ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق أي: ما ينبغي لي أن أقول ما لا يجوز لي أن أقوله، إن كنت قلته فقد علمته، وكل العلم إلى الله لتظهر براءته لأن الله علم أنه لم يقل ذلك، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك أي: تعلم ما أخفيته في نفسي، كما تعلم ما أعلنته، ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك، سلك في اللفظ مسلك المشاكلة، فعبر بالنفس عن الذات. إنك أنت علام الغيوب لا يخفى عليك شيء من الأقوال والأفعال.

ما قلت لهم إلا ما أمرتني به وهو عبادة الله وحده، فقلت لهم: اعبدوا الله ربي وربكم، وكنت عليهم شهيدا أي: رقيبا عليهم، أمنعهم أن يقولوا ذلك أو يعتقدوه. ما دمت فيهم، فلما توفيتني بالرفع إلى السماء، أي: توفيت أجلي من الأرض. والتوفي أخذ الشيء وافيا، فلما رفعتني إلى السماء كنت أنت الرقيب عليهم أي: المراقب لأحوالهم وأنت على كل شيء شهيد: مطلع عليه مراقب له.

إن تعذبهم فإنهم عبادك وأنت مالك لهم، ولا اعتراض على المالك في ملكه، وفيه تنبيه على أنهم استحقوا العذاب، أي: لأنهم عبادك وقد عبدوا غيرك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، فلا عجز ولا استقباح، فإنك القادر والقوي على الثواب والعقاب بلا سبب، ولا تعاقب إلا عن حكمة وصواب، فإن عذبت فعدل، وإن غفرت ففضل، وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد، فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بإن.

قاله البيضاوي.

وقال ابن جزي: فيه سؤالان: الأول: كيف قال: إن تغفر لهم وهم كفار، والكفار لا يغفر لهم؟

فالجواب: أن المعنى تسليم الأمر إلى الله، وإنه إن عذب أو غفر فلا اعتراض عليه لأن الخلق عباده، والمالك يفعل ما يشاء، ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار، وإنما يقتضي جوازها في حكمة الله وعزته، وفرق بين الجواز والوقوع، وأما على قول من قال: إن هذا الخطاب وقع لعيسى عليه السلام حين رفعه الله إلى السماء فلا إشكال، لأن المعنى: إن تغفر لهم بالتوبة، وكانوا حينئذ أحياء، وكل حيى معرض للتوبة.

السؤال الثاني: ما مناسبة قوله: العزيز الحكيم لقوله: إن تغفر لهم، والأليق إن قال: فإنك أنت الغفور الرحيم؟

فالجواب: أنه لما قصد التسليم له والتعظيم، كان قوله: (فإنك أنت العزيز الحكيم) أليق، فإن الحكمة." (١)

"وهم أيضا ينهون عنه أي: ينهون الناس عن القرآن، أو عن الرسول والإيمان به، وينأون عنه أي: يبعدون عنه، فقد ضلوا وأضلوا، أو ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وينأون عنه فلا يؤمنون، كأبي طالب ومن كان معه، يحمي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مكة. وفي (ينهون) ضرب من ضروب التجنيس من علم البلاغة.

قال تعالى: وإن أي: ما يهلكون بذلك إلا أنفسهم وما يشعرون أن ضررهم لا يتعداهم إلى غيرهم.

الإشارة: اعلم أن القلب تحجبه عن تدبر كلام الله والتمتع بحلاوته أربعة حجب:

الأول: حجاب الكفر والشرك ويندفع بالإيمان والإسلام..

والثاني: حجاب المعاصي والذنوب، وينخرق بالتوبة والانقلاع.

والثالث: حجاب الانهماك في الحظوظ والشهوات واتباع الهوى، وينخرق بالزهد والورع والتعفف ونوع من الرياضة.

والرابع: حجاب الغفلة والخوض فيما لا يعني، والاشتغال بالبطالة، وينخرق باليقظة والتوجه إلى الحق، والانقطاع إلى الله بكليته، فإذا انخرقت هذه الحجب عن القلب، تمتع بحلاوة القرآن، ومناجاة الحق على نعت القرب **والمراقبة**.

وبقي حجابان آخران، إذا خرقهما العبد أفضى إلى مشاهدة المتكلم دون واسطة، أولهما: حجاب حلاوة الطاعة والمعاملة الظاهرة، والوقوف مع المقامات أو الكرامات، فإنها عند العارفين سموم قاتلة. وثانيهما: حجاب الوهم والوقوف مع ظاهر الحس، دون الوصول إلى باطنه، فيقف مع الأواني دون شهود المعاني، وقد قال الششتري:

لا تنظر إلى الاواني ... وخض بحر المعاني

لعلك تراني.

وقال الغزالي: الموانع التي تحجب القلب عن الفهم أربعة: الأول: جعل الفهم مقصورا على تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، فهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء، يصرفهم عن معاني كلام الله تعالى. الثاني: أن يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه، من غير وصول إليه ببصيرة. الثالث: أن يكون مصرا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٩٣

على ذنب، أو متصفا بكبر، أو مبتلى بهوى في الدنيا مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب، وهو كالخبء على المرآة، فيمنع جلية الحق فيه، وهو أعظم حجب القلب، وبه حجب الأكثرون، الرابع: أن يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا، واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما يتأول عن ابن عباس، ومجاهد وغيرهما، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي منهي عنه، فهذا أيضا من الحجب العظيمة، فإن القرآن بحر لا ساحل له، وهو مبذول لمن يغرف منه إلى يوم القيامة، كل على قدر سعته وصفاء قلبه.. هـ. بالمعنى.." (١)

"قلت: تصريف الشيء: إجراؤه على أحوال متعاقبة وجهات مختلفة، ومنه: تصريف الرياح لهبوبها من جهات مختلفة، ولما كانت آيات القرآن تنزل على أنواع مختلفة في أوقات متعاقبة، شبهت، بتصريف الرياح على أنحاء مختلفة، (وليقولوا) : متعلق بمحذوف، أي: وليقولوا: درست، صرفنا الآيات، واللام للعاقبة، وكذلك: (ولنبينه) :

المتعلق واحد.

يقول الحق جل جلاله: ومثل ذلك التصريف الذي صرفنا من الآيات، من قوله: إن الله فالق الحب والنوى «١» إلى قوله: قد جاءكم بصائر من ربكم «٢» - نصرف الآيات في المستقبل لتكون عاقبة قوم الشقاء بها بتكذيبهم إياها، وليقولوا لك: دارست «٣» أهل الكتاب، وتعلمت ذلك منهم، وليس بوحي، أو درست هذه الأخبار وعفت، وأخبرت بها من إملاء غيرك عليك، كقولهم: أساطير الأولين، وليكون عاقبة قوم آخرين الاهتداء، وإليهم الإشارة بقوله: ولنبينه لقوم يعلمون أي: وليتضح معناه عند قوم آخرين، فيهتدوا به إلى معرفتي وتوحيدي ومحل رضواني وكرامتي، فالخطاب متحد، والأثر مختلف على حسب السابقة.

الإشارة: ظهور الآيات على يد أهل الخصوصية- كالعلوم اللدنية والمواهب الربانية- لا يوجب لهم التصديق لجميع الخلق، فلو أمكن ذلك لكان النبي صلى الله عليه وسلم أولى به، بل لا بد من الاختلاف، فقوم قالوا: هذه العلوم ... دارس فيها وتعلمها، وقوم قالوا: بل هي من عند الله لا كسب فيها، قال تعالى: ولا يزالون مختلفين «٤» .

ثم أمر نبيه بالإعراض عن أهل الإنكار، فقال:

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ١٠٦ الى ١٠٧]

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٠٩/٢

اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين (١٠٦) ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل (١٠٧)

يقول الحق جل جلاله: اتبع ما أوحي إليك من ربك بالدوام على التمسك به، والاهتداء بهديه، ودم على توحيده، لا إله إلا هو فلا تصغ إلى من يعبد معه غيره، وأعرض عن المشركين، فلا تحتفل بأقوالهم، ولا تلتفت إلى رأيهم، وهذا محكم، أو: أعرض عن عقابهم وقتالهم، وهو منسوخ بآية السيف، ولو شاء الله ما أشركوا: لكن سبقت مشيئته بإشراكهم، ولو أراد إيمانهم لآمنوا، وهو حجة على المعتزلة، وما جعلناك عليهم حفيظا: رقيبا، وما أنت عليهم بوكيل تقوم بأمرهم، وتلجئهم إلى الإيمان إن أنت إلا نذير «٥» .

---

(١) الآية ٩٥ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ١٠٤ من السورة نفسها.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (دارست) بألف، وقرأ ابن عامر ويعقوب (درست) أي: قدمت وبليت، وقرأ الباقون (درست) أي: حفظت وقرأت.. انظر: إتحاف فضلاء البشر.

(٤) الآية ١١٨ من سورة هود.

(٥) الآية ٢٣ من سورة فاطر.." [1]

"وهؤلاء القوم، قيل: هم الجبارون الذين أمر موسى بقتالهم بعد وصوله إلى الشام، ولما رأهم بنو إسرائيل قالوا يا موسى اجعل لنا إلها أي: مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها، قال لهم موسى عليه السلام: إنكم قوم تجهلون، وصفهم بالجهل المطلق، وأكده بإن لبعد ما صدر منهم، بعد ما رأوا من الآيات الكبرى. قال البيضاوي: ذكر ما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن من الله تعالى عليهم بالنعم الجسام، وآراهم من الآيات العظام، تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرى منهم ويلقى من التشغيب، وإيقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم. هـ. وذكر في «القوت» أن يهوديا قال لعلى رضى الله عنه: كيف اختلفتم وضربتم وجوه بعضكم بالسيف، ونبيكم قريب عهد بكم؟ فقال: أنتم لم تجف أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم:

اجعل لنا إلها كما لهم آلهة. هـ.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/١٥٦

ثم قال لهم موسى عليه السلام: إن هؤلاء متبر: مدمر هالك ما هم فيه يعني: أن الله تعالى يهدم دينهم الذي هم فيه، ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضا. وباطل: مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها، وإن قصدوا بها التقرب إلى الله تعالى، وإنما بالغ في هذا الكلام تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا. قال أغير الله أبغيكم أطلب لكم إلها أي: معبودا وهو فضلكم على العالمين أي: والحال أنه قد خصكم بنعم لم يعطها غيركم، وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله لهم بما استحقوه تفضلا، بأن قصدوا أن يشركوا به أخس شيء من مخلوقاته وأبلده، وهو البقر.

وإذ أنجيناكم من آل فرعون أي:، واذكروا صنعه معكم في هذا الوقت حيث نجاكم من فرعون ورهطه يسومونكم أي: يذيقونكم سوء العذاب، ثم بينه بقوله: يقتلون أبناءكم ذكوركم ويستحيون نساءكم أي: بناتكم، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم أي: وفي ذلك القتل امتحان عظيم، أو في ذلك الإنجاء نعمة عظيمة وامتنان عظيم.

الإشارة: من جاوز بحر التوحيد وحاد عنه، ولم يغرق فيه، لا يخلو من طلب شرك جلي أو خفي لأن النفس ما دامت لم تغرق في بحر الوحدة، ولم تسبها جمال المعاني، قطعا تميل إلى شيء من جمال الحس، لأن الروح في أصلها عشاقة، إن لم تعشق جمال الحضرة تعشق جمال الحس، ومن ركن إلى شيء مما سوى الله فهو شرك عند الموحدين من المحققين، ويؤخذ من الآية أن شكر النعم هو تلخيص التوحيد، وانفراد الوجهة إلى الله تعالى لأن بني إسرائيل لما أنعم الله عليهم بالإنجاء وفلق البحر قابلوا ذلك بطلب الشرك، فسقطو من عين الله واستمر ذلهم إلى يوم القيامة. والله تعالى أعلم.." (١)

"جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم، أو منقطعا عنها، بمعنى: وما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم، فإن وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول. هـ.

من يهد الله فهو المهتدي، ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون، هو تصريح بأن الهدى والضلال بيد الله تعالى، وأن هداية الله يخص بها بعضا دون بعض، وأنها مستلزمة للاهتداء، والإفراد في الأول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى، تنبيها على أن المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم، بخلاف الضالين. والاقتصار في الإخبار عمن هداه الله بالمهتدي: تعظيم لشأن الاهتداء، وتنبيه على أنه، في نفسه، كمال جسيم، ونفع عظيم، لو لم يحصل له غيره لكفاه، وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها. قاله البيضاوي.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٢٥٤

الإشارة: في الحديث: «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه» «١» . والعلم النافع هو الذي تصحبه الخشية **والمراقبة** والتعظيم والإجلال، ويوجب لصاحبه الزهد والسخاء والتواضع والأنكسار، وهو علم التوحيد الخاص، الذي هو مشاهدة الحق. وقال الورتجبي في قوله: آتيناه آياتنا فانسلخ منها: ذكر أنه تعالى أعطاه أياته، ولو أعطاه قرب مشاهدته ما انسلخ منه، لأن من رآه أحبه، ومن أحبه استأنس به واستوحش مما سواه، فمن ذلك تبين أنه كان مستدرجا بوجدان آياته، وتصديق ذلك ما أخبر سبحانه من ارتداده عن دينه، واشتغاله بهواه وعداوة كليمه بقوله: فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو ذاق طعم حبه لم يلتفت إلى غيره، مكر به في الأزل، فكان مكره مستداما إلى الأبد، فالكرامات الظاهرة عارضه للامتحان بين الأزل والأبد، وعند الأصل القديم لا يعتبر العرض الطارئ. هـ.

وقال في الإحياء: إن بلعم أوتي كتاب الله تعالى فأخلد إلى الشهوات، فشبه بالكلب، أي: سواء أوتي الحكمة أو لم يؤتها فهو يلهث إلى الشهوات. هـ. وفي ذكر قصته تحذير لعلماء هذه الأمة وصلحائها. وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه: من أخلدت نفسه إلى أرض الشهوات، وغلبته عن النهوض إلى الطاعات، فدواؤه في حرفين، أحدهما: أن يذكر منة الله عليه بنعمة الإيمان والإسلام، ويقيد هذه النعمة بالشكر، لئلا تفلت من يده، والثاني: أن يتوجه إلى الله بالتضرع والاضطرار، آناء الليل والنهار، وفي رمضان راجيا الإجابة، قائلا: اللهم سلم سلم. فإن أهمل هاتين الخصلتين فالشقاوة لازمة له. هـ. بالمعنى لطول العهد به. وبالله التوفيق.

---

(١) أخرجه البيهقي فى الشعب (باب فى نشر العلم- ح ١٧٧٨) وزاد السيوطي فى الجامع الصغير (ح ١٠٥) عزوه لابن عدى فى الكامل والطبراني فى الصغير عن أبى هريرة، وضعفه.." (١)

"وتحريض للمؤمنين على التشبه بالملأ الأعلى، ولذلك شرع السجود عند قراءتها. وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قرأ ابن آدم السجدة، فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار» «١» .

الإشارة: اعلم أن الذكر على خمسة أقسام: ذكر اللسان فقط لعوام المسلمين، وذكر اللسان مع القلب لخواص الصالحين وأول المتوجهين، وذكر القلب فقط للأقوياء من السائرين، وذكر الروح لخواص أهل الفناء

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٨٣/٢

من الموحدين، وذكر السر لأهل الشهود والعيان من المتمكنين، وفي قطع هذه المقامات يقع السير للسائرين، فيترقى من مقام، إلى مقام، حتى يبلغ إلى ذكر السر، فيكون ذكر اللسان في حقه غفلة.

وفي هذا المقام قال الواسطي رضى الله عنه: الذاكرون في حال ذكره أشد غفلة من التاركين لذكره لأن ذكره سواه.

وفيه أيضا قال الغزالي: ذكر اللسان يوجب كثرة الذنوب. وقال الشاعر:

ما إن ذكرتك إلا هم يلعنني ... سري، وقلبي، وروحي، عند ذكراك

حتى كأن رقيبا منك يهتف بي: ... إياك، ويحك، والتذكار إياك

أما ترى الحق قد لاحت شواهده ... وواصل الكل من معناه معناك

وقوله تعالى: إن الذين عند ربك ... الآية، قال القشيري: أثبت لهم عندية الكرامة، وحفظ عليهم أحكام العبودية كي لا ينفك حال جمعهم عن نعت فرقهم، وهذه سنة الله تعالى مع خواص عباده، يلقاهم بخصائص عين الجمع، ويحفظ عليهم حقائق عين الفرق، لئلا يخلوا بآداب العبودية في أوان وجود الحقيقة. هـ.

---

(١) أخرجه مسلم فى (الإيمان- باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة) من حديث أبى هريرة- رضى الله عنه.." (١)

"في الواجب والتطوع. أولئك هم المؤمنون حقا لأنهم حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه مكارم أعمال القلب، من الخشية والإخلاص والتوكل، ومحاسن أعمال الجوارح التي هي العيار عليها، كالصلاة والصدقة، لهم درجات عند ربهم أي: كرامات وعلو منزلة، أو درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم، ومغفرة لما فرط من ذنوبهم، ورزق كريم أعده لهم في الجنة، لا ينقطع مدده، ولا ينتهي أمده، بمحض الفضل والكرم.

الإشارة: الانفال الحقيقة هي المواهب التي ترد على القلوب، من حضرة الغيوب من العلوم اللدنية والأسرار الربانية، لا تزال تتوالى على القلوب، حتى تغيب عما سوى المحبوب، فيستغني غناء لا فقر معه أبدا، وهذه غنائم خصوص الخصوص، وغنائم الخصوص: هي القرب من الحبيب، ومراقبة الرقيب، بكمال الطاعة والجد والاجتهاد، وهذه غنائم العباد والزهاد، وغنائم عوام أهل اليمين: مغفرة الذنوب، والستر على العيوب، والنجاة من النار، ومرافقة الأبرار، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قال عند نومه:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٠١/٢

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه، غفر الله ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر، وعدد الرمال وعدد أيام الدنيا» «١» .
قال الشيخ زروق: وهذه هي الغنيمة الباردة، وهذه الأمور بيد الله وبواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معنى قوله:
قل الأنفال لله والرسول، ثم دل على موجباتها فقال: فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ... الآية، وقوله تعالى: زادتهم إيمانا: اعلم أن الإيمان على ثلاثة أقسام: إيمان لا يزيد ولا ينقص، وهو إيمان الملائكة، وإيمان يزيد وينقص، وهو إيمان عامة المسلمين، وإيمان يزيد ولا ينقص وهو إيمان الأنبياء والرسل، ومن كان على قدمهم من العارفين الروحانيين الراسخين في علم اليقين، ومن تعلق بهم من المريدين السائرين، فهؤلاء إيمانهم دائما فى الزيادة، وأرواحهم دائما فى الترقي فى المعرفة، يزيدون بالطاعة والمعصية لتيقظهم وكمال توحيدهم، وفي الحكم: «وربما قضى عليك بالذنب فكان سبب الوصول» . وقال أيضا: «معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا» والله تعالى أعلم.
ثم تكلم على الخروج إلى غزوة بدر، فقال:

[سورة الأنفال (٨) : الآيات ٥ الى ٦]
كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون (٥) يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون (٦)

---

(١) أخرجه الترمذي فى (الدعوات- باب ١٧) من حديث أبى سعيد رضى الله عنه.." (١)
"فيها مولاها. وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضى الله عنه: الحق الذي خلق الله به كل شيء كلمة «كن» . قال سبحانه:
ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك «١» . هـ. وهو بعيد هنا.
يفصل الآيات لقوم يعلمون «٢» فإنهم المنتفعون بالنظر فيها والاعتبار بها.
ثم بين وجه الاعتبار فقال: إن في اختلاف الليل والنهار أي: تعاقبهما بالذهاب والمجيء، أو بالزيادة

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٠٥/٢

والنقصان، وما خلق الله في السماوات والأرض من أنواع الكائنات وضروب المخلوقات، لآيات دالة على وجود الصانع ووحدته، وكمال علمه وقدرته، لقوم يتقون الله، ويخشون العواقب، فإن ذلك يحملهم على التفكر والتدبر، بخلاف المنهمكين في الغفلة والمعاصي، الذين أشار إليهم بقوله:

إن الذين لا يرجون لقاءنا أي: لا يتوقعونه، أو: لا يخافون بأسه لإنكارهم البعث، وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها، ورضوا بالحياة الدنيا: قنعوا بها بدلا من الآخرة لغفلتهم عنها، واطمأنوا بها أي: سكنوا إليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها، وسكنوا فيها سكون من يظن أنه لا ينزعج عنها.

والذين هم عن آياتنا المتقدمة الدالة على كمال قدرتنا، غافلون: لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون لانهماكهم في الغفلة والذنوب.

قال البيضاوي: والعطف إما لتغاير الوصفين، والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا، والانهماك في الشهوات، بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم أصلا، وإما لتغاير الفريقين، والمراد بالأولين: من أنكر البعث ولم يرد إلا الحياة الدنيا، وبالآخرين من ألهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والإعداد له. هـ.

أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون أي: بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي. قال ابن عطية: وفي هذه اللفظة رد على الجبرية، ونص على تعلق العقاب بالتكسب. هـ.

الإشارة: هو الذي جعل شمس العيان مشرقة في قلوب أهل العرفان، لا غروب لها مدى الأزمان، وجعل قمر توحيد الدليل والبرهان نورا يهتدي به إلى طريق الوصول إلى العيان، وقدر السير به منازل- وهي مقامات اليقين ومنازل السائرين- ينزلون فيها مقاما إلى صريح المعرفة، وهي التوبة والخوف، والرجاء والورع، والزهد والصبر، والشكر والرضى والتسليم والمحبة، والمراقبة والمشاهدة. ما خلق الله ذلك إلا بالحق، ليتوصل به إلى الحق. إن في اختلاف ليل القبض ونهار البسط على قلب المريد لآيات دالة له على السير، لقوم يتقون السوى، أو شواغل الحس.

---

(١) من الآية ٧٣ من سورة الأنعام.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب بياء الغيب (يفصل) . والباقون بنون العظمة (نفصل) انظر الإتحاف (٢/ ١٠٤) .." (١)

"إلا كنا عليكم شهودا: رقباء مطلعين عليه ظاهرا وباطنا، إذ تفيضون فيه: حين تخوضون فيه وتندفعون إليه، يقال: أفاض الرجل في الأمر: إذا أخذ فيه بجد واندفع إليه، ومنه: فإذا أفضتم من عرفات «١» ، وما يعزب عن ربك أي: ما يغيب عنه من مثقال ذرة: ما يوازن نملة، في الأرض ولا في السماء والمراد: لا يغيب عنه شيء في الوجود بأسره، وخصهما لأن العامة لا تعرف غيرهما. قال في الكشاف: فإن قلت: لم قدم هنا الأرض بخلاف سورة سبأ»

؟ فالجواب: أن السماء قدمت في سبأ لأن حقها التقديم، وقدمت الأرض هنا لما ذكرت الشهادة على أهل الأرض. هـ. ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين أي: اللوح المحفوظ، أو علمه تعالى المحيط، المبين للأشياء على ما هي عليه.

الإشارة: هذه الآية وأمثالها هي أصل المراقبة عند القوم، وهي على ثلاثة أقسام: مراقبة الظواهر، ومراقبة القلوب، ومراقبة السرائر. فالأولى للعوام، والثانية للخواص، والثالثة لخواص الخواص.

فأما مراقبة الظواهر: فهي اعتقاد العبد أن الله يراه، ومطلع عليه في كل مكان، فينتج له الحياء من الله، فيستحيي أن يسيء الأدب معه وهو بين يديه، وفي بعض الأخبار القدسية: «إن كنتم تعتقدون أني لا أراكم، فالخلل في إيمانكم، وإن كنتم تعتقدون أني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم؟» .

وقال- عليه الصلاة والسلام-: «أفضل الناس إيمانا من يعلم أن الله معه في كل مكان» أو كما قال صلى الله عليه وسلم:

وروي إن عبد الله بن عمر رضى الله عنه مر براعي غنم، فقال له: أعطنا شاة من غنمك، فقال له: ليست لى. فقال له: قل لصاحبها أكلها الذئب، فقال له الراعي: وأين الله؟!. وروي أن رجلا خلا بجارية فراودها على المعصية، وقال لها:

لا ترانا إلا الكواكب، فقالت له: وأين مكوكبها؟.

وأما مراقبة القلوب فهي: تحقيق العبد أن الله مطلع على قلبه، فيستحي منه أن يجول فيما لا يعني، أو يدبر ما لا يفيد ولا يجدي، أو يهم بسوء أدب فإن جال في ذلك استغفر وتاب.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٤٥٢

وأما مراقبة السرائر فهي: كشف الحجاب عن الروح، حتى ترى الله أقرب إليها من كل شيء، فتستحي أن تجول فيما سواه من المحسوسات، فإن فعلت بادرت إلى التوبة والاستغفار، فالتوبة لا تفارق أهل المراقبة مطلقا، وقد تقدم في أول سورة النساء «٣» بعض الكلام على المراقبة، فمن لم يحكم أمر المراقبة، لم يذق أسرار المشاهدة.

---

(١) من الآية ١٩٨ من سورة البقرة.

(٢) فى قوله تعالى «عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا في الأرض ... » الآية: ٣.

(٣) راجع إشارة الآية الأولى من سورة النساء.." (١)

"فالمراقبة مفتاح المشاهدة، والمشاهدة مفتاح المعرفة، والمعرفة هى الولاية، التي أشار إليها بقوله:

[سورة يونس (١٠) : الآيات ٦٢ الى ٦٤]

ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣) لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم (٦٤)

قلت: «الذين آمنوا» : صفة للأولياء، أو منصوب على المدح، أو مرفوع به على تقدير: «هم» ، أو مبتدأ، و «لهم البشرى» : خبر.

يقول الحق جل جلاله: ألا إن أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة، وهو يتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه، ولا هم يحزنون بفوات مأمول.

ثم فسرهم بقوله: الذين آمنوا وكانوا يتقون، فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو ولي- أعني الولاية العامة- وسيأتي بقية الكلام في الإشارة إن شاء الله، هم البشرى في الحياة الدنيا

وهو ما بشر به المتقين في كتابه، على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من الحفظ والعز والكفاية، والنصر في الدنيا وما يثيبهم به في الآخرة، أو ما يريهم من الرؤيا الصالحة يراها أو ترى له. روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «١» ، أو محبة الناس للرجل الصالح، أو ما يتحفهم به من المكاشفات، أو التوفيق لأنواع الطاعات، أو بشرى الملائكة عند النزع، أو رؤية المقعد قبل خروج الروح، في الآخرة

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٤٨٣

هي الجنة أو تلقي الملائكة إياهم عند الحشر بالبشرى والكرامة.
تبديل لكلمات الله
أي: لا تغيير لأقواله ولا اختلاف لمواعيده، واستدل ابن عمر بالآية على أن القرآن لا يقدر أحد أن يغيره، لك هو الفوز العظيم
الإشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين، أو لانتفاء الخوف والحزن عنهم مع ما بشروا به، والله تعالى أعلم.
الإشارة: الولاية على قسمين: ولاية عامة، وولاية عرفية خاصة، فالولاية العامة، هي التي ذكرها الحق تعالى، فكل من حقق الإيمان والتقوى فله من الولاية على قدر ما حصل منها، والولاية الخاصة خاصة بأهل الفناء والبقاء، الجامعين بين الحقيقة والشريعة، بين الجذب والسلوك، مع الزهد التام والمحبة الكاملة، وصحبة من

---

(١) عن عبادة بن الصامت قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: (لهم البشرى في الحياة الدنيا) قال: «هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، أخرجه أحمد فى المسند (٥/ ٣١٥) ، والترمذي فى: (الرؤيا، باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات) وابن ماجه فى (الرؤيا ح ٣٨٩٨) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٣٤٠) والدارمي فى: (الرؤيا) .." (١)

"والحاصل: أن الإثناء إن كان عن الحق- فالضمير في: (منه) ، يعود على الله، وإن كان عن النبي صلى الله عليه وسلم فالضمير يعود عليه وفي البخاري عن ابن عباس: (أنها نزلت فيمن كان يستحي أن يتخلى أو يجامع فيفضي إلى السماء) .
وقوله: ألا حين يستغشون ثيابهم: يحتمل أن يكون عند النوم، فيكون الإثناء عن الحق، أو عن الله، أو عند مواجهة الرسول، فيكون الإثناء عن رؤيته- عليه الصلاة السلام، أو عن سماع القرآن. قال تعالى: يعلم ما يسرون في قلوبهم، وما يعلنون بأفواههم، - فقد استوى في علمه سرهم وعلانيتهم، فكيف يخفى عليه أمرهم واستخفاؤهم منه؟ إنه عليم بذات الصدور أي: بالأسرار صاحبة الصدور، أو بحقائق الصدور وما احتوت عليه.
الإشارة: يقول الحق جل جلاله: هذا كتاب أحكمت آياته بالتعريف بالذات، ثم فصلت ببيان الصفات،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٨٤/٢

أو:

أحكمت بتبيين الحقائق، ثم فصلت بتبيين الشرائع. أو: أحكمت ببيان ما يتعلق بعالم الأرواح من التعريف، ثم فصلت ببيان ما يتعلق بعالم الأشباح من التكليف، أو: أحكمت ببيان أسرار الملكوت، ثم فصلت ببيان أحكام الملك. ثم بين ما يتعلق بالذات فقال: ألا تعبدوا إلا الله، وبين ما يتعلق بالصفات من التفصيل فقال: (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) ، أو: بين ما يتعلق بالحقائق، ثم ما يتعلق بالشرائع، وهكذا. فإن جمعتم بين الحقائق والشرائع يمتعكم متاعا حسنا بشهود ذاته، والتنزه في أنوار صفاته، إلى أجل مسمى، وهو: النزول في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ويؤت كل ذي فضل من المعرفة جزاء فضله من الشهود، فمن تولى عن هذا خاف من عذاب يوم كبير، وهو: غم الحجاب، والتخلف عن الأحباب. ثم عاتب أهل الشهود حيث تركوا مقام المشاهدة وتنزلوا إلى مقام المراقبة، بقوله: (ألا إنهم يثنون صدورهم ...) الآية. ثم بين كمال علمه تكميلا لقوله: (يعلم ما يسرون وما يعلنون) ، فقال:

[سورة هود (١١) : آية ٦]

وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين (٦)

يقول الحق جل جلاله: وما من دابة في الأرض أي: كل ما يدب عليها عاقلا أو غيره، إلا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله إياه بذلك تفضلا وإحسانا. وإنما أتى بعلى التي تقتضي الوجوب تحقيقا لوصوله، وتهييجا على التوكل وقطع الوساوس فيه، ويعلم مستقرها ومستودعها أماكنها في الحياة والممات، أو الأصلاب والأرحام. أو: مستقرها في الأرض بعد وجودها، ومستودعها: موادها قبل إيجادها. أو بالعكس: مستقرها: موادها في العلم قبل الظهور، ومستودعها: إقامتها في الدنيا بعد الوجود. كل واحد من الدواب على اختلاف أجناسها وأصنافها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ، أو في العلم القديم المبين للأشياء، قال البيضاوي: وكأنه أريد بالآية كونه عالما بالمعلومات كلها، وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات بأسره، تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد. هـ.." (١)

"قال هود عليه السلام: إني أشهد الله على براءتي من شرككم، واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني أي: اقصدوا كيدي وهلاكي، جميعا، أنتم وشركاؤكم، ثم لا تنظرون لا تؤخرون ساعة. وهذا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٥٠٩

من جملة معجزاته، فإن مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة، والفتاك العطاش إلى إراقة دمه، بهذا الكلام، ليس إلا لتيقنه بالله، ومنعهم من إضراره ليس إلا لعصمته إياه. ولذلك عقبه بقوله: إني توكلت على الله ربي وربكم، فهو تقرير له. والمعنى: أنكم وإن بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فإني متوكل على الله، واثق بكلاءته، وهو مالكي ومالككم، لا يحيق بي ما لم يرده، ولا تقدرون على ما لم يقدره.

ثم برهن عليه بقوله: ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها: إلا وهو مالك لها، قادر عليها، يصرفها على ما يريد بها. والأخذ بالنواصي تمثيل لذلك. قاله البيضاوي. وقال ابن جزي: أي: هي في قبضته وتحت قهره، وهذه الجملة تعليل لقوة توكله على الله، وعدم مبالاته بالخلق. هـ. إن ربي على صراط مستقيم أي: إنه على الحق والعدل، ولا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم. وقال في القوت: أخبر عن عدله في محله، وقيام حكمته، وأنه وإن كان آخذا بنواصي العباد في الخير والشر، والنفع والضر لاقتداره، فإن ذلك مستقيم في عدله، وصواب من حكمه. هـ.

فإن تولوا أي: فإن تتولوا وتعرضوا عما جئتكم به، فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم. أي: فقد أديت ما علي من الإبلاغ، فلا تفريط مني، ولا عذر لكم فقد جاءكم النذير، وقامت الحجة عليكم، وما بقي إلا هلاككم. ويستخلف ربي قوما غيركم يسكنون دياركم، ويعمرون بلادكم، فإن عتوا وطغوا سلك بهم مسلككم، ولا تضرونه بتوليكم عن الإيمان به، شيئا من الضرر. أو لا تضرونه شيئا إذا أهلككم واستخلف غيركم، إن ربي على كل شيء حفيظ رقيب، فلا يخفى عليه أعمالكم، ولا يغفل عن مجازاتكم.

أو حافظ مستول عليه، فلا يمكن أن يضره شيء. قاله البيضاوي.

الإشارة: ما يقال للأولياء إلا ما قيل للرسل، فإذا توجه العبد إلى مولاه، وسقط على من هو أهل للتربية، وترك ما كان عليه قبل من الانتساب إلى غيره، وخرق عوائد نفسه، أو إصابة شيء من المكاره، قال الناس: ما اعتراه إلا بعض الصالحين بسوء، فيقول لهم: إني أشهد الله، واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه. فإن أجمعوا على إضراره أو قتله قال لهم: فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون.

إني توكلت على الله ربي وربكم، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، وأنتم دواب مقهورون تحت قبضة الحق، إن ربي على صراط مستقيم لا ينتقم إلا من أهل الانتقام، «من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب» ، فإن

ذكرهم بالله ودلهم على الطريق، فكذبوه وأعرضوا عنه، قال: عسى أن يذهب بكم، ويستخلف قوما غيركم، يكونون متوجهين إليه أكثر منكم، ولا تضرونه شيئا. وبالله التوفيق.." (١)

"والمقامات التي ينزل فيها المريد: التوبة، والخوف، والرجاء، والورع، والزهد، والتوكل، والصبر، والرضى، والتسليم، والمحبة، والمراقبة، والمشاهدة بالفناء ثم البقاء، أو الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان. فلا ينتقل من مقام إلى ما بعده حتى يحقق المقام الذي هو فيه، ذوقا وحالا. وقيل: يجوز أن ينتقل إلى ما بعده إذا كان ذا قريحة فتحقق له ما قبله. والله تعالى أعلم. وطريق الشاذلية مختصرة، تطوي عن المريد هذه المقامات، فينزل في أول قدم في مقام الإحسان، شعر أم لا، ثم يحصل الفناء ثم البقاء، إن وجد شيخا كاملا تربى على يد شيخ كامل، وإلا فلا.

وقول الجنيد رضى الله عنه: (عمل خفي) ، اعلم أن الخفاء على ثلاثة أقسام: خفاء عوام الصالحين، وهو: إخفاء الأعمال عن الناس مخافة الرياء. وخفاء المريدين، وهو: الإخفاء عن ملاحظة الخلق ومراقبتهم، ولو كانوا بين أظهرهم، فإخفاؤهم قلبي لا قالبي. وخفاء العارفين الواصلين، وهو: الإخفاء عن رؤية النفس، فهم يغيبون عن أنفسهم ووجودهم، في حال أعمالهم، فليس لهم عن نفوسهم إخبار، ولا مع غير الله قرار. والله تعالى أعلم.

ثم ذكر ما أجابه به قومه فقال:

[سورة هود (١١) : آية ٨٧]

قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشؤا إنك لأنت الحليم الرشيد (٨٧)

قلت: «تأمرك أن نترك» : على حذف مضاف، أي: تأمرك بتكليف أن نترك لأن الرجل لا يؤمر بفعل غيره. و (أن نفعل) : عطف على (ما) أي: أو نترك فعلنا في أموالنا ما نشاء.

يقول الحق جل جلاله: قالوا يا شعيب أصلاتك التي تكثر منها هي التي تأمرك أن تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا من الأصنام، وندخل معك في دينك المحدث، أجابوا به ما أمرهم به من التوحيد بقوله: ما لكم من إله غيره، على وجه التهكم والاستهزاء بصلواته. وكان كثير الصلاة، ولذلك جمعوها وخصوها بالذكر. وقرأ

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٣٧/٢

الأخوان وحفص بالإفراد المراد به الجنس.

ثم أجابوه عن نهيهم عن التطفيف وأمرهم بالإيفاء، فقالوا: أو نترك أن نفعل في أموالنا ما نشؤا من البخس وغيره؟ وقيل: كانوا يقطعون الدراهم والدنانير، فنهاهم عن ذلك.. إنك لأنت الحليم الرشيد، تهكموا به وقصدوا وصفه بضده، من خفة العقل والسفه لأن العاقل عندهم هو الحريص على جمع الدنيا وتوفيرها، وهو الحمق عند العقلاء، أو إنك موسوم بالحلم والرشيد فلا ينبغي لك أن تنهانا عن تنمية أموالنا والتصرف فيها. والله تعالى أعلم.." (١)

"ثم ذكر جواب قومه، فقال:

[سورة هود (١١) : الآيات ٩١ الى ٩٣]

قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز (٩١) قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط (٩٢) ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣)

قلت: «سوف تعلمون» : ذكره هنا بغير فاء، وفي الأنعام بالفاء «١» لأن الكلام في سورة الأنعام مع الأمة المحمدية، فأتى بالفاء لمطلق السببية، وهنا مع قوم شعيب عليه السلام، فحذفها لأنه أبلغ في التهويل. فكأن الجملة بيانية لجواب سائل قال: فما يكون بعد ذلك؟ فقال: سوف تعلمون ... الخ.

يقول الحق جل جلاله: قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول من أمر التوحيد، وترك التبخيس، وما ذكرت من الدليل عليها وذلك لانهماكهم في الهوى، وقصور عقلهم، وعدم تفكرهم. وقيل: قالوا ذلك استهانة بكلامه، أو لأنهم لم يلقوا إليه أذهانهم لشدة نفرتهم. ثم قالوا: وإنا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك تمتنع بها منا إن أردنا بك سوءا، أو: نراك ناحل البدن، أو: ضرير البصر. وضعفه ابن عطيه «٢» . ولولا رهطك أي: قومك، الذين هم باقون على ملتنا، وكونهم في عزة عندنا، لرجمناك: لقتلناك بالحجارة. أو بأصعب وجه، وما أنت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك من رجمك.

قال البيضاوي: وهذا ديدن السفيه المحجوج، يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد. وفي إيلاء ضميره

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٥٥٠

حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه لا في ثبوت العزة، وأن المانع لهم من إيذائه عزة قومه. ولذلك قال: يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا، وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر، بإشراككم به، والإهانة لرسوله. وهو يحتمل الإنكار والتوبيخ والرد والتكذيب. والظهري: منسوب إلى الظهر، والكسر من تغيير البناء. هـ. قال ابن جزي: فإن قيل: إنما وقع الكلام فيه وفى رهطه، بأنهم هم الأعزة دونه، فكيف طابق جوابه كلامهم؟ فالجواب: أن تهاونهم به، وهو رسول الله، تهاون بالله. فلذلك قال: أرهطي أعز عليكم من الله. هـ.

---

(١) في قوله تعالى: (قال يا قوم اعملوا على مكانتكم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون) الآية: ١٣٥.

(٢) قال ابن عطية: وهذا ضعيف، لا تقوم عليه حجة بضعف بصره أو بدنه، والظاهر من قولهم «ضعيفا» أنه ضعيف الانتصار والقدرة.." (١)

"إن ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها، فيجازي عليها بتمامها. ويا قوم اعملوا على مكانتكم: على حالتكم من تمكنكم في الدنيا، وعزتكم فيها، إني عامل على حالي، سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، يهينه في الدنيا والآخرة، وسوف تعلمون من هو كاذب مني ومنكم، وارتقبوا وانتظروا ما أقول لكم، إني معكم رقيب: مرتقب لذلك. وهو فعيل بمعنى فاعل، كالصريح والرفيع. والله تعالى أعلم.
الإشارة: لا يفقه المواعظ والتذكير إلا أهل الإيمان والتنوير. وأما القلب القاسي بالكفر والمعاصي فلا يسمع إلا ما تسمعه البهائم من الناعق والراعي. فبقدر ما يرق القلب يتأثر بالمواعظ، وبقدر ما يغلظ باتباع الحظوظ والهوى يغيب عن تدبر المواعظ. وسبب تنوير القلب ورقته: قربه من الله، وتعظيمه لحرمات الله، وتعظيم من جاء من عند الله من أنبيائه ورسله، وورثتهم القائمين بحجته، كالأولياء والعلماء الأتقياء. وسبب ظلمة القلب وقساوته: بعده من الله، وإهانته لحرمات الله، واتخاذه أمره ظهريا، وجعل ذكره نسيا منسيا. وبالله التوفيق.
ثم ذكر هلاك قوم شعيب، فقال:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٥٣/٢

[سورة هود (١١) : الآيات ٩٤ الى ٩٥]
ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٩٤) كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود (٩٥)
يقول الحق جل جلاله: ولما جاء أمرنا: عذابنا لقوم شعيب، نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا، لا بعمل استحقوا به ذلك إذ كل من عنده، وأخذت الذين ظلموا الصيحة قيل: صاح بهم جبريل فهلكوا، فأصبحوا في ديارهم جاثمين: ميتين. وأصل الجثوم: اللزوم في المكان. كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها ساعة، ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود، شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضا بالصيحة، غير أن صيحة ثمود كانت من فوق، وصيحة مدين كانت من تحت، على ما قيل، ويدل عليہ: التعبير عنهما بالرجفة في آية أخرى «١» ، والرجفة في الغالب إنما تكون من ناحية الأرض. وفي البيضاوي خلاف هذا، وهو غير جيد. قال قتادة: بعث الله شعيبا إلى أمتين: أصحاب الأيكة، وأصحاب مدين، فأهلك أصحاب الأيكة بالظلة، على ما يأتي، وأما أهل مدين فصاح بهم جبريل صيحة فهلكوا أجمعين. قيل: وآمن بشعيب من الفئتين: تسعمائة إنسان. وكان أهل الأيكة أهل غيطة وشجر، وكان شجرهم الدوم «٢» - وهو شجر المقل.

---

(١) كما في قوله تعالى: فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. الأعراف ٧٨، ٩١.
(٢) الدوم: شجر يشبه النخلة.." (١)

": نسوق لهم الميرة- وهو: الطعام حين نرجع إلى الملك، ونحفظ أخانا من المكاره في ذهابنا وإيابنا.. ونزداد كيل بعير بزيادة حمل بعير أخينا، إذ كان يوسف عليه السلام لا يعطي إلا كيل بعير لكل واحد.
ذلك كيل يسير أي: ذلك الطعام الذي أتينا به شيء قليل لا يكفينا حتى نرجع ويزيدنا كيل أخينا. أو ذلك الحمل الذي يزيدنا لبعير أخينا- كيل قليل عنده، يسهل عليه لا يتعاظمه، فلا يمنعنا منه. كأنهم استقلوا ما كيل لهم فأرادوا أن يضاعفوه بالرجوع إلى الملك، ويزدادوا إليه ما يكال لأخيهم. وقيل: إنه من كلام يعقوب عليه السلام، والمعنى: أن حمل بعير شيء قليل لا يخاطر لمثله بالولد.
قال لن أرسله معكم لأني رأيت منكم ما رأيت، حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما أثق به من عهد

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٥٤/٢

الله، وتحلفوا لي الأيمان الموثقة لتأتنني به في كل حال، إلا أن يحاط بكم إلا أن تغلبوا، ولا تطيقوا الإتيان به. أو: إلا أن تهلكوا جميعا ويحيط الموت بكم فلما آتوه موثقهم عهدهم وحلفوا له، قال أبوهم: الله على ما نقول من طلب الموثق وإتيان الولد وكيل أي: مطلع رقيب، لا يغيب عنه شيء.

ثم وصاهم وقال لهم: يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة. وكانت في ذلك العهد خمسا: باب الشام، وباب المغرب، وباب اليمن، وباب الروم، وباب طيلون. فقال لهم: ليدخل كل أخوين من باب، خاف عليهم العين لأنهم أهل جمال وأبهة، مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة فإذا دخلوا كبكبة واحدة أصابتهم العين. ولعله لم يوصهم بذلك في المرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين حينئذ، وللنفس آثار من العين، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «العين حق، تدخل الرجل القبر والجمل القدر» «١» .

وكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ منها، بقوله: «اللهم إني أعوذ بك من كل نفس هامة، وعين لامة» «٢» . ويؤخذ من الآية والحديث: التحصن منها قياما برسم الحكمة. والأمر كله بيد الله. ولذلك قال يعقوب عليه السلام: وما أغني عنكم من الله من شيء مما قضي عليكم بما أشرت به عليكم، والمعنى: أن ذلك لا يدفع من قدر الله شيئا، فإن الحذر لا يمنع القدر، إن الحكم إلا لله فما حكم به عليكم لا ترده حيلة، عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون أي: ما وثقت إلا به، ولا ينبغي أن يثق أحد إلا به. وإنما كرر حرف الجر زيادة في الاختصاص ترغيبا في التوكل على الله والتوثق به.

---

(١) قال فى كشف الخفاء: (ح ١٧٩٧) رواه أبو نعيم عن جابر مرفوعا، وحديث «العين حق» بدون الزيادة، متفق عليه.

مكث أخرجه البخاري فى (الطب، باب العين حق) ومسلم فى (السلام، باب الطب والمرضى) من حديث أبى هريرة- رضى الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري فى (كتاب الأنبياء، باب ١٠) من حديث ابن عباس، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول ... وذكر الحديث.." (١)

"فإن أبيتم وكذبتم نبيكم فقد كذب من قبلكم رسلهم، وآذوهم، وتأخر نصرهم حتى إذا استيأس الرسل من النصر، أو من إيمان قومهم لانهماكهم في الكفر، وتماديهم من غير وازع، وظنوا أي: تيقنوا أنهم قد

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٦١١/٢

كذبوا «١» أي: أن قومهم كذبوهم فيئسوا من إيمانهم. أو: وظنوا أن من آمن بهم قد كذبوهم لطول البلاء وتأخر النصر. وأما قراءة (كذبوا) بالتخفيف فمعناه: وظنوا أنهم قد كذب عليهم في وعد النصر.. وأنكرت عائشة- رضى الله عنها- هذه الرواية، وقالت: معاذ الله لم تكن الرسل تظن بربها ذلك. كما في البخاري «٢» .

وقد يجاب بأن ذلك كانت خواطر وهواجس من وسواس النفس، يمر ولا يثبت، وهو من طبع البشر، لا يدخل تحت التكليف. وسماه ظنا مبالغة في طلب **المراقبة**، كما تقدم في قوله: ولقد همت به وهم بها.
وقال ابن جزي، على هذه القراءة: الضميران يعودان على المرسل إليهم، أي: ظن الأتباع أن الرسل قد كذبوا عليهم في دعوى الرسالة، أو في مجيء النصر لما اشتد عليهم البلاء، وتأخر عنهم النصر.
فلما يئسوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء نجاته، وهو: النبي والمؤمنون. وإنما لم يعينهم للدلالة على أنهم الذين يستأهلون نجاتهم بالمشيئة القديمة، لا يشاركهم فيها غيرهم، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين إذا نزل بهم. وفيه بيان المستثنين بالمشيئة، كأنه قال: ولا نشاء نجاة المجرمين.
الإشارة: قد وجد كثير من الأولياء بالمدن والحواضر، وكثير منهم في القرى والمداشر. وفضل الله يؤتيه من يشاء، لا يختص بمكان ولا زمان، غير أن جلهم جمعوا بين علم المدن وتفرغ البوادي، يعني: جمعوا بين شريعة المدن وحقيقة البوادي لأن أهل المدن شريعتهم قوية، وحقيقتهم ضعيفة. والبوادي بالعكس لكثرة العلائق في المدن وخفتها في البوادي، والحقيقة تحتاج إلى تفرغ كبير وتفكر كثير، والله تعالى أعلم.
وقوله تعالى: وظنوا أنهم قد كذبوا بالتخفيف، معناه: أنهم لم يقفوا مع ظاهر الوعد لسعة علمهم لأن ذلك الوعد قد يكون في علم الغيب متوقفا على شروط خفية لا يعلمها ذلك النبي أو الولي، ليتحقق انفراده تعالى بالعلم الحقيقي، والقهرية الغالبة. فلذلك كان العارفون لا يزول اضطرارهم، ولا يكون مع غير الله قرارهم.
وقال الورتجبي: إنهم استغرقوا في قلزوم «٣» الأزلية، وغابوا تحت بحار الديمومية، ولم يروا الحق من كمال استغراقهم في الحق. فلما لم يروه ناداهم لسان غيره قهر القدم: أين أنتم؟ غبتم عنه وعن الحقيقة، فتطلع أنوار الحقيقة عليهم، ويأخذ لطفها عن شبكات امتحان القهر. وهذا دأب الحق مع الأنبياء والأولياء حتى لا يسكنوا إلى ما وجدوا منه، بل يفنوا به عن كل ماله إليهم. هـ.

---

(١) قرأ «كذبوا» بالتخفيف، عاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر، وقرأ الباقون «كذبوا» بالتشديد. انظر القراءة وتوجيهها فى الإتحاف (٢/ ١٥) والبحر المحيط (٥/ ٣٤٧) .

(٢) (كتاب التفسير، باب سورة يوسف) . [.....]

(٣) أي: بحر.." (١)

"وقوله تعالى: الله يعلم ما تحمل كل أنثى: ما تحمل كل نفس من العلوم، وما تحمل كل روح من الأسرار.

وما تغيض الأرحام، أي: القلوب، فقد تنقص أنوارها بمباشرة الأغيار، وقد تزداد بالتفرغ أو صحبة العارفين الكبار.

وكل شيء عنده بمقدار، فالفتح له وقت معلوم، وحد محدود، والمراتب والمقامات مقسومة محدودة في الأزل، كل أحد ياخذ ما قسم له. وقوله تعالى: سواء منكم من أسر القول ...

إلخ، فيه تحقيق **المراقبة** وتشديد المحاسبة على الخواطر والقلوب. والله تعالى أعلم.

وإذا كان العبد على هداية من ربه أو نعمة، فلا تزول عنه إلا من جهته، كما قال تعالى:

إن الله لا يغير ...

قلت: وإذا: ظرف، والعامل فيه: مادل عليه الجواب، أي: لا يرد ما قضى إذا أراد إنفاذه. وخوفا وطمعا: منصوبان على العلة بتقدير المضاف، أي: إرادة الخوف والطمع ليتحد الفاعل. أو بتأويل: يجعلكم ترون البرق خوفا وطمعا. والثقال: نعت لسحاب، وجمعه لأن السحاب جنس بمعنى الجمع. وجملة: وهم يجادلون: إما استئنافية، أو حال من الموصول. والمحال: المكر والخديعة. من محل بفلان إذا كاده وعرضه للهلاك، ومنه تمحل: إذا تكلف استعمال الحيلة، فالميم أصلية، ووزنه: فعال، وقيل: مشتق من الحيلة، فالميم زائدة، ووزنه: مفعل، وأصله: محيل.

يقول الحق جل جلاله: إن الله لا يغير ما بقوم من النعم والعافية إلى النقمة والبلية حتى يغيروا هم ما بأنفسهم من الطاعة وترك المعصية، إلى ارتكاب الذنوب. فلا يسلب النعم عن قوم إلا بارتكاب ذنب، ولو من البعض إذا سكت الكل. وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له أي: فلا راد له ولا معقب لحكمه، وما لهم من دونه من وال أي: ليس لهم من يلي أمرهم، ويدفع عنهم السوء الذي قضاه الله عليهم، وأراد نزوله بهم لأن وقوع خلاف مراد الله تعالى محال.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٦٣٦/٢

هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا أي: خوفا مما ينشأ عن البرق من الصواعق والأمور الهائلة، وطمعا في نزول الغيث الذي يكون معه غالبا، وينشئ أي: يخلق السحاب الغيم المسحب، الثقال:." (١)

"المثقل بالمطر الحاملة له، ويسبح الرعد بحمده أي: متلبسا بحمده، يقول: سبحان الله وبحمده.

أو: يدل الرعد بنفسه على وحدانيته تعالى وكمال قدرته، ملتبسا بالدلالة على كمال فضله، ونزول رحمته.

وعن ابن عباس رضى الله عنه: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال: «ملك موكل بالسحاب، له مخاريق من نار يسوق السحاب» «١» .

وتسبح أيضا الملائكة من خيفته أي: من خوفه وإجلاله، ويرسل الصواعق نار تنزل من السماء وقت ضرب الرعد، فيصيب بها من يشاء فيهلكه، وهم يجادلون في الله أي: الكفار، حيث يكذبون رسوله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة، والتفرد بالألوهية، وبعث الناس وحشرهم للمجازاة، وهو شديد المحال أي: شديد المكر بأعدائه، الذين أرادوا أن يمكروا بنبيه- عليه الصلاة والسلام-.

روي أن عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله، فأخذ عامر بالمجادلة مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغله، ودار أربد من خلفه ليضربه بالسيف، فتنبه له الرسول- عليه الصلاة والسلام- وقال:

«اللهم اكفنيهما بما شئت» ، فأرسل الله على أربد صاعقة فقتلته، ورمي عامر بغدة، فمات في بيت امرأة سلولية، فكان يقول: غدة كغدة البعير، وموت في بيت امرأة س لولية! فنزلت الآية من أولها «٢» ، وهو قوله: له معقبات ...

إلخ، على قول.

الإشارة: من جريان حكمته تعالى في خلقه أنه لا يسلب النعم عنهم إلا بسوء أدب منهم، كل على قدر مقامه، فالنعم الظاهرة يسلبها بترك الطاعة الظاهرة، أو بالمخالفة الظاهرة، والنعم الباطنة يسلبها بترك **المراقبة** الباطنة أو المشاهدة الباطنة. فلكل مقام حقوق وآداب فمن أخل بحقوق مقام نقص له منه، إلا أن يتوب. وقد يسيء الأدب فتؤخر العقوبة عنه، فيظن أنه لم يسلب. ولو لم يكن إلا ترك المزيد. وقد يبعد، وهو لا يشعر، ولو لم يكن إلا وتركه وما يريد. كما في الحكم.: «إن الله لا يغير ما في القلوب من أنوار الشهود والعيان، حتى يغيروا ما بأنفسهم من حسن الأدب بسوء الأدب» . وهذا ما لم يتحقق له مقام المحبوبية

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/١٣

والتمكن مع الله في المعرفة. وإلا فالرعاية والعناية محفوفة بقلبه، فقد يبلغ الولي إلى مقام يقال له: افعل ما شئت فقد غفرت لك، كما وقع لأهل بدر، وراجع ما تقدم عند قوله: أولئك لهم الأمن وهم مهتدون «٣» وقد يغير الله قلب عبده اختبارا له، فيسلبه حلاوة المعاملة أو المعرفة، فإن هو اضطرب وتضرع رد له حاله، وإن لم يضطرب ولم يفزع إلى الله لم يرد له شيئا. وإليه الإشارة بقوله: وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ... الآية.

---

(١) أخرجه فى سياق طويل، أحمد فى المسند (٢/ ٢٧٤) والترمذي في (تفسير سورة الرعد) ، وقال: حسن غريب.

(٢) أخرجه ابن جرير فى التفسير (١٣/ ١٢٦) عن ابن عباس رضى الله عنه فى سياق أطول من هذا. وهو ضعيف لوجود السدى والكلبي فى السند.

(٣) الآية ٨٢ من سورة الأنعام. [.....]." (١)

"ومثل العمل الخالص الذي تصفى من الرياء والعجب وسائر العلل، بالحديد المصفى من خبثه لتصنع منه السيوف والآلات، أو النحاس المصفى لتصنع منه الأواني، وغيرها مما ينفع به الناس.

ومثل الحال الصافي من العلل بالذهب المصفى، أو الفضة، إذا صفيت وذهب خبثها ليصنع بهما الحلي والحلل ليتزين بها أهلها، فأشار إلى المثال الأول- وهو العلم- بقوله: أنزل من السماء مآء إلخ. وأشار إلى الحال بقوله: ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية، وأشار إلى العمل بقوله: أو متاع زبد مثله. وقدم الحال، لشرفه، ومثله بالذهب والفضة لزيادة الرغبة فيه لأنه ثمرة العمل، ومرجعه إلى الوجدان والأذواق، وهو عزيز لا يجده إلا المقربون.

والحاصل: أن المراتب أربعة: العلم، والعمل، والحال، والمقام. وإنما لم يضرب الحق تعالى مثلا للمقام لأن النزول فيه لا يكون إلا بعد التصفية، فليس فيه علة، يحتاج إلى التصفية منها. فمقامات اليقين كلها يجري فيها العلم، والعمل، والحال، والمقام. فالتوبة مثلا: يتعلق العلم بمعرفة حقيقتها، وفضليتها، ثم يسعى في العمل بالمجاهدة والرياضة حتى يذهب زبده وخبثه، حتى يذوق حلاوة الاستقامة مع بقية الخوف من السقوط، وهذا هو الحال، ثم تطمئن النفس، وترسخ التوبة النصوح، وهذا هو المقام. وكذلك الصبر، يتعلق

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٤/٣

به العلم أولا ثم يسعى في مرارة استعماله حتى يذوق حلاوة الشدة والفاقة ثم يرسخ فيه، وهكذا يجري في المقامات كلها.. وهي اثنا عشر مقاما:

التوبة، والخوف، والرجاء والورع، والزهد، والصبر، والشكر، والرضى، والتسليم، والمحبة، **والمراقبة**، والمشاهدة.

وهي: بروج شمس المعرفة، وقمر التوحيد. وكذلك معرفة الشهود والعيان: يتعلق العلم أولا بأسرار التوحيد، ثم يعمل في خرق عوائد نفسه حتى تموت، فيشرق عليها أنوار التوحيد، غير أنها تظهر وتخفى، ثم يصير الشهود مقاما، رسوخا وتمكينا.

وقد أشار في الحكم إلى بعض هذا فقال: «حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال، وحسن الأحوال من التحقق بمقامات الإنزال» . وكل واحد من الثلاثة يحتاج إلى تصفية حتى يذهب زبده وخبثه فتصفية العلم بالإخلاص والتحقيق، فيذهب عنه قصد الرئاسة والجاه، أو التوصل إلى الدنيا، ويذهب به الشكوك والأوهام فهذا زبده.

وتصفية العمل بالإخلاص في أوله، والإتقان والحضور في وسطه، والكتمان في آخره، فيذهب عنه الرياء والعجب به، والتوصل به إلى حظ نفساني. وتصفية الحال بصحة القصد وإفراد الوجهة، وإذا هاج عليه الوارد ملك نفسه وأمسكها، فيذهب به قصد الظهور، وطلب المراتب الدنيوية والكرامات الحسية، التي هي من حظ النفس وتشتيت القلب، إن لم يفرد وجهته لله، وانحلال عزمه وخمود نوره، إن لم يمسك نفسه عند هواجم الحال. فهذا زبد الحال الذي يذهب عنه بمجاهدة النفس، ويمكث في أرض القلوب صفاء اليقين والمعرفة وخالص العمل في مقام العبودية. وبالله التوفيق.." (١)

"وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: «كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف؟! أم كيف يعرف بشيء من سبق وجوده كل شيء؟ أي: وظهر بكل شيء» . وفي ذلك يقول الشاعر:

عجبت لمن يبغي عليك شهادة ... وأنت الذي أشهدته كل شاهد

وقال آخر:

لقد ظهرت فما تخفى على أحد ... إلا على أكمه لا يبصر القمرا

لكن بطنت بما أظهرت محتجبا ... وكيف يبصر من بالعزة استترا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٢٠

وأهل طمأنينة الإيمان على قسمين باعتبار القرب والبعد: فمنهم من يطمئن بوجود الحق على نعت القرب والأنس، وهم أهل المراقبة من الزهاد والصالحين، والعلماء العابدين المجتهدين، وهم متفاوتون في القرب على قدر تفرغهم من الشواغل والعلائق، وعلى قدر التخلية والتحلية. ومنهم من يطمئن إليه على نعت البعد من قلبه، وهم أهل الشواغل والشواغب، والعلائق والعوائق. وعلامة القرب: وجود حلاوة المعاملة، كلذيذ المناجاة، والأنس به في الخلوات، ووجود حلاوة القرآن والتدبر في معانيه، حتى لا يشبع منه في كل أوان. وعلامة البعد: فقد الحلاوة المذكورة، وعدم الأنس به في الخلوة، وفقد حلاوة القرآن، ولو كان من أعظم علماء اللسان.

وأهل طمأنينة الشهود على قسمين أيضا: فمنهم من تشرق عليه الأنوار، وتحيط به الأسرار، فيغرق في الأنوار وتطمس عنه الآثار، فيسكر ويغيب عن الأثر في شهود المؤثر، ويسمى عندهم هذا المقام: مقام الفناء. ومنهم من يصحو من سكرته، ويفيق من صعقته، فيشهد المؤثر، لا يحجبه جمعه عن فرقه، ولا فرقة عن جمعه، ولا يضره فناؤه عن بقائه، ولا بقاؤه عن فنائه، يعطي كل ذي حق حقه، ويوفي كل ذي قسط قسطه، وهو مقام البقاء، ولا يصح وجوده إلا بعد وجود ما قبله، فلا بقاء إلا بعد الفناء، ولا صحو إلا بعد السكر. ومن ترامى على هذا المقام- أعني مقام البقاء- من غير تحقيق مقام السكر والفناء فهو لم يبرح عن مقام أهل الحجاب.

واعلم أن طمأنينة الإيمان تزيد وتنقص، وطمأنينة العيان، إن حصلت، تزيد ولا تنقص. فمواد أسباب زيادة طمأنينة الإيمان أشياء متعددة، فمنهم من تزيد طمأنينته بالتفكر والاعتبار، إما في عجائب المصنوعات وضروب المخلوقات، فيطمئن إلى صانع عظيم القدرة باهر الحكمة. وإما بالنظر في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، وباهر علمه، وعجائب حكمه وأسراره، وإخباره بالأمور الغيبية السابقة والآتية، مع كونه نبيا أميا. فإذا تحقق بمعرفة الرسول فقد." (١)

"قلت: أفمن مع صلته: مبتدأ، والخبر محذوف، أي: أفمن هو رقيب على كل شيء أحق أن يعبد أم غيره.

أو كمن ليس كذلك؟!.

يقول الحق جل جلاله: أفمن هو قائم على كل نفس أي: حفيظ رقيب على عمل كل نفس بما كسبت

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٦/٣

من خير أو شر، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، ولا يفوت عنده شيء من جزائهم، أحق أن يعبد أم غيره؟. أو كمن ليس كذلك ممن هو جماد لا يسمع، ولا يعقل!!. وجعلوا لله شركاء بعد هذا البيان التام، قل لهم: سموهم أي: اذكروا أسماءهم، فلا تجدون إلا أسماء إناث كاللات والعزى ومناة، أو أسماء أحجار وخشب فبأي وجه تستحق أن تعبد، وتشرك مع الله في ألوهيته؟.

أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض بل أتخبرونه بما لا يعلم وجوده في الأرض، وهذا تهكم بهم، كأنهم علموا استحقاق الأصنام العبادة، ولم يعلمها الحق تعالى، وهو محال. والمعنى: أن الله لا يعلم لنفسه شركاء وإذا لم يعلمهم فليسوا بشيء، فكيف تفترون الكذب في عبادتهم؟ أم تسمونهم شركاء، بظاهر من القول، من غير حقيقة واعتبار معنى، كتسمية الخبث مسكا، والبول عطرا.

بل زين للذين كفروا مكرهم أي: انخداعهم وغرورهم حتى توهموا الباطل حقا، أو مكرهم بالإسلام وكيدهم لأهله، وصدوا «١» عن السبيل أي: وصدوا الناس عن طريق الحق، حيث منعوهم من الإسلام.

ومن قرأ بضم الصاد مبنيا للمفعول فمعناه: صدهم الشيطان عن طريق الحق وضلوا عنه. ومن يضلل الله فما له من هاد أي: من يخذله الله فليس له من يوفقه غيره. لهم عذاب في الحياة الدنيا

بالقتل والأسر، وسائر ما يصيبهم من المصائب، ولعذاب الآخرة أشق

لشدته ودوامه، وما لهم من الله

اي: من عذابه من واق

يقيهم ويعصمهم منه.

الإشارة: كل من تحقق أن الله قائم عليه استحيا منه أن يسيء الأدب بين يديه، يقول الله تعالى في بعض الأخبار: «أن كنتم تعتقدون أني لا أراكم، فالخلل في إيمانكم، وإن كنتم تعتقدون أني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم؟» . وكل من وقف مع الأسباب واعتمد عليها، أو طمع في الخلق وركن إليهم، فقد جعل لله شركاء، فيقال له: سم هؤلاء تجدهم خلقا عاجزين، لا قدرة لهم على شيء، ولا ينفعوك بشيء إلا ما قسم الله لك في الأزل.

بل زين لضعفاء اليقين مكرهم، حتى انخدعوا وافتتنوا برؤية الأسباب، أي: كفروا كفرا دون كفر بأن شكوا فى

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي، بضم الصاد، على البناء للمفعول، وقرأ الباقون بالفتح على البناء للفاعل.. انظر الإتحاف (٢/ ١٦٢) .." (١)

"وكذلك أنزلناه أي: ومثل هذا الإنزال المشتمل على أصول الدين المجمع عليها، أنزلناه حكما عربيا أي: يحكم في القضايا والوقائع، بما تقتضيه الحكمة، مترجما بلسان العرب ليسهل عليهم فهمه وحفظه. ولئن اتبعت أهواءهم التي يدعونك إليها كتقرير دينهم، والصلاة إلى قبلتهم بعد ما حولت عنها، بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك، ما لك من الله من ولي ينصرك، ولا واق يقيك عتابه. وهو حسم لأطماعهم، وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم. وبالله التوفيق.

الإشارة: الفرح بما أنزل من عند الله هو مقدمات الفرح بالله، فإذا رفعت أكنة الغفلة عن القلب تلذذ بسماع الخطاب من وراء الباب، وذلك أمارة القرب. وهذا مقام أهل **المراقبة** من المحبين. فإذا جد في السير رفعت عنه الحجب والأستار، وواجهته الأنوار والأسرار، فيكاشف بأسرار الذات وأنوار الصفات، فيتلذذ بشهود المتكلم، فيسمع حينئذ الكلام من المتكلم به بلا واسطة. وهذا مقام أهل الشهود من المحبين المقربين. (ومن الأحزاب) ، وهم أهل الرئاسة والجاه، من ينكر وجود بعض هذه المقامات تعصبا وحمية. أو ينسبها لنفسه غلطا وجهلا، فيقول له من تحقق بهذا المقام: إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به، إليه أدعو وإليه مآب. ويغيب عنه بالاشتغال بالله، وبالدعاء إليه. فإن غفل واشتغل به، أو ركن إلى قوله، قيل له: ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق.

ولما قالت اليهود- لعنهم الله- لو كان محمد رسولا لما أولع بالنساء، رد الله عليهم بقوله:

[سورة الرعد (١٣) : الآيات ٣٨ الى ٣٩]

ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب (٣٨) يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (٣٩)

يقول الحق جل جلاله: ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد، وجعلنا لهم أزواجا كثيرة: كداود عليه السلام كان له مائة امرأة، وابنه كان له ألف، على ما قيل، وغيرهما من الأنبياء والرسل. وجعلنا لهم منهن ذرية، وأنت يا محمد منهم فليس ببدع أن يكون الرسول بشرا، يتزوج النساء، ويحتاج إلى ما

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٣١

يحتاج إليه البشر، إلا أنه لا يشغله ذلك عن أداء الرسالة، ونصيحة الأمة، وإظهار شريعة الدين، والقيام بحقوق رب العالمين. ولما أجابهم بشبهتهم قالوا: أظهر لنا معجزة كما كانت لهم، كالعصا وفلق البحر، وإحياء الموتى؟ فإنزل الله وما كان لرسول ما صح له ولم يكن في وسعه أن يأتي بآية تقترح عليه، ويظهرها إلا بإذن الله وإرادته فإنه القادر على ذلك. لكل أجل من آجال بني آدم وغيرهم، كتاب يكتب فيه وقت موته، وانتقاله من الدنيا.." (١)

"محل المناجاة، ومعدن المصافاة، تتسع فيها ميادين الأسرار، وتشرق فيها شوارق الأنوار، كما في الحكم. وفي بعض الأخبار: (أن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجب بينه وبينه، وواجهه بوجهه، وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء، يصلون بصلاته، ويؤمنون على دعائه، وإن المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه، ويناديه مناد: لو يعلم المناجي من يناجي ما انفتل «١» . وإن أبواب السماء لتفتح للمصلي. وإن الله تعالى يباهي ملائكته بصفوف المصلين) . وفي التوراة: يا ابن آدم لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا باكيا، فأنا الذي اقتربت من قلبك، وبالغيب رأيت نوري. هـ. فكانوا يرون أن تلك **المراقبة** والبكاء، وتلك الفتوح التي يجدها المصلي في قلبه من دنو الرب من القلب.

وأما الصدقة فإنها برهان على إيمان صاحبها، وفي الحديث: «الصدقة برهان» ، فهي تدل على خروج حب الدنيا من القلب، وعلى اتصاف صاحبها بمنقبة السخاء، التي هي أفضل الخصال، وفي الحديث: «السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار، ولجاهل سخي أحب إلى الله من عالم بخيل» .

ثم ذكرهم بالنعم، ليقيدوها بالشكر قبل أن تسلب منهم، كما سلبت ممن ذكر قبل، فقال:

[سورة إبراهيم (١٤) : الآيات ٣٢ الى ٣٤]

الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار (٣٢) وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار (٣٣) وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار (٣٤)

قلت: (الله) : مبتدأ، و (الذي) ، وما بعده: خبر، و (رزقا لكم) : مفعول أخرج، و (من الثمرات) : بيان

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٣٤

له، حال، ويجوز العكس، ويجوز أن يراد بالرزق: المصدر، فينصب على العلة أو المصدر لأن (أخرج) فيها معنى «رزق» ، و (دائبين) : حال، والدءوب: الدوام على عمل واحد، و (من كل ما سألتموه) : يحتمل أن تكون «ما» مصدرية، أو موصولة، أو موصوفة.

يقول الحق جل جلاله: الله الذي خلق السماوات والأرض من أجلكم، السماء تظلكم، والأرض تقلكم، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم، تعيشون به وتتفكهون منه. ويشمل الملبوس،

---

(١) أي: ما انصرف.." (١)

"من تنفيسه وإزالة الكرب والشدائد، فمن التنفيس بالريح: النصر بالصبا، وذر الأرزاق بها، وجلب الأمطار، وغير ذلك مما يكثر عده. قاله ابن عطية.

والمختار في تفسير اللواقح: أنها حاملة للماء، بدليل قوله: فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه أي: جعلناه لكم سقيا. يقال: سقى وأسقى بمعنى واحد عند الجمهور. وما أنتم له بخازنين: بممسكين له في الجبال، والغدران، والعيون، والآبار، فتخرجونه متى شئتم، بل ذلك من شأن المدبر الحكيم، فإن طبيعة الماء تقتضي الغور، فوقوفه دون حد لا بد له من مسبب مخصص، وجريه بلا انتهاء لا يكون إلا بقدرة السميع العليم، الذي لا تتناهى قدرته. أو: وما أنتم له بخازنين بقادرين متمكنين من إخراجه وقت الاحتياج إليه. نفى عنهم ما أثبته لنفسه بقوله: عندنا خزائنه.

وإنا لنحن نحيي ونميت أي: نحيي من نريد إحياءه بإيجاد الحياة فيه، ونميت من نريد إماتته بإزالة الحياة منه. وقد أول الحياة بما يعم الحيوان والنبات. وتكرير الضمير للدلالة على الحصر. ونحن الوارثون: الباقون إذا مات الخلائق كلهم.

ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين أي: علمنا من تقدم ولادة، ومن تأخر، أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد، أو من تقدم إلى الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة، ومن تأخر، لا يخفى علينا شيء من أحوالكم. وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته، فإن ما يدل على كمال قدرته دليل على كمال علمه. قيل: رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الأول، فازدحموا عليه، فنزلت، وقيل: إن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتقدم بعض القوم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٦٢/٣

لئلا ينظر إليها، وتأخر بعض ليبصرها، فنزلت.

قاله البيضاوي.

وإن ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء، كأن هذا هو الغرض من ذكر العلم بالمتقدمين والمتأخرين لأنه إذا أحاط بهم علما لم تصعب عليه إعادتهم وحشرهم. إنه حكيم باهر الحكمة، عليم واسع العلم والإحاطة بكل معلوم. قال البيضاوي: وفي توسيط الضمير- يعني في قوله: هو يحشرهم للدلالة على أنه القادر والمتولي لحشرهم لا غيره، وتصدير الجملة بأن لتحقيق الوعيد والتنبيه على أن ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الأشياء يدل على صحة الحكم. هـ.

الإشارة: ولقد جعلنا في سماء قلوب العارفين بروجا، وهي المقامات التي ينزلون فيها بشموس عرفانهم، وهي: التوبة، والخوف، والرجاء، والورع، والزهد، والصبر، والشكر، والرضى، والتسليم، والمحبة، والمراقبة،." (١)

"ثم قال تعالى: للذين أحسنوا في هذه الدنيا أي: بالرضا عني في جميع الأحوال، والاشتغال بذكري في كل حال، لهم في الدنيا حسنة: حلاوة المعرفة، ودوام المشاهدة، ولدار الآخرة خير لصفاء المشاهدة فيها، واتصالها بلا كدر إذ ليس فيها من شواغل الحس ما يكدرها، بخلاف الدنيا لأن أحكام البشرية لا ينفك الطبع عنها، كغلبة النوم، وتشويش المرض وغيره، بخلاف الجنة، ليس فيها شيء من الكدر، ولذلك مدحها بقوله: ولنعم دار المتقين.

ثم قال: كذلك يجزي الله المتقين لكل ما يشغل عن الله الذين تتوفاهم الملائكة طيبين، طاهرين، مطهرين من شوائب الحس، ودنس العيوب، طيبة نفوسهم بحب اللقاء، قد طيبوا أشباحهم بحسن المعاملة، وقلوبهم بحسن المراقبة، وأرواحهم بتحقيق المشاهدة. تقول لهم الملائكة الكرام: سلام عليكم، ادخلوا جنة المعارف إثر موتكم، وجنة الزخارف إثر بعثكم بما كنتم تعملون من تطهير أجسامكم من الزلات، وتطهير قلوبكم من الغفلات، وتطهير أرواحكم من الفترات. وبالله التوفيق.

ثم ذكر وعيد أضدادهم، الذين قالوا فيما أنزل لهم: (أساطير الأولين) ، فقال:

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٣٣ الى ٣٧]

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٨٣/٣

هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٣٣) فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (٣٤) وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين (٣٥) ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (٣٦) إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين (٣٧)

يقول الحق جل جلاله: ل ينظرون

أي: ما ينظر هؤلاء الكفرة، الذين قالوا فيما أنزل الله من الوحي: هو أساطير الأولين، لا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، و يأتي أمر ربك

: قيام الساعة، أو العذاب المستأصل لهم فى الدنيا، ذلك

أي: مثل ذلك التكذيب والشرك، عل الذين من قبلهم

، فأصابهم ما أصابهم، ما ظلمهم الله

بإهلاكهم، لكن كانوا أنفسهم يظلمون

لكفرهم ومعاصيهم، المؤدية إلى عذابهم.." (١)

"ويدفعها عن الظلم باستكباره عن العبودية، ويأمرها بإذعانها عند تراب أقدام أولياء الله لتكون مطمئنة في عبودية الحق، ذاكرة لسلطان ربوبيته، وقهر جبروته وملكوته وإحاطته بكل ذرة، وفناء الخليقة في حقيقته. هـ.

ومن مكارم الأخلاق الداخلة تحت العدل: الوفاء بالعهد، كما قال تعالى:

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٩١ الى ٩٦]

وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون (٩١) ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون (٩٢) ولو شاء الله لجعلكم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٢٥/٣

أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون (٩٣) ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم (٩٤) ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون (٩٥)

ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون (٩٦)

قلت: وقد جعلتم: حال، وأنكاثا: حال من الغزل، وهو: جمع نكث- بالكسر- بمعنى منكوث، أي: منقوض. وأن تكون: مفعول من أجله، وتتخذون: جملة حالية من ضمير «تكونوا» .

يقول الحق جل جلاله: وأوفوا بعهد الله كالبيعة للرسول- عليه الصلاة والسلام- وللأمراء، والأيمان، والنذور، وغيرها، إذا عاهدتم الله على شيء من ذلك، ولا تنقضوا الأيمان أيمان البيعة، أو مطلق الأيمان، بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله، أو صفته، أو أسمائه، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا **ورقيبا**، بتلك البيعة فإن الكفيل مراع لحال المكفول **رقيب** عليه، إن الله يعلم ما تفعلون في نقض الأيمان والعهود. وهو تهديد لمن ينقض العهد، وهذا في الأيمان التي في الوفاء بها خير، وأما ما كان تركه أولى فيكفر عن يمينه، وليفعل الذي هو خير، كما في الحديث.

ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها: أفسدته من بعد قوة أي: إبرام وإحكام أنكاثا أي:

طاقات، أي: صيرته طاقات كما كان قبل الغزل، بحيث حلت إحكامه وإبرامه، حتى صار كما كان، والمراد:." (١)

"إن الله مع الذين اتقوا الكفر والمعاصي، والذين هم محسنون في أعمالهم، فهو معهم بالولاية والنصر والرعاية والحفظ. أو مع الذين اتقوا الله بتعظيم أمره. والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه. أو مع الذين اتقوا ما يقطعهم عن الله، والذين هم محسنون بشهود الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» .

فهو معهم بالمحبة والوداد «فإذا أحببته كنت له» . والله تعالى أعلم.

الإشارة: من شأن الصوفية: الأخذ بالعزائم، والتمسك بالأحسن فى كل شيء، ممتثلين لقوله تعالى: الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه «١» . ولذلك قالوا: الصوفي: دمه هدر، وماله مباح لأنه لا ينتصر لنفسه، بل يدفع بالتي هي أحسن السيئة. فالصبر دأبهم، والرضى والتسليم خلقهم.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٥٩/٣

وحقيقة الصبر هي: حبس القلب على حكم الرب، من غير جزع ولا شكوى. ومواطنه أربعة: الطاعة، والمعصية، والنعمة، والبلية. فالصبر على الطاعة: بالمبادرة إليها، وعن المعصية: بتركها، وعلى النعمة: بشكرها، وأداء حق الله فيها، وعلى البلية: بالرضى وعدم الشكوى بها.

وأقسام الصبر ستة: صبر في الله، وصبر لله، وصبر مع الله، وصبر بالله، وصبر على الله، وصبر عن الله.

أما الصبر في الله: فهو الصبر في طلب الوصول إلى الله، بارتكاب مشاق المجاهدات والرياضات. وهو صبر الطالبين والسائرين. وأما الصبر لله: فهو الصبر على مشاق الطاعات وترك المنهيات ونزول البليات، يكون ذلك ابتغاء مرضاة الله، لا لطلب أجر ولا نيل حظ. وهو صبر المخلصين. وأما الصبر مع الله: فهو الصبر على حضور القلب مع الله، على سبيل الدوام مراقبة أو مشاهدة. فالأول: صبر المحبين، والثاني: صبر المحبوبين.

وأما الصبر بالله: فهو الصبر على ما ينزل به من المقادير، لكنه بالله لا بنفسه، وهو صبر أهل الفناء من العارفين المجذوبين السالكين. وأما الصبر على الله: فهو الصبر على كتمان أسرار الربوبية عن غير أهلها، أو الصبر على دوام شهود الله. وأما الصبر عن الله: فهو الصبر على الوقوف بالباب عند جفاء الأحباب، فإذا كان العبد في مقام القرب واجدا لحلاوة الأنس، مشاهدا لأسرار المعاني، ثم فقد ذلك من قلبه، وأحس بالبعد والطرد- والعياذ بالله- فليصبر، وليلزم الباب حتى يمن الكريم الوهاب، ولا يتزلزل، ولا يتضعضع، ولا يبرح عن مكانه، مبتهلا، داعيا إلى الله، راجيا كرم مولاه، فإذا استعمل هذا فقد استعمل الصبر قياما بأدب العبودية. وهو أشد الصبر وأصعبه، لا يطيقه إلا العارفون المتمكنون، الذين كملت عبوديتهم، فكانوا عبيدا لله في جميع الحالات، قربهم أو أبعدهم.

روي أن رجلا دخل على الشبلي رضي الله عنه، فقال: أي صبر أشد على الصابر؟ فقال له الشبلي: الصبر في الله، قال:

---

(١) من الآية ١٨ من سورة الزمر.." (١)

"باختلافهما وبحركتهما، عدد السنين والحساب وحساب الأوقات من الأشهر والأيام، في معاملتكم وتصرفاتكم، وكل شيء تفتقرون إليه في أمر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه تبيينا لا لبس فيه، أو: وكل

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧٦١/٣

شيء يظهر في الوجود، فصلناه وقدرناه في اللوح المحفوظ تفصيلا، فلا يظهر في عالم الشهادة إلا ما فصل في عالم الغيب.

وكل إنسان ألزمناه طائره أي: حظه وما قدر له من خير وشر، فهو لازم في عنقه لا ينفك عنه.

ويقال لكل ما لزم الإنسان: قد لزم عنقه. وإنما قيل للحظ المقدر في الأزل من الخير والشر: طائر لقول العرب:

جرى لفلان الطائر بكذا من الخير والشر، على طريق الفأل والطيرة، فخاطبهم الله بما يستعملون، وأعلمهم أن ذلك الأمر الذي يجعلونه بالطائر هو ملزم لأعناقهم، لا محيد لهم عنه، كالسلسلة اللازمة للعنق، يجر بها إلى ما يراد منه. ومثله: ألا إنما طائرهم عند الله «١» ، وقال مجاهد: «ما من مولود يولد إلا في عنقه ورقة، مكتوب فيها شقي أو سعيد» . أو: وكل إنسان ألزمناه عمله يحمله في عنقه، ونخرج له يوم القيامة كتابا مكتوب فيه عمله، وهو صحيفته. يلقاه منشورا، ويقال له: اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا محاسبا، لا تحاسبك إلا نفسك، أو: رقيبا وشهيدا على عملك، أو: لا يعد عليك أعمالك إلا نفسك. والله تعالى أعلم.

الإشارة: ينبغي للإنسان أن يكون داعيا بلسانه، مفوضا لله في قلبه، لا يعقد على شيء من الحظوظ والمآرب، فقد يدعو بالخير في زعمه، وهو شر في نفس الأمر في حقه، وقد يدعو بالشر وهو خير. وقد تأتيه المضار من حيث يرتقب المسار، وقد تأتيه المسار من حيث يخاف الضرر والله يعلم وأنتم لا تعلمون. فالتأني والسكون من علامة العقل، والشرة والعجلة من علامة الحمق. فما كان من قسمتك لا بد يأتيك في وقته المقدر له، وما ليس من قسمتك لا يأتيك، ولو حرصت كل الحرص. فكل شيء سبق تفصيله وتقديره، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلوم إلا نفسه، كما قال تعالى:

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ١٥ الى ١٧]

من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (١٥) وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا (١٦) وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا (١٧)

(١) من الآية ١٣١ من سورة الأعراف.." (١)

"قال في شرح المواقف: ورد في الصحيحين: «إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة» «١» ، وليس فيها تعيين تلك الأسماء. لكن الترمذي والبيهقي عيناها. وهي الطريقة المشهورة، ورواية الترمذي: «الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ المصور، الغفار القهار، الوهاب الرزاق، الفتاح العليم، القابض الباسط، الخافض الرافع، المعز المذل، السميع البصير، الحكم العدل، اللطيف الخبير، الحليم العظيم، الغفور الشكور، العلي الكبير، الحفيظ المقيت، الحسيب الجليل، الكريم **الرقيب**، المجيب، الواسع الحكيم، الودود المجيد، الباعث الشهيد، الحق الوكيل، القوي المتين، الولي الحميد، المحصي المبدئ المعيد، المحيي المميت، الحي القيوم، الواجد الماجد، الواحد، الأحد الصمد، القادر المقتدر، المقدم المؤخر، الأول الآخر، الظاهر الباطن، الوالي المتعالي، البر التواب، المنتقم العفو الرؤوف، مالك الملك ذو الجلال والإكرام، المقسط الجامع، الغني المغني المانع، الضار النافع، النور الهادي، البديع الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور» «٢» .

وقد ورد التوقيف بغيرها، أما في القرآن فكالمولى، والنصير والغالب، والقاهر والقريب، والرب والأعلى، والناصر والأكرم، وأحسن الخالقين، وأرحم الراحمين، وذي الطول، وذي القوة، وذي المعارج، وغير ذلك.

وأما في الحديث، فكالمنان، والحنان، وقد ورد في رواية ابن ماجة «٣» أسماء ليست في الرواية المشهورة كالقائم، والقديم، والوتر، والشديد، والكافي، وغيرها.

وإحصاؤها: إما حفظها لأنه إنما يحصل بتكرار مجموعها وتعدادها مرارا، وإما ضبطها حصرا وعلما وإيمانا وقياما بحقوقها، وإما تعلقا وتخلقا وتحققا. وقد ذكرنا في شرح الفاتحة الكبير كيفية التعلق والتخلق والتحقق بها.

وفي ابن حجر: أن أسماء الله مائة، استأثر الله بواحد، وهو الاسم الأعظم، فلم يطلع عليه أحدا، فكأنه قيل: مائة لكن واحد منها عند الله. وقال غيره: ليس الاسم الذي يكمل المائة مخفيا، بل هو الجلالة. وممن جزم بذلك البيهقي، فقال: الأسماء الحسنى مائة، على عدد درجات الجنة، والذي يكمل المائة: «الله»

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٨٧/٣

، ويؤيده قوله تعالى: ولله الأسماء الحسنى «٤» . فالتسعة والتسعون لله فهي زائدة عليه وبه تكمل المائة. هـ.

---

(١) أخرجه البخاري (الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد) ، ومسلم فى (الذكر، باب فى أسماء الله تعالى ...) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه الترمذي فى (الدعوات، باب ٨٣) . وأخرج البيهقي روايته فى (السنن الكبرى، كتاب الإيمان، باب أسماء الله عز وجل ثناؤه) من حديث أبى هريرة. [.....]
(٣) أخرجها فى (الدعاء، باب أسماء الله عز وجل) .
(٤) من الآية ١٨٠ من سورة الأعراف.." (١)

"يقول الحق جل جلاله في حق العاص بن وائل: أفرأيت الذي كفر بآياتنا: القرآن المشتمل على البعث والحساب، قال خباب بن الأرت: كان لي على العاص بن وائل دين، فاقتضيته، فقال: لا، والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد،، فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال العاص: فإذا مت ثم بعثت، جئتني وسيكون لي ثم مال وولد، فأعطيك، لأنكم تزعمون أن في الجنة ذهبا وفضة- استهزاء واستخفافا- وفي رواية البخاري: «كنت قينا «١» في الجاهلية، فصنعت للعاصي سيفا فجئت أتقاضاه ... » «٢» فذكر الحديث. فالهمزة للتعجيب من حاله، للإيذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يقضي منها العجب، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، أي: أنظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي من حقها أن يؤمن بها كل من شاهدها.
وقال مستهزءا بها، مصدرا باليمين الفاجرة: والله لأوتين في الآخرة مالا وولدا أي: انظر إلى حاله فتعجب من حالته البديعة وجرأته الشنيعة، أطلع الغيب أي: أبلغ من عظمة الشأن إلى أن يرتقي إلى علم الغيب، الذي استأثر به العليم الخبير، حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالا وولدا، وأقسم عليه، أم اتخذ عند الرحمن عهدا بذلك، فإنه لا يتوصل إلى العلم بذلك إلا بأحد هذين الطريقين، وهذا رد لكلمته الشنعاء، وإظهار لبطلانها إثر ما أشير إلى التعجب منها.
والتعرض لعنوان الرحمانية للإشعار بعلية الرحمة للإيتاء، فإن الرحمة تقتضي الإعطاء على الدوام. والعهد:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٤٢/٣

قيل: كلمة الشهادة، أو العمل الصالح، فإن وعده تعالى بالثواب عليها كالعهد، قال القشيري: أطلع الغيب فقال بتعريف له منا، أم اتخذ عند الرحمن عهدا أي: ليس الأمر كذلك. ثم قال: ودليل الخطاب يقتضي أن المؤمن إذا أمل من الله شيئا جميلا، فالله تعالى يحققه له لأنه على عهد مع الله تعالى، والله لا يخلف الميعاد. هـ.

ثم أبطل ما أمله الكافر فقال: كلا أي: انزجر عن هذه المقالة الشنيعة، فهو ردع له عن التفوه بتلك العظيمة، وتنبيه على خطئه، قال تعالى: سنكتب ما يقول أي: سنظهر ما كتبنا عليه، فهو كقول الشاعر:

إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة أي: تبين أني لم تلدني لئيمة، أو: سنحفظ عليه ما يقول فنجازيه عليه في الآخرة، أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة في الحال ويجازى عليها في المآل، فإن نفس الكتابة لم تتأخر عن القول لقوله تعالى: ما يلفظ من قول إلا لديه **رقيب** عتيد «٣» قال ابن جزي: إنما جعله مستقبلا لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب في المستقبل. هـ.

---

(١) القين: الحداد والصانع، والجمع أقيان وقيون. انظر اللسان (قين ٥/ ٣٧٩٨) .

(٢) أخرجه البخاري فى (البيوع. باب ذكر القين والحداد) ، وفى (تفسير سورة مريم) ، ومسلم فى (صفات المنافقين وأحكامهم، باب ٤) .

(٣) الآية ١٨ من سورة ق.." [1]

"له حاجة إلى التوبة. وظاهر الآية: أن العصيان لا ينافي الإيمان، فبادروا بالتوبة لعلكم تفلحون تفوزون بسعادة الدارين. وبالله التوفيق.

الإشارة: التوبة أساس الطريق، ومنها السير إلى عين التحقيق، فمن لا توبة له لا سير له، كمن يبني على غير أساس. والتوبة يحتاج إليها المبتدئ والمتوسط والمنتهى، فتوبة المبتدئ من المعاصي والذنوب، وتوبة السائر:

من الغفلة ولوث العيوب، وتوبة المنتهي: من النظر إلى سوى علام الغيوب.

قال ابن جزي: التوبة واجبة على كل مكلف، بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة. وفرائضها ثلاثة: الندم على الذنب من حيث عصي به ذو الجلال، لا من حيث أضر ببدن أو مال. والإقلاع عن الذنب في أول

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٩٣٥

أوقات الإمكان، من غير تأخير ولا توان، والعزم ألا يعود إليها أبدا. ومهما قضى الله عليه بالعود، أحدث عزما مجددا.

وآدابها ثلاث: الاعتراف بالذنب، مقرونا بالانكسار، والإكثار من التضرع والاستغفار، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من الأوزار. ومراتبها سبع: فتوبة الكفار من الكفر، وتوبة المخلطين من الذنوب الكبائر، وتوبة العدول من الصغائر، وتوبة العابدين من الفترات، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات، وتوبة أهل الورع من الشبهات، وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات. والبواعث على التوبة سبعة: خوف العقاب، ورجاء الثواب، والخجل من الحساب، ومحبة الحبيب، **ومراقبة الرقيب**، وتعظيم المقام، وشكر الإنعام. هـ.

ثم أمر بالنكاح لأنه أغض للبصر، فقال:

[سورة النور (٢٤) : آية ٣٢]

وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم (٣٢)

قلت: الأيامى: جمع أيم، وأصله: أيايم، فقلبت الياء لآخر الكلمة، ثم قبلت ألفا، فصارت أيامى. والأيم: من لا زوج له من الرجال والنساء.

يقول الحق جل جلاله: وأنكحوا أي: زوجوا الأيامى منكم أي: من لا زوج له من الرجال والنساء، بكرا كان أو ثيبا. والمعنى: زوجوا من لا زوج له من الأحرار والحرائر. والخطاب للأولياء والحكام، أمرهم بتزويج الأيامى، فاقتضى ذلك النهي عن عضلهن. وفي الآية دليل عدم استقلال المرأة بالنكاح، واشتراط الولي فيه، وهو مذهب مالك والشافعي، خلافا لأبي حنيفة.." (١)

"قال القشيري: هو استفهام بمعنى الأمر، فمن قارنه التوفيق صبر وشكر، ومن قارنه الخذلان أبى وكفر. هـ.

وقيل: هو الأمر بالإعراض عما جعل في نظره فتنة، كما قال: ولا تمدن عينيك «١» ، فينبغي ألا ينظر بعض إلى بعض، إلا لمن دونه، كما ورد في الخبر «٢» . هـ.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٣٤

وكان ربك بصيرا عالما بالحكمة فيما يبتلي به، أو: بمن يصبر ويجزع. وقال أبو السعود: هو وعد كريم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالأجر الجزيل لصبره الجميل، مع مزيد تشريف له- عليه الصلاة والسلام- بالالتفات إلى إسم الرب مضافا إلى ضميره صلى الله عليه وسلم. هـ.

الإشارة: الطريق الجادة التي درج عليها الأنبياء والأولياء هي سلوك طريق الفقر والتخفيف من الدنيا، إلا قدر الحاجة، بعد التوقف والاضطرار، ابتداء وانتهاء، حتى تحققوا بالله. ومنهم من أتته الدنيا بعد التمكين فلم تضره. والحالة الشريفة: ما سلكها نبينا صلى الله عليه وسلم وهو التخفيف منها وإخراجها من اليد، حتى مات ودرعه مرهونة عند يهودي، في وسق من شعير. وعادته تعالى، فيمن سلك هذا المسلك، أن يديل الغنى في عقبه، فيكونون أغنياء في الغالب. والله تعالى أعلم.

وما وصف به الحق تعالى رسله من كونهم يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، هو وصف للأولياء أيضا- رضى الله عنهم- فيمشون في الأسواق للعبرة والاستبصار في تجليات الواحد القهار، فحيث يحصل الزحام يعظم الشهود للملك العلام، وفي ذلك يقول الششتري رضي الله عنه: عين الزحام هو الوصول لحينا.

وكان شيخ أشياخنا- سيدي علي العمراني- يقول لأصحابه: من أراد أن يذوق فليمش إلى السوق. هـ.

فينبغي للمريد أن يربي فكرته في العزلة والخلطة والخلوة والجلوة، ولا يتقصر على تربيتها في العزلة فقط لئلا يتغير حاله في حال الخلطة فيبقى ضعيفا. فالعزلة تكون ابتداء، قبل دخول بلاد المعاني، فإذا دخل بلاد المعاني فليختر الخلطة على العزلة، حتى يستوي قلبه في الخلوة والجلوة، فالعزلة عن الناس عزلة الضعفاء والعزلة بين الناس عزلة الأقوياء. فالمشي في الأسواق والأكل فيها من سنة الفقراء، أهل الأحوال مجاهدة لنفوسهم، وترييضا لها على إسقاط مراقبة الخلق، والخوف منهم. وقد ورد أن الله تعالى أمر بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم تشريفا لأهل الأحوال، كما ذكره صاحب اللباب عند قوله: مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ...

---

(١) من الآية ١٣١ من سورة طه.

(٢) قال صلى الله عليه وسلم: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه فى المال والخلق، فلينظر إلى من هو

أسفل منه ممن فضل عليه» . أخرجه البخاري فى (الرقاق، باب لينظر إلى من هو أسفل منه، ح ٤٦٩٠) ، ومسلم فى (الزهد والرقائق، ٤/ ٢٢٧٥، ح ٢٩٦٣) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.." [(١)]

"السماء الثانية، فيقول الملك: ردوه إنه كان يفتخر على الناس في مجالسهم، ثم تصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء الثالثة، فيقول الملك: ردوه إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم، ثم تصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء الخامسة، فيقول الملك: ردوه إنه كان يحسد الناس ويقع فيهم، ثم تصعد الحفظة إلى السماء السادسة، فيقول الملك: ردوه إنه كان لا يرحم إنسانا قط، بل كان يشمت بمن وقع في بلاء، أنا ملك الرحمة، أمرني ألا يجاوزني عمله. ثم تصعد الحفظة إلى السماء السابعة، فيقول الملك: ردوه إنه كان يحب الظهور والرفعة عند الناس، ثم تصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة، وذكر، وتفكر، وحسن خلق، فيقفون بين يدي الله، ويشهدون له بالصلاح، فيقول الرب جل جلاله: أنتم الحفظة على عمل عبدي، وأنا **الرقيب** على قلبه، إنه لم يردني بهذا العمل، أراد به غيري، فعليه لعنتي، ثم تلعنه الملائكة والسموات. انتهى باختصار «١» ، وخرجه المنذري. وتكلم في وضعه. وبالله التوفيق.

ثم ذكر موطنا آخر لرؤية الملائكة، على نمط ما تقدم، فقال:

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٢٥ الى ٢٩]

ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا (٢٥) الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا (٢٦) ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا (٢٧) يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا (٢٨) لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا (٢٩)

قلت: (الملك) : مبتدأ، و (الحق) : صفته. و (للرحمن) : خبر، و (يومئذ) : ظرف للاستقرار.

يقول الحق جل جلاله: واذكر يوم تشقق أي: تنفتح، فمن قرأ بالتخفيف: حذف إحدى التاءين، وأصله: تتشقق. ومن شد: أدغم التاء في الشين، أي: تنشق السماء بالغمام أي: عن الغمام، فتنزل ملائكة السموات في تلك الغمام ليقع الفصل بين الخلائق، وهو المراد بقوله تعالى: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام، والملائكة «٢» . قيل: هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة، ولم يكن إلا لبني إسرائيل فى تيههم.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٨٧

(١) ذكره مطولا المنذرى فى الترغيب والترهيب (١/ ٧١- ٩٣) وقال: (رواه ابن المبارك فى الزهد عن رجل، لم يسمه، عن معاذ، ورواه ابن حبان فى غير الصحيح، والحاكم، وغيرهما، وروى عن على وغيره. وبالجملة فآثار الوضع ظاهرة عليه فى جميع طرقه وبجميع ألفاظه. والله أعلم) قلت: والحديث ذكره ابن الجوزي فى الموضوعات (٣/ ١٥٤) بمعناه مطولا، وعزاه للحاكم فى التاريخ.
(٢) من الآية ٦٥ من سورة البقرة.." (١)

"يقول الحق جل جلاله: تبارك أي: تعاظم الذي جعل في السماء بروجا وهي البروج الاثنا عشر: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت.

وهي منازل الكواكب السبعة السيارة، لكل كوكب بيتان، يقوي حاله فيهما، وللشمس بيت، وللقمر بيت، فالحمل والعقرب بيتا المريخ، والثور والميزان بيتا الزهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر، والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجدي والدلو بيتا زحل. وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع ليصيب كل واحدة منها ثلاثة بروج، فالحمل والأسد والقوس مثلثة نارية، والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية، والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية، والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية. سميت بالبروج التي هي القصور العالية لأنها، لهذه الكواكب، كالمنازل الرفيعة لسكانها. واعتبر بزيادة البحر عند زيادة القمر ونقصه عند نقصه، فإن بيت القمر- وهو السرطان- مائي، وذلك من إمداد الأسماء لا بالطبع. وتذكر: «وبالاسم الذي وضعته على الليل فأظلم..» إلخ. قاله في الحاشية.

واشتقاق البروج من التبرج، الذي هو الظهور لظهورها، ولذلك قال الحسن وقتادة ومجاهد: البروج: النجوم الكبار لظهورها.

وجعل فيها سراجا أي: الشمس، لقوله تعالى: وجعل الشمس سراجا «١» . وقرأ الأخوان: «سرجا» .

ويراد: النجوم الكبار والشمس، وقمرا منيرا أي: مضيئا بالليل.

وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة أي: ذو خلفة يخلف كل واحد منهما الآخر، بأن يقوم مقامه، فيما ينبغي أن يعمل فيه، فمن فاته عمله في أحدهما قضاه في الآخر. قال قتادة: فأروا الله تعالى من أعمالكم خيرا في هذا الليل والنهار، فإنهما مطيتان تقحمان الناس إلى آجالهم، تقربان كل بعيد، وتبليان كل جديد،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٩١/٤

وتجيئان بكل موعود. وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: فاتتني الصلاة الليلة، فقال: أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك، فإن الله تعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر. هـ «٢» . أي: يتذكر آلاء الله- عز وجل-، ويتفكر في بدائع صنعه، [فيعلم] «٣» أنه لا بد له من صانع حكيم. وقرأ حمزة وخلف: «يذكر» أي: يذكر الله في قضاء ما فاته في أحدهما، أو أراد شكورا أي: شكر نعمة ربه عليه فيهما، فيجتهد في عمارتها بالطاعة شكرا. وبالله التوفيق.

الإشارة: تبارك الذي جعل في سماء القلوب أو الأرواح بروجا منازل ينزلها السائر، ثم يرحل عنها، وهي مقامات اليقين كالخوف، والرجاء، والورع، والزهد، والصبر، والشكر، والرضا، والتسليم، والمحبة، **والمراقبة،**

---

(١) الآية ١٦ من سورة نوح. [.....]

(٢) أخرج الطبري (١٩/ ٣٠) عن شقيق.

(٣) فى الأصول: [فيهم] . والمثبت: من تفسير البيضاوي وأبي السعود.." [(١)]

"بالنور الأعظم، والبحر الطام، بعد قطع مقامات التوبة، والتقوى، والإستقامة، والإخلاص، والصدق، والطمأنينة، **والمراقبة** والمحبة، والمشاهدة، فيكون حينئذ آية مبصرة واضحة، من آيات الله، يدل على الله، ويدعوا إليه على بصيرة منه. فمن جحدها انخرط في سلك من قال تعالى في حقه: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ... الآية.

ثم ذكر قصة داود وسليمان- عليهما السلام- فقال:

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ١٥ الى ١٦]

ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (١٥) وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين (١٦)

يقول الحق جل جلاله: ولقد آتينا داود وسليمان علما أي: أعطينا كل واحد منهما طائفة خاصة به من علم الشرائع والأحكام، وغير ذلك مما يختص به كل واحد منهما، كصنعة الدروع، ومنطق الطير. أو: علما لدنيا. وقالا أي: كل واحد منهما، شكرا لما أوتيه من العلم: الحمد لله الذي فضلنا بما آتانا من العلم على

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/١١٤

كثير من عباده المؤمنين. قال النسفي: وهنا محذوف، ليصلح عطف الواو عليه، ولولا تقدير المحذوف لكان الوجه: الفاء، كقولك: أعطيته فشكر، وتقديره: آتيناهما علما، فعملا به، وعرفنا حق النعمة فيه، وقالا: الحمد لله الذي فضلنا على كثير. والكثير المفضل عليه: من لم يؤت علما، أو: من لم يؤت مثل علمهما. وفيه: أنهما فضلا على كثير، وفضل عليهما كثير.

وفي الآية دليل على شرف العلم، وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجل النعم، وأن من أوتيه فقد أوتي فضلا على كثير من عباده، وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم في الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله. وفيها: أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة أن يحمدوا الله تعالى على ما أوتوه، وأن يعتقد العالم أنه إذا فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم. وما أحسن قول عمر رضي الله عنه: (كل الناس أفقه من عمر) . هـ.

والعلماء على قسمين: علماء بالله وعلماء بأحكام الله. فالعلماء بالله هم العارفون به، أهل الشهود والعيان. وهم أهل علم الباطن، أعني: علم القلوب، والعلماء بأحكام الله هم علماء الشرائع والنوازل. وحيث انتهت درجة العلماء بأحكام الله ابتدئت درجة العلماء بالله. فنهاية علماء الظاهر بداية علماء الباطن لأن علم أهل الظاهر جله ظني،." (١)

"السباق السباق قولا وفعلا ... حذر النفس حسرة المسبوق

قال أبو على الدقاق رضي الله عنه: رؤي بعضهم مجتهدا، فقيل له في ذلك، فقال: ومن أولى مني بالجهد، وأنا أطمع أن ألحق الأبرار الكبار من السلف. هـ. ويقال للواعظ أو للعارف، إذا رأى إدبار الناس عن الله، وإقبالهم على الهوى:

ولا تحزن عليهم.. الآية.

ثم ذكر سعة علمه وحلمه، فقال:

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٧٤ الى ٧٥]

وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون (٧٤) وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين (٧٥)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٨٠/٤

قول الحق جل جلاله: وإن ربك ليعلم ما تكن أي: تخفي صدورهم وما يعلنون أي: يظهرون من القول. وليس تأخير العذاب عنهم لخفاء حالهم عليه، ولكن له وقت مقدر، فيمهلهم إليه. أو: إن ربك ليعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوتك ومكايدهم لك، وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه، وقرئ بفتح [التاء] «١» ، من: كننت الشيء: سترته.

وما من غائبة في السماء والأرض أي: من خافية فيهما إلا في كتاب مبين في اللوح المحفوظ.

يسمى الشيء الذي يخفى ويغيب غائبه وخافية. والتاء فيهما كالتاء في العاقبة والعافية. ونظائرهما، وهي أسماء غير صفات. ويجوز أن يكونا صفتين، وتاؤهما للمبالغة، كالرواية. كأنه قال: وما من شيء شديد الغيوبة إلا وقد علمه الله، وأحاط به، وأثبته في اللوح المحفوظ. ومن جملة ذلك: تعجيل عقوبتهم، ولكن لكل شيء أجل معلوم، لا يتأخر عنه ولا يتقدم. ولولا ذلك لعجل لهم ما استعجلوه. والمبين: الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة. أو:

مبين لما فيه من تفاصيل المقدورات. والله تعالى أعلم.

الإشارة: في الآية حث على مراقبة العبد لمولاه، في سره وعلانيته، فلا يفعل ما يخل بالأدب مع العليم الخبير، ولا يجول بقلبه فيما يستحيي أن يظهره لغيره، إلا أن يكون خاطرا مارا، لا ثبات له، فلا قدرة للعبد على دفعه. وبالله التوفيق.

---

(١) في الأصول [الكاف] . قلت: قرأ الجمهور (ما تكن) بضم التاء من: أكن الشيء: أخفاه. وقرأ ابن محيصن وحميد: بفتح التاء وضم الكاف، من: كن الشيء: ستره. انظر الإتحاف (٢/ ٣٣٤) والبحر المحيط (٧/ ٩٠) .." [(١)]

"الأجلين: العشر أو الثماني، فلا عدوان علي أي: لا يتعدى علي في طلب الزيادة عليه، قال المبرد: قد علم أنه لا عدوان عليه في إتمامهما، ولكن جمعهما ليجعل الأقل كالأتم في الوفاء، وكما أن طلب الزيادة على الأتم عدوان فكذلك طلب الزيادة على الأقل. والله على ما نقول وكيل أي: رقيب وشهيد.

واختلف العلماء في وجوب الإشهاد في النكاح على قولين، أحدهما: أنه لا ينعقد إلا بشاهدين، وبه قال أبو حنيفة والشافعي، وقال مالك: ينعقد بدون شهود لأنه عقد معاوضة، فلا يشترط فيه الإشهاد، وإنما

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٢١٥

يشترط فيه الإعلان، والإظهار بالدف والدخان ليتميز من السفاح، ويجب عند الدخول.
روي أن شعيبا كانت عنده عصي الأنبياء- عليهم السلام-، فقال لموسى بالليل: ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي، فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة، ولم يزل الأنبياء- عليهم السلام- يتوارثونها، حتى وقعت إلى شعيب، فلما أخذها، قال له شعيب: ردها وخذ غيرها، فما وقع في يده إلا هي سبع مرات.
- وفي رواية السدي: أمر ابنته أن تأتيه بعصا فجاءته بها، فلما رآها الشيخ قال: آتيه بغيرها، فألقتها لتأخذ غيرها، فلا تصير في يدها إلا هي، مرارا، فرفعتها إليه، فعلم أن له شأنا. ولما أصبح قال له شعيب: إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك، فإن الكلأ، وإن كان بها أكثر، إلا أن فيها تنينا، أخشاه عليك وعلى الغنم، فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها، فمشى على أثرها، فإذا عشب وريف لم ير مثله، فنام، فإذا التنين قد أقبل، فحاربته العصا حتى قتلته، وعادت إلى جنب موسى دامي، فلما أبصرها دامية، والتنين مقتولا ارتاح لذلك. ولما رجع إلى شعيب بالغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن، وأخبره موسى، فرح، وعلم أن لموسى شأنا، وقال له: إني وهبت لك من نتاج غنمي، هذا العام، كل أدرع ودرعاء- أي: كل جدي أبلق، وأنثى بلقاء- فأوحى الله تعالى إلى موسى في المنام: أن اضرب بعصاك الماء الذي تسقى منه الغنم، فضرب، ثم سقى الأغنام، فوضعت كلها بلقاء، فسلمها شعيب إليه.
وذكر الإمام اللجائي في كتابه (قطب العارفين) : أن موسى عليه السلام انتهى، ذات يوم، بأغنامه إلى واد كثير الذئاب، وكان قد بلغ به التعب، فبقي متحيرا، إن اشتغل بحفظ الغنم عجز عن ذلك لغلبة النوم عليه والتعب، وإن هو طلب الراحة، وثبت الذئاب على الغنم، فرمى السماء بطرفه، وقال: إلهي إنه أحاط علمك، ونفذت إرادتك، وسبق تقديرك، ثم وضع رأسه ونام. فلما استيقظ وجد ذئبا واضعا عصاه على عاتقه، وهو يرعى الغنم، فتعجب موسى من ذلك، فأوحى الله إليه: يا موسى كن لي كما أريد، أكن لك كما تريد. قال: فهذه إشارة تدل على أن:
من هرب من الله إلى الله كفاه الله، عز وجل، من دونه. هـ. والله تعالى أعلم.." (١)
"إليك، ويجوز أن يكون استثناء محمولا على المعنى، كأنه قال: وما ألقي إليك الكتاب إلا رحمة من ربك، فلا تكونن ظهيرا معينا للكافرين على دينهم بمداراتهم والتحمل عنهم، والإجابة إلى طلبتهم.
ولا يصدنك عن آيات الله أي: لا يمنعك هؤلاء عن العمل بآيات الله وتبليغها وإظهارها، بعد إذ أنزلت

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٤٦/٤

إليك أي: بعد وقت إنزالها، وإذ: مضاف إليه أسماء الزمان، كقولك: حينئذ ويومئذ. وادع إلى ربك إلى توحيده وعبادته، ولا تكونن من المشركين، نهاه تنفيرا لغيره من الشرك.

ولا تدع مع الله إلها آخر، قال ابن عباس رضي الله عنه: الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم، والمراد به أهل دينه. قال البيضاوي: وهذا وما قبله تهييج، وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم، لا إله إلا هو: استئناف، مقرر لما قبله، كل شيء هالك إلا وجهه أي: ذاته، فالوجه يعبر به عن الذات، أي: كل شيء فان مستهلك معدوم، إلا ذاته المقدسة، فإنها موجودة باقية. وقال أبو العالية: إلا ما أريد به وجه الله، من علم وعمل، فإنه لا يفنى. قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: يجاء بالدنيا يوم القيامة، فيقال: ميزوا ما كان لله تعالى منها، فيميز، ثم يؤمر بسائرها فيلقى في النار. هـ. وقال الضحاك: كل شيء هالك إلا الله والجنة والنار والعرش.

له الحكم القضاء النافذ في خلقه، وإليه ترجعون للجزاء والفصل. والله تعالى أعلم.

الإشارة: أهل الاشتياق يروحون أرواحهم بهذه الآية، فيقولون لها: إن الذي فرض عليك القرآن، أن تعمل به في الدنيا، لرادك إلى معاد جسماني روحاني، فتتصل نضرتك ونظرتك إلى وجه الحبيب، من غير عذول ولا رقيب، على سبيل الاتصال، من غير تكدر ولا انفصال، فإن وقع الإنكار على أهل الخصوصية فيقولون: ربي أعلم الآية.. وما كنت ترجو أن تلقى إليك الخصوصية إلا رحمة من ربك، فلا تكونن ظهيرا للكافرين المنكرين لها، معينا لهم على إذاية من انتسب إليها، ولا يصدنك عن معرفة آيات الله الدالة عليه، بعد إذ أنزلت إليك، أي: لا يمنعك الناس عن صحبة أولياء الله، الدالين عليه، وادع إلى ربك، أي: إلى معرفة ذاته ووحدانيته، ولا تكونن من المشركين بشهود شيء من السوى، فإن كل شيء هالك، أي: معدم في الماضي والحال والاستقبال، إلا وجهه: إلا ذاته، فلا موجود معها، وفي ذلك يقول الشاعر:

الله قل، وذر الوجود وما حوى ... إن كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكل، دون الله، إن حققته، ... عدم على التفصيل والإجمال

واعلم بأنك، والعوالم كلها، ... لولاه، في محو وفي اضمحلال." (١)

"ثم ذكر المؤذين لهم، فقال:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٢٨٣

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٤ الى ٧]
أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون (٤) من كان يرجوا لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم (٥) ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين (٦) والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون (٧)

يقول الحق جل جلاله: أم حسب الذين يعملون السيئات أي: الشرك والمعاصي وإذاية المسلمين، أن يسبقونا أي: يفوتونا، بل يلحقهم الجزاء لا محالة. و «أم» : منقطعة، ومعنى الإضراب فيها: أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأول لأن ذلك يظن أنه لا يمتحن لإيمانه، وهذا يظن أنه لا يجازى بمساوئه، وشبهته أضعف، ولذلك عقبه بقوله: ساء ما يحكمون، أي: بئس ما يحكمون به حكمهم في صفات الله أنه مسبوق، وهو القادر على كل شيء، فالمخصوص محذوف.

ثم ذكر الحامل على الصبر عند الامتحان، وهو رجاء لقاء الحبيب، فقال: من كان يرجوا لقاء الله أي: يأمل ثوابه، أو يخاف حسابه، أو ينتظر رؤيته، فإن أجل الله المضروب للغاية لآت لا محالة. وفيه تبشير بأن اللقاء حاصل لأنه لأجل آت، وكل آت قريب. وكل غاية لها انقضاء، فليبادر للعمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله. وهو السميع لما يقوله عباده، العليم بما يفعلونه، فلا يفوته شيء.

ومن جاهد نفسه، بالصبر على مشاق الطاعات، ورفض الشهوات، وإذاية المخلوقات، وحبس النفس على مراقبة الحق في الأنفاس واللحظات، فإنما يجاهد لنفسه لأن منفعة ذلك لها، إن الله لغني عن العالمين وعن طاعتهم ومجاهدتهم. وإنما أمر ونهي رحمة لهم، ومراعاة لصلاحهم.

والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم أي: الشرك والمعاصي بالإيمان والتوبة، ولنجزينهم مع غنانا عنهم، أحسن الذي كانوا يعملون أي: أحسن جزاء أعمالهم بالفضل والكرم. والله تعالى أعلم.

الإشارة: أم حسب الذين ينكرون على أوليائي، المنتسبين إلي، أن يسبقونا؟ بل لا بد أن نعاقبهم في الدنيا والآخرة، إما في الظاهر بمصيبة تنزل بهم، أو في الباطن، وهو أقبح، كقساوة في قلوبهم، أو: كسل في بدنهم، أو:

شك في يقينهم، أو: بعد من ربهم، فإن من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. ثم بشر المتوجهين الذين

يؤذون في جانبه، بأن لقاءه حاصل لهم إن صبروا، وهو الوصول إلى حضرته، والتنعم بقربه ومشاهدته، جزاء على صبرهم ومجاهدتهم، وهو الغنى بالإطلاق.." (١)

"من أن تبقى معه معصية. والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة، فيثيبكم أحسن الثواب. والله تعالى أعلم.

الإشارة: الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر المتعلقين بالجوارح الظاهرة، والذكر ينهى عن الفحشاء والمنكر المتعلقين بالعوالم الباطنة، وهي المساوئ التي تحجب العبد عن حضرة الغيوب، فإذا أكثر العبد من ذكر الله، على نعت الحضور والتفرغ من الشواغل، تنور قلبه، وتطهر سره ولبه، فاتصف بأوصاف الكمال، وزالت عنه جميع العلل، ولذلك جعلته الصوفية معتمدا أعمالهم، والتزموه مع مرور أوقاتهم وأنفاسهم، ولم يقتنعوا منه بقليل ولا كثير، بل قاموا فيه بالجد والتشمير، فيذكرون أولا بلسانهم وقلوبهم، ثم بقلوبهم فقط، ثم بأرواحهم وأسرارهم، فيغيبون حينئذ في شهود المذكور عن وجودهم وعن ذكرهم، وفي هذا المقام ينقطع ذكر اللسان، ويصير العبد محوا في وجود العيان، فتكون عبادتهم كلها فكرة وعبرة، وشهودا ونظرة، وهو مقام العيان في منزل الإحسان، فيكون ذكر اللسان عندهم بطالة «١» ، وفي ذلك يقول الشاعر:

ما إن ذكرتك إلا هم يلعنني ... سري وقلبي وروحي، عند ذكراك

حتى كأن رقيبا منك يهتف بي: ... إياك، ويحك، والتذكار، إياك

أما ترى الحق قد لاحت شواهده؟ ... وواصل الكل، من معناه، معناك؟!

قال القشيري: ويقال: ذكر الله أكبر من أن يبقى معه ذكر مخلوق أو معلوم للعبد، فضلا أن يبقى معه للفحشاء والمنكر سلطان. هـ. وقال في القوت على هذه الآية: الذكر عند الذاكرين: المشاهدة، فمشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة. هذا أحد الوجهين في الآية. ثم قال: وروي في معنى الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إنما فرضت الصلاة، وأمر بالحج والطواف، وأشعرت المناسك، لإقامة ذكر الله- عز وجل-» قال تعالى: وأقم الصلاة لذكري «٢» ، أي: لتذكرني فيها. ثم قال: فإذا لم يكن في قلبك للمذكور، الذي هو المقصود والمبتغى، عظمة ولا هيبة، ولا إجلال مقام، ولا حلاوة فهم، فما قيمة ذكرك فإنما صلاتك كعمل من أعمال دنياك. وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة قسما من اقسام الدنيا، إذا كان المصلي على مقام من الهوى، فقال: «حبب إلى من

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/ ٢٨٧

(١) لا يكون ذكر اللسان بطالة. والنبي صلى الله عليه وسلم وقال: «لا يزال لسانك رطبا بذكر الله..» والله عز وجل يقول: «أنا مع عبدى المؤمن ما ذكرنى وتحركت بي شفتاه» فكيف يكون هذا بطالة!! مع تحقق السر بالذكر؟.

(٢) من الآية ١٤ من سورة طه.." (١)

"ولا تمش في الأرض مرحا خيلاء متبخترا، فهو مصدر في موضع الحال، أي: مرحا، أو: تمرح مرحا، أو: لأجل المرح، إن الله لا يحب كل مختال فخور، علة النهي. والمختال هو المرح الذي يمشي خيلاء، والفخور هو المصعر خده تكبرا. وتأخير الفخور، مع تقدمه لرؤوس الآي.

واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب والإسراع، فلا تدب دبيب المتماوتين، ولا تثب وثوب الشطارين، قال عليه الصلاة والسلام: «إن سرعة المشي تذهب ببهاء المؤمن» «١» . وأما قول عائشة- رضى الله عنها: (كان إذا مشى أسرع) فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب التماوت. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: كانوا ينهون عن خبب «٢» اليهود ودبيب النصارى، ولكن مشيا بين ذلك. وقيل: واقصد في مشيك: انظر موضع قدميك، أو: اقصد: توسط بين العلو والتقصير.

واغضض من صوتك وانقص منه، أي: اخفض صوتك. كانت العرب تفخر بمجاهرة الصوت، فنهى الله عن خلق الجاهلية، فذكره لوصية لقمان، وأنه لو كان شيء يهاب، لرفع صوته لكان الحمار، فجعلهم في المثل سواء. وهو قوله: إن أنكر الأصوات أوحشها وأقبحها لصوت الحمير لأن أوله زفير، وآخره شهيق، كصوت أهل النار. وعن الثوري: صياح كل شيء تسبيح إلا الحمار، فإنه يصيح لرؤية الشيطان، وقد سماه الله منكرا، وفي تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير تنبيه على أن رفع الصوت في غاية البشاعة، ويؤيده: ما روي أنه:

عليه الصلاة والسلام- كان يعجبه أن يكون الرجل خفيض الصوت، ويكره أن يكون مجهور الصوت.

وقال بعضهم: رفع الصوت محمود في مواطن منها: الأذان والتلبية. وقال في الحاشية الفاسية: بل ينبغي الاقتصاد في ذلك، كما قال عمر بن عبد العزيز: أذن أذانا سنيا، وإلا اعتزلنا. هـ. وقال عليه الصلاة والسلام: «اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا» «٣» . وإنما وحد صوت الحمير ولم يجمع لأنه

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٠٨/٤

لم يرد أن يذكر صوت كل واحد من هذا الجنس حتى يجمع، بل المراد أن كل جنس من الحيوان له صوت، وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس، فوجب توحيده.

الإشارة: قد اشتملت وصية لقمان على خصال صوفية، تدل على كمال صاحبها، منها: استحضار مراقبة الحق ومشاهدته، في السر والعلانية، في الجلاء والخفاء. وهو قوله: يا بني إنها إن تك مثقال حبة.. إلخ. ومنها:

القيام بوظائف العبودية، بدنية ولسانية، وهو قوله: يا بني أقم الصلاة.. إلخ، ويقاس على الأمر بالمعروف والنهى

---

(١) أخرجه ابن عدى فى الكامل (٥/ ٨) ، وأبو نعيم فى الحلية (١٠/ ٢٩٠) ، من حديث أبى هريرة. وانظر: الفتح السماوي (٢/ ٩١٣- ٩١٥) .

(٢) الخبب: ضرب من العدو. وقيل: الخبب: السرعة. انظر: «اللسان» (خبب ٢/ ١٠٨٥) .

(٣) بعض حديث أخرجه البخاري فى (الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة، ح ٦٣٨٤) ، ومسلم فى (الذكر والدعاء، باب استجاب خفض الصوت بالذكر ٤/ ٢٠٧٦ ح ٢٠٧٤) من حديث أبى موسى الأشعري رضى الله عنه. وقوله «اربعوا» أي: ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم.." [1]

"الإشارة: (الم) الألف: ألف المحبون قربى، فلا يصبرون عني. اللام: لمع نوري لقلوب السائرين، فزاد شوقهم إلي. الميم: ملك الواصلون ملكي وملكوتي، فلا يغيبون عني. تنزيل الكتاب، إذا طال أمد لقاء الأحباب، فأعز شيء على المحبين كتاب الأحباب. أنزلت على أحبابي كتابي، وحملت إليهم بالرسل خطابي، ولا عليهم إن قرع أسماعهم عتابي، فإنهم مني في أمان من عذابي. أم يقولون افتراه، إنكار الأعداء على المحبين سنة لازمة. فإن ألبس الحق على الأعداء فلا يضركم، ولا عليكم، فإن [صحبة] «١» الحبيب للحبيب ألذ ما تكون عند فقد الرقيب. قاله القشيري.

ثم ذكر المقصود بالذات، وهو الاستدلال على البعث، فقال:

[سورة السجده (٣٢) : الآيات ٤ الى ٦]

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٧٢/٤

الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون (٤) يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون (٥) ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم (٦)

يقول الحق جل جلاله: الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في مقدار ستة أيام، ثم استوى على العرش أي: استولى بقهريه ذاته. وسئل مالك عنه، فقال: الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والسؤال عن هذا بدعة. هـ. ولم تتكلم الصحابة على الاستواء، بل أمسكوا عنه، ولذلك قال مالك: السؤال عنه بدعة. وسيأتي شيء في الإشارة. ما لكم من دونه من دون الله من ولي ولا شفيع أي: إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم وليا، أي: ناصرا ينصركم، ولا شفيعا يشفع لكم، أفلا تتذكرون تتعظون بمواعظ الله.

يدبر الأمر أي: أمر الدنيا. وما يكون من شؤونه تعالى في ملكه، فهو كقوله: كل يوم هو في شأن «٢» ، أي: يبديه لا يبتديه. وهو إشارة إلى القضاء التفصيلي، الجزئي، لا الكلي، فإنه كان دفعة. يكون ذلك التدبير من السماء إلى الأرض، فيدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية، نازلة آثارها إلى الأرض. في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون من أيام الدنيا.

---

(١) فى الأصول: محبة، والمثبت هو الذي فى القشيري، وهو المناسب للسياق.

(٢) من الآية ٢٩ من سورة الرحمن.." (١)

"أبيرق، فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم، وعنده عمر بن الخطاب: ارفض ذكر آلهتنا اللات، والعزى، ومناة، وقل: إن لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها، وندعك وربك. فشق على النبي صلى الله عليه وسلم قولهم، فقال عمر: ائذن لنا، يا رسول الله، في قتلهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «إني قد أعطيتهم الأمان» . فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فخرجوا من المدينة، فنزلت «١» .

أي: اتق الله في نقض العهد، ولا تطع الكافرين من أهل مكة، كأبي سفيان وأصحابه، والمنافقين من أهل المدينة، فيما طلبوا، إن الله كان عليما بخبث أعمالهم، حكيما بتأخير الأمر بقتالهم.

واتبع ما يوحى إليك من ربك في الثبات على التقوى، وترك طاعة الكافرين والمنافقين. أو: كل ما يوحى إليك من ربك، إن الله كان بما تعملون خبيرا أي: لم يزل عالما بأعمالهم وأعمالكم. وقيل: إنما جمع لأن

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٨٦/٤

المراد بقوله: «اتبع» : هو وأصحابه، وقرأ بالغيب: أبو عمرو، أي: بما يعمل الكافرون والمنافقون، من كيدهم لكم ومكرهم. وتوكل على الله أسند أمرك إليه، وكله إلى تدبيره. وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا إليه كل أمر. وقال الزجاج: لفظه، وإن كان لفظ الخبر فالمعنى: اكتف بالله وكيلا.

الإشارة: أمر بتقوى الله، وبالغيبة عما يشغل عن الله، وبالتوكل على الله، فالتقوى أساس الطريق، والغيبة عن الشاغل: سبب الوصول إلى عين التحقيق، والتوكل زاد رفيق. قال القشيري بعد كلام: يا أيها المرقى إلى أعلى المراتب، المتلقى بأسنى القرب والمناقب اتق الله أن تلاحظ غيرا معنا، أو تساكن شيئا دوننا، أو تثبت شيئا سوانا، ولا تطع الكافرين إشفاقا منك عليهم، وطمعا في إيمانهم، بموافقتهم في شيء مما أرادوه منك. والتقوى رقيب على الأولياء، تمنعهم، في أنفاسهم وسكناتهم وحركاتهم، أن ينظروا إلى غيره، أو يثبتوا معه سواه، إلا منصوبا بقدرته، مصرفا بمشيئته، نافذا فيه حكم قضيته.

التقوى لجام يمنعك عما لا يجوز، زمام يقودك إلى ما تحب، سوط يسوقك إلى ما أمر به، حرز يعصمك من توصل عقابه إليك، عوذة تشفيك من داء الخطايا. التقوى وسيلة إلى ساحة كرمه، ذريعة يتوصل بها إلى عفوه وجوده. واتبع ما يوحى إليك ... لا تبتدع، واقتد بما نأمرك، ولا تقتد، باختيارك، غير ما نختار لك، ولا تعرج- أي: تقم- في أوطان الكسل، ولا تجنح إلى ناحية التواني، وكن لنا لا لك، وقم بنا لا بك. «وتوكل» انسلخ عن إهابك لنا، واصدق في إيابك إلينا، وتشاغلك عن حسبانك معنا، واحذر ذهابك عنا، ولا تقصر في خطابك معنا. ويقال: التوكل: تخلق، ثم تخلق، ثم توثق، ثم تملق تحقق في العقيدة، وتخلق بإقامة الشريعة، وتوثق بالمقسوم من القضية، وتملق بين يديه بحسن العبودية. ويقال: التوكل: استواء القلب في العدم والوجود. هـ.

---

(١) ذكره الواحدي فى أسباب النزول (ص ٣٦٤) ، والبغوي فى تفسيره (٦/ ٣١ه) ، بدون إسناد.." (١)

"تنزل الشمس في بروجها، فكل وقت يبرز فيه ما يقتضي النزول إلى مقامه. فتارة يبرز ما يقتضي التوبة، وتارة ما يقتضي الخوف والهيبة، أي: خوف القطيعة، وتارة ما يقتضي الرجاء والبسط، وتارة ما يقتضي الشكر، وتارة الصبر، وتارة ما يقتضي الرضا والتسليم، وتارة ما يهيج المحبة أو **المراقبة** أو المشاهدة. وهكذا ينزل في المقامات ويرحل عنها، ولا يقيم في شيء منها. ويستأذن بعض المريدين في الرجوع إلى

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٤٠٤

مقامات الإيمان أو الإسلام، أو شيء من أمور البدايات، يقولون: إن بيوت تلك المقامات لم نتقنها، بل فيها عورة وخلل، وما هي بعورة، ما يريدون إلا فرارا من ثقل أعباء الحضرة. ولو دخلت بيوت قلوبهم من أقطارها، ثم سئلوا الرجوع إلى الدنيا لأتوها لأنها قريبة عهد بتركها، وما تلبثوا بها إلا زمانا يسيرا، بل يبغتهم الموت، ويندمون، قل متاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى.
وقد كانوا عاهدوا الله ألا يرجعوا إليها، كما قال تعالى:

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ١٥ الى ١٧]
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤلا (١٥) قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا (١٦) قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (١٧)
يقول الحق جل جلاله: ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل أي: قبل غزوة الخندق، وهو يوم أحد.
والضمير في «كانوا» : لبني حارثة، عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، حين فشلوا، ثم تابوا ألا يعودوا لمثله، وقالوا: لا يولون الأدبار منهزمين أبدا، وكان عهد الله مسؤلا
عن الوفاء به، مجازى عليه، أو:
مطلوبا مقتضى حتى يوفى به. قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل، فإنه لا بد لكل شخص من حتف أنفه، أو: قتل في وقت معين سبق القضاء وجرى به القلم، وإذا لا تمتعون إلا قليلا أي: إن حضر أجلكم له ينفعكم الفرار، وإن لم يحضر، وفررتم، لن تمتعوا في الدنيا إلا زمانا قليلا، وهو مدة أعماركم، وهو قليل بالنسبة إلى ما بعد الموت الذي لا انقضاء له.
قل من ذا الذي يعصمكم من الله أي: يمنعكم مما أراد الله إنزاله بكم إن أراد بكم سوءا في أنفسكم من قتل أو غيره، أو أراد بكم رحمة أي: أراد بكم إطالة عمر في عافية وسلامة. أو: من يمنع الله." (١)
"من أجل الحفظة. وقال أيضا رضي الله عنه في بعض أدعيته: وأدرج أسمائي تحت أسمائك، وصفاتي تحت صفاتك، وأفعالي تحت أفعالك، درج السلامة، وإسقاط الملامة، وتنزل الكرامة، وظهور الإمامة. هـ.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤١٧/٤

فإذا اندرجت أسماء العبد وصفاته وأفعاله تحت أسماء الرب، وصفاته، وأفعاله، لم يبق للعبد وجود أصلا، وكان الفعل كله بالله، ومن الله، وإلى الله. وهذا مقام عزيز، لا يناله إلا الأفراد من أهل الفناء في الله، والبقاء بالله، وقد غطى وصفهم بوصفه، ونعتهم بنعته، فغيبهم عن اسمهم ورسمهم، فهم بالله فيما يفعلون ويذرون.
والله تعالى أعلم.
ثم قال تعالى:

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٥٢]
لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢)
يقول الحق جل جلاله: لا يحل لك النساء من بعد أي: من بعد التسع، اللاتي خيرتهن فاخترنك لأن التسع نصاب رسول اللہ صلى الله عليه وسلم، كما أن الأربع نصاب أمته. لما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره الله عليهن، وقيل: هي منسوخة كما يأتي. أو: لا يحل لك نساء الأجانب، وإنما لك نساء قرابتك، كبنات عمك، وبنات عماتك، وبنات خالك، وبنات خالاتك، فيحل لك منهن ما شئت، ولو ثلاثمائة، أو أكثر. أو: لا يحل لك النساء من غير المسلمات، كالكتابيات والمشركات. ولا أن تبدل بهن من أزواج بالطلاق. والمعنى: ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا، بكلهن أو بعضهن، كرامة لهن، وجزاء على ما اخترن ورضين. فقصر رسوله صلى الله عليه وسلم على التسع اللاتي مات عنهن. وقال أبو هريرة وابن زيد: كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بالأزواج، يعطي امرأة هذا أياما ويأخذ امرأته، فأنزل الله: ولا أن تبدل بهن من أزواج بأن تعطي بعض أزواجك وتأخذ بعض أزواجهم، إلا ما ملكت يمينك، فلا بأس أن تبادل بجاريتك. و «من» : لتأكيد النفي ليفيد استغراق جنس الأزواج بالتحريم، ولو أعجبك حسنهن أي: حسن الأزواج المتبدلة. وقيل: هي أسماء بنت عميس، امرأة جعفر بن أبي طالب، فإنها ممن أعجبه حسنهن.
وعن عائشة وأم سلمة، (ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم. حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء) «١» ، يعني أن الآية نسخت إما بالسنة، أو: بقوله: إنا أحللنا لك أزواجك. وترتيب النزول ليس على ترتيب

---

(١) أخرجه، عن السيدة عائشة، رضى الله عنها، أحمد فى المسند (٤/ ٤١) والترمذي فى (التفسير-

سورة الأحزاب ٥/ ٣٣٢، ح ٣٢١٦) وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي فى (النكاح، باب ما افترض الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وحرمه على خلقه، ٦/ ٥٦) والدارمي فى (النكاح، باب قول الله تعالى: لا يحل لك النساء من بعد ٢/ ٢٠٥، ح ٢٢٤١) وصححه الحاكم (٢/ ٤٣٧) ووافقه الذهبي.." (١)

"المصحف. إلا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج، وقيل: منقطع، أي: لكن ما ملكت يمينك، فيحل لك ما شئت، وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا ومطلعا. وهو تحذير عن مجاوزة حدوده.

والله تعالى أعلم.

الإشارة: من نكح أبكار الحقائق العرفانية ودخل بأسرار العلوم اللدنية، لا يحل له أن ينكح ثيبات نساء العلوم الرسمية، ولا أن يتبدل بما عنده من المواهب الربانية، بغيرها من العلوم اللسانية، ولو أعجبك حسنها ورونقها- على الفرض والتقدير- إذ التنزل إليها بطالة عند المحققين، إلا ما كنت تملكه قبل علم الحقيقة، فلا بأس أن تنزل إلى تعليمه وإفادته، إن توسعت في علم الباطن، وصرت من الأغنياء الكبار، تنفق كيف تشاء، فلا يضرك حينئذ التنزل إلى علم الظاهر. وقد كان شيخ شيوخنا سيدي يوسف الفاسى رضي الله عنه عنده مجلسان مجلس لأهل الظاهر، ومجلس لأهل الباطن. فإن كان في مجلس الظاهر، وجاء إليه أحد من الفقراء، يقول: اذهب حتى نأتي إلى مجلسكم، وإن كان في مجلس أهل الباطن، وجاء إليه أحد من أهل الظاهر، قال: اذهب حتى نأتي إليكم. وكان له هذا بعد الرسوخ في علم الحقيقة. وبالله التوفيق.

ولما أو لم- عليه الصلاة والسلام- على زينب، جلس قوم فى بيته يتحدثون، فأنزل الله تعالى فى شأنهم:

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٥٣ الى ٥٤]

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما (٥٣) إن تبدوا شيئا أو تخفوه

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٤٥٢

فإن الله كان بكل شيء عليما (٥٤)

يقول الحق جل جلاله: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي وكانت تسعا، إلا أن يؤذن لكم إلى طعام أي: إلا وقت أن يؤذن لكم، أو: إلا مأذونا لكم، فجملة: (إلا أن يؤذن) : في موضع الحال، أو الظرف. و (غير ناظرين) : حال من (لا تدخلوا) ، وقع الاستثناء على الوقت والحال، كأنه قيل: لا تدخلوا بيوت." (١)

"فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا قالوا: يا ليتها كانت بعيدة، نسير على نجائبنا، ونتخذ الزاد، ونختص بالربح في تجاراتنا، أرادوا أن يتطاولوا على الفقراء بالركوب على الرواحل، ويختصوا بالأرباح. وقرأ يعقوب «ربنا» بالرفع «باعد» بفتح العين، فربنا: مبتدأ، والجملة: خبر، على أنه شكوى منهم ببعد سفرهم، إفراطا في الترفيه وعدم الاعتداد بالنعمة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بشد العين، من «بعد» المضعف. والباقون بالألف والتخفيف، من: باعد، بمعنى «بعد» المشددة. وظلموا أنفسهم بما قالوا، وما طلبوا، ففرق الله شملهم، كما قال تعالى:

فجعلناهم أحاديث يتحدث الناس بهم، ويتعجبون من أحوالهم، ويضرب بهم الأمثال، يقال: تفرقوا أيادي سبأ، وأيدي سبأ، يقال بالوجهين. وفي الصحاح: ذهبوا أيادي سبأ، أي: متفرقين، فهو من المركب تركيب مزج.

ومزقناهم كل ممزق أي: فرقناهم كل تفريق، فتيامن منهم ست قبائل، وتشاءمت أربعة، حسبما تقدم في الحديث. قال الشعبي: أما غسان فلحقوا بالشام، وأما أنمار فلحقوا بيثرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، والأزد بنعمان. هـ. قلت: وفيه مخالفة لظاهر الحديث، فإن أنمار جد خثعم وبجيلة، ولم يكونوا في المدينة. والذي هو المشهور أن الأوس والخزرج هما اللذان قدما المدينة، فوجدوا فيها طائفة من بني إسرائيل، بعد قتلهم للعماليق. وسبب نزولهم بها: أن حبرين منهم مرا بيثرب مع تبع، فقالا له: نجد في علمنا أن هذه المدينة مهاجر نبي، يخرج في آخر الزمان، يكون سنه كذا وكذا، فاستوطناها، يترصدان خروجه صلى الله عليه وسلم، فمن نسلهما بقيت اليهود في المدينة، والأوس والخزرج هما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث بن بنت مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. وولد مازن بن الأسد هم غسان، سموا بماء اليمن، شربوا منه. ويقال: غسان: ماء بالشمال شربوا منه، نسبوا إليه. قال حسان:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٤٥٣

أما سألت فإنا معشر نجب ... الأسد نسبتنا والماء غسان

إن في ذلك لآيات لكل صبار عن المعاصي شكور للنعم، أو: لكل مؤمن لأن الإيمان نصفان نصفه صبر، ونصفه شكر.

الإشارة: وجعلنا بين السائرين وبين منازل الحضرة المقدسة منازل ظاهرة، ينزلوها، ويرحلون عنها، آمنين من الرجوع، إن صدقوا في الطلب، وهي منازل كثيرة، وأهمها اثنا عشر مقاما: التوبة، والخوف، والرجاء، والزهد، والصبر، والشكر، والتوكل، والرضا، والتسليم، **والمراقبة**، والمشاهدة. ومنازل الحضرة هي الفناء، والبقاء، وبقاء البقاء، والترقي في معاريج الأسرار والكشوفات، أبدا سرمدا. يقال للسائرين: سيروا فيها، وأقيموا في كل منزل منها، ليالي وأياما، حتى يتحقق به نازله، ثم يرحل عنه إلى ما بعده. ثم إن قوما سئموا من السير وادعوا القوة، فقالوا:." (١)

"ربنا باعد بين أسفارنا حتى يظهر عزمنا وقوتنا، وظلموا أنفسهم بذلك، ففرقناهم عنا كل تفريق، وعوقناهم عن السير كل تعويق، ليكون ذلك آية وعبرة لمن بعدهم، فلا يخرجون عن مقام الاستضعاف والمسكنة، والانكسار والذلة «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» .

وسبب الحرمان هو إبليس، كما قال تعالى:

[سورة سبإ (٣٤) : الآيات ٢٠ الى ٢١]

ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين (٢٠) وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ (٢١)

يقول الحق جل جلاله: ولقد صدق»

عليهم إبليس ظنه، الضمير في «عليهم» لكفار سبأ وغيرهم.

وكأن إبليس أضمر في نفسه حين أقسم: لأغوينهم أجمعين «٢» أنه يسلط عليهم، وظن أنه يتمكن منهم، فلما أغواهم وكفروا صدق ظنه فيهم. فمن قرأ بالتخفيف ف «ظنه» : ظرف، أي: صدق في ظنه. ومن قرأ بالتشديد فظنه مفعول به، أي: وجد ظنه صادقا عليهم حين كفروا فاتبعوه أي: أهل سبأ ومن دان دينهم، إلا فريقا من المؤمنين، فللهم بالإضافة إلى الكفار، قال تعالى: ولا تجد أكثرهم شاكرين «٣» وفي الحديث:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٤٨٩

«ما أنتم في أهل الشرك إلا كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود» «٤» .

وما كان له عليهم من سلطان أي: ما كان لإبليس على من صدق ظنه عليهم من تسلط واستيلاء بالوسوسة، إلا لنعلم موجودا ما علمناه معدوما من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك أي: إلا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا تنجيزيا، يترتب عليه الجزاء، أو: ليتميز المؤمن من الشاك، أو: ليؤمن من قدر إيمانه، ويشك من قدر ضلاله. وربك على كل شيء حفيظ محافظ رقيب، وفعيل ومفاعل أخوان.

الإشارة: كل من لم يصل إلى حضرة العيان صدق عليه بعض ظن الشيطان لأنه لما رأى بشرية آدم مجوفة، ظن أنه يجري معه مجرى الدم، فكل من لم يسد مجاريه بذكر الله، حتى يستولي الذكر على بشريته، فيصير قطعة من نور، فلا بد أن يدخل معه بعض وساوسه، ولا يزال يتسلط على قلب ابن آدم، حتى يدخل حضرة

---

(١) قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي «صدق» بتشديد الدال. وقرأ الباقون بالتخفيف. انظر الإتحاف (٢/ ٣٨٦) .

(٢) من الآية ٨٢ من سورة ص.

(٣) من الآية ١٧ من سورة الأعراف.

(٤) أخرجه مطولا البخاري فى (الرقاق، باب الحشر، ح ٦٥٢٨) ومسلم فى (الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ١/ ٢٠٠، ح ٢٢١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.." [1]

"وقوله: وامتازوا اليوم إشارة إلى أن غيبة الرقيب من أتم النعمة، وإبعاد العدو من أجل العوارف، فالأولياء في إيجاب القربة، والأعداء في العذاب والحجبة. انظر القشيري.

ثم ذكر توبيخ أعدائه يوم القيامة، فقال:

[سورة يس (٣٦) : الآيات ٦٠ الى ٦٥]

ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين (٦٠) وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم (٦١) ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون (٦٢) هذه جهنم التي كنتم توعدون (٦٣) اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون (٦٤)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/ ٤٩٠

اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون (٦٥)
يقول الحق جل جلاله، في توبيخ الكفرة يوم القيامة: ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين، يقال: عهد إليه: إذا وصاه. وهذا العهد إما على ألسنة الرسل، أو: يوم: «ألست بربكم» ، أو: ما نصبه لهم من الحجج العقلية، والدلائل السمعية، الآمرة بعبادته، الزاجرة عن عبادة غيره. وعبادة الشيطان:
طاعته فيما يوسوس به إليهم، ويزينه لهم. وأن اعبدوني: عطف على «ألا تعبدوا» ، أي: عهدنا إليكم ألا تطيعوا الشيطان ووحدوني، وأطيعوني، هذا صراط مستقيم إشارة إلى ما عهد إليهم فيه من معصية الشيطان، وطاعة الرحمن، أي: هذا طريق بليغ في الاستقامة، لا طريق أقوم منه. وفيه إشارة إلى جنايتهم على أنفسهم بعد النصح التام، فلا حجة بعد الإعذار، ولا ظلم بعد التذكير والإنذار.
ولقد أضل منكم جبلا أي: خلقا كثيرا- وفيه لغات مذكورة في كتب القراءات- أي: ولقد أتلف الشيطان عن طريقي المستقيم خلقا كثيرا، بأن أشركوا معي غيري، أفلم تكونوا تعقلون، قرعهم على تركهم الانتفاع بالعقل، الذي ركبه فيهم، حيث استعملوه فيما يضرهم، من تدبير حظوظهم وهواهم. هذه جهنم التي كنتم توعدون بها، اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون أي: ادخلوا واحترقوا فيها، بكفركم وإنكاركم لها.
اليوم نختم على أفواههم أي: نمنعهم من الكلام، وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون. يروى: أنهم يجحدون، ويخاصمون، فتشهد عليهم جيرانهم، وأهاليهم، وعشائرهم، فيحلفون: ما كانوا." (١)

"يجري أيضا في القول الذي يقول: إنهم قسم ثالث، مجردات، ليسوا بجوهر ولا عرض، كالأرواح، فإنها على تقدير كونها كذلك، جائزة لقبولها التفاوت في العلوم والمعارف وغير ذلك. وذلك قاض بالافتقار، والتخصيص لما هي عليه، المستلزم للحدوث. قاله في الحاشية.
قلت: القول بأن الملائكة مجردات عن المادة، هو قول الفلاسفة، ونحى إليه الغزالي. وهو مناقض للقرآن والحديث لأن كونهم صفوفا قائمين، أو ساجدين، أو سائرين، يقتضي تشكيلهم وتحييزهم، فيستلزم المادة إلا أنها نورانية لطيفة، وكذلك الأرواح، على ما في الأحاديث، فإنها متحيزة على أشكال لطيفة. والله أعلم.
وإنا لنحن الصافون نصف أقدامنا في الصلاة، أو: نصف حول العرش داعين للمؤمنين، وإنا لنحن المسبحون المنزهون الله تعالى عما نسبته إليه الكفرة، من الولد، وغير ذلك من الأباطيل المذكورة. أو:

---
(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٧٩/٤

المشتغلون بالتسبيح على الدوام، أو: المصلون. ويحتمل أن يكون هذا وما قبله من قوله: سبحان الله.... الخ، من كلام الملائكة، حتى يتصل بذكرهم «١» ، كأنه قيل: ولقد علم الملائكة أن المشركين محضرون للعذاب على افترائهم على الله فيما نسبوا إليه، وقالوا: سبحان الله، ونزهوه عن ذلك، واستثنوا عباد الله المخلصين، وبرؤوهم من ذلك، وقالوا للكفرة: وإذا صح ذلك فإنكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه، وتضلوه، إلا من كان من أهل النار، وكيف نكون مناسبين لرب العزة! وما نحن إلا عبيد أذلاء بين يديه، لكل منا مقام من الطاعة معلوم، لا يستطيع أن يزل عنه، ونحن نصف أقدامنا لعبادته، مسبحين بحمده، كما يجب على العباد. ولعل قولهم: وما منا إلا له مقام معلوم إشارة إلى تفاوتهم في درجات القرب ومقامات اليقين. وقولهم: وإنا لنحن الصافون إشارة إلى تفاوتهم في الطاعات والعبادات، وهم طبقات منهم هائمون مستغرقون في الشهود، ومنهم مستغرقون في مقام الهيبة **والمراقبة**، ومنهم مستغرقون في الخدمة والعبادة. والله تعالى أعلم.

الإشارة: مادة الآدمي أكمل من مادة الملائكة، فإذا اتصل العبد بشيخ كامل، واعتنى بتصفية روحه وسره، طوى نوره الوجود بأسره، ولا يزال يترقى في معاريج أسرار التوحيد والتفريد، وتتوارد عليه الكشوفات، والعلوم، والأسرار، في هذه الدار الفانية، وفي تلك الدار الباقية، أبدا سرمدا، بخلاف الملائكة، فإن لكل واحد مقاما معلوما لايتعداه، كما أخبر تعالى.

وسر ذلك: أن الآدمي فيه بشرية وروحانية، فكلما جاهد نفسه، وغاب عن حس بشريته ترقى في معارج التوحيد، والمجاهدة لا تنقطع عنه فى هذا الدار لأنها دار أكدار، فلا ينقطع عنه الترقي في المشاهدة، وأما في تلك

---

(١) فى قوله: ولقد علمت الجنة.." (١)

"في الأذواق والكشوفات، يتجدد له في كل يوم وساعة، حلاوة وكشف لم تكن عنده قبل، بخلاف الملائكة، فإنما يترقى كل واحد في كشف أسرار مقامه، ويجد حلاوة في ذلك المقام لم تكن له قبل، ولا ينتقل عنه، فمن كان من أهل الخدمة زاده الله حلاوتها. ومن كان من أهل **المراقبة** فكذلك. ومن كان من أهل المشاهدة غلب عليه السكر و؟؟؟ ان، ولا يزيد على ذلك. وهم الطبقة العليا، فلا منافاة بين كلام

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٦٢٤

القوت وكلام البيضاوي لأن الترقي إنما هو في الأذواق والكشوفات، لا في العلوم الغيبية، ولا في الكمالات النفسية. فتأمله.

وقال القشيري: الملائكة لا يتخطون مقامهم، ولا يتعدون حدهم، والأولياء مقامهم مستور بينهم وبين الله، لا يطلع عليه أحد، والأنبياء- عليهم السلام- لهم مقام مشهور، مؤيد بالمعجزات الظاهرة لأنهم للخلق قدوة، فأمرهم على الشهرة، وأمر الأولياء على الستر. هـ. وقال الورتجبي: أهل البدايات في مقام الطاعات، والأوساط في المقامات، مثل التوكل والرضا، والتسليم، والمحبون في مقامات الحالات والمواجيد، وأهل المعرفة في مقام معارف، ينقلون في المشاهدة من مقام إلى مقام، ولا يبقى المقام للموحدين، فإنهم مستغرقون في بحار الذات والصفات، فليس لهم مقام معلوم لأن هناك لم يكن لهم وقوف، حيث أفناهم قهر الجلال، والجمال، والعظمة، والكبرياء، عن كل ما وجدوا من الحق، فيبقوا في الفناء إلى الأبد. هـ. قلت: ما ذكر من الطبقات الثلاث هم العباد، والزهاد، وأرباب الأحوال، وحالهم كحال الملائكة، يمدون في مقامهم، ولا ينتقلون منه، فلكل واحدة قوة في مقامه، لا يطيقها العارف، لكنه فاتهم بالترقي عنهم إلى مشاهدة الذات، والترقي فيها أبدا.

ثم قال الورتجبي في قوله تعالى: وإنا لنحن الصافون: لما كانوا من أهل المقامات المعلومات افتخروا بمقاماتهم في العبودية، من الصلاة والتسبيح، ولو كانوا من أهل الحقائق في المعرفة لفنوا عن ملاحظة طاعتهم، من استيلاء أنوار مشاهدة الحق عليهم، والاستغراق في بحار من الألوهية. قال بعضهم: لذلك قطعت بهم مقاماتهم عن ملاحظة المنة، حتى قالوا بالتفخيم: إنا لنحن، فلما أظهروا سرائرهم عارضوا إظهار أفعال الربوبية بالمعارضة، حتى قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها. هـ. وكلامنا كله مع عامة الملائكة، وأما المقربون فالأدب الإمساك عنهم- صلوات الله وسلامه عليهم.

ثم رجع إلى الكلام مع قريش، فقال:

[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ١٦٧ الى ١٨٢]

وإن كانوا ليقولون (١٦٧) لو أن عندنا ذكرا من الأولين (١٦٨) لكنا عباد الله المخلصين (١٦٩) فكفروا به فسوف يعلمون (١٧٠) ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين (١٧١)

إنهم لهم المنصورون (١٧٢) وإن جندنا لهم الغالبون (١٧٣) فتول عنهم حتى حين (١٧٤) وأبصرهم فسوف يبصرون (١٧٥) أفبعذابنا يستعجلون (١٧٦)

فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين (١٧٧) وتول عنهم حتى حين (١٧٨) وأبصر فسوف يبصرون (١٧٩) سبحان ربك رب العزة عما يصفون (١٨٠) وسلام على المرسلين (١٨١)
والحمد لله رب العالمين (١٨٢)." (١)

"أبو الحسن صلى الله عليه وسلم: يقول الله- عز وجل: عبدي اجعلني مكان همك أكفك همك، عبدي ما كنت بك فأنت في محل البعد، وما كنت بي فأنت في محل القرب، فاختر لنفسك. هـ. أي: ما دمت مهموما بنفسك فأنت في محل البعد، وإذا خرجت عنها، وطرحتها بين يدي خالقها، أو غبت عن وجودها بالكلية، فأنت في محل القرب، الأول: قرب **مراقبة**، والثاني: قرب مشاهدة.
وقوله تعالى: ويخوفونك بالذين من دونه: هو عام في كل ما يخاف منه، فالعارف لا يخاف من شيء لعلمه بأن الله ليس معه شيء، ولا يقع في الوجود إلا قدره وقضاؤه، ومن يعتقد غير هذا فهو ضال، ومن يضلل الله فلا هادي له. وبالله التوفيق.
ثم قرر هذا الأمر وحقيقته بقوله:

[سورة الزمر (٣٩) : آية ٣٨]
ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون (٣٨)
يقول الحق جل جلاله: ولئن سألتهم أي: من يخوفونك ممن سوى الله، وقلت لهم: من خلق السماوات والأرض ليقولن الله لوضوح الدلائل على انفراده بالاختراع. قل تبكيتا لهم: أفرأيتم ما تدعون من دون الله من الأصنام، إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أي: إذا تحققتم أن خالق العالم العلوي والسفلي هو الله وحده، فأخبروني عن آلهتكم، إن أرادني الله بضر هل يقدر أحد منهم على كشف ذلك الضر عني؟ أو أرادني برحمة أي: بنفع هل هن ممسكات رحمته وصارفتها عني؟! وقرأ البصري: «كاشفات» و «ممسكات» بالتنوين، ونصب «ضره» و «رحمته» على المفعول. وتعليق إرادة الضر والرحمة بنفسه صلى الله عليه وسلم، للرد في نحورهم حيث كانوا يخوفونه من معرة الأوثان، ولما فيه من الإيذان بإمحاض

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٦٢٦

النصيحة. وإنما قال: «كاشفات» و «ممسكات» على التأنيث، بعد قوله: ويخوفونك بالذين من دونه لأنهن إناث، وهن اللات، والعزى، ومناة، وفيه تهكم بهم، وبمعبودهم حيث جعلهم يعبدون الإناث.." (١)

"وقال ابن عباس: في الآفاق: منازل الأمم الخالية وآثارهم، وفي أنفسهم: يوم بدر. وقال مجاهد وغيره: في الآفاق: ما يفتح الله من القرى على نبيه صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وفي أنفسهم: فتح مكة. وقيل: الآفاق: في أقطار السموات والأرض، من الشمس، والقمر، والنجوم، وما يترتب عليها من الليل، والنهار، والأضواء، والظلال، والظلمات، ومن النبات، والأشجار، والأنهار، وفي أنفسهم: من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، من تكوين النطفة في ظلمات الأرحام، وحدوث الأعضاء العجيبة، والتركيبات الغريبة، كقوله تعالى: وفي أنفسكم ... «١» .

وعبر بالسين مع أن إراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك، بمعنى أن الله- تعالى- سيطلعهم على تلك الآيات زمانا فزمانا، ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوما فيوما، حتى يتبين لهم بذلك أنه الحق أي: القرآن، أو:

الإسلام، أو: التوحيد، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد، توبيخ على ترددهم في شأن القرآن، وعنادهم المحوج إلى إراءة الآيات، وعدم اكتفائهم بإخباره تعالى. والهمزة للإنكار، والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام، أي: ألم يغن ولم يكف ربك. والباء: مزيدة للتأكيد، ولا تكاد تزاد إلا مع «كفى» .

و (أنه ...) الخ: بدل منه، أي: ألم يغنهم عن إراءة الآيات المبنية لحقية القرآن ولم يكفهم في ذلك أنه تعالى- شهيد على كل شيء، وقد أخبر أنه من عنده. وقيل: معناه: إن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتيقنون عند ذلك أن القرآن تنزيل من عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد.

ألا إنهم في مرية شك عظيم من لقاء ربهم فلذلك أنكروا القرآن، ألا إنه بكل شيء محيط عالم بجميع الأشياء وتفاصيلها، وظواهرها، وبواطنها، فلا يخفى عليه خافية منهم، وهو مجازيهم على كفرهم وشكهم، لا محالة.

الإشارة: قد اشتملت الآية على مقام الاستدلال في مقام الإيمان، وعلى مقام العيان في مقام الإحسان، أي:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٨٠

سنريهم آياتنا الدالة على وجودنا في الآفاق، وفي أنفسهم، أي: في العوالم المنفصلة والمتصلة، حتى يتبين لهم أنه الحق، أي: وجوده حق، لأن الصنعة قطعا تحتاج إلى صانع، ثم رقاهم إلى مقام **المراقبة** بقوله: أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد، ثم زاد إلى المشاهدة بقوله: ألا إنهم أي: أهل الجهل بالله، في مرية من لقاء ربهم في الدنيا، بحصول الفناء، فيفنى وجود العبد في وجود الحق، ألآ إنه بكل شيء محيط، فبحر العظمة أحاط بكل شيء، وأفنى كل شيء، ولم يبق مع وجوده شيء.

---

(١) من الآية ٢١ من سورة الذاريات. وانظر تفسير البغوي (٧/ ١٧٩) وابن كثير (٤/ ١٠٥) .." [1]

"يقول الحق جل جلاله: والذين اتخذوا من دونه أولياء شركاء، يوالونهم بالعبادة والمحبة الله حفيظ عليهم: **رقيب** على أحوالهم وأعمالهم، فيجازيهم بها، وما أنت عليهم بوكيل بموكل عليهم، تجبرهم على الإيمان، ثم نسخ بالجهاد. أو: ما أنت بموكول إليك أمرهم، وإنما وظيفتك الإنذار بما أوحينا إليك.

وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا أي: ومثل ذلك الإيحاء البديع الواضح أوحينا إليك قرآنا عربيا، لا لبس فيه عليك ولا على قومك، لتنذر أم القرى أي: أهلها، وهي مكة لأن الأرض دحيت من تحتها، أو: لأنها أشرف البقع، وتنذر من حولها من العرب أو من سائر البلاد. قال القشيري: وجميع العالم محدق بالكعبة لأنها سرة الأرض. هـ.

وتنذر يوم الجمع يوم القيامة لأنه تجمع فيه الخلائق، وفيه تجمع الأرواح والأشباح. وحذف المفعول الثاني من «تنذر» الأول للتهويل، أي: لتنذر الناس أمرا فظيعا تضيق عنه العبارة، لا ريب فيه لا شك في وقوع ذلك اليوم، فريق في الجنة وفريق في السعير أي: بعد جمعهم في الموقف يفترقون، فريق يصرف إلى الجنة، وفريق إلى السعير بعد الحساب، والتقدير: فريق منهم في الجنة. والجملة: حال، أي: وتنذر يوم الجمع متفرقين.

ولو شاء الله لجعلهم في الدنيا أمة واحدة إما مهتدين كلهم، أو ضالين، ولكن يدخل من يشاء في رحمته أي: ويدخل من يشاء في عذابه، يدل عليه ما بعده، ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب:

اختلاف الداخلين فيهما، فلم يشأ جعل الكل أمة واحدة، بل جعلهم فريقين، فيسر كلا لمن خلق له. والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير والكافرون ما لهم من شافع ولا دافع.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٩٠/٥

قال أبو السعود: والذي يقتضيه سياق النظم أن يراد بقوله: أمة واحدة الاتحاد في الكفر، كما في قوله تعالى:

كان الناس أمة واحدة ... الآية «١» ، على أحد الوجهين، بأن يراد بهم الذين هم في فترة إدريس، أو فترة نوح. ولو شاء لجعلهم أمة واحدة متفقة على الكفر، بأن لا يرسل إليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع، وما فيه من ألوان الأهوال، فيبقوا على ما هم عليه من الكفر، ولكن يدخل من يشاء في رحمته إن شاء ذلك، فيرسل إلى الكل من ينذرهم، فيتأثر بعضهم بالإنذار فيعرفون الحق فيوفقهم الله تعالى للإيمان والطاعة،

---

(١) الآية ٢١٣ من سورة البقرة.." (١)

"وتراهم يعرضون عليها على النار، يدل عليها ذكر العذاب. والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية خاشعين من الذل متذللين متضائلين مما دهاهم، فالخشوع: خفض البصر وإظهار الذل، ينظرون إلى النار من طرف خفي ضعيف بمسارقة، كما ترى المصبور ينظر إلى السيف عند إرادة قتله. وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم بالتعرض للعذاب الخالد يوم القيامة، و «يوم» : متعلق بخسروا. وقول المؤمنين واقع في الدنيا. ويقال، أي: يقولونه يوم القيامة، إذا رأوهم على تلك الصفة: ألا إن الظالمين في عذاب مقيم دائم، وما كان لهم من أولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا، ومن يضلل الله فما له من سبيل إلى النجاة.

استجيبوا لربكم إلى ما دعاكم إليه على لسان نبيه، من قبل أن يأتي يوم أي: يوم القيامة لا مرد له من الله أي: لا يرده الله بعد ما حكم بمجيئه، ف «من» متعلق ب «لا مرد» ، أو: ب «يأتي» أي: من قبل ان يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده، ما لكم من ملجإ يومئذ أي: مفر تلتجئون إليه، وما لكم من نكير أي: وليس لكم إنكار لما اقترفتموه لأنه مدون في صحائف أعمالكم، وتشهد عليكم جوارحكم.

فإن أعرضوا عن الإيمان فما أرسلناك عليهم حفيظا رقيبا، تحفظ أعمالهم، وتحاسبهم، إن عليك إلا البلاغ ما عليك إلا تبليغ الرسالة، وقد بلغت، وليس المانع لهم من الإيمان عدم التبليغ، وإنما المانع:

الطغيان وبطر النعمة، كما قال تعالى: وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة أي: نعمة من الصحة، والغنى، والأمن،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٩٦/٥

فرح بها وقابلها بالبطر، وتوصل بها إلى المخالفة والعصيان. وأريد بالإنسان الجنس، لقوله تعالى:
وإن تصبهم سيئة، بلاء، من مرض، وفقر، وخوف، بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور بليغ الكفر، ينسى النعمة رأسا، ويذكر البلية، ويستعظمها، بل يزعم أنها أصابته من غير استحقاق.

وأفرد الضمير في (فرح) مراعاة للفظ، وجمعه في «تصبهم» مراعاة للمعنى. وإسناد هذه الخصلة إلى الجنس مع كونها من خواص الجنس، لغلبتها فيهم. وتصدير الشرطية الأولى بإذا، مع إسناد الإذاقة إلى نون العظمة للتنبيه على أن إيصال الرحمة محقق الوجود، كثير الوقوع، وأنه مراد بالذات، كما أن تصدير الثانية بأن، وإسناد الإصابة إلى السيئة، وتعليلها بأعمالهم للإيذان بندرة وقوعها، وأنها غير مرادة بالذات، «أن رحمتي سبقت غضبي» . ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم. قاله أبو السعود.

الإشارة: من تنكبته العناية السابقة، وأدركته الغواية اللاحقة، لم ينفع فيه وعظ ولا تذكير، وليس له من عذاب الله ولي ولا نصير، فإذا تحققت الحقائق، وطلب الرجوع، لم يجد له سبيلا، وبقي في الهوان خاشعا ذليلا، فيعيرهم." (١)

"وقيل: هم اثنا عشر نبيا، أرسلوا إلى بني إسرائيل، فعصوهم، فأوحى الله إلى الأنبياء: إني مرسل عذابي على عصاة بني إسرائيل، فشق عليهم، فأوحى الله إليهم: أن اختاروا لأنفسكم، إن شئتم أنزلت بكم العذاب، وأنجيت بني إسرائيل، وإن شئتم أنجبتكم وأنزلت ببني إسرائيل، فتشاوروا بينهم، فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب وينجي بني إسرائيل، فسلط عليهم ملوك الأرض، فمنهم من نشر بالمناشير، ومنهم من سلخ جلدة رأسه ووجهه، ومنهم من رفع على الخشب، ومنهم من أحرق بالنار. نسأل الله العافية، فإنهم أقوياء ونحن ضعفاء.

وقيل: «من» للتبيين، كقولك: اشتريت ثيابا من الخز، فكلهم أولو العزم، وقيل: إلا يونس، لقوله: ولا تكن كصاحب الحوت «١» وآدم لقوله: ولم نجد له عزما «٢» .

ثم قال تعالى: ولا تستعجل لهم أي: لكفار مكة نزول العذاب، فإنه نازل بهم، كأنهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة يسيرة من نهار لما يشاهدونه من شدة العذاب وطول مدته. قال الثعالبي: وإذا علمت أيها الأخ أن الدنيا أضغاث أحلام، كان من الحزم اشتغالك الآن بتحصيل الزاد للمعاد،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٢٨/٥

وحفظ الحواس، ومراعاة الأنفاس، **ومراقبة** مولاك، فاتخذه صاحبا، ودع الناس جانبا، ثم نقل عن الغزالي ما يهيج النفس إلى النهوض إلى الله، والفرار مما سواه، فانظره.

هذا بلاغ أي: هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة، أو تبليغ من الرسول، أو مني إليك، ومنك إلى العالمين. فهل يهلك إلا القوم الفاسقون أي: ما يهلك إلا الخارجون عن هذا الاتعاظ، أو عن هذه المواعظ، أو عن الطاعة، أو: فلا يهلك مع هذه المواعظ البالغة، والأدلة القاطعة إلا من هلك عن بينة، أو: فلا يهلك مع رحمة الله وتفضله إلا الهالكون، ونظير ما ختم به هنا ما ختم به سورة الأنبياء: إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين الآية «٣» .

فائدة: قال ابن عباس: إذا عسر على المرأة ولدها، فليكتب هاتين الآتين الكريمتين في صحيفة، ثم تغسل وجهها منها، وتسقى منها: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، العظيم الحليم، سبحان الله رب السموات والأرض، ورب العرش العظيم، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار. صدق الله العظيم. هـ.

---

(١) الآية ٤٨ من سورة القلم.

(٢) الآية ١١٥ من سورة طه.

(٣) الآية ١٠٦ من سورة الأنبياء. [.....]." [١]

"ما امتدت إليه أعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر. و «عند الله» : حال من «فوزا عظيما» لأنه صفته في الأصل، فلما قدم عليه صار حالا، أي: كائنا عند الله في علمه وقضائه. والجملة: اعتراض مقرر لما قبله.

ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات لما أغاظهم من ذلك وكرهوه، وهو عطف على «يدخل» ، وفي تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على أنهم أحق منهم بالعذاب. الظانين بالله ظن السوء أي: ظن الأمر السوء، وهو ألا ينصر الله رسوله والمؤمنين، ولا يرجعهم إلى مكة، فالسوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده، يقال: فعل سوء، أي: مسخوط فاسد. عليهم دائرة السوء أي: ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين، وهو دائر عليهم وحائق بهم. وفيه لغتان: فتح السين وضمها، كالكره والكره،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٣٥٠

والضعف والضعف، غير أن المفتوح غلب عليه أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء، وأما السوء فجار مجرى الشيء الذي هو نقيض الخير، أي: الدائرة التي يذمونها ويسخطونها دائرة عليهم، ولا حقة بهم، وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا لهم، وهو عطف لما استوجبوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا، وعطف «ولعنهم» وما بعده بالواو، مع أن حقهما الفاء المفيدة للسببية إيذانا باستقلال كل واحد منهما بالوعيد، وأصالته، من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض.

ولله جنود السماوات والأرض، إعادة لما سبق، وفائدتها: التنبيه على أن لله جنود الرحمة وجنود العذاب، كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة في قوله: وكان الله عزيزا أي: غالبا، فلا يرد بأسه حكيما فلا يعترض صنعه. والله تعالى أعلم.

الإشارة: هو الذي أنزل السكينة في قلوب المتوجهين، حتى سكنوا لصدمات تجلي الجلال، وأنوار الجمال، وسكنوا تحت مجاري الأقدار، كيفما برزت، بمرارة أو حلاوة. قال القشيري: والسكينة: ما يسكن إليه القلب من أنوار الإيمان والإيقان، أو العرفان بمشاهدة العيان، بل الاستغراق في بحر العين بلا أين. هـ. «١» ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم، فيترقوا من مقام الإسلام إلى مقام الإيمان، ومن مقام الإيمان إلى مقام الإحسان، أو من علم اليقين إلى عين اليقين، ومن عين اليقين إلى حق اليقين، أو من المراقبة إلى المشاهدة، أو من رؤية الأسباب إلى مسبب الأسباب.

ولله جنود السماوات والأرض وهي الجنود التي يمد الله بها الروح في محاربتها للنفس، حتى تغلبها وتستولي عليها، وهي اليقين، والعلم، والذكر، والفكر، والواردات الإلهية، التي تأتي من حضرة القهار، فتدمغ

---

(١) لم أقف على النص فى مظانه فى تفسير القشيري.." (١)

"عباده، وفي الحديث: «لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته» «١» .

قال ابن عرفة: من هو مستور الحال فلا يحل التجسس عليه، ومن اشتهر بشرب خمر ونحوه فالتجسس عليه مطلوب أو واجب. هـ. قلت: معناه: التجسس عليه بالشم ونحوه ليقام عليه الحد، لا دخول داره لينظر ما فيها من الخمر ونحوه، فإنه منهي عنه، وأما فعل عمر- رضي الله عنه- فحال غالبة، يقتصر عليها في

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٨٧/٥

محلها. وانظر الثعلبي، فقد ذكر عن عمر رضي الله عنه أنه فعل من ذلك أمورا، ومجملها ما ذكرنا.
وقرئ بالحاء «٢» ، من «الحس» الذي هو أثر الجس وغايته، وقيل: التجسس- بالجيم- يكون بالسؤال، وبالحاء يكون بالاطلاع والنظر، وفي الإحياء: التجسس- أي: بالجيم- في تطلع الأخبار، والتحسس بالمراقبة بالعين. هـ.
وقال بعضهم: التجسس- بالجيم- في الشر، وبالحاء في الخير، وقد يتداخلان.
والحاصل: أنه يجب ترك البحث عن أخبار الناس، والتماس المعاذر، حتى يحسن الظن بالجميع، فإن التجسس هو السبب في الوقوع في الغيبة، ولذلك قدمه الحق- تعالى- على النهي عن الغيبة، حيث قال: ولا يغتب بعضكم بعضا أي: لا يذكر بعضكم بعضا بسوء. فالغيبة: الذكر بالعيب في ظهر الغيب، من الاغتياب، كالغيلة من الاغتيال. وسئل صلى الله عليه وسلم عن الغيبة، فقال: «ذكرك أخاك بما يكره، فإن كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته» «٣» .
وعن معاذ: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر القوم رجلا، فقالوا: لا يأكل إلا إذا أطعم، ولا يرحل إلا إذا رحل، فما أضعفه! فقال عليه السلام: «اغتبتم أخاكم» ، فقالوا: يا رسول الله، أو غيبة أن يحدث بما فيه؟ قال: «فحسبكم غيبة أن تحدثوا عن أخيكم بما فيه» «٤» . قال أبو هريرة: قام رجل من عند النبي صلى الله عليه وسلم فرأوا في قيامه عجزا، فقالوا: يا رسول الله، ما أعجز فلانا! فقال عليه السلام: «أكلتم لحم أخيكم واغتبتموه» » .

---

(١) أخرجه الترمذي فى (البر والصلة، باب ما جاء فى تعظيم المؤمن ح ٢٠٣٢) وابن حبان (موارد ص ٣٥٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنه. وأخرجه أبو داود فى (الأدب، باب فى الغيبة، ح ٤٨٨٠) من حديث أبى برزة الأسلمى.
(٢) نسبها فى البحر المحيط (٨/ ١١٣) للحسن وأبى رجاء وابن سيرين.
(٣) أخرجه مسلم فى (البر والصلة، باب تحريم الغيبة ح ٣٥٨٩) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.
(٤) رواه الأصبهانى فى الترغيب (٢٢٠٨) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. ولم أقف عليه من حديث معاذ رضي الله عنه.

(٥) عزاه المنذرى فى الترغيب والترهيب (ح ٤١٧٠) لأبى يعلى فى مسنده (٦١٥١) والطبراني- واللفظ له- عن أبى هريرة رضي الله عنه.." (١)

"وزوال الريب ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان، تنبيها على علو مكانه، وعطف على الإيمان بثم إشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا. وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أي:

جاهدوا ما ينبغي جهاده من الكفار والأنفس والهوى، بالإعانة بأموالهم، والمباشرة بأنفسهم في طلب رضا الله.

أولئك هم الصادقون أي: الذين صدقوا فى قولهم: آمنا، لم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد بل إيمانهم إيمان صدق وحق. والله تعالى أعلم.

الإشارة: مذهب الصوفية: أن العمل إذا كان حده الجوارح الظاهرة يسمى مقام الإسلام، وإذا انتقل لتصفية البواطن بالرياضة والمجاهدة يسمى مقام الإيمان، وإذا فتح على العبد بأسرار الحقيقة يسمى مقام الإحسان، وقد جعل الساحلي مقام الإسلام مركبا من ثلاثة التوبة والتقوى والاستقامة، والإيمان مركبا من الإخلاص والصدق والطمأنينة، والإحسان مركبا من **المراقبة** ,المشاهدة والمعرفة، ولكل زمان ورجال تربية واصطلاح في السير، والمقصد واحد، وهو المعرفة العيانية.

قال القشيري: الإيمان هو حياة القلوب، والقلوب لا تحيا إلا بعد ذبح النفوس، والنفوس لا تموت، ولكنها تغيب. هـ. أي: المقصود بقتل النفوس هو الغيبة عنها في نور التجلي، فإذا وقع الفناء في شهود الحق عن شهود الخلق فلا مجاهدة. وقال القشيري في مختصره: قالت الأعراب آمنا ... الخ، يشير إلى أن حقيقة الإيمان ليست مما يتناول باللسان، بل هو نور يدخل القلوب، إذا شرح الله صدر العبد للإسلام كما قال تعالى: فهو على نور من ربه «١» ، وقال عليه السلام في صفة ذلك النور: «إن النور إذا وقع في القلب انفسح له واتسع» ، قالوا: يا رسول الله هل لذلك النور من علامة؟ قال: «بلى التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله» «٢» . لهذا قال تعالى: ولما يدخل الإيمان في قلوبكم أي: نور الإيمان. هـ.

(وإن تطيعوا الله ورسوله) في الأوامر والنواهي بعد ذبح النفوس بسيف الصدق (لا يلتكم عن أعمالكم شيئا)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٤٣١

بل كل ما تتقربون به إلى الله من مجاهدة النفوس ترون جزاءه عاجلا، من كشف غطاء، وحلاوة شهود، إن الله غفور

---

(١) من الآية ٢٢ من سورة الزمر.

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٣١١) والبيهقي فى الشعب (ح ١٠٥٥٢) وابن أبى شيبة فى مصنفه (الزهد، باب ٦، ح ١٤) والبغوي فى التفسير (٧/ ١١٤- ١١٥) وابن جرير (٨/ ٢٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، «والحديث سكت عند الحاكم، وتعقبه الذهبي» ورواه البيهقي فى الأسماء (ص ١٥٦) وقال: «هذا منقطع» وابن المبارك فى الزهد (رقم ٣١٥، ص ١٠٦) عن أبى جعفر المدائني، مرسلا، ورواه بنحوه الحكيم الترمذي فى النوادر (الأصل السادس والثمانين) من حديث ابن عمر رضي الله عنه. وقد ذكر ابن كثير (٢/ ١٧٦) لهذا الحديث طرقا كثيرة، متصلة ومرسلة، ومال إلى تقويته لتعدد طرقه.." (١)

"[سورة ق (٥٠) : الآيات ١٦ الى ٢٢]

ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦) إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه **رقيب** عتيد (١٨) وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩) ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد (٢٠)

وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٢)

يقول الحق جل جلاله: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه أي: ما تحدثه نفسه ويهجس في ضميره من خير وشر. والوسوسة: الصوت الخفي، ووسوسة النفس: ما يخطر بالبال. والضمير في «به» ل «ما» إن جعلتها موصولة، والباء كما في: صوت بكذا، أو: للإنسان، إن جعلتها مصدرية. والباء حينئذ للتعددية.

ونحن أقرب إليه أي: أعلم بحاله مما كان أقرب إليه من حبل الوريد. والحبل: العرق، وإضافته بيانية والوريدان: عرقان مكتفان بصفحتي العنق في مقدمه متصلان بالوتين، والوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه. قاله في القاموس، يردان من الرأس إليه، وقيل: سمي وريد لأن الماء يرده.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٤٣٩

إذ يتلقى المتلقيان أي: الملكان الحافظان لأعمال العبد. والظرف: منصوب بما في «أقرب» من معنى الفعل، أي: يتقرب إذ يتلقى. والمعنى: أنه تعالى لطيف يتوصل علمه إلى ما لا شيء أخفى منه، وهو أقرب للإنسان من كل قريب، حين يتلقى الحافظان ما يتلفظ به، وفيه إيذان بأنه تعالى غني عن استحفاظها لإحاطة علمه بما يخفى عليهم، وإنما ذلك لما في كتبهما وحفظهما لأعمال العباد، وعرض صحائفها يوم يقوم الأشهاد، وعلم العبد بذلك مع علمه بإحاطته بتفاصيل أحواله من زيادة لطف به في الكف عن السيئات، والرغبة في الحسنات. ثم ذكر مكانهما بقوله: عن اليمين وعن الشمال قعيد أي: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، وحذف الأول للدلالة الثاني عليه.

وقعيد: بمعنى مقاعد، كالجليس بمعنى المجالس، أو: بمعنى قاعد، كالسميع والعليم. وعنه صلى الله عليه وسلم: «إن مقعد ملكيك على ثنيتيك، ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيى من الله ولا منهما!» «١» وقال الضحاك: مجلسهما تحت الثغر من الحنك، ورواه عن الحسن «٢» ، وكان يعجبه أن ينظف عنفقته «٣» .

---

(١) ذكره بلفظه القرطبي فى التفسير (٧/ ٦٣٦٥) عن سيدنا على رضي الله عنه، مرفوعا، وقال السيوطي فى الدر المنثور (٦/ ١١٨) : أخرج أبو نعيم والديلمي، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه. مرفوعا: إن الله لطف الملكين الحافظين حتى أجلسهما على الناجذين، وجعل لسانه قلمهما، وريقه مدادهما» .

(٢) العبارة فى القرطبي: ورواه عوف عن الحسن قال: وكان يعجبه. إلخ.

(٣) العنفقة: شعيرات بين الشفة السفلى والذقن. انظر: النهاية (عنفق ٣/ ٣٠٩) . [.....]." [١]

"ما يلفظ من قول أي: ما يتكلم به وما يرمي به من فيه إلا لديه **رقيب** حافظ عتيد حاضر لازم، أو معد مهيأ لكتابة ما أمر به من الخير والشر. وقال أبو أمامه عنه صلى الله عليه وسلم: «كاتب الحسنات عن يمين الرجل وكاتب السيئات عن يساره، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات، لعله يسبح أو يستغفر» «١» .

قال الحسن: إن الملكين يجتنبان العبد عند غائطه، وعند جماعه، ويكتبان عليه كل شيء، حتى أنينه في

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٤٤٩

مرضه. وقال عكرمة: لا يكتبان عليه إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر «٢» . وعنه عليه السلام: «ما من حافظين يرفعان إلى الله ما حفظا، فيرى الله تعالى في أول الصحيفة خيرا وفي آخرها خيرا، إلا قال للملائكة: اشهدوا أني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة» «٣» . والحفظة أربعة، اثنان بالليل، واثنان بالنهار، فإذا مات العبد قاموا على قبره يكبران ويهللان ويكتب ذلك للعبد المؤمن.

ولما ذكر إنكارهم للبعث، واحتج عليهم بعموم قدرته وعلمه، أعلمهم أن ما أنكروه هم لا قوة بعد الموت، ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضي فقال: وجاءت سكرة الموت بالحق.. الخ. وقال ابن عطية: هو عندي عطف على «إذ يتلقى» والتقدير: وإذ تجيء سكرة الموت، يعني فهو كقوله: ونحن أقرب إليه منكم الآية «٤» هـ. وحاصل الآية حينئذ: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ظاهره وباطنه، ونحن أقرب إليه في جميع أحواله، في حياته، ووقت مجيء سكرة الموت، أي: شدته الذاهبة بالعقل، ملتبسة بالحق أي: بحقيقة الأمر، وجلاء الحال، من سعادة الميت أو شقاوته، ذلك ما كنت منه تحيد أي: تنفر وتهرب وتميل عنه طبعا. والإشارة إلى الموت.

والخطاب للإنسان في قوله: ولقد خلقنا الإنسان على طريقة الالتفات.

ونفخ في الصور نفخة البعث ذلك يوم الوعيد أي: وقت ذلك النفخ هو يوم الوعيد، أي: يوم إنجاز الوعد ووقوع الوعيد. وتخصيص الوعيد بالذكر لتهويله، ولذلك بدأ ببيان حال الكفرة بقوله: وجاءت كل نفس من النفوس البرة والفاجرة معها سائق وشهيد أي: ملكان، أحدهما يسوقه إلى المحشر، والآخر يشهد

---

(١) أخرجه البغوي فى التفسير (٧/ ٣٥٩) والبيهقي فى الشعب (الباب السابع والأربعون، ح ٧٠٤٩) والطبراني فى الكبير (٨/ ٢٢٥، ح ٧٧٨٧) وأيضا (٨/ ٢٩٥- ٢٩٦، ح ٧٩٧١) وأبو نعيم فى الحلية (٦/ ١٢٤) من حديث أبى أمامة رضي الله عنه، وقال الهيثمي فى المجمع (١٠/ ٢٠٨) : «رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها وثقوا» .

(٢) عزاه السيوطي فى الدر (٦/ ١١٩) لابن المنذر.

(٣) ذكره القرطبي (٧/ ٦٣٦٦) عن أبى هريرة وأنس- رضى الله عنهما.

(٤) الآية ٨٥ من سورة الواقعة.." (١)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٥٠/٥

"عليه بعمله. قيل: السائق: كاتب الحسنات، والشاهد: كاتب السيئات، ويقال لها: (لقد كنت في غفلة من هذا) النازل بك اليوم، فكشفنا عنك غطاءك فأزلنا غفلتك، وهو الوقوف مع المحسوسات والإلف، والانهماك في الحظوظ، وقصر النظر عليها، فشاهدت اليوم ما كنت غافلا عنه فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع. جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده، أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا، فإذا كان يوم القيامة سقط، وزالت عنه الغفلة، وكشف غطاؤه، فبصر ما يبصره من الحق، ورجع بصره الكليل حديدا، لتيقظه حين لم ينفع التي قظ.

وبالله التوفيق.

الإشارة: هذه الآية وأشباهها أصل في مقام المراقبة القلبية، فينبغي للعبد أن يستحيي من الله أن يحدث في نفسه بشيء يستحيى أن يظهره، يعني الاسترسال معه، وإلا فالخواطر العارضة لا قدرة على دفعها. قال القشيري:

(ما توسوس به نفسه) من شهوة تطلب استيفاءها، أو تصنع مع الخلق، أو سوء خلق، أو اعتقاد فاسد، أو غير ذلك من أوصاف النفس، توسوس بذلك لتشوش عليه قلبه ووقته، وكيف لا نعلم ذلك وكل ذلك مما خلقناه وقدرناه. هـ.

وقوله تعالى: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد أي: أنا أقرب إلى كل أحد من عروق قلبه، وهذا لأن قيام الفعل بالصفات، والصفات لا تفارق الذات، فالقرب بالعلم والقدرة، وتستلزم القرب بالذات، وقرب الحق من خلقه هو قرب المعاني من الأواني، إذ هي كليتها وقائمة بها، فافهم. قال القشيري: وفي هذه الآية هيبة وفزع لقوم، وروح وأنس وسكون قلب لقوم. هـ. وقوله تعالى: إذ يتلقى المتلقيان.. الخ، كأنه تعالى يقول: من لم يعرف قدر قربي منه، بأن يعده وهمه وجهله، فإني أوكل عليه رقيبين يحفظان أعماله لعله ينزجز.

وقوله تعالى: ما يلفظ من قول.. الخ، وأما عمل القلوب فاختص الله تعالى بعلمها، وهي محض الإخلاص. قال بعضهم: الإخلاص: إخفاء العمل بحيث لم يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، فالعارفون جل أعمالهم قلبية، نظرة أو فكرة. روي أن بعض العارفين قال له حفظته: يا سيدي أظهر لنا شيئا من أعمالك نفرح به عند الله، فقال لهم: يكفيكم الصلوات الخمس. هـ. قال القشيري: وفيه أيضا إشارة إلى كمال عنايته في حق عباده، إذ جعل على كل واحد رقيبين من الملائكة ليحفظوه بالليل والنهار، إذا كان قاعدا فواحد عن يمينه وواحد عن شماله، وإذا قام فواحد عند رأسه، وواحد عند قدمه، وإذا كان ماشيا فواحد بين يديه وواحد خلفه. هـ. وهذان غير الملكين الموكلين بحفظ الأعمال. انظر بقيته. والله أعلم.

وقال في قوله: وجاءت سكرة الموت بالحق: إذا أشرفت النفس على الخروج من الدنيا، فأحوالهم تختلف، فمنهم من يزداد في ذلك الوقت خوفه، ولا يتبين حاله إلا عند ذهاب الروح، ومنهم من يكاشف قبل خروجه." (١)

"كأنها ذكر موصوفة بصفة الفاعلية، والنفس أنثى موصوفة بصفة القابلية، لتحصل نتيجة القلب، بحصول المطالب الدنيوية والأخروية. هـ. مختصرا. وقال بعضهم: والشيطان كالذكر، والنفس كالأنثى، يتولد بينهما المعصية. هـ.

وأن عليه النشأة الأخرى، وهو بعث الأرواح من موت الغفلة، وحشرها إلى موقف المراقبة والمحاسبة، ثم إدخالها جنة المعارف، فلا تتشاق إلى جنة الزخارف أبدا، أو: النشأة الأخرى: الجذب بعد السلوك، والفناء بعد البقاء، ثم البقاء بعد الفناء، البقاء الأول بوجود النفس، والثاني بالله. وأنه هو أغنى به بوصول العبد إلى مشاهدته، وأفنى بأن مكنه منه فزاد غناه. وطبل على ماله، وأنه هو رب الشعرى، وهو كل ما عبد من الهوى والدنيا، فكيف يعبد المربوب اللئيم، ويترك الرب الكريم؟! وأنه أهلك عادا الأولى النفوس المتفرعنة، والأهوية المغوية، أرسل عليهم ريح الهداية القوية، حتى اضمحلت وخضعت لمولاها، وثمود الخواطر، فما أبقى منها إلا خواطر الخير، التي تأمر بالخير، وقوم نوح من القواطع الأربعة النفس، والشيطان، والناس، والدنيا، فطعنهم عن المتوجه من قبل، أي: من قبل أن يتوجه إلينا، لما سبق في علمنا أنهم كانوا هم أظلم وأطغى من بقية العلائق، والنفس المؤتفكة، أي:

المنقلبة عن التوجه، أهوى بها في أسفل سافلين، باعتبار أهل عليين، فغشاها من الدنيا ومن الخواطر والهموم والغموم، ما غشى.

فإذا سلمت أيها العبد من هؤلاء القواطع والعلائق، وتوجهت إلى مولاك، فبأي آلاء ربك تتمارى؟ بل الواجب عليك أن تشكر الله آناء الليل والنهار. هذا الذي أخذ بيدك نذير من النذر الأولى، المتقدمين الداعين إلى الله في كل زمان، أزفت الآزفة، أي: قربت ساعة الفتح حين توجهت وانقطعت عنك العلائق، ووجدت من يدخلك بحر الحقائق، ليس لها من دون الله كاشفة، لا يشكف لك هذه الحقائق إلا الذي من عليك بصحبة من يدلك عليهـ. قال القشيري: أزفت الآزفة: قربت الحقيقة الموصوفة بالقرب والدنو، وأنت أيها السالك في عينها، وما لك بها شعور، لفنائك في أوصافك النفسانية «١» . هـ. مختصرا. أفمن هذا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٤٥١

الحديث العجيب، والغزل الرقيق الغريب، تعجبون، إنكارا، وتضحكون استهزاء؟ قلت: وقد رأيت كثيرا ممن ينكر الإشارة، ويستهزئ بها، ويتنكب مطالعتها، وقد قيل:

من كره شيئا عاداه. ولا تبكون على أنفسكم، حيث حرمت من هذه المواهب، وأنتم سامدون غافلون لاهون، للدنيا طالبون، فاسجدوا لله واعبدوا، وتضرعوا إليه، حتى يخرجكم من سجن هواكم ونفوسكم.

وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) لم أقف على هذا النص أو على معناه في لطائف الإشارات.." (١)

"الشهادة لتقدمه في الوجود، وتعلق العلم القديم به، أو: المراد بالغيب: المعدوم، وبالشهادة: الموجود، أو السر والعلانية، {هو الرحمن الرحيم} أي: الرحمن بجلائل النعم، والرحيم بدقائقها، أو: الرحمن بنعمة الإيجاد، والرحيم بنعمة الإمداد.

{هو الله الذي لا إله إلا هو} ، كرر لإبراز الاعتناء بأمر التوحيد، {الملك} ؛ المتصرف بالإطلاق، الذي لا يزول ملكه أبدا، {القدوس} ؛ البليغ في النزاهة عما لا يليق به. وقرىء بالفتح، وهي لغة فيه، {السلام} ذو السلامة من كل نقص، أو: الذي يسلم الخلق من ظلمه، أو: ذو السلام على أوليائه يوم القيامة، {المؤمن} ؛ واهب الأمن، أو: المؤمن من عذابه من أطاعه، أو المصدق لعباده إذا وحدوه، أو: المصدق للرسل بالمعجزات، {المهيمن} ؛ **الرقيب** الحافظ لكل شيء مفيعل، من: الأمن، بقلب همزته هاء، {العزيز} ، الغالب الذي لا يغلب، {الجبار} الذي جبر خلقه على ما أراد، أو: جبر أحوالهم، أي: أصلحها، {المتكبر} الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصا، أو: البليغ الكبرياء والعظمة. {سبحان الله عما يشركون} ، نزه ذاته عما يصفه به المشركون إثر تعداد صفاته التي لا يمكن أن يشارك في شيء منها أصلا.

{هو الله الخالق} ؛ المقدر للأشياء على مقتضى حكمته، {البارىء} ؛ الموجد لها برية من التفاوت؛ وقيل: المميز بعضها من بعض بالأشكال المختلفة، {المصور} ؛ الموجد لصورها وكيفيتها كما أراد. قال الغزالي: الخالق من حيث إنه مقدر، البارىء من حيث إنه موجد، المصور، من حيث أنه مصور صور المخترعات أحسن ترتيب، ومزينها أحسن تزيين. هـ. قلت: وحاصل كلامه: أن الخالق يرجع للإرادة،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٥١٩

والبارىء للقدرة، والمصور للحكمة، والأحسن: أن يقال: إن الخالق: المخترع للأشياء من غير أصل، البارىء: المهيىء كل ممكن لقبول صورته، فهو من معنى الإرادة؛ إذ متعلقه التخصيص، المصور: المعطي كل مخلوق ما هيىء له من صورة وجوده بحكمته، فهو معاني اسمه " الحكيم ".
{

له الأسماء الحسنى} لدلالتها على المعاني الحسنة، وتقدم عدها في آخر الإسراء. {يسبح له ما في السموات والإرض} ؛ ينطق بتنزيهه عن جميع النقائص تنزيها ظاهرا، {وهو العزيز} لا يغلب، {الحكيم} الذي لايمكن الاعتراض عليه في شيء من تقديراته. ختم السورة بما بدأ به من التسبيح. عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سألت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الأعظم؟ فقال: " عليك بآخر الحشر، فأكثر قراءته "، فأعدت عليه، فأعاد علي فأعدت عليه، فأعاد علي، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السيمع." (١)

"الإشارة: إذا نودي لصلاة القلوب في مقام الجمع، من ناحية الداعي إليها، وهم المشايخ العارفون، فاسعوا إلى ذكر الله، ودوموا عليه باللسان والقلب، ثم بالقلب فقط، ثم بالروح، ثم بالسر، فإن الذكر منشور الولاية، ولا بد منه في البداية والنهاية، قال الورتجبي بعد كلام: الساعي إلى الذكر مقام المريدين، والمحقق في المعرفة غلب عليه ذكر الله إياه بنعت تجلي نفسه لقلبه. هـ.
{
وذروا البيع} أي: اتركوا كل ما يشغل عن الله، فلا تتجلى الحقائق إلا بعد ترك العلائق، ذلكم، أي: ترك كل شاغل، خير لكم إن كنتم تعلمون، أي: إن كنتم من أهل العلم بالله فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ... الخ، أي: إذا حصل لكم البقاء بعد الفناء؛ فانتشروا في أرض العبودية، واتسعوا في ميادين البشرية، بالاستمتاع بالشهوات المباحة بالإذن والتمكين، والرسوخ في اليقين، وابتغوا من فضل الله، بالتجارات الرابحة، وهي إرشاد العباد إلى الله، {واذكروا الله كثيرا} أي: في كل شيء وعند كل شيء، برؤية الحق في كل شيء، وإليه تشير وصيته صلى الله عليه وسلم لمعاذ بقوله: " واذكر الله عند كل حجر وشجر ". وقوله تعالى: {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها} ، قال القشيري: يشير إلى السالكين

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٨/٧

المحرومين من الجذبة ـ وهو السالك الأبتر ـ إذا رأوا تجارة، أي: طاعة توجب ثواب الآخرة، يقومون إليها، ويثبون عليها، نظرا إلى ثواب الآخرة، كما قال عليه السلام: " لا تكونوا كالأجير السوء، إن أعطي عمل، وإن لم يعط لم يعمل "، أو لهوا أطرب النفس برؤية الطاعة واستلذاذها بنظر الخلق إليها، انفضوا إليها وتركوك ـ أيها السالك الحقيقي ـ قائما بعبودية الحق، ومشاهدة قيوميته، قل: ما عند الله من المواهب العالية، والعطايا السنية، خير من لهو النفس برؤية الغير، ومن التجارات بثواب الآخرة، لقوله تعالى: {فمن كان يرجوا لقآء ربه فليعمل عمۭلا صالحا ولآ يشرك بعبادة ربه أحدا} [الكهف: ١١٠] أو: ما عند الله نقدا للعارفين من واردات القلوب، وبواده الحقيقية، خير مما يؤمل من الدنيا والآخرة للغافلين، والله خير الرازقين، لإعطائه رزق النفس، وهو الطاعة على المنهاج والشرع، ورزق القلب، وهو الأعمال القلبية، كالزهد والورع والرضا والتسليم **والمراقبة**، والبسط والقبض، والأنس والهيبة، ورزق الروح
بالتجليات والمشاهدات، والمعاينات والتنزلات، ورزق السر برفع رؤية الغير والغيرية، ورزق الخفاء بالفناء في الله والبقاء به. هـ. قال الورتجبي: فيه تأديب المريدين حين اشتغلوا عن صحبة المشايخ، بخلواتهم وعباداتهم، لطلب الكرامة، ولم يعلموا أن ما يجدون في خلواتهم بالإضافة إلى ما يجدون في صحبة مشايخهم لهو. هـ. وهو حق. وبالله التوفيق. وصلى الله على سيدنا محمد، عين عيان التحقيق، وعلى آله وصحبه وسلم.." (١)

"تعالى بدلكن {أزواجا خيرا منكن} ، قال النسفي: فإن قلت: كيف تكون المبدلات خيرا منهن، ولم يكن على وجه الأرض نساء خيرا من أمهات المؤمنين؟ قلت: إذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإيذائهن إياه لم يبقين على تلك الصفة، وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف خيرا منهن. هـ. وأجاب أبو السعود: بأن ما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه. هـ. وليس فيه ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يطلق حفصة، فإن تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة.

ثم وصف المبدلات بقوله: {مسلمات مؤمنات} أي: مقرات مخلصات، أو: منقادات مصدقات، {قانتات} ؛ طائعات، فالقنوت: هو القيام بطاعة الله، وطاعة الله في طاعة رسوله، {تائبات} من الذنوب {عابدات} ؛ متعبدات متذللات، {سائحات} ؛ صائمات، وقيل للصائم: سائح؛ لأن السائح لا زاد معه، فلا يزال ممسكا إلى أن يجد من يطعمه، فشبه به الصائم في إمساكه إلى وقت إفطاره، أو: مهاجرات. قال زيد بن أسلم: لم يكن في هذه الأمة سياحة إلا الهجرة، {ثيبات وأبكارا} ، إنما وسط العاطف بين الثيبات

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧/٤٦

والأبكار، دون سائر الصفات؛ لأنهما صفتان متباينتان، وعطف الأبكار على الثيبات من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى، كقوله تعالى: {ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ... } [التوبة: ١٢١] . والله تعالى أعلم.

الإشارة: توجه العتاب له صلى الله عليه وسلم مرتين في تحريم الجارية، وفي إخفائه لذلك، إذ فيه بعض مراقبة الخلق، والعارف لا يراقب إلا الحق، فهذا قريب من قوله تعالى: {وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه} [الأحزاب: ٣٧] ، ففيه من التصوف: أن العارف يكون الناس عنده كالموتى، أو كالهباء في الهواء، وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: " لا يؤمن أحدكم حتى يكون الناس عنده كالأباعر " إذا ليس بيدهم نفع ولا ضر.

وإشارة الآية على ما قال القشيري: وإذ أسر القلب إلى بعض أزواجه، وهي النفس والهوى، حديث المخالفة، على طريق " شاوروهن وخالفوهن " فلما نبأت النفس الهوى لتفعلا ذلك، وأظهره الله عليه بوحي الإلهام، عرف بعضه وأعرض عن بعض، أي: عاتبهما على البعض، وسامحهما في الآخر، فلما نبأ القلب النفس بما أفشت للهوى، قالت: من أنبأك هذا.. الخ، إن تتوبا إلى الله، وتنقادا لحكمه فقد وقع منكما ما يوجب التوبة، وإن تظاهرا على القلب بتزيين المخالفة وتتبع الحظوظ والشهوات، فإن الله هو مولاه، ينصره بالأجناد السماوية والأرضية، من التأييدات والواردات، عسى ربه إن طلقكن." (١)

"ثم قال تعالى: {لا تخفى منكم خافية} أي: سريرة ولا حال كانت تخفى في الدنيا. والجملة: حال من ضمير " تعرضون " أي: تعرضون غير خاف عليه تعالى السرائر، وقرأ أهل الكوفة غير عاصم بالياء؛ لأن تأنيثها مجازي.

الإشارة: فإذا نفخ في صور القلب الغافل، الخالي من الحياة الأبدية، نفخة واحدة، من همة شيخ كامل، إما بوارد شوق مقلق، أو خوف مزعج، وحملت أرض بشريته، وجبال عقله، فدكتا دكة واحدة، فغاب حس البشرية وانخنس، وغاب نور العقل عند سطوع أنوار شمس العرفان، فيومئذ وقعت الواقعة، أي: ظهرت الحقيقة العيانية، وبدلت الأرض غير الأرض، والسموات، فصار الجميع نورا ملكوتيا، أو سرا جبروتيا، وانشقت سماء الأرواح، فظهرت أسرار المعاني خلف رداء الأواني، فهي - أي: الأواني الحسية - يومئذ واهية ضعيفة متلاشية، لا وجود لها من ذاتها، والملك، اي: الواردات الإلهية، والخواطر الملكية، على أرجائها:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٨٤/٧

على أطراف سماء الأرواح، يلهمها العلوم اللدنية، والأعمال الصافية، ويحمل عرش ربك، أي: عرش معرفة الرب، وهو القلب، فهو سرير سلطان المعرفة، ومحل التجليات الذاتية، ثمانية: الصبر، والشكر، والورع، والزهد، والتوكل، والتسليم، والمحبة، **والمراقبة**، وهو عرش المعرفة، يومئذ تعرض الخواطر على القلب، لا يخفى عليه منها شيء، فيقبل الحسن، ويرفع القبيح. والله تعالى أعلم. وذكر في الحاشية الفاسية ما فوق العرش الحسي، وما تحت الأرض السفلى، فقال ما نصه: وفي حديث " فوق السماء السابعة بحر، بين أعلاه وأسفله، كما بين السماء والسماء، وفوق ذلك ثمانية أوعال، بين أظلافهن وركبهن ما بين سماء إلى سماء، وفوق ظهورهن العرش، بين أسفله وأعلاه ما بين سماء إلى السماء، والله تبارك وتعالى فوق ذلك "، وفي حديث آخر: " عدد الأرضين سبع، بين كل واحدة والآخرى خمسمائة سنة، والذي نفس محمد بيده؛ لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله "، ثم قرأ صلى الله عليه وسلم: {هو الأول والآخر والظاهر والباطن} [الحديد: ٣] . هـ.

فتحصل من حديث سيد العارفين، وقدوة الواصلين، أن الحق - جل جلاله - محيط بكل شيء، فأسرار ذاته العلية أحاطت بالوجود بأسره. فما فوق العرش هو عين ما تحت الثرى، فلو صعد أحد إلى ما فوق العرش لوجد الله، ولو هبط إلى ما تحت الأرض السفلى لوجد الله؛ إذ عظمته أحاطته بكل شيء، ومحت وجود كل شيء. واعلم أن الحق جل جلاله منفرد بالوجود، لا شيء معه، غير أن عظمة الذات الخارجة عن دائرة قبضة." (١)

"خلقكم أطوارا، أي: أحوالا مختلفة، خلقكم أولا نطفا، ثم خلقكم علقا، ثم مضغا، ثم عظاما ولحما، ثم إنسانا، ثم خلقا آخر، وبعد ظهوره إلى هذا العالم يكون شبابا، ثم كهلا، ثم شيخا، بالتقصير في توقير من هذه شؤونه من القدرة القاهرة والإحسان التام، مع العلم بها، مما لا يكاد يصدر عن العاقل. والله تعالى أعلم.

الإشارة: ينبغي للداعي أن يكون على قدم أولي العزم، لا يمل من التذكير والدعاء إلى الله، ويكرر ذلك ليلا ونهارا ولو قوبل بالرد والإنكار، فلأن يهدي الله به رجلا واحدا خير له مما طلعت عليه الشمس. وقوله تعالى: {وأصروا واستكبروا} ، قال القشيري: ويقال: لما دام إصرارهم تولد منه استكبارهم، قال تعالى: {فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم} [الحديد: ١٦] . وقال الورتجبي: من أصر على المعصية أورثه التمادي

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٢٥/٧

على الضلالة، حتى يرى قبيح أفعاله مستحسنا، فإذا رآه مستحسنا يستكبر، ويعلو على أولياء الله، ولا يقبل بعد ذلك نصحتهم. قال سهل: الإصرار على الذنب يورث الاستكبار، والاستكبار يورث الجهل، والجهل يورث التخطي في الباطل، وذلك يورث قساوة القلب، وهي تورث النفاق، والنفاق يورث الكفر. هـ.

وقوله تعالى: {استغفروا ربكم} قال القشيري: ليعلم العاملون أن الاستغفار قرع أبواب النعمة، ومن وقعت له إلى الله حاجة فلا يصل إلى مراده إلا بتقديم الاستغفار. ويقال: من أراد التفضل فعليه بالعذر والتنصل. هـ. وقوله: {ما لكم لا ترجون لله وقارا} أي: ما لكم لا تعتقدون لله تعظيما وإجلالا، فلا تراقبونه، ولا تخافون سطوته، فإن المشاهدة على قدر **المراقبة**، فمن لم يحكم أمر **المراقبة** لم يظفر بغاية المشاهدة. وقد خلقكم أطوارا، أي: درج بشريتكم في أطوار مختلفة، وهي سبعة: النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، ثم الجنين، ثم الطفولية، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة، ثم يرتحل إلى دار الدوام، وكذلك الروح لها سبعة أطوار: التوبة ثم الورع، ثم الزهد، ثم التوكل، ثم الرضاء والتسليم، ثم **المراقبة**، ثم المشاهدة. والله تعالى أعلم.

يقول الحق جل جلاله: {ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا} أي: متطابقة بعضها فوق بعض، والرؤية هنا علمية؛ إذ لا يرى بالبصر إلا واحدة، وعلقت بالاستفهام، وعلمهم بذلك من جهة الوحي السابق، أو كانوا منجمين، {وجعل القمر فيهن نورا} أي:." (١)

"والأحسن: أنه مفعول بفعل محذوف، أي: أعني. {وبرزت الجحيم} أي: أظهرت إظهارا بينا لا يخفى على أحد {لمن يرى} كائنا من كان، فلا تتوقف رؤيتها إلا على وجود حاسة البصر، ولا مانع من الرؤية ولا حاجب. يروى أنه يكشف عنها فتلتظي نيرانها كل ذي بصر.

{فأما من طغى} أي: جاوز الحد في العصيان {وآثر الحياة الدنيا} الفانية، فانهمك فيما متع به فيها، ولم يستعد للحياة الآخرة الأبدية بالإيمان والطاعة، {فإن الجحيم} التي ذكر شأنها {هي المأوى} أي: مأواه. فاللام سادة مسد الإضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغي، وجملة " فأما ": جواب " إذا " على طريقة: {فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى ... } [البقرة: ٣٨] ، وقيل: جواب " إذا " محذوف، وهي تفصيل له، أي: إذا جاءت انقسم الناس على قسمين، فأما من طغى.. الخ، والذي يستدعيه فخامة التنزل، ويقتضيه مقام التهويل؛ أن الجواب المحذوف تقديره: يكون من عظائم الشؤون ما لم تشاهده العيون، ثم فصل أحوال الناس بقوله: فأما.. الخ.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧/١٤٦

}
وأما من خاف مقام ربه} أي: مقامه بين يدي مالك أمره يوم الطامة الكبرى، يوم يتذكر الإنسان ما سعى.
{ونهى النفس عن الهوى} المردي، أي: زجرها عن اتباع الشهوات الفانية، ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها، ولم يغتر بزخارفها وزينتها، علما منه بوخامة عاقبتها، وقيل: هو الرجل يهم بالمعصية فيتذكر مقامه للحساب فيتركها. والهوى: ميل النفس إلى ما تهوى من غير تقييد بالشريعة، {فإن الجنة هي المأوى} له لا لغيره، وسيأتي تحقيقه في الإشارة.

الإشارة: فإذا جاءت الطامة، وهو التجلي الجلالي الذي لايعرفه فيه إلا الرجال، يومئذ يتذكر الإنسان ما سعى فيه من علم التوحيد، فمن كان عارفا بالله في جميع الأشياء عرفه في جميع التجليات، كيفما تلونت، ومن كان قاصرا في المعرفة في البعض وأنكره في البعض، كما في حديث القيامة، حيث يتجلى لبعض عباده في صورة لا يعرفونها، فينكرونه، ويقولون، هذا موضعنا حتى يأتينا ربنا، ثم يتجلى لهم في صورة يعرفونها، فيقرونه، وهذا لقصورهم في المعرفة، ولو عرفوا الله في جميع تجلياته ما أنكروه في شيء منها، وبرزت الجحيم لمن يرى، أي: وبرزت حينئذ نار القطيعة لمن يرى. قال القشيري: أي: ظهرت جحيم الحجاب لمن يراه غير الأشياء، فإنه عين الأشياء في جميع التجليات، الجمالية والجلالية، العلوية والسفلية، الصورية والمعنوية. هـ.

فأما من طغى وتبع هواه، وآثر الحياة الدنيا، والاشتغال بها عن الإقبال على الله، فإن الجحيم هي المأوى، أي: جحيم الحرمان عن مشاهدة الرحمن، وأما من خاف مقام ربه، أي: قيام ربه بالأشياء، أو على الأشياء، واطلاعه عليها، أو قيامه بين يدي الله غدا للحساب، فالأول لأهل المشاهدة، والثاني لأهل المراقبة، والثالث لأهل المحاسبة، ونهى." (١)

"فيها "، وعن أنس رضي الله عنه: " صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - فسجدوا ". ولعلهم لم يبلغهم نسخ سجدتها.

{بل الذين كفروا يكذبون} بالقرآن الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأهوالها، مع تحقق موجبات تصديقهم، ولذلك لا يخضعون عند تلاوته {والله أعلم بما يوعدون} ؛ بما يضمرون في قلوبهم، ويخفون في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء، أو: بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء، ويدخرون لأنفسهم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٣٣/٧

من أنواع العذاب، {فبشرهم بعذاب أليم} ؛ أخبرهم يظهر أثره على بشرتهم، {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات} ، استثناء منقطع، {لهم أجر غير ممنون} ؛ غير مقطوع، أو غير ممنون به.

الإشارة: أقسم تعالى بنور بداية الإيمان ونهايته، وما اشتمل عليه ليل الحجاب من أنواع العمال، فقال تعالى " فلا أقسم بالشفق "؛ بنور بداية الإيمان، الذي هو كبياض الشفق، " والليل وما وسق "؛ وليل الحجاب، وما اشتمل عليه من العباد والزهاد والأبرار والعلماء الأتقياء، وقمر الإيمان إذا جنح نوره، وقوي دليله " لتركبن " أيها السالكون، طبقا عن طبق؛ حالا بعد حال، حتى تنتهوا إلى شمس العيان، فأول الأحوال: حال التوبة، ثم حال اليقظة، ثم حال المجاهدة في خرق عوائد النفس، ثم حال **المراقبة**، ثم حال الاستشراف، على الحضرة، ثم حال المشاهدة، ثم حال المعاينة، ثم حال المكالمة، ثم حال الترقي إلى ما لا نهاية له. فما لهم، أي: لأهل الإنكار، لا يؤمنون بسلوك هذا الطريق، وإذا قرىء عليهم القرآن الدال على هذا المنهاج لا يخضعون ولا يتدبرونه حق تدبيره، بل الذين كفروا بطريق الخصوص، يكبون بها. والله أعلم بما يوعون في قلوبهم من الأمراض والعيوب، أو من الإنكار، فبشرهم بعذاب البعد والحجاب، إلا الذين آمنوا وصدقوا بطريق الخصوص، وسلكوها معهم، لهم آجر، وهو مقام الشهود، غير ممنون؛ غير مقطوع، بل تترادف الأنوار والأسرار والكشوفات إلى غير نهاية، أو: غير ممنون به، بل مواهب من الله بلا منة. وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.." (١)

"جهنم} في الآخرة لكفرهم، {ولهم عذاب الحريق} في الدنيا لما تقدم أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم، أو: عذاب الحريق: نار أخرى عظيمة تحرقهم في الآخرة، لسبب فتنتهم للمؤمنين. والجملة: خبر " إن " ودخلت الفاء لتضمين المبتدأ معنى الشرط، ولا ضرر في نسخة بـ " إن " وإن خالف في ذلك الأخفش. الإشارة: والسماء ذات البروج، أي: سماء الحقائق، صاحبة المنازل التي تنزل فيها السالك في ترقبه إليها، من أرض الشرائع، كمقام التوبة، ثم الصبر، ثم الورع، والزهد، ثم التكل، ثم الرضا والتسليم، ثم **المراقبة**، ثم المشاهدة، واليوم الموعود يوم الفتح الأكبر، وهو وقت الخروج من شهود الكون إلى شهود المكون، وشاهد هو الذي يشهد ذات الحق عيانا، ومشهود، هو عظمة الذات العلية وأسرارها وأنوارها. وقال الورتجبي: الشاهد هو والمشهود هو، يرى نفسه بنفسه، أي: لا يراه أحد بالحقيقة سواه، وأيضا: الشاهد هو، إذا تجلى بتجلي الجمال والحس، والمشهود قلوب العارفين شاهدها بنعت الكشف، وأيضا:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٧٣/٧

اشاهد هو قلوب المحبين، والمشهود لقاؤه، وهو شاهدهم وهو مشهودهم، هو شاهد العارف والعارف شاهده. هـ. قتل أصحاب الأخدود، وهم الصادون عن طريق الحق أينما كانوا وكيف كانوا، المعذبون لأهل التوجه، وما نقموا منهم إلا طلب كمال الإيمان، وتحقيق الإيقان. إن الذي فتنوا أهل التوجه ثم لم يتوبوا فلهم عذاب البعد ولهم عذاب الاحتراق بالحرص والتعب والخوف والجزع.

ثم ثنى بأضدادهم، فقال:

يقول الحق جل جلاله: {إن الذين آمنوا} وصبروا على الإيمان {وعملوا الصالحات} من المفتونين وغيرهم {لهم} بسبب ذلك الإيمان والعمل الصالح {جنات تجري من تحتها الأنهار} ، إن أريد بالجنات الأشجار فجريان الأنهار من تحتها ظاهر، وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جريها الظاهرة، فإن أشجارها ساترة لساحتها، كما يعرب عنه اسم الجنة. {ذلك هو الفوز الكبير} الذي تصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها، والفوز: النجاة من الشر والظفر بالخير. والإشارة إما إلى الجنة الموصوفة بما ذكر، والتذكير لتأويلها بما ذكر، وإما إلى ما يفيده قوله: {لهم جنات ... } الخ، من حيازتهم لها، فإن حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا، وما فيه." (١)

"سورة الطارق

يقول الحق جل جلاله: {والسماء والطارق} ، عظم تعالى قدر السماء في أعين الخلق؛ لكونها معدن رزقهم، ومسكن ملائكته، وفيها خلق الجنة، فأقسم بها وبالطارق، والمراد: جنس النجوم، أو جنس الشهب التي يرجم بها، لعظم منفعتها، ثم عظمه ونوه به، فقال: {وما أدراك ما الطارق} بعد أن فخمه بالإقسام به، تنبيها على رفعة قدره بحيث لا يناله إدراك الخلق، فلا بد من تلقيه من الخلاق العليم، أي: أي شيء أعلمك بالطارق، ثم فسره بقوله: {النجم الثاقب} ؛ المضيء، فكأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه، ووصف بالطارق لأنه يبدو بالليل، كما يقال للآتي ليلا: طارق، أو: لأنه يطرق الجني، أي: يصكه. وقيل: المراد به كوكب معهود، قيل: هو الثريا، وقيل زحل، وقيل الجدي.

ثم ذكر المقسم عليه، فقال: {إن كل نفس لما عليها حافظ} ، " إن " نافية، و " لما " بمعنى " إلا " في قراءة من شددها، وهي لغة هذيل، يقولون: " نشدتك الله لما قمت " أي: إلا قمت، أي: ما كل نفس إلا عليها حافظ مهيمن رقيب، وهو الله عز وجل، كما في قوله تعالى: {وكان الله علىا كل شيء رقيبا}

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٧٨/٧

[الأحزاب: ٥٢] أو: من يحفظ عملها، ويحصي عليها ما تكسب من خير أو شر، كما في قوله تعالى: {وإن عليكم لحافظين (١٠) } [الانفطار: ١٠] أو: من يحفظها من الآفات، ويذب عنها، كما في قوله تعالى: {له معقبات من بين." (١)

"اليوم الذي تفضح فيه السرائر، {فما له من قوة} في نفسه يمتنع بها {ولا ناصر} ينتصر به ويدفع عنه غير الله تعالى. ولما كان رفع المكان في الدنيا إما بقوة الأنسان، وإما بنصر غيره له، أخبر الله بنفيهما يوم القيامة.

الإشارة: أقسم تعالى بقلب العارف، لأنه سماء لشمس العرفان وقمر الإيمان ونجوم العلم، وبما يطرقه من الواردات الإلهية والنفحات القدسية، ثم نوه بذلك الطارق، فقال: {وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب} أي: هو نجم العلم الثاقب لظلمة الجهل، إما جهل الشرائع أو جهل الحقائق. إن كل نفس لما عليها حافظ، وهو الله، فإنه رقيب على الظواهر والبواطن، ففيه حث على تدقيق المراقبة ظاهرا وباطنا. فلينظر الإنسان مم خلق في عالم الحكمة من جهة بشريته، خلق من ماء دافق، يخرج من محل البول ويقع في محل البول، فإذا نظر إلى أصل بشريته تواضع وانكسر، وفي ذلك عزه وشرفه، من تواضع رفعه الله. وفيه روح سماوية قدسية، إذا اعتنى بها وزكاها، نال عز الدارين وشرف المنزلين " من عرف نفسه عرف ربه " فالإنسان من جهة بشريته أرضي، ومن جهة روحانيته سماوي، والحكم للغالب منهما. إنه على رجعه: أي: رده إلى أصله، حين برز من عالم الغيب، بظهور روحه، لقادر، فيصير روحانيا سماويا، بعد أن كان بشريا أرضيا، وذلك يوم تبلى السرائر بإظهار ما فيها من المساوىء، ليقع الدواء عليها، فتذهب، فمن لم يفضح نفسه لم يظفر بها، فما لها من قوة على جهادها وإظهار مساوئها بين الأقران إلا بالله، ولا ناصر ينصره على الظفر بها إلا من الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يقول الحق جل جلاله: {والسماء ذات الرجع} أي: المطر، لأنه يرجع حينا بعد حين، وسمته العرب بذلك تفاؤلا، {والأرض ذات الصدع} أي: الشق، لأنها تنصدع عن النبات والأشجار، لا بالعيون كما قيل، فإن وصف السماء بالرجع، والأرض بالشق، عند الإقسام بها على حقية القرآن الناطق بالبعث؛ للإيماء إلى أنهما في أنفسهما من شواهده، وهو السر في التعبير عنه بالرجع والصدع، لأن في تشقق الأرض بالنبات محاكاة للنشور، حسبما ذكر في مواضع من القرآن، لا في تشققها بالعيون. {إنه} أي: القرآن {لقول فصل} ؛

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٨١/٧

فاصل بين الحق والباطل، كما قيل له: فرقانا، وصفه بالمصدر، كأنه نفس الفعل، {وما هو بالهزل} أي: ليس في شيء منه شائبة هزل، بل كله جد محض، ومن حقه - حيث وصفه الله بذلك - أن يكون مهابا في الصدور، معظما في القلوب، يرتفع به قارئه وسامعه، ويهتدي به الغواة، وتخضع له رقاب العتاة.." (١)

"يقول الحق جل جلاله: {إن ربك لبالمرصاد} ، قال ابن عباس: بحيث يرى ويسمع فلا يعزب عنه شيء، ولا يفوته أحد، فتجب مراقبته لا الغفلة عنه في الانهماك في حب العاجلة، كما أشار إليه بقوله: {فأما الإنسان..} الخ، فإنه بضد المراد مما تقتضيه حال **المراقبة** لمن بالمرصاد. هـ. وأصل المرصاد: المكان الذي يترقب فيه الرصد، أي: الانتظار، مفعال، من: رصده، كالميقات من وقته، وهذا تمثيل لإرصاده تعالى بالعصاة، وأنهم لا يفوتونه، قال الطيبي: لما بين تعالى ما فعل بأولئك الطغاة من قوم عاد وثمود وفرعون، حيث صب عليهم سوط العذاب، أتبعه قوله: {إن ربك لبالمرصاد} تخلصا، أي: فعل بأولئك ما فعل، وهو يرصد هؤلاء الكفار الذين طغوا على أفضل البشر وسيد الرسل، مما جاء به من الأمر بمكارم الأخلاق ومعالي الأمور، والنهي عن سفسافها، ورذائلها، فيصب عليهم في الدنيا سوط عذاب، ويعذبهم في الآخرة عذابا فوق كل عذاب، كما قال: {لا يعذب عذابه أحد} [الفجر: ٢٥] .

ثم فصل أحوال الناس بعد أن أعلم أنه مطلع عليهم، فقال: {فأما الإنسان} ، فهو متصل بما قبله، كأنه قيل: إنه تعالى بصدد مراقبته أحوال عباده ومجازاتهم بأعمالهم خيرا أو شرا {فأما الإنسان} الغافل فلا يهمه ذلك، وإنما مطمح نظره ومرصد أفكاره الدنيا ولذائذها، {إذا ما ابتلاه ربه} أي: عامله معاملة من يبتليه ويختبره {فأكرمه ونعمه} ، الفاء تفسيرية، فالإكرام والتنعم هو عين الابتلاء، {فيقول ربي أكرمن} أي: فضلني بما أعطاني من الجاه والمال حسبما كنت أستحقه، ولا يخطر بباله أنه أعطاه ذلك ليبلوه أيشكر أم يكفر، وهو خبر المتبدأ الذي هو " الإنسان "، والفاء لما في " أما " من معنى الشرط، والظرف المتوسط على نية التأخر، كأنه قيل: فأما الإنسان فيقول ربي أكرمني وقت ابتلائه بالإنعام، وإنما قدمه للإيذان من أول مرة بأن الإكرام والتنعم بطريق الابتلاء. ونقل الرضي أن " إذا " هنا جزائية، فقال: وقد تقع كلمة الشرط مع الشرط في جملة أجزاء الجزاء، ثم استشهد بالآية، وقال: والتقدير: فمهما يكن من شيء فإذا ابتلاه يقول. هـ. وقال المرادي: إذا توالى شرطان دون عطف فالجواب لأولهما، والثاني مقيد للأول، كتقييده بحال

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧/٢٨٣

واقعة موقعه، ثم استشهد بما حاصله في الآية: فأما الإنسان حال كونه مبتلى فيقول ... الخ، فالشرط الثاني في معنى الحال، والحال لا تحتاج إلى جواب. هـ. مختصرا انظر الحاشية الفاسية.." (١)

"{ووالد وما ولد} أي: وآدم وجميع ولده، أو نوح وولده، أو إبراهيم وولده، أو إسماعيل ونبينا صلى الله عليه وسلم، ويؤيده أنه حرم إبراهيم ومنشأ إسماعيل، ومسكن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أو محمد صلى الله عليه وسلم وولده، أو جنس كل والد ومولود. {لقد خلقنا الإنسان} أي: جنسه {في كبد} ؛ في تعب ومشقة، فإنه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح إلى حين نزعها، يكابد مشاق التعلم، ثم مشاق القيام بأمور الدين وأمور معاشه وهموم دنياه وآخرته، ثم يكابد نزع روحه، ثم سؤاله في قبره، ثم تعب حشره، ومقاساة شدائد حسابه، ثم مروره على الصراط، فلا راحة له إلا بعد دخول الجنة لتكون حلوة عنده، هذا في عموم الناس، وأما خواص العارفين فقد استراحوا حين وصلوا إلى معرفة الحق، فأسقطوا عنهم الأحمال؛ لتحققهم أنهم محمولون بالقدرة الأزلية، فلما أسقطوا حملهم قام الله بأمرهم، لقوله: {ومن يتوكل عى الله فهو حسبه} [الطلاق: ٣] ، يقال: كبد الرجل كبدا: إذا وجعت كبده من مرض أو تعب.

{

أيحسب أن لن يقدر عليه أحد} أي: أيظن الإنسان الكافر أن لن يقدر على بعثه أحد، أو: أيظن بعض الإنسان ألن يغلبه أحد، فعلى هذا نزلت في معين، قيل: هو أبو الأشدين الجمحي، رجل من قريش كان شديد القوة، مغترا بقوته، كان يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه، ويقول: من أزالني عنه فله كذا، فيجذبه عشرة فيتقطع قطعا، ولا تزال قدماه، وقيل: عمرو بن عبد ود، وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة، وقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه. {يقول أهلكت مالا لبدا} أي: كثيرا، جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض، يريد كثرة ما أنفقه، مما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ومعالي، رياء وفخرا. {أيحسب أن لم يره أحد} ؟ حين كان ينفق ما ينفق رياء وسمعة، وأنه تعالى لا يحاسبه ولا يجازيه، يعني: أن الله كان يراه وكان عليه رقيبا فيجازيه عليه.

ثم ذكر نعمه عليه، فقال: {ألم نجعل له عينين} يبصر بهما المرئيات، {ولسانا} يعبر به عما في ضميره، {وشفتين} يستر بهما فاه، ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغيرها، {وهديناه النجدين}

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧/ ٣٠٠

أي: طريقي الخير والشر المفضيان إلى الجنة أو النار، فهو كقوله: {إنا هديناه السبيل ... } [الإنسان: ٣] الآية. وليس المراد بالهدى معنى الإرشاد، بل معنى الإلهام، أو: الثديين، وأصل النجد: المكان المرتفع، ومنه سميت نجد، لارتفاعها عما انخفض من الحجاز.

الإشارة: أقسم تعالى ببلد المعاني، التي هي أسرار الذات، ووالد، وهو الروح الأعظم وما تولد منه من الأرواح الجزئيات، لقد خلق الإنسان في كبد: في تعب الظاهر والباطن إلا من رجع إلى أصله، أعني: روحانيا قدسيا، فإنه حينئذ يستريح من تعب الطبع. قال الكواشي: عن بعضهم: الإنسان في كبد ما دام قائما بطبعه، واقفا بحاله، فإنه في ظلمة وبلاء، فإذا فني عن أوصاف إنسانيته، بفناء طبائعه عنه، صار في راحة. هـ.." (١)

"والحاصل: أن الإنسان كله في تعب إلا من عرف الله تعالى معرفة العيان، فإنه في روح وريحان، وجنات ورضوان. أيحسب الجاهل أن لن يقدر على حمل أثقاله أحد، فلذلك أتعب نفسه في تدبير شؤونه، بلى نحن قادرون على حمل حمله إن أسقطه توكلا علينا. ألم نجعل له عينين، فلينظر بهما من حمل السموات والأرض، أليس ذلك بقادر على حمل أثقاله؟ فليرح نفسه من تعب التدبير، فما قام به عنه غيره لا يقوم به هو عن نفسه، وجعلنا له لسانا يشكر به نعم مولاه، وشفتين يصمت بهما عما لا يعنيه، وهديناه الطريقين؛ الشريعة والحقيقة، فإذا سلكهما وصلناه إلينا.

أيحسب أن لن يقدر عليه أحد} أي: أيظن الإنسان الكافر أن لن يقدر على بعثه أحد، أو: أيظن بعض الإنسان ألن يغلبه أحد، فعلى هذا نزلت في معين، قيل: هو أبو الأشدين الجمحي، رجل من قريش كان شديد القوة، مغترا بقوته، كان يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه، ويقول: من أزالني عنه فله كذا، فيجذبه عشرة فيتقطع قطعا، ولا تزال قدماه، وقيل: عمرو بن عبد ود، وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة، وقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه. {يقول أهلكت مالا لبدا} أي: كثيرا، جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض، يريد كثرة ما أنفقه، مما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ومعالي، رياء وفخرا. {أيحسب أن لم يره أحد} ؟ حين كان ينفق ما ينفق رياء وسمعة، وأنه تعالى لا يحاسبه ولا يجازيه، يعني: أن الله كان يراه وكان عليه رقيبا فيجازيه عليه.

ثم ذكر نعمه عليه، فقال: {ألم نجعل له عينين} يبصر بهما المرئيات، {ولسانا} يعبر به عما في ضميره،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧/٣٠٥

{وشفتين} يستر بهما فاه، ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغيرها، {وهديناه النجدين} أي: طريقي الخير والشر المفضيان إلى الجنة أو النار، فهو كقوله: {إنا هديناه السبيل ... } [الإنسان: ٣] الآية. وليس المراد بالهدى معنى الإرشاد، بل ىمعنى الإلهام، أو: الثديين، وأصل النجد: المكان المرتفع، ومنه سميت نجد، لارتفاعها عما انخفض من الحجاز.

الإشارة: أقسم تعالى ببلد المعاني، التي هي أسرار الذات، ووالد، وهو الروح الأعظم وما تولد منه من الأرواح الجزئيات، لقد خلق الإنسان في كبد: في تعب الظاهر والباطن إلا من رجع إلى أصله، أعني: روحانيا قدسيا، فإنه حينئذ يستريح من تعب الطبع. قال الكواشي: عن بعضهم: الإنسان في كبد ما دام قائما بطبعه، واقفا بحاله، فإنه في ظلمة وبلاء، فإذا فني عن أوصاف إنسانيته، بفناء طبائعه عنه، صار في راحة. هـ.." (١)

"من عند أنفسهم، استحلته أنفسهم، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم، حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، كأنهم لا يعلمون، ثم قالوا: اعرضوا هذا الكتاب على بني إسرائيل، فإن تابعوكم فاتركوهم، وإلا فاقتلوهم. ثم اتفقوا أن يرسلوه إلى عالم من علمائهم، [وقالوا] : إن هو تابعنا لم يخالفنا أحد، وإلا قتلتموه، فلا يختلف علينا بعده أحد، فأرسلوا إليه، فكتب كتاب الله في ورقة، وجعلها في قرن، وعلقها في عنقه، ثم لبس عليه ثيابه، وأتاهم، فعرضوا عليه كتابهم، وقالوا: أتؤمن بهذا؟ فأومئ إلى صدره، وقال: آمنت بهذا - يعني المعلق على صدره - فافترقت بنو إسرائيل على بضع وسبعين ملة. هـ.

قال تعالى: {وكثير منهم فاسقون} خارجون عن دينهم، رافضون لما في الكتابين، أي: وقليل منهم مؤمنون، فنهى الله تعالى المؤمنين أن يكونوا مثلهم. وقال ابن عطية: الإشارة بقوله: {أوتوا الكتاب} إلى بني إسرائيل المعاصرين لموسى عليه السلام، ولذلك قال: {من قبل} ، وإنما شبه أهل عصر نبي بأهل عصر نبي، وقوله: {فطال عليهم الأمد} قيل: أمد الحياة، وقيل: أمد انتظار القيامة. هـ. وقال مقاتل: {الأمد} هنا: الأمل، أي: لما طالت آمالهم لا جرم قست قلوبهم. هـ. قيل: إن الصحابة ملوا ملالة، فقالوا: حدثنا، فنزل: {نحن نقص عليك أحسن القصص} [يوسف: ٣] ، وبعد مدة قالوا: لو ذكرتنا، فنزلت هذه السورة.

وهذه الآية {اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها} قيل: هذا تمثيل لأثر الذكر في القلوب، وأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض، وفيه إرشاد إلى أن طريق زوال القسوة ليس إلا الالتجاء إلى الله، ونفى الحول والقوة؛ لأنه تعالى القادر وحده على ذلك، كما أنه وحده يحيي الأرض، {قد بينا لكم الآيات} التي من

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧/٣٠٥

جملتها هذه الآية، {لعلكم تعقلون} كي تعقلوا ما فيها، وتعملوا بموجبها، فتفوزوا بسعادة الدارين. والله تعالى أعلم.

الإشارة: خشوع القلب لذكر الله هو ذهوله وغيبته عند سطوع أنوار المذكور، فيغيب الذاكر في المذكور، وهو الفناء، والخشوع لسماع ما نزل من الحق: أن يسمعه من الحق، لا من الخلق، وهو أقصى درجات المقربين. ثم نهى تعالى الخواص أن يتشبهوا بأهل العلوم الرسمية اللسانية؛ لأنه طال بهم الأمل، وتنافسوا في الرئاسة، وتهالكوا في الحظوظ العاجلة، حتى قست قلوبهم، وخرجوا عن الإرادة بالكلية، قال القشيري: وقسوة القلب إنما تحصل من اتباع الشهوة؛ فإن الشهوة والصفوة لا يجتمعان، وموجب القسوة: انحراف القلب عن مراقبة الرب، ويقال: موجب القسوة أوله خطرة، فإن لم تتدارك صارت فكرة، وإن لم تتدارك صارت عزيمة، فإن لم تتدارك صارت مخالفة، فإن لم تتلاف صارت قسوة، وبعد ذلك طبع ودين. هـ. وحينئذ لا ينفع الوعظ والتذكير، كما قال:." (١)

"الإشارة: أقسم تعالى بأرواح المتوجهين، التي تعدو على الخواطر الردية، فتمحوها بقهرية المراقبة، وتقدح من زند القلب نور الفكرة والنظرة، وتغير على أعدائها من الدنيا والهوى والنفس والشيطان، فتقهرهم بسيوف المخالفة عند سطوع المشاهدة، وتثير غبار المساوىء والذنوب بريح الهداية والتوبة، فيذهب في الهواء، وتوسط جمعا من العلوم والأسرار، فتحوزهم في خزانة قلبها وسرها، غنيمة وذخيرة، وجوابه: إن الإنسان لربه لكنود، مع أنه مغروق في النعم، وهو لا يشعر ولا يشكر، لغفلته وعدم تفكره، وهذا الإنسان هو الغافل الجاهل.

قال الورتجبي: الإنسان لا يعرف ما أعطاه الله من نعمه بالحقيقة، وإنه لكفور إذ لا يعرف منعمه، ثم قال عن الواسطي: الكنود يعد ما منه من الطاعات، وينسى ما من الله به عليه من الكرامات. هـ. وإنه على ذلك لشهيد؛ يشهد كفره وعصيانه وبخله بحسب جبلته، وإنه لحب الخير لشديد، يأثره على معرفة مولاه، فخسر خسرانا مبينا، أفلا يعلم ما يحل به إذا بعثر ما في القبور، فتظهر الأبطال من الأرذال، وحصل ما في الصدور

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧/٣١٩

من المعارف وأنواع الكمال، إن ربهم بهم يومئذ لخبير، فيجازي أهل الإحسان وأهل الخذلان، كلا بما يليق به. وبالله التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.." (١)

"يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم، {أولئك حزب الشيطان} أي: جنوده وأتباعه، {ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون} أي: الموصوفون بالخسران الذي لا غياية وراءه، حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم، وأخذوا بدله العذاب الأليم، وفي تصدير الجمة بحرفي التنبيه والتحقيق، وإظهار الشيطان معا في موضع الإضمار، وتوسيط ضمير الفصل، من فنون التأكيد ما لا يخفى.

الإشارة: منافقون الصوفية هم الذين يقرون أهل الظاهر وينصرونهم، وينكرون على أهل الباطن، فإذا لقوهم أظهروا لهم المودة والوفاق، وادعوا أنهم منهم، فهم مذبذبون بين ذلك، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، ليسوا من أهل الظاهر المحض، ولا من أهل الباطن، لعدم تحققهم به، تجر الآية ذيلها عليهم. والعذاب المعد لهم غم الحجاب، وتخلفهم عن درجات المقربين. قوله تعالى: {اتخذوا أيمانهم جنة} قال القشيري: من استتر بحجة طاعته لأجل دنياه؛ انكشف لسهام التقدير من حيث لا يشعر، ثم لا دينه يبقى، ولا دنياه تسلم. قال تعالى: {لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا} الآية. هـ. يوم يبعثهم الله جميعا فيتحاشون إلى المقربين، ويحلفون بلسان حالهم: أنهم كانوا منهم، كما يحلفون اليوم، ويظنون أنهم من أهل الباطن، ويحسبون أنهم على شيء، فيبدوا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، وذلك لعدم صحبتهم للعارفين المخلصين، حصل لهم الغلظ، فوقفوا مع حسبانهم الضال، ولو دامت صحبتهم لأهل التوحيد الخاص لتنبهوا لغلطهم. استحوذ عليهم الشيطان، فزين لهم الوقوف مع ما هم فيه، فأنساهم ذكر العيان، فكانوا من حزب الشيطان في الجملة، بالنسبة إلى من فوقهم. قال شاة الكرماني: علامة استحواذ الشيطان على العبد: أن يشغله بعمارة ظاهره، من المأكل والملبس، ويشغل قلبه عن التفكر في آلاء الله ونعمائه، والقيام بشكرها، ويشغل لسانه عن ذكر ربه، بالكذب والغيبة والبهتان، ويشغل قلبه عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها. هـ.

يقول الحق جل جلاله: {إن الذين يحادون الله ورسوله} أي: يخالفونهما، ويجعلون بينهم وبينهما حدا، وهم حزب الشيطان المتقدم، {أولئك في} جملة {الأذلين} لا ترى أحدا أذل منهم من الأولين والآخرين؛ لأن ذلة أحد المتخاصمين على قدر عزة الآخر، وحيث كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من يحاده

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٤٣/٧

كذلك. {كتب الله} في اللوح وقضاه، وحيث جرى مجرى القسم أجيب بما يجاب به، فقال: {لأغلبن أنا ورسلي} بالحجة والسيف، أو بأحدهما، وهو تعليل لما قبله من كون من حاد الله في." (١)

"حلوان كاهن وأجرة الغنا ... ونائح ورشوة مهر الزنا

هكذا قيل، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار الآية، ذكر في هذه الآية الكريمة أن النوم وفاة، وأشار في موضع آخر إلى أنه وفاة صغرى، وأن صاحبها لم يمت حقيقة، وأنه تعالى يرسل روحه إلى بدنه حتى ينقضي أجله، وأن وفاة الموت التي هي الكبرى قد مات صاحبها، ولذا يمسك روحه عنده، وذلك في قوله تعالى: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون [٣٩ \ ٤٢] .

قوله تعالى: ويرسل عليكم حفظة الآية، لم يبين هنا ماذا يحفظون، وبينه في مواضع أخر، فذكر أن مما يحفظونه بدن الإنسان، بقوله: له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله [١٣ \ ١١] ، وذكر أن مما يحفظونه جميع أعماله من خير وشر، بقوله: وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون [٨٢ \ ١٠، ١١، ١٢] ، وقوله: إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [٥٠ \ ١٧، ١٨] ، وقوله: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون.

قوله تعالى: وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، نهى الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - في هذه الآية الكريمة عن مجالسة الخائضين في آياته، ولم يبين كيفية خوضهم فيها، التي هي سبب منع مجالستهم، ولم يذكر حكم مجالستهم هنا، وبين ذلك كله في موضع آخر، فبين أن خوضهم فيها بالكفر والاستهزاء بقوله: وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم الآية [٤ \ ١٤٠] .

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٤٩/٧

وبين أن من جالسهم في وقت خوضهم فيها مثلهم في الإثم، بقوله: إنكم إذا مثلهم، وبين حكم من جالسهم ناسيا، ثم تذكر بقوله هنا: وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين [٦ \ ٦٨] ، كما تقدم في سورة النساء.

قوله تعالى: فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي، الآيات، قوله: هذا ربي [٦ \ ٧٦] ، في المواضع الثلاثة محتمل لأنه كان يظن ذلك، كما روي عن ابن عباس وغيره،." (١)

"الكريمة أنه يقص على عباده يوم القيامة ما كانوا يعملونه في الدنيا، وأخبرهم بأنه جل وعلا لم يكن غائبا عما فعلوه أيام فعلهم له في دار الدنيا، بل هو **الرقيب** الشهيد على جميع الخلق، المحيط علمه بكل ما فعلوه من صغير وكبير، وجليل وحقير، وبين هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم [٥٨ \ ٧] ، وقوله: يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم [٥٧ \ ٤] وقوله: وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين [١٠ \ ٦١] .

تنبيه

في هذه الآية الكريمة الرد الصريح على المعتزلة النافين صفات المعاني، القائلين: إنه تعالى عالم بذاته، لا بصفة قامت بذاته، هي العلم، وهكذا في قولهم: قادر مريد، حي سميع، بصير متكلم، فإنه هنا أثبت لنفسه صفة العلم بقوله: فلنقصن عليهم بعلم \ [٧ \ ٧] ٣٠ ونظيره قوله تعالى: أنزله بعلمه الآية [٤ \ ١٦٦] . وهي أدلة قرآنية صريحة في بطلان مذهبهم الذي لا يشك عاقل في بطلانه وتناقضه.

قوله تعالى: والوزن يومئذ الحق بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن وزنه للأعمال يوم القيامة حق أي لا جور فيه، ولا ظلم، فلا يزاد في سيئات مسيء، ولا ينقص من حسنات محسن.

وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر كقوله: ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١/٤٨٥

مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين [٢١ \ ٤٧] ، وقوله: إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها الآية [٤ \ ٤٠] إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون.." (١)

"على شرطه.

والظاهر أن المراد بالمتاع الحسن: سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا، وأن المراد بالأجل المسمى: الموت، ويدل لذلك قوله تعالى في هذه السورة الكريمة عن نبيه هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم [١١ \ ٥٢] ، وقوله تعالى عن «نوح» : فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا [٧١ \ ١٠ - ١٢] ، وقوله تعالى: من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة الآية [١٦ \ ٩٧] ، وقوله: ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض الآية [٧ \ ٩٦] ، وقوله: ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم [٥ \ ٦٦] ، وقوله: ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب [٦٥ \ ٢، ٣] ، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور.

يبين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه لا يخفى عليه شيء، وأن السر كالعلانية عنده، فهو عالم بما تنطوي عليه الضمائر وما يعلن وما يسر، والآيات المبينة لهذا كثيرة جدا، كقوله: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد [٥٠ \ ١٦] ، وقوله جل وعلا: واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه وقوله: فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين [٧ \ ٧] ، وقوله: وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٨/٢

ذرة في الأرض ولا في السماء الآية [١٠ \ ٦١] ، ولا تقلب ورقة من المصحف الكريم إلا وجدت فيها آية بهذا المعنى.

تنبيه مهم

اعلم أن الله تبارك وتعالى ما أنزل من السماء إلى الأرض واعظا أكبر، ولا زاجرا أعظم مما تضمنته هذه الآيات الكريمة وأمثالها في القرآن، من أنه تعالى عالم بكل ما يعمله خلقه، رقيب عليهم، ليس بغائب عما يفعلون، وضرب العلماء لهذا الواعظ الأكبر، والزاجر الأعظم مثلا ليصير به كالمحسوس، فقالوا: لو فرضنا أن ملكا قتالا للرجال،." (١)

"سفاكا للدماء، شديد البطش والنكال على من انتهك حرمته ظلما، وسيافه قائم على رأسه، والنطع مبسوط للقتل، والسيف يقطر دما، وحول هذا الملك الذي هذه صفته جواريه وأزواجه وبناته، فهل ترى أن أحدا من الحاضرين يهم بريبة أو بحرام يناله من بنات ذلك الملك وأزواجه، وهو ينظر إليه عالم بأنه مطلع عليه؟ ! لا، وكلا! بل جميع الحاضرين يكونون خائفين، وجلة قلوبهم، خاشعة عيونهم، ساكنة جوارحهم خوفا من بطش ذلك الملك.

ولا شك «ولله المثل الأعلى» أن رب السموات والأرض جل وعلا أشد علما، وأعظم مراقبة، وأشد بطشا، وأعظم نكالا وعقوبة من ذلك الملك، وحماه في أرضه محارمه، فإذا لاحظ الإنسان الضعيف أن ربه جل وعلا ليس بغائب عنه، وأنه مطلع على كل ما يقول وما يفعل وما ينوي لان قلبه، وخشي الله تعالى، وأحسن عمله لله جل وعلا.

ومن أسرار هذه الموعظة الكبرى أن الله تبارك وتعالى صرح بأن الحكمة التي خلق الخلق من أجلها هي أن يبتليهم أيهم أحسن عملا، ولم يقل: أيهم أكثر عملا، فالابتلاء في إحسان العمل، كما قال تعالى في هذه السورة الكريمة: وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا الآية [١١ \ ٧] .

وقال في الملك: الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور [٦٧ \ ٢] .

ولا شك أن العاقل إذا علم أن الحكمة التي خلق من أجلها هي أن يبتلى - أي يختبر بإحسان العمل - فإنه يهتم كل الاهتمام بالطريق الموصلة لنجاحه في هذا الاختبار، ولهذه الحكمة الكبرى سأل جبريل النبي

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢/ ١٧٠

صلى الله عليه وسلم عن هذا ليعلمه لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أخبرني عن الإحسان» أي وهو الذي خلق الخلق لأجل الاختبار فيه، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الطريق إلى ذلك هي هذا الواعظ، والزاجر الأكبر الذي هو مراقبة الله تعالى، والعلم بأنه لا يخفى عليه شيء مما يفعل خلقه، فقال له: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

واختلف العلماء في المراد بقوله في هذه الآية الكريمة ألا إنهم يثنون صدورهم [١١ \ ٥] ، وقوله: يستغشون ثيابهم [١١ \ ٥] ، وفي مرجع الضمير في قوله: منه [١١ \ ٥] .." (١)

"هذه السورة الكريمة.

وقوله: ويأتينا فردا، أي: منفردا لا مال له ولا ولد ولا خدم ولا غير ذلك، كما قال تعالى: ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة الآية [٦ \ ٩٤] ، وقال تعالى: وكلهم آتيه يوم القيامة فردا [١٩ \ ٩٥] كما تقدم إيضاحه.

فإن قيل: كيف عبر جل وعلا في هذه الآية الكريمة بحرف التنفيس الدال على الاستقبال في قوله: سنكتب ما يقول مع أن ما يقوله الكافر يكتب بلا تأخير، بدليل قوله تعالى: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [٥٠ \ ١٨] .

فالجواب: أن الزمخشري في كشافه تعرض للجواب عن هذا السؤال بما نصه:.

قلت: فيه وجهان، أحدهما: سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله، على طريقة قول زائد بن صعصعة الفقعسي:

إذ ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ... ولم تجدي من أن تقري بها بدا

أي: تبين وعلم بالانتساب أني لست بابن لئيمة.

والثاني: أن المتوعد يقول للجاني: سوف أنتقم منك، يعني أنه لا يخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخر، فجردها هنا لمعنى الوعيد. انتهى منه بلفظه، إلا أنا زدنا اسم قائل البيت وتكملته.

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أنه يكتب ما يقول هذا الكافر، ذكر نحوه في مواضع متعددة من كتابه، كقوله تعالى: قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون [١٠ \ ٢١] وقوله تعالى: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون [٤٣ \ ٨٠] ، وقوله تعالى: هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون [٤٥ \ ٢٩] وقوله تعالى: ستكتب شهادتهم ويسألون

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢/١٧١

[٤٣ \ ١٩] وقوله تعالى: سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق [٣ \ ١٨١] ، وقوله تعالى: كلا بل تكذبون بالدين وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون [٨٢ \ ٩ - ١١] وقوله تعالى: ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها [١٨ \ ٤٩] ، وقوله تعالى: ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا [١٧ \ ١٣] ، إلى غير ذلك من الآيات.." (١)

"أن معنى الزيادة الحاصلة في الأرض هي أن النبات لما كان نابتا فيها متصلا بها صار كأنه زيادة حصلت في نفس الأرض.

وقال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة: والاهتزاز: الحركة على سرور، فلا يكاد يقال: اهتز فلان لكيت وكيت، إلا إذا كان الأمر من المحاسن والمنافع. اهـ منه.

والاهتزاز أصله: شدة الحركة، ومنه قوله:

تثنى إذا قامت وتهتز إن مشت كما اهتز غصن البان في ورق خضر

وقوله: وأنبتت؛ أي: أنبت الله فيها من كل زوج؛ أي: صنف من أصناف النبات والزرع، والثمار: بهيج؛ أي: حسن، والبهجة: الحسن. ومنه قوله تعالى: فأنبتنا به حدائق ذات بهجة تقول: بهج بالضم بهاجة فهو بهيج: إذا كان حسنا، وقرأ عامة السبعة: وربت، وهو من قولهم: ربا يربو: إذا نما وزاد، وقرأ من الثلاثة أبو جعفر يزيد بن القعقاع: وربأت بهمزة مفتوحة بعد الباء؛ أي ارتفعت، كأنه من الربيئة أو الربيئي، وهو **الرقيب** الذي يعلو على شيء مشرف يحرس القوم ويحفظهم.

ومنه قول امرئ القيس:

بعثنا ربيئا قبل ذاك مخملا ... كذئب الغضا يمشي الضراء ويتقي

وما أشار إليه جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أن إحياء الأرض بعد موتها برهان قاطع على قدرة من فعل ذلك على إحياء الناس بعد موتهم ؛ لأن الجميع إحياء بعد موت، وإيجاد بعد عدم بينه في آيات كثيرة، وقد قدمنا في سورة البقرة والنحل كثرة الاستدلال بهذا البرهان في القرآن على البعث، وذكرنا الآيات الدالة على ذلك كقوله تعالى: ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير [٤١ \ ٣٩] ، وقوله تعالى: ويحيي الأرض بعد موتها

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥٠٨/٣

وكذلك تخرجون [٣٠ \ ١٩] ؛ أي: من قبوركم أحياء بعد الموت، وقوله تعالى: وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج [٥٠ \ ١١] ؛ أي: خروجكم من القبور أحياء بعد الموت، وقوله تعالى: حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون [٧ \ ٥٧] ، وقوله: فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير [٣٠ \ ٥٠] ، وقوله تعالى: فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور." (١)

"وقد قدمناها بكثرة في سورة «البقرة» ، وسورة «النحل» ، في الكلام على براهين البعث، وقدمنا الإحالة على ذلك مرارا.

وأما الثاني منها وهو كونه يكتب ما قدموا في دار الدنيا، فقد جاء في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون [٤٣ \ ٨٠] ، وقوله تعالى: هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون [٤٥ \ ٢٩] ، وقوله تعالى: وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا [١٧ \ ١٣ - ١٤] ، وقوله تعالى: ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها الآية [١٨ \ ٤٩] ، وقوله تعالى: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [٥٠ \ ١٨] . وقد قدمنا بعض الكلام على هذا في سورة «الكهف» .

وأما الثالث منها وهو كونهم تكتب آثارهم، فقد ذكر في بعض الآيات أيضا.

واعلم أن قوله: وآثارهم، فيه وجهان من التفسير معروفان عند العلماء.

الأول منهما: أن معنى ما قدموا: ما باشروا فعله في حياتهم، وأن معنى آثارهم: هو ما سنوه في الإسلام من سنة حسنة أو سيئة، فهو من آثارهم التي يعمل بها بعدهم.

الثاني: أن معنى آثارهم: خطاهم إلى المساجد ونحوها من فعل الخير، وكذلك خطاهم إلى الشر، كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم» ، يعني: خطاكم من بيوتكم إلى مسجده صلى الله عليه وسلم.

أما على القول الأول: فالله جل وعلا قد نص على أنهم يحملون أوزار من أضلوهم وسنوا لهم السنن السيئة ؛ كما في قوله تعالى: ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الآية [١٦ \

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٧٩/٤

٢٥] ، وقوله تعالى: وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم [٢٩ \ ١٣] .
وقد أوضحنا ذلك في سورة «النحل» ، في الكلام على قوله تعالى: ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الآية [١٦ \ ٢٥]." (١)

"النص من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، إذا احتمل التأسيس والتأكيد معا وجب حمله على التأسيس، ولا يجوز حمله على التأكيد، إلا لدليل يجب الرجوع إليه.
ومعلوم في اللغة العربية، أن العطف يقتضي المغايرة، فآية «الصافات» هذه، دليل واضح للمنصف على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق، ويستأنس لهذا بأن المواضع التي ذكر فيها إسحاق يقينا عبر عنه في كلها بالعلم لا الحلم، وهذا الغلام الذبيح وصفه بالحلم لا العلم.
وأما الموضع الثاني الدال على ذلك الذي ذكرنا أنه في سورة «هود» ، فهو قوله تعالى: وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب [١١ \ ٧١] ؛ لأن رسل الله من الملائكة بشرتها بإسحاق، وأن إسحاق يلد يعقوب، فكيف يعقل أن يؤمر إبراهيم بذبحه، وهو صغير، وهو عنده علم يقين بأنه يعيش حتى يلد يعقوب.
فهذه الآية أيضا دليل واضح على ما ذكرنا، فلا ينبغي للمنصف الخلاف في ذلك بعد دلالة هذه الأدلة القرآنية على ذلك، والعلم عند الله تعالى.

تنبيه

اعلم أن قصة الذبيح هذه تؤيد أحد القولين المشهورين عند أهل الأصول في حكمة التكليف، هل هي للامتثال فقط، أو هي مترددة بين الامتثال والابتلاء؟ لأنه بين في هذه الآية الكريمة أن حكمة تكليفه لإبراهيم بذبحه ولده ليست هي امتثاله ذلك بالفعل، لأنه لم يرد ذبحه كونا وقدرا، وإنما حكمة تكليفه بذلك مجرد الابتلاء والاختبار، هل يصمم على امتثال ذلك أو لا؟ كما صرح بذلك في قوله تعالى: إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم [٣٧ \ ١٠٦ - ١٠٧] ، فتبين بهذا أن التحقيق أن حكمة التكليف مترددة بين الامتثال والابتلاء. وإلى الخلاف المذكور أشار في «مراقي السعود» ، بقوله:
للامتثال كلف الرقيب ... فموجب تمكنا مصيب

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٩١/٦

أو بينه والابتلا ترددا ... شرط تمكن عليه انفقدا

وقد أشار بقوله: فموجب تمكنا مصيب، وقوله: شرط تمكن عليه انفقدا، إلى أن شرط التمكن من الفعل في التكليف، مبني على الخلاف المذكور، فمن قال: إن الحكمة في التكليف هي الامتثال فقط اشترط في التكليف التمكن من الفعل ؛ لأنه لا امتثال إلا مع." (١)

"وقوله – تعالى –: والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون [٢ \ ٢٥٧] . وقوله – تعالى –: إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون [٧] . وقوله – تعالى –: إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه [٣ \ ١٧٥] . أي يخوفكم أولياءه. وقوله – تعالى –: فقاتلوا أولياء الشيطان الآية [٤ \ ٧٦] .

وقد وبخهم – تعالى – على اتخاذهم الشيطان وذريته أولياء من دونه – تعالى – في قوله: أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا.

وقد أمر – جل وعلا – باتباع هذا القرآن العظيم، ناهيا عن اتباع الأولياء المتخذين من دونه – تعالى – في أول سورة الأعراف في قوله – تعالى – اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون [٧ \ ٣] .

وقد علمت من الآيات المذكورة أن أولياء الكفار الذين اتخذوهم وعبدوهم من دون الله نوعان: الأول منهما: الشياطين، ومعنى عبادتهم للشيطان طاعتهم له فيما يزين لهم من الكفر والمعاصي، فشركهم به شرك طاعة، والآيات الدالة على عبادتهم للشياطين بالمعنى المذكور كثيرة، كقوله – تعالى –: ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان الآية [٣٦ \ ٦٠] . وقوله – تعالى – عن إبراهيم يا أبت لا تعبد الشيطان الآية [١٩ \ ٤٤] . وقوله – تعالى –: إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا [٤ \ ١١٧] ، أي وما يعبدون إلا شيطانا مريدا. وقوله – تعالى –: قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون [٣٤ \ ٤١] . وقوله – تعالى – إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون [١٦ \ ١٠٠] . وقوله – تعالى – وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون [٦ \ ١٢١] . إلى غير ذلك من الآيات.

والنوع الثاني: هو الأوثان، كما بين ذلك – تعالى – بقوله: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى الآية [٣٩

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣١٨/٦

\ ٣] .

وقوله – تعالى – في هذه الآية الكريمة: الله حفيظ عليهم، أي رقيب عليهم حافظ." (١)

"وأما القول بأن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى الكتاب – فهو خلاف ظاهر القرآن، ولم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة.

الوجه الرابع: هو أن القول الأول الصحيح واضح لا إشكال فيه، ولا يحتاج إلى تأويل ولا تخصيص، بخلاف القول الآخر، فهو مشكل لا يكاد يصدق إلا مع تخصيص، والتأويلات التي يروونها فيه عن ابن عباس وغيره ظاهرة البعد والسقوط ؛ لأنه على القول بأن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى عيسى، فلا إشكال ولا خفاء، ولا حاجة إلى تأويل، ولا إلى تخصيص.

وأما على القول بأنه راجع إلى الكتابي فإنه مشكل جدا بالنسبة لكل من فاجأه الموت من أهل الكتاب، كالذي يسقط من عال إلى أسفل، والذي يقطع رأسه بالسيف وهو غافل، والذي يموت في نومه ونحو ذلك، فلا يصدق هذا العموم المذكور في الآية على هذا النوع من أهل الكتاب، إلا إذا ادعى إخراجهم منه بمخصص.

ولا سبيل إلى تخصيص عمومات القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه من المخصصات المتصلة أو المنفصلة.

وما يذكر عن ابن عباس من أنه سئل عن الذي يقطع رأسه من أهل الكتاب، فقال: إن رأسه يتكلم بالإيمان بعيسى، وإن الذي يهوي من عال إلى أسفل يؤمن به وهو يهوي – لا يخفى بعده وسقوطه، وأنه لا دليل البتة عليه كما ترى.

وبهذا كله تعلم أن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى عيسى، وأن تلك الآية من سورة " النساء " تبين قوله – تعالى – هنا: وإنه لعلم للساعة كما ذكرنا.

فإن قيل: إن كثيرا ممن لا تحقيق عندهم يزعمون أن عيسى قد توفي، ويعتقدون مثل ما يعتقده ضلال اليهود والنصارى، ويستدلون على ذلك بقوله – تعالى -: إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلي [٣ \ ٥٥] . وقوله: فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم [٥ \ ١١٧] .

فالجواب أنه لا دلالة في إحدى الآيتين البتة على أن عيسى قد توفي فعلا.." (٢)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٣/٧

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٣١/٧

"وقوله: فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة [١٧ \ ٥١] ، والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة، وقد أوضحنا الآيات الدالة على براهين البعث التي يكثر الاستدلال عليه بها في القرآن، كخلق الناس أولا، وخلق السماوات والأرض وما فيهما وإحياء الأرض بعد موتها، وغير ذلك في مواضع متعددة من هذا الكتاب المبارك في البقرة والنحل والحج والجاثية وغير ذلك، وأحلنا على ذلك مرارا كثيرة.

قوله تعالى: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه.
قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة هود في الكلام على قوله تعالى: ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور [١١ \ ٥] .

قوله تعالى: إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد.
قوله إذ: منصوب بقوله: أقرب، أي نحن أقرب إليه من حبل الوريد في الوقت الذي يتلقى فيه الملكان جميع ما يصدر منه، والمراد أن الذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد في وقت كتابة الحفظة أعماله لا حاجة له لكتب الأعمال، لأنه عالم بها، لا يخفى عليه منها شيء، وإنما أمر بكتابة الحفظة للأعمال لحكم أخرى كإقامة الحجة على العبد يوم القيامة، كما أوضحه بقوله: ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا [١٧ \ ١٣ - ١٤] ، ومفعول التلقي في الفعل الذي هو يتلقى، والوصف الذي هو المتلقيان محذوف تقديره: إذ يتلقى المتلقيان جميع ما يصدر عن الإنسان فيكتبانه عليه.
قال الزمخشري: والتلقي التلقن بالحفظ والكتابة اهـ منه، والمعنى واضح لأن الملك يتلقى عمل الإنسان عند صدوره منه فيكتبه عليه، والمتلقيان هما الملكان اللذان يكتبان أعمال الإنسان، وقد دلت الآية الكريمة على أن مقعد أحدهما عن يمينه ومقعد الآخر عن شماله.." (١)

"والقعيد: قال بعضهم: معناه القاعد، والأظهر أن معناه المقاعد، وقد يكثر في العربية إطلاق الفعيل وإرادة المفاعل، كالجليس بمعنى المجالس، والأكيل بمعنى المآكل، والنديم بمعنى المنادم، وقال بعضهم: القعيد هنا هو الملازم، وكل ملازم دائما أو غالبا يقال له قعيد، ومنه قول متمم بن نويرة التميمي:

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٢٦/٧

قعيدك ألا تسمعيني ملامة ولا تنكئي قرح الفؤاد فييجعا والمعنى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، وهو أسلوب عربي معروف، وأنشد له سيبويه في كتابه قول عمرو بن أحمر الباهلي:

رماني بأمر كنت منه ووالدي ... بريئا ومن أجل الطوي رماني

وقول قيس بن الخطيم الأنصاري:

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأي مختلف

وقول ضابئ بن الحارث البرجمي:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإني وقيار بها لغريب

فقول ابن أحمر: كنت منه ووالدي بريئا أي كنت بريئا منه وكان والدي بريئا منه.

وقول ابن الخطيم: نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض: أي نحن راضون وأنت راض.

وقول ضابئ بن الحارث: فإني وقيار بها لغريب: يعني: إني لغريب وقيار غريب، وهذا أسلوب عربي معروف، ودعوى أن قوله في الآية: قعيد هي الأولى أخرت وحذفت الثانية لدلالتها عليها لا دليل عليه، ولا حاجة إليه كما ترى، لأن المحذوف إذا صحت الدلالة عليه بالأخير فلا حاجة إلى أن هذا الأخير أصله هو الأول، ولا دليل عليه.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ما يلفظ من قول، أي ما ينطق بنطق ولا يتكلم بكلام إلا لديه، أي إلا والحال أن عنده رقيبا، أي ملكا مراقبا لأعماله حافظا لها شاهدا عليها لا يفوته منها شيء. عتيد: أي حاضر ليس بغائب يكتب عليه ما يقول من خير وشر، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الإنسان عليه حفظة من الملائكة." (١)

"يكتبون أعماله، جاء موضحا في آيات كثيرة من كتاب الله. كقوله تعالى: وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون [٨٢ \ ١٠ - ١٢] ، وقوله تعالى: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون [٤٣ \ ٨٠] ، وقوله تعالى: وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون [٤٥ \ ٢٨ - ٢٩]

وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى: كلا سنكتب ما يقول الآية [١٩ \ ٧٩]

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٢٧/٧

وفي سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: ستكتب شهادتهم ويسألون [٤٣ \ ١٩] ، وقد ذكر جماعة من أهل العلم أن القعيد الذي هو عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات، وأن صاحب الحسنات أمين على صاحب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: أمهله ولا تكتبها عليه لعله يتوب أو يستغفر؟ وبعضهم يقول: يمهله سبع ساعات. والعلم عند الله تعالى.

تنبيه:

اعلم أن العلماء اختلفوا في عمل العبد الجائز الذي لا ثواب ولا عقاب عليه، هل تكتبه الحفظة عليه أو لا؟ فقال بعضهم: يكتب عليه كل شيء حتى الأنين في المرض، وهذا هو ظاهر قوله: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [٥٠ \ ١٨] ؛ لأن قوله: «من قول» نكرة في سياق النفي زيدت قبلها لفظة «من» ، فهي نص صريح في العموم.

وقال بعض العلماء: لا يكتب من الأعمال إلا ما فيه ثواب أو عقاب، وكلهم مجمعون على أنه لا جزاء إلا فيما فيه ثواب أو عقاب فالذين يقولون: لا يكتب إلا ما فيه ثواب أو عقاب، والذين يقولون: يكتب الجميع - متفقون على إسقاط ما لا ثواب فيه ولا عقاب، إلا أن بعضهم يقولون: لا يكتب أصلا، وبعضهم يقولون: يكتب أولا، ثم يمحى. وزعم بعضهم أن محو ذلك، وإثبات ما فيه ثواب أو عقاب هو معنى قوله تعالى:." (١)

"[٦٦ \ ٦] .

فكان أحد الأمرين بالتقوى يكفي لذلك ويشمله، ويكون الأمر بالتقوى الثاني لمعنى جديد، وفي الآية ما يرشد إليه، وهو قوله تعالى: ما قدمت، لأن " ما " عامة كما قدمنا وصيغة " قدمت " على الماضي يكون الأمر بتقوى الله أولا بالنسبة لما مضى وسبق من عمل تقدم بالفعل، ويكون النظر بمعنى المحاسبة والتأمل على معنى الحديث: " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا " فقد ذكره ابن كثير.

فإذا ما نظر في الماضي وحاسب نفسه، وعلم ما كان من تقصير أو وقوع في محظور، جاءه الأمر الثاني بتقوى الله لما يستقبل من عمل جديد ومراقبة الله تعالى عليه: والله بما تعملون خبير [٢ \ ٢٣٤] ، فلا

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٢٨/٧

يكون هناك تكرار، ولا يكون توزيع، بل بحسب مدلول عموم " ما " وصيغة الماضي " قدمت " والنظر للمحاسبة.

تنبيه

مجيء «قدمت» بصيغة الماضي حث على الإسراع في العمل، وعدم التأخير؛ لأنه لم يملك إلا ما قدم في الماضي، والمستقبل ليس بيده، ولا يدري ما يكون فيه: وما تدري نفس ماذا تكسب غدا [٣١ \ ٣٤] ، وكما في قوله صلى الله عليه وسلم: «حجوا قبل ألا تحجوا» ، وقوله تعالى: وسارعوا إلى مغفرة من ربكم [٣ \ ١٣٣] ، وقوله تعالى: ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون [٥٩ \ ١٩] .

بعد الحث على تقوى الله، وعلى الاجتهاد في تقديم العمل الصالح ليوم غد جاء التحذير في هذه الآية من النسيان والترك وألا يكون كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، ولم يبين هنا من هم الذين حذر من أن يكونوا مثلهم في هذا النسيان، وما هو النسيان والإنساء المذكوران هنا.

وقد نص القرآن على أن الذين نسوا الله هم المنافقون في قوله تعالى في سورة «التوبة» : المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون [٩ \ ٦٧] ، وهذا عين الوصف الذي وصفوا به في سورة «الحشر» وقوله تعالى: فنسيهم أي: أنساهم أنفسهم؛ لأن الله تعالى لا ينسى: لا يضل ربي ولا ينسى [٢ \ ٥٢] ، وما كان ربك نسيا." (١)

"حديث الشفاعة: «فيلهمني ربي بمحامد لم أكن أعرفها من قبل» ، والواقع أنه لا تعارض بين الحديثين.

لأن الأول: يتعلق بعدد معين، وبما يترتب عليها من الجزاء.

والحديث الثاني: يتعلق ببيان أقسام أسمائه تعالى، من حيث العلم بها وتعليمها وما أنزل منها.

وقد ذكر هذا الجمع ابن حجر في الفتح في كتاب الدعوات عند باب: لله مائة اسم غير واحد.

وقد حاول بعض العلماء استخراج المائة اسم من القرآن فزادوا ونقصوا؛ لاعتبارات مختلفة، وقد أطال في

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٨/٥٤

الفتح بحث هذا الموضوع في أربع عشرة صحيفة مما لا غنى عنه ولا يمكن نقله، ولا يصلح تلخيصه.

وقد ذكر من أفردها بالتأليف.

كما أن القرطبي ذكر أنه ألف فيها، وأساس البحث يدور على نقطتين:

الأولى: تعيين المائة اسم المرادة.

والثانية: معنى أحصاها، وفي رواية حفظها.

وقد حضرت مجلسا للشيخ - رحمة الله تعالى عليه - في بيته مع الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وسأله عن الصحيح في ذلك، فكان حاصل ما ذكر في ذلك المجلس أن التعيين لم يأت فيه نص صحيح، وأن الإحصاء أو الحفظ لا ينبغي حمله على مجرد الحفظ للألفاظ غيبا، ولكن يحمل على أحصى معانيها وحفظها من التحريف فيها والتبديل والتعطيل، وحاول التخلق بحسن صفاتها كالحلم والعفو والرأفة والرحمة والكرم، ونحو ذلك، والحذر من مثل الجبار والقهار، ومراقبة مثل: الحسيب الرقيب، وكذلك التعرض لمثل التواب والغفور بالتوبة وطلب المغفرة، والهادي والرزاق بطلب الهداية والرزق ونحو ذلك.

ونقل القرطبي عن ابن العربي عند قوله تعالى: فادعوه بها [٧ \ ١٨٠] أي: اطلبوا منه بأسمائه، فيطلب بكل اسم ما يليق به تقول: يا رحمان ارحمني، يا رزاق." (١)

"الآخر، إلى آخر ما جاء في الآية الكريمة، ينتج حسن الخلق هو الإيمان بالله واليوم الآخر وما عطف عليه.

وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الدين كله بأقسامه الثلاثة:

الإسلام من صلاة وزكاة. إلخ.

والإيمان بالله وملائكته. إلخ.

ومن إحسان في وفاء وصدق وصبر، وتقوى الله تعالى ؛ إذ هي مراقبة الله سرا وعلنا، وقد ظهرت نتيجة عظم هذه الأخلاق في الرحمة العامة الشاملة في قوله تعالى: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين [٢١ \ ١٠٧]

.

وكذلك للأمة يوم القيامة، كما قال - صلى الله عليه وسلم -: «أقربكم مني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا» .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٧٤/٨

وهي قضية منطقية أخرى: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين.
فمكارم الأخلاق رحمة للعالمين في الدنيا، ومنزلة عليا للمؤمنين في الآخرة.

تنبيه آخر.
اتفق علماء الاجتماع أن أسس الأخلاق أربعة:
هي: الحكمة، والعفة، والشجاعة، والعدالة.
ويقابلها رذائل أربعة:
هي الجهل، والشره، والجبن، والجور.
ويتفرع عن كل فضيلة فروعها:
الحكمة: الذكاء وسهولة الفهم، وسعة العلم. وعن العفة: القناعة، والورع، والحياء، والسخاء، والدعة، والصبر، والحرية. وعن الشجاعة: النجدة، وعظم الهمة. وعن السماحة: الكرم، والإيثار، والمواساة، والمسامحة.." (١)
"قوله تعالى: فأما من أوتي كتابه بيمينه
تقدم للشيخ - رحمه الله - بيان قضية أخذ الكتب وحقيقتها، عند قوله تعالى: ووضع الكتاب [١٨ \ ٤٩] في سورة (الكهف) .
وكذلك بحثها في كتابه دفع إيهام الاضطراب، وبيان القسم الثالث من وراء ظهره، وفي هذا التفصيل في حق الكتاب والكتابة وتسجيل الأعمال وإيتائها بنصوص صريحة واضحة، كقوله تعالى: ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه [١٨ \ ٤٩] .
وقولهم صراحة: ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها [١٨ \ ٤٩] .
وقوله: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [٥٠ \ ١٨] .
وقوله: اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا [١٧ \ ١٤] ، فهو كتاب مكتوب ينشر يوم القيامة يقرؤه كل إنسان بنفسه، مما يرد قول من يجعل أخذ الكتاب باليمين أو الشمال كناية عن اليمن والشؤم. وهذا في الواقع إنما هو من شؤم التأويل الفاسد، وبدون دليل عليه، والمسمى عند الأصوليين باللعب. نسأل

---
(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٨/ ٢٥١

الله السلامة والعافية.

قوله تعالى: إنى ظننت أنى ملاق حسابيه

والظن واسطة بين الشك والعلم، وقد يكون بمعنى العلم إذا وجدت القرائن، وتقدم للشيخ بيانه عند قوله تعالى: ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها [١٨ \ ٥٣] ، أي: علموا بقرينة قوله: ولم يجدوا عنها مصرفا [١٨ \ ٥٣] ، وهو هنا بمعنى العلم ؛ لأن العقائد لا يصلح فيها الظن، ولا بد فيها من العلم والجزم. وقد دل القرآن على أن الظن قد يكون بمعنى العلم، بمفهوم قوله تعالى: إن بعض الظن إثم [٤٩ \ ١٢] ، فمفهومه أن بعضه ليس إثما، فيكون حقا، وكذلك قوله تعالى: الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم [٢ \ ٤٦] .

قوله تعالى: ما أغنى عني ماليه.." (١)

"على هذه الآية، وفي سورة «الأنعام» على قوله تعالى: قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله الآية [٦ \ ١٢٨] ، وهو بحث مطول، وسيطبع الكتاب - بإذن الله تعالى - مع هذه التتمة.

وذكر القرطبي في معنى الحقب آثارا عديدة منها: عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «والله لا يخرج من النار من دخلها حتى يكون فيها أحقابا. الحقب: بضع وثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوما، كل يوم ألف سنة مما تعدون. فلا يتكلن أحدكم على أنه يخرج من النار» . ذكره الثعلبي.

وقد رجح القرطبي دوامهم - أي: الكفار في النار - أبد الآبدين. اهـ.

وكل شيء أحصيناه كتابا

قيل المراد بالشيء هنا: أعمال العباد، أي: أنه بعد قوله: جزاء وفاقا [٧٨ \ ٢٦] ، أي: وفق أعمالهم بدون زيادة ولا نقص، قال: وقد أحصينا أعمالهم وكتبناها، وهذا كقوله تعالى: ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٨/٢٦٠

حاضرا ولا يظلم ربك أحدا [١٨ \ ٤٩] .

وقوله: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [٥٠ \ ١٨] ، وقوله: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره [٩٩ \ ٧ - ٨] ، وقوله: أحصاه الله ونسوه [٥٨ \ ٦] .

واللفظ عام في كل شيء، ويشهد له قوله تعالى: إنا كل شيء خلقناه بقدر [٥٤ \ ٤٩] وبقدر فيه معنى الإحصاء، وفي السنة: حديث القلم المشهور، وكقوله: وكل شيء أحصيناه في إمام مبين [٣٦ \ ١٢] ، وتقدم في سورة «الجن» قوله تعالى: وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا [٧٢ \ ٢٨] .

وهذه الآية أعظم الدلالات على قدرته تعالى وسعة علمه، وألا يفوته شيء قط، وأنه يعلم بالجزئيات علمه بالكليات.

وكما تقدم في سورة «المجادلة» : ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم [٥٨ \ ٧] .." (١)

"أي كل نفس، كما تقدم في سورة «التكوير» .

وقد تكلم الشيخ - رحمة الله تعالى علينا وعليه - على ذلك في دفع إيهام الاضطراب في سورة «الانفطار» هذه، عند نفس الآية.

قوله تعالى: الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك

تقدم للشيخ - رحمة الله تعالى علينا وعليه - بيان ذلك في سورة «الكهف» عند قوله تعالى: قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا [١٨ \ ٣٧] ، أي: هذه أطوار الإنسان في خلقته.

ومما يشهد لحسن الخلقة وكمال الصورة قوله تعالى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم [٩٥ \ ٤] .

واختلاف الصور إنما هو من آيات الله وابتداء من الرحم، كما قال: هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء [٣ \ ٦] .

وتقدم في صورة «الحشر» : هو الله الخالق البارئ المصور [٥٩ \ ٢٤] .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٨/٤١١

وفي اختلاف الصور على تشابهها من أعظم آيات الله تعالى.

قوله تعالى: وإن عليكم لحافظين كرام كاتبين يعلمون ما تفعلون

تقدم للشيخ - رحمة الله تعالى علينا وعليه - بيان ذلك في سورة «ق» عند الكلام على قوله تعالى: إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [٥٠ \ ١٧ - ١٨] .

وأحال عندها على بعض ما جاء في سورة «مريم» عند قوله تعالى: كلا سنكتب ما يقول [١٩ \ ٧٩] . وبين - رحمة الله تعالى علينا وعليه - أن هذه الكتابة لإقامة الحجة على الإنسان، كما في قوله: ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا [١٧ \ ١٣ - ١٤] .

وقيل في «حافظين» : يحفظون بدن الإنسان.." (١)

"الثالثة قد يكون أخبره ؛ لأنه قال: لعله يزكى، فهو وإن لم يصرح: هل هو تزكى أم لا؟ إلا أن لعل من الله تعالى للتحقيق، كما هو معلوم.

تنبيه آخر.

قال كثير من المفسرين: أقسم الله بالسماء، وبالنجم الطارق ؛ لعظم أمرهما، وكبر خلقهما، كما في قوله: فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم [٥٦ \ ٧٥ - ٧٦] ؛ ولأنه أقسم بالنجم إذا هوى. وفيما تقدم للشيخ - رحمة الله تعالى علينا وعليه - ترجيح كون مواقع النجوم: والنجم إذا هوى [٥٣ \ ١] : إنما هو نجوم القرآن، وتنزيله منجما وهو به نزول الملك به على النبي - صلى الله عليه وسلم -.

قوله تعالى: إن كل نفس لما عليها حافظ

قيل: «حافظ» لأعماله يحصيها عليه، كما في قوله: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [٥٠ \ ١٨] .

وقيل: «حافظ» أي: حارس، كقوله تعالى: له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله [١٣ \ ١١] ، والسياق يشهد للمعنيين معا ؛ لأن قوله تعالى بعده: فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٨/٤٥٠

يخرج من بين الصلب والترائب [٨٦ \ ٥ - ٧] يدل على أنه في تلك المراحل في حفظ، فهو أولا: «في قرار مكين» [٢٣ \ ١٣] .

وفي الحديث: «أن الله وكل بالرحم ملكا» . الحديث.

وبعد بلوغه سن التكليف يجري عليه القلم، فيحفظ عليه عمله، فلا مانع من إرادة المعنيين معا، وليس هذا من حمل المشترك على معنييه ؛ لأن كلا من المعنيين له متعلق يختص بزمن خلاف الآخر.

قوله تعالى: فلينظر الإنسان مم خلق

«الإنسان» هنا خاص ببني آدم وذريته عامة، ولم يدخل فيه آدم ولا حواء ولا عيسى - عليه السلام - لأنه بين ما خلق منه، وهو في قوله تعالى: خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب.." (١)

"بلده مسقط رأسه فصبر، ولم يدع عليهم، ورضي الدخول في جوار رجل مشرك وهذا هو المناسب ؛ لقوله بعده لقد خلقنا الإنسان في كبد [٩٠ \ ٤] ، وهذا من أعظمه.

فإذا كان كل إنسان يكابد في حياته، أيا كان هو، ولأي غرض كان، فمكابدتك تلك جديرة بالتقدير والإعظام، حتى يقسم بها. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ووالد وما ولد

قيل: الوالد: هو آدم، وما ولد، قيل: «ما» نافية. وقيل: مصدرية.

فعلى أنها نافية: أي: وكل عظيم لم يولد له.

وعلى المصدرية: أي: بمعنى الولادة من تخليص نفس من نفس، وما يسبق ذلك من تلقيح وحمل، ونمو الجنين، وتفصيله وتخليقه، وتسهيل ولادته.

وقيل: «ووالد وما ولد» : كل والد مولود من حيوان وإنسان.

وقد رجح بعض العلماء أن الوالد هو آدم، وما ولد ذريته، بأنه المناسب مع هذا البلد ؛ لأنها أم القرى، وهو أبو البشر، فكأنه أقسم بأصول الموجودات وفروعها.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٩٢/٨

قوله تعالى: لقد خلقنا الإنسان في كبد

تقدم بيانه عند قوله تعالى: يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه [٨٤ \ ٦] .

قوله تعالى: يقول أهلكت مالا لبدا أيحسب أن لم يره أحد لم يبين أيراه أحد؟ ومن الذي يراه؟

ومعلوم أنه سبحانه وتعالى يراه، ولكن جاء الجواب مقرونا بالدليل والإحصاء في قوله تعالى بعده: ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين [٩٠ \ ٨ - ١٠] ؛ لأن من جعل للإنسان عينين يبصر بهما، ويعلم منه خائنة الأعين، ولسانا ينطق به ويحصي عليه: «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» [٥٠ \ ١٨] ، وهداه الطريق، طريق البذل وطريق الإمساك، وإذا كان الأمر كذلك ؛ فلن ينفق درهما إلا وهو سبحانه يعلمه ويراه.." (١)

"بسيطة من باب التحيل أو نحوه، من استبدال شيء مكان شيء، فيكون طريقا لاستبدال طيب بخبيث، فجاء قوله تعالى: وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا [٤ \ ٢] .

والحوب: أعظم الذنب، ففيه النهي عن استبدال طيب ماله بخبيث مال الولي أو غيره حسدا له على ماله، كما نهى عن خلط ماله مع مال غيره كوسيلة لأكله مع مال الغير، وهذا منع للتحيل، وسد للذريعة ؛ حفظا لماله.

ثم يأتي الوعيد الشديد في صورة مفزعة في قوله تعالى: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا [٤ \ ١٠] .

وقد اتفق العلماء: أن الآية شملت في النهي عن أكل أموال اليتامى كل ما فيه إتلاف أو تفويت، سواء كان بأكل حقيقة، أو باختلاس، أو بإحراق، أو إغراق، وهو المعروف عند الأصوليين بالإلحاق بنفي الفارق، إذ لا فرق في ضياع مال اليتيم عليه، بين كونه بأكل أو إحراق بنار أو إغراق في ماء حتى الإهمال فيه، فهو تفويت عليه وكل ذلك حفظا لماله.

وأخيرا، فإذا تم الحفاظ على ماله لم يقربه إلا بالتي هي أحسن، ولم يبدله بغيره أقل منه، ولم يخلطه بماله

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥٣١/٨

ليأكله عليه، ولم يعتد عليه بأي إتلاف كان محفوظا له، إلى أن يذهب يتمه ويثبت رشده، فيأتي قوله تعالى: وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا [٤ \ ٦] .

ثم أحاط دفع المال إليه بموجبات الحفظ بقوله في آخر الآية: فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم [٤ \ ٦] أي: حتى لا تكون مناكرة فيما بعد.

وفي الختام ينبه الله فيهم وازع مراقبة الله بقوله: وكفى بالله حسيبا [٤ \ ٦] وفيه إشعار بأن أمواله تدفع إليه بعد محاسبة دقيقة فيما له وعليه.

ومهما يكن من دقة الحساب، فالله سيحاسب عنه، وكفى بالله حسيبا، وهذا كله في حفظ ماله.

أما جلب المصالح، فإننا نجد فيها أولا جعله مع الوالدين والأقربين في عدة." (١)

"نفس هذه السورة معنى الرسالة، لما قدمنا من أن القراءة باسم ربك، إشعار بأنه مرسل من ربه إلى من يقرأ عليهم، ففيها إثبات الرسالة من أول بدء الوحي.

تنبيه

في قوله تعالى: الذي علم بالقلم، مبحث التعليم ومورد سؤال، وهو إذا كان تعالى تمدح بأنه علم بالقلم وأنه علم الإنسان ما لم يعلم، فكان فيه الإشادة بشأن القلم، حيث إن الله تعالى قد علم به، وهذا أعلى مراتب الشرف مع أنه سبحانه قادر على التعليم بدون القلم، ثم أورده في معرض التكريم في قوله: ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون [٦٨ \ ١ - ٢] ، وعظم المقسم عليه وهو نعمة الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بالوحي، يدل على عظم المقسم به، وهو القلم وما يسطرون به من كتابة الوحي وغيره.

وقد ذكر القلم في السنة أنواعا متفاوتة، وكلها بالغة الأهمية.

منها: أولها وأعلاها:

القلم الذي كتب ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة، والوارد في الحديث: «أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب» الحديث.

فعلى رواية الرفع، يكون هو أول المخلوقات ثم جرى بالقدر كله، وبما قدر وجوده كله.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٨/٥٦٥

ثانيها: القلم الذي يكتب مقادير العام في ليلة القدر من كل سنة، المشار إليه بقوله: فيها يفرق كل أمر حكيم [٤٤ \ ٤] .

ثالثها: القلم الذي يكتب به الملك في الرحم ما يخص العبد من رزق وعمل.

رابعها: القلم الذي بأيدي الكرام الكاتبين المنوه عنه بقوله تعالى: ما يلفظ من قول إلا لديه **رقيب** عتيد [٥٠ \ ١٨] ، أي بالكتابة كما في قوله: كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون [٨٢ \ ١١ - ١٢] ، إذا قلنا إن الكتابة في ذلك تستلزم قلما، كما هو الظاهر.

خامسها: القلم الذي بأيدي الناس يكتبون به ما يعلمهم الله، ومن أهمها أقلام كتاب الوحي، الذين كانوا يكتبون الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتابة سليمان لبلقيس.." (١)

"وعليها تعليق لأخت صلاح الدين الأيوبي، وذكر صاحب التراتيب الإدارية قوله: وقد ثبت عن كثير من نساء أهل الصحراء الإفريقية خصوصا شنقيط: شنجط، أي شنقيط، وهي المعروفة الآن بموريتانيا، وتيتبكتو، وقبيلة كنت العجب، حتى جاء أن الشيخ المختار الكنتي الشهير، ختم مختصر خليل للرجال، وختمته زوجته في جهة أخرى للنساء. اهـ.

ومما يؤيد ما ذكره أننا ونحن في بعثة الجامعة الإسلامية لإفريقيا، سمعنا ونحن في مدينة أطار وهي على مقربة من مدينة شنجيط المذكورة، سمعنا من كبار أهلها أنه كان يوجد بها سابقا مائتا فتاة يحفظن المدونة كاملة.

وقد سمعت في الآونة الأخيرة، أنه كانت توجد امرأة تدرس في المسجد النبوي، الحديث، والسيرة، واللغة العربية وهي شنقيطية.

ويجب أن تكون النظرة لهذه المسألة على ضوء واقع الحياة اليوم وفي كل يوم، وقد أصبح تعليم المرأة من متطلبات الحياة، ولكن المشكلة تكمن في منهج تعلىمها، وكيفية تلقيها العلم.

فكان من اللازم أن يكون منهج تعليمها قاصرا على النواحي التي يحسن أن تعمل فيها كالتعليم والطب وكفى.

أما كيفية تعليمها، فإن مشكلتها إنما جاءت من الاختلاط في مدرجات الجامعات، وفصول الدراسة في الثانويات في فترة المراهقة، وقلة **المراقبة**، وفي هذا يكمن الخطر منها وعليها في آن واحد، فإذا كان لا

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٩/١٨

بد من تعليمها، فلا بد أيضا من المنهج الذي يحقق الغاية منه، ويضمن السلامة فيه، والتوفيق من الله سبحانه.

أما ما يخشى عليها من الاتصال عن طريق الكتابة، فقد وجد ما هو أقرب وأسرع منها لمن شاءت وهو الهاتف في البيوت، فإنه في متناول المتعلمة والجاهلة. والمدار في ذلك كله على الحصانة التربوية والمتانة الدينية والقوة الأخلاقية.

وقد أوردت هذا المبحث استطرادا لبيان وجهة النظر في هذه المسألة، اقتباسا من قوله تعالى: الذي علم بالقلم، وبالله التوفيق.." (١)

"وقد عم الحكم في ذلك بقوله تعالى: إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير [٦٧ \ ١٢] .

وفي هذه الآية السر الأعظم، وهو كون الخشية في الغيبة عن الناس، وهذا أعلى مراتب **المراقبة** لله، والخشية أشد الخوف.." (٢)

"(١٩١٦٤) - عن عبد الملك ابن جريج - من طريق ابن ثور - (وما أصابك من سيئة) قال: قول آخر: الجدب، والمطر؛ السيئة، والحسنة (فمن نفسك) عقوبة بذنبك أخرجه ابن المنذر (٢) / (٨٠١) - .

(١٩١٦٥) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قوله: (وما أصابك من سيئة فمن نفسك)، قال: بذنبك - كما قال لأهل أحد: (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) [آل عمران: (١٦٥)] بذنوبكم أخرجه ابن جرير (٧) / (٢٤٣) - .

(وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا (٧٩))

(١٩١٦٦) - عن أبي صالح باذام - من طريق السدي - أرسل، قال: بعث أخرجه ابن أبي حاتم (٣) / (١٠١١) - .

(١٩١٦٧) - قال مقاتل بن سليمان: (وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا)، يعني: فلا شاهد أفضل من الله بأنك رسوله تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٣٩١) - .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٢/٩

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥٥/٩

(من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا (٨٠))

نزول الآية

(١٩١٦٨) - قال مقاتل بن سليمان: (من يطع الرسول فقد أطاع الله)، وذلك: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال في المدينة: «من أحبني فقد أحب الله، ومن أطاعني فقد أطاع الله» - فقال المنافقون: ألا تسمعون إلى هذا الرجل وما يقول! لقد قارب الشرك، وهو ينهى ألا يعبد إلا الله، فما حمله على الذي قال إلا أن نتخذه حنانا - يعنون: ربا - كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم حنانا؟! فأنزل الله تصديقا لقول نبيه - صلى الله عليه وسلم -: (من يطع الرسول فقد أطاع الله) تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٣٩١) - (٣٩٢) - .

تفسير الآية

(من يطع الرسول فقد أطاع الله)

(١٩١٦٩) - عن عبد الله بن عمر، قال: كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نفر من أصحابه، فقال: «يا هؤلاء، ألستم تعلمون أني رسول الله إليكم؟» - قالوا: بلى - قال: «ألستم تعلمون أن الله أنزل في كتابه أنه من أطاعني فقد أطاع الله؟» - قالوا: بلى، نشهد أنه من أطاعك فقد أطاع الله، وإن من طاعته طاعتك - قال: «فإن من طاعة الله أن تطيعوني، وإن من طاعتي أن تطيعوا أئمتكم، وإن صلوا قعودا فصلوا قعودا أجمعين» أخرجه أحمد (٩) / (٤٩٠) - (٤٩١) ((٥٦٧٩))، وابن حبان (٥) / (٤٧٠) ((٢١٠٩))، وابن المنذر (٢) / (٨٠١) - (٨٠٢) ((٢٠٣٤)) - قال الهيثمي في المجمع (٢) / (٦٧) ((٢٣٤٢)): «رجاله ثقات» - وقال المتقي الهندي في كنز العمال (٥) / (٧٨٢) ((١٤٣٧٤)): «رجاله ثقات» - وقال الكاندهلوي في حياة الصحابة (٢) / (٣٠١): «رجاله ثقات» - .

(١٩١٧٠) - عن الربيع بن خثيم - من طريق سفيان - قال: حرف وأيما حرف: (من يطع الرسول فقد أطاع الله)، فوض إليه فلا يأمر إلا بخير أخرجه ابن المنذر ((٢٠٣٥))، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢) / (١٢١٦) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(١٩١٧١) - عن الربيع بن خثيم - من طريق منذر - قال: كان يتحاكم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الجاهلية قبل الإسلام، واختص في الإسلام - قال الربيع: وحرف وحرف (من يطع الرسول فقد أطاع الله) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ((٤٠٧)) - .

(ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا (٨٠))

(١٩١٧٢) - قال مقاتل بن سليمان: (ومن تولى) أعرض عن طاعتهما (فما أرسلناك عليهم حفيظا) يعني: رقيبا تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٣٩١) - (٣٩٢) - ذكر ابن عطية ((٢) / (٦١٠)) في قوله: (حفيظا) احتمالين، فقال: «و (حفيظا) يحتمل معنيين؛ أي: ليحفظهم حتى لا يقعوا في الكفر والمعاصي ونحوه، أو ليحفظ مساوئهم وذنوبهم ويحسبها عليهم» - .

نزول الآية، والنسخ فيها

(١) ".

"يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة حتى يأمن جاره بوائقه» أخرجه أحمد (٢٠) / (٣٤٣) ((١٣٠٤٨)) - قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ص (٩٩٧): «أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت، والخرائطي في مكارم الأخلاق، بسند فيه ضعف» - وقال الهيثمي في المجمع (١) / (٥٧) ((١٨٦)): «رواه أحمد، وفيه علي بن مسعدة، وثقه يحيى بن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره» - وأورده الألباني في الصحيحة (٦) / (٨٢٢) ((٢٨٤١)) - .

(٢٠١٦٨) - عن أسود بن أصرم المحاربي، قال: قلت: يا رسول الله، أوصني - قال: «هل تملك لسانك؟» - قلت: فما أملك إذا لم أملك لساني؟! قال: «فهل تملك يدك؟» - قلت: فما أملك إذا لم أملك يدي؟! قال: «فلا تقل بلسانك إلا معروفا، ولا تبسط يدك إلا إلى خير» أخرجه الطبراني في الكبير (١) / (٢٨١) ((٨١٧))، والبيهقي في الشعب (٧) / (١٥) - (١٦) ((٤٥٨٣)) واللفظ له - قال البخاري في التاريخ الكبير (١) / (٤٤٣) ((١٤٢١)): «وفي إسناده نظر» - وأورده الألباني في الصحيحة (٤) / (٨٢) - (٨٣) ((١٥٦٠)) - وقد أورد السيوطي (٥) / (١٠) - (١٤) آثارا أخرى في الحث على الصمت وذم كثرة الكلام - .

(٢٠١٦٩) - عن سلمان الفارسي، قال: أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في معصية الله أخرجه ابن أبي شيبة (١٣) / (٣٣١) - (٣٣٢)، وأحمد في الزهد ص (١٥٠) - .

(٢٠١٧٠) - عن عطاء بن أبي رباح - من طريق محمد بن سوقة - قال: إن من قبلكم كانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو أن تنطق في معيشتك التي لا بد لك منها - أتذكرون أن عليكم حافظين، كراما كاتبين، وعن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٥٢/١٠

لديه رقيب عتيد؟! أما يستحي أحدكم لو نشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره وليس فيها شيء من أمر آخرته! أخرجه البيهقي في الشعب ((٥٠٨٠)) - وقد أورد السيوطي آثارا أخرى في الحث على الصمت وذم كثرة الكلام (٥) / (١٠) - (١٤) - .

(إلا من أمر بصدقة أو معروف)

(٢٠١٧١) - قال مقاتل بن سليمان: ثم استثنى، فقال: (إلا من أمر بصدقة أو معروف)، يعني: القرض تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٤٠٦) - .

". (١)

"أحد المعدودين من أصحابه، وبعض النصارى يزعم أن يودس زكريا يوطا هو الذي شبه لهم فصلبوه، وهو يقول: إني لست بصاحبكم، أنا الذي دللتكم عليه - والله أعلم أي ذلك كان أخرجه ابن جرير (٧) / (٦٥٦) - (٦٥٧) - .

(٢٠٩٢٦) - قال مقاتل بن سليمان: ثم قال تعالى: (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) بصاحبهم الذي قتلوه، وكان الله قد جعله على صورة عيسى، فقتلوه، وكان المقتول لطم عيسى، وقال لعيسى حين لطمه: أتكذب على الله حين تزعم أنك رسوله؟! فلما أخذه اليهود ليقتلوه قال لليهود: لست بعيسى، أنا فلان - واسمه يهوذا، فكذبوه، وقالوا له: أنت عيسى - وكانت اليهود جعلت المقتول رقيبا على عيسى - صلى الله عليه وسلم - ، فألقى الله - تعالى ذكره - شبهه على الرقيب، فقتلوه تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٤٢٠) - أفادت الآثار اختلاف المفسرين في صفة التشبيه الذي شبه لليهود في أمر عيسى على أقوال: الأول: قول وهب بن منبه، وقد جاء من طريقين على صفتين، إحداهما: أن عيسى وأصحابه جميعا حولوا في صورة عيسى، فأشكل على مريدي قتل عيسى معرفته من غيره، وخرج إليهم بعض من كان في البيت مع عيسى، فقتلوه وهم يحسبونه عيسى - والأخرى: أن القوم الذين كانوا مع عيسى في البيت تفرقوا عنه قبل أن يدخل عليه اليهود، وبقي عيسى وأحد أصحابه، وألقي شبهه عليه بعدما تفرق القوم عنه، ورفع عيسى، فقتل الذي تحول في صورة عيسى من أصحابه، وظن أصحابه واليهود أن الذي قتل وصلب هو عيسى؛ لما رأوا من شبهه به، وخفاء أمر عيسى عليهم - الثاني: أن عيسى سأل من كان معه في البيت أن يلقى على بعضهم شبهه، فانتدب لذلك منهم رجل، فألقي عليه شبهه، فقتل ذلك الرجل، ورفع عيسى - وهو قول

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١١/٧٥

الباقين – ورجح ابن جرير ((٧) / (٦٥٨) – (٦٥٩)) مستندا إلى الدلالة العقلية القول الأول، وقال: «لأن الذين شهدوا عيسى من الحواريين لو كانوا في حال ما رفع عيسى، وألقي شبهه على من ألقي عليه شبهه، كانوا قد عاينوا عيسى وهو يرفع من بينهم، وأثبتوا الذي ألقي عليه شبهه، وعاينوه متحولا في صورته بعد الذي كان به من صورة نفسه بمحضر منهم؛ لم يخف ذلك من أمر عيسى، وأمر من ألقي عليه شبهه عليهم، مع معاينتهم ذلك كله، ولم يلتبس ولم يشكل عليهم، وإن أشكل على غيرهم من أعدائهم من اليهود أن المقتول والمصلوب كان غير عيسى، وأن عيسى رفع من بينهم حيا – وكيف يجوز أن يكون كان أشكل ذلك عليهم وقد سمعوا من عيسى مقالته: من يلقى عليه شبهي، ويكون رفيقي في الجنة؟ إن كان قال لهم ذلك، وسمعوا جواب مجيبه منهم: أنا – وعاينوا تحول المجيب في صورة عيسى بعقب جوابه؟!» – . ". (١)

"الحفيرة، ثم سوى الحفيرة بالأرض، وقابيل ينظر، (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال) قابيل: (يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) يقول: أعجزت أن أعلم من العلم مثل ما علم هذا الغراب، (فأواري سوءة أخي) يقول: فأغطي عورة أخي كما وارى هذا الغراب صاحبه، (فأصبح من النادمين) بقتله أخاه، فعمد عند ذلك قابيل فحفر في الأرض بيده، ثم قذف أخاه في الحفيرة، فسوى عليه تراب الحفيرة كما فعل الغراب بصاحبه، فلما دفنه ألقى الله عليه الخوف، يعني: على قابيل، لأنه أول من أخاف، فانطلق هاربا، فنودي من السماء: يا قابيل، أين أخوك هابيل؟ قال: أورقيبا كنت عليه؟! ليذهب حيث شاء، قال المنادي: أما تدري أين هو؟ قال: لا – قال المنادي: إن لسانك وقلبك ويديك ورجليك وجميع جسدك يشهدون عليك أنك قتلته ظلما – فلما أنكر شهدت عليه جوارحه، فقال المنادي: أين تنجو من ربك؟ إن إلهي يقول: إنك ملعون بكل أرض، وخائف ممن يستقبلك، ولا خير فيك، ولا في ذريتك – فانطلق جائعا حتى أتى ساحل البحر، فجعل يأخذ الطير، فيضرب بها الجبل، فيقتلها، ويأكلها، فمن أجل ذلك حرم الله الموقوذة، وكانت الدواب والطير والسباع لا يخاف بعضها من بعض حتى قتل قابيل هابيل، فلحقت الطير بالسماء، والوحش بالبرية والجبال، ولحقت السباع بالغياض، وكانت قبل ذلك تستأنس إلى آدم وتأتيه، وغضبت الأرض على الكفار من يومئذ، فمن ثم يضغط الكافر في الأرض حتى تختلف أضلاعه، ويتسع على المؤمن قبره حتى ما يرى طرفاه – وتزوج شيت كذا جاء في

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٢٦/١١

مطبوعة المصدر؛ بالتاء، وهو قول في ضبط شيث - والمشهور بالثاء - ينظر: التاج (شيت، شوث) - بن آدم ليوذا التي ولدت مع هابيل، وبعث الله ملكا إلى قابيل، فعلق رجله، وجعل عليه ثلاث سرادقات من نار، كلما دار دارت السرادقات معه، فمكث بذلك حينا، ثم حل عنه تفسير مقاتل بن سليمان (١(/ (٤٧٠) - (٤٧١) - .

(٣٧2٢٢) - عن محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول قال: لما قتله سقط في يديه، ولم يدر كيف يواريه، وذلك أنه كان - فيما يزعمون - أول قتيل من بني آدم، وأول ميت، قال: (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي) الآية - قال: ويزعم أهل التوراة: أن قابيل حين قتل أخاه هابيل قال له —جل
(١) ".

"ثناؤه -: يا قابيل، أين أخوك هابيل؟ قال: ما أدري، ما كنت عليه رقيبا - فقال الله - جل وعز - له: إن صوت دم أخيك ليناديني من الأرض، الآن أنت ملعون من الأرض التي فتحت فاها فبلعت دم أخيك من يدك، فإذا أنت عملت في الأرض فإنها لا تعود تعطيك حرثها، حتى تكون فزعا تائها في الأرض - قال قابيل: عظمت خطيئتي عن أن تغفرها، قد أخرجتني اليوم عن وجه الأرض، وأتوارى من قدامك، وأكون فزعا تائها في الأرض، وكل من لقيني قتلني - فقال الله جل وعز: ليس ذلك كذلك، ولا يكون كل من قتل قتيلا يجزى واحدا، ولكن يجزي سبعة، ولكن من قتل قابيل يجزي سبعة - وجعل الله في قابيل آية، لئلا يقتله كل من وجده، وخرج قابيل من قدام الله، من شرقي عدن الجنة أخرجه ابن جرير (٨) / (٣٤٤) - .

(من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل)

(٢٢٢٣٨) - عن الضحاك بن مزاحم - من طريق عبيد - في قوله: (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل)، يقول: من أجل ابن آدم الذي قتل أخاه ظلما أخرجه ابن جرير (٨) / (٣٤٨) - .

(٢٢٢٣٩) - قال مقاتل بن سليمان: (من أجل ذلك) يعنى: من أجل ابني آدم تعظيما للدم (كتبنا على بني إسرائيل) في التوراة تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٤٧١) - (٤٧٢) - .

(أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢/١٢

(٢٢٢٤٠) - عن عبد الله بن مسعود، وناس من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - من طريق السدي، عن مرة الهمداني - =

(٢٢٢٤١) - وعبد الله بن عباس - من طريق السدي، عن أبي مالك وأبي صالح - في قوله: (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا) عند المقتول يقول: في الإثم، (ومن أحياها فاستنقذها من هلكة (فكأنما أحيا الناس جميعا) عند المستنقذ أخرجه ابن جرير (٨) / (٣٤٩) - (٣٥٠) - وعزاه السيوطي إليه دون ذكر ابن عباس - .

". (١)

"(٢٤٢٩٥) - قال مقاتل بن سليمان: (وتبرئ الأكمه) يعني: الأعمى الذي يخرج من بطن أمه أعمى، فكان عيسى يرد إليه بصره بإذن الله تعالى، فيمسح بيده عليه فإذا هو صحيح بإذن الله، (و) يبرئ (الأبرص) يمسحهما بيده فيبرئهما (بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني) أحياء تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٥١٥) - (٥١٦) - وتقدمت الآثار مفصلة في معنى الآية عند تفسير قوله تعالى: (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله) [آل عمران: (٤٩)]، وقد أحال ابن جرير (٩) / (١١٥) إليها، بينما أعادها ابن أبي حاتم (٤) / (١٢٤١) كعادته - .

(وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين)

(٢٤٢٩٦) - عن عبد الله بن عباس - من طريق ابن إسحاق بسنده - في قوله: (وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات)، أي: الآيات التي وضع على يديه؛ من إحياء الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله، وإبراء الأسقام، والخبر بكثير من الغيوب مما يدخرون في بيوتهم، وما رد عليهم من التوراة مع الإنجيل الذي أحدث الله إليه - ثم ذكر كفرهم بذلك كله أخرجه ابن أبي حاتم (٤) / (١٢٤٢) - .

(٢٤٢٩٧) - قال مقاتل بن سليمان: وأما النعمة على مريم فهي أنه اصطفاها - يعني: اختارها -، وطهرها من الإثم، واختارها على نساء العالمين، وجعلها زوجة محمد - صلى الله عليه وسلم - في الجنة - ، (وإذ كففت بني إسرائيل عنك) يعني: عن قتلك حين رفعه الله إليه، وقتل شبيهه، وهو **الرقيب** الذي كان عليه، (إذ جئتهم بالبينات) يعني: بالعجائب التي كان يصنعها؛ من إبراء الأكمه، والأبرص، والموتى، والطائر،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣/١٢

ونحوه، (فقال الذين كفروا منهم) يعني: من اليهود من بني إسرائيل: (إن هذا إلا سحر مبين) يعني: ما هذا الذي يصنع عيسى من الأعاجيب (إلا سحر مبين) يعني: بين - نظيرها في الصف تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٥١٦) - (٥١٧) - .

آثار متعلقة بالآية

". (١)

"قالت النصارى ما قالت، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك، فسأله تعالى حينئذ عن قولهم، فقال: (سبحانك) الآية - وقال قتادة وغيره: هذا القول من الله إنما هو في يوم القيامة - وعلق ابن عطية ((٣) / (٣٠٤)) على قول السدي بقوله: «فتجيء (قال) على هذا متمكنة في المضي، ويجيء قوله آخرا: (وإن تغفر لهم) أي: بالتوبة من الكفر؛ لأن هذا ما قاله عيسى وهم أحياء في الدنيا» - ورجحه ابن جرير ((٩) / (١٣٥) - (١٣٧)) مستندا إلى الأغلب في اللغة، والدلالات العقلية، وذلك أن (إذ) إنما تصاحب في الأغلب من كلام العرب الماضي من الفعل، وتوجيه معاني كلام الله تعالى إلى الأشهر أولى، كما أن عيسى لا يجوز أن يتوهم عليه طلب المغفرة لمن مات مشركا، وفي قول عيسى: (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به - وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب**) بيان أن الله تعالى إنما عرفه مقالة قومه بعدما قبضه إليه وتوفاه - وانتقد ابن عطية ((٣) / (٣٠٤) بتصرف) الاستناد إلى كون عيسى يمتنع عليه طلب المغفرة للمشركين ببيان أن معنى قوله: (وإن تغفر لهم): إن عذبت العالم كله فبحقك، وإن غفرت وسبق ذلك في علمك فلأنك أهل لذلك لا معقب لحكمك ولا منازع لك - وليس المعنى أنه لا بد من أن تفعل أحد هذين الأمرين، بل قال هذا القول مع علمه بأن الله لا يغفر أن يشرك به - وانتقد ابن كثير ((٥) / (٤٢٥) - (٤٢٦) بتصرف) المستند الأول والثاني لابن جرير فقال: «وهذان الدليلان فيهما نظر؛ لأن كثيرا من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ المضي ليدل على الوقوع والثبوت - ومعنى قوله: (إن تعذبهم فإنهم عبادك) الآية: التبري منهم، ورد المشيئة فيهم إلى الله، وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه، كما في نظائر ذلك من الآيات» - ورجح ابن عطية ((٣) / (٣٠٥) - (٣٠٦)) القول الثاني مستندا إلى السياق، فقال: «وهذا هو عندي القول الأرجح، ويتقوى بما بعده، وذلك أن عيسى لما قرر أن الله تعالى له أن يفعل في عباده ما يشاء من تعذيب ومغفرة أظهر الله لعباده ما كانت الأنبياء تخبرهم به، كأنه يقول: هذا

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٢٣/١٣

أمر قد فرغ منه، وقد خلص للرحمة من خلص، وللعذاب من خلص - فقال تبارك وتعالى: (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) - ثم جاءت هذه العبارة مشيرة إلى عيسى في حاله تلك، وصدقه فيما قال، فحصل له بذلك في الموقف شرف عظيم، وإن كان اللفظ يعمه وسواه» - وكذا رجحه ابن كثير ((٥) / (٤٢٦)) مستندا إلى السنة، والدلالات العقلية، فقال: «والذي قاله قتادة وغيره هو الأظهر؛ ليدل على تهديد النصارى وتقريعهم وتوبيخهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، وقد روي بذلك حديث مرفوع» - ثم أورد حديث أبي موسى الأشعري - وعلق ابن عطية ((٣) / (٣٠٤)) على هذا القول بقوله: «و (قال) على هذا التأويل بمعنى: يقول - ونزول الماضي موضع المستقبل دلالة على كون الأمر وثبوته» - وأفاد أن توقيف الله لعيسى وسؤاله فائدته على هذا القول: ظهور الذنب على الكفرة في عبادة عيسى وبيان ظلالهم - ثم ذكر ((٣) / (٣٠٧)) أن قوله تعالى في خاتمة السورة (لله ملك السموات - -) يحتمل أن يكون مما يقال يوم القيامة، ويحتمل أنه مقطوع من ذلك مخاطب به محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته، وأنه على الوجهين فيه تعضيد لهذا القول - .

(١) ".

"ما كنت فيهم» عزاه الهيثمي في المجمع (٧) / (١٩) ((١٠٩٩٠)) إلى الطبراني، وأصله في مسلم (١) / (٥٥١) ((٨٠٠)) بلفظ «شهيدا عليهم ما دمت فيهم، أو ما كنت فيهم»، على الشك - قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» - .

(٢٤٣٧٧) - قال مقاتل بن سليمان: (وكنت عليهم شهيدا) يعني: على بني إسرائيل بأن قد بلغتهم الرسالة (ما دمت فيهم) يقول: ما كنت بين أظهرهم تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٥١٩) - .

(فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم)

(٢٤٣٧٨) - عن عبد الله بن عباس، في قوله: (كنت أنت **الرقيب** عليهم)، قال: الحفيظ عزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٢٤٣٧٩) - عن قتادة بن دعامة - من طريق معمر - في قوله: (كنت أنت **الرقيب**)، قال: الحفيظ

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٤٢/١٣

أخرجه عبد الرزاق (١) / (٢٠١)، وابن أبي حاتم (٤) / (١٢٥٤) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .
(٢٤٣٨٠) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - (كنت أنت **الرقيب** عليهم)، قال: أما **الرقيب** فهو الحفيظ أخرجه ابن جرير (٩) / (١٣٨) - .
(٢٤٣٨١) - عن عبد الملك ابن جريج - من طريق حجاج - (كنت أنت **الرقيب** عليهم)، قال: الحفيظ أخرجه ابن جرير (٩) / (١٣٨) - .
(٢٤٣٨٢) - قال مقاتل بن سليمان: (فلما توفيتني) يقول: فلما بلغ بي أجل الموت فمت (كنت أنت **الرقيب** عليهم) يعني: الحفيظ، (وأنت على كل شيء شهيد) يعني: شاهدا بما أمرتهم من التوحيد، و [شهيدا] عليهم بما قالوا من البهتان تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٥١٩) - (٥٢١) - .
آثار متعلقة بالآية
(٢٤٣٨٣) - عن عبد الله بن عباس، قال: خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: «يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا» - ثم قرأ: (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين) [الأنبياء: (١٠٤)]، ثم قال: «ألا وإن أول الخلائق يكسى
(١) ".

"يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب، أصحابي أصحابي - فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك - فأقول كما قال العبد الصالح: (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم) - فيقال: أما هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم» أخرجه البخاري (٦) / (٥٥) ((٤٦٢٥))، (٤٦٢٦))، (٦) / (٩٧) ((٤٧٤٠))، ومسلم (٤) / (٢١٩٤) ((٢٨٦٠))، وابن جرير (١٦) / (٤٢٨)، وابن أبي حاتم (٤) / (١٢٥٤) ((٧٠٥٦)) - .
(إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)
قراءات
(٢٤٣٨٤) - في قراءة عبد الله [بن مسعود]- من طريق الأعمش -: (إن تعذبهم فعبادك) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١) / (٣١٣) - وهي قراءة شاذة - انظر: مغني اللبيب ص (٨٢٣) - .
(٢٤٣٨٥) - عن مقاتل بن سليمان: (فإنك أنت العزيز الحكيم) في قراءة ابن مسعود: (فإنك أنت الغفور

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٤٦/١٣

الرحيم) - نظيرها في سورة إبراهيم في مخاطبة إبراهيم: (ومن عصاني فإنك غفور رحيم) [إبراهيم: (٣٦)]، وهي كذلك أيضا في قراءة عبد الله بن مسعود تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٥٢١) - وهي قراءة شاذة، قرأ بها جماعة - انظر: الجامع لأحكام القرآن (٨) / (٣٠٥)، والبحر المحيط (٤) / (٦٦) - .

تفسير الآية

(٢٤٣٨٦) - عن عبد الله بن عباس: (إن تعذبهم فإنهم عبادك) يقول: عبيدك قد استوجبوا العذاب بمقالتهم، (وإن تغفر لهم) أي: من تركت منهم ومد في عمره حتى أهبط من السماء إلى الأرض لقتل الدجال، فنزلوا عن مقالتهم، ووحدوك، وأقروا أنا عبيد، وإن تغفر لهم حيث رجعوا عن مقالتهم (فإنك أنت العزيز الحكيم) عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ - .

(٢٤٣٨٧) - عن قتادة بن دعامة - من طريق معمر - في قوله تعالى: (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) [المائدة: (١١٨)]، فقال: والله، ما كانوا

". (١)

"إلى قوله: (وسوف تعلمون) أخرجه ابن جرير (٩) / (٣٠٧)، وابن أبي حاتم (٤) / (١٣١٢) ((٧٤١٨)) - .

النسخ في الآية

(٢٥١٤٦) - عن عبد الله بن عباس - من طريق الضحاك - في قوله: (قل لست عليكم بوكيل)، قال: نسخ هذه آية السيف: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) [التوبة: (٥)] أخرجه النحاس في ناسخه ص (٤١٦)، وقال عقب الأثر: هذا خبر لا يجوز أن ينسخ، ومعنى وكيل: حفيظ **ورقيب** - والنبي - صلى الله عليه وسلم - ليس هو عليهم بحفيظ، إنما عليه أن ينذرهم، وعقابهم إلى الله " - .

(٢٥١٤٧) - قال مقاتل بن سليمان: - نسختها آية السيف تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٥٦٦) - ذكر ابن عطية ((٣) / (٣٨٤)) القول بالنسخ، ثم ذكر قولا آخر مفاده عدم النسخ في هذا الأمر؛ لأنه خبر - ورجح القول الأول مستندا إلى دلالة العقل، فقال: «والنسخ فيه متوجه؛ لأن اللازم من اللفظ ليس الآن، وليس فيه أنه لا يكون في المستأنف» - .

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٤٧/١٣

تفسير الآية

(وكذب به قومك وهو الحق)

(٢٥١٤٨) - عن عبد الله بن أبي بكر، قال: قرأ عبد الله بن سهيل على أبيه: (وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل) - فقال: أما - والله - يا بني لو كنت إذ ذاك، ونحن مع النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة؛ فهمت منها إذ ذاك ما فهمت اليوم، لقد كنت إذ ذاك أسلمت أخرجه ابن أبي حاتم (٤) / (١٣١٣)، وابن قانع في معجمه (١) / (٢٧٣) - (٢٧٤) ((٣١٩)) - .

(٢٥١٤٩) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - في قوله: (وكذب به قومك)، يقول: كذبت قريش بالقرآن، (وهو الحق) أخرجه ابن جرير (٩) / (٣١١)، وابن أبي حاتم (٤) / (١٣١٣) - وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ - .

(٢٥١٥٠) - قال مقاتل بن سليمان: (وكذب به) بالقرآن (قومك) خاصة، (وهو
." (١)

"(٢٥٨٢١) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - في قوله: (قد جاءكم بصائر) أي: بينة، (فمن أبصر فلنفسه) أي: من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، (ومن عمي) أي: من ضل (فعليها) أخرجه ابن جرير (٩) / (٤٧١) مختصرا، وابن أبي حاتم (٤) / (١٣٦٤) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ - .

(٢٥٨٢٢) - قال محمد بن السائب الكلبي: (قد جاءكم بصائر من ربكم): يعني بينات القرآن تفسير الثعلبي (٤) / (١٧٧) - .

(٢٥٨٢٣) - قال مقاتل بن سليمان: (قد جاءكم) يا أهل مكة (بصائر) يعني: بيان من ربكم، يعني: القرآن - نظيرها في الأعراف يشير إلى قوله تعالى: (وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ((٢٠٣)))،. (فمن أبصر) إيمانا بالقرآن (فلنفسه ومن عمي) عن إيمان بالقرآن (فعليها) يعني: فعلى نفسه تفسير مقاتل بن سليمان (١) /) ٥٨٢)
- .

(٢٥٨٢٤)- عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قوله: (قد جاءكم بصائر من

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٩٥/١٣

ربكم)، قال: البصائر: الهدى، بصائر في قلوبهم لدينهم، وليست ببصائر الرءوس - وقرأ: (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) [الحج: (٤٦)] - قال: إنما الدين بصره وسمعه في هذا القلب أخرجه ابن جرير (٩) / (٤٧٠)، وابن أبي حاتم (٤) / (١٣٦٤) من طريق أصبغ بن الفرج - .

(وما أنا عليكم بحفيظ)

(٢٥٨٢٥) - قال مقاتل بن سليمان: (وما أنا عليكم بحفيظ)، يعني: برقيب، يعني: محمد - صلى الله عليه وسلم - تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٥٨٢) - .

(٢٥٨٢٦) - عن محمد ابن إسحاق - من طريق سلمة - (حفيظ)، أي: حافظ أخرجه ابن أبي حاتم (٤) / (١٣٦٤) - .

(وكذلك نصرف الآيات)

". (١)

"شاء الله لمنعهم من الشرك تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٥٨٣) - .

(وما جعلناك عليهم حفيظا)

(٢٥٨٦٨) - قال عطاء: (وما جعلناك عليهم حفيظا) تمنعهم مني تفسير الثعلبي (٤) / (١٧٧) - .

(٢٥٨٦٩) - قال مقاتل بن سليمان: (وما جعلناك عليهم حفيظا)، يعني: رقيبا إن لم يوحدوا تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٥٨٣) - .

(وما أنت عليهم بوكيل)

(٢٥٨٧٠) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - في قوله: (وما أنت عليهم بوكيل)، أي: بحفيظ أخرجه ابن أبي حاتم (٤) / (١٣٦٦) - .

(٢٥٨٧١) - قال مقاتل بن سليمان: (وما أنت عليهم بوكيل)، يعني: بمسيطر تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٥٨٣) - .

(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون (١٠٨))

قراءات

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٤/١٤

(٢٥٨٧٢) - عن الحسن البصري - من طريق عثمان بن سعد - أنه كان يقرأ: " فيسبوا الله عدوا " مضمومة العين، مثقلة أخرجه ابن جرير (٩) / (٤٨٢) - وهي قراءة متواترة، قرأ بها يعقوب، وقرأ بقية العشرة: (عدوا) بفتح السين، وإسكان الدال، وتخفيف الواو - انظر: النشر (٢) / (٢٦١)، والإتحاف ص (٢٧١) - .

(٢٥٨٧٣) - قال يحيى بن سلام: وهي تقرأ: (عدوا)، و " عدوا " تفسير ابن أبي زمنين (٢) / (٩٠) - .

نزول الآية

(٢٥٨٧٤) - قال عبد الله بن عباس - من طريق علي بن أبي طلحة - في قوله:
". (١)

"قومه، وأن نبي الله صالحا أسمع قومه، كما أسمع - والله - نبيكم محمد - صلى الله عليه وسلم - قومه أخرجه ابن أبي حاتم (٥) / (١٥٢٤) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ - .

(٢٨٢٩١) - قال مقاتل بن سليمان: (فتولى عنهم) يعني: فأعرض عنهم حين كذبوا بالعذاب، نظيرها في هود يشير إلى قوله تعالى: (ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب ((٩٣)) ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ((٩٤)) كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ((٩٥)))., (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي) في نزول العذاب بكم في الدنيا، (ونصحت لكم) فيما حذرتكم من عذابه تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٥٠) - .

(فكيف آسى على قوم كافرين)

(٢٨٢٩٢) - عن عبد الله بن عباس - من طريق علي - في قوله: (فكيف آسى)، قال: أحزن أخرجه ابن جرير (١٠) / (٣٢٧)، وابن أبي حاتم (٥) / (١٥٢٤) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٢٨٢٩٣) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - (فكيف آسى)، يقول: فكيف أحزن أخرجه ابن جرير (١٠) / (٣٢٧) - .

(٢٨٢٩٤) - قال مقاتل بن سليمان: (فكيف آسى) يقول: فكيف أحزن بعد الصيحة (على قوم كافرين)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٤/٣١

إذا عذبوا تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٥٠) - .

(٢٨٢٩٥) - عن محمد بن إسحاق - من طريق سلمة - قال: أصاب شعيبا على قومه حزن لما نزل بهم من نقمة الله، ثم قال يعزي نفسه - فيما ذكر الله عنه -: (يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين) أخرجه ابن جرير (١٠) / (٣٢٧)، وابن أبي حاتم (٥) / (١٥٢٤) - .

آثار متعلقة بالقصة

(٢٨٢٩٦) - عن ابن إسحاق، قال: ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا ذكر شعيبا قال: «ذاك خطيب الأنبياء» - لحسن مراجعته قومه فيما يرادهم (١) ".

"(٢٩٥٨٧) - عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر، هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، **الرقيب**، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرءوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، الوالي، المتعال، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور» أخرجه الترمذي (٦) / (١١٤) - (١١٥) ((٣٨١٦))، وابن ماجه (٥) / (٢٨) - (٣٠) ((٣٨٦١)) بنحوه، وابن حبان (٣) / (٨٨) - (٨٩) ((٨٠٨))، والحاكم (١) / (٦٢) ((٤١)) - قال الترمذي: «هذا حديث غريب، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث - وقد

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٥/٢٣٧

روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وذكر فيه الأسماء، وليس له إسناد صحيح» - وقال الحاكم: «هذا حديث قد خرجاه في الصحيحين بأسانيد صحيحة، دون ذكر الأسامي فيه، والعلة فيه عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله، وذكر الأسامي فيه، ولم يذكرها غيره، وليس هذا بعلة، فإني لا أعلم اختلافا بين أئمة الحديث أن الوليد بن مسلم أوثق وأحفظ وأعلم وأجل من أبي اليمان، وبشر بن شعيب، وعلي بن عياش، وأقرانهم من أصحاب شعيب، ثم نظرنا فوجدنا الحديث قد رواه عبد العزيز بن الحصين، عن أيوب السختياني، وهشام بن حسان جميعا، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بطوله» - وقال الذهبي في التلخيص: «لم يخرجا الأسامي لتفرد الوليد بها، وليس ذا بعلة؛ فالوليد أوثق وأحفظ من أبي اليمان وعلي بن عياش» - .

(٢٩٥٨٨) - عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة، أسأل كذا في الدر المنثور، ولم نجدها في المستدرك - الله، الرحمن، الرحيم، الإله، الرب، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الحليم، العليم، السميع، البصير، الحي، القيوم، الواسع، اللطيف، الخبير، الحنان، المنان، البديع، الغفور، الودود، الشكور، المجيد، المبدئ، المعيد، النور، البادئ - وفي لفظ: القائم - ، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، العفو، الغفار، الوهاب، الفرد - وفي لفظ: القادر - ، الأحد، الصمد، الوكيل، الكافي، الباقي، المغيث، الدائم، المتعالي، ذا الجلال والإكرام، المولى، النصير، الحق، المبين، الوارث، المنير، الباعث، القدير - وفي لفظ: المجيب - ، المحيي، المميت، الحميد - وفي لفظ: الجميل - ، الصادق، الحفيظ، المحيط، الكبير، القريب، **الرقيب**، الفتاح، التواب، القديم، الوتر، الفاطر، الرزاق، العلام، العلي، العظيم، الغني، المليك، المقتدر، الأكرم، الرءوف، المدبر، المالك، القاهر، الهادي، الشاكر، الكريم، الرفيع، الشهيد، الواحد، ذا الطول، ذا المعارج، ذا الفضل، الخلاق، الكفيل، الجليل» أخرجه الحاكم (١) / (٦٣) ((٤٢)) بنحوه - قال الحاكم: «هذا حديث محفوظ من حديث أيوب وهشام، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة مختصرا، دون ذكر الأسامي الزائدة فيها، كلها في القرآن، وعبد العزيز بن الحصين بن الترجمان ثقة، وإن لم يخرجاه، وإنما جعلته شاهدا للحديث الأول» - وقال الذهبي في التلخيص: «بل ضعفوه، يعني: عبد العزيز بن حصين الترجمان» - وقال المناوي في التيسير (١) / (٣٣٤): «عن أبي هريرة بأسانيد ضعيفة» - .

(٢٩٥٨٩) - عن ابن عباس، وابن عمر، قالا: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «لله تسعة وتسعون اسما، من أحصاها دخل الجنة، وهي في القرآن» أخرجه أبو نعيم في كتاب طرق حديث لله تسعة وتسعون اسما ص (١٥٨) ((٨٧)) - قال ابن حجر في الأمالي المطلقة ص (٨٤٢): «هذا حديث غريب، وفي إسناده ضعف، والمستغرب من متنه الزيادة الأخيرة» - .

(٢٩٥٩٠) - عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «من أصابه هم أو حزن فليقل: اللهم، إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي في يدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسالك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وذهاب همي، وجلاء حزني» - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «ما قالهن مهموم قط إلا أذهب الله همه، وأبدله بهمه فرحا» - قالوا: يا رسول الله، افلا نتعلم هذه الكلمات؟ قال: «بلى، فتعلموهن وعلموهن» أخرجه أحمد (٦) / (٢٤٦) - (٢٤٧) ((٣٧١٢))، (٧) / (٣٤١) ((٤٣١٨))، وابن حبان (٣) / (٢٥٣) ((٩٧٢))، والحاكم (١) / (٦٩٠) ((١٨٧٧)) - قال الحاكم: «هذا حديث صحيح، على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه؛ فإنه مختلف في سماعه عن أبيه» - وقال ابن القيم في الجواب الكافي ص (٢٠٨): «وفي الحديث الصحيح» فذكره - وقال الهيثمي في المجمع (١٠) / (١٨٦) - (١٨٧) ((١٧٤٤٥)): «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، والبزار - ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح، غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان» - وأورده الألباني في الصحيحة (١) / (٣٨٣) ((١٩٩)) - .
" (١).

"(٢٩٥٩١) - عن عائشة، أنها قالت: يا رسول الله، علمني اسم الله الذي إذا دعي به أجاب - قال لها: «قومي، فتوضئي، وادخلي المسجد، فصلي ركعتين، ثم ادعي حتى أسمع» - ففعلت، فلما جلست للدعاء قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «اللهم، وفقها» - فقالت: اللهم، إني أسالك بجميع أسمائك الحسنى كلها، ما علمنا منها وما لم نعلم، وأسألك باسمك العظيم الأعظم، الكبير الأكبر، الذي من دعاك به أجبته، ومن سألك به أعطيته - قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أصبته أصبته» أخرجه

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٩٨/١٥

البيهقي في الأسماء والصفات (١) / (٣٠) - (٣١) ((٩)) - إسناده ضعيف؛ فيه صالح بن بشير المري القاص الزاهد، قال عنه ابن حجر في التقريب ((٢٨٦١)): «ضعيف» - .

(٢٩٥٩٢) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عطية العوفي -: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)، ومن أسمائه: العزيز الجبار، وكل أسماء الله حسن أخرجه ابن جرير (١٠) / (٥٩٦)، وابن أبي حاتم / (١٦٢٣) - .

(٢٩٥٩٣) - عن محمد بن جعفر، قال: سألت أبي جعفر بن محمد الصادق عن الأسماء التسعة والتسعين التي من أحصاها دخل الجنة، فقال: هي في القرآن؛ ففي الفاتحة خمسة أسماء: يا الله، يا رب، يا رحمن، يا رحيم، يا مالك - وفي البقرة ثلاثة وثلاثون اسما: يا محيط، يا قدير، يا عليم، يا حكيم، يا علي، يا عظيم، يا تواب، يا بصير، يا ولي، يا واسع، يا كافي، يا رءوف، يا بديع، يا شاكر، يا واحد، يا سميع، يا قابض، يا باسط، يا حي، يا قيوم، يا غني، يا حميد، يا غفور، يا حليم، يا إله، يا قريب، يا مجيب، يا عزيز، يا نصير، يا قوي، يا شديد، يا سريع، يا خبير - وفي آل عمران: يا وهاب، يا قائم، يا صادق، يا باعث، يا منعم، يا متفضل - وفي النساء: يا رقيب، يا حسيب، يا شهيد، يا مقيت، يا وكيل، يا علي، يا كبير - وفي الأنعام: يا فاطر، يا قاهر، يا لطيف، يا برهان - وفي الأعراف: يا محيي، يا مميت - وفي الأنفال: يا نعم المولى، يا نعم النصير - وفي هود: يا حفيظ، يا مجيد، يا ودود، يا فعال لما يريد - وفي الرعد: يا كبير، يا متعال - وفي إبراهيم: يا منان، يا وارث - وفي الحجر: يا خلاق - وفي مريم: يا فرد - وفي طه: يا غفار - وفي قد أفلح: يا كريم - وفي النور: يا حق، يا مبين - وفي الفرقان: يا هادي - وفي سبأ: يا فتاح - وفي الزمر: يا عالم - وفي غافر: يا غافر، يا قابل التوب، يا ذا الطول، يا رفيع - وفي الذاريات: يا رزاق، يا ذا القوة، يا متين - وفي الطور: يا بر - وفي اقتربت: يا مليك، يا مقتدر - وفي الرحمن: يا ذا الجلال والإكرام، يا رب المشرقين، يا رب المغربين، يا باقي، يا مهيمن - وفي الحديد: يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن - وفي الحشر: يا ملك، يا قدوس، يا سلام، يا مؤمن، يا مهيمن، يا عزيز، يا جبار، يا متكبر، يا خالق، يا بارئ، يا مصور - وفي البروج: يا مبدئ، يا معيد - وفي الفجر: يا وتر - وفي الإخلاص: يا أحد، يا صمد عزاه السيوطي إلى أبي نعيم - .

(وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون (١٨٠))

(٢٩٥٩٤) - عن عبد الله بن عباس - من طريق علي - قال: الإلحاد: التكذيب أخرجه ابن جرير (١٠) / (٥٩٧)، وابن أبي حاتم (٥) / (١٦٢٣) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٢٩٥٩٥) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عطية العوفي - في قوله: (وذروا الذين يلحدون في أسمائه)، قال: الإلحاد: أن دعوا اللات والعزى في أسماء الله أخرجه ابن جرير (١٠) / (٥٩٧) دون ذكر العزى، وابن أبي حاتم (٥) / (١٦٢٣) - .

(٢٩٥٩٦) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن جريج - (وذروا الذين يلحدون في أسمائه)، قال: اشتقوا العزى من العزيز، واشتقوا اللات من الله أخرجه ابن جرير (١٠) / (٥٩٧) - .

(٢٩٥٩٧) - عن قتادة بن دعامة - من طريق معمر - (وذروا الذين يلحدون في أسمائه)، قال: يشرك,ن أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١) / (٢٤٤) بلفظ: يقول في آياته، قال: يشركون، وابن جرير (١٠) / (٥٩٧) - (٥٩٨) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٢٩٥٩٨) - عن قتادة بن دعامة، (يلحدون في أسمائه)، قال: يكذبون في أسمائه عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ - .

(٢٩٥٩٩) - عن عطاء الخراساني - من طريق ابنه عثمان - في الآية، قال: الإلحاد: المضاهاة أخرجه ابن أبي حاتم (٥) / (١٦٢٣) - .

". (١)

"قال: يحول بينه وبين المعاصي أخرجه ابن جرير (١١) / (١١٠) - .

(٣٠٥٤٢) - عن قتادة بن دعامة - من طريق معمر - في قوله: (يحول بين المرء وقلبه)، قال: هي كقوله: (أقرب إليه من حبل الوريد) [ق: (١٦)] أخرجه ابن جرير (١١) / (١١٥) - وجه ابن عطية ((٤) / (١٦٣)) معنى قول قتادة قائلا: «فكأن هذا المعنى يحض على **المراقبة** والخوف لله المطلع على الضمائر» - .

(٣٠٥٤٣) - عن معمر بن راشد - من طريق عبد الرزاق - ، مثله أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١) / (٢٧٧) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٩٩/١٥

(٣٠٥٤٤) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - (واعلموا أن الله، يحول بين المرء وقلبه)، قال: يحول بين الإنسان وقلبه؛ فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه أخرجه ابن جرير (١١) / (١١١) - .

(٣٠٥٤٥) - عن الربيع بن أنس - من طريق أبي جعفر - في قوله: (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه)، قال: علمه يحول بين المرء وقلبه أخرجه ابن أبي حاتم (٥) / (١٦٨١) - .

(٣٠٥٤٦) - عن محمد بن السائب الكلبي - من طريق معمر - : يحول بين المؤمن وبين الكفر، ويحول بين الكافر وبين الإيمان أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١) / (٢٧٧) - .

(٣٠٥٤٧) - قال مقاتل بن سليمان: (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه)، يقول: يحول بين قلب المؤمن وبين الكفر، وبين قلب الكافر وبين الإيمان تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (١٠٨) - أفادت الآثار اختلاف المفسرين في معنى قوله تعالى: (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) على أقوال: الأول: يحول بين الكافر والإيمان، وبين المؤمن والكفر - وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وغيرهم - الثاني: يحول بين المرء وعقله فلا يدري ما يعمل - وهو قول مجاهد - الثالث: يحول بين المرء وقلبه أن يقدر على إيمان أو كفر إلا بإذنه - وهو قول السدي - الرابع: معناه أنه قريب من قلبه لا يخفى عليه شيء أظهره أو أسره - وهو قول قتادة - ورجح ابن جرير ((١١) / (١١٢)) العموم، فذكر «أن الحول بين الشيء والشيء إنما هو الحجز بينهما، وإذا حجز - جل ثناؤه - بين عبد وقلبه في شيء أن يدركه أو يفهمه، لم يكن للعبد
"(١).

"أعمالكم حتى أجازيكم بها ذكره يحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين (٢) / (٣٠٤) - - .

(٣٦٢٢٠) - قال مقاتل بن سليمان: (وما أنا عليكم) يعني: على أعمالكم (بحفيظ) يعني: برقيب، والله الحافظ لأعمالكم تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٢٩٤) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٧/١٧

(قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا)

(٣٦٢٢١) - قال عبد الله بن عباس: كان شعيب كثير الصلاة؛ لذلك قالوا هذا تفسير البغوي (٤) / (١٩٥) - .

(٣٦٢٢٢) - عن الأحنف: أن شعيبا كان أكثر الأنبياء صلاة عزاه السيوطي إلى ابن عساكر - .

(٣٦٢٢٣) - قال الحسن البصري: لم يبعث الله نبيا إلا فرض عليه الصلاة والزكاة ذكره يحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين (٢) / (٣٠٥) - - .

(٣٦٢٢٤) - عن الحسن البصري - من طريق سفيان بن عيينة، عن رجل حدثه - في قوله: (يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا)، يقول: إي، والله، إن صلواته لتأمرهم أن يتركوا ما كان يعبد آباؤهم أخرجه ابن أبي حاتم (٦) / (٢٠٧٢) - .

(٣٦٢٢٥) - عن سليمان بن مهران الأعمش - من طريق الثوري - في قوله: (أصلاتك تأمرك)، قال: أقراءتك أخرجه عبد الرزاق (١) / (٣١١)، وابن جرير (١٢) / (٥٤٦) - (٥٤٧)، وابن أبي حاتم (٦) / (٢٠٧٢) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٣٦٢٢٦) - قال مقاتل بن سليمان: (قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك) يعني: أن نعتزل (ما) كان (يعبد آباؤنا)، وكانوا يعبدون الأوثان تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٢٩٤) - اختلف في معنى: (أصلاتك) في هذه الآية على أقوال: الأول: الصلوات المعروفة - الثاني: قراءتك - وزاد ابن عطية ((٥) / (٥)) قولين آخرين: الأول: أمساجدك - الثاني: أدعواتك - ثم علق على هذه الأقوال الأربعة بقوله: «وأقرب هذه الأقوال الأول، والرابع» - .

(أو أن نفعل في أموالنا ما نشاؤا)

(٣٦٢٢٧) - ." (١)

"يأتيه عذاب يخزيه)، قال: الغرق أخرجه ابن أبي حاتم (٦) / (٢٠٧٨) - كذا أورده هنا! كما أورده في تفسير قول وعيد نوح لقومه: (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) [هود: (٣٩)]، وهو أشبه بتفسيرها دون هذه الآية - .

(٣٦٣١٩) - قال مقاتل بن سليمان: (من يأتيه عذاب يخزيه) يعني: يذله، (ومن هو كاذب) بنزول العذاب

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٩١/١٩

بكم؛ أنا أو أنتم، لقولهم: ليس بنازل بنا تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٢٩٦) - .

(وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣))

(٣٦٣٢٠) - قال مقاتل بن سليمان: (وارتقبوا إني معكم رقيب)، يعني: انتظروا العذاب؛ فإني منتظر بكم العذاب في الدنيا تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٢٩٦) - .

(ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٩٤))

(٣٦٣٢١) - عن عبد الله بن عباس: (وأخذت الذين ظلموا الصيحة)، يريد: صيحة جبرئيل أخرجه بكر بن سهل الدمياطي في تفسيره بإسناده - كما في تاريخ قزوين (٢) / (٢) - - .

(٣٦٣٢٢) - عن محمد بن كعب القرظي - من طريق أبي معشر - قال: إن أهل مدين عذبوا ثلاثة أصناف من العذاب: أحدهم: الرجفة في دارهم حتى خرجوا منها، فلما خرجوا منها أصابهم فزع شديد، ففرقوا أن يدخلوا البيوت أن تسقط عليهم، فأرسل الله عليهم الظلة، فدخل تحتها رجل، فقال: ما رأيت كاليوم ظلا أطيب ولا أبرد، هلموا، أيها الناس - فدخلوا جميعا تحت الظلة، فصاح فيهم صيحة واحدة، فماتوا جميعا أخرجه ابن أبي حاتم (٦) / (٢٠٧٩) - .

(٣٦٣٢٣) - قال مقاتل بن سليمان: (ولما جاء أمرنا) يعني: قولنا في العذاب (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) يعني: بنعمة منا عليهم، (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) يعني: صيحة جبريل، (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) يعني: في منازلهم موتى تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٢٩٦) - .

(١) ".

"بالمعاصي أخرجه ابن أبي حاتم (٧) / (٢٢٢٩) - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وأبي الشيخ - وأخرجه ابن جرير (١٣) / (٤٥٥) عن خصيف من قوله - .

(٣٨٧٣٩) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار): أما المستخفي ففي بيته، وأما السارب: الخارج بالنهار حيثما كان، المستخفي غيبه الذي يغيب فيه والخارج عنده سواء أخرجه ابن جرير (١٣) / (٤٥٤) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٠٧/١٩

(٣٨٧٤٠) - عن عكرمة مولى ابن عباس - من طريق خصيف - (وسارب بالنهار)، قال: ظاهر بالنهار أخرجه ابن جرير (١٣) / (٤٥٥) - .

(٣٨٧٤١) - عن خصيف بن عبد الرحمن - من طريق شريك - في قوله: (مستخف بالليل) قال: راكب رأسه في المعاصي، (وسارب بالنهار) قال: ظاهر بالنهار أخرجه ابن جرير (١٣) / (٤٥٥) - .

(٣٨٧٤٢) - عن الحسن البصري=

(٣٨٧٤٣) - وقتادة بن دعامة - من طريق معمر - في قوله: (وسارب بالنهار)، قالا: ظاهر ذاهب أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢) / (٣٣٢) - .

(٣٨٧٤٤) - عن سهل بن أبي الصلت، قال: سمعت الحسن البصري يقول في قوله: (مستخف بالليل وسارب بالنهار): والسارب: النادي بالنهار أخرجه ابن أبي حاتم (٧) / (٢٢٢٩) - .

(٣٨٧٤٥) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد بن بشير - (ومن هو مستخف بالليل) أي: في ظلمة الليل، (وسارب) أي: ظاهر (بالنهار) أخرجه ابن جرير (١٣) / (٤٥٥) واللفظ له، وابن أبي حاتم (٧) / (٢٢٢٩) دون قوله: (وسارب) أي: ظاهر بالنهار - .

(٣٨٧٤٦) - قال مقاتل بن سليمان: (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار)، يقول: من هو مستخف بالمعصية في ظلمة الليل، ومنتشر بتلك المعصية بالنهار معلن بها، فعلم ذلك كله عند الله تعالى سواء تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٣٦٩) - .

سورة الرعد - (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سو ءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال (١١)) قراءات

(٣٨٧٤٧) - عن قتادة، قال: في قراءة أبي بن كعب: (له معقبات من بين يديه ورقيب من خلفه يحفظونه من أمر الله) أخرجه ابن جرير (١٣) / (٤٥٩) - .

(له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سو ءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال (١١))

قراءات

". (١)

"(٣٨٧٤٨) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عمرو بن دينار - أنه كان يقرأ: (له معقبات من بين يديه ورقبآء من خلفه من أمر الله يحفظونه) أخرجه ابن وهب في الجامع (١) / (٤٤) ((٩٢))، وسعيد بن منصور ((١١٥٩) - تفسير)، وابن أبي حاتم (٧) / (٢٢٣٠) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - وأخرجه ابن جرير (١٣) / (٤٦٣) كتفسير للآية دون إشارة للقراءة، كما سيأتي - .

(٣٨٧٤٩) - عن الجارود بن أبي سبرة، قال: سمعني عبد الله بن عباس أقرأ: (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) - فقال: ليست هناك، ولكن: (له معقبات من بين يديه **ورقيب** من خلفه) أخرجه سعيد بن منصور ((١١٦٠) - تفسير)، وابن جرير (١٣) / (٤٦٣) - (٤٦٤)، وابن أبي حاتم (٧) / (٢٢٣٠) - .

(٣٨٧٥٠) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - وفي بعض القراءة: (يحفظونه بأمر الله) أخرجه ابن جرير (١٣) / (٤٦٤) - وهي قراءة شاذة، تروى أيضا عن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وغيرهما - انظر: المحتسب (١) / (٣٥٥)، والبحر المحيط (٥) / (٣٦٤) - .

نزول الآية

(٣٨٧٥١) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عطاء بن يسار - : أن أربد بن قيس، وعامر بن الطفيل، قدما المدينة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فانتهيا إليه وهو جالس، فجلسا بين يديه، فقال عامر: ما تجعل لي إن أسلمت؟ قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم» - قال: أتجعل لي - إن أسلمت - الأمر من بعدك؟ قال: «ليس

". (٢)

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢١/٤٠

(٢) موسوعة التفسير المأثور ٢١/٤١

"(٣٨٧٥٢) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - ، نحوه أخرجه ابن جرير (١٣) / (٤٦٧)، وابن أبي حاتم (٧) / (٢٢٣٠) من طريق أصبغ بن الفرج - وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ - وسيأتي بطوله في تفسير الآية - .

(٣٨٧٥٣) - عن عطاء بن يسار - من طريق زيد بن أسلم - قال: أنزل الله في عامر وأربد ما كانا هما به من النبي - صلى الله عليه وسلم - قوله: (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) أخرجه ابن أبي حاتم (٧) / (٢٢٣٢) - .

تفسير الآية

(له معقبات)

(٣٨٧٥٤) - عن كنانة العدوي، قال: دخل عثمان بن عفان على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال: يا رسول الله، أخبرني عن العبد، كم معه من ملك؟ فقال: «ملك عن يمينك على حسناتك، وهو أمير على الذي على الشمال، إذا عملت حسنة كتبت عشرا، فإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين: أكتب؟ قال: لا، لعله يستغفر الله ويتوب - فإذا قال ثلاثا، قال: نعم، اكتبه، أراحنا الله منه فبئس القرين، ما أقل مراقبته لله، وأقل استحياؤه منه - يقول الله: (وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) [ق: (١٨)]، وملكان من بين يديك ومن خلفك، يقول الله: (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) - وملك قابض على ناصيتك، فإذا تواضعت لله رفعك، وإذا تجبرت على الله قصمك، وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك، وملكان على عينيك، فهؤلاء عشرة أملاك على كل بني آدم، ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار؛ لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار، فهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي، وإبليس بالنهار، وولده بالليل» أخرجه ابن جرير (١٣) / (٤٥٦) - (٤٥٧) - قال ابن كثير في تفسيره (٤) / (٤٣٨): «حديث غريب جدا» - .

(٣٨٧٥٥) - عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «وكل بالمؤمن ستون وثلاثمائة

(١) ".

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٣/٢١

"الحق ووعدتكم فأخلفتكم)» الآية أخرجه الدارمي (٢) / (٤٢١) ((٢٨٠٤))، وابن جرير (١٣) / (٦٣٠) - (٦٣١)، ويحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين (٢) / (٣٦٧) - ، وابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير (٤) / (٤٩٠) - - قال الهيثمي في المجمع (١٠) / (٣٧٦) ((١٨٥١٠)): «رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وهو ضعيف» - وقال السيوطي: «بسند ضعيف» - .
(٣٩٦٠٤) - عن عامر الشعبي - من طريق داود بن أبي هند - في هذه الآية، قال: خطيبان يقومان يوم القيامة: إبليس، وعيسى ابن مريم؛ فأما إبليس فيقوم في حزبه، فيقول هذا القول، وأما عيسى فيقول: (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) [المائدة: (١١٧)] أخرجه ابن جرير (١٣) / (٦٢٩) - (٦٣٠) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .
(٣٩٦٠٥) - عن الحسن البصري - من طريق سفيان، عن رجل - قال: إذا كان يوم القيامة قام إبليس خطيبا على منبر من نار، فقال: (إن الله وعدكم وعد الحق) إلى قوله: (وما أنتم بمصرخي) أخرجه ابن جرير (١٣) / (٦٣١) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم - .
(٣٩٦٠٦) - عن محمد بن كعب القرظي - من طريق ابن المبارك، عمن ذكره - في قوله: (وقال الشيطان لما قضي الأمر) الآية، قال: قام إبليس يخطبهم، فقال: (إن الله وعدكم وعد الحق) إلى قوله: (ما أنا بمصرخكم) أخرجه ابن جرير (١٣) / (٦٣١) - .
(٣٩٦٠٧) - قال مقاتل: يوضع له منبر في النار، فيرقاه، فيجتمع عليه الكفار باللائمة تفسير الثعلبي (٥) / (٣١٣)، وتفسير البغوي (٤) / (٣٤٤) - .
(٣٩٦٠٨) - قال مقاتل بن سليمان: (وقال الشيطان)، يعني: إبليس تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٤٠٣) - .
(٣٩٦٠٩) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - قال: قال خطيب السوء الصادق إبليس - أفرأيتم صادقا لم ينفعه صدقه؟! - : (إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم، وما كان لي عليكم من سلطان) أخرجه ابن جرير (١٣) / (٦٣٣) - بين ابن عطية ((٥) / (٢٣٩)) معنى قوله تعالى: (لما قضي الأمر) بناء على قول الشعبي، والحسن، ومحمد بن كعب، ومقاتل، وابن زيد، فقال: «فعلى معنى هذه الروايات يكون معنى قوله تعالى: (قضي الأمر)، أي: تعين قوم لدخول النار، وقوم لدخول الجنة، وذلك كله في الموقف» - .

(لما قضي الأمر)

". (١)

"صاغرون أخرجه عبد الرزاق (١) / (٣٧٣)، وفي مصنفه ((٩٨٨٢))، وابن جرير (١٤) / (٥٠٦) - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

(٤٢٥١٦) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد -: ثم عاد القوم لشر ما بحضرتهم، فبعث الله عليهم ما شاء من نقمته، ثم كان عذاب الله أن بعث عليهم العرب، فهم منهم في عذاب إلى يوم القيامة أخرجه يحيى بن سلام (١) / (١١٩) - .

(٤٢٥١٧) - قال مقاتل بن سليمان: ثم قال لهم: (وإن عدتم عدنا)، يقول: وإن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم بأشد مما أصابكم، يعني: من القتل والسبي، فعادوا إلى الكفر، وقتلوا يحيى بن زكريا، فسلط الله عليهم ططس بن استاتوس الرومي، ويقال: اصطفابوس، فقتل على دم يحيى بن زكريا مائة ألف وثمانين ألفا من اليهود، فهم الذين قتلوا **الرقيب** على عيسى الذي كان شبه لهم، وسبى ذراريهم، وأحرق التوراة، وخرب بيت المقدس، وألقى فيه الجيف، وذبح فيه الخنازير، فلم يزل خرابا حتى جاء الإسلام، فعمره المسلمون تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٥٢٢) - (٥٢٣) - .

(٤٢٥١٨) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قول الله تعالى: (عسى ربكم أن يرحمكم) قال: بعد هذا، (وإن عدتم) لما صنعتم، لمثل هذا؛ لقتل الأنبياء (عدنا) لكم بمثل هذا أخرجه ابن جرير (١٤) / (٥٠٧) - .

(٤٢٥١٩) - قال يحيى بن سلام: (وإن عدتم عدنا) عليكم بالعقوبة - كان أعلمهم أن هذا كائن كله تفسير يحيى بن سلام (١) / (١١٨) - .

(وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا (٨))

(٤٢٥٢٠) - عن عبد الله بن عباس - من طريق علي - في قوله: (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)، قال: سجنا أخرجه ابن جرير (١٤) / (٥٠٨)، وابن أبي حاتم - كما في فتح الباري (٨) / (٣٩٣)، والإتقان (٢) / (٢٤) - - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٤٢٥٢١) - عن عبد الله بن عباس - من طريق العوفي - في قوله: (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٠٨/٢١

يقول: جعل الله مأواهم فيها أخرجه ابن جرير (١٤) / (٥٠٧) - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - . (١) ".

"(٥٨١٣٤) - عن عبد الله بن عباس - من طريق الأعمش - في قوله: (فإذا خفت عليه)، قال: أن يسمع جيرانك صوته أخرجه ابن أبي حاتم (٩) / (٢٩٤٢) - .

(٥٨١٣٥) - قال عبد الله بن عباس: ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها، فقذف الله في نفسها أن تتخذ له تابوتا، ثم تقذف التابوت في اليم تفسير الثعلبي (٧) / (٢٣٤)، وتفسير البغوي (٦) / (١٩١) - (١٩٢) - .

(٥٨١٣٦) - قال وهب بن منبه: لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها جميع الناس، فلم يطلع على حبلها أحد من خلق الله، وذلك شيء ستره الله لما أراد أن يمن به على بني إسرائيل، فلما كانت السنة التي يولد فيها بعث فرعون القوابل، وتقدم إليهن، ففتشن النساء تفتيشا لم يفتشن قبل ذلك مثله، وحملت أم موسى بموسى، فلم ينتأ بطنها، ولم يتغير لونها، ولم يظهر لبنها، وكانت القوابل لا تتعرض لها، فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة، ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم، فأوحى الله إليها: (أن أرضعيه، فإذا خفت عليه) الآية، فكتمته أمه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها، لا يبكي ولا يتحرك، فلما خافت عليه عملت تابوتا له مطبقا، ثم ألقته في البحر ليلا تفسير البغوي (٦) / (١٩٢) - .

(٥٨١٣٧) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - قال: فلما وضعته أرضعته، ثم دعت له نجارا، وجعلت له تابوتا، وجعلت مفتاح التابوت من داخل، وجعلته فيه، وألقته في اليم أخرجه ابن جرير (١٨) / (١٥٦) - (١٥٧)، وابن أبي حاتم (٩) / (٢٩٤٠) - .

(٥٨١٣٨) - قال مقاتل بن سليمان: (فإذا خفت عليه) القتل، وكانت أرضعته ثلاثة أشهر، وكان خوفها أنه كان يبكي من قلة اللبن، فيسمع الجيران بكاء الصبي، فقال: (فإذا خفت عليه فألقيه في اليم) تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٣٣٦) - (٣٣٧) - .

(٥٨١٣٩) - عن عبد الملك ابن جريج - من طريق حجاج - في قوله: ﴿فإذا خفت (٢) ".

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٥٨/٢٣

(٢) موسوعة التفسير المأثور ١٧/٣١

"يعني: الجنة - فقالت عائشة بنت أبي بكر الصديق وحين خيرهن النبي - صلى الله عليه وسلم - : بل نختار الله والدار الآخرة، وما لنا وللدنيا! إنما جعلت الدنيا دار فناء، والآخرة هي الباقية أحب إلينا من الفانية - فرضي نساؤه كلهن بقول عائشة، فلما اخترن الله ورسوله أنزل الله: (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء **رقيبا**) [الأحزاب: (٥٢)] تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٤٨٦) - (٤٨٧) - .

(٦٢٠٨٦) - عن ابن مناح، قال: اخترنه - صلى الله عليه وسلم - جميعا غير العامرية، فكانت ذاهبة العقل حتى ماتت أخرجه ابن سعد (٨) / (١٤٢)، (١٩١) - .

(٦٢٠٨٧) - قال يحيى بن سلام: (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) الجنة تفسير يحيى بن سلام (٢) / (٧١٣) - .

سورة الأحزاب - (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة)

(٦٢٠٨٨) - قال إسماعيل السدي: (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة)، يعني: الزنا علقه يحيى بن سلام (٢) / (٧١٤) - قال ابن عطية ((٧) / (١١٣)): «والإشارة بالفاحشة إلى الزنا وغيره» - .

(٦٢٠٨٩) - عن مقاتل بن سليمان، في قوله: (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة): يعني: العصيان للنبي - صلى الله عليه وسلم - تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٤٨٧) - وأخرجه البيهقي في السنن (٧) / (٧٣) - .

(يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا (٣٠))

قراءات

(٦٢٠٩٠) - عن أبي عمرو - من طريق هارون - قال: كل شيء في القرآن «يضاعف»
(١) ".

"(٦٢٦٤١) - قال يحيى بن سلام: (إلا ما ملكت يمينك) يطأ بملك يمينه ما يشاء تفسير يحيى بن سلام (٢) / (٧٣٢) - .

(وكان الله على كل شيء **رقيبا** (٥٢))

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢١٣/٣٢

(٦٢٦٤٢) - عن الحسن البصري - من طريق سعيد - (وكان الله على كل شيء **رقيبا**): أي: حفيظا أخرجه ابن جرير (١٩) / (١٥٧) - .

(٦٢٦٤٣) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - (وكان الله على كل شيء **رقيبا**): أي: حفيظا أخرجه ابن جرير (١٩) / (١٥٧) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٦٢٦٤٤) - عن إسماعيل السدي: (وكان الله على كل شيء **رقيبا**): حفيظا لأعمالكم علقه يحيى بن سلام (٢) / (٧٣٢) - .

(٦٢٦٤٥) - قال مقاتل بن سليمان: حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يركب في أمرهن ما لا ينبغي، فقال: (وكان الله على كل شيء) من العمل (**رقيبا**) حفيظا تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٥٠٣) - .

(٦٢٦٤٦) - قال يحيى بن سلام: (وكان الله على كل شيء **رقيبا**) حفيظا تفسير يحيى بن سلام (٢) / (٧٣٢) - .

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستئنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق)

نزول الآية

(٦٢٦٤٧) - عن أنس بن مالك، قال: كانوا إذا طعموا جلسوا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - رجاء أن

(١) ".

"في شك) ليبين المؤمن من الكافر، (وربك على كل شيء) من الإيمان والشك (حفيظ) **رقيب** تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٥٣١) - .

(٦٣٤٢٦) - قال يحيى بن سلام: (إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة) وهذا علم الفعال (ممن هو منها) من الآخرة (في شك)، وإنما جحد المشركون الآخرة ظنا منهم، وذلك منهم على الشك، (وربك على كل شيء حفيظ) حتى يجازيهم في الآخرة تفسير يحيى بن سلام (٢) / (٧٥٧) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٨٦/٣٣

(قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير (٢٢))

(٦٣٤٢٧) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - (وما لهم فيهما من شرك) يقول: ما لله من شريك في السماوات ولا في الأرض، (وما له منهم) قال: من الذين دعوا من دون الله (من ظهير) يقول: من عون بشيء أخرجه ابن جرير (١٩) / (٢٧٣) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم - .

(٢٨٤٦٣) - عن إسماعيل السدي، في قوله: (وما له منهم من ظهير)، يقول: من عون من الملائكة عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

(٦٣٤٢٩) - قال مقاتل بن سليمان: (قل) لكفار مكة: (ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أنهم آلهة - يعني: الملائكة الذين عبدتموهم - ، فليكشفوا الضر الذي نزل بكم من الجوع من السنين السبع - نظيرها في بني إسرائيل يشير إلى قوله: (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) [الإسراء: (٥٦)] - - أخبر الله عن الملائكة أنهم (لا يملكون) لا يقدرون على (مثقال ذرة) يعني: أصغر وزن النمل (في السماوات) في خلق السموات، (ولا في الأرض) فكيف يملكون كشف الضر عنكم؟! (وما لهم فيهما) في خلق السموات والأرض (من شرك) يعني: الملائكة (وما له منهم) من الملائكة (من ظهير) يعني: عونا على شيء تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٥٣١) - .

(٦٣٤٣٠) - قال يحيى بن سلام: (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) يعني: أوثانهم، زعمتم أنهم آلهة (لا يملكون) لا تملك تلك الآلهة (مثقال ذرة) وزن ذرة (في
" (١).

"القرآن أخرجه ابن جرير (٢٠) / (٥)، كما أخرجه من طريق علي بن عاصم عن عمرو بن عبيد بلفظ: عارض القرآن بعملك - وجه ابن جرير ((٢٠) / (٥)) قول الحسن، فقال: «اختلف أهل التأويل في معنى قول الله: (ص)؛ فقال بعضهم: هو من المصاداة، من صاديت فلانا، وهو أمر من ذلك، كأن معناه عندهم: صاد بعملك القرآن، أي: عارضه به - ومن قال هذا تأويله فإنه يقرؤه بكسر الدال؛ لأنه أمر» - وذكر الرواية بذلك عن الحسن -.

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٣٥/٣٣

(٦٦٢٥٨) - عن الحسن البصري - من طريق النضر، عن هارون، عن عمرو [بن عبيد]- (ص)، يقول: صاد بعلمك.=

(٦٦٢٥٩) - قال النضر: الصاد **المراقبة**، صاد فلان فلانا كأنه ينتظره أخرجه إسحاق البستي ص (٢٢٨) -.

(٦٦٢٦٠) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - (ص)، قال: هو اسم من أسماء القرآن، أقسم الله به أخرجه ابن جرير (٢٠) / (٦) -.

(٦٦٢٦١) - عن قتادة بن دعامة - من طريق معمر - في قوله تعالى: (ص)، قال: يقول: «ص» كما تقول: تلق كذا أخرجه عبد الرزاق (٢) / (١٦٠) -.

(٦٦٢٦٢) - قال محمد بن كعب القرظي: (ص) هو مفتاح أسماء الله: صمد، وصانع المصنوعات، وصادق الوعد تفسير الثعلبي (٨) / (١٧٦)، وتفسير البغوي (٤) / (٥٢) -.

(٦٦٢٦٣) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط -: أما (ص) فمن الحروف أخرجه ابن جرير (٢٠) / (٦) -.

(٦٦٢٦٤) - قال إسماعيل السدي: (ص) قسم أقسم الله به، وهو اسم من أسماء الله تفسير الثعلبي (٨) / (١٧٦) -.

(والقرآن ذي الذكر (١))

(٦٦٢٦٥) - عن عبد الله بن عباس - من طريق سعيد بن جبير - (ص والقرآن ذي (١) ".

"بالإسراف: الشرك، والقتل، والزنا، فلا ذنب أعظم إسرافا من الشرك تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٦٨٣) - اختلف السلف في نزول الآية على أقوال: الأول: أنها نزلت في قوم من أهل الشرك، قالوا لما دعوا إلى الإيمان بالله: كيف نؤمن وقد أشركنا وزنينا، وقتلنا النفس التي حرم الله، والله يعد فاعل ذلك النار؟! الثاني: نزلت في قوم من أهل الإسلام، وقالوا: تأويل الكلام: إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء، قالوا: وهي كذلك في مصحف عبد الله، وقالوا: إنما نزلت هذه الآية في قوم صدهم المشركون عن الهجرة وفتنوهم، فأشفقوا أن لا يكون لهم توبة - الثالث: نزلت في قوم كانوا يرون أهل الكبائر من أهل النار،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤/٣٥

فأعلمهم الله بذلك أنه يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء - وقد رجح ابن جرير ((٢٠) / (٢٣٠)) العموم، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى - تعالى ذكره - بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك؛ لأن الله عم بقوله: (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) جميع المسرفين، فلم يخصص به مسرفا دون مسرف - فإن قال قائل: فيغفر الله الشرك؟ قيل: نعم، إذا تاب منه المشرك، وإنما عنى بقوله: (إن الله يغفر الذنوب جميعا) لمن يشاء، كما قد ذكرنا قبل أن ابن مسعود كان يقرؤه، وأن الله قد استثنى منه الشرك إذا لم يتب منه صاحبه، فقال: إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فأخبر أنه لا يغفر الشرك إلا بعد توبة بقوله: (إلا من تاب وآمن وعمل صالحا) [الفرقان: (٧٠)]، فأما ما عداه فإن صاحبه في مشيئة ربه؛ إن شاء تفضل عليه، فعفا له عنه، وإن شاء عدل عليه فجازاه به» - وبنحوه ابن عطية ((٧) / (٤٠٣))، قال: «هذه الآية عامة في جميع الناس إلى يوم القيامة؛ في كل كافر ومؤمن، أي: إن توبة الكافر تمحو ذنوبه، وتوبة العاصي تمحو ذنبه» - .

(لا تقنطوا من رحمة الله)

(٦٧٥١١) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عطية العوفي - في قوله: (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)، يقول: لا تيأسوا من رحمة الله أخرجه ابن جرير (٢٠) / (٢٢٤) - .

(٦٧٥١٢) - قال مقاتل بن سليمان: يقول: (لا تقنطوا من رحمة الله) لأنهم ظنوا ألا توبة لهم تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٦٨٣) - .

آثار متعلقة بالآية

(٦٧٥١٣) - عن أبي هريرة، قال: خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - على رهط من أصحابه يضحكون ويتحدثون، فقال: «والذي نفسي بيده، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا» - ثم انصرف، وبكى القوم، فأوحى الله إليه: يا محمد، لم تقنط عبادي؟ فرجع النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وقال: «أبشروا، وسددوا، وقاربوا» أخرجه ابن حبان (١) / (٣١٩) ((١١٣))، (٢) / (٧٣) - (٧٤) ((٣٥٨))، وبنحوه مختصرا الحاكم (٤) / (٦٢٢) - قال الحاكم: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة» - وقال الألباني في الصحيحة (٧) / (٥٨٩) ((٣١٩٤)): «لا ينزل عن مرتبة الحسن؛ لما له من الشواهد المبثوثة في مختلف الأحاديث - وللشطر الأول من حديث الترجمة شواهد كثيرة، أصحها حديث أنس بن مالك مرفوعا به - أخرجه البخاري ((٦٤٨٦))، ومسلم ((٩٠١))» - .

(٦٧٥١٤) - عن علي بن أبي طالب - من طريق يحيى - قال: إن الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس

من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فهم فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها أخرجه ابن الضريس ((٦٩)) – وعزاه السيوطي إلى أبي القاسم بن بشران في أماليه – .

(٦٧٥١٥) – عن عبيد بن عمير، عن عائشة، أنها قالت له: ألم أحدث أنك تجلس ويجلس إليك؟ قال: بلى – قالت: فإياك وإهلاك الناس وتقنيطهم أخرجه عبد الرزاق ((٢٠٥٦٠)) – وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر – .

(٥١٦٧٦) – عن ضمضم بن جوس، قال: دخلت مسجد المدينة، فناداني شيخ، فقال: يا يماني، تعال – وما أعرفه، فقال: لا تقولن لرجل: والله، لا يغفر الله لك أبدا، ولا يدخلك الله الجنة – قلت: ومن أنت، يرحمك الله؟ قال: أبو هريرة – قال: فقلت: إن هذه الكلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب، أو لزوجته، أو لخادمه – قال: فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين، أحدهما مجتهد في العبادة، والآخر يقول كأنه مذنب، فجعل يقول: أقصر أقصر عما أنت فيه – قال: فيقول: خلني وربي – قال: حتى وجده يوما على ذنب استعظمه، فقال: أقصر – فقال: خلني وربي؛ أبعثت علي رقيبا؟ فقال: والله، لا يغفر الله لك أبدا، ولا يدخلك الجنة أبدا – قال: فبعث الله إليهما ملكا، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي – وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي
" (١).

"(٦٨٥٩٢) – عن عطاء [ابن أبي رباح] – من طريق طلحة بن عمرو – (ادفع بالتي هي أحسن)، قال: بالسلام أخرجه ابن جرير (٢٠) / (٤٣٣) – وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد – وجه ابن عطية ((٧) / (٤٨٤)) قول مجاهد، وعطاء، بقوله: «لا شك أن السلام هو مبدأ الدفع بالتي هي أحسن، وهو جزء منه» – .

(فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٣٤))

نزول الآية

(٦٨٥٩٣) – قال مقاتل بن حيان: (كأنه ولي حميم) نزلت في أبي سفيان بن حرب، وذلك أنه لان

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٤٣/٣٥

للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ثم أسلم فصار وليا بالإسلام، حميما بالقرابة تفسير البغوي (٧) / (١٧٥) - .

تفسير الآية

(٦٨٥٩٤) - عن عكرمة مولى ابن عباس، قال: الحميم: ذو القرابة - والولي: الصديق عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٦٨٥٩٥) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - في قوله: (كأنه ولي حميم)، قال: ودي رقيب أخرجه عبد الرزاق (٢) / (١٨٧) - (١٨٨) من طريق معمر، وابن جرير (٢٠) / (٤٣٣) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٦٨٥٩٦) - قال مقاتل بن سليمان: يقول: إذا فعلت ذلك (فإذا الذي بينك وبينه عداوة) يعني: أبا جهل (كأنه ولي) لك في الدين، (حميم) لك في النسب، الشفيق عليك تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٤٣) - .

(وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم (٣٥))

(٦٨٥٩٧) - عن عبد الله بن عباس - من طريق علي - قوله: (وما يلقاها إلا الذين صبروا (١) ".

"دون الله (الله حفيظ عليهم) يعني: رقيب عليهم، (وما أنت عليهم) يا محمد (بوكيل) يعني: بمسيطر تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٦٤) - .

(وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها)

(٦٨٨٢٧) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - في قوله: (لتنذر أم القرى) قال: مكة أخرجه ابن جرير (٢٠) / (٤٦٩) - .

(٦٨٨٢٨) - قال مقاتل بن سليمان: (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا) ليفقهوا ما فيه (لتنذر) يعني: ولكي تنذر بالقرآن يا محمد (أم القرى) وهي مكة، وإنما سميت: أم القرى؛ لأن الأرض كلها دحيت من تحت الكعبة، (ومن حولها) ولتنذر - يا محمد - بالقرآن من حولها، يعني: حول مكة من القرى، يعني: قرى الأرض كلها تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٦٤) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٦٤/٣٥

(وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه)

(٦٨٨٢٩) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - (وتنذر يوم الجمع)، قال: يوم القيامة أخرجه ابن جرير (٢٠) / (٤٧٠) - .

(٦٨٨٣٠) - قال مقاتل بن سليمان: (وتنذر) ولكي تنذر بالقرآن (يوم الجمع) يعني: جمع أهل السموات وجمع أهل الأرض (لا ريب فيه) يعني: لا شك فيه - في البعث - أنه كائن تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٦٤) - .

(فريق في الجنة وفريق في السعير (٧))

(٦٨٨٣١) - عن عبد الله بن عمرو، قال: خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي يده كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟» - قلنا: لا، إلا أن تخبرنا، يا رسول الله - قال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم

(١) ".

"قال مقاتل بن سليمان: في قراءة ابن مسعود: (وإنآ إذآ أذقنا الناس منا رحمة فرحوا بها) تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٧٤) - وقراءة ابن مسعود شاذة - .

تفسير الآية

(٦٩١٧٩) - قال عبد الله بن عباس: (وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها)، يعني: الغنى، والصحة تفسير البغوي (٧) / (٢٠٠) - .

(٦٩١٨٠) - قال مقاتل بن سليمان: (فإن أعرضوا) عن الهدى (فما أرسلناك عليهم حفيظا) يعني: رقيبا، (إن عليك إلا البلاغ) يا محمد، (وإنا إذا أذقنا الإنسان) يقول: إذا مسسنا - وفي قراءة ابن مسعود: (وإنآ إذآ أذقنا الناس منا رحمة فرحوا بها) يعني: المطر، (وإن تصبهم سيئة) يعني: كفار مكة، يعني: قحط في المطر (بما قدمت أيديهم) من الكفر (فإن الإنسان كفور) فيها تقديم، لنعم ربه في كشف الضر عنه، يعني: الجوع وقحط المطر - نظيرها في الروم تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٧٤) - يشير إلى قوله تعالى: (وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) [الروم: (٣٦)] - وقراءة ابن مسعود شاذة - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٥/٣٦

(لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩))
(٦٩١٨١) - عن عائشة، قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن أولادكم هبة الله لكم (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور)، فهم وأموالهم لكم إذا احتجتم إليها» أخرجه الحاكم (٢) / (٣١٢) ((٣١٢٣))، والثعلبي (٨) / (٣٢٥)، من طريق علي بن الحسن بن شقيق، عن أبي حمزة، عن إبراهيم الصائغ، عن حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم النخعي، عن الأسود، عن عائشة به - قال الحاكم: «حديث صحيح، على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» - ووافقه الذهبي في التلخيص - وأورده الألباني في الصحيحة (٦) / (١٣٧) ((٢٥٦٤)) - .
(١) ".

"(٧٢٠٢٦) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - قال: (حبل الوريد) الذي في الحلق تفسير مجاهد ص (٦١٤)، وأخرجه ابن جرير (٢١) / (٤٢٢) بنحوه - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .
(٧٢٠٢٧) - عن جويبر، قال: سألت الضحاك بن مزاحم عن قوله: (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) - قال: ليس شيء أقرب إلى ابن آدم من حبل الوريد، والله أقرب إليه منه عزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .
(٧٢٠٢٨) - قال مقاتل بن سليمان: (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه) يعني: قلبه، (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وهو عرق خالط القلب، فعلم الرب تعالى أقرب إلى القلب من ذلك العرق تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (١١٢) - رجح ابن تيمية ((٦) / (٨٨) - (٩٢)) مستندا إلى السياق - أن المراد بالقرب: قربه إليه بالملائكة، فقال: «وسياق الآيتين يدل على أن المراد: الملائكة؛ فإنه قال: (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)، فقيد القرب بهذا الزمان وهو زمان تلقي المتلقيين قعيد عن اليمين وقعيد عن الشمال، وهما الملكان الحافظان اللذان يكتبان كما قال: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) - ومعلوم أنه لو كان المراد قرب ذات الرب لم يختص ذلك بهذه الحال، ولم يكن لذكر القعيدين والرقيب والعتيد معنى مناسب» - وبنحوه قال ابن كثير ((١٣) / (١٨٥)) - وذكر ابن تيمية أن هذا هو المعروف عن المفسرين المتقدمين من السلف، ووجه تفسير القرب بالعلم بقوله: «وهؤلاء كلهم مقصودهم أنه ليس المراد أن ذات الباري - جل

(١) موسوعة التفسير المأثور ٧٦/٣٦

وعلا – قريبة من وريد العبد ومن الميت، ولما ظنوا أن المراد قربه وحده دون قرب الملائكة فسروا ذلك بالعلم والقدرة كما في لفظ المعية» – وبنحوه قال ابن كثير ((١٣) / (١٨٥)) – وانتقد ابن تيمية ((٦) / (٩٠) – (٩١)) هذا المعنى مستندا للسياق. والدلالة العقلية، فقال: «ولا حاجة إلى هذا؛ فإن المراد بقوله: (ونحن أقرب إليه منكم) أي: بملائكتنا في الآيتين، وهذا بخلاف لفظ المعية؛ فإنه لم يقل: ونحن معه، بل جعل نفسه هو الذي مع العباد، وأخبر أنه ينبئهم يوم القيامة بما عملوا، وهو نفسه الذي خلق السموات والأرض، وهو نفسه الذي استوى على العرش، فلا يجعل لفظ مثل لفظ مع تفريق القرآن بينهما – وقوله: (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) لا يجوز أن يراد به مجرد العلم؛ فإن من كان بالشيء أعلم من غيره لا يقال: إنه أقرب إليه من غيره لمجرد علمه به، ولا لمجرد قدرته عليه – ثم إنه عالم بما يسر من القول وما يجهر به وعالم بأعماله؛ فلا معنى لتخصيص حبل الوريد بمعنى أنه أقرب إلى العبد منه؛ فإن حبل الوريد قريب إلى القلب ليس قريبا إلى قوله الظاهر، وهو يعلم ظاهر الإنسان وباطنه – ومما يدل على أن القرب ليس المراد به العلم أنه قال تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) فأخبر أنه يعلم ما توسوس به نفسه، ثم قال: (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) فأثبت العلم، وأثبت القرب، وجعلهما شيئين، فلا يجعل أحدهما هو الآخر – وقيد القرب بقوله: (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)» – واستدرك ابن القيم ((٣) / (١٢) – (١٣)) ما رجحه ابن تيمية مستندا لظاهر الآية، والسنة، فقال: «قلت: أول الآية يأبى ذلك؛ فإنه قال: (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه) – وفي صحيح مسلم من حديث حذيفة بن أسيد في تخليق النطفة: «فيقول الملك الذي يخلقه: يا رب، ذكر أم أنثى؟ أسوي أم غير سوي؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك» – فهو سبحانه الخالق وحده» – ثم علق بقوله: «ولا ينافي ذلك استعمال الملائكة» – وذكر ابن عطية ((٨) / (٣٨)) أن (الإنسان) اسم جنس، ثم قال: «وقال بعض المفسرين: الإنسان هنا: آدم » – .

آثار متعلقة بالآية

(١) ".

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٤٨/٣٧

"(٧٢٠٤٢) - عن معاذ بن جبل مرفوعا: «إن الله لطف الملكين الحافظين، حتى أجلسهما على الناجذين، وجعل لسانه قلمهما، وريقه مدادهما» أخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (٣) / (٢٥٣)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١) / (٢٢٤) كلاهما بنحوه - وأورده الديلمي في الفردوس - قال الألباني في الضعيفة (٦) / (١٤٧) ((٢٦٤١)): «موضوع» - .

(٧٢٠٤٣) - عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن مقعد ملائكتك على ثنيتيك، ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تجري - أظنه قال: - فيما لا يعنيك، لا تستحي من الله، ولا منهما» أخرجه الثعلبي (٩) / (٩٩)، من طريق جميل بن الحسن، قال: حدثنا أرطأة بن الأشعث العدوي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي به - إسناده ضعيف جدا؛ فيه أرطاة بن أشعث العدوي، وهو هالك، قال ابن حبان: «روى عن الأعمش المناكير التي لا يتابع عليها، لا يجوز الاحتجاج به بحال» - كما في لسان الميزان لابن حجر (٢) / (١٨) - .

(٧٢٠٤٤) - كان الحسن البصري يعجبه أن ينظف عنفقته العنفقة: الشعر الذي في الشفة السفلى - النهاية (عنفق) - تفسير الثعلبي (٩) / (٩٩)، وتفسير البغوي (٧) / (٣٥٩) ذكر ابن عطية ((٨) / (٤١)) أن الحسن كان يفعل ذلك لأنه قال هو والضحاك: إن مقعد الملكين تحت الشعر - .

(٧٢٠٤٥) - عن سفيان [الثوري] - من طريق مهران - قال: بلغني: أن كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا أذنب قال له: لا تعجل لعله يستغفر أخرجه ابن جرير (٢١) / (٤٢٦) - .

(ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨))

(٧٢٠٤٦) - عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن الحافظين إذا نزلا على العبد أو الأمة معهما كتاب مختوم، فيكتبان ما يلفظ العبد أو الأمة، فإذا أرادا أن ينهضا قال أحدهما للآخر: فك الكتاب المختوم الذي معك - فيفكه له، فإذا فيه ما كتب سواء، فذلك قوله تعالى: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)» أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤) / (١٧٣)، (٥) / (٥٧) - قال أبو نعيم: «غريب من حديث الأعمش عن زيد، لم يروه عنه إلا سهيل» - .

(٧٢٠٤٧) - عن عبد الله بن عباس، في قوله: (ما يلفظ من قول) الآية، قال: يكتب كل ما تكلم به من

خير أو شر، حتى إنه ليكتب قوله: أكلت، وشربت، ذهبت، جئت،
(١) ".

"رأيت، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر، وألقى سائره، فذلك قوله: (يمحو الله ما يشاء ويثبت) [الرعد: (٣٩)] أخرجه ابن جرير - كما في الفتح (٨) / (٤٩٥) - - وعزاه السيوطي ابن أبي حاتم - .

(٧٢٠٤٨) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عكرمة - في قوله: (ما يلفظ من قول إلا لديه **رقيب** عتيد)، قال: إنما يكتب الخير والشر، لا يكتب: يا غلام، أسرج الفرس، ويا غلام، اسقني الماء أخرجه ابن أبي شيبة (١٣) / (٥٧٥)، والحاكم (٢) / (٤٦٥) - وعلقه البخاري مختصرا (٦) / (٢٧٤٥) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه - .

(٧٢٠٤٩) - عن عبد الله بن عباس - من طريق الكلبي، عن أبي صالح - في قوله: (ما يلفظ من قول إلا لديه **رقيب** عتيد)، قال: كاتب الحسنات عن يمينه يكتب حسناته، وكاتب السيئات عن يساره، فإذا عمل حسنة كتب صاحب اليمين عشرا، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه حتى يسبح أو يستغفر - فإذا كان يوم الخميس كتب ما يجري به الخير والشر، ويلقي ما سوى ذلك، ثم يعرض على أم الكتاب، فيجده بجملته فيه عزاه السيوطي إلى ابن أبي الدنيا في الفرية - .

(٧٢٠٥٠) - عن الأحنف بن قيس، في قوله: (عن اليمين وعن الشمال قعيد)، قال: صاحب اليمين يكتب الخير، وهو أمير على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة قال: أمسك - فإن استغفر الله نهاه أن يكتبها، وإن أبى إلا أن يصر كتبها أخرجه ابن أبي الدنيا ((٨٠)) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٧٢٠٥١) - قال أبو الجوزاء: (ما يلفظ من قول) يكتبان عليه كل شيء، حتى أنينه في مرضه تفسير الثعلبي (٩) / (٩٩).

(٧٢٠٥٢) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (**رقيب** عتيد)، قال: رصيد تفسير مجاهد ((٦١٤))، وأخرجه ابن جرير (٢١) / (٤٢٣) بلفظ: رصد، والفريابي - كما في تغليق

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٥٢/٣٧

التعليق (٤) / (٣١٧)، والفتح (٨) / (٥٩٤) - - .
". (١)

"(٧٢٠٥٣) - قال عكرمة مولى ابن عباس: (ما يلفظ من قول) إنما ذلك في الخير والشر يكتبان عليه أخرجه ابن جرير (٢١) / (٤٢٥) - .

(٧٢٠٥٤) - قال الحسن البصري=

(٧٢٠٥٥) - وقتادة بن دعامة - من طريق سعيد - : (ما يلفظ من قول)، أي: ما يتكلم به من شيء إلا كتب عليه أخرجه ابن جرير (٢١) / (٤٢٥) - .

(٧٢٠٥٦) - عن عطاء بن أبي رباح - من طريق محمد بن سوقة - أنه قال: إن من كان قبلكم كان يكره فضول الكلام، ما عدا كتاب الله تعالى أن تقرأه، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، وأن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها، أتنكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين؟! وأن (عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)؟! أما يستحي أحدكم لو نشرت صحيفته التي ملأ صدر نهاره وأكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه أخرجه ابن أبي شيبة (١٣) / (٥٧٢) - (٥٧٣) - .

(٧٢٠٥٧) - قال مقاتل بن سليمان: (ما يلفظ) ابن آدم (من قول إلا لديه رقيب عتيد) يقول: إلا عنده حافظ قعيد، يعني: ملكيه تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (١١٢) - .

(٧٢٠٥٨) - عن عبد الملك ابن جريج - من طريق ابن المبارك - قال: ملكان؛ أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات، وملك عن يساره يكتب السيئات، فالذي عن يمينه يكتب بغير شهادة من صاحبه، والذي عن يساره لا يكتب إلا عن شهادة من صاحبه، إن قعد فأحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، وإن مشى فأحدهما أمامه والآخر خلفه، وإن رقد فأحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه أخرجه أبو الشيخ في العظمة ((٥٢١)) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٧٢٠٥٩) - عن فطيس الشيباني، قال: سمعت مالكا يقول في قول الله : (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)، قال: يكتب عليه حتى الأنين في مرضه أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧) / (١٣) - .

(٧٢٠٦٠) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٧/٤٥٣

عتيد)، قال: جعل معه من يكتب كل ما لفظ به، وهو معه

(١) ".

"رقيب أخرجه ابن جرير (٢١) / (٤٢٦) - اختلف هل يكتب الملكان كل كلام أم لا؟ وذكر ابن عطية ((٨) / (٤٠)) أن القول بكتابتهما لكل كلام هو ظاهر الآية، ورجحه ((٨) / (٤١)) مستندا إلى ظاهر الآية، فقال: «والأول أصوب» - وكذا رجحه ابن تيمية ((٦) / (٩٤)) مستندا إلى اللغة، فقال: «وظاهر القرآن يدل على أنهما يكتبان الجميع؛ فإنه قال: (ما يلفظ من قول) نكرة في سياق الشرط مؤكدة بحرف (من)؛ فهذا يعم كل قوله» - وبنحوه قال ابن كثير ((١٣) / (١٨٦)) - .

(٧٢٠٦١) - عن سفيان بن عيينة - من طريق علي بن الحسن بن شقيق - قال: سمعت في قوله: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)، قال: سمعنا أنهما عند نابيه أخرجه إسحاق البستي ص (٤٠٥) - .

* * *

- آثار متعلقة بالآية

(٧٢٠٦٢) - عن حسان بن عطية: أن رجلا كان على حمار، فعثر به، فقال: تعست - فقال صاحب اليمين: ما هي بحسنة فأكتبها - وقال صاحب الشمال: ما هي بسيئة فأكتبها - فأوحي أو نودي: أن ما ترك صاحب اليمين فاكتبه أخرجه ابن أبي شيبة (١٣) / (٥٧٥)، والبيهقي في شعب الإيمان ((٥١٨٢)).وقد أورد السيوطي (١٣) / (٦٢١) - (٦٢٩) آثارا كثيرة عن كتابة الملائكة لعمل ابن آدم، وكيفية ذلك، ومتى تكون - .

(٧٢٠٦٣) - عن هشام الحمصي - من طريق عمرو بن الحارث - أنه بلغه: أن الرجل إذا عمل سيئة قال كاتب اليمين لصاحب الشمال: اكتب - فيقول: لا، بل أنت اكتب - ويمتنعان، فينادي مناد: يا صاحب الشمال، اكتب ما ترك صاحب اليمين أخرجه ابن جرير (٢١) / (٤٢٦) - ذكر ابن عطية ((٨) / (٤١)) أنه روي أن رجلا قال لجمله: حل - فقال ملك اليمين: لا أكتبها - وقال ملك الشمال: لا أكتبها - فأوحى الله إلى ملك الشمال: أن اكتب ما ترك ملك اليمين - ثم قال: «وروي نحوه عن هشام الحمصي» - ثم علق بقوله: «وهذه اللفظة إذا اعتبرت فهي بحسب مشيئته ببعيره، فإن كان في طاعة فإن» حل «حسنة، وإن كان في معصية فهي سيئة، والمتوسط بين هذين عسر الوجود، ولابد أن يقترن بكل أحوال

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٧/٤٥٤

المرء قرائن تخلصها للخير أو لخلافه» - .
(وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩) ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد (٢٠) وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١)) الآيات
(٧٢٠٦٤) - عن الضحاك بن مزاحم - من طريق عبيد - (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد): يعني: المشركين أخرجه ابن جرير (٢١) / (٤٣٢) - (٤٣٣) - .
(٧٢٠٦٥) - قال الحسن البصري: (ذلك ما كنت منه تحيد) هو الكافر، لم يكن شيء أبغض إليه من الموت ذكره يحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين (٤) / (٢٧٢) - - .
(٧٢٠٦٦) - عن صالح أبي خزيمة، قال: سمعت الحسن البصري يقول: (ذلك ما كنت منه تحيد)، قال: فاسق في الحياة، مفسد عند الموت أخرجه أبو حاتم الرازي في الزهد ص (٥١) - .
(٧٢٠٦٧) - عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهري، قال: سألت زيد بن أسلم عن قول الله: (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد)، فقلت له: من يراد بهذا؟ فقال: رسول الله - فقلت له: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟! فقال: وما تنكر! قد قال الله: (ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى) [الضحى: (٦) - (٧)].=
(٧٢٠٦٨) - قال: ثم سألت صالح بن كيسان عنها، فقال لي: هل سألت أحدا قبلي؟ فقلت: نعم، قد سألت زيد بن أسلم - فقال: وما قال لك؟ فقلت له: بل تخبرني ما تقول فيه - فقال: لأخبرنك برأيي الذي عليه رأي، فأخبرني ما قال لك زيد - قال: قلت: يراد بهذا رسول الله - فقال: وما علم زيد؟! والله، ما من سن عالية، ولا لسان فصيح، ولا معرفة بكلام العرب، إنما يراد بهذا الكافر - ثم قال: اقرأ ما بعدها يدلك على ذلك.=
(٧٢٠٦٩) - قال: ثم سألت الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، فقال لي مثل
". (١)

"(فوقهم) يعني: فوق المنافقين والكافرين (يوم القيامة) تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (١٨١) - ذكر ابن عطية ((١) / (٥٠٩) - (٥١٠)) أن المراد بالفوقية هنا الفوقية في الدرجة والقدر، فهي تقتضي التفضيل وإن لم يكن للكفار من القدر نصيب، كما قال تعالى: (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا)

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٥٥/٣٧

[الفرقان: (٢٤)]، ثم قال: «وتحتمل الآية أن المتقين هم في الآخرة في التنعم والفوز بالرحمة فوق ما هم هؤلاء فيه في دنياهم، وكذلك خير مستقرا من هؤلاء في نعمة الدنيا، فعلى هذا الاحتمال وقع التفضيل في أمر فيه اشتراك، وتحتمل هذه الآية أن يراد بالفوق المكان من حيث الجنة في السماء والنار في أسفل السافلين، فيعلم من ترتيب الأمكنة أن هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، وتحتمل الآيتان أن يكون التفضيل على ما يتضمنه زعم الكفار، فإنهم كانوا يقولون: وإن كان معاد فلنا فيه الحظ أكثر مما لكم، ومنه حديث خباب مع العاصي بن وائل، وهذا كله من التحميلات حفظ لمذهب سيبويه والخليل في أن التفضيل إنما يجيء فيما فيه شركة، والكوفيون يجيزونه حيث لا اشتراك» - .

والله يرزق من يشاء بغير حساب

(٧٤٣٢) - عن عطاء، قال: سألت ابن عباس عن هذه الآية: (والله يرزق من يشاء بغير حساب) - فقال: تفسيرها: ليس على الله رقيب، ولا من يحاسبه أخرجه ابن أبي حاتم (٢) / (٣٧٥) - .

(٧٤٣٣) - قال ابن عباس: يعني: كثيرا بغير مقدار؛ لأن كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل تفسير الثعلبي (٢) / (١٣٢)، وتفسير البغوي (١) / (٢٤٣) - .

(٧٤٣٤) - عن سعيد بن جبير - من طريق جعفر - (بغير حساب)، قال: لا يحاسب الرب أخرجه ابن أبي حاتم (٢) / (٣٧٥) - .

(٧٤٣٥) - وقال الضحاك بن مزاحم: يعني: من غير تبعة، يرزقه في الدنيا، ولا يحاسبه في الآخرة تفسير الثعلبي (٢) / (١٣٢)، وتفسير البغوي (١) / (٢٤٣) - .

(٧٤٣٦) - عن ميمون بن مهران - من طريق أبي المليح - (بغير حساب)، قال: غدقا أخرجه ابن أبي حاتم (٢) / (٣٧٥)، (٦٢٨) - .

(١) ".

"إلى الله ما حفظا في يوم، فيرى في أول الصحيفة وآخرها استغفارا، إلا قال الله: قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة» أخرجه الترمذي (٢) / (٤٧٢) - (٤٧٣) ((١٠٠٢)) بنحوه، والبزار (١٣) / (٢١٨) ((٦٦٩٦))، والثعلبي (٩) / (٩٩)، من طريق تمام بن نجيح، عن الحسن، عن أنس بن مالك به - وقال البزار: «وهذا الحديث لا نعلم رواه عن الحسن عن أنس إلا تمام بن نجيح، وتمام صالح الحديث،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٢٦/٤

ولم يرو هذا الحديث غيره، ولم يتابع عليه، وتفرد به أنس» - وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢) / (٣٠٥) ((١٣٢٠)): «هذا حديث لا يصح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - - قال ابن حبان [في المجروحين (١) / (٢٠٤) ((١٦١))]: تمام منكر الحديث جدا، يروي أشياء موضوعة عن الثقات، كأنه المتعمد لها» - وقال ابن كثير في تفسيره (٨) / (٣٤٤) معقبا على كلام البزار: «قلت: وثقه ابن معين، وضعفه البخاري، وأبو زرعة، وابن أبي حاتم، والنسائي، وابن عدي - ورماه ابن حبان بالوضع - وقال الإمام أحمد: لا أعرف حقيقة أمره» - وقال الهيثمي في المجمع (١٠) / (٢٠٨) ((١٧٥٨٠)): «فيه تمام بن نجيح، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه البخاري وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح» - وقال المناوي في التيسير (٢) / (٣٦٠) عن رواية البزار: «إسناد حسن، وقيل: صحيح» - وقال الألباني في الضعيفة (٥) / (٢٦٥) ((٢٢٣٩)): «ضعيف جدا» - .

(٨١٩٣٤) - عن عطاء بن يسار، يبلغ به النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قال: «إذا مرض العبد قال الله للكرام الكاتبين: اكتبوا لعبدي مثل الذي كان يعمل حتى أقبضه أو أعافيه» أخرجه ابن أبي شيبة (٣) / (٢٣١) - .

(٨١٩٣٥) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عطية العوفي - قال: جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل، وحافظين في النهار، يحفظان عمله ويكتبان أثره أخرجه ابن جرير (٢١) / (٤٢٥) في تفسير قوله تعالى: (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) [ق: (١٧)] - .

(٨١٩٣٦) - عن يعلى بن عبيد، قال: دخلنا على محمد بن سوقة، فقال: أحدثكم بحديث لعله ينفعكم، فإنه قد نفعني، قال: قال لنا عطاء بن أبي رباح: يا ابن أخي، إن من كان قبلكم كان يكره فضول الكلام، ما عدا كتاب الله تعالى أن تقرأه، أو أمرا بمعروف، أو نهيا عن منكر، وأن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لابد لك منها، أتنكرون أن (عليكم لحافظين كراما كاتبين)، وأن (عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) [ق: (١٧) - (١٨)]؟! أما يستحيي أحدكم لو نشر صحيفته التي أملى صدر نهاره، وأكثر ما فيها ليس من أمر دينه، ولا دنياه! أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) (١٩) / (٤٣٨) ((٣٦٦١٨)) - .

- (إن الأبرار لفي نعيم (١٣))

(٨١٩٣٧) - عن الحسن البصري - من طريق هشام، عن شيخ - قال: سئل عن
(١) ".

"عن ضمرة بن حبيب، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن الملائكة يرفعون أعمال العبد من عباد الله، يستكثرونه، ويزكونه، حتى يبلغوا به حيث يشاء الله من سلطانه، فيوحي الله إليهم: إنكم حفظة على عمل عبدي، وأنا رقيب على ما في نفسه، إن عبدي هذا لم يخلص لي عمله؛ فاجعلوه في سجين - ويصعدون بعمل العبد، يستقلونه، ويحتقرونه، حتى يبلغوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه، فيوحي الله إليهم: إنكم حفظة على عمل عبدي، وأنا رقيب على ما في نفسه، إن عبدي هذا أخلص لي عمله؛ فاجعلوه في عليين» أخرجه ابن المبارك ((٤٥٢)) - .

(٨٢٠٢٥) - عن عبد الله بن كعب بن مالك، قال: لما حضرت كعبا الوفاة أتته أم بشر بنت البراء، فقالت: إن لقيت ابني فأقرئه مني السلام - فقال: غفر الله لك، يا أم بشر، نحن أشغل من ذلك - فقالت: أما سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إن نسمة المؤمن تسرح في الجنة حيث شاءت، وإن نسمة الكافر في سجين»؟ قال: بلى - قالت: فهو ذلك أخرجه عبد بن حميد في المنتخب (ت: العدوي) (٢) / (٤١١) ((١٥٦٩))، والبيهقي في البعث والنشور ص (١٥٣) ((٢٠٥)) - وأخرجه ابن ماجه (٢) / (٤٤٠) ((١٤٤٩))، والنسائي (٤) / (١٠٨) ((٢٠٧٣)) بنحوه، من طريق الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب، عن أبيه به - وسنده صحيح - .

(٨٢٠٢٦) - عن سعيد بن المسيب، قال: التقى سلمان وعبد الله بن سلام، فقال أحدهما لصاحبه: إن مت قبلي فالقني، فأخبرني بما صنع بك ربك، وإن أنا مت قبلك لقيتك، فأخبرتك - فقال عبد الله: كيف هذا؟ أويكون هذا؟ قال: نعم، إن
(٢) ".

"(٨٢٠٩١) - عن ضمرة بن حبيب، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن الملائكة يرفعون أعمال العبد من عباد الله، يستكثرونه، ويزكونه، حتى يبلغوا به حيث يشاء الله من سلطانه، فيوحي الله إليهم: إنكم حفظة على عمل عبدي، وأنا رقيب على ما في نفسه، إن عبدي هذا لم يخلص لي عمله؛

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٤/٢٥٣

(٢) موسوعة التفسير المأثور ٤٣/١٧

فاجعلوه في سجين - ويصعدون بعمل العبد، يستقلونه، ويحتقرونه، حتى يبلغوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه، فيوحي الله إليهم: إنكم حفظة على عمل عبدي، وأنا **رقيب** على ما في نفسه، إن عبدي هذا أخلص لي عمله؛ فاجعلوه في عليين» أخرجه ابن المبارك ((٤٥٢))، وتقدم عند تفسير قوله تعالى: (إن كتاب الفجار لفي سجين) [المطففين: (٧)] - .

(٨٢٠٩٢) - عن عبد الله بن عمرو بن العاص - من طريق خيثمة - قال: إن لأهل عليين كوى يشرفون منها، فإذا أشرف أحدهم أشرقت الجنة، فيقول أهل الجنة: قد أشرف رجل من أهل عليين أخرجه ابن أبي شيبة (تحقيق: محمد عوامة) (١٨) / (٤٤٧) - - .

(٨٢٠٩٣) - عن أم الدرداء، قالت: إن درج الجنة على عدد آي القرآن، وإنه يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارقه - فإن كان قد قرأ ثلث القرآن كان على الثلث من درج الجنة، وإن كان قد قرأ نصف القرآن كان على النصف من درج الجنة، وإن كان قد قرأ القرآن كله كان في أعلى عليين ولم يكن فوقه أحد من الصديقين والشهداء عزاه السيوطي إلى ابن الضريس - .

(كتاب مرقوم (٩))

(٨٢٠٩٤) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - (كتاب مرقوم)، قال: رقم لهم بخير أخرجه ابن جرير (٢٤) / (٢١١) - وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر - .
". (١)

"فلما رآه حمد الله، وقال: «من أين لك هذا، يا بنية؟» - قالت: يا أبت، هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب - فحمد الله، ثم قال: «الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل، فإنها كانت إذا رزقها الله رزقا، فسئلت عنه؛ قالت: (هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)» أخرجه أبو يعلى -كما في تفسير ابن كثير (٢) / (٣٦)، والمطالب العالية (١٦) / (١٧٨) ((٣٩٥٨)) من طريق عبد الله بن صالح، عن عبد الله بن لهيعة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر به - وضعفه الألباني في الضعيفة (١١) / (٥٩٣) ((٥٣٥٩))، وقال: «في إسناده عبد الله بن صالح، عن عبد الله بن لهيعة، وكلاهما ضعيف» - .

(١٢٦٨٦) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عطاء بن أبي رباح - في تفسير هذه الآية: (إن الله يرزق

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٣/٣٠

من يشاء بغير حساب)، قال: تفسيرها: ليس على الله رقيب، ولا من يحاسبه أخرجه ابن المنذر (١) / (١٨٣) - .

(١٢٦٨٧) - عن الحسن البصري: حين ولدت مريم لم تلقم ثديا قط، كان يأتيها رزقها من الجنة تفسير البغوي (٢) / (٣٢) - .

(١٢٦٨٨) - قال مقاتل بن سليمان: (قالت): هذا الرزق (هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٢٧٣) - .

(هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء)

(١٢٦٨٩) - عن عبد الله بن عباس - من طريق سعيد بن جبير - قال: كفلها زكريا، فدخل عليها المحراب، فوجد عندها عنبا في مكتل في غير حينه، (أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) - قال: إن الذي يرزقك العنب في غير حينه لقادر أن يرزقني من العاقر الكبير العقيم ولدا - (هنالك دعا زكريا ربه)، فلما بشر بيحيى قال: (رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس) - قال: يعتقل لسانك من غير مرض وأنت سوي أخرجه ابن جرير (٥) / (٣٥١)، (٣٥٣)، وابن المنذر (١) / (١٨١) - (١٨٢)، وابن أبي حاتم (٢) / (٦٤٠)، والحاكم (٢) / (٢٩١) واللفظ له - .

(١٢٦٩٠) - عن عبد الله بن عباس - من طريق سعيد بن جبير - قال: لما رأى ذلك
". (١)

"عن عبد الله بن عباس - من طريق عكرمة - في قوله: (فاكتبنا مع الشاهدين)، قال: مع محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته؛ إنهم شهدوا له أن قد بلغ، وشهدوا للرسل أنهم قد بلغوا أخرجه ابن المنذر (١) / (٢١٨)، وابن أبي حاتم (٢) / (٦٦٠)، والطبراني ((١١٧٣٢)) - وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وأبي الشيخ، وابن مردويه - علق ابن كثير ((٣) / (٦٨)) على أثر ابن عباس بقوله: «وهذا إسناد جيد» - .

(١٣٠٨٤) - عن عبد الله بن عباس - من طريق الكلبي، عن أبي صالح - (فاكتبنا مع الشاهدين)، قال: مع أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - أخرجه ابن المنذر (١) / (٢١٨) - وعزاه السيوطي إلى

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٥٩/٧

عبد بن حميد - .
(١٣٠٨٥) - قال عطاء، في قوله: (فاكتبنا مع الشاهدين): مع النبي؛ لأن كل نبي شاهد أمته تفسير الثعلبي (٣) / (٧٨) - .
(١٣٠٨٦) - قال مقاتل بن سليمان، في قوله: (فاكتبنا مع الشاهدين): يقول: فاجعلنا مع الصادقين، نظيرها في المائدة، هذا قول الحواريين تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٢٧٨) - هو يشير إلى قوله تعالى: (وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) [المائدة: (١١١)] - .
(١٣٠٨٧) - عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول إذا قضى صلاته: «اللهم، إني أسألك بحق السائلين عليك، فإن للسائلين عليك حقا، أيما عبد أو أمة من أهل البر والبحر تقبلت دعوتهم، واستجبت دعاءهم، أن تشركنا في صالح ما يدعونك به، وأن تعافينا وإياهم، وأن تقبل منا ومنهم، وأن تجاوز عنا وعنهم، بأنا (آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين)» - وكان يقول: «لا يتكلم بهذا أحد من خلقه إلا أشركه الله في دعوة أهل برهم وأهل بحرهم، فعمتهم وهو مكانه» أخرجه الشجري في ترتيب الأمالي (١) / (٣٣٢) ((١١٧٢)) - قال الألباني في الضعيفة (١٢) / (٩٧٤) - (597) ((٥٩٨٦)): «ضعيف جدا»، وعزاه إلى الديلمي - .
(ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)
(١٣٠٨٨) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط بن نصر - قال: إن بني إسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلا من الحواريين في بيت، فقال عيسى لأصحابه: من يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة؟ فأخذها رجل منهم، وصعد بعيسى إلى السماء، فذلك قوله: (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) أخرجه ابن جرير (٥) / (٤٤٧) - لم يذكر ابن جرير ((٥) / (٤٤٧)) غير هذا القول - وذكر ابن عطية ((٢) / (٢٣٦)) هذا القول، وعلق عليه بقوله: «هذه العقوبة هي التي سماها الله مكرا في قوله: (ومكر الله)، وهذا مهيع أن تسمى العقوبة باسم الذنب، وإن لم تكن في معناه» - .
(١٣٠٨٩) - قال مقاتل بن سليمان: (ومكروا ومكر الله) وذلك أن كفار بني إسرائيل عمدوا إلى رجل، فجعلوه رقيبا على عيسى ليقتلوه، فجعل الله شبه عيسى على الرقيب، فأخذوا الرقيب فقتلوه وصلبوه قال ابن عطية ((٢) / (٢٣٦)) معلقا على صلبهم الرقيب: «وهذه أيضا تسمية عقوبة باسم الذنب».، وظنوا أنه عيسى، ورفع الله عيسى إلى سماء الدنيا من بيت المقدس ليلة القدر في رمضان، فذلك قوله سبحانه: (ومكروا) بعيسى ليقتلوه، يعني: اليهود، (ومكر الله) بهم حين قتل رقيبهم وصاحبهم، (والله خير الماكرين)

يعني: أفضل مكرا منهم تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٢٧٨) - .
(١٣٠٩٠) - قال محمد بن إسحاق - من طريق سلمة بن الفضل - : ثم ذكر رفعه عيسى إليه حين اجتمعوا لقتله، قال: (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)، ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقر اليهود بصلبه كيف رفعه وطهره منهم، فقال الله: (يا عيسى إني متوفيك) أخرجه ابن أبي حاتم (٢) / (٦٦٠) - .
آثار مطولة في قصة ذلك
(١٣٠٩١) - قال وهب بن منبه: طرقوا عيسى في بعض الليل، فأسروه، ونصبوا خشبة
(١) ".

"(١٥٩٣٧) - قال مقاتل بن سليمان: (وخلق منها زوجها)، يعني: من نفس آدم - من ضلعه - حواء، وإنما سميت حواء لأنها خلقت من حي؛ آدم تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٣٥٥) - .

(١٥٩٣٨) - عن مقاتل بن حيان: إنها حواء علقه ابن أبي حاتم (٣) / (٨٥٣) - .

(١٥٩٣٩) - عن محمد بن إسحاق - من طريق سلمة - قال: ألقي على آدم - صلى الله عليه وسلم - السنة - فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم، عن عبد الله بن العباس وغيره - ، ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الأيسر، ولأم مكانه لحما، وآدم نائم لم يهب من نومته، حتى خلق الله تبارك وتعالى من ضلعه تلك زوجته حواء، فسواها امرأة ليسكن إليها، فلما كشفت عنه السنة وهب من نومته رآها إلى جنبه، فقال - فيما يزعمون والله أعلم -: لحمي، ودمي، وزوجتي - فسكن إليها أخرجه ابن جرير (٦) / (٣٤١) - (٣٤٢) - وقد تقدم الأثر عند تفسير قول الله تعالى: (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) [البقرة: (٣٥)] - .
آثار متعلقة بالآية
(١٥٩٤٠) - عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «استوصوا بالنساء خيرا؛ فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء من الضلع رأسه، وإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته تركته وفيه عوج؛ فاستوصوا بالنساء خيرا» أخرجه البخاري (٤) / (١٣٣) ((٣٣٣١))، (٧) / (٢٦) ((٥١٨٥))،

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٢٢/٧

(٥١٨٦))، ومسلم (٢) / (١٠٩٠) - (١٠٩١) ((١٤٦٨)) - .

(١٥٩٤١) - عن عبد الله بن عباس - من طريق قتادة - قال: خلقت المرأة من الرجل؛ فجعلت نهمتها في الرجال؛ فاحبسوا نساءكم - وخلق الرجل من الأرض؛ فجعل نهمته في الأرض أخرجه ابن المنذر (٢) / (٥٤٧)، وابن أبي حاتم (٣) / (٨٥٢) ((٤٧١٨))، والبيهقي في الشعب ((٧٧٩٨)) - .

(١٥٩٤٢) - عن مجاهد بن جبر، قال: نام آدم، فخلقت حواء من قصيراه، فاستيقظ فرآها، فقال: من أنت؟ فقالت: أنا أثا - يعني: امرأة بالسريانية عزاه السيوطي إلى سفيان بن عيينة - .

(وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)

(١٥٩٤٣) - عن عبد الله بن عباس - من طريق جويبر ومقاتل، عن الضحاك - قال: ولد آدم أربعون ولدا: عشرون غلاما، وعشرون جارية أخرجه ابن عساكر (٢٣) / (٢٧٣) من طريق إسحاق بن بشر - وعزاه السيوطي إلى إسحاق بن بشر - .

(١٥٩٤٤) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - (وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)، قال: (وبث): خلق أخرجه ابن جرير (٦) / (٣٤٢)، وابن أبي حاتم (٣) / (٨٥٣) - بين ابن جرير ((٦) / (٣٤٢)) معنى الآية مستندا إلى قول السدي، فقال: «يعني: ونشر منهما - يعني: من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء قد رآهم - كما قال - جل ثناؤه -: (كالفراش المبثوث) [القارعة: (٤)] - يقال منه: بث الله الخلق، وأبثهم» - .

(١٥٩٤٥) - قال مقاتل بن سليمان: (وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)، يقول: وخلق من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء، هم ألف أمة تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٣٥٥) - .

(١٥٩٤٦) - عن مقاتل بن حيان - من طريق بكير بن معروف - قوله: (وبث منهما)، قال: من آدم وحواء - يقول: خلق منهما رجالا كثيرا ونساء أخرجه ابن أبي حاتم (٣) / (٨٥٣) - .

(واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١))

قراءات

(١٥٩٤٧) - عن عبد الله بن عباس - من طريق الضحاك - أنه كان يقرأ: (والأرحام) بين ابن جرير ((٦) / (٣٤٩)) المعنى على قراءة النصب هذه - وهي قراءة الجمهور - بقوله: «بمعنى: واتقوا الله الذي

تساءلون به، واتقوا الأرحام أن تقطعوها - عطفا بـ» الأرحام «في إعرابها بالنصب على اسم الله» - ووجهه ابن عطية ((٢) / (٤٦١)) بقوله: «(والأرحام) نصب على العطف على موضع (به)؛ لأن موضعه نصب - والأظهر أنه نصب بإضمار فعل، تقديره: واتقوا الأرحام أن تقطعوها»., يقول: اتقوا الله لا تقطعوها أخرجه ابن جرير (٦) / (٣٤٩) - وهي قراءة العشرة ما عدا حمزة، فإنه قرأ: " والأرحام " بخفض الميم - انظر: النشر (٢) / (٢٤٧)، والإتحاف ص (٢٣٦) - .
". (١)

"(١٥٩٤٨) - عن الأعمش، قال: سمعت مجاهدا يقول: (واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام) وهي قراءة متواترة، قرأ بها عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف العاشر، وقرأ بقية العشرة " تسآءلون " بتشديد السين - انظر: النشر (٢) / (٢٤٧)، والإتحاف ص (٢٣٦) - .=

(١٥٩٤٩) - وكان إبراهيم [النخعي] يقرؤها بالياء أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (٣) / (١٤٧) - .

(١٥٩٥٠) - عن إبراهيم النخعي - من طريق مغيرة - " تسآءلون به والأرحام " خفض وجه ابن جرير ((٦) / (٣٤٦)) قراءة الخفض هذه - وهي قراءة حمزة - بقوله: «كأنه أراد: واتقوا الله الذي تساءلون به وبالأرحام - فعطف بظاهر على مكني مخفوض» - وبنحو ذلك وجهها ابن عطية ((٢) / (٤٦١)) - وانتقد ابن جرير ((٦) / (٣٤٦)) هذه القراءة لعدم فصاحتها في لغة العرب، فقال: «ذلك غير فصيح من الكلام عند العرب؛ لأنها لا تنسق بظاهر على مكني في الخفض إلا في ضرورة شعر، وذلك لضيق الشعر - وأما الكلام فلا شيء يضطر المتكلم إلى اختيار المكروه من المنطق والرديء في الإعراب منه» - وانتقدها ابن عطية ((٢) / (٤٦٢)) لعدم فصاحتها أيضا، ولمخالفتها نصا نبويا، فقال: «يرد عندي هذه القراءة من المعنى وجهان: أحدهما: أن ذكر الأرحام فيما يتساءل به لا معنى له في الحض على تقوى الله، ولا فائدة فيه أكثر من الإخبار بأن الأرحام يتساءل بها، وهذا تفرق في معنى الكلام، وغض من فصاحته، وإنما الفصاحة في أن يكون لذكر الأرحام فائدة مستقلة - والوجه الثاني: أن في ذكرها على ذلك تقريرا للتساؤل بها، والقسم بحرمتها، والحديث الصحيح يرد ذلك في قوله - صلى الله عليه وسلم -: «من كان

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٩/٧

حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»» - وزاد ابن عطية ((٢) / (٤٦٢)) توجيها آخر، ثم انتقده مستندا إلى نظم الكلام وسياقه بقوله: «وقالت طائفة: إنما خفض (والأرحام) على جهة القسم من الله، على ما اختص به - لا إله إلا هو - من القسم بمخلوقاته، ويكون المقسم عليه فيما بعد من قوله: (إن الله كان عليكم رقيبا) - وهذا كلام يأباه نظم الكلام وسرده، وإن كان المعنى يخرجه» - وبين ابن تيمية ((٢) / (١٩٥)) أن هذا ليس من باب الإقسام، فقال: «قال طائفة من السلف: هو قولهم: أسألك بالله وبالرحم - وهذا إخبار عن سؤالهم - وقد يقال: إنه ليس بدليل على جوازه، فإن كان دليلا على جوازه فمعنى قوله: أسألك بالرحم - ليس إقساما بالرحم - والقسم هنا لا يسوغ - لكن بسبب الرحم، أي: لأن الرحم توجب لأصحابها بعضهم على بعض حقوقا، كسؤال الثلاثة لله تعالى بأعمالهم الصالحة، وكسؤالنا بدعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - وشفاعته - ومن هذا الباب ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن ابن أخيه عبد الله بن جعفر كان إذا سأله بحق جعفر أعطاه، وليس هذا من باب الإقسام؛ فإن الإقسام بغير جعفر أعظم، بل من باب حق الرحم؛ لأن حق الله إنما وجب بسبب جعفر، وجعفر حقه على علي».، قال: هو قول الرجل: أسألك بالله وبالرحم أخرجه ابن جرير (٦) / (٣٤٥) - وعلقه ابن أبي حاتم (٣) / (٨٥٤) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

تفسير الآية

". (١)

"به والأرحام)، قال: اتقوا الله الذي تساءلون به، واتقوه في الأرحام أخرجه ابن جرير (٦) / (٣٤٧)، وابن المنذر (٢) / (٥٤٩) - .

(١٥٩٧٠) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - في قوله: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام)، يقول: اتقوا الله، واتقوا الأرحام لا تقطعوها أخرجه ابن جرير (٦) / (٣٤٧) - .

(١٥٩٧١) - عن الربيع بن أنس - من طريق أبي جعفر - (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام)، قال: يقول: واتقوا الله في الأرحام فصلوها أخرجه ابن جرير (٦) / (٣٤٩) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٨/٩

(١٥٩٧٢) - عن مقاتل بن حيان، قال: لا تقطعوها علقه ابن أبي حاتم (٣) / (٨٥٤) - .

(١٥٩٧٣) - قال مقاتل بن سليمان: (والأرحام)، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وصلوها تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٣٥٥) - .

(١٥٩٧٤) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قوله: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام)، قال: يقول: اتقوا الله الذى تساءلون به، واتقوا الأرحام أن تقطعوها - وقرأ: (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) [الرعد: (٢١)] أخرجه ابن جرير (٦) / (٣٤٩) - .
آثار متعلقة بالآية
(١٥٩٧٥) - قال ابن إدريس - من طريق يحيى بن آدم -: إنما نصبوا (والأرحام) لقول الله: (تساءلون به)، ولم يقل: بالله؛ لأن العرب إذا لم تظهر الاسم نصبوا أخرجه عبد بن حميد كما في قطعة من تفسيره ص (٧٠) - أفادت الآثار الاختلاف في قراءة وتأويل قوله تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام)؛ على قولين: أحدهما: أن معناه: واتقوا الله الذي إذا سألتم بينكم قال السائل للمسئول: أسألك به وبالرحم - وعلى هذا التأويل قول بعض من قرأ قوله: (والأرحام) بالخفض، عطفا بـ «الأرحام» على «الهاء» التي في قوله: (به) - وهذا قول إبراهيم النخعي، ومجاهد، والحسن - والآخر: أن معناه: واتقوا الله الذي تساءلون به، واتقوا الأرحام أن تقطعوها - وعلى هذا التأويل قرأ ذلك من قرأه نصبا - وهذا قول ابن عباس، والسدي، وقتادة، والضحاك، والربيع، وابن زيد، وهو قول ثان لمجاهد، والحسن - ورجح ابن جرير ((٦) / (٣٥٠)) القول الثاني قراءة وتأويلا استنادا إلى اللغة، فقال: «والقراءة التي لا نستجيز لقارئ أن يقرأ غيرها في ذلك: النصب، (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام)، بمعنى: واتقوا الأرحام أن تقطعوها - لما قد بينا أن العرب لا تعطف بظاهر من الأسماء على مكني في حال الخفض، إلا في ضرورة شعر، على ما قد وصفت قبل» - وإليه ذهب ابن عطية ((٢) / (٤٥٩))، وانتقد قراءة الخفض - .

(إن الله كان عليكم رقيبا (١))

". (١)

"(١٥٩٧٦) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - (إن الله كان عليكم رقيبا)، قال: حفيظا أخرجه ابن جرير (٦) / (٣٥٠)، وابن أبي حاتم (٣) / (٨٥٤) - .

(١٥٩٧٧) - عن قتادة بن دعامة=

(١٥٩٧٨) - ومقاتل بن حيان=

(١٥٩٧٩) - وسفيان الثوري، نحو ذلك علقه ابن أبي حاتم (٣) / (٨٥٤) - .

(١٥٩٨٠) - قال مقاتل بن سليمان: (إن الله كان عليكم رقيبا)، يعني: حفيظا لأعمالكم تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٣٥٥) - .

(١٥٩٨١) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - قال: (رقيبا) على أعمالكم؛ يعلمها، ويعرفها أخرجه ابن جرير (٦) / (٣٥٠) - .

آثار متعلقة بالآية

(١٥٩٨٢) - عن ابن مسعود، قال: علمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطبة الصلاة وخطبة الحاجة؛ فأما خطبة الصلاة فالتشهد - وأما خطبة الحاجة ف: «إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله» - ثم يقرأ ثلاث آيات من كتاب الله: (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) [آل عمران: (١٠٢)]، (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٢/٩

كان عليكم رقيبا) [النساء: (١)]،
(١) ".

"(١٨١٨٨) - عن أبي هريرة - من طريق أبي عثمان - في قوله: (ويؤت من لدنه أجرا عظيما)، قال: إذا قال الله تعالى: (أجرا عظيما) فمن يقدر قدره؟! أخرجه أحمد (١٦) / (٤٤٣) ((١٠٧٦٠))، والبزار في مسنده (١٧) / (١٨) ((٩٥٢٥)) - .

(١٨١٨٩) - عن سعيد بن جبير - من طريق عباد بن أبي صالح - قوله: (ويؤت من لدنه أجرا عظيما)، قال: الأجر العظيم: الجنة أخرجه ابن جرير (٧) / (٣٧)، وابن المنذر (٢) / (٧١٢) - وعلقه ابن أبي حاتم (٣) / (٩٥٥) - .

(١٨١٩٠) - وعن إسماعيل السدي، كذلك علقه ابن المنذر (٢) / (٧١٢) - .

(١٨١٩١) - عن سعيد بن جبير - من طريق عطية بن دينار - (أجرا عظيما)، يعني: جزاء وافرا في الجنة أخرجه ابن أبي حاتم (٣) / (٩٥٦) - .

(١٨١٩٢) - قال مقاتل بن سليمان: (ويؤت من لدنه أجرا عظيما)، يقول: ويعطي من عنده في الآخرة جزاء كثيرا، وهي الجنة تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٣٧٣) - .

(١٨١٩٣) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قوله: (ويؤت من لدنه أجرا عظيما)، قال: (أجرا عظيما): الجنة أخرجه ابن جرير (٧) / (٣٧) - .

آثار متعلقة بالآية

(١٨١٩٤) - عن أنس بن مالك، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الله لا يظلم المؤمن حسنة، يثاب عليها الرزق في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بها في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة لم تكن له حسنة» أخرجه مسلم (٤) / (٢١٦٢) ((٢٨٠٨))، وابن جرير (٧) / (٣٠) واللفظ له - وأورده الثعلبي (٣) / (٣٠٨) - .

(فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (٤١))

(١٨١٩٥) - عن عبد الله بن مسعود: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد)، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «شهيدا عليهم ما دمت فيهم، فإذا توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم» أخرجه ابن

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٣/٩

المبارك في الزهد (١) / (٢٧٧) ((٤١٨))، وابن جرير (٧) / (93)، وأصله عند مسلم (١) / (٥٥١) ((٨٠٠)) - .

(١٨١٩٦) - عن محمد بن فضالة الأنصاري - وكان ممن صحب النبي - صلى الله عليه وسلم - : أن ". (١)

"(١٤٣) - {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم}.

{وكذلك}؛ أي: مثل ذلك الجعل العجيب، والإشارة إلى الجعل المدلول عليه بـ {جعلناكم} لا إلى الجعل المفهوم من الآية المتقدمة، وإنما جيء بما يدل على البعد تفخيما، والكاف مقحم للمبالغة.

{جعلناكم أمة وسطا} إخبار بكونهم عدولا مزكين بالعلم والعمل، وهو في الأصل اسم للمكان الذي تستوي إليه المساحة من الجوانب في المدور، ومن الطرفين في المطول؛ كالنقطة من الدائرة، ولسان الميزان من العمود، فجعل عبارة

* * *

(١) في (م): (كلها إشارة إلى أن نسبة). (٢) في "ك": (توجههم).

الجزء: ١ - الصفحة: ٣٣٠

عن العدل، وشبه به كل ما وقع بين طرفي (١) إفراط وتفريط، كالجود بين السرف والبخل، والشجاعة بين التهور والجبن، ثم جعل عبارة عن المختار من كل شيء، حتى قيل: فلان من أوسطهم نسبا، فاستوى فيه

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٧٦/٩

الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث، كسائر الأسماء التي يوصف بها.

{لتكونوا شهداء} يعني: الأنبياء يوم القيامة.

{على الناس} على الكفار.

{ويكون الرسول} هو محمد {عليكم} خاصة {شهيدا} معدلا مزكيا لهم، والشهيد **كالرقيب** والمهيمن، فجيء ب (على) لاستعلائه المشهود له.." (١)

"(١) - {يأأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم **رقيبا**}.

{يأأيها الناس} خطاب عام يتناول الموجودين في زمان الخطاب ومن بعدهم (١) دون المنقرضين.

{اتقوا ربكم} في مخالفة أمره ونهيه.

{الذي خلقكم من نفس واحدة} يعني: آدم ، ترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على أن (٢) قدرته تعالى على إهلاكهم وإنشاء خلق آخرين (٣) على أسهل وجه، لا (٤) لما فيها من الدلالة على القدرة العظيمة، وإلا لكان خلق السماوات والأرض أحق بالذكر.

وما في ذكر الرب من الإشارة إلى نعمة التربية الموجبة للطاعة لتضمين الترهيب معنى الترغيب.

* * *

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٤٣٨/١

(١) في (م): "بعده". (٢) "أن ": ليست في (م). (٣) في (م): "آخر". (٤) "لا": ليست في (م).

الجزء: ٣ – الصفحة: ٧

{وخلق منها زوجها} يعني: حواء، خلقها من ضلع من أضلاع آدم .

بيان خلقهم من نفس واحدة على وجه الاستئناف؛ كأنه قيل: إنهم خلقوا من ذكر وأنثى لا من ذكر وحده؟ فأجيب بأن تلك الأنثى قد خلقت منه، فالواو استئنافية لا عاطفة؛ لما عرفت أن مدخولها مقرر ومبين لما تقدم، والعاطف لا يتخلل بين الشيء ومقرره.

وعلى تقدير العطف على محذوف – أي: خلقها وخلق منها زوجها – يندفع المحذور (١) المذكور، إلا أنه لا دخل للمقدر في تقرير ما ذكر، ومن شرائط البلاغة تجريد الكلام عما لا يقتضيه المقام (٢).." [1]

"(١) تنسب لخالد الحذاء. انظر: "المختصر في شواذ القراءات" (ص: ٢٤). (٢) في النسخ عدا (ف): "فجيء يتفاعلون "، والمثبت من (ف). (٣) تنسب لابن مسعود والأعمش. انظر: "المختصر في شواذ القراءات" (ص: ٢٤). (٤) أي: {تساءلون} بتخفيف السين، وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي، وقرأ باقي السبعة بتشديد السين. انظر: "التيسير" (ص: ٩٣). وانظر كذلك: "الكشاف" (١/ ٤٦٢)، و"تفسير البيضاوي" (٢/ ٥٨). (٥) تنسب لابن مسعود والأعمش. انظر: "المختصر في شواذ القراءات" (ص: ٢٤). (٦) وهي قراءة حمزة. انظر: "التيسير" (ص: ٩٣).

الجزء: ٣ – الصفحة: ٩

يحتج به لا مما يحتج عليه، إلا عند من لا اعتماد له على القراءات الثابتة ولا اعتداد لزعمه الفاسد (١).

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٢/٣٨٨

وقرئ: بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر (٢)، تقديره: والأرحام كذلك؛ أي: مما يتقى، أو مما يتساءل به.

وقد نبه تعالى إذ قرن الأرحام باسمه على أن صلتها بمكان منه (٣)، وعنه : "الرحم معلقة بالعرش تقول: ألا من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله" (٤).

{إن الله كان عليكم رقيبا}: حافظا مطلعا.

* * *

(٢) - {وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا}.

{وآتوا اليتامى أموالهم} كما بلغوا إن أونس منهم الرشد، ولذلك أمر بابتلائهم صغارا، واليتامى: جمع يتيم، وهو الذي مات أبوه، من اليتم وهو الانفراد - ومنه: الدرة اليتيمة، إذا انفردت في صدفها - إما على أنه لما جرى مجرى الأسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل: يتامى، أو على أنه

* * *." (١)

"{وهو اللطيف الخبير} فيدرك ما لا يدرك بالبصر، ويجوز (٤) أن يكون الأول ناظرا إلى قوله: {لا تدركه الأبصار}، والثاني إلى قوله: {وهو يدرك الأبصار}، كأنه قيل: لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف، وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير بكل خفية وجلية، والمراد من {اللطيف}: ما لا يتعلق به حاسة النظر؛ لعدم حظه من الكثافة بطريق الاستعارة.

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٢/٣٩٠

* * *

(١) "به" من (م) و (ك). (٢) في (م): "وهذا هو". (٣) في (ف) و (ح): "به". (٤) "الواو" ليست في (م).

(١٠٤) - {قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ}.

{قد جاءكم بصائر من ربكم} البصائر: جمع بصيرة، وهي نور للقلب (١) يدرك به الحقائق (٢) ويستبصر، وهي للقلب بمنزلة البصر للعين، سميت بها الدلالة لأنها يجلى بها الحق ويبصر بها.

{فمن أبصر}؛ أي: أبصر الحق بهذه الدلائل فآمن (٣) به {فلنفسه} أبصر، وإياها نفع.

{ومن عمي}؛ أي: عمي عن الحق وأنكر {فعليها} عمي، وإياها ضر؛ إذ ليس وباله إلا عليه (٤).

وهذا الكلام وارد على لسان النبي لقوله: {وما أنا عليكم بحفيظ}: وما أنا عليكم **برقيب** يحفظ أعمالكم ويجازيكم بها، بل الله هو الحفيظ، وما أنا إلا منذر.

* * *

(١٠٥) - {وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون}.

{وكذلك نصرف الآيات} ومثل ذلك التصريف نصرف، وهو نقل الشيء من حال إلى حال.

{وليقولوا درست} علة فعل محذوف؛ أي: وليقولوا درست نصرفها، واللام للعاقبة.

* * *." (١)

"{ولو شاء الله} توحيدهم وعدم إشراكهم {ما أشركوا} دليل على أن الله تعالى لا يريد إيمان الكفار، وأن مراده تعالى واجب الوقوع.

{وما جعلناك عليهم حفيظا}: رقيبا.

{وما أنت عليهم بوكيل} يقوم بأمورهم.

* * *

(١٠٨) - {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون}.

{ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله}؛ أي: لا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح {فيسبوا الله} ليتسبب سبكم لأن يسبوا الله.

فيه تلوين الخطاب بالعدول عن (٣) خطابه وحده إلى الخطاب في ضمن الكل؛ لما في مواجهته بما ذكر من خلاف ما كان عليه من الأخلاق الكريمة، إذ لم يكن فحاشا (٤) ولا سبابا.

* * *

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٣/٢٢٥

(١) في (م) و (ك): "أي لا". (٢) في (ف) و (ح): "تحتفل". (٣) في (ف) و (ح): "فمن"، وفي (ك): "من"، والمثبت من (م). (٤) في (ك): "فاحشا".

الجزء: ٣ - الصفحة: ٣٩٢

قال الإمام أبو منصور: كيف نهانا الله تعالى عن سب من (١) يستحق السب لئلا يسب من لا يستحقه، وقد أمرنا بقتالهم، وإذا قاتلناهم قاتلونا (٢)، وقتل المؤمن بغير حق منكر، وكذا أمر النبي بتبليغ الوحي والتلاوة عليهم، وإن كانوا يكذبونه؟." [١]

"(١) انظر: "الكشاف" (٢/ ١٣٦)، و "تفسير البيضاوي" (٣/ ٢٦). ومعنى "ذا الحفاظ": صاحب الحفاظ، وهو المحافظة **والمراقبة**، ويقال: إنه لذو حفاظ ومحافظة، إذا كان له أنفة. انظر: "حاشية الشهاب على البيضاوي" (٤/ ٢٠٠).

الجزء: ٤ - الصفحة: ١١٤

{موسى بآياتنا}: بمعجزاتنا {إلى فرعون وملئه}؛ أي: الأشراف من قومه، وفرعون كان لقبا لمن ملك مصر من العمالقة.

{فظلموا بها} الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، وتعديته بالباء لتضمينه معنى الجحد، والمراد من ظلمهم: اختيارهم الكفر على الإيمان.

{فانظر كيف كان عاقبة المفسدين} النظر: تحديق القلب إلى المعنى لإدراكه، فكأنه قيل: فانظر بعين القلب كيف كان عاقبتهم بسبب إفسادهم، وموضع {كيف} نصب؛ لأنه خبر {كان}، وتقديره: انظر أي شيء كان آخر أمر الذين أفسدوا.

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٣/٢٢٨

* * *

(١٠٤) - {وقال موسى يافرعون إني رسول من رب العالمين}.

{وقال موسى يافرعون} خطاب له بأحسن ما يدعى به، وإجهاله لما عرفت أنه من الألقاب الشريفة المخصوصة بملوك العمالقة، ففيه ائتمار بالأمر الوارد في قوله تعالى: {فقولا له قولا لينا} [طه: ٤٤].

{إني رسول من رب العالمين} لم يقل: إليك؛ لعدم اختصاص رسالته له.

ولما كان فرعون قد ادعى الربوبية فاتحه موسى بما ينبهه على أنه مبطل في الوصف الذي ادعاه.

* * *

(١٠٥) - {حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل}.

الجزء: ٤ - الصفحة: ١١٥." (١)

"{فما استقاموا لكم} على العهد {فاستقيموا لهم} عليه، والفاء الأولى على الوجهين الأولين (١) عاطفة الجملة على مقدر؛ أي: فتربصوا أمرهم فما استقاموا لكم، وعلى الثالث فاء الجزاء؛ لتضمين الموصول معنى الشرط، و (ما) شرطية، وجزاء الشرط: {فاستقيموا}، أو مصدرية على معنى: فاستقيموا لهم ما استقاموا لكم، والفاء الثانية مكررة للتأكيد.

{إن الله يحب المتقين} تعليل للأمر بالاستقامة، وإشعار بأن المحافظة على العهد من لوازم التقوى.

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٣/٣٩٥

* * *

(٨) - {كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتابى قلوبهم وأكثرهم فاسقون}.

* * *

(١) "الأولين" من (م).

الجزء: ٤ - الصفحة: ٣٢٢

{كيف} إعادة للاستبعاد المذكور على وجه الاختصار، على طريقة الاقتصار على ذكر أول الكلام عند انفهام التمام بمعونة المقام.

وأما التنبيه على العلة فحاصل بدون إعادة {كيف}.

والمعنى: كيف يكون لهم عهد عند الله وعند رسوله ولا عهد لله ولرسوله عندهم، وقد عبر عن هذا على طريقة إقامة دليل الشيء مقامه بقوله: {وإن يظهروا عليكم}؛ أي: وحالهم أنهم إن يظفروا بكم. أصل الظهور: العلو بالغلبة.

{لا يرقبوا}: لا يراعوا {فيكم} أصل الارتقاب بالبصر، ومنه **الرقيب**، ثم قيل: لكل من حافظ على الشيء (١) وراعاه: راقبه وارتقبه.

{إلا} حلفا (٢)، وقيل: قرابة {ولا ذمة}: عهدا أو حقا يعاب على إغفاله.

{يرضونكم بأفواههم} كلام مستأنف لبيان حالهم المنافية للثبات على العهد، وتقدير (٣) عدم مراعاتهم حق الميثاق للحلف (٤) أو القرابة، والإرضاء بالأفواه عبارة عن معاذيرهم الكاذبة ومواعيدهم الباطلة، وإنما ذكر الأفواه لأنها الظاهرة (٥).." (١)

"{تضرونه شيئا} من الضرر بتوليكم؛ لاستحالة ذلك عليه.

وقرئ: (ويستخلف) بالجزم (١)، وكذلك: (ولا تضروه) بحذف النون (٢) عطفا على محل: {فقد أبلغتكم}؛ أي: إن تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا إلا أنفسكم.

{إن ربي على كل شيء حفيظ}: رقيب مهيمن يحفظ أعمالكم ويؤاخذكم بها، أو: حافظ على الأشياء كلها، والكل محتاج إلى حفظه من الضرر، ومن كان كذلك لا يمكن أن يضره شيء.

* * *

(٥٨) - {ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ}.

{ولما جاء أمرنا} في التعبير بمجيء الأمر عن نزول عذاب الاستئصال على عاد ما لا يخفى من الدلالة على العظمة والجلال في جانب الأمر، وسرعة الامتثال في جانب المأمور.

{نجينا هودا والذين آمنوا معه} قيل: كانوا أربعة آلاف.

{برحمة منا}: من شؤم معاصي العاصين، فإنه (٣) لو لم تدركهم الرحمة من

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٧٢/٤

* * *

(١) نسبت لحفص من رواية هبيرة، انظر: "المحرر الوجيز" (٣/ ١٨٢). (٢) نسبت لابن مسعود، انظر: "المختصر في شواذ القراءات" (ص: ٦٠). (٣) "فإنه" سقط من (ك).

الجزء: ٥ - الصفحة: ١٧٥

الرحمن لما نجوا من العذاب النازل، على ما دل عليه قوله تعالى: {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة} [الأنفال: ٢٥].

{ونجيناهم من عذاب غليظ} الغلظ كناية عن الشدة.

والتنكير في {عذاب} و (رحمة) للتعظيم، أخبر أولا بأن الإيمان الذي وفقوا له صار سبب إنجائهم، ثم أخبر بأن ذلك الإنجاء كان من عذاب أي عذاب؛ دلالة على كمال الامتنان، وتحريضا على الإيمان.

أو هما متغايران: فالأول إنجاء الدنيا، والثاني إنجاء الآخرة.." (١)

"(١) في هامش (ف): "ومن وهم أنه للتعظيم فقد وهم لأنه لا يناسب المقام فإنهم في صدد الاستهانة به . منه".

الجزء: ٥ - الصفحة: ٢٠٨

ويحتمل الإنكار التوبيخي، على أن المعنى: أرهطي أعز عليكم من الله في نظركم واعتباركم؟

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٤/٣٥٥

والإنكار للإبطال (١)، على أن المعنى: أنهم أعز عليكم منه تعالى في الواقع.

وعلى الأول يدخل قوله: {واتخذتموه وراءكم ظهريا} أيضا في حيز الاستشهاد.

والاتخاذ: أخذ الشيء لأمر يستمر في المستأنف؛ كاتخاذ البيت، واتخاذ المركوب، فدلالته على المعنى المقصود أولى من دلالة الجعل عليه (٢).

والظهري منسوب إلى الظهر، كالإمسي منسوب إلى الأمس، والكسرة في مثل هذا من تغييرات النسب، والكناية عن الترك وعدم الاعتداد به قد (٣) تمت بقوله: {واتخذتموه وراءكم} الإنذار (٤)، وفيه بنسبته إلى الظهر إتمام (٥) لحق المبالغة، وإفادة لمعنى الإعراض عنه بالكلية.

{إن ربي بما تعملون محيط}: قد أحاط بأعمالكم علما، فلا يخفى منها شيء، فهو يجازيكم عليها.

* * *

(٩٣) - {وياقوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب}.

* * *

(١) في (ك) و (م): "الإبطال". (٢) في هامش (ف) و (م): "ومن فسره به فقد نزل الكلام عن منزلته كما لا يخفى، منه". (٣) في (ك) و (م): "فقد". (٤) في (ف): "الأنذارا"، وفي (ك) و (م): "إلا إنذارا". ولعل المثبت هو الصواب. (٥) في (م): "إيماء ما"، وتحرفت في (ك) إلى: "إنما هما".

الجزء: ٥ - الصفحة: ٢٠٩." (١)

"{وياقوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون} سبق مثله في سورة الأنعام والفاء في {فسوف} [الأنعام: ١٣٥] ثمة للتصريح بأن الإصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك، وحذف هاهنا للاستئناف؛ كأنه قيل: فماذا يكون إذا عملنا على مكانتنا وعملت أنت؟ فقال: {سوف تعلمون} وهو أبلغ من الوصل بالفاء.

{من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب} قياس الكلام: ومن هو صادق، بدل قوله: {ومن هو كاذب} ليكونا قسمين ينصرف الأول إليهم، والثاني إليه، لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا أجرى الكلام على مقتضى زعمهم فقال: {ومن هو كاذب}؛ أي: على زعمكم ودعواكم، وأراد (١): سوف تعلمون من المعذب ومن الكاذب مني ومنكم؛ لأنهم كذبوه وأوعدوه.

{وارتقبوا}: وانتظروا ما أقول {إني معكم **رقيب}**: منتظر، فعيل بمعنى الفاعل كالصريح، أو المراقب كالعشير، أو المرتقب (٢) كالرفيع.

* * *

(٩٤) - {ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمن‍وا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين}.

{ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا} إنما (٣) ذكر ساقتي (٤)

* * *

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٤/٣٨٥

(١) في (م): "أو أراد". (٢) في (ك) و (م): "المتراقب"، والمثبت من (ف)، وهو الموافق للمصادر. انظر: "الكشاف" (٢/ ٤٢٤)، و"تفسير البيضاوي" (٣/ ١٤٧)، و"تفسير أبي السعود" (٤/ ٢٣٧). (٣) في (ك): "فيما"، وفي (ف): "فما". والمثبت من (م) وهو الصواب. (٤) في (ف) و (ك): "ساق"، وفي (م): "ساقي"، والمثبت من "الكشاف" (٢/ ٤٢٥)، والمراد: الخاتمتين.

الجزء: ٥ - الصفحة: ٢١٠." [1]

"{فلما آتوه موثقهم} عهدهم {قال الله على ما نقول} من طلب الموثق وإتيانه {وكيل}؛ أي: مطلع رقيب.

* * *

(٦٧) - {وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون}.

{وقال} حين أنفذ أخاهم معهم: {يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة} وصاهم بالحذر عن إصابة العين؛ لأنهم كانوا جماعة (٢) ذوي أبهة وشارة حسنة، مشتهرين بين أهل مصر بالقربة والكرامة عند الملك، فخاف عليهم أن يدخلوا (٣) كوكبة واحدة فيعانوا لجلالتهم في الصدور (٤) وقد عرف كونهم إخوة، والعين تتسارع تأثيرا إلى مثلهم، ولذلك لم يوصهم بذلك في الكرة الأولى لأنهم كانوا حينئذ مجهولين مغمورين بين الناس.

* * *

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٤/٣٨٦

(١) في (ك): "مفعوله".، وهو خطأ. انظر: "الكشاف" (٢/ ٤٨٧). (٢) "جماعة" ليست في (ك). (٣) "أن يدخلوا" من (م). (٤) في (ف): "صدور"، وفي (ك): "صدور الناس".

الجزء: ٥ - الصفحة: ٣١٦

أو كان الداعي له إلى التوصية خوفه على بنيامين.

وتأثير العين مما لا ينكر، وقد ورد في الخبر عن خير البشر: "العين حق" (١)، وفي خبر آخر: "إن العين لتدخل (٢) الرجل القبر والجمل القدر" (٣)، وأنه كان يعوذ الحسنين فقال: "أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل هامة، ومن كل عين لامة" (٤).

وشهدت به التجربة، ولا ينافي ذلك أنه (٥) لا مؤثر إلا الله تعالى؛ لأن حقيقة التأثير وأصله ليس إلا منه تعالى، وإن ظهر على مظاهر الأشياء بحسب جري العادة، وليس هذا بمحل الامتحان والابتلاء لأنه ليس من خوارق العادات.." (١)

"{أفمن هو قائم على كل نفس} أفالله الذي هو قائم **رقيب** على كل نفس {بما كسبت} من خير وشر لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، ولا يفوت عنده شيء من جزائهم، والخبر محذوف تقديره: كمن هو ليس كذلك، دخلت الهمزة على الفاء لإنكار أن يسووا من هو مطلع على سرهم وعلنهم قادر على مجازاتهم بمن هو على خلافه بعد علمهم بما حل بالمنكرين من الأخذ المفاجئ والبطش الشديد.

{وجعلوا لله شركاء} استئناف، أو عطف على مقدر؛ أي: لم يوحدوه وجعلوا، وفيه إظهار في موضع الإضمار للتهويل والتوبيخ والتفضيح في معرض الاحتجاج والتبكيت، ويؤيده ما بعده، أسلوب بديع ضمن فيه (١) الترقي في الإنكار أولا، يعني: لا عجب من إنكارهم لآياتك الباهرة مع ظهورها، إنما العجب كل العجب جعلهم القادر على إنزالها، المجازي لهم على إعراضهم عن تدبر معانيها وأمثالها بقوارع تترى واحدة

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٤/٤٧٦

غب (٢) أخرى فيشاهدونها رأي عين تترامى بهم إلى دار البوار وأهوالها، كمن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، فضلا عمن اتخذه ربا يرجو منه جلبا أو دفعا! مدمج فيه التسلي ثانيا.

* * *

(١) "فيه" ليست (ك). (٢) تحرفت في النسخ إلى: "تحت"، والتصويب من "روح المعاني" (١٣/ ١٦٢)، والكلام من "الكشف" كما صرح الآلوسي.

الجزء: ٥ - الصفحة: ٤٠٤

وفي العدول عن صريح الاسم إلى قوله: {أفمن هو قائم} تفخيما (١) بواسطة الإبهام المضمن في إيراده موصولا، مع تحقيق أن القيام كائن وهم محققون، ما يداهش (٢) له الألباب، ويقضي من بديع إيراده العجب العجاب، وفي قوله: {وجعلوا لله} بوضعه مقام المضمر الراجع إلى (من) دلالة على أن (٣) المتوحد ذاتا واسما جعلوا له (٤) شركاء لا شريكا كذلك، ولا يهلك على الله إلا هالك، وفي حذف الخبر تعظيما للقالة وتحقيرا لمن هو (٥) بتلك الحالة ما لا يخفى من الجزالة.." (١)

"{يوم يقوم الحساب}؛ أي: يثبت، مستعار من قام القائم على الرجل، كقولهم: قامت الحرب على ساق، أو مسند إلى الحساب إسنادا مجازيا وهو لأهله، لا على حذف المضاف، فإنه حينئذ يكون الإسناد حقيقيا، والكلام نازلا عن منزلته.

فمن قال: أو يقوم إليه أهله، فحذف المضاف وأسند إليه قيامهم مجازا، فقد خلط بين الإسنادين وخبط.

* * *

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٥/٤٩

(٤٢) - {ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار}.

{ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون} خطاب لرسول الله ، والمراد النهي عن لازم الحسبان المذكور بطريق الكناية؛ أي: لا تحزن بما عملوا، فإنه تعالى مطلع على أحوالهم وأعمالهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وإن تأخير العذاب عنهم لتشديده عليهم في العقبى، فهو إمهال لا إهمال، ولكل أحد ممن يستعجل عذاب الظالمين أو يتوهم إهمالهم بأنه يجب أن يعلمه تعالى رقيبا عليهم، فيتسلى الأول ولا يظلم الثاني، ولا يحزن (١) إن ظلم، فإنه المجازي والمنتقم المنتصر من الظالم للمظلوم، ولهذا قال ابن عيينة: إنه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم (٢).

{إنما يؤخرهم} أضاف التأخير إليهم، والمؤخر عذابهم، على سبيل المجاز،

* * *

(١) في (ف): "ولا يتحزن". (٢) رواه الطبري في "تفسيره" (١٣/ ٧٠٣) عن ميمون بن مهران.

الجزء: ٥ - الصفحة: ٤٦٧

إيماء على أنهم من شدة العذاب في ذلك اليوم يكونون بحيث يظن من رآهم أنهم (١) عذاب مجسم.." (١)

"وإنما وصفه بـ {المبين}؛ لأن إنذاره أبين من إنذار سائر الأنبياء ؛ لأنه من أمارات الساعة، فهو منذر بلسان الحال كما أنه منذر بلسان المقال، وقد نبه على هذا المعنى حيث قال: "أنا النذير العريان" (١).

* * *

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٥/١٠٠

(١) رواه البخاري (٦٤٨٢)، ومسلم (٢٢٨٣)، من حديث أبي موسى . (النذير العريان): أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدا منهم ليخبرهم بما دهمهم وأكثر ما يفعل هذا ربيئة قومه وهو طليعتهم ورقيبهم. انظر: "شرح مسلم" للنووي (١٥/ ٤٨).

الجزء: ٥ - الصفحة: ٥٣٥

(٩٠) - {كما أنزلنا على المقتسمين}.

{كما أنزلنا على المقتسمين} في محل النصب صفة مصدر لـ {آتيناك} لأنه في معنى: أنزلنا عليك، كأنه قال: ولقد أنزلنا عليك سبعا من المثاني والقرآن العظيم كما أنزلنا على أهل الكتاب المقتسمين: الذين اقتسموا القرآن إلى حق وباطل، حيث قالوا عنادا: بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل، وبعضه باطل مخالف لهما، أو اقتسموه إلى شعر وسحر وكهانة وأساطير الأولين.

فيكون ذلك تسلية لرسول الله ، وقوله: {ولا تمدن} إلخ اعتراضا ممدا له.

أو صفة مفعول لـ {النذير}، أقيم مقامه؛ أي: أنذر قريشا عذابا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة؛ للتنفير عن الرسول، والصد عن الدين.

* * *

(٩١) - {الذين جعلوا القرآن عضين}.

{الذين جعلوا القرآن عضين}: أجزاء، جمع عضة بمعنى: جزء، وأصلها: عضوة، فعلة من عضى الشاة: إذا جعلها أعضاء، وقيل: هي فعلة من عضهته: إذا بهته.

وعن عكرمة: العضه (١) بلسان قريش: السحر، يقولون للساحرة: العاضهة (٢).

* * *". (١)

"{وأوفوا بعهد الله}: هي البيعة لرسول الله على الإسلام في قوله: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله} [الفتح: ١٠].

{إذا عاهدتم}؛ أي: اثبتوا على ما عاهدتم الله عليه، وبايعتم به رسول الله بالأيمان التي تحلفون بها.

* * *

(١) رواه الطبري في "تفسيره" (١٤/ ٣٣٧). (٢) رواه الإمام أحمد في "المسند" (٢٩١٩)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٨٣٢٢)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١١/ ٣١)، من حديث ابن عباس .

الجزء: ٦ - الصفحة: ٨٧

{ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها}؛ أي: لا تنكثوها بالحنث بعد إحكام عقدها على أنفسكم بذكر الله تعالى.

{وقد جعلتم الله عليكم كفيلا}: شاهدا **ورقيبا**؛ لأن الكفيل شاهد بحال المكفول به **رقيب** عليه.

{إن الله يعلم ما تفعلون} في نقض الأيمان والعهود، وعيد.

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٥/١٥٤

* * *

(٩٢) - {ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون}.

{ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها}: ما غزلته، مصدر بمعنى مفعول.

{من بعد قوة} تعلق بـ {نقضت}؛ أي: نقضت غزلها بعدما أبرمته وأحكمته.

{أنكاثا}: طاقات، نكثت فتلها، جمع نكث، وهو ما نقض فتله.

وانتصابه على الحال من {غزلها}، أو المفعول الثاني لـ {نقضت} لتضمنه معنى: صيرت، ولا يجوز انتصابه على المصدرية؛ لأن النكث اسم لا مصدر، والمراد: تشبيه الناقض بمن هذا شأنه، وهي ريطة بنت سعد بن تيم (١) القرشية، فإنها كانت خرقاء تفعل ذلك (٢).." (١)

"(١) قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: "السبعة" (ص: ١٤٩ - ١٥٠). (٢) في (ك): "أوفى". (٣) رواه البخاري (٢٠٩١)، ومسلم (٢٧٩٥)، والترمذي (٣١٦٢)، من حديث خباب .

الجزء: ٦ - الصفحة: ٣٩٣

{سنكتب ما يقول}: سنظهر له أنا كتبنا قوله، على طريقة قوله: إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة (١) أي: تبين أني لم تلدني لئيمة؛ لأن نفس الكتبة لا تتأخر عن القول؛ لقوله تعالى: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٨].

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٥/٢٢٧

وقيل: هذا على طريقة قول المتوعد للجاني: سوف أنتقم منك، يعني: أنه لا يخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان، إلا أن حرف التنفيس جرد هنا للوعيد.

{ونمد له من العذاب}: نزيده (٢) من العذاب كما يزيد في الافتراء والاجتراء، من المدد، يقال: مده وأمده بمعنى.

{مدا} أكد بالمصدر؛ لفرط غضبه تعالى.

* * *

(٨٠) -) {ونرثه ما يقول وياتينا فردا}.

{ونرثه} بموته {ما يقول} يعني: المال والولد بدل اشتمال من الهاء في (نرثه).

{وياتينا} يوم القيامة {فردا} لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا، فضلا أن يؤتى له زائدا.

* * *

* * *

(١) أورده الفراء في "معاني القرآن" (١/ ٦١)، والطبري في "التفسير" (٢/ ٥٧)، ولم ينسباه، وأورده البغدادي في "شرح أبيات المغني" (١/ ١٢٥)، ونسبه لزائد بن صعصعة الفقعسي، وعجزه:[١] ولم تجدي

---

(١) br

من أن تقري به بدا (٢) في (م): "زيدت".

الجزء: ٦ - الصفحة: ٣٩٤

(٨١) - {واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا}.

{واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا}: ليتعززوا بهم بأن يكونوا لهم شفعاء عند الله، ووحد {عزا} بمعنى المصدر.

* * *

(٨٢) - {كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا}.." (١)

"(١) نسبت للحسن والضحاك. انظر: "مختصر في شواذ القراءات" (ص: ١٠٤). (٢) قوله: "لما اختص بموضع .. " يعني: لما خصوا استعماله بالاستعاذة أو الحرمان صار كالمنقول، فلما تغير معناه غير لفظه عما هو أصله - وهو الفتح - إلى الكسر أو الضم لإيهام أنه لفظ آخر كالمرتجل. انظر: "حاشية الشهاب" (٦/ ٤١٧). (٣) قوله: "كقعدك وعمرك" (قعدك): بفتح القاف، وحكي كسرها عن المازني [وكذا ضبطت في (ي) بكسر القاف] وأنكره الأزهري، والعين ساكنة يقال: قعدك الله، وقعيدك الله، بنصب الاسم الشريف لا غير، و (قعدك) منصوب على المصدرية، والمراد: **رقيبك** وحفيظك الله، ثم نقل إلى القسم فقيل: قعدك الله لا تفعل. وأما (عمرك الله) فبفتح العين وضمها، والراء مفتوحة لأنه منصوب على المصدرية ثم اختص بالقسم. انظر: "حاشية الشهاب" (٦/ ٤١٧). (٤) قوله: "ولذلك لم يتصرف فيه"؛ أي: يلزم النصب على المصدرية بفعل لازم الإضمار. انظر: "حاشية الشهاب" (٦/ ٤١٧ - ٤١٨).

الجزء: ٧ - الصفحة: ٣٢٦

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٤٧٥/٥

(٢٣) - {وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا}.

{وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا} لا قدوم ولا ما يشبه القدوم، ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم - من صلة رحم وإغاثة ملهوف، وقرى ضيف، ونحو ذلك - بحال من خالف سلطانه وعصاه، فقدم إلى أسبابه وما تحت يديه فأفسدها ومزقها كل ممزق، ولم يترك لها أثرا.

وعلى هذا يكون الكلام المذكور تمثيلا على سبيل الاستعارة، لا الاستعارة (١) في مفرداته، بخلاف ما إذا كان المعنى: وعمدنا إلى ما عملوا في كفرهم من المكارم فأحبطناه، فإنه حينئذ تكون الاستعارة في المفردات لا في الكلام.." (١)

"{قال} موسى : {ذلك} مبتدأ، وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب ، والخبر: {بيني وبينك}، يعني: ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه، لا أنا عما شرطت، ولا أنت عما شرطت على نفسك، ثم قال: {أيما الأجلين قضيت}، (أي): نصب بـ {قضيت}، و (ما) زائدة مؤكدة لإبهام (أي) وهي شرطية، وجوابها: {فلا عدوان علي}؛ أي: لا تعتدي علي في طلب الزيادة، قال المبرد: قد علم أنه لا عدوان عليه في أتمهما، ولكن جمعهما ليجعل الأقل كالأتم في الوفاء، كما أن طلب الزيادة على الأتم عدوان، فكذا طلب الزيادة على الأقل (١).

{والله على ما نقول} من المشارطة {وكيل} هو من وكل إليه الأمر، وعدي بـ {على} لأنه استعمل في موضع الشاهد **والرقيب**.

* * *

الجزء: ٨ - الصفحة: ٢٦

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٦/٣٢٨

(٢٩) - {فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون}.

{فلما قضى موسى الأجل} قال : قضى أوفاهما، وتزوج صغراهما (١).

{وسار بأهله}: بامرأته نحو مصر {آنس} مر تفسيره.

{من جانب الطور}: من الجهة التي تلي الطور {نارا قال لأهله امكثوا}: البثوا مكانكم {إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر} مر تفسيره.

{أو جذوة} بفتح الجيم وكسرها وضمها: قطعة غليظة من الحطب كانت رأسه نارا أو لم تكن، ولذلك بينه بقوله: {من النار لعلكم تصطلون} مر تفسيره.

* * *." (١)

"{حليما} لا يعاجل بالعقوبة، فهو حقيق بأن يتقى ويحذر.

* * *

* * *

(١) في (ف) و (ك): "وتصاحبها"، والمثبت من باقي النسخ والمصادر السابقة. (٢) في (ف): "أي".
(٣) أي: فتقع الغيرة بينهن. (٤) في (ف): "ذكر".

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٦/٤٨١

(٥٢) – {لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا}.

{لا يحل لك النساء}؛ أي: ذلك الجنس، وإتيان صيغة الجمع ثم إبطاله بالتعريف لعدم المفرد من لفظها، ولم يقل: (امرأة)، لعمومها المملوكة بملك اليمين، والمراد: المملوكة بملك النكاح، بقرينة قوله: {من أزواج}.

وقرئ بالتذكير (١) لأن تأنيث الجمع غير حقيقي، وإذا جاز بغير فصل في قوله (٢): {وقال نسوة} [يوسف: ٣٠] فمع الفصل أجوز.

{من بعد}: من بعد التسع؛ لأنه نصاب رسول الله من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته، أو: من بعد اليوم، حتى إنه لو ماتت واحدة منهن لم يحل له نكاح أخرى.

{ولا أن تبدل بهن}: ولا أن تستبدل بهن {من أزواج} لا بكلهن ولا ببعضهن، بأن تطلق إحداهن وتنكح أخرى مكانها؛ كرامة لهن، وجزاء على ما اخترن ورضين به، فقصر رسول الله عليهن، وهن التسع اللاتي مات عنهن.

و {من} في {من أزواج} هي الاستغراقية، مزيدة لتأكيد نفي التبدل من جنس الأزواج.

{ولو أعجبك حسنهن}: حسن الأزواج المستبدلة (٣)، وهو حال من الضمير الذي هو فاعل {تبدل}؛ أي: مفروضا إعجابك بهن، أو من المفعول الذي

* * *." (١)

"(١) قرأ أبو عمرو بالتاء، وباقي السبعة بالياء. انظر: "التيسير" (ص: ١٧٩). (٢) "قوله" سقط من (ك). (٣) في (ك) و (ع): "المتبدلة".

الجزء: ٨ - الصفحة: ٢٧٠

هو {من أزواج}؛ لأنه في سياق النفي، فشابه المعرفة المستغرقة، ألا ترى إلى تجويزهم (١) أن يقع مبتدأ.

وعن عائشة : ما مات رسول الله حتى أحل له النساء (٢)؛ يعني: أن الآية قد نسخت، ولا يخلو نسخها أن يكون إما بالسنة (٣)، وإما بقوله: {إنا أحللنا لك أزواجك}، أو بقوله: {ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من} (٤) [الأحزاب: ٥١] على المعنى الثاني، وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف.

وقيل: المعنى: لا تحل لك النساء من بعد الأجناس الأربعة اللاتي نص على إحلالهن لك من الأعرابيات والكتابيات والقرائب والإماء بالنكاح؛ فإنهن لا يناسبن (٥) منصب النبوة وجلالته.

{إلا ما ملكت يمينك} استثناء منقطع؛ لأن {النساء} وإن كان في الأصل يتناول الحرائر والإماء، لكن غلب استعماله في الأزواج، وهو المراد هاهنا على ما مر بيانه.

{وكان الله على كل شيء رقيبا}: حافظا مهيمنا. وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله إلى حرامه.

* * *

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ١٧٩/٧

* * *

(١) في (ك): "تجويز". (٢) رواه الترمذي (٣٢١٦)، والنسائي (٣٢٠٤)، وقال الترمذي: حسن صحيح. (٣) في (م) و (ي) و (ع): "بالنسبة"، وفي (ف): "بالكتاب". (٤) في (ك): "ترجئ". (٥) في (م) و (ي) و (ع): "لا ينافي"، وصححت في هامش (ي) إلى المثبت.

الجزء: ٨ - الصفحة: ٢٧١." (١)

"{قل هو الذي ذرأكم}: خلقكم {في الأرض وإليه تحشرون} للجزاء. والحشر: السوق من جهات مختلفة إلى مكان واحد.

* * *

(٢٥) - {ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين}.

{ويقولون متى هذا الوعد} يعنون: وعد البعث {إن كنتم صادقين} يعنون: النبي والمؤمنين.

* * *

(٢٦) - {قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين}.

{قل إنما العلم}: علم وقته {عند الله} لا يطلع عليه أحد غيره.

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٧/١٨٠

{وإنما أنا نذير مبين} مخوف ظاهر، وذلك أن بعثته كانت من أشراط الساعة، فكان منذرا قالا وحالا على ما أشار إليه بقوله: "أنا النذير العريان" (١).

* * *

(٢٧) - {فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون}.

{فلما رأوه} الضمير لـ {الوعد} بمعنى (٢) الموعود.

* * *

(١) رواه البخاري (٦٤٨٢)، ومسلم (٢٢٨٣)، من حديث أبي موسى . (النذير العريان): أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدا منهم ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربيئة قومه وهو طليعتهم **ورقيبهم**. انظر: "شرح مسلم" للنووي (١٥/ ٤٨).
(٢) في "ع": "يعني".

الجزء: ٩ - الصفحة: ٢٩

{زلفة} نصب على الحال؛ أي: ذا زلفة؛ أي: قرب منهم، أو على الظرف؛ أي: مكانا ذا زلفة، أي: فلما رأوا ما وعد قريبا.." (١)

"{من طغى}: جاوز الحد حتى (١) كفر {وآثر الحياة الدنيا}؛ أي: اختارها فانهمك فيها ولم يعمل للآخرة.

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٤٠٧/٧

* * *

(٣٩) - {فإن الجحيم هي الماوى}.

{فإن الجحيم هي الماوى}: هي مأواه، لا على أن اللام فيه ساد مسد الإضافة؛ لأنه على المذهب المرجوح (٢)، بل لأنه استغني عن الإضافة لحصولها بالقرينة لا بإدخال اللام، ثم (٣) أدخل اللام لأنه معين كما في قولك: غض الطرف.

و {هي} للفصل وإفادة التخصيص، فيرجع المعنى إلى أن الطاغي هي مأواه لا مكان آخر.

* * *

(١) في (ب): "فقد". (٢) هو مذهب كوفي، قال الفراء: والعرب تجعل الألف واللام خلفا من الإضافة فيقولون: مررت على رجل حسنة العين قبيح الأنف، والمعنى: حسنة عينه قبيح أنفه، ومنه قوله: {فإن الجحيم هي الماوى}، وأما البصريون فالتقدير عندهم: هي المأوى له. انظر: "معاني القرآن" للفراء (٢/ ٤٠٨)، و"معاني القرآن" للزجاج (٥/ ٢٨١). (٣) في "ع": "لأنه".

الجزء: ٩ - الصفحة: ٧٥

(٤٠) - {وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى}.

{وأما من خاف مقام ربه} {مقام} مقحم للتعظيم، كأنه قيل: حضرة ربه، أو بمعنى: خاف قيامه عليه (١) وكونه رقيبا، من قوله: {أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت} [الرعد: ٣٣].

{ونهى النفس عن الهوى}؛ أي: النفس الأمارة بالسوء عن الهوى المردي.

* * *

(٤١) - {فإن الجنة هي الماوى}.

{فإن الجنة هي الماوى} ليس له سواها مأوى.

* * *

(٤٢) - {يسألونك عن الساعة أيان مرساها}.." (١)

* * *"

(١) سمي النبت أول ما يطلع نجما، وفي القرآن: {والنجم والشجر يسجدان}، وقد خص بالنجم منه ما لا يقوم على ساق، كما خص القائم على الساق منه بالشجر. انظر: "النهاية" (مادة: نجم). (٢) في (ب): "أو لطيف". (٣) في (ع): "يثقب الضوء". (٤) انظر: "الصحاح" (مادة: طرق). (٥) ذكره البغوي في "تفسيره" (٤/ ٤٧٢) عن الكلبي، والقرطبي في "تفسيره" (٢٢/ ٢٠٢) عن أبي صالح عن ابن عباس، ويغلب على الظن أنه من رواية الكلبي، فيكون إما عن الكلبي كما عند =

الجزء: ٩ - الصفحة: ٨٤

(٤) - {إن كل نفس لما عليها حافظ}.

{إن كل نفس لما عليها حافظ} قرئ: {لما} بالتشديد (١) بمعنى: إلا، و {إن} نافية.

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٧/٤٤٢

وبالتخفيف على أن (ما) صلة مؤكدة، و {إن} هي المخففة، واللام هي الفارقة، أو على أن اللام بمعنى: إلا، وأن {إن} نافية، [و (ما) زائدة] (٢)، كما في قوله:

أمسى أبان ذليلا بعد عزته ... وما أبان لمن أعلاج سودان (٣)

وعلى هذا تتحد القراءتان في المعنى، والجملة عليهما جواب القسم، وتقديم الظرف للاختصاص، والمعنى: على كل نفس رقيب مخصوص بحفظ (٤) عملها خيرا كان أو شرا، فلا مساغ لأن يراد بالحافظ هو الله تعالى؛ لعدم اختصاصه بنفس دون نفس.

وأما حمل الحفظ على حفظه عن اختطاف الشياطين وسائر الآفات فيأباه الفاء التفريعية في قوله:

* * *". (١)

"(١) هي قراءة عاصم وابن عامر وحمزة وباقي السبعة بالتخفيف. انظر: "التيسير" (ص: ٢٢١). (٢) انظر: "البحر" (٢١/ ٣٠٩)، وما بين معكوفتين منه. (٣) انظر: "العين" (٨/ ٣٩٧)، و"مغني اللبيب" (ص: ٣٠٦)، و"شرح الكافية الشافية" (١/ ٤٩٤)، و"شرح الألفية" للأشموني (١/ ٣٠٨)، وهو في رواية "العين": وإن أبان لمن أعلاج سوراء، ومعنى البيت: أن أبان أضحى ذليلا بعد أن كان عزيزا، ولا غرو في كونه ذليلا وهذا بسبب أصله. (٤) في (ب)، و (م) و (ي): "مخصوص به يحفظ".

الجزء: ٩ - الصفحة: ٨٥

(٥) - {فلينظر الإنسان مم خلق}.

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٤٤٧/٧

{فلينظر الإنسان مم خلق} لما أثبت أن عليه **رقيبا** حثه على النظر في مبدأ نشأته (١) حتى يتحقق صحة إعادته لجزاء الأعمال، فلا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته.

{خلق من ماء دافق} استئناف جواب عن استفهام مقدر؛ لانسلاخ ما قبله عن معنى الاستفهام، والدافق في وصف الماء على الإسناد المجازي، فإن الدفق - وهو الصب بدفع - لصاحبه.

وجوز أن يكون معناه النسبة إلى الدفق كلابن وتامر.

* * *

(٧) - {يخرج من بين الصلب والترائب}.

والمراد بالماء: الممتزج من النطفتين؛ لقوله تعالى: {يخرج من بين الصلب والترائب}؛ أي: صلب الرجل؛ أي: ظهره، وترائب المرأة وهي عظام صدرها: جمع تريبة (٢).

أصل الكلام: يخرج من الصلب والترائب، ولما كان فيه احتمال المجاز بأن يكون الخروج من أحدهما ويسند إليهما -كما في قوله تعالى: {يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان} [الرحمن: ٢٢]- زيد عبارة {بين} الدالة على الشركة الحقيقية؛ دفعا لذلك الاحتمال. (١)

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٧/٤٤٨